

المروية

مجلة أسبوعية للقصص والسير

تصدر مؤقتاً في أول كل شهر وفي نصف

1937

Volume 1

PUBLICATION PROTEGEE

PAR LA

LEGISLATION SUR LA PROPRIETE

LITTERAIRE ET ARTISTIQUE

LOI N **57_298** DU **11** MARS **1957**)

MICROFILM ÉTABLI

PAR

**L'ASSOCIATION POUR LA CONSERVATION
ET LA REPRODUCTION PHOTOGRAPHIQUE
DE LA PRESSE**

PARIS

*L'Exploitation commerciale de ce film est interdite.
La Reproduction totale ou partielle est soumise à
l'autorisation préalable des ayants droit et à
celle de l'A.C.R.P.P. qui conserve un exemplaire
du microfilm négatif.*

© 1998 A.C.R.P.P.

PROVENANCE DE LA COLLECTION

**INSTITUT DU MONDE
ARABE**

- Cote: 833 (051) RIW

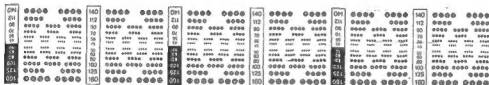


ECHELLE DE PRISE DE VUE



Rx9

A.C.R.P.P



MIRE ISO N° 1

NF Z 49-007

AFNOR

Cedex 7 - 92080 PARIS-LA-DÉFENSE

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها للشئول
احمد حسن الزيات

مرسل الاشتراك عن سنة
٣٠ في مصر والسودان
٥٠ في الممالك الأخرى
١ من العدد الواحد

الوزارة
شارع عبد العزيز رقم ٣٦
الحيطة المختارة - القاهرة
تليفون ٤٣٣٩٠ ، ٥٣٤٥٥

الرواية

مجلة أسبوعية للقصص والروايات

تصدر مرتين في أول كل شهر ونصف

العدد الأول ١٩ ذو القعدة سنة ١٣٥٥ - أول فبراير سنة ١٩٣٧ السنة الأولى

الرواية.

إلى الذين ملكهم الجلال ولم يملكوا الأمانة عن آثاره ؛
إلى الذين تيمهم الحب ولم يحسنوا العزف على قيثارة ؛
إلى الذين شاقهم الأدب ولم يستطيعوا النفوذ إلى أسرارها ؛
إلى الذين اعتقلهم الهم ولم يجدوا الفكاك من إسهاره ؛
إلى هؤلاء جميعاً أقدم هذه المجلة . وما هي إلا فتحة
من الشعور الانساني الرفيف ، ولعة من البيان
الروحي المشرق ، ستلتاق عندها الأذواق السليمة ،
وتتعارف عليها الشاعر الكرم ، وتتألف بها
عبقرية الشرق وعبقرية الغرب

والله وحده هو العليم بما تكاد في سبيلها وفي
سبيل أخيه من المناء والأشواق والمجد . وفي سبيل
الأدب كل أذى يحتمل ؛ وفي حب العربية كل
بذل يموض ؛ وفي خدمة الوطن كل سبب يهون
أحمد حسن الزيات



فهرس العدد

- | | | | |
|----|--------------------------------|-------|------------------------------------|
| ١ | الرواية | | أحمد حسن الزيات |
| ٢ | شوة القمر لموباسان | | أحمد حسن الزيات |
| ٦ | الذي يضحك أغنياً ، يضحك كثيراً | | الأستاذ إبراهيم عبدالقادر المسازني |
| ١٣ | لوتان من الحب ليلاسكوا بانين | | الأستاذ عبد الرحمن صدقي |
| ١٩ | خصام الأستاذ محمود تيمور | | |
| ٢٧ | البنورا لادجار آلن بو | | الأستاذ محمود الحفيف |
| ٣٢ | مقتل رضوان كفتخدا | | |
| ٣٩ | المجهود ضائع | | الأستاذ محمد فريد أبو حديد |
| ٤٦ | جوليا أو هيلوز الجديدة | | لجان جاك روسو |
| ٥٠ | يوميات نائب في الأرياف | | أحمد حسن الزيات |
| ٥٩ | اغترافات في مصر | | الأستاذ توفيق الحكيم |
| ٦٣ | الأوديسة لموميروس | | الأستاذ فليكس فارس |
| ٦٨ | مغالية جبل إفريست | | |



لنفسه مكان الله حتى يجد، وغالباً ما كان يجد .
فليس هو الذي يقيم في سورة من التقي الخاشع .
بهذه الجملة : « مولاي ! لقد جئت مقاصدك عن
عقول الناس ! » وإنما يقول : « أنا خادم الله فيجب
أن أعرف علل تدبيره وحكم تصرفه ، إن لم
يكن على وجه اليقين ، فلي وجه الحسد والتخمين .
ففي رأيه أن كل شيء في الطبيعة إنما خلق على
مقتضى نظام عجيب ومنطق مسلم ، (لماذا) و(لأن)
يتعادلان دائماً في ميزان عقله . فالعجز ينزع لاستيقظ
الناس في مسرته وبهجته ؛ والنهار يضحى ليبيشع
الثمر وينضج الحصيد ؛ والطير يهيم لتجبا الأرض
وترتوي الزروع ؛ والشاء يقبل لياوى الناس إلى
الصباح ؛ والليل يحللك ليلقوا بأنفسهم في
أحضان الكرى ؛ والفصول الأربعة إنما تنطبق
كل الانطباق على حاجات الزراعة . وههنا
أن تداخل القسوس شبهة في أن الطبيعة لا غرض
لها ، وأن كل شيء إنما يخضع لضرورات
الوقت والإقليم والمادة . ولكنه كان يكره ألا أنه ؛
بكرهها من وراء وعيه ، ويحتملها محض غريزة .
وكان كثيراً ما يردد قول المسيح : « أيها المرأة ،

للأب الفرنسي جي رومباسار بقلم أحمد حسن الزيات

كان الأب مارنيان يحمل اسمه الحربي^(١) عن
جداوة . والأب مارنيان قسيس كبير^(٢) متمسك
ضاربي الجسم ، تأثر النفس ، إلا أنه مستقيم خير .
فأبت العقيدة لا يتذبذب ، صادق الإيمان
لا يشك ، وهو يعتقد مخلصاً أنه يعرف الله ويستطيع
أخبار حكيمته ، وأغراض مشيئته . كان إذا سار
أحياناً بخطاه الواسعة في مسمى مسكنه الريفى الصغير
ونظر في الشيء بمبدأ الشيء ، وقام في ذهنه هذا
السؤال : « لماذا خلق الله هذا ؟ » ثم يبحث
عنه الجواب ويلج في البحث ، متخذاً أفكاره

(١) : كانوا في الزمن الثامن يلقبون المحدثي حين دخلوه
في الخدمة بلفظ . ويأيدون لب هذا القسيس اسم معتبة ليطالمة
تقع في الجنوب الشرقي من ميلانو . وقد انتصر فيها الفرنسيون
على كلوشنة سنة ١٥٠٩ ، وعلى النمساوية ١٥٢٩ ، و(٢)
(٢) : أكبر (Jesuit) لب كان يعطى للأولين المتأخرين
في طبقتهم من المعلمين والسكينة والسادة الخ .

هل بينك وبينى شركة ؟ ثم يعقب على هذا بقوله : « كأن الخالق نفسه ساحت على هذا الخلق ! »
 حتى في رأيه الطفلة التي غشيها الدنس اثنتي عشرة
 سنة كما زعم الشاعر ؛ وهي التي أغوت الإنسان
 الأول ولا تزال تواصل عملها الهلك في بنيه ؛ وهي
 الكائن الضعيف الخطر الذي يكدر صفو العالم في
 علن وخفية . ولقد كان يفيض روحها الخذاب
 أكثر مما يفيض جسدها الهلك ؛ وكان كثيراً
 ما ينسجم عليه حنان المرأة فيتغيط من عاطفة الحب
 التي تغتليج دائماً في نفسها ، وإن كان هو في حصن
 منيع من تأثيرها . وهو يرى أن الله لم يخلق المرأة
 إلا فتنة للرجل وعنة . فهو حدير بأن يثقتها كما يثق
 الشوك ، فلا يدنو منها إلا على حذر . ولعلها أشبه
 ما تكون بالفتح حين تبسط ذراعها وتفتح شفتيها
 للرجل . كان لا يتسع صدره إلا للراهبات ، لأنهن
 نذرن أنفسهن لله فاعتصمن برعايته . ومع ذلك كان
 يقسو عليهن لأنه لا ينفك يحس في سمع قلوبهن
 المغلولة الضاربة ذلك الحنان الأبدي الذي يدرك
 وهو قسيس — أثره في نفسه . كان يحس
 ذلك الحنان في نظراتهن وهي أشد من نظرات
 الزهيات إحصالاً بالدمع وابتهالاً بالورع ، وبحسه
 في مجلنهن الروحي وقد اختلطت به عواطف
 جنسهن ، وبحسده في زعات جبهن إلى المسيح ؛
 وذلك الحب يوغر صدره بالحنن لأنه يرى فيه
 حب المرأة وهوي الجسد . يحس ذلك الحنو الملمون
 في وداعتهن نفسها ، وفي رخامة أبواتهن لدى
 الحديث ، وفي أطرافهن النضيضة عند النظر ، وفي
 جموعهن المستكنة حين يؤنهن بقسوة على خطأ
 كان إذا ما خرج من دهرن نفخ نسوحه واندفع
 بهزول كائناتهن بقر من خطر . وكان له بنت أخ

تعايش أهلها في منزل صيفي مجاور ، فكان يحرس
 كل الحرص على أن يجمل منها زاهية ، وليكنها
 كانت على طرفها رداء ساهرة . كانت تضحك
 منه إذا وعظ ؛ فإذا غضب عليها قبلته بقوة ،
 ثم ضففته إلى صدرها بشدة ، فيجادول هو مضطرباً
 أن يتخلص من هذا العناق الذي يمتث فيه مع ذلك
 نشوة السرور المنب بأيقاظه شعور الآوة الزائدة
 في قرارة كل نفس

كان يحذنها عن الله ويسيرها جنباً إلى جنب
 في مسالك الحقول فتجعل حديثه دُرُّ أذنها ، ثم
 ترسل نظرها في السماء والعتب والزهو وقد تراءت في
 عينها سعادة الحياة وزهرة العيش ؛ فإذا رأت فراشة
 تطير عدت وراءها فقصتها ثم صاحت : « انظري أعماه
 ما أجملها ! إن نفسي تنازعني إلى تقبيلها ! »

هذه الحاجة إلى (التقبيل) البادية في
 لئها هوام الطير وحب الشجر ، أزعجت القسيس
 وهاجت بلابل صدره ، لأنه رأى هنا كما رأى
 هناك هذا الحنو التأمل الثابت الذي يثبت دائماً
 في قلب المرأة . وفي ذات يوم أقبلت امرأة سادن
 الكنيسة ، وهي مدبرة منزل القسيس ، تخبر الأب
 مارنيان في حيلة شديدة أن ابنة أخيه عاشقة ؛
 كانت القس يعلق لحيته ففجئته روع الخبر
 فبهت ووجم ، وترك الصابون على وجهه وأقام ساعة
 لا يتحرك ولا يطفرف . فلما ذهب عنه الدهش
 وثاب إليه الإرشد صاح في وجه المرأة قائلاً : « هذا
 غير صحيح ! إنك تكذبن يا ميلاني ! »

ولكن المرأة القروية وضعت يدها على قلبها
 وقالت : « لعننى الله يا مولاي القس إذا قلت في ابنة
 أخيك الكذب . أقول لك إن لها عاشقاً تخرج
 إلى لقاءه كل مساء بعد أن تنام عين أخيك ؛ ولمهلها

صفوها المنظمة ترسم بالظلال على المشى افنانها
الرقية المخضرة ، على حين كانت شجرة زهر
السل المتسلقة على جدار منزله تسطع بالنفحات
اللاذنية الحلوة ، فتطيف في المساء الفاتر الزاهر نوحاً
من الأرواح المطورة

أخذ القسيس يتنفس ملء رئتيه ، ويمب
النسيم كما يمب السكير الخمر ؛ ثم مشى وتبدل الخطو ،
مأخوذاً باللب ، مشترك الخاطر ، لا يكاد يجرى على
باله ذكر ابنة أخيه . فلما صار بين الحقول
وقب يتأمل السهل كله وقد غمره سحر الليل البهي
وأغرقه ضياء القمر اللاطف

وكانت الضفادع في كل لحظة ترسل في الفضاء
أناشيداً القصيرة الأيقاع المدنية الصوت ،
والبلابل البعيدة تضيف إلى ضوء القمر أغانيها
التقطعة التي تهيج الأحلام وتحض على القبل . ثم عاد
الأب يمشى وقد أحس فجأة بقلبه ينسرق ويقوته
تخور دون أن يعلم لماذا ، وود لو يجلس حيث كان
فيتأمل جلال الله ويتأمل جمال صنعه !

وهناك على ضفة النهر قام صف عظيم من شجر
الحور متمرج مع الساحل ينبعث من خلاله
غمام رقيقة من الأصوات المختلفة ، وفوق الشاطئ
الوعر ومن حوله انمقد بخاراً أبيض قد اخترقته أشعة
البدر فلعق وقضض ، ثم غطى مجرى الماء بما يشبه
القطر الرقيق الشف

وقب القسيس مرة أخرى وقد تخللت قلبه
رقة نامية لا تقاوم ، ثم تخالجه شك مرعب ،
واستولى عليه قلق منهم ، ثم نشأ في خاطره سؤال
من نوع ما كان يلقبه أحياناً على نفسه : « لماذا خلق
الله هذا ؟ إذا كان الله قد جعل الليل لباساً ونامساً
فلا هو للشعور ولا للعمل ولا للذكر ، فلماذا جعله

ليلتين على ضفة النهر ؟ وتستطيع أن تراها
بصنيك إذا ما ذهبت هناك بين الساعة الماثرة
ومتتصف الليل »

أمسك الرجل عن خلق ذهنه ، وأخذ يمشى
ويمنف في مشيه كدأبه في ساعات التأمل الخطير .
ولما استأنف خلق لحيته جرح نفسه ثلاث مررات
فيما بين أنفه وأذنه ؛ وظل طول يومه صامتاً متلداً
وقد انتفخت أوداجه من الفئط ، وانتسف لونه
من الغضب . اجتمع فيه فزع القسيس أمام الحب
القاهر ، إلى حقن الوالد ذى الخلق ، والوصى ذى
الضمير تمك به طفلة فتخذه وتسرقه . أضف إلى
هذين وجوم الأناية الذي يترى الأهل حينما تلمهم
الفتاة أنها اختارت زوجها دون رأيهم وعلى رغمهم
فرغ من عشائه ثم حاول أن يتلهم قليلاً بالقراءة
فلم يستطع ، وأحس بالفئط تزداد فورته في صدره .
فلما دقت الساعة عشراً تناول عصاه ، وهي
هراوة ثقيلة من شجر البلوط يستخدسها دائماً في
جولانه الليلية كلما خرج إلى عيادة مريض .

نظر وهو يتنسم إلى المسا الضخمة ، ثم أدارها في
كفه القوية القروية دورات رحوة مهددة ؛ ثم
رفعها فجأة ، وهو يحرق الأرم ، وأهوى بها على
كرسي خطمت مسنده . ثم فتح الباب وأراد
الخروج ، ولكنه وقف على عتبة مشدوهاً من
اشتراق ضوء القمر ، وهو ضوء لم يشهد مثله قبله
أجداً . وكان الله قد وهب الأب مارنيان فكراً
وناباً لا يهبه إلا الآباء الكنيسة ولأسماء القريش ،
فوقب ذاهلاً متأثراً بجلال الليل الساجي وجمال
القمر الشاحب !

كان كل شيء في حديثه الصغيرة غريباً في
الضوء اللطيف ، وكانت أشجارها المثمرة في

المختصر عرضت تحت قبة الشجر الخائض في الضباب
اللامع ، شخصين عيشان جنباً إلى جنب . كان
شخص أفتح أطول من شخص الفتاة ، وكان الحبيب
قد طوق بيده جيد الحبيبة ، وهو من حين إلى حين
يقبّلها فوق الجبين . فبعث عصر الماشقين الحياة
نفاة في هذا النظر الهامد ، فكانه لاشباله عليهما
ونملقه بهما إطار صاغته يدا الله خاصة لهذه الصورة
كان الماشقان كأنهما كائن واحد ؛ وهذا
الكائن الواحد هو الذي خلق الله له هذا الليل
الساكن الساكن ، وقد أقبلنا نحو القميس
كأنهما الجواب الحى أرسله الله إليه عن سؤاله

كان القميس لا يبرح واقفاً وقد اشتد
وجيب قلبه ، وزاد اضطراب شعوره ، ولم يبق
لديه شك في أنه يشهد حدثاً من أحداث التوراة
كقرام (روت) و (بوز) ، وأن ما يراه إنما هو
قضاء لشئمة الله أراد أن ينفذه في هذا الرخف
الفخم الذى تحدثت عنه الكتب المقدسة . ثم
أخذت تدوى في رأسه آيات (نشيد الأناشيد)
بما فيها من صراخ الرغبة ونداء الجسد وحرقة
الفرل . فلم يتألك أن قال لنفسه : « لعل الله قد
خلق هذه الليالى ليجمعها لفرام الناس غلالة من
الجمال الأعلى » ثم تكس على عقبه أمام هذين
الماشقين المتماقنين وكانا لا يزالان عيشان !

تلك كانت ابنة أخيه وذلك كان حبيبها .
ولكنه الآن قد سأل نفسه : ألم يكن على وشك
أن يعصى الله ؟ أليس الله قد سمح بالحلب مادام قد
أحاطه بمثل هذا السنا الباهر ؟ ثم ولى مدبراً وهو
ولهان خزان كأنهما دخل معبداً لا يحق له أن يدخله !

احمر من الزيات

أبهى من النهار ، وألطف من الساء ، وأهدب من
الفجر ؟ ولماذا يشف هذا الكوكب البطيء
الفرار حجب الظلمات فيكون أقرب إلى الشمر
والسحر من الشمس ؟ وكأنه خلق رصيناً كتوماً
ليضيء للناس أشياء هى أدق على النهار وأخفى ؟
لماذا كان أبرع الطيور المتردة لا تسكن في الليل
كما تسكن الطيور الأخرى ، وإنما تسجع بأغاريدها
وسط الظلام المضطرب ؟ لماذا ضرب هذا النقب
الشفاف على وجه العالم ؟ لماذا يأخذ القلب هذا
الارتجاف ، ويملك النفس هذا الانفعال ، ويسترى
الجسم هذا الممود ؟ لماذا تظهر هذه المقاتن الغرية
مادام الناس ضاحكين في أسرهم لا يرونها ؟
لبن هذا الشهد السحري الجليل وهذا الفيض
الشعري الجميل الذى ينسكب من السناء على الأرض ؟



وحاول القميس أن يجد لهذه الأسئلة أجوبة
فلم يوفق ؛ ولكنه أبصر هناك على جواشى الرج

فقلت ببساطة :

« أوه ... أظنه ملأنا ... »

سافر ليبحث مع شريكه

أمر هذه الشركة الجديدة التي

يريد أن يؤلفها .. إنك تعرفه ..

لا يعترف بميد ، ولا يطبق أن

يقعد بلا عمل »

فسرني أنها تكذب لتستر

حماقتها ، وكنت أعرف أن هذه

كذبة لأنه أخبرني بما تم فالأمر

مفروغ منه ، ولا حاجة به إلى

سفر جديد ، ولكنها لم تكن

تدري أي أعرف هذا ، وإلا

الذي فضلك الخير ، بضحك كثير

للأستاذ إبراهيم عبد القادر المازني



للجأت إلى كذبة أخرى

وقصينا النهار على خير ما نستطيع ، وإذا بنا

بعد العصر نتلق هذه البرقية :

« اصطدمت السيارة وتحطمت وإصابتي خفيفة ،

فهل تستطيعين أن تحضري ؟ سيكرن سيد بانتظارك

بسيدي جابر »

« خليل »

فذهرنا جميعاً فقد كان من الواضح أن الحادثة

أكبر مما زعم . ولم تستطع أختي أن تغبظ نفسها

فبكت ، وهمت أي أن ترجعها عن البكاء ، فقلت

لها : دعها فإخلق الدمع للناس عبثاً . فقامت

ترتب لها أشياءها في الحقيبة ، وتضع معها ما قد

يحتاج إليه زوجها مخافة أن تكون حقيبتها قد

فقدت في الحادثة ، أو تركت مع السيارة المحطمة

وقلت لأخي : « إذهبي معها وسألني بكأغداً

فاني مضطر إلى البقاء الليلة ، وأبرقوا إلى أبي الصباح

يبدو أن زوجي ليعلمني قلبي »

لما جاءني رسول

أختي برقة منها يدعونا

فيها - أي وأنا - إلى

قضاء العيد معها لأن زوجها

سافر إلى الإسكندرية ، أدركت

أن في الأمر شيئاً وأن خلافاً

لا بد أن يكون قد شجر بينهما ؛

ولكن دقة إحساسها بالواجب

جعلتها على البقاء في بيتها بدلاً

من أن نجيء هي إلينا . ولم تفت

أي دلالة هذه الدعوة فقد سألتني :

« أظن أن شيئاً حدث ؟ »

قلت : « لا بد » فقلت : « أترى

أن نسألها ؟ » فبرزت رأسي ؛ فليس أكفل بفساد

الأمر بين زوجين - في رأيي - لمن الدخول بينهما

وكان وجه أختي وحده كافياً للارتفاع بالنظن

إلى مرتبة اليقين . نعم كانت تبتسم ، ولكن

ابتناسها كان متكاملاً ، وكلامها أكثر مما ألفناها ،

وحركاتها أسرع ؛ وكان لونها ممتقماً حتى لقد

احتاجت إلى الأحمر لخديها وشفتيها . وكان الجوى

يؤرد أفاحتجتنا إلى ما ندق به فجاءتنا بمقد صار القمح

فيه جراً ، لأنها تكبره مدقاة الكهرياء أو البترول

لشدته يخفيف الكهرياء للجوى ، والبترول له

رائحة لا تطيقها

وسألناها وأنا أنيسم : « وأين المين زوجك ؟ »

وكان لا بد أن أسأله عنه وإلا كان اجتناب

ذكره وإشياً بالفظنة إلى ما عسى أن يكون قد وقع

بينهما . وما دامت هي لم تقول شيئاً فقد يريكم أن

تعلم ألفتنا نعلم

نصنع الآن... فكر... فكر... فقد ضاع
عقلي... فريدة! من يدري في أيدي من من الأشرار
ستقع الآن؟

قالت: «أى أيضاً معها... وهينطان
لا واحدة يا صاحبي»

فقال: «رهينتان... هل تعنى أنك تمتنع...»
قلت: «بالطبع... أى معنى لهذه البرقية غير
ذلك؟ إنها شرك... وليس المهم الآن حل اللغز
بل السفر وراءها لانتزاعها... لثمنها من الوقوع
في أيدي هؤلاء الأشرار كائنين من كانوا»

فقال: «صدقت... قم بنا»

قلت: «سيارتك لا تصلح لهذا... ألا تستطيع
أن تجد لنا سيارة قوية... تستميرها من أى صديق؟
وفي هذه اللحظة أقبل أخى فتشهدت
واستبشرت، فقد كانت له سيارة جديدة من طراز
مديسون تستطيع أن تطير بنا، فدفعته إلى الباب
وسبقته إلى السلم وأنا ناديه وأدعوه أن يسرع ورائى
وكان أخى يكره السرعة فتوليت أنا القيادة
وجلس هو وركبه معه ورائنا، وجلس خليل معي،
وكان لا بد من القهل حتى نخرج من المدينة
والإعطنا الشرطى، وكنت كالجالس على الحجر
ولكن ما حيلتى؟...

واجترأنا شبرا بعد أن ضاع ربع ساعة ونحن
فسألت أخى: «هل الأنوار قوية؟» ولم تكن في
حاجة إلى السؤال، فأتى أنا السائق وأمسى مفتاح اللود.
وفي وسمى أن أجرب، ولكن السؤال جاء دليلاً على
مبلغ اضطرابي... ودليل آخر على هذا الاضطراب
هو أننا لم نخرج أخى ما الحنكاية فراح يكلم كل شئ
ويقول له:

وودعتهما في المحطة نودعت إلى البيت - بيت
أختي - حزينا كاسف البال موجع القلب؛
وجلس في البيت أفكر في هذا الحظ السيء،
وأسخط على خليل، وأقول لنفسي: لعل كان لا بد
أن يصنع هذا الأحمق ما صنع، وأن يملن إلى زوجته
الجفوة ليلة العيد؟ وروح يكسر عظامه أيضاً ويرج
زوجته هذه الرجة الشنيعة؟ ولكنه لقي فوق
جزائه... مسكين! ومن يدري ماذا جرى له؟
ولعله الآن مشف على الهلاك، وإنها لقسوة أن
ألومه. ثم انه كان مثال الزوج الصالح، ولم تكن
سيرته معها قتل إلا سيرة الحب الذى لا يعنيه من
الدنيا سوى زوجته، فإذا ياترى جرى حتى كانت
هذه الجفوة المشنومة...؟

وإني جالس أدخن سيجارة في أثر أخرى وبي
ما يعلم الله من الحزن، وإذا بخليل داخل كالقنبلة
فانتفضت واقفاً، وحدقت في وجهه مذهولاً وفي
مفتوح كالأبله. فلما رآنى كذلك وقف هو أيضاً
وسألني أول ما سأل: «أين فريدة؟»

فأحسست أنى سأسقط على الأرض فأنحطت
على أقرب كرسي، ورفقت يدي إلى رأسي. فأقبل
على بهزنى بنفث ويقول بصوت عال جداً: «أين
فريدة؟... قل... انظري... ماذا جرى؟»

فحاولت أن أتكلّم، ولكن لساني وقف في
حلقى فأشرت إلى البرقية المشنومة وكانت مطوية
على المنشفة، ففتاولها مستغرباً، ولم يكذبقرأها
حتى صرخ: «يا به؟»

فأفوجدت لساني وقلت: «ماذا تظن؟... من
أرسل هذه البرقية؟»

قال: «لا أدري... ولكنها مضمومة... ماذا

السيارة كبيرة ومتينة وثابتة لا تقلبت بنا وقتلنا .
ولكن أثنى خير بالسيارات والذى لا يعرفه عنها
لا يستحق أن يعرفه أحد . والحق أنها كانت سيارة
أسيلة بل هي سيارة وكفى ، ولكن بالى لم يكن فى
ذلك الوقت إلى شيء من هذا ، بل إلى ما بقى من
الوقت حتى يصل القطار إلى طنطا أو دمهور ،
والى مبلغ الأمل فى إدراكه قبل أن يبلغ سيدى جابر
وتأدى إلى صوت أثنى يقول : « هل تعلم
ياروكسى أن اسماعيل مهمل (يعني) . . . أموافق
أنت ؟ . هذا ما كنت أنتظر . . ولكنه ينقصك
أن تعلم لماذا . . أريد أن أسرك إليك ياروكسى
بالسبب . . اسمع إذن ولكن لا تخبره . . لقد أردت
أن أستعير حقيقته الصغيرة . . أقول لك الحق
ياروكسى . . بينى وبينك ياروكسى . . استمرتها
فلا . . ولكن وجدت أنه أهمل أن يضع فيها
الفتاح ولهذا جئت إلى بيت الأخت لى أجدده
فأخذ الفتاح . . أعرف ما تريد أن تقول فأناك
ذكرى . . بالطبع لم يكن ينتظر أن يعطينى الفتاح . .
ولكنى كنت سأخذه على كل حال . . أوه ! بطريقة
من الطرق . . من غير أن يشعر بالطبع . . »

وقد همت مرات أنت أسيح به ولكنى
كبت نفسى فليس هذا وقت الاختلاف على
الحقائق ، ولكنه فاضى مع ذلك أنه أخذها وهو
يعلم أن فيها أشياء ، فقد كتبت أعدتها لرحلة
قصيرة فلما جاء رسول أختى عدت وكان ما كان . .
ونويت أن أغتم أول فرصة تسع لاستردادها . .
بطريقة من الطرق . . كما يقول . . والبايدى أعظم
ولم أكن أعلم أن أدرك القطار فى طنطا فلم
أستغرب أن أعرف أنه تركها قبل وصولنا بمشـر

« يروكسى . . إنه يسأل عن الأنوار هل هي
قوية ؟ . كأنه لا يعلم . . لا بأس . . هل تظن أن
من حقه أن ينتظر جواباً ؟ . . نعم . . الجواب
تحميل حاصل . . بالطبع . . الحق معك . . ثم إنه
أرسل النور أمامه وهو يضيء إلى مسافة أميال . .
أليس كذلك . . ؟ ولكن إلى أين بنا ياروكسى . . ؟
نعم ؟ . . أتقول إن هذه هي الطريقة الأمريكية فى
الاجتلاء على السيارات واغتصابها من أصحابها
الشعرين ؟ . . إنها كذلك على التحقيق . .
وإلى أراك مصيباً دائماً فى ملاحظاتك ياروكسى . .
أوه ! . . . تسعون ؟ . . يروكسى . . إنه يخطبنا
الأرض . . فهل تظن أنهما ارتكبا جناحة ؟ . .
وهكذا وهكذا . . . »

ولم أكن أستطيع أن أقول له شيئاً لأن عيني
على الطريق . وكان خليل يساعدى فينظر إلى عداد
السرعة ويخبرنى بالرقم الذى ترتقى إليه ، وينظر فى
المعاينة كك فيطمئننى أو يزججنى ، وأخى ماض فى
هذره حتى بلغنا بنها . ولم أدخلها بل آرت أن
أخذ طريق سيارات النقل لأنه أقصر وإن كان
غير ممد ، واجتانباً للبطء الذى يضطر إليه فى
شوارع المدينة . وبعد أن اجتازنا (الكبرى) الجديد
ثم جسر السكة الحديدية — أو الزلقان كما يسمونه —
أطلقت للسيارة المنان ، فجعل خليل ينظر ويقول :
« مائة . . . مائة وخمسة . . . وعشرة . . .
وعشرون . . . وخمسة وعشرون . . . إمض
إمض . . لا شيء . . هذه دجاجة . . . »
فقال أخى : « أظنها ذهبت إلى جنبها — جنب
الدجاج — قبل الأنوار . أترأه سباقاً ياروكسى ؟ »
وبلغت السرعة مائة وثلاثين كيلو ، فلولا أن

ولم تكذب فعل حتى دخل، فركبت - بلاذكرة -
وماذا بهم ؟ وخليل ورأى ؟ ومشيئا خلال
الركبات حتى وجدنا أختي فأنحططت بهما
بلا كلام

ولو كان في رأسي ورأس خليل عقل لنزلنا
بهما من القطار وعدنا بالسيارة على مهل ، ولكننا
لم نفكر في شيء حتى كان القطار في طريقه إلى
سيدي جابر ، فأدركنا أننا تمرضنا لغرامة فادحة
لم يكن لها داع ، وكان في الوسع اتقاؤها لو عيننا
بأن نخبر المفتش أو أحدًا من رجال القطار أننا
راكبون من هنا فقط وسندفع الأجر في القطار .
على أن الثقة بأننا أنجبنا الفريستين هونت علينا
الحسارة

وقلت لأختي : « هذا زوجك ... البريقة
مريفة فا الرأي الآن ؟ »

ولكنها لم تكن في حال تسمح لها بإبداء رأي .
وأى رأى هناك يمكن أن يشر به أحد ؟ . لقد
ضاعت الفرصة الذهبية في دمنهور ، ولو كنا أخبرنا
أخي على الأقل لاستطاع أن يرق إلى بوليس سيدي
جابر بالموضوع ، ولكن لاستمراد السفر في هذه
الحالة معنى ، أما الآن ...

على أننا قلنا إن الفرصة لم تضع وإن من الممكن
إذا تركنا اللانثنين تسييران أمانا وحدها وعبونا
عليهما أن ترى الذي سيتقدم لهما نافيًا عن خليل ،
وقد نستطيع في ذلك الوقت أن نجعل البوليس
يقبض عليه ... على كل حال لم يبق إلا هذا ...

ولكننا لم نجد في سيدي جابر غير الحالين .
ووقفنا بصدأ ووقفت اللانثنتان تنتظران أن يتقدم
إليهما أحد - رجل أو امرأة - حتى (البوفيه)
لم يكن فيه أحد . ققلنا لعله ينتظر في الشارع ،

دقائق ؛ واحتجنا إلى البترين فضيعنا دقائق أخرى ثم
استأنفنا السير بأقصى سرعة لنموض - سلفًا -
التأخير الذي لا بد منه في كسر الزيات . واعتراى
ما يشبه الحى فلم أعد أبالي كيف أقطع الطريق .
وكنت ربما صادفت مركبة ، أو رجلاً على حمار
أوجل ، فأمرق ولا أعتى نفسى باليمين واليسار . ولم
يكن الطريق بمد كسر الزيات على خير ما يمكن أن
يكون ، ولكنى لم أحفل ذلك ولم أترقب بالسيارة ؛
وكان أخى يرى هذه السرعة الجنونية - فقد بلغنا
أربعين بمد المائة وأصدرنا عليها - فيقول لسكابه :

« أنظر يا روكسى . . إن الخيئت ينتقم منى
- أعنى منا فانك شريكى في كل شيء - لأنى
استمرت حقيته . . من أجلها يريد أن يفجئنى في
السيارة . . أى والله يا روكسى . . قتال نيك على
ما كافتنا من مال يضيع الآن في هذه السكة
المنحوسة . . ثلثائة وخمسون جنبها خرجت عنها
من حر مالى . . وماذا يعنيه هو ؟ . يأخذها
بلا استئذان ، وينجبنى عن مجلسى فيها ، ويردنى
إلى الوراء . . هل هذا يليق يا روكسى ؟ »

ولولا أن خيلاك صاح في هذه اللحظة :
« القطار ! القطار ! سنسبقه يا اسماعيل !
سنسبقه بالنا كيد ! الحمد لله ! » لمضى أخى فى
هراة . وكنا قد قاربنا دمنهور ، فلما بلغنا مدخلها
عاد أخى إلى الأثررة ، ولكنى لم أسمع شيئاً لأن أذنى
كانت تطن . ودوننا من المحطة فوقفت وفتحت
الباب وقلت لخليل : « إنزل . . بسرعة » فصرع
يفتح الباب من ناحية وأخى يقول : « ألم أقل لك
يا روكسى إنه سباق . . بين السيارة والقطار . ؟ »
ولم أسمع بمد ذلك شيئاً لأنى ذهبت أعدو إلى
الرصيف الذى يقف عنده القطار

وصفتها لكل من في اللحظة فظن واحد أنهما هاربان من سجن ، واعتقد أن أنهما مجنونان خطران ، وافترض أن أن لا فائدة من البحث ، وأن أبي - رحمه الله - أخطأ حين رآني بهذا المخلوق وزعمه أنا ، وأن أبي أخطأت أيضاً في ربطنا بهذا المخلوق الثاني الذي أخفوا أمره عني حتى خطف أختي فصار واجبي الآن بعد أن عرفته أن أخفيه أنا عن الناس . ما علينا ... فلندع هذا التاريخ القديم ... أظنكم ستضحكون حيث أقول إنني احتجبت أن آكل وأن أطمع روكي ... وقد يسركم أن تعلموا أنني أحب أن أنسى فترة هذا الأكل ، وأن أمحوها من تاريخ حياتي الحافل بالتضحيات في سبيل من لا يستحقون شيئاً ... ولكني هكذا دائماً ... كريم مفذال وجزائي من النسل بل بمن يرحون في إيراد نعمتي الجحود والكفران ... ما علينا أيضاً ...

وقلت لروكي : « تعال يا صاحبي فان هذا بلد لا يستحق أن يشرف بوجودنا فيه ، فانرجع إلى بيتنا في مصر » وقد كنت أسلمت السيارة إليه وهي سليمة لا شيء بها ويشهد شريكه في المؤامرة أنها أهدتكم ، ولكني حين أردت أن أدير محركها أبي أن يتحرك ... ولا أطيل . قضيت نصف ساعة في هذا البرد حتى استطلعت أن أنهما بالحركة والعودة إلى دفة البيت

وكانت السيارة كأنما ركبها قبلي ألف عفرية ، ولكني صبرت وقلت : عوضى على الله ، وهذا جزء من يكون له أخ كهذا ونسب كهذا .. وأظن أن الفجر بدأ يطالع حيناً بلقنا شبرا فنتشهدت وتمهلت في السير ، وإذا بشرطى يستوقفني فوقفت ، فدار حتى صار إلى جانبي وقال وهو ينقر على الزجاج :

فأومأنا إليهما أن يخرجنا أمانا ، فلم يكن حقلنا خارج اللحظة أحسن من داخلها . ولم تبق قائدة من التفوق فركبنا وهمنا بلقي إلى الفندق ، ولكن خاطراً خطراً لي فجأة فزلت وزهبت إلى مكتب التافراف وبعثت برقية منه

وفي اليوم التالي كننا في مصر ولكن هذا لم يكن كل شيء . وهنا يحسن أن أذكر أخى يتكلم :
« لعله يمتسك - يريد أختي وأمي - أن تعرفا كيف كانت عودتي البارحة بعد أن تركتني هذان المخلوقان . لا فائدة من قولي انتظرت ، فان هذا القول لا يدل على شيء ، فقد تركتني فجأة وزهبت بعدو كما نأجرب ، حتى محرك السيارة لم يمن بأن يفقه . ستقولون جميعاً إنه كان معذوراً ... فليكن فان الجدال عبث ، وستسمعون بأشياء أخرى أرجو أن يكون عذره فيها أوضح ... وكان مي روكي كالأحتاج أن أقول ، ولا أدري ماذا كنت أسنع لو لم يكن هذا الرفيق مي ؟ ... لعل كنت أجن أو يتحدث لي شيء من هذا القبيل ... ما علينا . هل أقول إن الأمر طال على وأنا قاعد في السيارة ؟ كلا ... وهل أقول إنني كنت ميتاً من الجوع ؟ ... كلا أيضاً ... وأختصر حكاية بحملة فأقول : إنني زلت من السيارة وسرت في الاتجاه الذي رأيتهما بقصدان اليه ، ولم يكن الأمر يحتاج إلى ذكاء ، فقد كان كلاهما دائراً كله على القطار وجوب سبقه ، وإن كان فنياً عدا ذلك لا معنى له عندي . ولم أجدهما في اللحظة كما تعلمون لأنهما شاماً أن يركبا القطار من غير أن يمثالي بكلمة ؛ وقد سمعتهما يقولان : إنهما أديا أجر الزكوب مضاعفاً ، وهذا حسن وإن كان قليلاً ... ولكنه يرد بعض النقلة . وقد

« تفضل مي إلى الكر كول »

قلت : « الكر كول ... ؟ »

قال : « نعم ، تفضل ازل »

فقلت : « ولكن لماذا ؟ . ماذا صنعت ؟ .

إني لم أكن مسرعاً ، بل كنت أسير بسرعة خمسة أمتار في اليوم والميلة »

فقال بلهجة جافية : « ازل ولا تحوجني أن أجرك بالقوة »

فقلت لنفسي إن المسكارة والجدال عبث ؛ ولا شك أني سأجد رجلاً يفهم في مراكز البوايس وذهبت معه ، فقال : « أقصد هنا » فقدمت حيث أشار وهم بتركى فتملقت به وقلت : « ألا تسمع من فضلك بأن تخبرني لماذا جئت في إلى هنا ؟ » فنهزني بمنف فتهويت إلى الكرسي وروكسي

بين يدي ...

ولم أر أحداً مستعجلاً سوى ... وأخيراً جاء شرطى آخر وجلس إلى مكتب وأخرج أوراقاً وبدأ يستمد للكتابة ، وسألني عن اسمي وعنواني وموطني ، وعن السيارة ورقها ؛ ثم سألني بنجش : « ماذا معك فيها ؟ »

فابتسمت وقد خيل إلى أنه ظنني من مهربي المخدرات وقت ببساطة : « ليس مي سوى رو كسي » فقال : « إيه ؟ » قلت : « يعني الكلب اسمه رو كسي ؟ فقال : « يا حبيبي يا خوي ... كان عامل لي قمع ومماك كلب . اعملوها ونخلوا والله » فلم أدر ماذا أقول له . وأعفاني هو من الكلام فسألني : « هل معك مفتاح السيارة ؟ »

فناولته المفتاح فنأدي شرطياً وطلب منه أن يفتحها أمامي ، وأن يجيى بما يجده فيها فلم يجد إلا الحقيفة ... انحكوا ... انحكوا ... لا بأس ...

ستجىء ساعة أثار فيها لنفسي ...

فلما جادوه بالحقيقة ابتسم ابتسامة عريضة جداً وتهد مرتاحاً وقال لي : « لا شيء ؟ . هه ؟ . طيب »

فابتسمت أنا أيضاً وقد صبح عندي أنه يحسبني من المهريين وأيقنت بقرب الفرج

وشرع يسألني عن الحقيفة فقلت له : إنها لأخي ، وذكرت اسم الأخ المحترم فادهشني بأن سألني هل أنا أقترف بأن الحقيفة لسماعيل أفندي زفت وقطران ؟ . فقلت بالطبع أنا متعرف . . إنه أخي فقال : « أخوك ؟ . أوافق أنت أنه أخوك ؟ » فضحككت وقلت : « بالطبع وائق . . ولكن ما هي الحكاية ؟ »

فقال : « أين الفتح ؟ »

قلت : « معه . . لم أخذه منه » وسمعت بأن أقص عليه القصة ، ولكني رأيت أنها مالملا يصدق ، فأقصرت . فقال : هل تستطيع أن تثبت شخصيتك ؟ فقلت : « بالطبع . . ماذا تظن . ؟ » ودنمت يدي في جيبى لأخرج له أوراق السيارة ورخصة القيادة وغير ذلك مما عسى أن يكون في جيبى ، فسا راعني إلا أن الجيب خال ليس فيه قصاصة واحدة . وأظن وجهي فضحني على الرغم من محاولتي أن أتماسك وأتجمل ، فقد سألني بعد ذلك مباشرة عن السيارة ولن هي ، فأيقنت أنني وقعت وقلت له : « اسمع . . إنك تطيل بلا داع . . لا بد أن يكون قد حدث خطأ ، ومن سوء الحظ أنني نسيت الأوراق كلها في البيت ، فاذا سمحت فأرسل مي شاويشاً أو عشرة إذا شئت إلى البيت لأجبتك بكل ما يزيل الشك ويرج ضميرك »

فلم يبال بهذا الاقتراح المقول وقال : « هل

وطعام روكتى ؛ ولا أنكر أنى شربت قهوة أيضاً وإن كانت أشبه بمثل الفول السودانى ، أو بماء الوحل السخن . ولكن هذا لم يكن ذنب البوليس وأخيراً فى الساعة الثامنة دخل ضابط علينا فنظرت إليه بيلادة فقد فترت وبئست ، ولم أعد أبالى ما يجرى لى ، ولكنى لم أكدرى وجهه حتى انتفضت واقفاً وصحت به : « حدى .. الحمد لله .. أين الحق ؟ »

فاستغرب وسألنى عن الحكاية فقصصتها عليه فضحك ملء شديقه ... مدهش أن يضحك الناس من هذه الفصول الباردة ... والباقي لا يحتاج إلى كلام ... جئت إلى هنا ونعت ساعة أو اثنتين على هذا الكرومى بشيائى ... ولكنه ينقصك يا حضرة الأخ أن تفسر للبوليس مزاحك ... فقد صار الأمر مزاحاً مع البوليس لا مئى ...

فلما استطعنا أن نتكلم وتغالب الضحك قلت : « هون عليك ... فاني أعرف ماذا أقول ... ولكنى أرجو أن يكون ما حدث درساً لك » فقال وفى عينيه نظرة خبيثة : « وأنا أرجو أن يكون ما حدث لكم درساً كذلك » فقال خليل : « ما ذا تمى ؟ »

فقال أخى : « أعتى أنكم لو لم تكونوا عمياً لمرعتم أن البرقية ليست لكم ... للجار ... رقم ٢٢٣ وقد تشابه الرقمان على السامى — الاثنان والثلاثة — واتفق أن اسم الجار خليل أيضاً ، واتفق أنكم عُمى لا تبصرون ، ولولا ذلك لقرأتم الرقم واسم التى أرسلت إليها البرقية ... هذا ما أعنى ... قوموا كقروا عن سيئاتكم يا جملة ودعوني أضحك فقد أخذ الله لى بشأى سلفاً »

ابراهيم عبد القادر المازنى

أنت مصر على دعواك أنك أخو إسماعيل ؟ » فقلت : « الحقيقة أنى مستعد للتبرؤ منه ، ولكن لى أن أفعل لا يسمعى أن أنكر أنه أخى » فقال : « إذا كنت أخاه فلماذا يبعث ببرقية كهذه ؟ »

وناولتها فقرأت فيها الحكم على ! ولللرجل المذرة لأنه إذا كان إسماعيل هذا أخى فلماذا يطلب من البوليس أن يحجز السيارة رقم كذا وفيها حقيقة صفتها كيت وكيت ؟ ؟ . لا تعترض من فضلك ... لقد كانت عبارة البرقية يفهم منها أنك تريد حجز السيارة أيضاً . ولا أكتفم أنى لم أجد جواباً لهذا السؤال وأنى استحييت أن أقول إنه مزاح بارد ...

وحرت ماذا أصنع ولم يفتح الله على بحيلة تخرجنى من هذا المأزق الثقيل ، وكان النهار قد طلع ؛ ولكننا ما زلنا فى البكور ولا يلىق أن أزعج الناس فى مثل هذا الوقت ، فمدت إلى اقترامى أن يبعث مئى من يشاء إلى البيت فرفض ؛ فسألته عن الأمور من هو عسى أن يكون من معارفى ، فانهرفى بفضلة ، فساهلت وسألته عن الماوان أو غيره فلم يزد على أن قال : « بلاش دوشة » فناشدته أن ينظر لى ثيابى وأن يفكر هل هذه ثياب مجرم أو لص ؛ فقال وهو يضحك : « إن بين الصبوس من هم أشد أفاعاً منك » فوضعت أصبى فى الشق وأسلفت أصرى إلى الله

وختم المحضر على هذا — أى على أنى لص ولا شك ، وأن البوليس حاذق فطن ولا شك ... ولست ألوم البوليس فقد كانت كل القرائن ضدى . وأشهد له أنه كان رقيقاً فقد سمع لى بأن أشترى — أعنى أن يبعث من يشترى لى — شيئاً لطعامى

فيا لا يحصى عديده في
مباريات السيف وصيد
الحصان ، كأس الشرف
في سباق السيارات
الأعظم بين باريس
ونابولي ، حتى لتظهر
غرفة مكتبه يوماً بمد
يوم عظم حجره ألا كل
لكثرة ما يشاهد الانسان
فيها من أكراب الشرف
مصفوفة على الناضد
ويلحق به هذه
الانتصارات في فن
الألعاب والرياضة نصيب
من جاء رجل العلم ، لأنه
في الآونة الحاضرة مهم
بالطيران ، فهو يحاق كل
أسبوع أو ما يقرب من
ذلك ؟ وهو يقطب
حاجبيه وعلى وجهه سمات
الساج في الأفكار
وغوامض الأسرار إذا
ما تسلم متكلم في مجلسه
عن مسائل الآلات

لِئَانِ إِيَّانِزْ الْحَبِيبِ

لِلْكَاتِبِ إِيَّانِزْ بِدَسْكُو إِيَّانِزْ

بقلم الأستاذ عَبْدُ الرَّحْمَنِ صَدَّقِي

هذه القصة آتية من آيات الكاتب الإسباني إيانيز ، وهو واحد من أفذاذ الكتاب القلائد الذين يفخر بهم العصر الحاضر ، لترضه عن التبذل الأباسي اعتياداً لأذواق السامة ، ولمعق إحساسه بالحياة ، وصديق تحليله لألوان المواقف الإنسانية مها دقت فروقها وخفيت مسارها ، مع وضوح نظرته للأشياء ، ودقة الملاحظة ، والاحاطة بالموضوع من غير فضول ؟ وهذا كله مفرغ في قالب أنيق للعرض على الأوصاف

وقراء الصنف لاشك ذاكرون أن إيانيز كان إلى جانب عبقرته القصصية كاتباً سياسياً ملتبس الحية شديد التنبيج . وقد كابد النفي والأشغال الشاقة والسجين مرات عدة في سبيل أفكاره ؛ ومع هذا فإن بلدته ومسقط رأسه « بلنسية » ظلت على عهده وانتخبته للبرلمان ثمانى مرات . وقد طاف الصائم ثم استقر أخيراً في باريس حيث القبط الذي ينته حوله كارهو الملكية ودعاة الجمهورية الأسبان وتوفي إيانيز في مناه عام ١٩٢٨ أى قبيل إعلان الجمهورية الأسبانية . فلما أن قامت الجمهورية أعادوا رفاته على بارجة حربية إلى أرض الوطن ، واحتفلوا بدفنها احتفالاً وطنياً رائعاً

ظل أهل باريس
كلهم ، بمن يرتادون
مشارب الشاي الراقصة ،
أو المشارب غير الراقصة ،
حيث يقنع المجتمعون فيها
باغتيال الناس والغوص
في شؤونهم ، كل هؤلاء
ظلوا يسمرون أسبوعاً
كاملاً ويميدون ويميدون
في موضوع زواج موريس
دلفور ، وريث مصانع
دلفور وشركائه (ويلغ
رأس مالها من الملايين
مائتين وخمسين) بالحسنة
أوديت مرساك إبنه أخت
علم من أعلام النواب .
ولئن خفت اليوم اسمه
فانه كان قبل هذا مرشحاً
مرتين لرياسة الجمهورية
وليس بالحدث النادر
في الحياة الباريسية زواج
ملك من ملوك الصناعة
بأميرة من أميرات

وما يتعلق بها
وأما ، فهي عند سواحها « أوديت » ، أوديت
فريدة زمانها ؛ وهي عند سائر الناس الأئنة مارساك ،
إسم شهير بارز في كل ما ترويه الأخبار عن الأناقة ،
في كل المنتديات الساحرة ، وفي كل صحف الأزياء

الجمهورية ، بل قلما يكون في هذا مؤونة حديث لدى
نصف ساعة ؛ إلا أن لذين المروسين مكانة بمنازة !
أما هو فيتراعى كثيراً في أحلام النساء مثلاً
فيه كل أشكال الأناقة وكل المعارف البشرية : كأس
الشرف في أبهى مسابقات الخيل ، وكأس الشرف

وفى أوئل عام ١٩١٤ انتمت لبة جديدة
وقامت قيامتها بين المليحة الفطارية من أهل باديس
والمواسم الأوردية والأمريكية التي تأتم بباديس
كأنها منها عناية ضواحيها وأعمالها ، فكان أهل
الانافة يهزون أردافهم ليرقصوا « التانجو » وفى
طليلة هذه الخلائق المعنة فى رقص التانجو رقص
موريس وأوديت

أما هو فقد اتصل سرّاً بأستاذ من أهالى
الأرجنتين ، وآلى على نفسه ألا ترى عيناه النجلان
أنوار المدينة إلا يوم يحنق هذا العلم الجديد مثلاً
حنق فيره من العلوم . وفى ذات ليلة من الليالى
الزاهية قدم موريس ليحبنى إعجاب القوم ، وهومت
المصاييح الكهربائية فى فندق من فنادق الشازايزيه
يحرك قدميه فى حذاءها اللامع المالى الكسب ،
ويهز قوامه الهضوم السبوك المهبوك فى سترته
الحسكة ، وينفض رأسه الجليل ، وشمرة الجدد مرسل
إلى الوراء كتلة وضئيلة كطلاء الملك لامة

وأما هى فقد أأثرت هذا الإعجاب نفسه فى
بقعة أخرى من المرقص ، وكما يحس الكوكبان
قرب كل من الآخر فيتأثران ويتجاذبان ، كذلك
يهو موريس وأوديت كل منهما نحو الآخر ،
ويتهافت عليه ، يحدهما باحث لا يقاوم من ائتلاف
طبائهما وتمازج نفسيهما فليس يفرق بينهما مفرق
وما من ذلك الحين رقصان أحدهما للآخر .
وقد أصبحا لا يلقيان الانسجام المنشود بين ذراعى
النير . وكانا لا يجران بكلمة على الصمت الحافى
بالأسرار أثناء الرقص المقدس ، بل قوة وروهما
جماء منصرفة فى رصاة وتفكير إلى حركة أقدامهما
وإلى تنفى أعطافهما فى اهتزازات موزونة متوافقة .

وكان مشاهير الخطاطين من ذوى الفكر
والإبداع فى شارع « دى لا يه » يعتمدون على
الأدنة مرسك فى مسهل الحفلات الكبرى فى
الحياة الجارية فى رفع شأن ما تلبسه من مبتدعات
قراهمج الناشطة التوقدة ، فأت قوامها الذى
لا يضارعه قوام ليدع الفوانى كاسفات من الغيرة
متعصرات . هيفاء ، لا يزيد وزنها على الخمسين كيلو
إلا قليلاً ؛ لها نحو بلغ غاية الحسن النشود ترتسم فى
إهابه الرفاف عظمتا الترقوة اللدقيقتان وكأنهما قاعدة
أنيقة لممود رقبتهما المردة النحيلة ، ولوحنا
كثفهما مفصلتان للعيان كأنهما جناحان ناجحان ،
وساقاها طويلتان مستويتان لا تكاد تبين لها ربة ،
وهى تعرضهما فى طلائفة ومن دون أن تخشى
النوابة والفتنة ، تحت حافة ثوبها الحريرى القصير .
وخلاصة القول فى قوامها أن كساده من اللحم
دوى فى توزيعه التقدير ، بحيث لا يربو مقدار اللحم
درهما عما يكفى لتلبيس المروق وتلطيف الحاد من
حناب الأضالع والأوصال . فهو جسم يمكن نمته
بأنه « هوائى » ، أو بمباراة أخرى هو حجة للماء
الفراغ فى داخل الثياب اجتناباً لمشيتها وحدها . وفى
أعلى هذا الكيان الحلى وجه جميل أطالته ذفن
مدية ، تفتت فيه حلقة صغيرة قرصية هى فيها
الديق البديع ؛ وتلمح لوزتان كبيرتان هما عيناهما
العجوان ، وتهدل لمان على الأذنين كأنهما سالفتا
محارب من محاربة الثيران الأسبابان وقد صفت
غداً رماً مجتمعة فى شكل البرج القائم تشبك فيه
الخصل المصطنعة المارية بمخصل الثانية . هى ربة
الجمال المصرى كما قد يصورها ويميدها واضع زسوم
الأزياء فى أحلامه البعقريه وخياله البدع

تطلى عليه نزوات الخيال والمفارقات في طراز من
الأثاث خليط من البيزنطية والفارسية وهو بعد

رييب ميونيخ الألمانية

وكانت الأم دلفور متشحة دائماً بالسواد ،
رصينة مفكرة كمن عرف قيمة هذى الحياة ، وهى
تشهد — من غير أن تبدو عليها بادية — ما تأتبه
هذه الفتاة الوافدة في الزمن الأخير من ضروب
الأهواء والبذوات البتكرة : مهرجانات شرقية
تقلب الدار الواحدة رأساً على عقب ؛ حفلات شاي
راقصة ، والفنائه في غلاثل من السكتان الرقيق
شفافة ، منطبقة عليها من الضيق كالنمد ، موشاة
بأزهار كبيرة الحجم بارزة الطرز ؛ تأسر عاشر
جسمها وهزالها

ولما كان الابن مشغولاً بأوديت يبيدها ، فقد
اجتهدت الأم أن تلتصص العذر لكل أهواء كبتها
الصغيرة وطفرات مزاجها . هى فتاة مسكنة ؛
لقد نشأت من غير أم فعاشرت طليقة كالغلام

— ٢ —

وقامت الحرب . وكان من بوادر آثارها أن
بدت أمارات الرعب في عيني الغانية سيدة قصر
دلفور الجديدة ، فهي متسعة الحدقتين مرتاعة النظرة .
أيمكن مثل هذا البلاء ؛ وفي الساعة التى يكون فيها
المرء أشد ما يكون لهواً وانبساطاً

أما الحبة فقد لاح عليها أنها كبرت ، وأنها
خرجت من انقباض حياتها وإعراضها عن العالم ،
فاستقرت نظرتها — رصينة بطيئة على الأشخاص
وعلى الأشياء ، كأنما هى تتعرفن من جديد .
وهى في زمانها قد رأت الشيء الكثير ، وبذلات
أول ما بادلت من كلات الحب رجل الصناعة دلفور

ولقد علما علم اليقين ان حرمة رقصهما أبد الدهر
رهينة بأن يبقيا مدى الحياة شريكين

وهكذا نما الحب بينهما ؛ وهكذا تم قرانهما .
واستيقظت باريس بأسرها في ذات صباح قبل موعد
يقظتها اليهود بساعتين لتشهد حفلة القران . وكان
يزين الحفلة تشريف عواهل الصناعة أجمعين ، وعدد
لا يحصر له من رجالات السياسة أصدقاء عم
المروس . ولم تخاسر أحداً أدنى رتبة فيما يجمع شمل
المروسين من وشائج صباية وغرام ، كأطيب وأوفق
ماروبه الأساطير بين الأنام

وقد سلك موريس مسلك العاشق الحق . فودع
الوداع الذى ليس وزاده عودة ترجى سائر عشيقاته
على اختلافهن ، وكلهن من كاهنات الفنون الرقيقة ؛
التمثيل والفناء والرقص . لقد انتهى عهد الجمالات
وحسبه منذ اليوم إمرأته الصبية ودراسة الدمية الجديدة
أما هى ، فابرحت تحب المازلة كذى قبل ،
جرباً مع المادة ليس إلا ، ومن غير أن تسمح لأحد
بالاجترار المتعتم . وما ذلك إلا ليزيد حافز الاحساس
بالخطر استمتاع زوجها بها

وقد جعلوا مقر هئائهم في قصر دلفور ، وهو
بإاء نغم شيدته أول محمول من أصحاب الملايين في الأسرة
على مقربة من حدائق مونسو ، في وسط مساكن
أقاربه الأغنياء الموليين . وتطل واجهة القصر الخلفية
على هذه الحدائق . وقد اعتكفت الأرملة دلفور في
الطابق الأعلى بمابقى لها من أثاث البذخ القديم ،
وتحلت عن بقية البار لابنها وزوجة ابنها ليتسنى
للمروس أن تشيع بلا عائق أهواءها في زينة البيت
وزخرفته . فإذا هذا المنزل العاصر بالأثاث الأرجواني
المذهب والمقاعد الفخمة من طراز نابليون الثالث ،

كل صوب تنمقد حولهن ممن لا يرتدين هذا الزي .
وفي هذه الأثناء يتسلل بنجوك ملابس مسرودة من
أشغال الأبرة للجنود ، وهن خرهوات بما يبدو
عليهن من قلة حدق هذه الأشغال ، شأنهن في ذلك
شأن عليّة العقيلات شرعت خادمتهن في تلقينهن
شيئا من أشغال المنزل
وتتردد بينهن الأحاديث كلها من هذا القبيل :
— إن زوجي يحارب في الألاس . والسيو
دلفور في أى الميادين هو ؟

وكان مقر السيو دلفور في إحدى الجهات في
ناحية البلجيك ؛ وكانت امرأته تقص مفاصراته
وهي تدير حولها لحظ الخيلاء : لقد نوه به مرتين
في النشرة العسكرية ! لقد أنعم عليه بوسام ! لقد
منح شارة !
ولكن كان عدد الأبطال كوابل المطر . فيجز
في نفس أوديت شيء من الامتناع والمقاضاة ،
وهي تسمع النساء الأخريات يذكرن عن أزواجهن
مثل ما تذكر
آه ! ألا يسمه التفوق ؟

وفي ذات يوم رجع قصر دلفور في حدائق
مونسو بنويات فظيمة من الانفجالات المصيبة
والتهيب واسطافق الأبواب وأزير السيارات
ووفود الأطباء . لقد جرح الملازم دلفور جروحا
خطيرة من انفجار قنبلة ؛ وأرادت أوديت أن تسافر
على الفور لتسهر إلى جانب مريض زوجها ، لكن
هذا مستحيل ! قاسودت الدنيا في ناظرها وودت
لو تموت ، ذلك على حين بقيت الأم ناصبة القامة
شاحبة ، ناضبة السينين ، تطرف بأجفانها وتمض
شفتها .

في عام ١٨٧٠ ، أثناء حصار باريس ، ثم شهدت
وهي عروس صبية مأساة الحكم الثوري المأثر في
فترة عمره القصير
ودعى نجلها للسفر إلى الميدان في حين بدأت
امرأته تمجّب فيه بالرجل الجديد في حلة الضابط
الرسمية للنسجمة عليه أجل اندجام . والتي ضاعفت
رشاقته السكامة الرجولة . ولقد أحب أن يلتحق
بالطيران ، إلا أن الطيران كان في طور الطفولة في
أول نشوب الحرب ، فبقى في الدفعية بـ ~~تصغير~~ آفي
القيام بالخدمة

ورغبت أوديت أيضا في أن تؤدي منفعة
لبلادها . وكانت صواحبها غايات رأمحات في
المستشفيات . فصحت عزيمتها بمخاف من حوافز
الأريحية على التطوع ممرضة ، لأنها كانت شديدة
الاعجاب بالحلة البيضاء ، والبرنس الأزرق ، وعصاة
الرأس الناصمة . فهذا الرداء البسيط الجديد يلائم
جمالها كل الملازمة . وكانت لفرط هيامها بالظهور
في هذا الزي الأخير من الثياب تقادر للمرضى أحيانا
كثيرة للطواف في سيارتها متزهة في غلب بولونيا ،
رافلة في الثلالة البيضاء المزدانة بالصليب الأحمر على
الأردان وعلى الصدر

أما المرأة دلفور فكانت تقضى أيامها ولياليها
في المستشفى من غير أن تخلع ثوبها الأسود السرمدي
وليست تخالو الحرب أيضا من متنها ومباهجها :
فتمّة حفلات الشاي المقصورة عليهن معشر النساء
دون غيرهن ، بمنزل من الرجال ومحضرم المضايق ،
إذ يرهقون بالجماملات الفارغة . وهن جميعهن في
هذه الحفلات متشحات بالثياب البيض كأنهن
الخادومات في إدارات الحمامات ، ونظرات الحسد من

ووردت الخطابات تلو الخطابات ، وكلها مكتوبة
بغير خطه ، إلا أنها إملاؤه ، فقلقت الأم واستفهمت
من أصدقاء المائلة الأقدمين ، وهم قوم من ذوي
الرسالة فلا ريب يكتبن عنها بعض الخير :
— إن جروحهم بليغة ، ولكن لا خطر عليه .
تشجى ! المهم هو أن يعيش .

وفي ذات صباح هبت أوديت من فراشها ،
وقد أيقظتها بضة حركة اضطراب غير عادية في
القصر ، فأزاحت ستار إحدى النوافذ ، فوقع
بصرها في خارج الباب الحديدى على سيارة مقفلة
عليها شارة الصليب الأحمر ، ثم تبينت بصموبة من
خلال طنف الزجاج الممدود فوق الدرج الخارجى
رهطاً من الناس صاعدين يحملون بين أيديهم شيئاً
ملفوناً يحاطون له بألف احتياط ، وكأنه قطعة من
الأثاث يخشى عليها التلف ، فقفز قلبها في صدرها :
موريس !!

وأفرغت عليها بمض الثياب ، وانطلقت من
غير أن تستكمل هندامها راكبة تنحدر في السلم ،
إلى بهو في الطابق الأدنى ، ولجول الخدم مذمورين
راجفين منها .

اقتحمت القاعة ، وفي الجال عرف الراس
الموجع السنود إلى وسائد الديوان
هذا هو ، مشوهاً أنفقه تشويه ، بخد الوجنتين
بأخايد متراكبة متشابكة من الندوب الزرقاء
الكافية ... ولكنه هو

لم تبق له غير عين واحدة . أما العين الأخرى
فإن موضعها توارى عصابة سوداء يحجم بحجرها
الأخوف ، ثم مرحت أوديت طرفها في صدره ،
صديقه المتور تحت قماش سترته الزرقاء ، سترته

ولما عادت أوديت إلى الظهور في المجتمعات
الخاصة داخلها شيء من الرضى ، فلم يعد اليوم بين
سواحها من تجرأ على الاقتباس لها . لقد جرح
موريس ، وجرحه خطير ، والسكل مشفقون على
ما حارب إليه هذا الزوج الفتان الذى ابتلته الحرب
هذا البلاء الشديد .

وهون الاحباب الصام على أوديت جزءها
فجئت تألف شيئاً فشيئاً فكرة هذه الجروح
النافسة . أية جروح هي يا ترى ؟ فنجلت زوجها
أعرج يطلع ، في إحدى يديه عصا ويده الأخرى
تتوكأ على ذراعها . ما ألمحها زوجين ! إن المستقبل
ما فتى يدخر لها ساعات هناء طويلة . ولسوف تراه
وتحبوه السمادة بثمان الأم الزؤوم ومناعة الحبيبة .
وفي أصيل ذات يوم في شارع رويال ، وقع
بصرها على ملازم من الرتبة الثانية ، وهو جديف
يكاد يكون غلاماً ، يسير إلى جنب خطيته ،
وأحد كفى سترته مهمل غاو . موريس هو الآخر
فقد ذراعاه ؟ هي موقنة بذلك ، وهذا هو السبب
في أن خطابات الكتوبة على عجل ، الناطقة بسرور
موضح ، هي دائماً إملاء وليست بخط يده ، ولكن
بأذانهم ؟ ستكون هي مسند زوجها ، وسند
ذراعها عن ذراعها المفقودة ، فإ يشوقها مثل رؤية
طلته ، والتطلع إلى خيالها في صفاء عينيه ، وأخلى
بنظره الحلوة الداعية الساخرة في لطف . آه !
ما أشد حبها إياه .

وكان سواحها يتلقينها دائماً بمرعدات نفس
السؤال : « كيف حال الجرح ؟ » ، وهي تجيب
راسخة اليقين : « في تحسن مطرد ، وهو قادم قريباً
إلى باريس . »

الماثيات الرخوة بترت سواعده التشعبة ، بازاء مادة
نحاسية لا قوام لها لفظتها الحرب . هذا صاحب
الماثين الذى كان شديد الحب للحياة ، أبطل أهد
الدهر على هامش الحياة ! لقد أحدثت بليته فراغا
حوله ، حتى كلبه المحبوب ين على قيد خطوات منه
يقدم رجلا ويؤخر أخرى ، كأنما هو نهب دوافع
تداول عليه دراكا ، من ولاء لسيده وفزع منه
ولسوف يظل الحال مدى عمره على هذا
النوال . . . آه حينا الموت ! الموت الماثل ! وعلى
حين فجأة تنحى جمع الخدم . هذا شخص يفشى
القاعة ؛ ولح الجريح المشوه رأسا جلالا بالمشيب .
يتقدم نحوه ، وأحس على وجنتيه المخدودتين بالجراح
لس فم يتمسح بهما ، ويلثم لثمت الواله المصابة
السدة على مقتلته الجفوة ، وأحس رشاش دمع
سرخين يبلل جبهه ، وذراعين تطوقان فى شخف
وحركة عصبية بذنه الناقص التكون كأنهما
تملان طفلا

وتصاعدت أنه :

— أماء !

— ولدى ! ولدى !

سبعة : عين الرمنى صدى

آلام فتر

للشاعر الفيلسوف جوتة الأسانى

الطبعة الرابعة

ترجمها أحمد مسمه الزيات

وهى قصة غالية تعد بحق من آثار الفن الخالد

وعنها ١٥ قرشاً

الضابط القديمة . ولكن هنا نزلت المرأة وتخاذل
جلدها كمن صدمته مفاجأة فظيمة — وما أشدها
سكرة وأعنفها — فاذا بها قد صرخت ، أن جسده
الجريح ينتهى هنا ، بفتر ذراعين وبفتر ساقين .
ما هو إلا جرح أبتر ، بقى بفضل معجزات الجراحة
خرفة ممزقة فى نهايتها رأس حى
وتغم الفم — الأسود من حريق اللحم — فى
ضراعة وذلة :

— أوديت ، أوديت !

كأنما يلتمس الصفح عما هو رازح تحته

من بلاه

ولكن كانت أوديت قد ولت بحفلة تدفع
من طريقها الخدم المتجمعين أمام الباب ، وانطلقت
على وجهها تركض فى أطباق المنزل العليا لاني
ما تغفل ، مولولة كأشد ما ولولت امرأة فى مأساة
إغريقية ، تصطدم بالآثا والحيطان ، وتغرق
شعرها الملول ، وقد جن جنونها من دهشة وفزع
واشمزاز

وهذا المخلوق المشوه المسوخ الحلقة زوجها !

وواجب عليها البقاء إلى جانبه طول حياتها !

ولم يزل ين فى الطابق الأدنى ذلك الصوت

الضارع الراجع مسترسلا : أوديت ، أوديت !

واغمر وردت بالدموع عينه الوحيدة . السكل

يهربون ، حتى الخدم يتأملونه من بيد ويحاول كل

منهم الاختباء وراء زميله وهو متاهف على الحرب ،

ومع ذلك يشرب بمنقه وعلى وجهه سماء مبهمة

من تطالع الفضول وانقباض النفور

وكان القوم يتجنبون لسه ، كأنهم منه بأزاء

كثلة غريبة تهاطل الأنفوس ، بأزاء أخطبوط من

وحيزة . تعالى يا حبيبتى
جلست « سلام »
سامية بجوار أمها ، وروح
الثورة ما زالت متأججة
في صدرها . فاحتضنها
أمها وقبلتها . ثم قالت لها

اختصاصي

للأسنان محمود تيمور

— أنت استدعيتى
يا أمه ؟
— نعم يا « سلام »
استدعيتك فعلا حضرت
لماذا ؟
فابتسمت « سلام »

وهي تحاول الابتسام :

— أريد أن تفهم يا حبيبتى .
أهل الطعام حرام ؟ أتسكين في
حي لك يا « سلام » ورغبتى
في إسمادك ؟
— مطلقاً

— فإذا كنت قد اخترت
« شوق » زوجاً لك فلأنتى
وحده أفضل شاب يليق بك .
إنه شاب غنى ، ذكى ، حائر لأرفع
الشهادات . ألا تعلمين أن قبيات كثيرات يتقنان
عليه ، وينتظرن عودته بفارص صبر لينصبن له شبا كهن ؟
— فلياً لكنه ... !

— لماذا تتركه لمن ؟ لماذا ؟ وهل نجد
أحسن منه ؟

— ومن قال لك إننى أبحث عن زوج ؟
فنظرت إليها أنها نظرة جزع وألم ، وأخذت
يدها وشدت عليها في تأثر ، وقالت في صوت
خنوق :

— ألم هذا النداء يا « سلام » ؟ وإلى متى
تحيين هذه الحياة المملة ؟ بعيدة عن المجتمعات ،
بعيدة عن وسائل البهجة والبسرة . أريدن تحطيم
قلب أمك التى لم يبق لها في الدنيا سواك ؟ أليس



ابتسامة استخفاف وقالت :

— مطلقاً
— ولكننى أؤكد لك أنك
تمرفين ، ويسوؤنى منك هذا
التجاهل المصحوب بالازدراء .
لو كنت مكانك لما وسعتنى هذه
الدنيا بأكلها ، ولكنك الآن
على أحسن زينة وأزهى ملابس
أستعد لمقابلة خطيبى الجميل
— خطيبى ؟

— لا تتبرى غضبى يا « سلام » . اذهبي
واخلعي ملابس الركوب . إنها ملابس زرية لائيق
لمثل هذه الظروف . اذهبي وربى شمرى وزينى
نفسك

— ولكننى ذاهبة كما تعلمين لأقوم بنزعتى
اليومية على ظهر فرسى « مبروكه »

— ألا يمكنك أن تتركى زهتك يوماً واحداً ؟
يوم عودة خطيبك من أوروبا بعد غيبة ستة أعوام !
فلمت عينا « سلام » يريق الغضب . وقالت
وهي تضرب قدمها بمصاها الصغيرة :

— لقد كررت على سمعك يا أمى أننى لا أعرف
لى خطيباً

— تعالى . تعالى اجلسى بجانبى برهة . برهة

قضاها في ربيع أوروبا يشعل في معاهدها ويستمتع في
مقائنها . عاد إلى دار الأسرة القديمة حيث قضى
ريعات طفولته وشبابه . عاد إليها ليحيا حياة
الاستقرار والعمل المنتج

زُل من السيارة ، ووقف أمام الباب يحدّق
فيه ، ذلك الباب الضخم المرمم ذو النقوش الأثرية .
لن ينسى مطلقاً يوم خرج منه منذ ستة أعوام
يطلب المجد وكأنه منتش بمجرة لذينة تلهب ذمّة
... لم يحدث تغيير يذكر . كل شيء على
حاله . فالإبواب كما هو مشرق بانتمائه بحبيبه في
لفته المتعادية ، والبساتين يهرع إليه ويقبّل يده ،
ويقدم له زهر العتر ، والحديقة على حالها مهملّة
بأشجارها الكثيفة وطرقاتها غير المستوية ...
وأخيراً حجريته ، أجل حجرتها كانت ، لم يتغير
شيء فيها . كأنه تركها بالأمس . إن «تفسير» المجوز
لم تهمل إعداد القلّة النظيفة البخّرة ، والمنشفة
المزهرة ، و... وطلعت عليه ذكريات الماضي الجميل
فنظر حوله في غبطة وقال :

— كل شيء على حاله يا «تفسير» ؟ فما أسمعني
بكم ! وأخذ يتحدث معها : يسألها عن المنزل وأهله
وما جرى فيه أثناء غيابه : سألها عن أشخاص
كثيرين وأموز شتى . ولكنّه نسي شخصاً لم يجر
لسانه بذكره . فنظرت إليه «تفسير» نظرة
استغراب وقالت :

— ولكنك لم تسألني عنها ... ؟

— من تقصدين ؟

— هي ياسيدى . هي صديقتك الصغيرة

— ؟

— «سلام» ياسيدى

أملّى الوعيد في الحياة أن أراك مع زوجك وأطفالك
سميدة هابطة البال ؟ ... لماذا تريد أن تحرميني هذه
الأمنية يا ابنتي ؟

«ورفعت يد ابنتها إلى فها وقبّلها قبلة حنو
ورجاء ، وأستأنفت قولها :

— لقد تقدّم لك أناس كثيرون من أشرف
رجال البلد وأرفعهم ، رفضتهم جميعاً ؛ رفضتهم
بلا سبب ، فلم ذلك ؟ وأخيراً يمود «شوق» .
قريبك ، وهو من لحك ومن دمك ، وقد نشأ
وتربى معك في بيت واحد ، يمود بمدغية طويلة
يفجد منك الرقص والاهل !

وتأثرت «سلام» بمنظر أمها ، فاحتضنتها
وقبّلها ، وقالت لها في رفق :

— ولكنك يا أمى تسكلمين عن أشياء
سابقة لأوانها . فهل خطبني «شوق» رسمياً ؟
— رسمياً ... كلا . ولكن الجميع يعلمون أنه
خطيبك . ولكننا نتحدث بذلك منذ كان بيننا —
قبل أن يسافر إلى أوروبا

فتجهّس وجه «سلام» بنّته ولم تجب .
وخشيت أمها أن تسي إليها من حيث لا تدري .
فلاطفها وقالت :

— لا يسؤلك كلاًى يا حبيبتي
وقامت «سلام» تريد الخروج ، فقالت لها أمها :
— لا تطلي زومتك يا حبيبتي . لا تنسى أنه
سينحضر قبل الغداء ... عليك أن تساعدني في
ترتيب المائدة . أما أنا فذهابة إلى المطبخ لعمل
الشركسية

وعاد «شوق» إلى الدار بمدغية طويلة

— أوه «سلام»؟ كيف هي؟ ألا تزال نحيلة ضئيلة كالسمكة المقددة!

— السمكة المقددة! ... إنها مله العين والخطا. سمع على عسل ياسيدي!

— أنت تبالئين. ولكن خيريني: أما زالت ترتدى ميدعتها الزرقاء المبرقشة يبيع الخبر؟

— ما هذا الكلام ياسيدي؟ إنك تتحدث عن الصغيرة «سلام» التي لم تكن تبلغ الرابعة عشرة بعد. أما الآن فهي غيرها بالأمس. إنها ترتدى الفساتين على آخر زى، وترتدى ثقلتها كمزوس ليلة ودخلتها ...

— وأين هي؟

— خرجت راكبة فرسها لتتوزع زهرتها اليومية.

— راكبة فرسها؟! أمر مدهش للغاية! — هناك ياسيدي! ليس هذا كل شيء.

إنها تعزف على البيانو كأمر المازقات، وتتكلم الفرنسية كالبلبل، وتقرأ الجرائد، وتفهم في كل شيء.

وسمع في تلك الآونة صهيل فرس ووقع حوافرها على أرض الحديقة الصلبة. فهرعت «تسفير» إلى النافذة ثم صاحت مهللة:

— إنها هي!

وأطل «شوق» من النافذة: وما كانت تخناه تقمان على «سلام» حتى مناح مدهوشا:

— أهذا ممكن!

وزل «شوق» ليستقبلها، فرآها ترجل بالقرب من الباب، فتقدم نحوها ومد يده وهو يقول:

— هالو «سلام» كيف حالك؟

فأجابته في لهجة عادية بلا حماسة:

— الحمد لله، وأنت؟

ودعش «شوق» من لهجتها، ولكن راعته نبرات صوتها. وأخذ يتأملها طويلا، فإذا هي في قوام مشوق ومزكات رشيقة وشمال حلوة، فيها طراوة ونجاذية على الرغم مما يبدو عليها من إهمال.

وتأملت «سلام» اللجام اللئاس وأصدرت له أوامرها، ثم سارت متجهة ناحية السلام و«شوق» سائر بجانبها صامتا، وقد أحسن على الفور بشيء يحيره ويصعبه فيها، وأخيرا تسكلم فقال:

— يتجمل لي أن كل شيء على حاله في هذا المنزل لم يتغير، سوى أمر واحد هو...

وظهرت الست «امثال» والدة «سلام» وكانت على أحسن هيئة، مرتدية فستانا مقفوشا مفتشا كأنه الورق القوي. وشعرها يلعب من تأثير المكواة الحامية. تقدمت نحو «شوق» في نهال، وبسطت ذراعها، وقالت في صوت متهلج:

— أهلا وسهلا بابننا العزيز. أهلا وسهلا بابننا الحبيب.

إن يوم عودتك ليوم عيد لنا عظيم! وطوقته بذراعها وقبلت رأسه. وسمته يقول:

— إن سروري رؤيتكم لا يقدر

ومسحت الست «امثال» عينها الدمعتين

وقالت:

— لقد كنت أسأل عنك دائما ولا يهدأ لي

بال حتى أطمئن عليك

وتأملت طويلا وقالت:

— ماشاء الله! ماشاء الله! ربنا يحمي لك

شبابك يا ابني

ورنقت فتوقاً في ملايبي
ونظر إليها ، فابتسمت ابتسامة رسمية . وقالت
تسفير :

— إنها كانت تفصل وتخطط جميع (مرايلها)
فقال شوق :

— هذا صحيح . وعلى ذكر الرايل أذكر
كيف أتيت مرة الجبر على واحدة فأنلقها
تماماً ...

ألا تذكرين ذلك يا « سلام » ؟
فقالت في لهجة رسمية :

— لا أذكر

— كان ذلك قبل سفرى بيضعة أيام ، عندما
جئت تطلبين مساعدتى فى حل بعض المسائل
الحسابية ! فلم تنجب . ثم حاولت رأسها ناحية الباب
وقالت للخادمة :

— متى تحضرين الأكل يا سيده ؟

بدأ الأكل وانتحنى ، و « سلام » لم تفتح فمها
إلا لتجيب بنعم أولاً ، أو غير ذلك من الكلمات
الرسمية ، وكان كل ذلك مصحوباً بابتسامة مقتضبة
أو إشارة مقتضبة ، وكانت أمها تقلى كالرجل ،
وطالما رمتها بنظرة تأنيب حادة أو عتاب مر .
أما « تسفير » . فقد بدأت بفشل مروع فى
محاولتها لإثبات « سلام » أو تحريضها على الكلام .
وقد أنقذ « شوق » الموقف بمحدثه المسلى عن سفره
وحياهته فى أوروبا وما اعترم أن يفعله الآن

وترك الجميع حجرة المائدة . وذهب « شوق »
إلى الشرقة ليندخن سيجارة ، وانتحنى ناحية فى
ركن بعيد ، وأخذ يفكر فيما مر عليه الساعة من

ووقع بصرها على « سلام » فأكفهر وجهها ،
وقالت لها فى لهجة نائرة مكتونة :

— أبهذه الهيئة تقابلين زوارك ؟

ثم التفتت سريعاً إلى « شوق » وقالت :
— لم تقصد « سلام » أن تظهر أمامك هكذا .
لقد جمعت بها الفرس وضللتها فتأخرت فى العودة
على غير رغبة منها ، فلم تستطع أن تغير ملايبيها ...
فقالت « سلام » فى هدوء وهى تداعب
عصاها :

— كلا يا أمى . لم تجمع فى الفرس ولم تضللى .
فنفرت إليها أمها نظرة ملتهبة ولم تتكلم . وقال
« شوق » وهو يبتسم :

— إن ركوب الجياد رياضة جميلة . وإنى أهواها

اختفت « سلام » بعد هذه المقابلة ، ولم تظهر
إلا وقت الغداء . وكانت ترتدى فستاناً عادياً غاية
فى السذاجة . ولم تعن زينتها . فثارت نائرة أمها ،
ولكنها لم تستطع أن تتكلم . والتفت « شوق »
نحو « سلام » وقال فى لهجة متخلصة :

— لقد أحسنت اختيار هذا الفستان
يا « سلام » . إن لونه وتفصيله يشهدان بذوق سليم
فأجابه فى لهجة مؤدبة عليها مسحة الجفاء :
— أشكرك

وقالت « تسفير » المجوز :

— إنه من تفصيلها يا سيدى . ألا تعلم أن
« سلام » خياطة ماهرة ؟

فقال :

— لقد كانت وهى صغيرة مجيد تفصيل
البلاطى لقطاها ، وطالما خاطت لى أزراذ اساقطة

وعجب « شوق » من أمر نفسه . إن اهتمامه بهذه الفتاة يزداد يوماً بعد يوم . لقد عرف مواعيدها فهو يراقبها ويستمتع بمراقبتها ويحديدها القصير المتطور كلما استطاع إلى ذلك سبيلاً . وهو بجوار الباب كلما خرجت للركوب وكلما عادت . وهو تحت نافذة حجرتها يصنع في شوق وحنين لأنغام البيان التي تعزفها . وهو في الحديقة وقت زولها إليها عصرًا لتجتمع الزهور . يسير جيئةً وذهاباً في المشي السكير وفي يده كتاب مطبق . . ويأدبها التحية من بعيد أو من قريب . وكان أحب الأوقات إليه أن يذهب إلى غياً يطل على شرفة حجرتها حيث كانت تتمدد على مقعدها الطويل بيد خروجها من الحمام تجفف في الشمس شعرها الأسود الطويل ، وقدمها العاريتان المشربتان بحمرة فاتنة تلمعان في الضوء القوي . فكان يعجبه هذا المنظر الرائع ويشتهي أن يشبع عينيه منه طيلة العمر .

وكانت « سلام » تعيش في مملكة خاصة بها هي نفسها . لا أقارب ولا أصدقاء زورم أو يزورونها . أحب الأشياء إليها زهرة على ظهر فرسها في الأماكن الطلقة الفسيحة غيطاناً كانت أورمالاً ، أو كتاب تقضى الساعات تستمع إليه صامتة ، أو أمام « البيان » تقضى إليه ويفضي إليها بشكايات طوال . . .

هذا العالم الذي تعيش فيه « سلام » والذي يترأى للناس ضيقاً مملولاً أخذ يتكشف لشوفي عن دنيا واسعة ترزخ بالكناز ؛ ولكنها ظلت دنيا بعيدة النال عنه .

وكره « شوق » هذا الغموض الغريب القائم بينه وبين « سلام » . فاستولت عليه فكرة جريئة اعترم تنفيذها مهما يكلفه الأمر .

نزل يوماً إلى الحديقة وكن للفتاة . وبعد قليل

مشاهد ، وهو حائر لا يستطيع لها تفسيراً . وبينما كان على هذه الحال رأى « سلام » تدخل الشرفة . وما كادت عينها تقفل عليه حتى توقفت عن السير وتأهبت للعودة وهي تقول :

— لا مؤاخذه !

وسار إليها « شوق » وقادها إلى الطنف وقال لها في عتاب :

— أزعجتك مرأى إلى هذا الحد ؟

— أنت بلا شك متمب وتطلب الخلوة لتسترخ !

— الحمد لله . هذه أول جملة طويلة أسممها منك منذ حصوري

— ماذا تعني ؟

— أذكركن كيف كانت « سلام » الصغيرة تملأ المنزل كله بكلامها وضجيجها ؟

فابتسمت في إهمال وقالت :

— إن « سلام » الصغيرة قد ماتت !

— ولكنها تعود إلينا أبهى وأعظم مما كانت . وأمسك يدها بداعها فسحبها منه وخرجت . و « شوق » ينظر إليها في حيرة

ومضى أسبوعان « وسلام » لم تغير مسلكها نحو « شوق » كما أنها لم تبدل شيئاً من حياتها التي اعتادت أن يحيها . فلم تكن تليل وقوفها معه . بل تقتصر على السلام وتبادل الكلمات القليلة . وكان يحس بأنها تتجنب مرأه بقدر استطاع ، مع محافظتها على المظاهر في أدب ولياقة . ولم تستطع أنها بمتابها تارة وتويخها تارة أخرى أن تحملها على تغيير مسلكها . فتركها وشأنها خشية أن تسوء العاقبة .

— ألم تدري شيئاً من أمرى يا «سلام» ؟

ألم تكتشف شيئاً مما يضطرم في قلبي نحوك ؟ فلم
تجيب . وكانت تنظر أمامها ولا تتحرك .

فقال :

— لماذا لا تجيبين ؟

وأراد أن ينال منها ، فأبعدتها عنه وهي تقول
في اصرار :

— دعني واخرج . قلت لك دعني واخرج !

فصمت برهة وهو متعجب متحير ، ثم قال :

— أأل هذا الحد تكبرهيني يا سلام ؟

— أجل . أكرهك . أكرهك .

— ولماذا تكبرهيني ؟

— لأنك أناني ، بظال ، قلبك من حجر ...

ألم تكبرهيني سفيرك ؟

— اذكرها كلم بعيد

— أما أنا فأذكر حوادثها كأنها حدثت

أمس . إن مشاهدتها محفورة في ذاكرتي

وصيبت برهة تستميد ذكريات الماضي ، ثم

قالت في لهجة أقل حدة من ذي قبل :

— ... كنت مشغولاً بترتيب أشيائك

روح ونحني ، وأنت تصفر مبتعلاً ، وكنت أتبعك

صامتة وأنظر إليك في بحس ، فالتفت نحوى بفتنة

وقلت في جملة : « أجلسي هنا ولا تنبهي »

فلمست وأنا لا أفهم سبب حديثك ، وأجسب

نفسي فيما يكون قد بدر منها فيكان سبيلاً في

عقليك ... كانت عيناى لا تفارقاك وأنت تزوج

ونحني مشغولاً دائماً بأشياءك وحقائقك ، أصبح

صغيرك ذا الروى الواحد وأنا صامتة . وباتت

حلسى ، وأوشكت أن تغفل الحقائق ، ففسرت

حاجتي وأخذت تعطف الزهور . وكان المكان خالياً

بغيره البيت ، وخرج « شوق » من حبيبه ،

وانسل إليها من الخلف فأمسك رأسها وأداره ناحيته

بسرعة ، وطبع على فيها قبلة عميقة حارة . ثم

تركها ...

فوقفت الفتاة برهة أيامه ميمومة لا تتحرك

ولا تتكلم . ثم اجز بفتة وجهها واحتفقت عينها

وقالت وهي ترتش :

— أيجز على ذلك ؟

وتهدج صوتها وأجسب . ثم رآها ترفع يدها

في وجهه . ولكنها أزلتها ، واستندت ذنبره

وجرت صوب المنزل . ووقف « شوق » راقبها

حتى أخفت . لقد رأى عيناها بلمان بوميس

غرب لم يره من قبل . وجرى خلفها حتى وصل

إلى حجرتها ، فوقف بجوار الباب يستمع .

فوجدتها قد ألقت بنفسها على السرير وأندفت تبكي

في شدة وحرارة ؟ فصر عليها حتى انتهت من

البكاء ، ثم دخل الخجرة في خطوات بطيئة ، فأرأها

جالسة على السرير تحفقت بقايا دموعها . وما إن

وقع بصرها عليه حتى أشارت له إلى الباب وقالت

في حدة :

— اخرج !

فقدم بحوها وقال في هدوء :

— ألا أستطيع أن أعلم سبب هذا الخصاص ؟

فصاحت :

— خصاص ؟ ! أى خصاص ؟ !

— خصاص أو جفاء . سمع كاتمان

وجلس على مقعد بالقرب من السرير ، وقال

في جنو وإخلاص وهو يحد في فيها بحديقاً عميقاً :

أوابتسامة، تحمل المعنى الذى أطعم فيه .. ولكن لم يلفظ لسانك بتلك الكلمة، ولم تبد منك هذه الإشارة ... وفى يوم رحيلك ذهبت إلى الهوى مبكرة واختبأت خلف إحدى الستائر. وانتظرت هناك طويلاً، وأنا أرتجف وقلبي يدق بشدة ... ورايتك أخيراً وحولك أهل المنزل تودعهم ويودعونك. وتذكر اسمهم اسمًا اسمًا، ولم أسمحك نسأل عنى أو على الأقل تبث إلى تحيتك. وخرجت وأنت مبتل الوجه، تصفر بذلك اللون ذى الروى الواحد؛ وخرج الجميع يتبعونك إلى الحديقة، وأقبلوا الباب، فلم يمد فى الهوى سوى. فتركت غيبي وهرولت إلى حجرة الفرش، وحسبت نفسى فيها طول اليوم، أذرف الدمع صامتة ... من ذلك اليوم كرهتك وكرهت «الرجل» فى شخصك. لقد كنت وقتئذ صغيرة جاهلة غبية، يحق لك أن تقول ذلك. ولكن كان لى قلب، وكانت لى أحلام، قدسنت ذلك القلب، وحطمت هذه الأحلام. أما أنت فقد تجمع فيك كل شيء: ذكاء، وعقل، وعزيمة. ولكن كان يمزك شيء واحد وهو فى نظرى كل شيء ...

فتم شوق:

— ... ولكن كان ذلك فيما مضى،

أما اليوم ...

— لقد فات الأوان، إن الهاوية التى بيننا

سحيقة جداً، ولا يمكن أن نتخطاها

وصمتت، و«شوق» ينظر إليها ولا يتكلم، وطال صمتها. وأخيراً قام «شوق» وتناول يدها فى سكون، وطبع عليها قبلة عميقة، ثم خرج بلا كلام!

بنته بدافع قوى يدفعنى نحوك. فقفزت وتعلقت بك، وقلت لك فى سداجة بريئة: «لماذا لا تأخذنى معك؟»

فقطرت إلى فى سخرية وغيظ، ثم دفعتى بيدك، وخرجت من الحجرة كالزوبعة. فى تلك اللحظة شمعت لأول مرة بأن غشاوة كانت تنشى عنى وأنها أخذت تنقشع. فخرجت أجرى إلى حجرة الفرش وجلست القرفصاء فى ركن من أركانها، ولم يخفى الظلام؛ بل أنست به، لأنى كنت فى حاجة إلى الوحدة والتفكير. وأخذت أعرض حياتى معك على ضوء جديد، فوجدتها غريبة جداً ... أجل كانت غريبة جداً، كنت أعتقد أننى لا أستطيع أن أعيش بدونك. كنت أنزل إلى الحديقة وانتظر عودتك من المدرسة. أعد الدفاتق واللحظات، فما أكاد ألمحك حتى أهرع إليك مهلة باشة فتستقبلنى فى جفاء، وتلقى على تحيتك كما يلقى السيد تحيته على خادمه. ثم تعطينى محفظتك المكتظة بالكتب فأحملها لك راضية إلى حجرتك ... وكنت أحب أن أحادثك لأسليك فتصدنى وتشعرنى بأن حديثى سخييف لا يليق أن يسمعه شخص مثلك. وإذا حدثتنى فحديثك دائماً عن شخصك وعن مشروعاتك وعن النجاح الذى ينتظرك ... دائماً عن نفسك، دائماً ... وكنت أصنى إليك فى اهتمام وأشفق، ولا أمل حديثك. وأنصورك وقد غدوت عظيماً من العظماء، كقائد منتصر أو كملك كبير، ينظر الناس إليك نظرة الخشوع والاكبار، وأنظر إليك أنا نظرة العبادة. وكنت أنتظر منك — فى ذلك الوقت — بالرغم من ذلك، شيئاً، شيئاً واحداً. كلمة، أو إشارة،

ومنضت الأيام ولا حظ للناس على «شوق»
تغيراً كبيراً ! لقد قلّ كلامه ، وغاضت ابتسامته ،
وكثر تفكيره ، وآثر الوحدة في حجرته . أوفى
ركن ناء مخف في الحديقة ، يقضي وقته يفكر في
كآبه . وكان يتجنب جهد إمكانه مقابلة «سلام» ،
فإذا اضطر إلى لقائها سلم عليها في أدب ، ولم يطل
وقتته . أما هي فقد عجبت وازدادت انطواء على
نفسها . وكانت عيناها الواسعتان السوداوان
قد أخذتا في الذبول وانطبعت عليهما آثار البكاء ،
تنطقان بحيرة وقلق وبأس دفين !
وفي ذات يوم من الأيام كان «شوق» في
حجرته يرتب أشياءه في حقائبه ، تساعد «تسفير»
المعجوز . وكان يعمل صامتاً ، ولا يجيب على أسئلة
«تسفير» إلا في اقتضاب ، والمرأة حائرة حزينة ،
وسمها شوق تقول :
— وإلى أين تسافر ياسيدي ؟
— خارج القطر

— أين ؟ ...
— لا أدري !
— ولماذا عدت إلينا إذن ؟
— العلم عند الله ...
... وفي الصباح المبكر تأهب المنزل لوداع
«شوق» ، وخرج الفتى إلى البهو وهو يحمل
معطفه على يده . كان يسير متمهلاً ، ويسلم على من
حوله في وداعة عليها مسحة الكآبة . وقبل أن
يتخطى الباب وقف والتفت حوله يؤمل أن يرى
شخصاً معيناً بين الحاضرين ، فلم يجده ، ووقع
بصره فجأة على إحدى الستائر وكانت تهتز ، فأخذ
يخلق فيها وقلبه يخفق أهو الهواء يحركها أم هوشى .
آخر ... ؟ وطالت وقتته كما طال تحديقته في
الستارة ، وقد تابع خفقان قلبه ... ولكن
الستارة سكنت ولم تعد تتحرك ... فحوّل وجهه
نحو الباب وهو يوسع الخطى نأ

محمد نيمور

أطبعه كتاب :

الشيخ عفا الله وقصص أخرى

تأليف الأستاذ محمد نيمور

يطلب من جميع المكاتب الشهيرة وبالأخص من مكاتب القاهرة الآتية : النهضة بشارع
المداين رقم ١٥ . الأملو بشارع قصر النيل رقم ٣٣ . الوفد بشارع الفلكي رقم ٥٣ . دار النشر
بشارع عابدين بجوار سينما رويال . ونحن النسخة خمسة قروش
كذلك المطبعا :

نشوء القصة وتطورها

ثمان النسخة قروش واحد

المهد الثاني من وجودي .
وعلى ذلك فإذا حدثت
عن شيء من عهدي
الأول فصدقه ؛ أما عن
المهد الثاني فأنت غير
بين أن تقابل ما أحدثك
به عنه بما يستحق من
الثقة ، أو أن ترفضه رفضاً تاماً ؛

كانت تلك التي أحببتها في
صدر شبابي والتي أتلو عليك
من ذكريات غراي بها ما أتلو
في هدوء ووضوح ، الابنة
الوحيدة لخالتي الوحيدة التي
ودعت هذا العالم من زمن
بعيد . وكانت ابنة خالتي هذه
تدعى أليئورا ؛ ولقد عشنا
متلازمين في وادٍ كثرت ألوان

زرعه ، سميناء « وادي الألوان » ، وما كانت
تستطيع قدم غريبة أن تهتدي إلى مسالك هذا
الوادي ؛ ذلك لأنه كان يقع على ربوة عالية تحيط
بها شعاب شاهقة كثيراً ما تحجب الشمس عن
عذ من بقاعه . وفضلاً عن ذلك لم يكن ممراً لأحد
حتى تشق الأقدام طريقه فيه ؛ وكثيراً ما كنا
نضطر ونحن عابدين إلى منزلنا أن نفسح طريقنا
بأيدينا بين الأغصان المشبكة في كثير من الشقة ،
كما كنا نطأ بأقدامنا آلاف الزهرات فنفضي على
الكثير من معام الجمال في هذا الوادي ... هكذا
عشنا وحيدين سعيدين لا نعرف شيئاً عن الحياة
وراء وادينا الجميل ، وأنا وخالتي وأليئورا

الينورا

للكاتب الأمريكي إدجار آلان بوير
بقلم الأستاذ محمود الخفيف



لقد انحدرت من
قوم أخص صفاتهم الخيال
الشبوب والعاطفة للهبية ،
ولقد دعا على الناس المجنون ؛
ولكن الناس لم يصلوا
بعد إلى رأى في الجنون .
نعم لأنهم لم يستطيعوا أن

يفرروا ما إذا كان الجنون هو
الذكاء في نسقه الأعلى أم إنه
ليس من الذكاء في شيء . لم
يستطيعوا أن يقطعوا برأى في
القضية الآتية :

أليست كثرة أفكارنا
التميزة بالسمو ، بل وجميع
ما يتصف منها بالزوج والمعق ،
إنما هي صادرة عن مرض
فكري أو حال غريبة من حالات

العقل تسمو وتغظم على حساب غيرها من ملكات
التفكير ؟ وإن هؤلاء الذين يحملون في النهار خليقون
أن يصلوا إلى أشياء تنيب عن لا يحملون إلا في
الليل ، ففي رؤايم الشاحبة تترأى لهم لمع من
الجلود ، حتى إذا ما استيقظوا سرت في أجسامهم
النشوة أن كانوا على حافة السر الأكبر !

وعلى هذا أقول إنى مجنون ! أو على الأقل أسلم
أن هناك ناحيتين في وجودي الفكري تتميز
إحدهما من الأخرى ؛ فأولاهما ناحية البصيرة التي
لا تقبل الجدل ، وتتصل بذكريات المهد الأول
من حياتي ، وأخرها ناحية الشك والتموض ،
وتتصل بالحاضر كما تتصل من الذكريات بما يكون

الحال خمسة عشر ربيعاً قبل أن يعرف الحب طريقه إلى قلبينا ، إلى أن كنا ذات مساء جالسين تحت هاتيك الأشجار ، وهناك تماقنا ونظراً إلى خيالينا



في «نهر السكون» . ولم تفرج شفتانا عن كلمة أثناء هذا العناق ، وظللنا صامتين بقية النهار إلا عبارات مضطربة حائرة عما كنا ننوي أن نفعله في الند . وكأنا أخرجنا من النهر قوة خفية أشملت في روحنا جذوة آباءنا الأولين ؛ فلقد أحسنا أن حدة الماطقة التي امتاز بها جنسنا على مر القرون مشفوعة بما عرفوا به أيضاً من قوة الخيال قد دب ديبها في نفسينا ؛ وسرعان ما بث ذلك في «وادي الألوان» روحاً جديدة .

رأينا يد التفسير تمتد إلى كل شيء هناك . فقد انبثقت زهرات بيضاء ناصعة في شكل النجوم على أغصان لم يكن يزينا زهر من قبل . وازدادت نضرة البسط الخضراء في أعيننا ، وكانت إذا

في هذا الوادي الحبيب يجري نهر ضيق عميق قد انحدر إليه من منبعه فوق هاتيك الجبال ؛ وكان لهذا النهر الجليل بريق غريب أشد لماعاً من كل شيء إلا عيني أليئورا ! وكان كثير المنطفقات ، إلا أنه كان يجري ساكناً وادعاً ، يشر المرء على ضفتيه بميل قوى إلى السكينة والهدوء ؛ ومن أجل ذلك سميناه «نهر السكون» . وكانت تمتد على ضفتي هذا النهر ، وعلى ضفاف النهران التي تنساب إليه بسط وثيرة من العشب النضير ، سالت في نواحيها الألوان التي تملأ الجو بمبهرها الفياح ، فن زهرات صفراء فاقمة وساطعة ، إلى زهرات بيضاء يستوقف البصر بياضها ، إلى قرنفلات حمراء ملتهبة ، إلى ورود قرمزية رفاقة ، إلى عاجر بنفسجية باسمة ، إلى غير هذه وتلك من مؤلف الزهر وشنتته ، مما يزدان به الوادي ويبلغ به حدّاً بعيداً من الجمال البقري ، ذلك الجمال الذي كان يتحدث إلى قلبينا في صوت جهوري عن الحب وعن عظمة الله الخالق الباري المصور .

وكانت تنتثر في أنحاء وادينا أشجار باسقات يجدها المرء هنا وهناك في بقاع من العشب الأخضر شبيهة بما يراه النائم من الجنات ، وكانت تجمع جذوعها بين سواد الأبنوس وبياض الفضة ، وكانت ناعمة ، ناعمة تفوق كل شيء في نعيمها إلا خدى أليئورا . ولولا ما كانت تراه العين في ذراها من الأوراق لأوحى إلى المرء خياله بأنها مجموعة من ثمايق سوريا المائلة ، تؤدي في تمايلها واجب الخضوع إلى القوة المسيطرة عليها وهي الشمس ! في هذا الوادي الساحر كنت آتجول كل يوم وأنا وأليئورا ، ويدها في يدي ، وقضينا على هذه

لقد أحسّت أن أصبح النون يمس قلبها ، وأنها كبعض الزهرات النضة في الوادي ما خلقت نامة الجمال إلا لتموت ! ولكن الرعب الذى يمهته القبر كان يترأى لها فى فكرة كشفت لى عنها ذات مساء وقت الطفّل على ضفة « نهر السكون » . كان يزعمها أن تفكر أنى حيناً أوارى جنبها فى « وادى الألوان » لا بد أن أنصرف عن هذا المكان الجليل ، ومن ثم فلا بد أن ينصرف حبي الذى أمنعها إياه الآن فى هيام وشدة إلى فتاة غيرة ممن يشن خارج الوادى ، إلى فتاة عادية ممن يصادفهن المرء كل يوم فى هذه الدنيا

هنالك ألفت نفسى فى لفحة وسرعة على قدمى أليئورا وفحت أمامها بقسم أشهدت الله عليه أنى لن أتزوج بعدها أية فتاة من بنات الأرض ، وأبنى لن أظهر ما عشت ما يشعر بتنافى عن ذكرها العزرة ، أو ذكرى جها الصادق القوى الذى غمرت قلبى به وجلتني أعرف فى ظله نعيم الحياة ؟ ثم اتجهت ببصرى ثانية إلى السماء وأشهدت على قوى الله المسيطر على ملكوت السموات والأرض . وإن اللعنة التى رضيت أن ينزلها على إن أنا حنت فى عيني ، وصورة المذاب التى قبلت أن يحل لى ، ليمتثان فى الأفق من الرعب والفرع ما لا أسمع منهما بتفصيل فى هذا المقام . ثم نظرت إلى عيني أليئورا اللامعتين ، فرأيت بريقهما يشتد مع كلانى ، ثم رأيتها تنفّس الصعداء كما لو أنها ألفت عن صدرها عبثاً كاد يزعمها . ولم تلبث بعد ذلك أن أخذتها رعدة شديدة وتماثل دمعها السخين . ولكنها قبلت عيني وصدقت دعواى . وليت شعرى ما هى ؟ ألم تكن طفلة غريبة ؟ يا لها من فتاة بريئة ! لقد

انطفأت الزهرات البيض لا تلبث أن تحل محلهن عشرات من الزهرات الحمر المشتمة ؛ فضلاً عن ذلك فقد دبت الحياة فى مسالك الوادى ، فلقد رأينا الطاووس فى موشيته المبكرة يختال فى حاشية من الطيور الجميلة ما كانت تقع عليها الأعين من قبل . ورأينا ماء النهر يزخر بالسماك الفضى اللون ، وقد انبعث منه خير حلو ما ترال تملو نغماته حتى تنتهى إلى هدهدة جميلة ، أكثر قداسة من أنغام قيثارة « أولوس » ، وأحلى غناء من كل صوت للأصوت أليئورا . وإذا رمضنا أبصارنا إلى السماء رأينا قوس الغمام الذى كنا نراه من قبل عظيم البعد ، قد اقترب منا حتى ارتكز من طرفه على قمم الشجيرات المحيطة بنا فظللنا ألوانه الجميلة وحولت ما كان يكتنف الجبال من كآبة قابضة إلى رواء يارع ، وصرنا حياله نشعر كما لو كان يحجزنا إلى الأبد فى بقعة من الجمال والمظمة كان جمال أليئورا جلالاً ملائكياً ؛ ولكنها كانت فتاة ساذجة بريئة ، فلم يتخذ ذلك الحب الذى أيقظ قلبها من الخديعة حجاباً يخفى قوته ويستر توقده . تبينت ذلك فى خلال حديثنا بين الأزهار فى « وادى الألوان » ، حينما كانت تشير إلى ما طرأ على الوادى من تغير

وأخيراً ، حدث أن أفضى بنا الحديث ذات يوم إلى الخاتمة المحزنة التى لا بد أن يصير إليها أهل الفناء . وكنا نجس دموعنا أبناء ذلك الحديث ؛ ومنذ ذلك اليوم رأيتها تماود الكلام فى هذا الموضوع ، وصارت يدخله فى جميع أحاديثنا ، على نحو ما تراه فى أغنى شاعر شيراز من تكرار الصور فى شكل عبارة يكسبها شكلاً أخذاً من الايضاح والبيان

الندى ، واختفت الحياة من مسالك الوادى ، فلم نعد نرى الطاووس فى زامى ألوانه ، اللهم إلا فى أوقات كانت تأخذ العين فيها كاسفاً حزناً راحلاً عن الوادى إلى قم التلال تتبعه جنات الطير اللواتى أتين معه قبل ذلك . واختفت من مجرى نهرا تلك السمكات الذهبية الفضية التى كانت تزينه من قبل ، وأخذ يخفت ذلك الخمر الحلو الذى كانت تفوق غمامه وهدده أغانيه من قبل قيادة « أولوس » سحرراً ، والذي كان صوته أكثر قداسة من كل صوت إلا صوت أليئورا ؛ أجد يخفت ذلك الخمر حتى احتبس وعاد النهر إلى سالف سكونه ، وذاب قوس النعام ، وتلاشت فى السموات ألوانه البهيجة التى طالما ظللتنا فى هذا الوادى

ولكن أليئورا صدقت وعدها ؛ فطالما أصبحت حفيف رهط الملائكة ؛ ولطالما استنشقت العبر المقدس فى أرجاء الوادى . وفى ساعات تأملاتى حينما كانت تتوانى نبضات قلبي ، كنت أتين فى هسيس الرياح التى تمس جيبى نهداتها التى وعدتني ؛ كما كنت أتين فى كثير من الأحيان غممة تتناوح بها ربح المساء . وحدث ذات مرة ... آه ولكنها مرة واحدة ! حدث أن أقفت من نومة عميقة كأنها الموت ، على ضفط شفتين علويتين كانتا تلتصقان شفتي .

ولكن الفراغ الذى أحسسته فى قلبي أبى أن يتلى حتى على هذه الصورة ؛ وتأقت نفسى إلى الحب الذى أفعم من قبل ذلك القلب حتى طفع به . وأخيراً أصبح الوادى يهيم ألى لفتاوى لما يشبه من ذكريات أليئورا ، فتركته إلى غير رجعة ، وأخذت طريقى إلى مضطرب من هذه الدنيا حيث

جملتها عباراتى تنظر حتى إلى الموت نظرة هدية ويسر . ولقد أفضت إلى بعد ذلك بأيام ، وهى تخطو إلى الموت خطوات هادئة ، أنها جزءاً وفقاً لما فمات ولما أخذت على نفسى العهد الذى أطلع خاطرها وطمأن روحها ، سسعتى فى الساء حينما تسلم الروح ، وإذا سمح لها فستظهر لى فى جلاء بين أطياف الليل . وإذا كان هذا فوق مقدور الأرواح فى جناتها فسوف تشعنى بوجودها بمختلف الاشارات فأسمع نهداتها فى رياح المساء ، أو أشعر بالهواء محملاً رائحة غير الملائكة ونفحات الفردوس . . . وفى مثل هاتيك الأحاديث الحلوة تنفج عنها شفتاها الجميلتان أسلست روحها البريئة إلى بارى الحياة

كان قوام حديثى حتى نهاية هذه المرحلة من تاريخ حياتى الاخلاص والصدق ، ولكنى حينما أجتاز ذلك السياج القائم فى طريقى ، ذلك السياج الذى كونه موت جيبتى ؛ وحينما أخطو أول خطوة فى المرحلة الثانية أحس كأن ضباباً يتمقد أمام بصرى فيتركى فى حيرة . لا أدري إن كان ما أتو بعد من حديث سيحمل على التعقل أم سيحمل على الجنون ! ولكن دعني آت بالحديث على سرده تعاقبت السنون وثيدة الخطى طويلة المهل ، وما زلت مقباً فى « وادى الألوان » ، ولكن يد التغير قد تناولت للمرة الثانية كل شيء هناك ؛ فلقد تناثرت تلك الزهرات الشبيهة بالتجوم ولم تعد تراها العين بعد ، ورغبت تلك البسط الخضراء عن لونها الساطع ، وانطلقت الزهرات المحر واحدة بعد واحدة وجلت مكانها زهرات شبيهة بالميون السود ، كانت تذوى فى بطة ، ولم يكن يعلق بها

تزرخ الحياة بالفرور والمتاعب والفرور !!

ألفت نفسي في مدينة غريبة ، كان كل شيء فيها جديراً بأن ينق من الذاكرة أحلام الجيلة الى ورتها من « وادي الألوان » ؟ فقد أذهلني وحير عقلي ما وقعت عليه عيناى من مظاهر العظمة والأبهة في ردهات البلاط ، وملأت نفسي قبعة السلاح ، واستوقف بصرى جمال النسوة ومفاتنهن ، ولكن روى على الرغم من ذلك ظلت أمينة للمهد الذى قطعت والقسم الذى أدبته ؛ وزيادة على ذلك كان شيخ أليورا وكل ما يشمرنى بحضورها يملأ السكان حولى فى سكون الليل ! ولكن ... على حين فجأة تلاشت كل هاتيك الرؤى وأظلمت الدنيا فى عيني ، ووقفت شتدوها أمام الفكرة اللذاعة التى ملكتنى . أمام العزم المربع الذى ملك قيادى ! ذلك أنه وفدت على الحاشية الملكية المرحه حيث كنت أعمل ، فتاة من بلاد نائية لم أعرفها ، فتاة استأثرت بلبي ، وأخذ سحرها بمجامع قلبي ، منذ اللحظة التى وقع فيها على شخصها بصرى ؟ فتاة لم أتردد ، ولم أحس بمشقة عند ما أحنيت رأسى لها فى أشد ما يكون عليه العاشق من حماس ، بل وفى أحط ما يتطلبه الحب من عبودية ! وأين ما شرت به من عواطف نحو فتاة الوادى الصغيرة من هذا الهوى المشبوب وهذا الهيام الجامع ، وهذا التحنث الذى ينبض به قلبي حيناً أريق روى عبرات سيالة ، وأنا ملتي على قدى « ارمتجارد » ؟ ومن هم « ارمتجارد » ؟ أليست ذلك الخلق السماوى الذى يرق حتى عند الأثير ؟ أه ... يا حسننا ! يا حسن ذلك الملاك الرفق « ارمتجاد » . ما أظهرك

وما أعظم قداسك أيها الملاك ! إنها تملأ جوانب نفسى فلا أفكر فى سواها . وحيناً ألقى نظرة على عيناها التجالون ، وأرى مدى ما فى معناها من عمق ، لا أفكر إلا فيهما . وفيها لقد تزوجت غير خائف مما استزلته على نفسى من اللعنات ، ولم أشعر يوماً بشيء يزعمنى لحنى فى عيني . وحدث مرة — ولكن مرة واحدة فى سكون الليل ، أن تسربت إلى حجرى خلال الستائر تلك التهديدات الناعمة التى هجرتنى ، وحولت فيها إلى صوت جميل مألوف قائله :

« نيم فى سلام ! فان روح الحب تحكم وتسيطر ؛ وإذا كنت تحمل فى قلبك اليوم تلك التى تدعى ارمتجارد ، فقد غفر لك ما كان منك تجاه قممك أمام أليورا ، وأصبحت بريئاً من الأثم لأسباب سوف يكشف لك عنها حيناً ترقى إلى السماء !
محمود الحظيف

رفائيل

لشاعر الحب والجمال لاهرتين

ترجمة بقلم

أحمد موسى الزينات

تطلب من لجنة التأليف والترجمة والنشر

ومن إدارة « الرسالة »

الرقم ١٢ قرشاً

في أرضنا هذه إذا كان
في العالم أرواح ؟

والحق أن محاولة
إقناع أمثال هؤلاء من
أعسر الأمور ، فإن كل
إنسان يستطيع أن يسأل

أسئلة معجزة من هذا النوع

فلا يجد أحد جواباً عنها
ومن المستحسن بعد ذلك
أن أوجه حديثي منذ الآن إلى
من يصدقونه ، فاني رجل
لا أطيق أن أكذب فيما شهدته
بيني ، ولا أحتمل أن يسخر
أحد من القول الصادق

اعتدت أن أذهب إلى

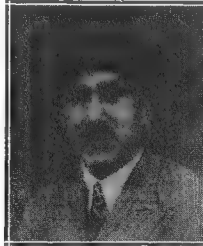
صديقي (علي) في منزل قديم من المنازل الأثرية
الموقوفة قد استأجره ليحمله محرفاً بذهب إليه بين
حين وحين لكي يخلو إلى التصوير ، لأنه كان
مصوراً ماهراً لمناظر الطبيعة . وكان ذلك المنزل على
ما قال لي ذلك الصديق سكناً في وقت من الأوقات
للأمير رضوان بك الكبير أمير مصر وصاحب
المبارات الأثرية ، وقطب دائرة الأدب والفن في
أواسط القرن الثامن عشر

وكان رضوان في حياته الخاصة من أشد الانراء
ميلاً إلى الترف والهو ؛ وكانت له قصور عدة جميل
وأحد منها لمجالس لهو وطرب ، يجلس في أمهاته
النخمة مع طائفة مختارة من الأدباء وأهل الفنون
والموسيقيين ، فيقضي فيه ليالي كانت مضرب

قصّة قصيرة

مقتبسات من كتاب

للأستاذ محمد فريد أبو حديد



عيل أهل هذه الأيام
ولا سبأ الشبان منهم إلى
التكذيب ؛ فهم إذا سمعوا
شيئاً ووجدوه غريباً عن
نصورهم أسرعوا إلى
الاجابة قائلين : « هذا

كذب » والتكذيب لا يكلف
الانسان شيئاً أكثر من أن
يهز رأسه ويقول في تؤدة وو قار :
« هذا غير معقول » وقد يقرن
قوله هذا بابتسامة هادئة دليلاً
على التسامح ، كأن العقل الانساني
قد عرف كل شيء ، فإذا كان
شيء غير معقول ، كان غير
مقبول . والحقيقة أن العقل
الانساني لم يدرك إلا أبسط مافى

الكون ، ولم يفهم إلا أقل ما في الحقيقة . فأسرار
الكون لا تزال بميدة المنال عنه مستمصة عليه ؛ وما
أحرأ أن يصدق وأن يتنازل قليلاً عن كبريائه وعناده ؛
فإذا قال قائل مثلاً إن العالم مملوء بالجان لوى أهل هذا
الزمان أعناقهم ونظروا إلى القائل شراً . وقالوا
متهافنين : « جان ! يقول صاحبنا هذا إن العالم مملوء
بالجان ! كأنه قد رأى الجان بيمينه ! »

ولتأمل هؤلاء قليلاً لتعلموا أنهم غطثون ، فإن
العين لا تبصر إلا بعض الموجودات ، فإذا هي لم
تبصر شيئاً فليس عدم إبطار هادلياً على عدم وجوده .
وكذلك إذا قال أحد : « إن العالم مملوء بالأرواح »
فان من يسمه من أهل هذا الزمان حرقى بأن يجيبه
في سخريته وصلف قائله : « أرواح ! ولم تبق الأرواح

والاعتبار . ولعل هذا الشعور كان ناشئاً من جو المحترف ؛ فقد كان مكانه قديماً يشعر الداخل فيه أنه قد ولج بمض القرون الماضية . فاذا صعدت إلى سطحه رأيت حيالى الجبل الشرقى الشرف على القاهرة وعليه القلعة المثيقة قلعة صلاح الدين تطلع كأنها تحدث عما شهدته من جليل الحوادث . ويجيبها . فاذا نظرت حولى رأيت مآكن الساجد تشرف على الحى كما كانت تشرف من قرون ، ورأيت البيوت القديمة المهذمة ، وكأنها تقول : « رب يوم كنا فيه ننج بالحياة ونضطرب بالبول والمواطف . فاذا نحن قد دكنا الزمان ، وعنى غلينا البلى ، وأصبحت مملأنا أطلالاً وأكوماً : » .

كان كل شيء حولى يحدث عن الماضى ، ولا يجبا فيه إلا ذكر الماضى . فكنت وأنا هناك أنسلخ من عصرى ومن الحياة الصاخبة حولى لأعيش حيناً مع أجيال الأجداد أجالسهم وأحادثهم وأناجيهم ، وكنت كلما التفت إلى الجدران ورأيت إحدى الجمجتين الملتئمتين عليها خيل إلى أنها قد اكتست فسات على عهدا ، إذ كانت آدمية حية ؛ وتصورت حيناً أنها تبسم إلى وتناجبنى بما كان من ملذاتها ومسراتها . وحيناً أنها تقطب بهوى وتساورنى بما كان من آلامها وشقاوتها

وكنت إذا ذهبت إلى ذلك المكان لا أبقي فيه إلا ما دام النهار ؛ فاذا ما أقبل الليل أسرع بالخروج منه قبل أن يضيغ الظلام عليه ؛ فقد كنت فى الحق أخشى أن يظلمني فيه الليل إذ كنت فى قرارة نفسى أفزع من جوه كما يفزع الإنسان من البيل فى جوار القبور

وذهبت مرة فى يوم من أيام الشتاء على دعوة

الأمثال فى الروعة والأبهة ؛ ولكن مؤامرات منافسية وحساده اتخذت فى قصوره سبلاً خفية انتهت بإفساد بعض ممالكه عليه ، فخافه واحد منهم فى قصره وضربه بطلق نارى أصاب ساقه ، وكان سبباً فى موته بعد قليل . ويقال إنه قد ضرب تلك الضربة فى ذلك البيت الذى اتخذته صديقى لمختره ولوث دماؤه أرضه فى أثناء هربه من المؤثرين به . وكان صديقى يحيط ذلك المحترف بقرىب الأثاث ، ولا سيما ما كان منه على نسق أثاث المصور الماضية ؛ فكانت فيه أنواع مختلفة الأشكال والأعمار ؛ فقطع قديمة من الخشب المحروط (المشبك) ، وقطع من النحاس المكفت ، وقطع من الأبوس المطعم بالصدف والماج ، كما كانت فيه كراسى قديمة من القش وأخرى من الخيزران ؛ وقد علق على الجدران قطعاً من تماثيل بعضها يمثل وجوها ، وبعضها يصور أجساماً ، وبعضها يمثل بعض الآثار الفنية من مخلفات اليونان والرومان ، ونصب بينها بعض لوحات من لوحات تمثل الريف المصرى وحيوانه ، أو تمثل حدائق مصر ومناظر غيطانها ، وأدلى من السقف مصابيح من أظاظ كانت مستعملة فى الأزمان الغابرة فى مختلف المصور . وكان أعجب ما علق على تلك الجدران بعض عظام للحيوان والإنسان بينها جمجمتان صفراوان تنظران إلى الجالسين كأنهما يقولان لهم : « لقد كنا كاتكونون » . وكنت أجد فى اختلافى إلى ذلك المحترف شيئاً كثيراً من السرور : سرور من نوع خاص ، ليس كالسرور المعتاد الذى يهز النفس ويعبثها إلى المرح والضحك ، بل سرور يملأ النفس بشعور قوى من الارتياح يشوبه كثير من الليل إلى الجد

لم يكن لي معها مجال للتفكير ، وانجلبت الضجة من
اثنين يتحادثان ، وقد أقبلنا من وراء ستار من
الديبايح الأخضر رأيتني إلى يساري

ورأيت أحدهما شاباً صغير السن في نحو
المشرين ، جميل الصورة ، أبيض الوجه ، أصفر
الشعر ، يلبس عمامة مطرزة بوشى مذهب ، وعليه
لباس غريب لا عهد لنا به اليوم ، فهو سراويل
فضفاضة من الحرير الأحمر فوقها حزام أصفر
مسيجدي ؛ وقد لبس فوق ذلك كساء من الحرير
الأبيض ضيق الأكمام عليه طراز من وشى مزركش
بخطوط ذهبية . فكان في مجموع هيئته صورة لما
تنقله إلينا أخبار التاريخ من صور ممالك الأمراء
بمصر فيا مضي . وأما رفيقه فقد كان شيخاً
يلبس ثوباً من الحرير المخطط الذي يلبسه اليوم
أصحاب العائم ، وقد شد على وسطه حزاماً من
الحرير الملون للنقوش ، وجعل على رأسه عمامة
ساذجة بيضاء ؛ وكان يحمل في يده حقيبة صغيرة
وطستاً من النحاس الأصفر مما كان مثله لا يزال
مستعملاً عند الحلاقين منذ جيل . ولما اقترب
الشخصان سمعت نجواهما

قال الشاب هامساً : سيحضّر الأمير بعبد
قليل فاستمد

قال الشيخ : لقد دعاني الأمير على غير عادة

قال الشاب : هو مجلس حافل

فسأل الشيخ هامساً : بقصر الأركبية ؟

فهر الشاب رأسه علامة الإيجاب وقال :

سيحضّر اليه هناك ندماؤه جبريل واللقبي وقاسم
والادكاوي

فقمز الشيخ يمينه ، وتبسم قائلاً : ليلة أنس
من لياليه !

من صديقي ، وقضينا اليوم هناك حتى غروب
الشمس . وكنت أشتغل في أثناء ذلك بكتابة قصة
من التاريخ ، وكان صديقي منهمكاً في رسم ثور
مصرى قاعد إلى جنب مزود ، فلما أقبل الظلام
تنهت إلى نفسي ونهت صديقي قائلاً له : « لقد
آن أن نذهب » غير أنه تردد وقام إلى مصباح
فأشعله وقال : « انني أحب أن أبقى هنا إلى
أن أتمنى من هذا الثور فقد طلبه معي أحد الأعيان
ووعدت أن أرسله إليه في الغد ، ولا أملك أن
أطلق من موعدي ؛ فإذا قضيت من جزءاً من الليل
حتى أتمته كنت شاكرًا » . فلم أشأ أن أراجع
صديقي في رجائه ، وكنت كذلك أحس من نفسي
ميلاً إلى الكتابة ، فرأيت في البقاء هناك فرصة
لأنعام ما بدأت كتابته ، فرضيت أن أبقى ، وأقبلت
على ما كنت فيه ، وأقبل صديقي على إنعام صورة
ثوره بحماسة وسرور . ثم تبنت من الكتابة بعد
حين ؛ فاستلقيت في مكاني ، فإذا بي وقد استولى
النماس على فممت ؛ ولم أدر كم بقيت على حالي تلك
إلى أن تلبنت على خبة هائلة حولي فقممت مذعوراً
ونظرت حولي فرأيت نوراً عجباً ساطعاً من المصباح
ورأيت المكان حولي على غير ما كنت أعهده ،
فلقد كان مكسواً بأنواع الفراش والأثاث ، وعليه
أنواع شتى من الستور والطنافس ، وضفت حوله
الوسائد والسائد والثرابي ، وسمت في المكان لفظاً
كثيراً ، كأن أشخاصاً يتخاصمون فيه ، وكنت
من دهني لا أستطيع أن أذكر أين كنت ، ولا
من أنا ، ونسيت ذكر صديقي ، ولم أملك نفسي مما
دخلها من الروح . فجلست القرفصاء في الركن
الذي كنت فيه وتعلكني خشوع ، وعلتي رهبة

بيضاء مسحوفة سكبها من الورقة ؛ ثم أقفل الحق
وبعد عنه وهو ينفى أغنية قصيرة ، وجعل يساعد
الشيخ على إعداد الماء وترتيب الزجاجات والصاب
وقد عراني وأنا أنظر إلى هذا شيء عظيم من
الفرع ، ولكني لم أجرو على التحرك من مكاني
بل ضغطت نفسي في رجلي ، وجعلت التصق
بالوسائد التي بجواري ، وأنكش بينها خوف أن
يقع نظر أحدهما على

وقد عييت إذ لاحظت أنهما وإن اتجها نحوي
أحياناً يتجاهلان وجودي ، فداخاني من ذلك
شيء من الاطمئنان وأفرخ روعي

وسمعت بعد حين حركة من تجاه الباب وصلصلة
سلاح ، وأصواتاً مختلطة ، وصاح صائح في الخارج
يقول : « الأمير رضوان كتحذا دام عزه ! » ثم
فتح الباب وأقبل منه شخص بدين في ثياب زاهية
تبرق بما فيها من الذهب ، وما يتخللها من الوشي ؛
وقد انفتحت على رأسه عمامة هي أشبه بالناتج عما
عليها من الجوهر والوشي . ومنذ أقبل الرجل انحنى
الشاب انحناؤه عظيمة كما يركع الناس في الصلاة ،
وحيا الشيخ تحية بالغة ؛ فعلمت أن ذلك هو الأمير
الكبير الذي كان الرجلان يذكرانه في حديثهما .

ولم يلتفت ذلك الرجل إلى أحد ، بل ذهب إلى
كرسي عال من الأبنوس المطعم بالصدف والماج
وجلس عليه ، فامتلاً الكرسي به ، وترجع من
نقله ؛ ثم جعل الشيخ يحلق له رأسه ، ويسوى
له من لحية وشاربه ويضمخهما بالمطور والأدهان ؛
ولما فرغ من ذلك التفت إليه الأمير وقال له
هامساً : « هل أحضرت الدواء ؟ » .

فتبسم الشيخ وهن رأسه علامة الإيجاب
وقال : « مولاي ! ها هوذا »

فتبسم الشاب وقال : ليسالي رضوان كتحذا
المشهورة !

ثم اقترب منه وقال بحذر : والدواء ؟ هل
أحضرته ؟

فسأل الشيخ باهتمام : هل يريده الليلة ؟
فهمس الشاب : ليلة أنس وفرح ؛ هل
أحضرته معك ؟ الدواء ... ؟

فضحك الشيخ وأخرج من جيبه حُقا من
الفضة ورفعه نحوه قائلاً : « ها هوذا »

فتقدم الشاب نحوه وقد اتسعت عيناه وقال
بشيء من اللفة : « أرنى »

ثم مد يده إليه فأخذه بشيء يسير من القهر ثم
فتحته وجعل يشمه

فأقترب الشيخ منه ، ومد إليه يده لاسترجاع
الحق قائلاً : « حاذر ! »

قال الشاب : « لماذا أحاذر ؟ » ثم مد يده
إليه يوشى كأنه يريد أن يذوق منه

فقال الشيخ : « لا تذقه ، لا أسمع لك ، هذا
ليس لك ؟ هات الحق »

فتبسم الشاب وقال : « لماذا تخاف على منه ؟
أهو سم ؟ »

فأجاب الشيخ مقطباً : « قبحك الله ! وهل
أحمل السم ؟ »

فأعاده الشاب إليه وقال : « لا بأس ؛ استعد
الآن ، سيأتي الأمير بعد قليل »

فأخذ الشيخ الحق وذهب به نحو منضدة
فوضعه فوقها ، ثم اتجه نحو منضدة أخرى وجعل
يرص عليها آلاته . وفيما هو مشغول في ذلك اقترب
اللقاب خلسة من الحق ، وأخرج من منطقتة ورقة
مطوية ، ثم فتح الحق بخفة هيبية ، ورمى فيه مادة

فزاد اضطراب الفتى وقال: وهو يلوث لا يكاد
يبين كلامه :

« لا . لا أذوقه . ليذقه هو . أظنه مسموما .
لماذا لا تذوقه هو ؟ إنه مسموم . »

فصاح الشيخ حاتقا : « مسموم ! يا لك من
لئيم وقح ! »

فقال الفتى : « إذن ذقه » والتفت نحو الأمير
قائلا : « لقد علمت أنه مسموم . قد دسه عدو
الأمير عبد الرحمن كتحدا - واتفق مع هذا الوغد
على قتلك »

فقام الأمير فأرأه عند ما سمع هذا وقال للرجل :
« ذقه . أو ذق هذا » وجرد سيفه الذى كان
مدلى إلى جانبه

فتقدم الشيخ جريئا إلى الحق ، وتناوله وهو
ينظر إلى الفتى المضطرب وقال له بحق :

« مسموم ؟ أنت لئيم كاذب منافق . هل أسم
سيدى ؟ » ثم أخذ منه بأصبعه قطعة فابتلعها ، ثم
أخرى ، ثم ثالثة . وقال :

« لم أكن أخاف إلا فعل هذا الدواء فى وأنا
رجل مسن . مسموم ؟ يا لك من منافق ! »

غير أن الدواء ما كاد يستقر فى جوف الرجل
حتى وضع يده على بطنه ونظر إلى الأمير وقال :

« يا للمعجب ! كأني ابتلعت كل أمواتى ،
كأن أحشائى تنقطع »

ثم زاد به الألم فجعل يصعر بطنه ويلوى وجهه
وارتمى وهو يتوسجج ويصرخ ويستجير

فنظر الأمير إليه دهشا وبقي صامتا وهو ناظر
إليه لحظة طويلة ، ثم انفجرت شفتاه عن ابتسامة
مرة وقال :

وأتمه نحو للنضدة التى كان عليها الحق فأحضره
وقدمه إلى الأمير

فقال الأمير : « متى يؤخذ ؟ »
قال الشيخ : « قبل الترم بقليل ، بالخطات

قصيرة ، فهو مؤكد وقوى »
فسأل الأمير : « أهو مجرب ؟ »

فقال الرجل : « مولاي ! هبذك ماهر فى
صناعته »

فنظر إليه الأمير وقال : « أحب أن تذوقه
أولا »

فقال الشيخ فى صيحة مكتومة : « أذوقه ؟ »
قال الأمير : « نعم » ، ورفع حاجبيه متعجبا

وهو ينظر إلى الشيخ المتردد . وقد رأيت الفتى
عند ذلك يضطرب فى مكانه ثم عمالك نفسه وتكلف

الهدوء ، والأمير مشغول عنه بالنظر إلى الشيخ
فقال الشيخ فى شئ من الارتباك : « ولكنى... »

فقاطعه الأمير فى شئ من الغضب قائلا :
« هل تحاف أن تذوقه ؟ »

فأسرع الشيخ معتذرا يقول : « مولاي ،
لا أخاف شيئا ولكنى رجل شيخ »

فقال الأمير مستمرا فى غضبه : « وما ذا ؟ »
قال الشيخ : « ليس هذا لمثل ؟ فليذقه هذا

الشاب وأنا ضامن سلامته بحياتى »
فتردد الأمير لحظة ، ثم نظر نحو الفتى وناداه

قائلا :
« تعال يا حسن . ذق من هذا »

فاضطرب الفتى وتردد لحظة ، ثم انفجر قائلا :
« مولاي ! »

فقال الأمير متعجبا : « ما ذا ؟ »

دخان غطى السكان حيناً ، ثم سمعت خيطة قوية على الأرض فنظرت وإذا بالأمير صريع إلى جنب الشيخ المسكين ، وقد قبض بيده اليمنى على ساقه وهو يئن ، وسمعت أصواتاً غخاطة في الخارج تتباعد كأنها تهرب وهي تكتم الصيحات ، ثم رأيت الأمير يتحرك قليلاً وهو قابض على ساقه ، وقام وهو يمرج فأخذ سيفه في يمينه وانكأ عليه كأنه عصا ، ثم سار في بقاء شديد والدم ينزف من ساقه غزيراً ويلوث الأرض ، وخرج من باب صغير في خلف الحجر وهو يئن ويتوجع ويقول في سريه : « لأقطنك أرباً ... آه أيها الخائن آه إذا نجوت ... وهبأت لي النجاة »

ومضت مدة قصيرة بعد ذلك ، ثم سمعت أقيداً من وراء الباب الكبير تسير كأنها في حذر وخوف ، ثم فتح الباب وظهر منه رأس الشاب ، وسمعت من خلفه صوتاً يسأله « هل مات ؟ »

فنظر الشاب حول الغرفة حيناً ثم صرخ فزاعاً : « أين هو ؟ إنني لا أراه ، ولينا ! لقد نجنا ! هلموا لنندركه قبل أن يفوتنا فيهلكنا » ، فاشتد اللغط وزادت الضججة واختلطت الأصوات ، ثم تباعدت الجلبة شيئاً فشيئاً حتى عاد السكون وخيم على السكان . وعمراني في أثناء ذلك خوف لا أستطيع أن أسفه ، ولم أدر ماذا صنعت . ثم غبت عن الوعي فلم أفق إلا على صوت دوا شديد يهز القضاة ، فقامت ونظرت فيما حولى فرأيت نافذة الحجر مفتوحة قد افتتحها الهواء الشديد ، وسمعت الطر ينهمر كأنه أفواه الميازيب ، وكان البرق يلعب متتليفاً ، والرعد يقصف كأنما هو دوى الدافع في ميدان القتال

ورأيت صديق داخل إلى الحجر عقب ذلك

« كم أخذت أيها الخائن ثمناً لخيانتك ؟ أكنت تطمع أن تكون من الأمراء إذا أنت قتلتني ؟ أكنت تأمل أن تعدد بك العمر مائة عام بعد هذه الشيوخوخة لنتم بئار خيانتك ؟ ذق إذن طعم السم الذي كنت قد أعددت له »

ثم اقترب منه وركله برجله ركلة عنيفة قلبته على الأرض فبدا وجهه المحترق المتقاص من الألم ، وكان منظرًا بشماً عظيماً

وحاول الشيخ الكلام فلم يستطع إلا حروفاً مقطعة يذفها بين الآهات والأناث ، فلم أستطع أن أجمع منها إلا قوله :

« إنني الآن على شفا القبر فلا أكذب ... خذ مني كلمة صدق أمام الله الذي سألقاه بعد قليل ... لم أدس لك السم بل قد دسه لك هذا الملوكة الخائن الواقف وراءك ، فانه لم يقرب أحد من علبة الدواء إلا هو ، ولقد لمحتته يقرب منه وأنا أجهز عدتي ، ولكن القضاء غلب على فلم أظن إلى قصده ... فاحذر هذا القادر والله على قولي شهيد »

وما أتم الرجل كلامه حتى انقلب على بطنه ثم فارقه الحياة

ونظر الأمير نحو الملوكة فلم يجد ، إذ كان قد اختفى مسرعاً كالأرنب عند ما سمع كلام الشيخ فالتفت نحو الباب وشفق صائحاً وهو غاضب ، غير أن الصدى وحده هو الذي أجب تصفيقه وصياحه ، وتبع ذلك صمت مثل صمت الصحراء في الليلة المادئة . ورأيت وجه الأمير قد اربد وانسمت جديقاته وبدا عليه اضطراب عظيم ثم تتم قائلاً :

« عجيب ! إنني أحس حولي بنذر الشر »
ثم خطا نحو الباب محترساً ولم يكده يملئه حتى فتح فجاء دوى في الحجر انفجار عظيم ، وعلا

وهو مسرع لفغان ينادى : « ماذا بك يا أخى ؟
لقد سمعتك تصيح صيحة منكرة ، أبك شر ؟
وكأننى كنت عند ذلك قد نسيت ذلك
الصديق ، فما كنت أراه حتى قت أنتفض من
الخوف ، ولم أطمئن حتى اقتربت منه — ولما
استطعت الكلام سألته : « ما معنى هذا ؟ »
فقال : « لقد انتهيت من صورتي متأخرا »
فقلت : « أية صورة ؟ »
فقال : « لا بأس عليك . تمال اجلس . لقد
رأيتك نائما فلم أحب أن أزجحك فذهبت للنوم فى
الحجرة المجاورة ، وكان الطر لا يسمح لنا بالخروج
على كل حال . ولكن لم أراك فى مثل هذا
الاضطراب والانتراج ؟ »

فنظرت إليه نظرة عتاب وقلت له :
لقد كانت ليلة لا أعلن أننى سوف أرى مثلها
فى سائر حياتى ، ثم جعلت أقص عليه ما رأيت
وأنا ألثت من الاضطراب .
ولكن ذلك الصديق كان من أولئك
الشكاكين الجفاة الذين لا يرضون أن يصدقوا
شيئا ، فلما أعمت له قصتي تضاحك وقال :
« ليتك أخذتني معك فى حلك العجيب
لأشاركك فى هذه التسلية البديعة »
وأما أنا فلم أجد ميلا إلى محاورته ، ولكنى
كنت فيما بعد لا أزوره فى عترة إلا فى ضحوة
النهار الواضح

محمد زهير أبو حديد

كل من يريد الحج

يجد

فى كل خطوة سلامة

من البيت إلى السويس طريق مرصوف وسكة حديد مريحة ، وفى السويس لوكاندة
مصر المشهورة بكل أسباب الراحة ، وفى البحر زحزح وكوثر وفيهما أبدع مافى
الباوخر الضخمة من متاع . وفى أرض الحجاز الأمان الوفور والطرق المبهدة
والسيارات ، وفيها أيضا لوكاندة مصر فى جده وفى مكة ، وفيها كذلك شئ جديد
لم يجده الحجاج فى المواسم الماضية وهو تنظيم العملة المحلية حيث يجدون كل
عشرين ريالاً سعودياً يحنينه واحد ذهب سمرأنا بتا

اعتزموا الحج واغتسموا مرة واحدة

واستزيدوا من فوائده للصحة والدين

من كل قلبه ، ويقدمها
من أعماق نفسه ؛
ولقد كان موثها هو
الصدمة الوحيدة التي
تلقها (نك) في حياته .
ثم قال أخيراً :

— إن زوجتي
يجب أن تكون ملء

بكل شيء ، عالة بواجباتها جدالاً ، يجب أن تكون
مهذبة عاقلة ؛ يجب أن تكون سليمة الذوق حسنة
الاختيار تخضع لأمرى ، وتضامع لرغبي ، ولا تدل
إلى برأيها إلا إذا سألتها ذلك . فقال صديقه (آلان)
وكان جالساً بالقرب منه في لهجته الهككية :

— الأفضل أن تكون صاه خوسله ... ثم
استطرد (نك) كأن لم يسمع تهكم صديقه :

— يجب أن تكون جميلة الوجه باسمة التفر ،
تبذل ما في وسعها لأسامدى ؛ وبالطبع يجب أن
تكون أيضاً متدبنة متواضعة ... فصاح آلان :

— مسكينة هذه الفتاة ! مسكينة هذه الفتاة !

— لقد أفرطت في اغترأها المجوز . لن
تكون مسكينة قط ، بل ستكون أسعد فتاة على
وجه البسيطة . . . فقال كامبيرون :

— ليس هناك فتاة تجمع كل هذه الصفات

يا (نك) ؛ وأؤكد لك أنك لن تجد بفتيك بين فتيات
العالم ... اللهم إلا إذا أتيت بطفلة ورييتها كما يحب ...

— أصبت يا صديقي ... هذا ما سأفعله !

— ماذا ! قالها كامبيرون في دهشة

— لقد فكرت في ذلك ملياً ، وأخيراً قر

عزى على أن أبحث عن طفلة يتيمة أنوسم فيها
الذكاء ، أرسلها إلى قصر سانت مارى لتنشأ في

الجمهورية الجزائرية

للكتابة الإنجليزية مرجب كنى
بقلم الأديب أحمد فتحي مرسي

أيقن (نك) كايثور)
في ربيع الثالث
والعشرين أنه لن يوفق
في اختيار زوجة سالحة
بعد أن رأى أصدقاءه
يلقون بأنفسهم في هوة
لا سبيل إلى النهوض
منها

قال مرة لصديقه كايرون في ثورة من ثوراته
على الزواج :

— إن ذلك الزواج المصري لا يخرج عن
كونه موتاً محققاً — إن الرجل الماقل لا يمكنه
أن يقف مكتوف اليدين إزاء امرأة تملي عليه
إرادتها . إن هؤلاء النساء المصريات متدفعات
طائشات ... ولا أعلم لماذا يتهايف الرجال ويرتمون
على أقدامهن أهلاء ضغفاء ؟ .. فغمغم صديقه قائلاً :

— سيأتي دورك يا صديقي ، وسنرى أنك
أول من يتهايف عليهم

— لن ترى ذلك في حياتك يا كايرون
— هذا صحيح ولكن لا تنس يا صديقي
أنك رجل وهم رجال ! ؟

وأعقب ذلك برهة صامتة أطرق فيها (نك)
برأسه مفكراً . إنه لا يمتدح أنه مثل هؤلاء الرجال ...
إن كل أعماله وتصرفاته تدل على أنه مختلف عنهم
جد الاختلاف . لقد كان ممتازاً في جميع مراحل
حيثته وأدوار حياته . لقد كان أرزق منهم في
مدرسته ، وأذكى منهم في جامعتهم ، وأعقل منهم
في ميدان حياته ، وأرغد منهم في عيشته المنزلية .
لقد كان يملك قصرآ في سانت مارى بضاحية
شوشير يعيش فيه مع أمه الشقيقة التي كان يعبدها

في أفكاره إلى أن استرعى نظره فجأة طفلة تبكي بالقرب منه

لقد كانت تبكي لأنها — كما قالت — فقدت شريطها الأزرق في الحديقة . وقيل أن تنتهي من وصف الشريط والمكان الذي سقط فيه . . . قال لك لنفسه :

— لقد وجدتها . . . لقد ظفرت بها أخيراً كانت جميلة الوجه ، ساحرة العينين ، لم يشوه رداء الملجأ الأصفر من جمالها الرائع . ولقد أصاب كايثور في شعرها الأصفر ، وفي عينيها الزرقاوين غابة مناه . . . ما اسمها يا ترى ؟ . . . « سالي كريبيان » إنه اسم ظريف ، وكلم عمرها ؟ : ثلاث عشرة سنة . حسن ثم حسن ، أمها الوقت الكافي لتتعلم . . . وهل هي ذكية ؟ أراد أن يتأكد من ذلك فقال :

— أنتملين هذا ؟

— نعم ؛ « قالتها في نهدي عميق »

— وما الذي درست اليوم ؟

— لقد نسيت

وهنا أطرق كايثور في حزن ، ولكنه لم يكتف بهذا القدر من الأسئلة فقال :

— أحفظين قواعد الرحمة السبع ؟

— نعم أحفظها . . . ثم أخذت في عدها على أصابعها في تؤدة وثبتت مما أدخل في روعه أنها على جانب غير قليل من الذكاء . . . ولكن ماذا عن الموسيقى والفناء ؟ أترأها يجيد الفناء ؟

أخذت تنفي أمامه أغنية السيف ، فبدأ صوتها عذباً جميلاً ، وغناها موقفاً ملحناً كأنه غناء الببليل في هدأة السحر

— هذا جميل !

وجلس كايثور ممها على مقعد خشبي في الحديقة ثم أخذ يتحدثها عن الطبيعة ، ثم عن قصره في

كنف عمتي (أليس) وتحت رطابي النشأة التي أريدها . فقال آلان ضاحكاً :

— إنني لم أسمع في حياتي بمثل هذه الفكرة . أتدعي أنك ستسجنها في قصرك في سانت ماري ؟ — كلا . . . كلا ليس هذا ما أعني . لن تكون دائماً في سانت ماري ؛ بل كثيراً ما سأتاد وإياها مطالع الفن وودور الموسيقى حتى أذهب من طباعها وأرقق من ذوقها ، وأجعل منها تلك الفتاة التي تسمدني في حياتي . لن تعلم شيئاً لا أرغب فيه ، ولن تحظى بمعرفة شيء لا أريده لها . فقاطعه آلان هازناً

— كني كني يا صديقي . . . أرجو أن تسمح لنا بالانصراف

مضى نك يبحث عن ضالته غير عاى بهزه أصدقاؤه وسخريه الناس منه . ولكن أتى له أن يجد طفلة بتيمة ؟ لقد كانت المربيات ينظرن إليه نظرة شك وارتياح رغم تهاقن على من يقبى هؤلاء الأطفال . ولقد نما مرة إلى سمه أن هناك امرأة في كدمنستر تأوى الأطفال اليتامى ، فأسرع إليها ظاناً أنه سيعثر على ضالته المنشودة ، ولكن خاب ظنه فقد وجد أن أكبر الطفلات لا تتجاوز الخامسة من عمرها ؛ وهذا مناه أنه لن يتزوج حتى يبلغ الأربعين

واستأنف نك بحثه فلم يثبط الفشل التواصل من عزيمه ، ولم يكسر هذه الأصدقاء من رغبته . . . فقصده ذات يوم إلى ملجأ للأيتام في الضواحي بمد أن قدمه صديق له إلى مديرة الملجأ ، ودعته هذه بدورها لزيارته ؛ فلما وصل إلى الملجأ جلس ينتظرها في الحديقة . . . وكان المكان جميلاً ، والحديقة رائحة التنسيق على الرغم من بساطتها . جلس نك يسبح

صغيرة من الزجاج مثبتة في أعلى البناء ، فنعلم قائلًا :
— أظن أنه ليس هناك من يستطيع أن يتسلق
هذا السور وهذا الزجاج منثور عليه ، فلت وجهها
غمامة من الحزن ، وأخيرا قالت في سرعة :
— إذن دعنا نذهب الى سانت ماري ... إنني

لا أعتدل عقابهن !

— يجب أن نستأذن المديرة أولا يا عزيزتي
— إنها لن تدعني أذهب معك قط قبل أن
تكتب الى والدي والوالدي
— الى من ؟ قالها في دهشة

— الى والدي والوالدي ... وهناك أسابيع
طويلة قبل أن يصل الرد

— ماذا ؟ ماذا ؟ أك وأك والدي والوالدة ؟ ... إذن
لست بتيمة !

— كلا ... أكنت تعتقد ذلك ؟

— بالطبع كنت أعتقد ذلك ! ... وماذا
تفعلن في ذلك الملجأ ؟

— هذا غريب ! أأدعو المدرسة ملجأ ؟

— لست إذن ببقيرة ؟ فرفعت وجهها في
كبرياء ثم قالت :

— فقيرة ! إنني خامسة أغنياء العالم — إن
والدي تيودور كريجمان المئري الأمريكي المروف ...

قالت ذلك في غضب مما جعله يغمغم مبتذرا في طريقة
الى الباب ... حقا لقد قرأ أن المئري الأمريكي

كريجمان أرسل وحيدته الى إحدى مدارس إنجلترا
خوفا عليها من رجال المصابات في أمريكا ... وهنا

أدرك كاثور خطأه ، فقد دخل هذه المدرسة
ظنا منه أنها الملجأ الذي يقصده

مضت بعد ذلك فترة من الزمن خلا فيها الى
نفسه وانقطع عن العالم ، وجفا أصدقاؤه فلما أسمعوه

سانت ماري ، وعن جمال موقعه ، وعن ذلك النهر
الذهبي الذي يجري من خلفه ، وعن دوعة ما يحيط
به من الحدائق وما يتخللها من زهر رايح الأفواف
وما يكتنفها من مناظر الطبيعة التي تسحر الميرون
وتبهر النفوس

وأخيرا بعد هذا التمهيد الطويل سألها في هدوء
عما إذا كانت ترغب في الذهاب لتقيم معه في
سانت ماري . ولقد رأى نفسه متسرعاً في
توجيه هذا السؤال قبل أن يقابل مديرة الملجأ
ولكنه كان مشوقاً الى معرفة رأى فتاته الصغيرة .
فسانته وقد بدت الدهشة في عينها :

— أنقيم وحيدتين في ذلك القصر الكبير ؟
— هناك أيضاً غمى أليس ، وستجيك كثيراً

— إنني لا أحب البسات . لقد كانت لي عمة
كثيراً ما كانت تضربني على أذني . وفي تلك
اللحظة طرقت سمعها رنين الناقوس ، فقفزت
الصغيرة في خوف قائلة :

— لقد انتهى الدرس وستخرج المريات
فيجدنني هنا ويماقبنني ... إنه ليس مسموحاً لنا
بدخول الحديقة .. وأسرعت الى الباب الصغير
الذي يصل الحديقة بملب الأطفال ، ولكنه كان
موصداً .. فصاحت في خوف :

— ماذا أفعل ؟ ماذا أفعل الآن ؟ لقد كان هذا
الباب مفتوحاً منذ هنية ! .. لماذا استيقظتني

بجانبيك ؟
— لا تخافي يا عزيزتي ... لن أدعك تماقبن .

سأقول لمن إنني استيقظت
— كلا كلا ... يجب أن تساعدني على أن

إنسلك الحائط الى الملعب ... هيا أسرع ! أسرع !
وأشارت الى حجر كبير مثبت في جانب
الحائط فصعد طائماً ، ولكنه أبصر فوق السور قطما

تعمل كامبيرون في جلسته ، وصر آلان بيده على جيبته ، ثم وقفوا جميعاً عندما بلغت نهاية الدرج وأخذ كايثور يدها وعلى ثغره ابتسامة غفر ونهر وقدسها إلى صديقيه باسم « أسترا » ثم أخبرها على المائدة أنها تنتمي إلى قبيلة نوريه وأن جدّها وهبه إياها منذ سبع سنوات ؛ ثم قال :

— وبالطبع كانت لا تعرف إذ ذاك كلمة انجليزية ، وقد كان هذا جيلاً ، فقد أتاح لي فرصة تثقيفها بكل ما أحب ، وأظن أنها تتكلمها الآن كاحدى بنات إنجلترا

— بل أكثر من ذلك ... إنها تتكلم الآن أربع لغات أوروبية ، فضلاً عن أنها تعرف قليلاً من اليونانية ، وشيثاً من اللاتينية . ولقد أتمت لها فرصة الاطلاع على زبدة الأدب الأوربي ، وخلاصة الأدب الشرقى . وأعقب ذلك برهة من الصمت ثم قال :

— إن لها ذوقاً حسناً في الاختيار ، وبالرغم من قرب عهدها بالموسيقى يجيد العزف على البيانو والقيثار ونسجمها سوياً بعد القداء

وانتقلوا بعد تناول القداء إلى غرفة الموسيقى حيث أسمعهم قطعة على القيثارة ، ثم أخذت تنفي لهم أغنية نورية ، فبليت في نبراتها مسحة من الخشونة ، ولاح في صوته شيء من الجفاء ، وغلب على وجهها طابع الجود الحسى ، ورائت على الفرفة هدأة عميقة ، والسلك يصفون كأنهم تحت حلم ضريع لا سبيل إلى الخلاص منه . والحقيقة أنها كانت جلسة عمل للصديقين

ولما أقبل الليل وآوت أسترا إلى غندهما خلا كايثور إلى صديقيه يستطلع رأيهما ... أما كامبيرون فخاف أن يصدم صديقه وغنم بكلمات التهنة ، وأما آلان فقال :

من هزه وسخريه ؛ إلا أنه بعد ستة أشهر من ذلك جرت على السنة أصدقاؤه إشاعة مؤداها أن كايثور عثر على الفتاة التي رجعها في مقاطعة بروفنس ، وأحضرها معه إلى إنجلترا ... ثم تفرق أصدقاؤه بعد ذلك ، فصار كامبيرون إلى كينيا ورحل آلان إلى استراليا ، ثم انقضت سبع سنوات قبل أن يسمع أحدهما شيئاً عن كايثور ؛ ولكن شاء القدر أن يجتمعا به بعد هذا العمر الطويل فعادا إلى إنجلترا سوياً ، وما علم كايثور بذلك حتى كتب اليهما يسألها زيارته في سانت ماري بعد هذا الثياب الطويل ، ليجدوا عهد الشباب الزاهر ، وليستعيدوا ذكريات الماضي السعيد ؛ فلبيا طلبه وهما أشد ما يكونان شوقاً لرؤيته ، وتشوقاً لمعرفة ما صنعه طوال هذه الفترة

نلقتهما محته (أليس) على باب القصر في بشر وترحيب ، فلما دخلوا أخذوا يحوّلان بينهما في نواحيه ، ويرسلان بصرهما في أرجائه وأبوابه ليريا ما عساه قد جد ... ولكن كل شيء كان على ما هو عليه من قبل ، حتى الزهور الصناعية الموضوعة على المائدة كانت هي نفسها التي اعتادت والدة كايثور أن تضعها قبل موتها

ولما جلسوا إلى المائدة أثار دهشتها أنها ممددة ثلثة أشخاص ! إن هذا القمد الخامس يا ترى ؟ أهنالك ضيف ثالث ، ولماذا يتلفت كايثور حوله كأنما يتوقع حضور أحد ؟

وأخيراً بعد برهة من الحيرة والتساؤل وقع نظرها عليها وهي تهبط الدرج ... لقد كانت طويلة كشجرة الحور ، سوداء كظلام النافذة ، ضيقة المينيف يشع منهما برق خفيف ، بارزة الخدين صغيرة الأستنان من غير تناسق ولا توافق ... وبالجملة لم تكن انجليزية الحلقة — من أين أتى بها - يارى ؟ أى أسبانية ؟ أم هي من الشرق ؟

ولم يطق كايثور أكثر من ذلك ، فقطع النقاش واستدار مولياً وجهه شطر الباب ... لقد كان على وشك أن يمين موعد زواجه قبل أن يزوره صديقه .
حقاً إنه لم يتحدث استرا في هذا الشأن ، ولكنه يعلم جيداً أنهما تجاربه في رغبته . أما حمته (أليس) فقد رأى منها أنها لا تنظر إلى هذا الزواج بين الرضا وإن لم تصارحه بذلك . وأما أصدقائه فهم يمارضونه أشد المارضة . ماذا يفعل يا ترى ؟ جلس يفكر ويفكر على يستقر على رأى ، أو يثبت على عزمه ، ولكن بدون جدوى ... وبغاة أفاق من تفكيره المميط فقد وقع نظره على فتاة في الحديقة أثارته دهشته ... أبصرها خلال نافذة المكتبة وكانت عارية الرأس ، شقراء الشعر ، ذات ثوب أزرق قصير ، وראها تجمع ثمار التوت من الحديقة آمنة مطمئنة كأن ليس للحديقة من يملكها .
قام منهضاً ووزل إلى الحديقة مسرعاً ثم صاح بها :
— ماذا تسعين يا هذه ؟
ولكنها بدل أن تجفل منه كما كان يتوقع استدارت إليه في ثؤدة وقالت :
— أهذا أنت يا وخيل إليه أنه يعرف ذلك الوجه . وجعل يفكر أين رآه من قبل ... ولكنها قطعت عليه حبل تفكيره قائلة :
— إنك لم تحدثني عن هذا التوت اللذيذ ، لقد حدثتني فقط عن القصر والحديقة وعن النهر ، وأؤكد لك أنك لو حدثتني لأدعيت أنني بتيمة وصحبتك إلى هنا
— أهذه ... أهذه أنت يا سالى ؟
— لا تقل إنك لا تعرفني ، إن وجهك لم يتغير
— وأظن أن وجهك أيضاً لم يتغير كثيراً
— لقد كنت أفكر في زيارتك طوال هذه السنين ، أفكنت تفكر في ؟

— والله ما أدري أى شيء فيها أثار إعجابك
جملك تعلمها اليونانية واللاتينية و.... ثم أروف منها كمادة :

— لعلها كانت جميلة عندما عثر بها
وبدا الغضب في وجه كايثور ولكن آلان لم يعبأ به ومضى متابعاً كلامه :

— هل ... هل ستزوجها ؟ ... وأعقب ذلك فترة من الصمت ثم أجاب كايثور في تردد
— بالطبع هذه رغبتي منذ أنيت بها
— وهل هي تعلم ذلك ... أعنى هل فاتها في هذا الشأن ؟

— لقد شئت وهي تعلم ذلك ولم يبق إلا أن نحدد الموعد

— يا للخبيل وإذا كان كامبيرون قد خشي أن بدلي برأيه في أول الأمر فإن صراحة آلان مع كايثور شجعت على ذلك فتدخل في الحديث ، وظل النقاش قائماً بينهم إلى وقت متأخر من الليل

وفي صباح اليوم التالي كان الحزن بادياً على وجه كايثور . كان يشعر بأن آماله تحطمت وأن جهوده ذهبت أدراج الرياح ؛ ولم يمض طويلاً من الوقت حتى اصطدم بالآن للمرة الثانية ... فنار آلان قائلاً :

— إنها جافة الطباع ... وأظن أن الأفضل أن تتركها تمضي لسيلها . إن كل ما لفتته إياها لم يهذب من طابعها ... إنك تتعد أنك تحبها ، ولكن لا أظنك تحبها إلا كما يحب الفنان ما أبدعت يده

— إنك تهذى أيها الرجل ولا تفهم ما تتكلم عنه

— بل أفهمه كل الفهم ... إنك لا تعرف إلى الآن ما هي حقيقة الحب

- وأعقب ذلك فترة من الصمت . . . والحقيقة أنها لم تخطر على باله ؟ ولكنه لم يشأ أن يقول لها ذلك . فقال :
- بالطبع ياسالى . . . كنت أفكر أفيك . . . ولكن ما الذى جعلك تذكرين زياتى الآن ؟
- إننى لم أكن فى إنجلترا بعد أن تركت المدرسة
- وأين كنت إذن ؟
- فى الخارج . . . وقد راق لنا أنث تقوم برحلة هذا الصيف فى ربيع إنجلترا . . . فلما باعنا (لادلوا) مساء أمس وجدت قصر سانت مارى على الخريطة فقصدت توأ إلى هنا
- راق لنا ! . . . راق لمن ؟
- لوالدى ووالدى . . . إننى لست بتيمة بعد . . . أين النهر الذى حدثتني عنه ؟
- فقال مشيراً إلى ما وراء القصر ، فى هذه الجهة . . . أربعين فى رؤيته ؟
- أجل . . . أعطيت قبمتك فان الشمس شديدة الحرارة
- ففعل طائماً ؟ وسارت معه فى صمت . . . ورغم أنه لم يرها إلا مرة واحدة من قبل فقد كان يشعر بحوها مشوراً خفياً مخالفاً جد المخالفة لذلك الذى يشعر به نحو استرا . . . ولم يساوره مثل هذا الشعور من قبل إلا عند ما كان جالساً بجانب سالى فى حديقة المدرسة ، قال :
- ولكن حدثتني كيف قضيت هذه السنين الطويلة ؟
- فأخذت تسرد عليه مآزيره من البلدان ، وما طافت به من الممالك ، إلى أن قالت أخيراً — وماذا عنك ؟ . . . ألم تتزوج بعد ؟
- كلا . . . نعم نعم إننى . . . فقاطعته
- يحيل إلى أنك غير متأكد من ذلك
- إن الأمر لم ينته بعد . . . ولكنه فى حكم المنتهى
- ألم تخاطبها فى ذلك ؟
- كلا . . . أعنى نعم لقد . . . ولكنها قاطعته
- وهى تشير بيدها جهة اليمين :
- ما هذه البوابة الجميلة . . . دعنا نمر منها ولم يتكلم كايثور وهو يفتح لها البوابة ، ولكنها عادت تقول :
- يجب أن تحدثني عنها — أهي يتيمة ؟
- يلوح لى أنك شديد المطف على البتاي
- وجعل كايثور يتحدثها عن أسترا إلى أن قالت . . . أخيراً :
- وهل هى موافقة على هذا الزواج ؟
- بالطبع إنها موافقة عليه
- إذن لماذا لم ينته الأمر بعد ؟
- إن أصدقاى يمارضون فى ذلك
- إذن هذا هو السبب . . . ثم قالت وهى تنظر فى ساعتها :
- أظن أنه أن لى أن أعود . . . ودارا على عقبيهما وسارا تجاه الباب دون أن يلفظا أحدهما بكلمة واحدة ؛ وكانت سيارتها واقفة فى جانب الطريق ، وكان مظهرها يدل على أنها حقاً خاتمة أغنياء العالم ، قالت :
- لماذا لا تأتى لزيارتنا فى لادلوا
- وقبل أن يُقدّر كايثور معنى ما نطق به قال :
- الأفضل ألا أقبل . . . ولكنها قالت فى سرمة :
- إننا فى فندق « الثلاث ريشات »
- ثم انطلقت السيارة كالهم المارق . وهنا فقط

أدرك كايثور أنه نسي قبعته

جلست السيدة كرمجانات في فندق الثلاث ريشات تنتظر ابنتها في شيء من القلق ، فقد كانت تخاص عليها من قيادة السيارة بنفسها . وأخيراً هتفت في سرور :

— شكراً لله ... فقد رأيت سالى وهى مقبلة عليها من أعلى الدرج
— من أى مكان فى العالم أتيت بهذه القبعة يا سالى ؟

— إنها قبعته

— إذن لقد قابلته

— نعم لقد قابلته . وأخذت تقص على أمها كل شيء ، فقد كانت لا تحب عنها خبراً ثم قالت أخيراً :

— لاني أشعر بعيل غريب إليه . ولا أعلم لماذا علك على مشاعرى

— ولكن ما الفائدة ما دام سينزوج من هذه الفتاة التى تدعى ... ما اسمها ؟

— استرا ... ولكن لا يمكن أن أصدق ذلك ... لقد رأيتها فى الحقيقة قبل أن أقابله تحادث رجلاً ذا قبض أزرق وتمده بالزواج وقد عرفتها بعد ذلك من وصف كايثور ، أما الرجل فلم أتبين وجهه وفى صباح اليوم التالى ظهر كايثور فى فندق « الثلاث ريشات » ... لقد قال إنه جاء ليسترد قبعته .. وكان الحزن بادياً على وجهه . ولما سأله سالى عن السبب لم يحاول أن يكتمه عنها ... والحقيقة أنه كان فى حاجة إلى قلب يعطف عليه ... وقد وجدته فى سالى . قال لها فى حزن :

— لقد حطمت استرا اليوم كل ما بنيت

الآمال ... على رغم كل ما بذلته فى سبيل ثقيفها ، ورغم كل ما نصحت به فى سبيل إسمادها ، تريد اليوم أن تتزوج من رجل آخر يدعى توينج وبدأ فى تبرأه شيء من الألم الدفين ، ولاح فى صوته ما يخالجه من الحزن واليأس ، وظهر فى عينيه ما تكتمهما من الدموع ... إنه ليليدو ألماً حقاً أن يقضى حياته فى ثقيف فتاة وتهذيبها وإعدادها لتكون زوجة لرجل آخر ... أخذت سالى تسرى عنه وتخفف من وطأة حزنه ، ومن حدة ثورته ، ثم اقترحت أن يخرجوا فى نزهة قصيرة ولكن إلى أين يأتى ؟ ... قال كايثور :

— أشاهدت قلعة للدلاو الأثرية ؟

— أتعنى ذلك البناء القائم فى خارج المدينة ؟ حسن ... انتظرى حتى أحضر قبعتى ...

وخرجت سالى ولكنها لم تسرع بإحضار القبعة ؛ بل صعدت متباطئة وأخذت تلم أظافرها فى تكاسل ، ثم أبدلت ثوبها ، وأكملت خطابها لها ، وجلست صامئة ، وقد بدأ السرور فى عينها ... وأخيراً أقبلت عليها أمها تقول :

— إن صديقك فى انتظارك أكثر من ساعة يا سالى ... إنك قاسية فى معاملته

— ولكنى سأزوج به

— أحقاً ما تقولين ؟

ونظرت الأم إلى ابنتها فرأت الجواب فى عينها ، فضمتها إلى صدرها وقبلتها قبله حارة طويلة ... حقاً إن كايثور غير جدير بزواج خامسة أغنياء العالم ، ولكن أسرة كرميجان كانت من الديوقراطية بحيث لم تكن تبحث عن الجاه والمال ، بل كانت تبحث عن سمادة بناتها

أحمد نسي مرسى

مقدمة المؤلف :

لا بد للعدن
الكبيرة من مسارح ،
وللشعوب الفاسدة من
قصص . ولقد شاهدت
أخلاق عصرى ثم
قدمت هذه الرسائل
إلى النشر ؛ وليتنى
عشت في عصر تحملى
آدابه على أن أقدمها
إلى النار !

مجلد ١٠٠

أو

هيلويز انجبدية

ليان مارك روسو

بقلم أحمد حسن الزيات

أنت وصف الأمانة
قد ناله التحريف البالغ
في مواضع كثيرة ، إما
لأن الكاتب يريد أن
يخدع القارى ، وإما
لأن الواصف لا يعرف
أكثر من ذلك
ذلك كل ما أريد
أن أقوله ؛ ولكل
امرى أن يفهم الأمر
على ما يشاء

لم يوضع هذا الكتاب ليسير في الناس لأنه
لا يرضى إلا القليل منهم ؛ فالتأديبون من أهل الذوق
سينفرون من أسلوبه ؛ والترمثون من ذوى الوقار
سيغزءون من موضوعه ؛ والذين لا يمتقدون بالفضيلة
سيرون ما فيه من المواقف خارجا عن الطبيعة .
سيستخط البر والفاجر والفيلسوف ، وسيؤذى
شعور الفتاة اللعوب ، ويسوء كرامة المرأة الصالحة ؛
فليت شمعى من يرضى إذن ؟ لعله لا يرضى سوى ؛
ولكن المحقق أن السخط عليه لن يقف عند حدود الوسط
إذا امتنعت التبعة على قراءة هذه الرسائل فأدرك
بالصبر على ما تجد فيها من أخطاء اللغة ، وشقشة
الأسلوب ، ووضع الفكرة المطروقة في المباحة المنمقة .
قل لنفسك قبل أن تقرأ : إن الذين كتبوها لم يكونوا
فرنسيين ولا عبقريين ولا أكاديميين ولا فلاسفة ؛
وإنهم بين ريفي وأجنبي وأليف غزلة وحديث سن .
وكلامهم أشبه بالأطفال الذين تصور لهم خيالاتهم الشاعرة
أن من الفلسفة ما يهزون به من يرى الحديث
لم أخشى أن أجهر بما في نفسى ؟ إن هذا

أنا - وإن كنت أحل هنا لقب الناشر - قد
عملت بيدي في هذا الكتاب فلا أضرب نفسى
فيه . فهل صنعته كله ؟ وهل هذه الرسائل بأسرها
من نسج الخيال ؟ ماذا يهمكم من هذا أيها الناس ؟
إنها عنديكم ولا ريب حديث مغترى
كل امرئ حر الخلال يجب عليه أن يمتدح
بما ينشر من الكتب ؛ فأنا أضع اسمي على رأس
هذا الكتاب لا لأسجل ملكيته ، ولكن لأتحمل
تبعة . فإذا كان فيه شر فالى مرجعه وعلى إثمه ، وإن
كان فيه خير فلا أبتنى من ورائه شرقا ولا نباهة
إذا كان هذا الكتاب كتاب سوء فأنا مجبر
على استلحاقه والاعتراف به . ذلك لأنى لا أحب
أن أظهر في عيون الناس خيرا مما أنا عليه في الواقع
أما حقيقة الوقائع التى تدور عليها حوادث
القصة ، فأصرح بأنى ذهبت مرارا إلى بلد
الماشقين فلم يرد على سمى ذكرى للبارون ديتانج
ولا لابنته ، ولا للسادة : دى وروب ، والورد إدوار
بومستون ، ودى ولمار . كذلك أنه القارى إلى

الجبرم الأول

الرسالة الأولى

الى جوبيا

أشعر كل الشعور أن لا مناص يا أنسى من الحرب منك . ولقد كان من اللازم أن أنتظر أقل مما انتظرت ، أو بالحري كان ينبغي ألا أراك قط . ولكن ما العمل اليوم وكيف خلاص ؟ لقد وعدتني الصداقة ؛ فأنظري إلى اضطرابي ، وفكري في حقيقة ما بي ، ثم أشيري علي

تلمين أني لم أدخل بيتكم إلا عن دعوة من السيدة والدتك . علمت أني تقصت بعض مواهي

ثقافة محمودة ، قرأت من الفيد في بلد يعموز المملون أن تستخدم هذه الواهب في تربية ابنتها التي تميدها . وأنا بدوري قد زهاني أن أزين هذا الجمال الطبيعي البالغ ببعض الأزهار ، فجزوت على أن أتمهد بهذه العناية المحطرة دون أن أتسلف النظر إلى ما فيها من الخطر ، أو على الأقل دون أن أقف من خطرهما على حذر . لن أقول لك إنى بدأت أؤدى نحن جرأتى ؛ فاني أتمل ألا أذهل عن واجبي فأثقل عليك بمحدث لا يليق بسمك ولا يلتئم مع طبيعتك ، وأن أقصر عن الاحترام الذي يجب لخلقك وكالك ، أكثر مما يجب لهتك وجالك . أما إذا تأملت فمزاني على الأقل أني أنألم وحدي . لا أريد سعادة تتكلفها سمادتك

على أننى مع ذلك أراك كل يوم ، وأشعر أنك من غير قصد ولا فكر تضاعفين ألاماً لا تستطيعين أن تشتكها ، ولا ينبغي لك أن تعلمها من الحق أني أعلم الرأي الذي تحليه النطلة في مثل هذه الحال لا الأمل ؛ ولو استطعت أن أوفى

الكتاب على لهجته النوطية أقرب إلى نفع النساء من كتب الفلاسفة . بل لعله يفيد أولئك اللاتي لا زلن يحتفظن بأثارة من حب الصلاح والزهادة وهن يمين حياتهن المضطربة الملوثة . أما أثره في الفتيات فذلك أمر آخر ، إن الفتاة المغيبة لم تقرأ قصة قط ؛ ولقد وضعت لهذه القصة عنواناً ينبه القاريء وهو يفتحه إلى طبيعة الكتاب الذي يريد أن يقرأه . فالفتاة التي تجرؤ على أن تقرأ منه صفحة واحدة على الرغم من هذا العنوان هي فتاة خاسرة . وليس لها أن تمزق خمارتها إلى هذا الكتاب ، فإن الداء قد خاسرها من قبله . فن بدأت منهن القراءة فلتتهما ؛ فليس بعد ذلك في نفسها ما تحسره ، ولا في هذا الكتاب ما تحذره

إن الزاهد المتحدث إذا قرأ الجزء الأول من هذا الكتاب فامتعض ثم رماه وانفجر بالحق على فاشره ، لا أعيب إسرانه ولا أشكو ظله ؛ ولو كنت مكانه لما فعلت غير ذلك . ولكنه إذا قرأ كله ثم جرؤ بمدد ذلك أن يعدلني على نشره ، فليقل ذلك — إن شاء — لكل ذي سمع من الناس ما عداي ؛ فاني لا أستطيع أن أحمل نفسي على احترام مثل هذا الرجل

أذهبوا أيها الكرام الذين أحببت العيش ففهم وحدثت الخلاط بهم أنهم أيها الذين واسوني على سباب اللثام وشتائم الفجرة ! أذهبوا بعيداً فابحثوا عن أمثالك . فروا من المدن فتن مجدوم فيها . أذهبوا إلى الخلوات المتواضعة فأنسوا زوجين مخلصين تتونق بينهما وبينكم الآلة ، ورجلاً ساذجاً حساساً يجد في طبعه الليل لما أنتم عليه ، ومنزلاً عن الناس متبرما بالعالم يلومكم على أخطائكم وخطاياكم ثم يقول مع سذك في حنان وعطف : « هذه هي النفوس التي لا بد منها انفسى ! »

أنا أسلم بأن المرء يستطيع أن يتخلىك أروع
جمالاً من جمالك ، ولكن من المحال أن يتخلىك
أجدر بالحب وأخلق بالرجل الفاضل مما أنت عليه
أجرؤ أحياناً على أن أزمم وأزعم بأن الله
جعل بين حسينا وذوقنا وحميرنا مطابقة خفية .
فنحن ما تزال في زهرة الصبي ، فيقول الطبيعة فينا
لا تنفخ ، وأهواؤنا لا يبعد أن تنفخ

لقد رأينا قبل أن نكتسى الزى الوحيد العتيد
للعالم أن لنا طريقة واحدة في الحس والنظر ، فلم
لا أجرؤ على أن أنخيل أن ذلك الانسجام الذي أراه
بين أحكامنا هو بين قلبينا كذلك ؟ إن من نظراتنا
أحياناً ما يتلاقى ، وإن من زفراتنا ما يصمد فوق
واحد ، وإن من عبراتنا المواربة ...

آه يا جوليا ! لو أن هذا التوافق صادر عن
بيد .. لو أن الله سخر لنا .. جميع القوة البشرية ..
آه عفواً ! لقد سالت غشيت رغباتي آمالاً . إن
حرارة رغباتي أعات موضوعها الأماكن التي يموزه
إلى أبصر في خيفة ورعب ما يتأهب له قلبي
من العذاب والألم . لا أحاول أن أغلق ألى ، ولو كان
في وسي أن أكرهه لكرهته . احكمي على عواطف
إن كانت نقية أو مشوبة بنوع المغو الذي طلبته
منك . أغضى إذا سطعت منبع الدم الذي يحيني
وعيتي ، فلا أجنى غير أن أحيأ أو أن أموت
أنا أضرع إلى قسوتك كما يضرع عاشق
إلى رحتك

أجل لقد وعدت . وأقسم لأبذل الجهد الجهد
في استرجاع ما عذب من قلبي ، وترسيب هذا الرنق
الوليبد في قرارة نفسي . ولكن رحماك ! حولي
عنى هذه العين الوديمة التي تنع على الموت .
واستري عن عيني قسباتك وحركانك وهيتك
وذراعيك وبديك وشمرك الأشقر . اخذني غباوة

في هذه الفرصة بين الفطنة وبين الاعتبار المناسب
لحلت نفسي على اعتزاده ؛ ولكن كيف أجد الوجه
الوجيه لأن أترك بيتاً ربته هي نفسها التي فتحت
لي فناءه ، وأعدت على آلاءه ، ورأت في بعض
الفناء لأعز شيء عليها في العالم ؟ كيف أحرم
ذلك الأم الحنون سرورها بأن تنفج زوجها
ذات يوم بتقدمك في الدروس ، وهي إنما أخفت
عنه خبره لهذه الناية ؟ أبنيني أن أفارقها على هذا
الوجه . الرذول دون أن أقول لها شيئاً ؟ أيجب
أن أسرح لها بموضوع اعتزالي ؟ أليس في هذا
التصریح نفسه إهانة لها من رجل لا يميز له مقام
أسرته ولا طبيعة ثروته أن يعقد أسباب رجائه بك ؟
أما لا أرى يا آنسقى غير وسيلة واحدة للخروج

من المأزق الذي أنا فيه ؟ تلك الوسيلة هي أن ألد
التي أفتني فيه تنتشلي منه . ليأني من قبلك
العذاب كما يأتني الخطأ . فأشمرى قلبك الرحمة لي
واحظري على الوجود في حضرك . أطلي أهلك على
كتابي . أغلق بابك من دوني . اطرديني على الوجه
الذي تحبين ، فاني أحتمل كل شيء ولا أستطيع
من تلقاء نفسي الفرار منك

أنت ، تطرديني أنا ، أهرب منك !
ولماذا ؟ أمن الاجرام أن يكون المرء حساساً
بالفضل ، وأن يحب ما يجب على كل امرئ أن
يحبه ؟ لا يا جوليا ! إن جاذبيتك بهرت عيني ،
وما كانت لتزعج قلبي لولا الجاذبية الأقوى التي
تحسبها وتذكها ؟ تلك الجاذبية هي اجتماع
الحساسة القوية بالمذوبة الصافية ؛ هي ذلك الزمان
الحنون لآلام الناس ؛ هي ذلك الذهن المستقيم وذلك
الدوق السليم اللذان يستمدان نقادهما من نقاء
النفس ؛ هي على الجملة سحر المواقف ، وهو أقوى
من سحر الشخص ، وذلك ما أعبدته فيك

درس لولا فطنتك وحكمتك لما استطعت أن تنبئه .
كذلك هذا التفاوت الذي تتكلفينه في طبعك
ومظهرك ينقلب مضرة عليّ . عليك . إنك تؤذيني
بهذا الثقل ، ثم لا أستطيع أن أنصوّر الباعث
الذي يخرجك عما عهدت فيك من رصانة العقل .
هل لي أن أسألك لماذا تكونين لموباً مرجة في
الجمع ، ووقورة عتشة في الخلوة ؟ لقد كنت أرى
أن الأمر يجب أن يسير على النقيض ، وأناك لابد
تصورين قسأت وجهك على نسبة عدد الحضور ؟
ولكني أراك بدل أن تفعل ذلك تمايليني على حال
مطرده من التردد والاضطراب ، فتصطنعين الهجة
المتكلفة بيني وبينك ، والهمجة النبسطة بيننا وبين
الناس . ساوي بيني وبين غيري في حديثك
ووجهك ، فلي بذلك أكون أخف منك وأقل لومة
إذا كانت الرحمة الطبيعية التي أثار الله بها
النفوس النسبية الحرة تمطف قلبك على شقاء
هذا البائس الذي تظهرين له بعض التجلة ، فان بعض
التفكير في معاملتك إياه يخفف من ثقل مصابه ،
ويسينه على احتمال سمته وعذابه . وإذا كانت
حساسة صدره وحرّج أمره لا يلفغان موضع الرأفة
من نفسك فتريدن أن تتوسلي بالحق إلى إهلاكه ،
فانك تستطيعين أن تفعلين ولن تجعديه إلا سارراً
لا يشكو ، وساكناً لا يئن ؟ انه يؤثر أن يهلكه
أمرك ، على أن تهلكه فورة طائشة تجعله أنياً في
نظرك . وآخر القول إن لك أن تنحكي في أمري
وتتصرفي في مصيري . ولّي أن أقول إني واضح وجهي
المدر في أن أرتب في نفسي هذا الأمل الجريء ؟
وإذا قرأت هذه الرسالة فقد فعلت كل ما أريد أن
أطلبه منك ؟ على أنني لم أطلب شيئاً يجوز عليه
الرفض حتى أخشاه
(الزيات)

(ينبع)

نظراتي الرغبة . احبسي ذلك الصوت الآخاذ بالقلب
فلا يسمعه سامع حتى يتأثر . كوني مخلوقة أخرى
ليستطيع قلبي أن يقف إلى نفسه
أأقولها لك من غير مواربة ؟ إنك في الألاماب
التي يقتضيها فراغ الأمسية ، ترسلين نفسك أمام
جميع الناس على ألفعة شديدة الأثر على النفس ،
فلا تكونين مني أشد احتشاماً واحتياطاً منك مع
غيري . أقرب الأيام أمس ؟ كنت على وشك أن
تمنعني أن أهلك عقاباً على مخالفة النظام في اللعب ،
فقاومت مقاومة خفيفة ضعيفة ، ولكني لحسن
الحظ تماشيت أن أصر . ثم أدركت أن اضطرابي
الذي كان يزيد وزيد سيؤشفي بي على الحسارة
فأمسكت عن اللعب . أه لو كنت استطعت على
الأقل أن أستمع بهذه القبلة على هواي ! إذن
لكانت آخر أنفاسي ولت وأنا أسعد الناس !
فاشدتكم الله إلا ما تركت هذه الألاماب ،
فقد تكون لها عواقب وخيمة . كلا يا جوليا ، كل
إنسان له خطره . من الخطر الذي لا حيلة فيه إلى
الخطر الذي لا وزن له . إني اضطرب كلما لمست
يدي في اللعب يدك . ولا أدري كيف يتفق أن
ألقاهما دائماً ؟ فلم تكذ تقع على يدي حتى تستقاني
رعدة ويمتدني ذمول . إن اللعب يعني بالحي ،
أو بالحرى يصيبي بالهذيان ؟ فأنا لا أبصر ولا أشعر ،
وفي هذه اللحظة المحبولة لا أدري ماذا أقول
ولا كيف أقول ولا أين أخفي !
وفي ساعة القراءة أجد ضراً آخر : إذا رأيتك
لحظة من غير أمك أو أبنيتك عنك تكسرت معارف
وجهك فجاء ؟ ثم اتخذت هيئة الجذ واسطنمت
لهجة الفتور حتى يسلمني احتراي إليك ، وخوف
من عدم رضاك ، حضور البدنية وقوة الحكم ،
فأغتم في اضطراب ومشقة يبيض الكلاث من



يَوْمِيَّ نَائِبِي الْأَرْيَافِ

للأستاذ توفيق الحكيم

« لماذا أدون حياتي في يوميات ؟ ألاها حياة
هنيئة ؟ كلا ! إن صاحب الحياة الهنيئة لا يدونها ،
إنما يحياها . إنني أعيش مع الجرعة في أصفاد واحدة .
لأنها رفيق وزوجي أطالع وجهها في كل يوم ، ولا
أستطيع أن أسأدها على أفراد . هنا في هذه اليوميات
أملك الكلام عنها ، وعن نفسي ، وعن السمكات
جيباً . أيها الصمغيات التي لن تنفصم ! ما أنت إلا
نافذة مفتوحة أطلق منها هربتي في ساعات الضيق ! »

١١ أكتوبر سنة .

وأن القرار لم يسم لأني أردت أنا أن أنام . فنهضت
لوقتي وأشملت الصباح ، ودخل على خادمي يفرق
عينيه بيد ويقدم إلى الأخرى (إشارة تلفونية) ،
فأدנית الورقة من الضوء وقرأت : « الليلة : الساعة
٨ مساء ، بينما كان المدعو قمر الدولة علوان ماشياً على
الجسر بالقرب من « ديار » الناحية أطلق عليه عيار
ناري من زراعة قصب ، والفاعل مجهول ، وبسؤال
المصاب لم يعط منطلقاً وحالته سيئة ، لزم الاخطار »
« المدة »

فقلت في نفسي : لا بأس ، تلك حادثة بسيطة
تستغرق مني على الأكثر ساعتين ؛ فالضارب
مجهول ، والمضروب لا يتكلم ولا يثرثر ، والشهود
ولا ريب : الخفير النظامي الذي سمع صوت العيار
فذهب إليه خائفاً متباطئاً فلم يجد بالطبع أحداً في
انتظاره غير الجثة الطريجة ، والمدة الذي سيزعم
لي خالفاً بالطلاق أن الجاني ليس من أهل الناحية ،
ثم أهل الجني عليه الذين سيكتمون عني كل شيء .

أويت إلى فراشي البارحة مبكراً ؟ فلقد شعرت
بإلتهاب الحلق ، وهو مرض يزورني الآن من حين
إلى حين . فقصبت على رقبتى خرقه من الصوف ،
وعمرت بقطع من الجبن المتين مصائد الفيراث
الثلاث ، ونصبتها حول سريري كما تنصب الألقام
الواقية حول سفينة من سفن الصليب الأحمر ،
وأطفأت مصباح النفط وأغمضت عيني وأنا أسأل
الله أن ينم القرار البشرى في هذا « المركز » بضع
ساعات ، فلا تحدث جناية تستوجب قيامي ليلاً
وأنا على هذه الحال . فلم أكد أضغ رأسي على الحدة
حتى كنت حجرة ملق ، إلى أن حركني صوت
الخفير يضرب الباب ضرباً شديداً ، وينادي خادمي
صائحاً : « اصبح يادسوق ! » فعلمت أن جناية وقعت ،

« حياة رأس سعادة البك كان لابسه ... ». ولم أُرَ ضرورة لتحقيق في هذه المسألة ، فالأمر لا يخرج عن اثنتين : إما أن الخفير لا يعرف القميص من اللباس وهو شيء غير مستغرب ، وإما أن سعيد افندى قد عاد فخلع قميصه ونام من جديد ، وهو شيء أيضاً غير مستغرب . وما دمت أنا وحدي المسئول رسمياً عن التأخير ، فلا نفع إذن من صياح مع سعيد افندى غير تصديق رأسي ، وأنا أخرج الناس إلى الراحة الليلية ، وإلى توفير الجهد والكلام للفضيلة الحقيقية التي من أجلها تجشمت ما تجشمت . ولم يلبث الفتور أن دب في أعصابي ، فأسندت رأسي إلى ركن السيارة وقلت لمن معي : « محل الحادث على بعد ثلاثين كيلومترا ، فلا بأس من أن أنسى مسافة الطريق » وأغمضت عيني ، وتحركت سيارتنا وخلفها « البوكس فورد » وبه الكاتب والمأون والباشجاو وش والمساكر . وما كنا نخرج إلى الطريق الزراعية حتى سمعنا صوت غناء في جوف الليل ، فأخرج للمأون رأسه من النافذة في الحال وصاح : يا حضرة المأون ! نسيتا الشيخ عصفور . ووقفت القافلة ؛ وإذا الصوت يخرج وانحما من دغل « بوص » على حافة غيط !

... ورمش عين الحبيبة يفرش على فدان ...
فأسرع المأون منادياً : « اطلع يا شيخ عصفور . حادثة ! » فظهر ذلك الرجل العجيب الذي يهيم على وجهه بالليل والنهار ، لا يعرف النوم ، يفتي عين الأغنية ، ويلفظ كلمات ، ويلقي بتنبؤات ، يصني إليها الناس ؛ ذلك الرجل الذي لا يفرحه شيء مثل خروجه إلى الحوادث مع النيابة والبوليس ؛ فهو يسم عن بعد بوق « البوكس فورد » ويتبهمه

ليثاروا لأنفسهم بأيديهم . فسألت قدامى عن الساعة وكتبت في ذيل الورقة : « وردت الساعة الماثرة ، وقائون لضبط الواقعة » وقلت من فوزي إلى ثيابي فارتديتها على عجل كما يصنع رجال المطاوع ، وأرسلت في طلب كاتب التحقيق وسيارة النيابة ، وأوقدت من يوقظ مساعدتي الجديد وهو شاب رقيق الحاشية حديث عهد بالعمل ، كان قد أوصاني أن أستصحبه في الوقائع ليكتسب الخبرة والمران . ولم ألبث أن سمعت يياي بوق سيارة المركز « البوكس فورد » بها المأمور ومعاون الإدارة وبعض الجنود . فزلت إليهم فوجدت كل شيء قد أعد ولا ينقصنا الا كاتب التحقيق ، فلم أعجب . لأنني ما أبطأت يوماً في القيام إلى واقعة إلا كان السبب كاتب التحقيق ، في أي بلد كان ، وفي أي مركز . والتفت إلى الخفير وقلت : « أنت متأكد أنك ناديت سعيد افندى ؟ » فسمعت في الظلام صوت الحذاء الضخم يضرب الأرض ، ولحمت يداً ترتفع بالتحية العسكرية فوق (البلدة) الطويلة ذات الرقعة النحاسية ، وفما يتحرك تحت شارب أسود كبير كأنه ذنب القط : « لبس القميص قدامي يا سعادة البك ! » . ورأينا أن ننطلق بسياراتنا فتمر بمنزل الكاتب فنستصحبه . فركبت أنا ومساعدتي والمأمور سيارة النيابة حتى بلغنا منزلاً قديماً في طرف البلدة . فصاح الخفير وكان قد تعلق بسلم السيارة ليدلنا على الطريق : « إنزل يا سعيد افندى . » فأطل الكاتب من نافذة قصبة وهو في جلباب النوم : « حادثة ؟ » فصاح الخفير : « حادثة ضرب نار » . وما أشعر عندئذ إلا بيد المأمور قد خرجت من نافذة السيارة وزلت على قفا الخفير : « يا خفير يا ابن ... لبس القميص قدامك يا ابن الـ ... » .

وانتهت على وقوف السيارة بعد زمن ليس بالقصير ،
 ففتحت عيني فاذا نحن أمام رعة وإذا
 « المفدية » في انتظارنا لتنتقلنا إلى الضفة الأخرى . فزلنا
 جميعاً وامتلاً بنا القارب كأننا غرق في زورق النجاة ،
 أو « أزيار » من الفخار في مركب بالصعيد .
 وسارت بنا « المفدية » حتى بلغت الشاطئ الآخر
 ونحن لا نسمع في سكون الليل العميق غير سلاسلها
 تضرب الماء ، ولا نرى من حلك الظلام شيئاً . ولم
 تكذ تظاً أقدمنا البر حتى سمعنا صهيل خيل ؛ وإذا
 أمامنا « الركاب » من خيول « نقطة البوليس »
 وحمير العمدة ، مهيأة لملنا إلى مكان الحادث . وآه
 من الخيول ! لقد تقدم إلى أحد الجنود بجواد
 مطهم لإجلالاً لتدري . ورأيت هذا الحصان
 يتبختر ويفحص الأرض بحوافره ، ولا يصبر على
 الهدوء حتى أعتلى ظهره ، فقلت أنى لا محالة واقع
 على الأرض . ولطالما كنت أقع من فوق تلك
 الظهور اللابة التي لا يحكمها غير فارس بارع ،
 لا راكب تأم . ولطالما فضلت عليها الحبر الهادئة ؛
 غير أنى نظرت خلفي فاذا أكبر القافلة قد امتطوا
 الخيول ولم يبق الحبر إلا للأوباش ؛ ففجئت أن
 أنزل عن جوادى وأن أحاذى في المرتبة الشيخ
 عصفور ، وقد اعتلى حملاً أشهب وخزه بصولجانه
 الأخضر فانطلق به في ذيل الحياض . أسلمت أمرى
 لله ، وسرت في المقدمة قائداً مترنحاً من الخوف
 والتمب ، إلى أن غفر النوم بحفوفى فلم أشعر بشيء .
 ونجاة وجدت جسمي قد طار من فوق الجواد
 ووقع على عنقه ! فقد قفز الحصان في قناة ماء قفزة
 شديدة خلصتني من فوق ظهره خلاًماً . فقلت :
 « ما حسبناء لقيناه ! » وصحت بالخفير للبحق بركابي :
 « الحصان يا خفير الحصان ! » . فوقف الركب واختل

أينما ذهب كالكلب الذى يتبع سيده إلى الصيد .
 لماذا كل هذا ؟ طالما سألت نفسى : ألا يكون لهذا
 الرجل سر ؟ . ودنا الرجل من « البوكس » قائلاً
 في شبه احتجاج :

— كنتم طالعين من غيرى ... ؟

فأجابه الباشجاويش باسم :

— أبداً ! لو كنا نعرف عنوانك لبلغناك

الأشارة

فقال الرجل :

— طيب . هات سيجارة

فقمزه الباشجاويش سريعاً وقال له في صوت

خافض :

— اسكت ، يسمعك البك المأمور

فقال الشيخ عصفور :

— هات سيجارة يا حضرة الباشجاويش ،

لأنى أنا اللية « باشخرمان »

وصعد الرجل إلى « البوكس » فورد « كأنه

يصعد إلى « روكو رويس » بعد أن انزع من

الدغل عوداً أخضر حمله في يده كالصولجان .

وانطلقت السيارتان بين المزارع وقد نامت الطبيعة

وسكنت الأصوات ، إلا من نقيق الضفادع ، وهفيف

الحشرات ، وتفريد الشيخ عصفور المتصاعد من

جوف « البوكس » . وقد أغفيت أنا أيضاً إغفاءة

التي اعتدتها كلما ركبت إلى واقعة ، إغفاءة منقطعة

لا تمنى أحياناً من سماع ما يدور حولي من الكلام .

وكان مساعدي إلى يسارى متيقظاً يبدو عليه العجب

ويريد أن يسأل عن كل شيء فيمنعه الخوف من

إزعاجي ، فالتفت إلى المأمور بجواره ؛ وسرعان

ما اشتبك في حديث طويل لم أع منه شيئاً كثيراً ،

فهو وحده الذى أنامنى النوم العميق طول الطريق ،

النظام ، وأوسع المأمور رجاله شتيا وصفعا وأمرأ ونهيا . وأعادوني إلى ظهر جوادى وأنا أقول لأدارى خجلى : يظهر أن الحصان نام وهو ماش ، أو خاف من ثلج فائر فجح . على كل حال أمسك اللجام يا خفير . فأمسك خيران اللجام ومشيا بي رويدا رويدا ، مشية هادئة متزنة أعادت إلى نفسى هيجوعها ، فلم أصح إلا فى مكان الواقعة . وأبصرت ضوء المصابيح والمشاعل فى أبهى الأهالى المجتمعين حول المصاب . . . فطار التنب من رأسى كما نظير البوم من وكرها على الضوء المقرب . وأسرعت فى النزول من فوق صهوة الجواد وشقت طريقا بين الناس الذين هتفوا فى صوت خافت : « النبابة حضرت » . ودنوت من ذلك الجسم الممد على الأرض ، وحدقت فى ذلك الوجه العفرا والتراب والدم ، فملت أنه حقيقة لأن يتكلم . وقد وجدت ملاحظ « النقطة » غارقا لأذنيه فى بحر « محضره » التى سأضرب به عرض الحائط ؛ فالنبابة متى حضرت بحثت كل شئ من جديد . وإشرنا التحقيق مفتتحين بمحضر المايينة ، فأمسك الكاتب ورقة وقلمادنا منى فأملت عليه الديباجة المروفة : « نحن فلان وكيل النبابة ومعنا فلان كاتب التحقيق . الليلة الساعة كذا وردت إلينا الاشارة التليفونية رقم كذا ونصها كذا . وعليه قمنا بسيارة إلى ناحية كذا ، فبللناها ساعة افتتاح هذا المحضر الخ الخ . » ذلك أنى أحب دائما أن أعنى بتحرير « محضرى » وأن أجعله مرتباً ترتيباً منطقياً . والمحضر هو كل شئ فى نظر أولى الأمر : وهو وحده الشهادة الناطقة للنائب بالذقة والبراعة . أما ضبط الجاني فأمراً لا يسأل عنه أحد . ولى « الديباجة » وصف الأسابة والملابس والموضع الذى وجد فيه الجاني عليه

فما قصرنا . وأملت على الكاتب أوصاف ذلك الجرح النارى التى رأينا ثقبه التسع فى كتف المصاب . وقد حدث فىأرى من « حشار » بندقة أطلقت على بصد غير كبير ففتكت اللحم وأزفت الدم . وقد وصفنا الوجه غير وصف . وهو لرجل قارب الأربعين وسيم قسيم : تلك الوسامة الريفية بما فيها من رجولة وصحة وقوة . ولم يفتنا ذكر وشم المصفور المرسوم فى أعلى صدغه ، ولا لون شارب الضارب إلى الصفرة ، والثياب أحصيناه من « الدفية » والجلباب النزلى وكيس النقود الذى لم يمس ، إلى السروال « اليفته » الأبيض ذى التكة الحمراء . ثم ، لم ننس تكة اللباس ونوع نسيجها ، فإن ذكر التفاصيل دليل على الدقة والعناية . هكذا تعلمنا التحقيق كابر عن كار ؛ وأذكر أنى تركت ذات مرة جريحاً يعالج سكرات الموت ، وجعلت أصف سرواله وتكته و « بلفته » و « ليدته » ، فلما فرغت انحنيت على المصاب أسأله عن المتمدى عليه ، فإذا بالمصاب قد توفى . ولم ننس وصف المكان ، وهو طريق ضيق بين مزارع قصب على الجانبين . ولا يجب ، فإن لكل نوع من الزرع محصوله من الجرائم : فمع ارتفاع الثرة والقصب يبدأ موسم « القتل بالعمار » ، ومع اصفرار القمح والشعير يظهر الحريق « بالجاز والقوالج » ، ومع اخضرار القطن يكثر « القليلع والأثلاف » . واثنتان من الجورح المحتضر ، ولم يمد يدهما أمره بعد أن ملأنا « محضراً » بأوصافه ؛ فذكرناه فى دمه تحت رعاية ضابط « النقطة » حتى يأتى لحله إلى المستشفى رجال الأسف . وذهبتا إلى « دوار » العملة حيث كانت فى انتظارنا القهوة . وآه من قهوة « الممد » إلى أممها دائماً « الكلوروفرم » ؛ فما من مرة

— عيارين يا سعادة البك

— متأكد؟

— عيارين يا سعادة البك

هنا ثقل التحقيق وسحاحة الهمة . أفهم أنت يكذب التهم ، فهو حقه الطبيعي ؛ وما أطمع قط أن يصدّقني متهم . ولكن الشاهد ، ماذا يجمله على أن يلقى على وجه الحقيقة ككفًا من التشكيك والتناقض ، لوجه الله تعالى ... ؟

ومضى التحقيق في شباب مظلة لا أمل معها في الوصول إلى شيء . فما من أحد يعرف الجاني ؛ وما من أحد يتهم أحداً ؛ وما من أهل المضروب في هذا البلد غير أم مجوز مريضة كسيحة ضعيفة البصر لا تستطيع الكلام ، وغير زوجة ماتت منذ عامين وتركّت طفلاً صغيراً لا يصلح للوقوف أمامنا في موقف السؤال . وما من أحد بدلى بتعليل معقول أو غير معقول لهذا الحادث . وما من أحد يعرف أن بين النصاب وبين إنسان على وجه البسيطة عداوة أدت إلى ارتكاب الجريمة . أهبط إذن شيطان من الجحيم فأطلق على الرجل الميار ؟ لا أحد يدرى . لقد وجدت ما حسبت . إني منذ قرأت « الأشارة » أدركت أن القضية ميتة . وهل أستطيع أنا « بتحقيق » أن أبحث الحياة فيما لا حياة فيه ؟ إن لم يقبل على الشهود بالصدق ، وتعاونني الأهالي بالرغبة والاخلاص ، فأى « محضر » في الوجود يوصلني إلى التشرّف مرة بمعرفة جان من الجنّة ؟ وجاءت نوبة الممدة في الشهادة ، وحلف المئين وبدأنا نلقى تلك الأسئلة التي لا تقدم ولا تؤخر ... وإذا بتعطيل يملو من ركن الحجره وينطلي على التحقيق . فالتفت فإذا المأمور قد « كوع » على « الكنبه » ؛ ورأى الممدة بهذه الالتفاتة منى ، فاستأذنى وأتمه إلى

إلا أحدثت عندي عكس المقصود من شربها ؛ ولست أدري العلة ؛ غير أنني سمعت ذات ليلة عمدة من هؤلاء الممد يصيح في تابعه أمامنا : « هات يا ولد قهوة بن » ، ولم أفهم وتقدّك معنى لأضافة لفظ « البن » إلى « القهوة » . أترى النص على البن « صراحة » جاء من قبيل التأكيد ، أم على سبيل التشريف والتكريم ؟ لست أعلم . إنما ألقى علمته يومئذ واستوتقت منه أن هذا « اللفظ » الأخير وإن دخل في تركيب الجملة ، لم يدخل في تركيب القهوة . وجلسنا في « النظرة » على فرش من قטיפنة ذهب وبرها ولونها ؛ ووضع الكاتب أوراقه على خوان أعرج ، تملوه رخامة مكسورة ، ونشر المحضر « تحت » مصباح كبير له دوى وطنين قد جمع حوله هوام الليل ؛ وصحت : أطلب الشهود . فصباح المأمور لصياح : « اجمع الشهود يا حضرة المعاون » . وارتعى على مقعد رحب في ركن الحجره ارتدأه أدركت معها أن ليس بعدها غير نعاس وغطيط . وجلس مساعدي على مقربة منى يرمق ما يجري بيمين قاترة ثم عن كسل بدأ يداعبها مداعبة النسيم للأوراق . وجاءوني بالغفير النفاث الذي سمع صوت الميار وهرع إلى مكان الجريمة أول من هرع . فلم ينجب ظني في شيء إلا في قوله إنه سمع عيارين ، مع أن الوارد في « الأشارة » عيار واحد ، والأصابع ثمن عيار واحد ، وأقوال المحاضرين متفقة على أنه لم يدنو في القرية سوى عيار واحد . لاحظ هذا الرجل من الكنبه ؟ لست أدري . وتركنا جوهر القضية وانصرفنا إلى مسألة الميار والميارين . فسألنا الجميع من جديد فأجابوا مجمين : عيار واحد يا سعادة البك — سمعت يا خفير ...

المأمور وأيقظه في لطف :

— يا شيخ عصفور :

فبرز رأس الرجل العجيب من خلف كرسى من القش بركن مظل من أركان القاعة ونهض بصولجانه الأخضر كأنه يقول : « لييك »

— رأيك يا شيخ عصفور ؟

فلم أطق صبرا . ما كان ينقصنا حقاً إلا أن نستشير المتوهين في قضايا الجنائيات ! فنظرت إلى المأمور نظرة ذات معنى ، فاقترب منى وقال :

— الشيخ عصفور كله بركة . مرة دلنا على بندقية متهم مدفونة في قاع التربة !

— يا حضرة المأمور بدلا من سؤال الشيخ عصفور والشيخ طرطور كلف خاطرك وانتقل مع الماوان والمساكر وفتشوا دور الشتيه فيهم من الأهالي

فصاح المأمور :

— يا حضرة الماوان !

فأقبل الماوان من خارج الحجره وقد سمع قولى ، وقدم إلى رئيسه « محضر تفتيش من قسيمة واحدة » :

— أجريننا التفتيش يا فندم !

فلم ينظر فيه المأمور ونالوى إليه ، فخرت بعصرى على الكلام الطويل المريض وأنهيت إلى المارة المألوفة : « ... ولم نمر على شيء من الأسلحة أو الممنوعات . »

فأشرت في ذيل الزقوة : « برقي بالحضر » ، ووضعت رأسى في كفى أفكر فيها ببنى عمله في هذه القضية ، وفيمن ينبغي سؤالهم حتى نكمل محضرا عشرين صفحة على الأقل . ذلك أنى ما زلت أذكر كلمة رئيس النيابة يوما لى وقد تناول محضرا فى عشر صفحات :

— تفضل يا بك على السرير في القاعة

وقاده في أدب ولطف إلى حجره أخرى داخلية . ثم عاد أمامى يدلى بما عنده من أقوال رشيمة « تجارية » قد دمغت بطابع الوظيفة ؛ ألفاظها وعباراتها تكاد لا تتغير بين عمدة وآخر . وهى على كل حال لا تنفع ولا تضر ، وتلقى على نار الحادث بردا وسلاما . ولم يكد حضرة الممدة يقع بامضائه الذى يضاهى نيش الدجاج تحت أنواله ، ويتنحى عن موقف الشهادة ، حتى فتح باب الحجره الداخلية وظهر المأمور وهو يحك جسمه بأظافره ويلتقط بأصابعه أشياء على ملابسه ينفضها عنه ، وهو يرغى ويريد :

— سريرا أعود بالله ! انت عمدة أنت ... ؟

فملت ما حدث بالتمام . وفتحكت في نفسى . وتظاهرت بالإنهماك في عملى فلم أرفع وجهى عن الأوراق . وجلس للمأمور في مقعده جلسة من قد ذهب النوم من عينيه ذهابا لا رجعة له تلك الليلة . ولم يلبث أن صاح في الممدة :

— هات قهوة والسلام . اعملها موزونة وحياة

عينيك

ثم وجه إلى الكلام كأنه يريد أن يسلى بهره :

— القضية على الحبل ؟

وهو يرى بهذا الاصطلاح إلى استطلاع حال القضية ، ومدى نجاحها النجاح الذى يؤهلها للذهاب برأس المتهم إلى المشقة . فأجبتة في صوت غير مرتفع دون أن أنظر إليه وكأني أخطب نفسى :

— القضية على السرير !

ولجأة نهض المأمور عن مكانه كأنما قد تذكر مفتاح البر وصاح :

فأجلب في براءة الطفل وسذاجة الأبله :

— الولد في حضن البنت !

— أى بنت ؟

— البنت ، أخت المرحومة امرأته

— بنت كبيرة ؟

— « عيلة »

فنظرت إلى الماوان وأمرته أن يحضر هذه البنت في الحال . ولم يمض قليل حتى بدت غادة في السادسة عشرة من عمرها ، لم تر عيني منذ وجودي في الريف أجل منها وجهاً ولا أرشقي قدا ؛ وقفت بعتبة الباب في لباسها الأسود الطويل كأنها دمية من الأبتوس طعمت في موضع الوجه بالماج . وقال لها العمدة مشجعاً :

— ادخلي يا « عروسه »

فتقدمت في حياء ، واضطربت خطواتها ، إذ لم تعرف بين يدي من من الجالسين يجب عليها الوقوف . فوجهها العمدة إلى فوقفت في وجهي ورفعت إلى رمشين ... ولأول مرة يرتج على في « التحقيق » فلم أدر كيف أسأله . . . ولم يرهما الكاتب ، فقد كان موقفها خلف ظهره . فلما لحظ سمعي ظن في تعباً ، فممس القلم في الدواة ورفع رأسه إليها وهو يسألها :

— اسمك يا بنت ... ؟

لما إن وقع بصره عليها حتى حملني فيها ولم يعد إلى الورق . ونظرت حولى فوجدت مساعدي الناعس قد أفاق ونشط وأخذ يرمق الصبية بعينه الواسعتين ؛ وقلقت بصرى إلى المأمور فلذا به الساعة في غير حاجة إلى قهوة ولا إلى بن ؛ وزحف الشيخ عصفور حتى بلغ موطن قدي فأفهي كالكلاب ينظر إلى الفلاحة الحسنة فأغرا فاه . حقاً إن للجلال

« مخالفة ؟ جنحة ؟ » فلما أخبرته أنها قضية

قتل صاح دهباً : « قضية قتل تحقق في عشر صفحات فقط ؟ قتل ! قتل رجل ! قتل نفس آدمية في عشر صفحات ؟ ! » فلما قلت له : « وإذا ضبطنا الجاني بهذه الصفحات القليلة » لم يعبأ بقولي ومضى وزن المحضر في ميزان كفه الدقيق : « من يصدق أن هذا محضر قتل رجل ؟ ! » فقلت له على الفور : « إن شاء الله في المرة القادمة نراعي الوزن ! »

مر بخاطري كل هذا وأنا مطرق صامت ...

وإذا صوت الشيخ المتوه يرتفع في القاعة منشداً :

« قتش عن النسوان ،

تعرف سبب الاحزان ،

ورمش عين الحبيبة ،

يفرش على فدان ... »

لم أغضب على الشيخ الذي آمن حمة التحقيق بهذا النناء ، ولم أطرده خارج القاعة ، ولكني تفكرت قليلاً في منزى كلامه لو أن له منزى ينفعني . . . كل ما يجوز الالتفات إليه ككلمة « النسوان » ، والتفتيش لا عن المشبهين بل عن النسوان . أى نسوان ؟ لاني لم أر قضية خلت من النسوان مثل قضيتنا هذه . فالضروب يعيش وحيداً بعد أن ماتت زوجته ، ولا أحد معه غير أم عجوز كسحاء لا يبنني أن تحسب في النساء . لا ريب أن هذا المصفور لا يقل ما يقول . هذا الشيخ الأخضر من فصيلة البناء لا شك ، يردد الألفاظ والأغاني دون أن يعنى بها شيئاً من الأشياء . لكن مهلاً ! إن المجنى عليه طفلاً .. فهل تلك الأم المتغربة المريضة هي التي تمنى بشائه ؟ « تمال يا عمدة ... » وألقيت على العمدة هذا السؤال :

والطلاب ؟ أهو غلو منه في الحرص على هئانها ؟ أهو لا يجد الزوج الكفء ؟ إنها لا تعلم حقيقة سره . وإنها تريد أن تعلم . وإن هذا ما يحيرها أحياناً ، وما ييكها . إنها تريد أن تعلم . تعلم ماذا ؟ ... لا شيء . لا تستطيع التعبير ... إن التعبير هبة لا يملكها كل الناس

وبعد فالتعبير يستوجب العلم بحقيقة الشعور الرابض في أعماق النفس ... وهذه الفتاة فيما تخيل إلى ذات نفس كدغل « البوص والقصب » لا يصل إلى قاعها من الضوء غير قطع كالدناير تتراقص في ظلام القاع كلما تبايل القصب ...

على أى حال قد بدأت قطع من الضوء تتساقط أيضاً بين سطور « المحضر » ، وبدأنا نضع أيدينا على عصب نابض من أعصاب القضية ، وحممت أن أطلب فتجاناً آخر من القهوة وقد طاب المجلس وحلا التحقيق . وإذا الماوان يسأل ملاحظ النقطة وقد ظهر الباب :

— أحضر الأسعاف ونقل المصروب ؟

— من زمان !

فأدرت الصببية كل شيء ، فانطلقت من فمها صيحة كتمتها في الحال خجلاً منا ؟ غير أنني ما شككت في أن لها دواً وانفجاراً داخل نفسها . وأردت أن أمضي في عملي لما وجدت أمامي غير فتاة يجيئني بكلام أثير لا شبع فيه ولا غنى . ورأيت أن أرجى التحقيق . فقلت :

— استريحى يارم ...

ونظرت إلى المأمور :

— الأحسن أن نكمل التحقيق الصبح

فاشار إلى النافذة ، فإذا النهار يدخل منها متلصصاً ، وقد خدعني عنه الصباح المضيء .

لهيبة ... ورأيت أن أملك سريعاً ناصية نفسي قبل أن ينكشف الأمر ، فقلت لاصاحبة الجال وأنا أكبج عيني حتى لا أنظر إليها :

— اسمك ؟

— ريم

لفظته في صوت ... هز نفسي كما تهز الور أنامل رقيقة ، لما شككت في أن صوتي سيتهديج . إن أقيت عليها سؤالاً آخر ، فتريت ؛ وبدت لي دقة الموقف وأيقنت ببطء التحقيق إذا قدر لي أن أفك كالدأخ بين السؤال والسؤال . فاستجمعت ما بقى عندي من شتات القوة والمزم وهيئمت بأسئلة لا أنتظر الجواب عنها إلا جملة ، وقلت لها تكلمى في كل هذا ... ولبت أنظر ، فلمت منها المحب العجاف ! إنها حتى الآن لا تعلم ما جرى للمجنى عليه ! فقد أيقظوها من النوم الساعة وجاءوا بها أمامى دون أن يذكروا لها شيئاً ؛ ولم أشأ أن أخبرها الآن بما وقع وقد آنت منها أشياء لا يدركها إلا مجرد الأحساس ...

سألها : ألم يخطبها خاطب ؟ فكان الجواب : بلى ؛ آخر من تقدم إليها حتى جميل لم ترفضه ، ولكن زوج أختها وهو في مقام ولها تردد في القبول كما تردد دائماً في قبول الأيدي الكثيرة التي ارتفعت تدومها كما ترتفع أيدي المؤمنين باللهاء ! ... « أو محقدين عليه من أجل هذا ؟ » . فكان الجواب كذلك ؛ لا ، قالتها في نبرة حارة ؛ حرارة خاصة أدركتها كذلك بإحساسى . « وهل كان بينك وبين الفتى الخطيب اتصال ؟ » . نعم لقد اجتمعنا أمام الدار مرتين في لقاء برى . وقد علم أنها لا تكرهه زوجاً ، ولكنها تكره مخالفة ولها . وذلك الولي ما غابته من رد الخطيبين

ثم سمعت المأمور يتنهر المتوء قائلاً له : « افطن لنفسك . صاحبك خرقت في الرياح من سنتين ... » ولم يكن في عقلي وقتئذ غير صورة الفتاة في إطارها الأسود وصرها التي لم أنفذ إليه بعد . إن سرها هو سر القضية . وإني لتدفعني إلى استجلاء الأمر رغبة لا شأن لها بالعمل . إنني أيضاً أريد أن أعلم . وسارت القافلة حتى بلغت مصرفاً متمسكاً عميقاً زاحراً بالماء ، ركبت عليه خشبة من جذوع النخل في عرض النزاع . وأراد الخفير أن يدفع في مجز حصاني ليجتاز بي المصرف على هذه الخشبة التي في ضيق الصراط فانتبهت وسحت :

— أنت مجنون يا خفير ... أمرت من هنا أنا والحصان ؟

فبنت على وجه الرجل دهشة :
— سبق لك بإسعاد (البك) المرور من هنا بالليل أنت والحصان

فنفرت إلى الخشبة في شبه رعب :
— أنا ؟ عديت بالليل المصرف من هنا على هذه الخشبة ؟ وكنت وقتها فوق الحصان ؟ مستحيل !
— الطريق واسع يا بك والحصان عاقل ...
ولم أرد أن أصنى إلى كلام الخفير أكثر من ذلك . فإذا كانت هذه الخشبة طريقاً متمسكاً في نظر هذا الرجل فهو من غير شك سيجتاز الصراط في الآخرة راكباً جملاً . أما عقل الحصان فإن ضمنه هو ، وهو ليس راكبه ، فما يحملني أنا الراكب على هذه الضامة الخطرة ؟ وأسعرت فترلت إلى الأرض واجترأت المصرف ماشية على قدمي فوق الخشبة ، معتدداً على عصاي ...

(يتبع)
توفيق الحكيم

فاستويت على قدمي إذ ذكرت للفور أن جلسة الجليح اليوم ، وقد فاتني أن أدبر الأمر من الليل حتى يخلفني فيها نائب من الزملاء ؛ فلا مغر لي إذن من العودة العاجلة حتى أحضر الجلسة في اليماد .
— يا حضرة العساوون ! هات البنت في « البوكس » ...

وأقلنا المحضر على أن نستأنف التحقيق بعد الجلسة في دار النيابة . وقتنا إلى « الركائب » فامتطيناها عابدين .. والشيوخ عصفور خلفنا يصيح ويلوح بموده الأخضر في حركات التائر المحتاج :
— هي بعينها !
والمأمور يجهجه :
— اعقل ... !

— هي بعينها ، برمشها .. عرقها ، برمشها .
— اعقل يا شيخ عصفور ، وافطن لنفسك ، تقع من فوق الجحش !
ودب التنب في أعضائي فأنحيت على ظهر الحصان ، ولكن نسيم الصباح الرطب كان يضرب وجهي ضربات خفيفة كأنها لطات مروحاة في يد ماجة ظريفة ، فلم أقفد نشاطي وطفقت أفكر ، وإذا غناء المصفور يرتفع بفتة شديدة كأنه شيء قد انجلى مع قلبه :
— ورمش عنينا يفرش ..

ولم أسمع البقية ، بل سمعت شيئاً سقط على الأرض فالتفتنا فألفينا الشيخ عصفور بأطواره على الأرض قد فرش ... فوقتنا . وأسرع إليه الخفراء فخلوه إلى حمارة ، فاستوى عليه وهو ينفض عن جسمه التراب صائحاً مستأنفاً :
— ... على فدان ..

.. وسمعت المأمور ومساعدى يضحكان ضحكاً صافياً .



من عمّاق النفوس



اعتراف في العصر

لألفريد موسى

بقلم الأستاذ فليكس فارس

تمريض

منيت في شرح الصبا بلمة نقيمة تروعت لها
ثلاثة أعوام ، وهانذا أسرد ما تحملته منها
ولو أنني كنت للصاب وحدي بهذه الملة .
لاخترت كتبها ، ولكن الكثيرين يشكون الداء
الذي أشكو . فالي هؤلاء أوجه رسالتي ، وسواء
استوقفهم بياني أو صرخوا به غافلين ، فان هذا البيان
سينبش ما أطبقت التوائب عليه من كاي ينش
التعلب رجله ليتركها للفخ وينجو بنفسه

الفصل الثاني

في إبان الحروب الامبراطورية ، بينا كان الآباء
والاخوة في بلاد الألمان ، قذفت الأنهار المضطربات
هذا الوجود بسلاية شاحبة عنيفة مستمرة الأحشاء ،
تلك سلاية تمحضت الحياة بها بين معركتين ،
وريت في المدارس على دوى الطبول ، فسكان إذ
ذاك ألوف من الأولاد يجدج بعضهم البعض الآخر

في مثل هذه السنة منذ قرن كامل كتب ألفريد
دى موسيه الأديب الخالد كتابه (اعتراف في
العصر) ليصف الأدواء التي استعجت بأبناء جيله
بعد أن اجتاحت أوروبا بأسرها أعاصير الحروب ،
ووقفت على أطلال عالم مندثر شبيهة بصوت أمالها
وترزعج ليعانها

ولقد رغب الى الأستاذ الكبير أحمد حسن الزيات
صاحب الرسالة التي تترأفى الفرقى الرقني بالحكمة ،
وصاحب الرواية التي يتخار لها من الأدب العالي أصفاه
مورداً لتثقيف الواطف الحائرة في النشر الجديد ، أن
أترجم هذه التحفة الأدبية الخالدة ؟ فنزلت عند رأيه
لأنه صادف هوى في نفسي ، إذ أنني أرى ما يراه الأستاذ
الكبير من أن اعتراف في العصر هو خير ما يمدى
للشبية العربية الواقعة على أطلال حضارتها القديمة
منظومة الى مستقبل مجهول حائرة بين تنكاراتها وآمالها .

من الاسكندرية فليكس فارس

الجميع الأول

الفصل الأول

لا يدون تاريخ حياة من لم يمتل الحياة ،
فما أكتبه ليس تاريخاً لحياي

وكان أبناء ذلك العصر ينشقون الحياة تحت تلك السماء الصافية الأديم حيث لمت الأجداد وتموجت الأنوار منمكة على القواذ ، ومجاهات تلك الشبية أنها مدة للجبار ، ولكنها كانت تمتد أن (مورات) أرفع من أن يناله الموت ، وكانت رأيت أن الامبراطور يمر بين كرات المدافع ويقطع أحد المبار هازماً بنفثات البنادق فداخلها الشك في انسانيته وحسبته من أبناء الخلود

وما كان ملك الموت ليلقي القدر في روع هذه الشبية وهو منشج برداء البهاء والجلال تصاعد منه أجنحة النجيم كأنه بشير الأمل لا نذير الفناء وكأنه ، وقد حصد بمنجله حقولاً من السنابل الخضراء ، استمد منها الفتوة فلاح غض الأهاب ناضر الشباب

لقد أصبحت الشيخوخة وهما من الأوهام ، واستحالت المهود كما استحالت التنوش أيضاً دروما غفلت فرنسا ممن يدب على أرضها من الماجزين فلم يبق على تلك الأرض إلا أنصاف آلهة أو أشلاء أموات

وقف يوما هذا الامبراطور الذي حسبه الناس خالداً على آكة أشرف منها على سبعة شعوب تتناحر ، وما كان يدرى أينعت حكمه إلى آخر العالم أم يقف عند نصف العالم ، قر به عزرائيل وباسة من طرف جناحه دفع به إلى عباب الأوقيانوس الفسيح

وبلغ دوى سقوطه آذان الدول المنطرفة على أسرة الاحتضار فجلست تقاوم أوجاعها ومدد المورك راحتهم للتخلص فاقسموا أوروبا ، واتخذوا من وشاح القيصر حرقعات يستترون بها

شرداً وهم يعمنون على القوة عضلاتهم الضعيفة . وكان الآباء الملطخون بالدماء يلوحون للأبناء من حين إلى حين فيرففونهم لحظة إلى صدورهم الحلاة بالذهب ثم يتركونهم إلى الأرض ، ويمودون إلى صهوات الجياد

ولم يكن في فرنسا غير رجل واحد يتمتع بالحياة ، أما الباقيون فكانوا يجهدون أن يعلوا صدورهم من الهواء الذي كان ينشق ذلك الرجل ثم يزفر به إلى الناس ؛ وكانت البلاد تقدم له كل سنة ثمانية ألف من شبانها جزية فرضت للقيصر ليمتكن وهو يجربها كالساعة ورايه من بلوغ الأجداد التي يطمح إليها ، بل ذلك هو الركب الذي كان يحتاج إليه ليحتاز الدنيا متجهاً إلى الوادي الحخير حيث تراه على جزيرة قفراء تحت أغصان الصفصاف الباكي

وما حرت في التاريخ ليالٍ ساعدة كالليالي التي حرت في عهد هذا الرجل ، وما شوهدي في أي زمن من الأزمان مثل هذا المدد الفغير من الأمهات ينتعجن متفجعات باكيات على الأسوار والحصون ؛ وما أصنى الناس برهبة إلى من يتحدثون عن الموت إصفاءهم في تلك الأزمان ، ومع ذلك لم يشهد التاريخ مثل ما تجلى في ذلك العهد من سرور ومن قوة حياة ، وما أوقدت موسيقى الحروب من حماس في كل القلوب ؛ وما لمت في فرنسا شمس كتلك الشمس التي جففت على الأرض أنهاراً من الدماء ؛ وكان الناس يصفونها بشموس أوبسترلتر ويمتقدون أن الله أعانها بشرقها لخدمة ذلك الرجل ؛ غير أنه هو كان يطلقها من أفواه مدافنه المرعدة فلا تنمقد من نيرانها النجوم إلا في اليوم التالي لمباركة .

الحروب للحروب ، وراودت أحلامهم طوال خمس عشرة سنة تلوج موسكو وفمس الأهرام . وما كانوا خرجوا من مدائنهم ، ولكن قيل لهم إن أبواب كل من هذه المدائن تقود الى عاصمة من عواصم أوروبا . لقد كان العالم بأسره مأثلاً في خيال تلك الشبيبة ، ولكنها كانت تجنل أبصارها على الأرض والسماء والطرق فقرأها كلها مقفرة خالية ، ولا تسمع إلا رنين أجراس الكنائس تفرع الهواء من بريد

واجتازت الحقول أشباح ناحلة تتخطر على

مهل ساحة أردانها السود

وطرقت الأشباح أبواباً أخرى لتبرز للسكان أروافاً أخفها الزمان ، وتأمرهم بأخلاء منازلهم .

وانفجرت الحدود الثقلة عن رھط المهاجرين

الذين هرعوا الى فرنسا ولم تزل على وجوههم آثار

ما تزل بهم من الخوف منذ عشرين سنة . وساد

الصخب وعلا الضجيج ، فدهش العالم لمحنة واحدة

تستجلب مثل هذا العدد الفغير من الغربان

وجلس ملك فرنسا على عرشه وهو يقاب

نظره في رياش قصره خشية أن يكون قد بقي

عليها أثر من شارات الأجداد البائدة ، فتألب حوله

رھط المائتين بعد بعضهم يد الاستجداء فينهجمهم

بالسار ويقدم البعض الآخر له سلباً فينهجى مقبلاً

هذا الصليب

وناجاه البعض بالديج والاطراء فأشار الى مثل

هؤلاء بالذهاب الى القاعة الكبرى حيث تشكفل

للأسداء بأذاعة عجد الملك العظيم ... وزحف

آخرون عند أقدام العرش عارضين ما أخلق الزمان

من أردبيهم وقد تزعوا عنها شارات العهد البائد ،

يواصل المسافر السير بالسرى ويقتم الحر والقر ووجهته مقر عياله دون أن يشعر بثقل السهد أو يبالي بما يحدث به من أخطار إلى أن يستقر بين أهله ويجلس أمام الموقد ؟ حينئذ يحل عليه التعب فلا يجد في عضلاته من القوة ما يستعين به على الزحف إلى مرقداه ، وما كانت فرنسا حينذاك إلا مثل هذا المسافر حين مات قيصراً فتملأت ، شمعت لجأة بما أئتمها من جراح ، فسقطت لآتى واستفرقت في نومها حتى حسبها ملكها الشيوخ ميتة فطرحوا عليها الأكفان البيضاء

ورجع الجيش القديم فالولاً أرقها المياء وملا المشيب مفارقتها ، فعادت الأنوار تشع حزينة في باحات القصور المقفرة

حينئذ أقبل رجال الامبراطورية الذين جاؤا

الأفطار وماؤوها دماً على نسائهم الشاحيات ،

ويقولون متحدثين عن الفرام القديم ، وتحولوا إلى

مياه الندران ينظرون فيها الى وجوههم وقدخذوها

المرم فتذكروا أبناءهم وهم يقتربون الى الحين الذي

يذكر الانسان فيه من يعض له أجنافه

وخرج الأبناء من المدارس ، وإذ لم يجدوا

لا سيوفا ولا دروما ولا فرسانا ، أجالوا الطرف

مفتشين عن آباءهم ، فقيل لهم إن الحرب قد انقضى

عهدا ، لأن القيصر قد مات ، وأن صورتي ولكنكن

وبلوخر مملكتان على جدران السفارات ، وقد كُتب

نحت كل منهما : (نَحْصَ الصَّام)

في ذلك الحين ربضت على أطلال العالم القديم

شبيبة تنازعها المجوم

وكان كل هؤلاء الشبان تقط من الدماء المحرقة

التي غمرت وجه الأرض . ولجوا في أحضان

الصحريه ، ولكنهم شاهدوا وهم عائدون إلى مساكنهم ثلاث جثث لثلاثة شبان تجرأوا على التلطف بكلمة الحرية ؛ فرت على الشفاء ابتسامة ملؤها الأمل

وارتقى النابر بعد ذلك خطباء آخرون فتكلموا عن مساوى الحروب وأخطار الانتفاض ، وأفاضوا بذكر الطامع وتكاليفها قائلين إن الحروب مذابح والمبارك مجازر . وتكلموا تكراراً وتكلموا طويلاً حتى تمرت النفوس من أمانها كما تمرى أشجار الخريف من أوراقها ، فكان السامعون يمدون أيديهم إلى جباههم يتلصسونها كما يتلصص المحموم موضع شعوره وهو يفتق من غيبوبته

وقال البعض لقد سقط الامبراطور لأنه أرهق الشعب ، وقال آخرون - إن الشعب أراد الملكية بل الحرية ، بل سيادة العقل ، بل سيادة الدين ، بل الدستور الإنكليزي ، بل الحكم المطلق . فارتفع بين هؤلاء الفترزين صوت قاتل - لا ، لم يرد الشعب شيئاً ، إن ما أرادته الشعب هو أن يرتاح (يتبع)
فليكس فارس

قصص اجتماعية

مترجم بقلم الأستاذ محمد عبد الله عنده

مجموعة من القصص الرقيقة الفائقة لثمانية من أعلام الأدب الفرنسي م : بورجيه - كوييه - أناتول فرانس . موباسان - تييرييه - مارسيل برينو . دي بانيل . جان لوران . مع تراجمهم النقدية . ومترجمة بأسلوب فائق . في ثلاثمائة صفحة طبع دار الكتاب
ثمنه ١٠ قروش وبيع مؤتمراً ٦ قروش بخفض ٤٠ ٪
هذا البريد وهو قرشان لدخل القطر وأربعة خارجه
ويطلب من إدارة الرسالة ، ولجنة التأليف والترجمة
وجميع الكتاب

فكان الملك يأمر هؤلاء الخونة بالخلع السنية ... وكانت الشيبية تشهد هذه المهازل متوقفة ظهور خيال القيصر على شواطئه (كان) ليرسل عاصفته الكاسحة على هذه الحشرات

تمرت الآمال وطال السكون ، فلم تلج في الأفاق غير الزنايق الصفراء شارة الملكية المتحركة وسأل الفتيان عن الأجداد فقيل لهم : اعتنقوا السكهونوت

وسألوا عن الأمانى فقيل لهم : اعتنقوا السكهونوت
وسألوا عن الحب والقوة والحياة فقيل لهم : صيروا كهنة

واعلى المنبر في ذلك الزمن رجل يحمل عقد اتفاق بين الملك والشعب ، فقال : جملة هي العظمة والطامع والحروب ، ولكن هنالك ما هو أجل منها جميعاً : هنالك الحرية

رفع الفتيان رؤوسهم وتذكروا أجدادهم الذين تكلموا هم أيضاً عن الحرية ، وعادت إلى غيبتهم تلك الدنى الرخامية التي كانوا يرونها في زوايا بيوت آبائهم ، وقد تددت شعورها ونقشت على قواعدها توارخ رومانية

وتذكروا أيضاً أنهم شاهدوا أجدادهم في ليلة تتسم بهزّون رهوسهم ويذكرون مئارك تفجرت فيها الدماء بما يفيض عن النهر الذى أساله الامبراطور . لذلك دوت كلمة الحرية في أذان هؤلاء الفتيان بصوت نبضت له قلوبهم كأنهم يصفون في آن واحد إلى صوتين : أحدهما صوت الذكرى البعيدة المروعة ، وثانيهما صوت الأمل المنشود يتراجع من مستقبل أبعد من الماضي
هزّت كلمة الحرية هؤلاء الفتيان بنشوتها



الأوديسية

لهوميروس

بقلم الأستاذ دريني خشبة

مقدمة :

هذه هي القصيدة الثانية الخالدة ، وللملحة المعجزة الكبرى ، الشاعر اليوناني الأعشى هوميروس ، تقدمها لقراء الرواية ، كما قدمنا أختها (الألياذة) لقراء الرسالة من قبل . وستكون ترجمتنا للأوديسية كترجمتنا للألياذة أى ترجمة تلخيص ؟ فقد وردت في نهاية القصيدة تنف أسطورية لأصبر لجمهرة القراء على اللام بها . ومن أجل ذلك آثرنا إظهار الصور الهوميرية الرائعة التي اشتملت عليها الملحة دون الحواشي الربكة التي تشل روعة هذه الصور

هذه ، والأوديسية مرتبطة بالألياذة ارتباطاً حيناً بحيث لا يحول بين من لم يقرأ الألياذة وبين هذه الترجمة ، وستجدهم في شرح النقط (القليلة) التي تفضي المراد إلى الألياذة

نصير

لم تكن حرب طروادة معركة بين طائفتين من الناس نجيب ، بل كانت كذلك حرباً جواناً بين طائفتين من الآلهة : أحدهما — وفي مقدمتها

ميرفا (بالأثينا) — تؤيد اليونانيين ؛ والأخرى — وفي مقدمتها أبولو ونبتيون (بوسيدون) — تؤيد الطرواديين . وقد تناولت الألياذة ذاك الصراع الطويل المائل الذي نشب بين الطائفتين تحت أسوار طروادة ، والذي انتهى بانحسار الطرواديين ، وغلبة اليونانيين ، وحرق طروادة وتخريبها . أما الأوديسية فتقتصر على عثمى واحدة من عقبات تلك الحرب ، ألا وهي عودة البطل العظيم (أوديسوس) ^(١) إلى مملكته إيثاكا بعد مجازفات جمة وعقبات كثيرة اقتحمها جميعاً بمد طول الجلد والصبر الجليل ، واحتمال أذى (نبتيون) رب البحار وألله أعداء أوديسوس . ولقد ظلت ملحمتا هوميروس (الألياذة والأوديسية) المين الذي لا ينضب لجميع شعراء اليونان ؛ فكاهم اتخذوا منها موضوعات دواماتهم ، وكاهم كانوا ينظرون إليها كقائهم الأعلى الذي لا مثل لهم فوقه .

(١) Odysseus أو أوليسيز Ulysses كاسيناه في الألياذة

والآلهة، ممزقين في دار الغربة كل ممزق، يتجشمون
المصابب والأهوال، ويتخبطون بين موج كالجبال،
ويخلصون من بحر إلى بحر، ومن رَوْع إلى رَوْع.
فاذا أرسوا على أرض وظنوا أنهم نجوا، أفرسهم
فيها غير الذي رجوا ...

ولقد رقت قلوب الآلهة، وودوا لو أدر كوا
برحمتهم أوديسيوس ... إلا نيتيون الجبار، رب
البحار، الذي يضمر للبطل في أعماقه كل كراهة
وكل بغضاء، وآلى أن يسب على رأسه كل تلك
الأرزاء ...

وحدث أن كان نيتيون في حرب مع الأثيوبيين
فانتهزها الآلهة فرصة سانحة، وعقدوا مجلس الأولمب
في ذروة جبل إلبا، وتفضل الآلهة الأكبر،
زيوس^(١)، فاقتتحت الجلسة بكلمة غصاصة توجع فيها
لما يلقاه بنو الانسان من صروف الحدائن، واستطرد
فذكر مأساة أباجمنون السكين وما لقيه على يدي
زوجه وعشيقتها الأثيم إيجستوس^(٢) من غدر وغيلة،
ثم أحمى باللائمة على هؤلاء البشر البائسين الذين
يقولون إن كل ما يصيبهم من خير وضير هو من
عند الآلهة، وما هو إلا من عند أنفسهم ... ولكن
لا يفهمون !

ثم نهضت ميترافاربة الحكمة، ذات العينين
الزبرجديتين، فأبدت ما قال أبوها سيد الآلهة،
وأثنت عليه، ثم ذكرت أوديسيوس ... « ذلك
التمس السكين الذي تحببته ومحبه البحر،
وقضى عليه — دون أقرانه جميعاً — أن يشقى هذا
الشقاء الطويل، عند عروس الماء الفاتنة كاليسو

(١) Zeus أو Jove أو Jupiter

(٢) هرشنا بكل ذلك في الرسالة في المجلد الثاني من
السنة الرابعة

ولقد غلبنا لقراء الرسالة درامات إسخيلوس
وإحدى درامات سوفوكليس، ورأينا كيف كان
هوميروس رائدهما جيماً كما كان رائد أقرانهم من
قبل ومن بعد : نندار وهسيود ويوربيدز ...

— ١ —

أنشد يا هوميروس !
وظل في قم الأبد قبضارته المُرنة، ونائبه
الطرب، وعوده الآن، ونقمتة الحلو الحنون !
أنشد يا شاعر المصير الخالي
وحل في الإسماع موسيقى مدوية، وفي الديون
دموعاً جارية، وفي القلوب رحمة ومحبة؛ وانفج
عرائس الشر من لدنك سلطاناً، وحكمة وبيانا،
وسرراً وصولحانا

نقن يا شاعر أولمب !!

ولترسل من جنتك نعمة تنظم الأفلاك،
ورنة تجلجل في الأفق، وآهة ترزول قلوب الجبارين !

سقطت اليوم^(١) ونزع المنبر بخيله ورجله .
فتمألى يا عرائس الفنون فاقتدى أوديسيوس في
ذلك البحر اللجج يذره ؛ موجة تلبسه وموجة
تخلمه ، لا يعرف لمملكته ساحلاً فيرسو عليه ،
ولا شاطئاً فيقصد إليه ... يخطب في السيم على غير
هدى ، ويرسل عينيته في الماء والماء على غير
بصيرة ... زرقعة متصلة في السؤل والسفل ، وتيسه
لأنها في يخطب في أحشائه أسفول السادة المنتصرين ...
والأقدار وحدها تسلم لم ضل أوديسيوس
بجنوده في ذلك المباب ، وقد عاد كل أقرانه إلى
هيلاس بمد طول النأى وشحط الدار ، إلا هو

(١) Ilum هي طروادة

إلى جزيرة مولانا أن يتفقد ولده هرمل إلى جزيرة أوجيچيا ، بنيا من عروس الغلاء كالبيو أن تمد مركباً عظيماً لأوديسيوس وورقانه ليتمودوا عليه إلى أوطانهم ؛ ثم ذكرت أنها ستبقى من فورها إلى إيثاكا حيث المشاق المكين يحاصرون قصر بنوب ، وحيث ابن أوديسيوس النكود ، تلياك ، يشهد خراب مملكة أبيه ولا يستطيع أن يحرك ساكناً لصغر سنه ... « إلى سألبي إحسانه ، وأفتح عينيه على ما ينبغي ... سأجعله يخرج من هذه المزلة المنية ليبحث عن والده ، فانه لم يمد طفلاً بمد ... »

وانطلقت مينرفا فربطت نعلها السحريتين على قدميها الجليتين ، وحملت رعبها العظيم الذي تقطر للناس من سنان ، ووضعت نأجها الربيع على رأسها الكبير ، وأطلقت ساقها الريح ، حيث كانت بمد لحظة على مقربة من قصر أوديسيوس ، فغطت من البناء إلى الأرض ؛ وفي لحظة انقلبت فالتحذت شكل آدميين ، وتخايلت في جسد الأمير منتس^(١) وطيلسانه ، ثم تقدمت فدخلت ردهة القصر الواسعة ، حيث اجتمع المشاق المجانين من أجل ولية وتلفتت بمنة ويسرة ، ورأت الفتي السادر السام الحزين تلياك ، وقد تمعدت فوق جبينه هموم ... وهموم ، وتفصنت ملء أسأريه الآلام ... والآلام

وما هو إلا أن لها تلياك حتى أخذه من هيبته شيء عظيم ... فغيب لفقائها مسرعاً ، ثم مد لها يده مصاعفاً وهو لا يعرف من هي ، وقال :

(١) يروي أن منتس كان بحاراً غنياً وكان يحمل مويروس في رحلته الواسعة من غير أمير ، ولذلك كافاه مويروس خلف اسمه بذكره هكذا في الأوديسيه

في جزيرة أوجيچيا ، ثمانية أعوام أو يزيد . ماذا به ؟ ما جرته ؟ لماذا بنى هذا البند الضال في أقصى الأرض يا أبي ؟ إنه خير عبادك أجمعين . أذكر كم نفي الأنصيات باسمك ، وقدم الترابين من أجلك ، وحارب أعداءك ، وجاهد شائتك ! لقد نعي إلى أن كاليسو تحاول جاهدة أن تستميل قلب البطل ، وأن تنسبه وطنه إيثاكا . . . بالول ! كيف يا أبناء ! وهذه الزوجة التابعة بنوب ! بنوب المحزونة المرزأة ! بنوب التي صبرت وصارت طوال هذه الستين على ما كرثها الدهر به من بمد زوجها ؛ بنوب التي لحافظت على طهرها وإخلاصها ؛ أنطل هكذا سجيئة في قصرها النيف الباذخ ، ويظل هذا القصر محاصراً بمشاقها المجانين من أمراء الأقاليم ؟ أبي ! يا سيد الأولب ! ألا تدرك رجعتك أوديسيوس ، وترده إلى وطنه ليفد هذه الكلاب التي ولنت في حوشه وكادت تخوض في عرشه ؟ تداركه يا أبي ؟ تداركه بطفة واحدة منك ، وإنك على إنقاذه لقوى مكين »

واستجاب لها سيد الأولب ، وقضى أن يمود أوديسيوس إلى إيثاكا ؛ لكنه ذكرها برب البحار نيتيون ، وذكرها بما بينه وبين البطل من تراث وفارات ، « سببها هذه القفلة الجنوبية التي فعلها أوديسيوس واحد من السيكلوس^(١) ، أبناء نيتيون إذ اقتلع عينه الواحدة التي كان يتم بوساطتها زينة الحياة ... إطمئن يا نيتيون وقرى عيناً ... إننا نحن الأولون ، وسيري نيتيون أنه لن يغاب الألهة مجتمعة أبداً ... »

وشاعت النبطة في أعطاف مينرفا ، وتضرعت (١) سيأتى ذكر ذلك في الكتاب الماهر من الأوديسيه

ولكن ... أواه ! ... أين هو ! أين أوديسوس العظيم الذى اتفطنت عنا أخباره ويُسنا من عوده إلى دياره . ولكن حدثني برك من أنت ؟ ومن أى الأقاليم قدمت ؟ ومن رجال البحر الذين ألقوا مراسيمهم عند إيثاكا ؟ أغريب أنت أيها السيد ؟ أم كنت فيها خلا من الزمان من أصدقاء أبى وأجابه ؟ »

وقالت مينرفا ذات العينين الزرجيتين :
« ليهداً بالك يا باني ، فاني مجيبك على كل ما سألت . إنك ترى الآن منتس أمير (جزيرة الطافيين) البحارين ، وسليل انخياولوس الكبير . ولقد أبحرنا من جزيرتنا ميممين شطر جزيرة النحاس من أجل ذلك المسدن الثمين ، وسفائننا ملقبة مراسيمها بالقرب من غلات (نبوس) . ولقد كنا وما تزال من أحب ضيفان إليك وأودهم إلى فؤاده ، فلما سمعنا بما حل به من شدة ، وبيته من لأواء إستوحينا آلمتنا فغيرنا أنه لابد عائد إلى وطنه سالماً غانماً ، وأنه لابد منتقم من هؤلاء النجار الأشرار ... ولكن خبرني بأربابك ، أفي الحق أنك لأنت ابن أوديسيوس العظيم ؟ إن ملاعك تشبه ملاعه ، وإنك تقرب الشبه منه جداً ، وإن هذا البرقي الذى يشع من عينيك هو نفسه الذى كان يشع من عيني أوديسيوس ، يا للآلهة ! كم سمرت إلى أيك قبل أن يشد رحاله إلى طروادة ! فهل يقدر لي أن أسمر إليه مرة أخرى ؟ إنني من من وقتها إلى اليوم لم أره ، وهو كذلك لم يرني ... ما أشوقني إليه ! ما أشوقني إليه ! ... »

وشاع يرق من الأمل في نفس تلياك فقال :
« وبحك أيها الصديق ! إنني أنا ابن أوديسيوس ما في

« مرحباً مرحباً بالغريب الكريم ! هلم فشارك في ذلك القصرى ، ولتتحدث بعدها فيها أقدمك إلينا . مرحباً مرحباً وأهلاً وسهلاً ! ... » وإدلف نحو الصالة المزخرفة وتيمتة مينرفا ، وفي عنانها زعمها الجبار الذى يقدر من ستانه الشرر ؟ حتى إذا بلغا العمود الأكبر الذى أسندت إليه مئات الرياح ، والذى كان أوديسيوس يستند إليه رماحه وعدة حربه ، تناول تلياك الرمح وأسند بهد جهده ، حيث برز بكل عظمته وكل جلاله بين رماح المشاق الفاسقين . وتقدم نحو أريكة وئيدة منزعلة ، وسأل مينرفا فاستوت عليها ، وكأنما عتجأ من أن يستمع إليهما أحد ... وأقبلت جلوبة فينانة وثامنة تحمل طستاً وبريقاً من الذهب ، فصببت الماء على يدي الضيف وبدي تلياك ؛ ثم مضت فأحضرت مائدة نسقت عليها الرودود والياحين ، ونشط التادل^(١) يحمل أطباق الطعام والفاكهة والحلوى ، فباتى بها ملأى وعفى بها فارغة ... والتدمان^(٢) فيما بين ذلك يجذب الزق^(٣) إليه ويسقى ... ثم يسقى ... وشرع المشاق المجرمون بدورهم يلثمون ما لدهم وطاب من آكال وشراب ... حتى إذا انتهوا شرع فيميوس فايه وانطلق يثنى وانتهز تلياك فرصة انصراف القوم إلى لهوم وشرابهم فسأله الضيف قائلاً :

« يا أعز الأصدقاء ! أرايت إلى أولئك الفساق ، لو أن رب البيت هنا أكلوا يلهون لهوم هذا أو يفسقون فسقمهم هذا ؟ كلا ! لقد كانوا إذن أسرع إلى الحرب ، منهم إلى ذاك الطرب ؟ »

(١) التادل غادم اللامعة

(٢) التدمان ساقى الصراب

(٣) الزق قربة الخمر

الوفية ... الأم الكلوكة ... يملأون
البابية المحزونة الصبغة : كبر أوديسيوس الذي
لا يقنى ! يطلبون بداه ولا برجون وقادها وبكاهها
ولأواها ... فلا تستطيع أن تردم لجزها ، ولا
تستطيع أن تبجيهم وهي لا تدرى من أسر زوجها ...
وهم طوال هذه السنين يربفون نباء أبى ، فكهمين فى
أشربات وآكال ، حتى أفقر الزرع وجف الفرع ،
وما أحسبهم مبقين على شيء ... حتى على ! !
(يتبع)
درسى فشيبة

ذلك ريب ، والعالم كله شهيد بذلك »
ثم اختلطت الزفرة بالخرقة فى عيني ربة الحكمة
وقالت : « على رسلك يا تليماخوس ! إذن فما هذه
الولائم وتلك السُّمط ؟ وهذا الزحام من أين أقبل ؟
إني لأقلب ناظري فى القوم فلا أرى شريفاً ذا حسب
يستأهل أن يُخفى به أو يقام له وزن ! »
ويتنفس تليماك ويحجب : « أيها العزيز ... لقد
هاجرت الفضيلة من هنا فى أثر المهاجر العظيم ،
وكأنها آلت ألا تعود للإمه ! وكان هو ، تداركته
الماء ! يلقها هؤلاء بنظرة واحدة تكفى لتزول
منها الجبال ... وأبته ! لقد أطمع الماديات فينا
بطول نأيه . فيا للنوى ! إننا لا ندرى اليوم أين مقرو
ولا أين مستودعه . ولو قد خر تحت أسوار اليوم
لاجتمع الاغريق من كل حذب هنا ... هنا ...
فى حاضرة إيثاكا ليزدرفوا دموعهم من أجله ،
وليقيموا له نصبا عالياً رفيع القدرى شاهق الأوراق ،
وليكتبوا اسمه الكريم فى صحائف صدورهم بمداد
أبدى من التيجيل ... ولكن ! ... وأسفاه ! ...
لقد انتصر انتصار الأبطال ، ثم مضى على وجهه
وراء البعار وفى فجاج التبج ، وغدوما لا تحلم
العين بنظرة مفردة منه ، ولا الأذن بلطفة عذبة من
لسانه اللين ! ... تباركت يا آلهة الأولمب ! ماذا
عندك من الأقضية المنجوبة ؟ ! الذئاب ! إني يا آلهة
هذه الذئاب ! وحوش البرية التى اجتمعت من كل
فج ... من الجزائر المتناثرة فى البحر ، ومن اللمان
الترامية فى البر ... من ساموس ودلشيوم
وزاكتوس ومن كل إقليم وكل مصر ... كلهم
يرابطون حول هذا القصر ولا يستحيون ...
الفَساق ! الأوشاب المرأيد ! يطلبون يد الزوجة

ظهر مرثيا كتابا :

الموجبات ف المحادثات

(١) فرنسى وانجليزية وعربى

(٢) فرنسى وعربى مع قصص النظر

تأليف الأستاذ محمد عبد سالم خريج التجارة العليا بليون
ورئيس القسم الأوروبى بدار المحفوظات الموسية بالقاهرة
كلهما دروس عملية لا تحتاج إلى مرشد ، الأول
يأخذ يدك عن طريق القارئة ، والثانى يخطبك على
عقبات النطق ، بكل منهما ٥٨ موضوعاً وانيا :
مفردات ، محادثات ، رسائل ، صنوان يذلان لك جميع
المنصب ، ليس فى غنى منهما أو أحدهما طالب أو راغب ،
والكتابان مطبوعان بمطبعة لجنة التأليف والترجمة
والنشر طبعا متقنا على ورق جيد

يباعان بجميع المكتبات وتغن كل منهما ٦ قروش بخلا
ويطبان بالجلد من مكتبة مصر بشارع النخلة ، بمصر

سلفت قد استطاع أن يصل منه إلى بقعة هي في مستوى عيني ، وليس بين تلك البقعة وبين القمة إلا مقدار ما بين عيني وقمة رأسى . أما ارتفاع الجبل الحقيقي فيبلغ تسعة وعشرين ألف قدم ، وما بقى منه يتعدى مغاليه يبلغ الألف فحسب ، بل إنه في الواقع دون الألف بقليل

وسياتى عاجلاً أو آجلاً اليوم الذى يرق فيه الانسان قمة ذلك الهرم الساخر من قدرته . وليس ما يتسائل عنه الآن هو إمكان صعوده ، وإنما سؤاله هو : « متى يكون ذلك الصعود ؟ »

ويرجع تسمية أعلى جبال العالم باسمه هذا ، إلى « سير جورج إفرست » ، الرجل الذى حدد موضعه وقاس ارتفاعه ، وهو على بعد منه ؛ وما كان يمكن قبل أن يدنو منه أحد ، فلقد ظل الكثيرون من بواسل التسلقين زماناً يرجون الوصول الى قاعدته ليروا ماذا يستطيعون فعله حيال هذا الجبل الشاهق . ولن يتيسر الوصول الى تلك القاعدة الا عن طريقين ، أحدهما يخترق قرية « نيبال » والآخر يخترق قرية « تبت » ؛ ولكن حكام كلا القريتين كانوا يأبون أن يسمحوا لأحد بالوصول الى الجبل . ذلك أنه عندم غنابة « أولبوس » عند الأغريق ، أعنى أنه مقر آلهتهم ، ومن أجل هذا ظلوا زمناً مصممين على منع الدنو منه

ولقد قام « سير جورج إفرست » بتحديد ارتفاعه عام ١٨٤١ . وبعد ذلك بنائى سنوات سويًا برهنت حكومة تبت على مقدار ما تكنه من شعور المؤدة نحو بريطانيا ، بأن سمحت بما كانت تأباه من قبل



من أفق إلى أفق
مغالبة جبل
إفرست !

إذا قدر للانسان أن يصل إلى قمة إفرست ، فإنه بذلك يضيف نصراً عظيماً إلى سالف انتصاراته على الطبيعة . وليت شعرى ما غنى أن يجيء به الأيام في أسر تلك المحاولة الهائلة ؟ على أن الانسان الآن من تلك القمة الشاهقة على قاب قوسين ! أجل ليس ثمة الآن من مسافة بين البقعة التى وصل إليها الانسان أخيراً وبين تلك القمة التى تعتبر أعلى مكان في كوكبنا هذا ، إلا بقدر ما تسميه جولة يسيرة . ومن هاتيك البقعة تبدأ المحاولة الكبرى أو يبدأ الامتحان العظيم ، فإن تلك الجولة اليسيرة طالما فهرت الانسان وودنه ، وظلت قمة إفرست على قربها من الانسان قريباً يتعداه ويضايقه ، لم تظاها إلى اليوم قدم بشرية !

ومن الصعب أن تتبين مدى قرب الانسان من النجاح في تلك المحاولة ، ولكن فلأحاول أن أبور الموضوع لذهنك بعض التصوير

هأنذا رجل يبلغ طولى ستة أقدام ، فهل في وسعك أن تتخيل نموذجاً صغيراً لهذا الجبل في نفس الطول ؟ إذا استطعت أن تعمل في خاطرك هذا الجبل الصغير فاعلم أن الانسان في عدة محاولات

ولكن مع أن التسلق لا يبدأ فملاكاً في أول مايو ، فإن ما يسبق ذلك من أهمية يبدأ قبل عدة شهور . فلا بد أن يبعث من قائد ؟ ثم لابد أن يتخير ذلك القائد من الرجال من يصحبه ؟ وهو في ذلك لا يبعث من مهرة التسلقين لحسب ، بل تراه يبعث ممن تقاربت قوى احتمالم حتى يواصلوا السير جماعة ، فان الصمود الى مثل ما يفتنون ارتقاءه من المرتفات يفقد المرء أثره ، ويشيع الهياج والاضطراب في أعصابه

ولن يقتصر الأمر على ذلك ، بل لابد من اعداد أطنان من المؤن وشقي الأدوات وإرسالها جميعاً الى الهيد ، ثم يلتقي الرجال ومعهم متاعهم عند « دراجينج » ؟ وهناك يستأجر الجالون من الوطنيين وما تطلبه الحملة من حيوانات ؟ ومن ثم تسير القافلة الطويلة فأصدة الجبل غترة السهول الرملية تارة ، ومتسلقة الشباب المترصة تارة أخرى ! وعند ما تبلغ القافلة الى قاعدة أفروست نجد نفسها على بعد هائل من مستوى سطح البحر ،



ينشأ السكر الأول - أو معسكر القاعدة كما

على أن أولى الحملات التي أرسلت على هذا الجبل لم تقع إلا عام ١٩٢١ ، وكانت وجهتها في الحقيقة معرفة ما إذا كان من الممكن تسلقه برومن البديهي أنهم لو وجدوا ذلك يسيراً فما كان هناك من الأوصار ما يحول بينهم وبين السير إلى القمة ، ولكن الفرض الأساسي للعملة كان معرفة مدى ما يمكن الوصول إليه

ويقع جبل أفروست على بعد ثمانين ميلاً من « دراجينج » أقرب مكان إليه في الهند . ولقد أظهرت المناظير القريبة أن من الممكن تسلقه . على أنه حتى ذلك اليوم لم يتعد أي رجل من البيض في قربه من الجبل أكثر من أربعين ميلاً . ومن السليم أن ما يقف عليه المرء من المعلومات عند سفحه أضاف ما يستطيع الوصول إليه على ذلك البعد ؟ ولكن البعثة على الرغم من ذلك وصلت إلى تيجينين كلانها على جانب عظيم من الأهمية : أولاً ما إذا كان من الممكن تسلق الجبل فلي يكون ذلك لإمان جهة واحدة ؟ والثانية أن كل محاولة لا بد أن بتقرر نجاحها في الفترة ما بين أول مايو ومنتصف يونيو . وعلّة ذلك أنه لا يستطيع أي إنسان الصمود على جوانب ذلك الجبل في معظم شهور السنة نظراً للأحوال المناخية القاسية ؟ حتى إذا كان مايو تحسنت تلك الأحوال بعض الشيء ، ولكن ذلك التحسن لا يدوم طويلاً ، ففي منتصف يونيو يبدأ تهطل الأمطار الموسمية على الهند ، ولن يقف أمر تلك الأمطار عند ما يصحبها من رداءة الجو ، بل إن الثلج في ذلك الوقت يأخذ في الزحف من مكانه وذلك هو الموت

في عروقها متجمدا ؛ وإذا زلت قدمك قيد شبر فهناك الموت ينتظرك في قرار سحيق ؛ ومع كل هاتيك الأحوال كثيرا ما يتضارب الحاصلون من أجل ذلك الامتياز : امتياز حمل الأثقال بين المسكرات . ولا غرابة بعد ذلك أن يسميهم التسلقون من البيض « بالعمور »

ولكل قائد حملة خطته في تمهيتها والسير بها . وهأنذا أعرض عليك فكرة عامة مما يطلب حدوثه في تلك الخطط . يتقدم رجلان من البيض ومعهم ما يطلبون من الحمالين حتى يصير الجميع على ارتفاع خمسة وعشرين ألف قدم ، وهناك يبنون المسكر الخامس ويحطون عنده راحلهم ، ليربوا أجسامهم المكثودة فترة مما نلما من نصب . وفي اليوم التالي يستأنفون تصعيدهم حتى يبلغوا عا سبعة وعشرين ألف قدم أو نحو ذلك ، وهناك يبنون المسكر السادس ، فيأوى إليه الأيضان ويرسلان الحمالين ثانية إلى المسكر الرابع ، وبذلك يبقى الخامس خاليا ، فيسير إليه اثنان آخران من البيض ويستقران فيه حيث يجدان الكثير من المؤونة ووسائل الراحة .

وفي صباح اليوم الثالث يخرج الرجلان الأولان من المسكر السادس ميممين القمة ، فإذا لحقهم الفشل عادوا إلى المسكر الخامس ، وبذلك يبقى السادس خاليا فيسير إليه صاحب المسكر الخامس ، ويبيطان فيه ليتهما . حتى إذا نفث الصباح ، إن كان ثمة من أصباح ، بما شطر القمة في دورهما وفي أثناء ذلك يكون الاثنان الأولان في طريقهما إلى المسكرات السفلى ليرسلا غيرها من البيض كي

يسمونه — على مدى خمسمائة وستة عشر ألف قدم من سطح البحر

ومن تلك القاعدة الأساسية تأخذ القافلة في الضمود ، وترأها تقيم المسكرات على مسافات كما قطعت مرحلة في طريقها الريب ، ويكون السير طبيئا متدرجا في الخفة حتى يعود الرجال مقابلة تلك الرياح المتغيرة . وفي آخر مايو ينشأ المسكر الرابع عند ما يسمى بالمقدمة الشمالية وهي إحدى الشواب التي تربط أفرست بغيره من سلاسل الجبال ؛ ويكون ذلك المسكر على ارتفاع ثلاثة وعشرين ألف قدم وإذا تم بناء المسكرات وضع فيها من المؤن ما يرجع اليه عند الحاجة ، كما أنه يترك فيها بعض الرجال ، حتى يكون هناك من الحمالين من يقوم على طول المسافة منتقلين أحيانا من مسكر إلى آخر ، ومعنى ذلك أن يكون هناك طريق معبد آمن يربط تلك المسكرات بعضها ببعض ؛ ويقوم البيض بتعميد هذا الطريق وشن ممرات ومسالك في النتائج عند التضدرات الوعرة ، والاستعانة بالحبال عند الحاجة .

ويكون كلا المسكرين الخامس والسادس مركزا للهجوم . وإقامة هذين المسكرين من أصعب وأشق الأعمال ، فإن جانب الجبل في تلك المنطقة أشبه بسقف المنزل ، ولذلك يندر أن تجد مكانا لأقامة خيمة واحدة . فاهيك عما يكتنف المكان من ربح ماصغة عاتية تلذع الأجسام لهذا ألما ، فضلا عن ذلك الزهرير الذي يصل درجة من الشدة بحيث لو أجلت بك برهة في عمل من الأعمال وهي عارية من التفاز لابد أن يقف الدم

وفي عام ١٩٢٤ وصلت حملة أخرى إلى قاعدة ذلك الجبل ، ولكن الثلج مالبت أن رمى رجالها بقذائفه واستمر عطر واباك عنيفا من لفته ، فبدل أن يصلوا إلى المسكر الثالث في يومين أو ثلاثة ، وصلوا إليه في أسبوعين ، وكانت درجة الجو يومئذ ثلاثا وخمسين تحت درجة التجمد ! ومن أجل ذلك اضطر المحالون وهم على مام عليه من بسالة أن يستقروا في أماكنهم متلاسقين لا يكادون يستطيعون حراكا ، حتى تحسن الجو نوعا فوصل الجميع إلى المقدة الثمانية ؛ ولكن الثلج لم يرحمهم ورامهم بأكثر مما رامهم به من قبل ، وراح عدد من المحالين ضحية بطشه وجبروته ، وقال البيض كثير من النصب والأعياء من جراء محاولاتهم إنقاذ هؤلاء البائسين ، ولذلك اضطروا إلى أن يرجعوا من حيث أتوا ليستعيدوا قوتهم ويمجدوا عدتهم عند سائح الجبل !

وأخيرا بعد عدة محاولات استطاعت تلك الحملة أن تقيم خيمة لمسكروها على ارتفاع ثمانمائة وستة وعشرين ألف قدم ، وهو أعلى مسكر أقيم حتى ذلك اليوم . ونام في ذلك المسكر رجالان من البيض هما « نورتون » و « سمرقيل » ، وفي صبيحة اليوم الرابع من يونيو توجهوا نحو القمة فوصلا إلى علو ثمانية وعشرين ألف قدم ، ولكن « سمرقيل » توقف وتقطعت به الأسباب إذ كان يشكو مرضا في حلقه ؛ وعول زميله الباسل على الزحف وحده فوصل إلى علو ثمانية وعشرين ألفا ومائة وستة وعشرين قدما ، ولكنه ما لبث أن أرغم على الرجوع . وفي تلك الليلة أقفده الثلج بصره !

يستقرا مكانهما في المسكر الخامس على استعداد للزحف

هذه الطريقة يتوفر التسلقون الجدد على التوالي . وإذا كان للثلاثين الأولين شرف البدء في تلك المحاولة العظيمة ، فكثيرا ما يصيب من يلهما حفا أوفر من النجاح ، وذلك لزيادة اعتيادهم تلك الظروف الجوية الرعبة

وصلت أولى الحملات التي أعدت للهجوم على القمة إلى قاعدة افرست في أول مايو عام ١٩٢٢ وهي السنة التالية للسنة التي وصلت فيها بثمة الكشف والدراسة . ولكن الثلج قصم أعوادهم وأوهن عزيمتهم وقضى على مجهوداتهم بالفشل . سار هؤلاء الأبطال أول الأمر حتى استطاعوا أن يبنوا المسكر الخامس على ارتفاع خمسة وعشرين ألف قدم ، ومن تلك البقعة استطاع بعضهم أن يرقوا إلى سبعة وعشرين ألفا ، ولكن المواقف الثلجية المروعة كانت لا تفتأ تهدد الخيام بل لم يقتصر خطر الثلج على خيامهم فوصل إليهم في جوالق نومهم ! إلا أنهم على الرغم من ذلك عقدوا النية على مواصلة الزحف ، وتغلب عزيمتهم المصمم فترة على أهوال الثلج ، وما زالوا يكافحون متصربين حتى اليوم السابع من شهر يونيو ، وهنا ألتأبتهم كارثة جعلت مواصلة الزحف في عداد المستحيل ، فلقد جرف هيار ثلجي سبعة من المحالين وهوى بهم إلى الموت ممجلين ! وزعماء كان البيض يرغبون أن يضحوا بحياتهم بعد ذلك ، ولكنهم لم يجدوا لأنفسهم الحق في أن يسألوا بقية البواسل من المحالين أن يتبعهم ؛ وهؤلاء ان يكون لهم نصيب من الفخر إذا قدر للحملة النجاح



عاصفة شديدة على الاحتماء بمخيمهم حتى اليوم
المشرين من ذلك الشهر ، وفي تلك للذة نفذ جميع
ما كان بالمسكر من مؤن ، وعلى ذلك فبدلا من أن
تواتهم القدرة على الصمود عقب هدوء العاصفة ،
نرى أول عمل يقومون به هو تموين المسكر من
جديد ، وزادهم نكدًا ما علموه على لسان من
أرسلوا الى المسكرات السفلى من مرض أحد
المهرة التسليحين

ولسنا في حاجة بعد ذلك أن نأني على كل
ما حدث من المحاولات للوصول الى القمة ،
وحسبك أن تعلم أن « جوجاز » أصيب بتجمد
عينيه ، كما تراكم الثلج على أهذاب الرجال فجدها ؛
على أنهم استطاعوا رغم الصعوبات الهائلة أن
يقيموا المسكرين : الخامس والسادس ، ولكن
لم يقسن لأحد أن يصل الى أبعد مما وصل اليه
« نورون » عام ١٩٢٤ ؛ وما لبثت الأمطار الموسمية
أن أرسلت سيولها ، وأخذ الثلج ينهار كتلا
هائلة ، فاضطرت حملة عام ١٩٣٣ أن ترجع مهزومة
كسابقاتها

والآن بعد ثلاثة أعوام تصرح « تيبث » ،
بالرحف من جديد ، وهناك في المسكرات السفلى
يقم مستر « رتلدج » ورجاله يستمعون الى ما يحمله
اليهم جهاز اللاسلكي من المهندس من أنباء الجو
وحالته ويتطلعون الى القمة في لهفة مقدرين
ومؤملين ...
فبالت شعري ماذا تجبؤه لهم الآلهة هذه
المررة ؟

وفي تلك الأثناء كان « فالوري » أحد التسليحين
في طريقة على جانب الجبل يريد القمة ، وكان
فالوري ، هذا أحد أعضاء البعثة التي قامت بأعمال
الكشف عام ١٩٢١ ، ولقد اشترك أيضا في محاولة
الوصول الى القمة عام ١٩٢٢ ، فكانت إذا تلك
المحاولة التي نحن بصدددها ثالث محاولاته . ولقد
زاده اليأس قوة ومضاء ، فعول على السير فأما الى
قمة الجبل ولما الى هاوية الموت ؛ ولقد وصل وصديقه
« ارفين » الى المسكر السادس وأقاما هناك ليلة ؛
وفي الصباح التالي سارا نحو القمة ويعلم الله وحده
ماذا كان أمرهما إذ لم تقع عليهما عين بيد ؛ وكانت
تلك المساة الخفيفة خاتمة الحملة الثانية ، وبمدها
انقطعت المحاولات تسع سنين

ولا بد أن تكون حكومة « تيبث » قد رأت
من تلك المآسى أن الآلهة في تلك القمة المجتبسة
إنما كانوا يتزلون القصاص المادلي بمن كانوا يحاولون
الدنو من عرشهم ، وعلى ذلك رفضت تلك الحكومة
السمح مدة بمحاولة جديدة ، حتى طادت في النهاية
فسمحت بها في خريف عام ١٩٣٢ . وسرعان
ما بدأت أعمال التهيئة والاستعداد ، وفي السابغ
عشر من إبريل عام ١٩٣٣ ، أقيم مسكر القاعدة
من جديد

وفي هذه المرة لم تواجه الحملة الثلج بحسب بل
واجهت المرض أيضا ، فبغداد فل المرض من عزائهم
القائمين بها ، وكان العدد الأقل من هؤلاء الرجال
من يصلح حقًا لتلك العمل الهائل . وأول نتيجة
لذلك أنهم لم ينهضوا المسكر الرابع الا بعد شهر ،
أى في اليوم الخامس عشر من مايو ، ثم أرغضهم

« هائم »

عن الانجليزية

(طبعت بمطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر)

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها للسئول
احمد حسن الزيات

بدل الاشتراك من سنة
٣٠ في مصر والسودان
٥٠ في الممالك الأخرى
١ ثمن العدد الواحد

إدارة
شارع عبد العزيز رقم ٣٦
التيبة الخضراء — القاهرة
تليفون ٤٢٣٩٠ ، ٥٣٤٥٥

المجلة

مجلة أسبوعية للفصحى والتاريخ

نصدر مؤقتاً في أول كل شهر وفي نصف

السنة الأولى

١٥ فبراير سنة ١٩٣٧

العدد الثاني

والأناقة الفرزية ،
والدهن المتصرف اللون ،
فهي التي تجعل من
سواسية بنات الشعب
سيدات وعقائل
كان الألم يباع عليها
عنيقاً كلما شمعت بأنها
خلقت للنسيم والترف ،
وهي إنما تعيش في هذا
المسكن الحقيق بين هذه

الحِلمية
La parure
للطبيب الفرنسي جي دي مرسات
يقلم احمد حسن الزيات

كانت من أولئك
الفتيات الأنينات
الرشقات اللاتي يحسبن
ولادهن في أسرة من
أسر الموظفين خطأ من
أخطاء القدر . لم يكن
لديها صديق يحقق
الزواج السعيد ، ولا
رجاء يضمن العيش
الرغيد ، ولا وسيلة

الجدوان الماطلة ، والقاعد الحائلة ، والقماش الزوى .
كانت هذه الأشياء التي لا تظن إليها امرأة
أخرى في طبقها ترمض نفسها بالألم ، وتوقد
صدرها بالغضب . وكان منظر الخادمة الصغيرة
البرتونية التي تقوم على تدبير بيتها المتواضع ، توقظ
في قلبها الحسرات اللاذعة والأحلام الحائرة . كانت
تحلم بالأواوين الصامته تذبذبها الطنافس الشرقية ،
وتضئها المصابيح البرتية ، والحلاديين القاعيين في
السرابل القصيرة ، وقد كلاً في القمد الواسع .

تكشفها للناس فتعترف وتُفهم وتُحسب ، وتزوج
من رجل غني سري أمثل ؛ فتركت قيادها للحظ
فزوجها بموظف صغير من موظفي وزارة المارف
المعمومية

كانت بسيطة الهندام لأنها لم تجد زينتها ،
وكانت معذبة النفس لأنها لم تمايش طبقها ؛
والنساء ليس هن طبقة ولا جنس ، وإنما يقوم هن
الجمال والظرف والفتنة مقام الأمل والأسرة ، فلا
ترى فيهن من تفاوت ولا تمايز إلا بالرقعة القطرية ،

وتدهش كما كان يرجو زوجها رمت الدعوة على المائدة في غضب وسخط وهي تقول :

— ماذا تريد أن أصنع بهذا ؟

— ولكي ظننت يا عزيزتي أنك تدرين بهذا .
إنك لا تخرجين أبداً ؛ وهذه فرصة جميلة ،
حقاً جميلة ! ولقد احتملت في سبيل الحصول على
هذه البطاقة مالا تصورين من الجهد والمشقة . كل
الناس يرغبون فيها كل الرغبة ، ويسعون لها كل
السعى . وهم لا يملكون الموظفين منها إلا بقدر .
سعرين هناك العالم الرسمي كله

فقطرت إليه نظرة الغضب ثم انفجرت قائلة :
ماذا تريد أن أصنع على جسمي في هذه الحفلة ؟
لم يكن الزوج قد فكر في هذا ، ولكنه أجاب في
خفوت وغمغة :

عندك الثوب الذي تدهين به إلى السرخ .
إنه على ما أرى ملائم كل الملازمة ...

ثم أخذه الدهش والتوى عليه الكلام حين
رأى زوجه تبكي ، وأبصر دمعين غليظتين تتحدران
من زاويتي عينيها إلى زاويتي فمها ؛ وقال في غممة :
ماذا بك ؟ ماذا بك ؟

فتعاملت على نفسها بالجهد العنيف وأجابته
بصوت هادئ وهي تمسح الدمع على خديها :

لا شيء ، غير أنني لأملك ما أزين به ، ولذلك
لا أستطيع الذهاب إلى هذه الحفلة ؛ فأعط هذه

البطاقة زميلاً من زملائك تكون امرأته أحسن
منى جهازاً وأتم أمة . فابتأس الزوج وقال : لننظر
في الأمر يا ماتيلا . كم تكلفنا الزينة البسيطة . الملازمة
التي تنفيك في مثل هذه المناسبة ؟ ففكرت بضعة ثوان
بحر الجسب وتحرى المبلغ الذي إذا طلبته لا يثير
دهش الموظف الصغير . ولا يوجب رفض الزوج
المقتصد ، ثم أجابت جواب التردد :

لا أعرف ذلك على وجه الدقة ، وأظن أربعمائة

وكانت تحمل بالبهو الفخيم ينشبه الديباج القديم ،
وبالأثاث الدقيق يجمله الرياش الكريم ، وبالصالون
الأنيق المطري يجعل لأحاديث المصراع أخص الأصدقاء
وأنيب الكبراء والأدياء ، ممن يشتهي النساء استقبالهم
ولما جلست إلى المشاء على المائدة المستديرة
والخوان المررد أمام زوجها ، وقد رفع غطاء الحساء
وقال في وجه منبسط ولهجة راضية : « أهه !
ما أطيب هذا اللحم ! إنني لم أر أشهى منه ولا أقد ،
كانت هي تفكر في الأعشبة الناعمة الجامعة ، وفي
الأدوات الفضية اللامعة ، وفي نسائج الوشي تزين الجدران
بصور الأعلام البارزة في التاريخ ، والأطياف النورية
في غابة من غاب عبقري ! . كانت تفكر في الألوان
الذهبية تقدم في الصحاف العجيبة ، وفي اللاطافات
الفرقة الهامسة تُسمع في بسمة كبسة أبي الهول ،
وهي تأكل لحم السمك المررد ، أو الدراج السمك
لم تكن تمسك زينة ولا حلوة ولا شيئاً مما تبرج
به المرأة ، وهي لا تحب إلا ذلك ، ولا تظن نفسها
خلقت لتغير ذلك . وطالما ودت أن تكون موضع
الاحباب والنبطة ، ومتتبع الميول والأفئدة . وقد
كان لها صديقة غنية من رفيقات الدراسة فكانت
تسخره أن تزورها ، لأن الألم المضع كان يرافقها
وهي عاتدة . وربما ظلت الأيام الطوال تسفح الدموع
التزار إجابة لدواعي الأسف واليأس والحزن

في ذات مساء عاد زوجها وعلى وجهه سمة
الجلال ، وفي يده غلاف عربيض ، فقال :
« خذني ! هاك شيئاً لك . ثم فض الغلاف بقوة
وأخرج منه بطاقة مطبوعة كتب فيها :

« وزير المعارف العمومية وعقيلته يرجوان
السيد (لوازيل) وعقيلته أن يشرفاهما بحضور الحفلة
المباهجة التي سيقام في ديوان الوزارة يوم الاثنين
١٨ يناير » . ولكنها بدل أن تنبسط وتفتبط

الأشياء هوانًا وضراعة أن تظهر في محضر الأغنياء ،
 يظهر الفقراء . ولكن زوجها صاح بها قائلًا :
 ما أشد غيابة ! اذهبي إلى صديقتك السيدة فورستيه
 فاستمعري منها بعض الحبل ، فإن بينكما من قديم
 الصداقة ووثيق العلاقة ما يتسع لثل ذلك
 فصاحت صبيحة الفرح وقالت : هذا صحيح !

ومن العجب أنه
 لم يجر على بالي
 وفي صبيحة
 القد ذهبت إلى
 صديقتها قصت
 عليها ما هما
 وغمها ، فلم تكذب
 تسمع شكواهما
 حتى أمرت
 إلى خزانها
 فأخرجت منها
 صندوقًا عربيًا
 وفتحته ، ثم
 قدمت إلى السيدة
 لوازيل وهي
 تقول : اختاري
 يا عزيزتي
 فوقع بصرها



أول ما وقع على الأساور ، ثم على عقد من اللؤلؤ ،
 ثم على صليب بندق من الذهب قد رسمته بالحجارة
 بدستناع . فغربت على نفسها الحلي في المرأة ، ثم
 أخذتها حيرة فلم تقطع العزم على ما تأخذ وما تدع ،
 فقالت لصديقتها : ألم يبد لديك شيء آخر ؟
 فأجابتها : بلى ! ابجى . فاني لأعرف ما ذا يعجبك
 وعلى حين بنته وجدت في علبة من الدياج

فرنك يبلغ بي إلى هذه الغاية !
 اسفر وجهه قليلًا ، لأنه كان قد أذخر هذا البيلغ
 بتمامه ليشتري به بندقية يصطاد بها في السيف مع
 بعض الأصدقاء في سهل (ننتير) ، ومع ذلك قال لامرأته :
 ليكن ! سأعطيك أربعمائة فرنك ! فاجتهدى
 أن يكون لك منها ثوب جميل

دنا يوم الحفل
 وزينة السيدة
 لوازيل قد
 هيئت ! ولكنها
 لا تزال كما يظهر
 حزينه مهمومة
 فقلقة . فقال لها
 زوجها ذات ليلة :
 ماذا تجدين ؟
 إنك منذ ثلاثة
 أيام في حال
 غريبة . . .
 فأجابته : إلى
 ليحزنني ألا
 تكون لي حاية .
 فلا أملك مما
 يتحلى به النساء

شيئًا من معدن أو حجر ! وسأكون أحقر من في
 الحفل زينًا وهيئة ، وأرى من الخير ألا أذهب إلى
 هذه الأمسية . فمقب على قولها بقوله :

تتعلمين بالزهور الطبيعية . ذلك أجل شيء
 وأطرفه في هذا الفصل . وبشرة فرنكات تباعين
 وردتين أو ثلاثًا من أندر أنواع الورد . فلم يند هذا
 الكلام على كبدها القريحة وقالت : كلا ، فإن أشد

فقد يصيبك البرد . وسأطلب عربة . ولكنها تصامت عن كلامه وانحدرت مسرعة على السلم . فلما صاروا في الشارع لم يجدوا مركبة فشيا ، وكلا أبصرا على البمد حوزيًا صليحاً به فلا يقف
أخذنا سبيلهما إلى (السين) هابطين فانطين
بقرقفان من البرد ، فوجدنا بعد لآي على رصيفه
مركبة متيقة من تلك الراكب التي تسير وهي
فائمة ، ثم لا ترى في باريس إلا تحت الليل كأنها تخرى
أن تظهر مباتها في وضوح النهار . ركباها إلى دارها
في شارع (الشهداء) ودخلاها حزنين : أأمي فلأنها
تنحسر على انقضاء ما كانت فيه ؛ وأما هو فلأنه يتركز
أن من واجبه أن يكون في الوزارة الساعة العاشرة
نضت عن كتفها ، أمام المرأة ، الثياب التي
تدثرت بها حتى تنظر إلى نفسها وهي في مجدما
مرة أخيرة . ولم تكذب تجيل اللحظ في جديها حتى
صاحت صيحة منكرة : إنها لم تجد على محرها تلك
القلادة !! فأقبل عليها زوجها في نصف ثيابه
يسألها ماذا أصابها ، فالتفتت إليه هالمة تقول :
أنا ... أنا ... لا أجد قلادة السيدة فورستيه !
فانفض قائماً يصيح وقد هفا قلبه من الجزع
— ماذا ؟ كيف ؟ لا يمكن أن يكون هذا !
وطفقا يبحثان في ثنايا الثوب ، وفي طوايا
المطف ، وفي جيوب هذا وذاك ، وفي كل مكان هنا
وهناك ، فلم يجدها . فقال الزوج للزوجة : أنت
على يقين من أن القلادة كانت في عنقك ساعة تركت
المرقص ؟ فأجابته : نعم ، ولقد لمستها بيدي وأنا
في دهليز الوزارة . فقال لها : ولكنك لو كنت
فقدتها ونحن في الشارع لكننا سمعنا قمتها حين
سقطت ؟ فلا بد أن تكون في المركبة . فقالت له :
نعم . هنا جاز . فهل تذكر رقم المركبة ؟ فأجابها :
كلا وأنت ؟ ألم تلحظها ؟ فقالت : كلا .
فرنا إليها ورنث إليه وكلاهما لا يملك فؤاده من

الأسود قلادة فاخرة من الماس ، نفقت قلبها
خفوق الرغبة الملحة ؛ ثم تناولتها بيد مضطربة
وتقلدتها على ثوبها المجهز فاذا هي على ما صورت في
الخيال ، وما تدرت في الأمل . فسالت صديقها في
تردد وقلق : أأستطيع أن تعيرني هذه القلادة ؟
لا شيء إلا هذه القلادة ! فأجابته صديقها : نعم
ولاشك . فأهوت على محرها تقبله في حية وطرب
ثم ولت مسرعة بهذا الكنز

أقيمت الحفلة الساحرة ونجحت السيدة لوازيل
فكانت أبداع من حضرها من النساء رشاقة ولباقة
ومهجة . تدفقت في السرور متأقة متأقة فاسترعت
الأنظار وتصبب القلوب ، فتسابق الرجال وبخاصة
موظفو مجلس الوزراء إلى السؤال عنها والتبرف إليها
والرقص معها . حتى الوزير نفسه فقد أتى إليها باله
كانت ترقص في نشوة من الغبطة وفورة من
اللذة ، وقد اغنى من ذهنها كل شيء فلم تمد تفكر
إلا في انتصار جمالها ، وفي مجد انتصارها ، وفي
ظل رقيق من ظلال السعادة بسطته عليها التحيات
التي قدمت إليها ، والاعجاب الذي انثال عليها ،
والرغبات التي تيقظت فيها ، والفوز الكامل الذي
يجهج بسعره فؤاد المرأة

تركت الحفل زهاء الساعة الرابعة من الصباح ،
وكان زوجها منذ نصف الليل قد قلبه النوم فأخذ
مرفقه في جهو صغير خلا من الناس هو وثلاثة من
المدعوين كان نسائهم لا يزالن يقصصن في نشاط ومرح .
فلما حتمت وهو بالانصراف أتى على كتفها الثياب
التي أحضرها للخروج ، وهي ثياب متواضعة مبتذلة
تتناقض بمقارنتها مع ألفة ما تلبس من زينة المرقص .
وقد شعرت هي بذلك فأرادت أن تتسلل حتى
لا يلحها النساء الأخرى وهن يرتدن مطاطف الفراء
الفاخر . غير أن زوجها اعتاقها قائلاً : انتظري ؛

يمود هو فيشترها منهما بأربعة وثلاثين ألف فرنك إذا ما وجدا القلادة الأولى قبل آخر فبراير . كان لوازيل ملك ثمانية عشر ألف فرنك تركها له أبوه ، فلامنص من أن يقترض الباقي ، باقترض ألفاً من هذا وخمسة مائة من ذلك ، وخمس ليرات من هنا وثلاثاً من هناك ، كتب على نفسه الصكوك المرحجة ، وأخذ على ذمته اليهود المخرجة ، وتزد على كل مراب ، واختلف إلى كل مقرض

عروض آخره حمراء بالخطر ، وعرضه بالمشاة وهو لا يضمن الوفاء بما أذم ؛ وفي حال يرحب لها القلب فرقا بما يتجرعه من هموم المستقبل ، وما يتوقه من يؤس الميش ، وما يخشاه من حرمان الجسم ولوعة القلب ، ذهب يشتري القلادة الجديدة ويضع على منضدة الجوهرى ستة وثلاثين ألف فرنك !

ولما أخذت السيدة فورستيه الحلية من السيدة لوازيل قالت لها في هيئة غاضبة ولهجة جانبية : لقد كان ينبغي أن تردى قبل ذلك ، فقد كنت في حاجة إليها ثم رفعت العلية من دون أن تفتحها ، فكشفت بذلك صديقتها ما كانت تخشاه . فلقد كانت تقول لنفسها : ماذا عسى أن تظن السيدة فورستيه إذا لحظت أن القلادة غير القلادة ؟ ألا تحسبني لسة ؟

ذاقت السيدة لوازيل عيش المعوزين المرراة ، وحملت نصيبها من ذلك دفعة واحدة في بسالة وقوة كان لابد من قضاء هذا الدين الفادح وسقضية . استغنت عن الخادم ، وانتقلت من المنزل ، واستأجرت غرفة على أحد السطوح ، وراوات الأعمال النليطة في البيت ، وبأشرت الأمور البغيضة في المطبخ ، ففسلت الأطباق ، وأتلفت أطا فرها الوردية في سدا القهور ودمم الأواني ، (وصبنت) القذر من الأبيضة والأقمصة والخرق ونشرتها على الجبل ؛ ثم هبطت الشارع في كل صباح لتصعد بلقاء وتقف

الجرج . وأخير آ مضى لوازيل فليس ثيباه وقال : سأرجع في الطريق إلى قطعناها على الأقدام فلعل أجدها . ثم خرج وترك امرأته في ثياب السهرة ، وقد تطرحت من الخور على أحد المقاعد ، لاتشتى النوم ، ولا تطلب الدفء ، ولا تملك الفكر . ثم عاد في الساعة السابعة من غير أن يجد شيئاً . وما لبث أن ارتد إلى دائرة الشرطة يسجل المفقود ، ثم إلى إدارات الصحف يعلن المكافأة ، ثم إلى شركة الدربات الصغيرة يشتد الركبة ، ثم إلى كل مكان يهديه إليه بصيص من الأمل

وكانت هي تنتظر طول النهار على حلقها الأليمة من الدهول والوله . وفي مساء عاد لوازيل سام الوجه كاسف البال لأنه لم يكتشف شيئاً . ولما أعياء الأمر قال لزوجته : لا بد أن تكتبي إلى صديقتك تخبرني أن مشبك القلادة انكسر وأنتك بسيل أن تصاحبه . ذلك بطلينا الهلة لتتخذ تدبيراً آخر . فكشفت ما أملاه عليها

وفي آخر الأسبوع وقفت أمامها على شفا النياس ، فأعلن لوازيل أن لابد من وسيلة لنشتري قلادة بدل القلادة

وفي صباح الذأ أخذت علية الحلية وذهبا بها إلى الجوهرى الذى كتب اسمه عليها فمالأ عنها : فقال بعد أن رجع إلى سجلاته : لست أنا يا سيدتى الذى صنع القلادة ، وإنما صنعت هذه العلية فقط . فذهبا يضطربان في سوق الجواهر ينتقلان من صائغ إلى صائغ فيسألان ويبحثان حتى وجدا آخر الأمر في دكان من دكاكين (الباليه رويال) قلادة من الماس تشبه في نظرها القلادة المفقودة كل الشبه . كان ثمنها أربعين ألف فرنك ولكن الجوهرى رضى أن ينزل عنها بستة وثلاثين ألفاً . فرجوانه الأليمنها من أحد قبل ثلاثة أيام ، وشرطاً عليه أن

دنت السيدة لوازيل من صديقتها القديمة
وقالت لها : عمى صباحا يا جان !

ولكن صديقتها أنكرتها ، وأدهشها أن تسمع
إسراة من عرض الطريق تحييا بهذه الألفه ، وتناديها
من غير كلفة ، فقالت مغمضة :

ولكن... سيدتى... لا بد أن يكون هذا الأمر
قد اشتبه عليك . فقالت لها : كلا ! أنا ما تلد لوازيل
فصاحت السيدة صيحة الدهش وقالت : أوه !

صديقتى المسكينه ما تلد ! لشدة ما تغيرت بمدى !
فقالت : نعم ! لقد كابدت برحاء الموم ، وعانيت
بأساء العيش منذ غبت عنك ، وذلك كله بسببك
— بسببى ؟ وكيف ذلك ؟

— إنك تذكرين ولا شك تلك القلادة
للحسية التى أعرمتى إياها يوم حفلة الوزارة

— نعم ، وبعد ؟

— إننى أضعتها

— وكيف أضعتها وقد رددتها إلى ؟

— لقد رددت إليك قلادة أخرى تشبهها كل
الشبه . وهامى تلك عشرة أعوام قضيناها فى أداء
ثمنها . وليس ذلك باليسير علينا كما تعلمين ، فالتيد
خالية والمورد ناضب والجهد قليل . وقد انتهى
الأمر والجدد لله ، وأصبحت على هذه الشدة راضية
منتبطة . فقالت السيدة فورستيه فى تؤدة وبطء :
— أتقولين إنك اشتريت قلادة من الماس

بدل قلادى ؟

— نعم ، ألم تلاحظى ذلك أمه ؟ إنها لا تختلف عنها
فى شيء وكانت شفتاها قد اقترنا عن ابتسامه ثم على
الكبر والسذاجة . ولكن السيدة فورستيه أخذت
يديها فى يديها وقالت لها فى لهجة الإشفاق والمعجب :

— مسكينه يا صديقتى ما تلبدا ! إن قلادتى
كانت كاذبة ! وما كان ثمنها يزيد على خمسة فرنك .. !

الزيات

عند كل طبقة تتنفس الصمءاء من التعب ، وليست
لباس السوفة واختلفت إلى الفا كمانى والبدال
والقصاب وعلى زراعها السلة فتسام وتقام وتدفغ
النبن من كل إدارة من تقودها القليلة . فإذا تصرم الشهر
وجب عليها أن توفى صكا ، وتجدد صكا ، وتطلب مهلة
وكان الزوج يشتغل فى المساء بتبيض الحساب
لأجاز ، وفى الليل ينسخ صورا من بعض الأصول
كل صفحة برقع فرنك

ودأب الزوجان على هذه الحال عشرين ؛ وفى
نهاية هذه المدة كان قد أديا الدين كله بسمره الفاحش
وربحه المركب

وكانت السيدة لوازيل قد أخلقت جيدها
وبدت فى رأسها روائى المشيب . وكان من طول
قيامها بشئون المنزل الفقير أن أصبحت قوية غليظة
جافية . تكاد لا تراها إلا شمءاء الشعر ، حمراء اليد ،
مقلوبة الثوب ، ترفع صوتها فى الكلام ، وتشمل
أرض الغرف بإلاء الشعر ، ولكنك تراها فى بعض
أوقاتها تجلس إلى النافذة حين يجلس زوجها إلى
المكتب ، فتفكر فى تلك الأمسية الذاهية ، فى تلك
الحفلة الماهرة التى كانت هى فيها موى القلوب ومراد
الأعين . ما الذى كان يحدث لو أن هذه الحلية لم تفقد ؟
من يدرى ؟ من يدرى ؟ إن الحياة غريبة الأطوار
سريعة التقلب ! وإن موتك أو حياتك قد يكونان
رهنًا بأحق الأشياء !

وفى ذات أحد من الأحاد بينا كانت ماتيلدا ترفه
عن نفسها عناء الأسبوع فى رياض الشاتيليزيه وقع
بصرها فجأة على السيدة فورستيه ومعها طفل تنزهه
وتروؤه . وكانت لا تزال رقيقة البشرة رائقة
الحسن فتاة اللامع ، فاعتراها لدى مراكها اضطراب
وقلق . أتذهب إليها فتكلمها ؟ نعم ! ولم لا ؟ لقد أدت
الآن كل ما عليها ، فلم لا تنفض بكل شيء إليها ؟

فرقين ، وتدل من الجانبين
على أذنها المزدتين من
أسفل ، نتيجة حمل قرط
ثقيل في أيام شبابها ،
وكانت جاراتها
يملسن دائماً على الأبواب
ولا يمرنها اهتماماً ،

لَيْتَنِي مَا وَلَدْتُهُ

للطاشيلا ديلياي لويجي بيرانز لاسر
بقلم الدكتور حسن صادق

— هل (نفاروذا)

هنا ؟

— نعم . طارق

البلب بقوة

طرقت (ماراجازيا)

الباب فلم يجيبها أحد ،

فجلست القرفصاء على

الدرجات المؤدية إلى عتبة الباب

كانت هذه المرأة الرزاة تقعى أكثر وقتها في
ذلك المكان ، نائمة نارة ، وبكية في السكون الشامل
نارة أخرى . وكان السابلة يمرون بها من حين إلى
آخر ، فيلقون في حجرها قطعة زهيدة من المال
أو كسرة من الخبز ، فيقطنون عليها نومها الهادي
أو بكاءها الأليم . وفي تلك الحال تقبل المال أو الخبز
وترسم على صدرها إشارة الصليب ثم تعود ثانية إلى
النوم أو إلى البكاء والأنين

عليها أسمال باليسة تهتكت من كل جانب ،
أفسدها المرق وأقذار الطرق وذهب بلونها الزمن .
وكانت تنفد في هذه الثياب التداعية وتروح ،
لانعرف الخلاص منها بوجه ولا حيلة . وكان وجوها
الشاحب المروق قد انتشرت على صفحاته التجاعيد
حتى أصبح لا يرى منه غيرها ، وجفونها الحمر
قد شرقت من طول البكاء ، ولكن عينها احتفظت
بالصفاء السليم الذي يمثل الطفولة العارية من
الذاكرة ولا يتلام مع هذه التجاعيد وتلك الجفون
الحمر . وكان الذباب الذي يهيم في الفضاء من حولها
يستطيع عينها فلا تشمر به ولا تطارده ، لأنها
تمسبة غارقة في هومها طيلة الوقت . ولم يبق في رأسها
إلا القليل من الشعر الشمت قد انفرق من الوسط

ويقضين الوقت كله في أماكنهن يرتقن الملاين
أو يهينن البقول للطبخ أو يطرزن ، ولا يكففن
عن الكلام ومن مهمكات في أعمالهن أمام بيوتهن
المنخفضة التي لا ينفذ إليها النور ولا الهواء إلا من
خلال الأبواب . وكانت هذه البيوت الويثة
تستخدم أيضاً حظائر للحيوان ، وأرضها مصنوعة
من الأحجار الناتئة كأرض الطريق . وإذا ولج
إنسان داراً من هذه الدور ، رأى في أحد الأركان
حماراً أو بفاً يتوجع من جرح أو مرض ، وفي
ركن آخر فراشاً حقيقياً تراكم من حوله أنواع
مختلفة من الحضر وغلة الحقول ، كل نوع على شكل
ناووس يستخدم مقعداً للزائرين ، ثم كرسيين
أو ثلاثة من القش ، ثم آلات الزراعة مبعثرة على
الأرض ، وعلى الجدران التي اسودت من كثرة الدخان
الذي يتصاعد إليها بعض صور زهيدة الثمن لا تمت
إلى الفن بأية صلة . ويرى السائر في طريق القرية
التي يختلط فيها الدخان الكثيف بالرائحة البشيرة
المتصاعدة من حظائر الحيوان ، أطفالاً يلعبون قد
سفت جلودهم أشعة الشمس ، بعضهم جاري الجمد
كأولاده أمه ، والبعض الآخر متمتر بقميص واحد
كثير الفتوق

وأمتعة ، حتى يلقوا عجلة المدينة المجاورة ، يشيعهم
الأبناء والأمهات والأخوة والأخوات بالمويل
والنشيح . وكانت المرأة المسكينة تحمد بيصرها في
عيون الشبان من المهاجرين ، وكل منهم يتصنع
البشر والابتساج ليخفي انفعاله الشديد ويشجع
أقرباءه الذين يصحبونه

وفي كثير من الأحيان كان يدور بين ماراجرازيا
والشبان المهاجرين حوار قصير :

— أيتها المعجوز المجنونة ، لماذا تحديقين في
هكذا ؟ أتردين أن تقتلي عيني ؟!

— كلا يا بني ، إلى أحمدك عليهما لأنهما
سريان ولدي الثائنين ! وأستحلفك بالله أن نصف
لها حال الأئمة ، وأن تقول لها إذا تأخرا أكثر
من ذلك فأنهما لن يجداني على قيد الحياة !

بينما كان النساء يتحدثن في شأن الذين سرحلن
إلى أمريكا في اليوم التالي ، تكلم نجاة رجل شيع
كث اللحية أغبر الشمر أشعثه ، كان إلى تلك
اللحظة يصني إلى الحديث ولا ينطق بكلمة ، وكان
مستلقيا على ظهره معرضا صدره لأشعة الشمس
مبتهجا بتدخين غليونه ، قال هذا الشيخ وقد رفع
رأسه المسند إلى حجر وبصق :

— لو كنت ملكا لحظرت على أي خطاب
يرد من أمريكا دخول قرية (فارنيا)

فصرخت إحدى النساء وقالت : ما هذا
يا جاكو سيبينا ؟ وكيف تمشي الأمهات والزوجات
البائسات إذا انقطع عنهن المال والأبناء ؟

فقال الشيخ منمنا وقد بصق ثمانية : « آه !
نعم ! أمن أجل المال الذي يرسلونه ؟ إن الأمهات
مصرعات على العمل في البيوت خادمت ، والزوجات

في ذلك اليوم الذي طرقت المرأة المسكينة فيه
باب نفاروزا كان الناس يتكلمون عن فئة جديدة
من المهاجرين الذين ينتوون الرحيل إلى أمريكا في
اليوم التالي :

— سرحل (ساروسكوما) ويترك من خلفه
إمرأة وثلاثة أطفال

— وسيصحبه (فيتوسكورديا) وبهجر أولاده
الخمسة الصغار وامرأته وهي حامل

— يقال إن (كارمن رونسا) سيأخذ معه
ولده ، وهو في الثانية عشرة من عمره وقد بدأ

يكسب قوته من عرق جبينه ... أيتها المذراء
المقدسة ! أليس من المفروض عليه أن يترك هذا
الولد للإمرأة ؟ كيف تصنع هذه التبعة الآن ؟ !

— لم أسمع ليسة أومن غير البكاء والمويل في
بيت (مينوزيا) ، وابنه الذي عاد من المعسكر منذ
قليل يرغب في السفر أيضا !

سمعت ماراجرازيا المعجوز تلك الأنوال صامتة ،
وأدخلت طرف شالها في فها لتحبس في صدرها
الزفرات . ولكن حزنها استبد بدخاياتها فسال
من عينها دموعا مغيبة

مضى أربعة عشر عاما على سفر ولديها إلى
أمريكا . ولقد وعداها المودة إليها بعد أربعة أعوام
أو خمسة ، ولكنهما أصابا هناك النفي والفقر وعلى
الأخص أكبرهما سنا ، ونسيا أمهما المعجوز

وفي كل مرة ترحل فيها فئة من أهل (فارنيا)
إلى أمريكا ، كانت تقصد ماراجرازيا إلى نفاروزا
وتستكتبها خطابا ثم تسلمه إلى أحد المهاجرين
وتضرح إليه أن يحمله إلى أحد ولديها

وفي كل مرة ، أثناء عهد طويل ، كانت تتبع
هؤلاء المهاجرين في الطريق ، وهم يحملون غباريات

في القرية بلأرجال، وستتدرب النساء على العمل في الحقول فاطمنن بالأ»

فأجاب الشيخ بصوته الخشن : « النساء لا يحسن إلا شيئاً واحداً فقط ! » ثم بصق فسألته بصوت مرتفع : « أى شيء يا جاكو »
— يحسن البكاء وشيئاً آخر

— إذن يحسن شيئين ! ولكن لننظر إلى أنا .
إني لا أبكي

— إيه ! أعرف ذلك جيداً ! إنك لم تبكي حتى عند موت زوجك الأول !

— إذا فرضنا وكننت أنا التي سبقته إلى العالم الآخر ، أكان يحجم عن الزواج ثانية ؟ إذن ...
أنظر إلى هذه المرأة التي تبكي نيابة عن الناس جميعاً ! إنها ماراجازيا

— لدى هذه العجوز ماء كثير وهي تصبه من عينيها !

ضحك السامعون من سخيرة جاكو ثم قالت ماراجازيا وهي تهز رأسها : « لقد فقدت ولدين جميلين فكيف لا أبكيهما ؟ »

قالت ننفاروزا : نعم فقدت ولدين جميلين يستحقان البكاء ... إني أوافقك على ذلك . ولكنهما - في نعيم هناك ويراكناك هنا تموتين بكاء وجوا »
— أنا الأمل وليس في استطاعتهما أن يدركا مبلغ ألى !

— إذن لنذرفين كل هذه الدموع وتحملين على نفسك هذا الألم الشديد ؟ يقول الناس .
لأنهما فرعا إلى الرحيل فرارا من قسوتك وسوء معاملتك

فصرخت ماراجازيا وضربت صدرها بيدها وقالت : « أنا ؟ من الذي قال ذلك ؟ »

على الذهاب يمرضهن إلى بورصة الشتاء ! ولكن لماذا لا يروون في رسائلهم شيئاً عن الشر الذي يحدونه هناك ؟ ! لماذا لا يكتبون إلا من وجه الأشياء الحسن فيجيب صغار الأحلام على ذلك بالرحيل ؟ ! لم يعد في القرية أيد قوية لفلح الأرض وزرعها ! أقفرت القرية إلا من الشيوخ والنساء والأطفال الصغار . والرجال رغم هذه الحالة يواصلون الهجرة ويقبلون عليها إقبالاً مروعاً !

وفي هذه اللحظة فتحت ننفاروزا بابها ، وكانت سمراء اللون كحيلة الطرف ساجرة اللحظ أرجوانية الشفتين بضرة الجسم رشيقة القوام ، يبدو على هيئتها الفرح والمزعة ، وكان على صدرها الجبل شال من القطن أحر اللون به نقوش على شكل أقمار صفراء ، وفي أذنيها قرط من الذهب كبير الحجم ، وقد جمت شعرها في مؤخرة الرأس وجعلته على شكل كرة كبيرة ، وحفظته من التمشيت بدبوس من الفضة

آمت هذه المرأة بعد عامين من الزواج ثم تزوجت من رجل آخر هجرها منذ خمسة أعوام وسافر إلى أمريكا ، وكان يزورها أحد أغنياء البلد من حين إلى آخر خلصة في ظلام الليل ، ويدخل بيتها من الباب الصغير حتى لا يشعر به أحد ، وكان جارأتها الشريقات اللاتي يخشين الله يرمقنها بعين الحقد ويمسحنها في قلوبهن ؟ وسبب حقدهن عليها يرجع إلى اعتقادهن أنها كتبت إلى بعض المهاجرين في أمريكا رسائل بغير إبقاء لتفسد عندهم سمعة نساءهم انتقاماً لنفسها من هجر زوجها الثاني

دنت ننفاروزا من الشيخ وقالت : « من هذا الخلق الذي يهني ؟ أه هذا أنت يا جاكو ؟ ! صدقي إذا قلت لك إن أحب الأشياء إلينا أن نظل

— لأنهما تتحرقان شوقاً إلى رؤيتكما مرة

أخرى على الأقل ... فتجلبها ننفاروزا وهي تقول :

« استمرى ، استمرى ... إنك كتبت لها هذه
الكلمات ثلاثين مرة على الأقل ! »

— أكتبي على كل حال . إنها الحديقة يا عزيزتى ،
وأنت ترين جيداً مبلغ ألى ... أكتبي : ولدى
المززين ...

— أمن جديد ؟

— كلا ... سأملئ شيئاً آخر ... لقد فكرت

في ذلك الليل كله . اسمى : ولدى المززين ، أمكا
السكنينة تمدكاً وتقسم لكما ... أكتبي ما أملئ ...
تمدكاً وتقسم لكما أمام الله أنكما إذا رجعتا إلى
(فارنيا) فأنها تهب لكما بيتها وهي على قيد الحياة

وهنا انفجرت ننفاروزا ضاحكة وقالت :
« بيتك الحالى ؟ وماذا يصنعان به وما الآن في
خفض من الميش ؟ ماذا يصنعان بجدره الأربعة
الصنوعة من القش والطين ؟ »

— أكتبي على كل حال : أربعة أحجار في
الوطن خير من مملكة في ناحية أخرى ... أكتبي
— كتبت ما أملت . هل تريدن إضافة شيء
أخبر إلى الخطاب ؟

— نعم ! أمكا السكنينة أدركها الشقاء وهي
تفضض من قسوة البرد ، وتروم شراء ثوب
ولا تستطع ، فجودا عليها بخمس ليرات على الأقل ...

فقال ننفاروزا : وهي تجفف اللباد وتضع
الورقة في الغلاف : « قول جميل ، لقد كتبت كل
شيء »

— هل ونحت جيداً هذه الجملة : جودا عليها
بخمس ليرات ؟

— ونحت كل شيء

— بمض الناس

— يا للخرى ! أنا ؟ أبنائى ؟ أما التى ...

فقاطعتها إحدى النساء بقولها : « ما هذا
الانفعال ؟ دعها تقول : ألا ترين أنها تمزح ؟ »
ونحكت ننفاروزا طويلاً ثم أرادت أن تكفر
عن مضارحها الأليم فقالت لمارجازيا بصوت رقيق :
« تكلمي يا جدة واطلبي منى كل ما تريدن »

مدت مارا جرازيا يدها المرتشة إلى وسطها
وأخرجت من حزامها ورقة وغلافا وقدمتهما إلى
ننفاروزا في ضراعة وقالت :

— أنتفضلين على بالكتابة مرة أخرى ؟

— نأى خطاب أكتبه !

— نعم إذا شئت وتكرمت

عبست ننفاروزا وضاحت بهذا الطلب ،
ولكنها أدركت أنها لن تجد السبيل إلى الخلاص
من إلحاح المجوز ، فعدتها إلى بيتها ، ولم يكن هذا
البيت بمنزلة البيوت الحقيرة التى تجاوره ، وكانت
غرفته كبيرة مظلمة قليلاً حين يكون الباب مغلقاً ،
ولا ينفذ إليها النور إلا خلال كوة ذات قضبان
حديدية في أعلى الباب ، وأرضها مصنوعة من الآجر
وفىها سرير من خديد وصوان للملابس ومنضدة
صغيرة سطحها من الرخام الأبيض . وهذا كل
ما استطاعت ننفاروزا الحصول عليه من ربحها
كأنيسة في الريف

تناولت القلم ووضعت الورقة على الرخام
واستعدت للكتابة وهي واقفة وقالت :

— تكلمي وأسرى

— أكتبي : ولدى المززين ، لم تعد عيناى تقويان
على البكاء ... كتبت ننفاروزا ما أملت عليها وهي تنهد
نهدة التنب والمثل ، وواصلت المجوز الاملاء :

« أيها الأبناء ، كيف تطاوعكم قلوبكم على الرحيل ؟
إنكم تمدون بالرجوع ولا تبرون بوعدم ... آه !
أيها الأمهات البائسات إياكن والثقة بعودهم !
إن أولادكن كولدى ، لن يعودوا أبداً »

ولإنها لكذلك إذ سمحت لجأه وقع قدمين برن
في الرقاق ، فوقفت تحت أحد الصاييح وتساءلت
من عساه يكون هذا الشخص ؟ ولما دأبها عرفت
أنه طبيب القرية الجديد الذى يقال إنه سينقل
قريباً ، لا لأنه يهمل فى أداء واجبه ، ولكن لأن
أغنياء البلد يفضونه على النقيض من الفقراء .
وكان هذا الطبيب فى زهرة شبابه ، ولكنه كان
شيخاً بتجربته وعلمه ؛ وحين كان يتكلم فى جمع
من الناس كانوا يصفون إليه مشدوهين مأخوذين
ببلاغته وتدقعه ؛ ولم يكن له ألم يحزن عليه إذا رحل
إلى أمريكا كما كان يشاع عنه

وقبل أن يبلغ مكان ماراجرازيا يضع خطوات
قالت ضارعة : « سيدى الطبيب ! أسمع بأن
تؤدى إلى معروفاً كبيراً ؟ » فازعج الطبيب من
الصوت المباغت ، ثم وقف تحت الصباح وقال
بصوت مرتفع : « من المتكلم ؟ آه ! هذا أنت ... »
وذكر فى الحال أنه رأى هذه الحرق البالية عدة
مرات على أبواب البيوت ؛ ولما هذا ما ألم به من
الفزع ، قالت له :

— أأفضل على " بقراءة هذا الخطاب الذى
سأرسله إلى ولدى ؟

— سأحاول ذلك إذا استطعت فى هذا الضوء
الضعيف

ثم لبس منظاره وأخرجت ماراجرازيا الخطاب
من حزامها وفألته إياه ، وانتظرت أن يعيد على
سمها الجمل التى أملت على تنفاروزا

— حقاً ؟

— أوه ! قلت نعم !

— يا ابنتى إظهرى قليلاً من الصبر مع عجوز
مسيكينة ! ماذا تنتظرين من بلهاء مثلى ؟ ! فليكانت
الله والموت !

تناولت الخطاب ووضعت فى حزامها ، وأرادت
أن تأمن عليه ابن ميتوزيا ليحمله إلى ولديها ،
فبادرت بيت تنفاروزا وأخذت سمها إلى بيته

أسدل الليل سدوله ودخلت النساء بيوتهن ،
وأغلقت جميع الأبواب إلا قليلاً ، وأقترت الأزقة
الضيقة من السابلة ولم يبق فيها غير رجل واحد
يحمل سماً على كتفه ، يسير خلال القرية يشمل
مصاييحها القليلة المبعثرة ذات الضوء الضعيف
المهتر ، التى يحمل سككون الأزقة الشامل حزبناً
رهيباً ثقيل على النفس

وكانت ماراجرازيا أثناء سيرها تفضط بإحدى
يديها على الخطاب الموضوع فى حزامها ، كأنها
تريد أن تنقل إلى قطعة الورق جزءاً من حرارة
الأمومة ، وتحكم يديها كنفها قارة ورأسها قارة
أخرى . وكانت كلما كتبت خطاباً غمرها الأمل
الكبير واعتقدت أن سيؤثر فى ولديها ، ويأتى
بهما إليها

ولكنها فى هذه المرة لم تكن راضية ولا مطمئنة
إلى الخطاب ، لأنها رأت تنفاروزا تكتبه فى مجلة
شديدة ، واعتقدت أنها لم تكتب المجلة الخاصة
بالجلس قرات التى تطلبها لشراء ثوب يقيه لير الشتاء
وأثناء مرورها بالأبواب المغلقة ، بلغ سمها
صرخات الأمهات اللاتي يكنين رحيل أولادهن
القبل ، فقالت وهى تفضط على الخطاب بقوة :

لو كانا تسلسنا خطاباً واحداً من خطاباتها الكثيرة
لماذا إليها طائرين على أجنحة الشوق والحزن
ولكى يطيب الطيب خاطرها وعدها بأن
يكتب بيده خطاباً مطولاً لولائها في صباح اليوم
التالي، ثم قال: «خل عنيك اليأس واذهي الآن
إلى النوم والراحة، وغداً صباحاً أنتظرك في بيتي
لتحقيق رغبتك» ثم تركها وسار في طريقه
كيف تنام هذه الأم المذبة أو تمن إلى الراحة؟
عاد الطبيب بعد ساعتين من تلك الجهة نفسها فوجد
ماراجازانيا في مكانها الذي تركها فيه جالسة القرفصاء
تحت ضوء الصباح وهي تبكي وتتململ. فأخذ عليها
عملها الجنوني وأرغمها على النهوض، وطلب إليها
أن تذهب إلى بيتها في الحال. ثم سألمها:
— أين تقيمين؟

— آه! يا سيدي الطبيب، عندى كوخ في
الجهة المنخفضة من القرية. لقد رجوت من هذه
المرأة المخادعة أن تكتب إلى ولدي أني أزل لها عنه
أثناء حياتي إذا قبل العودة إلى وطنهما، فضحكت
ملء شديها وقالت: ماذا يصنعان بأرملة جدر
مصنوعة من القش والطين؟ ... ولكنني ...

— حسن، حسن، اذهبي ونأني، وفي الند
لن ننقل الكلام عن الكوخ في الخطاب. تعالى
سأصحبك

بارك الله فيك يا سيدي الطبيب. ولكن ماذا
تقول؟ ستصحبي؟ إذن سر أمي لأنني محبوز ولا
أستطيع السير إلا بيده شديد

فلم يسع الطبيب إلا أن يتمنى لها ليلاً سعيداً
وتركها؛ فتبعته في خطي ضعيفة متناقلة. ولما
بلغت الباب التي رآه يدخل منه، وقفت وغطت
رأسها وصدرها بشالها ثم جلست على السلم المؤدى

ولكن الطبيب لم يقرأ، إما لأنه لم ير جيداً
وإما لأنه يحزن عن قراءة الخط. ثم شرع يذوق الورقة
من عينيته ثم يمددها قليلاً ليستثمر جيداً نور
المصباح، وبعد وقت قصير طال على المرأة المسكينة
سألها: «باهذا؟» فسألته ماراجازانيا بدورها في
خجل وتواضع: «ألا تستطيع قراءة؟» فضحك
الطبيب وقال: «ليس في الورقة كلمة واحدة
مكتوبة، ولكن فيها أربع خطوط في تماريج
صبيانية! انظري؟»

فساحت المحبوز مبهوة: «كيف؟»
— انظري وأنمي النظر. لم يكتب فيها كلمة
— أجاؤ هذا؟ وكيف وقع، مع أني أملتته
على تنافروا كلمة كلمة، ورأيتهما تكتب!
فهنس الطبيب كتفيه وقال: «لقد تظاهرت
بأنها تكتب»

جدت ماراجازانيا في مكانها ثم ضربت صدرها
بيدها وقالت في ألم شديد: «آه! الخائنة! لماذا
تخدعي وتسخر من عواطفى؟ الآن عرفت لماذا
لا يجب ولداي على رسائلي! إنها لم تكتب قط
ما كنت أمليه عليها... عرفت السبب! إذن
ولداي لا يعرفان شدة عذابي! لا يعرفان أني أموت
من أجلهما! رب كيف يجرؤ انسان على خيانة أم
محبوز مسكينة مثل؟ يا للعار!»

قال ألم المرأة من نفس الطبيب مثلاً كبيراً،
واجتهد في أن يهدي قلباً من غضبها ويأسها،
وسألها عن تنافروا. أين تقيم ليوجه إليها في اليوم
التالي مانستحق من اللوم. ولكن المرأة كانت لاهية
عنه بالتفكير في التماس الماذر لولائها المبددين عنها،
وشمرت في تلك اللحظة بوخر الضمير الأليم لأنها
اتهمتها أعواماً طوالاً بغير حق، واعتقدت أنهما

انحنى عليه قليلاً في خلاصة ساحرة دون أن تعلم السبب الحقيقي للألم الذى عنده . ولما استقر به المقام ، طفق يتحدث وهي تصنى إليه ، ثم قالت فى لمحة الجزع ، وقد أغضت عينها السحابتين الخلابتين « عفواً ياسيدى الطبيب . أترجع نفسك إلى هذا الحد من ، أجل هذه المعجزة الجنونة ؟ الناس جميعاً هنا يمرضونها ولا يقلق أحد منهم نفسه من جرائها . سل من تشاء . سيقول لك جميع الناس إنها مجنونة ، مجنونة حقاً منذ أنت رحل ولداها إلى أمريكا ، وقد مضى على ذلك أربعة عشر عاماً . إنها لا تريد أن تصدق أنهما نسيها كما هو الواقع والحقيقة . وهي مصرة . على الكتابة اليهما دائماً ؛ تريد أن ترسل إليهما فى كل يوم خطاباً ، ولكى أدخل على نفسها الابتهاج ، كنت أظاھر بكتابة ما تريد ، وكان المهاجرون إلى أمريكا يظهرون لها أنهم سيحملون رسائلها إلى ولديها ، فظل المرأة غارقة فى غرورها . وإذا كنا نجاريها ونجيبها دائماً إلى ما تطلب ، فإن حياتنا تصبح تكدة صعبة الاحتمال . أنظر إلى يا عزيزى ، إنى أنا أيضاً قد هجرنى زوجى . وهل تعرف القصة التى كشف بها عن خبث طويته ؟ إنه أرسل إلى صورته مع خلية أمريكية ، وأحتطع أن أملكها عليها فتى رأسه إلى جانب رأسها ، ويده فى يدها هكذا ... أتسمع ؟ هات يدك هكذا ، وهما يسمان استغنياً بالذين يطعمون على صورتهما وأقدم لك أنى ضحكك كثيراً حين تملت الصورة . آه ! ياسيدى الطبيب ، إن الإنسان يبكى الذين رحلون ولا يرى لحال الذين يبقون ! لقد بكيت أيضاً ؛ وهذا أمر طبيعى فى الأيام الأولى ، ولكنى ثبت من بعدها إلى عقلى والآن أعيش فى أحسن حال .

إلى عتبة الباب فى انتظار طلوع النهار وعند بزوغ الفجر ، استيقظ الطبيب كمادة للقيام بزيارة المرضى . ولما فتح الباب سقطت ماراجرازا إلى الخلف عند قدميه لأنها كانت مستغرقة فى النوم وقد أسندت ظهرها إلى الباب بحب أشد المحب وقال : « أوه ! لقد أسأت إلى نفسك جد الاساءة » فأجبت وهي تحاول النهوض : « سامحنى ياسيدى »

— هل قضيت الليل فى مكانك هذا ؟

— نعم ياسيدى . اطمئن بالأفق ألفت ذلك . كيف أستطيع أن أوامى نفسى وأنسى خيانة هذه المرأة الخبيثة ؟ سأقتلها ياسيدى . كان فى استطاعتها أن ترفض الكتابة فى صراحة وأن تقول إن طيبى يبعث فى نفسها الضيق واللل فأذهب إلى شخص آخر ... أذهب إلى رجل طيب القلب مثلك ... — نعم . انتظرينى هنا قليلاً . سأزور المرأة التى خدعتك ثم أعود لكتابة الخطاب .

وسار متجهاً نحو الطريق الذى عينته له المعجزة فى المساء السابق ، وشأت له المصادفة أن يقابل ننفاروزا خارجة من بيتها فى تلك الساعة دون أن يعرفها ، ويسألها عن عنوانها . فأجبت وهي تمسحك وقد احمر وجهها : « إنى أنا ننفاروزا ياسيدى الطبيب » ثم دعتة إلى دخول البيت

إنها رأت هذا الطبيب الشاب الجميل يجتاز الزقاق الذى تقيم فيه كثيراً من المرات ، ولكنها لم تتعرف إليه لأنها كانت فى أكمل صحة ولم تهرؤ على إدعاء المرض ؛ فلما رآه يسأل عنها من تلقاء نفسه ليتحدث إليها ، ظهر على وجهها أمارات السرور المشوب بالدهشة الشديدة . ولما رآه مضطرباً عابساً وغرفت الغرض من هذه الزيارة ،

تجوز على الميمن بحد مسير ربع فرسخ على الأكثر
(بيت العمود) كما يسميه الناس. إنه يقيم في هذا
البيت، وله مهنة جميلة تدبر عليه خيراً كثيراً.
إذهب إليه وسترى أنى على حق فيما قلت لك
نهض الطبيب وهو أشد ما يكون شوقاً إلى
رؤية هذا الابن، ثم قال: «إني ذاهب إليه»
فوضعت ننفاروزا يدها على شعرها، ورنّت
إلى الطبيب بلحظها الساحر وقالت: «أتمنى لك
استراحة طيبة، وأقدم اليك وافر احترامى»

سار الطبيب في طريق ضيقة كثيرة الأحجار
تقوم على جانبيها بمض الدور والأكوالخ الحفيرة،
حتى خرج من القرية وأخذ طريقاً آخر وسط
الحقول، وهو يلقى بنظره نمنسة ويسرة، ويرى
الأرض الجافة التى تنتظر المطر حتى تنمر، ورائه
أثناء مسيره روح الحزن الذى يحيم على الأرض
وقد رحل عنها أكثر سكان القرية ورجالها
آه! ها هو ذا بيت العمود. وقد أطلق عليه
هذا الاسم لأنه يجاور عمود معبد روماني قديم لم
يبق منه إلا ركن واحد سلباً للطبيب من
البيت وقف أمام السور وصاح «هو هو!» حتى
يأتيه من يجنبه خطر الكلاب. فأجابه صبي في
الماشية من عمره طوى القدمين يضرب لون عينيه
إلى الخضرة، وعلى رأسه قبعة من القماش قد ذهبت
بلونها أشعة الشمس. سأله الطبيب:

— أهاكأب يحشى منه؟

— نعم. ولكنه هادئ لا يؤذى أحداً

— هل أنت ابن روكو؟

— نعم يا سيدى

وكما وجدت فرصة للو، لموت. يبنى أخذ الحياة
كما هى ...»

خضع الطبيب بصره اضطراباً من المطف
الذى أظهرته المرأة الجميلة نحوه ثم قال:

— ربما تعلمين ما يقوم بمحبتك، ولكن
هذه المعجزة البائسة ...

— من؟ هى؟ عندها ما يجعلها تميش كأميرة
عظيمة ولكنها لا تريد

فسألها الطبيب وهو يحدق فيها «كيف
ذلك؟» ولما رأت ننفاروزا منظر وجهه المشدود
عادت إلى الضحك بقوة كاشفة عن ثناياها الخلابه
ثم قالت:

— نعم إنها لا تريد يا سيدى. لها ابن آخر،
وهو أصغر أبنائها، يود لو يقيم معه

— ابن آخر؟ هى؟

— نعم يا سيدى اسمه روكو. ولكنها لا تريد
أن تعرف عنه شيئاً

— ولماذا؟

— لأنها مجنونة كما قلت لك. إنها تبكى فراق
الابنتين الآخرين ليلاً ونهاراً، ولا تقبل من ابنتها
روكو أى شئ برغم توسلاته

زوى الطبيب ما بين عينيه حتى لا تبدو عليه
أمارات الدهشة مرة أخرى، وحتى يخفى اضطرابه
الشديد ثم قال:

— ربما لا يحسن هذا الابن معاملتها

— لا أعتقد ذلك. إنه قبيح الحلقة عبوس الوجه

دائماً، ولكنه كريم النفس سرى الخلق. وهو
مجد لا يعرف غير عمله وزوجه وأولاده. إذا أردت
أن تراه، فسر فى هذا الطريق. المستقيم أمامك،

— وأين والدك ؟

— في الحقل

وكانت أم الصبي جالسة على مقعد حجري أمام البيت تمشط شعر ابنتها الكبرى وهي في الثانية عشرة من عمرها ، وكانت جالسة على مقعد حجري آخر وظهرها إلى أمها ، وفي حجرها طفل رضيع . وكان أمامها طفل آخر يلعب في الأرض وسط الدجاج والديكة . فقال الطبيب المرأة « أريد أن أتحدث إلى روكو . إني طبيب القرية الجديد »

لم تحر المرأة جواباً لأنها اضطربت ولم تفهم السبب الذي من أجله يريد الطبيب أن يتحدث إلى زوجها . ثم أصلحت قميصها الخشن ونهضت لتقدم إلى الطبيب مقعداً ؛ ولكنه رفض الجلوس وانحنى على الطفل الذي يلعب في الأرض ، مداعباً ، وجرى الصبي الكبير إلى الحقل لينادي أباه

وبعد لحظات سمع وقع أقدام ثقيلة ، ولح من بين أشجار التين الكثيفة روكو يسير نحو البيت مقوس الظهر والساقين ، ويده في وسطه كمادة الفلاحين في تلك الجهة . وكان زرى الهيئة دميم الخلق واسع الفم غليظ الشفتين مصفر الوجه مشوه الوجنتين ، وكانت عيناه غائرتين ينبعث منهما بريق لا تطمن إلى النفس

رفع هذا الرجل يده إلى رأسه ورفع قبعته إلى الخلف علامة التحية وقال للطبيب :

— أقبل يدبك يا سيدي . ما الذي أستطيع

أداءه ؟

— جئت لأخاطبك في شأن أمك

فاضطرب روكو وسأله في لهفة :

— أليست في صحة تامة ؟

— اطمن من هذه الناحية . ولكن

الشيخوخة أدركتها كما تعلم وتفتقر إلى العناية ...

وكلما أسهب الطبيب في الكلام عز ازداد اضطراب روكو ثم قال :

— سيدي الطبيب ؛ إني خاضع لك في كل

ما يحكم به . ولكن إذا كنت قد حضرت خصيصاً لتخاطبني في شأن أمي ، فإني أستاذك في الانصراف إلى عملي

— انتظر ، إني أعرف أنك رجل عجد ، وقيل لي

إنك على النقيض من ...

— ادخل البيت يا سيدي الطبيب ؛ إنه بيت

قراء ولكنك طبيب ، وقد رأيت كثيراً من

أمثاله . أريد أن أريك القراش للمدأمة لهذه

المجوز الطبية القلب إنها أمي ولا أستطيع أن

أطلق عليها اسماً آخر ، ها هي ذى امرأتى وهام

أولاء أولادى ، إنهم يقرون أنى كنت آرمهم دائماً

بخدمتها واحترامها ، كما يخدمون ويحترمون الضراء

المقدسة . الأم مقدسة أيضاً يا سيدي الطبيب ؛

لم أحملها يا سيدي ولكنها تفرنى بالخزى أيام الناس

ويجملهم يظنون في ... من يدري ؟ زينت يا سيدي

عند أقرباء أمي ونشأت بينهم ، وما كان ينبغي لي أن

أحترمها كأولادها كانت تعاملني بقسوة وخشونة ،

ولكنى مع ذلك أحترمها دائماً وأشفق عليها . ولما

رحل ولداها إلى أمريكا ، رجوت منها أن تقيم معي

وأن تكون سيدة البيت ، ولكنها رفضت رجائى

وفضلت الاستجداء في الطرق وأغراق في العار ؛

وأقسم لك أمي إذا رأيت أحد ولديها قد عاد إلى

فارنيا فإني سأقتله انتقاماً لنفسى من هذا المار ومن

الآلام التي تحملها طيلة أربعة عشر عاماً ؛ سأقتله

ياسيدى، وإنى أجهر لك بذلك أمام زوجى وأولادى .
وهنا مسح روكوفه بذراعه وهو يرتد وقد

صعد الدم الى عينيه النائرتين ، وكان الطبيب يعنى
إليه ويحدق بصره فيه ، ثم قال له :

— ولكن لماذا ترفض أمك الإقامة معك ؟
لأنك تكره أخويك من غير شك

— أكرههما ؟ نعم أكرههما الآن فقط من
أجل الآلام التى تسببها لأمهما ولى أنا أيضاً ،

ولكن لما كانا فى القرية ، كنت أحبهما وأحترهما
كشقيقين أكبر منى سنًا . أما ما فعلت الكس من

ذلك كان يجرى فى عروقهما دم قابيل ! اسمع
ياسيدى . كانا لا يعملان شيئًا ، وكنت أنا أعمل

للجميع ؛ وكانا يترددان على بيتى ويقولان إن الخبز
يموزها وأن أمهما قامت طاوله ، فأعطتهما ما عندى

من الطعام ، وقد ارتطما فى حماة الدطارة فتزوجا من
امرأتين لها سيرة فذرة ، ولكنى مع ذلك كنت

أعطهما ما يريدان . ولما سافرا إلى أمريكا
ودعتهما وتغنيت لها الخير كله . سل امرأتى بتبتك

ياسيدى

فقال الطبيب بصوت خافت حتى لكانه
يتخاطب نفسه :

— ولكن لماذا إذن ... ؟

— لماذا ؟ لأن أى قول إلى لست ولدها

— كيف هذا ؟

— سيدى الطبيب ، سلها تشرح لك ، أما أنا
فليس عندى من الوقت ما يكتفى ، والرجل فى

انتظارى للعمل

قال هذا وابتعد مقوس الظهر والساقين ويده
فى وسطه كما جاء ؛ وشيمه الطبيب بنظره لحظة ،

ثم التفت إلى المرأة وأولادها وقال : « فلتكن
مشيئة الله ! »

عاد الطبيب إلى بيته وهو يفكر فى تفسير هذه
الحال الغريبة التى ألمت قلبه ؛ وكانت مارا جرازيا

جالسة على عتبة الباب ، فدعاها إلى الدخول وقال
لها بصوت فيه رنة الخشونة : « لقد تحدثت إلى

ابنك فى بيت المود . لماذا أخفيت عنى أن لك
ولداً آخر ؟ »

ف نظرت إليه المرأة دهشة ، وعينت يدها المرتعشة
بشرها قليلاً ، ثم قالت :

— آه ! ياسيدى الطبيب ! المرق البارد
يتسبب من جيبى كلا خاطبى أحد فى شأن هذا

الابن . أشفق على ، ولا تذكره أمامى بعد ذلك !
— لماذا ؟ ما الذى تأخذينه عليه ؟ تكلمى

— فى الحق ياسيدى أنه لم يسيء إلى ... كان
يجرى خلقي فى احترام ... ولكن ... انظر كيف

أرتمد حين أنكلم عنه ؟ آه ! اسمع ، ياسيدى
الطبيب ، لأنه ليس ابنى

فلما سمع ذلك فقد كل صبر وصاح قائلاً :
« كيف ؟ ماذا تقولين ؟ أنت بلهاء أو مجنونة !

ألمت أنت التى حملته وولده ؟ »

نكست المجوز رأسها وقالت :

— نعم ياسيدى ، ولكنى بريئة من البله
والجنون ... لن أنألم من بعد ذلك إن شاء الله ...

وقمت أشياء ياسيدى لاتعرفها لأنك صغير السن ،
ولكن أنا غارقة فى الألم من عهد بعيد إلى اليوم ...

وهد رأيت فى ذلك العهد أشياء لا تستطيع أن
تصورها

وكان المسكين يخفي يديه اثماً رازاً من كل ملأ أرغم على فعله ... آه ! يا سيدى الطيب ، لقد جئته فى عروق حين رأيته على هذه الصورة : صرخت قائلة عند رؤيته رحمه الله « نينو ، ما ذا فعلت ؟ » ولكنه هجّزهن السلام وجلس أمام الموقد صامتاً وهو يخفي يديه تحت ثيابه وينظر إلى الأرض بمنى أبله أو مجنون . وبعد وقت طويل قال : « الموت أفضل ! » : ظل نخبثاً ثلاثة أيام ، ثم خرج فى اليوم الرابع . كنا فقراء يا سيدى ولا بد من العمل ... خرج ليعمل ، ولم يعد فى المساء . انتظرت طويلاً ثم أدركت كل شيء ، وقلت لنفسى مع ذلك لأدفع عني الخوف « من يدري ؟ لما هم لم يقتلوه . ربما أخذوه فقط كأول مرة ! » عشت بعد مضي ستة أيام أن كولا كاميزى يقيم مع عصبته فى (موتلوازا) . ذهبت إلى تلك الناحية كالجنونة فى يوم شديد الرياح إلى درجة بحجية . هل رأيت الهواء يا سيدى ؟ فى ذلك اليوم كان الانسان يستطيع أن يراه ، فيجمله يعتقد أن أرواح الذين قتلوا تصرخ طالبة من الله والناس الانتقام ! أسلفت نفسى الى هذه الرياح ، وكبىدى قريحة . وقلبي يمزق يمزب ، تخملى . استفرقت على الأكر ساعة فى الوصول الى الكهف . كان به فناء كبير يحاط بالأسوار ينفذ اليه الانسان من باب صغير يصمم الثور عليه . تناولت حجراً لأطرق به الباب ... لم يفتح أحد فمادت الكرة بشدة ، ففتح الباب ورأيت ... آه يا هول مارأيت ! توقفت ماراجرازاً عن الكلام وقد استولى عليها الرعب الشديد ، وتقلصت أصابعها وخذلها الصوت فمجزت عن متابعة الكلام . وبعد لحظات قالت :

— تكلمى ، ماذا رأيت ؟
— أشياء هائلة مخيفة ، لم تكن أنت فى ذلك العهد قد ولدت ... رأيت هذه الأشياء بهاتين العينين اللتين لم تنيا عن البكاء طوال أعوام كثيرة . هل سمعت إلى أحد يتكلم عن رجل يدعى كالا باردو ؟
— غاربيالدى ؟
— نعم ، هذا هو الاسم الصحيح . وهو الرجل الذى قدم هذه البلاد وأثار المدن والريف على قوانين الانسان وقوانين الله ! أسمعتم إلى أحد يتكلم عنه !
— نعم . نعم تكلمى . ما شأن غاربيالدى فى هذا الموضوع ؟
— أعلم أن هذا الرجل أصدر أوامره عند قدومه بفتح أبواب السجون جميعاً ، فخرج منها أسوأ اللصوص وأفظع القتلة وأخطر المجرمين ، وكان من بينهم رجل ، هو أكثرهم فظاعة ، يدعى (كولا كاميزى) كان رئيس عصابة تقتل الناس كأنهم ذباب . وتجد فى سفك السماء أكبر لقة . وكان هذا الرئيس يقتل ويقول : إني أجرب الذخيرة أو أجرب رمى البندقية . أقام فى الريف على مقربة منا وكان يقتل الرجال الذين يرفضون الانضمام الى عصبته أو يابون الخضوع لأمره ... كنت متروجة فى ذلك الوقت ، وقد مضى على زواجى بضعة أعوام وكان عندى ولداً يتيماً الآن فى أمريكا . وكان زوجى المسكين يعمل فى أرض (بوزيتو) فر به كولا كاميزى وأخذته قسراً ؛ وبعد يومين عاد الى زوجى صاحب الوجه كالوقى حتى كدت أنكره ... لم يستطع الكلام وكانت عيناه ممثلتين بكل ما شاهد ،

— في اليد ... في اليد ... هؤلاء القتلة ...

توفقت ثانية وحركت يديها كمن يدفع عن نفسه شيئاً . فقال الطبيب :

— حسن . وبعد ؟

— كانوا يلبسون في الفناء بكرات ... هي رؤوس

رجال ... ملوثة بالطين ... كانوا عسكونها من

الشعر ... وكان رأس زوجي في يد كولا كاميزي

نفسه ... عرضها السفاح لنظري فصرخت صرخة

حسبتها ضرت صدرى . صرخة جعلت السفاكين

يضطربون ويرتعدون ... ضفط كولا ميزي على

عنقي ليرغمني على الصمت ، ولكن أحد رجاله

انقض عليه فجأة ، ثم تشجع أربعة أو خمسة من

زملائه وألقوا بأنفسهم على رئيسهم ... لقد تنهوا

من غفلتهم ووضعوا حدا لطغيان هذا الشيطان .

وكم كان فرح عظيم حين كنت أرى هذا الكلب

يختنق أمام عيني بأبدي رجالة .

سكنت المجوز وهي تلث من شدة الهياج ،

وحلق فيها الطبيب وبنت على وجهه أمارات

الشفقة والرعب والسخط ، ثم قلب على مافي نفسه

وفكر طويلاً فلم يستطع أن يستخلص مما سمع أية

صلة بين قصة المرأة وابنها وروكو ، فسألها الوضوح

فقلت :

— انتظر حتى أسترخ قليلاً ... الرجل الأول

الذي انقض على رئيس العصبة ودافع عنى كالت

يدي ماركو

فصاح الطبيب قائلاً : « آه ! أذن روكو ... »

— ولده ... فكر قليلاً يا سيدي الطبيب .

هل كنت أستطيع أن أكون امرأة هذا الرجل

بعد الذي رأيت ؟ راودنى عن نفسي وأراد

اغتنابي ... احتجزنى عنده ثلاثة أشهر مقيدة

مكة الفم لأنى كنت أصرخ وأعضه . وفي نهاية

الأسهر الثلاثة ، استطاعت المدلة أن تقبض عليه

وترسله إلى السجن ، فأت فيه ... ولكنى كنت

حاملًا ... آه ! يا سيدي ، أقسم لك أنى كنت أشعر

بأحشائى تتمزق ، وبأنى أعمل فى بطنى غولاً ...

واعتقدت أنى لن أستطيع رؤيته أو حله بين ذراعى .

وكما كنت أفكر فى أنى سأرضمه ، كنت أصرخ

كأمرأة أصابها الجنون . كان أحب إلى أن أموت أثناء

الوضع ، أى رحم الله روحها ، ساعدتنى وجنبتنى

رؤيته ، واستودعته عقب وضمه مباشرة ، أقرباء

أبيه ، فقاموا بتريته . والآن ، أعرفت يا سيدي

لماذا أقول إنه ليس ابنى ؟ آه ! ليتنى ما ولدته !

ليتنى مت قبل أن أحله !

ظل الطبيب لحظات غارقة فى خواطره ثم قال :

— ولكن ولدك نفسه لم يسمى إليك

— هذا حق يا سيدي ، وإنى لم أطلق بكلمة

واحدة تسمى إليه ، ولكن ماذا أصنع ؟ لا أستطيع

رؤيته ، حتى من بعيد ! إنه صورة أبيه تماماً ؛ وجهه

وهيئته وصوته . إنى حين ألحه أرتعد ويفقر العرق

البارد جبينى ! انه ليس منى ... كيف أصنع !

سكنت ومسحت عينيها بظهر يدها اليمنى ، ثم

خشيت أن يفاد المهاجرون القرية دون أن يتسلخوا

منها خطاباً لولديها . فاستجمعت شجاعتهما وقالت

للطبيب السابح فى أفكاره :

— أحسن الى يا سيدي كما وعدتنى

فتنبه الطبيب وقال : « انى على اتم استعداد »

فدنت المجوز من التضدة وشرمت عنى على

الطبيب بصوت تخنقه المبرات :

— ولبنى المزين ...

ترجمه حسن صارم

لوقا كاشف النسل

TROP SAVOIR

لغزيس دوبر

بقلم الدكتور محمد الرافي

لحفيف أجسامها الصدفية
على الرمال في هذه الأوعية
كالضرب على أعصابي
دراكا لا ينقطع
وفي هذه الشرفة
قص على كرمهوت قصة
سام أبرص نادر عثر

كلان چان كرمهوت
المولندي مولماً بجمع
الأنواع النادرة من «سام»
أبرص^(١) وكثيراً
ما كان يتحدث عن طبايع
هذه الحشرات وعاداتها
حديث العالم المحيط غير

عليه هو وصديقه ريشارد مرل وسماه بسامه

كان ريشارد هذا انجليزياً فارغ القامة وثيق
التركيب أحمر الوجه عريض الجبهة بارد الطبع .
تزوج وهو في السادسة والأربعين امرأة تصغره
بثنتين وعشرين سنة ؛ فاضرة بضة كازهره ، لها
عينان زرقاوان تدلان على دلاله . . . وتنبت منهما
جاذبية قوية لا تدفع ، وكأنما تقول لمن ينظر إليها
من الرجال : « إن زوجي غائب غيبة طويلة للصيد
وقد تركني وحدي في هذا الشباب وهذا الجبال ؛
أفترضك أن أكون وحدي . . . ؟ »

ولنمد إلى قصة الأبرص . قال محدثي : إن مرل
رآه فاهوى إليه وانذره من بين الحشائش ، وما كاد
يجمع يده عليه حتى صرخ : لقد لدغي في أصبتي
قال فنظرت فإذا إصبعه دامية ينفرفها الجرح ،
غير أنه لم يكن خطراً لأن سم هذه الدووية لا يقتل
الانسان . فضممت له جرحه ثم جلسنا نتأمل
سيدنا . ولأول نظرة تبين لنا أن هذا الأبرص مما
لا يستر عليه إلا في الندرة

كان ذلك في الساعة الثانية بمد الظهر فلم
تنقض ساعة بعدها حتى أنكرت وجه مرل ، فقد

جاهل شيئاً عن الآف والسبعائة نوع المروفة منها
وكنت لا أعرف من سام أبرص غير أنه
دووية تنقصف ذنبها إذا أخذها الانسان منه ؛
بيد أن كرمهوت قرر لي أن هذا الذنب إن هو
إلا وسيلة من وسائل الدفاع عن الحشرة ؛ فإذا
ما طارد الأبرص ثيبان أو عدو آخر يريد التهامه
أمكنه من ذنبه ثم تركه يتلع به ويخلع منه وأسرع
فاحتجر بين الشقوق لا يقادرها حتى ينشأ له ذيل
آخر يجعل منه سلاحه الطبيعي

زلت ضيفاً على چان كرمهوت في مثنوا بمدينة
باسوروين على ستين ميلاً من (سويسرا) بجيزة
جاوة . وكان المكان هادئاً جميلاً يتمش الخيال الشاعر
وبطل منه الناظر على القردة في أشجارها تتقاذف
وتتواثب ، وعلى غمام طائر من أسراب الفراش
كأنه سحابة ذهبية تحجب الشمس مرة وتفرج
لها مرة

وكنت أكثر الوقت في شرفة المنزل لا أتحمول
منها إلا للضرورة ، إذ كان كرمهوت قد جمع في داره
قراءة لجماعة حشرة مكفوفة في أوعيتها ، فكان

(١) هو الذي يسميه العامة (البرص) وسام أبرص
كلمة واحدة مبيلة على فتح الجزأين تكسبه عسر ولكننا
انصغرنا على أحد جزأيه للتخفيف

الآن تلك الحالة ؟ قال : كما هي
قلت : فيحسن بك أن تطالع أفكار هؤلاء
الجالين فقد رأيهم يتناجون فيما بينهم وأحسب
لهم شأنًا . فحقق النظر في الجالين ثم شخص
بصره لا يطرف ، وقال بصوت برده الدم في
عروق : إنهم يأتقرون بنا ليقتلونا
فتناهضت فزها فأمسك بي وقال : لا ينبغي
أن يعرفوا أننا اطلعن على سرهم . قلت أوأنت أنت
بما تقول ؟

قال : كوثوق من تفكيرك في تلك الحسنة

ثم استفاق مرل من تلك النشبة فتلون وجهه
ورجع النبض إلى حالته الطبيعية وزال ما اعتراه من
لدغة الأبرص فتهد تهاد أطويلاً ثم قال : عجيب
أن يفكر هؤلاء الشياطين في قتلنا . فأجبتة وأنا
أنكأ الضحك : عجيب حقاً ولكن ترى كيف
يفتالونا ؟

قال : لا أدري فقد أعجبت عني تلك النشبة ؛
ولقد كنت أرى كل شيء واضحاً بيننا ؛ وكانت عيني
في طويثك فملت عليك حتى ما وسوست به من
أنك عند رجوعك الى سنفاورة

قلت : حسيك فاقد كان ذلك ولكن الذي
بنا الآن هو أن نعرف ما ذا يريد جالنا ؟

جلسنا أمام الأبرص وهو يرمقنا بعينه وأفئنا
في أمر تلك الحارقة العجبية ونمليلها فأنهينا الى أنها
كثيرها من مكمات العلم ، وهي ليست أعجب من
تلك المسادة التي جربها علماء أمريكا في المجرمين
فأخذتهم عن وعيم حتى أقروا وهم لا يشعرون ،

انكفأ لونه وتغير وأصبح كالشمع ، فأنزمت
أجس نبضه فاذا هو يضرب ثلاثين ومائة كالذي
أوهنه المرض ؛ بيد أن الذي أدهشني أنه لم يهن ولم
يضعف ولم يتغير بل زاد قوة ونشاطاً . وأحس
نشوة كأنه شارب عمل . ثم رأيته وقد انطلق لسانه
كالذي أخذت فيه الحجر مأخذها فحسبته يهذي .
وقال فيما قال :

أنزف يا كرسوت أنه قد كشف من بصرى
الآن ، فأنا أطلع أفكارك وأفكار هؤلاء الجالين
الثلاثة الذين معنا ؟

قلت وقد أيقنت أن به من " الحى " :

لا ريب في ذلك إن كان مكرراً كما تمكر ،
أو مزحاً كما تمزح

قال : ليس في مكر ولا دابة ، ولكنه ما أقول
لك ؛ فأخبرك بما في نفسك الآن ؟

فابتسمت سخرية به ، وقلت له : إن كان هذا
من لدغة الأبرص ؛ فقد وقعت لنا عجيبة المصائب ،
ولكن ما الذي يكشف لك مني ؟

فأغمض عينيه كالذي يجمع فكره ثم قال :
إنك تفكر الساعة يا كرسوت في تلك الخادم
التي رأيناها بالحنة في سنفاورة

فذهلت مما أسمع إذ لم يصد ما في نفسي ، وخجلت
مما أطلع عليه من شائي . وكانت أشعة الشمس
الفضية وهي تتناثر من غصون الشجر قد نهبت في
غيتاني أشعة مثلها من حسن تلك الحسناء . ولكني
على ذلك رأيت أن أثبت فقلت لمرل : أحسبك
مجنوناً لما فكرت فيها قط

ولكنه نظر إلى خجلى نظرة كانت ردأ .
رفسالته بسد هتية وقد أغنى قليلاً : كيف أنت

ثلاثة الخالين هجوم رجل واحد ، فتلقيناهم بالرمح
فقتلنا منهم اثنين وفر الثالث

وفي ضيعة تلك الليلة حملنا القليل من خبثاتنا
والضروري من المتاع والزاد وعمنا شفا النهر .
وقال مرل وهو يحمل ذلك الأبرص العجيب : هل
تعتقد يا كرمهوت أن في الامكان قراءة أفكار أى
الناس ممن نعرف ومن لا نعرف ؟

قلت : كلا بل الذين نعرفهم دون غيرهم فسكت
ونكس بصره كالمدكر ومشينا حتى إذا توقدت
الشمس في الظهيرة ولفح الهواء جلسنا لعلمانا
وتروحتنا ساعة ، ثم حزمنا أمتعتنا ، وبينما كنت
أنتقددها سمعت مرل يصرخ وهو قابض على الأبرص
بيديه : فقلت وبصوت ماذا تصنع ! قال : ليست هذه
غلطى ولكن الحيوان قد نذ فأمسكته

ونظرت فرأيت قد انكفأ لونه ثم اعتراه
ما اعتراه من قبل ثم شع في عينيه ذلك البريق
الغريب ، قلت : هل لذلك مرة أخرى ؟ فأومأ أن
نعم ؛ فانتزعت الأبرص وألقيته في صندوقه

ولم أكن فطنت لما أراد مرل من سؤاله
فارتدت من هول الحقيقة التي ظهرت لي : فهو
قد استلغ الأبرص هذه المرة ليطالع من بنيده على
أفكار شخص يعرفه حتى المعرفة ، ولكنه لم يفكر
فيه بالأمر ... وكنا على عشرين ميلا من النهر
ولم نجد ظهرا ولا إنسانا يحمل عنا فإذا هو صانع
إذا اطلع على رابية .. في تلك الأفكار المخبوءة وراء
السينين الجميلين ... عيني زوجته التي تركها مبدولة
الحذر في سنن فوره ... ؟

ولم ألبث إلا يسيرا حتى رأيته قد وثب قائما
وهو رجف ويضطرب ، وصم يصدو نحو النهر

وسكت ظاهر الرجل منهم وتكلم باطنه . إن هذه
السادة تظل عمل الكتمان كالخمر

ولما كانت حواس الانسان تسجل الأشياء
عادة من تلقاء نفسها بإرادته وبغير إرادته ، في وعي
وبغير وعي ، فإن سم هذا الأبرص يهيج ولا شك
قوة التسجيل هذه الى وقت محدود ، وينشط العقل
الباطن فيصفو للخ وينكشف له كل ما سجلته
الحواس . فلا جرم كانت حواس مرل قد سجلت
أشياء كثيرة فيما يخص هؤلاء الخالين ، ولكن
طمس عليها انشغال غه بأشياء أخرى

ثم قلت : أما فأعتقد أن هذا السم يهيج
القوى الباطنة فيكشف للانسان ما تسجله طبيعته
الحيوانية ، فهو يحمل الروح الغريزية فوق العقل .
وعلى كل حال فلننا الآن في السم والسام ولكن في
التنبه للخالين هذه الليلة

كانت الليلة مُنْتَجَةً بظلامها سواد على
سواد ؛ وكانت السماء ضربة النجم ، والنباة
سائلة كأنها تتوقع أمرا فهي تحبس أنفاسها ،
والحيوان كله صامت كأنما يتربص كل لكل .
فحملنا نناوب الليل ، أجرس وقتا ويجرس مرل
وقتاً فلما كنت في نوبتي شمعت بدخول الخالين ..
لم أسمع لهم حسا فإن جريان الدم في أذني ربما طاقهما
عن أهداف السمع . ولكن دلني عليهم اقشمراد
بدني ونفور السميرات الدقيقة الحس ؛ فددت
بدى وأيقظت مرل

وكان أحد الخالين في زحفه على الأرض قد
مس رماد النار وهي كابية تحته ، فانبثقت منه آهة
لم يتمكن من ردائها . وفي هذه اللحظة نهجم علينا

يقذف مرل نفسه فيه ليمبره سباحة إلى بنجارون
وفي النهر التماسيح ... غير أنه ثبت على الشاطئ
فأدركته فاذا هو بمزق الثياب أشعث أغبر منتفخ
الوجه غددش الأديم كأنه وحش في إنسان .

فأعطيته ما يتبلغ به وسعته جرة من الكحول ،
وسأله أن ينام ، ولكن أنى له النوم وقد رأى
ما رأى من أمر زوجته ... وخشيت إن أنا غمت
أو غفلت أن يسلبني الأبرص وفيه ثروتي وأحلامي
وشهرتي التي تملأ الدنيا . فخطمت أعصابي في
مدافعة النوم وبت هالكا تعباً وسهرًا وخشية ،
وعليها الظلام بهيمومه ، وحولنا الأفاعي بسموها .
وأطرق مرل لا يتكلم إذ كان في نفسه كلام آخر
ووردت على الأحلام بعد الأحلام ، فاذا أنا

قد نمت آخر الليل وصرعتني الحى
ولما سطع الفجر أبصرنا زورقاً فلوح لم مرل ،
فلسنا دنا منا صرخ في التوتية أن يحملوه ، فراهم
منظره الخفيف وحسبوه قاتلاً قد جنى الجنابة ويريد
الفرار فترددوا هنيهة ، ثم قبلوا بصد أن شرط لهم
حكمهم في الأجر

ومسح الصبح على وجهي بنسيمه البارد فرد
إلى عقل فتناست أسلامي وجعلت أتلطف بمرل
وأديره عن خواطره ؛ وأومته أن سم الأبرص قد
هاج فيه مثل الحمى بهذيانها وليس له أن يقاع
بالبقيين في مثل هذه الحالة . ولكنه كان في أشد
اليقين كأنما رأى رأى العين

ولما بلغنا قُصرَة النهر كانت الباخرة الهولندية
السافرة إلى سنغافورة قد تحركت ، فصرخ مرل
بصوت كالرعد بأمر ربانها أن يقف كأن عليه
حق الأمر ، فأدار الربان ظهره ولم يعبأ به ، فلم تكن
إلا طرفة العين حتى تقنا ما بقى عليه من الثياب ثم

فناديته : أمتعتك يا مرل ؟ فاستدار ينظر إلى بمقي
مجنون في وجهه قاتل ، وصاح بي : ماذا تريد ؟
قلت : خذ عني أمتعتك أو اعمل على الأقل
هذه الحشرات

قال : ليأخذك الشيطان أنت وحشراتك . ثم
طار على وجهه في الغابة ، فأسرعت أحمل ما خف
ومى الأبرص ، وجعلت أعدو خلفه وهو منطلق
بصيح ويلعن جميع النساء من ذوات الميون الزرق ...

الحر شديد كاللظى ، والأبجرة الحماقة تتنفس
من جوف الغابة ، والنبات المتعلق يلتف بساق ،
فيجاذبي وأجاذبه ، ودود الملحق يتراحم على
جسمي ويندس بين ثيابي ، والذباب يتناولني بلسمه ،
والمرق يتحدّر من جيبتي فيكاد يفضي على بصرى
وأنا في ذلك أعدو أشد المد لألحق بالرجل . فبعد
لأمر أدركت أثره وصمت حسيه فجعلت أصبح
به أن يقف أو يتمهل وهو لا يلتفت إلى ولا يسمع
إلا صوت دمه يريد أن يفسل شرفه بالدم ، فقد اطلع
على أفكار زوجته التي تركها وحدها ! واستمر
هذا مني ومنه إلى الليل فكذبت أجن مثله ...

أقبلت على الأمانى والأحلام ، فتوهمتني
أصبحت من أهل الثراء ، ثم من ذوى الملايين إذ
أبيع « لفظات الكشف » بالتمن الثقال لكل زوج
غيور ... ورأيتني في قصرى الجميل أملك ما أملك
وأنتق ما أنفق وأنال ما أنال وسوف وسوف ...
حقاً لقد كنت مجنوناً مثل صاحبي فان الحرارة
والأبجرة ودود الملحق والذباب قد ملأت رأسي
ضباباً ...

وأظلم الليل وبلغنا النهر ، وكنت أخشى أن

وطار الى ذلك المأوى ، وتلقى بفروع النبات المتساقطة على جذرائه حتى بلغ الى النافذة ، فأفل منها ، وكان قد استماز مسدسا من أحد أسدقائه في الطريق فصوره وأطلقه ثلاثا ثم هبط الى الأرض واختفى وجاء الشرطة فاقفحوا السكان ، فاذا بـ زوجة مرل مضرجة بدماها وفي كتفها رصاصتان ، وقد اختبأ تحت السرير شاب أسمر اللون مررت الرصاصة الثالثة على صدره فغدشته ولم تؤذ . فنقلوا المرأة الجريح الى المستشفى وأطلقوا صاحبها

وسكت محدثي مرة أخرى لينظر الى القرد الأذقن ، وكان قد رجع من مطاردة خريمه وأخذ يهمهم لأثناء بصوت يأمر وينهى ، وحى في ذلك تطايط رأسها مدعنة . . . ققطت عليه وقالت له : وماذا فعلت بالأرض بعد ذلك ؟ فطافت على شفتيه ابتسامة خفيفة وقال :

مكنك في بنجرمازان ثلاثة أشهر جمعت فيها أنواعا أخرى من الحشرات ، ثم أخذتني الحنين الى وطني امستردام وإلى أطمعها الشهية والجبة اللذيذة التي عرفت بها . فجمعت أمتعتي ووضعت الأرض في صندوق انجذته له وكنيت قد كتبت

عنه وعن خواصه في المجلات العلمية الأوربية ، ونشرت له صورا عدة ، فاشتغل العلماء بالحدس بث عنه في برلين ولندن ووثينا وغيرها وباتوا يرتقبون أوبتي

ورسست الباخرة الى مرسيليا ، ففتحنا شيت طوال الرحلة الاخلط بالساافرين ، إذ سئمت معاشره الناس ؛ بيد أن رجلا من الطرقاء كان قد عاش طويلا في أبقرة مع امرأته الفرنسية جعل يتسبب لمرفتي حتى اتصلت الأسباب بيني وبينه ،

رعى بنفسه في الماء وجعل يسبح إلى الباخرة والتامسح تنجعه إليه ويدنو منه ، وقد ضج الناس وصاحوا وأجلبوا ، وكنيت أتوقع بين الثانية والثانية أن يكون قد غاص به تمساح ، ولكن يظهر أن وجهه الوحشي وجسمه الضخم المحدث قد جعل منه حيوانا يخيف الأسماك ... فكانت صوم حوله ولا تناله . ورق له الزبان ، فأمر بالقاء الحبال فاجتذبه البعارة ، فلما صار على الباخرة هتف في أن ادفع . ما شرطنا لأصحاب الزورق ولك وحدك هذه الحشرة اللامعة ...

وسكت محدثي ، فقد رأينا على بعض الأشجار القريبة من التزل قردا أذقن يضرب أثناء وممن حولها اصطفت جماعة القردة كالنظارة وقد دخلوا بين الزوجين ، وكان القرد الهرم يضربها ضربا مبرحا على رأسها وهي تصرخ وتتلوى من الألم ؛ فلما طال ذلك وثب قرد فتى فدخل بينهما يريد حماية الأثنى فانقض عليه الآخر وأقبل يطارد من شجرة إلى شجرة حتى غابا جميعا عن الأبصار ثم تابع كرمهوت حديثه فقال : لم أر مرل بعد ذلك اليوم غير أني لقيت ريان الباخرة الهولندية بعد أوبته فسألته عن خبره فقال :

أنتك لأنك الذي بهت الى بهذا الجنون القاتل ؟ فقلت : الجنون القاتل . . . قال : نعم لقد كان مجنونا وأوشك أن يصير قاتلا ، فانه ما وطئت قدماه الأرض حتى هزول في لباسه البحري القديم الذي أمرناه إياه فاستقل عربة الى داره فلم يجد بها زوجته ، فاستدل الجيران فأنباء أحدهم أنه واجدها إذا شاء في منزل عيته ، وهو من تلك المنازل التي تتخذ للقجور . فجنى جنوته

قلت : كلا . بل أعرف هذه السيدة
ثم قصص عليه كل ما وقع . وكان الرجل
الذى قُتل في الباخرة هو ذاته ذلك الذى أفسد
زوجة مرل . وقد عثرنا بين أوراقه على رسائل منها
تدعوه فيها أن يلحق بها في إنجلترا . فقتل الدور
نفسه في الباخرة مع زوجة صديق الآخر ... وكان
الأبرص هو الذى كذبه أيضا هذه المرة

ولما علموا علم هذا الحيوان الدجيب نزلوا معي
الى مقصورتى . وحرك الطبيب شفثيه بكبات لم
أفهمها ، ولجأه انتزع مرحوحة من سعف النخيل
كانت على الحائط ومدها نحو السرير فاقصص
الحيوان فيها وقذف به من الكوة الى البحر

وجرى كل ذلك في مثل طرفة العين ، فلم
أملك غير الصيحة وانتفضت من الغضب ورميت
بنفسي على الطبيب أريد خنقه ، فحال بيني وبينه
الزبان ، وجعلت أزعج من الفظ ، والزبان يتلطف
بى ويهدئ معى ، ويزعم أن الطبيب ما أهلك
الأبرص ولكن أهلك الشر

وانقطعت فى مقصورتى ، وقد خابت جميع
آمالى ، فلا مال ولا شهرة ولا علم ولا كرامة ،
ولن أجد بعد اليوم حيوانا من هذا النوع النادر
كلا ، لن أجد ...

انكأ كرهوت برأسه على كرسية ثم أغمضت
عينيه بعد أن انتهى من القصة واستمرسل فى خياله
أما أنا فجعلت أفكر فيما صنع الطبيب ... لقد
حرم البلاء شيئا من الزيادة فى العلم ، ولكنها
بصيرتها زيادة فى الشر ...
أبا والله لو تكاشف الناس بالحقائق لقتلتهم
الحقائق . محمد الرافعى

فجاءنا الحديث وكان رجلا واسع العلم فذا كرتى
وذا كرتيه ، وقد أولع بأبحائى وقرأ مقالاتى الأخيرة
وكان يعرف شيئا كثيرا عن الثمايين ، ودرس
المنكبوت دراسة خاصة

وأفضى بنا الحديث يوما الى ذلك الأبرص
وخواصه العجيبة ، فقصصت عليه قصة مرل فقال
لولا أنك بمن يُعتقد قوله لمددتها من الأكاذيب .
ثم جمل معنى به أكثر معى ، فكان يمضى الساعات
الطوال فى الاشراف عليه وتأمله ومراقبة حركاته

وصرنا على مسافة يوم من مدينة عدن ، فاشتدت
فى الليل وطأة الخمر ، فتركت حجرى وصعدت
الى ظهر الباخرة واستلقيت تحت النجوم ونمت
ملى عيني ، فأنى لأغط فى نوى إذ نهنى طلق
نارى أعقبه صياح ، وصرخ أحد البحارة : أن قد
وقع رجل فى الماء . فانابت الباخرة وأنزلت قاربى من
قوارب النجاة الى البحر ، ولكنهم لم يعفروا على جثة
صديقى ... نعم صديقى فقد انتحر غرما بعد أن
قتل أحد المسافرين الذين ركبوا من سفافورة ، إذ
رآه خارجا من مقصورة زوجته فرماه بالصاص

لم يطب لى البقاء على ظهر الباخرة فانتحرت
الى مقصورتى وما كدت أفتح بابها حتى رأيت
منظرا أجمدت له فى موضعى ، فقد كان صندوق
الأبرص مفتوحا ملقى على السرير ، ورأيت وهو
يدب على الاحاف ... فأدرت حينئذ من الذى
أخرجه من صندوقه ... وأغلقت الباب وخففت
للقابلة الزبان فأصبتها فى حجرة القتل ومعه الطبيب
يفحصان أوراقه . وما كدت أنظر حتى شُدهت ،
إذ لحمت بين الأوراق صورة جميلة لزوجة مرل !
فالتفت نحوى الزبان وقال : هل تعرف هذا الرجل ؟

الهَارِبُ

للاستاذ إبراهيم عبد القادر المازني

الرشد من أعماله ، فالحقه
بمساعديه الكثيرين ،
وما لبث أن صار يتمتع
عليه في نقب الأخيار
وتقصي الحقائق

— ١ —
دخل «سميد المديان»
على مدير دار الكتب
— حين أذن له — وهو
يحيى وينشر الجريدة التي

ورأى المدير أن سميداً ينظر إلى الكتاب
الذي بين يديه فسح جيبه المريض بأنامله ثم قال :
« على فكرة ... هل عندكم في «الأحوال»
ملفات خاصة بتراجم المشهورين ؟
ثم كأنما تذكر أمراً فقال : « متى أسمت
جريدة الأحوال ؟ »

فقال سميد « بعد الجرب العظيم ... سنة
١٩١٩ — أو ١٩٢٠ »

فقال المدير : « إذن لا قائدة ... »
فقال سميد « هل تسمح لي أن أسأل ما هي
الحكاية لئلي أستطيع أن أساعد ؟ »

فقال المدير : « الحقيقة أنها مسألة غريبة ...
كنت أمس أقرأ كتاباً لمبد القادر النيمي وهو

كاتب مصري وشاعر أيضاً وإن كان شعره قد
ضاع بأماله أو على الأسح لأنه هو أوى أن ينشره

لأنه كان يستعصفه ولا يرى رأى الناس فيه ، وقد
كان مشهوراً منذ أربعين سنة ، ثم اختفى فجأة ،

ولا يدرى أحد أهو حي فيرجى أم ميت فيكي ...
وقد رجعت اليوم إلى المستدرک (وأشار بيده إلى

الكتاب الذي بين يديه) وهو كما تعلم الجزء الرابع
من كتاب الأعلام للزركلي ، فوجدت فيه نبذة

عن الرجل فيها تاريخ ميلاده وأسماء كتبه إلى آخر
ذلك وليس فيها تاريخ لوفاته ، والفهم من هذا

بداية أنه كان حياً حينما صدر الجزء الرابع من

كانت مطوية تحت إبطه وقال وهو يقدمها له :
« هل قرأت هذا يا بك ؟ .. إن الجملة واضحة
التلفيق ، ولهذا جئت وفي مرجوى أن أظهر منك
بيان للرد عليها »

فتناولها منه المدير وألقاها على طرف الكتب
ولم يكتم خبره وهو يقول : « تفصل . تفصل . إن

كل ما يعنى رواد الدار هو أن يجدوا ما يطلبون
— كل ما يطلبون — فيها وأن يهتدوا اليه بسرعة

وسهولة وينبر عناء أو تضيق وقت ؛ ومتى كان
هذا حاصلاً فليست أبالي ما تكتب الصحف أو يقول

غيرها ؛ وهذا حسبي وحسبك بياناً . فاذا قممت
به فذاك ، وإلا فامرئى إلى الله فإ أستطيع أن أضيع

وقتي في الكلام الفارغ »

وكان أمامه وهو يقول هذا كتاب ضخم
وضع بين صفتين فيه قلماً أحر غليظاً ، وكان

ينظر إلى إحدى الصفتين ويشير بأصبعه إلى
سطور فيها كأنما يتلو منها ما ينطق به ؛ بل لقد

خيل إلى سميد أن الأمر كذلك ، ولكنه هز رأسه
كأنما يريد أن يطرد هذا الخاطر ، فقد استأذن من

غير أن يبين النرض من المقابلة . وكان سميد من
أحدث خريجي كلية الآداب بالجامعة المصرية ومن

أنشطهم وأشدهم إقبالاً على التحصيل والاطلاع
وزروا إلى الاستقلال والعمل الحر ، وخال فيه

صاحب جريدة «الأحوال» الخير من لهاته ، وآنس

من مصر وخلف أسرته بها وترك لها كل ما جمع من مال ، وكان ابنه قد كبر وصار ذا عمل يكسب منه رزقه ، ولم يرجع الأب بعد ذلك ولكن من الحق أنه لم يمت وإن كانت أخباره قد انقطعت ... نعم أذكر هذا ...

فقال الدير : « وأنت أنت من ذلك ؟ »
قال سميد : « كل الثقة ... ولكن أين هو ؟ لا يدري أحد »

قال الدير : ولكنه - إذا كان لا يزال حياً - لا بد أن يكون الآن قد جاوز الثمانين ... انتظر ... ولد ... ولد ... نعم ... سنة ١٨٥٠ فهو الآن في السادسة والثمانين من عمره ... هل تظن ؟ ولكن ... السادسة والثمانين ؟ ... يا الله ... أنظن ؟ ... إني لا أكاد أصدق ... لقد كان معروفاً عنه أنه مسرف في إنفاق حياته ... لا يبالي بأعاش أم مات ... فكيف يمكن ؟ ... »

فقال سميد : « مثل هؤلاء الذين لا يزالون أعاشوا أم ماتوا هم الذين يعمرن »

فقال الدير وهو شارد : ربما ... ربما ... ولكن ٨٦ سنة ؟ ... هذا عمر ... هذا ... »

فنهض سميد ومد يده إلى الدير وقال : « سأعني بالبحث ، وإذا وقت إلى شيء فسأخبرك »
فناولوه الدير يده وهو يقول كالتحدث نفسه : « ٨٦ سنة ؟ أما لو كان حياً ؟ ولكن كيف يمكن ؟ كيف يمكن ؟ »

- ٢ -

مضى شهران على هذا الحديث لم يسمع في خلالها كلمة من سميد ولم يكف هو أثناءهما عن البحث والتقصي - عينا - فأقصر بإساً ومصرف

أعلامه - أحمى المستدرك - ولعل صاحب الأعلام لم يقف على تاريخ لوفاته إذا كان قد مات ولكنه كان حينئذ خليفاً أن يذكر تاريخاً تقريبياً. لوفاته على عادته . لهذا أرجح أن الرجل كان حياً وقت صدور الكتاب . ولكن المسألة تبقى مع ذلك بلا حل ... فهل هو لا يزال حياً ؟ أم تراه مات ؟ وأين ؟ هذه هي المسألة ... ولست أعتقد أن في وسعك أن تصاعدي ولكن أدر المسألة في خاطرك عسى أن تهتدي إلى شيء فتخبرني ... إذا سمحت ولك الشكر »

ونهض وافقاً إذناً بانتهاء المقابلة . ولكن سميداً كان مطرقاً وكان يفكر جبينه بأصابعه ، فلم ير الدير يقف فصاد ذلك إلى مقعده على مهل ، وقد جال بذهنه أن لعل هذا الشاب يعرف شيئاً يستحق أن يصنى إليه . وتنبه سميد ورفع رأسه وقال وعينه على السقف :

« سيد القادر الجيبي ؟ أي نعم ! أذكر هذا الاسم ... وإن كنت لم أقرأ له شيئاً ... قرأت عنه ولكن لم أقرأ له ... وسمعت من أستاذنا في الجامعة أن الناس في عصره كانوا في حيرة من أمره ، وكان أكثرهم لا يعرف له جداً من هزل ... وكان يتهم بكل شيء ... كل شيء حتى نفسه ... وكان أسلوبه جديداً في بابه فأخذ الناس على غيرة وكثير مقلدوه ولكنهم أخفقوا فأقصروا ... »

وهنا تامل الدير فما كانت به حاجة إلى من يصف له الرجل وإنما كانت حاجته إلى من يده عليه وعلى مكان قبره

ومضى سميد في كلامه غير عاين بضمير الدير فقال : « نعم ... وأذكر أن أستاذنا قال : إنه رحل

سيجارة ويضمها في الطبق وينساها وروح يشعل غيرها حتى اجتمع في الطبق أربع سيجار بمغصها أقصر من بنف وهم ذاهل عنها جميعا ، وإنه ليهم بشمال الخامسة وإذا بالخدام — فقد كان في بيته — ينيته أن « سعيد أفندي اليداني » قد حضر ، فيقول له بلهفة : « أدخله .. أدخله » ويسبقه هو إلى الباب ويدخل سعيد أفندي ويده في يد جيل بك وهو يقول : « نم وجدته ... في غرفة في ربيع قديم في أعتق أحياء هذه المدينة ... أو هو من أعتقها ... »

فيقول جيل بك : « وكيف وجدته ؟ »
فيقول سعيد أفندي : « أوه ... هذه حكاية طويلة ... وليس المهم كيف وجدته ، بل المهم أنى وجدته ... ويمكنني أن أقول لك إنى استعنت بابنه وقد كان اعتقاده أنه مات لا محالة ولكنني زعزعت له هذا الاعتقاد بنصف بل بقسوة ... هل تعلم أن ابنه أحيل على اللماش منذ سنتين وأن له حفيدة تزوجت وولدت بنتا ... ؟ »

فيقول جيل بك : « ليس عجيبا أن يعتقد ابنه أن أباه مات وشيع موتا ... ولكن كيف وجدته ؟ »

فيقول سعيد مرة أخرى : « لقد قلت لك إن هذه حكاية طويلة »

فيقول جيل بك : « إنما أعني كيف حاله ؟ »
فيقول سعيد : « حاله ... وما ذا تنتظر أن يكون حال رجل قارب التسمين وأقدمه شيخوخته المالية عن العمل ؟ فقر وضعف وعمش ... حال لا يعلم بها إلا الله »

« ولكن كيف ينش ... ؟ »

نفسه آسفا عن عبد القادر التيمي . وكان جيل بك — أو إذا شئت اسمه كاملا جيل بك أحمد القناوى — مخلصا عطوفا رقيق القلب وقد شق عليه جدا أن يحدث في القرن العشرين أن يختفى أديب مشهور وأن تنقطع أخباره نحواً من أربعين سنة فتتساءل الدنيا التي كان يسرها وعلاؤها حيوياً وجذلاً ولا تعود تعرف عنه حتى أبسط ما ينبغي أن يعرف ... أهوى أم تراه مات ... وكان جيل بك يرى أن هذه فاجعة انسانية لأنه لم يكن يشك في أن اختفاء هذا الأديب وانقطاع أخباره سببها بأس عميق أخذ بالكليتين ... وهو مع ذلك الذي يرفه بكتابته عن الناس ويمش نفوسهم ويشفيها بفكاهته ويفيض على حياتهم البشر والنور كما تفعل الشمس . ولم يسمه إلا أن يصحب لاختفاء رجل مشهور في عالم لا يكاد يخفى فيه شيء في هذا المصر ؛ ورجح عنده لهذا أن الرجل لا بد أن يكون قد لقي حتفه في أول مراحل هجرته — إذا صح أن تسمى هجرة — ولا يسمد أن يكون قد تنكر واتق ألا يحمل معه ما يدل على حقيقته ، وأخلق به حينئذ أن يكون قد دفن حياً اتفق بالإمام الجديد الذي تنكر به .. وهن جيل بك كتفه ومط شفتيه ، ثم زفر زفرة طويلة وقال : « إيه ! لا حول ولا قوة إلا بالله »

وشرع يشعل سيجارة وإذا بالتلفون يدق الى جانبه فتناول الساعة متثاقلاً وقال : « نم » ولكنه ما هم أن اعتدل في جلسته وصاح : « إيه ؟ »
ماذا تقول ؟

ولكن الذي خاطبه اكتفى بما قال ، فوضع جيل بك الساعة وقام يتمشى بسرعة ويشعل

طريقك ، وقد تظنه يهذى ولكنه ليس هذيانا بل كره القهن الى الراء فجاء بغير انذار... ولما قلت له انك تبحث عنه ضحك وقال : هل يريد أن ينفذني ويضني على رف.... وقال عن كتيبه لما عرض ذكرها أن خيرها ما لم يكتبه... ولا تزال أسنانه باقية . وقد قال لي إن مئانها وسلامتها من الآفات هما السبب في بقائه حيا إلى الآن... ولما قلت له إن من واجبه أن على مذكراته على بعضهم صاح بي : « أهوذا بالله يا شيخ ! حرام عليك .. اتق الله في يا بني »

فسأل جميل بك : « وما ذا كان يعمل كل هذه الستين الطويلة ؟ »

« أوه كل شيء... قال لي إنه لم يعيش لنفسه ساعة واحدة أيام كان يشتغل بالأدب . وأن كل ما كان يرى نفسه تشبهه كان يرى أنه محروم منه . وكان مما يشغل على نفسه جدا أنه لا يرى نفسه يفعل إلا ما يكره ، فهو لا يحب المجالس التي يكثر فيها الناس ولا يروح إلى أحاديثها ولا يقبض بالزوار ، ويحب أن يشمر أن يته حصن منيع لا يقتحم ، ويود ألا يجالس إلا الذين يصطفهم من الاخوان ويأس بهم ويطمئن اليهم ، ولكنه كان يجد — لسبب خارج عن ارادته بل ضد ارادته — أنه يعيش كما يعيش الناس ، ويفعل ما يستغفل ، ومحرم ما يجب ؛ وقد كبر في ظنه أنه سيظل حياته هكذا ؛ ولم يستطع أن يروض نفسه على السكنون الى هذه الحياة أو أن يوطنها على احتيا هذا التقيد الذي لا يعرف ماذا يفرضه عليه ، وشق عليه أن يظل هكذا — يعرف أنه حر . ولا ينعم مع ذلك بحرية ؛ فكره هذه الحرية الظاهرية ومل السخط على نفسه

« كان يستعين به طابعو الكتب القديمة لضبطها وهم يجهلون حقيقته لأنه يسمى نفسه عبد القادر ناجي... أليس اسما غريبا ؟ إن اختياريه له يشي بثفته بالله وبمحسن المال على كل حال... لقد أدهشني منه أنه لا يزال يتسم للدين ويؤمن بمحسن حظه في الحياة على الرغم مما هو فيه من الفاقة الشديدة... ولكن من بدري ؟ لعله قد حُرف فهو لا يقدر سوء ما هو فيه »

فسأله جميل بك : « ألا يعرف أن ابنه موجود ؟ »

فقال سميد : « يعرف... ولكنه أبي أن يذهب إليه حين عاد من رحلاته لأنه استكبر أن يجعل نفسه حيلة عليه وخشى أن يأفد ابنه من الانتساب إليه إذا وقف على حاله الزرية »

« وهل قابل ابنه ؟ »

« بالطبع... وقال له حين رآه... من يصدق أنك ابني ! إلى أبدؤ. أصغر منك على كل حال . يمكنك دائما أن تنسى أني ما زلت على قيد الحياة ، فأ أشك في أن عثورك على حيا صدمة لك بعد أن وطلت نفسك على موتي . وأحسب أن بعثي الآن قد خيب أملك في... كذلك قال لابنه... مدهش أن ذهنه لا يزال حافظا لقوته... قال لابنه في جملة ما قال لي لما كبرت كنت أقول لو عاش أبي لما طاشرت لأني أستكشف أن أكون فرعا وأحب أن أشمر أني أنا أصل مستقل بنفسه عما عداه وعما غداه ونما... ولكن ذهنه يشرد أحيانا فيخاط فلا تفهم كلامه لأنه يكر راجعا في كلامه إلى ذكر يانه الطويلة في حياته الحافلة من غير أن يشمر بالانتقال أو الرجعة فتحس أنك تهت وضلت

ابنه . . . وقد أطلال النظر إلى البذلة الأنيقة التي
يلبسها ابنه ثم أتى نظرة على الجلباب البسيط الذي
يرتديه هو ، وأشار بيده المرفوعة إلى الاثنين وقال :
« لا لا لا لا . . . دعني لشأني فانه غير شأنك » ولم
يزد بعد ذلك على الابتسام كلما ألح عليه ابنه في
القيام معه . . .

فقال جميل بك : « والأكن ألا نستطيع أن نصنع
شيئاً لهذا الرجل الذي كشفنا عنه ؟ ... إن رجال
الأثار يملأون الدنيا ضوضاء كلها وقوموا على حجر
قديم أفلا يبنون في نبيه الناس إلى حقيقة هذا الرجل
الذي لا يزال حياً وإن كان محسوبا في أهل القرون
الخالية ؟ »

فقال سعيد : « بالطبع نستطيع . . . يمكن مثلاً
أن نقيم احتفالاً كبيراً في أكبر الفنادق ندعو إليه
رجال الأدب والعلم والفنون والصحافة وطائفة من
كبار الرجال ونقدم إليهم صاحبنا ... غربة
الموضوع نفسه كغربة وحدها بإيجاز الحفلة . . . »
فهز جميل بك رأسه وقال : « لاشك .. ولكن
صاحبنا لا يبالي هذا . . . ولا فائدة له منه على كل
حال . . . وأنا أخشى إذا دعونا إلى الاكتئاب أن
لا نفوز بشيء يمتنع الذكر فنكون قد أهنت
الرجل بلا داع . . . ثم من يدري ؟ فقد أبى هذا
وذاك . . . »

فقال سعيد وهو يهض : « أقول لك . . . دع
هذا لي . . . والله الموفق »

— ٣ —

لم يكن الأستاذ عبد القادر التيمى يرح بيته ،
وكان يجلس طول النهار على سريره الضيق تحت
النافذة ويطل منها ولا يكاد يحول عينه عنها . . . ولم

فدور لو أنه مقيد حقيقة بإرادة غيره ليتسنى له على
الأقل أن ينحى باللائمة على هذه الإرادة الخارجية
ويجعلها غرضاً لئمه وطمعته . ولهذا فر من مصر
والتحق بشركة أجنبنيه للملاحة وركب على بواخرها
البحار وأقام في الواتى منسجوباً لها ، ثم ترك ذلك
وعمل وكيلاً تجارياً محبوب المدين ويذرع الأرض
داعياً مرغباً ، ثم انقلب مدرساً للغة العربية في بلاد
الأفنان حتى أقصدته الشيخوخة ولم تقمده في
الحقيقة ، ولكن الناس كانوا يرون أن سنه علت
فهم زهدون فيه من أجل ذلك ويؤثرون من هم
أدنى منه سناً ؛ وكان قد جمع مالاً في رحلاته الكثيرة
فصار ينفق من رأس ماله حتى قارب النفاذ فعاد ،
إلى مصر فدخلها ومعه نحو تسعين جنياً قال لي
وهو يضحك انه حدث نفسه أنه يبنى أن يموت
بعد أن تنفذ قاه رزق سواها ، ولكنه كان يخرج
ويتردد على المكاتب التجارية فأنس به أصحابها
وأدركوا أنه عالم وأن في وسعهم أن يستغلوه فكان
يضبط لهم الكتب القديمة التي يبيدون طبعها ؛
وساعده ذلك على إطالة عمره ، فقد أغناه ذلك عن
الانفاق من رأس ماله أو ما بقي منه ، ومعنى ذلك
عنده أن عمره طال لأنه بحسب عمره بما لديه من
المال ، فعلى حسب كثرته أو قلته يكون ما بقي له في
الدنيا من السنين .. فهل رأيت أعجب من هذا ؟
فأطرق جميل بك شيئاً فشيئاً ثم رفع رأسه
وقال : « لاشك أن الأمر عجيب ، ولكن ألم يأخذه
ابنه بعد أن اهتدى إليه ؟ ... »

فقال سعيد : « أوه .. إن الرجل شاذ كما تعرف ،
وقد أبى كل الأبناء أن يذهب إلى بيت ابنه لأن هذا
خليق أن يحدث في رأيه اضطراباً لا داعي له في حياة

ورجال الدولة أيضاً ... فنفرغ من الأمر كله في ساعة »

قال : « ساءة ؟ .. يا حفيظ ... »

قال : « هذا أهون من أن تظل كل يوم وكل ساعة ممرضاً لحضورهم إلى هنا وإزجاجك ... فكر ... »

قال : « صدقت ... ولكن ... حفلة ؟ ... حفلة ؟ ... إن هذا صعب ... »

قال : « لماذا ؟ . أين الصعوبة ؟ . ما عليك إلا أن تحضر وتجلس معهم ساعة أو بعض ساعة ثم تنصرف جميعاً وكفى الله المؤمنين القتال »
فأطرق الرجل قليلاً ثم قال : « ولكني لا أريد أن أختصر حياتي ... إنني أستطيع أن أعيش ... دعني أنظر ... »

فما لجه سعيد حتى صرفه عن التفكير فيما تكلفه الحلقة من النفقات للثياب ، فقد كان هذا هو الذي يفكر فيه ويستقله خوفاً على عمره

ولكن للشكل لم يحل مع ذلك فقد كان ابنه — على بك — فقيد صار بيكا — عبد القادر التميمي — في حيرة شديدة من أمره من جراء عناد أبيه ، فانه — أي على بك — رجل ذو مركز ومقام في المجتمع ، وقد زوج ابنته منذ عهد قريب لرجل له مركز ومقام في المجتمع أيضاً ، وليس يليق أن يكون أبوه — أي أبو على بك — هذا الرجل البرث الهيئة الذي اللباس الرقيق الحال الساكن في غرفة حقيرة في ربيع عتيق — أو جديد إذا أمكن أن يكون هناك ربيع جديد — وقد استطاع أن يرجي لقاء بنيه وتسميه لهذا الأب الذي جاء من حيث لم يكن يحتسب ، فقد زعم لهم أن الشور عليه

يكن برئ شيئاً في الحقيقة إلا أشكال الباني القريبة وذلك لضعب بصره ، ولكنه لم يكن يظن ليرى شيئاً ولا كان يسي بأن يرى أو أن تأخذ عينه المناظر وإنما كان يتحدث كالذاهل ، وكانت أسارير وجهه المتجمد تنبسط أو تغمق الأخاديد التي حفرها الزمن فيجبل إلى الناظر إليه أن هذا وقع ما يشاهده ، ولكن الحقيقة كانت على خلاف ذلك وتقيضه فما كان يبصر شيئاً وإنما كان يدير عينه في قلبه أي في ماضيه فيبدو عليه السرور أو الألم أو غير ذلك كما يبدو على وجه من يشاهد قصة معروضة في دار من دور السينما . وكانت سعيد يزوره كل يوم مرة — وأحياناً مرتين — في اليوم ويصني إليه أكثر الوقت وهو مهضب ويسج بذكرياته التي لا آخر لها . وقال له مرة :

« ما رأيك يا أستاذ ؟ . إن خير عودتك قد شاع وذاع بين الأدباء ورجال الصحف وكلهم متلهف على رؤيتك »

فقال بإيجاز : « فليتلهفوا »

فقال سعيد : « ولكنهم لا بد أن يصلوا إليك في النهاية .. كما وصلت أنا .. ولا سبيل إلى صدم »
فتجههم الرجل وقال : « ولكن يجب أن نمنعوا ... إن السكان لا يلبق .. ما العمل ؟ . أشر ... »
قال : « اسمع مني وأطعن ... خير ما يمكن أن نصنع هو أن بروك كلهم دفعة واحدة »
قال : « ولكن كيف يتسنى ذلك ؟ . هذا مستحيل »

قال : « كلا ... الضرورة تفتق الحيلة ... وقد رأى المسجون بك أن خير ما يصنع هو أن يقيموا حفلة يدعون إليها الأدباء والعلماء ورجال الصحف

يريدون أن يحتفوا ببعثه ، فانه يحسن بسميد أن يحمل إليهم ما جاء به من الثياب على مشجب ويقول لهم إن هذا ما يطلبون وهو كل ما يستحقون أن يروا ولم يقل هذه الألفاظ بعينها ولا ما يقرب منها بل قال بما هو أعنف ، وكان صوته متهدجا ، وكلامه متقطعا ، وكانت لحيته الطويلة البكتة تضطرب ، وأسناؤه تصطك ، فلم يجد سميد بدا من السكوت والكف عن الأحراج عليه بعد أن وضحت له قلة جدواه ، وسأل الله في سره السر والسلامة في هذه الليلة

وخرجا من الغرفة - سميد في ثيابه الأفريقية التي يلبسها الأفندية من أمثاله ، والأستاذ التلميذ في جلباب فضفاض وجبة قدمية وحذاء أصفر صارت الرقع فيه أكثر من الأصل ، فكانه « مركوب أبي القاسم » وطربوش مصرى سوى أنه طرى وعليه لفة كانت في الأصل مزركشة فأصبحت ألوانها حائلة باهتة

وكان سميد قد جاء في مركبة وتركها تنتظر في الطريق أمام الباب ، فأحاط بها غلمان الحارة - هذا ينط على السلم ، وذاك يبيت بالنظاء ويغطيه وينشره ويكرر ذلك عدة مرات ، والسائق يسبح بهم أن يكفوا ويلمن الساعة التي دخل فيها هذه الحارة ، ويفرق بصوته ليزجرهم ويخفيهم فينفذون متضاككين ثم يعودون إلى رأس أمرهم ، حتى كاد عقل السائق يطير . فلما ركب الرجلان راح الغلمان يجيرون وراء المركبة ويتملقون بها من خلفها ويصيحون ويضوضون ، والسائق يلوّح لهم بالسوط ويضرب به ظهر النظاء حتى خرج إلى الطريق المام

أو الاهتداء إليه أحدث له رجة عصبية يحسن معها اتقاء أزعاجه إلى حيث ، ولكن الصحف بدأت تكتب وتفيض ولا سبيل إلى كبح الصحف أو صرفها عن الموضوع ، فإكل يوم يختفى أديب كانت له شهرة واسعة ثم يظهر بعد أربعين سنة . وقد حرص جميل بك وسميد أفندي على إخفاء مسكن الرجل ولكن الصحف لا يسما أن تصبر على ذلك ، ومن حقها أن تعرف أين يسكن أو يقيم وإلا كانت معذورة إذا هي استرايت في الأمر كله . أضف إلى ذلك أن حفلة ستقام ويشهدا مئات من الخلق ؛ وقد كانت فكرة الحفلة هي التي أغنت جميل بك على اقتناع الصحف بالصبر والانتظار وجعلت الموضوع شيقا وخليقا أن يجد القراء فيه مثل لذة الأساطير . ولكن هذا لا يعن أن يدوم ولا بمفر آخر الأمر من كشف الحقيقة كلها ، فما العمل ... ؟ لهذا لجأ إلى سميد وجميل بك ورجا منهما أن ينقذاه ويحوّلا دون الفضيحة التي يميزع منها ولا يعرف له قدرة على احتمالها . فاتفق الثلاثة أن يحملوا الرجل ظهر يوم الحفلة بعد أن يلبسوه بذلة إلى بيت ابنه ومن هناك يذهبون به إلى الحفلة في المساء

— ٤ —

وجاء يوم الاحتفال فذهب إليه سميد بعد الظهر ومعه ثياب أراد أن يلبسها إياها فأنى واستكبر وغضب أيضا ، وقال إنه ليست به حاجة إلى ثياب ولا إلى أحد من الناس ، وإنه لا يريد أن يحضر هذه الحفلة أو يرى وجه إنسان ، وإنه ما عيب ثيابه على كل حال ؟ . أليس قد قابل بها الناس في مصر وفلسطين والشام والحجاز والأفغان والراق ويران ؟ فإذا كانت لا تكتفي هؤلاء المجيبين به والذين

ابنه وراهم ، ولكن الناس لم يسيروا الابن أدنى التفات ، وإنما كانت عيونهم على هذا الرجل الهرم ذى الثياب المتينة واللحية البيضاء والجبين المقطب والعين الثابتة اللامعة وإن كانت لا ترى إلا قليلا . وكان قد ثقل عليه ما رأى من ابنه فكان ليرجمن الى غرفته . وعرض جميل بك المدعون على الأستاذ بأسمائهم فصاغوه واحداً بعد واحد حتى كاد ينخلع ذراعه ، وإن كانوا جميعا قد ترفقوا به ، وحرصوا على الاكتفاء بلمس راحته . ولم يبد عليهم ما خشيه ابنه من الاستئزاز أو الاستخفاف حين تقع عيونهم على ما هو فيه من الملهاليل

وأدبرت ألوان الطعام فكان الأستاذ يسأل عما يمرض عليه ما اسمه وكيف يصنع ، ولا يتناول إلا بقدر . وكان المدعون في أول الأمر يحدجونهم بيمينهم ويثيرونه النظر ، ولكنهم ما لبثوا أن انصرفوا الى الطعام والحديث . ولكل شيء آخر . — انتهى الأكل ، وبدأت الخطب والقصائد ، والأستاذ مطرق كأنه يصنع ، وكان يهز رأسه من حين الى حين كمن سره شيء — أو ما يسمع

واتتهى هذا أيضا على طوله ، فهمس جميل بك في أذن الأستاذ : « ألا نحب أن نتفضل بكلمة ترد بها عليهم ؟ »

فقال الأستاذ مستغربا : « أنا ؟ ... أقول كلمة ؟ أرد على ماذا ؟ ... إني ... الحقيقة أرى لم أكن مصنيا . . لم يكن بلى اليهم »

فدعز جميل بك — فما كان يتوقع هذا — ، وقال : « ولكن يا أستاذ لابد من كلمة . لا نستطيع أن نقول لهم إنك لم تكن مصنيا الى كلامهم ... أرجو يا أستاذ ... كلمة شكر قصيرة ... القليل منك كثير »

ولا تطيل . ولا تحاول أن نصف لقاء الرجل بأحفاده ، فقد خاب أمل الأسرة كلها حين رآه أعضاؤها ، وأخذت عيونهم الفاحصة قدم الثياب ورثاتها . وكان ابنه أعظمهم خيبة أمل ، وأشدهم قلقا واضطرابا ، ولا سيما حين عرف إصرار أبيه على هذه الثياب الوضيعة المتخجلة حتى لا شفق عليه سميد أفندي أن يفلج فراح يحاور الأستاذ التميمي ويداوره مرة أخرى حتى أن يهديه الله ، ولكن الرجل كان جبلا لا يتزعزع ، ولما قال : « أنا كما أنا . . فن كان يقبلي على علاقي فأهلا به وإلا فاني أرجع الى غرفتي ، فما طلبت أن أجيء ولا أردت أن يعرف ابني أو سواء أنى على قيد الحياة

» اسمك سميد أفندي وأقصر » وكانت الحفلة في فندق من أكبر فنادق المدينة وفي أوسع قاعاتها ، وقد دعى إليها — أو على الأصح اشترك فيها — نحو مائتين من رجال الأدب والتم والتصحافة والحكم والوجاهة . وكان أكثرهم قد بكر وجاء قبل الموعد . وجاء غير المدعون — أو المشتركين — كثيرون وقفوا بحيث يرون الداخلين ؟ واحتشد جمهور غفير على الرصيف ليروا هذا الأديب الذى يبت بعد أربعين سنة ، والذى دأبت الصحف عدة أيام متوالية على الكتابة عنه . واستمد المصورون لاستقباله وتصويره في القاعة الكبرى بالأنهم ومصايحهم القوية

ثم أقبل أحد الشبان يمدو وقال : « جاء الأستاذ » فساد السكون وانقطع حتى الهمس ، وتبلقت الأنفاس ، واشترأت الأنتاق ، واتجهت السيون الى الباب لرؤية هذا البنى كأنما قام من القبر . ودخل الأستاذ في الثياب التى أبى سولها ، وقد أخذ بذراعيه جميل بك وسميد أفندي ، وأقبل

وجد بالتجربة الطويلة أن من السير أن يهرب المرء في هذه الدنيا من الناس — ومن الأدب والأدياء وعشاق الأدب على الخصوص — الخلقين والذين يظنون يوحون إلى نفوسهم أنهم يحبون الأدب حتى يؤمنوا بذلك ... كلا لا سبيل إلى الحرب ... وطالب الفرار لا بد له من الجري الطويل والذهاب إلى أبعد مما كانت الحاجة تدعو إليه قبل نصف قرن . وهو يتكلم عن خبرة فيجب أن يصدقوه ، بل إن وجوده الليلية بينهم دليل مادي على تندر الحرب في هذا الزمان القى امتد به العمر إليه ... وكيف يهرب الانسان ؟ إلى أى مكان يذهب وكل مكان فيه ناس ؟ وقد صار الناس أكثر والاتصال بينهم أسرع وأسهل ... ومن أى مكان يهرب ؟ إن الحرب الصحيح مستحيل ... وقد يستطيع المرء أن يعيش في الصين ، ولكنه لا يستطيع أن يتكر أو ينسى أن الفاهرة والاسكندرية ودمشق والقدس موجودة ... والحرب من الزمان أصعب ... نعم يتوهم المرء أنه يعيش لا في الحاضر بل في المستقبل والمستقبل ، ويروح يميز نفسه عما هو كأن عازم أنه سيكون ، ويذهب يعمل لقلب الدنيا ويجعلها كما ينبغي أن تكون « إلى أوكد لكم أنى أعرف هذا ، فقد فعلته — أعى توهمته — وعشت في سكرة طويلة ونشوة مستمرة وحلم دائم بما سيكون » وقال لهم : إن هذا كله عبث في عبث ، وأكدهم أنه لا مسوغ على الإطلاق لأن يفترض الانسان أن للجنس الانساني مستقبل — هذا أولاً — وثانياً أن ما نسمى له ونلج في ظلمه أو تخفيه قد يكون مستحيل التحقيق . وهب تحميتة ميسوراً فقد يتبين أنه ليس

فهو الأستاذ كتنه وقال « إن هذا غريب ١١ لقد كنت أفكر في ... ليلة قضيتها في كهف ... فقال جميل بك مقاطعاً : « فيها بصد ... بعد الحفلة نسمع ما كنت تفكر فيه ... لا بد أنه كان شيئاً غريباً ... ولكن الآن ... أرجو يا أستاذ » فالتفت إليه وقال : « ما ذا قلت أنهم كانوا يقولون ؟ إنى لم أكن مصنفياً »

فقال جميل بك : « كانوا يشنون عليك ويمدحونك ويذكرون كتبك المديدة ويصفون ما فيها ... كلام كثير يصعب أن ألخصه لك الآن . أنا أيضاً قلت كلمة ولكنك لم تسمع مع الأسف ... نهايته ... لا بد من الرد فاصنع مروفا »

وكان سعيد — حلال المضلات — قد أدرك وهو في مكانه أن في الأمر شيئاً ، تخف إلى جميل فلما عرف المسألة انحنى على الأستاذ وهمس في أذنه : « إن هؤلاء الناس خليقون أن يتوهموا أننا نخشعنا عليهم أو أننا نخدعونهم وأنت لست الأستاذ الخيمى وإنما أنت رجل غيره يتنحل اسمه فقم قل كلمة وإلا ... » ولم يتمها ، فقد نهض الأستاذ معبساً ورفع رأسه كأنما يحاول أن يقيم ما قوسه الزمن ، وكانت لحيته تضطرب وشفته تخرج وكفاه لا تثبتان على المائدة التي وقف متمتماً عليها ، وطل هكذا نحو دقيقة كان من الواضح في أثنائها أنه يعالج نفسه ليردها إلى السكون ويحاول أن يضبط أعصابه ، وفيها بها إلى الاتزان ، ثم فتح فم وقال بصوت خافت :

« أيها السادة » وسكت شيئاً وثبت حلقه ، فكانه تمثال نصب في مكانه ، ثم ابتسم فجأة وبدأ يتكلم بلاتوقف ، ولم يشكرهم كما رجا منه جميل بك ، بل قال لهم في صراحة نزت فرقاً وساءت آخرى إنه

كأنما أراد أن ينتقم لنفسه ، أو أن يفضها بهم
ليتركوه بعد ذلك في سلام ... ولم يطق البعض
المقام ، أو طوله ، فقتل خارجا وتبه غيره وغيره ،
حتى لم يبق إلا دون النصف
ولكل شيء آخر ... عاد الأستاذ الى غرفته
لا إلى بيت ابنه واستلقى على فراشه بثيابه ، فقد
أضناه الكلام والوقوف أكثر من ساعة ونصف ساعة
وفي الصباح جمع ثيابه وأشياءه وانتقل الى
ربيع آخر

وجاء سميد بصحف الصباح وفيها وصف الحفلة
التي ظلت أياما تدعو لها وتروج وفي صدر أكثرها
خطبته التي عنى سميد بتدوينها ؟ فلم يجد الأستاذ
وأعياء أن يعرف أين ذهب ، فأسرع الى ابنه على
بك يخبره ويسأله ما العجل ؟ فقال على بك وهو
يرسل الدخان في الهواء : « أظن أن الواجب أن
تحتزم إرادته ونفسيه من الأثقال عليه »
أبراهيم عبد القادر المازني

رفائيل

لشاعر الحب والجمال لاصريتين

مترجمة بقلم

أحمد حسن الزيات

تطلب من لجنة التأليف والترجمة والنشر

ومن إدارة « الرسالة »

المن ١٢ قرشاً

بما يسيته أو يرتاح إليه أو يرضى به الجنس الانساني .
وسألهم هل هم يعتقدون أن الانسان ينشد السعادة ؟
ولو كانت السعادة الدائمة الخالدة التي لا تزول
ولا تنفد ممكنة ألا يستغلها الانسان ويفرق من
تحقيقها ؟ على أن التفكير في المستقبل والسعى له
لا يمنح أن الحاضر موجود وأنه مؤثر بوجوده ...
وهناك مهرب آخر ، إذ يمتلئ المرء بالثلث المليء
وصور الكمال ، ولكن اللجوء إلى الخيال لا ينفى
الحقائق المحيطة بالانسان ... وانتهى الى أن المهرب
الوحيد الصحيح لا يكون في الحياة ، وهذا لا يمد
مهرباً لأن المرء لا يشعر به ولا يتم بأدراكه . إنه
استطاع المهرب ، ولو كان هذا مهرباً حقيقياً للعبأ
إليه . وابتم وقال إنه يرجو ألا يابجؤه الى هذا
الذي ليس مهرباً ...

واستطرد بطريقة ما إلى كتبه وما يليق من
التكريم من أجلها ، فقال : انه واثق أن أكثر
الموجودين لم يسمعوا باسمه ولم يكونوا يعلمون أن له
كتباً ، وأن الذين قرأوها فهموا منها غير ما أراداه .
وقد يكون هذا عيبه هو كما قد يكون عيبهم م ،
ولكنه الواقع على كل حال . والمجتمع لا ينظم أمره
إلا بالجملة ، وهي شيء حسن في ذاته ولكنه هو
فرغ من ذلك كله وأخرجته سنه من المجتمع وأعفته
من ضروراته ؟ وهو ليس من هذا الزمن فيحسن أن
يرتد ويتراجع الى ما أخرجه منه ، لأنه ليس الاقطة
متخللة من زمن سابق ، ولا شك أنهم أدركوا
غلطهم حين خرجوا به الى زمانهم ...

وظل يهضب على هذا النحو الذي لم يكن
منتظراً ولا كان في حساب أحد ؛ وطال الأصرقل
الناس ، وأحسن هو الممس فلم يترفق بالذين ضجروا

قلب الحجل

من القصص الباطنية

بقلم الأستاذ محمد الخفيف

الشقاء ؛ لقد نجحت أمه فيها ذهبت إليه ، ولقد قدم هو لها جبل عليه من الكسل عن مقاومة أغراضها ، كما خذلت عزيمته فلم

يستطاع أن يتولى بنفسه شؤون نفسه ، وكان قليل الثقة بكفايته أو بمقدرته على تنفيذ شيء ، وراحت الأم تنصح له حيناً بأنه مقلد على مواجهة الحياة ؛ وكثيراً ما ابتدرته بقولها : اتخذ يا بني من (إبرن) زوجاً لك . إنها الزوجة التي خلقت لك ، بل إنها المرأة الوحيدة التي تستطيع أن تجعلها شريكاً حياتك . نعم إنها ليست فاهرة الجبال ولكنها جادة مجدة ... كذلك ليست بالثيرة وإن لم تكن فقيرة ، وأظنك لا يمكن أن ترى في زواجك إلى المال . إنها ستحفظ لك بيتاً طيباً وتمنى بترية أطفالك ؛ وما عسى أن تطلب فوق ذلك ؟ إن ما لا يحمد لك أن تشايخ خبيالك وأحلامك إلى ذلك الشيء الذي تسميه ... »

على أنه في الواقع لم يشايخ أحلاماً أو يساير خيالاً قط . وقد تزوج من إبرن ليرضى بذلك أمه . ثم أخذ يوطن نفسه على أن يألف هذا الضرب من البعوضة التي أشارت إليها

ولكنها كانت سعادة فائرة مصفارة كادية ؛ على أن أمه كانت تعلم حق العلم ما ذا تعنى بقولها حيناً أشارت إلى الخيال والأحلام ، فكان حلم جوجليمو هو ابنة عمته آن ، وقد تزوجت تلك العممة من رجل غني من رجال الأعمال . وكان جوجليمو يتردد على منزل عمته وهو غلام ، ولكنه حيناً طر شاربه حالت بينه وبين ذهابه إلى حيث كانت تقيم آن

سمع جوجليمو رنين الجرس مؤذناً بدخول شخص ، كما سمع حديثاً في الهو ، ولكنه لم يتحرك . ومن عسى أن يكون

ذلك الشخص ؟ أم هو صبي الصيدلى ؟ أم هو الخباز ؟ أم هي الخادمة ؟ ... إنه يعرف تفاصيل حياة البسيطة المملوءة معرفة خبرة ووثوق وهو في حجرته العالية ، حجرة دراسته يسمع من الأصوات كل يوم ما يستدل به على ما يجري حوله من شؤون الحياة ؛ ولقد ألف تلك الأصوات الرتيبة ألفة تامة ، حتى إن ما حدث في ذلك اليوم من أمور جديدة قد اتخذ في ذهنه صورة ما ألف من قبل كأنه رآه بالأمس ، ولذلك لم يثر في نفسه اهتماماً خاصاً . فهناك الصيدلى مثلاً ، وهو رجل حديث مقدمه وقلد الحمد فلا يدرى من الأمر شيئاً ، ولن يستطيع أن يحجز الأمور من وجهتها . وراح صاحبنا يتحدث نفسه : « ستأتى هنا بعد برهة المنيورا أ كاردى ثم يأتي الطبيب ؛ وبعد ذلك يتزايد غمز الجرس فترة ، ثم في ساعة أو ساعتين ينتهي كل شيء كأن لم يكن هناك شيء » ولكن يهذهغ لفته ، فتح كتاباً وحول إليه بصره ، منصرفاً عن النظر إلى حديثه الصغيرة التي جدد الربيع خضرتها يومئذ ؛ وكانت حجرة دراسته كيانه محدودة متواضعة ، ولقد اتجه فكره وهو يقرأ إلى تلك الحياة

تزوج في الخامسة والعشرين وهو الآن في الثلاثين ... خمسة أعوام من الوجود الذي لا يمزه شيء ، خمسة أعوام لا هي إلى السعادة ولا هي إلى

الوجود بأنفس جديدة هي التي زادت حيوية ونشاطا
أنتيت سربما على قدر ما استطلعت ... ما حالها ؟
بخير ... هون عليك لا تضطرب ، لو كنت مكانك
نخرجت من المنزل برهة أو جلست هادئا في حجرتي .
سأعود إليك بعد ساعة أو ساعتين وأطلعك على
جلية الأمر »

وابتسم الطبيب ثم دخل حجرة المريضة ورجع
صاحبه الى حجرته . وقد فكر بعد برهة في الخروج
من المنزل ، ولكن دافعا خفيا لم يتبينه ، دافعا
مكونا من الخوف من جهة ، ومن توقع ما يسر من
جهة أخرى ، أقدمه عن الخروج ؛ فلبث في مكانه
مفكرا ، ولكن أفكاره القديمة لم تلبث أن عاودته ؛
وكان عييا أن تناوده في الساعة التي يرى فيها وجوده
يتصل بالمستقبل في حياة وليده المنتظر ، فتغذف به
في أعماق الماضي خطوة بعد خطوة

وما كان الماضي غير أن ... آن دائما ... آن واسمها
وذاتها وكل ما عت بصلة اليها

لقد رأها مرار بعد زواجه ، ووجد أنها
لم تتزوج حتى ذلك الوقت احتفاظا بجزيتها ،
كما اعتاد أن يسميها تقول ذلك بأحاذكة . وهي
الآن في السابعة والعشرين لا تزال كما عهدتها من
قبيل مرحلة مراهقة . وكانت تزور نيتة بين حين
 وآخر حيث اتصلت أسباب المودة بينها وبين
إيرين ؛ على أنها لم تكن تكثر من الحديث معه وكان
قصارى ما تبديه نحوه من اللطافة ابتساما أو اثنين ،
ثم تمد يدها اليه فتضاحكه مصاحفة الأصدقاء وتنطلق
في سبيلها

وكان يمتدج جوجيليو أن أنه أخطأت التقدير ،

وساوس عتمته ، وما كان بين المنزلين من فرق كبير
في الثراء . نعم كان حلم جوجيليو هو تلك الفتاة
الجبيلة الطويلة المشوقة القصد التي ينبعث المطر
دأب من ثيابها ، ذلك الحلم الذي جاهدت أمه في
تبسيده ... « وماذا كانت تنتظر أن من رجل
مثله ؟ تتزوج منه !! يا إله الناس إنها تنظر الى ماهو
أبعد من ذلك ... تحبه ؟ ألم يقين أنها كانت أبدا
تمتع نفسها دون أن تميز التفاتة أو تتجه لحظة
بفكرها إليه ؟ »

وكانت تلك الكلمات كفيلة بالقضاء على حلمه
الجميل . وهكذا تزوج من إيرين ؛ والآن بعد سنتين
من السعادة المزيطة الفاترة ترى إيرين موشكة أن
تجيب غلاما . ولم يقابل جوجيليو ذلك أول الأمر
بكثير من الحساس إذ رأى الزمن يأتي له بشخص
آخر يحول بينه وبين الأحلام ، ولكنه أحس
بقبله يعتلي بالنبطة كلما تصرمت الشهور . ولد ؟
وما الولد ! أليس هو الشيء الوحيد الذي يمل
وجودنا ؟ ثم إنه يرى فيه خير منحة بعد مالا فاه
في ماضى أيامه من أشجان وآلام ، وأحسن عوض
عما فقد من الحب والسعادة

نهض من مكانه هذه المرة وترك حجرته وأنى
نفسه في المر ؛ وهناك سلطمت في أنفه رائحة المقاقير
المنبعثة من حجرة زوجته ؛ ولو أنه أنصت لسمع
أنيبها ، ولكن صوتا قويا هادئا قطع عليه تيار
فكره فجأة ... « هاأنذا أنتيت ، هاأنذا » وكان
ذلك هو الطبيب رفيق صباه الذي كثيرا ما تردد على
منزله . كان يدينها مرحا مشيع الوجه من الخمرة .
ولعل وظيفته هذه التي كانت تنحصر في إمداد

«أأنت في حاجة الى شيء؟ هل أستطيع أن أجعل من وجودي فائدة لك؟»

وجاء دوره الآن ليجيب ، فان دائرة صمغها قد اتسعت حتى تركتهما حائرين ؛ وخيل الى كليهما كأنه يستمع الى صوت الآخر ، وكأنما عادت اليهما ذكرى عبارات قيلت من قبل ولكنها نسيت الآن أو إمتلأ بها الفكر ، ولكن لم يتحرك قط بها اللسان

وأخيراً قطع جوجيليو هذا السكون فجأة بسؤال غريب ، ظهر أكثر غرابة لصدوره من شخص خجول مثله ؛ ولقد كانت وقته على أن كقابلة لم يحسن أداها !

«أنت جميلة كاملة يا آن ... لماذا لم تتزوجي حتى الآن؟»

ولقد التهب خداهما من الخجل ، بل لقد ظهر وجههما كله والجزء العاري من عنقهما تحت القراء مشبوب الحرة ، ولكنها حاولت أن تبسم لتخفي تلك السحابة التي أظلمت في عينها

«فيم تفكر الآن يا جوجيليو ؟ لقد بقيت عذراء لأنه ... لأنني لم أجد أحداً يخطبني ...»

وضحك جوجيليو بدوره نضحاً من قلبه . لم تجدى أحداً ؟ يا عجباً ! إن وراءها من عشاق الشباب ما يفوق عددهم عدد من يتوددون الى جميع فتيات المدينة بمجتمعات

«من أنبأك هذا؟»

«أنبأني به أمي»

«إن أمك لم تدر من أمر هذه المسألة شيئاً ... ولكن إذا فلنقل إني أقسمت قسماً» وأخذت

اذ لم تكن آن كما اتضح له في شيء مما تصوره من الزهو والكبرياء . ولكنها في الحق لم تكن امرأة عاطفة

هل زاد عدد الناس في الردهة ؟ لقد سمع جوجيليو صوت شخص يكلم الخادمة في خمس . ولقد جملة هذا الصوت يفتض في مكانه ، ثم فتح باب حجراته وظهرت له رأس لطيف

«إنها أنا يا جوجيليو ، أأأذن لي بالدخول ؟ ونظر جوجيليو الى القمطر في اختلاجة غريبة لم يستطع اخفاءها ، وكأنما كان يجب أن يثيب أفكاره في ذلك القمطر ، فلقد كانت اختلاجة عينه كاختلاجة من يرى متلبساً بجريمة ! ولكن آن تقدمت نحوه في هدوء وهون

«لقد جئت لأسأل ما حال إيرين الآن» وبدا على جوجيليو أنه شارد اللب الى حد أنها نظرت اليه نظرة عطف قائلة :

«جوجيليو أيها المسكين ما أراك الاحزان ...» ورد صاحبها مغمماً : «لا . فالطبيب عندها» ولم تلبث أن التفت في رأسه فجأة أفكاره حول هذه الأنسة التي يراها الآن تظهر اهتمامها بأمر عيت بصلة الى الحب والحياة ، فزادته تلك الأفكار ارتياحاً كما واختلس نظرة الى جسم آن البض الجميل ، ذلك الجسم الذي رآه قديمي أحسن تهئية لجل الأجنة «إجلسي لدى برهة يا آن ... فاني أحمد لك عيئك الساعة !»

وسمعت لصوته نبرات غريبة ، وتغير تعبيراً عجبياً كما تغير الموسيقى بتغيير اللحن . ونظرت اليه آن في دهش وظلت هامة برهة ثم سألته :

إليه كأنه يرى الواقع شاخصاً أمامه يسأله : « ألا تفهم ؟ »

لا . إنه لم يفهم . لقد أسلم قياده بالأمس ورفض أن يقوده ضلال أمه . وهكذا ألقى نفسه على شفا منحسدر لم يجد بداً من النزول إلى قراره . والآن يرى الماضي في ضوءه الحقيقي . ويرى الآن أنه حينما كان يكتر من الازدحام يرى أن كان وجهها يتهلل بشراً وفرحاً ، وأنه حينما كان يغيب عنها كانت ترى مكتئبة لذلك . وأعقب ذلك مرضها ؛ ثم توالى السنين التي أغفل فيها أمرها ، فلم تر بداً من أن ترفض في عناد أن تتزوج من غيره ولكن لم ظلت ساكنة لا تجربه عن شيء ؟ أكان في ذلك جرح لكبريائها أم هل كانت تخشى المذلة لا . إنها لم تفكر في شيء من هذا ..

والآن ؟ هذا البوح الباغث ... واحمرار وجهها من الخجل ... وبداها المرتعدة ... ألا إنها لا تزال تحبه ... وحدثته نفسه قائلة « لا ليس هذا ممكناً » ولكن قلبه كان ينبض بين جنبيه بما يؤكد الفريضة . كانت ذلك كذلك ؛ كان ذلك كذلك ...

وبينا هو كذلك إذ دوت في أرجاء المنزل صرخة ألم قطعت عليه تيار أفكاره وأعادته ثانية إلى حقائق الحياة ، إلى الواقع الذي لا يشوبه خيال ؛ ففي تلك اللحظة أوشك أن يولد له غلام ، وهو قطعة منه تندبها حياته في سجل الوجود وتتصل بالستقبل ، فحجب كيف يحزن على ما فاته من سعادة الحب بينما هو مقبل على رؤية ابن له . وأى سيزور أعظم من أن يرى المرأة قلقة من كبسه بين يديه ؟ ولكن أن ... أن

أن تضحك ثانية ولكنه كان يحكم تخطئه الحيرة « فنيا ؟ ولكننا حينما كنا صغيرين نذهب معاً

كفت دائماً ترين أن الشخص الآخر ... »

« ولكن المرء يقسم بعد ذلك »

« ومتى كان قسمك ؟ »

« لا أذكر ذلك تماماً ... وإنما أظنه منذ

خسة أهوام أوسنة ... »

« حينما تزوجت أنا ... أتمنين ذلك ؟ »

وهنا صبحت الفتاة ، وبدت عليها أمارات الارتباك وعضت على شفتيها ، إذ تبينت أن ما قامت به هو الشياء بعينه

آه . نعم . أذكر أنك كنت مريضة تلك

السنة ... ولم يكن يعلم أحد ما حقيقة الأمر ...

أذكر ذلك — كنت وإيرين في سويسرا ...

وصمت بذلك بعد حين ... « فهل » وتبادل باسماً

« فهل كان عزمك وقسمك يومئذ ؟ »

« إلى اللقاء يا جوجيليو ... إلى ذاهبة

وسأجى ثانية ... أرجو أن ندموني « بالتليفون »

وتجبرني ما يكون من أمر إيرين

« نعم سأخبرك . ألا تصاغفني ؟ »

« ها هي ذي يدي إذا »

مدت إليه يدها فمزها مطيلاً ذلك على غير

إرادته . ما ذاك ؟ لم كانت يدها هكذا ترتد ؟

ولما شد عليها بعد ذلك أكثر خيل إليه وقد

خالجه شعور مباغت كما لو أنها أسلمت نفسها إليه

منهزمة ...

ألقي نفسه وحيداً ، ولكن المصحب والرب

استوليا عليه مما جرؤ على قوله أو التفكير فيه ، وخيل

سمادة قلبه من الحب . سيتغير كل شيء وسيستجد كل شيء . نعم سيحل محل تلك السمادة الهزيلة الفاترة سمادة رائمة ناضرة ، سمادة تحق كل ملتحصو نفسه إليه . إذا ماتت إرين فسيأخذ آن زوجها . ليس أمامه إلا أن يختار الآن . ومن ذا يلزمه ؟ أليس يسير وفق قوانين الحياة ، وما تقتضيه غريزة النوع الانساني ؟

وصاح جوجيلمو متأوهاً : « يا إله السماء ! »
وحده قلبه ملجأ : « انك لا تحب زوجك .
وإذا بقيت فسوف تخشى السنون وأنت تمش مع امرأة لا ترى للحياة معنى إلى جانبها . فكر مرة ثانية كيف فقدت المرأة الأخرى ... وكيف كان ذلك نتيجة جهلك وضمفك ... هيا ... هيا كلتان ... انطق ... أترى الأمر هكذا صعباً ؟
انطق أيها الأحق النبي وقل : « نوح الوليد »
ولكنه رفع رأسه ، وعلى وجهه صفرة خفيفة ووجه الخطاب إلى الطبيب قائلاً في ثبات :
« نوح الأم »

الطبيب

الجليلة الساحرة ؟ إن طيفها علماً ظاهريه ، وسحرها يشيع في نفسه . ياله من موقف ! إنه يرى نفسه بين سمادتين : سمادة أفلتت منه وصارت من تراث الماضي وذكرائه ، وسمادة توشك أن تحيط به ، فيمتلئ قلبه بهجة . ولكن ... ولكن ألا يمكن أن يكون منها مزيج فتكمل أحدهما الأخرى ؟
نادى الطبيب جوجيلمو ووقف أمامه مصفراً مضطرباً ، وقفز جوجيلمو متسائلاً في لهفة :

« ماذا حدث ؟ هل في الأمر شيء ! أجبت ! »
« نعم ، يؤلمني أن أجيبك أن الخطر محقق بها فلقد طرأت مضاعفات من حيث لا أدري ، ولكن لا يزال هناك أمل ، أمل يتأخص فيما تستطيع الجراحة أن تفعل . لقد رأيت الواجب بقضى على أن أخبرك ... »

تخبر جوجيلمو وفكر في زوجه ، تلك المرأة المسكينة التي تجود بحياتها في عذاب وألم ، وأردف الطبيب قائلاً :

« هل لك أنت تجيبني عما أسألك عنه ؟ إن ضميرك هو الذي يريك الآن ماذا يجب أن تفعل إذا كان لا يمكنني إلا إنقاذ أحدهما : الأم أو الوليد .
فمن تختار ؟ »

« ماذا ؟ » « ماذا تقول ؟ » هكذا راح جوجيلمو يتساءل صارخاً وعلى وجهه صفرة كصفرة الموت فقال الطبيب : « تلك هي الحقيقة ، فلا يستطيع العلم أن ينجي الاثنين معاً ، فاما الأم وإما الوليد . فكر برهة ثم أخبرني ... »

« نظر جوجيلمو نظرة فرأى حياته الجديدة جليلة أمامه . تلك الحياة التي ساقها إليه القدر : ولد هو أم له في الحياة وظافته من الوجود ، ثم آن وهي

آلام فرتو

للشاعر الفيلسوف جوتة الألماني

الطبعة الرابعة

ترجمها أحمد حسنة الزيات

وهي قصة عالية تمد بحق من آثار الفن الخالد

وتعناها ١٥ قرشاً

قبيلة اللقاء . فجعلت
تبحوس الصفوف طروداً
وعكساً في كل ناحية ،
وتسائل العائدين ، فما
تقع أحد غلتها نبأ عن
زوجها المحبوب ...
وهام أولاء قد
انصرفوا . فارتعت على

الأرض تمزق شعرها
وتتمرغ مشدوعة هاذية
فبادرت أمها إليها :
« لك الله ! ماذا دهاك
يا بنيتي المسكينة ؟ » وضمتها
إلى صدرها

— آه يا أماء ، يا أماء ،
لقد ماتت أمات ! عفاءً
على الدنيا وعلى كل شيء .
لارحة عند الله . يا لويل !

لَيْتُنُورًا

قصته سرورته من أساطير القصص العرفي
للكاتب الألماني في بربر

بمعلم الأستاذ عبد الرحمن حمدني

هنا ضرب من القصص العرفي ، تدار موضوعاته
على الأسطورة المنيبة أو الواقعة الرائعة ، ويجري
نظمه على نسق من التقطيع والتريده ، فيزيان الماني
والصور قوة على قوة من التعميق والتوكيد
والشعراء الألمان في هذا المجال لا يسبقهم سابق ،
ولا يلحق بهم لاحق . فلهم فيه وحدهم نصب السبق
وتفضل التبريز

وهذه القطعة من أروع الأمثلة في هذا الباب ،
ولا يباينها غير أمثالها في شعر جوة وشيلر ، ولها
شهرة كبرى في الأدب العالمي ، وقد ترجمت إلى كل
اللغات عدة مرات ، وأوجت إلى أعلام الرسامين
بدائع الواحات ، ولكبار الموسيقين أقوى الألحان

يا وليتاء !

— كان الله في عونك وعفا عنك ! يا بنيتي ،
إضرعي إلى رب السموات . الخير فيما يفعله . ولن نمنع
عنا غونه

— آه يا أماء ، يا أماء ! إنك واحدة . إن الله
تخلي عني . وهل أغني ما أسلفت من صلوات ! فإذا
هي مغنية اليوم عني ؟

— اللهم رحاك ! من يعرف الله معرفة الميقين
يوقن أنه لا يتخلى عن عبادته . وإن سر القربان
القدس ما مسح عنك أوجاعك كلها باذنه

— آه يا أماء ! أني تقربان أن يراد الحياة إلى الموق... ؟

، في مطلع الفجر
هبت « لينورا » آفة
من أحلام مزججة ،
وهي تسائل نفسها :
« ولهم ، يا زوجي !
أترى صرعى الردى
ونفذيك سهم القضاء ،
وأمال بك الهوى نغمت

ميثاق وأخفرت عهدي ؟
أترى تطول غيبتك إلى
أبعد من هذا ! »

فانه في ليلة العرس
نفسها ارتحل الزوج في
ركاب الملك فردريك إلى
ميدان القتال عند مدينة
براغ ، ولم يطلها بخبر
عن صحته من ذلك الحين
ولسكن الخصبين الملك

والأمباطورة تولاهما الكلال من هذه الممارك
الدامية ، وسكنت آثارهما رويداً ، وفي آخر الأمر
عقدا الصلح . وارتد كلا الجيشين عائدين إلى
الأوطان بين نفخ الأبواق ورفات الصنوج ،
متوجين بالأكاليل من أوراق الشجر الناضرة

وماجت الطرقات والجسور من كل حدب
بأنفاج لا ينقطع فيضها من الشباب والشيب
يهزحون إلى لقاءهم ، وكل هتف أبناء وزوجات عند
رؤية مائلهم : أن الحمد لله . وترامت كل خطيبة بين
ذراعي خطيبها تنمتم : مرحباً بك ! إلا « لينورا »
— وأأسفاً ! فقد انتظرت طوبلاً في غير طائل

— ماذا ! ولهم ! أهو أنت ؟ في هذه الساعة
التأخرة من الليل ! لقد كنتُ ساهرة أبكي ...
واأسفاه ! شد ما تأملت ... ومن أين أنت رأت
راكبا جوادك ؟

— نحن لا نتمطى الجواد إلا في منتصف الليل .
وإني قادم من أقاصى بوهيميا . وهذا غلة وصولي
إليك متأخرا لأمضى بك مى
— ولكن ، يا ولهم ! ألا تدخل هنا أولا ،
فأنتي أسمع الريح تصفر في الغابة ...

— دحى الريح تصفر في الغابة يا صبيتي الحسناء .
فإذا بعينينا من سفير الريح . إن جوادى يفحص
الأرض بمخافته ، وللهما زرين في شاكنتيه ؟ وليس
في الامكان بقاى هنا . هيا البسى نملك يا لينورا ،
وتعالى اركبي رديفتي على صهوة الجواد ، فإن أماننا
مائة فرسخ تقطعها قبل أن تبلغ إلى مقرنا
— واأسفاه ! كيف تريد أن تقطع الليلة مائة
فرسخ لتبلغ إلى مقرنا ؟ أسمع ، هذه دقات النافوس
تؤذن أيضا يا تصاف الليل

— واه ! واه ! القمر مشرق وضاح ...
وما أسرعنا في البسرى نحن الأشباح . وإني أراهم
أن ساصل بك الليلة
— خبرني إذا أين مقرك ، وكيف فراش عرسك ؟
— بعيد . جد بعيد من هنا ... ساكن ، رطب ،
ضيق ، يتكون من ستة ألواح كبار واثنين أصغر حجما
— وهل فيه متسع لى ؟

— لنا مكا ، فتعالى يا لينورا . إركبي رديفتي
على صهوة الجواد ؟ فالب وليمه العرس مبهاة ،
والدموعون في انتظارنا

فلبست الصبية نملها ، وبادرت بالخروج ،
وقفزت على ردف الجواد ، ولفت ذراعين لها في
بياض السوسن حول الفارس الذى تحبه ؟ وانطلق

— مهلا يا بنتي . فما يدريك ؟ لعله خان ودك
وعقد أواصر الألفة بفثاة غيوك فانسيه ، وأعرضي
عن ذكره . هلى ! لن يحسن الله عقابه . وسيكون
مثنوا جهنم وبئس المصير

— آه ، يا أماء ، يا أماء ، من مات فقد مات .
ومن فقدناه فقد قدناه أبدا الدهر . فلم يبق لى غير
الردى موردك . ليتنى لم أولد ولم أك شيئا . يا شملة
حياتى انطفئ ، انطفئ في ظلمات المدم الزهينة .
فلا رحمة عند الله . أواه ، ما أنسى !

— اللهم رحماك ! لا تحاسب ابنتي على ما فرط
منها . إنها لا تنى ما تقول . فلا تحصبه عليها ذنوبا
وأثاما . وأنت يا بنتي ، تناسي هوم الأرض واذكرى
الله ونعيم السماء . فما يزال زوج في السموات

— آه يا أماء ، ما النعم ؟ يا أماء ، ما الحجيم ؟
النعم حينما كان ولهم ، والحجيم حيث لا يكون .
انطفئ يا شملة حياتى في ظلمات المدم الزهينة .
فلا رحمة عند الله . أواه ، ما أنسى !

وهكذا كانت سورة اليأس الجانح تحرق قلبها
وتفري روحها . فهي تصدح في الصنابة الآلهية
وتننى عليها . وما زال هذا حالها ، تدق صدرها
تفجما وارتياء ، وتقلب كفيها توجما والتياء ،
إلى أن جنحت الشمس للمغرب ، وولفت النجوم
الزواهر في قبة الفلك

ولكن ... أى حس هذا في جنح الليل خارج
الزلزال ؟ طلق ! طلق ! لكأنه وقع سنابك
جواد ... ثم كأن فارسا يترجل عنه فتسمع صلصلة
سلاحه ... وهو ذا يصمد درج السلم ... صه ،
صه ... الجرس ين رنيناً رفيقا ... ثم صوت رفيق
يقول من خلل الباب :

— هيا ! هيا ! افتحي يا صبيتي الحسناء ! أسأهه
أنت أم ناعمة ؟ ومستغرة في فرقة أم شرقة بالدموع ؟

— أخافنة أنت يا حبيبتى ؟ القمر مشرق
وضاح ... مرعى ! كذا تكون سرعة الأشباح
أتخافين أشباح الموتى ؟

— أواه ، مالك وللموتى ؟ دهم فى سلام
— أنظرى ! أنظرى ! أترين الى جانب هاتيك
المشائق أشباحاً تتحرك وهى فى رقة الهواء بنفضها
نور القمر ويديها للبيان ؟ أنها ترقص حول عجلة
التمذيب . إيه أنها الأنجاس النكايد ! تمالوا اتبعوني
ولترقصوا فى حفلة عرسى ... إننا ذاهبون إلى وليمة
العرس الزاهرة

فاندفع الزهط كله وراهم ، ولتدافسه مثل
خشخشة الريح فى الورق الجاف ، وانطلق الجواد
ينهب الأرض نهباً ... والجواد والفارس تكاد
تنقطع أنفاسهما ، والحصى يقدح الشرر تحتهما
وأها ! ما أسرع تطاير كل شيء ، كل ما يجلوه
ضوء القمر من حولهم ! ... ما أسرع انسياب
السما والنجوم من فوق رؤسهم !

— أخافنة أنت يا حبيبتى ؟ القمر مشرق
وضاح ... مرعى ! كذا تكون سرعة الأشباح ...
— آه ياربى ! مالك وللموتى ، دهم فى سلام
— تجلد يا جوادى الأسحم ! كأتى بالديك
يصيح بؤذناً بوشك انبلاج النور ، وعما قليل
تكون الساعة الزمالية قد أفرغت ما فيها ... انى لأحسن
نسبات الصباح ... الوحى الوحى يا جوادى ! ...
لقد أشرفنا ، لقد أشرفنا على غاية رحلتنا ...
سينكشف لك فراش عرسنا ... ما أسرع
الأشباح ... لقد وصلنا

واندفع — مطلقاً المنان لجواده — الى ياب
حديثى كبير ، وقرعه بمذبة سوطه قرعة خفيفة
فانفضت الزاليج وانفتح الباب على مصراعيه
بصر صرياً . وانطلق الجواد كالشهاب حاملاً

الجواد ركضاً ينهب الأرض نهباً . ودوى وقع
سنايك . وكان الجواد والفارس تكاد تنقطع
أنفاسهما ، والحصى يقدح الشرر تحتهما
وأها ! ما أسرع تطاير الروج والأحراج
والزراع بمنة ويسرة أثناء كرمها ! وما أشد قفمة
الجسور تحتهما !

— أخافنة أنت يا حبيبتى ؟ القمر مشرق
وضاح ... مرعى ، كذا تكون سرعة الأشباح
أتخافين أشباح الموتى ؟

— لا ... ولكن مالك وللموتى ؟ دهم فى
سلام ... ترى ما هذه الضوضاء وهذه الأناشيد ؟
والى أين تنجبه تلك الأسراب من الثربان ، صه ! ...
هاتيك دقات نافوس ، وهذه أناشيد جنازة

— إنه ميت عندما يراد دفنه
واقتربت الجنازة وتالت الأناشيد مرهدة
الأسداء كالنقيق الأجنس فى جنبات المنايب
والستنمعات

— عليكم بعد منتصف الليل أن تدفنوا الجثة
مشيمة بالنواح والأناشيد المولة . أما أنا فذهاب
بزوجتى ، وإلى أدعوكم جميعاً الى وليمة العرس .
تعال أيها المرتل ، أنت وفرقتك . تقدموا واصدحوا
بترنيمة الزفاف . وأنت أيها الكاهن لتبارك زواجنا
عندئذ انقطع النواح والأناشيد ... واختفى
النفس ، وسار مشيمو الجنازة وراء المروسين تلبية
للدعوة ... مرعى ! إنهم ليلاحقون الجواد
عن كسب . وانطلق الجواد ركضاً ينهب الأرض
نهباً ، ودوى وقع سنايك ... والجواد والفارس تكاد
تنقطع أنفاسهما ، والحصى يقدح الشرر تحتهما

وأها ! ما أسرع تطاير الروج والأحراج
والزراع بمنة ويسرة أثناء كرمها ، وما أسرع تطاير
القرى والدساكر والمدن !



يَوْمِيَّانَا فِي الْإِرَافِ

لِلأَسْتَاذِ تَوْفِيقِ الْحَكِيمِ

[تابع ما نشر في العدد الماضي]

١٢ أكتوبر ...

وأوصيته أن يمضي بالمساعد إلى منزله ، وحيث الأمور وزلت أشق طريقاً بين أكوام الرجال والنساء والأطفال . ودخلت حجرة المداولة فوجدت القاضي في الانتظار . وما كدت أرى وجه القاضي حتى وجدت في المحكمة قاضين يتناوبان العمل ، أحدهما يقيم في القاهرة ولا يأتي إلا يوم الجلسة في أول قطار ، ويسرع في نظر القضايا حتى يلحق قطار الجادة عشرة الذي يعود إلى القاهرة . وهما زادت

لسا عدنا كان ميماد الجلسة قد حان . ودنت سيارتنا من المحكمة فشاهدنا الأهالي يهابها مكسدين كالذباب . وكان مساعدي قد خر إلى جوارى صريع الكرى ، ولم يهني أمره ، ولم يدربخلدي قط أن أدعوه وهو على هذه الحال من التسب إلى مشاهدة الجلسة بجوارى كاشهد التحقيق . إنه لم يمتد بعد وصل الليل بالنها . وحسبه هذه السهرة للمتعة ؛ فلأترققن به في أول عهده بالخدمة . وما إن مررنا بالمحكمة حتى أمرت السائق بالوقوف ،

وتصوّبت من أجزاء الفضاء صيحات وصيحات ؛ وتصعدت من القبور تحت أطباق التري أنات وأنات نخفق قلب لينورا خفقة انتقلت بها من الحياة إلى الموت

فتحلقت الأرواح تحت ضوء القمر خوفاً ، ورتصوا وهم ينشدون : « الصبر ! الصبر ! مهما هاض الألم قلبك وصدح كبك ، فلا تمضي في حق رب السموات أبداً . هأنث ذى قدأسلت جسمك عفا الله عن نفسك » هيد الرمن صدقي

صاحبه بين قبور متكاثرة تنبدي تحت ضوء القمر في كل ناحية

هنا ، باللول ! وقعت في التو وال لحظة آية مرعبة : تساقطت عباءنا الفارس إربا إربا كالهن المحروق . ولم تبق من هامته إلا هجمة معروقة ؛ وحال جسمه هيكلا عظيماً مخفقاً ساعة رملية ومعتقلاً متجلاً

وشب الجواذ الأسحم حنقاً ونفت شرراً . وعلى حين بشفة ساخ وغاب في أعماق الأرض ؛

والتهمون بذلك فجعلوا كل مهم المحروب من صاحب السم المرتفع والالتجاء إلى صاحب السم المناسب . وطالب تبرم هذا القاضى وشكا من ازدياد عمله يوماً عن يوم دون أن يدرى العلة . فكنت أقول فى نفسى : « ارفع أسمارك تر ما يسرك » ، وبدأ المحضر بنادى أسماء التهمين من ورقة فى يده . وقزمان افندى المحضر رجل مسن أبيض الشعر والشاربين ذو منظر وهيمه بليقان رئيس محكمة عليا ؛ وهو إذا نادى تعاضل فى حركاته وإشاراته وصوته ، والتفت إلى الحاجب الباب التفتاة الأكر الناعى ، فيردد الحاجب الاسم خارج قاعة الجلسة كما تلقاه من المحضر ، ولكن فى مد وغن ونفمة كنفمة الباعة المتجولين . وقد لاحظ ذلك أحد القضاة مرة فقال له : « أنت يا شعبان قاعد تنادى على قضايا جنج ومخالفات ، أو على بطاطة وبلع أمهات ؟ » فأجابه الحاجب : « جنج ومخالفات أو بلع أمهات ؛ كله أكل عيش »

« ومثل أول المخالفين أمام القاضى الفارق فى الأوراق ؛ فرفع القاضى رأسه ووضع منظاره السميك على أنفه ، وقال للمائل بين يديه :

— أنت يا رجل خالفت لأئمة السلخانات بأن أجريت ذبح خروف خارج السلخانة

— يا سيدى القاضى ، الخروف ... ذبحناه ، ولا مؤاخذه ، فى ليلة حظ «عقبال عندك» بمناسبة ظهور الولد

— غرامة عشرين « قرش » . غيره ...

فنادى المحضر . ونادى ثم نادى ... مخالفات متتابعة كلها من ذلك النوع الذى مضى الحكم فيه ... وقد تركت القاضى يحكم وجعلت أروح عن نفسى

القضايا وبلغ عددها ثلث هذا القطار لم يفت القاضى يوماً قط . أما القاضى الثانى فهو رجل ذو وسواس ، وهو بمد يقيم مع أسرته فى دائرة المركز ، فهو يبطئ فى نظر القضايا خشية المجلة والغلط ؛ ولعله أيضاً يريد شغل وقته وتسلية خبيرة فى هذا الريف ؛ وليس أمامه قطار يحرق على ميماده ؛ فهو من الصباح يجلس إلى المنصة وكأنه قطعة منها سمحت فيها فلا ينفصل عنها إلا قبيل العصر . ويستأنف الجلسة فى أكثر الأحيان عند المساء . وكانت تذبذب جلسته مر المذاب ، فهي الحبس يمينه . وكأنما قضى على أن أربط إلى منسقى لا أبدى حراكاً طول النهار ، وقد وضع حول عنق ونجت أبلى ذلك الوسام الأهر الأخضر كأنه النل . أهو انتقام آلهى لهؤلاء الأرباء الذين دفنتهم إلى الحبس دون أن أفصـد ؟ أترى أخطاء المهنة تقع تبعاتها علينا فنندفع ثمنها فى الحياة دون أن نعرف ؟

وجئت لرؤية القاضى إذ أدركت أنى وقعت فى جلسة لا ترحم بعد ليلة كلها عمل . ولست أدرى ما الذى طمس ذاكرتى فحسبت خطأ أن اليوم نوبة ذلك القاضى السريع

دخلت الجلسة ؛ وكان أول ما قبلت أن نظرت فى « الرول » فإذا أمامنا سبعون مخالفة وأربعون جنحة . عدد والحمد لله كفيف أن يجلسنا بلا حراك مع هذا القاضى طول اليوم . على أن القضايا دائماً عند هذا القاضى أكثر منها عند القاضى الآخر ؛ والسبب بسيط : إن القاضى الموسوس لا يحكم فى المخالفة بأكثر من غرامة عشرين قرشاً ، بينما الآخر يرفع سعر الغرامة إلى خمسين . وعلم المخالفون

القانون ١. فأشاح القاضي بوجهه عن وأطرق قليلا
وهز رأسه ثم قال في سرعة من زيج عن كاهله حملا :
— غرامة عشرين ١. غيره

فنادى المحضر امراة ، فحضرت موه من ريفية
قد زججت حاجبها بعود ثقاب ، وطأت وجنتها
بذلك الأحمر الفاقع الذى تطلّى به صناديق الدخان ،
« السمون ». وصورت بالوشم صورة قلب يحترقه
سهم على ذراعها المارية ، ووضعت في مصمما
أساور و« غوايش » من المدن ومن الزجاج الملون .
فنظر إليها القاضي وقال :

— أنت متهمة بأنك وقفت أمام باب منزلك
فوضعت يدها في خصرها وصاحت :

— هو يا روى من وقف قدام باب بيته
كفر ؟

— وقوفك فيه اغراء للجمهور

— حبيسة وندامة علينا . وحياة دقن القاضي
عمرنا ما وقمت عيننا على جمهور ، ولا مر من قدام
منزلنا « ادلمدى » جمهور

— غرامة عشرين ... غيره

فصاح قزمان أفندى باسم الخائف التالى فظاهر رجل
كهل من الزارعين يبدو من زرقة « شال » عمامته
« الزهرة » ومن جلبابه الكشمير وعباءة الجوخ
الأميرال وحذاءه « اللستيك » الفاقع في صفرة ،
أنه على جانب من اليسار واستواء الحال . فما ان
مثل حتى ابتدره القاضي :

— انت يا شيخ ، أنت متهم بأنك لم تسجل
كليك في الميعاد القانونى

فتنحى الرجل وهز رأسه وتم كأنه يستغفر
ويسترجع :

بمشاهدة الأهالى الحاضرين في الجلسة ... وقد ملأوا
القاعد و« الذك » وقاض فيضهم على الأرض
والمرات ... جلسوا القرفصاء كأنهم الماشية برغفون
عيونهم الخاشعة إلى القاضي وهو ينطق الحكم كأنه
راع في يده عصا . وضاق ذرع القاضي بذلك اللون
المتكرر من المخالفات فصاح :

— فهموني الحكاية ! الجلسة كلها خرقا .
خارج السلخانة ! وحلق في الناس بعينين كالحصتين
خلف النظار الزاقص على طرف أنفه ، ولم يفتن
أحد ولا هو نفسه لما في هذه العبارة من تعريض .
ومضى المحضر ينادى وقد تغير قليلا نوع المخالفة
ودخلنا في نوع جديد ، فقد قال القاضي للمخالف
الذى حضر :

— أنت يا رجل متهم بأنك غسلت ملابسك

في التربة

— يا سعادة القاضي ربنا يلى مرارتك ! تحكم
على برامة لأنى غسلت ملابسى ؟
— لأنك غسلتها في التربة
— وأغسلها « فين » ؟

فتردد القاضي وتفكر ولم يستطع جوابا . ذلك
أنه يعرف أن هؤلاء الساكنين لا يملكون في تلك
القرى أحواضا يصب فيها الماء للقطر الصافي من
الأنابيب ، فهم قد تركوا طول حياتهم يعيشون
كالساعة ، ومع ذلك يطلب إليهم أن يخضعوا إلى
قانون قد استورد من الخارج على أحدث طراز ،
والتفت القاضي إلى وقال :

— النية ..

— النية ليس من شأنها أن تبحث أين يغسل
هذا الرجل ملابسه ، ولكن ما يعتيها هو تطبيق

أنا حلفت ووقع مني عين أن البنية ما يقل مهرها
عن المشرين بنتو ...

فرجع القاضي رأسه وثبت منظاره ونظار اليها صاحبا:

— تعالى كليتي هنا ، أنا القاضي ، العضة
حصلت منك ؟ قولي نعم أو لا ، كلمة واحدة

— عضة ؟ حد الله ! أنا صحيح قبيحة ، لكن
كله إلا المض .

فصاح القاضي في المحضر : « هات الشاهد »

فحضر الجني عليه وقد لف بشنفره في رباط صمعي ،

فسأله القاضي عن اسمه وصناعته وحلفه المين أن

لا يقول غير الحق واستوضحه الأمر . فقال الرجل :

— أنا يا حضرة القاضي لا لي في الطور ولا

في الطحين . والقصة وما فيها إني كنت واسطة خير

وسكت . كأنه قد أبان وأفصح عن سر القضية .

فخلعت فيه القاضي وهو يكظم غيظه ، ثم انتهره

وأمره أن يقص ما حدث بالتفصيل ؛ فبسط الرجل

الأمر قائلا : إن لهذه المهمة ابنة تدعى « ست أبوها »

خطبها فلاح يدعى « السيد حريشة » وعرض

مهرها قدره خمسة عشر بنتو فلم تقبل أمها بغير

المشرين ، ووقف الأمر عند هذا الحد إلى أن جاء

ذات يوم شقيق الخاطب وهو صبي صغير يطلق

عليه اسم « الزمجر » فذهب من تلقاء نفسه إلى

أهل المروس وأبلغهم كذبا أن الخاطب قد قبل

الشرط ؛ ثم رجع إلى أخيه وأخبره أن أهل البنت

قد رضوا النزول بالهر كما عرض ، وكان من أثر

عبث هذا الصبي ومكره بالطرفين أن أحد يوم

لقراءة الفاعحة في بيت المروس ، وانتدب الخاطب

الشيخ حمارة هذا والشيخ فرج ليكونا شاهديه .

وتقابل الجميع وذبج والد البنت أوزة ، وما كاد

— عشنا وشفتنا الكلاب تتسجل « زى
الأطيان » وتبقى لها حيثة !

— غرامة عشرين ... غيره

ومضت الأحكام في جميع المخالفات على هذا

النحو ولم أر واحداً من المخالفين قد بدا عليه أن

يؤمن بحقيقة ما ارتكب . إنما هو غرم وقع عليهم

من السماء كما تقع المصائب ، وأماوة يؤدونها ؛ لأن

القانون يقول إنهم يجب عليهم أن يؤدوها ؛ ولطالما

سألت نفسي عن معنى هذه المحاكمة ، أنستطيع أن

نسعى هذا القضاء رادعاً والمذنب لا يدرك مطلقاً

أنه مذنب ؟ وفرغنا من المخالفات وصاح المحضر :

« قضايا الجنج » ونظر في ورقة « الرول » ونادى

« أم السعد بنت إبراهيم الجرف . فظهرت فلاحه

مجزوز تدب في القاعة حتى بلغت المنصة ووقفت بين

يدى قزمان أفندى المحضر . فوجهها إلى القاضي

فوقفت تنظر إليه يصير ضعيف ثم لم تلبث أن

تحولت عنه وعادت إلى الوقوف بين يدي المحضر

المهرم . وسأله القاضي ووجهه في الورق :

— اسمك ؟

— محسوبيك أم السعد

قالتا وكأنا توجه الخطاب إلى المحضر فغمزها

قزمان أفندى ووجهها إلى المنصة مرة أخرى وسأله

القاضي :

— صنعتك ؟

— صنعتي حرمة

— أنت متهمة أنك عضضت أصبع الشيخ

حسن حمارة

فتركت المنصة ووجهت الكلام إلى المحضر

— وحياة هيبتك وشيبتك إلى ما عبت أبداً .

وغرقت في مقعدي وقد عبث النوم بأجفاني ،
ومضى وقت لست أدري مقداره ، وإذا صوت
القاضي يصيح بي : « النبأ ! طلبات النبأ . »
ففتحت عيني حراوين لا يبدو فيهما غير طلب
النوم ، فأخبرني القاضي أنه أطلع الآن على تقرير
الطبيب الشرعي فإذا الإصابة قد تخاف منها هامة
مستدعة هي فقد « السلامة » الوسطى للبصر ؛
فاعتدلت في مقعدي وطلبت في الحال الحكم بدم
الاختصاص . فالتفت القاضي الى المجوز قائلا :

— الواقعة أسبغت جنابة من اختصاص
حكمة الجنابات

فلم يبد على المرأة أنها فهمت الفارق ؛ فالعضة
في نظرها هي ما زالت العضة ، فما الذي حولها من
جنحة الى جنابة ؟ أه من هذا القانون الذي لا يمكن
أن يفهم كنهه هؤلاء المساكين

ونوديت القضية التالية فإذا هي شجار بالهراوات
وقع بين والد « ست أبوها » وبين أهل الزوج
(السيد حريشة) فلقد تم الزواج بين الطرفين آخر
الأمس . وبمث الزواج بمضى أهله ومعهم جل لاستلام
المروس من بيت أبيها . فقال بهم الأب عتدا صارخا
في وجوههم : « جل ! ؟ بق تخرج بنتي على جل !
أبدأ . لا بد من « الكومبيل »

وتجادل الطرفان فيمن يدفع ثمن هذه البدعة
التي رماها بهم تطور العصر . وأدى الجدال الى
رفع المص وإسالة بعض قطرات من الدماء لامناص
مها في مثل هذه الظروف . وانتهى الأمر بأن
أخرج أحد الساعين في الخير ريالاً من جيبه
واستأجر سيارة من تلك السيارات التي تمر بالطرق
الزراعية ؛ وحكم القاضي في هذه القضية ثم صاح :

— « انتهينا من الفرح » و « الدخلة »

الطعام بهياً ويقدم الى الضيوف حتى ذكر الهر .
وظهرت الأكذوبة وإذا الموقف لم يتغير ؛ واحتدم
الجدال بين الطرفين . وصاحت أم البنت تلول في
صحن الدار : يا مصيبتنا الكبيرة ، يا شامة الأعدى .
والذي ما أسلم بنتي بأقل من عشرين . وخرجت
المرأة في وسط الرجال كالمجنونة تدافع عن حق ابنتها
وتخشى أن ينهي الرجال الأمر فيها بينهم بما لا ترضى ؛
وهزت الشيخ حسن الأرمحية فلم يضع يده في
طعام وقام الى المرأة يداورها ويحاورها ويقنعها .
بينما مد زميله الشيخ فرج يده الى الأوزة وحمل
ينفض منها نهشاً دون أن يدخل في النزاع المحتدم .
ويظهر أن التجمس من الجانبين قد جاوز حد الكلام
وإذا الشيخ حسن يرى يده لا في طبق الأوز
ولكن في فم المجوز ؛ فصرخ صرخة داوية :
وانقلب الدار شمر منقلب ، واختلط الحابل بالنابل ،
وجذب الشيخ حسن رفيقه ، فانتزعه من أمام
الطعام انزاعاً وخرج به وهو يجرق الأرم : فهذا
الرفيق لم يقل كلمة وحظي بالأكل ، وهو الذي
تحمس قد خرج من الوليمة بجوعه ، وقد أكلت
المجوز أصبمه ...

واستمر الجنى عليه في الكلام . وجأه
أخذت القاضي خليجة ، وتيقظ وسواسه قاطع
للتكلم وقال كالمخاطب لنفسه : « يا ترى أنا حلفت
الشاهد الجين ... » والتفت الى قائلا : « يا خضرة
وكيل النبأ . أنا حلفت الشاهد الجين ؟ ؟ » فجعلت
أذكر ... ولم يستطع القاضي طرد الشك فصاح :
« احلف يا رجل : والله العظيم أقول الحق » خاف
الرجل ، فصاح به القاضي : « اذكر أقوالك من
أولها »

فصمت أنا لن ننتهي ، وبلغ الضيق أنني وتناوبت

تفارقني فهمت : « تحب أني أحلف لك أنه حلف ؟ »
فاطمأن القاضي بعض الاطمئنان وأصغى الى بقية
الشهود في صمت وانتباه . ولم يطق التهم صبرا
فنهض بفتة كالسنتيث :

— يا حضرة القاضي ! في الدنيا « حراي »
يسرق « وابور جاز » بناره ؟ !

فأسكته القاضي بأشارة من يده قائلا :

— تسألني أنا ؟ ! أنا عمري ما اشتقلت
« حراي » . ونظر الى منصة الدفاع ، فقام المحامي عن
التهم بصيح قائلا : « يا حضرة الرئيس ! نحن لم
نصادق وابوز ، ولا رأينا وابور ، ولا سررنا في طريق
به وابور .. والقضية ملفقة من ألفها الى يائها ... »
وأراد المحامي أن ينطلق في هذا الكلام وأن يصول
ويجول . ولكن القاضي قاطعه :

— حطك يا استاذ . التهم نفسه بمترف بأنه
صحيح لقي الوابور قدام باب الدكان ! فضرب الأستاذ
وجه النصبة بقبضته وقال :

— هذا سوء دفاع من موكلتي
فأجلب القاضي في هدوء :

— غرض حضرتك أني أصدق حسن دفاعك
وأ كذب الحقيقة التي نطق بها موكلك أمامنا جميعا !
فاحتج المحامي ورفع عقيرته وقد بدا لي أن كل
هم أن يجلجل صوته في الجلسة ، وأن يتسبب عرقه
فيمسحه بمنديله وينظر إلى « زبونه » كاتما يريه
الجهد الذي يتكبده من أجله والنهاية التي ييذلها في
سبيله . وكان التسبب والضيق والجلوس بلا حراك أمام
منصتي قد صيرني شخصا لا يبي ولا يفهم ما يدور
حوله فأخفيت وجهي في ملف من ملفات القضايا
واستسلمت للنماس

نوفيس الحكيم

(يتبع)

على خير ! ... غيره !

فنادى المحضر بصوته المتلى : « قضايا المحاميس »
وذكر اسما من الأسماء ، فدوت صلصلة السلاسل
ونهض من بين لابسى الخيش رجل فك الحارس
قيده . ونهض من بين المحامين أفندي ذو بطن
كأنها القربة الملوثة وقال : « حاضر مع التهم »
« قلت في نفسي » تلك قضية لها محام لن يتركنا
قبل أن يفرغ في رؤوسنا ماشاء بمحجة حرية الدفاع .
فلاغمض غيبي منذ الآن فرأسي أحوج ما يكون
الى الراحة بعد مهر الليل . وصمت القاضي يقول
للمحبوس :

— أنت متهم بأنك سرقت « وابور غاز » ...
— أنا صحيح لتيت الوابور قدام باب الدكان .
لكن لا سرقت ولا نهبت ...

فالتفت القاضي الى المحضر قائلا : « هات
الشاهد » فحضر رجل على رأسه لبدية بيضاء وعلى
منكبيه « دفيئة » ، خاف الخمين وقال أنه أشعل
« وابور التاز » ليهيئ الشاي لبعض « الزبائن » الجالسين
داخل الحانوت . فهو بدال ريني صغير يبيع السكر
والبن والشاي والتبغ ويجتمع لديه أحيانا بعض
الناس كأهم في شبيه مقهى ولقد وضع الوابور
مشتعلا عند عتبة الباب في الطريق ودخل المحضر
الابرق وما إن عاد حتى رأى التهم قد حمل الوابور
بناره وجري به . وحمل الشاهد يسهب ويستشهد
بمن حضر ومن جرى معه خلف السارق ، والقاضي
مطرق وقد علت من هيئته أنه يفكر في شيء آخر .
ولجأة نظر الى وقال كالمخاطب لنفسه : « أنا حلفت
الشاهد الخمين ؟ » فما تمالك أن صحت في ضيق :
« سيخان الله ! ! أنا صمت الشاهد حلفت » فقال
لى القاضي : « أنت متأكد ؟ » فشمرت أن روي



اعتراف في العصر

لألفريد موسى

بقلم الأستاذ فليكنس فانس

[تابع ما نشر في العدد الماضي]

وكانت عوامل ثلاثة تتنازع عواطف الشبيبة حينذاك : ماضٍ منقضى لم يزل يرتجف ظلّه على الأطلال حيث ثوت قوات الأثرة وعصور العنف ، ومستقبلٌ منفرج الأفق بعيدُ الجبال لا يلوّح منه غير أوائل ذرات النور ، ومدى بين هذين الحدين أشبه بالمحيط الفاصل بين العالم القديم والعالم الجديد : مدى مضطرب كالبحر الزاخر تتلاعب به المواضع فيهدد بالفرق كل ما يحمل ولا يلوّح عليه إلا بمض البواخر الجريئة بجنازه صاحبة من حين إلى حين في مثل هذه المفاوز كان على أبناء المصر أن يهتدوا ؛ وتلك هي المشاهد التي كانت تنتصب أمام فتیان ملء إهابهم العزم والقوة ، وهم أبناء الامبراطورية وأحفاد الثورة . أما الماضي فكانوا ليرفضوا به ، وما يتحكم الانسان في عقيدته ، ولكنهم عشقوا المستقبل عشقاً شبيهاً بشفق ييكاليون عاهل صور القديمة يشبح فائدة من عالم الجن ، فكان المستقبل في بصيرتهم كدمية من رخام هاموا بها فباتوا يتوقمون تورد عمرها بدم الحياة . وهكذا لم يكن لهؤلاء الفتیان إلا زمامهم تسوده روح المصر ، ملاك غسق لا ينفصل عن النهار ولا يتصل

بالليل ، وقد شهدوا هذا الملك مقتماً كومة من المظالم متلفعاً برداء أنانيته ، وأعضاؤه ترتجف من لفحات الصقيع

فشعروا بنصّة الموت عند ما لاح لهم هذا الشبح نصفه مومياء ونصفه جنين ، فاقتربوا منه والروح يعلأ قلوبهم كما يقترب السائح من مومياء ابنة أحد أشراف سارافندان في ستراسبورغ حيث تمرض محنطة بجلى خطبتها . وما يتألم من يشاهد هيكل هذه الطفلة من الارتماش وقد تحلّت يدها الممتعة بخاتم المرس وانتثر رمد رأسها على أزاهر الليمون البيضاء

وكان نابليون مجرور على العالم قد زرع كل ما فيه ، كالماصفة يجتاح النابات فتز باسقات أدواحها وتنادرها وأجعة في صمت رهيب . وكان الملوك قد شعروا بتيجانهم تميد فدوا إليها أيديهم فلم تفر إلا على شعورهم وقد وقفها الذعر على رؤوسهم

فقبل بهم ما قبله فولتير بالكتب المقدسة
وسمعت الدنيا بمد ذلك خجة هائلة ، هي صوت
صخرة القديسة هيلانة تسقط على العالم القديم .
ولاحظت نجمة التفكير في السماء بأشعتها الباردة كوشاح
آلهة الليل ففصرت بها الدنيا كأنها الكفن المروع
وكانت أوروبا قد رأت من قبل عدداً وفيراً ممن
يعتقون الأشرار ويتهددون الكهنة ويتآمرون على
الملوك ، ولكنها ما عرفت ابتسامة الاحتقار قبل
أن مر الامبراطور وتوارى عن العيان ، فكان إذا
اخترق الجمع شريف أو كاهن أو عاهل يهز الفلاحون
رؤوسهم متذكّرين ما شهدوا من معارك وقبولون :
لقد نظرناهم في غير هذا الزمن وفي غير هذا المكان
وقد كانت وجوههم على غير ما نراه اليوم

وإذا ما ذكر أحد المروش والهياكل كانوا
يقولون : إنها عوارض من خشب سمراها نحن
ثم اقتلناها

وحينما كان الخطباء يقولون : لقد رجعت عن
غوايتك أيها الشعب ، فدعوت إليك ملوكك
وكهنتك ، كان الشعب يجيب قائلاً : « نحن لم
ندعهم ، وما دعاهم إلا هؤلاء المتشدقون »

وإذا قيل للشعب : (عد إلى الطاعة والسكون ،
أفلح الأرض واخضع) كان الشعب ينتفض
وتتحرك السيوف في أغمارها وقد علاها الصدا في
زوايا الأكوخ

ولكن الخطباء كانوا يضيفون إلى كل هذا
قولهم : (عد إلى السكون أيها الشعب فقد أضناك
الجهاد بلا جدوى ، ولا تطلب الاعتداء وليس من
يمتدئ عليك)

فكان الشعب يرفض بهذا القول ؛ أما الشبيبة
فما كانت لترضى به

لأرب في أن الانسان تنفازه قوتان مجهولتان

وكان بابا رومة قد قطع ثلاثمائة فرسخ ليبارك
الامبراطور ويضع التاج على مفرقه ، فلم يتورع
هذا الامبراطور من اختطاف التاج من يده
وهكذا كان كل شيء قد ارتمش في غابة أوروبا
القديمة المروعة ، وعقب السكون هذه العاصفة
الموجاء

يقال : إذا ما صادف السائر كلباً هائجاً فتابع
السير برابطة جاش ويخطوات مترنة دون تردد ،
لا يلبث الكلب أن ينسحب بهدري غثق ثم ينصرف ؛
ولكن إذا بدرت من جابر الطريق بادرة تدل على
خوفه فأقبل بانتظام خطواته مسرعاً بخطوة واحدة
فان الكلب يتأثر مستأسداً ، وإذا ما نشب فيه
أنيابه فانه لا يقف حتى يفتريسه

لقد رأت أوروبا أكثر من ملك ظهرت منه
بادرة الخوف في تاريخها أمام شعبه فذهب فريسة
لهذا الشعب ، ولكن مثل هذه الكارثة لم تكن
تقع على الملوك جملة في آن واحد ، لذلك سقط الملوك
على التوالي ولم تسقط الجلالة الملكية . ولكن أمام
نابليون ارتمشت الجلالة الملكية نفسها ، فبدت
منها البادرة التي تؤدي إلى الهلاك . وما ارتمشت
جلالة الملك وحدها حينذاك بل ارتمش معها الدين
والشرف وكل سلطة إلهية وبشرية

ولما مات نابليون استمادت السلطات الآلهية
والبشرية روحها ، ولكنها لم تجدد في الشعب من
يمتد بها بمد

إن في معرفة ما يمكن أن يقع خطراً ، لأن الفكر
يتجاوز الأماكن بافراضاته وليس القول بإمكان وقوع
أمر كالقول إنه وقع فعلاً ، وما التأكيد إلا أول
عضة للكلب المستأند

لم يكن نابليون الماني إلا آخر شرارة من نار
الاستبداد ، فقد أعبد الملوك لينسج أعلى منوالهم

بالأفكار الانكليزية فاكتسح الحزن كل ما كان من دلائل الروح القديم

ولعل الصنابة كانت تعمد بذلك طارقتها الجديدة فظهر الملك البشر بالجمع المنتظر ملقياً في قلوب النساء بذور الحرية التي ستنقلب المرأة بها في آتى الزمان

وانشق الرجال عن النساء في المجتمعات الباريسية : فلبست النساء البياض كالمراسم ، وانشج الرجال بالسواد كالأيتام ، وتبادل الفتيان لفتات المدا . واهذا الثوب الأسود الذي يلبسه رجال عصرنا لا دليل لاثقاب مريع ، لأنهم ما لبسوه قبل أن تساقطت شاربات الشرف فتمزقت الأزياء القديمة وتناثرت أزهار الأتواب المزركشة على الحضيض ؛ فكان الإنسان بمدان يحكم بمقله وهدم ما كان يقتربه من الآمال ، وقف متشحاً بالسواد ليتلقى كلمات التعزية على اللقود . وسادت عادات طلاب العلم وأرباب الفن تطورات نشأت من التطور العام ، بمد أن كانت تلك العادات مجلى الحرية الحقيقية ، ومسرات الشباب النقية . انفصل الرجال عن النساء فاصلت بينهما الاحتقار نصلاً لا شفاء لجراحه . فقد الرجل حب المرأة فاندفع إلى الكؤوس ليستميض ما فقد ، ونظر الناس إلى الحب نظراً إلى الذين والمجد فرأوا كل ذلك أوهاماً تلاشت مع الزمان القديم

وغصت للمواخير بالرجال ، فأصبحت الفتاة همة بعد أن كانت تفضى الشبيبة بمجها الطاهر السامى ، وعند ما احتاجت إلى غذاء ورداء باعت نفسها . فباللشقاء وبالممار . . . لقد أهمل الشاب الفتاة ، وكان في وسمه أن يستنير وإياها بأشعة شمس الله وأن يقاسمها لقمته مادومة برق جبينه ، ولكنه تركها ويسار إلى مزايل الانسانية ليجد هناك تلك

تصليان داخله حرباً عواناً إلى آخر حياته ، فاحداها تبحث وتسبر المستقبل بسكون متحسبة تستنبط أحكاماً من البر ، والأخرى تتحفز للوثوب إلى المستقبل منجذبة إلى ما لا تعلم ؛ وعندما تسود الانسان عاطفته يقيمها العقل منذراً باكياً ؛ وإذا يقف الانسان مجيئاً لدعوة العقل ، تهتف الأهواء قائلة : (وأنا هل يجب أن أموت) ؟

وابتداء الأسمى يختمر في القلوب الفتية ، إذ حكم ملوك الأرض على الشبان بالراحة والسكون وقدفوم بأشد الأمراض أوجاعاً ؛ بالبطالة والشجر ، فأحسوا بضمحلل الأمواج التي كانوا أعدوا لمصارعتها سواعدهم القوية . وسادت المسكنة على هؤلاء المصارعين الذين كانوا مسرخوا أعضاهم عيشاً بالثبوت . فاندفع الأغنياء منهم إلى ميادين الفخشاء ، والمتوسطو الحال وخضعوا للقضاء وتحولوا إلى الكمنوت والجندي ، أما الفقراء فلم يجدوا سوى المجلس البارد فارغوا فيه بالأقوال الجوفاء كما يرتجى المجاذف بنفسه في البحر التي لا ساحل له : بحر الابتلاء بالجدل بعيداً عن العمل .

وجاءت الضمى البشرية يقود الناس إلى الاجتماع والتعاون ، لم يلبث هؤلاء الشبان أن اجتمعوا فوجدت السياسة مرعاهما المصعب بينهم . وهكذا كانت الشبيبة تخرج من مصارعة حراس المجلس التشريعي لتتجه إلى المسارح حيث تشاهد (تاللا) لا بساقمة تشبه قبعة الأمباطور ، أو تسير إلى المدافن لتحتفل بعمام ثائب من الأحرار ، لتمود أخيراً إلى مساكنها كل مساء شاعرة بفراغ حياتها وعبت محاولاتها

وما كانت حياة المجتمع الداخلية بأقل يؤسأ من الحياة الخارجية ، فساد الناس الأسمى والجمود ، وتسلبت الزياء على الماديات ، وأصبح الذين مشوباً

الواسعة ؟ ألم تلهمك الروح وأنت التصوف المتقصد
بوحدة الوجود ما يهينك على سكب قليل من العسل
في تلك الكؤوس الرائنة التي تحبها للأجيال ،
وقد كانت ابتسامة واحدة منك كافية لاستمواذ
النحل فتزول بجنبها على شفقتك

وأنت يا يبيرون ! ألم تكن عائشا تحت سماء
إيطاليا الجميلة ؟ ألم تكن تنأج أمواج الادرياتيک
والى جنبك المرأة التي أحبت ؟

أنا الذي أوجه اليك هذه السكبات الآن ،
وما أنا إلا فتى ضيف يحمل من الحياة ما لم تحمله
أنت من مصائبها وآلامها ، إني أؤمن بالأمل
وأبارك الله

وما هبت زعازع الأفكار الانكليزية والألمانية
على رؤوسنا حتى سادنا الاستمزاز برهة ثم عقبه
الاختلاج المريع . لا شيء يحول أملاح المواطن
الى بارود منفجر كالنابغ في مواطن الشك
بليادي العامة . وكان جوده رأسه الجبار قد
اعتصر كل ما في الثمرة المحرمة من خلاصة ، فغبل
للناس أن من لم يقرأ جوده لا يعرف من الحياة
أشياء . ويل لهؤلاء الناس ! لقد انفجرت أفكارهم
علامة أفسار جوده ، فتناثرت ذرات تائهة في
سهاوى الشكوك

وساد المجهود تلك الأزمنة ، فأنكر الناس كل
ما على الأرض وكل ما في السبل . وما المجهود
إلا آمال عاترات تدور بها الأحزانات ، فكان
الانسانية كانت قد تراخت عزائمها فدخلت طور
الاحتضار ، فأنحنى عليها المفكرون بحسون مواضع
انباضها ليتحققوا موتها

وكانت شبيبة فرنسا شبيبة ذلك الجندي الذي
أجاب من سأله : ثم تؤمن ؟ فقال إني أؤمن بذاتي .
فتصيب من يورد هذا السؤال عليها : إني لا أؤمن بشيء

الفتاة نفسها مثقلة بالمحوم شاحبة مضمضة يحول
على فيها الجوع ويرعى قلبها الابتذال

في ذلك الزمان ظهر شاعران هما أعظم عباقرة
العصر بمد نابليون غصصا حياتهما بلج ما تبدد في
الأرض من مبادئ الشقاء والألام ، فكنت
جوته محمدا الأدب الجديد (آلام فرتر) واصفاً الوله
الذي يقود الى الانتحار ؛ ثم عاود فرس في (فوست)
أعظم صورة تمثل الشر والشقاء . واجتاحت
كتاباته فرنسا كلها وهو جالس في بيته تحوطه
السعادة وتخدمه الثروة ، فكان يرسل اليه رشايش
قله الأسود وعلى شفقتيه ابتسامة الألب لبنيه . . .

وجاء يبيرون من جهته يرفع صوت الحروب
والفجائع ، كأنه لم يجد من حل لسر الوجوه غير
كلية الدم المروع

عفوا أيها الشاعران العظيمان ! أنتم الآن ذرات
رماد يفترش القبور ، أنتم في عداد أنصاف الآلهة
أما الشعاران ؛ وما أنا إلا فتى يضنيه المذاب ،
ولكنني وأنا أسطر هذه السكبات لا أمتلك
نفسى من إرسال اللمة عليكما

لذا لم تنقنا بمطر الأزهار ، وأنشد الطبيعة ،
وبالأمل والحب ، وبالكروم ، وشماع الشمس ،
وبأنوار الشفق وروعة الجبال ؟ لقد عرفنا كنه
الحياة ، ورأينا الدنيا تتداعى فكبتنا على الأطلال ،
وأرسلنا أنين البائسين . لقد ذقنا حياة الخيليات ،
وجفاء الأصدقاء ، واحتقار أبناء الوطن ، فدارت
بنا أشباح الموت وشمعنا بقاء القلب . لقد كان
كل منكم جباراً من جبابرة الأحزان . ولكن قل
أنت يا جوده ! أما سمعت أذنك صوتاً واحداً يؤامى
الحزين في هدير الأحراج المقدسة في بلادك ؟ أفا
تمكنت وأنت من يعرف أن الشعر صنو الفلسفة
من المثور على زهرة السلوان في هذه الطبيعة

في آفاق آسيا . وكان شاوريان قد قبض على صولجان إمارة الشعر ، فلبّ اليأس برداء أسفاره ورفضه كالصنم على هيكل تتماهى حوله عبقاق البحر فاحتضت شبيبة فرنسا على قواها المكبوتة يالسة تكرع كأس الآلام حتى التماسه ، وملأت الأقطار نفثات الأفلام المثلثة بأدب لالون له ، فكان رشاش من دم آسن يرسل لتنفيذ مسوخ الحياة ومن له أن يصف ما كانت عليه المدارس في ذلك الزمان ؟ لقد كان الشك يسود الرجال ؛ أما الشبيبة فقد كانت اجتازت مرحلة الشك واستقرت على المحذور . وكان الشراء يتفننون بالخفية وعثرات الآمال . وكان الشبان يتركون مقاعد المدارس ويواجهون الحياة بحياة تطعم بالبحر وعلى لسانهم لعنة الكفر . وكان الطبع الفرنسي المائل إلى المرح ينيل الأدمغة مفاعلة تحتمل الأفكار الانكيزية والألانية ؛ غير أن القلوب لم تكن منعمة لتحتمل النضال في الأوجاع فذبلت وأبحت على ذاتها كأنها أزاهر مقصوفة

وهكذا اتجه مبدأ الموت إلى الاحشاء منسرباً إليها بهدوء من الأدمغة ، فأنكرنا الخير بعد أن كنا نؤمن بالشئ ، وبلغ اليأس مرصخته الأخيرة فاستقر على الشعور الميت . وجلس أبناء الخامسة عشرة بحسب ظلال الأشجار الزهرية يتحاذون من الأحاديث ما يهز أشجار فرسايل الحمراء طوي لمن لم تدركهم هذه الأزمنة فنزلوا إلى المساوية وهم يتطلعون إلى السماء إن من حالات الحياة ما يصدع القلوب بالشقاء فلا تجد هذب القلوب ما يفرج كربها إلا إرسال اللعنات والتجديف وقف ملحد أمام السماء وقبض على ساعته متحدياً صاعقة الموت ، وقد منح ربه مهلة ربع ساعة ، وبات ينتظر . إنها لفترة ملؤها أشد غضب وأفظع

وانشطر المجتمع إلى فئتين : فئة النفوس المضطربة للتوجمة التائهة إلى النثل العليا ، فكان أبناؤها يجنون الرأس ويكونون متلفعين بأحلامهم المؤلمة كأنهم مقصبة تتأبل على مستنقع من الشقاء . أما الفئة الثانية فكانت مؤلفة من رجال المسادة والشهوات يقفون بلا مبالاة على ركاب الملاذ ولا لهم لهم غير إحصاء الأموال التي حشدتها أطعمهم . وما كان يتصاعد من هذا المجتمع المؤلف من الفريقيين سوى زفرة ومخكة : تلك رسلها الروح ، وهذه يقذفها الجسد . وكانت الروح تقول في زفرتها : — إن الدين يتداعى ، وهذه سحب السماء أصبحت غيوماً تتساقط أمطاراً . لقد فقدنا الأول وحررنا حتى قطعة من الخشب الأسود رفضها صليباً لحد أيدى الضراعة نحوها . لقد تلقت بحمة الصبح بالنيوم الكثيفة على مطلع النجر ، فكان الشفق يقبض عليها ليصدها عن الارتفاع ، وكأنها شمس الشفاء ألقت الثورة عليها بواقع اللعناء

لقد فنى الحب واضمحلت الأبعاد ، فما أحلك الظلام في هذا الليل الترابي بأطرافه على الأرض ؛ ولسوف ندرك الموت قبل أن يتداركنا نور الصباح أما الأجساد فكانت تقول في ضحكتها : — لقد وجد الإنسان للتمتع بحواسه ولديه من القطع الصفراء والبيضاء ما يقيس به حق تحمه بالتكريم . وما الحياة إلا الطعام والشراب والرقاد ؛ أما العلاقات الاجتماعية ، فهي المودة القاعة على استقراض المال ؛ وقد تجد صديقاً تدفع النواطف به إلى هذه التضحية . ومنها صلات القرى وهي نافعة للحصول على الميراث . ومنها الحب ، وما الحب إلا رياضة بدنية . وليست اللغة الثقيلة إلا نوعاً من الفرور والكبرياء . وهكذا كان اليأس يتشفي بخطواته الواسعة ذارعاً أرض أوروبا كأنه الطاعون ينتشر من نهر الكافج

أيام جهادهم ومحنهم كانت قد استحوطت الى ضربات قاضيات عندما صارت القوة الى أيديهم قال مونتسكيو: « لا يسمى وأنا أفكر بحالة الشغب وهو رازح تحت استبداد الكهنوت اليوناني إلا أن يخطر ببال أولئك العبدان الذين أتى هروودوت على ذكرهم ، وهم من كانوا يخضون البين لاستخراج زبدته ، وكان أسيادهم يقتلون أعينهم كيلا يتلوهوا بالمشاهد عن متابعة العمل دون انقطاع . وهكذا كان الكهنة في روما يخضون النور عن كل مبصر ، فلم يكن يقرر القيام بحرب أو عقد هدنة أو قرض أو الاتيان بأى عمل دون أن تنظر الرهينة فيه أولاً ، إن القلم ليكمل دون وصف الأضرار التي تنجم عن هذه الأعمال »

على أن مونتسكيو كان يوسمه أن يتم كلامه قائلاً : (إذا كانت المسيحية قد هدمت البروش ، فانها أحيت الشعوب . إذا كانت قد فتحت للبربر أبواب القسطنطينية ، فانها قد فتحت أيضاً أبواب الأكوخ باسم المسيح . وما كان بالأمر الضروري أن تحتفظ روما بتجدها المتداعى وهى المومياء المحنطة بعطر نيرون والمكفنة بوشاح نيباربوس وقد رمى أحشائها دود الفساد

إنما عمل المسيحية ، أيها السياسيون ، كان يتجه « إلى إدخال السلام على قلوب الفقراء البائسين ، وإلى إخراج الأمل من أحشاء المومياء الفاسدة قوة حية تمضد كل مظلوم ، وذلك ما قامت به المسيحية على اقتراض روما ، ولكن ماذا فعل خلفاء هادى روما بعد مرور السنين ؟ إنهم لبثوا ينظرون إلى الفقير يرهقه التقي ، وإلى القوى يستبدوا الضعيف ، ويسمونه يقول : (إن الأقوياء سيسحقوننى على الأرض ، غير أننى سأقف في جوههم عند ماسيحياويزون دخول البناء فاشكركم إلى الله) .

لذة ، إنها لقحة بدايتها تنامى اليأس تحنك بقوات السماء . وهل كان ذلك الرجل إلا غلوفاً شقياً يتعمل تحت الأرجل التي تركه ؟ وهل كان صوته إلا نداءً هائلاً تدفع به الحن والالام ؟ بمن يدرى ؟ لعل هذا التحدى الموجه إلى السماء كان في عين من ينفذ الى خفايا القلوب نوعاً من الصلاة ...

وما كانت الشبيبة إلا كهذا الجاحد تفتح لقواها المكبوتة منافذ الفرج باليأس . إن من لا يجد أمامه ما يشغل به قواه ليتخذ نسبية له من التجديف فيتهم على الدين والمجد والحب وعلى كل ما في العالم ، تلك الوسيلة هى السبيل الذى يتبسه الانسان ليخادع نفسه فيتهم عليها وهو يجدف على كل شيء

بلذ للرم أن يضع نفسه في مصاف الأشقياء حين يحكمه الضجر فيندفع الى الفحشاء لأنها أول ما يخطر على بال الماسطين ، وهى الآلة التي تتلصصها الأعصاب المهالكة لتشد بها على نفسها تسكيناً لاختلاجها

وكان الأغنياء يقولون : لا حقيقة إلا بالثروة وأما ما سواها فأحلام . فلنتمتع بالثروة ولنمت

وكان متوسطو الحال يقولون : لا حقيقة إلا بالسلولان ، وأما ما بقى فأحلام . فلنسل ولنمت . أما الفقراء فكانوا يقولون : لا حقيقة إلا في العذاب ، وأما ما سواه فأحلام ، فلنجحف ولنمت إنه لو صف صريح قد يحسبه البعض مبالفة ، وما أنا إذ أوردته مندفع بالمداء للانسانية ، فهو وصف للواقع ، وهذا هو البرهان

كل من طالع التاريخ وسبر غور الأسباب التي أدت إلى سقوط امبراطورية روما ، لا بد له أن يرى ما انبث عن المسيحيين من قوات دسرتها تدميراً . فان العظمة التي تجلت في هؤلاء المؤمنين

رسل البركة إليكم

لقد كانت النقي نقول للفقير: فبا معنى : إلى الأرض ، فيجيبه الفقير : أما أنا فلي السماء . فبأية كلمة سيجيب الفقير الذي الآن ؟

ان علل هذا المعركتهما قد نشأت من سبعين ، فان الشعب الذي مر على ثوري سنة ١٧٩٣ و ١٨١٤ . قد خرج منهما بحرين . كل ما كان قد زال ، وكل ما سيكون ليس كائناً بمد . هذان هما السبيان ، فمن الميت أن نفثت عن ثالث لها

ما حالنا الا حال رجل ندعى مسكنه الى الحضيض وقد بئر أبقاضه ليقوم ببناء جديد . ثمر الرجل عن ساعد الجد وبدأ العمل وهو منتظر ورود الحجارة البيضاء الجديدة لرفع البناء ، ولكن قيل له ان الحجارة البيضاء الجديدة بعيدة النال ، فعليه أن يصالح الحجارة السوداء القديمة . وسطا الدهول على هذا المامل الذي لا يريد أن يرفع بيته بمواد أخاقتها الدهر وموهتها الأيام بالسواد ، ولكن ما العمل والحجر عميق ولا أدوات لديه لاستخراج الحجارة منه

وقف المتفرجون حوله وقالوا له : استخرج الحجارة من حين الى حين واشتغل على مهل وتكاثر النصح تبذل لهذا الرجل وهو واقف تحت سماء الله . لقد تهدم بيته القديم ولا بيت جديد له ، فهو عرضة للحر والقر ، لا يعلم أين يعمل وأين يرتاح وأين يأكل وأين ينام وأين يحيا وأين يموت ، وهو متعب مضطرب ، وأطفاله سيكون في أسرهم في المراء

ومن أشبه بهذا الرجل منا ؟ أي بني القرون القليلة انكم ستتحنون في زمانكم على المحاربت تمزق أحشاء الأرض فتتشم

هكذا صير هؤلاء المؤمنون فيما مضى ، ولكن أعداء المسيح وقفوا وصاحوا بالفقير قائلين : إنك صابر تتوقع ظهور العدل ، والعدل لا وجود له . إنك تنتظر البعث لتخلص من الظلم في الخلود وليس من خلود . أنت تدخر دموع أطفالك ونواح امراءك لتحميها إلى أقدام عرش الله بمد موتك ، وما بعد الموت من حياة ، فان الله غير موجود) وعند ما سمع الفقير هذا جفف أجفانه وقال لاهرائمه أن تكف عن النواح ، ونادى بأولاده ليقت معهم على الخرق البالية كالثور الهاج ، وصرخ في وجه النقي قائلاً :

(ما أنت إلا رجل أيها الظالم .)

ثم التفت إلى الكاهن ، وقال له : « لقد كذبت أيها المزمى »

وهذا ما كان يقصده أعداء المسيح ، ولما هم حسبوا أنهم يسعدون الفقير بارساله على سبيل الطلبة بالحري

ولكن إذا فهم هذا البائس أن الأغنياء يسلبونه حقه وأن الكهنة يتاجرون بهجله ، إذا ما عرف أن للناس حقاً واحداً في الحياة وأن الفقر هو الكفر بسببه ، فان إيمانه ليتجسر حينئذ بقوة ساعده فيهتف قائلاً : لأصلي الأغنياء حرباً عواناً . إن اللذات للجميع على السواء ، إن الأرض لي أنا أيضاً مادامت السماء خاوية خالية

أيها المفكرون الذين تقودون الفقير الى هذا الموقف ، أية كلمة تدخرونها لشقاؤه إذا هو اقتحم المترك فسقط مغلوباً على أمره ؟

لقد يكون حبكم للانسانية المذبذبة قد أهاب بكم الى الندادة بهمة البداىء ، ولقد نجيكم بكم يوم يبارككم الناس فيه ، أما اليوم فلا يسمننا أنت



الأوليسس

لهوميروس

بقلم الأستاذ دريني خشبة

[تابع ما نشر في العدد الماضي]

لسهاما مسومة فسمومة سقاها أبي بعد إذ رفض
أنت يُسمِّها إيلوس بن صرميس^(١)... وهو
لوسوبها إلى أولئك الفاليك لأبادم... يارحما له!
إن أحد أغير — الآلهة — لا يعلم إن كان ما يزال
حيًا يرزق أو هو قد ابتله اليم أو عاجلته النون...
تليك يا ابن أعز الناس على! إصغ لي وع الفتي
أقول: إنك لست طفلًا بعد! فلم لا تشمر عن
(١) أورد هنا هوميروس أسطورة لادامي لذكرها

واتال الحسنان في قم مينرفا، إذ هي نجيب
الفتى المحزون:

«ويح لك أيها الفتى! رحمتك يا بني الصغير!
أواه! لو أن أباك هنا اليوم لينود أولئك المناكيد!
وحق السماء لو أنهم رأوه وهو بلاعب ورجيمه
أو بداعب سهامه لأخفلوا وولوا مديري! إن له

الشكر لله، أيها الأحرار، لأنه أوجدكم في عصر الحصاد.
افتكروا فينا نحن الراحلين وتذكروا أن ماتتمتعون
به من عناء وسلام قد كلفنا كثيرًا من الشقاء
ترحموا علينا أكثر مما ترحمون على سائر
من تقدموكم في مراحل الأجيال، لأننا نعملنا أوجاع
أجدادكم دون أن تتمتع بما كان لهم من عزاء...
فيلكس فارس

لكم بزوجها ونياها أما بارة بالماملين فتفي لهم
وهي تجر برود الأنوار في الصباح. في تلك الأزمنة
سيمكل المرق جبينكم بالفرح والخيور، وإذا
تسرحون أنظاركم على الآفاق الواسعة، فانكم لن
تجدوا في حقول الانسانية إلا السنايل تتأوج
متساوية قد رصبتها الأزهار
في ذلك الحين، عندما ترفعون رؤوسكم لتؤدوا

وعلى الآلهة فلتشكل !» -

وحين انتهت ميترفا من هذا الحديث ، حدجها تليماك وقال : « أيها الصديق حبا ، وبأبر الأوفياء سمعا ! لقد أبقت في ضمير أنت أحييته . فأنت شكران لك ... أبدا لن أنسى كلتيك : أنا ابن أوديسيوس ! فلأبحث عن أوديسيوس » وحاول الفتى أن يقدم لهذه هدية سنية تكون تذكار هذا اللقاء ، ولكن ميترفا شكرته وأبت أن تأخذ شيئا « فإذا نجحت في مسعاك يا بني فسوف أعود وسوف أقبل أية هدية منك ! »

ثم انطلقت ربة الحكمة ، ذات العينين الزرجيتين . ولشد ماذهل الفتى ووقف مسبوها مشدوها حين رأى هذا الأمير (منتس) ينتفض انتفاضة هائلة فيكون تسرا قسما بضرب الهواء يجناحه ثم يمسو ويمو ... فيكون في السماء ويغيب عن ناظره !!

ولم يحس الفتى يوما بما أحس به الساعة من هذه الذكريات الملحة على فؤاده تهيج فيه الشوق إلى لقاء أبيه ، وجدد الثقة عنده وأكد لها فيه يقينه أن إلها يساعده ، هو هذا الضيف الذي أرسل جناحه وظاف في السماء

وانطلق تليماك حيث جلس الفساق يستمعون إلى أغاني فيميوس ، وحيث وجد أمه في الشرفة العليا تستمع هي الأخرى إلى تلك الأغاني بين قبانها من وراء ستار صفيق وتبكي ... وتسال فيميوس أن يتغنى غير هذا الغناء غناء لا يثير ذكريات شجوها وشجنها ... وتثور الذخوة في قلب الفتى فيصيح بأمه : « علام المويل يا أماء ؟

ساعد الجد وتبحث بنفسك عن أبيك ! لم ترضى أن يطلع شرف بيتك هؤلاء الفجار ؟ لم لا تكلمهم بنفسك في أمر أمك ؟ ولم لا تصرفهم عن هذه الدار إلى بيت جدك ليطلبوا إليه بدايته إن شاءوا ؟ أليس أبوها ألق لهذا الشأن من كل رجل سواء مادام أوديسيوس لم يؤب ؟ لم يرضون هنا كسباح الفلاة يوهون ثروتك وبأكلون مالك ويذهبون بالأخضر واليابس ماركك أبوك ؟ إستمع لما أقول يا تليماك ! نبي القوم فليجتموا لك ، ولتسمهم كلتيك ، ولتصارح أمك إن هي أرادت منهم بلاء فلتصرف إلى بيت أبيها فهو أولى بهذا الأمر من كل أحد . ثم انفض أنت يا ابن أوديسيوس ! فأبحث عن أوديسيوس . أعد ما استطعت من سفن وزاد ، وميرة وعناد ، ولتبحر على بركة الآلهة ، فلتذهب أولا إلى (يلوس) حيث الحكيم الباسل تسطور ، ثم إلى إسبارطة حيث صاحب هذه الداهية منالايوس^(١) ... أقلع بقلبك إلى هذين فسائلهما أين مضى أبوك فقد تقع منهما له على خير ... ولتكن لك أسوة في الفتى الجريء القدام أوردت الذي قتل قاتلي أبيه^(٢) ، وفيهم أمه ... بوركت يا أوردت ! بوركت يا أوردت ! هلم يا تليماك فقد تمود بأبيك حيا فإرد الشرف والمجد إلى هذا البيت ؟ وقد تمود به ميتا فترفع ذكره ، وتقيم قبره ، وتخلد في المألين أثره ! الآن ، فلانفض أنا إلى رجالي وسفنى . لقد بمدت طويلا عنهم ... وكلى يقين يا بني أن تقدر نصيحتي

(١) زوج هيلين أخت پتوب والتي كانت سبب حرب طروادة
(٢) أبامنون

حين تخلمه على السباء ... غير أن أمره إليكم اليوم
إن كان قد قضى أوديسيوس ... أما أنا ... فلا أريد
إلا أن أكون سيد هذا القصر ... ولا غرو ...
فإن هذا من حق ! »

وأجابه يوريماخوس : « إن من حقا أن تقول
ما تشاء يا أخانا تليماكس ... أما ملك إيثاكا فالسباء
وحدها تؤتية من تشاء . ولكن قل لنا ربك من
هذا الضيف الذي كان ملك الساعة ؟ هل من قبل
أيك أقبل ؟ أم إن له عليكم لَدَيْنَا ؟ إن أحدا منا
لم يلقه ولم يره ، ولكننا لحناه من بعد ، عليه سماء
النجابة والجلال . من أين أقبل يا تليماكس وفيما
قدم ؟ ... »

وأصلح تليماك من شأنه وقال : « أيها السيد
يوريماخوس ! إن يقيني أن أبي قد انتهى ... وإن
تقربني هذه الكلمات المصولة التي يتشدق بها
للتجمون ... أما هذا الضيف ... ف... هو من
أصدقاء أبي طيبا ، وقد أقبل لمجرد الضيافة ، وهو
الأمير منتس أمير البحارين وسيد قافوس ، وابن
سيد هذا الزمان ، الملك الشجاع أنخيالوس . »

فألها تليماكس وهو أعرف الناس بضيفه ؛
ثم اتنى كل إلى غيمه ، واتنى تليماك إلى غدعه
بالباطن الصلوى . حيث كانت مَرَضُهُ يوريكليا
تنتظره ، وتوقد له الشموع والشرج . يألها من
أنهى طيبة تخلص لولاهما وتحنو عليه ... لسرعان
ما خلع ملابسه فغطتها وحفظها ! ... ولسرعان
ما هبات له فراشه الوثير ...

وقضى تليماك ليلةً ثابتيّةً مثقلةً بالهواجس
والأفكار

وماوقوفك هذا الموقف تسترقين الفناء ؟ وما اعتراضك
على المنى ؟ دعيه يتنى ما يشاء ، فلقد غدونا سخرية
القضاء ومُهنُو المقادير . ولقد ذهب أوديسيوس
وفُهِبَ معه كرامة هذا البيت ، وإن لصاحبها
بصده ... فادخلى وليدخل ملك قيانك ولتقم جميعاً
بشؤون المنزل ، ولتُخَلِّينِ إلى مفزلك ومنسجلك ،
ودعي كل ما عدا ذلك للرجال ... لي ... لي أنا
وحدى : سيد هذا القصر ! »

وأثرت مقالة الابن في نفس أمه ، فاثنت مع
قيانها إلى غدعهما بالطابق العلوى ، حتى إذا خلت
إلى نفسها ذرفت من الدمع على أوديسيوس ما شاء
لها حزنها أن تذرف . أما تليماك فقد انطلق وسط
القوم ونادى بأعلى صوته : « أيها الفساق ! يا عشاق
أبى ! خذوا في لهركم ، وتعمتوا قليلاً أو كثيراً ،
فاذا كان الغد فاجتمعوا في الساحة الكبرى ، فإن
لي كلاماً مكم ... سأطلب إليكم أن تشدوا رحالكم
من هنا ! أنسمعون ! لقد طالما أنلتم لنا زادا
وعناداً ... ألا تلتئمسون الزاد والمتاد من عند
أنفسكم ؟ ولتقيموا أفراحكم ولأنعمكم في غير هذا
المكان ؟ فإن أيتم فاني مستعين بالآلهة عليكم ،
ولتقتص منكم السباء بما جرحتم ... »

وما كاد يفرغ من قائلته حتى عضوا على أصابهم
لما جأهم بهذا الكلام الخشن الذي لم يتبادوه .
ونهمض أنتينوس من مجلسه وقال : « تليماكس !
لقد حق لك أن مخاطبتنا بهذه الشجاعة ، ولكن ...
يا لشؤم اليوم الذي تتوجك السباء ملكاً فيه على
إيثاكا ... عرش آبائك وأجدادك ! »

وبجيب تليماك : « ليس أحب إلى من الملك

تلياك يجادل العشاق

وبجر باعثاً همه أيب

فهو صمة ما تقدم



ميرقا

من شأنه ، وتقلد سيفه ^(١) ، ثم افنتل غتلاً ، كأحد آلهة الأولب من ياب غدعه ، وجعل يقلب عينيه في هذه الخيام المضروبة التي تملأ خديقة القصر ، والتي يشوى فيها أولئك النجار الاشرار عشاق بنبوب ؟ وتلبث قبيلا وفي القلب لظي ، وفي الغس كاوم ؟ ثم صاح بالألفهوا مسرعين ، وأخذوا ينسبون إلى الدهرة الكبرى ، حتى إذا انتظم عقدهم والتأم شملهم تقدم هو متهدجا نحو عرش أيبه ، وفي عيته رمح ظالي إلى تلك الدماء النجسة التي تتدفق في عروق اللثاب ، وعن جانبيه كلباء الضاريان يتهديان وفي عيني كل منهما جرتان . وكانت ميرقا نفسها تضفي على الشاب سبها النبيل ، وترقرق فوق ناصيته أموها من المظمة والمجد ، لتقف منه

(١) في الأصل (منيحه) وهي السيف الرخيص

الصغير Fauclion

« بعد سقوط طروادة عاد كل أبطال الأتريش إلى أوطانهم ما هذا البطل العظيم أوديسيوس الذي مثل طريقه في البحر ولبت ستين طويلة يخط في الم على غير هدى وكانت زوجته بنبوب أخت هيلين من أجل اللادات اليونانيات قطع أسماء البلاد الناشقة في التزوج منها ، ولكنها رفضتهم جميعاً ثم لجأت إلى الحيلة معهم حيناً لجأوا هم إلى النطرسه وأقبلوا بقضهم وقضيضهم ، فسكروا في حداث قصر أوديسيوس وردماته ليضطروها أن تختار منهم زوجاً لها . ذلك أنها اصطفت لنفسها منسجاً وراحت تعمل عليه ووعدهم أنها حين تفرغ من نسجها فاتها ستختار منهم بطلا لها . ولكن هذه الحال لم ترش ميرقا رفة الحكمة ونصيرة أوديسيوس . فسألت أبها كبير الآلهة أن يساعد هذا البطل وأن يأذن فيأمر يهودته إلى وطنه . وكان أوديسيوس في هذه الآونة عقد عروس الماء كاليسو التي أقرمت به واخترت بقوة فأبغته لديها وراحت تراوده عن نفسه ، فأرسل كبير الآلهة ولده هرمن إلى هذه العروس بأمرها بأعداد سفينة يبحر البطل عليها إلى بلاده — أما ميرقا فاتها ذهبت بنفسها إلى تلياك ابن أوديسيوس — في صورة أمير من أسماء البحر يدعى منس ، وهناك أكلت مع الفتى ثم حرضته على طرد العشاق المجرمين من قصر أيبه ، وبعد أن فرغت من حديثها معه حولت نفسها إلى نسر عظم وضربت الهواء بجناحها وغابت في الساء ، فتأكد الفتى أن الذي كان يكله ليس أمير البحر منس ، ولكنه إله عظم أقبل ليمده يد المساعدة في البحث عن أيبه — وقد خاطب تلياك العشاق فطلب إليهم أن يجتمعوا في البلد في الدهرة الكبرى ليطلب منهم أن ينادوا القصر وأن يذهبوا إلى جده فيطلبوا إليه ابنه بنبوب إن أرادوا ، ثم ذهب ليستريح في غدعه إلى الصباح »

موهت أودوا ^(١) ، ابنة الفجر الوردية مشرق

الأفق ، فعب ابن أوديسيوس من مرقده ، وأصلح

(١) ربة الفجر في الميثولوجية اليونانية وإحدى تابعات أبولو وعادية عرته — الشمس — عند ما تبرز من أبواب المشرق

بُشريات الجيش المفقود الذي لا يسلم مصائرهُ !
 لاريوس ! لقد فقدت والدي ، ووالد الأيتام
 جميعاً ، ثم أنا اليوم حبيس هذه الدار ، أسير هؤلاء
 المشاق^(١) الذين يطمعون في الزواج من أمي ، غير
 متقين في عرضي إلا ، ولا راعين لأبي ذمة ،
 يُدَبِّحُونَ النِّسَمَ^(٢) ، ويريفون^(٣) الزاد ، ويقاقرون
 ابنة المنب ، ولا يباليون أن يهلك الأزرع والضرع ،
 ما داموا يبيتون ويطونهم ملاي ، وبيت غيرهم على
 الطوى ... ! لقد استباحوا هنا كل شيء ، ما دام
 لا أوديسيوس هنا فيردهم ، ولا حول في أغل
 يديهم ، ولا ضائر فيصيحوا إلى قولي ، ويرجوا
 ضعي ، ويذهبوا من فورهم إلى جدي فيخطبوا إليه
 ابنته إن أرادت أحدهم بلا ، فهو بها أولى وبشأنها
 أحق ... إنكم ضغاف أيها الأيتام كيون الأوفياء ...
 ولو استطعتم لرددتهم عنى غائلهم ... فلقد طفح
 الكيل ، وحزب الشر ، ومع الأذى ... والآن ،
 أوجه إليهم قولي ... ، ولن أستحي أن أصارحكم
 مرة أخرى أيها المشاق ... اخجلوا إذن ! ولتصيح
 الفضيلة وجنائكم بحمرة الحياء ! أذكروا ما عسى
 أن يُسَبِّحَكُمْ به جيرانكم ! واخشوا قارة محل عليكم
 من أربابكم ... واتقوا يوم تلقونهم تودون لوتلقفتمكم
 الصواعق ... يا قوم ! استحللحكم بسيد الأواب !
 برة المداة تيميس ، إلا ما تركتموني أنفي البقية
 الباقية من أبيي في شقوتي وحدي ! هل أجزم أبي
 مرة مع أحد منكم فأتم اليوم تأخذوني بجريرته ؟

(١) يلاحظ القارئ أن الاجتماع كان طاماً ولم يكن
 فاصراً على المشاق قطع ، بل ضم جمهوراً من أهل إيثاكا
 كذلك

(٢) اللاشية

(٣) يدحون

الرجب في قلوب أعدائه ، حتى لبهزم أن يروا في
 تليماك ذلك الضرغامه المحتال
 وما كاد الفتى يستوى على عرش أبائه الصيد ،
 وأجداده الصناديد ، حتى نهض شيخ يحمل فوق
 كاهله السنين الثقيل ، وتشتغل في رأسه شبيبة
 التجاريب وجلال الفمال . وكان هو إيجيتوس
 بيمينه ... إيجيتوس للسكين الذي بث بولده
 أنتفوس في أسطول عظيم وجند لجب ، ليشارك
 في حرب اليوم مع أوديسيوس ، فتنازل وناضل ،
 وكر وفر ، وجل وصال ، وصمد واقتصر ...
 ولكنه ... وأأسفاه ! لم يعد إلى أوطانه في
 المائدين ، بل سحب أوديسيوس في رحلته المشتومة
 وراء البحار حيث أكله السيكلوب الوحش فيمن
 أكل^(١) . وقت إيجيتوس بين أبناء له ثلاثة ،
 أحدهم من عشاق تيلوب ، ثم قال :
 « أيها الرفاق ! يا أبناء إيثاكا النبلاء ! إنها
 أول مرة منذ بارج أوديسيوس بفلات أكبادنا
 ندعى فنجتمع مثل هذا الاجتماع . فخذ القى دعا
 إليه ، وماذا يبتقى ؟ أنفحة من نفحات الشباب ،
 أم زفرة من زفرات الشيب ، أم خبر من جيشنا
 المسالك يئسر بمود أجد ؟ لينهض باركته السباه
 فيحدثنا عما دعانا إليه »

وتناول تليماك صولجانه من قواصه ، وتقدم حتى
 كان في وسط القوم ، وجهر فقال :

« أنا أيها السيد الرقور صاحب هذه الدعوة !
 أنا ... تلياخوس بن أوديسيوس ، صاحب هذه
 الدار وصاحبكم ومولاكم من قبل ... لقد دعوتكم
 لأشكروا إليكم بشي وحزني ... لا لأزف إليكم

(١) سيأتي ذكر ذلك في الكتاب التاسع

وهي تنقض غزلها أنكأما في ضوء الشاعل ، في جنح الليل ، فأجبرناها على إتمامه بالرغم منها ... هذه هي الحقيقة يا قوم ! والآن ! فلترسل أمك أيها الفقي إلى أبيها ، وليختر لها من بيننا يملا ، أو فلختر هي لها يملا ... أما إذا عكفت على ختلها بنا ، فلتبقى أن شيئاً منه لم يسد يجوز علينا ، مهما ظنت أنها أحق من تيرو ، أو أكيس من ألكينا ، أو أبرع من ميسينة^(١) ... حسبها ما خدعتنا ! وإنا نقاسمك بإتلاك أننا لن نبرح ما كفين على ما شكوت ، من ذبح لنمك ، وإراغة لزدك ، ومارقة لخرمك ، حتى تختار لنفسها ؟ أو ... فليمن فرع هذه الدار ، ولينضب معين خيرها . »

وشاعت الكبرياء في كل جارحة من جوارح تلياخوس فقال :

« أتتبنوس ! ماذا أسألك ؟ كيف تسألني أن أقهر أمة التي غدتني ونشأتني على غير ما ترضاه ؟ كيف أطردها من قصر يملأ الذي لا يعلم غير الله إن كان حياً أو ميتاً ؟ لبس ما أجزى به ، ولشد ما أغضب أبي وأثير غضب الآلهة على إن فعلته ! »
إنها استدعو إيريس^(٢) كي تنتقم لها مني ، وستنصب على لسان الناس جميعاً ؟ ويحك أيها الرجل ! أن أقولها أبداً ... بل اذهبوا أتم فسواها ما شئتم ؟ فاما أجابت طلبتكم ، وإلا فانصرفوا عسىير ماجورين ... اذهبوا فاولوا ولا تعكم في غير هذا القصر ، وأرثوا من زادكم ، وأنفقوا مما تحبون ! ! أما إن رأيتم أنه أحلى لكم أن تأكلوا مال غيركم ، فاني سأهتف أبداً بالآلهة أن تنقض لي منكم ، فهي محبلة بكم ! ... »

دميني غصبي

(يتبع)

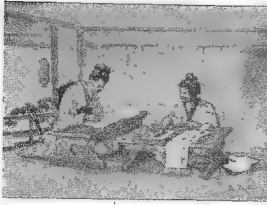
(١) من ربات الفنون

فيم إذن مقامكم هنا ؟ وفيه إذن تذهبون بترقي أبديد ؟ وفيه إذن تستزفون آخر قطرة من بحري دون مقابل ؟ ! اذهبوا ! اذهبوا ، ودعوا تلياخوس البائس يحرق نفسه أشجابه ، وتبرى اصطباره بلواه ! ! »

ودق الأرض بصولجانه ، وانفجر يبكى ، وكأنا أنهمرت دموعه في نفوس القوم ، فوجوا وجوماً شديداً ، ولم ينس أحدهم بيت شفة . حتى نهض أتتنبوس آخر الأمر فقال :

« لله يياك يا تلياخوس ! لقد كنت مصقماً حقاً ! ولكنك لم تنصب كبد الحقيقة حين قصرت علينا كل اللوم ، حين لا ملوم إلا أمك ! لقد خدعتنا جميعاً طوال سنوات ثلاث كادت أن تتم أربسة ، إذ رسائلها تترى علينا ، تحمي في نفوسنا الآمال ، وتذك فينا الأمان ! لقد كانت وعودها تتراصد كالبروق الخائب ، وتترامى كالسراب الضل ! لقد خدعت لها منسجاً وطفقت تعمل عليه وهي تغرربنا ، وقول : « أيها الاغريق : لقد قضى أوديسوس ما في ذلك ريب ، وكلكم تطعمون أن تفوزوا بزوجه ، ولكن أبا ليرتيس رجل شيخ ، وهو يدب بخطى وثيدة إلى حافة القبر ، أفليس أخلق في ويكم أن تنتظروا حتى أنسج له هذا الثوب ، لتكون منه أكفانه ، وحتى لا أكون مضمة في فم الاغريقيات إن تركته برغم زوته الطائلة وليس له كفن يضم رفاقه . » ولقد أجبنا سؤالها وتلبثنا طويلاً ، نرجو لو تفرغ من نسج هذا الكفن ، بيد أنها كانت تنقض بالليل ما تنسجه بالنهار ، وهكذا دواليك ، ظلت نخادعنا تلك السنين الثلاث ، حتى فضحت سرها إحدى وصيفاتها ، إذ حدثتنا به ، واستطعنا أن نضبطها

ولانصيح، فهي تنشأ وترعرع وعلى نفرتها ابتسامه
هادئة تقابل بها كل إنسان
والفتاة اليابانية في المدرسة تدرس الأخلاق
قبل أن تدرس العلم ؟ فإذا دخلت المدرسة تراها
تنحني لأستاذها حتى تكاد تلمس الأرض بأنفها ،
— وهذه أقصى درجة للتبجيل والاكبار في
اليابان — فيرد الأستاذ التحية بأحسن منها ، ثم
يجلس الأطفال في مقاعدهم ، ويفتحن الكتب ،
ويبدأن الدرس



درس في الكتبة

والكتب في اليابان غريبة في كل شيء ،
فلن تتبر دهشتك في غرابة حروفها فحسب ، بل
إنك إذا أردت أن تثر على أول صفحة في الكتاب
وجدتها الأخيرة فيه ؟ وإذا رغبت في قراءته
فانك تقرأه من آخره إلى أوله ، لا من أوله إلى
آخره ؟ وإذا حدثتك نفسك بتبعية كلمات سطر
من السطور ، فانك تراها تبدأ في أعلى الصفحة
وتنتهي في أسفلها ، أي أن الكتابة في اليابان لا تبدأ
من اليمين أو الشمال كما في سائر اللغات ، بل تبدأ
من أعلى إلى أسفل
وتدرس الطلقة اليابانية في المدرسة ما تدرسه
الطلقة الغربية من المواد المختلفة ، فضلاً عن أنها



من أفق الخافق

مرويات في السرور الأقصى

فتاة اليابانية

ترجمة الأديب أحمد كافي

إن كلمة « الطاعة » التي لها حظ كبير من حياة
الرجل الياباني ، هي كل حياة الفتاة اليابانية ؛ فالفتاة
اليابانية تتلقن واجباتها في سن مبكرة من الطفولة .
وفي اليابان كتاب عتيق تستظهره اليابانيات ، ولا يخلو
منه منزل ما ، اسمه « الدراسة العالية للمرأة » ، ويشمل
مجموعة من التقاليد والواجبات ، والمثل العليا
للأخلاق . وقوام هذا الكتاب « الطاعة » ؛ فتراه
يقول إن على الفتاة اليابانية ثلاثة واجبات في الطاعة :
في مرحلتها الأولى وهي فتاة يجب أن تمثل لأوامر
والدها ، وفي مرحلتها الثانية وهي متزوجة يجب
أن تنصاع لرغبة زوجها ، وفي الثالثة وهي أرملة
يجب أن تخضع لأرادة ابنها الأكبر

تجتاز الفتاة اليابانية مرحلة الطفولة في سرور
ومرح ، بين رعاية والديها ، وعناية أهلها . وهي
دائماً هادئة الطبع ، رزينة النفس ، حتى في لعبها ؛
فإذا غضبت لا تنول ولا تبكي ، وإذا فرحت لا تمنج

أوقات فراغها ، فتهدب ذوقها ، وتربّي فيها روح التنسيق ، وحسن الاختيار ، وجمال الترتيب مما لا تستغنى عنه المرأة في حياتها المنزلية ... وقد جرت العادة في اليابان أن يقص شعر الطفلة بعد ولادتها بقليل ، حتى إذا بلغت الثالثة من عمرها نما الشعر في غزارة حتى تنفوس ذوائبه على أكتافها . وترتدى الطفلة اليابانية في سفرها ملابس الطفولة ، وهي ملابس ضيقة مختلفة الألوان ، حتى إذا بلغت السابعة من عمرها عولمت معاملة المرأة الكاملة ، فتلبس الملابس الحريرة الواسعة ، وتختار الألوان الزاهية ، وترتدى الثياب الفضفاضة الموشاة بخيوط من الذهب ، أو رسوم من الزهر ، يجمع بين تناسق الألوان وإتقان النسيج

وليست هذه المرحلة من عمر الفتاة اليابانية هي مرحلة التبرج والتزين نجس ، بل لها أيضاً أن تتراور وصديقتها ، وتقضى مهن أوقات الصفو والهو ، وتذهب بصحبتهن إلى المياكل والمعابد ، حتى إذا تزوجت نبذت كل ذلك ظهرياً ، وهجرت هذه الحياة اللاهية المرحية

فواجبات الزوجة اليابانية ، وتفانيها في خدمة زوجها . وأطفالها تشغلها مما عداها من ضروب التسلية والهو ؟ ولا تتحرر الزوجة من هذه القيود إلا عند ما يشب ابنها ويتزوج ، حينئذ تلقى على زوجها تبعات المنزل ، وتطرح عن ظهرها ذلك المعبء الذي حملته زمناً طويلاً ، وهذا هو التفرج الثاني في حياة المرأة اليابانية ، فزاهها تعاود حياتها الأولى ، وتستعيد ذكريات الشباب المرح ، فتزور

المياكل ، وتظهر في الحفلات ، وترتاد الملاهي والفتاة اليابانية تزوج في سن مبكرة ، فلا تبلغ

تدريس التقاليد والأخلاق وحسن معاملة الغير دراسة دقيقة واسعة ، فأهل اليابان لا يرون أن الأخلاق والمعاملة والتقاليد تعتمد على الذوق والشعور ، بل يرون أنه لا بد للطفل من دروس طويلة في الأخلاق والتقاليد ، حتى لا يبعد عنها ، ولا يخرج عن أصولها

فكم مرة يجب أن ينحني ؟ وكيف ينبغي الغرباء ومواطنيه على اختلاف طبقاتهم سواء أكانوا من هاية القوم أم من الطبقات المتوسطة ، أو من الطبقات الدنيا ... فكل طبقة من هؤلاء لها طابعها الخاص ، ولها تحيتها الخاصة ، ولها تقاليدها الخاصة . ويقال إن من السهل معرفة الطبقة التي تنتمي إليها الفتاة اليابانية من الطريقة التي تقدم بها الشاي إلى الضيف



تقديم الشاي إلى الضيف

وفن تنسيق الزهور في اليابان من الدراسة المنزلية التي تتلقاها الفتاة عن أمها وتقضى فيها معظم

وثيابها الجيلة وتستقبل حياة شاقة جديدة لا عهد لها بها من قبل ... وإذا كان الزوج يعيش مع والده فان من الشرف للروس أن تلي طلبتهما ، وتنصاع لرغبتهما ، وتنزل على ارادتهما ، وهما بدورهما يعطفان عليها كل العطف ، فلسنا نلصق في اليابان أترأ لذلك التنافر الذي يحدث عادة في سائر الممالك بين الأم وكفتها ، فان الأم اليابانية التي جبلت على الطاعة ، وانطلمت على الحنان وصفاء القلب لا ترى في زوجة ابنها سوى ابنة ثانية لها قضى الله أن تستريح على يديها من عناء الأعمال ؛ فهي تنظر إليها دائماً نظرة الأم الشقيقة لابنتها البرة وقد بلغ من وقار الزوجة اليابانية لزوجها أنها عادة تشوه وجهها ، وتسود أسنانها ، حتى لا تلفت نظر غيره . وعلى رغم أن هذه المادة انقرضت في اليابان ولا سيما بين الطبقات العليا التي تأثرت كثيراً بالجانب الغربي ، إلا أن التجول في ربوع اليابان كثيراً ما يرى هؤلاء النساء ذوات الأسنان السوداء في كثير من جهاتها -

وإذا فقدت اليابانية زوجها فانها تظهر عليه حزنها العميق وأسأها البالغ ، فزأها تملق رأسها ، وتردى الداكن من الثياب ، وتبدو في منظر كئيب حزين . والمثل الياباني يشبه لنا الأرملة اليابانية بالقراب ، والزوجة اليابانية بالحامة ، والفتاة اليابانية بطير من طيور الجنة ؟
(عن الانجليزية)
أحمد قنص مرسى

اعتذار

حال ضيق الوقت وعوادي الأشغال عن نهر شيء من (هيلوز الجديدة) في هذا العدد ، فأرجأ تأمالي العدد المقبل فنرجو من قرائنا المنة

المشترين من عمرها - دون زواج - إلا الفتاة المائرة الحظ ، وعندئذ تنقطع عن كل شيء آخر إلى خدمة زوجها ، وتتجه بكليتها إلى حياة الجسد والنشاط ، فتبذل الثياب الزاهية الملونة ، وتمتاع الملابس الفضفاضة المزينة ، وتردى ثوباً أبيض شفافاً تتجلى فيه كل معاني البساطة



البيت الياباني

وبتم الزواج في اليابان ، دون جلبة ولا ضجة ، كثيراً من الأمم ، فليست هناك هذه الأفراح العامة ، ولا تلك التقاليد الدينية ، وكل ما هنالك أن الزوج وعروسه يشتركان في شرب ثلاث كؤوس من الشراب الوطني الياباني المصنوع من الرز (الساكي) Saké فينال كل منهما رشقة من كل كأس ، ويمتاز اشتراكهما في شرب هذه الكؤوس بمثابة بدء اقتسامهما حياتهما المقلنة وهنا يجب على الروس أن تودع أيامها المسيدة





صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المشئول
أحمد حسن الزيات

بدل الاشتراك من سنة
٣٠ في مصر والسودان
٥٠ في الممالك الأخرى
١ من العدد الواحد

الإدارة
شارع عبد العزيز رقم ٣٦
العتبة الخضراء — القاهرة
تليفون ٤٢٣٩٠ ، ٥٣٤٥٥

المروية

مجلة أسبوعية للقصص والبرائح

نصدر مؤقتاً في أول كل شهر وفي نصف

العدد الثالث ١٨ ذو الحجة سنة ١٣٥٥ — ١ مارس سنة ١٩٣٧ السنة الأولى

من أحسن القصص



فهرس العدد

صفحة

ولسه	١٣٨
نبيسة	١٤٧
أرملة	١٥٥
الأس في الحب	١٥٩
صدو	١٦٤
جوليا أو هيلوز الجديدة	١٦٨
الستر بكوك ورفاته	١٧١
الصيني	١٧٦
يوميات نائب في الأرياف	١٨٥
اعترافات فتى مصر	١٩١
الأوذيسة	١٩٦
لمى دى موباسان	١٩٨
أفصوصة مصرية	١٩٩
أفصوصة فرنسية	٢٠٠
لأوردو بلزك	٢٠١
أفصوصة إيطالية	٢٠٢
لجان جاك روسو	٢٠٣
لشارلز ديكنز	٢٠٤
أفصوصة واقعية إنجليزية	٢٠٥
صوراً مصرية	٢٠٦
لأفريد دى موسيه	٢٠٧
لهوميروس	٢٠٨
أحمد حسن الزيات	٢٠٩
الاستاذ إبراهيم عبد القادر المازني	٢١٠
الاستاذ عبد الرحمن صدقي	٢١١
الاستاذ محمود الحقيف	٢١٢
الاستاذ كامل عمود حبيب	٢١٣
أحمد حسن الزيات	٢١٤
« نائد »	٢١٥
الأديب أحمد فتحي مرسى	٢١٦
الاستاذ توفيق الحكيم	٢١٧
الاستاذ فليكس فارس	٢١٨
الاستاذ دريني خفصة	٢١٩



موباسان

وقف عضو الشيوخ
ورشف رشفة من هذا
النعام اللاقح الطافي ،
وأخذ يدمن النظر في
الشجرة الماشقة وهي

وَلَسْتُ

للكتاب القصصيّ جي دى موباسان

بقلم أحمد حسن الزيات

تتألق نائق الشمس وترسل بذورها في الجو ، ثم قال :
« حينما يفكر المرء في أن هذه القدرات التي يدركها
الشم ولا يدركها البصر ، ستخلق بعض الوجودات
على عشرات الفراسخ من هذا المكان ، وسترعى
ألياف الشجرات الأثني وتُمر ماءها فتنتج كائنات
ذات جذور تنشأ من بذرة كما نشأنا ، ويدركها
الفناء كما يدركنا ، ويخلفها على الأرض بخلف منها
كما يخلفنا ... ثم يجد الشيخ أمام الشجرة المشرقة
وأرجها القدي الذي لم يثبت منها كذا اهتز النسيم ،
وعاد يقول : « آه يا صديقي ! لو طُلب إليك أن
تحسب حساب أطفالك لا ارتبكت ! دونك مثلك
هذه الشجرة : لأنها تنسل بسهولة ، ثم تتخلى عن
نسلها من غير ندم ، ثم لا تشغل بالها به بعد ذلك »
قال عضو الأكاديمية : « إنا نصنع نسلنا مثل
ما تصنع هذه الشجرة نسلها يا صديقي » فقال عضو
الشيوخ : « نعم لأنكر أننا نتخلى عنه في بعض
الأحوال ولكننا نمرقه ، وفي ذلك سمو نوعنا
على غيره » . فبرز الآخر رأسه وقال :

ليس هذا الذي عنيت يا صديقي . إنك لا تجد
في الناس رجلاً ليس له أولاد مجهولون ممن يسمونهم

كان الصديقان الجمان يتزاهان في الروضة
الفينانة الزهرة والريح البهيج الطلق يزخر في
جنباتها بالحياة . كان أحدهما عضواً في مجلس
الشيوخ ، وكان الآخر عضواً في الأكاديمية
الفرنسية ، وكان كلاهما وقور النفس رزين الطبع
يصدر عنهما الرأي أو الحكم مدعماً بالدليل
مؤيداً بالحجة ، ولكن في شيوخ وأبهة ، شأن
رجال الوجاهة والثورة . تحداً أولاً في السياسة ،
فتبادلوا القول في بعض الأسماء ، لافي بعض الآراء ؛
وتحديث الشخصيات في موضوع السياسة يتغلب
دائماً على حديث العقل ؛ ثم أثارا بعض الذكريات
وصمت كل منهما ، وظلا يسيران جنباً إلى جنب
وقد استرخت مفاصلهما على فنور الهواء

وكان في الروضة المطار حوض من القرنفل
الأصفر ينفخ بالمير الطيف الأرج ، وكومة من
الزهر النضير تفص على النسيم نوافج المسك ، وشجرة
من شجر الأبتوس مكسوة بالمناقيد الصفر تدر
ذرونها في الهواء ، وهو أشبه شيء بدخان من
النصار أو بمساحيق المطار ! تفوح منه رائحة
المسل ويحمل بذور الشجرة المطرة إلى أطباق الفضاء

هؤلاء الأوباش المجرمين يلدون أيضاً ١١
 إن لي من هذا الأمر نصيباً عجيباً سأقصه عليك
 في حادثة شنيعة لا تزال تحرق في نفسي وتنتقل على ضميري
 إنها تبكيك لا يفتقر ، وندم لا ينقطع ، وارتباب
 لا ينجلي

وقع في نفسي وأنا في الخامسة والعشرين من
 عمري أن أقطع المراحل مشياً إلى «بريتانيا» مع صديق
 من أصدقائي هو مستشار الدولة اليوم . فبعد خمس
 عشرة يوماً أو عشرين من السير العنيف قطعنا فيها
 (الكوت دنور) وقبلاً من (فينستير) بلغنا
 (دورثينيز) ومن هناك وصلنا إلى رأس (راز)
 الوحش عن خليج (تريباسيه) وقضينا الليل في
 قرية من قراها ينتهي اسمها على ما ذكر بأرف .
 ولما تنفس الصبح وجدت صديق قد تحال به
 السفر فزمت السير . وأقول السير بحكم العادة ،
 أما الواقع فإن فراشنا لم يكن إلا حزمتين من القش
 على أن إقامة الريض في هذا المكان مستحيلة ،
 فأكرهت صديق على أن ينهض ، ثم استأقنا
 السير حتى دخلنا (أوديرين) في الساعة الرابعة
 أو الخامسة من المساء . وفي الغد ظهرت عليه علامات
 الصعبة فسرنا ، حتى إذا ملكنا الطريق أعترأه
 مرض قبيح فلم ينبغ (بون لايبه) إلا بشق
 الأنف . وفي هذه الليلة وجدنا فندقاً على الأقل
 فنام صديق ، وعاده الطبيب فقرر أن ما به حى
 شديدة ، ولكنه لم يتبين طبيعتها بعد

هل تعرف (بون لايبه) ؟ كلا . إنها أضرقت
 البلاد أصلاً في بريطانيا ، تجمع فيها ما يتميز به هذا
 القطر من عادات وأخلاق وأساطير . ولا تزال
 إلى اليوم كما هي لم تتطور ولم تتغير ، وأقول (إلى

أبناء المارضة ^(١) ، ولادم من غير حساب ، كما تنتج
 هذه الشجرة من غير وعي
 لو رُحنا نمد النساء اللاتي وصلنا الأسباب بهن
 لشق على الحاسب أن يحصى الأبناء ، كما يشق على
 هذه الشجرة أن يحصى الخلفة »

إذا تذكر الرء من خالط من النساء في
 المقابلات المارضة والساعات الذاهبة أمكنه أن يمد
 منهن مائتين أو ثلاثمائة ، ولا تستطيع أن ترم
 يا صديق أن هذا العدد يخلو من واحدة على الأقل
 قد اشتملت على ولد ، ولا تستطيع أن تنفي أن
 لك على بلاط السكك أو في أعماق السجون ابناً
 شريداً يسرق ويقتل الأخيار من أمثالنا ، أو بنتاً
 تزاول البغاء في أحد اللواخير ، أو تعالج الطبخ في
 أحد البيوت إذا كان الحظ قد أسقمها ففصلها
 عن أهلها

ولا يفرح عن بالك فضلاً عن ذلك أن كل
 امرأة ممن نسمن (عوميات) لها ولد أو ولدان
 لا يعرف لها أب ، ينتزعهما من حضنها من شاء
 بعشرة فرنكات أو عشرين . كل مهنة يقدر فيها
 أربابها الأرباح والخسائر ، وهؤلاء الأطفال هم
 « خسائر » هذه المهنة

من هم والادون ؟ أنت - أنا - نحن جميعاً -
 نحن معشر الذين يدهونهم المذهين . هؤلاء الأطفال
 هم نتائج مآدبنا البهيجة ، وأماسينا اللاهية ،
 وساطاتنا العاقلة ، التي ينشئ فيها الجسد فيدفعنا إلى
 المفاخرة

إن لصوص النهار ورواد الليل وأخذان الجرعة
 هم أطفالنا ، ومن الخير لنا أن نكون آباءهم ، فإن

وكانت الخادمة لا تنفك تدخل علينا ومعهما الطعام أو الدواء ، فأعابها قليلاً فتأنس وتلهو ، ولكننا ما كنا نتحدث بالطبع ما دمنا لا أعرف لغتها ولا تعرف لغتي

وفي ذات ليلة تأخرت طويلاً عند المريض ، فلما انصرفت إلى غرفتي واجهت الفتاة وهي ذاهبة إلى غرفتها أمام بابي المفتوح ؛ فدفعتني عبث الدعابة من غير تدبير ولا تفكير أن لغفت قوائمها بذراعي ، ثم جذبتها وهي في دهشة المفاجأة إلى غرفتي ثم أغلقتها ؛ فشخصت يبصرها إلى فزعة مرتاعة مستطارة ، ولم تجرؤ على أن تصيح خشية أن يفتضح الأمر فيطردها سيدها ثم ينفيها أبوها

فملت ذلك أول الأمر مزاحاً ودعابة كما قالت ، ولكنني لم أكد أراها في غرفتي حتى ملكنتني رغبة قوية في استبقائها ؛ ثم كان بيني وبينها صراع



اليوم) لأنني لا أبيع وأأسفاه أزورها في كل سنة ؛ حصن قديم تخوض أبراجه النيفة في غدير كثيب واسع يحوم عليه أسراب من الطيور المتوحشة ، ونهر صغير يخرج من هناك فتصمد المراكب الساحلية



فيه إلى المدينة ، وشوارع ضيقة ، ومنازل عتيقة ، ورجال يلبسون القبة الكبيرة والسرة المطرزة وأربعة أسدرة بعضها فوق بعض . وبنات وإفيات الجسم ، وسيات الوجه ، بضات البشرة ، يتدرعن بصدار من الجوخ ، ويتقنن بقناعات غريب ينسج من خيوط الذهب أو الفضة

كانت خادمة الفندق الذي حللناه واحدة منهن لا يزيد عمرها على ثمانية عشر ربيعاً . لها عينان زرقاوان يحترق زرقهما الشاحبة نقطتان صغيرتان سوداوان ، وأسنان قصيرة نضيدة مشدودة كأنما خلقت لطحن الحجر ؛ وكانت لا تعرف اللغة الفرنسية ، ولا تتكلم إلا اللهجة اليربونية ، وتلك حال الكثيرة الغالبة في هذا الاقليم

لم يرفض الألم من صديقي ، ولم تبد عليه أعراض مرض معين ، ومع ذلك منعه الطبيب أن يسافر وأمره بالراحة التامة . فقضيت النهار بجانيه ،

هذا الاقليم في الثامنة عشرة عليهما نضرة الجبال
وغضاضة الصبي ، وقد لبستا لبسة هذا الاقليم :
صدار ضيق من الجوخ على الصدر ، وقناع من
نسيج الفضة على الرأس ، وصفحة عريضة مرصعة
على كل صُدغ

كانت الساعة السادسة من المساء توشك أن
تحين ، جلست إلى المائدة أتشى وصاحب الفندق
نفسه هو الذى تقدم إلى خدمتي ، فأجريت القدر
المحتوم على لساني هذا السؤال :

— أتعرف المالكين القادمين لهذا الفندق ؟ لقد
قضيت فيه اثني عشر يوماً منذ ثلاثين سنة ، فأنا
أحدثك عن شيء بعيد . فأجاب الرجل قائلاً :
— لقد كانوا أهلي ياسيدي

فقصصت عليه كيف عاقني مرض صديقي عن
السفر وعقاني هذه المدة ... فلم يدعني الرجل أنم
الحديث وقال :

— أوه ! إنى أذكر ذلك جيداً . لقد كنت
يومئذ في الخامسة عشرة أو السادسة عشرة من
عمرى . لقد كنت تنام في الغرفة القصوى وصاحبك
ينام في الغرفة التي اتخذتها لنفسى على الشارع »
وفي هذه اللحظة لاقبها جرى على خاطري
ذكرى الخادمة الصغيرة فسألته :

أتذكر تلك الخادمة الرشيدة التي كانت يومئذ
عند أبيك ؟ وقد كان لها ، إذا لم تخفى الذاكرة ،
عينان جميلتان وأسنان نضيدة عذبة ؟ فقال :

« نعم ياسيدي ، لقد ماتت بحمي النفاس بعد
ذلك زمن » ثم أشار بيده نحو الفناء ، وكان فيه
رجل ضئيل أعرج يمشي في روث الاصطبل ، وقال :
(هذا ولدها)

طويل صامت ؟ صراع الجسم الجسم على نحو
ما يفعل الصارعون من أهل الرياضة ؛ فالأذرع
مبسوطة مقبوضة ملتوية ، والنفس مطرود مهوور
لاهث ، والجلد يحمر يتصبب منه العرق . أوه ! كانت
تدافع مستبصلة ، وتقارع مستقتلة ، وكنا نصطدم
مرة بعد مرة بكرسي أو حاجز أو منضدة ، فنسكن
برهة ونحن مشتبكان غافة أن نوقف هذه الجلبة ببعض
الناس ، ثم نمود إلى الصراع هجومًا متى ودفاعًا
منها . وأخيراً خذلناها قواها فمقطت منسرفة خائرة
لم نكد تنهض حتى فزعت إلى الباب ففرقت
رئاحه وولت مدبرة . لم ألقها في الأيام التالية إلا
فادراً ؛ فكانت تتحاشى أن أدنو منها . ثم تماثل
الليل وأقبل فأخذنا نتأهب لاستئناف السفر . وفي
ليلة الرحيل رأيتها بعد موهن من الليل تدخل
غرفتي خافية في قيعص النوم فألقت نفسها بين
ذراعي وحضنتني بقوة وشغف ، ثم باتت تقباني
وتلاطفني بأكية ممولة حتى الصباح ، فلم تدع شيئاً
من تطوى عليه الماشقة البسكة من إشارات الحنان
ودلالات اليأس إلا بذلته

مرت ثمانية أيام على هذا الحادث المألوف في مثل
هذه الحال فنتسيت به وانقضت ثلاثون سنة لم يخطر
فيها ببالى ، ولم أعد في خلاها إلى « لون لا يبه »
وفي سنة ١٨٧٦ رجعت إليها عرضاً وانفاقاً ،
فقصدت كنت أجول في بريطانيا ذلك العام أجمع
الوثائق وأتصور المشاهد لكتاب أولفه

كل شيء في هذا البلد على ما عهدته ؛ فالحسن
لا يزال على المدخل غوضاً بمجرده المنيرة في
الفدير ، والفندق باق كما كانت إلا أنه ترم
واستحدث . فلما دخلته استقبلني فتانان من أهل

فقلبي الضحك وقلت :

« إنه دمى وليس فيه شبه من أمه ؛ فلأبد أن يكون لأبيه » فقال الفندق : ذلك ممكن ، ولكن أحداً من أهل البلد لا يعرف من أبوه . وقد ماتت هي من دون أن تقول شيئاً عنه . ولقد كانت دهشة الناس شديدة حين علموا أنها حامل ، ولم يثقوا بصديق الخبر

عرفتني هزة كريمة وقال قلبي مس أليم كأن غمامة من المم الثقيل تكاف وتقترب . ثم

رجعت بمصرى

في الرجل وهو

بالقضاء وقد حل

إلى الخيول

دلون من ماء

النهر فكان يمشى

متحامل على

نفسه وقد بدت

عليه دلائل الجهد

من العرج . كان

خافى الثوب ،

قذرا الجسم ، زرى الهيئة ، طويل الشعر أشعث ، قد تدلت على وجنتيه خصل مصفرة كانها الحبال عاد الفندق إلى حديثه يقول : « إنه ياسيدى قليل الفناء ضليل القيمة ، وقد أوتناه إلى بيتنا شفقة ورحمة . ولعله كان يوجه الوجهة الحسى لو دنى كما يربى الناس . ولكن ماذا يصنع ياسيدى ؟ ليس له أب ولا أم ولا مال . لقد أدركت والدى الرحمة على الطفل ، ولكنه ليس طفلهما ، وأنت تعلم ماذا أعنى »

لم أعقب على كلامه بشيء ، وقضيت الليلة في عرفتى القديمة ساهداً أفكر في خادم الاصطبل الفطيع ، وأردد في نفسى هذا السؤال : « أما لو كان هذا أبى ؟ » . ليس من الممكن أن أكون أنا الذى قتلت تلك الفتاة وولدت هذا المخلوق ؟ »

قررت في نفسى أن أكلم هذا الرجل وأن أسأله عن تاريخ مولده بالذقة ؛ فان فرق شهرين يخرجنى من هذا الشك

وفي غدوة اليوم التالى بحثت في طلبه فوجدته

لا يعرف من

الفرنسية شيئاً ،

وقد بدا عليه مع

ذلك أنه لا يفقه

قولاً . فطلبت

إلى إحدى

الحاديات أن

تسأله عن سته

فأحار جواباً ،

ووقف أمامى

وقففة الأبله يدير

قيمته بأصابه الكريمة المقدمة ، وهو يضحك ضحكة النباء والبلاهة فيبدو على خراوى شفثيه وعينه شيء من ضحك أمه

على أن صاحب الفندق علم ما أسأل عنه فذهب يبحث عن شهادة ميلاد الميكين فعملت منها أنه أبصر الدنيا ثمانية شهور وستة وعشرين يوماً من تاريخ ضرورى بهذا البلد . فأتى أذكر يقيناً أتى بلفت (لورديان) في ١٥ أغسطس ؛ وقد ذكر في شهادة الميلاد أن « الأب مجهول » والام تسمى (جان كراوك)



رغبة ملحة في أن ألقى الرجل لأرى هل فيه ملامح
مشتركة بينه وبينى

لحقت به وهو ذاهب إلى الكنيسة ، فقد كان
ذلك يوم أحد ، فنفخته مائة صلابة وجعلت
أجسه يمينى وأنفرسه في اضطراب وقلق ؛ فأخذ
يضحك ضحكة قبيحة ، ثم ضاق ذرعه من طول ماصوب
النظر فيه وصمده ، فانطلق مسرعاً بعد أن دمدم
بكلمة لا يكاد يظهر لها جبرس عبر بها عن
شكره ولا شك

قضيت النهار كما قضيت الليل في م وقلى ؛
فلما اقترب المساء دعوت صاحب الفندق وقلت
له في حيلة ولباقة ولطف : إني أهتم بهذا
الخلوق البائس الذى أغفله كل إنسان ، وأعوذه
كل شيء ، وأريد أن أفيده قائدة . ولكن الرجل
أجابني بلهجة المعترض المخالف قائلاً :

« أوه ! لا تفكر في ذلك ياسيدى . إنه أقل من
لا شيء ، ولا يصلح لشيء ؛ وإنك لا تجنى مما تصنعه
معه إلا الامتناس والكراهة . أنا أستخدمة
في كنس الأسطبل وهذا كل ما يستطيع
عمله ، وجزاؤه على ذلك أن أطعمه ، أما النوم
فهو يتنام مع الخيلول ، وليس يلزمه بمد ذلك
شيء . فإذا كان لديك سروال قديم فاخله عليه ،
وستجده بمد ثمانية أيام خرقاً وهلهيل » فلم
ألح فيا اقترحت مبالغة في الحيلة والحذر

عاد الصمواك المسكين في المساء يتخلى في
مشيته من السكر ويمر بد ، فقد شرب حتى طافح ؛
ثم كاد أن يشعل النار في البيت ، وقتل حصاناً
بضربة فأس ، وفي النهاية نام في الوحل تحت

حينئذ أخذ قلبي يشتد وجيبه ويسرع نبضه ،
وشمرت أن لسانى يتمدد ، وأن صوتى يختنق ،
وتفرست في هذا الغليظ الجاف وقد بدا شعره
الكثيف الأصفر أقدر شكلاً من المزلبة ؛ وضايقته
نظراتى فكف عن الضحك وأدار وجهه
ثم انصرف

كنت كل يوم أنقل خطاى الوانية على طول النهر
الصغير ، وأفكر الممض في هذا الموضوع لا يريح
خاطرى . ولكن ماذا ينفي التفكير ؟ ليس هناك
ما يحل الشك ويكشف الحقيقة . وكنت أقضى
الساعات بعد الساعات أوازن في موضوع أبوى
من الأسباب الموجبة والسالبة ، والوجوه
الموافقة والمخالفة . ثم أستغرق في فروض مشكلة
معضلة تمود بي على استمرار إلى موقفي الأول من
الارتياح الشنيع ، ثم إلى ما هو أشنع من ذلك
وهو الاعتقاد بأن هذا الرجل ابنى

لم أستطع النداء ، فأويت إلى غرفتى وأخذت
أراود المناس طويلاً ، حتى أخذنى نوم مضطرب
ترجمه الأحلام المفزعة والرؤى الخيفة . رأيت فيها
يرى النائم أن هذا الورش القذر كان يسخر منى
فيدعونى : (بابا) ، ثم تحول إلى كلب عقور وهجم
على ساقى بتابه فلم أنج منه إلا بجهد . فافتنى أرى ،
وكان يتكلم ويسب بدل أن ينبس ؛ ثم مثل بين يدي
زملائى أعضاء الأكاديمية وهم مجتمعون ليفصلوا في
أمر أبوى له ، وقد صاح أحدهم بهم : « هذا أمر
لا شبهة فيه . أنظروا كيف يشبهه ! » ، وفي الحق
أنى لاحظت في هذا الشيخ مشابهة منى . ثم
استيقظت وهذه الفكرة طالقة بذهى ، فقامت بنفسى

لم أستطع أن أبقى طويلا مخافة أن ترجى
الظنون وتطير من حولي الشبه ، فرحلت والقلب
مصدوع والفكر شاردا ، بمد أن تركت في يد صاحب
الفندق بمض المال ينفقه على خادمه البائس ليرفه
عن نفسه ، ويخفف عنه عذاب مرضه وبؤسه
ومنذ ست سنين أعيش مع هذه الفكرة
ممنب النفس ، مقدوح الضمير ، لا أستقر على
شك ، ولا أطمئن إلى يقين
وفي كل سنة تقودني إلى (بون لايه) قوة

قاهرة

وفي كل سنة أحكم على نفسي بهذا المذاب
الآليم فأرى هذا الشقي يرتطم في ردة الاصطبل ،
وأخجل أن فيه مشابهة مني ، وأحاول عبثا تغيير حاله
وإصلاح أمره

وفي كل سنة أرجع إلى هنا وأنا أشد مما كنت
ارتيايا وعذابا وحيرة !

حاولت أن أفقه فكان مظالم البصيرة
لا يفقه ولا يدرك !

ثم حاولت أن أنفّس عنه بمض كُرب العيش
فكان سخييف العقل ينفق كل ما يُعطاه في الخمر ،
حتى إذا صغرت راحته باغ في سبيلها توبه
ثم حاولت يبذل المال أن أرقق عليه قلب سيده
ليؤويه إلى ظله ، ويرضخ له من فضله ، حتى
داخل الفندق المعبج فقال يحببني بالرأى المقول
والمنطق الفهم : « كل ما تقدمه إليه يا سيدي
لا يعود عليه إلا بالأذى والخسر . يجب أن يمتثل
اعتقال الأسير ، لأنه متى ظفر ببعض الوقت أو

الطر الهاطل بفضل إحساني وكرمي !
وفي الصباح جاء الفندق رجوا مني ألا أعطيه
نقودا بمد ، فان الشراب يهيج فيه الشر ويذهب
به كل مذهب . ولو وجد في جيبه صليدين
لما أنفقهما إلا في الخمر . ثم قال الرجل : « إن
إعطائه النقود معناه القضاء عليه » ؛ ولم يحصل
في يديه شيء منها قط إلا بضعة سنتيات يرميها
إليه بعض المسافرين فلا يعرف لها وجهة ولا غاية
إلا الهانة !



قضيت في غرفتي ساعات وفي يدي كتاب
مفتوح أنظاهم بالقراءة فيه ، ولكنني كنت أديم
النظر في هذا الخشن القليظ ابني ! ابني ! وأبذل
الجهد في أن أكتشف في ملاحه وجوارحه
بعض المشابهة مني ، فكان من طول البحث وكثرة
التقصي أن وجدت فيه وفي خطوطا متشابهة
على الجهة وفي أصل الأنف ؛ فاقننت بأن هناك
مشابهة يخفيها اختلاف اللباس وذوائب الرجل

ولكن يدي لم تمن يده القدرة الكريمة قط

ثم سكت رجل الأدب وعضو الأكاديمية ،
وتكلم رجل السياسة وعضو الشيوخ قال :
« نعم ! يجب علينا حقاً أن نمنى أكثر مما علينا
بالأطفال الذين لا آباء لهم »

وهبت نفحة من الريح على شجرة الأبنوس
الوريفة الصفراء فحركت عناقيدها ، ثم غلغت
الكهلين الصديقين بنامة من ذرورها المطوى
الدقيق فاستنشقا ملء رئتيهما أنفاساً طويلة
ثم ختم عضو الشيوخ المحترم الحديث بقوله :
« ما أجل أن يكون الانسان في سن الخامسة
والمشرين وإن ولد أولاً كهذا ! ! »

الزيات

بعض المال انقلب شريراً لا يقيم لسبيله . وإذا
شدت عمل الخير فلن تدمد الوسيلة إليه . اذهب
إلى ملجأ اللقطاء فاختر من بينهم طفلاً يساوى
تمبك وبكاي إحصانك »

ماذا تقول في هذا ؟ إذا تركت هذا الرجل
يصل بظنونه إلى الشهية التي تلوع قلبي وتكدر
حياتي انقلب خبيثاً ولا شك يستغنى بالتهديد ،
وبمرضى للخطر ، ويلقى إلى الهلكة . سيصبح
بي : (بابا) في البقطة ، كما صاح في الآخر : (بابا)
في الحلم

ثم قت في نفسي : لقد قتلت الأم وأضعت
هذا الخلق المزيل الضارع ؛ تلك الدودة التي
نشأت في الاصطبل ودرجت في الوحل ؛ ذلك
الرجل الذي لو ربي تربية غيره ، لكان اليوم
رجلاً مثل غيره

إنك لا تستطيع يا صديقي أن تتصور الشعور
الغريب المبهم الملح الذي يستولى على وأما أمام هذا
الرجل أفكر في أنه نسل مني ، وأنه وإياي
مرتبطان بالوشائج الخاصة التي تربط الولد بأبيه ،
وأنا بفضل قانون الوراثة الغريب هو (أنا) بدمه
وبلحمه وبألف شيء آخر ، وأنه يشاركني في كل
خصيصة من خصائصي حتى في جرائم الأدوية
ومناسي الأهواء ومنازع الخلق

أنا أظلم دائماً إلى رؤيته ، ورؤيته تعزق أحشائي
وتزيد همي ؛ فأنا أرفع نظري من النافذة ساعات
وساعات وهو يعمل في أرواث البهائم فأردد في
نفسي هذا الهتاف : « هذا ولدي ! » ، ثم أشعر
في بعض الأحوال برغبة شديدة في أن أعاقه ،

رفائيل

لشاعر الحب والجمال لامرئتين

مترجمة بقلم

أحمد حسن الزيات

تطلب من لجنة التأليف والترجمة والنشر

ومن إدارة « الرسالة »

التمن ١٢ قرشاً

الرسالة

مجلة أسبوعية للأدب والعلوم والفنون

مجلة الآداب الرفيعة والثقافة العالية

تصل الماضي بالحاضر ، وتربط الشرق بالغرب

على هدى وبصيرة

الرسالة تعبر باخلاص عن روح النهضة المصرية
الرسالة تجمع على وحدة الثقافة أبناء البلاد العربية
الرسالة تصور مظاهر العبقرية للامة العربية
الرسالة تسجل ظواهر التجديد في الآداب العربية
الرسالة تحيي في النشء أساليب البلاغة العربية

بمجموعة أعدادها ديوان العرب المشترك ، وكتاب الشرق

الجديد ، وسجل الأدب الحديث ، ودائرة معارف عامة

الاشتراك الدافلي سنود فرشا ، والخارجى مايسوى منها مصرىا ،

وللبطود العربية مخضم ٢٠٪

قصة مصريّة

نفسية

مدرسنا إبراهيم عبدالقادر المازني

بالأعباء كلها اقتصاداً في
النفقة؛ فكانت هي تطبخ
الطعام، وتكنس الغرف،
وترتب الأثاث، وتخيطن لنا
الثياب، وتصنع كل شيء إلا
أن تخرج لتشتري الأشياء
التي نحتاج إليها لعلمانا؛

فقد كان رجل من أتباع أقرابنا الذين يقيمون في
أجنحة أخرى من هذا البيت الكبير يقوم لنا
بذلك. وكانت عمه أبي ممنا، ولكنها كانت
عجوزاً ناهزت المائة، وكانت تجلس وساقها
ممدودتان أمامها، ورأسها مستند إلى وسادة،
ولسانها لا يعل الدوران؛ وكان كلاهما هذان فكنت
أضحك منها أحياناً؛ ثم أمل ذلك فانزعتها لهدرها
الذي لا ينقطع

وكنت إذا شعرت بالشوق إلى مكالة أحد
أئحد إلى فناء البيت؛ وكانت فيه غرف كبيرة
يقم فيها أتباع الشيخ قريبنا ويحيون الليل بقراءة
الأوراد. وكانت هناك أيضاً ميسأة ومصل فكنيت
إذا رأيت الشيخ مقبلاً أقدس بين الصالحين وأزوج
أقف وأركع وأسجد كما أرام يفعلون. ولكن
هؤلاء كانوا يروني صبيحاً صغيراً فينظرون إلى
ويبتسمون. لأن أفواههم مشفولة بالتمتة -
ولكن لا يكلموني. غير أنه كان هناك في أكبر غرفة
في الفناء رجل ليس من الأتباع، ولا هو بعينه
أحرم أو يشاركون فيا يصنعون. ولا أدري إلى
هذه الساعة كيف سكن هذه الغرفة؛ فما كان يعطى
الشيخ شيئاً، وكان الشيخ يستنكف أن يؤجر
بيته أو بعضه. وكان هذا الرجل يصنع أزرار

نشأت في بيت لم أكن أجد فيه من يكلمني
لا لقلة في أهله، ولا ليكم بقدر ألسنتهم، بل لأن
مشاغلهم كانت تصرفهم عني. فهاهنا جدتي
- أبي - كانت لا تفارق السجادة - أو الفروة
على الأصح - وفي يدها السبحة التي لا أذكر أن
الخيطن الذي ينظم حياتها انقطع، وشفتها لا تكفان
عن الحركة والتمتة بما لا أعرف من الأدعية والصلوات
على النبي. وما أكثر - وأطول - ما كنت أقعد أمامها
مردفاً في هاتين الشفتين الدائبتين دؤوب الليل والنهار.

وكانت ربما التفتت إلى فتبتسم وتدني مني وتضع
لي رأسي ثم تدسط يديها بالدعاء إلى الله بصوت يبريه
الضوء وتبعه الحسرة ويهدجه الألم والأسف لما صرنا
إليه بعد وفاة أبي. ثم تربت على كنفه وعمل على وجهي
الصغير بفهما الأورد وتقباني فتخرج شفتها صوتاً
كهذا: «مق». وتلك ألى لا تزال مصروفة عنا بشئون
البيت من طبخ وغسل وكنس ونفض، ومن حمام
تسقيه وتطعمه ودجاجات لا تنفك تجس حوصلاتها،
أو تصبها لترى فيها أم ليس فيها بيض، أو تنقف
رئسها. وكثيراً ما كنت أقف أنظر إليها وهي
تتناول فراخ الحمام وترفرفها أي تمج في مناقيرها
الماء والحب. ولا آخر لعمل السيدة في البيت.
ولم يكن لنا في ذلك الوقت خادمة؛ وكانت أمي تنهض

الدرج وأركب الدرازين لأن الزحاق عليه أسرع . وكانت له بنت أخت تزوره من حين إلى حين . رأيها أول مرة في ليلة شتوية كثيرة العطر شديدة البرد ، وكنت ألب في الحارة ، فلما أخذ الماظر ينهمر فجأة ذهبت أعدو إلى البيت . ولحت وأنا أجرى ضوءاً في غرفة صديق فاشتبهت أن أخبره أن السماء تمطر وأن الريح تمصف . ودخلت الغرفة ثم وقفت على المتبة فראيت المصباح المألوف وإنما رأيت ناراً موقدة ؛ وكانت ألسنة اللهب عالية فرأيت أول ما رأيت ككفأ بدت لي كأنها - ولسان النار من ورائها - مرجح شفاف . وطالعتني بحفاضة صغيرة على هذا الضوء المضطرب فرأيت شعراً أسود يتوهج هنا وهما ، وضفتين في طرفيهما خيوط من الصوف نسج عليها الشعر استراحنا على جاني الصدر ، وأناق في عرينته تنوء قليل وفي مارونه لين وفي أردنته انثناء الى فوق ، وعيين ضيقتين طويلتين مائلتين بعض الميل ؛ وكانت الحدقتان نلما كأنهما تطلان من شقين وفي نظرتهما من وراء الأهداب الوطفاء معاني الرضى التام والسكون العميق والاختباط الذي لا سبيل إلى العبارة عنه . وكانت هذه المعاني على النعم أيضاً ، وكانت الشفتان رقيقتين وفي العليا منهما نثلة بيضاء وهنة دقيقة بايئة في وسطها ، وكانت عليهما ابتسامة أبانغ في العبارة عن السرور من الضحك المججل ، وكان خط الشفتين موازياً ليل العينين ؛ وقد خيل إلي وأنا أنظر إلى هذه الابتسامة للرسم على الشفتين المتلاصقتين كأنهما هي معلقة على ما تفضن على جانبي الفم ؛ وكانت صحيفة الوجه عريضة عند الوجنتين ولكنها تنتهي بذيق دقيق . وفي الديباجة حسن وفي الخدين

أنفاريش ؛ فكان يطيب لي أن أجلس إليه ألحظه وأحاده ، أو أستمع إلى حديثه وقصصه ؛ وكان يحادثني كأني رجل كبير لا طفل صغير ، وكان يرم خيوط الحرير المصبوغة ويقتلها ويعقد أطرافها ويجمع كل بضعة خيوط مما تم بثنيها ويربطها ، ثم يدقها على قلب من القوالب التي تتخذ اسكن الطرايش . وكانت له هذه الخيوط رائحة لا أزال أذكرها ، وإنى لأجدها الآن في أنفي وأنا أكتب ذلك . وقد علمني صناعته فكان يدع لي الخيوط فأقتلها وأرتبها وأعقد أطرافها وأفل مثل ما أراه بفصل باليد على القالب . ثم يعود إلى فينظر فيما صنعت ويصلح لي أخطائي أو يبني على حذقي . وكان يكل إلي ذلك كلما قام لأعداد طعامه أو خرج لشراؤه . وفي وسعي أن أقول بلا مبالغة أنني قلما تشيت إلا معه ؛ فكنت أصعد فأجيء بطماي وأضيئه إلى ما عنده ، فنأكل معاً . ولكني لم أكن أصنع هذا إلا إذا كان عندنا طعام يليق أن يقدم إلى غريب ؛ أما إذا كان قولاً أو عدساً أو ما هو من هذا القبيل فقد كنت أخرج فأشترى زيتونات وشيئا من الجبن « والحلاوة الطحينية » وأعود بها إليه فيؤثني على فعلتي وينهاني عن العودة إلى ذلك ، فأصارحه بأن طامنا الليلة قول أو عدس وأنني لأحبه ، فكان يحدث أن يقول لي إنه يجب هذا الطعام ويرجو مني أن أصعد وأجيئه بشيء منه فأستغرب ولكني أطيع . فلا عجب إذا كنت قد أحببته وألفته . ولم يكن أغرب من هذه الصداقة بين رجل جاوز الأربعين وطفل في التاسعة من عمره . وقد ألفتني كما ألفت وتلق في كاتلفت به ، فكان يناديني إذا أبطأت عليه فأستبطيء النزول على

كانت لمحبته هادئة وحالها بأدى الوفاة كما ينبغي أن تكون الحياة

وكننت أسأله أحياناً وأنا لا أجد كلاماً أقوله لها غير ذلك : « هل تلمين الحب ؟ » .. ولا أسئله الى جوابها بل أروح أفكر في حبها وأعجب له . وأسأل نفسي مستغرباً : « ما ذا وراء هذه الديب ياترى ؟ ! لماذا أراها - حميدة دائماً بلا سبب أعرفه ؟ » وأشتغى أن أسأله عن ذلك ، ولكنى آتس من نفسي حيناً فأسكت

ومضت الأيام وتماقت السنون وكبرت وعرفت الأدب والقراءة ، فصار كل ما أقرأه عن الحب في شعر الشعراء وفي وصف الروائيين يدور حول ذكرى القليلة منها ، وابتسامها الساكنة ووجهها الجليل وسعادتها الهادئة . وكان زملائي في المدارس يذكرون مغامراتهم ويحدثون بها ويباهون ، وكننت أنا أسمع وأسكت وأتمزى بأن هذا الذى يلهجون به ليس من الحب فى قليل أو كثير ، وأقول لنفسى إنى أعرف ما لا يعرفون - وأعرف ما أعرف بالتجربة . ومع ذلك لم يخل هذا الصدر من أياى مما يسمونه المفاخرات ولكنها لم تكن كثيرة أو باعثة على الرضى . بل كانت على النقيض سبباً فى السخط على نفسى واحتقارها فكأليت لأنصرفن عن هذا البث . وأقبلت على الدرس والتحصيل ، واشتغلت بالشؤون العامة فصرت أحضر جميعات الخطابة . بل ألفت مع إخوانى لى جمية للخطابة ؛ وعينت بقرأة الصحف فكنت على صفحتى أقرأ كل يوم ثلاث جرائد سياسية ، وكنت جميعاً من أنصار مصطفى كامل وعشاقه فى ذلك الزمان

رى وأسألة وبضاخة ، أما المنق فطويل مستدير ، وأما الذراعان - وكانا ممتدتين على الركبتين - فستدقان

وقفت أحدى فى هذا الوجه الذى أضاده لى النار المضطربة الخفاقة العمان ؛ وخيل لى وأنا أنظر أنى لم أرقط أجملى ولا أبرع من هذا الحسن . وراعى على الخصوص ما على الوجه من آيات السرور الباطن ، فألفيتنى أنسأله : ما ذا ترى يسرها وى قاعدة وحدها تدفأ . ومن أين جاءت يا ترى هذه السعادة التى توبض بها عينها وتضى بها هاتان الشفتان الصامتتان ... وأحسنت أن أنفاسى أسرع وأن الدموع تجول فى عيني ، فقد كانت الفتاة جميلة وكانت الروعة قد غمرت صدرى - بل ملأ قلبى الخوف كأنما أنا أشهد الحياة نفسها لا إنساناً قائماً مثلى . وارتفع لسان التارجما وخفق ضوؤها على عيها البتسم ، نغيل لى أن الدم يجرى كالجنون تحت جلدها الرقيق . وكانت هى ساكنة لا تتحرك ولا تزالها ابتسامتها الهادئة للرسمه على عينيها الضيقتين المائلتين وفهما الطبق الشفتين . نم . كانت الحياة نفسها تنظر لى من عينيها .. وبينها زأيتها بعد ذلك مرة أو مرتين فى نحو عام . وعلمت من صديق - خالها - أنها بريمة وأنها تقيم مع عمها وتزور خالها أحياناً - وأكثر ما تكون الزياره فى الصباح حيث أكون أنا فى المدرسه ، ولكنها لا تبق معه إلا ساعه أو بعض ساعه . وقد حاولت أن أكلها ولكنى كنت أستعنى أن أطيل الوقوف معها أو الجلوس إليها ، وكانت هى تتحدق فى وجهى ولا تطرف حين تكلمنى ولا أذكر ما ذا كانت تقول ، وإنما أذكر كيف

— جُمد الدم في عروق ، فقد تذكرت المسدس فجأة ، ولم أستطع من فرط الجزع أن أدعو الله أن ينقذنى ، وكان الاعداء عقوبة من يحمل سلاحا كهذا بلا ترخيص — أو هكذا أعلنوا — ولكن الله سلم فرد الرجل الدرج ، وكان زملاؤه قد عادوا غيا وانصرف وهو يتشم ، ولعله كان يعتقد أن تكليفه تفتيش هذا البيت سخافة مطبقة

وما كادوا يذهبون حتى أسرع الى المسدس فقذفت به في بستان مجاور لبيتنا وتشهدت . ولم أطلق البقاء في البيت بعد ذلك من فرط الاضطراب فخرجت أعشى على غير هدى ، وإذا بي في بعض الطريق — طريق حدائق القبة — ألقى بفتاتى القديمة ... عرفتها على الرغم من طول الزمن ... وعرفتني هي كذلك ولم تنكرنى ، فصحت بها كالأبله « قديمة . . . أنت . . . »

فابتسمت لى ابتسامتها القديمة الهادئة ولم ترد ، فقلت لها « من أين والى أين » قالت « الى البيت » فشيت معها اليه . وكانت شقة في عمارة عند « المهدى » فدعتنى الى الدخول فلم أتردد ، فانا صديقان قديمان . ولم أر في بيتها غير ما فلم استغرب فانها يتيمة ، ولكنى لم أعرف من أين جاءت بهذا الأثاث الحسن وإن كان قليلا وعلى قدر الحاجة . واتفقت معها على يوم نخرج فيه للتنزه في القناطر أو حديقة الحيوانات فهزت رأسها أن نم فتركها ولم أسألهما عن حالهما وكيف تعيش

والتقينا في الموعد المزمع . وكان النساء يتقنن في ذلك الوقت ولا يخرجن إلا في الندرة القليلة بوجوههن سافرة ، فركبنا عربة يجرها جوادان هزيلان ومضينا الى حديقة الحيوانات ،

ثم جاءت الحرب العظيم فشقنا بأنبأها ، وبالاختلاف على نتائجها المحتملة وبالخوف على أنفسنا من الجواسيس والاعتقالات التي كنا لانأمنها ، ولا نستطيع أن نعرف الطريق الى انقائها ، ولكن يوما من أيام تلك الحرب أذكره ولا أنساه . وكان لى صديق داره قريبة من دارى ولم يكن معه أحد في بيته ، وكان السهر محرما بعد الساعة التاسعة ، فكنت أفضى عنده السهرة في الأغلب ولا سيما في الصيف فأراني يوما مسدسا ورصاصات ، فجلنا نتدرب على اطلاقها ونرى بها باب الحمام ، ولم تكن نخشى أن يسمنا أحد لأن البيت كان بعيدا عن المار . ثم افترقنا . واتفق أن زارنى بعد ذلك ونسى عندي مسدسه ولا أدرى كيف كان يجترىء على محله معه . فوضعت المسدس في درج المكتب ونسيته فيه وتكدست فوقه الأوراق على الأيام . فحدث يوما أن جادى صديق وثيق الصلة بالسلطة العسكرية ، وأخبرنى أن يبقى سيفتى الليلة ، ففكرته ولم أعر الأمر أكثرنا لأنه ليس في يتيق ما أخشى على نفسى منه . فلما كان المساء جاء ضابط انجليزى ومعه من المصريين ضباط وجنود ، فدخلوا المكتب أول ما دخلوا ، ورأى الانجليزى الكتب الكثيرة على رفوفها ، فأقبل عليها بتأملها ، فالفها كلها كتب أدب ، فجل بقلبها وينظر إلى ، ثم سألنى عن عملى فقالت « مدرس » فاطمان واعتقد ما رأى أنى رجل مأمون الجانب وأرسل المصريين يفتشون بقية البيت ووقف هو ملى في غرفة المكتب ، ثم دنا من المكتب وجعل يقلب ما عليه من الأوراق المنتشرة بغير احتفال ، ثم فتح درجا وألقى عليه نظرة ثم رده وشد الدرج الثانى — ولم تكن للأدراج مفاتيح

الأيام ما أفنعتني أنها ليست الفتاة التي أحببتها في صفري وإنها لا أكثر ولا أقل من امرأة كثيرها من النساء . ولا أدري الآن وأنا أكتب هذه السطور أى شيء كنت أحسبها قبل أن أثبت أنها ليست سوى امرأة ، ولكن الذي أدريه أنى ظلت أحبها على الرغم من ذلك وأنى جعلت أحاول أن أفنع نفسي بأنها كما كنت أنصورها — على الأقل في حقيقتها الكامنة ، ولكن حتى أقدم لها تغيير فلم يعد فيه تعلق بخيال بل صار حياً لمرأة معينة . وليس في هذا ما يدعو إلى العجب فإن الرجل يحب المرأة لأنها امرأة ، ولأن فيها من بواطن الأغراء ما يكفي لأثارة الرغبة فيها والتماق بها ، ولكن هذا شيء لم أكن قد تعلمته في تلك الأيام فرزقني الله في شخص « تقيسة » معلماً لا يفتقر ولا يتردد ولا يترقب بالمثل العليا وصور السكال وغير ذلك من الأفلاطونيات المخيفة . وكان أول ما تعلمته — أو من أول ذلك — أن من الممكن أن يحب الرجل حباً عميقاً طاعياً امرأة لا يحترمها ولا يرى لها خربة ولا ينطوى لها على إكبار أو مودة أو صداقة ، ولا يستطيع أن يتفاهم معها ويشاركها في نفسه وخواطره وآرائه وخوافه وعواطفه .. امرأة لا يرى فيها إلا أنثى منحطة .. بل امرأة يشعر بالشقاء وهو إلى جانبها وباللبل والضرع من قربها وحديثها .. نعم تعلمت ذلك .. وكان هذا لما تعلمته شيئاً فشيئاً يبدو لي مدهشاً ويخيل إلى أن الحال فيه مغلوب والآلة مكسوة ، ولكني الآن أعفك من نفسي وأسألها : ولم لا يمشق الرجل بالله امرأة كهذه ؟ .. وأين تراه كنت أعيش يومئذ فلم أر أن كثيراً من الرجال يمشقون نساء ليست لهن أية خربة ..

وجلسنا على دكة منعزلة ، وقضينا أكثر الوقت صامتين ، ثم فتحت في حديثها عن الزمن الماضي وحيي الصبيان لها وكيف طال عمر الحب وامتد إلى الحاضر فلم ترد على أن تبسمت — كمادتها — وقالت « لا أدري لماذا أرى الناس ينجون في » فأحسست أن لوحاً كبيراً من الثلج يوضع على قلبي . . . الناس ينجون بها . . . الناس . . . إذن هناك ينجون . . . أو يجانين بها غيري . . . ودار رأسي وذهبت أسائل نفسي عنها كيف تعيش . . . ولم يخاطر هذا من قبل ولكنه خطر الآن . . . نعم كيف تعيش هذه التي يجن بها الناس . . . وأين وكيف ترى هؤلاء الجانين كلهم . . . لابد أنهم كثير . . . فمن أين يجيئون : إلى أنا صديق صباها فلا يحب إذا كتبت أعرافها ... ولكن غيري ... غيري . . .

وقطع على هذه الخواطر الزمجة سوداني في ثياب الرديحوت . وكان كهلاً ولكنه بمعنى متدل القامة كالرمح فذا منها وحياتها باسمها وسألها عن حالها وعينه تومض ، فدرت عليه برزاة وسكون ومن غير أن تفارقها ابتسامتها المطبوعة ؛ ولم يطل الوقوف فضى عنا وقد عرفت منها أنه ضابط في الجيش وأنه الآن فيما يسمى الاستبداد وإن بيته في الباسية — قرب « الحمدي » فلم أقل شيئاً ولكني قلت — أو على الأصح زدت قلقاً وصرت أناجي نفسي بأن لسبل هذه طريقة حياتها ...

وتعددت المقابلات بيننا والخروج إلى الحدائق العامة وكنت أعود بها إلى بيتها في الليل فتدعوني إلى مقام قليل فأبلي ونذهب نتحدث كأننا رجلان لا رجل وامرأة ؛ فرأيت منها شيئاً فشيئاً وهي

وأنها لا تصلح لى ولا أصلح لها لأنها لا تفهمنى ولا أنا أيضاً مع الأسف أستطيع أن أفهم هذه الطيبة الساذجة التى يكون فيها الجمال ستاراً لكل ما هو منحط ...

وكانت تدعونى كل ليلة الى دخول بينها حين تمود إليه ، وكنت ألبى فى بعض الأحيان فأقعد معها كالصنم من شدة الكبح فلا تلبث أن تتنأب فأقوم وأنصرف فلا تمنى بأن ترافقنى الى الباب فيسودنى ذلك ولكنى أراجع نفسى وأقول أنه ليس بيننا كلمة فأتنا صديقان قديمان . فقالت لى ليلة وقد دنونا من البيت : « لا تنضب إذا لم أدعك الى الدخول » فسألها بوثاقة : « هل هناك غيرة ؟ » فلم يسوؤها ذلك ولم يظهر عليها الامتناع منه ، وقالت بابتسامها المأدبة : « يحيل الى أنك لا تحب الوجود ملى فى البيت ... شاعر ... تحب الرياض والبساتين والىاء والطير والنجوم ... أليس

كذلك ؟ » فضحكت وإن كنت لم يفتنى ما فى كلامها من التهمك والزراية وحدثت نفسى أن هذه دعوة صريحة لا يلبق أن أغضى عنها مخافة أن يودى الاعضاء الى الطيبة والجفوة .. وكانت هذه مخالطة ملى لنفسى فقد كنت أنا أريد ذلك ولكنى كنت أصرف عنه نفسى وأفطمها بمجهد فقلت لها : « بل سادخل البلية — إذا سمحت بالطبع — وسترين أنى أحب بيتك كما أحبك .. وإنى آنس بك فيه أنسى بك فى الرياض وفى الزورق الساج على وجه الماء ... »

قالت : « صحيح ... »

وأحسست من نبرة صوتها أنها ارتاحت الى كلامى وأنها استغربت به فى الوقت نفسه .

نساء هن فى الحقيقة كوم غظيم من صنوف الانحطاط ... ونساء يحبين رجلاً ساقطين منحطين لا يساوى الواحد منهم ملة أذنه نخالة ... ولكنى كنت فى ذلك الوقت أعتقد أن الحب شىء سام جداً وأنه سماوى لا ينبغى أن يخاطله إلا الإعجاب والمباةة

وكانت كل لحظة أقضيها مع تريدة تزدنى إيقاناً بأنها عاجزة عن السمو بنفسها الى المرتبة التى وضعتها فيها فى حدائى ، وكان زيجتى وينص عيشى ويسود الدنيا فى عيني هذا التباين بين الواقع والصورة القديمة التى احتفظت لها بها فى نفسى ... وتغير حبي لها كما قلت واشتهيتها وصبوت إليها ولكن هذا التحول لم يطفى من التنقيص والمذاب . وقد كنت أخجل مما صرت أحسها لها وأعنف نفسى على ذلك وأزجرها عنه . وكانت هى ترى ضيغى لنفسى ورياضتها لها على العفة وتلقى بخيالانى وسخافاتى وأوهامى فتمتمض وتظهر لى التأفف والتبرم ولا تكتمنى الضجر الذى يشيره حديثى ولما العذر فقد كنت أرتفع بالكلام عن طبعها وأتركها على الأرض واذهب أحلق فى أجواء لا تستطيع أن تذهب ورأى فيها . وكنت أنشد ما أقوله فيها من الشعر فيفسرها أنها وجدت شاعراً يحبها كل هذا الحب ويتغنى باسمها وأن يقرأ الناس ما يقوله فيها وما يصف به وجدها لها ، ولماها كانت ترى فى هذا إعلاناً ... ولكنى لم تكن تفهم ما أنظم أو تقدره ؟ وكثيراً ما كانت تمط شفيتها بأسخرة . ويا زجما قالت لى : « ألا تستطيع أن تقول كلاماً حسناً ؟ » فأهرأسى وأقول لنفسى إنى وقت وقفة سوداء وأنى يجب أن أضدغنها

من زمن طويل قبل هذا أنها غير تلك التي كنت أحلم بها وأنها ليست إلا امرأة عادية جداً لا أكثر ولا أقل ... وهبني اطلعت على ما كانت تخفى عني . فهل يزيدني هذا علماً بها ومعرفة لحقيقتها ؟ كلا .. ولم يكن هذا النطق يقنعني أو يريحني ولكنه كان النطق الذي اضطرت إليه وسكنت على رغبتي . على أن الأمر لم يطل فقد جاء يوم اعتذرت لي فيه بأنها مسافرة فاستغربت ، فما أعرف لها من تسافر إليه ، ولكني سكت ولم أقل شيئاً . ورأيتها بعد أيام فسألتها عن رحلتها ورجوت أن تكون كما أشتعي لها ، فقالت بضجر متكلف لم يخف على : « أوه أبداً .. كانت رحلة مملة ... إنك تعرف هؤلاء الفلاحين وكيف يعيشون . ليس في حياتهم أي تسلية »

ومضت أيام فعدت تستمر من التخلف عن لقائي لأنها مدعوة في بيت صاحبة لها ، فلم أجادل وتركها . وتكرر بعد ذلك الاعتذار وتوالى انقطاعها عني ، وكنت أحياناً أقسم أن أهملها وأبقى أياً ما لا أسأل عنها . لأعرف أعادت أم هي لا تزال مع هؤلاء الذين ظهروا فجأة في حياتها ولم أسمع بهم مرة واحدة قبل ذلك كل هذه الشهور . وأحياناً كنت أضعف فأذهب إلى بيتها فتفتح لي وتلقاني كأنها كانت معي قبل ساعة ولا تسألني لماذا غبت ولا لماذا كنت أضعف وكيف كنت أقضي الوقت . لا .. لا شيء من هذا على الإطلاق فأشعر بالنقص ولكني أكنتم الألم ..

وقلت لها مرة وقد همت بالاعتذار من الاضطراب إلى إرجاء لقائي : « لماذا تكذبين على ؟ » فلم أر أن حدثي أو أنفاظي الوقعة اغضبنيها ،

ودخلنا وأغلقت الباب وراءها كما دأبت فلم أطمع لها بل طوقتها بذراعي في الدليلز وقبالتها .. على خدها فأدارت وجهها ومنحتني فهما ..

وكنت أسخط على نفسي بعد كل ليلة وأرميها - نفسي - بالانحطاط ، ولكني ألفت ذلك فصار الأمر عادة كاللذين وغيره مما يمتاده المرء ويتأفف منه ويود لو كب عنه مع ذلك ولا يكلف نفسه جهد المقاومة وعناءها . وبقينا هكذا زمناً غير قصير وعرفت أن لها أصدقاء غير قليلين فقد كنا نلقاهم في الطريق فيومثون إليها بالسلام فتبتسم لهم ولكنهم كانوا لا يدون منها ولا يكلمونها كما فعل الضابط السوداني في حديقة الحيوان . ولم أكن أعيا بذلك فقد كنت أرى أنني منفرد بها وإن كنت لا أعلم ماذا تصنع في غيابي ، فما كان يسعني أن أظل معها كل ساعة . وكنت أروض نفسي على الاطمئنان والثقة لحاجتي إليهما لا لأني واحد ما يدعو إلى الثقة والاطمئنان . والمرء في تجربته للحياة يضطر إلى خداع نفسه ومطالبها في الحقائق - أو ما يعتقد أنه الحقيقة ليستريح قليلاً . ويتصور كيف تكون حياة من لا يزال قائماً عينه مرتبصاً مترصداً ليعيط بالمحبوب والمغازي ، ومن لا ينفك يستمع إلى ما يهيم به في أذنه سوء الظن الطبيعي .. وكثيراً ما يكون المرء على حق في سوء ظنه . ولكن المرء يعرف بالتجربة أن وساوس الظنون تنفي كل راحة وتحمل الحياة جحيماً . ويضنيه التنب فيطلب الراحة ويعرف من تجربته للناس أن الناس سواسية فينتهي بأن يقول لنفسه إنه ليس موكلاً بإصلاح الكون وأن الأولى به أن يريح نفسه ويغفها من العناء الباطل . وماذا كان ينبغي من أمرها في غيابي وأنا قد أيقنت

ثم ارجع فأقول : إن المسألة ليست مسألة تعليم أو ثقافة وإن كان التعليم يهذب ، وأن هناك أميات كثيرات من جميعا أرفع منها وأسمى وأشرف وأعظم فطنة واحد ذكاء ، وأن العبرة بالطباع والدول على الفطرة ..

واقضى النهار في هذه المواجهات أو المواجهات وأقبل الليل ومعه البرد فاحتجبت أن أقوم وأن أعشى لأشعر بالدفء فرحت أعشى في الحارة ويني على يديها وأنا في حماية الظلام فسمعت بعد قليل صوت باب يفتح وينلق فدنوت على أطراف أصابعي فإذا هو بابها وإذا الخارج منه هو الضابط السوداني وكاد يختفي في الظلام ، ولكن الباب فتح مرة أخرى وخرج منه صوت كهذا « هسسسس » فوقف الرجل وتلفت ثم كر راجعا ووقف أمام الباب ، وكنت على مسافة مترين منه فأدركت ظهوري إليه ولويت عنق لا أكون أقدر على السماع فسمعتها تقول له :

« الساعة الثالثة تماما . فاني أخشى أن يجيء ذلك الثقيل للسؤال عني .. »

فشيئت ولم أقف لأسمع رده

إبراهيم عبد القادر المازني

آلام فرتز

للشاعر الفيلسوف جوتة الألماني

الطبعة الرابعة

ترجمها أحمد محمد الزيات

وهي قصة عالية تدبج من آثار الفن الخالد

ومنها ١٥ قرشاً

وكأني كنت أحبها وأثنى عليها فقالت : « إنك ظريف ... أهذا ما يجيب به حين اتهمها بالكذب وأرى باللفظ الجارح في وجهها .. »

وكنّا قد دخلنا في الشتاء وكنت أعرف أنها لا تحب أن تسكون في غير بيتها بعد المشاء على الأكثر ، فذهبت إلى قهوة قريبة من مدخل الحارة وقعدت عليها من الظهر لأرى ما يكون . وانحدرت الشمس وأنا لا أرى شيئا ؛ نعم رأيت ناسا كثيرين راكبين أو ماشين وباعة متجولين ومركبات الخيل ولكني لم أرها تدخل أو تخرج . وكانت نفسي لا تفتأ تنازعني أن أنهض منصرفا وكنت أحدها بأن من السخافة والحماقة أن أتعب نفسي بهذه الجلسة الضنية لأعرف ما أعرف . وهل في الأمر

سر ... أليست قد ملتني ونبت بي وجفتني واعتادت مني سوى كائنا من كان هذا السوي .. وما حاجتي إلى علم ما أعلم ... ولماذا أحقر نفسي وأمرغ وجهي في التراب وأضعه عند قدمي امرأة سوء كهذه .. وأم بالنهوض ولكني أحس كأني قد سمحت إلى الكرسي أو لصقت به ، ويتجسد وهي حتى لا تلتفت كأنما أريد أن أرى للسامير أو الفراء أو غير ذلك مما ربطني بالكرسي وأثمنه فأنما لا أقدر أن أنهض عنه ، ويضحكني أمرى أحيانا ثم تغلبني الكتابة والحزن — على نفسي وعليها — ثم أراني غضبت وثرث وهاجت تنهق على هذه المستهتره التي لا تبال ولا تدرك ثم أراجع نفسي فأسألها : « ماذا تريدن منها أن تبال ؟ أمن العدل أن أظالمها — أو أتوقع منها — أن تحفل ملائندرك ... » واستخف من نفسي أن أروح أنتظر من هذه الدامية — على الرغم من أنها تملت شيئا — أن ترتفع بنفسها إلى حيث ارتفعت أنا ،

فأرادوا أن يسمروا
بالحكايات كما تروى في
الكتب ، ولكنهم لم
يفتح على واحد منهم
بابتداع حكاية مسلية .



عنه القصص
بقلم الأستاذ عبد الرحمن سدي

كان ذلك في أدان العنيد في قصر
باشيل ، والحريف مطير حزين ، والأوراق

ومضى الصيادون يقصون ما وقع لهم أثناء صيدهم
بالبنادق وتقنياتهم للأرانب ، وجلت الفانيات
يكدنن أذهانهن ويتقصين في ثناياها فلا يجدن

المنتثرة ذابطة محمرة لا يسمع لها تقصف تحت الأقدام ،
بل تملطن في السكك بدراج المجلات تحت شكايب
الديم الهطالة

خيالاً نكيال شهزاد يسمفون بحكاية من أمثال
حكايات ألف ليلة . وكادوا يكفون عن الأحاديث .

وكانت الغاية وهي جرداء إلا قليلاً تشبه
الحمام من الرطوبة . فإذا أوغلت فيها تحت أفنان

وكانت إحدى الفانيات تبث
خالية البال بيد عمتها المجوز ،
وهي غانس لم تزوج ، فلهظت
خائفاً صديراً من شعرات بشقراء
كثيراً ما وقع ناظرها عليه من
غير أن تفكر لحظة فيه



فسألته وهي تدور في
أصبعها بلطف : « ألا قلت لنا
يا عمي ما هذا الخاتم ؟ لكانه
شعر غلام يافع . . . » . فاجار

الدوح المال يصفقه وابل الطر
شملك راحة غمة وهبوه ماء من
المشب الخفض والأرض البتلة
والصيادون حناء الظهور
يدبون تحت هذا الفيض الممتون ،
والكلاب محزونة ذبلها مرسل ،
وشعرها ملتصق بأطرافها ،
والفانيات الصائدات في أبواب
الصوف المنفصلة لاسقة مشربة
بالبلال ، وهم كل مساء يؤوبون من
الصيد أنفاساً جسم وعقل أجمعين

وجه المانس ثم اصفار ، وأجابت بصوت
متهدج : « إن الأمر محزن جداً ، محزن جداً ،
حتى لست أحب الكلام عنه . وكل ما في
حياتي من الشقاء فهذا مصدره . لقد كنت
في غرارة الشباب وقتئذ ، وما زالت تلوعني
الذكرى حتى لينبغي البكاء كلما خطرت في نفسي

وفي الهو الكبير بعد المشاء يجتمعون إلى
لمبة الورق متقارعين ، من غير انبساط ولا لذة .
وللريح في الجارج هبات مدوية تدفع في مصاريع
الشبابيك المغلقة ، وتبتدر دوائر الهواء فوق
الأبراج فاذا هي من دوران كالخدروف الدوم

القيمتان في القصر تجدان الأمر طبيعياً لطول ما قرأ الحب في تقاليد الأسرة . فالأوضاع ما دام محرومة المشق فليس فيه ما تنكره وتتهجن منته . وإذا دار الحديث أمامها عن هوى قامت الوانع دون قضاء لبائنه ، أو عاشقين فسد ما بينهما أو وقائع الانتقام من الخيانة أو تقصص المهمل ، قالتا معاً في لهجة شجية : « له الله ! أو لها الله ! » لشد ما قد تألم ولا ريب حتى بلغ الأمر هذا البالغ « ثم لم تزيد على ذلك . وإنهما لتزنان لمساوى الحب ، ولا تنقمان قط على أحبابها ولو أجزوا

إلا أنه في ذات خريف كان بين الدعويين الصيد شاب في عنفوان الشباب ، هو المسمى دى جراديل فاختطف الفتاة . وظل المسمى سائيز هادئاً كأن لم يحدث شيء . وإذا هم يصبحون ذات يوم فيجدونه مشوقاً بمزقد الكلاب وهي حوله وقد مات ابنه مثل هذه المبتة في فندق بياريس في أثناء رحلته سنة ١٨٤١ ، على أثر خيانة إحدى مفتيات الأوبرا له . وترك بعده ولداً في الثانية عشرة وأرملة هي أخت أمي . وجاءت السيدة ومعها الصغير للقيام عندنا بأرضنا في بريتون . وكنت وقتئذ قد بلغت سبعة عشر ربيعاً —

ولا يسعكم أن تصوروا كيف كان هذا الصغير سائيز مذهشاً بآكر النضوج قبل الأوان . وإنه ليخيل إلى المرء أن جميع ملكات أسلانه من رقة عاطفة وسبحات نفس جاشئة قد اجتمعت فيه وتزلت به ، بهذا العقب الأخير . وكان على الدوام حالاً يمشي وحيداً ساعات كاملة في ممشى رحيب بين أشجار الدردار ممتد من القصر إلى القاعة . وكنت أقرب من نافذتي هذا الصبي الزرق الوجدان وهو يسير وقور الخطى ويده خلف ظهره مطرقاً إلى الأرض ، وأحياناً يتوقف ويرفع طرفه كأنه يرى ويدرك ويحس أشياء ليست لمن كان في سنه

فتلهفوا إلى سماع الخبر ، وأبت السمة ذلك عليهم ، فما زالوا بها حتى رضيت في آخر الأمر : « كثيراً ما سمعتموني أحدث عن أسرة سائيز ، وقد انقضت اليوم جميعاً ، ولقد عرفت الثلاثة الرجال الآخر من هذا البيت ، والثلاثة ماتوا ميتة واحدة وهذه شمرات الأخير ، وكان في الثالثة عشرة من عمره حين انتحر من أجلى . لقد يبدو لكم الخبر غريباً ، أليس كذلك ؟

آه . لقد كانوا مشرراً جميعاً من الجانبين ، إن شئتم هذه التسمية ، ولكن بجانبين طرفاء ، بجانبين غرام . فهم جميعاً — أباً من جد — أصحاب عواطف عارمة جامحة ، تدفهم من كيانهم كله دوافع قوية إلى أبعد السباحات وإلى التفاني وفرط التحمس ، بل تذهب بهم إلى حد ارتكاب الجرائم ؛ وهذا منهم بمقام فرط التدين في بعض النفوس . وشستان في الطبيعة والمزاج بين أهل البادية وبين رواد المجالس أزيار النساء . وكان يتردد في أوساطهم وبين ذوى رحمهم قولهم : « عاشق عشق بنى سائيز » ، وحسبك أن تراهم فتجد هذا على سيام . فكلمهم شعره ذو خصل منسدلة على الجبين ولحيته جمدة وعينه واسمتان ينفذ شماعهما في نفسك فيباليك ويشغل خاطرك دون أن تعرف لتلك سيباً وكان جند السلام — الذي رأيتم في أصبى تذكاره الوحيد — له مقامرات عدة ومبارزات وصبي ولستباحة للحریم . وقد هام بعدها وهو في نحو الخامسة والستين بأبنة مؤاجر ضياعه . وإلى لأذكرهما . وكانت شقرها شاحبة اللون ، حسنة السميت والشاردة ، تسلم منتدة وفي صوتها لين وترطيب ، ونظرتها جلوه غاية في الحلاوة كأنها نظرة المذراء في صور الرسامين . فأخذها السيد الكهل عنده ، وسرعان ما أصبح متبهاً بها لا يطيق البعد عنها لحظة . وكانت ابنته وامرأة ابنة

وفظيها ؛ وكان في بعض الأحيان يدق يده مررداً :
« وأنا أيضاً ، وإن لأعمل بالحب منهم جميعاً » . ثم
جمل يتحجب إلى متفرقاً في استحياء وحزن عميق
كانا مثارا للضحك لشدة غربة الأمر . وكان في كل
صباح يقطف لي جني الزهر ، وفي كل مساء قبل صعودي
إلى مقصورتى يلثم يدي هامساً : « أنا أهواك ! »
لقد أذنبت ، وركبني أعظم الذنب . ومازلت
على هذا نادمة باكية لا يرثاني دمع . وإن في
التذكير عن هذا طيلة حياتي ، وقد بقيت بدمه
عانساً لا أزوج ، بل بقيت كالخطيبة الترملة ، أجل
أنا له ، الأرملة . كنت أهو بهذا الحب الصبياني بل
كنت أعمل على إذكائه . فكنت المرأة الخلوب
ذات الليل ، وكأني إلى جنب رجل الأعبه وأخته .
لقد فقت هذا الغلام ودلته بهمي . وكان الأمر
عندي لمباً وممايته ، وعند أي وأمه تسلياً وترويحاً ..
لقد كانت سنة اثنتي عشرة سنة ، فتأملوا ! من كان
ياخذ مأخذ الجد هذا الغرام الذروي ! فكنت أقبله
ما شاء ، بل كنت أكتب رسائل العشق له وأقرئها
أي وأمه قبله ؛ وكان يجيب عليها بكتب مسطورة ،
كتب من نار ، وقد احتفظت بها . وكان معتقداً
أن صلتنا الغرامية سرّاً مكتوماً ، وكيف لا وهو
يعتد نفسه رجلاً والأمر في عرفه الجد كل الجد .

وقد غالب عنا أنه من بني سانتيز

ودامت الحال على هذا النوال عاماً أو قرابة
عام . وفي ذات مساء ونحن في الروضة خرب جائباً
عند قدسي ولثم حاشية ثوبي في اندفاع المتهاج مررداً :
« أنا أهواك ، أهواك ، أناميت في هواك . وإذا خنتني
في يوم من الأيام ، أسامة أنت — إذا هجرني إلى
سواي فاني صانع مثلاً صنع أي... » وأردف في صوت
عميق يقشعر له البدن : « أنت عليم بما صنع ! »
ولما وجهت ولم أهرجواي نهض وشب على
أطراف قدميه ليبلغ إلى أذني — وكنت أفرع منه



وكثيراً ما كان يدعوني للخروج بعد العشاء في
الليالي القمرية قائلاً : « هلي يا ابنة الخالة محم . . »
فتمضي سواي إلى الروض . وكان يتوقف فجأة في
الفضوات بين تفاريج الشجر حيث تطفو تلك
الحبوة البيضاء مثل نذيف القطن يطن بها القمر
نجوات الغاب . ويقول لي وهو يشد على يدي :
« انظري الى هذا ، انظري الى هذا ! ولكنك
لا تفهميني ؟ إني لأحس ذلك . لو إنك تفهميني
لكننا سمداء . لا بد من الحب لمن شاء العرفة » .
وكنت أنضح وأقبله ، أقبّل هذا الصبي الذي يحبني
مستهلكاً في حبي . وكان أيضاً بعد العشاء كثيراً
ما يجلس على ركبتي أي قائلاً لها : « إيه يا خالة ،
قصي علينا شيئاً من قصص الحب » فتضح لي أي على
سبيل الدعاية أساطير أهل بيته كافة وجميع ما وقع لأبائه
من الوقائع الغرامية ، والناس يرددون منها الألوف
بعد الألوف من صحيفة ومفتراة . إن هؤلاء القوم
قد أضاعهم شهرتهم ، فقد كانوا يستجيشون لها ثم
تملكهم المزلة أن يكذبوا سمعة بيتهم وما اشتهر به
وكاف الصفيير بهت لهذه الحكايات لطيفها



نخيل إلى أنى رأيت ما رأيت كله في هذيان حلم
فقطع . ففعممت : « وهو ، هو ، جوتتران ؟ » .
فلم يجبني أحد . إنها الحقيقة
ولم أجرؤ على طلب رؤيته . وطلبت إليهم خصلة
طويلة من شعره الأشقر . وهذى ... وهذى ... هي ...
ومدت المائس يدها الراجفة بمحركة القائط
المقطوع الرجا . وأخرجت مندليها ومخملت صرات
ومسحت عينيها اللامعتين واستأنفت تقول :
« وقصت الخطوبة دون إبداء السبب ... وبقيت ...
بقيت طوال العمر ... أرملة ... أرملة هذا الصبي
ابن الثلاثة عشر ربيعاً » . ثم مال رأسها على صدرها
وبكت طويلاً بدموع الذكرى
ولما انصرف الدعوون إلى حجراتهم للرقاد ،
مال صياد غليظ الجسم قد أفسدت عليه الحكاية صفوه
إلى أذن جاره هامساً : ألا ترى رقة الوجدان إلى
هذا الحد بلاء وشر بلاء ! عبد الرحمن صرقي

طولا -- ودعاني باسمي ، اسمي الأول ، « جنثيف ! »
بنفمة حلوة جميلة رقيقة ثلثتي منها قشمية سرت
من فرعى إلى أخص قدى

فعممت : « لرجع ، لرجع إلى الدار » . فلم ينس
بكامة وسار في إثرى ، فلما همنا بصمود درج السلم
استوقفنى : « أتمرلين ، إذا هجرتنى فأنى قاتل نفسى »
فعلت هذه المرة أننى تحدت حيث لا يجب
الهمادى وتكلفت معه التحفظ . ولما أن كتب ذات
يوم يعتب على أحبته : « أنت اليوم أكبر من عبث
الزاح وأصغر من جد الحب . وإنى فى الانتظار » .
وحسبتى بهذا قد أبرأت ذمى

وفى الخريف عهدوا به إلى مدرسة داخلية .
فلما عاد فى الصيف التالى كنت عطوبة . فأدرك الأمر
فى الحال ، والتزم بدى ثمانية أيام هيئة للمفكر التارق فى
التفكير . فأهمنى ذلك وساورنى منه قلق شديد
وفى صبيحة اليوم التاسع استيقظت من نوى

فوقمت عيناى على رقعة صغيرة مدموسة من تحت
الباب . فتناولتها وفتحتها وقرأت فيها : « لقد
هجرتنى ، وأنت تعلمين ما قلته لك . لقد قضيت
فى بالوت . وإنى لأحب ألا يثمر بى أحد غيرك ،
فتعالى إلى الروض فى نفس للوضع الذى قلت لك
فيه أنى أهواك وتطلنى فى الفضاء »

فكدت أن أجن . وأسريت بإبداء ثيابى
وهزلت على مجل أجرى وأجرى وأكاد أنساقت
إعياى إلى المكان المين . وإذا بقمته الصغيرة المدرسية
ملقاة على الأرض فى الوحل ، فقد كانت الليلة
مطيرة . ورفعت طرفى فأبصرت شيئاً معلقاً يترجع
بين الورق ، وكان يوم ريح ، ريح شديدة

ولا أدرى بمد ذلك ما صنعت . لقد صرخت
أول الأمر ولا زب ، ولملنى سقطت بعدها مشياً
على ، ثم عدوت هائجة على وجعنى إلى القصر .
وثبت إلى الرشدى فى فراشى وأنى إلى جانبى

الابليس في الحب

للكاتب الفرنسي بلزاك بقلم الاستاذ محمود مخيف

وكان أنجلو فقير الحال ؛ ولقد ذاق هذا النحات القذآلام الغافة ، وخبر شقاء العيش ، وأدرك مبلغ ما يرضه الفقر في طريق الحياة من صعاب وعوائق ؛ عاش عيشة ضنكا ، يقنع باليسير من الطعام ، ويحتج من إعوازه وإملاقه ، ولا يستغل مواهبه إلا في أشد حالات اليأس ؛ ولم كان بود أن تتاح له الحياة الهادئة الساكنة التي يهداها أحسن حياة لهؤلاء الذين تتلى رؤوسهم .

... أتى ذلك الابطالى الحبي ذات يوم إلى الحاشية في أحسن حله ؛ ولقد عقد حياء الشباب لسانه كما حال سوء طالعته دون أن يسأل الملك أجر عمله . ولما رأى الملك من هندامه ما رأى ظنه رافها ناهما لا يميزه شئ . ولقد اعتاد رجال الحاشية كما اعتادت الأوانس أن يظهروا إعجابهم بحجر بناءه ، كما كانوا يحبون بشخصه . ولكنه مع ذلك كان لا يصل إلى يده شئ من المال .

وكان الجميع ، وعلى الأخص النساء ، بروه غنيا بما وهبه الطبيعة من مبات الجمال . من أجل ذلك حسبوه بشبابه وشعره الطويل الفاحم وعينيه اللامعتين من ذوى الثراء ؛ ولم يحظر لهم الكسب في بال ، بينما هم يفكرون في تلك الأشياء وفيها وراءها . ولقد كانوا في زعمهم محقين ، إذ طالا أمانحت مثل هاتيك الصفات للكثيرين من سفلة الحاشية أن

عندما اعترم الملك هنرى الثامن ترزين قلعة « امبواز » ، جاب إلى تلك القلعة عدداً من مهرة الصناع ، فن مشاهير النحاتين إلى أساطين النقش والزخرفة إلى غير هؤلاء وهؤلاء من أعظم البنايين ورجال المارة ؛ ولقد زين هؤلاء ردهات القلعة بآيات فنونهم . بيد أن الاحمال قد شوه ما أبدعت أيديهم من زمان بعيد .

وكان ذلك العمل يومئذ حديث الحاشية وشغلها إذ كان الملك كما هو معروف ، بهم بأن يرى بنفسه مبلغ ما يجود به قراخ هؤلاء الرجال .

وكان بين هؤلاء الفنانين شاب إيطالى يدعى أنجلو كابارا ؛ وهو رجل مشهور المقام ، وثيق الكفاءة ، حتى لقد كان على الرغم من حداثة سنه يبدأ أقرانه جميعاً في النحت والحفر . ولقد دهش الناس يومئذ أن رأوا رجلاً مثله في ربيع حياته الباكر ، يصل إلى مثل ما وصل إليه من نبوغ . حقا كان ذلك عجيبا ، إذ لم يكن يبدو على عجا ذلك اليباع إلا اليسير من تلك الشمرات التي تشير في الرجال إلى اكتمال رجولتهم واستوائهم .

ملك هذا الفتى الايطالى قلوب الأوانس وشغفهن حبا ، إذ كن يربنه جيلا ساعرا كالبحر كما كن يرمقنه حزينا كاسفيا كالطائر الجليل نوى في عشه يتدب موت إلفه .

ينموا بالضياح الواسعة والمال والجاه .

وكان أنجوا على الرغم من مظهره الذى أفاضه عليه شيا به ، لا يتجاوز العشرين من سنه حياته ، ولم يك على حداته غرا ؛ وكان كبير الدواء ، يمتلئ رأسه بالشعر ، وفضلاً عن ذلك كان من ذوى الخيال البالغ سمو . ومع أنه كان قليل الثقة بنفسه شأنه فى ذلك شأن غيره من مساكين الناس وتساوهم ، كان يدهش لنجاح الأغفال الجلهاء . ولقد كان يتوهم أنه قد ركب فى فطرته بعض الخطأ ، فهو فانس إما فى جسمه أو فى عقله . على أنه أسر تلك الأفكار فى نفسه ؛ كلا ؛ بل لقد كان يشكو حاله فى ضوء التجوّم إلى الأطياف الخائفة وإلى بارئ السموات ، وإلى الشيطان ، وإلى كل ما يحيط به ١

كان فى مثل تلك اللحظات يرمض الألم نفسه أن حياه القدر مثل ذلك القلب المتوقد الذى ما كان يشك أن النساء يتقينه كيتقين قطعة الحديد الحماة ؛ ولكنه كان يقول فى نفسه إن هذا القلب هو الذى يعرف الحب حقاً ، فاذا ما أحب عادة فأى حب ذلك الذى كان يفيضه قلبه ؛ وأى إعزاز ذلك الذى كان يحيطها به طول حياته ؛ وأى إخلاص ذلك الذى كان يربط شخصه بشخصها ؛ أجل ؛ لو أنجح له الحب ، فإنه يخدم حببية نفسه بكل ما عكك من عاطفة ، ويكون أبداً رهن إشارتها ؛ يتشكر من دوائى السرور وأساليب التسلية ما يدفع به ما عساه أن يقدّمه لهم حولها من سحب خفيفة ، أيام يفضى السماء سواد الغمام .

كان يمتلئ له خياله أحياناً فتاة يحملها هوى فؤاده ، فيروح يلقى فى الخيال نفسه على قدميها ، ثم يضمها إليه ويطبّع على وجنتيها من القبلات ما شاء له الهوى ويطوى بمساعدته خصرها ؛ وفى

عمله هذا من الحقيقة بقدر ما فى خيال السجين وهو يتملئ بحسده على المشب الأخضر الذى يترامى لعينه خلال قضبان سجنه ؛ وفى لحظة عنافه يطلب إليها الصفح والغفرة ، ثم يذهله عن نفسه حدة شموه ، فيمن فى عناق خليلته حتى ليوشك أن يقطع عليها أنفاسها ، وينقلب على الرغم من محسمة ووفاره جريئاً لهجاً ، فيعض بأسنانه طرف فراشه فى حدة وانفعال باحثاً عن فتاة الخيلية ؛ وهكذا يرى نفسه شجاعاً فى عزائه ، بينما تراه يستولى عليه الحجل فى غده إذا سر فى طريقه بإحدى الفتيات ؛ على أن تلك الأحلام الجلية : أحلام الحب كثيراً ما كانت تحفره إلى العمل فيقبل على محنته فيصور به وجوداً جملة ، ويبرز صدوراً ناهدة ، عليها من فاكهة الحب ما يتعذب لمراكها ريق الناظرين ، هذا فضلاً عما كان يلده خياله من فنون الجمال وصوره . وكان النسوة يلدن بأرائهن عن تلك الآثار وهن مأخوذات بجمال مبدعها كابارا الفتى . وكان كابارا يمدحهن من أعلى إلى أسفل ، وهو يقسم جهد أعانه لئن مدت إحداهن إليه أصابعاً مرة ليقبلها ، ليصلن منها إلى ما تشتهى نفسه وجاءته ذات يوم إحدى أولئك النسوة اللذات بسمو درجتهن ؛ جاءت بمفردها تسأل الشاب الايطالى ماذا يحبها ، وتستفهمه ألا تستطيع واحدة من نساء البلاط أن تجمل منه حديثاً تجالس ورجل « صالونات » . ثم دعت فى رقة وظرف الى أن يزورها فى بهوها تلك الليلة .

ورش أنجوا على جسده ما وسعه من المطور واشترى بقعة من القطيفة يطرزها شريط مزودج من الحرير ، كما استمار من صديق له عباءة واسعة الردين ، وحلة ترينها الخيوط ، وسروالاً من الحرير ، واتخذ سبيله إلى منزل مضيقته ؛ وصمد السلم بقدمين

خفيفتين يلمع الأمل في مقتلته، ولكنه لا يدري ماذا يفعل حيال قلبه، وقد كان يثب في صدره ويحقق في عذف وسيرة! كذلك كان يتساقط المرق على ظهره كانت السيدة وافرة الحظ من الجمال، وكان كابارا لا يريد يفتن إلى ذلك، فهو في فنه ملم بتكوين القراعين، خبير بما يجد الجسد ويبرز جماله، علم بما يحيط بالأنثى من سر يذيع في جسدها السحر، إلى غير ذلك من خفايا الجمال وخبيثاته. ولقد رأى صاحبته ترضى بتكوينها أدق قواعد الفن؛ وفضلاً عن فتنة ملامحها ورشاقة قوامها، كان لها صوت تضطرب له النفس من أعماقها، صوت يضرم جذوة القلب، والمقل وجميع الحواس. وجملة القول لقد كانت تلك الغادة تيمت بجملها في خيال المرء من أطيايف الحب الساحرة مالا تفكر هي فيه؛ وتلك هي خاصة أولئك النسوة اللعينيات!

وجدها التحات جالسة على مقعدها إلى جانب الموقد، وسرعان ما بدأت الحديث في سر، ولو أن صاحبها لم يجد لديه جواباً غير لا أو نعم. خذلته حنجورته فلم تقو على لفظ، وخافه عقله فلم يجد بفكرة؛ وظل يجمع نفثته بأطالة النظر إلى تلك الحسناء والاصفاء إلى صوتها، تلك السعادة التي ما كان يحجم عن شرائها بضرب رأسه إلى جانب الموقد! وكانت صاحبته تلعب أمام عينيه كالفرشة الجلية في ضوء الشمس، وعند منتصف الليل فادر النعجات الصغرى المنزل تشع بالسعادة نفسه؛ ذلك أنه في أمجابه الصامت قد ألنى نفسه وعشيقته يسلكان في هون طريق الحب الزاهر

وفكر وهو سائر في طريقه، فراح يقول لنفسه: إذا سمحت سيدة نبيلة له أن يجلس إلى جانبها هكذا أريم ساجات من الليل، فما يظن هناك أبة صموبة في أن تسمح له بذلك بقية الليل، ولما استخلص من تلك المقدمات بعض النتائج البهيجة السارة عقد النية على أن يطلب إليها كأجرة ساذجة ما يشتهي من حظوة، ثم صمم أن يقتل أي شخص يمرض طريقه؛ يقتل الزوج أو المرأة، أو يقتل نفسه، فذلك خير عنده من أن يسمح لأحد من أن يفوت عليه ساعة استمتاعه التي يتوخاها. حقاً لقد ذهب الحب بمقله، وصار من جنونه أنه يعتقد أن الحياة رهان صغير في ميدان الحب، ما دام أن يوماً واحداً من أيامه يمدل ألف حياة!

أخذ الابطال الصغرى منحته وراح يسوى تمثيله، ولكنه كان يفكر فيما كان من أمر تلك الليلة، ولذلك فكّم شوه من أنوف كان يفكر في سواها؛ ولما فطن إلى ذلك نفّض من العمل يده، ورش المطور على ملابسه وانطلق إلى خليلته يستمع إلى أطبيتها اللذينة، وهو يؤمل أن يحول كلماتها إلى حقائق. ولكنه حيناً وجد نفسه بين يدي ملكته سيطر عليه جلالها النسوي؛ وأحس كابارا المسكين وهو ذلك الأسد في الشارع أنه من النعاج وهو يمدج فريسته

ولكنه على الرغم من ذلك حيناً ألحت عليه الرغبة لم يحجم عن تلويقها بذراعه، ثم استجمع قوته واغتصب منها قبلة. وكان ذلك الاغتصاب مدعاة سرور لنفسه، فعادة النساء أن يمدن فيتمسكن بحق المنع والذود عن أنفسهن إذا جدن قبلة، ولكنهن إذا أرغمن على منحها أو إذا سلبنها لا يسمعن إلا التسليم بسدها بألف من مثلها؛ وذلك يفسر لنا السبب في أن الكثيرات منهن يأبينا إلا اغتصاباً! ولقد استطاع ذلك الابطال أن ينال من تلك القبلات عدداً، وخيل إليه أن الأمور سائرة كما يحب، لولا أن صرخت تلك السيدة التي كانت من قبل ضنيئة قاتلة: «زوجي....». ولم يك ثمة غير الرجل فقد عاد

ووجدتها التحات جالسة على مقعدها إلى جانب الموقد، وسرعان ما بدأت الحديث في سر، ولو أن صاحبها لم يجد لديه جواباً غير لا أو نعم. خذلته حنجورته فلم تقو على لفظ، وخافه عقله فلم يجد بفكرة؛ وظل يجمع نفثته بأطالة النظر إلى تلك الحسناء والاصفاء إلى صوتها، تلك السعادة التي ما كان يحجم عن شرائها بضرب رأسه إلى جانب الموقد! وكانت صاحبته تلعب أمام عينيه كالفرشة الجلية في ضوء الشمس، وعند منتصف الليل فادر النعجات الصغرى المنزل تشع بالسعادة نفسه؛ ذلك أنه في أمجابه الصامت قد ألنى نفسه وعشيقته يسلكان في هون طريق الحب الزاهر

وفكر وهو سائر في طريقه، فراح يقول لنفسه: إذا سمحت سيدة نبيلة له أن يجلس إلى جانبها هكذا أريم ساجات من الليل، فما يظن هناك أبة صموبة في أن تسمح له بذلك بقية الليل، ولما

لا يستمتع به وإن فاضت به خزائنه ؟ ورأى تلك السيدة تلهو بأن تدعه حول السياج يثب ويقفز - هنا وهناك - ويبتدر نفسه مالك كل شيء ، إلا أن يقرب من حديقة الحب

بلغ من حنق كبارا بما صار إليه أمره أن أصبح وحشيا لا يحجم عن قتل أى إنسان ؛ ولذلك جمع بعض من يثق بهم من دفاقه ، ووكل إليهم مهاجمة الزوج وهو في طريقه إلى منزله ، بمد أن يفرغ من لعب اتنس مع الملك . وانطلق إلى غادته في تلك الساعة التى يحلوفها لقاء الداشقين وتطلب المازلة والمداعبة . ولقد كان حظه من ذلك وافرآ تلك الليلة ، لم يدع وسيلة من وسائل اللغو والزاح إلا أداها في حماسة وأناة . أجل ، لم يحرم سوى تلك التمتع التى يتعاشى الكتاب عادة ذكرها ، لما يرونه من شناعة أمرها . وأبحه انجلو إلى خيلاته على حين غفلة قائلا لها :

« يا غادق الفاتنة ، آتبعينى أكثر مما تحبين أى شيء ؟ »

ولما كانت الكلمات لا تكلفها شيئا أجابت قائلة : « نعم » فقال :

« هذا حسن ، إذن فلتكونى لى فملا كما أنت لى قولاً » فقالت له :

« ولكن زوجى عائد بمد برهة » فقال :

« أذلك هو السبب الوحيد ؟ » فقالت :

« نعم » فقال لها :

« قد وضعت فى الطريق بعض أصدقائى ،

وسيمترضونه ولا يطلقونه حتى أعاد المنزل وأرفع

شملة فى هذه النافذة ؟ فإذا رفع إلى الملك شكواه

فسيدافنون عن ذنبهم بأنهم حسبوا أنفهمهم

يعازحون صديقا من طبقهم »

« آه يا عزيزى ! دعنى أنا كد من أن

كل إنسان هنا نائم فى مضجعه »

ساعتئذ ذلك السيد من لمبة التنس ؛ وخرج النحات أشيعه غادته بنظرة حارة ، إذ بوغت ساعة نشوتها ! وظل نصيب الفتى الايطالى من عشيقته على

هذا النحو لا يتغير زهاء شهر ؛ لا يكاد يصل إلى حافة ما يريد حتى يحضر الزوج . وكان حضوره أبدا فى تلك اللحظة التى تقع بين التمتع وبين الملاطفة التى تعقبه ، ويريد بها النساء أن يلففن من وقع إياهن . وهن بذلك إنما يجددن الحب ويزدنه قوة على قوة !

وأخيرا نفذ صبر ذلك الفتى ، فأراد ذات ليلة أن يختصر الطريق إلى غايته ، فتخطى إليها ضروب المزالة فى جراءة وسرعة ليم له النظر قبل مباغتته ، ولكن غادته وقد قرأت فى عينيه ما انتوى تنكرت له بعض التنسك والتوت عليه بعض الانواء ! أخذت أول الأمر تنظاهر بالفتية لتحمد

السبيل للطمن فى الحب وإعلان سخطها عليه ؛ ثم عادت فاطفات قليلا من غضب صاحبها بندى قبلة ؛ واستأثرت بمد ذلك بالكلام ، وراحت تؤنب عشيقها وتملن إليه أنها تحب ممن نهوا أن يكون خيرا وأن يظل مطيعا لمشيئتها ، وإلا فإن تضع بين يديه حياتها وروحها : كما راحت تقمه أن رغبته فى نيل وطره تدل على أنه ينظر إلى الحب نظرة وضيمة فإيسرها قربانا . ولذلك ترى نفسها أكثر شجاعة منه ، لأنها وقد أحبته أكثر مما يحبها قد ضحكت أكثر مما يضحى . وكانت تجيب على اعتراضاته بقولها : « الزم الصمت أيها السيد » ؛ فاقبها فى لهجة الملكة ومظهرها . وفى بعض الأحيان كانت تقابل تقريع كبارا ولومه بنظرة غاضبة ، إلى أن صازحته قائلة : « إن لم تروض نفسك على أن تكون كما أحب ، فلن أبكيك حتى يبدى اليوم » ورأى الايطالى أن حبا لم يكن حبا نبيلا ؛ وإنما كان حبا لا يستمتع به العاشق ، كال البخيل

البلاط ، بإصاحبة القلب الشقي ... إنك إذن تحبين وجهك أكثر مما تحبين عشيقك »
عندئذ شاعت في وجهها للصفرة ، ورفعت ذلك الوجه ، وفطنت في تلك اللحظة إلى أن مكرها قد أفسد عليها حبا . أما أنجلو فقد خش خدوها بسيفه . وفر هاربا من المدينة كلها . ودخل الزوج فألقى إمرأته وقد نال خدوها الأيسر ما ناله ، ولكنها لم تنبس بكلمة على الرغم مما كانت تنافى من ألم . لقد أحببت كابارا أكثر مما تحب الحياة نفسها ؛ ولكن الزوج أصر على أن يعرف من فعل هذا بإمرأته . وأبحه نظره إلى كابارا ، وقد حامت الشبهة حوله ، فرفع أمره إلى الملك ، وأمر الملك فجئ بذلك الايطالى وسبق إلى الاعدام في « بلوا »

وفي غداة اليوم الذى عُين لتنفيذ الحكم تقدمت سيدة نبيلة ، وقد حازتها رغبة شديدة إلى محاولة انتقا ذلك الشجاع الذى رأت فيه عاشقا كأفضل وأكل ما يكون العاشق . توسلت تلك السيدة إلى الملك أن يهبه لها ، فقبل توسلها في غير عناء . ولكن كابارا أعلن أنه لن يعرف إمرأته ، ولن يدين لامرأة غير تلك السيدة التى تيمته . ولذلك رأى أن يلتحق بالكنيسة ، ومن ثم أصبح كاردينا لا وعالما من كبار العلماء . واعتاد أن يقول في شيوخه إنه عاش معاش من سنى حياته على ذكرى تلك اللذات التى ذاقها فى ساعات نزوانه ، إذ كان يلقى على يدي غادة أحسن ضروب المعاملة وأسوأها معا . على أن هناك من يقولون إنه لم يلتحق بالكنيسة وأنه نجح بعد ذلك فى تهئية حياة هادئة مرضية مع تلك التى ملكت قلبه . ولكنى لا أصدق هذا القول ، لأن كابارا كان رجلا عاطفة يعرف حق المعرفة قوانين الحب المقدسة

الخطيف

ثم نهضت فأمرعت إلى النافذة ورفعت يدها الشعلة ! ولكن كابارا لم يكدر زاهيا فعمل ذلك حتى وثب فأطفاها ، واستل سيفه . وواجه تلك المرأة التى تبين في عيناها روح الازدراء وخبت النية وقال :

— لست أريد قتلك أيها السيدة ، ولكنى أريد أن أشوه جمال هذا الوجه ، بحيث لا نستطيعين بعد ذلك أن نلعبى بأفئدة هؤلاء الفتيان الذين تضعين حياتهم . لقد عملت على خديمتى بأساليب مخجلة ، وتبين لي أنك إمرأة لا تعرف معنى الاحترام . يجب أن تعلمي أن القبلة لا تنفع غلة عاشق ، وأن الفم الذى ذاق طعم القبلة لا يفتك بطلب ما بعدها . لقد كنت سببا في شتائى ، وستظل حياتى أبدا بعد اليوم تسمه مظلمة ، والآن أريد أن أجعلك تتذكرين إلى الأبد موتى ، ذلك الموت الذى هيأت أنت أسبابه . سوف لا تقفين بعد ذلك أمام المرأة إلا ترين وجهي إلى جانب وجهك »

رفع بالسيف يده ليقطع به صفحة خدوها النضر ، ذلك الخد الذى مازال يحمل آثار قبلاته ، فصاحت المرأة قائلة : « تبك لك من شق » فقال لها : — « كفى عن الكلام ... لقد أخبرتنى أنك تحبيننى أكثر مما تحبين أى شيء ، والآن تجيبين بحديث آخر ... ظلت ترفعيننى كل ليلة درجة نحو السماء ، حتى رأيتك تاقنينى بضربة واحدة فى الحميم ، وتظنين أن ثيابك تحول بينك وبين نقمة عاشق غاضب ... كلا ! »

وأجابت الغادة وقد استولى عليها الدهش لما رأى ذلك العاشق الذى يلتهب غضبا قائلة :

« آه ! أنجلو ! حبيب قلبي ! إني لك . »
ولكنه تراجع إلى الوراء ثلاث خطوات ، وأجابه بقوله : « أيها المرأة ... أنت يا إمرأة

وقالت وهي تبسم في رقة وقد
طرحت وراءها كل مهكاته :
« أنصرف .. سالفيتي ...
سالفيتي القانوني الشاب ؟
إن أنه كانت هنا اليوم ؟
أفهمت ما أعني ... ؟ »
فقاطعه الزوج في جفاء
وقال : « لا ، أنا لا أعرفه »

بقلم الأستاذ كامل محمود حبيب

من الأدب الإيطالي

عند

« إنك تذكره تماماً القانوني الشاب ! إنه
يبدو أنيقاً رقيقاً ! »
« أنا لا أذكره »
وفي الحق لقد كان ييسرو يعرف الشاب ،
ولكن أي قوة على الأرض تستطيع أن تنترع من
بين شفتي هذا العنيد اعترافاً ؟
فقالت الزوجة في رقة : « لا بأس فأتنا موقعة
بأنك ستذكره حين تراه . لقد أنهت أمه في وصف
ابنتنا إيلينا بصفات الجمال والكمال والرفقة والأنوثة
و... ثم راحت تطلبها زوجاً لابنها الشاب في رجاء
واستحطاف فوافقت ؟ وسيزورك زوجها بعد ... »
« وافقت ؟ أحقاً ما تقولين ؟ »

وصاحت المرأة : « ييترو أي زواج خير من
هذا الزواج ؟ وإيلينا تهوى الفتى ... »
وانفض الرجل كمن منه طائف من الشيطان
برعد ويزار هائجا مضطرباً : « وكيف ؟ وكيف ؟
استطاعت الفتاة أن تقدم بهذا الشاب ؟ أين تلاقيا ؟
أريد أن أعرف ... وأنت ... أنت التي لا تعرفين
معنى الأمومة ، كيف تركت لها العنان لتندفع في
طريقها طائشة ؟ هيه ! نعم ! لقد سمحت لابنتك
أن تحب رجلاً لا أعرفه ! لمهلما تراسلاً أيضاً ! ولعلك
كفت واسطة بينهما ! لقد تمت القصة وعلى عيني
ستارك شيف أسود ! »

كان جالساً في حجرة المطالعة الى نضد بجوار
النافذة شارد اللب ، مشقت الخاطر ، يحسدق في
الفضاء الترائي أمامه لا يُثبت شيئاً ولا يحققه ،
وقد اضطربت في رأسه خواطر .. خواطر سوداء
يريد أن يطردها بما يفتنه من دخان سجائره . كان
كذلك حين نادته زوجته من خلف الباب « ييترو
ييترو ؟ أستطيع الدخول ؟ » ثم .. ثم دقت الباب
في رفق وهي تقول : « أرجو أن تعبرني سمك
قليلاً ، سأقص عليك خبراً هاماً » وتقدمت في
هدوء وهي تلوح بمنديلها تطرد به سحب الدخان
الساكنة هنا وهناك : لقد أفرطت في التدخين يا ييترو ،
وهو يهد من كيانك . لماذا تجلس صامتاً في الظلام ؟
وكان ثوبها الحريري الجميل يحف حقيقاً خفيفاً ،
وقرطها الماسي يشع نورا ، وكانت هي تبدو أنيقة
جذابة لأن هذا اليوم هو يوم الاستقبال ...

وزفر الزوج زفرة عميقة ثم نظر الى زوجته
وهو يبسم في تهكم ويقول : « لماذا ربت شعرك بمثل
ما أرى وقد جاوزت سن الفتاة ؟ » فاضطربت شفتاها
وقالت : « إن شمري لا يلبث أن يشعث ، ولكن
لا بد للره أن يبدو أنيقاً حين ينتظر قدوم الزائر » ،
وفي لهجة السخرية قال : « حقاً . إن هذا اليوم عظيم
إن التواقيس لا تنفك ترنّ رنينها المذبذب ... »
واقتربت الزوجة وويداً وويداً من زوجها

في أمر. وساد صمت رهيب حين علم الجميع أن أعصاب الأب تضطرب ، فأمسك فرنسكو عن العزف على البيان ، وترك لوشيانا ابنتها ، وصمت بيينو الصغير عن تذكر دروسه ، حتى الخادم السكينة ، خفت من وطنها وهي تد المائدة ثلاثاً ترجع سيدها ... وعلى المائدة جلس الجميع في سكون ، وبدت إيلينا قلقة جزءة ، وقد سيطر عليها اليأس ، واضطربت الشوكة في يدها فسقطت ، وفي سداجة الطفل التقطها بيينو وهو يبسم ، ثم انفجر ضاحكاً وضحك لوشيانا ، ثم فرنسكو ، حتى الأم الحزينة افتر ففرها عن ابتسامة خفيفة . وفاظ الزوج ما رأى ، فأراد أن يخمد هذه الزوبعة في خشونة وغلظة ، فنظر إلى زوجته ومن عينيه يتطارشواظ يتقد وقال : « أعدى ملايبي ، سأسافر فداً إلى قريبنا ... قريبنا فالكو نيتوا » ، وذعرت الزوجة وردد نظرها حائراً بين الزوج المحنق وبين الفتاة وهي تتلقى الصقعة القوية . وأدرك الجميع ما أراد الأب ، فاطرقوا في حزن إلا بيينو الصغير ، فقد لمت عيناه بالفرح ... فرح التلميذ الصغير ينتظر الأجازة ... فأشار إليه الأب : « أمسرو أنت لأنني ذاهب ... ؟ » فارتد الطفل وقال : « لا ، لا يا أبي ، حقاً لا ! »

وانطلق الأب والزوجة تقول له في صوت ضئيف : « أتعود قريباً ؟ لا بد أن تفكر في هذا الأمر » فقال : « أي أمر ؟ » قالت : « زواج إيلينا ! إن ذهابك معناه الرقص والتحدثي معاً . إن سعادة ابنتك فوق كل عمل في فالكو نيتو » ولكنه كان في ثورته يبدو عنيداً فقال : « لا جرم أن المرأة حين تفكر في الحب تراه فوق كل عمل وإن كان عابثاً ! » لم يكن العمل هو الذي دفع الزوج إلى القرية ولم تكن الرغبة ، وإنما كانت النفس الشريرة التي

واضطربت المرأة ، وشارت قوتها ، وطار عنها ثيابها ؛ فغطت وجهها بيديها تحجب بعض خجلها ، وتستتر ضمناً النسوى المنسكب من عينها ، ثم راحت تنتزع الكلمات من بين شفتيها انزعاً : « لا لا يا بيترو ، لقد ظننت أنني أجمل إليك يُشرى ، لماذا أنت كذلك ؟ لماذا ؟ ماذا افترقنا ، وأي غربة في ذلك ؟ شابان راق كل منهما في نظر صاحبه فتعلق أحدهما الآخر وأحبّه ، وباده الآخر حباً بحب وغراماً بغرام ؛ أليس هذا ما كان بيننا يا بيترو ؟ أنت ظالم ... »

وكان الرجل ظالماً ، وبدا في جلسته مهموماً مضطرباً ، وقد تدلى رأسه كأن فيه ثقل جبيل ، وكانت أنفكاره تضطرب اضطراباً ، وأحس كأنها يمانى ألى محضاً ، وحين كبح جراح غضبه ارتد هذا في جسمه فتوراً واستخذاه ، واستيقظ ضميره بجزه وخزات شديدة تؤله ، كما ألتته أعصابه المضطربة من قبل . ثم لقد أحب سليليا وهام بها ، فسمى إليها وقد اختارها لنفسه ، ثم ثم فاز بها بعد طويل عناء . إنها قصة غرام قديم ... قديم منذ نيف وعشرين سنة ؛ ولكن الحقيقة لا تهزم ، وعلى رغم أن العقد الثالث من عمر سليليا قد انفرط منذ زمان إلا أنها لا تزال جذابة جميلة . أما هو ... وهو يحبو للخمسين يبدو للعين كمن جاوز السبعين ؛ أما قلبه فابرح شاباً يؤمن بالحب ، وبحبوه بما في رأسه ويده معاً ، لذلك ... لذلك كان الرجل ظالماً

وحين تراءى له في خياله كل ذلك تقارظته الموم ففصاح : « سليليا ، أعصابي ... دعى هذا الأمر الآن ... » وكفكت المرأة عبرات الغليظة في صمت ، ثم انطلقت إلى ابنتها حزينة كثيفة تمهدتها الحديث كله ، وتقف في طريقها إلى أبيها التائر خشية أن يقع

شيء ، وراحت أعصابه تضطرب فما يقوى على ضبطها . ما ذا جنت زوجته وهي رقيقة عذبة الحديث عطوفة رحيمة طيبة ؟ وما ذا جنى هؤلاء الأطفال الأبرياء ليرى هو الهفوة الهينة منهم كبيرة لا يكفر عنها إلا العقاب الشديد ؟ ثم ما ذا في هذه الأعصاب الفاتية المضطربة ؟ لقد كانت رسول الشؤم والظلام في هذه الدار وأهلها آمنون »

هذه هي النهاية ... ١

وطلت أيام الشباب في خياله تذكره قصة الماضي .. فرأى أسرته جميعاً تنهد فرحاً من ذكر أعصاب الأب المضطربة ، تلك الأعصاب الظالة التي وقفت سداً منيعاً في سبيل زواج كبرى بناته ، والتي أرغمت الصغرى على أن تتخذ مخاراً وقد سيطر عليه الشك ؛ ثم هي أخرجت أكبر أبنائه من الدار لا يملك صليداً يسد به الرمي ، وبيترو .. بيترو نفسه قاسى ويلات ما منته به هذه الأعصاب الظالة . لقد كانوا يكرهون الأب ويعتقونه ، لما يرون فيه من الظلم والأثمانية ، وكان بيترو نفسه يقول : « آه ، لو أن لي ولداً فقسوت عليه بمثل هذا لخنقت نفسي بيدي هاتين ... » أما الآن ... أما الآن فقد تراكى له ما يضطرب في خواطر أبنائه هو جميعاً ، وأحس بما يضررون له من القتل والكراهية ...

ليت يستطيع أن يطرح عن نفسه ذلك كله ليرجع إليهم وادعاً هادئاً رقيقاً وشغلته الفكرة وتصرمت أيام .

ووافته الزوجة وهي تقول : « ما كنت لأجرؤ على المحبة ، ولكن ... أنت مريض ... أنت مريض حقاً » ثم راحت تبكي في صمت وكان هذا الصبر النفساني قد أنهك الرجل

فيه هي التي أرادته على أن يسمى إلى أهله ...

وصاحت الزوجة : « بيترو ، لا تذهب ... » غير أن الرجل اندفع لا يبالى على شيء حتى إذا كان لدى الباب التفت إلى ورائه فرأى ... رأى أبنائه في إطراق حزين ، وصمت مؤلم ، وبأسهم أحد ليودعه ، فقال له ضميره : « رأيت ... رأيت أمسرتك المحبوبة كيف تتركهم عبيداً أدلاء ؟ »

وعند انبثاق الفجر كان الزوج في طريقه إلى القرية

جلس بيترو وحيداً إزاء المدفأة في بيت قديم له بالقرية ، وخياله عند الجماعة الذين خلفهم هناك في المدينة ؛ وبدت نفسه رقيقاً له يحده : « كأني أسمع الزوجة تقول لابنتها : أمتبلة أنت يا إبلينا ؟ فنظوى الابنة على هم ، ونفسها تضطرم أسى ولوعة . وكأني بالأولاد من حولها يرححون ويقولون : ما أجل المكان حين يرتفع عنه هو ... هذا الكابوس هذا الكابوس هو أنت ... أنت التي لا يبك أحد ، ولا يسر لمراك طفلاً ... أنت الشبح الخفيف ... أنهم يكرهونك ويعتقونك ... عجيب هذا ؟ كيف مرمت الأيام وأنت توثر الفكرة في أذهانهم عن جهل منك وغفلة ؟

لقد كان وحيداً ، ولكنه كان هادئاً يستطيع أن يشمر نفسه الأخطاء التي ارتكبها ؛ ويستطيع أن يرى بمعنى عقله ثمار القدوة والنظافة وهي مرة كريهة . واستيقظ ضميره مرة أخرى يؤنبه بكلمات لاذعة قاسية ، وحكم هو على نفسه حين نشر على عينيه تاريخ أعوام مضت . لقد كان إلى عهد قريب هادئ الطبع ، حلو الثائل ، رقيق الماطقة ، طيب القلب ؛ وحين أحس مصباح الحياة ينطفئ أمام عينيه لس هو الظلام في كل

قال الرجل « أن كل من في الحياة يحمل قسطه من المتاعب والأحزان ، وفي كل دار عدوها ؛ قاتلانة والزيلة والسقوط كل أولئك أعداد ؛ أما دارنا ففيها عدو من نوع آخر هو .. هو أنا .. هذا ما أعرفه وأوقن به ، وليس لي من العزم ما أستطيع أن أخرج عن طبعي بهذا ... عن قسوى وغلظتي ، ولا أريد أن أبذر في أبنائي غراس العداوة والبغضاء لي ، لهذا ... لهذا فأنا لا أستطيع أن أرجع إلى داري ... لن أرجع ... لن أرجع حتى أبرأ »

وبدا لميني المرأة مراد زوجها ، ووضح لما ما يريد ؛ فقالت في عطف وشفقة : « سأبحث إليك بفرنسكو أو سالفيتي فهو فصيح اللسان قوى الحجة ... »

وراحت تودعه في حرارة وشوق وقد أشرق في نفسها تاريخ السمادة الأولى حين شبها حبيدي ، وهي تقول : وسأرسل فرنسكو يايترو ، فهو رحيم ، وهو يحبك ؛ يحبك على رغم كل شيء ؛ لأنك أبوه ؛ ثم صعدت إلى القطار

ورجع الزوج بشاقل كأنما يحمل على ظهره حملاً ثقيلاً ، وترامى له ابنه الأكبر في الخيال يستعطفه ورجوه ويبحثو عند قدميه يسكن ويكفي ... فيصني هو ، فيلين ، فيلي ... ثم يرجع ويرجع معه المدو الذي فيه ، فتضطرب الدار ويفزع الأبناء . أين الخلاص ؟ وبدا له الخلاص وهو يسير على حافة هوة عميقة ، في خطوة ... خطوة واحدة يتقدمها في ثبات وعزم ، فأغمض عينيه وسار ...

وخرج فرنسكو ليمود بأبيه فما عاد إلا بقصاصة ورق تحمل إليه النبتة المزعج ... موت أبيه فأسلم محمور هيب

فهو ذليل ذوا شاحب اللون ، مضطرب لا يكاد يستقر ، غير أنه قال في لطف : « علام تبكين ؟ هل الأسرة بخير ؟ » قالت : « وأنت - أنت .. يجب أن تعود إلينا » قال : « نعم يجب أن أعود .. أعود إكراماً لأبينا ، يجب ... ولكنني أجد الراحة واللذة هنا ، وعندى هنا ما يشغلني . يجب ... لأن إيلينا .. سأكتب إليها . »

وكتب :

ابنتي المزمزة ؛ أنا أوافق على زواجك من السنيور سالفيتي ، لك تمنياتي الطيبة وحبي الطاهر « أبوك »
وناول الزوجة الورقة وهو يقول : « أفي هذا ما يكفي ؟ .. »

قالت « كفى .. ولكن ييترو ، ماذا وراء الباقي ؟ الجهاز . الناس الزفاف .. لا يمكن أن ترفض ! »

وتفانى الرجل عن حديثها حيناً ثم نظر إليها وهو يقول : « إن القطار يتحرك في الساعة الثالثة تماماً »

« وأنت ؟ .. »

« سأرافقك إلى المحطة »

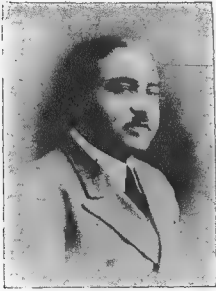
وانطلقا جنباً إلى جنب وذراعاً في ذراع ، والزوجة تقول : « تعال معي يايترو ، تعال إلى دارنا تعال ! لا تبذر فينا غراس الشقاء بفراقك . » فقال الرجل في هدوء : « سأظل هنا ما بقي لي من العمر لأنكم تشقون في ، سأعيش هنا .. »

— « وحيداً ! »

— « نعم ، هنا ، انني أريدكم هاتين سمداً »

— « وكيف ... كيف نكون سمداً وأنت »

هنا ونحن هناك ؛ يتأى وأرملة ؟ «
ثم راحت تذبذب حظها الأسود العائر .



مَجْلَدٌ أَوْ هَيْلَوِيزْ أَجْبَدِيَّة لِيَانِ هِيَاكْ رُوسْ بِقَلَمِ أَحْمَدَ حَسَنِ الزِّيَّاتِ

الرسالة الثانية

إلى موبيا

ليتك تعلمين بما يشعرني هذا الفتور من لوعة القلب ؛ إذ لن لعرفت أنني جوزيت شر الجزاء وعوقبت أشد العقوبة . آه ! لو أن لي رجعة إلى الماضي فأحول بينك وبين تلك الرسالة المشنومة ؛ فأنني لو لم أكتب الأولى لما كتبت الثانية ؛ ولولم أضطر إلى كتابة هذه الرسالة لكنت بنجوة من مظنة الاساءة إليك مرة أخرى . إني أريد أن أصلح خطاي لأن أضعفه . أيبيني أن أقول إن نفسي أركبتني التورور وموتت على الباطل حتى أسرني من غضبك ؟ أيبيني أن أحتج لنفسي بأن ما أحل لك في قلبي هوشى غير الحب ؟ أنا ؟ أجتري هذه الجرأة ، وأفتري هذه الفرية ؟ وهل الكذب الفاجر خلاق بالقلب الذى تملكينه وتمميرينه ؟ لتكن عاقبة جرائي أن أكون بالسا إذا لم يكن من ذلك بد ، ذلك أولى من أن أكون بسببها كاذبا أو جباناً ، فإن الجناية التى اجتريتها على ، لا يبينني أن يجدها قلبي أنا أشمر سلفاً بفداحة غضبك ، ولكني

ما كان أشد حقي وتزقي في رسالتي الأولى يا آنستي ! لقد كنت أرجو أن أنفَس بها عن صدرى المكظوم وقلبي المغموم ، فإذا بي أعرض نفسي من جرائها لسخطك ؛ وأشق الأمور كلها على أن أفعل ما يفضيك أو ما لا يجيبك . إن سكوتك وفتورك وانقباضك هي الدلائل المنذرة بالصيبة ؛ وإذا كنت قد أجبت ببعض رجائي ، فذلك لأنه أبلغ في عقابي وخيائى . فأنت « حين جمالك الحب واعية بقطة ، سرت شعرك الأشقر وحبست فيك نظراتك المذبة » (١)

لقد كفت أمام الناس عن تبسطك البرى الذى يحلى الجنون على الشكوى منه ، ولكنك ازددت قسوة على فيما بيني وبينك ، فتماذلت شدتك اللبقة في إقبالك وسدودك

(١) من شعر حيتاس

بؤساً أن أسألك إياه بنفسى . فإذا لم تكن فى قاسية
القلب خيلقة فتغيرى هذه الهيئة الفائرة المترمة التى
تدقنى الى القنوط . ان الذى يرسل جرحاً الى الموت
لا يزوده بالغضب

الرسالة الثالثة

الى جولييا

لا يصفى صدرك ولا يهن صبرك يا آنسى ، فهذه
الرسالة آخر ما يرعجك منى

ما كان أبعدنى ، حين تولد حيك فى قلبى ، أن
أتقصى بالنظر كل الآلام التى نهيات لنفسى ! لم
أحس أول الأمر الا بألم الحب اليائس الذى
يستطيع العقل أن يقهره مع طول الزمن ؛ ثم ذقت
ألماً آخر أعظم من ذلك جرحه على أنى أغضبتك ؛
وهأنذا الآن أشتمر ألماً أدد على نفسى من كل
ألم لأننى أثرت عليك جومك الخاصة

آه يا جولييا ! انى أرى والأسى يفت كبدى أن
شكواى تكدر صفوك . انك تزمين الصمت القاهر
البالغ ، ولكن كل شئ يملن إلى قلبى ليقط
اضطرابك الدخيل

أصبحت عينك ساهتين حاليتين فاكستين يفر
منهما بعض النظرات الحائرة إلى ، وانكنا لونك
البهى النضر فبدا على خديك شعوب غريب ،
وفارتك البهجة للرحمة وتضييقتك الموم القاتلة ،
فلم يبق مما يحفظ على طبعك الطلاقة إلا مذوبة فى
نفسك لا تنضب

إنك كما أرى مهومة لحساسة أو زراية أو رثاء
لآلامى . وإنى لأخاف أن أكون ساعدت القدر فى
آلامك ؛ وهذا الخوف يؤلى ألماً لا يعدله ذلك
السرور الذى يبعثه فى نفسى ما يصاحب ذلك

أنتظر أن يكون مآله الى الرضى والسعادة اذا لم
يكن شئ آخر ؛ فان النار التى ترمض جوانحى
وتدوينى خيلقة بأن تاقب لا أن تحترق

حنانك يا آنسى ورحاك ! لا تكلمنى الى
نفسى . تفضلى فصرقى قد رى ووجعنى أمرى على
الأقل . أعلنى مشيتك واقضى قضاءك فلن تجدنى
مهما قسا الحكم واشتط غيظ طامع ولا صابر . أنفرضين
الصمت الأبدى على ؟ سأجمل نفسى على مكروهه
وأروضها على لزومه . أتقصينى عن حضرتك ؟
سأقسم بالله جهد اليمين لا أريك وجهى بعد اليوم .
أناؤرنى أن أموت ؟ لعل ذلك أيسر الأمور على .
ليس هناك ما يمينى الخضوع له والرضا به إلا شئ
واحد : هو ألا أحبك . على أنى لو استطعت أن
أنفذ مثل هذا الحكم لما أبيت

أراود نفسى فى النهار مائة مرة على أن آخر
على قدميك فأغسلهما بعباقى ، وأطلب منهما ماعى
أو حياى ، فهزم الخوف قلبى ، فترجف يداى
وتسطك ركبتي لا أجرؤ على أن أجثو ؛ ثم
يموت على شفتى الكلام ، ولا أجد فى نفسى
ما يؤمنها من خوفها أن تفضيك

هل تاملين فيما خلق الله حالاً أهول من حالى
وأفزع ! إن قلبى ليشمر كل الشعور أنه آثم ؛ ولكنه
لا يدري كيف يقلع عن غيه ويرعوى عن آثمه .

ان الجريحة والندم قد اصطلحا على أن يهزاه
هزات لا تنوز فيها ولا شدوذ . وإنى من غير علم
عصيرى لأضطرب فى حيرة قاتلة بين طمع الرحمة
وخوف العقوبة

ولكن لا ! اننى لا أطمع فى شئ ، وليس من
حق أن أطمع فى شئ . ان اليد التى أرجوها منك
هى أن تمجلى بمذابى . أرضينى بانتقام عادل ؛ وحسبى

وصيِّقهم منذ اليوم شمائر بين حبك وبين
الفضيلة ؛ ومحال أن يدنس الهيكل الذي تُعبد فيه
جوليا بنار أخرى

البطاقة الأولى مع جوليا

لا ترجح الرأي الذي يجعل ابتعادك ضرورة ؛
إن القلب الورع يستطيع أن يكبح هواه أو يسكت ؛
ولعله ينقلب غشياً مهيماً . ولكن أنت ...
أنت تستطيع أن تبقى

الجواب

لقد سكت طويلاً حتى حملي فتورك على الكلام .
إذا استطاع المرء كبح هواه ابتغاء الفضيلة ، فلن
يستطيع مطلقاً أن يتحمل احتقار من يجب .
لا بد من السفر

البطاقة الثانية مع جوليا

لا يا سيدى . إن رجلاً كالذى تظاهرت بأن
تكونه فأحس ما أحسست ، وجروء على أن يقول لى
ما قلت ، لا يدافر بعد ذلك . إنه سيعمل أكثر
مما عمل

الجواب

أنا لم أظاهر إلا بهوى معتدل فى قلب يائس .
فدأ ستكوثين راضية ، ومهما قلت فى ذلك فلا أقل
من أن أسافر

البطاقة الثالثة مع جوليا

يا للأبله ! إذا كانت حياتى عنزة عليك ! فأخش
أن تمتدى على حياتك . أنا الآن مأسورة محصورة
فلا أستطيع أن أكلك ولا أن أكتب اليك
حتى التفتد ؛ فانتظر

الزيارات

(يتبع)

الخوف من أمل ، لأنى إما أن أكون قد أخطأت ،
وإما أن تكون سعادتك أعز على من سادق
على أننى حين ثبت إلى نفسى ، تبين لى أنى
جرت فى الحكم على قلبى ، وعلت بعد أن تقى
الأمر أن الذى حسبته هذياناً يزول ، إنما هو كلة
القدر فى مصيرى وحياتى

إن اشتداد حزنك هو الذى أشعرنى باشتداد
حبنى . لا ، أبداً ؛ إن وميض عينيك وإشراق لونك
وبراعة ذهنك وكل ما كان لهجتك الماضية من
جمال وسحر ، كل أولئك لا يستطيع أن يحدث مثل
ذلك الأثر الذى يحدثه فى نفسى ضعفك . لا يخامر
الشك فى ذلك يا جوليا ؛ فانك لو استطعت أن ترى
الضرم الذى أورتته فى نفسى أيام الضنى الثمانية
لسالت شؤونك أسمى مما جررت به على من الأذى
والألم . لقد أصبح ذلك الألم عياء لا يرجى برؤه ؛
وإنى لأشعر أن هذه النار التى تصلىنى وتدوينى لن
ينجو أوارها إلا فى القبر . لا بأس . إن من عجز عن
أن يحمل نفسه سعيدة ، لا يعجز عن أن يجعلها
على الأقل خليفة بالسعادة . وسأعلم كيف أحملك على
أن تحترى رجلاً تفضل عليه بجواب . أنا حديث
النس ، وفى مقدورى أن أنال يوماً ما ذلك الخطر
الذى لست كفوفاً له اليوم . وفى خلال ذلك يجب
أن أرد عليك السكنية التى فقدتها أنا الى الأبد .
إن من العدل أن أكابد وحدى عقوبة الجريمة التى
افترتها أنا وحدى

وداعاً يا جوليا . عودى الى هدوئك وغبطتك ،
وابسطى ما تفسن من جهتك ، فلن ترى وجهى
بعد اليوم . ولكن تقى أن الحب القوى التى الذى
يفرغ أنفاسى لا تخمد وقدته ما حيت ؛ وأن القلب
الذى يفره مثل هذا الحب لن يذل ولن يهون ؛

المستتر بكوك وفائقة

للمقصي الانجليزي شارلز ديكنز



شارلز ديكنز

وحدث المستر (بكوك) نفسه قائلاً: «هكذا شئت تلك النظرات الضيقة، نظرات هؤلاء الفلاسفة الذين يقتصرون مما يعرض لهم من الأشياء على مظاهرها، ولا يبحثون عما يوجد وراء تلك المظاهر من حقائق الحياة. فهأنذا لا أقنع أبداً بالفطر إلى ذلك الشارع دون أن أبذل أي جهد في تقصي ما يحيط بجوانبه من بلدان»
وفرح مستر بكوك من تأملاته الجليدة ليضع نفسه في ملابسه، وليضع ما خلفه من جلابيه في حقيبته. وإنك قلما تجد عظام الرجال يظهر من كبر اهتمام أثناء ارتدائهم ملابهم وتاهبهم

تمهيد:

كانت هذه القصة الفكاهة الممتعة الأولى وأسرع خطى شارلز ديكنز إلى الشهرة والجد، ويدها كثير من النقاد أحسن نصحه وأشدّها اتصالاً بفنه وعبقريته، ذلك لأن روحه الفكاهة ومقدرته الفائقة على الوصف، ونشاط ذهنه، تبرز كلها بأجلى وضوح فيها. وليست هذه قصة بالمعنى الحقيقي، وإنما هي تصوير بعض الشخصيات من طريق الحكاية والحوار وما يتصل بذلك الشخصيات من معاني الحياة ومشاهدها. خلق القصص العبقري أولاً شخصية مستر بكوك وجعله رئيساً لعبة تنسّى إلى ناد، عملها التجوال لجمع ما عساه أن يصادفهم من معلومات، ومن ثم بدأت سلسلة أسفارهم وحادثاتهم. وهذه القصة من القصص العالمية التي لا تقل روعة عن قصة (دون كيشوت) لسرفانتس (الترجم)

الفصل الأول

رمدة اليوم الأول ومخاطرة البلدة الأولى

وما لاه من أمرهما

لم تسكد تشرق الشمس وترسل أشعتها صبيح اليوم الثالث عشر من شهر مايو عام سبع وعشرين وثمانيائة وألف، حتى نهض مستر (بكوك) من أحلامه كأنه شمس أخرى، وفتح نافذة غرفته وأطل منها على الوجود من تحته، وكان يقع شارع (جنبول) تحت عينه، وكان يمتد شارع (جنبول) عن يمينه إلى نهاية ما يصل إليه البصر، وكان يمتد أيضاً عن يساره إلى مسافة بعيدة

ووجهه شديد التجهم ، وظلت ملاعه وهو يكتب على ما هي عليه من صرامة ، ولذلك أثبت في دفتره تلك الحقيقة غير منقوصة

وأردف مستر بكويك متسائلاً كي يصل إلى غيرها من الحقائق والمعلومات « وما مقدار الوقت الذي يقتضيه في العمل في كل مرة تأتون به إليه؟ » فأجاب الرجل : « من أسبوعين إلى ثلاثة »

وصاح مستر بكويك في دهش : « أسابيع ! » وسرعان ما برز دفتره ثانية من صدره

واستطرد الرجل في فتور : « أنا أرسله الى منزل في حي بنتنول » في غير فترة العمل ، ولكننا قلنا نرسله الى مكان راحته بسبب ضعفه

وصاح مستر بكويك وقد ذهبت الحيرة بعمقه كل مذهب : « بسبب ضعفه ! »

واستمر الخوذي يقول : « انه دائماً يسقط على الأرض كلما حل من العربة ، ولكننا اذا شددناه الى العربة بحكم ربطه وقعر الجبال والسيور فلا يستطيع بذلك أن يسقط ، وانقد اتخذنا المجلات من حجم كبير ، ولذلك فهي تدفعه اذا ما تحرك ولا ندع له مجالاً للتواني ، واذاً فلا بد له أن يتابع سيره ، اذ لا حيلة له في ذلك »

وأثبت مستر بكويك عبارة الرجل بمخاضها في دفتره ، ليقيدها الى النادى شاهداً فذاً على التسوية في دنيا الخليل . وما كاد ينتهي من كتابة ملاحظته حتى وصلت العربة الى « جولد كرش » ، فوثب الخوذي الى الأرض ونزل مستر بكويك ، والتفت حول العربة كل من مستر توبمان ومستر سندجراس ومستر ونكل وأخذوا يبحون رئيسهم الألى وكانوا ينتظرون مقدمه في شوق

وخاطب مستر بكوك الخوذي قائلاً : « هذا أجرك » ومد اليه يده بذلك « الشان » الذي أعده

للخروج ؟ ومن أجل ذلك سرعان ما فرغ مستر بكويك من حلق ذقنه وارنداء ملايحه واحتساء قهونه ، وخرج بمد منهية وحقيته في يده ، ومنظاره (تلسكوب) في جيب معطفه ، ودفتره في جيب صدره ، فكان على تمام الأبهة لأن يتلقى أى حادث يراه مستر بكويك جديراً بأن يدون ، وما هي إلا ساعة حتى كان مستر بكويك في ساحة سان مارتن وصاح مستر بكويك قائلاً : « عربة »

وتقدم اليه رجل مجيئاً إياه : « أنا أنتيك بما طلبت أيها السيد » ، وكان هذا الرجل غريب الشكل حقاً ، كان صنفاً عجيباً من أصناف الأدميين يرتدى معطفاً من الخيش عليه ميدعة من هذا القماش ويحيط بصفه شريط من النحاس يحمل رقمه ، كما لو كان قطعة من الآثار النادرة رقت لتوضع في ثبتها . وكان هذا الرجل سقاء الخيل في تلك الساحة فنادى قائلاً : « هيا ... العربة الأولى ... » وأتجه الى مستر بكويك مخاطباً إياه : لك ما طلبت أيها السيد . وما كادت تتقدم العربة الأولى من ذلك المكان حيث دخن مستر بكويك غليونه الأول ، حتى قذف بنفسه وحقيته في جوفها ، وأمر الخوذي أن يذهب به الى « جولد كرش » وأدار الخوذي رأسه الى صاحبه السقاء قائلاً في غير خفي : « ان ذلك لاساوى أكثر من شلن ياتوم » وسأل المستر بكويك الخوذي مساحاً أنفه بتلك القطعة من النقود التي أعدها ليدفعها أجر ركوبه : « كم حمر هذا الحصان يا صاحبي ؟ »

وأجاب الخوذي وهو ينظر الى مستر بكويك نظرة الدهش والخيرة : « حمر اثنتان وأربعين سنة » وأسرع مستر بكوك الى دفتره متمماً : « ماذا؟ » « ماذا تقول ؟ » وأقصع الرجل عدد السنين الذي قاه به أولاً ، ووجه مستر بكويك نظرته الى الرجل

واندفع الحوذى فظلم المستر بكوك لطمه
أطارت منظاره عن عينيه ، وواصل الهجوم بدمكة
استقرت على أنف مستر بكوك ، وأردفها بأخرى
وقمت على صدره ، ثم بثالثة نزلت على عين مستر
سندجراس ، ورابعة من باب التنويع خالت بطن
مستر توبمان ، وانطلق الرجل يبدو راقصاً نحو
الشارع ، ثم عاد مسرعا إلى الأفرز ، وانتهى بأن
أوقع الرعب في قلب مستر ونكل فقطع عليه
تنفسه وأفرغ جسمه مما نشقه من هواء ؛ كل
ذلك في ست ثوان غسب !

وصاح مستر سندجراس ... « أين رجل
الشرطة ؟ »
ورد بائع فطائر قائلاً : « ضوم تحت المضخة »
ولفت مستر بكوك بقوله : « سوف تجازون
أشد الجزاء »

وتصاح الناس بقولهم ... « غيرون ...
غيرون »
واستأنف الحوذى تهديده صائحاً ... « أهيا ...
هيا ... » ، ولم ينقطع لحظة منذ أن بدأ المعركة
من توعده وتوثيه

ولقد كان موقف الناس من تلك المشاجرة حتى
ذلك الوقت موقفاً سلبياً ، فلم يكونوا سوى
متفرجين ، ولكن ما كاد يذيع فيهم أن مستر بكوك
ورفاقه غيرون ، حتى أخذوا يجهذون في حماس
ونشاط تنفيذ ذلك الاقتراح الذي ترأدت حرارته
حتى التهب ، ألا وهو اقتراح بائع الفطائر الساخنة ،
وأراني في غنية من أن أين ما كان يرتكبه هؤلاء
القوم من تمد على أشخاص تلك الجماعة ، لولا أن
أوقف الشجار تدخل شخص جديد ، راح يتسائل :
« ما هذا ؟ ماذا يطربكم ؟ »

وكان القادم شاباً طويل القامة نحيف الجسم

ولشد ما تعجب هذا الرجل الثقف العالم ، إذ
رأى مثل ذلك الشخص الذى لا حساب له يلقى
بقطعة النقود على أفرز الشارع ، ويطلب اليه ، الى
مستر بكوك ! أن « يسمح له بشرف منازلته »
وبادره مستر سندجراس بقوله : « إنك يا هذا
لجنون »

وأردف مستر ونكل قائلاً : « أو سكران »
وأبداهما مستر توبمان بقوله : « أو الألمرين مما »
وراح الرجل يصيح : « هيا ... هيا ... أنا
لكم جميعاً ... سترون ... هيا »
ورأى ذلك جماعة من الحوذية فصاح أحدهم :
« هذا منظر ممتع » وتجمعوا حول الحوذى وخصوصاً
وتقدم أحد الناس فسأل « فيم هذه الضجة ؟ »
وأجاب الحوذى ضجة ! مشاجرة ... ! ما حاجته
الى رقي ؟

وأجاب مستر بكوك وقد أخذته الحيرة : « لم أرك
قط في حاجة الى رقتك ! »
وتسأل الحوذى : « إذن لماذا أخذه ؟ »
وأجاب مستر بكوك مغضباً : « لم أخذه ...
لم يحصل »

واستأنف الحوذى كلامه ، متجهاً الى الجمهور
موجهاً اليه الخطاب « هل يصدق أحد ؟ هل يصدق
أحد ؟ ... خبري ركب منى عربقى فلا يقتصر على
أخذ زقى غسب ، بل ثبت كل لفظ فمت به !
اذ ذاك لاح بصيص من النور لمستر بكوك ... أنه
دفتره الذى ... »

وسأل أحد الحوذية : « هل فعل ذلك ؟ »
وأجاب الحوذى قائلاً « نعم فعل ذلك ، وبعد
أن يستثيرني لهاجته يأتي هنا ثلاثة من رجاله
يستشهدون على ! ولكنى سأهاجمهم مهما يكن من
الأمس ... ولو كان من ورائها ستة أشهر . هيا »

وكان وجهه مبروقاً هزلياً ، ولكن حالاً غريبة لا توصف من الرضاء وعدم المبالاة وضبط النفس كانت تغلب على صفات ذلك الرجل

ذلك هو الشخص الذى راح يحملنى فيه مستر بكوك خلال منظاره وكان قد استماده لحسن حظه ، ولما أن فرغ رفاقه من محباتهم ، أخذ هو بدوره يقدم اليه أحر شكره على ما كان من مساعدته ؛ ورد ذلك الشخص في عبارات منقطعة : « دلك من هذا — كنى — لا ترد ... إنه ولد شقى ذلك الحوذى ... كان يحسن توجيه لكاته ... ولكنى لو كنت ... وقطع عليه عباراته سائى العربى المسافرة إلى « ورشستر » إذ أعلن اليهم أن عربته على أهبة الرحيل ، ونهض ذلك الشخص واقفا واستأذن الجماعة قائلاً : « تلك عربتى ... احتجرت فيها مكاناً أترك لكم دفع ثمن الشراب والماء ... أرانى فى حاجة الى صرف .. فضة رديشة ... » ثم حيم بهز رأسه تحية من يرفهم حق المعرفة . واتفق أن كان مستر بكوك ورفاقه قد اعترضوا أن يحملوا « ورشستر » محط رحلهم الأول فى سفرهم هذا ، فأخبروا الرجل بذلك ، ثم وافقوا على أن يتخذوا مقاعدهم فى مؤخر العربى حيث يستطيعون أن يجلسوا معاً جميعاً

وساروا الى العربى وأخذ الرجل بيد مستر بكوك فى غير مبالاة قائلاً : « هيا ... هيا ... اصعد » وقد أراد بذلك أن يقلل من أهمية هذا الرئيس ، وينال من وقاره ومحشمه بطريقة ملهوسة . وسأل السائى الرجل : « هل من متاع أيتها السيد ؟ »

— من ؟ أنا ؟ ليس سوى هذه الحزمة المنقوفة فى الورق البنى ، فقد أرسأت بطريق الماء متاعى الثقيل — صندوق كبير ثقيل ... كالنزال فى حجمها ... ثقيل ، ثقيل جداً !

يرتدى حلة خضراء ، ظهر فجأة فى تلك الساحة ورد عليه الجميع قائلى : « هؤلاء خبرون » وأرعد مستر بكوك قائلاً : « لسنأ كما يدعون » ، وكان لقوله هذا نفمة مؤثرة حتى لتتخذ سبيلها إلى أى قلب لا يلين لماطفة

أما هذا القادم فقد شق بعرقه طريقاً له فى هذا الجمع ، وراح يتساءل موجهاً قوله إلى مستر بكوك : « لسنأ كما يقولون إذا ؟ » « لسنأ كما يقولون ؟ » وأوضح له ذلك الرجل المتقف حقيقة الأمر ، فتقدم وجذب مستر بكوك فى شبه قهر ليخرجه من زحمة الناس ، وانهر الحوذى وعصرفه عنه ، وسار إلى خان هناك يتبعه « مستر بكوك ورفاقه ، وجلسوا يشربون ويطمعون

وبينا كان رفاق مستر بكوك يقدمون لذلك الشخص شكرانهم ، أخذ ويثبهم بلى نظرات فاحصة على هندام الرجل ومظهره

كان طوله وسطاً ولكن يحول جسمه وطول ساقيه جملاه يبدو أطول مما كان ؛ وكانت حلته الخضراء ملبساً أنيقاً شائماً فى أيام سالفه ، بيد أنها كانت كما يظهر فى جلاء ترين رجلاً أقصر قامته منه ، فأن ردها الخائلى اللون اللطخين لا يكادان يصلان إلى رصفيه ، وقد أحكت الأزرار سدها حتى المنق مما جعلها توشك أن تنقد من خاف ؛ ولم تك تبتين العين حول عنقه قبيصاً ، إذ لم يك ثمة شئ سوى قطعة رنة من القماش تحلى بجيده ، وكانت تتناثر هنا وهناك فى سرواله الأسود الضيق رقع واخنة : نهض دلياً على قدم عهده . ولقد ربط هذا السروال ربطاً محكاً فى نهاية ساقيه فوق حذائه البالى الخفيفى جورباً أبيض قدراً ، تراءى للإعين على الرغم من ذلك ، وكان شمره الأسود ينساب فى خصل تكلى على جانبيه قبمته القديمة المنفضنة ،

وتسادل مستر سند جراسى : — أثبتدت ذلك النظر الفخم أيها السيد ؟

— « نعم ... رأيته رأى الدين ... أطلقت

رصاصة ... ثم أطلقت فكرة ... اندفعت الى

حانة خمر ... أثبتتها ... عدت ثانية ... أزيز ...

عزيف ... فكرة أخرى ... حانة الخمر ثانية ...

قلم وجر ... عدت ثانية ... طعن ... ضرب ...

ساعة مشهورة ياسيدى ... ثم اتجه الرجل بفتة الى

مستر دنكل سائلاً أياه : « أنت رجل صيد وطرود

أيها السيد ؟ »

— « بعض هذا أيها السيد »

— « أن هذا الطرد أمر جميل ... هل لديك

كلاب أيها السيد ؟ »

— « لا ... ليس لدى منها شيء بعد »

— « آه ... ينبغي أن يكون لديك عدد من كلاب

الصيد ... حيوانات ظريفة ... مخلوقات عاقلة ...

ذات يوم كلبى ... اسمه بوتتو ... عزيزة مدهشة .

خرجت للصيد يوماً ... خطوت لأجتاز سياجاً .

أطلقت من فمى صغيراً ... الكلب لا يتحرك ...

صغير ثانية ... بوتتو لا يقدم ... واقف لا يتحرك

هتفت به بوتتو ؟ بوتتو ... لا يريد أن يتحرك .

واقف فى مكانه ينظر إلى لوحة رفعت بصرى

فرايت عبارة غمطولة « لدى حراس الصيد أوامر

أن يطلقوا النار على أى كلب يجتاز السياج » ،

لم يشأ أن يجتازه ... كلب مدهش كلب ثمين

حقاً كلبى هذا ... ، وتكلم مستر بكوك قائلاً :

« هذا شاهد عجيب ، هل تأذن لى أن أسجل هنا

مذكرة عنه ؟ »

— « أسمع ولا ريب ... لا ريب أيها السيد ..

مائة قصة عن هذا الحيوان إذا شئت »

(هائس)

(يتبع)

وكان الرجل بدس تلك الحزمة فى جيبه وهو
يجيب السائق ، وأكبر الظن أنها كانت تحتوى
على قبيص ومندبل

واستأنف الرجل عباراته حين اقتربت العربى

من قوس أقيم على الطريق كان فى تلك الأيام بمثابة

مدخل لساحة العربات قائلاً : — « الرؤوس ،

الرؤوس ، خذوا حذركم هذا مكان خفيف ، هل

خطر ... ذات يوم ... خمسة أطفال ... أم ...

سيدة طويلة القامة تأكل قطعة من الخبز ... نصبت

القوس ... احتكاك صدمة .. ينظر الأطفال وراءهم ...

رأس الأم قد طارت ... قطعة الخبز فى يدها ...

لم يعد هناك فم يلتصقها ... رأس أسرة طارت ...

مؤلم مؤلم ... أتراك تنظر الى « هويت هول » أيها

السيد ؟ إيه أيها السيد ؟ أتراك تنظر اليه ؟ إيه !

أتراك ... ؟

وأجاب مستر بكوك : « كلا إنما أفكر فى ذلك

التقلب الذى يلزم أحوال الناس »

— « آه ... أفهم ما تريد ، أنت فياسوف

أيها السيد ؟ »

— « أنا رجس أدرس وألاحظ الطبيعة

البشرية عن كسب ياسيدى »

— « وأنا مثلك ، وإنك ترى معظم الناس

كذلك ، حين لا يكون لديهم عمل ، وحيث

لا ينتظرون كبير منم . أنت شاعر أيها السيد ؟ »

— « لا وإنما تجد صديقى مستر سند جراسى

قد امتاز بحاسة شاعرة »

— « وأنا مثله ... ملحمة طويلة ... عشرة

آلاف سطر ... ثورة يوليو ... نظمت فى

المكان نفسه ... مارس إله الحرب نهارة ... أو لو

إله الفناء ليلا ... أعزف أناشودة الميدان وأغنى

على القيثارة »

الصَّيْنِيَّ

قِصَّةٌ وَاقِعِيَّةٌ نَالَتْ الْجَائِزَةَ فِي مُسَابَقَةِ الْقِصَصِ
الْوَاقِعِيَّةِ فِي مَجَلَّةِ (تَرْوِيسْتُورِي) الْأَنْجَلِيزِيَّةِ

بِقَلَمِ أَحْمَدَ فَتْحِي مُرْسِيٍّ

وقد قدمتنى إلى صديق
لها يدرس في كلية الهندسة ،
يدعى جون بارت ، وقد
صادف هوى في نفسى
فتملقتة ، إلا أن هذه الصلة
لم تدم طويلا ، فقد قدمنى
بدوره إلى صديق آخر كان
له أبعاد الأثر في حياتى ، إذ
قلب نظامها رأسا على عقب ،

فطالما كان يحدثنى جون عن صديق له اسمه هارى لى ،
كثيرا ما كان يصفه بالذكاء وينمته بالجد فيقول :
— أنفذ قريحة عرقها باروز ... حتى ليخيل

إلى أنها تكبره بسنتين عدة

وأصدقك القول أنى لم أحاول التعرف إلى ذلك
الصديق الجديد ، فقد كان في جون كل ما أمله من
حياتى ، وكل ما أتمناه من عيشى ... وأخيرا شاء
التقدير أن يجمعنى بهارى ... وكان ذلك في الربيع
الباكر ، وكنت قد صحبت رث ليرى إلى قاعة
المحاضرات ، وكانت قد غصت بالدموعين ، فلم يبق
لنا مكان ما . وفجأة أخذت عيناى جون بارت ،
وهو ينحنى لنا نصف انحناء ويدعونا للجلوس فى
القاعدتين اللذين أخلاهما هو وزميله قائلا :

— سأستند إلى الحائط مع هارى قليلا

ومضت برهة قبل أن أجول بعينى لأرى
هارى ، ولكن وقع نظرى عليه أخيرا ، وكانت
نظراته كلها مصوبة إلى ؟ وقد سرت في جسدى
عدة خفيفة ، عندما سرحت الطرف فى وجهه
قليلا فاذا به صينى الخلقة ...

وكان هارى أقصر قامة من جون ، ولكنه

كان والذى يمارضان أشد المعارضة فى إتمام
دراستى وإكمال ثقافتى فى الجامعة ، فعند ما أعربت
لها عن رغبتى فى الالتحاق بتلك الكلية القريبة
من المنزل ، وقفا أمامى حجر عثرة فى سبيل تحقيق
هذه الأمنية !

ولقد كانت منظر الفتیان والفتيات وهم فى
طريقهم إلى الجامعة يبعث فى نفسى الحسد ،
ويؤجج بين جوانحي نيران التيرة . وطالما قالت
لى والذى وأنا جالسة إلى النافذة :

— إنى لا أحتمل أن أراك تذهبين إلى مثل
هذا المكان يا روز ، فكم هو حافل بالافراء ، وكم
هو غاص بمن لا أخلاق لهم !

وكان والذى لا يقل عن والذى اصرارا ، على
الرغم من أنه كان يحرص على ألا يفضب وحيدته ،
ولكن الالتحاق كان من طباعى ، فلم أزل بهما حتى
جهنهما يزلان على رغبتى ، وينصاعان لأرادتى
التحققت بالجامعة ، وسرعات ما توثقت
عزى الصداقة بينى وبين زميلة مرحلة ، من الأراضى
الوسطى تدعى رث ليرى ، وكانت تدرس بكلية
العلوم بالجامعة

لا يخلو من سمات الجمال . فما كان أجل وجهه الهادئ وأروع ابتسامته الساحرة !

وتوثقت الصلة وكثر التلاقى ، على أن ذلك لم يكن يشغله قط غنى استيعاب دروسه ، وصراجه بحموه ، فكثيرا ما كان يحدثني عن أماله الواسعة وآراؤه البعيدة ... كان يأمل أن يكون استاذًا في جامعة بكين في القريب العاجل

وكثر خروجنا الى الرياض الناضرة ، وارتدادنا الروح الزاهرة ، بين حديثه المذبذب وسموه الممتع ... ولقد حدثني مرة عن شجرة تفاح كثيرا ما اتخذ مجلسه تحت أفيائها المديدة ، وفي ظلها الظليلة ، فسرنا بها والقمر يرسل أشعته النضية الى السهل فتففض أرجاءه وتشيب نواصيه ... وإن أنس لا أنس تلك الجلسة الهادئة تحت أفنان شجرة التفاح وبين أغصانها التهذلة ... جلس كل منا يتأمل الآخر في ضوء القمر المرسل ، وأخيرا افترق نثره عن ابتسامته هادئة ثم قال :

— إنك مثل زهرة التفاح ياروز ، جمالا وروعة وسجرا

ومضت الأيام تتبع الأيام ، والشهور تقفو أثر الشهور ، وكل منا لا يزيد إلا تملقا بالآخر ، وتشوقا للقاء ، إلى أن كانت ليلة مقمرة من ليالي الصيف ، خرجنا فيها معًا نتمشى في ذلك الطريق الضيق خلف بناء الجامعة ، وإذا بهاري يضع يديه على كتفي فجأة قائلاً :

— روز إن حياتنا الآن تبدو كما لو كنا في زورق ، وسط بحر رهيب تهددنا أمواجه في لين ، وبين زبح رخاء تدفقنا خفقاتها في رفق ؛ أفترى يسير بنا الزورق إلى النهاية أم ينقلب الحال ،

كان مفتول العضل ، قوى الساعدين ، وكان مستنداً الى الحائط ، وهو ينظر الى كأنما يريد أن يلهمني نظراته ، فرائي الخجل وأدرت وجهي الى الجهة الأخرى ، ولكنني وجدت في نفسي شعورا غريباً يدعوني الى التحديق في وجهه ثانية ، وكان كما يلتقي النظران أحس بشعور من الرهبة يسيطر على نفسي ويملك على مشاعري

وعندما انفرط عقد الحفل ، كنت أود أن أهرب من ذلك الاحساس التسلط على قلبي ، ولكن جون ورفيقه كانا في انتظارنا فلم أتمكن من الإفلات . وكانت رث قد عرفت هاري من قبل فلم يبد عليها أى اهتمام ، أما أنا فقد صحبتته الى المنزل وقد حدثني هاري في الطريق عن المحاضرة ، وكان طريف القول ، جذاب الحديث ، دافع الحجة ، يجمع الى ذلك بساطة في التعبير ، وهدوء في النفس ؛ وهنا فقط أدركت صحة قول جون بارت « ان قريحته تكبره بسنين عدة »

ولما بلغنا المنزل دعاني الى زهرة خلوية بين الرياض ظهر اليوم التالي ترويحاً للنفس من عناء الأعمال ، واستجماعاً للفكر من النصب والللال ، فقبلت دعوتي وانصرفت شاكرة

وعندما قابلني هاري ظهر اليوم التالي حل الى باقة من الزهر ، يفوح منها شذا الطير ، ويبدو عليها جمال التنسيق ؛ ثم قدمها الى قائلاً :

— إنك زهرة ناضرة كهذه الزهور ياروز ومنذ تلك الزهرة أصبحت أرى شخصية هاري تتسلط على نفسي كل التسلط ؛ وكنت أعزو ذلك في أول الأمر الى اختلاف جنسيتنا ، وبين مشربتنا ، وتباعد وطنينا ، على الرغم من أنه كان

أطار سواها ، فانتقل بها والدى إلى مقاطعة
ديفونشير وطننا الأول لتتنامى الحادث ، وتغفى
عن ذكرياته المؤلمة

وقد ولد لنا طفلنا الأول فى شهر ابريل ، وكان
السقام قد بلغ فى مبلغنا كنت أخال معه أنى أنأرجع
بين الحياة والوت ؟ وكانت تمنى بأمرى مع هارى
بمرضه تسهر على ، وترى مضجعى

وفى اليوم الرابع بدأت أستروح نسيات الحياة
وأردت أنفاس المافية ، فزال عنى السقام ولب إلى
الرشد ، فرحت
أجول يصرى فى
أرجاء العرفة .
فأذا كل شىء على
حاله وإذا بهارى
واقف بجانب
السرى ينظر إلى فى
عطف ... وسمعت
صوت الطيب
يقول :

— لقد زال

عنها كل شىء الآن .

فبان السرور فى هارى وصاح :

— لملك تشرمن الآن يمسح التحسن بإروز .
أترغبين فى رؤية طفلنا الدئير ؟ إنه فى خير صحة وأتم
عافية ... ثم ذهب وعاد بعد برهة يحمل الصغير فى
لغافته ، ووضع بين ذراعى لحظة ، ثم رفعه قليلاً
لأتبين وجهه فحمد الله فى عروق ... ليس هذا
طفلى قط ... ما هذه الحلقة الغريبة ... وما هاتان
العينان الضيقتان ... وما هذا الأنف الأرقى ...

فيضطرب البحر الهادى وتثور الريح الساكنة ،
فتنتهى الرحلة النهائية ؛ وتنقطع السفرة السميدة ،
وأدركت فى الحال ما يرى إليه فقلت :

— ستسير إلى النهاية يا هارى ... إننى لا أعبأ
باللجة وإن أزيدت ، ولا أحفل بالريح وإن عصفت ،
ولا أخشى شيئاً ما دمت فى جوارك

— روزا ! إننى أحبك ... وسأحبك دائماً وإن
فرقت بيننا يد الدهر ، وفصمت عرمانا مشيتة
القدر ... إن هذا يمزج على نفسى ولكنى يجب أن

أذهب . إن الحوائل

دون الزواج عديدة
يأروز ، ولكن حبي
للكلن يقضى ماتماق
الجديدان ...

ولكن ذهابه
كان فيه تحطيم قلبى ،
وعدم الزواج كان
فيه تحطيم آمالى ،
فأبيت عليه ذلك ،
وأخيراً قر عزمنا
على الزواج مهما
كلفتنا المجازفة

ولم يمض شهر على ذلك حتى كنا زوجين هائنين
يضمنا منزل صغير على مقربة من الجامعة ، أفردنا
فيه أنفسنا عن العالم ، وأخذنا إلى عيشة الأمان
والسكنية

وعلى كان زواجى صاعقة انقضت على والدى ،
فغارت بمقلبيها ، خاصة وقد علما أنه شرق المولد ،
سبني الأصل . وقد بلغت الصدمة من والدتى مبلغاً



— أريد أمي ... أريد أمي ... فاسمع جواب هاري كأنه صادر من غور بعيد :

— سمعاً يا عزيزتي ، سأرسل في طلبها اليوم وبعد أيام حضر والدائي من (ديفونشير) ، ومضت أسابيع قبل أن أجد في نفسي القدرة على السفر ... وأخيراً تأتت إليّ بعض عافيتي فأخذنا أهبتنا ، وأعدنا عدتنا ، وجعلنا النبال وجهتنا ونزلت بأرض الميلاد ، مجرى الصبا وملعبه ، فجددت أيام الطفولة الراحلة ، وليالي الشباب السعيدة ، وحرصت على ألا تعود في الذكريات إلى الخلف ، أو يأخذني الحنين إلى السالف

ومضى على ذلك عامان ، وأما سعيدة هائلة الميش ، إلى أن كان يوم وقعت في يديّ بحلة الجامعة ، ولا أعلم من أرسلها إليّ ، ولكنني أرتجح أن تكون صدّيقتي « رث ليري » ... فجلست أنصفها إلى أن وقع نظري فجأة على هذه الجملة التي غيضت الدم من وجهي :

« نأسف الجامعة كل الأسف لوفاة الأستاذ هاري لي ، الأستاذ بجامعة بكين بالصين ، وخبرج الجامعة بمد حياة قصيرة قضاها في خدمة العلم » فملت وجهي غمامة من الحزن ، وتساءلت الدموع على خديّ ... وأصدقت القول أن موت هاري لي لم يكن شيئاً بجانب شيء آخر ... ذلك هو الطفل ... ماذا جد من أمره ؟ ... وما مصيره اليوم ؟ الموت دون شك

وأقبل الربيع ، فصحبت والدتي في رحلة إلى جزائر اللادبرا ، وهناك التقيت بـجيمالد كبلانو ، وهو شاب إنجليزي يكبرني بضع سنوات ، ويشغل

وما هذا الشعر الملتوي ؟ كلا كلا ... إن في الأمر خطأ ما ... ليس هذا الدم طفلي ... ثم صحت في رعب :

— خذه عني بعيداً أيها الرجل ! هذا فظليع ، ليس هذا ولدي ... خذه عني بعيداً ! فبان الألم في وجه هاري ورفغ الطفل عني في رفق

إنني لم أحلم يوماً أن يكون طفلنا كهذا الطفل الدميم ... ونقل عليّ الداء من أثر الصدمة ، وعزّنتي رجفة سريعة من أعلى رأسي إلى أخمص قدمي ، فأمرعت إلى الممرضة ، وأخذت تسري عني وتخفف من لوعتي ... أما هاري فكان جامداً كالتمثال ، وبين يديه الطفل ، وكان وجهه شاحباً ، وعيناه غائرتين حزنتين ... في لحظة واحدة تغير الحال وتبدل الأمر ، وأصبح ذلك الرجل وولده يفيضين إليّ كل البغض ، حتى إنني لم أطق النظر إليهما ، فصحت :

— اذهب عني بعيداً أيها الرجل ... إنني أمقتك من كل قلبي ... اذهب عني بعيداً إنني لا أطيق أن أراك حيالاً ، لا أنت — ولا طفلك الدميم ...

وأخذتني ثورة من الغضب ، فأمرعت الممرضة إليه قائلة :

— الأفضل أن تذهب الآن يا مستر لي ، إنها لا تني ما تقول الآن

ولكنني كنت أمي ما أقوله تماماً ، ولقد رأيت هاري ينكس على عقبيه تجاه الباب ، ثم أخذني الاغماء وعودتي النفسية ... ومضى على ذلك أيام وأنا لا أكاد أمي ما يدور حولي ، وما يجري بجانبني . وكل ما أذكر الآن أنني كنت أردد دائماً :

وبلشنا شنفهائى فقابلنا « ولارد كاين » وهو صديق قديم لجيرالد ، وكانت معه زوجته وأخوها السيد جورج بايل ، فذهبوا للإقامة معهم فى منزلهم الرقيق فى الضواحي ريثما ينتهى جيرالد أعماله ويهوى إلينا فى نهاية الأسبوع . فلبينا الدعوة وكان المنزل صغيراً جيداً ، تحيط به الحدائق من كل صوب ، وتلتف به مروج السهول ، ويجرى من تحته نهر رائق الماء عذب اللورد

وعلى الرغم من كل ذلك فاقى كنت أوثر سككى المدينة ؟ فيها تأنس نفسى ، ويسكن قلبى ، وابتعد عن تلك المشاهد المؤثرة ... فلطالما كنت أرقب الصينيين ساعدين إلى ذروة التل ، أوها باعين إلى قرارة السهل ، وقد أضانهم الجوع وانفوا بهلونهم من الطوى . وكان يقول لى خاندانى يوتج :
— إنهم جياح ياسيدتى ... يبحثون عما يتبلنون به ...

وخرجنا ذات يوم لزيارة ذلك البعبد العتيق القائم على ضفة النهر فقال يوتج : ... إنه خاص بالكهوف والخابئ ... التى سيلجأ إليها هؤلاء الجياح عندما يقومون بثورتهم ليتعزوا بها من أعدائهم

وقد قابلنا أحد هؤلاء الجياح عند ضفة النهر فسالنا عما إذا كنا إنجليزاً ، وأخذت آرت تضحك منه وتحدثت معه برهة ثم سألته عن اسمه فقال : واه بو

وفى صباح اليوم التالى بينا كنت فى حديقة المنزل ، وقع نظرى فجأة على واه بو وزميل له يجهدان فى وجهى بفنول عيب فلما رأتى واه بو

فى تجارة الآلات ، فراءه جمالى ، وعلقته جمالى ، ورأيت منه ما رأى منى ، فأنست إليه ، وألفت صحبته ... ولم يعض على ذلك ثلاثة أسابيع حتى كنا زوجين . وكان الذى قد أسر إليه بزواجى السابق وأخبره أن الرجل قد مات ، ولكنه لم ينس أمامه بيت شفة من أصله ولا من موطنه

ومضى علينا زمن رفت فيه علينا ظلال الأمن ورفرفت فوقنا أجنحة السعادة ، إلى أن رزقنا الله طفلة أسميناها آن روز ، تجمع إلى رائع قسبتها ، وجميل ملاحظها ، صهبة شمى ، وصفاء عيني أبيها

وكان اتساع أعمال جيرالد يتطلب منه طول التجوال ، ودوام الترحال ، ولم أتمكن من استصحابه فى أسفاره ، حالما كانت آن صغيرة ؟ فلما شبت وترعرت ، كنت أتركها تحت عين المربية ، حتى نعود من سفراتنا

ولما بلغت آن السابعة من عمرها ، أدركت والدى الغيبة ، ولم تلبث والدى أن لحقت به بعد بضع سنوات

ومضت الأيام إثر الأيام ، والسنين تلو السنين إلى أن كان يوم من أيام الصيف ، أخبرنى فيه جيرالد أن أعماله تضطره إلى السفر إلى شنفهائى لأتجاز بمض مهام الشركة فى الصين ، وزاد على ذلك أن مدير الشركة رجاً منه أن تزامن كريمة ماري وحيدتنا آن فى رحلتها

وبعد أيام كنا فى طريقنا . وكانت ماري تكبر آن بمدة سنين ، ولكنهما تألفا تألف الأخوات وتعلقت كل منهما صاحبتها

— إنني لست كلباً يا سيدتي فأطرد كما تطرد

الكلاب ...

فقلت وأنا أغالب الدمع :

— إذن ، إذن ما الذي تريد مني ؟ ...

فقال في سكوت :

— لا شيء يا سيدتي ... إلا أن أخبرك أنني

أحتقر كل الانجليز ، ولوددت والله لو كانت رقابهم

طوع يعني ... إذن لما أتيت عليهم

ثم استدار على عقبه دون أن ينبس ببنت

شفة ، ومضى لسبيله على ضفة النهر وأنا جامدة في

مكانى أتابعه بنظري وهو يتقدم عني رويداً .. رويداً

وإذا بنظري يقع فجأة على ستة رجال عثلون

أمامه في هيئة وجلال لم أتيت معرفة أحداً منهم

سوى راهب . وقد رأيت (لى) يتحدث معهم

لحظة ثم يولى لهم بطرف البنان إلى أن ومارى

وكانتا تتضاحكان على ضفة النهر ، وقد جالس بوش

على كسب منهما ، وأسرع الرجال تلبية لأوامر

زعيمهم فأحاطوا بالفتاتين ... وانتبه بوش فأمرخ

إليهما فلطمه أحد الرجال ... وسمعت في هذه

اللحظة صوت لى هائج قائلاً :

— هيا ... هيا اسرعوا بهما

وألجم الخوف لسانى ، وأسقط في يدي ،

وحاولت الصباح ، فلم أسمع صيحي ، وأخيراً

أسرعت إلى هنج متوسلة :

— لى هائج ... لا تفعل ذلك ... رفقاً بي ...

لا تفعل ذلك يا هائج . فتوقف عن السير لحظة ثم

نظر إلى وكانت عيناه كميون الوقي شاخصة

لا تتحرك ، جامدة لا تطرف ... ثم قال :

— غداً سيمود زوجك من شنهائى ...

خذي منه القدية ... وسأرسل لك راجاً راجاً غداً

ابتمس وأغار إلى زميله قائلاً :

— صديق لى هائج يا سيدتي

وكانت عينا لى هنج الضيقتان مصوبتين إلى

كأنهما قطعتان سوداوان من الزجاج ... وهنبا

أحسست بالوحشة ... وبدأت تتمثل أمامى مخاوف

الصين ، وجممت بالنكوص على عقبي إلى المنزل ، فقد

كانت عينا لى هنج كأبرتين استقرنا في فؤادى .

سرطان مأحول هو وصديقه ومضيا لسبيلهما فعدت

إلى المنزل أجر ساقى جراً

وقد رأيت مرة أخرى مع جورج بابلي فقال

لى باسماً :

— يقال إن لى هائج هذا نصف انجليزى

— نصف انجليزى ؟

— أجل ... فقد كان والده أستاذاً في جامعة

بكين ... ومات وهو طفل ... فنشأ بائساً طريداً ...

وأحسست في هذه اللحظة أن الأرض تدور من

حولى ، وأن رأسي يثقل على رويداً رويداً ؛

فاستأذنت وقصدت غرفتي فلم أتم تلك الليلة ، ولم

يطرق الكرى جفتي ، فتنازعني الهموم ، وتناجلتني

الوساوس ... ما أشقانى ... لقد جنيت عليه ...

يا لآسهي أهذا جزاء ما قدمت يداي ؟ ... أرى

سقتني إلى هنا ليقتنى مبرح الألم ولأنال

صارم الجزاء ؟

وخرجت إلى ضفة النهر ، حين تنفس الصبح

أنشد النسيان على ضفافه النضيرة . ولشد ما كانت

دهشتي عندما وجدت نفسي أمام لى هائج وجهها

لوجه ... ولقد أربعتي منظره ، وأخافتني عيناه

فهتفت في صوت مخنوق :

— إذهب ... إذهب غنى ببيداً ... فقال

في هدوء :

الأخت البارة ، فأخذت تدرى عني ، وتطمأنني على الفتاتين ، ثم قالت إن أخاها خرج لدبث عنهما وفي ظهر اليوم التالي وصل جيرالد والسيد كلين ... وكان يوج قد طلع عليهما بحيلة الخبر ، فتطير جيرالد وجزع كلين ، ورفض الانتظار ربنا يصل رسول هانج ، نخرجنا جميعاً ووجهتنا .

ذلك المبد الذي
اتخذ هذه هؤلاء
الأشجار حصناً
يتحصنون به ،
وملجأ بشحرون
فيه من غارة
القمير وهجوم
المادي ... ولفنا
المبد . وما إن
توغلنا في مماشيه
المظلمة وفي مسالكه
المحاجة ، حتى أحاط
بنا فجأة ستة رجال ،
ولكنني دفعتهم في
شدة وشقت طريق
إلى لي هانج سائلة :



ووصلت السيدة كلين على صوت صراخ
الفتيات وهويلهن ... فأمرعت إليهما ، ولكن
الرجال وقفوا في سبيلها فصاحت فيهم :
— سيكون الموت جزاءكم على هذا أبها
المجرمون
وكانت آن تناديني وهي تصرخ بأكية بين حين

وآخر ... فطار
صوابي وألقيت
بنفسي على هانج
فدفنى بيده قائلاً :
— تنحني عني
أيتها المرأة ...
جهزي المال غدًا
فتصاد إليك الفتاتان
— هانج ... !
أصغ إلى ... لحظة
واحدة يا هانج ...
فدفنى ثانية ؛
ولكنني تشببت به
قائلة :

— هانج ! لا
يمكن أن تفعل

ذلك ... إلى أمك يا هانج ... إنها أختك هذه
التي بين يدي الرجال ... هانج ...
وأخذني القهول ... ودارت بي الأرض
الفضاء . ثم سقطت مفتشياً على

عند ما أفتت من الانغناء كنت راقدة على
السرى وبجانبي السيدة كلين التي كانت لي نعم

أين هانج يا هانج ... أين الفتاتان ؟
وفي تلك اللحظة برز (وادو) بين مسخور
المبد وهو يحجز بذراعيه الفتاتين فأمرع إليهما
أحد الرجال ليعينه على إعادتهما إلى غبائهما ، فتعك
جيرالد القضب وطار له ، وفقد صوابه ، فقبض
على مسدسه وصوبه إلى ذلك الرجل ، ثم أطلق
عليه النار ، فأرداه قتيلاً بتفجّر دمائه

تحت أقدامه بعد أن لقي حتفه في سبيل انقاذ حياته
على الرغم من أنه أساء إليه

ونسيت هذه اللحظة كل شيء في العالم كإللا
هاتين الميتين الوادين اللتين تنظران إلى في حزن ،
والا ذلك الوجه الشاحب الذي أذبله الموت وملأه
الأسى ، فركت بجانبه ورفست رأسه على ذراعي
فابتسم هامساً في كلمات متقطعة :

— عفواً يا سيدي ... لقد ... كان عملاً
جنونياً ... إنني ... لم أسوء ... إليهما ... ولكن
حقاً ما كانت أفساني أن أفرق بين الأم وفلذة
كبدها ... عفواً يا سيدي إنني لست ... جديراً ...
أن تسميني ... بيدك ... السكرعة ...

وشمرت في هذه اللحظة أن قلبه يكاد يقطعاه
الأسى ، وبقره الحزن ، ورفست رأسه إلى جبرالد ، فجنا
بجانبه ، وكان شاحب الوجه غائر العينين ، فقلت له :
— جبرالد ... لقد أتقذ هذا الفتى حيائك ...
أفلا تشيعه بكلمة شكر تخفف عن نفسه ألم الخبز
ووطأة الموت ...

ثم اندفعت أقول في حزن :

— جبرالد ... لن أكتملك شيئاً ... إنه ابني ...
يا جبرالد ... ابن هاري (لي) ، فارتفع حاجبا جبرالد
من الدهشة ، وانسمت حدقتاه ...

حقاً لقد كان من القسوة أن أجابه بهذه الحقيقة
المؤلة في ذلك الظرف المصيب ... وقال في تردد :
— أكان ... أكان هاري لي صنيها ؟

— أجل ... وكان رجلاً كريماً

وفي تلك اللحظة رأيت شقي هانج الدابطين
تهمسان في ألم :

— كم أنت .. كريمة .. يا سيدي .. إن والدي

ثم جي وطيس المركة بين جبرالد وكاين وبين
الصينيين ، وظل القتال سجلاً إلى أن تناب المدد
على القوة ، فاستسلم جبرالد ، ولطف من كبريائه ،
وخفف من غلوائه ، ووقف مفيطاً عنقاً ... وهو
ينظر إليهم شزراً ... والتقت عيناى بعيني هانج
وكانتا تسمان بريق الحزن والمطف ثم قلت :

— أنوسل اليك يا هانج لا تسمها بسوء
وهنا لم يطلق جبرالد أن يراني أنوسل الى ذلك
الرجل فقال :

— أنتوسلين إلى ذلك المجرم ياروز ؟ ثم اندفع
إلى هانج في غضب ولطمه لطمه قوية . فابتسم هانج
ولم يتمايل في جاسته ، ولم تنفرج شفاه عن كلمة ما ،
بل ظل جامداً هادئاً ... وشهد الرجال ما حل
بزعيمهم ، فلاثم الغضب ، وأخفتهم الحية ، فصوب
أحدهم مسدسه الى جبرالد ، وهم بإطلاق النار ،
واسكن هانج كان أسرع منه ، فألقى بنفسه في طريق
الطاق ، واعترضه بصدره قبل أن يصل إلى جبرالد ،
فنفذت الرصاصة في أضله ، واستقرت في قلبه

وسقط لي هانج قائل حوله الرجال ، ونظرت
إليه فاذا الألم يملأ عينيه وهو يحدق في وجهي في
صمت ... ثم غمغم لي رجلاه يضع كلمات لا تخلو
من لهجة الأسر ، فانطلق منهم اثنان ، ثم عادا بعد
برهة قصيرة ومعهما الفتاتان ... واندفعت الى أن
تطوقني بذراعيها ... ووقع بصري من فوق كتفها
لجأة على هانج وهو يحاول أن يدير رأسه في ألم
لينظر الى ... وكان الألم قد أذبل جفنيه ، وأطفا
بريق عينيه ، وغمر وجهه فيداً ساهماً حزناً

وإلى هذه اللحظة لم يكن يعلم جبرالد شيئاً عن
حقيقة هذا الشاب الكريم الذي يلفظ أنفاسه

تعلّى أنى قت بما ترغبين ... انه يرقد الآن
بجوار والده

— شكراً لك يا جبرالد

وعدنا الى الوطن العزيز ، ومضت الأيام تتبع
الأيام ، والشهور تت رسم خطى الشهور ، الى أن كان
يوم أدهشتني فيه أن بقولها :

والدتي ... ان شبح لي هائج لا يزال ماثلاً في
خاطري لقد سمعت والدي يقول : (يجب أن
تنساه) . ولكن لماذا تنساه ؟ أليس هو الذى أنقذ
حياته ؟ لقد كان نبيلاً حقاً يا والدتي . فنند ما أخذونا
اليه أكرم وفادتنا ، وكثيراً ما كان يجلس الى قاتلا :
أختي الصغيرة .. كم أنت جميلة كزهرة التفاح !
ولما جن الليل تنحى لنا عن مرقدته وافتش
هو الأرض .. كم أنا حزينة عليه يا والدتي ! .. وكـ
أحاول نسيانه فلا يسمدنى القلب !

فنظرت اليها في عطف ... ثم قلت لها وأنا
أغالب الدمع :

— حقاً يا آن ... لقد كان شاباً نبيلاً ؟

أحمد فنى مرسى

يرقد في بكين .. وأود أن .. أرقد في جواره ..
فقلت له :

— سيكون لك ذلك يا هائج

ونسى جبرالد كل شيء إلا أنه في حفرة
شاب ليلفظ أنفاسه الأخيرة بين يديه ، بمد أن
نجاه من الهلاك ؟ فأنحى عليه في رفق ، وأخذ
يمسح عنه الدرق المتصيب من جبهته
وخفضت بصرى فاذا عينا هائج الحزینتان
لا نحولان عن وجهى ، وكأنها سهام مسددة الى
صميم فؤادى ... يا إلهى لساذا أنيت من أقصى
العالم الى هنا ؟ ... ألتشهد الأم الجاحدة مصرع
ابنها الطريد ... أم ليلفظ الابن أنفاسه الأخيرة
بين ذراعى أمه ... هاتان الذراعان الجاحدتان اللتان
نبذاه طفلاً ، ونحتاه وليداً

ومررت يدي على جبهته الباردة ... فابتسم
قاتلاً في صوت خافت :

— سيدنى الكريمة ...

ثم أطبق شفثيه اللابلتين ، وأغمض عينيه
الصافيتين ، ومال برأسه الشاحب الى الخلف
وقام جبرالد فرفعه من بين ذراعى ، فقلت له
وأنا أغالب الدمع :

— يجب أن يرقد ذلك الفتى بجانب أبيه
يا جبرالد

— سأعمل على ذلك يا روز

وعدنا الى المنزل ، وأنا ذاهلة تماماً عما حولي ،
لأعني شيئاً ، ولأدرك قولاً ، وبعد أيام أعددتنا عدتنا
وأخذنا أهبتنا ، وعدنا الى شنهائى ، ثم قصدنا
لنرا الى الباخرة ، فلما وطأناها أندامنا نظر الى
جبرالد قاتلاً :

— روز ... قبل أن تغادر الصين .. يجب أن

قصص اجتماعية

مترجمه بقلم الأستاذ محمد عبد الله عثمان

مجموعة من القصص الرفيع الشائق لثمانية من أعلام
الأدب الفرنسى م : بورجييه . كوييه . أناتول فرانس .
موباسان . تيريه . مارسيل ريفو . دي بانفيل . جان
لوران . مع تراجمهم النقدية . ومترجمة بأسلوب فائق .
في ثلاثة أجزاء طبع دار السكتب
ثمنه ١٠ قروش وبيع مؤقتاً بـ ٦ قروش بخم ٤٠ ٪
عند البريد وهو قرشان لماخل القطر وأربعة خارجه
ويطلب من إدارة الرسالة وجيع المكناب

من رأسى النوم . وتمتدت لو يقع الآن حادث أقوم له ومسى الأمور . ولكن الحوادث كالقطع إذا ناديتها رفضت الجوى وإذا طردتها جاءت تتمسح بالأقدام . ولم أجند ما أضع . وخالجنى ريب وشكوك . وطال الليل ونظرى وسمج وتمتدت طلوع النهار . وأردت أن أشغل فكرى بتدوين يومياتي فجمسد القلم في يدي . ووقع بصري على أكوام من قضايا الجرح والمخالفات والموارض من « إيراد » اليوميين السابقين أرسلها إلى كاتب الجدول لقراءتها وتقييدها ووصف التهمة وتقديمها إلى الجلسات . فلم آتس عنسدى ميلا إلى العمل . فأتجهت إلى النافذة وفتحها واستنشقت هواء الليل الرطب ، ونظرت إلى النجوم تشرف على هذا السكون الشامل في هذا الريف النائم ، كأنها عيون ساهرة مظلمة على خفايا الأشياء ...

نحاة خطرى أن أرتدى ثيابي وأن أنزل إلى الطريق وأرود حول منزل الأمور . ما هذا الجنون؟ أنا أفعل ذلك؟ وإذا (ضبطي) خفير الدرك؟ إنه قد يعرف شخصي فيمتدثر . ولكنه سيخبر الناس ويشيع الخبر وتكون الفضيحة . لا مفر إذن من انتظار الصباح وما يأتي به ...

على أن الله لطف في آخر الأمر فأرسل إلى إشارة تليفونية ، طالعتها في الحال فاذا هي واقعة نافذة مما لا تقوم لمثلها بالليل :

« ... مرور قطار البضاعة نمرة ٢٠٩ خط الدلتا الضيقة عنده الكيلو ١٧ أثناء عمل مناورة وجد مسار حدادي على الشريط . والحادثة بفعل فاعل مجهول ... الخالخ » . وقد أشر الأمور في ذيل الإشارة بالتدابير حضرة معاون الإدارة للانتقال وإخطار البك وكيل النيابة للعلم . ومعنى ذلك أنه لن يقوم ولا يبدل أن أقوم . ولكن كيف أضيع

وهي لا تعرف أحدا في هذا المركز ولا أهل لها به . هنا صاحب الأمور كن وجد الحل السعيد الموفق :

— المسألة بسيطة . البنت تنام في بيتي للصباح . فالتفتنا إليه جميعا في شبه ذعر ؟ ثم تماكنا أنفسنا ، ولست أدري كيف دب فينا نحن الحاضرين نفس الشمور في نفس الوقت . حتى الشيخ عصفور ، وقد زحف خلفي ودلف إلى الحجرة ، ظهر في عينيه القلق . وكان الموقف دقيقا . إن أى اعتراض منا معناه الريبة في سلوك حضرة الأمور ؟ ومن جهة أخرى إذا سلمناه هذا الحل الوديع فإن الله وحده هو المنجى . فهذا الأمور قد شاعت له شائعة أنه استملح ذات يوم فلاحه دخات عليه بشكوى ، وأراد أن يحتل بها ، فأمر عسكريه وخفراءه أن يدخلوا سجن المركز ويحلقوا ذقون الساجين . فلما دخلوا أغلق عليهم الباب من الخارج وحبسهم ساعة انفرد خلالها بالرأى . تذكرت ذلك وقلت في نفسي : إذا سادت الأمور وتمحرجت فأى عبء يوقر ضميرى أنا وكيل النيابة الذى دفع بيده هذه التفاحة البائنة إلى هذه الأنياب التى يسيل منها اللعاب ؟ ! العجيب أن الحاضرين كلهم قد أطرقوا ووجوا كن قد أيقن وقدر أنها أكلت ومضت وانتهى الأمر ! وأراد الأمور أن يدخل علينا الاطمئنان فقال :

أنا غرضي أنها تكون في محل أمين بين زوجتي وأولادى

ولم أجدد بدأ من الاذعان . وتركت المكان وانصرفت إلى منزلى . وتناولت شيئا من الطعام على مجل . ثم أويت إلى فراشى واستغرقت في نوم لم أسمع منه إلا عند منتصف الليل . قمت عطشان فشربت جرعة من « القلة » الفخار بالنافذة . وتذكوت الفتاة ونحيلتها في بيت صاحبنا فنفر

ولم أعقب على كلامه بحرف ، ولم أنبس طول الطريق بكلمة حتى بلغنا السكك ١٧ ، ووجدنا عمال الدريسة وقطار البضاعة وسائقه . وقدم إلينا صاحب الممدة المتبار ، وأشار إلى عربة محملة بأكياس من الفطن كادت تخرج عن القضيب ، فتنازلت المتبار بين أصابعي وجعلت أخضه ، والمأمور خفي بقول باسمك :

— « كان المطشحي فين ، لما الوابور . وقع انكسر ! » ، فعلت أنه مهزل ، وأنه يشير إلى تلك الأغنية التي كانت شائعة منذ ثلاثين عاماً يوم كانت شفيقة التبطينة تجلس على عرش الطرب . وسمع السائق تلك العبارة وحماها محل الجد فتقدم يقول :
* — لا حصل كسر ولا وقوع يا فندم ! وأنا ساعة الحادثة كنت جنب القرمة ، ورهطت في الحال ...

ومضى يسرد آراءه قائلاً إن أهل هذه المنطقة بسطاء المقول ولهم من أصلاب تلك القرية التي « عزمت » القطار في أول ظفوره وقدمت إليه الطعام والشراب ، ولا يبعد أن يكون أحد هؤلاء الأهل قد دفعه البسط أو حب الاستطلاع أن يضع هذا المسار على الخط الجديد ليرى ما يصنع القطار ، وكيف يتصرف ، وكيف يقع على جنبه أو على وجهه . وتقدم عامل دريسة فقال : إن المسألة ليست مسألة بساطة أو بلاهة . إنما هو انتقام من الشركة ، فالأهالي في هذه الجهة يبشرون على استخراج الحصى من الجبل ونقله على الخير والجبال ويومه للمقاولين ، فجاءت شركة سكك الحديد الداتا الانجليزية فدفدت هذا الخط حديثاً إلى الجبل وخصت نفسها بهذا المورد وانترعت بذلك حتى هذا الحصى من أقفوا هؤلاء الجبال الساكنين ، وسواء كان هذا هو السبب أو ذاك فإن القابل هنا أيضاً غير معروف ولا ينتظر معرفته . وقد انتهى من الأمر بأن

هذه الفرصة التي هبطت من السماء ؟ ليس أحب إلى الليلة من أن أفلح راحتي وراحة حضرة المأمور . وارتدت في الحال ثيابي وأمرت بإحضار السيارة وصررت بتزل صاحبنا . وأطلقت عليه من يوسع بابه طرقات ويخبره بالتقالي . فأطل الرجل من نافذة صانحاً :
— مسبار صغير تقوم له كلنا بالليل !
فأخرجت رأسي من نافذة السيارة :

— لو كانت إبرة . مادامت الحادثة بفعل فاعل أصبحت جنائية . لاحظ أنها جنائية تعميل قطار ، أخطر جنائية في الدنيا . لا بد من حضورك يا حضرة المأمور — أنا ... أنا انتدبت مامون الإدارة
— لا بد من حضورك شخصياً
— الليلة .. مستحيل .. أنا الليلة .. تبيان ..
— كلنا في التسب سواء ؛ لكن الواجب

يختم علينا .
فأطرق المأمور لحظة مفكر في ضيق وامتناض ، ورأى عزمي وسألتني ، وخشى أن يمارضني في أمر متعلق بالعمل ، فأذعن وطلب إلى الانتظار هنيهة حتى يرتدى ثيابه ، وتزل وجلس إلى جانبي في السيارة وهو ينفخ من الفيط . وتنهت إلى غيبة الشيخ عصفور . إذ على الرغم من صوت البوق لم يبد له أثر ؛ وكان فكر المأمور مشغولاً هذه المرة ، فلم يفتن لغياب الشيخ ، فلقد مضى في إطرافه برهة ثم قال :

— أي نعم ! الواجب يختم علينا .. لكن يعني .. مسبار ؟ فأغمضت عيني حتى لا ينتظر مني جواباً ، فاستطرد :

— الله عسيه بالخير وكيل النيابة سلفك . كان يسأل في قضية القتل شاهدين لا غير ويقفل محضره ويعمل على : « هو القتل أبونا والآن أخونا ؟ قم نبل ريقنا بكس » !

— التحقيق انتهى ؟
 — من زمان !
 فنظر إلى المائدة التي لم يوضع عليها شيء بعد
 ثم نظر إلى :
 — جميع الشهود أعطوا أقوالهم ؟
 — جميعهم
 — ولا شاهد واحد فاضل . . ؟
 — ولا ربع شاهد
 فتركني وخرج سريعا ثم عاد بعد قليل يجذب
 أحد الأهالي من « حرامه » ودفعه أمامي دفعا
 وأشار إليه وقال :
 — شاهد مهم قوى ، عنده أقوال
 فأبدت ارتياحي في قيمة كلام هذا الرجل
 ورغبتي في الاكتفاء بمن سألت من شهود . ولكن
 الأمور ألح في الرجاء أن أصنى إلى هذا الشاهد فإن
 لديه معلومات ذات أهمية عظمى . فنشرت ورق
 من جديد وماكدت أبدأ في إلقاء السؤال ، حتى
 برز المدة وخلفه خدمه يضعون الطعام على المائدة .
 وارتفع صوت سيد الدار يدعونا إلى الفطور .
 فاعتذرت بضعف محتي وأمسأكي عن الأكل عادة
 في الصباح . فانطلق من فم المدة قسم غليظ .
 وتواطأ في الحال مع الأمور على محلي من مكاني حكا .
 وإذا في أجند نفسي في صدر المائدة . فأذهنت ،
 وجعلت أنظر ساعة إلى هؤلاء المحاورات وبينهم
 الأمور بأكلون وينهشون وزددون وقد انشغلوا
 بأنفسهم فلم يفتنوا حتى إلى قلة أكلهم . وقت من
 بينهم متسللا بعد قليل وجلست في مكاني الأول
 أنتظر تارة وأنصف محضري تارة إلى أن فرغوا من
 أحمر بطونهم وأطوا على مافوق الخوان وقاموا عسجون
 أيديهم في غطاء المائدة التي لم ير وجه الصابون
 منذ عامين ، وأقبل على الأمور بتجشأ ويقول :

وضمنا السبار داخل « حرز » وختمنا عليه بالشمع
 الأحمر وأدققناه بالأوراق ... إلى آخر هذا الكلام
 الرسمي الذي هو كل بضاعتنا ، وكان الندي قد
 تساقط على رؤوسنا فرأى الأمور فتح المحضر في
 « دوار » المدة ، فسألت عن المسافة بيننا وبينه ،
 فرد نائبه قائلاً :

— « فركة كمب » يا حضرة البك !

فصدقناه ، وسرنا على أقدامنا حتى كادت
 مفاصلنا تتخلع ، وما وصلنا حتى أذن الفجر في
 زاوية الناحية ، وتركنا الأمور « يسبخ » لنائب
 المدة على « فركة » الكمب ، وأنهمكت في فتح
 المحضر وسؤال الشهود حتى فرغت منهم جميعا ،
 وأردت أن أختم محضري ، وإذا في أرى حركة
 نصب مائدة وإعداد طعام وحضرة الأمور قائما
 قاعدا ينظر في الخوان ويدخل ويخرج دون أن أعلم
 ما يشغل من الأمر ، وأخيرا سمعته يقول للمدة في
 ناحية :

— اسمع يا عمده ! البك الوكيل لا يحب الخرفان
 على الصبح ولا الدبوك ولا حاجة أبدا ، ولكن لا بأس
 من كم زغولة مدفونة في الأرض ، والقراقيش إياها
 والغطير المشلتت ؛ وإن كان عليه كم كتكوت محرماني
 ضرر ، والبن الرابب طبعاً شيء مفيد للصحبة . ولا
 بأس من كم بيضة مقلية في الشدة ، كغاية ، إياك
 يا عمدة تعمل حاجة زائدة ، البك الوكيل أكلته
 ضيفة . إن كان عندك عسل محل يشمه فلا بأس .
 قرصين جبنه ضاني لا مانع ، طبق كمك وغريبة ..
 الفرض حاجات خفيفة لطيفة وإنبت سيد المارقين !
 أطرقت لهذا الكلام واجر وجهي ولم أدر ما
 أضح . ورأيت الخبر في أن أسرع بالانصراف .
 فطويت أوراق على محلي . ولكن عين الأمور
 لحظتني وأدرك غرضي . فجاءني مسرعاً يسألني :

حياة ، فوفقت قليلاً وقد شرد خاطري ، وخاصرتي
إحساس من يقف في اللحظة بين القطر . نعم ،
أو لست الساعة في تلك اللحظة التي يسافر منها
الريض إلى العالم الآخر ؟ وحانت مني التفاته إلى
باب المستشفى الكبير ورأيت المسكري المكلف
بالحراسة يطرد زرافات النساء المجتمعات في ثيابهن
السودو « طرحهن » الزرق وأصواتهن التي يقطعها
عويل القلق . فعلت أنه سيق إلى هنا بجثة بعد
قليل . فأنهم في كل يوم يلقون خارج أسوار هذا
المكان بجثة أو جثتين ليفترسها الحزن الرابض
بالباب ذو الثياب الأزرق في لون « النيلة » والمخالب
المفر بالطين والتراب

وفتح باب قاعة العمليات وخرج معرض يحمل
دلواً فيه دم سائل ومتجمد وقطع من اللحم كأنها
أحشاء خروف ، فنظرت في ذلك ، فقال لي الرجل
إن هذا خرج من بطن امرأة هي الساعة فوق
الشرحة تحت البنج ، فجذبت في موقفي ، وبادر
للمأمور وطلب باسمي مقابلة الحكيمباشي في الحال .
فذهب المرض وعاد يفتح لنا باب قاعة العمليات ،
فتجلدت ودخلت وخلفي من كان معي ، فقباني
الحكيمباشي بإبتسامة وهو مازال منحنيًا في حيطفه
الأبيض على شيء فوق المشرحة وقد شمر عن ذراعيه
وفي يده أداة كأنها « الكاشة » وحوله رطع من
أصدقائه غير الأطباء عرفت منهم بعض الأعيان في
ملابسهم المادية . فدنوت ونظرت إلى الذي بين
يديه فإذا هو جسم فتاة قد شق بطنها شقًا طويلاً
من الصدر حتى أسفل البطن ، وإذا « الكاشة »
في يده تجمع الجلد الذي انشق وتخطيه بشيء كأنه
المسامير الصغيرة ، والطبيب يفعل ذلك في سرعة
غريبة وهو يثرثر مع ضيوفه مازما ضاحكاً كأنه
« حلو » بفخر بخفة يده وهزاره صنعته . ونظرت

— أظن نرجع ما دام التحقيق انتهي
فأشرت إلى الشاهد الذي كان جاءني به وقد
نسيه فيما يظهر :

— لما نسال الشاهد المهم :

فأجاب المأمور من فوره :

— لا مهم ولا حاجة

وتركني وأجه إلى الفلاح وقال له :

— أنت يا ولد عندك معلومات ؟

فأجاب الفلاح :

— « نَحْ »

أي لا ، فالتفت إلى المأمور قائلاً :

— جئنا الله في برسيمه ! لا عنده معلومات

ولا يحزنون . قم بنا يا سمادة البك نرجع بلدنا .

ونهضنا عائدين ، وقد ارتفعت الشمس . ولم نكد

نبلغ ديار المركز حتى أقبل علينا « البلوكامين »

بحمل إشارة من المستشفى الأميرى أن المصاب « قر

الدولة علوان » قد أفاق من غيبوبته الآن ويمكن

استجوابه ، فأمرعنا إلى المستشفى لا نلوي على شيء ،

خشية أن يعود المصاب إلى الأغواء أو سوء الحال

فلا نستطيع أبداً أن نستخلص من بين شفتيه

سر الحادث

ودخلنا المستشفى وسألنا عن « الحكيمباشي »

فقبلنا لأنه في قاعة العمليات ، فسرنا في الردة

الموصلة إليها ، فقابلتنا تلك الأسرة الصغيرة والمحفات

التي تجري على مجلات فوق الأسفلت كأنها عربات

الحالين في المحطات الكبرى ، ورأينا تلك المياخر

وأدوات التعميم تدفع على بكر ويتصاعد منها البخار ،

والمرضون في هرج ومرج بأردتهم البيضاء

يدفون تلك المجلات التي تحمل أجساماً في طريق

الفناء ، يدخلون بها تلك القاعة الهيبية ويخرجون

دون أن يبدو على وجوههم أثر اهتمام لموت أو

علينا تشخيصات طبية لم أحفل بها الساعة وقلت :

— الفرض ، يمكننا استجوابه حالاً ؟

فأجاب الطبيب في صوت خافت :

— أظن مع الاختصار السكلى

ثم دنا من المصاب وناداه في هدوء ففتح قليلاً عينين ذهب بريقهما وكأتهما لآريان شيئاً ولا يثبتان على شيء بيمينه . فاقتربت من الرجل وسألته :

— يا قر الدولة ! من ضريك ؟

فلم يجب . فاعدت عليه السؤال ففتح شفتيه ولم يقل شيئاً . فألححت عليه فبذل جهداً ظاهراً وقال كلمة واحدة :

— ريم !

فدهشت قليلاً . والتفت بمنته ويسره فوجدت الأمور وسكر تير التحقيق شأنهما شأن في الاهتمام بالأمور والمجرب له . فنظرت في وجه المصاب وقلت :

— وضع غرضك يا قر !

فلم يجب

— قصدك أن ريم هى نفسها ...

فلم يبد حراكاً ...

— يا قر ، يا علوان . تكلم . لا بد أن تتكلم .

كلمة واحدة . الضارب ؟ من الضارب ؟

ولكننا نطلب المستحيل . فقد انغمض عينيه وقد تقصد جيبته عرقاً . فغذبنى الحكيمبائى من بدى بعيداً وقال :

— كفاية !

فنظرت الى الأمور يائساً :

— كفاية !

وهل ظفرتنا نحن بشئ ؟ لقد كان موقفنا عند دخولنا أوضح منه الآن . إنها كلمة لفظها هذا القم الجاف بمد جهده ، ليته لم يلفظها ...

(يتبع)
توفيق الحكيم

في وجه البنت الشاحب وهى كالليثة ، ثم إلى جلدته بطنها وقد رشقت بالمسامير في صفت طويل كأنها جلدة حذاء في يد الاسكافي ؟ فشمعت بدوار في رأسى وخفت أن أسقط ، فاعتمدت على جانب المشرحة . ولحظ الطبيب اصفرار وجهى فترك المريضة وحدق في وجهى قلقاً . فأسرعت وخرجت من القاعة وأنا أقول له في صوت لم يخرج إلا نصفه من حلق :

— منتظر ك يا دكتور بمد العملية

وسألنى الأمور عما بي فلم أستطع التعليل . إنى قد شاهدت كثيراً من عمليات التشريح ، وطالما رأيت جثثاً تقطع أمامى وبطوناً تبتقر فلم أتاثر . ولكنها كانت أجساداً لا حياة فيها ؛ أترانى شديد التأثر لمرأى الأجسام الحية تتامل معاملة الجادات ؟ أم أنها فضلة من راحة البنج سبق بها جو قاعة العمليات قبلت خياشيمى إذ دنوت من جسم الفتاة ؟ وأعدنى الهواء الطلق خارج القاعة الى نشاطى وجلسنا ننظر في مكتب الحكيمبائى ، ونشرب قهوة طلبها لنا « الباشتمرجى » . الى أن حضر رئيس الدار فقادنا مرحباً الى « غير » المصاب

وجلسنا معه خلال مرات ازدحمت بالأسرة إذ لم تكف « المنابر » لأواء هذا القدو من التمساء . ورأينا الرضى الناقمين من أصحاب « الزعابيب » الزرقاء يتناولون في نهم حساءهم فى أوانٍ صغيرة من « الألومنيوم » ، وينظرون إلينا ومنا الحكيمبائى كما ينظر القردة فى حديقة الحيوانات الى الحراس مع كبار الزائرين

ووصلنا الى سرير « قر الدولة » ، فوجدناه ممدداً لا يتحرك . ونزع الحكيمبائى من رأس السرير تلك الرقعة التى يدون فيها تطورات مرضه وقرأ



استنرافيت في العصر

لألفريد موسى

بقلم الأستاذ فيليكس فارس

(تابع)

الفصل الثالث

سأقص الحوادث التي أصبت فيها أولاً ببدء العصر :

بعد أن مررت الساعرة في ليلة راقصة ، جلست إلى مائدة مع أصحابي ، وقد ارتدوا أنحر ملابسهم ، والقاعة تنفس بالشبيبة النضة تشع مرحاً وجمالاً ، وعلى جانبيها موائد عديدة تحمل أنحر الطعام والشراب ، تفرها الأنوار وتكلمها الأزهار ، والموسيقى تملأ القاعة بصخب الأنغام ؛ وكانت على المقعد المقابل لمعدى الخليفة الزائفة الجمال التي أفتها مبهوداً لقلبي

وكنيت وقتئذ في التاسع عشر من ربيع الحياة ، وما كنيت عرفت شقاء ولا ابتليت بداء ، وكنيت أنوماً لا أعرف المصانعة وفؤادي طامح بالأمال

وفعلت الخمرة فعلها في عروقي ، فبدأ كل ما حولي كأنه موسوم بطابع المرأة التي أحب . ففي مثل هذه النشوة تلوح الدنيا للعاشق جوهرية

تتألق باسم المحبوب من كل جهاتها ، فيكاد النمل يقبل كل من يتسم له ، إذ يشعر بأنه أخ لكل مخلوق في الوجود

وكانت خليلتي قد ضربت لي موعداً للاجتماع بها بعد انقضاء السمر ، فكنت أرفع الكأس إلى شفتي ولحاطي تفور في أحداقها

وأدبرت ظهري للمائدة لآتناول طبقاً فضيقت الشوكة عنها ، وحين انحبت لأرفعها عن الأرض مزيجاً الفطاء المتدلى ، رأيت قدم خليلتي مشتبكة بقدم الشاب القاعد بقربها ، وكانت الساق على الساق تشد إحداها الأخرى

جلست بكل هدوء ، وطلبت شوكة غير التي سقطت وعدت إلى تناول طعامي ، وكانت خليلتي والشاب محتفظين بالسكون التام ، فلا ينظر أحدهما إلى الآخر ولا يتحادثان ؛ بل كان الشاب متكئاً على المائدة ، وقد أدار وجهه إلى جارة له كانت تربه

وما كانت أصابع رجلى تلمس الأرض لشدة تشنج أعصابى . وصرت على ساعه وأنا على هذه الحالة من الهياج والجنون ، وكانت هذه أول نوبة غضب شمرت بها فى حياتى

وكان الرجل الذى باعته مع خليلتى من أعز الأصدقاء على ، فذهبت إليه فى اليوم التالى وقد استصعبت شاباً بعثن الحمامة اسمه (ديجنه) ؛ فأخذ خصمى لنفسه شاهداً آخر وتوجهنا جميعاً ومعنا الأسلحة النارية إلى قبة فنيين ؛ وكنت أثناء الطريق أتحاشى توجيه الخطاب إلى خصمى أو الاقتراب منه ، كيلا أندفع إلى شتمه أو ضربه إذ لم يكن من موجب لهذا الاعتداء ما دام القانون يميز لنا الاشتباك بمركبة منظمة ؛ ولكننى ما كنت أمتلك نظراتى من التوجه إليه ، وكان هذا الشاب من أصدقاء الصبي ، وقد تبادلنا الولاء طوال السنين ، وما كان يجهل علاقتى بخيلتى ، وقد كان صرح لى مراراً بأنه شديد الاحترام لمثل هذه العلاقات ، وأنه لا يقدم على مضايقة صديق له حتى ولو برح المشق به . وكانت ثقى شديدة بهذا الصديق ، وقد لا أكون صاغت يداً بمثل الولاء الذى كنت أضمره له . وحدثت ملياً فى الرجل الذى سمعته يتكلم عن الصداقة كأنه أحد الأبطال الأقدمين ، ثم رأيته بعد ذلك يتمتع بخيلتى ؛ فإذا هو فى عيني أول مسخ أسادفه فى حياتى ؛ فنكنت أثبت النظر فيه لأدري كيف تكون اللسوخ ، وكان يخيل إلى أننى لم أر قط هذا الرجل الذى عرفته وهو فى العاشرة من عمره ، فمرت بنا الأيام من ذلك المهد يوق روابط الولاء بيننا ، وإننى لأورد هنا تشبيهاً ينطبق على حالتي :

عقدتها وأساورها ؛ وكانت خليلتى جامدة ، وقد شخص بصرها وتراخت على مقدمها ، وما انقطعت لحظة من مرافقتها إلى نهاية الطعام ، فلم تبدر منها بإدرة ثم غن حاملها

وعند ما قدم الخادم الحلوى ، زحافت النشفة وانحسبت لأخذها عن الأرض فرأيت الساتين وهما لم يزالا يتشادان مترابطين ، وكنت وعدت خليلتى أن أرافقها بمد الطعام إلى منزلها ، وما كان مايجول دون ذلك ، وهى أرملة وليس لها إلا صهر طاعن فى السن يرافقها أحياناً إلى المجتمعات ؛ وبوصولنا إلى الدليلز أمام المخرج وقفت وقالت : (هيا بنا يا أوكثاف) ، فقمهت ضاحكا ، وخرجت دون أن أفوه بكلمة

اندفعت إلى الشارع ؛ وبمسد أن مشيت خطوات جلست على قارعة الطريق واجما كأنى أصبت بالتمه من خيانة هذه المرأة التى لم تر غيرى يوماً ولانتهت شكوكى ، وما كان الذى رأيت ليترك فى أقل ريب ، فأصبحت لذلك كمن فوجئ بضربة فأس على أم رأسه . وصرت الساعات وأنا جالس على الحجر تمر بذهنى أمور لم أكن لأذكر منها شيئاً فيما بعد . غير أننى رأيت شهاباً ينزلق فى السماء فرمعت قبعتى مسكاً عليه ، والشمرء يرون فى كل شهاب هاو عاكاً يندثر

ورجعت بكل سكون إلى منزلى ، وأنا لا أذى وبدأت أخلع أثوابى ، ثم انطرحت على سريري ، وما أنقيت رأسى على الوسادة حتى استولت على فكرة الانتقام ، فانتفضت وجلست ، وقد توترت عضلاتى فأصبحت كقطعة من خشب . قفزت إلى الأرض ومددت ذراعى وبدأت أصرخ ،

بمبدأ من العظم ؛ غير أنني كنت أغفل إلى درجة جعلت كل محاولة لتضميد الجرح مستحيلة . وعند ما تحركت العربة للسير رأيت يد خصمي تاقضة على طارئة الباب وهي ترتجف ؛ وكنت أشعر أنه مخلص في ندمه ، ولكنني لم أكن بمجاله تمكنني من التقلب على ثورة أعصابي لمنعه الففران

ولما وصلت إلى مسكني كان قد نزع من دمي ما يكفي لهدئة دوران الغضب ، وكان أشد على من آلام جرحي . استلقيت على فراشي مرتاحاً وتناولت من الماء كأساً لم أشعر بلذته مثل لذته في أية كأس شربتها في حياتي

وبعد بركة شمعت بنار الحمى فتساقطت دموعي وتسلط الأمل على ، لالتحول خيلي عني بل لأقدامها على خدائي . وهل يسهل على أن أدرك السبب الذي يحفز امرأة لا يقيدوها واجب ولا غاية بداية إلى خادعة رجل وهي تحب سواء

وكنت أعلن استغرابي هذا لديجته عشر مرات في اليوم فأقول له :

— لو أنني كنت زوجاً لهذه المرأة ، أولو كنت أبذل المال لها لكانت أفهم سبب خيانتها . فما الذي كان يصدها يترى عن إعلان انتهاء حبها لي ؟ وما الذي دعاها إلى خيانتها ؟

وما كنت أتصور وقوع الكذب في الغرام . كنت لم أزل في شرخ الشباب في ذلك الزمن ؛ غير أنني أعترف بقصورى حتى الآن من إدراك هذا السر . ولقد كنت كلما أحجبت امرأة أعلن لها حبى ، وكلما شمعت بزوال الحب أعلنه أيضاً ؛ إذ كنت أعتقد أن مثل هذه الأمور لا سيطرة لارادتنا عليها ، وأن لا جريمة إلا في الكذب

— إن في رواية إسبانية معروفة مشهد شخص من حجر يرسله المدل الأسهى ليتناول طعام المشاء مع رجل عاهر ، فيتجلد هذا الرجل كيلاً يلح جلجسه اضطرابه ، ولكن الجليس يتقدم لمصاحفته ، وعندما يقبض على يده يشمر الرجل بصقيع الموت ويرتمس حتى يفقد شعوره

ولقد كنت طول حياتي كلما تكشف لي صديق أو خلية عن غدر وخديعة أشعر بما لأجد له شيئاً سوى مصاحفة يد الخيال ، فكانتني كنت أقبض حقيقة على يد من رخام تشمرني بصقيع الحقيقة الروعة

تلك هي مصاحفة اليد الباردة . ولكم طرقت بابي وأأسفاه — ولكم نزل الرجل الحجري في ضيافتي فتناولنا المشاء معاً !

وتحت الميدات فوقفت من خصمي موقفه مني وتقدم كل منا يبطء نحو الآخر ؛ وأطلق هو النار أولاً فأصابني في ساعدي الأيمن ، فتناولت السلاح بيدى اليسرى ، ولكن خائنتي القوى فجئت راكمًا على ركبة واحدة . وعندئذ رأيت خصمي يتقدم إلى بسرعة وقد اعتقع لونه وبت عليه دلائل الاضطراب الشديد ، وترا كض الشاهدان فأبهدهما هو وقبض على بدى الجريحة وقد صرف بأسنانه واختنق صوته فرأيت الألم يرسم على وجهه بأشد مما كنت أشعر به

فصحت به : اذهب عني ، اذهب إليها وامسح يدك بقطاء فراشها . وبقيتنا كأن على صدر كل منا حجرًا

ونقلت إلى عربة حيث عابني طبيب فوجد أن الجرح غير خطر لأن الرصاصة كانت استقرت

ثوبها وتهدل شعرها ، فرأيت فيها من الجلال ما لم أراه من قبل ، فارتشت كرهاً واشتمت رائحةً بينما كانت الشهوة تتورق في دمي

خرجت من لثنها وقد تحطمت قواي وصممت على ألا أقابلها أبداً ، ولكنني رجعت إليها قبل مضي ربع ساعة وأنا مندفع بقوة خفي كنهها علي ، وقد تسلطت على شهوة التمتع بهذه المرأة مرة أخيرة لأشرب على جسدها الرائع الجلال كل ما ذرفت من مرير الدموع ولأنتحر بعد ذلك

كنت أكرهها وأعبدتها ، كنت أشعر أن غرامها يورثني الهلاك ، وأشعر أيضاً أنني لا أقوى على الحياة بدونها . صعدت إلى غرفتها بسرعة الدهم المنطلق دون أن التفت إلى الخدم في طريق ، ودفت باب غرفتها بخانة فرأيتها جالسة إلى المرأة وقد تحملت بجميع جواهرها ، وكانت وصيفتها واقفة وراءها تمشط شعرها ، يغيل إلى أنني أشهد حلماً ، إذ امتنع على أن أتصور أن المرأة التي أراها أمامي هي المرأة نفسها التي كانت منذ هنية ساقطة على الأرض تحت وقر آلامها

تبحرت كالتمثال مكاني ، وعند ما سمعت انفتاح الباب التفتت وقالت قبل أن ترائي : أهذا أنت ؟ ؟

وكانت تنتظر خصمي ليذهب بها إلى مرقص . وإذا عرفتي قطبت حاجبها وتبرمت . وتراجعت قاصداً الانسحاب ، ولكنني رأيت رقيبها الناهمة وقد عقص عليها شعرها وربط عليه مشط من اللاس ، والثفت فوقه خصلتان ركزتا بسنيلتين من الفضة ، ولاج كنفها وعنتها بأنصع بياض ؟ فكان شعرها المقوص مرتفعاً لبدة أسد نهراً

أما ديجنه فما كان يجب على كل هذا إلا بقوله : إنها لشقية . فمدني ألا تنظر إلى وجهها فيما بعد

وكنيت أقسم له باتباع نصيحته . وقد أشار على فضلاً عن عدم مقابلتها ألا أكتب إليها حتى ولو بقصد توبيخها ، وألا أجلبها إذا هي كتبت إلي . وما ترددت في وعده بما أريد وأنا مندفع بل متألم لعمزة نفسي لاقتراضه إمكان مخالفتي لهذه الخطوة الرشيدة

ولكنني ما تمكنت من النهوض من فراشي ومبارحة غرفتي حتى هربت إلى منزل خليلتي فرأيتها وحدها على مقعد في غرفتها وقد ظهر التعب على ملامحها والاهمال في ترتيب أثوابها . فاندفت أشبعها لوماً وتقريماً ، وقد بلغ مني اليأس أقصاه . فكنت أصرخ بملء صوتي ودموعي تتساقط بفرازة ، وخفقي الزفير فانطرحت على السرير وأنا أقول : لقد كنت تملين أن خيانتك تقضي على أيتها الخائنة الشقية ؟ فهل لذت لك هذه الجنابة ؟ وما هو ذنبي إليك ياترى ؟

أما هي فانطرحت على تمانقي قائلة : لقد اندفعت بالرغم مني لأن ذلك الشاب كان قد أسكرني على المائدة ؟ ولكنني لم أستسلم إليه ، بل كل ما وقع هو أنني تراخيت في ساعة ضلال . ولقد أكون أخطأت ولكنني لم أرتكب جرماً . إنني أقدر الضرر الفادح الذي أتزنته بك ، ولكنني أطمع في عفوك ، فإذا أنت منعتني عن قتلي

وما ادخرت شيئاً من دموع التوبة الصادقة ولا من فصاحة الألم توصلاً لتعزيتي ، وارتعت على ركبتني في وسط القاعة وقد امتنع لونها وتفتق

وقلت لها :

— ليكن ماتريدن ، ولكنني أقسم بالله الذي يرانا ، وبروح أبي أني سأقتلك وأتخر ببدك —
وأخذت خنجرأ كان على رف اللوقد ودسسته تحت الوسادة فابتسمت وقبلتي قائلة : — ما لك ولهذه الحفاة يا أوكثاف ؟ تمال إلى ا إناك تهرق نفسك وأنت محموم ، أعطني هذا الخنجر ولا رأيت أنها تحاول أخذه قلت لها :

— إسنى إلى . إننى لا أعرف من أنت ولا أية مهزلة تميلين ؟ أما أنا فليس من الهازل ما أفعل . لقد بلغ حبي اياك أقصى حد يصل إليه حب إنسان على الأرض فكان ذلك لشقائى وموقى ، فاعلمى أننى لم أزل أنفانى فى هواك . تقولين إنك تحبيننى أيضاً فأما أطاوعك فى رغبتك ، وأقسم بأقدس ما فى الكون بأننى إذا ما اندمجت بك ههنا المساء فلن يلمسك أحد سوى غداً . سأنتمع بك أمام الله إذا مارضيت ، ولكننى سأقتلك قبل انفلاق الصباح وارتميت على الأرض صرتمشاً ، فرأيتهما تلتقي ممطفا على كتفها بسرعة وتولى الأدبار

وعند ما أخبرت (ديجنه) بهذه الحادثة قالى :
ولساذا رددتها ؟ إنها لجليلة حقاً . فهل بلغ كرهك لها إلى هذا الحد ؟

فأجبتة : أمازح أنت ؟ وهل لهذه المرأة أن تكون خليلتى بعد الآن ؟ وهل تمنقد أن بامكانى أن أشارك فيها مع سوى ؟ أفلا تذكر أنها أقرت بتمتع غيرى بها ؟ فهل بعد ذلك تريد أن أنسى وأستبقى حبي لها وأنتعج بها أيضاً ؟

فليكس فارس

(يتبع)

بالشهد الدليل الذى وقفت عنده منذ هنية .

وجت لحظة ثم تقدمت فجأة إلى هذه المرأة وأزلت بقبضتى ضربة قاسية على رقبها فلم تصرخ بل سقطت إلى الأمام صرتمية على يديها . وعندئذ أمرعت بالانصراف

وما إن وصات إلى منزلى حتى عاودتنى الحمى بشدة ، فلزمت الفراش وقد نكأ جرحى فأتانى كثيراً . وجاء ديجنه لبيادنى فأطلمته على ما جرى ؛ وبعد أن أصنى إلى بكل هدوء أخذ يتمشى فى الغرفة كمن عزم على أمر يتردد فى تنفيذه . وأخيراً وقف أمامى وأطلق ضحكة عالية وقال :

— أهذه المرأة أولى خليلاتك ؟

قلت : — لا بل هى الأخيرة

وعند منتصف الليل بينما كنت مستغرقاً فى نوى المضطرب خيل إلى أننى أسمع نهذاً عميقاً ، وإذا فتحت عيني رأيت خليلتى واقفة قرب سرى وقد شبكت يديها على صدرها كأنها شبح من العالم الثانى ، فما ملكت روعى فصرخت حاسباً أن ما أراه خيال جسمه دماغى المحموم ، فنهضت مذعوراً وهربت إلى زاوية الغرفة ولكنها تبمنى وقالت :
أنا هى . وضمتنى إليها فصحت بها : — ماذا تطللين ؟ دعينى وشائى وإلا قتلتك

فقال : — لك أنت تقتلنى فأنى خنتك وكذبت عليك ، وما أنا إلا شقية حقيرة ، ولكننى لا أطيق الحياة بدونك

ونظرت إليها فاذا هى مجسم الجمال ، وقد ارتمشت أعضاؤها واشتعلت عيناها بنيران الشهوة ؛ وكان عنقها عارياً وشفتاها متحرقان ، فطوقتها بذراعى



هوميروس



الأوليسس لهوميروس

بقلم الأستاذ دريني خشبة

(تابع)

النيا، وأنه عائد إلى وطنه بعد أن ينتصر على أعدائه،
ويزيقهم ضعف ما صنعوا، ولن يجديهم أن يتوخوا
أو يندموا .. ليأتينكم نبؤه بعد حين !
وسخر القوم واستهزأوا به، وقام يورناك
يرجه بهذه الكلمات :

« اقلب إلى دارك أيها المجوز الخرف ! هل
إلى أحفادك الكسالى فتنبأهم بما ينبغي أن يأخذوا
حذرهم منه ! لقد قصف النون غصن أوديسيوس
الفيثان . فليتة قصف غصنك كذلك ! طير ؟ ها
إن الطير طالما يستنسر في سماء إيثاكا ؟ إن أكبر
الظن أنك تطعم في منحة من ابن مولاك تايلاك ..
ولكن اصغ إلى ! لتكن لك منحة منا إن تنبأت له
عما يكاد يذهب بك وبه من بلطشتنا إن لم يختر
نفسه ! أسمعتم ؟ لقد نصحنه أن يرسل أمه إلى
بيت أبيها ليختار لها الكفء الذي ترضى ، فلم
ينتصح . وأنا أرسلها كلمة صريحة في غير مين أننا لن
نبرح عاكفين على ما نحن فيه من هذا الخبر (حتى

وما كاد يفرغ تلك من مقالته حتى أرسل
سيد الأواب تسرين عظيمين طلقا يضربان الهواء
بخوافيهما ، ثم جملا يدومان فوق الماء ، ويقدران
الشر من أعينهما ... نذيرى ردى ، وصيحة
منون . ثم انطلقا نحو المدينة وغابا في ظلام البعد
وشده القوم ، وريمت أفئدة المشاق ، وأخذوا
يتخافتون ... ثم نهض فيهم القديس هاليتير بن
نسطور المروف بورعه وصديق نبؤه ، فقال :

« أيها الناس ! يا أبناء إيثاكا ! اسمعوا وعوا !
ليحذر المشاق المعاميد ما ينبغي لهم الغيب من شر
أوشك أن ينقذف على رؤوسهم ! إن أوديسيوس حي
يزرق ، وإنه عائد يوما إلى وطنه ، بل إنه يجد السير إلى
هنا ! وإنه يحمل الموت الأجر إلى خصومه ، والخير
الأخضر إلى مواطنيه ! أنا هاليتير ، قد نكسكم الذي
لا يكذب قد أنبأه قبل أن يعجز إلى طروادة بذلك

« إسمعوا إلى يا أهل إيثاكا ! ما لكم اليوم قد نسيتم آلاء ملككم أوديسوس عليكم ، وهو الذي كان يرعاكم كأب ، ويهدق عليكم من فيضه العميم ؟ ما لكم قد تقاعدتم دون هؤلاء الشاق الذين يذهبون بخير عولاكم ويأكلون مال ابنه بغير الحق ، وهم قُلُّ وأنتم كُثُر ، آمنين مطعنين ، لا يرهبون أوبة مفاجئة من البطل الشرير ... ؟ »

وهاجت كلمة الرجل كوامن المشاق فهب أحدكم وهو ليوكريتوس ، يقول :

« زويدك يا منطور ! أيها الترانة المسجول ! كيف تجرؤ أيها الرجل فتثير الشعب على المشاق وهم سادتك ؟ هل أعجبتك كثرتهم يا منطور ؟ إذن فأبشر بمجزهم دون ما ابتغيت ، وتق أن ملك إيثاكا نفسه لن يستطيع معهم شيئا إذا حاول إخراجهم من بيته هذا ، إذا قدر له يوما أن يعود ؟ إنه إذا فعل قسديق وبال أمره ، ولن تنال منا حماقاتك ولا نبوءات هالتيير ، وبتلوط نفسها لن تُبهر بأوبة أوديسوس ؟ ! ولكن اسمع أيها الشيخ ، إنه لن يضيرنا أن يذهب تلياخوس فيذرع البحر باحثا عن والده ، وله أن يتخير من السفن ما يشاء ... »

وتفرق القوم ، وأمرع المشاق إلى خيامهم ، وانقلب تلياك إلى سيف البحر ، حيث وقف فوق سخرة فائقة يناجي مينرفا :

« أيها الربة المباركة ! يا إلهة الحكمة مينرفا ! يا من كنت أبسر ضيفة مكرمة تحت سقف هذا البيت ؟ أصل لك ، أنا تلياخوس الشمس ، وأبطل أن تباركيني وتسدي خطواني ، وتكوني رائدى الأمن في عباب هذا البحر ، وأن تشدى أزرى وتكوني مى إلإ على هؤلاء الفساق المراسيد ،

تخضع بتلوط) فتمضى ماجورين . . وثق ، أيها الشيخ المهيب الخوف أن نبوءاتك لن تفرعنا ، بل هي تضاعف سخطنا عليك ، وبفضاءنا لك ... ألا ما أطيب الأقامة هنا ؟ ! لتردد بتلوط عنادا ، فاما لا تزداد إلا جلادا .. »

ونفس تلياك فقال :

« على رسلك يا بورماخوس ! وعلى رسلكم أيها المشاق جميعا ... لقد أرسلتها كلمة حتى فلم تستمعوا لها ! أبدا ! أن أضرع إليكم مرة أخرى ... الآلهة بيني وبينكم ، والأخريين أجمع أعلم بأمرى وأمركم ؛ غير أن لي طلبة إليكم جيدا لو أنتم دعوني لإها . . . فهل تسمحون لي بمركب وعشرين بحارا فأقلع من فوري هذا إلى بيلوس ثم إلى أسبرطة ، عسى أن أسمع خبرا عن أبي ، أو ألتقف نبوءة من سيد الأوب التي بيده ملكوت كل شيء . . . إنى إذا علمت أن أبي ما زال حيا فقد أوفق في العثور عليه ولو بعد حين ، أما إذا استيقنت من هلاكه فاني عائد إلى إيثاكا فقيم له نصبا يتفق وهذا المجد الباذخ والذكر التليد ، ثم يكون لي مطلق الحرية في منح أحدكم بدأى فتكون زوجه الخالصة إلى الأبد ، بعد أن أتم لأبي كل المراسيم الجنائزية ، لتقر روحه العظيمة ، وتسكن إلى دهبها في ظلال هيدز ^(١) »

وكان في المجتمعين رجل تبدو عليه غايل النبل ، وتندق في رأسه جمرات الشيب ، تهالك على نفسه حين وقف ينافع عن تلياك ، فإذا هو الشيخ منطور ، الذي كان أوديسوس قد استخلفه على أهله قبل إبحاره إلى طروادة ، لصداقة قوية كانت تجمع بينهما ... قال منطور :

(١) إسم البحار الآخرة في الميثولوجيا

وأفديك .. لكن لنمض الآن فلنمض للرحلة ما هو
حسبها من زاد وعتاد ، ونخبة أولى بأس من
رجالك الأقوياء ، وسأنتقى أنا نفسي أشدهم مراسا
وأصدقهم عزيمة .. إمض على بركة الآلهة ...
إمض ... لا وقت لدينا فنفضيه ... هلم ...
وسكنت ميترفا ... ولكن حرارة كلماتها
أشرقت بالآمال في نفس تلياك ، فذهب وقلبه
يخفى بألب أمنية ... الى القصر ... حيث رأى
المشاق يذبحون ويمدون نار الشواء ، وحيث قفز
أنتيوس للقائه ساخرًا مسهزًا :

تلياك ! نأشدتك الآلهة إلا ما شاركتنا غداها
واطرحت بفضاك هنية ! هلم ! تحس من هذه
الجر قرفًا أيها الصديق . لا يشغلك أمر الرحلة ..
فقد أمرنا أن بمد لك الآخيون سفينة عظيمة
وقدرًا من الزاد كبيرًا ، وعصبة من الرجال أولى
قوة .. وستبحر قريبًا فتدرك البحار وراء أيك .
هلم ... هلم ...

ولكن تلياك عبس عبوسة قاعة وقال :
« أنتينوس ! إليك عني فإ أستطيع مشاركة
خصومي السفلة غداهم ، ولألى قلب فأشرب
النخب من يدك ! لا بورك لكم هذا الذبح الذي
لا يحل لكم ، والذي استبحتموه من غير حق ، إذ
أنا طفل أجبو .. أجل ! لأستمتع لكم الخراب
ولأسمين في حفتكم ، ولأذهبن إلى بيولس فالتصر
إذ عني النصر في إيثاكا ! أيها الذئب ! حتى
سفاتي وعتادي تنكرونها على ! »

وكان اللثم قد أمسك يمين تلياك كالصانع
المستهزئ ، ولكن تلياك جذبها ساخطًا ، وترك
الكلاب تمزقه وتلذه ، وتستهزئ بهذا المون

وأن تشرق في ظلمات رحلتى البعيدة ، وأن تحلى
أمنًا وسلا على ... يا ميترفا ، يا ميترفا ، آمين
ياربة المدالة ... »



واستجابات ميترفا ، وأقبلت في صورة الأمين
منطور حتى كانت قبالة تلياك ، ثم شرعت تسلمه
كلمات هن أروح من أنفاس النجر ، وأندى من
نبات الورد ، وأعذب من قطرات الندى :

« السلام عليك يا تلياخوس ! السلام عليك
حين تثبت أنك ابن أوديسيوس وفرع دوحته
الوارف ، وحين تبدو فيك بدوات من حوله
وطوله وقوة بأسه ، وحين تطلع على بركة السماء
وفي عناية الآلهة ورعاية سيد الأولب ؛ في رحلة
لن تكون عبثًا ... أنت ابن أيك يا تلياك ... أتى
بك من بنلوب ... وآية ذلك هذه الروح القلقة
التي تشيع فيك من أجله ، وهذا الجبروت الذي
هو نفحة منه ، وذلك الصوت الجبار الذي يتلجلج
في فمك كأنه فيض من أسانه ، وذلك الذكاء الوقاد
الذي هو قبس من ذهنه العظيم ... بشارك يا تلياك !
لا يمزك خيال أعدائك فقد أوشك القضاء أن
ينقض على رؤوسهم فيحط بهم ... أنا ... أنا
هذا الشيخ المهذم ، صديق أيك وأمينه منطور ،
سأكون معك ، وسأخدمك ، وأسهر عليك ،

اليوم وفات سحيق في رمس عميق في بلد لانمرفه ا
أتسافر يا تلياك ليأتمر بك هؤلاء الدئاب ، وقد
يسلطون عليك من يتلاك ، ثم يستصفون كل سالك
بمسد ذلك ؟ حاشاك يا بني ! التبق معنا نحن الذين
أحببناك واصطفيناك ا فم تذرع عباب هذا البحر
ولا رحاء لك في مطمح ، ولا ثقة لثقي شيء ؟ »
وأجاب تلياك في رفق :

« رويدك أنت يا ربيبة ! إني لم أعترم شيئا من
تلقاء نفسي ... إنها السماء هي التي توحى إلى ا
ولكني أستحلفك بكل أرباك ألا تقص شيئا مما
اعترفته على أي إلا بمسد احد عشر يوما أو اثني
عشر يوما ... فانها لو علت بسفري لأظلمت في
عينها مباحج الحياة وذهبت نفسها على حشرات »
وأقسمت يوريكيا بكل أربابها ، وانثنت تمى
دنان الحجر وأحمل الدقيق

أما منقرا ! أما ربة العدالة والحكمة الخالدة ،
ذات العينين الزبرجديتين ، فقد عمت شطر البحر
وقصدت الى الرفا ، حيث أقيمت نوعوت بن
فروتيوس سيد الملاحين ، وسألته إحدى جواريه
المنشآت ، فأعد لها واحدة من خيازها .
وما كادت ذكاء تدخل في خدر الأوق ، وما كاد
الشفق يبكي فيصنع بدموعه جبين الدماء حتى كان
للملاحون قد هيأوا القلوع ونشروا الشراع ،
وخبروا مجاذيفهم وأحضروا عُددهم ، وتزودوا
من السلاح ؛ وكانت مينرفا نفسها تستحهم ،
فصرعان أن تهادت السفينة في جَوْها ، ورقعت
نَشوى فوق هامات الثبح

وذهبت مينرفا ، في سورة منظور وفي طيلسانة
فأثرفت على عصبة المشاق ؛ وتمتمت بكلمات

التي يرجوه من يياوس ، وتلك الجحافل التي يأمل
أن يجردها عليهم من أسيرطه ... » ومن بدرى ؟
فقد بهتدى إلى إيفير الثمرة ، فيجد في أعشائها
بقلة يَدس لنا منها في كؤوسنا قريحه منا ... »
« ... بل من بدرى ؟ فلقد يتلمع اليه كما ابتلع
أوديسيوس من قبل ، وتكون هنالك الطامة ! إنا
إذن نقسم هذا المتاع وتلك الضياع ، ثم نهر أحدنا
الذي تختاره ينلوق بملأها ، غادة هيلاس بهذا
القصر المنيف ! ... »

تركهم تلياك ، ومضى قُدما الى غرفة أبيه
بالطابق العلوى ، حيث كنوزه التي لا تقدر ، من
عُدّة للحرب وذهب مدّخر ، وخمر ممتعة وروح
أذفر ، وخز وديباج ودُرّ وجوهر ، ومنافر
أعدت لليوم المنتظر ... يوم يمود أوديسيوس
فيظفر ويهقر ، وبطهر يته من ذاك النفر ...
ووجد عندها حارسها يوريكيا فصباح بها :

« ربيبة ! يوريكيا ! هيا ! صي من تحرك في
زقاق ! من مدامتك التي ادخرتها لأني ... لا ...
لا ... ليس من صفوتها يا ربيبة ، إحتفظلي بصفوتها
له ، املى اثني عشر دنيا ، وهيئ عشرين
جِوالقا من دقيق ، هيا ... أعديها كلّها لتحمل
إلى سفيني بمد أن تمام اللدكة ... لا بعلن أحد
بأسر رحلتى إلى يياوس وأسيرطه ... حتى ولا أي ا
سأرحل ثمة ... سأنتبج أخبار أبي ... »

وصمت تلياك هنيهة ... واستعيرت ربيبة
يوريكيا ، وأرسلت هذه الكلمات على أجنحة من
الحنان ، وفي شقائق من الرحمة :

« رويدك يا بني ! أي سفر وأى نوى ! لقد
انتهى أوديسيوس وانتهى معه كل شيء ! وهو

وتلك الأحمال الى السفينة ! لا أجد يعلم أمر رحلتنا
حتى ولا أى ! فقط ريبقى »

وامتثل للملاحون أمر سيدهم ، ثم تقدمت
ميرثا فركبت السفينة ومن ورائها ابن أوديسيوس
وجلست هي عند الدفة ، ونشط البحارة فهبأوا
الركب ، وحدجت المغرب ربة المداله بعينها
الزرجديتين فهبت النسبات رُخاءً ، ورددت
تحته الأمواج من طرب ، وانتصب تلياك واقفاً
يبحث رجاله ؛ واضطرب الماء تحت حيزوم السفينة
واسطخب ، وصب القوم دنانا من الخمر تقدمه
للآلهة وقرباناً ، ونحية لمرتفا لا تبديد
واحلولك الليل وتدجى غيبه ؛ ثم انجاب
ظلامه عن فجر مبين !

دربنى خمش

(يتبع)

فانتشر الظلام فوق خيامهم ، ولعب الشمس رمل
جفونهم ، وكانت الكؤوس ما تزال تفقهه في
أيديهم ، فسقطت عن غير عمد لتسقى الأرض
من نحمهم شراباً !
وطفقوا تحت طائف الكرى ، ينسلون
الى خيامهم . . .

وأدلفت ميرثا نحو القصر ، لتلقى تلياك :
« تلياك ! هلم ! البدار ! أنت هنا وكل رفاقك
في الفلك المشحون ينتظرونك ! هلم ! يجب ألا
نضيع وقتنا سدى »
وهض تلياك ! وسارت ميرثا ، وسار هو في
أثرها حتى كانا عند سيف البحر ، وحتى أشرقا
على السفينة .

« مرحباً يا رفاق ! هلموا فاحملوا هذه الدنان

بنك مصر

يساعدكم على الادخار من أقرب وأضمن الوجهه

اتصلوا بقسم بيع الأوراق المالية بالتقسيت

واستفيدوا من التوفير المحسوس والضمان الموفور

خابروا قسم التقسيط رأساً بمرکز البنك الرئيسى

بالقاهرة ، وفروعه بالاقاليم

ليس للبنك وكلاء متجولون





الحرورية

جريدة أسبوعية للقصص والبرائح

نصدر مؤقتاً في أول كل شهر وفي نصف

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
أحمد حسن الزيات

برلن الاشتراك من سنة
٣٠ في مصر والسودان
٥٠ في المالك الأخرى
١ ثمن العدد الواحد

الادارة
شارع عبد العزيز رقم ٣٦
التيبة الخضراء — القاهرة
تليفون ٤٣٣٩٠ ، ٥٣٤٥٥

السنة الأولى

٢ محرم سنة ١٣٥٦ — ١٥ مارس سنة ١٩٣٧

العدد الرابع

في الربيع

للقصصى النفسى جى دى موباسان

بقلم أحمد حسن الزيات

وكان الشتاء في عامنا

المتصرم قارساً شديداً
الزمهري ، فكانت الحاجة
إلى التطلق والانبساط
في شهر مايو أشبه بالنشوة
التي تقهر وبالحما التي
تفيض

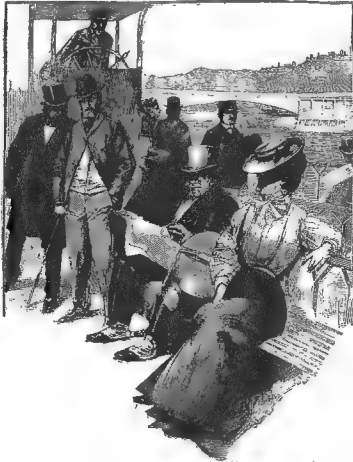
في ذات صباح من
أصبح الربيع تيقظت فإذا
بي ألح من النافذة

بساط السماء الأزرق مدوداً على سطوح المنازل
المجاورة ، وقد اشتعلت الشمس في سرته
وحواشيه ؛ وكانت المصافير الناشبة في الشبايك
تفرد وتسرف في التفريد ، والمخادعات في جميع
طبقات البيت يفتنن ويبالغن في الترويد ،
وضجة الجبور والرح تصعد من الشارع إلى ،
تفرجت والفكر جذلان مشرق أهمن في المدينة

حينما تقبل أوائل الأيام الجميلة فتستيقظ الأرض ،
وتحضر الحقول ، وينبعث النسيم الفاتر العاطر
فيفتح الجسموعملاً الصدور حتى كأنما يخلص إلى
الأفئدة ، تخالج أنفسنا رغبات غير واضحة لسعادة
غير محدودة ، فنتوق إلى الجريان ، ونصبو إلى
الجولان ، ونسعى إلى القاهرة ، ونهفو إلى
ارتشاف الربيع

ثم انتهى في أنف الجيد إلى زغب دقيق رقيق أصمب
تكاد لا تراه ، ولكنك تحس في نفسك رغبة
ملحة في أن ترسل عليه غمراً من القبل
التفت الفتاة إلى إجابة لألحاح نظري ؛ ثم كسرت
طرفها فجأة ، ولاح على وجهها قطوب خفيف أشبه
بالبتسم البادئ* ، أخفى زاوية فيها بعض الخفاء ،
ولكنه أظهر ثمانية

ذلك الزغب الناعم
الشاحب الذي
ذهبت الشمس قليلاً
كان النهر
الهادئ ينفرج
ما بين ضفتيه ،
والجو الضاحك
تنتشر فيه سكينه
النفء ، والفضاء
الشرق تزخر به
غمضة الحياة .
فرفت جارق
بصرها ثانية إلى ،
وفي هذه المرة كما
بدأ من مراقبتها
كانت بسمتها



لا أعرف لي وجهاً ولا فاية ؛ وكانت سمات السرور
تألق في وجوه المارين ، ونسبات السعادة تهتز في
أجواء الريح . وكانما هبت على المدينة نفحة سارية
من الحب ، فالفتيات اللاتي عشرين في زينة الصباح
وفي عيونهن حنان مكثوم ، وفي مشيتهن رشاقة
رخوة ، كن ييمثن في قاي اضطراباً ومشغلة

بلغت ضفة
(السيرف) ولا
أعرف كيف ولا
أدري لماذا ؛ فلما
رأيت البواخر تجري
نحو (سيرينس)
فازعتني نفسي إلى
أن أجوس خلال
النساب فركبت
إحداها
وكان ظهر
الباحرة (موش)
مغطى بالسافرين
فما تجد موضعاً
لقدم ، لأن أشمة
الربيع الأولى
لاندع إنساناً قابلاً

صريحة قاطعة . وكانت في هذا الوضع رائحة
فاتنة حتى كشفت في نظرها المختلس المارب ألف
شيء . كانت مجهولة : كشفت فيه أغواراً لم تدرك .
فيها كل ما ترغب من الحنان ، وكل ما تطلب من
الشعر ، وكل ما نبني من السعادة ؛ فتملكتني رغبة
جنونية في أن أفتح ذراعي فأحملها إلى مكان آخر ثم
أمس في أذنها بشمزمهوى وموسيقى النزل

في مسكنه ؛ وكان كل راكب عليها قد استخفنه
النشاط فهو يذهب ويحيى ويضطرهم في نفسه ويتحدث
إلى جاره . وكان جوارى الفتاة صغيرة لا شك أنها
عاملة . هي بإريسية الأنافة بأربعة الظرف ، لها
رأس لطيف التكوين أشقر اللون ، قد استوى
شعره خفيفاً على الصدغين ، ثم تمدد ويجمد فصار كأنه
ضوء متموج ؛ ثم انحدر إلى الأذن ، وسال على النقي ،

غالبه ؛ ومن واجبي أن أنبهك إليه كما ينبه
الروسيون المار إذا قرص أنه البرد فيبس »
لبث دهشاً مبهوتاً أمام هذا الرجل الغريب ،
ثم اتخنت هيئة الوار ، وتكلمت لهجة الجدد ،
وقلت له : أراك تدخل ياسيدي فيما لا يمتنعك
فتحرك حركة عنيفة ثم قال : « آوه ! سيدى !
سيدى ! إذا رأيت إنساناً يشرف على النرق فهل
يجوز أن أدعه يفرق ؟ أستمع قصتي فستعرف بعدها
لماذا جرؤت على أن أكلك على هذا الوجه :

« كان ذلك في مثل هذا الفصل من العام الماضى ،
ويجب أن تعلم ياسيدى أولاً أنى موظف بوزارة
البحرية ، ورؤسائنا العسكريون يتخذون من
شاراتهم وشاراتهم حجة على أن يماولونا معاملة
مهيئة آه لو كان كل الرؤساء ملكيين ! ما علينا !
فلحمت من شباك مكنتى طوقاً أزرق صغيراً من
حاشية الأفق بطير فيه السنونو ، فقام بنفسى
أن أرقص في وسط دقازى وأضاييرى . واشتدت
رغبتي في الحرية حتى ذهبت على البكرة منى إلى
قردى أورتيسى ، وهو رجل مثيل الجسم نرق
الطبع لا يتسار عن وجهه الغضب لحظة ، فقلت له :
إنى مريض ، فصاح فى وجهى وقال : أنا لا أصدق
ذلك ، إذعبنى . أنظن أن العمل عثى على أمثالك
من الموظفين ؟ » لم أذهب إلى المكتب كما أراد ،
وإنما ذهبت إلى السين كما أردت ؛ وكان جو ذلك
اليوم بكو هذا اليوم ، فركبت الباخرة (موش)
لأجول جولة في ضاحية (سان كلو) . آه ياسيدى
ما كان أحق رئيسى أن يحول بينى وبين الخروج !
لقد خيل إلى أن مشاعرى وجسمى مدتها حرارة
الشمس ، فأنأ أحب كل شيء : أحب الباخرة والنهر
والشجر وللنازل والجيران وكل ما فى الطبيعة من
سامت وناطق . لقد كنت أتوق إلى أن أعانق أى

ملت عليها ومهمت أن أفتح فى لأنسكلم وإذا
بيد تلمس كتنى ، فالتفت مبهوتاً فرأيت رجلاً عادى
الهيئة متوسط العمر ينظر إلى فى حزن ويقول فى
جد : « أريد أن أكلك فى أمر » فبدت على وجهى
جهومة لم تخف عليه لأنه قال : « إن الأمر جد »
فنهضت من مجلسى وتبعته حتى انتبذ فى
مكاناً فى الطرف الآخر من السفينة ثم أنشأ يقول :
« حينما يدنو الشتاء ياسيدى بقره ومطره وتلججه
يقول لك طبيبك كل يوم : « لا تهمل تدفئة
قدميك ، واحذر البرد والزكام وذات الرئة وذات
الجنب » فتحسب ألف حساب وتتخذ ألف حيلة :
تكتسب القميص الصوف ، وترتدى اللطف
الثقيل ، وتنتمل الحذاء الغليظ ، ثم لا يمنعك
ذلك من أن تقضى شهرين فى السرير . ولكن
حينما يمدد الربيع بنضرة عوده ، وبهجة وروده ،
وتسيمه الفاتر الذى يرخى الفاصل ، ونفسه
الماطر الذى يبلبل الصدر ، لا تنجد من يقول
لك : « حذار من الحب ياسيدى ! إنه يتعبك
فى كل مكان ، ويترصك فى كل حين . كل حيلة
منصوبة ، وكل أسلحته مشحودة ، وكل غدراته
مُهَيَّأة ! حذار من الحب ! حذار من الحب ! إنه
أشد خطراً من الزكام وذات الرئة وذات الجنب .
إنه لا يشفق ولا يرحم ، ومن طبعه أن يحمل نحيابه
على أن يأتوا من السخف والحق ما لا علاج له
ولا حيلة فيه » أجل ياسيدى ! إن من رأى أن
تكتب الحكومة فى كل عام بالخط الغليظ على
الجدران هذا الاعلان : « هاد الربيع ، فاعندروا بها
الفرسيرة من الحب » كما يكتبون على أبواب المنازل
المدهونة : « احذروا من الدهان ! » وما دامت
الحكومة لم تفعل قاتى أقوم مقاماً فى ذلك وأقول
لك : « احذر من الحب ، فإنه يهم أن ينشب فيك

والمرء يا سيدى يعود بهيماً خالصاً في بعض أحيانه .
ثم غنت وهي تآثرة الشاعر مستطارة اللب ألف
أغنية : منها الرقيق ومنها الوضع ؛ وفي هذه اللحظة
كانت هذه الأغنى وتلك في مسمى سواء في براعة
الشعر وسمو اللحن . فأنفعلت أشد الانفعال وكادت
أبكي من فرط التأثر

أدركها التسب بعد قليل فقمعدت على متعذر
ممشوش ، وقعدت أنا بجانبها وتناولت يديها
المصغرتين ، غرك شفتي عليها ما وجدت
على أملها من آثار وخز الآلة ، فقلت : هذه
هي الملامات المقدسة للعمل . فقلت : آه يا سيدى !
أندري ماذا تدل عليه الملامات المقدسة للعمل ؟
إنها تدل على المصنع الساحب بلقو الزميلات ،
والسمع اللوث بأغصن الحمسات ، والذهن المدنس
بأفئد الحكايات ، والمغافل للثوم ، والمرض الككوم ،
وفضول الأحاديث السخيفة ، وغشاة الأفكار
الضعيفة ، وشقاوة الحياة اليومية ، وعلى كل
ما تتخلق به المرأة المامية العامة من ضيق الفكر ،
وهجر الحديث ، ووقاحة التبذل

ثم حذق كل منا في عين صاحبه طويلاً .
آه ! ما أقوى عين المرأة ! ولشد ماتقة وتنزو وتلك
وتسيطر ! ما أعق هذه العين وأملأها بالعود
والأحلام والأمراد ! لقد قالوا : إن العين مرآة
القلب . وما أبعد هذا القول عن الصديق يا سيدى !
فإن المرء لو اطلع من العين على دخيلة النفس لأبصر
رشته وأقنع عن هواه ؛ فلا تصدق !

فأزرى وجن جنونى ، فهممت أن أضنها
الى صدرى فقالت : دع عنك هذا ولتسقط الخالب !
حينئذ جثوت على قدميها ، وفتحت قلبي بين يديها ،
ثم أخذت أدق على ركبتيها كل ما كان يكلفني من
الحنان وبكرتي من الحب .. فدهشت لاضطرابي

شئى كأنها ما كان . ذلك هو الحب الذى كان يدبر
حيله وينصب شراكه

وفى (التروكادىرو) على حين بفتة صعدت الى
الباحرة فتاة في يدها صرة وجلست أمامى . لقد
كانت فتاة المحاسن يا سيدى ، ومن العجيب أن
النساء يظهرن في أيام الربيع أحسن وأجمل ،
إذ تبدو عليهن الجمهارة والفتنة وشئى خاص
لا أدريه كأنه شرب النبيذ بعد أكل الجبن

نظرت إليها ونظرت إلى ؛ وكان ذلك حيناً
بعد حين كما فعلت صاحبك . وأخيراً خيل إلى
من طول ما أدمنا النظر أنسا تمارفنا ، وأن ذلك
التعارف يميز لى أن ألقاها الحديث ، فكلمتها ،
فأجابت على كلامى ؛ وكانت لطيفة الروح ، طلية
الحديث ، فأطربتنى يا سيدى وأسكرتنى

وفى (سان كلو) زلت وزلت ، وكان الذى
معهما عملاً مطلوباً لبعض الناس فذهبت تسلمه . فلما
رجعت كانت الباحرة قد رجعت . فأخذت أمشى
بجانها وعذوبة الهواء تنتزع منى ومنها زفرات
تصمد ، فقلت لها : إن الجوفى الغابات يكون أروع
وأمتع . فقالت . أى نعم ، فقلت لها : أتجيبين
أن تجول هناك جولة ؟ فتقدتنى خلصة بفظورها
السريع كأنها كانت تقدر في رايها كم أساوى ، ثم
زلت على اقتراسي بعد تردد قليل

ها نحن ذان نسير جنباً إلى جنب وسط
الأدواح والأشجر ، ولا يزال تحت الأوراق بعض
الجليد ، والمشب الطويل الكثيف ذو الخضرة
اللامعة يفرق في ضوء الشمس ، ويشرق بلباين من
الحشرات تنحطب وتتماشق أيضاً . وكانت الطيور
تسبح في كل مكان ؛ فأخذت صاحبتى تركض وتتب
كشوى من صفاء الهواء ووضاء الربيع ؛ وجعلت
أنا كذلك أتبعها فأعذبو كآتمدو ، وأظفر كآظفر .

اسمع ماذا حدث :

« وحدها لا تغتر طول النهار عن السباح والشم . ثم هي لا تفهم قولاً ولا تعرف علماً . ثروة فياضة تصم الأذان ، وغناء متصل يصدر الرئى . تشاجر الفحام واللحام ، وتقص على البوابة دخائل البيت ، وتفضى إلى خادمة الجيران أسرار الفراش ، وتفسح زوجها بالمطالب الباعظة ، وتدفع في صدره بالحكايات السخيفة ، والاعتقادات الباطلة ، والآراء الفائلة ، والأحكام المبرفة ، حتى أ كاد أبكى ياسيدى من القنوط والخيبة كلما تحدثت إليها »

ثم غلب الرجل الانفعال والوجد فصمت ؟ وأدركنى على هذا المسكين الساذج رقة ، فأردت أن أجيب عن كلامه بشيء ، ولكن الباخرة كانت قد وقفت على مرأى فى سان كلو

نهضت الفتاة التى غزت فؤادى ومرت بجاني وهى خارجة ، فألقت على نظرة عن عرض ، وبسمة عن دلال ، ثم زلت ، ففهمت أن أثب وراءها ، ولكن جارى أمسك بكى ، فحاولت أن أخلص منه بحركة جنيفة فتشبث بطرف سترى وجذبني إلى وراء وهو يقول بصوت لفت إلينا الرا كيين : لن تذهب ! لن تذهب ! فتضاحك من حولنا الناس ولبثت فى مكافى جامداً محقق الصدر ، لا أجرؤ على شيء أمام الهزم والفضيحة ، حتى طادت الباخرة ؛ وبقيت الفتاة

على الرصيف تشيعنى بالنظر الحزين الخائب

وصاحى إلى جاني بفرك يده ويهمس فى أذنى قائلاً :

« تالله ، لقد أسديت إليك يدأ لا يتقضى شكرها أبد الدهر ! » الزيات

واقتلابى ونظرت إلى عن معرض وكأنا تقول فى نفسها : « آه ! هكذا ينبغي أن يكون المبت بك والهيمنة عليك يا صاحبي ، وسترى ! » والرجال فى الحب ياسيدى صرخاء سذج ، والنساء فيه تاجرات حواذك

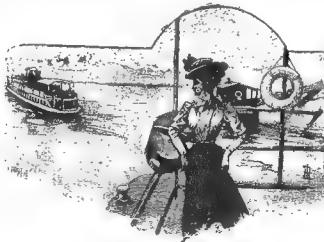
لقد كنت وقتئذ أستطيع الاستيلاء عليها مافى ذلك شك . ولقد أدركت هذا الخطأ بعد . ولكننى ما كنت أريد الجسد ولا أنشد اللذة . إنما كنت ابني حنان المرأة المختصة ، وجمال المهل الأمل

فلما فرغت من بث نجواى وإعلان هواى نهضنا فمدنا إلى سان كلو ولم أفارقها إلا فى باريس . وكانت لدى عودتنا كاسفة البال ساهمة الوجه فسألناها عن سبب ذلك فقالت : هذا نهار من النهر التى لا تشرق فى حياة المرء إلا قليلاً » نفق قلبى حتى كاد ينشق صدرى من شدة خفوقه

لقيتها فى الأحد التالى ، وفى الأحد الذى بعده ، وفى سائر أيام الأحاد . فذهبت بها إلى بوجيفال ، وسان جرمان ، وميزون لافاييت ، وبوامى . وغشينا كل مكان من أمكنة العاصمة يرتاده الحب ويتردد فيه النزل . وكانت الساكرة لا تألو جهداً فى إذكاء هواى واضرام شوقى ، حتى فقدت سواى فلم تمض ثلاثة أشهر حتى تزوجتها

وهل يقبل

غير ذلك ياسيدى موظف يعيش وحده من غير امرأة ولا مرشد ؟ لقد حدثته نفسه أن الحياة مع الزوجة ستكون سعيدة رغبنة . ولكن



الحَقْدُ الضَّالِعُ

أَقْصُوصُ مِصْرِيَّة

لِلْأَسْتَاذِ اِبْرَاهِيْمَ عَبْدِ الْقَادِرِ الْمَازَنِى

الخط ألفينا الطريق غاصاً
بالسيارات فتمجينا أولاً
ثم تذكرنا أن هذا يوم
للأحد فلا عجب إذا كان
الكثيرون قد أقبلوا
على السويس ليقضوا
اليوم فيه .

وقطعنا بضع عشرات
من الكيلومترات في
سلام وفي نضك أيضاً ،

ثم بلغنا أول مرتقى في طريقنا فأشرت على ابن عمى
بأن يضع ناقل السرعة في المحل الثاني ففعل فوقفت
السيارة في منتصف الانحدار . وكنا لا نزال مكاننا
حين وقف المحرك للمرة العاشرة . فآفترحت عليه أن
يكف عن العمل وأن يضطجع ويشمل سيجاره .
ولكنه هز رأسه وقال : « هل أرجع بها
الفهقرى ثم أبدأ من جديد ؟ »
فقلت له : « كلا ... إني أفضل لسخافتي أن
أواجه الموت » .

وقالت أختى : « هل نستطيع أنت ندفعها
بأيدينا حتى نبليغ ذروة هذا المرتفع ... » .

قلت : « كلا ... إن زنهنا لا تقل عن طين »
وقال ابن عمى : « لن أسالك عن السبب في
وتوفها كلما حاولت أن أمهلها عن السير فاني أعرف
جوابك ، ولكني أؤكد لك أني أضع ناقل السرعة
في مكانه بأقصى مايسع إنساناً من الترفق والبطء ...
ولذا كنت تريد أن تعرف رأيي فهو أن السيارة
قد أصابها تلف » .

قلت : « سيصيدها التلف على التحقيق إذا
ظلت تحاول أن تدبر المحرك ثم توقفه ... فستنفد

رجلنا من السويس على محمل - أختى وزوجها
وأنا - وكنا نقضى فيها أياماً فتلقينا نياً من خادمتنا
القديعة الأمينة « فرحة » بأن ابن عمدة قريبتنا قدم
وسيزول علينا ضيفاً لإجابة الدعوة قديعة نسيناها ،
فأسرعنا فأقبلنا على الحفائب نحشوها حشواً بلا
عناية بترتيب لنكون في البيت قبل أن يصل .
ومضى ابن عمى - زوج أختى - نجاء بالسيارة .
وكنت قد هضت ساق قبل ذلك بيوم فلم يبق مفر
من أن يسوق هو السيارة وإن كان لا يحسن ذلك
ولم يلق فيه إلا بضعة دروس قليلة . وكان الأحجى
أن نستأجر رجلاً لهذا ولكننا كنا نحرص على
ألا يكون معنا غريب يأخذ بوجوده الطريق على
حريتنا في الكلام والضحك والهو . وقد عزيت
نفسى بأن طريق السويس سهل والحركة فيه قليلة
فلا داعى للخوف . وفي وسمه أن يخطيء كما يشاء
فلن يضيره أو يضربنا ذلك وإن كان يخشى أن يطلتنا
ويضيع وقتنا .

وجلسنا الى جانبه وجلست أختى على القعد
الخلفي وطمانتها بأنى وأنا معه سأكون السائق
الحقيق وأنه لن يفعل إلا ما أمره . ولكننا لسوء

من المرتفعات وصار الطريق بعد ذلك سهلاً منبسطة
فشكركم ؛ ولكن أى شكر يمكن أن يفي بحسن
صنيعه ومروءة .

وجاء الصيف ، وكان مساء ، ثم كان صباح .
ولم يكن النهار قد ارتفع ولا كانت الشمس
قد علت لما دخلت على «فرحة» توقظني قبل موعدى
المألوف بساعتين وتخبرني أن أختي تصبح على
وتدعوني إليها في غرفتها . وقد عجبت وحق لي أن
أعجب فما أعرف موجياً لأزاحني في مثل هذه الساعة
البكرة - السابعة من فضلك - ومع أختي زوجها
فما حاجتها الى ... وقد حاولت أن أهمل هذه الدعوة
ولكن «فرحة» أبت أن تغني عني وتدعني أستأنف
النوم فتمطيت وفركت عيني وتناوبت وقالت لها :
« ما ذا هناك يا فرحة ؟ ... »

فقلت بلهجتها الهادئة المطمئنة وصوتها اللين
النبرات التي لا أذكر أنه ارتفع عن هذه الطبقة مرة
واحدة في عشرين عاماً قضتها معنا منذ كانت طفلة :

« أظن أن الأمر يستدعي وجودك » .

وفرحة عافلة ذكية وحريصة دقيقة الميابة ،
وقد رباها أبي مع أختي وعني بتعليمها أيضاً ونجمل
لها حصص في الوقف الذي وقفه قبيل وفاته ، وكانت
هذه مفاجأة سارة لنا فقد أحببنا فرحة حب الأخت
وكانت هي - وما زالت - ربة البيت . ولسنا
نماملها معاملة الخدم وإنما نمدنها واحدة منا : لها
علينا مثل الذي لنا عليها . وحسبك منها أنها
ما أخذت في حياتها معنا أجراً على خدمة ، وأنها
بعد وفاة أبنينا لم نحاسبنا قط على ريع حصتها وإن
كننا نودعه البنك باسمها ، فإذا أرادت ثوباً أو خاتماً
أو غير ذلك طلبت ذلك منا كما يمكن أن نطلبه أختي
مى أو من زوجها . فإذا كانت تقول الآن إن

الكهرباء وتحتاج كلها أردت إدارة المحرك أن
تنزل وتدير المحرك بالنفيللا ... وقد بنفمك هذا
فيفريك بالتفكير قليلاً .

فصاح بي : « تظن أني لم أفكر ... أنتوهم أني
لا أفكر الآن ... إن رأسي يكاد ينفجر من فرط
التفكير ... »

فضحكت أختي فصاح بها : « نعم اخمكي ...
أنظري الى الجانب الضحك ... ولم لا ... قد بطير
عقلي ، ولكن هل يجوز أن نمنمك هذا من
الضحك ؟ »

وداس برجله الزريريد أن يدير المحرك ...
ووقفت السيارة مرات أخرى لا أذكر عددها ،
فاضطجع وأغمض عينيه وراح يقول : « لا فائدة ...
قضى الأمر ... وأنا واثق أنه كتب علينا أن نبقى
هنا إلى الأبد ... ومن يدري ... ربما كان في
الطريق مارد في يده سيف مسلول ... والسيارة
تراه وإن كنا نحن لا نبعصره ... من الميث أن
يقاوم المرء القضاء والقدر ... كلا ... لا تتكلموا
فاني أوتر أن أفضي نحبي في سلام وبغير ضجة ...
وفي هذه اللحظة وقفت إلى جانبنا سيارة ونزل
منها رجل لم نكد نبعصره حتى أيقنا أنه انجليزى ،
وحقق هو ظننا فقال لنا بلفته : « هل أستطيع أن
أساعدكم » .

فشرحت له الأمر وعرفته خطبنا فابتسم وم
بكلام ، ولكن ابن عمي قال له : « امض عنا ...
اذهب ... وحدك ... إن أماننا مارد وقد حذر
السيارة من المضي ، ففهمت عنه ... كان صريحاً
جداً فبقا له ... اذهب وأرجو لك السلامة »
فابتسم الرجل ودعاه الى النزول واتخذ مكانه
وصعد بنا الى رأس التل ، ولم يكثف بذلك بل ظل
معنا - على مسافة منا ... ورائنا - حتى فرغنا

لى غرفة من أجل شخيرى .. شخيرى .. ليتك
ترين نفسك فى المرأة وأنت نائمة .. إذن رأيت
كيف ترمين اللعاف وتضربين برجلك هنا ويديك
هناك .. كالأطفال بلا أدنى فرق .. لقد تزوجت
طفلة حين تزوجتك ... تقول شخيرى .. مثل
هذا الطمن القبيح على سيدها وتاج رأسها هل يليق
يا فرحة ؟

فابتسمت فرحة ولم تقل شيئاً وماذا عساها
تقول وشخيرى زهج الجيران حتى لقد جلا السكان
عن هذا الحى وغربت بيوت أصحاب المائر فيه
وقرت نجة الضحك أخيراً — ولكل شىء
آخر — فقلت : « ماذا كان شرلوك هولمز خليقاً
أن يصنع فى مثل هذه الحالة .. »

فصاح بى ابن عمى : « دع الفلسفة من فضلك ..
الأمر واضح .. البيت موحد من كل ناحية والمنافذ
كلها مسدودة فالتى أخذت المقعد لم يجرى من الخارج
وإنما هو ولا شك واحد بمن فى البيت ... »
فصجنا جميعاً — ما عدا فرحة فأنها مؤدبة —
« برافو .. برافو .. »

فلم يمسأ بنا ومضى يقول : « الجديد علينا هو
ابن العمدة فهو السارق »
فلم نطق بهذا وبمحبابه جميعاً — حتى فرحة
وإن كانت مؤدبة —

فلم ينهمز وقال وهو يمود إلى الجالوس على الحشية :
« لا بأس .. ولادامى للصباح .. المسألة بسيطة ..
إذا لم يكن هو اللص فن عسى أن يكون غيره ... »
فقلت : « أنت مثلاً .. لم لا .. »
فقهقه ؛ فقلت : « ألا يمكن أن تكون قد
أخذته لنضمة فى مكان أمين ثم نسيت كعادتك ؟
إنك هكذا وأنت تعرف ما يكلفنا نسيانك .. فم
انظر أين وضعت المقد .. واذا ذكر الاسفنجية .. »

الأمر يستدعى وجودى فقد صار القيام لا بد منه .
ودخلت على أختى وورأتى فرحة ، فألفيتها
مستلقية على السرير فى منامة قمرية مزركشة ،
وممتدة بكوعها على وسادة وثيرة مربعة عشوة
بريش النمام ، وخدها على راحتها ، ويسراها على
نقدها ، وبين أصبعيها سيجارة ، وكان منظرها فائتاً
فانها جميلة مشوقة ؛ وكانت هذه الرقة تبرز خطوط
جسمها الرشيق وبراعة الانحناءات فيه . وكان
زوجها قاعداً على حشية فوق السجادة فنظرت
منها إليه وقلت : « لا عجب أن تدللها ... لست
بإنسان إذا لم تفعل ... »

فابتسمت مسرورة ، وأدنتنى منها وقبلتنى .
وقالت : « اجلس هنا ... الى جانبي على السرير ...
وأنت يا فرحة ... قصى عليهم الحكاية .. »
فأراحت فرحة أناملها على شبك السرير ،
وأشارت بيدها الأخرى الى منضدة صغيرة قريبة
وقالت : « قبل أن أترك الغرفة وضمت يدي عقدها
(وأشارت الى أختى) على هذه المنضدة ، وفى الصباح
دخلت عليها فلم أجده . وسألها عنه فقالت إنه فى
مكانه ، فذهبت الى البك (تعنى زوجها فان فرحة
مؤدبة) وسألته فجعل يضحك ويتحسس عنقه ويقول
إنه ليس هنا .. هذه هى الحكاية »

فقلت متملها كلامها : « فنجتم بشرلوك هولمز
ليحل اللز ويهتدى إلى السروق ويضع يده على
الاص .. أشكر لكم هذه الثقة العظيمة »
فقلت لأختى وهى تضحك : « الفو .. الواقع
أن كل ما أذكره هو أنى قت بالليل وغبت عن
الغرفة دقائق ومررت فى غودى بفرقة هذا الزوج
الصالح ، ولكن شخيرى كان عالياً فهربت »
فهنض ابن عمى محتجاً وقال وهو يتمشى :
« شخيرى .. هل تريد أن تقولى إنك أفردت

ولا أحتاج أن أقول إننا استقبلنا يومنا مكتئين
سهومين محزونين ؛ فأتى للمقد قيمته الثانية
والمعنوية ، وقد كنا تتكلف المرح ويندى صفحة
البشر وتلتقي الأمر بما يشبه الاستخفاف ، لأننا
اعتدنا أن نواجه الأمور على هذا النحو ، وربما أبوانا
على الجلد وضبط الاحساس . أما أحمد فكان
بطبيعته هزلاً يركب الحياة بالدعابة والبشاشة
والعشق ، وقد أحينا وأحبنا وأنسبنا وأنسنا به ،
فعلش معنا وأثر يبقينا على بيت أبويه وانتهى الأمر
بما كان لابد أن ينتهي به — أى أن يتزوج أختي —
ولست أعرف أسرة أخرى تعيش هذه العيشة
السعيدة الرغبة ، وحسبك أن المال موفور وأن
الطباع رضية والأضحية متطابقة

ومن عادة أحمد أن يقضى وهو فى الحمام . ولست
أعنى أنه يقضى الأسوات الشائعة ، وإنما أعنى أنه
وهو فى الحمام يصصف كل ما يعمل ويرفع الصوت
بالفناء بهذا الوصف ، فإذا كنت على مقربة من الحمام
لم يسمك إلا أن تسمعه يقول — أو يقضى على
الأصيح — « أين الاسفنجة ياسيدى ... لابد أن
تكون هذه الزوجة المهمة قد ضيعتها ... ومن يدري
يا حبيبي ... فلعلها خباها عمداً ... أه ياروحى ...
وأين الكبريت ... أظنى نسيت ... هذا خازوق
يا حبيبي ... وكيف أسخن الماء الآن ... يا لعنة
الله أنزل رأس الذى اخترع التدفئة بالغاز ... أه
يا عيني ... والله وحشة ... نجد الكبريت فلا نجد
القرش الذى نضغه فى الثقب لينطلق الغاز ...
ويسخن الماء فلا نجد الاسفنجة ... واجد كل
ذلك وألم فى الحوض وبدأ الشعور بالراحة وإذا
بالغاز قد فرغ ... وأخذ الساء يبرد ... ويجب أن
أخرج من الحوض لأضع قرشاً آخر فى الثقب ...

قبل أن تمرض وتحتاج .. قم من فضلك »
وقالت أختي وهي تمتدلى فى مجلسها : « ياسليم ..
إنى لم أخطئ حين أزججتك .. كلا .. وأنا الآن
واقفة أن ابن العم قد نسي أين وضعه ... »
فصاح بها محتجاً : « ولكنى ياسق لم أدخل
غرفتك .. ودعك — أعنى قبلك ولا مؤاخذه
يا سى سليم فإن هذه عادة الأزواج — ثم لم أعد ..
فكيف يمكن أن أكون قد أخذته ؟ »
فقات وهي تقف : « تذكر ... حاول أن
تذكر ... »

وزدت أنا على قولها : « جرب مرة واحدة
أن تتكلف هذا الرأس عمداً ... لا تخف أن
تتمب ... »

فضى هنا إلى الباب وهو يقول : « إنى ذاهب
إلى الحمام ... »

وهنا يبنى أن أقول إن المقعد الذى ظب مما
ورثناه عن أى وهو من اللؤلؤ النفيس ، وكانت
حبانه نحو مائتين وأكثرها من الكبار فى حجم
الفولة ، وقد رأينا أن نجعل منه عقدتين : واحدة صغيرة
أعطيناها لفرحة ، وبقى الآخر لأختي ، فقد كانت
إذا لبستة تلفه صوفاً على بخرها الجليل فأثرت
التخفيف . على أن الأمر لا محل فيه للتخمين فقد
قالت فرحة إنها وضعت على المنضدة وفرحة صادقة ،
ثم إن ذاكرتها لا تخونها أو تعابها كما تمايت ابن
عمى — أحمد — ذاكرته . ولم يكن أسخف من
قوله — وإن كان مزح على عادة — إن ابن العمدة
— حسن — هو الوحيد الذى تتجه إليه التهمة
فإن حسناً هذا من سرارة الناس وهو فوق ذلك من
أقرباء أحمد الأدينين ، وقد ذكرت ذلك لأريك إلى
أى حد يذهب أحمد فى مزاحه

أخفته الزوجة الصالحة لأشترى لها عقداً سواء ...
النسوان ملاعين ياروحى ... قالوا المقد ضاع ...
ضاع فين بالله يا أهل القنطرة ... لا ياستق المقد فى
الدولاب ... والفرض مرضى ... »

وكان يديء ويبيد فى هذه المانى ؟ فأما حسن
فلم يفهم وكان ينظر منى إلى أختى ، وكان يرانا
نضحك فيتكلف الضحك مثلنا ، وأما أختى
فضحكت أولاً ثم لما سمعته يتهمها بأنها خبات
المقد لطلبه بحيلة فجمعت فشدت على ذراهما
فنظرت إلى مبتسمة وهزنت رأسها وعاد إلى وجهها
الاشراق ، ولكنها لم يسمها إلا أن تقول لنا ونحن
نغشى عن الحمام قبل أن يخرج هو علينا « شف ...
ينسى أين وضع المقد ثم يدعى فى خباته .. طيب .. »
وقال حسن : « ألا تقولون ما هى الحكاية »
فضحكت وقالت : « الحكاية باختصار أن
أختى لا تجد عقدها ... وأحمد يتهمك بسرقة
المقد .. لقد سمعته بأذنك .. والآن أفهمت ؟ »

وكانت هذه صدمة فان معرفة حسن بأحمد
يسيرة ، وإن كان من أقارب الأديف ، ولكنه
احتمل هذه الصدمة ، وأسرعنا نحن ففرغناه
بأساليب قريبه فضحك معنا ، ولكنه مع ذلك صار
يطرق من حين إلى حين كأنما يحدث نفسه بشيء
وخرج أحمد أخيراً ، ودخل علينا وفى يده
حقيبة يتأملها وينظر إلى الصور التى فيها لما كانت
له عناية بقراءة الصحف ، وجلس إلى المائدة وأدار
عينه فبا عليها ثم سأل : « ماذا أهدت لنا يا امرأة ؟ »
فاغتصمت أختى هذه الفرصة وصاحت به :
« ألا تنتظر حتى يستمد الباقون للأكل .. ماهذه
الشراة .. ثم كيف ترعم فى أخفيت المقد
لتشترى لى سواء ؟ »

فقال ببطء : « الجواب على السؤال الأول

وأبحث عن الكبريت ... والكبريت مبلول ...
معلوم ياسيدى ... أو الكبريت فرغ ... طيبى
أصبح ... ومن يسمع ... أليس البرنس وأخرج
لأجى بكبريت ... خازوق آخر ياجيبى ... لقد
نسيت الفساز مفتوحاً ... فالحمام كله غاز ...
ومستخفق يا ولد إذا لم تفتح النافذة ... افتح
ياسيدى وابد ... ووحوح ياجيبى من البرد ...
الذى سمى هذا حماماً كان ولاشك ابن حرام ... »
وهكذا إلى غير نهاية ... ومن يحصل الحاصل
أن أقول إننا اعتدنا أن نقف قرب الحمام كما دخل
فيه أحمد لنعرف ما يجري له فيه فنقع على الأرض
من كثرة الضحك . ولا بد أن يحدث له شيء
لا يحدث لسواه لأنه كما أسلفت سريع النسيان :
ينسى أن وضع الأسفنجة ، وأنه رى الكبريت
في الخوض ، وينسى أنه نسى أن يجيء منه بقروش
ليضعها في الثقب فإنه يبقى في الخوض ساعة
أو ساعتين وهكذا . ولولا أنه نساء لما ابتلاه عامدين
لنضحك ولكنه أعطانا عن ذلك

وكان حسن قد استيقظ ونهض ليلحق بنا
ويجلس معنا فإنا ناعتد الحمام واقفين وإن كانت القاع
في الدهليز غيا بيده فأشربنا إليه أن اسكت . ورائنا
نبتسم وأحسن من هيئتنا أننا نستمع فشى على أطراف
أصابعه ووقف معنا يضئ أيضاً وكان أحمد يقول :
« قالوا المقد ضاع ... قال ضاع ... كلام فارغ
يا جيبى ... والله ما أخذه إلا هذا الجراى الذى
نزل فى ضيافتنا ... بالطبع سرقة ... فى عمر أمه
ما رأته مثله ... الأتارب عقارب ياسيدى ... ضاع
المقد ياستق ... أنا المسكين يا جيبى ... هات لى
عقد غيره ياسيدى ... طيباً يا ماما ... من يدري ...
لعل للمقد لم يضع ... أوه ياسيدى ... لم يضع ...
الأرجح ... والمقول أن يكون فى الدولاب ... »

أعلم من أول الأمر أن لا فائدة . . . قلت لكم مائة مرة إن هذه الزوجة تعرف أين يوجد المقدس . . . نعم هي خبائه »

فصاحت به : « ألا يمكن أن تسكت . . . » فقال : « أسكت ! وكيف تحمليتنا بكل هذه المشاق من أجل خرزات ؟ . . . »

ولم يثمها فقد هجنا به احتجاجاً على وصف جبات اللؤلؤ بأنها خرزات

ولما قرأت الضجة قالت أختي : « اسمعوا . . . إني لم أعد أطيق البقاء هذا النهار في البيت فلنذهب الى أي مكان آخر ولننتقد هناك . . . »

وكان هذا اقتراحاً حسناً ، فإن بقاءنا في البيت كان خليقاً بأن يفرنا باستئناف البحث مرة أخرى فنشقى على غير جدوى . فمن الخير أن نخرج وأن نقضي النهار في مكان آخر ثم نمود . . . ومن يدري فقد نجد المقدس تحت عيوننا حين نمود كما يحدث كثيراً . وما زلت أذكر كيف كنت مرة أبحث

عن قلبي وكانت أختي مني ، فلما تعبنا جلسنا على الكرامى وهمت بأن أخرج سيجارة ، وإذا بالقلم بين أصابعي . . . ومن الغريب أن أختي لم تبه في بدى كما لم أبه . . . وقد ذكرت أختي بهذه الحكاية أو الحادثة وفي مرجوى أن أبحث في نفسها الأمل فلا تقضى النهار بائسة مكتئبة في سرها وإن كانت تتشجع وتتجمل ولا تبدي جزوا

وقفت الى حماي على حين راح غيري يلبس الثياب استعداداً للخروج . وكان طبيعياً أن يفرغوا من شأنهم قبلي ، وأن يستبطئوا فاني في حركة دائمة في الحمام ولم لا يصنعون شيئاً بعد أن لبسوا الثياب ووقفوا ينتظرون ، وليس أشد على المضطرب التناق من الانتظار . فأتقوا على باب الحمام بدقون عليه بأيديهم وينقرون بأصابعهم ويدعوني أن أسرع ،

بالنفي . . . النفي البات . . . أما الشطر الثاني من السؤال فأوان الرد عليه يكون بعد الأكل ، فانه يحتاج الى عقل ، والمقل يذهب به الجوع »

فصاحت به : « ولكن كيف نجرؤ ؟ . . . » فقال يهدوء : « من الغريب أني جئت هنا لأكل لا لأتكلم . . . نعم الأكل أولاً يا امرأة » فقالت : « هل عثيت بالبحث في ثيابك ؟ . . . بالطبع لم تعن . . . »

فالتفت الى حسن وقال : « شف يا حسن . . . شف . . . احذر يا بني أن تتزوج . . . لا عذر لك وقد رأيت بعينك ما تصنع الزوجات بيمولتهن . . . »

فقال حسن : « أظن أني سأزوج . . . وعلى فكرة كيف تسمح لنفسك أن تهمني بالسرقة ؟ » فرفع أحمد يده الى السماء ثم التفت الى حسن وقال : « وأنت أيضاً . . . لم يبق لي عيش في هذا البيت . . . فلأرحل » ونهض وقال : « يا امرأة إني في المكتب »

لم ندع مكاناً في البيت إلا بحثنا فيه ، ولا نوبا في خزانة أحمد إلا نفصناه وقلبنا جيوبه — حتى السجاديد رفعناها ونظرنا تحتها . . . حتى الستائر بحثناها وأجلنا عيوننا فيها ورادها فيها أيضاً خافة أن يكون حبلى العند قد علق بشيء منها . فلم نجد لا عقداً ولا حبة من عقد فيثسنا وحل الاكتئاب محل البشر ، فقد كنا الى ما قبل ذلك نمتقد أن المقدس موجود في مكان ما ولكن أمينا لا تراه . وقد أعدنا البحث مرة وأخرى لظننا أو توهمنا أننا نخطئاه بعيوننا ونحن نديرها كما هي المادة في حالة الاضطراب . ولم يكن أحمد يغمينا من مزاحه في خلال هذا البحث المتعب ، فلما كفنا قال وهو يضطجع ويشمل سيجارته : « لا فائدة . . . لقد كنت

وكان أحمد يتخذ من باب الحمام طبلة
وأخيراً خرجت فإي يمكن أن تكون لمستعم
راحة أو لذة وعلى بابهم من يصيحون به ويسمعونه
ما يكروه ، فلحقوا بي في غرقتي ، ولكني أخرجتهم
منها بجهد ، فاني مستعد أن أحتمل كل شيء إلا أن
يحيط بي هؤلاء الصائحون الصاخبون وأنا ألبس ؛
على أني أسرع ومجئت لآتقي شر هجومهم على
كرة أخرى ، وكانت ساقى لا تزال أحسها ثقيلة
مما أصابها في السويس وهاضها وإن كانت لا تؤلى ،
فلما صرت إليهم في الزدفة وقفت هنيئة أدعكها
لأليها فسألتني أختي : « ألا تزال تؤلك ؟ »
فقلت : « كلا ، لألم ولكني أحسها ثقيلة »
فقال ابن عمي : « كلك ثقيل يا أختي .. تعال »
فقلت : « ولكني حقيقة أشعر أنها أثقل
مما كانت أمس »

فقلت أختي : « ولكن ما هي الحكاية ...
أتظن أن من اللاتي أن تقف ساعة أمام الباب ؟ »
قلت : « أظن أن الراجب أن ندخل .. نعود
إلى البيت دقائق قبل أن نخرج إلى رحلتنا ... »
فنهضت أختي عن مقدمها قليلاً وزحفت إلى
الأمام مقسداً شبر ، ووضعت كفها البضة على
كتفي وقالت : « لا تعذبني ... انطقي »
قلت : « لا حاجة بي إلى الكلام ... خذي »
وانحنيت فأخرجت المقيد المفقود من طية
البنطلون عند حذفه ورفعته إلى عينها وقالت :
« لقد كنت أظن أن ساقى اليوم أسوأ مما
كانت أمس لأنني أحسها أثقل ... فالآن عرفت
السبب ولكني لا أعرف كيف سقط المقيد في
طية البنطلون ... »

ولا أزال إلى الآن أجهل كيف أمكن أن
يحدث هذا ، وإنما الذي أعرفه أن أختي فرحت
وأن ابن عمي حاول أن يركبني ببسته المألوف ، فوضعت
كفها على فقه قبل أصابعها ثم عضها فصرخت
فقال : « هذا جزء من يدافع عن السراق والمصوص
والخونة »
أبراهيم فهد القادر المارني

فقلت أختي : « طبيعي هذا من الجهد الذي
تكلفته اليوم في البحث »
فاقتنمت وترننا إلى الباب ، وكان ابن عمي قد
جاء بالسيارة قبل ذلك وتركها أمام الباب ، فجلست
أختي ومعاها حسن على المقعد الخلفي ، واتخذ أحمد
مكان القيادة ، وقالت له وأنا أفتح الباب الآخر
لأجلس إلى جانبه : « لسل درس الأمس ففعلك ،
فلا تكرر أخطائك المعادة »

فزام أولاً ثم قال : « ولكن إذا كنتم تريدون
أن أشرفكم بتولى القيادة العامة ، أفلا يحسن أن
أعرف إلى أين يراد مني أن أحللكم ؟ »
فقلت أختي : « أوه ... إلى أي مكان ...
إلى القناطر الخيرية إذا شئت ... أو إلى حديقة
الأكورمان ... أو ... أي مكان تحب »
قال حسن : « إلى القناطر إذن ... اركب يا هذا
أم تريد أن أزل وأحللك ؟ »

— ألا ترى يا صديق

القبوم فوقنا تتلبد ؟ ..

ثم السماء هي الأخرى

توشك أن تتلجنا ...

أليس الرأي عندك أن

نؤوب ؟ ..

وظل الربان في موقفه

بتطلع إلى زميله وهو

مطرق ذاهل حتى رفع

رأسه من بين كفيه في

نؤدة وعناء ، وطلق برق يصهره الزائع إلى السماء

رويداً وويداً ، ثم ما لبث أن استرده وقد انتشر

على شفثيه بسمه طفيفة ساخرة وهو ياق جوابه

الوجيز :

— لا . لا إخالها تفعل ...

ثم عمد إلى راحتيه فأسلم إليهما رأسه المكدود

وعاد السكون الحاد قائماً فوق رأسهم ما من جديد ..

لم يكن توفى ملاحاً خبيراً ، وكنت أحنو عليه

حنو الاخوة لأن أوى — أعزها الله وأكرم

مناوها — حملته إلى مقرنا ووضعته بيننا راضياً

يتبا فارقة أبواء وخلفاء وحيداً ، فذب مبتأز جري

عجراتنا حتى إذا ما بلغ مبلغ الرجل فنش عن ذويه

فأوجد لهم أترأ ولا لنفسه موئلاً غير موئلا ، فارتفعي

عشرتنا وأطمأن إلى جوارنا ... وكنت في هذه

اللائناء يافماً حلو القسيات أملس الشمر فاحه ، رحيب

ما بين المنكبين مستوى العود فارعه ، وكان توفى على

تقيفي ضاوياً تحملاً مكناً اللون لا يفيق قط من

أحزانه ، صموئلاً بدم غير سبب أو علة ظاهرة ...

يكفه بدنه ويفشلو — متلذذاً مرطاحاً — في تمنيته

وتجشيمه صنوف التمزيب والارهاق ...

ماتت الدنيا

أقصصة أنجليزنية

بقلم الأديب أحمد عبد العظيم شحانة

... لو أنك ترفقت قليلاً في سيرك ، ولم تك

مسرع الخطو وأنت تطوى حافة الميناء منذ عشرة

أحوال قضت لاحظت زورقاً فضي اللون جذاباً

يحمله النهر — في خمة الليل — فوق صدره الثائر

المرتجف ، وقد توارى من صفع الرياح القاسية في

ناحية قاصية خلف سد منيع قائم بين الأمواج ...

فاذا ما الفجر انبثق وجري نسيمه الوافي

الرقيق ، انفلت الزورق من قيده ودلف إلى عرض

النهر هادئاً وادعاً ينساب كالشعبان ... يثمره سحر

الفجر وجلاله ويلفه صمت رهيب متصل ... وفي

سويمات الظهيرة ، وقد احمرت عين السماء وعم

الضجيج ودبت الحركة ... هناك يتراءى من وراء

الأفق البعيد شراعه الناصع الرقيق مقبلاً بهادى

في فتور وعناء ، وقد أقتض ظهر الزورق الرشيق

أكوام السمك المتقاعة ذات اللبريق ...

وتوقف الربان فوق رأس الزورق بين الأمواج

الوادعة ذات صباح منصوب الصدر صرغوع الهامة

يرنو إلى السماء ويميل عينيه في أنحائها برهة موجزة

لا ينشب بعدها أن يتحول منها قائلاً رفيقه المطرق

النكتيشب :

بابنا الصغير فالتفت يدي على مقبضه ، ولكنني دفعت دفعا هيناً رفيقاً حتى لا يسمى صديق ... كنت أبني أن أجاه إلا أنني ما كدت أخطو أول خطوة حتى وقع بصري على فتاة رقيقة فائسة ما كدت تلحني في مكاني حتى بادرت إلى فائلة في لطف ودعة : ها نذري ياسيدي .. أستطيع أن أقضى لك حاجة ؟

عرائي وجوم شديد وتولتني وقتئذ الحيرة ، فمدتني إلى لساني استجته واستنفض همته فغذاني الثرثار ولم ينس بغير هذه الكلمات القليلة أنني بها من مكنته ، ثم عاوده جوده وتصلبه : نعم .. خدمات كثيرة يا أنسة ... وما كدت أفرغ من إلقيها حتى رنّ بئنة من وراء الحجرات صوت رخيم بدد السكون الخيم وملاً أذني كما ملأ جو الغرفة .. وتبينت هذا الصوت جيداً فإذا به : يا عجا ! إنه صوت توني ! توني يني ... توني الكتيب المنقبض ... تلك اممرى إحدى المعجزات ..

وهفت نفسي إلى رؤية هذا النظر العجيب ودرت على عقي أحاول المدو إليه قبل أن يرتد إليه حزنه ، إلا أنني والحق أقول ألفت نفسي عاجزا وأطرافي جامدة لا تقبل الحركة ، وأحسست رغبة وجنوحاً قوياً للبقاء ، فلبثت في مكاني أجبل عيني في قوامها الساحر للمشوق .. في خديها الناعمين .. في قفاها القرمزي الدقيق .. في ساقها المتناثرتين ... في ...

— سيدى ما حاجتك ؟

ووجدت لساني فقلت : ولكن خبريني أيها الأنسة الصغيرة ماذا تفعلين هنا ؟ فأجابني وقد غطى الدهش صفحة وجهها الجليل :

وكنت لا أملك وإياه من متاع الدنيا شيئاً غير هذا الزورق الذي يسى كل يوم مع الشمس ، وحانوت مثيل حرج ينبع به السمك الذي نصيد .. وكنت لم يمد يوماً غرفتين باردتين عاريتين تقومان خلف الحانوت بقليل ..

وأحسست يوماً أن صدري يضيق وأن قلبي ينقبض ، فشبث إلى الفضاء الواسع الذي يحاصر مسكننا أنفس الراحة والهدوء ، غير أنني ما كدت أنقل فيه بعض الخطى حتى أظلم الكون في عيني وأحسست أن الأرض تعيد تحت قدمي .. وبادرت مني حينئذ صرخة دوى بها الفضاء .. وألقت بيصرى إلى الأرض في لفعة وسرعة ، فإذا الدم يتصبب من قدمي حاراً غزيراً .

لقد قيل لي يومئذ إن سماراً حاداً منتصباً ، هو الذي وطنته قدمك شبه المارية ، فكان هذا الدم القاني الذي روعك ... ولكنني في الواقع لم أبه لشيء مما وقع إلا عندما أبصرت القبح يوماً يطوق فوهة الجرح من كل جانب ... عندئذ تسرب إلى الخوف ، ولم أجد إذ ذاك بداً من أن أهرع إلى المستشفى ... وهناك في طريق بدالي طيف صديقي وحيداً صامتاً ينهض بأهباء عمليتنا الناصبة المضنية والورق يتفصد من بدنه الناحل المزيل ... لقد أخذتني الشفقة به فأنجيت عليه أوصيه أن يترفق بنفسه وأن يشرك معه من يقوم مقامى حتى يحين أوبى ..

وانصرفت أسابيع قلائل أنفقتها جميعاً تحت سقف المستشفى حتى اندملت قدمي وقاربت الشفاء عندئذ رأيت أن أفارق محبسى فشخصت إلى مقرنا من غير أن أعلم صديقي ... وأدركت

أنفاسها الدفينة المذاب...
 واضطرب جسمانا المتسقان وانتبهت مذموراً
 عند ما اخترق أذنى صوت من أقصى الغرفة...
 لم أكن أقدر أن ثالثاً معنا يشهد كل ما جرى
 منا .. كان جامداً كالنمائل يتصبب منه النمل والألم،
 ولم أدر لم كان يصوب إلينا هذا النظر البرؤيع الخفيف .
 وأخذ يتقدم نحوي متكفلاً السرور وهتف في صوت
 متهدج تلوح فيه رنة الأمل العميق :

— هانت ذا أخيراً أحجم ! كيف أجذك الآن؟
 كيف حال قدمك؟ ولكنك لم تتبني بموعده قدمك
 إنه جيم يا ماريا صديقي وشريك
 وأمسك عن الكلام هنية وطفق يمسح نجينه
 بيده ويقبض على فكه، ثم عاد ينظر إلى مستأنفاً
 قوله : (صديقي .. أريدك وحيداً .. في مكان خلى .
 أريد أن ألقى إليك سرّاً)

وأمسك بذراعي وكان طبعياً ألا أحجم أو
 امتنع عليه ، فاستسلمت له وانحدرت إلى الطريق
 ومضينا فيها جنباً إلى جنب صامتين واجمين لا أحدثه
 ولا يتحدثني ...

وقف توني من السير فجأة ، فالتفت إليه
 فابتدري ضارعا مستطفاً :

— أأنت تعلم يا صديقي أنني قضيت العمر
 حزناً كاسف البلال موجه القلب : . حتى قبض
 الله لي ماريا؟ كم أحبها يا صديقي ... لقد بشت في
 الحياة .. بددت عني الموم . تصور أنني أصبحت
 كلماً بالثناء ! دعها لي يربك ولا تصرفها عني ...
 إنك جميل ، وإن شئت سئ إليك كل النساء ، أما
 أنا فخلق سبي ووجهي دميم ، لا أنور إلا بظهن
 لقد مست كلأته منى موضع الألم فأقبلت عليه

— إنني أيمك ... أنت أو غيرك من هذا
 السمك ... أنا ماريا ، أما أنت فأجهلك ويخيفني
 منك صمتك ونظراتك ..

— ولكن هبني كتمتك حقيقة أخرى
 فهزت كتفها الصغيرين ومدت شفها الدفينة
 قائلة :

— وماذا يضيري يا سيدي ؟ بل ليترك تفعل
 قالت ذلك واتخذت سبيلها إلى بعض الآنية
 تتناولها واحدة فواحدة وتنفض الفبار عنها ثم
 ردها إلى مواضعها ، ووقفت أنا أرقها عن كتب .
 كانت رائحة ساحرة .. وجسدها فانبجاً مغرباً يشف
 عنه ثوبها الحريري المهبوك ... وسفحت في رأسي
 فكرة : لا بد أن تكون هذه غانية أتى بها صديقي
 لنهلومعه . وكان السكون حولنا مرفقاً والأبواب
 كلها مؤصدة . يبتس أطرافى واشتدت ضربات
 قلبي والنهت رأسي ثم شبت الناس في كياني وما
 أسرع شوبها في كيانه اللاح

دوت منها وجسفي يضطرب اضطراباً شديداً
 فارتدت إلى الوراء مذمورة ، وكادت تولقي ظهرها
 فاحتوتها ذراعي المدة وتلقاها صدري
 الملهب ... وعاجلت الفرار ولكنني استبقيتها ؛ ولم
 أشبر إذ ذاك بذراعي وهي تنساب مني وتطوق
 جسمها اللين الدافئ وتضمه إلى وهي تدفني عنها
 دهشة خائفة : سيدي ما هذا ؟ فف .. تمهل ..
 إنني لست عرضة للبيع سيدي .. — ولكنني لم
 أسمع لقولها بل حدثت في عينيها الصافيتين الخافتين
 وشعرها البعثر على عيها الرضى ... لقد طار عني
 صوابي وتلاشي السكون من أمام عيني فأهويت
 بنفي على ثنرها — كالجنون — أغمره بالقبل وانثني

أحاول الترقية عنه :

— كم أنت طيب القلب يا توني .. إن ماريا هذه ليست لي ولا لك ... سئلى عن هذا الضرب من بنات حواء ... إنها امرأة الجميع ..
ما كنت أتم كلنى هذه حتى فوجئت بلكمة قوية قاسية أطارت صوابى وطوحت رأسى إلى الوراء ، وكدت أسقط على أثرها لولاً أنما لكنت قليلاً وفتحت عيني دهشاً متمجباً فأنفيت صديقى رغبى ويزبد ويتأهب للكمى ثانية ، فأسرعت إلى وجهى أغطى صفحته بقبضتى وما خطر لى حينئذ أن ألعنه لملى أن لكمة من يدي قد تؤدى به إلى التهلكة ، فصعقت به وأنا أراجع إلى الوراء أن كف يا توني ولا تكن غيباً ، ولكن قبضته خلصت لى واستقرت فى بطنى ..

لقد صورت لى شدة الألم أن جسمى قد ارتفع عن وجه الأرض فهجمت عليه من غير وعى وضربته ضربة دار على أثرها ثم هوى بجسمه الضئيل تحت قدى

وتهافت الناس مسرعتين من كل حذب وأنجنيت بقامتى المديدة على صديق الممدد السريع واحتملته بين ذراعى كاطفل ومضيت به إلى صيدلية قريبة ... وسألنى الصيدلانى وهو يهرول مسرعاً من وراء قواريره وزجاجاته : « ماذا حدث .. ماذا جرى له ؟ » ولكننى لم أستطع جوابه فقد كان حاققاً جلفاً وكنت فى شغل عنه أسلى من أجل صديقى وأضرع إلى الله أن يفتح تونى عينيه وأن أرى الحياة تسرى فى كيانه ... وحقق الله رجائى عندما قرب الصيدلانى يده حاملة إلى أنف صديقى زجاجة صغيرة فاهتز رأسه ثم فتح عينيه الودعتين برقت فقلت له :

— عفواً يا تونى ! إننى ما قصدت إلى إبدائك

قط ولكن ...

— ولكن هيا بنا ولننس ما قد سلف لكننى كنت على يقين من أن تونى لن يغيب عنه مما مضى شيء ... وانطلقنا عابدين وسبقنى هو إلى الدخول فتلقت إليه ماربا ثم أنشأت تضحك ملء شديقتها تقول : « تونى ... إنك تبدو مضحكاً للغاية » ونظرت إليه فلذا لونه زداد انتقاء .. هى إذن لا تنصر له الحب ... فلو كانت تفعل ماسحورت منه ولا اتخذت شفتيه اللطيفتين الداميتين هزواً .. كانت لطفة أخرى عتيقة تلقاها البأس ومضى على وجهه حتى داراه بلب الخمد ، وأقت أنا فى مكافى وقد رأيت رايك خلته كفيلاً بأن يرد إلينا ههنا ما المفقود . لم أكن متأسكاً بل أحسست كأن ماء بارداً يجرى فى عروقى عندما ناذتها فدنست منى تسألنى فى صوت لين رقيق عما أطلب ؛ بيد أننى أخذت أقص عليها كل ما دار بينى وبين صديقى وهى تنصت لى والابتسامة على ثغرها تنسع شيئاً فشيئاً ، حتى إذا ما فرغت من حديثى أطلقت ضحكة خافتة :

— إننى لست فتاته ولا فتاة غيره ياسيدى . وهب اننى سأعشق يوماً فتى أن من أعشقه سيكون رجلاً قويا لا شبحاً هزيباً . وكان طبعياً أن يخلص إلى الزهو فأعجب بقوى وبنيانى ولكننى تأهبت لأتنبها بما انقادت عليه نيتى

ياريا ... لقد ارفض عنى الألم وأصبحت على الهوى بـعمل قادراً ، غير لنا ولك أن تطرق عملاً غير هذا !

كان لكلماتي عليها وقع شديد فلبثت لى أثرها مبهوتة شاخصة ، ثم اندفعت نحوى

وأمسكت بذراعي قائلة :

— "جيم ... أبطأ وعلك فؤادك أن تحرم فتاة
مثل ذرقتها ؟! لقد قضيت وقتاً طويلاً مشردة
سافرة حتى وفقت إليه ... بربك لا تذروني أرحل
وشرعت تبكي وتنتحب ؛ ولم أك في حياتي
قد شهدت امرأة بين يدي تبكي فلا محجب إن بدا
منى الضعف والخور حيال دعمها للدراة ...

مضت الأيام مضياً بطيئاً ثقيلًا ، ومضى كل
منا يعمل عمله في صمت وهدوء ، وأخذ توني
منذ ذلك اليوم يتجنب لقاء ماري ، وأخذت أغشى
معها قاعات اللو كلما هوى قرص الشمس وأظلنا
الدي .

وانبثق نور الفجر ذات يوم فولينا وجهينا
بشطر الميناء . ووقفت فوق صدر الزورق منفرج
الساقين متقبض الصدر يتملكني شعور بهم تقبل ،
وتحدثن نفسي بشر مستطير ... كان الضباب أمام
أبصارنا ممتقداً كثيفاً ، والزورق من تحت أقدامنا
قلناً مضطرباً يتقاذفه الموج النائر المصطخب ، والريح
تملاً الفضاء زفيراً خفيفاً مزيجاً ، وطفقت يصرى
أبحث عن توني فألفيته في قاع الزورق يمدجني
بنظرات مفرقة ويمر يده برفق فوق خنجره ،
فاشده دهي وانفجرت صارخاً بين هدير الأمواج
وزفير الريح :

توني . لا بد لنا من المودة ... هيا اطو
الشباك .

وامتثل توني على الفور وطفق يمجذبها في ثؤدة
ويكدها تحت قدميه وهو ثابت هادئ وجملت
أترقب فراغه بلهفة وشوق حتى أسرع بتوجيه
الزورق صوب الجنوب ، ولكنه ما كاد باتى على

آخر الشباك حتى أحسست أن قلبي قد فارق موضعه
واقضضت عليه أحاول القبض على ذراعيه :

— توني لا تفعل ... رد الشباك ثانية ولا ترفضها .
أنظر إن بها (القائمة) ! إنها قال بيء ، سيملك
ولا ريب أحداً يا صديقي .

لكنه وكأنه لم يفقه قولي ظل يضم الشبكة
إليه والسمكة الرهية تدنو منا شيئاً قشياً .

— توني ... لا تكن زقاً ... ستجر علينا
الكوارث ... ستسوق إلينا الوبلات .

أصم توني أذنيه وتركني في مكاني ، وانطلق
مسرعاً نحو كومة الحراب فاستل منها واحدة وعاد
فصوبها إلى السمكة الهائلة ، فلما أصابها شدها بجبل
غليظ إلى الزورق وتركها تتخبط وتتملص وتضرب
الماء تريد النجاة ...

وقصدت السكان مستسلماً ونظري لا يفارق توني
وهو يلوح بخطاف غليظ في يده حتى بلغ مرتبط
السمكة فأخذ يرتبط به ... وارتفعت أماننا في هذه
اللحظة جبال من اللوج هائلة فانصرفت عيني إلى
الزورق وعندما نالت إلى الوراء جدالدم في عروقي ...
كان توني على قيد أقدام من يشغ الهيئة مخيف
المنظر يهقه والخطاف في يده يضطرب :

— توني ماذا جرى لك ؟ ... وحت مرئاعاً :
توني هل جنت ؟

فأجابني في صوت مخنق مرتمش كشربة
الموت :

— أجل ... أجل ... منذ شهر ثلاثة والنار
تأكل مني ... وأنت قرر المين بجاريا .

كان صوته يقرع أذني كالطبول نغليت المكان
ورحت أراجع وهو يلحق بي حتى ارتطممت

قدي بحافة الزروق .

— توني ... كيف أقسم لك أني ما كنت أشعر
بأنك تنمذب .

وجف حلق وأخذ المرق يتصبب من جيبني
برغم برد الشتاء — أريد قتلى ؟ ...

— لينني أقوى ... ساموت معك ... سيطوينا
اليم ... سنصعد الى أمنا في السماء .

وحانت منى التفاتة الى النهر فصرخت فيه
مدموراً :

— توني ... انتبه ... حاذر .

ولكن كان الحبل قد التفت حول ساقه فانزعه
(الوحش القاتم) وحمله معه الى اليم وهو ينظر الى
مستغيثاً تمتد منه اليدان ...

«وارحمتاه !» قاتلها وهو يشيب بين الأمواج .
«دعه يهلك ... لن يلومك أحد ... لقد أراد
لك الموت ... فليلق جزاءه» .

وسكنت الريح قليلاً فشمعت أن هاتفاً يهتف
باسم بصوت كأنها يتعذر من غلياء السماء ... لقد
خيل إلى أن أي تطل من بين السحب وتصبح به :
ولدى ... ولدى ... أقتد أخاك .

وابتدرت المياه مسرعا ومضيت أشقها بذراعي
وهي تنهش جسمي نهشاً حتى رأيت صديق بين
معتوك الأمواج يتخبط ويتشبث فاندفعت نحوه
صائحاً : «توني ... توني ... لا ترحل ... إنني أت»
وطففت أسبح وأرد الوج عني وألطمه بكلتا يدي
ولكن ... دون جدوى ! كان توني قد ذهب ...
كانت ماريا واقفة لدى الباب عند ما طرقتة
بقدي ، فلما أبصرني وحيداً مشعث الرأس مسهباً
سألني وقد انتقع لونها : أين توني ؟

— لقد اتهمه اليم ...

وارتجت على مقعد قريب ثم انفجرت باكياً ...
وإن لكذلك إذ شمعت بيد تربت على كفتي ،
فرفت وجعي فأذا بها قائمة فوق رأسي يفرغها
عن ابتسامة بيضة ... لقد بدا لي وجهها حينذاك
بشعاً منكرًا .

وثار في صدري النياط والمقت الشديد فصحت
بها :

— هيا اخرجي من بيتي ... لا أطيق أن أراك
بعد الآن ... إنني أكرهك .

— جيم !!!

— هيا قبل أن أحطم وأسك بهذا المقعد ...
وعدت أدراجي الى الطريق وجملت أهدم على
وجعي ذاهلاً مشرد العقل والبالغات تندفق على فم
أفني حتى كان الليل قد ولي مدبراً وصدر النهار
يلو وويدأ رويداً ...

يوم جديد ! ... وأمسكت بين أهداب عيني
دمعة مترققة ... أين أنت يا توني ؟ ... في غود
الماء وحيداً ممدداً بين الصخور يحجم عليه الهدوء
والصمت كمادته ... أحمد عبد العظيم شحاته

الام فرتر

للشاعر الفيلسوف جوة الألاتي

الطبعة الرابعة

ترجمها أحمد حسنه الزيات

وهي قصة عالية تد بحق من آثار الفن الخالد
وثمها ١٥ قرشاً

للشعر فحسب ، بل وللحياة
أيضاً . فكانت إذا ما خلعت
إلى نفسها تفكر في ذلك
الزوج وفي ثروته الطائلة ،
وفي قيمة هذه الزوجة لها .
وكانت في كل مرة تعود بمد
ذلك التفكير الطويل بالألم
والاشفاق على هذا الزوج
الذي لم يعرف قط ذلك الجو
الشعري الجيسل ، جو

المرأة الشائخة

Imaginative Woman

للقصة رابطة بجزيرة ترمس هباري
بقلم الأديب نظمي خليل

المواطف والخيال الذي كانت تطلق فيه مشاعرها
المكبوتة وأحلامها المذبة تخلق في ساعات خلوتها
وهدهوها

سار الزوجان حتى أتيا منزلاً صغيراً يشرف
على البحر ، وقد أحيط بمحديقة شجراء فينانة ؛
فاستقبلتهما صاحبة المنزل وأخذت يتحدثان عن
ظروفها السيئة وعن موت زوجها المفاجئ ، وعن
وسائل الراحة التي تملأها لهن من يقيم في منزلها .
فأعجبت مسز مارشل بالمنزل ، ولكنها أرادت استئجار
كل الغرف ، فغاب أمل المرأة في كسب هؤلاء
الضيوف ، إذ كان هناك غرفتان يشغلها شاب
رفيق الجانب طيب القلب كريم الخلق لا تود أن
يتركها ، ولكنها تمتمت قائلة : لا بأس ، ربما يخجل
لكما هاتين الغرفتين بضعة أسابيع . وقبل أن يفرغ
الضيوفان من تناول الشاي أخبرتهما السيدة أن
صاحبها الشاب قد رضى أن يخجل لهما الغرفتين مدة
ثلاثة أسابيع . فقال السيد مارشل :

« إنه شاب كريم حقاً ، ولكننا لا نريد أن
نزعجه في مسكنه »

انتهى « ولیم مارشل » من البحث عن
مسكنه الصيفي في إقليم « سولنتس » في جنوب
« ويسكس » ثم عاد إلى الفندق حيث كانت زوجته
وأطفاله في انتظاره بمد أن قضوا سحابة اليوم في
اللو واللبس . وكانت الأم منصرفة إلى قراءة الشعر
كما دأبت ، فلم تكدر تراه حتى ألقت بالكتاب جانباً
وأفادت من ذلك الحلم الجميل الذي كانت غارقة فيه
وقالت : إنى أود أن تكون قد وفقت هذه المرة إلى
منزل ملائم فقد ضقت ذرعاً من طول مكثنا في هذا
الفندق . فأجابها زوجها : إن المدينة مزدحمة والغرف
ضيقة وأخشى ألا نجد فيها ما نريد . هل لك أن
تصحبنى إلى ذلك المنزل الذي رأيته اليوم ؟ ثم خرجا
مما تاركين أطفالهما الثلاثة في رعاية المربية

لقد كان هذان الزوجان مختلفين في المزاج
والشرب ، فقد قضى الزوج حياته في صناعة الأسلحة
ونشأ في جو صناعي بحث ، بعيداً عن جو الماطفة
والخيال الذي عاشت فيه زوجته الشاعرة ، فلم يكن
غريباً من امرأة رقيقة خيالية مثل « إلا » أن ترتاح
إلى أعمال رجل مثل « مارشل » . إنها ليست عدوة

في ذلك الجو المكتئب المكفر الذي أصبحت
تشم فيه أنها آلة للنسل وأداة للتسلية
وتشاء الظروف أن يقرن اسم هذه السيدة
باسم هذا الشاعر الشاب في إحدى المجلات الكبرى
عقب فاجمة مؤلة اهتزت لها عواطفها الشاعرة
فأوحى إليهما في وقت واحد بقصيدتين متحدتين
في الروح والمادة كأنهما فاضتا من ينبع واحد، حتى
أن مدير المجلة قد نشرهما في صفحة واحدة متمجبا
لذلك الاتفاق القريب

ومنذ ذلك الوقت أخذت «إلا» أو «جون
إيفي» كما كانت تسمى نفسها تهتم بكل ما ينشر في
الصحف بامضاء روبرت ترو. لقد اتخذت ذلك
الاسم لترضى رغبة كاملة في نفسها، وحتى لا يرتاب
الناس في صدق إيماءاتها إذا علموا أن هذه
المواطف الجياشة والشاعر القوي تفيض من قلب
امرأة عادية هي زوج لأحد تجار الأسلحة وأم
لثلاثة أطفال.

أما أشعار روبرت ترو فلم تكن تحمل طابع
الشعر الحديث، بل كانت فرجة لقلب مملووم بالناس
قد ضاق بالحياة أو ضاقت هي به فلم يميز فيها بين
أحسن الطوائف البشرية وبين أرهاها. فكانت تلك
السيدة إذا ما قرأت أشعاره تشمر بحبيبة أليمة تمز
في نفسها لأنها لا تستطيع أن تخلق في ذلك الجو
الساى الذى يضرب فيه بجناحيه القويين.
ثم مضت بضمة أشهر نشر خلالها روبرت أول
دواوينه الشعرية فكان باصكورة طيبة استقبلها
الشعب بشيء من التقدير مكنه من أن يكسب
نفقات الطبع، فأغرى هذا النجاح التواضع
جون إيفي على أن تجمع مقطوعاتها الشعرية المتناثرة
في كتاب واحد مؤلة في أن تصادف بعض ما ظفر

فأجابه صاحبة المنزل قائلة: لا إزعاج ولا إقلاق
فهو شاب غريب الأطوار تراه دائماً حالكا مطرقا
حزيناً يحب الوحدة ويتمشق الهدوء، وهو يحرص
على البقاء هنا في فصل الربيع الباسم حيث لا أنيس
له إلا البحر؛ أما الآن فإنه ذاهب إلى إحدى الجزر
القرية كما يفعل كل عام تبديلاً للهواء. وفي اليوم
التالى كانت أسرة السيد مارشيل تقيم في ذلك المنزل
الجديد. ثم مضى الرجل إلى البحر يرقاض على
شاطئه الجبيل، وانصرف الأطفال إلى اللعب في
الخلاء، وبقيت «إلا» وحيدة تلهو بما عسى أن
تجد من كتب وأثار في غرفة ذلك الشاب. فقد
رأت رفوفاً من الكتب الغريبة النادرة قد تكس
بعضها فوق بعض في نظام خاص يدل على أن صاحبها
لم يفكر قط في أن يدأ غريبة مستمد إليها. فقالت:
سأخذ هذه الغرفة لنفسى إذ يظهر لى أن
صاحبها مفرم باقتناء الكتب. هل يمكننى أن أقرأ
بعضاً منها يا مرس هور؟

— نعم، إنه أديب ناشئ وشاعر واعد، له
دخل يسير يكفيه تكاليف الحياة، ولكنه لا يشق
له طريقاً في المجتمع

— أهو شاعر حقاً؟ لم أعرف هذا قبل الآن.
ثم تناولت كتاباً فقرأت اسمه في الصفحة الأولى
فصاحت متعجبة: «بالصادفة! إلى أعرف اسمه
حق المعرفة: «روبرت ترو» كذلك أعرف أشعاره.
أهذه هي غرفته؟ وهل هو حقاً الذى أخرجناه منها؟
ثم أخذت تفكر في ذلك الاتفاق القريب.
لقد كان والدهما أحد رجال الأدب البارزين فنظمت
في الأيام الأخيرة بعض القصائد أودعها عواطفها
الحزينة وأسفها على تلك الحياة الأولى، حياة الحلم
والزهى؛ حياة المرح والشباب التى ضاعت جميعها

في المزيج الأخير من الليل أن ظل بقية الليلة يقطع
الفرقة جبهة وذهوباً ، فأطار النوم من عيني ولكى
مع ذلك لم أشق به ولم أغضب
كان غذا فاجحة الحديث من ذلك الأدب
الواعد الذى أخذ يصمد مدارج الشهرة في وثبات
واسمة موقفة .

وفي ذات يوم جاءتني صاحبة المنزل تلفت نظرها
الى شيء لم تنتبه اليه وهو آثار للكتابة بالقلم
الرصاص قد تقشّت على ورق الحائط خلف الستائر
بالقرب من مكان الرأس ، فلم تستطع مسر ماوشمل
أن تحبس شمور الدهشة والرغبة ، فاندفعت الى
الفرقة ، وانحنيت برأسها الجليل حتى كادت تلمس
الجدار . ثم أخذت مسر هورترشرح لها في أسلوب
المرأة المتمكنة من علمها الواقعة على جميع ما يحيط
بها فقالت :

إن هذه الكلمات هي خواطره الأولى التى
تهفو بعقله وهو نائم في فراشه ينقشها هنا خوفاً
من أن ينساها . لقد رأيت كثيراً من هذه الآثار
منشورة بعد ذلك في الصحف ولكن هذه الأسماء
لم تنشر بعد .

فاجر وجهها دون أن تدرك السبب وشعرت
برغبة قوية خفية في أن تتخلو الى نفسها : ولم تكذب
المرأة تنصرف الى قضاء حاجة لها حتى أسرعت
مسر ماوشمل الى غرفة الشاعر وأخذت تخلو هذه
الأسماء في صوت موسيقى جميل حتى سكوت
أذناها وشالت بها أفكارها الى السموات البلى
كانت الطبيعة في ذلك اليوم فاضحة ناضرة ، فلم
يرد مسر ماوشمل أن تصاحبه الى البحر الهاج المزبد .
أما هي فقد أخذت تصنيق تلك الحياة الزينة الثابتة ،
وتنفر من ذلك الخلو المألوف الثقيل ، إذ لم يعد

به روبرت من الاقبال والتشجيع ، ولكنها عادت
بصفقة المليون ، فلم يتصد أحد لكتابتها بالنقد
أو التقريب ، بل لم يفكر أحد أن يلقى عليه أو أن
يشير إليه ولو في إحدى الصحف اليومية .

ولكنها لم تفكر كثيراً فيما أصابها ، فمران
ما حطت بها أفكارها من عالم الشعر والأدب الى
عالم الحياة والمنزل ، فقد أحست مجتئين يضطرب في
أحشائها فأنصرفت عن الأدب وتاهبت لاستقبال
ذلك الضيف الجديد .

جالت هذه الأفكار في خاطر تلك المرأة التى
وجدت نفسها أخيراً وعلى غير انتظار في غرفة ذلك
الشاب الذى ارتبطت به برابط روحى وثيق ، فهضت
عن كرسياها وأخذت تجول في أنحاء الفرقة تتفحص
في كل ما تراه ، ثم دعت مسر هور تستفسر منها
عن ذلك الشاعر الشاب فقالت :

— وهل يقيم هنا منذ زمن طويل ؟

— نعم . منذ عامين تقريباً وهو يحتفظ بهاتين
الغرفتين حتى في أيام سفره ، فإن جو هذا المكان
يلأم صدره . وهو يقضى وقته في القراءة والكتابة
لا يقابل أحداً ، وهو مع ذلك طيب القلب حلو
الحديث يتعنى كل من يعرفه أن يصادقه . إنك
لا تصادفين أمثال هذا الشاب كل يوم

— في طيبة القلب ورقة الشاعر !!

— نعم . حتى أننى كثيراً ما أغريه على الخروج
من عزلته ، فيقوم برحلات قصيرة الى باريس
أو النرويج ، ثم يعود يشكرنى لأنه ذاق طعم
السعادة بسببى

— إنه رقيق الاحساس لاشك

— أجل وإن بدأ في بنف الأحيان غريباً ، فقد
حدث مرة بعد أن انتهى من نظم إحدى قصائده

فاحمر وجهها خجلا وأسرعت الى خلعتها ، ثم قالت لقد رأيتهما مصادفة هنا فارتدبتها لأمرى من نفسى ألم الوحدة . ماذا أعمل مادمت بعيداً عني دائماً ؟ بعيداً دائماً ؟ حسن . . .

فلما جاء الليل ذهبت الى مسز هو بر تنفذى شعورها بالحديث عن ذلك الشاعر البعيد . فقالت صاحبة المنزل : إنك تلذبن كثيراً اسماع قصته . لقد أرسل إلى خطابا اليوم يخبرني أنه سيأتى غدا لحاجته الى بعض الكتب

— هل يمكنكى أن أبقي هنا عند مجيئه ؟

— نعم يمكنك أن تقابليه إذا أردت ذلك فشعرت يارتياح خفى عند سماعها هذا الكلام

ومضت الى فراشها تفكر في هذا اللقاء المرقوب وفي صباح اليوم التالى قال لها زوجها : لقد كنت أفكر يا (إلا) فيما حدثتني عنه من أنى أتركك وحيدة دون أنيس . قد تكونين على حق في هذا ، ولكن الجو اليوم محو ، والبحر رهو ، وللنسيم رخو ، فهل لك أن تصحبيني الى زهرة قصيرة ؟ ولأول مرة شعرت (إلا) بصدم رغبتيها في تلبية هذا الطلب ، ولكنها لم تمان رفضها . ثم اقتربت ساعة الخروج فأخذت تستعد لها ، ولكنها ما لبثت أن توقفت عن المضي في اللبس ، كان الرغبة في لقاء ذلك الشاعر المجهول كانت قد جرفت بعيداً سائر الرغبات الأخرى ، فقالت في نفسها : (إني لا أستطيع الخروج الآن) وأخبرت زوجها بذلك ، ففضى وحده كان المنزل هادئاً في ذلك اليوم ، فقد خرج الأطفال الى الغلاء يلعبون وعمرسون ولم تعد تسمع إلا صوت أمواج البحر تداعب الشاطئ فرحة بذلك اليوم المشمس الجميل . لقد سمعت الباب يقرع ولكنها لم تر أحداً ، فلما نفذ صبرها نادى مسز

ركوب البحر ولا السير مع الشاطئ . متأبطة ذراع زوجها شيئاً بجانب تلك اللذة القوية التي أخذت تشمر بها كلما أوت الى غرفة ذلك الشاعر المجهول . لقد قرأت أشعاره كلها فاستظهرتها ، ثم حاولت أن تعارضها ولكنها عادت ودموع الفشل تترقق في عينيها . وهكذا عاشت تلك المرأة المسكينة مغمورة بتلك للشاعر المندبة التي أوجت بها اليها غرفة ذلك الشاب الذي لم تره قط

لم يمد قلب تلك المرأة يقنى على أوتار الحب الأول ، ولم يمد زوجها ينظر اليها أكثر من رفيق أو صديق ، ولكن قلبها كان لا يزال عاصراً بالحب ، جيباشاً بالمواطف التي تتطلب غذاء وإلا ذبلت وماتت . وأخيراً وجدت ذلك الغذاء في ذلك الاتفاق الذي لم تكن تعلم به

عثر الأطفال يوماً على بعض ملابس ذلك الشاعر فأسرعت مسز هو بر ووضعتها في الصندوق كما كانت . أما الأم فقد شعرت بشيء غريب كتمته في نفسها حتى تحين الفرصة ، وسرعات ما حانت ، فقد خرجت مسز هو بر الى قضاء بعض حاجاتها ، وخرج الأطفال يلعبون كماداتهم كل يوم ، فأسرعت الأم الى الصندوق وأخرجت منه حلة جميلة فارتدبتها ، ووضعت قيمته المالية فوق رأسها . ثم أخذت تحظر في مشيتها تسأل نفسها : ألا توحى لي هذه الملابس بما أوجت اليه من روائع الفن ؟ لقد طالما خفي قلبه تحت هذه السترة ، وطالما تفتح ذهنه الجبار عن روائع الشعر وفوقه هذه القبة ؟ ثم ما لبثت أن شعرت بضعفها بجانيه فمادت والدموع تكاد تظفر من عينيها ، ولكنها لم تترك اتصال الى الصندوق حتى رأت زوجها أمامها فصاح : ما هذا الجنون ؟

لم تظهر كذلك . لقد كانت قادمة على تلك المرحلة التي تمتد فيها المرأة أن الحب الأخير أقوى من الحب الأول . وفي تلك اللحظة جاءها نبأ من زوجها يخبرها أنه سيغضى ليكنه في زهرة بحيرة مع بعض أصدقائه . فقامت إلى المائدة وتناولت الدشاء مع أطفالها ثم أمضوا جميعاً وقتاً على الشاطئ وهي لا تفكر إلا في تلك الصورة المختبئة وكأنها تتوقع أمراً خيفاً

ثم عادت إلى المنزل ذاهلة عن نفسها ولكنها لم تجرؤ على إخراج الصورة حتى نام الأطفال وشمرت بالوحدة والهدوء . ولكنها بالرغم من ذلك لم تستطع أن تدون الصورة حتى ترضى تلك الرغبة الدفينة في نفسها ، فارتدت أغر ثيابها وقات إلى الأطار وأخرجت منه الصورة ووضعتها أمامها على المكتب . لقد كانت صورة قوية رائعة ، وكان الشاعر لا يسأ قيمة عالية تاتي ظللاً لريقة على جبينه . أما العيانان اللتان وصفتهما صاحبة المنزل فقد كانتا تسمان أما وبؤسا

نظرت إلى الصورة طويلاً ثم تمتمت في صوت هادئ وقيق : « وهل أنت الذي كيف نوره القوى نوري هذه المدة الطويلة ؟ » ثم غابت في تفكير عميق حتى اغرورقت عينها بالدموع ، ولست شفتها الصورة ، ثم مالبت أن تضحك ثم تضحك عصبية ومسحت الدموع من مآقيها ، وأخذت تفكر في نفسها كيف أن امرأة هي زوج لرجل وأم لأطفال ثلاثة تسمح لنفسها أن تنظر إلى شخص غريب في مثل هذه الحالة المريرة ؟

لا . إنه لم يكن غريباً . لقد عرفت أفكاره وعواطفه كما عرفت أفكارها وعواطفها ، فقد كانت نفس المواطف والأفكار التي كان يضطرب بها قلبها

هور وسألها عن الطارق ، فأجابها : إنه أحد الأشخاص يسأل عن سكن . لقد نسيت أن أخبرك أن روبرت قد اعتذر عن المجيء اليوم لعدم حاجته القوية إلى المكتب . فراح الحزن على قلب (إلا) وبقيت وقتاً طويلاً تنهبا لشقى الانفصالات حتى أنها لم تستطع أن تقرأ أغنيته الحزينة : (الأرواح المديدة) إذ كان الحزن قد جفف ينابيع فرحها

— مسز هور . هل لديك صورة لـ . . . ذلك الشاب الذي يقطن هنا ؟

وكان الجدل قد عقد لسانها عن ذكر اسمه — لماذا ؟ نعم . في داخل ذلك الأطار الجميل المعلق في غرفتك

— ليس هنا إلا صورة للدوق والدوقة

— نعم . إنها في داخل ذلك الاطار نفسه . لقد اشترته خصيصاً لصورته ولكنه جاء في قبل السفر وقال : « إني ضروري عن أعين هؤلاء الغرباء الذين سيقومون هنا فاني لا أود أن يتطلموا إلى صورتي » ولذلك أخفيت صورته مؤقتاً تحت صورة الدوق . يمكنك أن تريها إذا أردت فانه لا يفتصب ؟ فلو أنه عرف أن الشخص الذي سيقم في غرفته امرأة جميلة جذابة مثلك لكان حرياً ألا يفكر في إخفاء صورته — وهل هو رشيق ؟

— إنه رشيق في نظري وإن لم يبد كذلك في نظر بعض الناس . ولكني أعتقد أنه شخص قوى يأمر كل من يراه ، ففي عينيه ريق الذكاء ، وفي بدنه روح المبقرى الثائر

— كم يبلغ من العمر ؟

— إنه يكبرك بسبع سنوات . أي أنه حوالي الثانية والثلاثين والحقيقة أن (إلا) كانت فوق الثلاثين وإن

له برنامج آخر . لقد تعبت اليوم ولكن مضطر أن
استيقظ الساعة السادسة . سوف لأوتظك . فرفعت
إليه عينها بينما كانت يدها تمن في إخفاء الصورة
تحت الوسادة . فأنحنى عليها وقال : أحقاً أنت
مريضة ؟

— كلا . ولكنى كاسفة البال فقط

— لا بأس

ثم انحنى عليها ثانية وطبع فوق جبينها قبله
وفي الساعة السادسة استيقظ مارشل وهو
يقنأ وبتمت هذه الكلمات : لست أدري أى شيء
كان يحثى هذه الليلة

فرفعت (إلا) عينها فرأت صورة روبرت في يده

— حسن . لقد قضى على

— أمستيقظة أنت أم نائمة ؟

— ماذا تسمى ؟

— أرى صورة هنا

— أعطها لأحد أصدقاء صاحبة المنزل

— إنى أعجب كيف جاءت هنا

— لقد رأيتها أمس فربما وقعت من يدي هنا

— إنه صدقك إذن

— إنه رجل ذكي وشاعر واحد وهو الذى

يقطن هاتين الترفتين ولكنى لم أراه

— كيف عرفت هذا ما دمت لم تره ؟

— مسز هوبر أخبرتنى ذلك عندما أعطتنى

هذه الصورة

— حسن . يجب أن أتركك الآن . إنى

لا أستطيع أن أحبك مى . راقبى الأطفال جيداً

حتى لا يبعدوا كثيراً عن المنزل

وما كاد مستر مارشل يترك المنزل حتى أسرع

زوجته إلى مسز هوبر تسألها عن موعد حضور

والتي تفقدتها في زوجها فلم تجد لها . « إنه أقرب
الناس إلى نفسى وإن لم تقع عليه عينى » . ثم ألفت
بلكتاب والصورة على منصة صغيرة بجانب السرير
وأخذت تستعيد بعض أشمارة الوجدانية ثم
ما لبثت أن أمسكت الصورة في يدها وأخذت تنظر
فيها وهي نائمة ، ثم التفتت إلى الأسمار المكتوبة
بالقلم الرصاص على الحائط . لقد كانت جملاً وسطوراً
كأنها مذكرات « شيل » . ثم شمعت أن أنفاسه
الحارة القوية تصافح خديها وكأنها منبعثة من تلك
الجدران التي طالما أحاطت برأسه كما يحيط برأسها الآن
لا بد أن يكون قد وضع يده هكذا وهو ممسك
بالقلم . نعم . إن الكتابة مائلة عما يدل على أن
الكاتب قد مد ذراعه هكذا . « إن الصور أكثر
حقيقة من الانسان فهي غذاء الأبدية » هذه هي
الأذكار التي خطرت في ذهنه في سكون الليل
العميق عندما انطلقت روحه في سماء الفكر
لا تخشى تقدراً ولا تهاب إنساناً ؛ ولا شك أن هذه
الكلمات قد كتبها في عجلة على ضوء القمر الخافت
أو نور الصباح الخائى أو بصيص الفجر الأدكن . ثم
مدى شمرها حيث كان يضع ذراعه وهو يستحل
تلك الأفكار الشاردة

لقد كانت نائمة على شفتى الشاعر محاولة أن
تقمص روحه وتتم أنفاسه خلال ذرات الأثير
ويبدأ هي غارقة في بحار هذه التأملات المدبة
المليحة إذ سمعت وقع أقدام على السلم فلم تكذب تصحو
من أحلامها حتى رأت زوجها أمامها يقول : معذرة ،
هل بك صدام ؟ أخشى أن أكون قد أزعجتك
فأخفت الصورة في حركة غريزية سريعة
وقالت : باي من صدام . كيف جئت الآن ؟

فقال : خفت أن أتاخر إلى القد الذى أعددت

يذكر فيه أنه وإن لم يقرأ هذا الاسم «جون إيف» من قبل فيسمي بكل ما تنشره بعد ذلك . وبالرغم من هذا فقد رأت إلا في هذا الخطاب القصير معنى آخر ، فقد كتب إليها روبرت بنفسه وفي تلك الغرفة التي كانت تجلس فيها

ثم أخذت ترسل إليه من حين إلى آخر بأجود ما تسمح به قريحتها الفياضة لتسأله رأيها فيه ، ولكنها لم تتلق منه رأياً ، فمزت هذا إلى أن روبرت يكتب إليها ظاناً أنها أحد منافسيه من جنسه

لقد كان روبرت صديقاً حميماً لصاحب إحدى المجلات الأسبوعية الكبرى ، وكان ذلك الناشر صديقاً غليظاً لزوجها فكانت إليه تدعوه لزيارتها وأن يصحب معه صديقه روبرت

كان الشتاء قد انتهى وانقطع المطر ، وأخذت الأزهار تنفتح ، والطيور تشدو فوق الأشجار ، وانتشحت الأرض برداء الربيع

وفي اليوم الموعد في الساعة الخامسة سمعت قرعاً بآل باب فهرولت إليه ولكنها هالما أن فُجئت صاحب المجلة واقفاً وحده فسألته :

— أين روبرت ؟

فأجابها : إلى آسف كثيراً لعدم مجيء روبرت . إنه غريب الأطوار كما تعرفين . لقد وعدني أنه سيحضر ثم عاد فاعتذر

— وعلى ذلك فهو لا يأتي اليوم

— نعم وقد أوصاني أن أعتذر إليك

— متى تركته ؟

— الآن على باب منزلك

— ماذا ؟ وهل مر بمنزلي ؟

لقد تحدثنا معاً بالباب ثم انصرف وهو في حالة نفسية غريبة . فقد أخرجه عن نفسه مقال نشرته

روبرت . فعلت منها أنه سيأتي في نهاية الأسبوع ثم عاد مارشيل قبل الغروب وأخذ يقرأ الرسائل التي جاءت أخيراً ، وبقاة قرر الرحيل بعد ثلاثة أيام — ألا يمكننا أن نبقى هنا أسبوعاً آخر ؟ إلى أحب هذا المكان

— ولكن لا أجد فيه ما يفرى بالبقاء

— إذن أبقى أنا والأطفال

وما الفائدة ؟ إلى مضطر إلى العودة ثانية لأصبحكم إلى المنزل . وعلى كل فليدرك ثلاثة أيام أخرى

ولكن «إلا» رأت أنها مقضى عليها إذا لم تر روبرت ، فبذلت آخر جهدها ففعلت أن الشاعر يقيم في إحدى الجزر القريبة منها فذهبت إليها ولكنها لم تستطع أن تهتدي إليه ، فمادت كاسفة البال مهمومة النفس وقد أصبحت الدنيا في نظرها أضيق من كفة الحابل

ولكن السرور ما لبث أن انبعث في قلبها فأمر جوانبه القاتمة . فقد عاد زوجها وغير رأيه وسمح لها بالبقاء حتى نهاية الأسبوع

ولكن الأسبوع قد مضى وروبرت لم يأت . وفي صبيحة يوم السبت ، كانت محزونة مارشيل وأولادها في طريقهم إلى المحطة . لقد كان الطريق مقفر أنيقاً والجو خافقاً مكتئباً يمش الضيق والضجر ولكنها بقيت بالرغم من ذلك تنظر إلى البحر وإلى

الجزر المتناثرة فيه حتى غابت جميعها عن عينها ، فأخذ قلبها المثقل الموموم يتلف إلى حيث يقيم الحبيب . عادت إلى منزل زوجها الزيني الجليل جسماً بدون قلب كأنها قبر متحرك . وأخيراً كتبت إلى روبرت تبتهل بحاجتها وتسأله رأيها في بعض مقطوعاتها الشعرية التي أرسلتها إليه ، ثم انتظرت الرد ، فسرعان ما جاءها بما كانت تخشاه ، إذ جاءها خطاب مقتضب

« عزيزي : قبل أن يصلك خطابي هذا أكون قد وضعت نهاية لتلك الضيقة التي نارت حولي . لن أقتل عليك بسرد الأسباب التي حملتني على هذا ، ولكني أؤكد لك أنها وجهية مقنعة . ربما لو كانت لي أم أو أخت أو صديقة لما فكرت في أن أقطع مجرى حياتي هكذا . لقد طالما حملت بتلك الخلوقة المنشودة التي استوحيتها ديواني الأخير ، ولكن هذا الحلم لم يتحقق ، وأرى لزما على أن أذكر ذلك حتى لا أخرج أية امرأة قد يظن أنها السبب في هذه المأساة »

قرأت (إلا) هذا الخطاب وهي في ذهول من نفسها ثم أسرع إلى فراشها وانكفأت على وجهها تبكي وتنتحب ثم أخذت تتبسم : « أواه لو عرفني قبل ذلك ، أو لو قابلته مرة واحدة لو أسمرت بدي على جبينه الساخن ثم قبلته ، إذن لكنت أذيقه طعم الحب وأشمره بالخيالة ، ولكنك أريه استمداي للتضحية من أجله ، ولكن القدر لم يهيء لي هذا ولم يتح لي أن أنعم في جنته

ثم قامت لساعها وكتبت إلى صاحبة المنزل تطلب خصلة من شعر رأسه ، وسرعان ما جاءها الرد يحمل خصلة الشعر ومكان اللقبة

وفي أحد الأيام لاحظ زوجها أنها تحفي شيئا في صدرها فصاح : ما هذا . أخصلة شعر ؟ فتمتمت قائلة : لقد مات

— من ؟

— لا أذكر اسمه

— حسن . ثم مضى إلى عمله حيث اتفق أن قرأ خبر انتحار ذلك الشاعر . وسرعان ما تذكر

إحدى صحف الساء ، قال فيه كاتبه منه كثيرا ، وبما قرأته

— لا . إنه ليس جديرا بالتفكير فيه . فهو كثيره من مئات المقالات التي ينشرها أصحاب المقول القدعة الضيقة . إن موطن الضعف في روبرت أنه يهتم كثيرا بما يكتب عنه . . . ولكن كان واجبا عليه أن يعرف أن هناك من يطف عليه ويعجب به — نعم . نعم . لقد وصلته عدة رسائل من إيفي

— أيعجب إيفي ؟ هل قال هذا ؟

— إني لا أعتقد أنه أعجب به يوما

— ولا بشعره ؟

— لا . !

وأخيرا أيقنت تلك المرأة المسكينة أن شعرها لم يستطع أن يرضى بمودها العظيم فذهبت إلى حيث ينام أطفالها وهجمت عليهم تشبهم لها وضما

أما الناشر فقد أدرك أنها لم ترد بدعوه إلا لقاء صاحبه ، فأنصرف . وفي اليوم التالي نشرت إحدى صحف الصباح الخبر الآتي :

انتحار شاعر

انتحر مستر روبرت ترو الذي عرفه الجمهور منذ سنوات شاعرا مطبوعا ، وأديبا موهوبا في منزله في سولنتس بطلق ناري . إن الجمهور ليس في حاجة إلى تذكيره بديوانه الشمري « أغاني المرأة المجهولة » الذي نشره في العام الفائت ، والذي أثار ضجة كبيرة في الأوساط الأدبية

انتحر عقب قراءته مقالا غنيفا تناوله فيه كاتبه بالثقة والتجريح ، ثم نشر هذا الخطاب الذي كان قد أعدده لأحد أسدقائه وهو :

ولم يمض على هذا الحديث ستة أسابيع حتى كانت (إلا) ماقاة في فراشها لا تستطيع حراكا . وقد ذبل جسمها وجفت ينابيع الحياة فيها . وفي الساعة الأخيرة قالت : « ولیم . إني أريد أن أعترف لك بكل شيء . إنك تعرف تاريخ زيارتنا لسولتنس ، لا أستطيع أن أخبرك كيف نسيتك ، ولكني كنت في حالة سيئة ، لقد ظننتك دوني كفاءة وعقلا بينما كان فوق قوة وذكاء . فأردت أن أبحث عن شخص يفهمني ...

ولكنها لم تستطع أنت تريد حرفا على هذا فانتفضت انتفاضة سريعة كانت القاضية لم يكن الزوج كغيره من الأزواج سريع النيرة كثير الشك فلم يحاول قط أن يدفعها إلى الاعتراف بعلاقتها برجل مات

وفي نهاية العام الثاني بعد هذه الحادثة بينما كان مستر مارشيل يبحث عن أوراق زوجها ليحرقها قبل أن يقتن زوجة الثانية رأى خصلة الشعر ، وصورة الشاعر ، وخطاب صاحبة المنزل ، وقد كتب عليه التاريخ بخط زوجته . فنهض مسرعا وأحضر ابنه الصغير الذي كان السبب في وفاة أمه ووضعه على ركبتيه ، وأمسك بخصلة الشعر وأخذ يقارنها بشعر الطفل ، ثم وضع الصورة على المنضدة وأخذ يفتحصها ويقارن بينها وبين قسبات وجه الطفل ، وكأن الطبيعة الماكرة قد شادت أن تجعل الشبه قويا . فصاح :

تسألني . لقد خالفتني في هذا الطفل . دعني أرى التاريخ : الأسبوع الأول من أغسطس ... الثالث من مايو ... نعم ... نعم ... وأخير أصحاب : اذهب أيها الحيوان إنك لا تنتسب إلي !

تظني منيل

حديث زوجته عنه والصورة وخصلة الشعر أيضا . وفي أحد الأيام هبت (إلا) مضطربة مهمومة فكشفت ورقة صغيرة إلى زوجها تخبره أنها ذاهبة إلى مكان بعيد قد يستغرق منها يوما ، ثم انطلقت كالريح إلى المقبرة . فلما جاء زوجها همست في أذنه الخادمة أن سيدتها لم تكن في حالة هادئة في الأيام الأخيرة ، وأنها تخشى أن تكون قد انتحرت ، ولكن الزوج كان عارفا بمكانها ، فأسرع تورا إلى المقبرة وهناك في غسق الليل أخذ ينلس طريقه على برى شبح زوجته ، وأخيرا لمح بصيصا من النور يشع من بعيد ، فسار إليه وسط أكوام من الصخور والرجام فرأى زوجه حانية فوق القبر فقال :

ما هذا ؟ أتركين أطفالك وتأتين هذا الطيش ؟ إني لا أغار من هذا النمس فقد أنهى الموت ما بيني وبينه . ثم أمسك بذراعها وخرج بها من المقبرة حيث أخذ أول قطار دون أنت تنطق الزوجة بينت شفة

مضت على هذه الحادثة بضمة شهور ولم يجرؤ أحد أن يكلم الآخر أما إلا فقد كانت عليها تزداد سوءا بسوء حتى جاء يوم الخاض قالت :

— إني لا أعتقد أني سأنجو هذه المرة — فقال زوجها : أوه . ما هذا العيب ، لماذا لا تكون هذه المرة كسابقاتها ؟ قالت :

— إني أشعر أني ساموت ، وسأترك فراغا في قلوب أبنائي . فقال :

— وأنا ؟ قالت :

— إنك ستجد من يخلفني . فقال :

— ألا تزالين تفكرين في صديقك الشاعر ؟

فلم تجبه



يَوْمِيَا نَانِي فِي الْأَرْيَافِ

لِلْأَسْتَاذِ تَوْفِيقِ الْحَكِيمِ

(تابع)

١٤ أكتوبر ...

تركت المأمور يذهب إلى شأنه . وعدت إلى مكنتي بدار النيابة . وعلم المساعد بمودتي لخضر وهو كالشئاق إلى رؤيتي . ولكنه غاب على إغفالي إياه في واقعة الليل . فتنبهت إلى أني حقيقة نسيت كل النسيان . إن اهتأى باسطحاب المأمور تلك الليلة قد ألغاني ولا شك عن كل شيء آخر . ومع ذلك فهي حادثة تافهة لم يستفد منها غير بطن حضرة المأمور . ولم يقع ضررها إلا على جيب حضرة العمدة . آه لهؤلاء الممدد ! لشد ما أرتى للحلم ! وظهر « فراش » الحكمة الحاج نخيس . فطلبت إليه كوباً من الشاي الخفيف . والتفت إلى مساعدتي فأقبل على يمدني كمن يتحدث لمجرد الحديث ، وكأني به جوعان كلام . إن الوحدة قد كادت تقتله أنشاء غيبتني عنه . لقد سم الريف . إنه لا يجد هنا قهوة واحدة بلق أن يدخلها مثله . فلم إلا دكان ذلك البدال الرومي « طناش » ، وضمت أمامه مائدتان من الخشب وكريسيان من القش . وقد أطلق عليه الأهل اسم « الحمار » . وحتى هذا الرومي قد ارتدي جلباباً كجلباب الفلاحين فلم يمد شيء يني على

أنه « افرنجي » غير لون السينين والشعر . أين يتنزه ؟ وأين ينفق وقته ؟ هذا الشاب الذي جاء من العاصمة منذ أيام حيث الأتوار والملاهي والمضجيج ؟ إنه الآن لا يكاد يرى غير مبان قليلة أكثرها متهدم . وغير هذه « الجحور » المسقفة بحطب القطن والقدرة يأوي إليها الفلاحون . إنها في لونها الأغبر الأسمر لون الطين والسهاد وفضلات البهائم ، وفي تكديسها وبجمها « كهفورا » و « عزباً » . مديرة على بسيط المزارع ، لساها هي نفسها قطمان من الماشية مرسلة في النيطان . هذه القطمان من البيوت التي تمشي في بطونها ديدان من الفلاحين المساكين هي كل ما تقع العين عليه في هذه البقاع . ويزيد في كربه هذا السكون الذي يهبط على البلدة منذ الفروب . فلا يسمع بمدن غير خوار الجاموس ونبح الكلاب ونهيق الجير ونحيب السواق والشواذيف والكباسات ، وأصوات بعض الأعيمة النارية يطلقها في جوف الليل الخفراء المصوميون

أن أزيد به بياناً ليزداد حرصاً ، ولكن الحاج مخمس دخل حاملاً كوابل يكد بقع نظري عليه حتى جحت :

— ما تسبقني أحسن حبر « كوكبه » وتخلص !

— صل على النبي ياسيدنا الباك ! أنا بقى لى عشرين سنة فراش محكة . وورد على أصناف الأهل والموظفين . تصدق بالله ! ما ينفع فى الهاكم إلا شأى سر طم « الفوريه » !

فرددت قليلاً ثم لم أجد مناصاً ونلت :

— شأى الهاكم وشغل الهاكم كله سر والسلام . هات . ١ . ووضع الرجل الكوب الزجاجى أمانى وانصرف . وما كدت أشرف رشفة حتى فتح الباب ودخل عبد القدوس أفندى رئيس القلم الجنائى بروحه القى لا أستخف له ظلاً وقال :

— عندما من نوع التلبس أربع قضايا .

— هات !

فذهب وأرسل إلى المسكرى القادم « بالهاجر » والقبوض عليهم . وأخذنا نطالع الأوراق قبل أن نستدعى أماننا المتهمين . وجعلت من نصيبى ثلاث قضايا . واستصغرت ملناً ألقيت عليه نظرة بريمة وأعطيته مساعدى وأنا أقول له : « سرقة . كوز ذرة . لى نمثر لك على أسهل من مثل هذه السرقة . سل هذا الخلق فستجده متفرقاً فى أمان الله ! » . وبدأ الاضطراب قليلاً على المساعد : فهذه أول مرة يستجوب فيها متهم . وتناول من يدى المحضر . وجعل يقرؤه كلمة كلمة . ويبعد قراءة هذه « القصائم » التى لم تزد على الجنس . وفرت أنا من أمر نصيبى البالغ أضعاف ما عنده وهو ما زال منهمكاً فى إعداد مخصصات وافية ، ومخصصات للمخصصات ، وأستلة معدة إعداداً كأنها قنابل

او النظاميون أحياناً إرهاباً للغير أو تشجيعاً لأنفسهم . إن مساعدى يريد دواء لهذا الضيق . وهل من دواء للريف غير الزواج أو السير الموج أو الطالمة وتحرير الذكرات كما أقبل أنا كلما وجدت إلى ذلك سبيلاً ؟ وفكر صاحبي فى الاختلاف إلى النادى . إنه لا يعلم شيئاً عن نادى هذا المركز . إنه اسم يطلق على حجرة فى منزل عتيق يصعد إليها بسلام من خشب . وهى قضاء بمصباح غازى أى « كلوب » وهذا « الكلوب » هو وحده الشئ الجدير بالاحترام فى الحجرة . أما أهل النادى فهم بالطبع رجال الادارة وطبيب المركز وبعض الأعيان والموظفين وصاحب الاجزاخانة . ولا يشغل هؤلاء فى ذلك المكان غير لعب الورق و « الطاولة » واغتياب الناس . فهل يليق بمثل النائب العام فى هذا المركز أن يندس فى هذه الزمرة ! لقد قلت لمساعدى أفى « شخصياً » أفضل أن يكون عضو النيابة بعيداً عن كل هذا إذا كان يريد أن يجعله الجميع . وأنا لى أنسى ذلك اليوم الذى دعانى فيه رجال الادارة إلى حفلة عشاء فى ذلك النادى مع القاضى المقيم تكريماً لزميل لهم منقول . ولم أستطع الاعتذار فذهبت . وإذا زجاجة الوسكى على المائدة بجوار الطعام . وقد ملأوا كأسى وكأس القاضى . ولم يظن القاضى لنفسه فشرب وأكثر ، وجعل يثرثر ويضحك حيث لا موضع للكلام والضحك . وعندئذ مال على الأمور وقد سكر هو أيضاً وألقى فى أذنى ضاحكا : « البك القاضى قد وقاه ! » فلم أرد أن أسمع أكثر من ذلك . فانسلت منصرفاً إلى بيتى فى هدوء دون أن يشعر بى هؤلاء المتخبطون فى كؤوسهم . منذ ذلك اليوم وأنا لا أضع قدماً فى هذا النادى . واقتنع مساعدى بكلاى . وأردت

وجه الشاب وتردد ، ثم تجهد ونظر الى التهم وسأله :

— أنت سرقت كوز الذرة ؟

فأجاب الشيخ لفوره من جوف مقروح :

— من جوعى .

فنظر المساعد الى وقال فى لهجة الاتصار :

« اعترف التهم بالسرقة » !

فقال الرجل فى بساطة :

— ومن قال لى ناكرا ؟ أنا صحيح من جوعى

نزلت فى غيط من الفيطان سمحت لى كوز ...

ووقف القلم فى يد المساعد ، ولم يعرف ماذا

يسأل بعد ذلك . والتفت إلى يستنجدنى ، فنظرت

الى الرجل سائلاً :

— سين ، يا رجل لماذا لا تشتغل ؟

— جيم ، يا حضرة البك هات لى الشغل وعيب

على إن كنت أنا آخر . لكن الفقير منا يوم يلقى ،

وعشرة ما يلقى غير الجوع

— أنت فى نظر القانون متهم بالسرقة

— القانون يا جناب البك على عيننا ورأسنا .

لكن معنى القانون عنده نظر ويعرف أنى لحم ودم

ومطلوب لى أكل

— لك ضامن يضمنك ؟

— أنا واحد على باب الله

— تدفع كفالة ؟

— كنت أكلت بها

— إذا دفعت يا رجل خمسين قرشاً ضمان مالى

يفرج عنك فوراً

— خمسين قرشاً ! وحياة راسك أنا ما وقعت عبنى

على صنف النقدية من مدة شهرين . التعريفة نسبت

شكله ، ما أعرف إن كان لحد البساعة (غروم) من

وسطه والا سداوه

سنتلقى فى صدر سارق « كوز الذرة » . فكتمت

ضحكى . أنا أيضاً فى مستهل حياتى القضائية كنت

أفعل فعله . ولقد قسا على القدر أشد مما قسا على

هذا الشاب فنكبتى بقضية تزوير موقعة كانت هى

أول عهدى بالتحقيق . ولست أنسى اضطرابى

وقتيئذ وقد مثل أمامى التهم المزور بطول باعه وذلافة

لسانه واعتياده الثول أمام القضاة . فذهبت الأسئلة

المجهزة من رأسى ، ولم أدر ما أقول . وانتظر الرجل

وافقاً فى هدوء أن أفتح فى أو يفتح الله على بسؤال ،

وتصيب منى شبه عرق وأنا أرى التهم أحسن منى

حالا وأربط جاشكا وأقوى امتلاكاً لأمره . وخيل

إلى أنه يسخر منى فى دخيلة نفسه . وكان كاتب

التحقيق رجلاً قديماً ذا مران طويل صادف فى حياته

ولاشك عشرات من الساعدين الجدد أمثالى . عرف

مابى فأسرع بما وني ويلقنى ما يبنى أن أبدأ به

من أسئلة وأنا أقبل منه للماونة بأففة وكبرياء دون

أن أظهر له حاجتى الى تدخله . وأمثال هذا السكرتير

المهرم من ذوى الحق الغموط والفضل المجهول كثيرون ؟

وقد سمعت أحدهم يقول لى مشيراً إلى بعض من

كبار رجال القضاء : « علمناهم الشغل ونشوا

وارتفعوا وبقوا قضاة ومستشارين ، والواحد منا

واقف فى مطرحه لا يكبر ولا يصغر » زى جحش

السميح ! تذكرت كل هذا وأنا أنظر الى وجه

مساعدى . ورأيت أن أتمد خطاه الأولى بنفسى ،

فطلبت إليه أن ينحى جانباً هذه اللخصات ، وأن

يضغط بأصبعه على الجرس . فقبل وظهر الحاجب

بالباب ؟ فأمرته بإحضار التهم الأول ، فدخل فلاح

كهل قد برز من صدره شعر أزرق أشيب كأنه شعر

صبيح مسن ؟ وقلت للمساعد أن يوجه إليه ما يحضره

من أسئلة ولا يخاف ، وأنا أعينه إذا توقف ، فاجر

وسراويل ، وكذلك أنواع من الأحذية الجلدية
لحساب متجر في القاهرة من المتاجر الشهيرة ،
وكانت تجتاز ليلاً بكل هذا جسر التربة المحاذية
لداثر الناحية ، فمقط منها في الماء كيس كبير مغم
بالوان اللابس ، ولبث الكيس في أعماق التربة
حتى انخفض منسوبها وانحسر الماء عن البضاعة ،
فهرعت تلك البلدة المارية الى ذلك الكنز الذي
لا يشابه كل الكنوز . وتساقبت الأيدي الى
الكيس الرائد في الطين يجذب من بطنه ما تصل
اليه ، فان كان سروالا من الصوف لبس في الحال
فوق الجلباب الأزرق وإن كان معطفا من الجوخ
دخل فيه الرجل (بجرانه) ، وإن كان حذاء لامعا
وضع في الأقدام بغير جوارب . ومضت البلدة
تجري في الطرقات فرحة هائلة : « الكساوي في
البحر ، الكساوي في البحر ... » ، الى أن رآهم
رجال الحفظ واستكثروا عليهم النعمة واستغربوا
أمرها واستكثفوا سرها ...
ورأيت أن أسألهم أول الأمر جملة ، على أنظر
منهم بإعتراف يسر على مهمتي . فالتفت إليهم
نظرة شاملة :

— مرقم اللابس ؟

فأجابني من بينهم صوت عميق رزين :

— أبدا والله ما سرقنا ولا نعرف السرقة ؟

البحر رى علينا الكيس ، وكل واحد منا

طال نصيبه

فقلت للرجل من فوري :

— نصيبه ؟ هو الكيس ملك البحر والا

له أصحاب خواجات ؟

فأجاب الرجل في صوته العميق الهادي :

— راح من بالنا أن له أصحاب بإحضرة البك

فنظرت الى مساعدتي وأمليت عليه نص القرار
— « يجبس التهم احتياطيا أربعة أيام ويجدد
له ويمهل له فيش وتشبيه » . اسجبه يا عسكري !
فقبل الرجل كفه وجهما وظهرا حامدا ربه :
— وماله . الحبس كويس . ناتي فيه على الأقل
لقمة مضمونة . السلام عليكم !

وخرج الرجل بدب وقد وضع في معصميه
القيد . واطمان مساعدي واستراح باله بذهاب
مهمه ، وطلبت القضية التالية . فظهر العسكري
ومعه آخر وفتح باب مكنتي على مصراعيه ، وجنبا
الى داخل الحجرة أكثر من ثلاثين رجلا وامرأة
وولدا قد شدوا في حبال من الليف ، إذ لم يجدوا
في المركز لكل هذا العدد قيودا حديدية . فسا
تمالكنت أن صحت لنظريهم :

— الله أكبر ! مواشي طالمة سوق السبت ؟

حل الحبال يا عسكري !

فقال الحارس وهو يحمل بأسنانه عقدة حبل :
— فقتنا يا سمادة البك بيوتهم وجدنا فيها
المنوعات . وبقي غيرهم من أهل الناحية تحت
التفتيش والقبض بمعرفة حضرة الملاحظ وأورطة
الهجاة !

فأدرت بصري في هؤلاء الأدميين . واستعدت
في خيالي ما قرأته الساعة عن تهمتهم في الأوراق
التي أمانى وقلت :

— ممنوعات !

فاستدرك الحارس :

— اللبوسات يا فتندم

نعم . إن ما قرأت الساعة هو أن سيارة كبيرة
كانت تحمل أكياسا ضخمة مملوءة بمختلف
الملابس القطنية والصوفية من معاطف وستر

فمسل وهو يلحن بصوت خافت هذا الجاموس الأبيض الذى لا يبنى إدخاله حجرات الحكومة . وحانت منى التفاتة إلى مساعدى فوجدته معارفاً مفكراً . فداخلى حب استطلاع أن أعرف ما بنفسه الآن . أتراد قد تأثر بشيء . أترى دقة الحس ورقة الشعور التى جاء بها كما جئنا كلنا فى مبدأ عملنا الحكوى بالريف ما زالت حية أم أنها فى طريق الموت ... ولكن طرقة عصا شديدة ضربت الباب عرفت فيها ضربة الأمور . ودخل صاحبنا بلهث ويصيح :

— البنت ريم ...

— مالها ؟

قلتها رغماً عني فى لهفة . فاستراح الأمور على كرسى وأنا أنتظر الكلام من فم بصير نافذ . غير أنه نظر إلى الحاجب بالباب :

— إسقى حياة عينيك

وأخرج مندبله الحرير الصناعى من كفه ومدح وجهه ورأسه وأنا على أحر من الجمر . وأخيراً التفت إلى وقال :

— اختفت

فنظرت إليه ملياً :

— تتكلم جد

— هربت مع الشيخ كلب

— الشيخ عصفور ؟

— نهاده أسود

— والاهل ؟

— أصرت فرقة المجانة أن تقوم فى الحال فتقتنى الأثر فى جميع الطرق الزراعية ...

وجلسنا فى صمت . وقد شرد فكر كل منا ...
نوفير الحكيم

ربنا يمل مرهاتيك ؟ أرأف بحال الفلاحين المساكين
— المسألة مسألة قانون . والقانون صريح :
إن كل من وجد شيئاً مملوكاً للغير وحفظه بنية امتلاكه يعامل معاملة السارق . فهمتم ؟

— فهمنا يا حضرة البك . لكن ... بقى ...
الكساوى كانت قدام نظراً ورمها البحر عاينا
والواحد منا من غير مؤاخذه عريان ...

— أنت يا رجل فاكرو الدنيا قوضى ، وإلا فيه
قانون وحكومة ! ويظهر أن الرجل لم يستطع صبراً .
فقال :

— بقى هى الحكومة لامنها ولا كفاية
شرها ؟ لا كستنا ولا تركتنا ننكدى

— أنا مضطر أن أحبسكم
— يا جناب البك . أنتم قشتم دورنا وسحبتم
الكساوى منا ، والعيال الفرخانة عاجت تيكى ،
ورجسنا لأصلنا لالنا ولا علينا . يبقى الحبس
له لزوم ؟

— أفرج عنكم بضمان مالى
— مالى ؟ الفلاحين عرايا يا حضرة النايب !
— تفضلوا من غير مطرود ! دماغى وجمنى
والناقشة مع أمثالكم ضياع وقت . القانون صريح
وأنا مقيد بنصوص أشد من الخيال للوضوعة فى
أيديكم . المسألة عندى قبل كل شيء مسألة قانون .
« يحبس المتهمون كلهم احتياطياً أربعة أيام ويمجد
لهم ويعمل لهم فيش ونشيه » اسحبهم يا عسكري !
نفرجوا جميعاً فى صف طويل وفى ذيلهم رجل
يقول هامساً :

— يحبسونا لأن ربنا كسانا !
وهذا المكان . ولكن رائحة كربة انتشرت
فى الحجرة . فتأديت الحاجب وأمرته بفتح النوافذ .

أعدائها ، بل وجهت
للعالم أجمع . وقد أذيع
اكتشافه في الأفاق على
موجات الأثير من مركز
الاذاعة في لندن بخمسة
عشر لساناً . وكانت
الحديث الدائر على الأنفواء
أن ستونهم أكبر محب
للانسانية وأعظم معضد

للسلام على الرغم من مهاجمة صحف النازي له في ألمانيا ،
فقد كانت ترى أنه كان من الواجب أن يذكر
فضل وطنه عليه ، ويخصه بهذا الاكتشاف الجليل .
ولقد دعاني ستونهم ظهر ذلك اليوم في جملة
من الأصدقاء والعلماء فلبيت
دعوته وأسرت إليه

وكان بيتر ستونهم مديد
القامة ، أشيب الرأس — على
الرغم من أنه لم يوغل بعد في
الشيخوخة — أزرق العينين ،
صافي القلوتين ، يبدو قنهما
أثر الحزن والتفكير العميق ...
قال أحد المدعوين :

— إنه يبدو عجيباً حقاً أن
ستونهم القى افقتن في اختراع
الهلكات ، وتعمدى في ابتداء عُدَّة الموت لإن
الحرب ، هو عينه ستونهم الذى ينال اليوم جائزة
نوبل كأول خادم للسلام العام . فاطرق ستونهم
لحظة ثم قال :

— هذا عجيب حقاً ... ولكن لا تنس

من قصص الحديث

رَجُلٌ بِالْأَوْجِ

للكاتب الانجليزى كاثرتين رينولد

بقلم الأديب أحمد فتحي مرسي

كانت سونيا الحشاء ، وبيتر ستونهم ، وذلك الذى
يدعونه نيكولى ، تَشِيحُ أمامى من لحظة للحظة ،
وتتمثل في خاطرى من حين لآخر وكنت إخال
أنى أسمهم يتناقلون الحديث ، ويتساجلون القول ،
وأما جالس أرفع الأذن لحديث
ألفون جنتنر الذى كان يروى
قصتهم على كسب منى

ولقد عدت إلى منزلى ظهر
ذلك اليوم الذى نال فيه بيتر
ستونهم جائزة نوبل للسلام ،
وتناقلت اسمه الأنفواء ، ولهجت
بذكره الألسن ، وكان رأى
السائد في العالم أنه منجى
الانسانية ، ومنقذ العالم من
وبلات الحروب



ومنذ شهور قلائل أعلن ستونهم على ملا من
العالم أنه وفق إلى اكتشاف على جليل ، يحى
العالم من الغاز السام على اختلاف أنواعه ، وتعد
حالاته ؟ ولم يخص بهذا الاكتشاف الجليل دولة
من العالم تتدرب به ضد غيرها ، وتتحرز به من

أجرى أمامه مثل هذا الحديث
— حقاً إنك أقرب أصدقائه ... وأنتك تعلم
عن هذا الرجل ما خفي عنا ؟ فالذي دعاه بعد أن
أورد جيوش العالم موارد التهلكة ، بما ابتدعه من
مهلكات ، أن يجعلها عليهم اليوم برداً وسلاماً ؟
وما الذي حدها إلى اختيار هذا الاسم العجيب الذي
حير الأذهان ؟

— حسن يا صديقي ... سأخبرك بذلك ، وإنها
لقصة عجيبة أنت أول من يحظى باستماعها ... أجل
سأحدثك الآن عن ستونهم ، وعن سونيا ، وعن ذلك
الرجل الخالي من الروح الذي يدعونه نيكيولى .
فقلت في دهشة :

— الخالي من الروح ؟ ولكن لكل الرجال
أرواح يافون جنتز
— مارك مارك ... لا تتسرع يا صديقي
واعتدل البارون في جلسته ، ثم أخذ يسرد
على قسته فقال :

عرفت الدكتور بيتر ستونهم لأول مرة خلال
الحرب الأخيرة ، وكان كوكبا زاهراً في عالم
الاختراع ؟ وقد بدأ حياته بالاشتغال بالنظريات
الرياضية ، ثم تعلق علم الطبيعة ، وشفق بالكيمياء
فكانت خفاياها وأسرارها ككتاب مفتوح يتهدى
منه آراءه ، ويستوحى أفكاره ، ويعبرور الزمن وتغاثب
الأيام تمكنت بيننا أواصر الصداقة ، وتوقعت عرى
المحبة ، وكثيراً ما كان يمدني عن مطامحه وآرائه
وعن بحوثه الطويلة في الجهد والطاقة ، وكثيراً
ماردد على مسمى قوله :

— إن حرب المستقبل لن تكون قط حرباً
بين جيوش ، بل ستكون الآلات عدتها ، والعلم
عدتها . فأجيب مداعباً
— لن أجاريك في رأيك هذا ، حتى تخترع

يا صديقي أن « الديناميت » و « البارود » وغيرها
من المفرقات كانت من إنتاج قريحة الفريد نوبل
نفسه الذي يتقدم اليوم بجأزه إلى محبي السلام
العالم ... فقال آخر

— وعلى ذكر هذا أقول : لماذا اختار الدكتور
ستونهم لفظ « سسونيافين » اسم لاكتشافه على
ما فيه من غرابة ؟ فرستونهم بيده على جيبه
ثم قال :

— حقاً إنه اسم غريب ولكنه بقية ذكرى
في نفسي ، وحلم سعيد كان مصيره الزوال ، كباقي
الأحلام ... !

— حلم ؟ هذا عجيب ! أيعني الدكتور أن هذا
الاسم أضغاث أحلام في ليلة ما ؟
— ليلة ما ؟ كلا يا صديقي فقد استغرق حلمي
عامين ... والآن يا صاحبي دع هذا جانباً فانه يثير
في نفسي ذكريات أليمة

وانتقل الحديث من هذا الاسم الغريب ، ومن
ذلك الحلم الذي استغرق عامين إلى نواح متعددة ،
وشجون مختلفة ، حتى انفرط عقد الحفل ومضى
كل لسيله

عدت إلى منزلي ، فوجدت البارون الفون
جنتز في انتظارى ، ولما علم أنني كنت في ضيافة
بيتر ستونهم ... سألني :

— وكيف كان يبدو ستونهم ؟
فضحكت وقلت :

— على خير حال يا صديقي ... اللهم إلا عند
ما سأله أحدهم عن سبب اختياره لفظ سونيافين
اسماً لاكتشافه الجديد ... فقال في دهشة وعجب :

— يا إلهي ! أسأله عن ذلك ؟ ... كان يبنى
آلاً يخوضوا به إلى تلك الذكرى المؤلمة ... إني
على الرغم من كوني أقرب أصدقائه لأأجرؤ أن

لنا إنساناً يستطيع أن يفكر.

— هذا ما أرجو تحقيقه يا فون جنترز

— وماذا عساك تصنع بهذا الإنسان إذا وقعك الله إلى أبراز ما في غيبتك ؟

— الحرب يا عزيزي دون شك . . . إن العالم ما زال يعتمد على الإنسان في الحرب على الرغم مما يفقد من الجيوش ، وبزعم ما في الإنسان من غرائز الحواف والحرب . . . إنى أخذ أهبتي للحرب القبلية وسأمل بهذا الإنسان وأمثاله ساحات الرغى ، وسأزودهم بأشعة الموت عوضاً عن القنابل والبنادق . فقلت ضاحكاً :

— إنك سفاك دماء يا بيدر . . . أتبنى أن تكتمسح العالم وتسحق جيوشه بما تسميه علماً واختراعاً ؟

— إنى أرى أن العالم لم يتقدم قيد شعرة ، ما دام الإنسان يلبس دوراً هاماً في الحروب . . . وسأعمل من الآن على تحقيق ما ربي في ضوء تلك النتيجة التي وصل إليها اينشتين سنة ١٨٠٥ « إن المادة يمكن تحويلها إلى طاقة ، وإن الطاقة يمكن تحويلها إلى مادة » ، وأغلب الظن أن الشمس هي مصدر الطاقة والحركة ، ومبعث النشاط الانساني ؛ وليس هذا عجيباً فانهود يعبدها من قديم . . . ، وربما أدركوا أنها سر تلك الحياة . ومحور تفكيرى الآن الذى أدور حوله هو أن الشمس مبعث الحركة ، وأن أشعتها هي مصدر النشاط الانساني

وربما انتهت الحرب قبل أن يوفق بيدر في إبراز فكرته إلى العالم ولكنه كان دأب البحث ، دائم العمل ، يصل ليله بنهاره في دراسة أشعة الشمس . وليس بمسير أنت باقى العالم بأشعة الشمس لفحصها في معمله ، فقد تمكن نيوتن من اكتشاف جهازه « البكتروسكوب » الذى يمكن الانسان من دراسة الأشعة وفحصها خصوصاً دقيقاً

كما يفحص الطبيب مكروب الغذاء تحت منظاره وصافر ستونهم فجأة إلى باريس لمواصلة دراسته مع العالم الفرنسى « جورج راييه ليمر » ثم عاد بيدر سنتين وملء بزره الزهو بشيتين أولهما : الانسان الذى اخترعه ، وثانيهما : زوجته الحسنة الروسية سونيا ، قال :

— وستعجب بها يا فون جنترز . . . لقد قابلتها في باريس . . . إنها إحدى نبيلات روسيا اللواتي هاجرن إبان الثورة ، وضحك ثم قال :

— ولذلك سترأها الليلة فاقعة على الثورة والفلاحين . . . وسترى أيضاً آلى التي ستعجب بها كثيراً

وأصدقك القول أنى رأيت تلك الليلة ما مجبت منه كل العجب : رأيت ذلك الانسان الذى تحركه الأشعة بدل الكهرباء ، ورأيت سونيا ستونهم وكانت سمراء الوجه رشيقه القوام ، تجمع إلى جمال وجهها رقة في الحديث ، وظرفاً في القول وقد طرقت في الحديث شعاباً شتى وشجعونا عديدة إلى أن مال بنا إلى الكلام عن روسيا وثورتها فالتفت عينا سونيا وقالت دون ريب ولا روية — هؤلاء الفلاحون . . . لعنة الله عليهم . . .

لقد هدموا في أمسية مائة من الصروح المشيدة والبروج المردمة ما بناه أسلافنا في دهور طويلة . . . لقد قتلوا أبى . . . وما نجوت من برائنهم إلا بشق النفس . . . ويمكنك أن تفهم الآن لماذا لا يأخذنى العجب والزهو بأنى روسية . . . ولماذا ترأى دائماً فاقعة ساخطة على هؤلاء الفلاحين . . . لقد كانت لنا أراض واسعة ، ومهول مدينة ، وكنا نملك الألوف المؤلفة من هؤلاء الفلاحين ، فصفرت راحتنا ، وخلا وطابنا

وقد استرعى خاطرى قولها : « كنا نملك

في انداع وخشوع ، ثم امتدت يد بيتر إلى زر آخر
ففاض في الترفة نور أزرق قائم يقبض النفس
فهاضت قوى ذلك الواقف أمامنا ، واسترخت
مفاصله ، وجلس في مقعده كما يجلس ابن السبعين
وهو يفوه تحت أعباء السنين .



ومضيت أقفّس وجه ذلك الانسان ،
وأنا مشقت النفس مشرد الب إلى أن جذبني بيتر
من يدي قائلاً :

— أ رأيت كيف يحسن إنسان تكاليف الحياة
ونظم المجتمع ... إنه يتحرك بالأشعة كما رأيت ،
وهذه الأشعة هي المؤثر الخارجى الذى يدفعه إلى
التفكير كما تدفع الانسان مؤثراته الداخلية من
جوع وخوف وفرح وغيرها . . . ولقد أعيته
« نيكولى » ولأ رأيت فيه بعض مشابهة من الفلاحين
الروس ابنت له هذه الملابس الروسية ... إنه
الآن يفكر بمقل الفلاح الروسى ، على الرغم من أن
تفكيره لم يزل في مرحلة البداءة » ، وأطرق بيتر
قليلاً ثم استطرد في شرحه :

— ولقد زوّدت بمركز عصبي يقابل المخ في

الفلاحين » إذن فسونيا من هذا النوع الذى يملك
الرجال ؛ ولا شك أنها تحس الآن من أحماقها أنها
تملك بيتر ستونهم ، فلن يصبح بيتر ستونهم من
الآن ملصكاً للعلم كما كان من قبل
وحادث سونيا بعجري الحديث عن الروسية
فقالت :

— لقد حدثني بيتر عنك كثيراً يا فون جنتر ،
وأخبرني أنك قلت له إنك لن توافقه في آرائه
حتى يخترع إنساناً يفكر .

— هذا حق ... إن كان بيتر قد صنع مثل
هذا الانسان فستصبح الدنيا تحت قدميه ... فضحك
بيتر قائلاً :

— إننا لم ننته بعد يا فون جنتر ... ولكن
انهض بنا لنرى ماتم .

وكان العمل في الجناح الخلفى من المنزل ،
فسرنا بصحبة بيتر في ممر ضيق ، يمت الرهبة في
النفس ، ويرسل القلب إلى القلب ، حتى بلغنا باباً أنقلته
الحداث ، وفاء بما حمله من الرُجج . . . فقلت ضاحكاً :
— ما هذا ؟ ... أخشى أن يسلبك اللصوص
صاحبك يا بيتر

كلا يا صديق ... بل أخشى أن يعلّ ضياقتنا
فنهجرنا .

وعالج بيتر الباب حتى فتحه فولجنا الغرفة ،
وكان الظلام يجلل أركانها ، ويشغى جنباتها ،
فضغط بيتر أحد الأزرار الكهربائية ، فغمر الغرفة
نور زار ساطع يشغى العيون ، ويهر الأبصار ،
ولكنه لم يُثر من عجب ، قدر ما أثار ذلك الجالس
على المقعد في وسط الغرفة . وما إن لمحنا فاطرى ،
حتى هب واقفاً في ريث وثودة ، كما يقوم الانسان
المادى . ثم أحنى هامته الحديدية معلناً تحيته

ماجد من أمر نيكولى، وكانت تملأ عينيه الدخيلة
والمُحِبُّ، وبتملكه زهو الأبوة النجبة بالولد
الدكى النجيب .

وكانت شمس الطفل لا تزال تلتقي على الكون
وميضاً من شماعها عند ما ولجنا غرفة نيكولى ففتح
بيتر النافذة قائلاً :

— لو اعتمدنا فقط على أشعة الشمس لنبعث
الحياة في أوصال « نيكولى » لرأينا موت في الليل
ويبست في النهار، ولكن رأيت استدامة لنشاطه،
وبُقياً على حياته، أن ألبا إلى توليد أشعة الشمس
في العمل ... ولكن انظر ... وأشار إلى نيكولى
وكانت أشعة الشفق الحمراء قد بدأت تنمر
الغرفة، وتفيض في أرجائها، فرأينا نيكولى يقوم في
تؤدة حتى يستقم، ثم رفع ذراعه اليمنى حتى توازى
كفّه، ثم يستدير على عقبه حتى يواجه الشمس
القاربة . فقال بيتر هامساً :

— « أ رأيت ... »، ثم استورد قائلاً... « الآن
عند ما تهبط الشمس القاربة عن الأفق ... وتغيب
على مدى ثلاثة وتسعين مليوناً من الأميال . وينقطع
شماعا عن نيكولى تهاد حياته وتضمد حركته .
وكان الليل قد أخذ ينشر سحوفه الفاجعة
ويرى مُسوحه الظلمة على الكون، فأزل نيكولى
ذراعه، وعاد الى مقعده، ثم جلس في صمت
وحزن ... فقال بيتر :

— إننى لم أحاول بعدُ تحليل هذه الظاهرة
العجيبة ... لذاذا رفع « نيكولى » ذراعه وبواجه
الشمس القاربة في خشوع وخضوع ... فأنعمت
عينا سونيا . ثم قالت في صوت مضطرب :

— هذه عادة الفلاحين في روسيا، فعند
ما ترسل الشمس القاربة نظرتها الأخيرة الى
الكون، يولون وجوههم شطرها رافعين الأذرع،

الانسان المادى، فإن مخ الانسان يقوم في الجسم
مغاثة مركز رئيسي تعاونه أعصاب مصدره وأعصاب
مُوردة، فثلاً إذا قُرِبَ يدك من مدفأة ساخنة
حملت الأعصاب الموردة إلى المخ : أن ارفع يدك،
فيصدر المخ أمره عن طريق الأعصاب المصدرة إلى
اليدين فرفهما، وترفع يدك دون أن تحس بهذه الدورة
المصبية .

فالشماح الأبيض الساطع يؤثر في مركز نيكولى
المصبى فيجعله يقوم ويحيى، والشماح الأزرق يؤثر فيه
تأثيراً مخالفاً فيجعله ينحى ويحس ... وكأ أن هناك
مواد تجذب الحديد، فهناك أيضاً مولد تؤثر في
الأشعة وتجذبها، ومنها صنعت مركز نيكولى
المصبى . واستطرد بيتر قائلاً :

— وسيكون نيكولى وأمثاله من الملايين عمدة
الحرب القبلية، فلن يقف في طريقهم إنسان، ولن
يفت في عضدهم قتال، أو يغفل من غرهم سيف .
— وتساقبت إلى خاطري صور عدة،
وتراحت في غيئلى مشاهد كثيرة عن ذلك الرجل
وأمثاله، وهم يدخلون إلى المدن، وقد سقطت
تحت رقبته، ووقعت في قبضتهم، فأخذوا
يحملون ما سادف طريقهم من عوائق، ويصرعون
ما اعتراض سبيلهم من جيوش ... فقلت :

— هذا حسن، ولكن ماذا جنت عليك تلك
الأرواح البريئة التي ترهقها بما كشفه هلك،
وأنتجته فريمتك ... فرفع بيتر كتفيه قائلاً :

— وما قيمة الأرواح يا صديقى إذا هم وقعت
في سبيل العلم ؟

ومضت الأيام تتبع الأيام، والشهور تت رسم
خطى الشهور، إلى أن كان يوم قاتلى فيه بيتر
مشرق الوجه، منبسط الأسارير، ودعا لمشاهدة

— المجد والشهرة؟... تلك أحلام يا صديقي...
لن ينال المجد والشهرة سوى نيكولى... أما نحن
فسنصبح في زوايا النسيان بعد أن أنفقنا في خلقه
مئة صباناً، وأخلقنا جيدةً شابناً، حتى أصبحنا
نخطو إلى الهزال والسقام، كلما نخطو إلى السكّال
والنهام»

وأطرقت قليلاً ثم رفعت رأسها كن خطر له
خاطر ثم قالت في سرعة:

— فون جنتير... إن نيكولى أسير في غرفته،
وأرى أنه لا بد محطّم ذلك الباب ومحطّمنا أيضاً
إذا تقدم به العلم قليلاً:

— ولكن كيف يحطّم سادته وأولياء نعمته؟
— كما حطّم الفلاحون الروس سادتهم وأولياء
نعمتهم



وهنا أدركت أن سونيا ورثت عن أسلافها
من النبلاء ذلك السكر المتأصل في نفوسهم للفلاحين،
وأنه قد دخل في روعها أن نيكولى فلاح روسي...
فهضت قائلاً:

مبتلين إلى الله... ونيكولى فلاح روسي؛ فلا غرو
أن يقفوا أثر قومه...

وكان وجهها شاحباً، وعيناها ذابلتين يبدو
فيهما ما يسيطر على نفسها من الرهبة، وما يرمض
قالبها من الألم «ورأى بيتر ذلك فقال مرعّباً عنها:
— سرّى عنك يا عزيزتى... إنك لست
روسية بعد... وأما هذا الانسان فما هو إلا آلة
صماء خرساء... فقالت متوسلة:

— ألا تنشغو عنه هذه الثياب يا بيتر... إنه
يبدو فيها كالفلاحين الذين كنا نملكهم يوماً ما.
فضحك بيتر ولكنه لم يخف عنه الثياب.
وأظن أن تلك الأمسية كانت بدء كراهية سونيا
لنيكولى وسخطها عليه... لقد كانت تعتقد أنها
تملك بيتر وحدها دون شريك، ولكنها اليوم
ترى لها شريكاً أشد، وخصماً ألد، يفرق بينهما،
ويحول دونهما.

ومضت بضمة أسابيع لم أر في خلالها بيتر إلى
أن قصدت ذات يوم لزيارته، فوجدت سونيا
وحيدة في المنزل، وكانت تبدو كالزهرية الذابلة،
فلائصرة في القصات، ولا وضاعة في الوجه، ولا بريق
في العينين، وجلسنا نتحدث عن العلم وعن بيتر
إلى أن قالت:

— وماذا جد من أمر نيكولى؟ أترأه في طريق
التقدم؟

— نيكولى؟... لا تجرأ ما بني ذكر ذلك
الامم... لقد أصبحت أبيضه من كل قلمي...
ألا تعلم أن بيتر يقضى معه آباء الليل وأطراف النهار
دون أن يخرج من غرفته و... فقاطعتها قائلاً:
— ولكنه قريباً ما يتم وينال به المجد والشهرة.
وقالت مرعدة:

متزن الجرم من متسق التبرات ، وقد هزمت فيه
صوت بتر يقول :

— ومن هو ذلك الرجل الخالي من الروح ؟
فأسرعت إليه قائلاً :

— بتر... إن سونيا لا يمكنها أن تصبر أكثر
من ذلك ... إنها تعتقد أن نيكولاي يقف حجر عثرة
بينكما ، أخبرها أنه ليس إلا لعبة يتسل بها عقلك ،

وألة تتلهي بها

يداك ... فر بتر

بيده على جبهته ثم

تقدم لسونيا قائلاً :

— سونيا ...

إنني لست لأحد

سواك ، وما صنعت

تلك الآلة إلا لأخذ

اسمك بجوار اسمي ،

والألا جعلك ضهوة

بأعمال ، وإن لفظة

منك لتجعلني أحاطه

تخطبها ...

وأشرق وجهه

سونيا ، وبان الرضا

في عينها ، وبدأت

كن ألقى عن نفسه عبثاً ثقيلآ آده وبهره ...

وتحولت فجأة إلى نيكولاي حتى لست صدوره ، وكان

لا يزال رافضاً ذراعه ، فصاحت به :

— ما الذي يجعلني أخافك أيها الإنسان الآلي ؟

إنك فلاح ونحن النبلاء لا نخشى الفلاحين . إنك

خادم لنا ولعبة في كفنا ... إنني لا أخافك ولا

أرهبك فأنت عاجز عن أن تمسني بسوء ...

— سونيا ... هيا بنا إلى غرفة نيكولاي ...
سأريك أنه ليس إلا آلة بسيطة يمكن الطفل أن
يجرهما ... هيا ...

— أقمضي بذلك يا فون جنتز ... أجماني
أعتقد ذلك ... أجماني أعتقد أن نيكولاي ليس إنساناً
وأخذت يدها إلى العمل ، وكان نيكولاي جالسا
كمادة في ملابس الروسية ، وكان يبدو عليه أنه أقرب

إلى الانسانية من

ذي قبل ، ونظرت

فاذا سونيا ترمقه

من خوف . فقلت

لها وأنا أشير إليه :

— بضع مئات

من الأبطال

الحديدية ! هذا

كل ما في الآلة

— هذا كل

ما في الآلة ! كلا

ياسيدي ...

وأسرعت إلى

النافذة ففتحتها ،

وكانت الشمس قد

أذنت بالزروب

ففاضت في الغرفة أشعة الشفق فقام نيكولاي كمادة ،

مولياً وجهه شطر النافذة رافضاً ذراعه اليمنى ... فقلت

— هذا عمل آلي محض ... ثم استطردت

ضاحكاً :

— سونيا أنتخشين رجلاً خالياً من الروح ...

خالياً من الشعور

وارتفع في تلك اللحظة صوت من أقصى الغرفة



الصلة الروحية التي تربط الناس ببعضهم... وأظنك تعلم مبلغ حي لسونيا ، والآن وقد قضت نحبها فاني أحس أنني قضيت معها نحيبي ...

لقد أزهقت آلائي إبان الحرب من الأرواح البريئة ما يميز عن حصره البيان ... وكل روح من تلك الأرواح ... لا بد أن كان هناك من يألم لها ألى الآن على سونيا

وأطرق قليلاً ثم رفع رأسه قائلاً في حزن :
— لقد كان العلم في يدي أداة لأهلك العالم وتدمير الأرض ، فلم لا أجهل أداة لأسعد العالم وخدمة الانسان ؟

— يمكنك أن تعمل على ذلك يا بيتر ... ولقد وهبك الله قريحة هي خير من يخدم العالم إن شئت ، فأجاب في ألم :

— حقاً ... حقاً ... سأعمل على ذلك يا ثون جنتنر ، سأصلح ما قدمت يداي ، سأسو جراح العالم ، وأدأ عنه ويل الحرب ...

واستقام الفون جنتنر واقفاً ، وسار إلى الشرفة في خطوات متزنة ، وكانت الشمس قد هبطت عن الأفق ، وغابت على مدى ثلاثة وتسعين مليوناً من الأميال ، وبدأ الليل ينشر ذوائبه الفاحشة ويرخي نقابه الأسود على الأفق ، فاستدار الفون جنتنر إلى قائلاً :

— لقد كنت تريد أن تعرف لماذا يؤثر ستونهم الآن خدمة السلام العام .. ولماذا اختار اسم سونيا فغن اسماً لتأزده الجديد ...

— « حسن ... لقد أخبرتك »

أحمد فخمى مرسى

وفي طرفة عين ، ودون إنذار أو تحذير سقطت تلك الذراع الحديدية الثقيلة على رأس سونيا ، كما يسقط الحجر على بيضة الطائر فيحشها تحشياً

ووقف كل منساق في مكانه مشدوهاً من هول الحادث ، ومضت برهة قبل أن تجمع أشنات عقليتنا وعلق بهرى نيكولى ، فرأيت به يجلس في هدأة وسكينة... وصعد في رأسي ذلك السؤال فجأة . « لماذا أسقط نيكولى ذراعه في تلك اللحظة ؟ » وجأة تذكرت أن الشمس قد هبطت عن الأفق ، وغابت على مدى ثلاثة وتسعين مليوناً من الأميال ، وأن الظلام عاد يُرخي سدوله وينشر مطارفه السود على الآفاق ونظرت الى بيتر وكان وجهه الشاحب كوجوه الموتى ، جامداً لا يتحرك ، شاخصاً لا يطرף . واستدار على عقبيه فجأة دون أن ينبس ببنت شفة ، وخرج من الغرفة ثم عاد بمسد قليل وبين يديه قضيب ثقيل أنهال به على نيكولى فحطم رأسه ، وهشم أوصاله حتى ملأت أرض الغرفة . وكانت سونيا تسيح في بركة من الدماء ، فتقدمت الى جنبها ونقلتها الى غرفة أخرى ثم عدت الى بيتر وكان مستغرقاً في ذهوله ، وما رآني حتى قال دون أن يبي ما يقول :

-- فون جنتنر ... أكان نيكولى آلة حقاً ... أم كان إنساناً يعقل ما يفعل ؟ أتراني خلقت فلاحاً روسياً يتخذ على النبلاء وتفيض نفسه بالانتقام ؟ — هذا توهم يا صديقي ... إنك لم تبتدع إلا آلة كان موت سونيا خطأ منها .

فنظر إلى بوجهه السام الحزين ثم قال :
— فون جنتنر ... إنني لم أقدر قبل الآن تلك

المُسْتَرَجُوكُ وَرَفَاقُهُ

للمقصي الانجليزى شارلز ديكنز

(تابع ما نشر في العدد السابق)



شارلز ديكنز

وكانت صفات تلك الفتاة ومفاتها قد تركت
أثراً عميقاً في نفس مستر توبمان فسأل الرجل :
« هل السيدة في إنجلترا الآن أيها السيد ؟ »
- « لقد ماتت أيها السيد ... ماتت »
وعندئذ وضع الرجل على عينه خرقه صغيرة
قذرة كانت بقايا متديل قديم وأتم كلامه قائلاً :
« لم تسمع بهمدم هيكلها ... وذهبت فريسة »
وسأل سندجراس ذو النفس الشاحرة : « وماذا
كان من أمر والدها ؟ »
- « حزن وشقاء ... اختفى فجأة ... حديث

واتجه الرجل على حين غفلة إلى مستر توبمان
قائلاً : « فتاة جميلة أيها السيد » ، وكان مستر
توبمان يصوب نظرائه في مظهر لا يتفق ومبادئ
تلك الجماعة ، جماعة بكوك ، إلى عادة في الطريق .
وأجاب توبمان بقوله : « جداً »

- ليست فتيتان من الجمال كفتيات أسبانيا
مخلوقات نبيلة .. شعر أشقر ... عيون دمع ...
قدود رشيقة ... مخلوقات حلوة ... جميلة
وتساءل مستر توبمان : « هل زرت أسبانيا
أيها السيد ؟ »

وأجابه ذلك الشخص قائلاً : « قضيت هنالك
عصراً »

فسأله مستر توبمان : « هل ثمة من انتصارات
أيها السيد ؟ »

- انتصارات آلاف ... دونت بولارد
فزجيج ... جراندى بنته الوحيدة ...
دونا كرسيتينا ... مخلوقة جميلة ... تحبني حب
الجنون ... أب حقوق . ابنة عزيزة النفس ورجل
انجليزى وجيه ... دونا كرسيتينا في يأس ... سم .
مضخة صغيرة للمعدة في حقيقتي ... عملية ناجحة ...
بولاردو المعجوز في سرور غالب ... يوافق على
زواجنا ... أيد مشبكة وفيض من الدمع ... قصة
مؤثرة ... جداً »

هل يبق في الفندق ؟ وأجاب الرجل بأنه لا يستزم البقاء . ثم اتجه مستر ونكل إلى مستر بكوك وتميم بعض كلات ، ثم سرت حمسة من فم مستر بكوك إلى اذن مستر سندجراس ، ثم من مستر سندجراس إلى مستر توبمان ، وأخيراً اهتزت الرؤوس كلها بإعادة موافقة ، فخطب مستر بكوك ذلك الغريب بقوله :

« لقد أوليتنا اليوم صنيعاً جليلاً أيها السيد ،

فهل تسمح لنا أن نتقدم بدليل بسيط على ما نكنه لك من شكران ؟ إننا نرجو منك أن تشرف مائدتنا اليوم »

« مع فائق السرور ... ولتكن دجاجة وصرق وما يقدم معها ... على أنى لا أفرح ... ومتى يكون ذلك ... ؟ »

وأجاب مستر بكوك : نحن الآن قبيل الساعة الثالثة ، فهل يلائمك أن يكون الأكل عند الخامسة ؟

... يلائمني ذلك تماماً ... عند تمام الخامسة ... وإذن فلتمنوا بأنفسكم حتى ذلك الوقت ... وانطلق الرجل بعد أن رفع قبعته قليلاً عن رأسه وأعادها في فتور ؟ وكانت تبرز إلى النصف من جيب سراويله تلك الحزمة الملفوفة بالورق البني اللون ، وكان سريع الخطو خفيف المشية ، ورأوه ينمط في الشوارع المجاور

واتجه مستر بكوك إلى رفافة قائلاً : « يظهر في جلاء أنه رجل كثير الأسفار والتجوال في الممالك ، وأنه دقيق للملاحظة وثيق الخبرة بطبائع الناس والأشياء »

وأجاب مستر سندجراس : « كم يشوقني أن أرى ما حمله ! »

وقال مستر ونكل : « وأنا كم أود لو أنى رأيت ذلك الكلب »

المدينة كلها ... بحث في كل جهة ... لا طائل ... يقف انفجار الماء ينثى من النافورة في الساحة الكبرى ... أسابيع تنصرم ... الماء لا ينبعث محال لتطهيرها ... نزع الماء الراكد ... وجه حار رأسه إلى أسفل في فوهة النافورة ... أخرجه ... تلمب المياه متدفقة من النافورة كأنه يمكن هناك شيء »

ولقد بلغ التأثر بمستر سندجراس مبلغاً عظيماً فقال : « هل تسمح لي أيها السيد أن أثبت في دفنرى تلك المأساة الصغيرة ؟ »

— « اسمح لك لا ريب أيها السيد ... خمسون غيرها إن شئت أن تسمع ... حياة غريبة . تاريخ عجيب ليس تاريخاً فذاً ... ولكنه وحيد في بابيه » وظل الرجل يقص من تاريخه عليهم وهو يتناول بين الفينة والفينة كأساً من الخمر ، حتى بلغت العربة قطرة روشستر ، عندئذ كانت صفحات كل من مستر بكوك ومستر سندجراس قد امتلأت بما اختاره من غمطاته

ولاحت لأعين السفر قلمة قدمة ، فصاح مستر سندجراس بكل ماوسمه من حماسة شعرية انصف بها « يا لها من أطلال فاخرة ! »

ورفع مستر بكوك منظاره القرب إلى عينيه فانطلق لسانه قائلاً : « ما أعظمها موضع دراسة لنى يعنى بالأثار ! »

وقال الرجل : « آه ... مكان جميل ... قلعة فاخرة ... حوائط عابسة ... أنوار متداعية ... برج ... تهدم وهناك كنيسة قديمة أيضاً ... برت سلمها أقدام الحجاج ... » وهكذا ظل الرجل يهذى بمثل تلك الببارات حتى بلغت العربة فندق « بول » فنزلوا ! وهناك سأل مسترونكل ذلك الرجل

خنجره ، وجرح الفتاة في كتفها ، وهو ما فعل ذلك إلا على سبيل الدعاية خُسر . ومع ذلك فقد كان هذا الفتى الطريف أول من حضر إلى الحانة في الصباح التالي ، حيث أعرب عن استملاكه لتناسي الحادث كأن لم يكن هناك شيء .

واستمر مستر بكوك بصصف المدينة قائلاً : وبخيل إلى أن التبغ يستهلك في هذه المدينة بكثرة هائلة ، وأنت تلك الراحة التي تملأ شوارعها ليستسقيها ويستمرشها أولئك الذين اشتد ولوعهم بالتدخين . ولقد يأخذ السائح الغرير على المدينة وضواحيها ما يراه من قذارتها ، تلك القذارة التي تملأ أظفار صفاتها ؛ بيد أن هؤلاء الذين يرون في تلك القذارة علامة الحركة ودليل النجاح التجاري ، يرتاحون ، لا ريب ، إلى ذلك المظهر . وحضر ذلك الغريب عند الساعة الخامسة وهو الموعد الذي حددوه . وما هي إلا برهة حتى أحضر الطعام . ولم تك مع الرجل تلك الحمزة اللفوفة في الورق البني ، ولكنه لم يغير شيئاً من هندامه ، بيد أنه عاد أكثر ثرثرة ، إن كان هذا ممكناً فلما رفع السلام غطاء أحد الأطباق تساد الرجل : « ما هذا ؟ »

وأجاب الغلام : « هذا سمك طرى ياسيدي » — « سمك طرى . آه ... سمك عظيم ... يردك من لندن ... أصحاب عربات الرحيل يأتون بولائم سياسية ... عربات تقل ملأى بالسمك الطرى ... عدد من السلات ... قوم ما كرون . كأس من الخمر ياسيدي »

وأجاب مستر بكوك قائلاً : « بكل سرور » وشرب الرجل من تلك الخمر أولاً مع مستر بكوك ، ثم مع مستر سند جراس ، ثم مع مستر

ولم يقل مستر تويمان شيئاً ، ولكنه كان يفكر في دونما كرسيتينا وفي النافورة ، ومن ثم فقد امتلأت عيناه بالدموع

وبعد أن احتجز هؤلاء غرفة جلوس لهم ، وخبروا غرف نومهم ، وأمسوا بأعداد ما رغبوا من طعام ، خرجوا من الفندق يلقون نظرة على المدينة وما يحاورها

وإنما لم يجد فيما أثبت مستر بكوك في دفتره عن المدينة وما حولها ، ما يشعر بأن ما تركه مظهرها من أثر في نفسه يختلف في شيء عما كتبه غيره ممن زاروا تلك الجهة ، ومن السهل أن نوجز وصفه فيما يلي :

« يتبين لي أنت أمم ما تنتج هذه المدينة وجاراتها ، هو الجند والبجارة واليهود والطباشير والجبري والضباط وعمال المواني ، وأن ما يمرض عادة للبيع في شوارعها العامة لا يبدو الواردات البحرية والنفخ والسمك الطرى والجندوني . وتقع العين في تلك الشوارع على مظهر بهيج حتى يكون مبمته في الغالب صرح الجند وزياطهم إذ يتجمعون . ولعمري أن مما يبهج نفس كل امرئ سخي اليد يحب معايشة الأصدقاء ، أن يرى هؤلاء الرجال المفطريف بموج بعضهم في بعض ، بفعل ذلك الفيقس الجماسي ، ترسله حمية الأجسام والأرواح ؛ ويتجلى ذلك على الأخص ، إذا ذكرنا ، أن السير في إثر هؤلاء ومشاركتهم في مزاحهم ، يهيء متعة رخيصة بريئة للعامة ، فليس هناك من مظاهر الانبساط ما يفوق انبساط نفوسهم ورقتها . حدث قبل مجيئي بيوم أن أهين أحدهم إهانة بالغة في حانة عامة ، فلقد أبت ساقية الخمر أن تعطيه من خمرها زيادة على ما أخذ ؛ فكان جوابه على ذلك أن استل

الغلام تاركاً الجماعة يستمتعون براحة تبتك الساعتين
اللتين تعقبان الفداء

وقال الرجل الغريب : « عفوا ومذرة أيها
السيد ... بقيت زجاجة ... أدوها ... وجهه
الشمس ... أدبروا الكؤوس واشربوها حتى الخمالة »
ثم أفرغ كأسه وكان قد ملأها منذ دقيقتين ، وعاد
فلأه في هيئة من اعتاد ذلك الفعل

وأدبرت كؤوس الراح وطابت مقادير جديدة ،
وأخذ الغريب يتحدث وجماعة بكوك بنصتون .
وكانت الرغبة في رؤية الحفلة تلح على مستر توبمان
بين لحظة وأخرى ، وأشرب وجه مستر بكوك بتلك
الصفبة ، وشاعت فيه تلك الحرارة التي يمتها
الاحساس العميق بالأخاء ومحبة الرفاق ، وأخذ
الناس كلاماً من مستر دنكل ومستر سندجراس
فتأما ملء جوفهما

وقال الغريب : « بدأ الحفل في الطابق العلوي .
اسمع أصوات الجمع ... تحتبر القيثارات ... ثم
المود ... لقد بدأوا ... » ولقد دلت الأصوات
المختلفة التي وصلت إلى أسفل البناء أن هؤلاء
الراقصين قد بدأوا الشوط الأول
وعاد مستر توبمان يقول : « كم أعني أن أشهد
الحفل ! »

وعاد الغريب قائلاً : « وأنا أيضاً كم أعني ذلك .
لن الله ذلك اللذات الثقيل ... كتلة ضخمة ...
ليس لدى من الملابس ما أردتبه لأذهب إلى البهو ...
موقف نكد ... أليس كذلك ؟ »

وكان الاحسان والخير العام في مقدمة المظاهر
الرئيسية في مبدأ جماعة بكوك ، ولم يكن غم فيهم
من هو أشد ظهوراً في إخلاصه لهذا المبدأ من مستر

توبمان ، ثم مع مستر ونكل ، وأخيراً مع الرفاق
مجمعين ، كل ذلك في مثل ما يتكلم من سرعة : «
وراح يسأل خادم الفندق قائلاً : « جلبة شديدة
على السلم يا غلام ... مقاعد صاعدة إلى أعلى ، نجارون
يهبطون إلى أسفل ... مصابيح ... كؤوس ...
قيثارات ... فيم كل هذا ... ؟ »

— « للرقص يا سيدي »

— « اجتمع ؟ »

— « كلا يا سيدي ، ليس هو اجتماعاً يا سيدي ،
هو حفل من أجل عمل من أعمال البر يا سيدي »
وسأل مستر توبمان ذلك الغريب في شوق :
« أوجد كثير من الفانيات في هذه المدينة ؟ هل
لك علم بذلك أيها السيد ؟ »

— شيء فاخر ... مراكز رئيسي . كنت
أيها السيد ... كل امرئ يعرف كنت .. تفاح ..
برقوق ... خمر ... نساء ... كأس من الخمر
يا سيدي .

وأجاب مستر توبمان بقوله : « مع عظيم السرور
يا سيدي » ثم ملأ الرجل كأسه وأفرغها

ثم استأنف مستر توبمان حديث الرقص قائلاً :
« كم أعني لو أتيت لي الذهاب إلى ذلك المكان
كم أعني ! »

وتدخل الغلام بقوله : « تباع التذاكر في الحانة
أيها السيد ، ونحن الواحدة نصف جنيه »

وأعرب مستر توبمان ثانية عن رغبته الشديدة
في مشاهدة ذلك الحفل ، ولكنه لم يجد أي رد
في عيني مستر سندجراس ، ولا في حلقة مستر
بكوك الفارغة ، أكب في لغة عظيمة على الشراب
والحلوى وقد وضعا إذ ذاك على المائدة . وانسحب

الى الناس ، قد أخذت تدب الى حواس مستر بكوك . وكان هسنا السيد ، قد تقاب في تلك الدرجات التي تسبق عادة الخلود الذي يتلو الأكل وما يلحق به . أخذ هبط من قمة الانتشاء الى أحماق البؤس ، وبصعد من أحماق البؤس الى قمة الانتشاء ، فكان بذلك كصباح الناز في الشارع . لم تكن تهب الرياح على فوخته حتى كان كالصباح ، انبث منه أول الأمر وهج شديد اللعان ، ثم ما لبث أن خفت حتى لتحصيه قد انطفأ ، وما هي إلا برهة حتى انبثق نوره ثانية ليلتمع لحظة ثم عاد فارتش ذلك النور واضطرب حتى انطفأ في النهاية . ومال رأسه فاستند الى صدره . ولم يك ثمة شيء مما تستدل به الآذان على وجود ذلك الرجل العظيم ، سوى ذلك الشخير المتتابع ، تقطعه بين آوة وأخرى حشرجة طفيفة .

وكانت قد اشتدت في تلك الآونة رغبة مستر توبمان في أن يشهدهم الرقص ويرى لأول مرة مقدار ما يتركه جمال فادات كينت من أثر في نفسه . كذلك اشتدت رغبته في أن يصطحب معه ذلك الغريب ، فهو لم يسبق له علم بتلك الجبهات ولا بساكنها . على حين يخيل إليه أن ذلك الغريب يمرقها كأنه عاش فيها منذ نموه أطفاله .

وكان مستر ونكل ينط في نومه ، وكان صديقه مستر توبمان يعرف معرفة خبرة ووثوق بما شاهده من أمر صاحبه في مثل تلك الأحوال أنه إذا استيقظ من نوم كهذا ، فما يكون ذلك حتى في الأحوال العادية إلا لكي يلقى بنفسه على سريريه . وصاح ذلك الغريب الذي لم يعرف التعب برفيقه قائلاً : « إملأ كؤسك وأدر الخمر » .

وقبل مستر توبمان ما طلب إليه . وكانت تلك

تراسي توبمان . وإنك لتجد فيها أثبت في سجل الجماعة من مواقف ذلك الرجل الفذ ما لا يسهل تصديقه ؛ وفي تلك المواقف ترى هذا الرجل يندق مبراته على بقية الأعضاء ويمد إليهم يد المساعدة وقال مستر توبمان لذلك الغريب : « إنه لما يسمدني أن أعطيك من ملابس ما يني بفرضك ، ولكنك تبدو نحيفاً على حين أفي ... »

— « إنك بدن ... ياخوس إله الخمر الشاب ازداد بدانة ... قطع أردانه ... ترجل من فوق برمبل ... يرتدى سترة ضيقة من الصوف تلتصق بجسمه ... ها ... ها ... أدر كؤوس الراح »

وليت شعري هل امتنع مستر توبمان بعض الانتماض لتلك اللجة التي طلب بها إليه ذلك الرجل أن يدير الخمر التي مالبت أن عبها ، أم أنه وقد رأى عضواً من أعضاء جماعة بكوك يشبه بياخوس المترجل ، قد أحس في ذلك تشهيراً به وتمريضاً شنيعاً ؟ ذلك أمر لم يتبين بعد . ناول الغريب الخمر وتكلف السعال مرتين ، ووجه إلى الرجل نظرات صارمة حادة استمرت عدة ثوان ، ولكنّه لما رأى من ثبات ذلك الرجل وهدوئه ما رأى على الرغم من تلك النظرات لم يردأ من أن يستردها شيئاً فشيئاً وأبى يود به إلى حديث الرقص فقال :

« أردت بإسدي أن أقول إنه إذا كانت ملابس لا تلائمك لشدة وسمتها ، فإن ملابس صديقي مستر ونكل ربما كانت مناسبة » .

وقاس الرجل يمينه ملابس مستر ونكل وانبسخت أسارير وجهه وهو يقول : « إنها عين ما أريد » وتلفت مستر توبمان نحوه ، فرأى أن الخمر التي ساقف صديقه مستر سندجراوس ومعتز ونكل

الحرفين (P. C.) على الجانبين (١). وتساءل ذلك
الغريب « P. C. ؟ ماذا ... منظر غريب ... صورة
ذلك الرئيس و P. C. ماذا تمنون بذنبك الحرفين ؟
أريدون بهما « Pebular Coat » (٢) ؟ وراح مستر
توبمان يشرح للرجل في امتعاض شديد وفي زهو
وترفع ذلك اللغز الخفي

وأخذ ذلك الغريب يقول وهو يدور على عقبه
ليرى نفسه في المرآة : « تبدو قصيرة عند الوسط ...
أشبه بستره رجل البريد العام ... حلل غريبة تلك
الحلل ... صنعت بلا قياس ... نجيء مكسوة ...
وتلك من غفلات القدر التي لا تفهم ... كل من
طالت جسمهم تكون حللهم قصيرة ، وكل من
قصر أجسامهم تكون حللهم طويلة »

وفي أثناء تلك الثثرة ، أصاح الرجل وضع
ملابسه ، أو على الأصح ملابس مستر ونكل ، وسار
في محبته مستر توبمان ، فصعدا السلم إلى بهو الرقص
وسألها الرجل الواقف بالباب « ما اسمكما أيها
السيدان ؟ » . وهم مستر توبمان أن يتقدم ليسمع
الرجل القابله لخال صاحبه بينه وبين ما أراد

« لا تذكر أسماء قط ... » ثم همس في أذن مستر
توبمان بقوله : « لا قيمة للأسماء ... غير المروفة ...
أسماء حسنة جداً في ذاتها ولكنها ليست عظيمة ...
أسماء لها قيمتها في جمع صغير ، ولكن لا يقام لها
وزن في حفل عام ... قل : رجلاً من لندن ...
غريبان من ذوي المكاثة ... أى شيء » .

وفتح الباب على مصراعيه وتقدم مستر تراسي
توبمان وذلك الغريب فدخلوا بهو الرقص
(يتبع)

الكأس الأخيرة كما أنها حافظ جملة بمقد النية على
تنفيذ ما اعتزم . ثم اتجه الى صاحبه قائلاً : —

« تقع الحجرة التي سينام فيها مستر ونكل
داخل حجرتي ، وأنا لا أستطيع إذا أيقظته الآن
أن أفهمه ماذا يريد منه ، ولكني أعرف أن عنده حلة
كاملة في حقيقته ، فإذا فرضنا أنك ارتديتها وذهبت
بها الى البهو ، ثم خلعتها بعد عودتنا ، فاني أستطيع
أن أضمرها في مكانها دون أن أزعجه الآن أو أقلقه »
« فكرة صائبة ... حيلة فائقة ... موقف
نكد لعمري ... أربع عشرة حلة في ذلك المتاع الثقيل
وأراني مضطراً أن ألبس ثياب رجل آخر ... فكرة
حسنة جداً ، تلك الفكرة ... جداً »

وقال مستر توبمان : « يجب أن نشترى
تذاكرنا »

— « أمر لا يحتاج أن تقسم الجنيه قسمين ...
دعنا نقترح من يدفع للآخرين ... ألقى الجنيه على
المائدة ... لفه كما تلف المنزل بأصابعك ... أنا أقول
إنك ستجد الوجه الذي رسمت عليه المرأة ... للمرأة ...
المرأة ... المرأة الساحرة »

وألقى الجنيه على المائدة وظهر منه الوجه الذي طبع
عليه الفارس وقد سماه الرجل بالمرأة من باب التظرف
ودق مستر توبمان الجرس واشترى التذاكر
وطلب إلى الفساح مصباحاً أو شملاً يذهب به إلى
الحجرة ؛ وبعد ربع ساعة كان ذلك الغريب يخطر
في حلة مستر ونكل

وبينما كان الرجل ينظر إلى ثيابه في المرآة قال
مستر توبمان : « إنها حلة جديدة ، وهي أول حلة
صنعت بمحمل زرار فلوينا » . ثم وجه نظر الرجل
إلى ذلك الزرار الكبير المذهب الذي طُبعت في
وسطه صورة وجه مستر بكوك ثم كل من تينك

(١) حافي في الإنجليزية الحرفان الأولان من تلك العبارة
نادى بكوك (Pickwick Club) (٢) حلة خاصة

ومتكلم وقد غرق القوم
في ثورة حادة من الجدل ،
والنساء فأمّات يتحدثن ،
وهناك مكفرجة حسناء
تتحدث مع الأمير »

منظر ومعيد

المتفرجة الحسناء ، الأمير ،
المتفرجون والمتفرجات ، وفي
القدمة زوج تنصل الأنجليز ،
وصديق الشاعر ثم مارسيلوس
ثم أوجانتي فالدير ، فالشاعر

المتفرجة الحسناء — كان ينبغي أن يبدأ

الساعة الثامنة ؟

الأمير — نتحدث يا عزيزي متأملين الأنوار
الساطعة

المتفرجة — (شاكّة) أبلغ من العبقريّة
هذا الحد ؟

الأمير — هكذا يقال

المتفرجة — (للمتفرجة تهجئ دون لفتاء عنوان
القطعة الجديدة على الورقة)

أبو الهول : كيف كانت مسرحيته الأخيرة ؟
الأمير — أجريّة ؟

المتفرجة — فوق ما يتصور

الأمير — أبلفت جرأة لا يستطيع إخمادها .
فكرى في أن ليس فيها مكان ناء ، على أننا هنا

جالسون في مكان ملائم كل الملاءمة

المتفرجة — وماذا يقولون من القطعة بالاجال ؟

الأمير — لا أدري (بصوت منخفض) يتكلمون
عنها كثيراً بالسوء ، ينبغي أن يتحدث عن

ضد القطع قبل تمثيلها خشية أن يكون بعدها ...

متفرجة أخرى — أنظروا الدوقة ، كانت

سيرة أجيال الهول

مسرحية شعرية في أربعة فصول

لشاعر الفنى مريسي رستان

بقلم الأستاذ خليل هنداوى

الشخصيات

- ١ — باديس إيجلائو : شاعر فنى إيطالى
- ٢ — مارسيلوس : شقيقه
- ٣ — أوجانتي : مدير المسرح
- ٤ — الأمير
- ٥ — صديق الشاعر
- ٦ — الحاسد
- ٧ — الدوق لوجايو
- ٨ — فنى عاشق مصرى
- ٩ — أبو الهول
- ١٠ — إيزابيلا موتى : ممثلة إيطالية
- ١١ — فتاة مصرية
- ١٢ — سانتيا : أخت الشاعر
- ١٣ — فتاة عاشقة مصرية
- ١٤ — الحسناء المتفرجة
- ١٥ — الكاتينلي

(تجمهر حوادث المسرحية فى إيطاليا ثم تنتقل إلى مصر الحالية)

الفصل الأول

المهر : أمسية تمثيل فى روما فى المسرح الكبير
الحالى وقد ظهر قسم من البهو تشرف فيه القاعد
الأمامية واللوج المواجه للفصل ، الستاز لا يزال
مرخى ، هذا مساء يتكرر فيه تمثيل مسرحية
« أبى الهول » للشاعر الايطالى « باديس إيجلائو »
وخلال ذلك يكون المتفرجون بين قاعد وقائم

- بالأمس بزادها الأزرق ، وفي هذا المساء برداء
حالك اللون ، لونه الغريب يزي بالسواد ، وانظروا
قريئة القنصل (تظهر بينهما شخصان)
مدعو - أمي جميلة ؟
الأمير - كزنبقة تهوى عليها أنظار الرجال ،
تستوى وتتكى على أصابعها ذات الخوازم البراقة
متفرجة - (بخفية) كل هذا - دائماً -
من أجل باريس يجبلنا ؟
حسود - يا لحظة !
الأمير - وهل أنت آسف على ذلك ؟
الحسود - إنني أنتظر . يجب أن ينتهي ذلك
يوماً : الكل ينتهي من نساء ، من مجد ، إزايلا
موق ، إن في خوزنه كل شيء
الأمير - ولكن ليس لك إلا أن تسمل عمله ،
فابلغ القلوب فهزها . إن هذا ليس بمسير
الحسود - أنظر ! لا مقعد فارغ ! إنه ترك
المدينة تآنى إليه سيمًا ، والناس كلهم منتشرون
إزاء الستار
الأمير - ولكني لأراك في المقدمة ،
وأجدك مولياً ظهر لك للستار
الحسود - ذلك خير !
الأمير - ماذا تنتظر أيها العسل الرقيق
اللمس !
الحسود - أرجو أن أرى رواية أخ من
إخواننا يصفر لها الناس صفير استهجان !
امرأة - ما هذا التخلف !
أخرى - يجب أن تكون « إزايلا موق »
سبب هذا التخلف ؟ ومما يتكرر دائماً هذا
التخلف
أخرى - وبأى دور تقوم ؟
- الأمير - (هزه) بدور أبي المول ، لاريب ا
أخرى - إنها لغريبة الأطوار
المتفرجة الحسنا - إنها تنزه قرداً !
الأمير - كما تريد أن تظهر ببحث كيف
تقبض دوماً على القرد الذي يدعى رجلا
المتفرجة - إن لها حفلات راقصة أشدها جاجا
من مواطن الفحش والعريضة
أخرى - على أنها تؤثر على كل شيء قبس
أوار الشموع
الكاتيللي - وهل أنت على ثقة بأنه عشيقها ؟
متفرج - من ؟
الكاتيللي - وهل عندك شك في ذلك ؟ هو
باريس يجبلنا . وهذا سبب الفهمما الآخذة
في النمو
أخرى - إنها لا تمثل إلا الأدوار اتى
تخرج منه
أخرى - وطالما اعترفت بذلك من قبل
متفرجة - ولكنها يارفيقي كانت مخاطبه
في فينيس في شهر يونيو الأخير - بلهجة الفرد
أمام أصحاب الزوارق
أخرى - لوشئت لأصبحت شهيرة الاسم غدا
أخرى - إن لها كلاباً سلوقية ، وتخرج
شبه عارية
الأمير - ليس هذا بالرائع كشىء غريب ،
فاصفحوا عنها عاجلاً بلجالها ، واصفحوا عنها سريعاً
لظرفها الذى يتألاً حولها حيث خطرت ، في ذلك
النهار ، في القصر . . .
المتفرجة - في « السوفونيسيا » . .
الأمير - زلت شاحبة الوجه بعشية تنبؤها
عليها « بياتريس » وتحسدها « لورا » نظراً إليها

الصدق — إنه كثير الاعيان بنفسه وذلك ما يمت على القلب... ثم ما ذا نقولون؟ إنها ليست من الرح على شيء. آه لو يهجر هذه الأنواع موجها عبقريته إلى مواضيع أكثر وجاهة. لو فعل ذلك لضمن له الفوز دون شك. قلت له ذلك مراراً، وأعدت عليه القول تكراراً فلم يذهن! على أن عندي مواضيع المسرح كثيرة. وما عليه إلا أن يكتب ويتوجه إلى الناس بما يفهمونه: فن حب متواضع، ومن مفاجآت، ومن لحظات روحية، أو من ضحك يؤول القليل منه إلى بكاء؛ وأخيراً النموذج الذي ينطوي على كل شيء مما يماثل تمثله مئات المرات. ولكنه يأتي الاذعان لرأيي، والشعب مهما ارتقى لا يزال مفتقراً إلى أن تسليه؛ أما أن تقص عليه تاريخه فهذا كثير! أما مسرحياته فلا بطل لها سواء، وفي هذه المرة أيضاً...

فتى — (يتدونه)

هل تعرف القطعة؟ وما مآخذك عليها؟

الصدق — كما بها

امرأة — (بسخرية) حقاً؟

الصدق — لقد أراد — وأضحكى بنفسه

ذلك — أن يبالغ أكبر مسألة في الوجود، وهي مسألة الموت. والمسرح ينفر من مثل هذا. ولقد يهين شعباً من يريد أن يحمله على التفكير. المسرح يفترق إلى عمل، وخصومة وسارقين. ولا يستطيع أحد أن يؤلف قطعة بقلبه وحده

امرأة — من يدري؟

الصدق — العمل المسرحي هو الشرط الأول:

أنتقون بي؟ إنه ناقضي: وبدلاً من أن يبعد إلى رواية جديدة ليبت بطلينا ما رضى عنه مقباسبه الخاص جاعلاً من المسرح مكان اعتراف، بمعتقداً

بميين تلونت، ونظر بعضنا بعضاً، وقد غشيت وجوهنا كذلك صفرة. كم كانت جميلة! أخيل البناء أن وجهها الذي ناض منه الدم رخام شفاف فهمس أحدها: إنها «ديانا». وقال الآخر: «إنها آريانا» وهكذا كانت تمشي الأسماء حولها وتعالى وتنخفض كأكليل متوهج، وللجمال أسماء متعددة، أما هو فواحد!

السكايتيلي — (متكئة على مقعدها تقرأ العنوان بدون اكتراث على صفحة البرنامج) أبو الهول؟ إلى أحب هذا العنوان؟ إنه يمثل النواويس القديمة، السماء الزرقاء، الصحراء... هل تعرف مصر؟ (يضع صوتها في الضوضاء)

الأمير — (وقد لمع متراجدياً) وهذا صدق جميع الشعراء...

المتفرجة — هذا الأشقر!

الأمير — إنه سيحدثنا منه عن السوء الذي نريده

المتفرجة — صديقه؟

الأمير — حقاً؟ إليكم هذا القانون: إذا كان لنا من يفضنا فهم أخلاقنا. لنناده...

صديق الشاعر — (عائلاً) أنت؟

الأمير — (يقدمه للحساء) صديق للشاعر الصدق — سترون أن المشهد الأول هو خير المشاهد

الأمير — أحقاً؟

الصدق — (متهدأ) والثاني

الأمير — تهدئك فيها تيه، وهل أنت واثق بالفوز مع ذلك؟

الصدق — أريد أن أؤمن به ولكن (بتهدئة ثانية)

الأمير — وهذه فيها قلق...

إنك لا تفكر إلا في المال من حيث لا يفكر
إلا في الفن .

الحمود — (مخاطباً التفرجات اللاتي يألن عنه)
شقيق المؤلف .

مارسيلوس — ولا ينظر إلا إلى الجلال العميق
البعيد القور . المجد عندكم كم مجد مدح الناس وإعجابهم
ودعواتهم وأوسعتهم ، ولكن المجد — عند قلبه
الذي يجهل دموعكم — هو ملكة مختلة تخطر حافية .
إن ما يريد ليس بذلك الفوز الزائل الذي يهتز له
ضحكا جُلّاس الواقع الأولى ، ولكن ما يريد
هو الشعور القوي المنيف بخفقات القلوب بحبيب
خفقات قلبه بسمو ورفعة ، وهو إنما يعبر عن
النفس الانسانية إذ يعبر عن نفسه ، ويرى أن
تحقيق الظفر للقطعة يوجب عليه أن يجررها بقلبه ،
كل ما يتكرونها يتكره ذوق متصنع متكاف على
أن أكبر أثر هو تضحية كبيرة !

(ينسحب)

الصدیق — (هازئاً كئيباً) إنه وهم باطل ينتهي
بالحرق ! سئري . لن نتحدث عنه بعد ثمانية أيام .

الحمود — إن مارسيلوس أخوه
آخر — ولهذا يتعجب من ثبوت الذود عنه
كرهاب فقياً يتأثر حين يشتم ربه
الأمير — إن له صيحات حسنة .

متفرجة — وله عينان جميلتان ؛ وقد زاد
عنه بشدة

الصدیق — يمثل هذه الحماقات بحشو الدجيون
به أذنيه

الفن ! الجلال ! كل هذا لا يساوي قطعة قد
أحسن حبكها تمثل عاماً
(ثلاث غزبات)

أنه يجب قبل كل شيء أن يحيا في مسرحياته . إنه
انخدع وسيبقى سأم الشعب منه . وإلى للى يقين
من أن هذا ليس بنتاج مسرحي !

(مارسيلوس إيجلاو يدنو رويداً رويداً وقد شعر أنهم
يتكلمون عن أخيه ، ولجأ فابل هذا الصديق)

مارسيلوس : هذا أنت لا تنطق بلهجة واحدة
الصديق : ليكن ؛ إن له لبراءة ، ولكن
بإمكانه أن يكون أكثر فوزاً

مارسيلوس — (بسجلة) الفوز ! هذه هي كلمة
طرحتها ، إنه ليحصل عليه لأنه لم يتحرقه كثيراً ،
على أنني ما كنت لأحقر الفوز من أجل إرضاء
رغبة ، لأن — هنالك — فوزاً وفوزاً ؛ ولقد
نظرت آثاراً كثيرة قبلت بصغير الاستمراء ،
أو بتصفين الإعجاب ، ولكن أحداً لم يخدع
في قيمتها ...

الصدیق — ولكن ...

بارسيلوس — لنقف عند هذه الكلمة ،
كلمة الفوز ، فكلمة كانت الكبرياء مصونة كان
الفوز أكبر ، فالشاعر ، بالرغم من نفسه يستحي
من الضحكة الزائفة الناشئة عن حركة رائمة منه ،
فهو إذا لم يتفمس إلا في نفسه ولم يتخذ للتحقيق
إلا أجنحته ، ولم يفكر في الناظرين إليه من أبناء
الأرض ، إذا لم يفكر إلا في تحليقه وحالة نفسه التي
يمبر عنها ، وإذا لم يمد برى — بعد انتهائه من
الصمود — إلا القهم ، فإن كبريائه — إذ ذاك —
كبريائه المشرقة تستطيع أن تنتخب حظها وأن
تتكلم بلهجة عالية قائلة : ليقبل إلى المجد فانا
لا أرحل نحوه ...

الصدیق — أجل ! إنني أعلم ...
مارسيلوس — صه ! أيها المفسر المرائي !

وقلبك الرحب جعله صعباً مع نفسه إلى مثل هذا الحد، ألا تجدون في إجحامه من تقديم القطعة؛ ألا تحسون في شكه وقلقه كل هذا الثمن الذي عنجه لكم أيها السامعون! يجدر بنا أن نؤمن به في اللحظة التي يشك فيها من نفسه. وهذا حق.

الجماعة — كان ينبغي عليه أن يعلن أن قبل ...

ليأت إذاً ... ليطلع علينا!

(يظهر باريس بإحباط خلف المدير ... صفيح ومرايح ...)

باريس — (بصوت شديد وعلى وجهه صفرة)
هأنذا يا شبيب روما! يا نقاده ويا كتابته،
يارساميه وفنانيه ورجاله! ويا أصدقائي البهيميين في
هذا الخضم الواسع، هأنذا إذا شتمت أنت
تصفروا إلى ...

الجماعة — ما هذه المجازفة؟

باريس — يجب أن آتي، لا يفر أحد من
هذا المكان غيري! أنا ألفت الرواية وأنا حلت
دون تمثيلها، وإذا أردتم جرفان السبب فاصغوا
إليّ!

الجماعة — كفى ... لماذا؟

باريس — جيئت بنفسى معترفاً! اسمع لي أيها
الشعب القوي أجبني! ألم أقاسمكم بالقدر الكافي
أعشار فؤادي لقاء ترحيب — منكم في — أقل
هزءاً وسخرية.

الجماعة — ذروه يتكلم!

باريس — ألم أجسكم — بدون انقطاع —
مهوداً ووفيتها، ووعوداً وأبجزتها؟ ألم أطلب
اليكم الكبرياء التي تتمسكون بها؟ اسمعوا إلى: إن
الرواية روايتي، قد أودعتها كل همسات حياتي،
وفصلت لها جناحين من تهداتي

الجماعة — حسن!

الجماعة — آه! ثلاث ضربات ... لنفزع
إلى مقاعدنا!

(يشق الستار لمدير المسرح)

الجماعة — أخطاب؟ ما هذا؟ المدير ذاته؟
ولكنهم ضربوا ثلاثاً. ليتكلم! ولنتنظر!

المدير — ممذرة يا سادتي وسيداتي،
لا أستطيع التكلم إذا قاطمتموني

الجماعة — كفى ...

المدير — إن مأساة الشاعر الكبير لن تقدر
على تمثيلها هذا المساء

الجماعة — ماذا تقول؟

المدير — إسمعوني قليلاً واعتصموا بصبركم!

الجماعة — زيد «سأرى المول» مهما ذهب
الأمر

المدير — إسمعوني، إسمعوني بلطف! لن تقدر
على تمثيلها لأن صاحبها حال دون ذلك

الجماعة — المؤلف ... لا يمكن ذلك

المدير — المؤلف نفسه نزع فيها

الجماعة — المؤلف ... المؤلف ... كفى ...

أيها الكذاب! أيها اللص! أيها الأثيم!

المدير — إسمعوني قليلاً؛ وأنا وافقت على
إرجاء تمثيلها لبوادر القلق التي رأيتها تنفث وجهه،
وانكم لتشفقون عليه كما أشقت أنا. إنه المؤلف؛
وإنه أيضاً الصديق الذي أحبه

الجماعة — آه

المدير — إن روايته الأولى مُثلت هنا على هذا
المسرح، وقد كانت حائزة لأعجاب القوم، ولم يزل
في أثناء الستار وأطواره تصفيق نثار. ألسنا مدينين
له بكثير من الساعات الطويلة؟ فلنسمح له بها عن
هذا التردد، إن حبك أيها المدينة ومثافتك وإعجابك

تهامس فيها أمواجك

(بصمت دقيقة بادياً عليه التأثر مودعاً شعبه)

إننى راحل ! وهذا وداعى أردده فى هذا
الساء : فلا روما ولا سمائها يستطيعان أن يلهجانى .
وداعاً أيها الأصداء التجاوب من هذا النابوس
الشهير ! أريد أن أرى « أباهول الحقيقى » فى مصر
حقيقة . لن تسمع - أيها الشعب - بعد اليوم
اسمى ولا ألقى .

أقول وداعاً ...

الجماعة - كفى ... الرواية يزيد أن تراها ...

هات أباهول .

باريس - ليس من حق انسان أن يمحط
بالقهر نفساً ! لا لا : لن تروا منها شيئاً برغم
إلحاحكم ! إننى صمت - أقول - صمت إلا أنى
أريد ذلك ، وازدريت الكتابة وتجنبت عنها
لأستطيع الخوض فى لمج الحياة ، وجئت لكى أحطم
قيثارتى أمامكم ! إننى لن أكتب شيئاً بعد اليوم !
الجماعة - القطعة ... ولتذهب أى ذهبت ...

يزيد أن تراها .

باريس - (نادفاً بضارة من الورق) إليكم
القطعة ...

الجماعة - آه

باريس - هذه هى روايتكم التى أضمتها
بكبرىائى وكأبقى ، وهذه هى النسخة الوحيدة
الباقية فى الوجود . أنظروها وتروحووا من بعيد
ربح أياتها التى لن تعرفوها . وداعاً ! يا فقص الف
من الأشبال من غير حديد ولا شباك ... إذا أردتم
قلبي فدوتكم قطعاً منه وفلاً بمزقة ...

(يمزق الأوراق ويغضب بها وجوه السامعين)

(يهبط الستار)

(الفصل الثانى فى العدد القادم) هليل هنري

باريس - قضيت ثلاثة أعوام منكباً خلالها
على نعلها ، وقد صبغت أوراها بدم غير منظور ،
ثم كانت إعادة ثلاثتها على أوراق تجعدت ، ثم جاء
عهد ترزينها ، ثم تالت لحظات الشك والريبة .
وقد وجدت كل مساء خلال استسلامى لأحلامى
أن هذا الأثر القلق الذى كنت أعبده أخذ يتلاشى ،
وكلا وافت للنساء وقتها المحتوم أصبح حلها الذى
انتهت به قلباً عندي ، وأصبحت أشعر فى ساعة
بأسمى التنيد أن عرضها عليكم وتقديمها إليكم ضرب
من المحال .

الجماعة - إنه لمتوه .

باريس - لا ، لست بمجنون ولا بى عته ،
اصفوا لى . أؤكد لكم أنكم موافقون على رأىي ،
وتدركون كيف التهمى « أباهول » . إنى أنزلت
فى هذه القطعة القريبة قلبى ، قلبى كله ، معتقداً
بأن الشاعر الذى لا يضع قلبه فى عمله يأتى عمله
ناقصاً . ما كنت لأشك فى هذا من قبل ، ولكنى
فهمت بعد لئى أى حد بلغ إغراقى ! ورأيت أن
ستاراً خفياً يجب أن يحيط بالشهد حيناً يذطوى
على حياة إنسانية

الجماعة - الرواية : الرواية

باريس - (يدهول) إنها لن تمحل !

(المياج يزداد) إننى أبصرتها - كما تراهى لى -

نهنض من تحت قديم ، ورأيتها تولد ونحيا بوجهها
الحقيقى . وأدركت أن تقديمها إليكم يسد جريمة .

وقد فهمت المثلة التى تقوم بها ذلك : وغلب تردى
الغنيث على نفسها . افهمى أنت أيها الشعب
وأسكت قليلاً حب الاطلاع فى نفسك مارفاً بأنى

كنت دائماً تلك القيثارة التى كانت ترجع
أنشودتك القائمة ، وكنت الصدفه الواحدة التى



بها كل مذهب ، لما جاءت إليك منقنعة صمدوك
وهي تعلم أنها مجرمة وقد اعترفت بجريمتها .
لاريب في أنك ستأسف على هذه الليلة لأنك
لن تقع بعد على مثلها .

وكان ديجنه يقول هذا بكل ما فيه من قوة
المقيدة وبرود الاختيار ، فكنت وأنا استنوخ إليه
أحس بارتعاش في جميع أعضائي وبخافز يهيب بي
إلى الذهاب لمقابلة عشيقتي أو الكتابة لاستقدامها
إليّ ، ولكنني لم أكن قادراً على النهوض من
فراشي ، ففرت على نفسي انتمض لمشاهدتها
تنتظر خصمي ، أو لأرى بابها موصداً عليه وعليها ،
ولكنني كنت قادراً على توجيه رسالة إليها ،
فكنت أفكر بالرغم مني فيها سأخطبها به .

وما بارحني ديجنه حتى شمعت باضطراب شديد
دفعتني إلى التفكير في وضع حد لهذه الحالة مهما كانني

مِنْ أَعْمَاقِ النُّفُوسِ



أَعْرَافِي فِي الْعَصْرِ

لألفريد دي موسيه

بقلم الأستاذ فليكس فنارس

(تابع)

إذا كان هذا هو الحب عندك ، فأنني أشفق عليك .
فقال (ديجنه) إنه ما أحب إلا نساء المواقير فهو
لا يصدق في مثل هذه الأمور . وأضاف إلى ذلك
قوله : إنك لم تزل فتياً ، يا أوكثاف ، وتريد
الحصول على أشياء كثيرة تنطبق على ما توهم ،
ولكن هذه الأشياء لا وجود لها ، فانك تعتقد
بالحب ، بل بنوع غريب من الحب ؛ ولعل لك
ما يملك قادراً على الشهور به ، غير أنني لا أعناه لك .
إنك ستجتمع بمخيلات غير هذه الخلية يا صديقي ،
فتأسف لما فعلت الليلة الماضية ، إذ لاريب في أن
هذه المرأة كانت تحبك عند ما جاءت إليك ، وقد
لا تحبك في هذه الساعة ، ولعلها الآن بين ذراعي
رجل آخر ؛ غير أنها في تلك الليلة وفي هذه الترفة
كانت مولعة بك ، فإذا كان بهمك من الدنيا ؟ لقد
أفقدت نفسك ليلة من ليالي العمر ولست بشجيك
ذكرها لأنها مضت ولن تعود

إن المرأة تنفجر كل أساءة ، ولكنها لا تنسى
ذنب من تهرع إليه فيردها ، ولو أن النرام لم يذهب

اختيار مسلكتي ، وإذ لم يقف ذوقى عند واحد منها ، أطلقت لخيالي العنان ، فشمعت نجاة كأن الأرض تيمدى ، وكأني لمست القوة الخفية السماء التي تدفع بهذه الكرة فى الأجواء ، تغيل إلى أنها ترتفع نحو السماء وأنا عليها كواقف على مركب يعبر الباب ، وتراءت لى شجرة الحور كسارية لهذا المركب ، فتراجعت عن مستندى ومددت ذراعى هاتفا : أية أهمية لساقلو لا يمضى إلا حيننا من الزمن على هذا المركب ؟ فما هو الإنسان ؟ ما هي هذه النقطة السوداء على ظهر هذه العائمة النائية فى الأثير ؟ أفليس حسي فى الحياة أن أكون إنسانا ؟ لا ، إننى أريد أن أصبح رجلا له صفته الخاصة وطايحه الخاص

ذلك ما تمنيتهُ أمام الطبيعة ، فكان رجائى الأول وأنا ابن أربعة عشر ربيما ، ومنذ ذلك الزمن لم أقم بأى عمل إلا لإطاعة لأمر أبى ، ولكننى ما تمكنت يوما من التغلب على طبيعتى المتمردة .

لم تكن حريتى إذن بنت كسلى ، بل كانت بنت عزمى وإرادتى ؛ وكنت أحب جميع ما خلق الله ولا أحب ما صنع الناس إلا يسيرا ؛ وما كنت عرفت من الحياة سوى الحب ومن العالم غير معشوقى ، فاكتفيت بما عرفت

خرجت من المدرسة ، فمشت واعتقدت بـ

الاخلاص أن هذا الحب سيسود حياتى بأسرها ، وهذا الاعتقاد أزال كل ما سواه من تفكيرى ، وكنت أعيش منعزلا فاقضى أيا لى عشيقتى ، وكان الله شئ عندى أن أذهب بها إلى الحقول أيام الصيف فأوسد الروح الناضرة إلى جنبها ، إذ كنت أجد فى مشاهد الطبيعة الرائعة أشد محمدا

الأمر ، وبعد نزاع عنيف تغلب الاشمئزاز فيه على الحب ، كتبت إلى عشيقتى أنى لن أراها بعد ، وطلبت منها ألا تحضر لى . إذا كانت تتعاشى أن أوسد بائى فى وجهها

قرعت الجرس وسلمت الكتاب إلى خادى لا يصله بلا إبطاء إلى البريد ، ولكنه ما كاد يفلق الباب حتى ناديت فلم يسمع صوتى ، وما تجاسرت أن أعوده ثانية ، فسترت وجهى بيدي واستسلمت لليأس العميق

الفصل الرابع

وعند بزوغ الشمس فى اليوم التالى ، كان أول ما خطر لى مناجاة نفسى بما يمكن لى أن أفعله بعد الآن

لم يكن لى مهنة ، وما كنت أتأمل عملًا ، لأننى كنت درست الطب والحقوق وقيت مترددا بين احترام إحدى هاتين المهنيتين ، ثم اشتغلت ستة أشهر فى إحدى الحرف غير أننى لم أوفق إلى العمل بدقة ، فتداركت أمرى بالاستفتاء قبل أن أطرد . وكنت درست كثيرا ، غير أن علومى كانت سطحية ؛ وكنت أنسى العلم بالسهولة التى أتلقنه بها

وكان استقلالى أعز شئ على بعد الحب ، وقد تمسكت حريتى منذ نومة أطفائى

وكان والدى يخطبني يوما بشأن مستقبل عارضا على مسالك عديدة للممل فانكأت على عارضة النافذة وحددت فى شجرة من الحور ممشوقة تتأيل فى الحديقة مع الهواء وأخذت أفكر فى

أن إغراق في تأثرى كان يحول كل إيجابى إلى آخر
شاعر عرفته ويدفعنى إلى كره سائر الشعراء .
وثابت على هذا النهج حتى أنشأت من نفسى
مستودعا للماديات ؛ وكنت اغترفت من كل حديث
مجهول حتى بشمت فإذا أنا ظلل بال عليه شيء لم يزل
فى نهيع العبا ، هو أمل هذا القلب فى طفولته .
ذلك هو أمل الذى سلم من كل وصمة ومن كل
فساد وسكب الحب فيه كل قوى الحياة ؛ فإذا
الخيالة تصيبه بالجرح القاتل ، ومكر العشيقة يرميه
بأحد سهم وهو يطير فى أرفع أجوائه
وكنت أشعر أن فى نفسى شيئا يتشنج فى
استرخائه كأنه طير جريح يحتضر . إن المجتمع الذى
ينزل الدوايح بإفراذه لشبيه بالأفنى الهندية التى
تستقر فى الأعشاب الشافية للسماها ، فأنتك كثير
ما تجد قرب الأدوية التى تسببها أنجح علاج لها ،
فالرجل الذى يتبع نظاما ينطبق على حالة المجتمع فى
حياته فيمين وقتا لأعماله ووقتا لزيارته وميعادا
لممارسة الحب .. لا يمرض لأى خطر إذا هو فقد
من يهوى لأنه أخذ فى أعماله وتفكيره نظاما
وترتيباً كصوف الجنود الهياة للكفاح ، فإذا سقط
جندى منها انكش الصف وقام آخر مكانه فلا
يشعر أحد بفراغ ذلك السكان
أما أنا ، فما كان لى ما ألتجأ إليه منذ أصبحت
وحدى ، فكنت أقف أمام الطبيعة وهى أى التى
أحب فأراها تنسع حولى وترداد فراغا ، ولو أمكنى
أن أنسى عشيقى كل النسيان لكنت نجوم
كثير من الناس يجدون الشفاء على أهون سبيل
لأنهم يصمدون للخيالة متلبين على الحب الجريح
ولكن أنى لابن التاسعة عشرة أن يقتبس هذه

للقوى ، وفى أيام الشتاء كنت أذهب بها من مرتص
إلى آخر . وهكذا كانت عمر أيام حياتى متتابعة
دون أن أقوم بأى عمل
كانت جميع أفكارى متجهة إلى العشيقة التى
خدعتنى ، لذلك رأيتنى عندما انتهت خداعها كأننى
أحيا ولا أفكر لى
لا أجد ما أصور به حالى النفسية سوى
تشبيها بمحالة مساكن هذه الأيام حيث تجد الرياض
مؤلفا من طراز جميع البلدان وجميع الأزمان ، فنحن
فى عصر لا طراز له لأننا لم نضع طابع زماننا لى
مساكننا ولا على حداثتنا ولا على أى شيء لنا .
فانك لتصادف فى الشوارع رجلا أطلقوا الحام على
طراز عصر هنرى الثالث كما ترى رجلا حلقوا
الدقون وآخرين أرخوا شعورهم على زى أيام رفايل
وسوام أرخواها على طراز زمن المسيح
وهكذا تخيل إليك أن مساكن الأغنياء
معارض فنون ، إذ تجد فيها الطراز القديم وطراز
عصر النهضة وعصر لويس الثالث عشر . فلدينا
من كل عصر أشياء ولا شيء لدينا من عصرنا ؛
وما شوهدت مثل هذه الحال فى أى زمن من قبل
فنحن نذهب مذهب المتخبرين فنأخذ من كل ما
نجد : هذا لجلاله ، وهذا لمواقفته ، للراحة وآخر
لقدمه ، وآخر لما فيه من القبح .. وهكذا نميش على
أنقاض كأن العالم قد اقترب من الزوال
على مثل هذا كان تفكيرى . كنت طالمت
كثيرا وتملت الرسم وحفظت أشياء تراكت فى
دماغى بلا ترتيب فكان رأى كالاسفنجة متضخما
على فراغه
وعشقت جميع الشعراء واحدا بعد واحد ؛ غير

فكنت أزرع قائلاً : - إن أترك سيمحي ، أهبها الجرح الذي الجيب فأى بلمس سأسكب عليك وما كان تريد كرمي هذه المرأة ليزيل تذكاريها من كياني فكانه بقي يتششى مع دى في عروقي كنت ألتها ثم أحلم بها . ومن له أن يقاوم الأحلام وأنت يحكم عقله في تذكارات قواها لحلم ودم ؟

عندما قتل مكبيت دوكانان هتف قائلاً : إن مياه المحيط لن تغسل يدي ؛ وأنا أيضاً كنت أرى أن مياه البحار كلها لن تغسل جراسى وصارحت ديجنه بحالتي فقلت له : دعنى وشائى ، إننى عندما أستسلم للسكرى أرى رأسها ماني على وسادتي

ما كنت أحيأ إلا من أجل هذه المرأة ، فسا كنت أرتاب بها حتى ولو ارتبنت بنفسى . فإذا ما لمتها فكانت أجحد كل شيء ، وإذا ما فقدتها فكانت أرى الوجود بأمره مندراً خالياً

وقبعت في منزلى منقطعاً عن الناس ، إذ كنت أحسب العالم ينض بالمسوخ والحيوانات المفترسة ؛ وكنت أقول لكل من يحاول تسليتي : إن ما تقوله حق ، ولكن كن واثقاً من أنني لن أتبع نصيحتك وكنت أستند إلى النافذة وأقول لنفسى : سوف تأتى ، لا ريب في أنها قادمة إلى ، لقد دارت بمنطف الشارع . إنى أحس باقترابها منى . إنها لا تستطيع أن تحيا بدونى كالأستطيع أنا أن أحيأ بدونها . ماذا عساني قائلاً لها وبأى وجه استقبلها ؟ وبينما أكون مستغرقاً في هذه النجوى كان خدامها يفاجئ تذكاري فأهتف قائلاً : لا ، لا أريد أن تجيء ، لا أريد أن تقترب منى ، فاني أقتلها

الطريقة في حبه وهو يجعل كل شيء ويشتهى كل شيء وهو الشاعر ينمو جراثيم الشهوات كلها في نفسه . هل لئلا هذا التي أن تساوره الشكوك ، وهو كيفما التفت : يمينا أو شمالاً أو علق نظره على الآفاق يسمع هاتفا يدعو إلى الشهوة والأحلام ؛ وما من حقيقة يمكنها أن تتسلط على القلب في فتوته . كل شيء بنيت الأزهار للشباب حتى المقد المتصلة . في أعصان السندباد المرمية . ولو كان للقي ألف ذراع لذهبها إلى الفضاء حتى إذا التفت على عشيقة أصبح هذا الفضاء في نظره مليئاً عامراً وما كنت أحسب أن في العالم من عمل سوى الحب ، وعندما كان أحد الناس يخاطبني عن غير الحب ؛ كنت أدبر ظهري واتزم السكوت وكان يلهمي بمحبوبي ولها وحشياً أتى على حياتي طابع الزهينة والنمك ولاوردن حادثة واحدة تثبت ما صورت من حالتي :

كانت محبوبتي أعطيني ذخيرة ضمنها رسمها المصغر ، وكنت أحمل هذه الذخيرة على غنق قلبي أسوة بكثير من الرجال ولكنني وجدت يوماً هند أحد الباعة سلسلة حديدية علقت في طرفها دائرة على ظهرها تتواء شائكة قابقتها وربطت الذخيرة عليها وسجتها مديراً التواءات لجهة صدرى فكانت تغرز في جلدي فأشعر من ألمها بلذة غريبة ، وكثيراً ما كنت أضغط عليها بكفى مستزبداً لذق وآلامى... وما كنت لأجهل ما في عملى من جنون ، ولكن هل من جنون لا يقدم الحب عليه ؟ وعندما كهرت بمجانة حبيبتى ، خلعت هذه الذخيرة عنى وبعلم الله ما كان عذابى عندما تحررت من قساوتها

المظني، أنا فعلت ما وجب على فعله؟ أما طردتها
من هنا؟ فهل لك ما تقوله بصد؟ أما الباق
فلا شأن لأحد فيه سوى. أليس للتيران إذنا
جرحت في الصراع أن تذهب بالنصل النعمد في
كتفها إلى زاوية لموت؟

قل لي بربك، إلى أين أذهب، ومن هن هؤلاء
النسوة اللواتي تسوقهن الصدق إليك. أنت تشير
إلى النساء الصافية والأشجار الباسقة والمساكن
المالية، وإلى رجال يمردون ويسكرون ويفنون،
وإلى نساء راقصات وخيول تترأ كهن في السباق؟
وما كل ما تشير إليه هو الحياة، بل هو صخب
الحياة، إذهب عني ودعني وشأني
فليكس فارس (يتبع)

وما كنت سمعت عنها شياء بعد أن أرسلت
لها كتابي الأخير فكنت أتساءل: ما تفعل الآن،
أتراها مشغولة بمشق سوى، فما على إذن إلا أن
أعشق سواها

ولكنني كنت أسمع صوتاً يهتف بي من الأبعاد
فأنا: ألك أن تحب سوى أنت؟ لتلك جئت!
أذلك ممكن لشخصين سادها الحب فتماثقا واتحدا؟
أنت لم تعد أنت بعد وأنا لم أعد أنا

وكانت ديجنه يقول لي: متى تساو هذه
المرأة أبها الجبان؟ أفترى في فقدك أيها خسارة
لا تموض؟ وهل كان عشقها لك اللذة الوحيدة
في الدنيا؟ أتحذ لك عشيقة أخرى، ولينته الأمر
فكنت أقول له: لا، ليس فقدى لها بالخسارة

نحن نشترى منكم قطنكم ونعيده إليكم

فأنتم الرابحون في الحالتين

شركة مصر للغزل والنسيج

تمدكم بكافة المنسوجات القطنية

قطن مصر .. صنع مصر .. فخر مصر

إنها إحدى مؤسسات بنك مصر



هوميروس



الأوليسس

لهوميروس

بقلم الأستاذ دريني خشبة

(تابع)

في بيلوس . . .
تليك يسائل نسطور عن أبيه

فهرصة ما تقدم

« انتهت حرب طروادة وعاد الفادة الاغريق
جميعاً إلى اليونان ما عدا أوديسيوس فإنه لم يبد
وكانت حرب شعواء بينه وبين إله البحار بوسيدون
الذي أمثل طريقه في البحر لخصومة قديمة بينهما .
وكانت الربة مينرثا من أنصار أوديسيوس ، فنذبت
إلى لمتاكا ، مدينة أوديسيوس ، لتض ابنه تليك على
البحث عن أبيه وتعرضه على طرد عشاق أمه بنلوب
من قصره . ذلك أن طول غياب أوديسيوس أطع
هؤلاء في جمال الملكة فأرادها كل منهم زوجة له ،
ولكنها احتالت عليهم حتى استطاعت أن تجمعهم في
قصرها لتضرب بينهم ببيض ريثا يعود زوجها
وتخلصها منهم . ولتبت مينرثا الفتى تليك وأحضرت
له سفينة مجهزة بكل ما تحتاج إليه رحلة طويلة محفوفة
بالأخطار ثم أقلت هي معه في صورة أحد أمراء البحر
(منثور) إلى بيلوس ليسائل أميرها نسطور عن أبيه
الذي كان يرأسه في حرب طروادة

برزت ذكاء من لجة الشرق فصبغت
آرادها^(١) الذهبية جبين الأفق النحاسي ، وسلبت
الأضواء الجميلة لتهدي إلى السبيل السوي ، وألقت
السفينة مراسيها لتقاء بيلوس ، مدينة نايوس^(٢) ؛
حيث وجدوا القوم على الشاطئ يقربون القرايين
باسم بوسيدون ، ذى الشعر اللازوردي ، وقد
جلسوا في صفوف تسعة ، وفي كل صف خمسمائة
شيخ عتيد . وذبحت كل فئة قرايينها : تسعة محول
سمان ذوات خوار ، فأكلوا الحوايا^(٣) ، وضخوا
بالسواعد والأنفاذ ؛ ثم أقبل تليك وبين يديه
مينرثا تهادي وتقول :

« تلياخوس ! تشجع يا بني ، ولا تجمل
للاستحياء سبيلا إلى نفسك ، وتقدم إلى أمير هذه
البلدة الصنديد ، نسطور ، فقد تكون لديه أخبار

(١) أشعة الشمس

(٢) نايوس هو ابن بوسيدون (نبتون) إله البحار
وأحد أعداء أوديسيوس

(٣) الأسماك وما إليها

أدرك بلطفك التائبين إليك ، ونجمهم من دأمانك
ببركة أسمائك ، مولاي وتقبل من نسطور ومن ذريته ،
وتقبل من جميع أهل ييلوس أنصحبائهم ، ثم تفضل
يا مولاي فسد خطى تلياخوس وخطاى إلى ما أفلطنا
فوق هذا المركب الشاحب من أجله .. آمين آمين !!
وتناول تلياخوس الكأس بدوره ، ثم أفرغ
ما فيها ، وتتم بصلاة قصيرة ؛ وما كاد يفرغ حتى
تفرق الدعون من أهل ييلوس طامعين شاكرين ،
إلا منيرفا وصاحبها ، وإلا نسطور وولديه ثم
قال نسطور :

« أما وقد فرغنا من غدائنا فاذا أبها الوافدون
من أنتم ، ومن أين حللكم هذا البحر ؟ أبحار أنتم ؟
أم قرصان تملأون الشيطان ذعرا وفزعاً ؟ »
واستجمع تلياك شجاعته ، ونفخت فيه منيرفا
من روحها ، وتكلم فقال :

« على هينتك يا ابن نيلوس العظيم ، يا غفر
هيلاس ؛ إلى أنا ابن صديقك وصفيك أوديسيوس
سميت إليك من أقصى الأرض أسائلك عن أبي
أبي صفيك وخليك الذى صال ملك تحت أسوار
اليوم وجال ، ثم لا أحد يعرف من أنبائه اليوم
شيئا ! لقد انتهت إلينا أخبار الأبطال اليونانيين
جميعا وعرفنا مصارعهم ، إلا إياه أين رقد ؟
وأنى نوى ؟ وأيان قوت رفاة إن كان قد شالت
نمامته ، أو مضى على وجهه فى الأرض إن كان
ما يزال حيا .. إن الآلهة نفسها لا تشاء أن تدلنا
من أخباره على أثر . ولشد ما أختنى أن يكون قد
نوى هناك ... هناك ... فى أعمن مملكة نيتيون ،
مع الجيلة أمفريت^(١) . لذلك سميت إليك يا غفر

(١) ملكة البحار وزوجة نيتيون

عن أبيك ، وقد يجاولك الشوك التى تخمارك ،
وثق أنه لن يخفى عليك من أمره خافية ، فقد
تقدمت به السن ، وهو اليوم أحكم الناس . »
ويقول تلياك :

« أواه يا منتور ! ما أحسبني أقوى على لقاء
الرجل ، وأنا من تعرف من قلة الشأن ورقة الحال أنا
اللقى الخدث . أفنى لى بقاء الشيخ ذى التجارب ؟ »
وتجيبه ذات المينين البرجديتين :

« لا عليك يا بنى ! إنى إلا كلمات تقولها
وعلى الله قصص السبيل ! ! العالم كله يعرف أنك
نشأت فى ظروف قاهرة ما كان لك بها يدان ! »

ودلفت منيرفا ، ودلف فى إثرها تلياك ، حتى
كانا فى وسط القوم ، وحيث جلس نسطور العظيم
بين أبنائه ، وحيث اشتغل أهله بالشواء ، وهب
الجميع للقائهما . وتقدم ابن نسطور الأكبر ،
بيزستراتوس ، فصاحفهما هاشا ، وتلقاهما باشا ،
وأجلسهما فوق الفراء المبتوث إلى جنب أبيه ،
وأخيه الأصغر تراسميديس ، وقدم لكل مضافة
من حوية ، ثم كأسا ذهبية من خمر معتقة ، تدوفها
قبل أن يجيى بها ، ثم قال مخاطبا منيرفا :

« مرحبا بك أيها الضيف المكرم ! لقد
شرقت فى عيد نيتيون ، فجدالو أفرغت باسمه ما فى
هذه الكأس من خمر صلاة له وزكاة ! وجدالو
أشركت فى التقدمة زميلك ، فأحسبه لإعجاب
للآلهة ، خابئها لها »

وتيسمت منيرفا ، وتناولت الكأس فى وقار
وأرسلت هذه الصلاة باسم رب البحار :

« نيتيون العظيم تقدس اسمك ، وأحاط باليابسة
ملكوتك .. يا منقذ الضالين ومغيث المتضرعين ،

أأنتك حقاً لولد أوديسيوس؟ أجل ! إنك بعلامتك
وقسماتك غصن دوحته ، وإنك بكلماتك العذاب
مُسْلُوج أرومته ! أوه ، أوديسيوس ! يا رفيق
الشباب وحبيب القلب ! شد ما تمتلج في النفس
تلك الخاتمة المائلة التي قضاه على الأرجيف^(١)
سيد الأولب ، غِب انتصارهم ، وقُبَيْل أوتهم !
لقد حنقت ميرفا على ولدي أوريوس إذ تنازعا فقال
قائل منهما فضحي لربة السدالة عند سيف البحر
تلقاه اليوم ، ولكن الآخر أبي وأبجر على أن يقدم
لها القرايين في أرجوس ! يا لتعيسين ! أجا نمون
البائس ومنالايوس السكين ! إنهما لم يصليا لميرفا
خافق بهما غضبها ، وعبتا حاولا بعد ذلك أن
يرضياها ! إختلف الاخوان ونام الجند حتى مطلع
الفجر ، ثم ألق نصف الأسطول في موج نائر
مصطخب من غضب الآلهة ، بقيادة أجاممنون ،
وما هي إلا سويبات حتى هدا اليم ونام الموج ؛
وبلقنا تندوس فذبحنا الأختيات باسم الآلهة ؛
وسببنا رب البحار نبتيون فقطامن الباب ؛
ولكننا ما كنا ندرى ما تنسجيد (جوف)^(٢) حولنا
بل لم يكن يخاصرنا أطل شك في وصولنا إلى الوطن
سالمين . ذلك أن أوجه النظر اختلفت ثمة ، ونشب
بين القادة نزاع في الرأي : هل يقلعون من تندوس ،
أو يتلبثون بها حتى تنجلي العاصفة التي شرعت
تهب في عنفوان وشدة ؟ وهنا ، أثر سلاح أريك
أن يمودوا أدراجهم بسفائهم إلى طروادة ، وذلك
بجاملة للقائد المام . بيد أني لم أر هذا الرأي ، بل
فررت من العاصفة بسفائي إلى جزيرة لسبوس ،

هلاس كبا تحدثني عن أبي ، وكما تذكر لي بعض
ما تعرف عما ألم به إن كنت قد شهدته ، أو تقص
على ما جسي أن تكون قد سمعته من بعض حاشيتك
التي تجوب هذه البحار . قل . تحدث يا نسطور ،
ولا تخف عني شيئاً ... قل .. إلى أستحلفك بكل
ما كان يفتديكم به في ساحة اليوم أن تقص على
أبناءه . لقد كان يحبك ويحملك ويوفرلك ، فاجز
ابنه بعض ذلك »

وكانما رأى نسطور حلماً لذيذاً فقال :

« وبحك أيها الصديق الشاب ! ما أدوع
ما هجبت ذكريات الماضي المغم بالأشجان !
ذكريات الذادة السادة والمفاوير الصناديد ، الذين
سقطوا تحت أسوار اليوم المتيدة فارووا نرى
الميدان بدمائهم ، وسطروا آية المجد بمهجمهم !
إيه أخيلوس يا سليل الآلهة ؛ وبتروكلوس بامعجز
الانداد والأقران ؛ وأجا كس ! ! أجا كس الذي
كان أمّة وحده ! لقد ردقوا جميعاً تحت قلاع
برام الجبار الشيخ ! ورقد معهم ولدي ! آه
يا ولدي ! أواه يا قطعة قلبي وفلذة كبدي وعمرة حياتي
وسؤددى ! يا أشجع الشجعان يا أقتيلوخوس !
أبه قصة وأبه مأساة ؟ ! يا رعاك الله أيها الشاب
المزور ! أني لي أن أقص عليك أحداث سنين
تسع كانت هوماً متصلة وأحزاناً فاجمة وآلاماً
تتسمر في جميع القلوب ؟ ! أي لسان ذرب
يقص فلا بل ، وأي مقول رطب يحكي وما يبي ؟
ألا لو أنك أفتت تسمع الأعوام الطوال فأحسب
القصة تنتهي ! القصة التي لم تجد فيها شجاعة
الألوف لولا خدعة أوديسيوس وحيلته ، وطول
أناته وهمته ! ولكن حدثني بربك أيها الشاب :

(١) جنود أرجوس إحدى مقاطعات اليونان

(٢) زيوس أو جوبيتر كإسمه الرومان وهو كبير الآلهة

لقد نفذ اسطبارى وكنت حيلى ... فاذا أعمل؟
وقال نسطور: «أيها الصديق، لقد أذكرت
منى غافلاً ... وبحكم تلياخوس! لقد تناقل الناس
ما كان من حاقة هذه الظنمة التي تستبيح عرض
أوديسيوس، وتستنزف ثروته ... ولكن، من
يدري؟ هل آمنوا أن يعود يوماً فيستأصل شاقمهم،
ويبدل منهم، وتكون له الكرة عليهم؟ لقد كان
أبولو العظيم حبيب ميرفا وسفها، وهي لا بد أخذت
بناصرك كما أخذت بناصره من قبل، وهي لا بد
مدركتك وشيكا، وحائلة بين أعدائك وأعداء
أيك، وبين هذه الرحمة الجرمية.»

ويجب عليك:

«ألا من يدري؟ إنه لا أمل لي في ذلك قط!
آه أيها الأحاسيس الغريبة التي نجيش في قلبى!
الآلهة فقط هي القادرة على تحقيقك بمجزة!»

وهنا، حدثته ميرفا بنظرة هائلة من عينيها
الزرجيتين، وقالت له:

«تلياخوس! أية كلمة هائلة زل بها لسانك؟!

ما أيسر على الآلهة أن تقول للمستحيل كن فيكون!
أنا نفسي كم نجشمت أحوالاً في أسفارى ثم عدت!

بمنابة أربابى سالت إلى أرض الوطن! بل كم من
أناس غلثوا أنهم نجوا من الموت في يم غشيم موج
كالظلل، فلما وصلوا إلى البر حاقت بهم منايام كما
حاقت به منيته أجامنون، حين خر صريماً بيد
إيجستوس الأثيم؛ والملكة^(١) القادرة الفاسجة
الزئيم! حقاً، إن الآلهة لا تملك أن تحول بين الرء
وبين المنون ما دام قد جاء أجله، مهما يكن حبيبها
وأعر عبادها عليها.»

ولحق بنا ديوميد ثم مئلايوس في إثره؛ وأرسينا
نمة؛ وانتظرنا إذناً من السماء، أو قل بأرقة من
الآلهة، تغلق بمدها. وكانت العاصفة تشتد وترقص
فوقنا ومن تحت أساطيلنا، فلم تر بُدّاً من المجازفة،
والا تكسرت جواربنا على السخور وفوق
الأواذي، ... يا للول! لقد بلغت قلوبنا الحناجر
قبل أن نصل إلى جيرستوس! حدلك يا نيتون
وفناء عليك؛ وقل أن نذبح باسمك ألف قربان من
كل محل جسد وكبش حنيد! ولقد فاز ديوميد
فوصل بمجنوده سالماً إلى أرجوس، وكذلك فاز
الجبارة الليرميدون، جنود أخيل، بقيادة شبله
العظيم نيوتولجوس، فوصلوا إلى أوطانهم غانمين،
ووصل من بدمم فيلوكتيتيس ... كذلك
وصل أجامنون وليته لم يصل! لا ريب أنك سمعت
بما حاق به! لقد قتله الهرم إيجستوس^(٢)، ولكنه
دفع روحه نمتاً لفلته؛ إن الميث لم يطلب لابن
أجامنون حتى ثار لأبيه، فانقض كالصاعقة على
قاتله وغاله بيده! يا لفخار أيها الصديق الشاب
حين تنتقم لأبيك فتسجل اسمك في سجل
الخالدين! ...»

وشاع المُجْجَب في نفس تلياك، فقال:

«ليك نسطور! إنه سيكون انتقاماً عادلاً بحق
السماء، وستنفي الأجيال القادمة بقصته، وسيرويه
الغلاف عن السلف. كم ذا وددت لو مكنت لي الآلهة
في أعناق هذه العصابة الفاجرة من المشاق الأثمين
الذين يدلون على بدمم ومُعددم، والذين يقدفون
في وجهي بالاهانة على الأهانة ... وأأسفاه!
ليت شمري لم لا تؤيد الآلهة حتى على باطلهم؟

(١) كليسترا

(٢) شرحنا ذلك في درامات إسيوليوس في الرسالة

وسُلط على العباد أعواماً سبماً طوالاً... كل هذا والسماء ساهرة لا تنفعل ، فقد عاد أورست ابن الملك الفائب ، وابن الملكة الفاجرة ، فأخذ عرض أبيه وقتل الوحش اللثيم الذى دَسَّس شرف الملكة ، ولطخ بالوحل هذا المجد الأتيل ، ثم قتل أمه ... أجل ، قتل أمه وجمع حوله الأرجيف البؤساء يحتملون بهذا النصر ويصلون للآلهة التى أنقذتهم من ذلك الشر... وبينما هم فى أفراحهم وانشراحهم إذا بالملك العظيم يصل بأساطيله بمسد رحلة طويلة مخوفة بالخطر... فلقد أبحرنا (أنا ومنالايوس) من طروادة ممّا ، وما كدنا نبلغ صنيوم^(١) ، أول صرافى أنيتنا ، حتى وقع مالم يكن لنا بحسبان... ذلك أنرب الشمس ألولو غال بسهامه التى لا تطيش ربان الأسطول العظيم ، فروتتيس ، فاضطر الملك أن يلقى مراسيه حتى يصلى على صديقه ويقيم الشفائر على جثمانه ؛ ثم أقطع ، وما كاد ، حتى اضطرب البحر ، وفترت اللجج أنوافها ، وتدافع الموج حول الأسعاول كالجبال ، وعمّ الجو ، وغامت السماء ، وانقضت الصواعق فانشمب الأسطول وتفرقت سفائنه ، وانشطرت وحداته ، فبعضها شرق وبعضها غرب وبعضها يم شطر سيدون عند كريت ، وبعضها اتجه برغمه نحو شطآن مصر ، وبعضها غاص إلى الأعماق ، وخس فقط... وصلت بعد طوئ الجهد الى هنا ... »

« بنى... أيها الصديق الشاب... أخلق بك أن تذهب من فوراك الى منالايوس فتسأله عن أيبك ، فلقد لقي الأحوال فى البحر ، ولا ريب أنه سمع بكثير بما جرى فيه من مختلف الأيام فى رحلته

وعبس تلك عبوسة خفيفة ، وقال :
« مهما يكن الأمر فلندع هذا الآن يا منتور ! لأننى لا أمل فى مطلقاً فى عودة أبى ، ولكنها أفضية من السماء ومقادير أن أذرع وراء البحار ، وأن أعود فأسائل نغر اليونان نسطور ، اللبيب الأريب الذى حكم كما هو مأثور أجيالاً ثلاثه ، والذى يتألق فى عينيه سناء الآلهة... أعود فأسأله كيف قتل أجاممنون ؟ وكيف تهباً لايجستوس أن يقتله ، وهو من هو أعلامه نسباً وأعر حسباً وأشرف قدراً ، وأين كان منالايوس الملك شقيق أجاممنون ؟ ألم يكن قد عاد يمد إلى أرض الوطن ؟ أم كان ما يزال يطوى الآفاق فشجع ذلك إيجستوس ونفخ فى قلبه ؟ »

وقال نسطور : « رويدك أيها الصديق الشاب فافى قاص عليك نبأ مالم يأتك به علم... فآله لولم يُقتل إيجستوس قبل عودة منالايوس ، ما أقيم على رفاته جدث ، وما بكت عليه عين ، ولألقى نذنه النجس لكلاب البرية وطير القلاة تنوشه وتمزقه وتفتذى به ؛ جزاء فعلته الشنعاء ، وجرمه التميم وخطيئته التى لا تقتفر . إصغ إلى... لقد أناب منالايوس عنه حارساً أميناً يسهر على أمور الملكة ويكون فى خدمة الملكة... ذاك هو أتريدس الحزم ، الذى تغفله إيجستوس ، واتصل بعولانه سرّاً وهو لا يدري ، واستطاع أن يدبر معها هذه المؤامرة الشنيعة التى انتهت بنفى الحارس الأمين ثم قتله فى بركة موحشة غابته فيها السباع الضارية والأوابد^(١) البكمرة ، حتى إذا خلا لها الجو أسلست له الملكة القياد لحكم وساد وطنى واستبد

كوكون ، ولتأذن فتمنحه عربة وزوجاً من صافنات جياك ليحق بنا ثمة ، يصحبه أحد أبنائك ، مادمت قد عرفت فيه أينما لأعز أحبائك وأوفى أصدقائك »

ثم حدثت المعجزة ... فانه ما كادت مينرفا تم كلامها ، حتى انتفضت انتفاضة هائلة ، وتحولت من صورة منتور أمير البحر إلى نسر عظيم مهوب اللفتات ، ما عثم أن ضرب الهواء بخافتيه ، حتى خلق في السماء ، وظل في لانهايتها ، بين دهمش القوم ، وشديد حيرتهم .

وتناول نسطور العظيم يد تلياك ، وظل يقلب فيه بصره ، ثم قال :

« أيها الصديق ؛ لشد ما عظمت منزلتك ، وسما مكانك . حتى لتكون في رعاية الآلهة وعناية السماء ! هذه دون أي رب ابنة سيد الأولب — الكريعة مينرفا — التي ما وقرت أحداً من أبناء هيلاس كما وقرت أباك »

« ولكن أنت ! أنت يا مليكة العدالة ! ضرعت إليك أن تطلقني بنا جميعاً ! أمتحنيني بركاتك ... أنا وأبنائي وشعبي ... اكثني أمحاًم في الخالدين ، وسنصل لك ونذبح باسمك بقرة ، لا ذلول تسير الأرض ولا تسقى الحرت ؛ مُسهلة لاشية فيها ؛ منضورة بالورد ، عملة القرنين بالذهب »

وقبلت مينرفا سلامه ، ولبت دعاءه ، ونهضت وفي إثره أبنأؤه وأحفاده ، وفتحت أبواب القصر وتقدمت ندامة الشراب فقدمت إليه كأساً من نحر لها نسب من عهد آدم فأفرغها في الأرض تحية لمينرفا ، واقتدى به ملؤه فأفرغوا كؤوسهم ، ثم مضوا إلى غرفاتهم ، ومضى الملك مع تلياك إلى

المشومة ... هلم ... إنطلق إليه ... وإن لم تسعفك سفينتك فأتى بمدك بكل ما تحتاج من مركب البر أو البحر ، وهام رجالك معك أينما توجهت ، بل هام أبنائي ، ليصحبك أحدهم ، أو كلهم ، إلى منالايوس ، فان جنده انخر اليقين »

وكانت الشمس قد توارت بالحجاب ، والليل قد كُتسّر ظلامه فوق الطبيعة المنهكة الخامدة فنهضت ابنة زيوس العظيم ، مينرفا الخالدة ، وهي ما تزال في صورة منتور أمير البحر وطليمانه ، فقالت : « سرى يا نغر هيلاس ! لقد قلت حقاً وتكلمت صدقاً ؛ هلم ، البدار البدار ، قطعوا أسنن القرايين^(١) وأريقوا الخمر باسم الآلهة ، وباسم نبتيون قبل كل شيء ... »

وانتشر الولدان بين المدعوين يصبون الماء على أيديهم بعد إذ أدوا التحية الخمرية المقدسة لأربابهم ، ثم تفرقوا شيعاً ، ونهض تلياك وصاحبه لينصرفا ، لولا أن صاح بهما نسطور :

« حاشا يا رفاق ! أنتم ضيقي ، فكيف تبتنان في سفينتكما تحت ظل الليل وهذا بيتي فيه كين^٢ لكما وفراش وثير ، وفيه والحد للآلهة ، خير كثير ، وهؤلاء أبنائي ستمار كأوم ثمة طوع لسكا »

وشكرت مينرفا الملك عطفه ثم قالت : « بورك أيها الملك ، لينبق تلياك هنا ، ولأرض أنا إلى البحر لأسهر على صوالج مركبي ، ولأطمئن بحارتي ، فكلامهم أتراب تلياك ، وكلهم متطوعون لخدمته وفاء وحبا ، وليس يجمل إلا أن أبيت أنا معهم تلك الليلة ، على أن نقلع صبيحة القد إلى

(١) كان من التقاليد الثابتة أيام هوميرو أن تقطع أسنن القرايين وتحرق باسم الآلهة لينصرف الجمع

قبائته يرسيوس يتلقى الدم في وعاء كبير . ونهض
نسطور الأب فمبح وصلى أمام نار كبيرة
مضرة ، وتم بسم ميزفا ، وقذف في اللظى
بكمكتين كبيرتين ، وبناصية القربان ، وبقدر قليل
من الماء المقدس . وإذا انتهى الجميع من صلاتهم
شمر تراسيميد عن ساعده وجزر القربان ، وانكب
الجميع بهمزونه ، وكانت يوريديس الجميلة الفتان
تمنى أشد عنابة بالفخذين ، فسترتهما بثوب غال
من الديباج ، وكان نسطور نفسه ينثر الخمر القدسة
والمطور والأرواح . . . وهكذا أخذ الجميع في
شفلهم ، وشروعوا يلقون في الجربالحوايا ، وشرعت
بوليكاست تنثر النهار والتوابل . . . ونهبأدى
تلياخوس بسم هذا فاستوى إلى جنب الملك ،
وانتصب الولدان والسندى يصبون الخمر ، وبدأ
الكل يأكلون هينئاً ويشربون حريئاً

وما كادوا يفرغون حتى أمر نسطور فهيئت
الصافقات الجياد لرحيل تلياخوس وأحضر القواص
عربة كبيرة مثقلة بكل ما يحتاج الرحلة من زاد
وعتاد

وأخذ تلياك مكانه من العربة الأولى ، واستوى
إلى جانبه يزستراتوس أشجع أبناء نسطور ، ثم
سلم تلياك وودع ، وشكر وأثنى ، وجذب عنان
الخيل فانطلقت تهب الرعب ، وتبتعت من يبلومن
وتطوى الزمان

وبلغوا ، مع مغرب الشمس ، فغريه ، حيث
نلقاهم رب البيت بالبشر والترحاب ، وبأوا عنده ،
حتى أيقظهم أوردوا المشرقة . فواصلوا رحلتهم إلى
أسبرطة

خضع وثير ، وفراش من حرير ، وأمر ابنه
يزستراتوس فقام معه ، ثم ذهب حيث وجد الملكة
في انتظاره

ونشرت أوردورا^(١) غلاتها الذهبية في مشرق
الأفق ، فاستوى نسطور على عرشه المرمى التأتاني
عند بوابة القصر ، حيث كان أبوه نليوس يجلس
كأله للنظر في صوالح المباد ، وأقبل بنوه الستة
ومعهم تلياك الذى جلس إلى جنب أبيهم وتحدث
إليهم نسطور فقال :

« هلموا يا بني ، لنذبح القربان المقدس بسم
ميزفا السكرعة التى باركت حَفَلَنَا أُمس ؛
لينطلق أحدكم إلى الحقل فليحضر ثوراً^(٢) حييناً ،
وليذهب آخر فيدعو رجال تلياخوس — إلا
اثنين — من السفينة ؛ ولبيض ثالث فليأت بالصناع
الفنان (ايرسيوس) ليجلل قرني القربان بالذهب
ولييق الآخرين هنا ، ثم لتحضر كل حاشيتنا من
النساء ليكسبن الوليمة بهجة ورواء »

وأطاع أبناءه الأوفياء ، وأحضر القربان ، وأقبل
الملاحون الأمتاء ، ثم قدم الفنان ليشعل قرني الهيمه
بالذهب ... ثم ... وافت ميزفا ... ميزفا نفسها
لتنشهد الطقوس التى تقام باسمها ... وبدأ الفنان
عمله ، فأخذ يرقن صفائح الذهب ويثبتها بمهارة
في القرنين الصغيرين . وتقدم أرتيوس بن نسطور
وفى إحدى يديه باقة كبيرة من الزهر وفى الأخرى
سلة من أغر أنواع الكمك ، وتقدم ابنه الثانى
تراسيميد وفى يده شاطور كبير ليذبح الثور ووقف

(١) ربة الفجر وحادية عربة أبولو حين يركب الشمس
عند الغروب

(٢) كان على نسطور أن يذبح بقرة مسلة

(يتبع)

دريغى مشبه





النحاس - للصور الانكليزي ر. ستفنس

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
أحمد حسن الزيات

بدل الاشتراك هي سنة
٣٠ في مصر والسودان
٥٠ في الممالك الأخرى
١ ثمن العدد الواحد

الادارة
شارع عبد العزيز رقم ٣٦
الحيّة الخضراء — القاهرة
تليفون ٤٢٣٩٠ ، ٥٣٤٥٥

الرواية

مجلة أسبوعية لتقصص الرواية

نصدر مؤقثاً في أول كل شهر وفي نصف

السنة الأولى

١٩ أبريل سنة ١٣٥٦ — ١ أبريل سنة ١٩٣٧

العدد الخامس

الرواية

رغب إلينا كثير من أصدقاء الرواية أنهم
يفضلون أن تقتصر على نشر الأقاصيص القصيرة ،
فإن تسلسل القصص الطويلة يثقل نشاط القارئ
ويزهق جاذبية الحديث . وفي هذه الرغبة المشيئة
لا شك سداد ووجاهة . غير أن الفن القصصي كله
أوجله في هذه الطولات الرائعة ، فإذا أغفلناها لجزءه
الأسباب قطعنا عن الأدب العربي الرافد الأغزر ،
وخرجنا بالرواية من الغرض الأجل . لذلك سنحاول
التوفيق بين رغبة القارئ وغرض الرواية بأن
نقطع هذه السلاسل فلا نبقى منها إلا الاعتراقات
والمذكرات ، لأن موضوعاتها تكاد أن تستقل ، وإلا
الأوديسة ، فإن أناشيدها توشك أن تنتهي ؛ ثم ننشر
من حين إلى حين قصة من بدائع القصص الطويلة
كاملة في عدد واحد . وبذلك تسام الرواية مساهمة
صحيحة في تفتيح القارئ العربي والأدب العربي بما
راع وخلد من الفن القصصي الصحيح

فهرس العدد

صفحة	
٢٦٦	الوصية لبي دي موباسان
...	بقلم أحمد حسن الزيات
٢٧٠	الذكان أقصوصة مصرية
...	بقلم الأستاذ إبراهيم عبدالقادر للمازني
٢٨٢	غرام الشعراء أقصوصة فرنسية : ف . ف
٢٨٥	يوميات نائب في الأرياف صور مصرية ...
...	بقلم الأستاذ توفيق الحكيم
٢٩٠	خصية للكتاب الفرنسي أندريه كورتيس
...	بقلم الدكتور محمد الرافعي
٢٩٧	الصنعت للكتاب الروسي ليونيداندريف
...	بقلم الأستاذ عبد الرحمن صدقي
٣٠٧	الحذاء المشوم للكاتبة الايطالية جرازيا دليدا
...	بقلم الأستاذ كامل محمود خبيب
٣١١	اعتراقات في العصر لألفريد دي موسيه ...
...	بقلم الأستاذ فليكس فارس
٣١٨	الأوديسة لهوميروس
...	بقلم الأستاذ دريني خشبة
٣٢٤	سر أبي الهول لموريس رستان
...	بقلم الأستاذ خليل هندواي



ما تستغربه . وعهدى بك رجلاً ذكياً فلا أخشى أن يؤذى صداقتك هذا الحديث ؛ وإذا تأثرت به وتأملت منه فلن أحرص بمسء اليوم على أن يكون لي منك صديق

إن أمي — عقيلة كورسيل — كانت امرأة حديثة السن حبيبة الطبع خافضة الجناح، خطب زوجها منها المال، وتزوج منها الثروة ؛ فكانت حياتها معه حياة التمهيد المذنب . هذه الفتاة الودود الجرود الرقيقة عاملها ذلك الفلاح الجلف الذي كان يجب أن يكون أبي، معاملة جافية قاسية من غير هوادة ولا راحة لم يكذب ينقض شهر واحد على زواجهما حتى كان يمايش خادمة من الخدم ؛ وكان يتخذ فتاة عن تلك نساء مستأجری ضررته وبناتهن حظايا وخلائل ؛ ولم يمنعه ذلك من أن يكون له من زوجته ولدان، وقد كان الناس يمدونهم — وأنا فيهم — ثلاثة كانت أمي تتمتع بالسكوت وتولد بالصبر وتميش في هذا البيت الصاخب اللاعب كما تمشي الفيران الصغيرة التي تسرق الخطى وراء الأثاث، وتختلس الأنظار بين الفُرش

كانت تنظر إلى القوم وهي مزورة مخفية راجفة بعين ماقبة قلقة كأنها عين الفيزغ، فلا تستقر في

عرفت الفتى (رينيه دي برينفال) شاباً عظيم البسطة لطيف المشرة، نقشي وجهه سحابة رقيقة من الحزن تكاد لا تنتفشح؛ وهو شديد التشاؤم، صبري التشكيك، لاذع النقد، بارع السخرية من نفاق الناس وأوأم العالم؛ يقول وكثيراً ما يقول : « إن الناس ليس فيهم صالح ؛ وإذا كان فيهم عفة فعلى بالإضافة إلى ما فيهم من الدارة »

كان له أخوان من آل (كورسيل) لا يحبهم وإياهما ظل، فكنت أظنه من رجل آخر غير أبيهما، نظراً لاختلاف اسمه عن اسميهما ؛ وقد اضطربت الألسنة في مناسبات كثيرة بأن حادثاً غريباً وقع في هذه الأسرة، ولكنها لم تفصل الخبر ولم تقص الحادث . وحسب إلى هذا الشاب كرم شمائله فتوثقت بيننا أسباب الألفة، وانصتت زيارات المودة

في ذات مساء سألته عرضاً وأنا أنعشى على مائدته أما هو من غير ثالث : « أولدت على فراش أمك الأول أم على فراشها الثاني ؟ » فانتسفت وجهه قليلاً ثم تفرج، وبقى لحظة لا يتكلم وقد بدت على عيائه ربكة ظاهرة ؛ ثم ابتسم ابتسامته السامية المذبة وقال : « إذا كنت يا صديقي تنبسط للحديث وتنشط لسماعه، فسأقض عليك من نبال مولدي ونحشدي

لا يلاطفانها ولا يحفلانها؛ وقد تمودا أن يراها في البيت من سقط المتاع، وأن ياملها ممانلة الخدم وقد كنت أنا الوحيد من بين أبنائها الذي بادها حباً محب وإخلاصاً باخلاص.

ثم توفيت وأنا في الثامنة عشرة من عمري . ولابد أن أقول لك لتستطيع فهم ما يلي من الحديث : إن زوجها كان جمهوراً يحكم شرعي يجعل لها الحق في استقلالها بإدارة أموالها، فكان لها بفضل حيلة القانون وذكاء السجل، أن توصي بما تشاء لمن تشاء أبلغنا بعد وفاتها أنها تركت عند هذا السجل وصية، ثم دعينا إلى محضر قضها وقراءتها .

لا أزال أذكر ذلك كأه حدث أمس : كان منظرًا عظيمًا أليماً، مبكياً مضحكا، مفاجئاً مدهشاً، أحدثه تمرد بعد الموت، واحتجاج من جوف القبر، وصوت الحرية اليائس ينبعث رهيباً من خلال النابوس المقلع، يحمل شكوى هذه التقيدة الشنيعة التي أشقته أخلاق الناس وسحقها تقاليد المجتمع كان الرجل الذي يظن نفسه أبى دميوناً لحبا كأنه جزار ؟ وكان أخوأي فتيين قوبلن أحدهما في الثانية والعشرين والآخر يصغره بستين ؛ وكان ثلاثة منهم ينتظرون مطمئين على القاعد . أما السيد بورنيشال، وقد دعي أيضاً إلى شهود هذه الجلسة، فقد دخل وأخذ مكانه خافى ؛ وكان في رديته العتيقة شاحب اللون كاسف الليل يعضض شاربه الذي أخذ يشتهب ؛ فلا جرم أنه كان يتوقع ما سيحدث أغلق السجل الباب بالقفل والرتاج وشرع يفض أماننا الغلاف الختم بالشمع الأحمر وهو يجهل ما يحتويه، ثم أخذ يقرأ :

محجرتها ولا نطمئن . على أنها كانت رائحة الحسن ، بأربعة الأطراف ، شقراء الشعر ، في شقيرتها لون من الشبهة ، ومعنى من الحياء ، كأنما لوحت شغرها مخاوفها المستمرة

وكان من بين الأصدقاء المختلفين إلى قصر القصيد كورسيل ضابط قديم من ضباط الفرسان أرمِلَ صرهب الجانِب ، رفيق القلب ، حاد الطبع ، إذا أزعج أمراً لم يثنه عنه شيء ؛ ذلك هو السيد برنيشال الذي أجهل اسمه . كان رجلاً مديد القامة ، مجدول الخلقى ، خفيف البدن ، أسود السلتين ، غليظ الشارب ، يشبهني كثيراً وأشبهه . يقرأ كما يقرأ الأدباء ، ولا يفكر كما يفكر أهل طبقته . كانت جدته العليا صديقة لجان جاك روسو ، فكأنما ورث عنه شيئاً من طريق هذه الملاقة . حفظ كتابيه (المقد الاجتماعي) و (هيلوز الجديدة) عن ظهر قلب ، ودرس سائر كتبه الفلسفية التي مهدت عن بُعد لهذا الانقلاب الذي حدث لمارداننا الباطلة وآرائنا الفائلة وآدابنا السخيفة

أحب أي وأحبته كما يظهر ، وظلت هذه الملاقة مرراً مكتوماً لا يطير في جنباتها ظن ، ولا تحوم حولها شبهة . ورأت هذه المرأة المسكينة الحزينة نفسها مفروكة متروكة ، فتعلقت بأسباب هذا الرجل تعلق اليائس ، واتخذت في معاملتها طريقته في التكبير ، ونظيرته في الماطفة الحرة ، وجرأته في الحب المستقل ؛ ولكنها كانت من الحياء والخفر بحيث لا تجرؤ على أن ترفع صوتها بالكلام ، فظلت هذه الأهواء والآراء في قلبها النفاق مكظومة سركومة مركزة

وكان أخوأي كأيها قاسيين عليها ،

أحدا ؛ فأنا بعد أن مت أطرح عن نفسي هذا
الجلجل المناق و أجزؤ على أنت أسهر بفكرى
وأجهر بىرى

« إذن أوصى بحالى الذى جعل لى القانون حق
التصرف به لعاشق المحبوب (يبير جرميه سيمون
دى بورنيغال) ليؤول من بعده إلى ولدى وولده رنيه
وإلى بين يدى الله رب العالمين وأحكم الحاكمين
أعلن أنى كنت ألين السماء وأرجم الأرض لو لم
يتح لى هذا الحبيب الصادق الخالص ، فأذوق من
شفتيه الود المسقى والحب الموثق والحنان
المطوف ؛ وأفهم بين ذراعيه أن الله خلق الناس
ليجتمعوا على الحب ، ويألفوا على الصفاء ، ويتماوتوا
على الشدة ، ويتضح بعضهم حسرات بعض
بالعزاء والدمع

« إن ولدى الكبيرين أبوها السيدى كورسيل ،
وأما ولدى رنيه فأبوه السيد دى بورنيغال ، وإلى
أسأل الله رب البشر ومعرف القدر أن يضع الوالد
والولد فوق ظنون الناس وأوهام المجتمع ، وأن
يؤلف قلوبهما على الحب مدى الحياة ، وأن يعطفهما
على وأنا فى القبر »

(ماتيلد دى كروا كسيلوس)

فلما فرغ المسجل من قراءة الوصية نهض
السيد دى كورسيل وصاح : « هذه ولا ريب
وصية امرأة مجنونة ! » فتقدم السيد دى بورنيغال
وقال بصوت قوى حاسم :

« أنا — سيمون دى بورنيغال — أعلن أن
هذه الوصية ليس فيها إلا الحق البين والصدق
الحض ، وأنا مستعد أن أثبت ما فيها بما تحت
يدى من الرسائل »

أمتك صديق من السلام فجأة ؛ ثم قام إلى
درج فى مكتبته فأخرج منه قرطاسا قديما فنشره
ثم قبله طويلا ودفعه إلى وهو يقول : « هذه هى
وصية أوى المحبوبة فأقرأ » فقرأها قائلا فيها :

« أنا — أن كاترين جنيفيف ماتيلد دى
كروا كسيلوس ، الزوجة الشرعية لجان ليوبولد
يوسف جونتتران دى كورسيل — أعلن وأنا صحيحة
الجسم سليمة العقل إرادتى الأخيرة

« استغفر الله أولا ، وولدى العزيز رنيه
ثانيا ، من العمل الذى أريد أنت آتيه . وفى
اعتقادى أن ولدى من كبر النفس وسمو الماطفة
بحيث يفهم حقيقة أمرى ، ويقبل واضح عندى .
لقد قضيت حياتى بأثمة ممذبة . كان زواجى مسألة
حساية مالية ، فلا غرو أن تكون حياتى الزوجية
سلسلة من الأنكار والاحتقار والضميم . يمتنع على
زوجى من غير رحمة ، ويختارنى من غير هدنة ؛ فأنا
أغفر ما فرط منه إلى ، ولكننى لا أعترف بأن له
دينا على

« وولداى الكبيران لم يحباني ولم يدلاني
قط . كانا قليلا ما يماملاني معاملة الولد للأُم

لقد كنت لهما ما يبنى أن أكون فى حياتى ،
فأست مدينة لهما بشئ بعد مماتى
« إن علائق الدم لا تتوق بغير الودة الداعة
اللازمة فى كل يوم ، وأما الولد العقوق فهو أبسد
من الغريب . وهو مجرم لأن الولد لا يبنى له أن
يستخف بأمه

« لقد كنت أمام الناس أضطرب خجلا وأنفزع
وجلا من قوانينهم الباغية وعاداتهم الجافية وأحكامهم
العسية ، ولكننى أمام الله لا أخشى شيئا ولا أوهب

عدد الرسالة الممتاز

سيصدر يوم الاثنين المقبل عدد الرسالة
المجهرى الممتاز في ثمانين صفحة مديحاً بأنلام
أقطاب البيان وأعلام الفكر في مصر وسائر
الأقطار العربية ، وإليك بعض أبحاثهم مرتبة
على حروف الهجاء :

الدكتور إبراهيم بيوى مذكور

الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازنى

» إبراهيم مصطفى

الدكتور أبو الملا عفيف

الأستاذ أحمد أمين

» أمين الخولى

» توفيق الحكيم

الدكتور حسن إبراهيم حسن

» شخت

الأستاذ عباس محمود العقاد

» عبد الرحمن صدقي

» عبد القادر المغربي

» عبد الحميد السبادي

الدكتور عبد الوهاب عزرا

الأستاذ على الطنطاوى

» نغرى أبو السمود

» قدرى حافظ طوقان

» محمد أحمد النمرادى

» محمد سميد الريان

» محمد عبد الله عنان

الدكتور محمد عوض محمد

الأستاذ محمد فريد أبو حديد

» محمود غنيم

حينئذ مضى السيد دى كورسبل الزوج إلى
السيد دى بورنيغال الحبيب ، فأشككت في أنهما
سينتقلان . وقف أحدهما للآخر ؛ هذا ريبيل
وذلك هنريل ، وكلاهما وافى الشطاط يهور بالكلام
ويتسمر بالفضيل . قال زوج أى لحبيبا وهو يتزعم
ويزجر :

« يا لك من شق شررا ! »

فرد عليه الآخر بلهجته وغفلته : « ستلاقى
في غير هذا المكان ياسيدى . ولقد كنت أود قبل
اليوم أن أملك وأعمدك ، لولا أننى آثرت سلام
هذه المرأة التى أشقيتها بجنيانك ، وعذبها بقساوتك »
ثم التفت إلى وقال : « إنك ولدى ، فهل تريد
أن تتبني ؟ إننى لا أملك الحق الذى يساعدنى على
أخذك ، ولكنى أملكه إذا شئت فجئت مى »
فصاحته من غير أن أجيب ؛ ثم خرجنا معا وأنا
أسوأ حالا من الجنون

وبعد يومين قتل أبى زوج أى في مبارزة ؛
فلزم أخواى الصمت اتقاء لمار الفضيحة وسوء
السمعة ؛ ونزلت لها عن نصف ماركته أى ققبلاه .
وتسميت باسم أبى الحقيقى ، ودميت للقانون ذلك
الاسم الذى يحلنى إياه وليس لى به صلة . ومنذ
خمس سنين توفى السيد دى بورنيغال فخرنت عليه
حزننا شديداً حتى لم أملك المزاء عن فقدته إلى اليوم

قال ذلك صديق الشاب ثم نهض غفلا إلى حق
وقف بين يدي وقال : « هيه ! أليس من رأبك أن
وصية أى . هى أجل وأنبيل ما تستطيع امرأة أن
تعمله ؟ فبسطت إليه يدي الاثنين وأجبتة :

« بلى يا صديق ! ذلك شئ لا ريب فيه »

الزبان

الدكان

للاستاذ عبد الفتاح المازنى



على ذلك فأقبلت على السيارة تريد أن تأخذ منها حقيبتها وقبعتها وإذا بصوت يقول لها :
« اسمعى لـ . . »

فالتفت مذعورة فاسمعت وقع قدميه وهو مقبل عليها ، ولا رآه وإن كانت قد دارت بعينها في المكان ونفضته قبل أن تنوى الرجوع إلى « الكشك » . ولم يسألها الرجل شيئاً ولم ينظر إليها بل انطرح على الرمل بثيابه الأنيقة بعد أن ألقى طربوشه في السيارة وراح يجرف الرمل بيديه من خلف المجلة وقدامها . ولما فرغ من ذلك ووسع للمجلة نهض ومشى مطرفاً ينظر إلى الأرض كأنما يبحث عن شيء ، ثم انحنى وتناول حجراً كبيراً ولوحاً من « الصاج » وعاد بهما فوضع الحجر خلف المجلة واللوح امامها وتحته ليكون دورانها عليه لا على الرمل ، ثم نهض مرة أخرى وقال :
« أظن هذا يكفي . . فلنجرب على كل حال »

فقالت : « أشكرك . . لا أدري ماذا كنت أصنع لو لم تنجذنى ؟ »

فأشار بيده وقال : « أجبلى الشكر حتى أستحقه . . إن المجلة المسكينة لا تزال فائصة فلننقذها أولاً » .

ومضى إلى آخر السيارة وقال : « أدبرى

وقفت « جليلة » حائرة لا تدري ماذا تصنع ، فقد انفرتزت إحدى المجلتين الخلفيتين في الرمل وأبت أن تخرج منه وعجز المحرك عن جذبها ، بل كانت المجلة تزداد غوصاً كلما حاولت نزاعها ، وكانت الشمس قد مالت إلى الغيب ولم يبد أحد في الأفق ، وكان « الكشك » الذى وقفت عنده منذ لحظة تشرب « الكازوزة » يبعد مسافة كيلو ونصف أو اثنين ، فليتها ما جاوزته إلى هذا المكان القفر . . . ولكنها أرادت أن ترى الطيارة الشراعية من مكان قريب ، والأرض بعد « الكشك » غير مهيبة ، ولكن عناء السير فيها محتمل ولا خوف من النوص ، وقد طوفت من قبل في أرجاء هذا الفضاء الحبيب فحسب تعرف صلابة الأرض ولا تخشى رشاوتها . غير أن الحظ خانها في هذه المرة فاكادت تقف بالسيارة وتناهى عنها قليلاً ثم ترجع حتى ألقت المجلة قد غاب نصفها في الرمال الخائنة ، وكان تلاميذ الطيران الشراعى يمدون عنها بعدد « الكشك » ؛ فهل تترك السيارة وتعود أدراجها إلى الكشك لتلتصق من صاحبه المعونة وتساله أن يدعو إلى نجاتها بعض خفرائه ؟ لم يبق من هذا مفر على ما يظهر وإلا صار خطبها أدهى بعد الغروب . وصح عزيمتها

فصاحت : « نم . نم . ولكنني أشقة لأنني لا أذكرك أبداً ... لا سورتك ولا اسمك »

فقال بابتسام : « انهما جديران منك بالنسيان »
فألت عليه أن يذكر اسمه فقال : « هذا لفر سبأرك لك حله وأنت عائدة »

فابتسمت وقالت : « ألا تخشى أن أشغل به عن الطريق وما فيه فتحدث لي حادثة ؟ »

فقال : « صحيح . صحيح . إذن لم يبق مغر من التضحية ... سأخسر ما صرت جديراً به من الشكر وأسترد سخطك القديم »

فسألته وهي تضعك : « هل كنت فظيماً إلى هذا الحد ؟ »

فقال : « ستعرفين مبلغ فظاقتي حين تعرفين اسمي .. مراد الباروني »

فأطرقت وقالت على مهل : « مراد ... الباروني ؟ (وهزت رأسها) كلا .. إن ذاكرتي لا يمتلئ فيها شيء .. أسفة »

فقال وهو يضحك بدوره : « أما أنا فإن ذكراك يقشعر لها بدني فما أستطيع أن أنسى أنك صبيت على ملء قربتين من الماء في الشتاء .. سلطت على خرطوم الحديقة وأطلقت على ماء .. أهذه ذكري تنسى ؟ .. ألسنت ممنوراً إذا ظلمات متذكراً ؟ .. »

فدنت منه وقالت بصوت خافت كالهمس : « مراد ؟ .. صحيح ! ! »

فقال : « وكنت ظالمة لي .. »
فقالت : « كلا ... لقد تذكرت الآن ... فقد وضعت لي دودة ميتة في ففائي ... الحق أنك كنت فظيماً »

المحرك وسيرى بها وسأدفعها أنا من الخلف »
فقفلت وخرجت السيارة ثم وقفت على مسافة أمتار ونزلت منها متبلة الوجه فصاح بها : « لماذا وقفت ؟ . هل حدث شيء ؟ »

قالت : « لا ... إنما جئت لأشكرك ... ففرك يديه ومد يدها إليها وقال : « آه صحيح . صار الشكر الآن واجباً . أليس كذلك ؟ »
فضحكت وسرها منه أنه لا يبدو عليه أنه يريد شكراً وأنه كان ينتظر منها أن تمضي عنه بلا كلام

وقالت وهي تبتسم له - في عينيه - :
« ألا تريد أن أشكرك ؟ »

فقال وهو ينفخ الرمل عن ثيابه : « كلا ... إنه دين قديم أؤديه ... بعضه على الأقل »
فناضت الابتسامة وقالت مستغربة : « دين ؟ . لي أنا ؟ . ولكنني لا أذكر ... أني أعرفك ... لا مؤاخذه ! »

قال : « صديقتي حين أقول لك إنه يسرنى أن أراك ناسية ... إنها ذكري خليقة ألا تنير في نفسك إلا الامتماض والنفور بل المقت ... فالحمد لله »

فدنت منه مقدار خطوة وقالت : « ولكن أرنحو أن ترجمي ... هل تعرفني ؟ »

قال : « أعرفك ... أظن ذلك ... وإن كنت لا أكنمك أني نسيت اسمك ... انتظري (ورفع كفه الكبيرة الغليظة الى جبينه) اسمك ياسق ... غريب ! ! أتبق الصورة كل هذه الأعوام ويذهب الاسم ... أوه جما ... جما ... وجدته ! وجدته ! !
جليئة ... أليس كذلك ؟ »

وجدت لى عملاً . . فى تجارة رابحة والحمد لله . . .
وأنت ؟ »

قالت : « أوه . . كبرت مثلك ... »

فقاطعها وقال : « كلا . . إنك لم تتغيرى ...
لو كان هنا دود لما خطر لى وأنا أنظر إليك إلا أننا
مازلنا طفلين ولهميت بأن أضع لك واحدة فى
قفاك »

فضحك وقالت : « لقد صرت بهذا جداً ...
لم يبق شيء من ذلك الطفل اللعين ... غريب ...
أعنى أن تلتقى هنا هكذا بعد كل هذه السنين ...
ماذا كنت تصنع ؟ . أعنى هنا »
قال : « أتعشى ... للرياضة »

فتنهت وقالت : « إذن لا أقل من أن أحلك
مى فى السيارة »

وقال وهو ركب معها مسروراً : « ما قولك ؟
تحتفل بهذا اللقاء الذى لم يكن لى ولا لك فى حساب
بالمشاء تتناوله فى محل الحانى . . هه ؟ »

فابتسمت لنفسها فى مرآة السيارة وأصاحت
شعرها الذى عبث به النسيم ثم التفتت إليه وهزت
رأسها أن نعم ؛ ثم انطلقت تخطف بسيارتها الأرض

ولم يكن فى جليلة خفة أو طيش ولكنها
كانت فتاة وحيدة مدلة ورثت عن أبيها شدة
القلب واستقلال الطبع ، وعن أمها سرعة الاجابة
إلى دوائى الخير . وقد مات أبوها قبل سنوات فلم
يبق لأبها سواها ولم تهمل تربيتها ولكنها كان
ينقصها حزم زوجها وحكمته ، فألقت لها حبلا على
غاربها وهى تحسب أنها لا تبتد وما كان يصنع أبوها .

فأشار بيده إشارة المستنكر : « لالالا ...
هذا كان سوء تفاهم . . أعنى أى كنت فرغت من
اللبس بالدودة وظننت أنك قد يسرك أن تأخذها
لتنعمي بها ، ولكنى أخطأت فوضعتها لك فى
قفاك بدلاً من يدك ... بل كان الخطأ منك لا منى ،
فقد جعلت تجرير خائفة وأنا أجرى وراءك فلم
يسمى إلا أن أتركها لك فى حيث تيسر لى ذلك
فالقذوب لك يا جليلة »

فقال جليلة وهى تضحك : « أأذكر كيف
كنت تصبح بأعلى صوت كلما رأيتنى ؟ وكيف
كنت تجزى ورأى وتدب بجرليك كلما أدركتنى
فتزيدنى رعباً ؟ »

فقال : « نعم أذكر ذلك ... أذكر كل شيء ...
إنه كل ما بقى لى منك ... لقد كنت أصيح وأدب
لأخفى عنك حبنى لك »

فقالت : « غريب ... أأكنت تحبى ؟ ...
لقد كان نجاحك تاماً إذن فى إخفاء هذا الحب »

ونظرت إلى وجهه الذى لوحته الشمس ،
وشمره الذى ظهر فيه الشيب هنا وهناك وأخذت
الصورة القديمة تسترد ألوانها وتبرز معالمها شيئاً
فشيئاً ثم قالت : « لقد كبرت جداً ... طولاً
وعرضاً ... وفيزت أيضاً ... من الذى يراك
الآن فيذكر بك ذلك الطفل الشقى الذى كان يسود
عيشى ويرعبنى كلما ظهر لى فجأة من وراء شجرة ...
أو من تحت الأرض فيما كان يخيل لى ؟ ... ماذا
صنعت بنفسك كل هذه السنين ؟ »

فقال : « أوه ماذا يصنع الناس بنفوسهم ؟
يكبرون ويقعون على عمل يشتغلون به . . أنا أيضاً

الراسخان كالرمانتين الصغيرتين ، وتكاد من فرط البراعة في انسجام الثوب على الصدر ترى الحلتين ترفقان الثوب ، وتبصر استدارة السرة وحسن اللحوق فيها حولها . وكانت عبدولة الساقين لا عظيمة المعضلة ولا مضطربتها ولا عرقوب لها . وجمال الساق في المرأة بشير بحسن القوام . وكانت تكره الأحذية العالية الكموب نفوراً من بروز الفخذين . على أن هذا كله ما أكثر من يشاركها فيه . ولو اقتصر الأمر على التكونن اللادى لما كانت لها حزية تنفرد بها ، ولكن أنوثتها كانت قوية الجذب شديدة الاغراء فلولا استقلالها وشخصيتها لما استطاعت أن تنجو من الماطب

وقال مراد وهو عاكف على البيان الذى قدمه إليه الخادم : « مسفرة قاني أتصور جوعاً ... لم أكل فى نهاري شيئاً ... ماذا تريدن ؟ . كباب ؟ . لحم رأس ؟ . حمام ؟ . إني أرى الخافى عنده كل ما يؤكل ... لا الكباب وحده ... ما قولك ؟ »

فأثرت الكباب وقالت : « إن هذا فنه الذى يمتاز به فيحسن أن أقصر عليه »

وكأما جالسين في آخر القاعة ووجهها ملى إلى الباب ووجهه الى الناس . وشغلها برهة بالأكل وذكريات الطفولة فقال لها وهو يضطجع : « أذكركن يوم تحدتيك أن تتسلى النخلة ... (فهزت رأسها) لقد كنت لا تطيقين التحدى ... فهل أنت ما زلت كذلك ؟ »

فوضعت الشوكة على الطبق ونظرت اليه وسألته : « ماذا تعنى ؟ »
قال بابتسام : « أعنى أن وراك ... بعد ما تبدين

على أن الفتاة لم يكن فيها سوء ولم تشر الحيرة شراً وإنما أكدت استقلالها وأورثتها ترداً صريحاً على كل قيد من القيود التى يفرضها العرف حتى على الفتاة الحديثة . وكانت أمها وبمض أهلها يشق عليهم ذلك أحياناً فتقول لهم : إني لأفعل سوءاً ولا أسمى أدبى ولا أتوقع على أحد ولا قيمة لغروحي وحدى أو مرافقة أصحابي وصواحي إلى السينا أو غيرها لأنى أستطيع بسهولة وبلا عناء أن أحافظ على نفسى . فكانت أمها تسكت ولا تقول شيئاً لملها أن الكلام لا خير فيه

ولم تكن جليلة بارة الحسن ولكن صوبتها كانت له حلاوة التفريد ، وكانت نظرتها الحائلة تفعل فملين بيدوان متناقضين - تنمش القلب وتفتر الجسم ، فإذا أدامت إليك كربة الطرف - على عاداتها إذا سرها منك عمل أو قول - شاع الرضى في نفسك وقاضت بالسرور ودار رأسك وأحسست بالجدر في أعضائك . وكانت أقرب إلى القصر منها إلى الطول ، وإلى الامتلاء منها إلى النحافة والمزال ، وقد جمعتها كثرة الحركة والولع بالمشى في الهواء الطلق وظام النفس عن الآكال الدسمة الثقيلة أن تصبح كأنها أكداساً من اللحم تلج على روحها ؛ وكانت سمراء ولكن سمرة مشربة حمرة لا كدرة فيها ولا تمش . وكان شعرها جمداً وأنياساً وحفاً ، وكانت تفرقه وترسله إلى الوراء وتمقصه وتبني أن تقصه . وكانت أنيقة بلا تكلف ، ولم تكن رقيقة الحال أو مضطربة الى حسن التدبير والاقتصاد فقد ترك لها أبوها الخازم تروة كافية ولكنها كانت تؤثر أن تصنع ثيابها بيديها فتجىء بحبوكة التفصيل على قدها الجليل يبرز من تحتها ثيابها الناهدان

اثنتين ... رجلين أحدهما يمدق في ظهورك ...
لا يخالجي شك في أنك تحسبن وقع نظرك على
جسمك ... أنها نظرة حامية ... كاوية ... انتظري
قليلاً وسأدعو الخادم ليجيئنا بالقهوة فأدري وجهك
حين يقبل وانظري ...

فعلت ثم اعتدلت في جلستها وقد علا وجهها
الاصفرار، فأكب مراد على بقية الفاكهة وتشاغل
بها عما رأى في وجهها من دلائل التغير . ولم
تفت جليلة هذه الكياسة منه ووقع من نفسها
اتقاؤه الفضول فماسكت وضبطت صوتها وهي
تقول : « لقد تغيرت جداً ... من كان يظن أن
ذلك الطفل الخبيث الذى كان يتمقبني وينص حياتي
يصبح هذا الرجل الوديع الطريف الكيس ؟
أتعرف من هذا يا مراد الذى يكونى بنظرته ؟ ...
إنه خطيب زكى ... أهمت الآن . ؟ »

فقال مهدوء بصوت متزن النبرات : « خطيبك ..
زكى ... هذه أخبار ... أظن أن من واجبي أن
أقدم لك التهنئات .
ولكنها أحت من نبرات صوته على الرغم من
اتزامها أن هذا الخبر لم يسره فقالت : « لا داعي
للمعجب ... ثم إن الزواج مسألة عادية جداً على كل
حال ... أو كما يمكن أن تقول أنت ... هو شر
يصيب كل إنسان ... عاجلاً أو آجلاً ... متى
يصيبك يا مراد ؟ ... »

فقال : « أنا ؟ ... لأدري ... صاحبك ...
أعنى خطيبك لا يزال معلقاً في ظهورك ... فهل
تستطيعين أن تنهضى وتذهي إليه وتقولى له بكل
هدوء إن لك حقاً في أن تتناولى المشاء مع صديق
قديم مثلى وضع في طفولته دودة في ظهورك ، وصيبت

عليه عشرين قرية من الماء في الشتاء ؟ ؟ »
فقالت ببساطة : « إنى أحب زكى ... وأنت
لا تعرفه ... بالطبع ليس في كوفى معك هنا ما يبنى
أن يسوء ، ولكنه لا يعرف أنك هذا الصديق ؛
كل ما يعرفه أنه خطيبى . . وأنى - كما قال لى
مراراً - طائشة ... مندفة ... »

فقال مراد : « اشربى القهوة ... لا تفسدى
على نفسك الليلة ... ستشربين له كل شيء ...
فيعود حملاً وديماً وبمقدار اليك من هذه النظرات
الحامية ... »

فشربت القهوة ولكنها كانت ساهرة ، فقد
كانت تحب « زكى » هذا وكانت تكره الاضطراب
الى الشرح وتستغفل أن تحتاج حتى الى ما يشبه
الاعتذار .

وقال مراد : « لقد قام الرجلان ... خطيبك
وصاحبه ... »
فقال : « يحسن أن تقوم إذن ... فسودع
صاحبه ولا شك ويقف في انتظارى ... أشكرك
يا مراد ... نهيتى الى أنه خرج ... فلألحق به .
وخرجاً . وودعها مراد بعد أن عرفت منه
عنوانه وعرف منها عنوانها وألح عليها أن تتصل به
إذا جد أمر من جراء لقاءهما الليلة .
* * *

وقالت جليلة لزكى : « مى سيارتى فلا حاجة
الى تاكس . »
فدخل فيها واضطلع ثم قال : « من هذا
الرجل الذى كان معك ؟ »
فقضت عليه ما وقع لها عند الطائر ؛ فقاطعتها
وقال : كيف تكلمين رجلاً غريباً ؟ ... إن هذا
كثير ... »

قالت : « ولكنه ليس غريباً ... لقد نشأنا - حمد - من أصل تركي أو شركسي - سيان - ممّا يب. في حي واحد ... » .

فنفخ وقال : « ولكنك لم تكوني ترفعين أنه هو صديق طفولتك ... » .

فقالت بلهجة المستغرب : « هل كنت تريد أن أتقبل مفوته ولا أشكره على الأقل ؟ ... » .

فترك هذا وقال : « ولماذا تخرجين الى هذا المكان وحدك ؟ »

قالت : « لأنك مشغول عني بأعمالك الكثيرة التي لا تدع وقتاً لمرافقتي ... ومع ذلك أي بأس هناك ؟ » .

قال : « بأس ... بأس ... هذا الذي حدث لك من غوص الحجلة أليس بأساً ؟ » .

قالت : « لا تكن متعتاً ... إن السيارات يمكن أن يحصل لها أي شيء في أي مكان في الدنيا . »

فترك هذا أيضاً وقال : « ولكن تأتين معه الى الحاقى ... ماذا يقول الناس ؟ » .

فقالت : « إذا كان الحاقى مكاناً لا يليق أن يدخله الشريف ... » .

فقاطعتها بسرعة وقال : « لست أقول هذا ... الأمر على العكس ... » .

قالت : « إذن اتھينا ... » .

فصكت فإ رأى حجة له تنهض . وساءه ذلك فقد كان شديد الاعتداد بنفسه ، وكان عظيم الطموح

واسع الأمل في المنازل الملحوظة فلم يسره أن الفتاة التي سيتزوجها تفرح بحجته بأقوى منها ، وأحس

أن في هذا نقصاً له وغضاً من مقامه وسقوطاً لميخته ولكن الكلام خافه فأثر السكوت على مضض . وكان زكي - أو إذا أردت اسمه كله زكي الدين

وكان يطعم أن يبلغ بحاله الموروث حيث لم يستطع أن يبلغ بالكفاية الشخصية ، وكانت أمه التي

لا ينفك يحلم به في البقطة والنساجم أن يصبح يوماً من أعضاء البرلمان ، ومن أجل هذا كان

يتقرب الى الزعماء السياسيين بوسائل شتى ، وكان يمنيهم جداً أن يحسن رأيهم فيه وظنهم به ، وكان

يحرص على المركز المأمول ويحيط نفسه سلفاً بكل مظاهر الآبهة والسمت والوقار وينظر الى الأبركة

كأنه واقع ، وينتظر من الناس أن يمدوه كذلك ، بل أن يبالغوا ويروحووا يمدون بهمهم الى المستقبل وأن

يخالوه كما يتخيل نفسه فيه وزيراً أو رئيس وزارة . وقال لجليلة وهو يودعها على باب بيتها : « أرجو

يا جليلة ألا تعرضيني لكلام الناس ، واذكري أن لي مركزاً يجب أن أحافظ عليه » .

فسحبت يدها من يده وقد ألهما كلامه وأحست أن سهماً وقع في قلبها . وكانت حساسة وذكية .

ولم يكن يخفى عليها أن ليس له مركز سوى ما يفيد العنى ، ولم تكن هي تحتاج منه الى مال فإن مالها

كثير . وكانت تدرك أن ما يسميه « مركزه » جانب ضئيف فيه ولكنها تنفض عن ذلك لجهله ؛

غير أنها لم تكن تتوقع أن يتهمها بأنها تدعى الى هذا المركز - وإن كان موهوماً - فضلاً عما

تنطوى عليه عبارة من الترميض بها بعد أن شرحت له الأمر كله ولم تخف عنه شيئاً . وماذا تخفى وليس

في الأمر ما يستدعى السكتان ؟ وقالت له وهي تهم بالدخول : « ليلتك سعيدة ؟ فساءلها : « متى نلتقي غداً ... »

فأطرقت شيئاً ثم رفعت رأسها وألقت إليه

وحدها وأن تدور دورة في الهواء الطلق وتعشى قليلاً حتى أن ينقضي ذلك فينفخها من الشعور بالانتفاض والفتور . وإنها لن يبيض الطريق إذا بها ترى مراداً يعشى بسرعة كأنها يريد أن يدرك موعداً ، فوقفت وأشارت إليه وقد أحست أن جسمها قد صار أخف مما كان . فجاءها بمدو فسألته : إلى أين ؟ ... »

فلم يجب عن هذا السؤال ولم يلق إليها تحية بل ركب وهو يقول : « أرانا نلتقي في هذه الأيام ؟ حسن هذا ... ليس كذلك ؟ » . فأعدها ما في وجهه من البشر وقالت ضاحكة : « غريب هذا ... تعشى سنوات لا نلتقي فيها مرة واحدة وفي أربعة أيام نلتقي مرتين » ، فقال : « لا تلتقي يا فتاتي ... ليست هذه مصادفة » . فنظرت إليه مستغربة وسألته : « ليست مصادفة ... ؟ »

فقال وعلى فيه ابتسامته الوضيئة التي لا تفارقه « كلا ... ليست مصادفة ... إنها إرادتي سلطتها عليك لجذبك إلى حيث أنا ... نعم » . فساد إليها إشراق وجهها وأطابت وقالت : « أوه ... آه ... إرادتك ؟ طبعاً » فقال : « لا تخشى ... إلى أن تكلم جاداً » فرمت إليه نظرة سريعة فألفته لا يزال يبتسم فحولت وجهها إلى الطريق وقالت : « هذا بديع .. تكلم ... إن أذن لك »

قال : « نعم ... إرادتي ... لم أزل منذ عشر سنين أرى هذه الإرادة فهل تستغربين أنها بلغت من القوة هذا الشأ ! ! بالطبع لا ... وأنت أول

ابتسامه ساخرة وقالت : « غداً ؟ لا ... إلى على موعد مع مراد ... » . ودخلت . وتركته واقفاً وفيه مفتوح . ولم يكن ثم موعد ولا شبهه ؛ وإنما قالت ما قالت مدفوعة إليه بضجرتها وألمها .

ولم تحاول أن تلتقي بمراد في اليوم التالي فقد كانت تدرك أن هذا لا يكون منها إلا خرقاً وحمافة . فلزمت بيتها إلى المساء ثم خرجت في سيارتها على عادتها وجالت بها جولة قصيرة ثم ردت بمض الزيارات وعادت فلزمت غرفتها ، وكان الألم لا يزال يحز في نفسها فساء نومها واضطرب . وذهب يوم وجاء يوم ولكنها أحست ثقلاً في جسمها وفتوراً بقيت في فراشها وأوصت أمها أن تمنع أن يزججها أحد - حتى ولا زكي - فشمرت الأم أن في الأمر شيئاً ، ولكنها حدثت نفسها أنه خلاف لا يلبث أن يزول . وجاء زكي يسأل عن خطيبته فمرت الأم أنه لم يلقها منذ يومين ، فأظهرت تسجيها وزلت فقالت إنها كانت تحبب أنها لا تخرج إلا للقائه ، وزل زكي أيضاً فقال لها إن جليلة خفيفة وإن خفتها تسوء إلى مركزه ، وإنه كلما في ذلك ففضيت ولجت فيما نهاها عنه ، فهو يرجوها أن تكبجها قليلاً فما يليق أن تترك هكذا حبلاً على ظريها . وعرفت جليلة هذا الذي دار بين أمها وبين خطيبها فدهشت له ولكنها لم تنضب ولم تثر بل كان من التريب أنها أحست كأنها وضع لها في مكان القلب قطعة من الثلج .

وجاء العصر فركبت سيارتها وخرجت بها إلى مصر الجديدة . وكان كل هما أن تكون هي

تتمشى ... ودعى السيارة فلن يخطئها أحد»
وقطعا مسافة ومما صامتان ثم وقف والتفت
إليها وقال : « اسمي يا جليسة ... إلى أتعمد على
ما تخولني صداقتي القديمة من الحق في الصراحة؟
عشرون قرية من الماء تحمل لي هذا الحق ... أريد
أن أقول إلى نحاشيت في مقابلتنا الأولى أنت
أ كاشفك عما أضمر لك من الحب كل هذه السنين
الطويلة .. لأنك قلت عرضاً أنك خطوبة ...
ولكن وجه المسألة تغير اليوم بمد أن سميت منك
ما قال هذا البطل »

قطاعته ضاحكة : « اذكر أنه خطبي ...
لا يزال خطبي ... وأنى قلت لك إلى أحبه »
فقال : « لم يمد هذا يعني ... لست أحاول
أن أصرفك عنه ... كلا ... ولكنك لم يبق لي بد
من أن أقول لك إلى أحبك ، وأنى أحبك مذ
كنت طفلة وكنت أبايتك وأكايدك وأصرخ في
وجهك ... وكان هذا مظهر حبي الصبياني ...
أما الآن فان مظهره أنى مستمد أن أذهب إلى
خطيبك هذا وأخنته بيدي هاتين . »

فقال ضاحكة : « لقد توجهت لحظة أنك
صرت أرق »
فقال : « كلا .. أما كما كنت .. واسمى
ولا تقاطعي وإلا بحثت عن دودة ووضعتها لك في
فناك ... إذا حدث يوماً أن صار الدكان للايجار
فأخبريني ... »

فقال : « لفة التاجر أيضاً ... ولكني
سأستعيرها منك ... ثم أنك مفضل عندي على
كل مستاجر لهذا الدكان إذا خلا يوماً من الأيام .
لم يكن يخطر لي أن هذا ما تنطوى عليه لي ... ومن

من ينبغي أن يكون من تلاميذي المؤمنين بي ...
من حوارى ... هه ... وسأفتح بك العهد
الجديد ... »

ولمنا آخر الطريق إلى المطار من ورائه فحسا
على سلم السيارة وأخرج مراد سيجارة وذهب
يدخن في صمت ، فلما طال ذلك التفت إليه وقالت :
« إنك لا تسألني ما إذا حدث »

فلم يحول وجهه إليها وأدرك من كلامها أن
شيئاً لا بد أن يكون قد حدث ، ولم يشأ أن يتطفل
عليها بالسؤال فاكثف بأن يقول : « إن أدنى لك ...
أعراك السمع »

فقال : « إنك قليل الفضول »
قال : « لأنى مشغول عنه بما في نفسي ...
الدكان خاصة ... لا تحتمل زيادة »
فالت : « لفة التاجر ... اسمع ... غضب
زكى ... أوه ... غضب جداً ... لم يقل شيئاً
كثيراً ... كل ما قاله أنى خفيفة طياشة وأنى
أسمى بسلوكي إلى مركزه »

فاتفص مراد واقفاً وقد تبهم وجهه ورى
السيجارة ثم التفت إليها وقال بلهجة صارمة :
« من يكون زكى هذا ... »

وكبح نفسه عن الاسترسال ورد لسانه بمجدد ،
وضبط أعصابه وعاد إلى مكانه من السلم والتفت إليها
وقال وقد وسمه أن يتتبع مرة أخرى : « ممفزة
ليس لي حق ... قولى إنك صفحت عني »

فسرها منه أنه غضب لها وفارت نفسه
بالسخط على خطيئها من أجلها فقالت له برفقة
« أشكرك ... إننا سديقان قديمان ... »

فقال لها وهو ينهض مرة أخرى : « قوى

فتاة مثلها فكتم حبه وطواه في صدره ، وسأل الله المونة على احتمال اليأس المحاصر ؛ وهو ظريف كيس لبق دائم البشر واسع الادراك رحيب الأفق حلو الفكاهة . وزكى النقي الذي لا يزال مهموماً بمركزه التخيل ، والذي لا يتقى في سبيل الحرص عليه أن يجرح قلب فتاة ، ويهجمها بالخلفة والطيش في سلوكها ، وبأن سيرتها توشك أن تسيء الى مركزه الموهوم هذا . وقد أحبته ... هذا صحيح . ولكن عينها فتحت فهي تراه الآن على حقيقته ، وليس يسمها إلا أن تفكر في حياتها معه كيف تكون إذا كان كل ما يباليه في الدنيا هو هذا المركز .. ولكنها خطيبته وقد قبلت أن تكون زوجته ... فما العمل الآن ؟

وسألت نفسها ... أى الرجلين أحب إليها ؟ وحيرها الجواب ... فهل هذا الذى تشمر به لمراد حب ؟ . إن يكن هذا فهو هادى جداً ... أما زكى فان الدكان كما قالت لمراد مزحومة ... صحيح أنها مزحومة بما لا قيمة له — كما ظهر الآن — ولكنها مزحومة ... فهل تخلو يوماً ؟ . هذه هي المسألة ... وإلى أن تخلو لا سبيل الى شيء ...

ولو أن زكى ذهب إليها في ذلك الوقت ولاطفها وتألّفها وضاحكها ومازحها واعتذر إليها ، ولو كانت هي في رأيه المخطئة ، لمادت المياه إلى مجاريها كما يقولون ولا رتقت قيمة ما في الدكان وارتدت إليه نفاسه ، ولكنه أراد أن يلقيها درساً فأعرض أياماً وجفاها واقطع عن زيارتها ، ولم يكفه ذلك بل أرسل إليها خادمة تبانها بحماته وتسألها باسمه عن صحتها ، وأوصاها أن تخلق مناسبة لتقول لها إن سيدها يكثر في هذه الأيام من زيارة بيت خالته

التي تتصور أن وضع الديدان في قفاها يكون علامة حب ؟ ولكنك كنت دائماً غريباً ... على كل حال ... المسألة المهمة أن الدكان مزحوم ... ليس خالياً ... خرجت أستبضع فامتلاً ... صحيح أنه امتلاً بأشياء لا قيمة لها ... ولكني لم أكن أعرف أن ما غص به عديم القيمة ... المهم أنه ممتلئ ... وأظنك تدرك أنه مادام مملوءاً فلا مكان هناك للجديد ... يجب الصبر حتى أخليه ما فيه ... هذا يحتاج الى وقت ... ومن يدرى ؟ ربما كان الاخلاء أصعب من اللذات ... ولكنك تفهم وتمذر ... فقال ببساطة وهدهو : « لا بأس .. لا بأس .. إن ذكاني أيضاً مزحوم ... ولكنه مزحوم بالنفيس الغالى ... ولست أريد أن أخليه ... لا أستطيع أن أخليه حتى لو أردت ... وهيئات أن أريد أو أستطيع ... إنه مكتظ منذ خمس عشرة سنة . وسيظل مكتظاً طول العمر ... وقد عرفت أن مفتاحه ممك ... في يدك ... فادخل حيناً تشائين وعسى أن تشائى ... عديني أن تحتل مكانك من الدكان بعد أن تفرغى من أمر دكانك ... وفي أثناء ذلك نبق كما كنا دائماً ... صديقين حميمين »

ولم يسع جليلة إلا أن تفكر في أمر الرجلين : مراد الرجل الذى تعرفه منذ الطفولة والذي كان يسود عيشها بعينه لأن هذا كان تبيره الخاص عن حبه لها ، وقد ظل بعد ذلك يحبها ، ولكنه أحجم عن طلب يدها لرقه حاله بالقياس إليها ، وقد صار ناجراً ، ولكنه لم يثر لأنه لا يربح إلا الكفاية ، ومن هنا إحجامه الى الآن عن خطوبتها كما حدثنا ؛ وقد زاد على ذلك أنه كان لا يتصور أن ترضى به

به سنين وسنين .. وتمجبت لسرعة استيلاء مراد على هواها فالتفت له إلا مرتين بعد طول الانقطاع والفتية . قهل هذا هو الحب الذى يقال عنه إنه يكون من أول نظرة ؟ أم تراها كانت تحبه منذ عرفته وهي لا تدري ، وكان حبا له واقد كانه ينتظر فرصة للظهور ! لاشك أنها كانت تحبه ، كذلك قالت لنفسها وهي راقدة على سريرها بعد الغداء . نعم كان يقسو عليها ويركبها بالزواج المتعب ، وكان يختبئ لها وراء الأشجار ثم يفاجئها بصرخة ترعها فيضحك ويقهقه . وكان يجرى وراءها حتى تنقطع أنفاسها وتقع من الأعياء .. فيحملها ولكنه لا يرحمها ولا يترفق بها بل يروح بقرصها وبمضها فتصرخ وتصيح وهو يضحك ولا يبالي ... ولم تستطع أن تنتقم منه إلا مرة واحدة حين أرسلت عليه خرطوم الماء فأعرقته فجعل ينتفض من البرد ، ولكنه كان يضحك مع ذلك ولم يستخط عليها ولم ينطق بكلمة تنهى بالآلم أو النعمة أو التفضيل ، بل احتمل ذلك . ولما رقه قلبها وأقبلت عليه بالاعتذار إليه وطلب الصفح منه لم ينس دجايته وعيته ، وشبهها كما يفعل الكلب « وَو .. وَو » ففزعت فبا كانت تتوقع شيئا من ذلك ، ومضت عنه متعطشة محقة متقدمة أشد صر في الحارة ؛ وكان هو يقهقه وينطوى من شدة الضحك غير عابى « بلأء والبرء ، فبا لله ما أقواء .. ومع ذلك كانت لا تلعب إلا معه ، وإذا أقبل عليها غيره من الصبية فترت ... نعم لا شك أنها كانت تؤثره ... ولماذا لا تقول إنها كانت تحبه ؟ صحيح أنها لم تكن تعرف ما الحب ولكنها تعرف الآن فقد صارت خيرة بجرة فلماذا لا تسمى الشيء باسمه الصحيح ؟

— وكانت لها بنت فى مثل سن جلية — ليثير غيرهم وإشفاقها من أن يطير المصغور من يدها فأفزع ولكن فى استشارة نقتها عليه ، فقالت لنفسها إن رجلا يهينها ويعرض بها ويرميها بأن سلوكها من شأنه أن يسىء إلى سمعتها وأن يضر مركزه ، ثم لا يجعل هذا بينه وبينها بل يقضى به إلى أمها ، ثم لا يكفيه هذا بل يحقوها ، ثم يترق فى تمعد الاساءة إليها فيرسل إليها خادمة تبليها أنه انصرف عنها إلى سواها — مثل هذا الرجل خير له ولها أن ينبت ما بينها ..

على أنها لم تتمجل وإن كان عزيمتها قد صبح على الفراق فقد كانت شديدة الثقة بنفسها والاعتداد باستقلالها وإرادتها الحرة ، فلم تر ما يدعو إلى المجلة بعد أن اتتوت أن تقصم العروة واستوى عندها أن يكون ذلك يوم انتهت إلى هذا المزم وأن يكون بعده بأيام أو أسابيع ، فقد كانت واثقة أنه ما من شىء يستطيع أن يحولها عنه . وصار عجبها أن المكان خلا بسرعة مما كان يفص به . ولم تكن تلقى فى تلك الأيام مرادا لأنها أرادت أن تختبر نفسها ونجسها لتعرف ما تنطوى عليه له ، فأدهشها أنها تحس وحشة وأنها تشتتعي أن تكون معه وأن تستعيد ما تشرب به فى مجلسه من سكينه النفس واطمئنان القلب والرضى الهادى . وزاد شوقها إليه أنها كتمت الأمر كله عن أمها فلم يكن هناك من تبثه ما فى نفسها ، ولو كان مراد إلى جانبها لكان خليقا أن يفهم ويحذر ويعطف وأن يسرى عنها بفكاهته التى لا تخونه ، وأن يمدبها بقوة التى تجعله لا ينسى أن يضحك وهو يفجع فى أمه الذى عاش

فامتقع لونه ولكنه تجلد وقال : « متى إن شاء الله ؟ لست أطمع أن أدعى ولكنى أريد أن أحفل بليلة الجلوة وبسروك فيها . وحدى »
فسألته بنجش : « وحداك ؟ »

فقال : « نعم .. لن يكون معى سوى خواطرى »
وأدار وجهه إلى الباب ليخفى زفرة يعلو بها صدره ثم التفت إليها وقال : « متى يكون هذا ؟ »
فرفعت إليه وجهها مشرقاً ونظرت إليه نظراتها الحائلة وقالت : « متى تريد أن يكون ؟ »

فقطب وقال : « إيه ؟ »
فأعادت سؤالها : « متى تريد أن يكون ؟ »

فخفق في وجهها — في عينيها — ثم صاح وقد فطن إلى ما تعنى وأنجنى عليها فرفضها بيديه عن الكرسي غير عاوى . إلى البال والزبان وأهوى على فخا بالثبات ثم ردها إلى الكرسي وصاح بأحد رجاله :
« إذهب . إذهب . حالا . حالا »

فوقف الرجل كالآبله لا يفهم ، ولا يدري أين يريد منه أن يذهب فصاح به :

« هات المأذون .. ألا تعرف المأذون يا أبله ؟ »
إذهب .. حالا .. »

فوقفت جليلة وأقبلت عليه تسأله : « ماذا تعنى ؟ .. ماذا تريد أن تصنع ؟ »

فقال : « ماذا أعنى ؟ .. يا له من سؤال ! .. نعمد المقد ! .. هنا .. حالا .. في الدكان .. هذا ما أعنى .. رجلى وزبائنى شهودى .. شهود سمادى لقد كان التجار في الزمن السالف يجيئون رجال يقفون على أبواب الدكاكين ويدعون المارة أن يدخلوا ويزينون لهم البضاعة .. وقد انقضى ذلك الزمن وحلت الاعلانات في الصحف عل هؤلاء

وارتدت من الماضي إلى الحاضر وذكرت كيف غاصت عجتها في الرمل ووقفت حائرة وإذا به يظهر كأنما شق الأرض وخرج منها — كما كان يفعل وهو صبي — وينطرح على الأرض بلا كلام أو سؤال ولا يبالي ما يصيب ثيابه ، ويجرف الرمل بيديه الكبيرتين ويحمل الحجارة ؟ يفعل كل ذلك ولا يرفع عينه إلى .. ثم يرفني فيتلطف في تذكيري بنفسه . ويتظاهر بنسيان اسمي وهو منقوش محفور في قلبه .. وتنازعه نفسه أن يفضي إلى بحبه فيشير إليه من بعيد في معرض الكلام على ذكريات الحداثة . ويرفني أني مخطوبة فيفقد كل أمل ولكنه يتجلد ويتكلف الابتسام ويغضى في مؤانستي بمحدثه كأنما لم ينهد كيانه ولم يتقوض بنيانه . وهل أنسى كيف تار وانتفض حين رويت له ما أهانني به زكى ؟ لقد كانت وثبته تلك حسي دليلا على عمق ما يجين لي من الحب . ومع ذلك أبت له الكياسة والأدب إلا أن يكبح نفسه ويردها عن التيل من زكى مخافة أن أكره ذلك منه ..

وظلت تناجي نفسها على هذا النحو ولا تكتحل عينا بغمض حتى كان العصر فقامت ولبست ثياب الخروج واستقلت سيارتها الصغيرة إلى دكان مراد فأقبل عليها يرحب بها فقالت له :

« أنت أولى يرحب بها فقالت له :
« فابتسم وقال : « آه .. أهو ذاك ؟ »
قالت : « نعم . أريد شيئا من الحرير .. قطعة كثيرة . ألوانها شتى . الوقت ضيق . »
فقال : « الوقت ! لست فاهما شيئا . »
قالت : « ألا تعرف أن المروس تحتاج إلى ثياب كثيرة ؟ »

الطيارة ، فإذا منع أن تزوج في الدكان ، فقالت إنه فرق ساعة ، والسافة إلى البيت لا تستغرق زمناً ، فأبى أيضاً ، وقال إنه يخاف عليها أن تطير وتسررب في الهواء . . . كلا . . . لا بد أن يكون المقد هنا وراقها هذا الجنون وأرهف خيالها فرضيت وتزوجا في دكان

وقالت له وهما خارجان : « نسيت أن أقول لك إنى وجدت أن الدكان لم يكن خالياً قط ... كان مافيه مخزوناً من أيام الصبي ، فلما أدركت عيني فيه عرفت ولهذا جئت »

فقبلها على باب الدكان
ولم يستح الرجل !

ابراهيم غيد القادر المازني

المنادين ولكي اليوم سأقف بالباب وأدعو الناس .. كل الناس أن يدخلوا لا يشترعوا بل ليشاركوني في سعادتي . . لماذا لم يجيء المأذون . . إذهب أنت ورائه واستمتع به !

وفرحت جليظة بهذا الجنون وخجلت أيضاً — أفرحها أن عقله استطير من فرط الجذل ، وأخجلها أن كل هؤلاء الناس من المال والزبان يرونها ، وأن عيونهم جميعاً عليها ، وأنهم يفحصونها ليمروا سر هذا السحر الذي ذهب بلب الرجل الذي ألفوا منه الرزاة والسكينة والظرف والعقل . . ولم تكن تقدر أن يفعل ذلك وأرادت أن تستمهله فأبى ، فاقترحت أن يذهب بالمأذون إلى البيت فأبى أيضاً ، وقال إن ناساً في هذا الزمان يتزوجون في

بنك مصر

يساعدكم على الادخار من أقرب وأضمنه الوجهه

اتصلوا بقسم بيع الأوراق المالية بالتقسيط

واستفيدوا من التخفيض المحسوس والضمان الموفور

خابروا قسم التقسيط رأساً بمركز البنك الرئيسى .

بالقاهرة . وفروعه بالأقاليم

ليس للبنك وكلاء متجولون

غرام الشعراء

اقصصة فرنسية

تصبت الشاعر محاسن الأميرة فأحبها
روح شاعريته القدسية ؛ ورأت الأميرة فيه
ما بهر غرورها فاستسلمت لفرامه ، وتراجع
سائر الشاق بذلة الانكسار أمام الشاعر الترى
الجميل ، وكان اسمه سميذاً^(١) وله صديق اسمه
جميل فكتب سميذ إلى جميل يقول :

« لقد رضيت في زوجاً ، فما أسمى بهواها !
وإنني لأشك أحياناً في سعادتي فأحسبني واهماً .
وهل لثل هذه الآلهة أن تحب رجلاً يموت ؟
ولكنني أعود إلى رشدي فأسال نفسي عما دفعها
إلى التسليم بقبولي زوجها إذا كانت لا تحبني
لا أراي مضطراً إلى أن أقول لك ، وأنت الصديق
الوفى العارف بما في سررتي ، إنه لا مطمع لي في
الحياة الامتلاك قلب امرأة بكل ما في كلة الامتلاك
من معنى السيادة المطلقة ، تبرع في قلب لا وهن فيه
ولا شرك ولا ضلال . أريد روحاً أبداً روحى
وحياة واحدة في جسدي . ذلك حلم الخلود أطمح
إلى تحقيقه على هذه الأرض الفانية . إن الله لم
يخلق الجمال عبثاً ، فانه وضع في إهاب الأميرة الثبر
للثيران قلباً يحترق هو نفسه بها . إنني أشكر الله
لأنه أنالني ما اشتيت »

وورد الجواب بهذه الكلمة :

« احذر ، فانك شاعر »

وكانت حفلة زفاف جلالتها روعة الجمال ولمت
فيها بوق اللال
اهتزت المدينة هتاف الفرح ، وسار العروسان
تحف بهما الأبحاد ويواكهما الدز على طريق
السعادة والهناء

كانت فتاة أسمدها الحظ وأسمدها الجمال ،
ولدت من أبوين أحدهما الثروة وثانيهما الجمال ،
فكان الله أوجددها فتنة للعالمين ، تلمب بألباب
الشمراء نارة ، ونارة تلمب بقلوب الطامعين
وكان اسمها مشتقاً من مصدر النصر فدعاها
الناس بالأميرة لأنها حكمت إلهمين إله الجمال
وإله المال

انصبت للناس صناب يبيده الماقل والجاهل ،
رجل المواطف ورجل الأطماع ، فترخت أعطافها
من سكرة الدلال ، وأصبحت تظالع اللأ من عل
فتستصغر كل الماشقين

إن رجلاً يسمده الحظ بامتلاك قلب الأميرة
ليقسم فيه عرشين ويمتلك به سعادتين

صرت السنون والأميرة تحسب الدمع خلقة
في مآقي الناظرين إليها ؛ ولولا قوة الكون
تسخر المال والجمال لكان قد قضى على الأميرة أن
تفادد الدنيا بوحداية جاهلها لا تشرك به أحداً من
الناس ، وما تلك القوة إلا الحافز الطبيعي لا يتمرّد
عليه إلا المتظاهرون بتذليل وهم في ادعائهم كاذبون
وكان في المدينة شاب ولد كما ولدت الأميرة
من مصدرى المال والجمال ، غير أن إله الشمع
كان قد نفخ في روح الجنين خلسة نجاء الطفل
يحمل إلى الدنيا جنة الإلهام

(١) ترجمت الأسماء بما يقابلها في العربية

خلدى ، وعرفت ما أحب وما أكره ، فأمرتني
مثال أحلى

ما أنص قلب الشاعر ! بل ما أبعد هيام
الشمرء عن أهواء الناس ! إن في بعض النفوس
الاشتعل بلهب الأبد غراماً يستنزل العاطفة من عالم
التجرد ، وما وجدت هذه النفوس في الأرض
إلا لتشق ، لأنها تطلب كوثر السماء من كؤوس
التراب : تريد حياة من الموت ، وتجرداً من المركب
المنحل .

وكان الشاعر يجو أمام أميرة مداعباً أو تار
قيثاره فيستنطقها أجل الأتنام ، ولكن الأميرة
كانت ترفع يدها إلى جبينه وتشكو الصداق ؛
كان يأخذ الشاعر أروع القصائد ويلوها على
مسامع أميرة فلا تلبث أن تحول الحديث إلى بحث
أنواع الطعام وما يصعب هضمه منها .

كان يبدأ حديثه معها قائلاً : أئلا ترين
يا حياة الفؤاد أن ... فنقاطه شاكية حرارة الجو
وطفق اليأس يرادو تجمد الشاعر

وتقدمت الأميرة يوماً إلى عابدها قائلة : يا سيدي
المميز

فاتنفس الشاعر وقال في نفسه : لقد جاءت
تبادلي حباً بحب ، وقلباً بقلب
فقال : ليس جمال الحياة في ...

فقاطعه وقالت : في الأعياد والمرافق واستقبل
الأصدقاء . أما حان الزمن للقيام بما يوجبه مقامته
الاجتماعي ؟ إنك ستدعو قريباً أهل المدينة لوليمة
كبرى يعقبها الرقص إلى الصباح ، أليس هذا
ما تريد يا سيدي ؟

تحت أغصان الربيع أمام الطليعة الموشاة بمحلقها
السندسية كان سعيد يناجي عروسه بروح شاعر ،
وإذا قال لها : ألا تسمعين حفيف أجنحة السعادة
حولنا ، تهتدت تهتدا عميقاً حسب الشاعر صدى
لنبرات إلهامه

وقضى العروسان شهر العسل في قصر من
قصور الريف ؛ وما صرت أيام بعده حتى أخذت
الأميرة تشمر بالضجر في هذه الحياة الهادئة .
فأصبحت تنصب من السير في ظلال الأشجار ،
وتخاذر الجلوس على المروج المزهرة خشية أن تنالها
رطوبة من الأرض أو لفحة من الهواء

وكان أمير الشعر يدعو أميرة لمرافقه إلى
ممشى القصر القديم حيث يعرض جمالها الرائع على
البدر المتطلع من بين الأزاهر الرافضة على أغصانها ،
ولكن الأميرة كانت تملن أنها تخاف لفتات البدر
وهو العاشق الأبدي يلفح الجباه بنظراته فيودرها
الصداق

ومجرت حيلة سعيد عن إبداع ما يبيد الابتسام
للجمال العابس ، فقرر العودة إلى المدينة

وقال الشاعر في نفسه : لقد يكون قصر الريف
قد أثر برياشه البسيط على روح لآسقي فلا فودنها
إلى قصر أجدادي حيث الزخارف الرائعة والرياش
النضج ، ولا فرق إذا سكن ملاك الجمال كوخاً في
الحقول أو قصرآ في المدينة ؛ ولني يتمكن صخب
المجتمع من إفلاق راحتنا وهي تجمد في الدنيا ، وأنا
أجد فيها الحياة

ونفقت الأميرة غرف القصر وقاطنه وعلى
شفقتها ابتسامة الرضى ، فهتف الشاعر لها ونأجى
آلهة إلهامه قائلاً : لقد فهمت أميرتي ما يدور في

وكانت الشمس تودع الأرض وقد شحب وجهها
المحترق . خرج الخدم وتقدموا إلى العربة فوجدوا
فيها مولام مضر جاً بدمه ، وفي صدره خنجر وبين
أصابه ورقة خط عليها : « ليرحمي الله ، فسا هي
الجانية على »

وانطرحت الأميرة على جثة زوجها وقد ربهت
لهذا الشهد الهائل ، وعند ما ألصقت شفتيها بجبينه
البارد كانت تنأى نفسها قائلة :

لأزهره أن تنور في الروض مكتومة الأريج ،
فأنها إن لم تحي الصدور لا توقف نبضان القلوب ؛
أما المرأة الجامدة المفرورة التي حرمت نفحة الحب
فهي بليّة على نفسها وخطر على الناس . لمن الله
يوماً جئت فيه الحياة بما لا يجدي ، وأنا محرومة
من روح الحياة . إذا ما تلاشي الحب في قلب المرأة
فانه ليستحيل إلى سُمّ زعاف يسرى في عروق كل
من يمد لها يدًا . ويل لما شقن الزهرة البشرية التي
لا عطر فيها

وصر جميل على قبر سعيد ليكيه فرأى قرب
للحد زهرة نبئت بين حجرين حمراء ناضرة تنأى
مع النسيم . جثا الصديق الوفي وصلى فارتفع عبير
الأخلاص من روحه ، وبقيت الزهرة كاتمة أريجها
وهي شاخة برأسها تنأى بجبالها

وجالت بين أجفان الصديق الوفي ديمة محرقة
فقال :

لملّ المرأة التي لا تحب قد استحالت إلى زهرة .
لا تجود بالعبير على قبر الشاعر ، ليكون هذا القبر
كنّ نوى فيسه مكللاً بحب الجلال محروماً من
جمال الحب ف . ف

وسقطت صاعقة السادة على رأس ابن الشر
فأنحى منكسراً وفي عينيه دموع وفي قلبه نار
وكتب سعيد إلى جميل يقول :

« ليس بين الناس من يفوق شقاؤه شقائي ،
إن أميرتي لا تفهمني

لقد لاحظت على وجهها ليلة الرقص بوادر
انبساط ومساعدة ما رأيت عليه مثلاً ليلة زفافنا .
عرفت طبيمة هذه الأميرة ، فهي عاشقة صاف
وغرور ، فيها كبرياء وليس فيها عظمة ، في صدرها
أطمار وليس فيه قلب

تقدمت إليها وهي سكرى بانتصار جمالها فقات
لها همساً : أنت ياسيدي زهرة بلا عطر . أنت
امرأة بلا قلب ، وقلب بلا غرام

فلم تفارق الانبسامة شفتيها ، فكانتني لم أقل
لها ما قلت . ثم تنازلت وحدقت في قائلة : صدقت ،
أيها السيد ، أنا الزهرة التي تسلب الطبيعة روعة
جمالها ، وتنشق من النسر أريجها دون أن تجود
بمطرها على أحد ...

وصرت أماً ورأسها يشمخ كبرياء وتوارت
بين الراقصين كأنها القمر الضاحك بين النجوم ،
ولكنني أذكر أنها زودتني بنظرة حسيرة لم أتمكن
من إدراك مغزاها

اذرف مي دمة على نفسي ، فأنا أتمس الناس
وورد جواب الصديق هكذا :

« تذكر ما قلت لك ، فقد تأيد حكى »
ووقفت أمام قصر الشاعر عربية تجلها رهبة
الموت
نزل السائق عن مقعده وضرب باب القصر ،



يَوْمَاتِي أَنَا فِي الْأَرْيَافِ

لِلأَسْتَاذِ تَوْفِيقِ الْحَكِيمِ
(تابع)

١٥ أكتوبر...

لم يملك المأمور عندي طويلاً ، فقد ذهب سريعاً ، وانقطعت عني أخباره ؛ وطلبت كثيراً بالتليفون في المركز فلم يدر أحد أين مقره . كل ما عرفته عنه أنه خرج في « البوكس فور » مع الماؤون ولم يعد ، وانتظرته طول نهاري لأعرف منه ...؟؟ ولكن النهار اقتضى وغربت الشمس وعيل صبري ، فحشيت بنفسى إلى المركز فلم أفر بطأئ ، وقال لى قائل : لعله خرج على النادي فهذا ميماد جلوسه فيه . فما ترددت ، وتوجهت إلى النادي فاستقبلني أعضاؤه دهشين أول الأمر ، ثم هرعوا يقدمون إلى « الكرسي » السلام « الوحيد فى تلك الحجرة زيادة فى الاحتفال لى . فسألت عن المأمور فقالوا إنهم لم يروه وأنهم يمججون لغيابه عن النادي حتى هذه الساعة . فلما علموا منى أنه خرج من الصباح مع الماؤون في « البوكس » ولم يعد صاحوا جميعاً ، من فم واحد :

— لا حول ولا قوة إلا بالله !

وصاح صيوت من بينهم :

— ضمنا وضاعت فلوسنا والموض على الله !
ولم أظن إلى مرادهم فى مبدأ أمرى ، ولكن

التفاحة حانت منى إلى المائدة والورق الطروح عليها فى انتظار اللاعبين . ففهمت للفور وتذكرت ما قيل لى من أن المأمور لم يعرف الخسارة قط فى هذا النادي ، وأنه اعتاد فى أوائل كل شهر أن يربح كل مباريات الموظفين ثم يظل طول الشهر يقرضهم ما يحتاجون إليه للأكل والملابس حتى لا يموتوا جوعاً إلى أن يقبضوا ، فيلاعهم من جديد ويأخذ مبارياتهم الجديدة ويقرضهم ما يمشون به طول الشهر ، وهكذا دواليك . وقد اعتادوا هذه الحياة ورضوا بها ، وهم يمزون أنفسهم بقولهم : « سواء أكانت النقود فى جيبنا أم فى جيب حضرة المأمور فالنتيجة واحدة ... » تسمى واحد بقاعةهم ويخيفهم أشد الخوف ، هو خروج المأمور بأموال البلدة « للملاعبة » مركز آخر . فالمأمور يضجر أحياناً من ملاعبة هؤلاء الفلاسين وقد تجردوا ، فينتخب تارة نفرًا من خيرة اللاعبين وينتقلون لمنازلة المركز المجاور كما تنتقل فرق كرة القدم ... وتارة يخفف المأمور بفردة أو مع المداون ، إلى

مكسر صابغ شمرة . لكن الركز كله بالخفر والمسكر تحت أمرنا ، يضرب لنا سلام . قامت امرأة القاضي وزلت فلبست لها الوسام الأحمر عهدة الحكومة فوق الفستان البني المصمخ وطلعت تقول لها : « قطع لسانك وليته سفينة ! أنتم جميع مالكم إمارة إلا على خفيرين مغفلين ، لكن من في البلد كلها يقدر يحبس ويشنق ويقول : حكمت المحكمة غيرنا ؟ »

ولقد أحسست شيئاً من الحرج في استأني إلى هذا الكلام ، فإني فرغت من شرب القهوة حتى وضعت الفنتجان على المائدة في هدوء ونهضت في الحال مسلماً مودعاً وانصرفت

سرت في الطريق إلى منزلي أفكر . ولقد تمهلت في خطاي ، إذ لم أجد في نفسي رغبة إلى الاحتباس بين جدوان أربعة مع أكداس من الشكاوى المتأخرة أضاع أنفي في تراب ملفاتها . وإن رأسي بعد لمشغول بغياب المأمور ، أترأه قد وجدها ؟ .

أين ذهب بها إذن ؟ والشيخ عصفور ماذا جرى له ؟ العجيب في الأمر أن يستطيع هذا الصفور أن يختطف هذه الزنبقة ونحن عنه قائلون الحقيقة أننا لم نفطن إليه . لقد استطاع أن يختطفها من يد المأمور في خفة وسهارة . نعم ، من يد حضرة المأمور لا من يدي أنا . ولكن الأجيب من هذا أن تطيحه الفتاة وتذهب معه راضية : فهو من غير شك لم يكرها ولم يجعلها قوة واقتداراً . ما سر هذا التأثير وهذا النفوذ العجيب وهو لا يكاد يعرفها ولم يكن بينهما لقاء طويل ؟ أترأه قد أغراها بالهروب ؟ ولكن ما التي بدوها إلى الهرب ؟ أمي مجرمة ؟ أهذا الجمال الرائع يجرم ! أم نحن المجرمون إذ نظن السوء بالجمال ! إن من المسير على نفسي أن أتصور

أنفوق بلدة يلعب « حورين » ويرجع ، وتارة يستقبلون في ناديمهم « مستغنياً » قادمًا من بلاد أخرى . هنا في مثل هذه المقارعات الحامية الوطيس بين بلدة وبلدة يتعرض للخطر جيب المأمور أعني مرتبات الركز . . .

على أني لم أثبت أن أدخلت الاطمئنان على قلوبهم بقولي لهم إن المأمور قد ذهب في غالب الظن لعمل يتعلق بقضية تشغل بالنا . فهدأوا وجلسوا لحظة ساكتين أدباً واحتشاماً ، ثم أخذوا يتحدثون ويثرثرون قليلاً أثناء شرب القهوة ، إلى أن قال أحدهم في نبرة الترحيب :

— ربنا عوضنا خير بتشريف البك النايب ، لأن حضرة القاضي اقتطع عن النادي من زمن . . . بسبب سوء التفاهم ! . . . فنظرت إلى التلكم وقد بدا في عيني التسائلة ماداه إلى الاسترسال :

— أي نعم ، سوء التفاهم بينه وبين البك المأمور

وأمن في الثروة فقال :

— المسألة أصلها خلاف بين السيدات مع بعض . الست حرم القاضي واقعة مع الست حرم المأمور

فأطرقت صامتا ، وظن الحاضرون أن بي رغبة إلى الاصغاء . فانطلق أحدهم يقول :

— آخر أخبار أنهم ظلموا لبعض فوق الأسطح ونزلوا في بعض « روح » من النوع « التنظيف » ، امرأة المأمور إنفاضة في صاحبها راحت لبست سترة زوجها الرسمية بالتاج « والضبورة » وغطت رأسها من غير مؤاخذه « بالطرحة أم ترتر » وقالت لها بالصوت العالي : « أنتم حواليسكم إلا بقلة القيمة ! لا يمشي وراكم إلا حاجب « ربايكي » نص عمر

أو أنه على الأقل قد اطلع على سر الفتاة وغاض
بمينه البراقطين في بحار نفسها المنيعة المظلمة . ولكن
هل يقضى هذا الشيخ الينا بشيء ؟ إنه هو نفسه سر
مطلق ، ولست أدري أهو حقاً أبه أم خلف هذا
الوجه الساذج ...؟؟ وكنت قد بلغت المركز .
ورأيت يباه « البوكس فور» فعلمت أن المأمور
قد عاد ، فأسرعت واقتحمت عليه حجرة فالفينته
ملق على « الكنبه » وقد خلع طربوشه وأمسك
القلة الفخار يجرع منها والعرق يتصبب من جبينه
فلم يكدر برأى حتى صاح :

— السالة وحياتك فيها شغل سحر ! لا بد
أن الشيخ الكلب سحر البنت . تصور أننا من
الصبح لغاية ساعة تاربخه ما تركنا في دائرة المركز
غيط ذرة ولا زراعة قصب ولا ساقية ولا طاحونة
ولا كفر ولا دوار ولا ترعة ولا أرض ولا سما
ولا طريق زراعي ولا جهنم حرا إلا فلتناها وقشناها
شبر شبر . لو كانوا انقلبوا طير على الشجر أو سمك
في البحر كنا وجدناهم . لكن المصيبة أنهم ...
فما تمالكنت أن تاطمته :

— المصيبة أنهم على بعد خطوة من هنا
يا حضرة المأمور !!

فوضع المأمور « القلة » على الأرض ونظر إلى
فاغرا فاه :

— إيه ؟

قلقت في شيء من الحدة :

— طير إيه وسمك إيه !! الرجل والبنت قدام
باب المستشفى من ساعتها .

— المستشفى الأميري ؟

— قر يا شيخ قل لواحد عسكري يروح
يناديهم من هناك ، بلاش أمور ...

ولم أتم بقية عبارتي ، فقد نهض المأمور فرحا

الجمال غير مقتدر بالفضيلة . الجلال الحق والفضيلة
الحق شيء واحد . ولكن المصائب قمر الدولة عندما
سئل عن الضارب فاه بكلمة واحدة ما زال جرسها
الباهت يرن في أذني : « ريم » ! ولكن ما بال
الفتاة صرخت وذهلت إذ علمت بالجناية أول مرة ؟
أهو تصنع وتمثيل ؟ لقد خلعت آهتها قلبى خلماً في
تلك الليلة . وما أشك في أن المأمور وهو على الأقل
ذو خبرة بالقرويات قد تأثر مثلما تأثرت . فان كان
مكر مثل هذه البنية الرقيقة يجوز على أمثالنا
فأحرى بنا أن نوضع في مصابط البقر لا أن نوضع
أماناً بنفوس الناس نستطلع مجاهلها ونستكشف
أسرارها . وأهتني هذه الخواطر وملتني قدامى
من دون قصد إلى المستشفى وصرحت يباه الكبير
ووقعت عيني اللاهية على ذلك للنظر المتداد
من الأهالي والنساء والصبيان الجالسين القرفصاء
فلم أحفل بهم . ولكني لم أكّد أقادر هذا الجمع
حتى وقفت دهشاً . فلقد لحت تحت الجدار على
بعد قصبة من الناس الشيخ عصفور جالساً
إلى الأرض وهو مطرق ينكت التراب بطرف
عوده وبجواره الفتاة وقد أسندت رأسها إلى
الحائط تنبأ وإعياء أو كآبة وحزناً . فعمت كل
شيء . إنها جاءت المستشفى تسأل عن حال المريض .
وإنها اتخذت من الشيخ الأخضر دليلاً وصاحباً
ومعيناً ، وكان ينبغي لذلكنا أن يتجه في بحثه إلى
هذه الجهة القريبة . ولكن ما العمل الآن ؟ إلى
مغردى ؟ ولا سلطة لي بشير رجال الحفظ ألقى اليهم
بالأمر . لا بد إذن من الذهاب من فوري إلى دار
المركز لأبث أحد العساكر يأتي بهما . وأسرعت
في السير قبل أن يعلما برؤيتي لهما فيهربا خوفاً مني .
وابتمدت عن المكان وأنا أقول في نفسي : « لاشك
أن الشيخ عصفور يعلم الآن كل أسرار القضية .

منا . وإذا بجيلة ترتفع في الردهة وصوت أقدام ثقيلة وصلصلة حديد ، وطرق الباب علينا ، ثم فتح وألقى بيننا الشيخ عصفور وحده مكبل اليدين وخلفه الباشجاويش يحمل له عوده الطويل . فوقع في نفسى قلق . وشعرت بوقع مثله في نفس الماءور . فقد ابتدر الباشجاويش صاحبا :

— والبنت ؟

— وجدنا الرجل وحده فقبضنا عليه يا فندم

— وحده . ١١٩ .

قالها المأمور كما قلتها أنا في نفس الوقت ، وقد اختلط في نفسيينا الأسف بالمعجب والنضب . وخرج المأمور عن طوره فهض وصرخ في وجه الشيخ عصفور قائلا :

— البنت ؟

فلم يبد الرجل حراكا . وأجاب في هدوء رصين :

— بنت مين ؟

فنظر اليه المأمور نظرة شذراء وقال :

— إنت يا رجل شارب حشيش . ١٢٠ شغل :

الحشيش أنا أفهمه طيب ١١

وأراد أن يلكمه بقبضته القوية فتمتعه من ذلك ، وأمرت الشيخ أن يدنو منى فدنا فسأله في رفق :

— ريم كانت معك ؟

فأجابني الرجل من غير تردد :

— أبدا

فأدركت أن عين الرجل البراقة قد لحتني عند مروري بباب المستشفى ، وفهم بذلك ما سيكون فأخفى الفتاة في الحال ، وأوان الأمر غير ذلك وأن عيني هي التي خانتني فلم تكن ريم إلى جانبه ، وأن خيالي السايح في جو هذه الفتاة قد ألقى صورتها

قبل أن يسمع منى . وصاح بصوت جليجل في صحن المركز :

— يا شاويش عبد النبي !

فجاء من ناحية الاسطبلات رجل عملاق في قميص وسراويل بيضاء ورفع يده بالسلام وقال :

— أفندم سعادة البك !

— قم حالا مع نفرين للمستشفى الأميري ومعه

قيد حديد ...

فتردد الرجل وقال مقاطعا :

— « أودة التين » مفتوحة يا سعادة البك

والأنفار جارين المليك والفرش للخيول ...

فصاح فيه المأمور :

— يا حصان نفذ الأوامر ! إن شا الله عن

الخيول ما باتوا في ليثهم . قلت لك قم في الحال

— حاضر يا أفندم !

وتركت المأمور يفهم مرؤوسه ما يتبع . وانصرفت إلى مكنتي بعد أن أوصيت المأمور أن يلحق بي مع المقبوض عليهما . فأنا لا أحب مطلقا التحقيق في دار المركز وهي ليست داري . فرب المركز هو المأمور . ولا أرضي لنفسي أن أكون في كنفه أثناء عملي . خصوصا في هذه القضية وأمام هذه البنية . وذهبت على عجل وأرسلت من يستدعي كاتب التحقيق . ولم يمض قليل حتى كنت في حجرتي جالسا إلى مكنتي أطيل النظر إلى الباب فأند الصبر منتظرا قدوم الفتاة كأنه موعد لقاء

وسمعت نقرأ على باب الحجر . ودخل المأمور يسألني للغور عن المطلوبين فأجبت أني لم أر أحدا بعد . جلست وهو يقول إنه أرسل من يأتي بهما . وجعل ينظر سهو أيضا إلى الباب ويقتل شاربيه . وجاء كاتبي بأوراقه ونشرها أمامي . واستمد كل

والثانية بلطيه ... »

« قفاطه الأمور ضائعاً :

— مفهوم، مفهوم، والى غرفت في الزياح

من سنتين كانت البياض والآ البلطية . ؟؟

فلم يجبه الشيخ ولم يلتفت اليه ونفى، بنفى :

« واحده بياض شفتى

والثانية بلطيه

والثالثة من بدعها

سحرت صراكيه »

وتهد في العبارة الأخيرة واتخذ صوته فيها نبرة

عجبية ذات معنى ارتجفت له قليلاً ، ونظرت من

طرف خفي إلى المأمور فرأته قد اختابعت عيناه ،

ولكنه تجلده وتحامل وقال للرجل :

— ومن هم الراكية ؟ !!

فأطرق الرجل وسمت صمناً عميقاً . ولست

أدرى أهو أيضاً خيال منى أو حقيقة ما اعترافى

من شهور بأن هذا الشيخ قد فهم ... وأنه قد

أدرك ما بنا منذ اللحظة الأولى ... »

(يتبع)
توفير الحكيم

وأوابها على امرأة أخرى من الفلاحات المتفطرات

بالباب . كل هذا جائر ، ولكن أين ذهبت ربح ؟

ولماذا أنهم يصرى ولا أنهم هذا الشيخ الخائل ؟ ومن

هو أولاً هذا الرجل ؟ وجمت فيه من فوري قائلاً :

— تعال يا رجل انت !

— محسوبك .

— من أنت ؟

فنظر إلى الرجل نظرة من لم يفهم السؤال .

فألقيت عليه العبارة من جديد في شدة وقوة ،

فقال :

— أنا ... أنا عصفور ، ألقط الحب فوق

التراب ، وأعبد الرب تحت التراب !

— تكلم جدي يا رجل . اسلك ؟

— عصفور .

وأشار إلى يديه وفيها القيود وصاح :

— أظنوني ! من حب النبي يظنني ...

فأمرت المسكر بفك القيد من يديه ، وسأته

في صرامة :

— صنفتك ؟

فتردد الشيخ قليلاً وسكت لحظة ، ثم لفظ

آه من أعماق قلبه ورجع برأسه إلى الوراء ،

وجمعت عيناه كأنهما تنظران إلى شيء لا وجود له

في عالم الحس والحقيقة ورفع عقيرته بالفناء :

« أنا كنت صياد

وصيد السمك غيبه

نزلت بحر السمك

أصطاد في بنييه

وعجبنى شكل السمك

في البحر حوالينه

واحده بياض شفتى

قصص اجتماعية

من رجم بقلم الأستاذ محمد عبد القادر

مجموعة من القصص الرقيقة الشائقة الثمانية من أعلام

الأدب الفرنسي : م . بورجيه . كرويه . أناتول فرانس .

موبسان . تيريه . مارسيل برينو . دي بائيل . جان

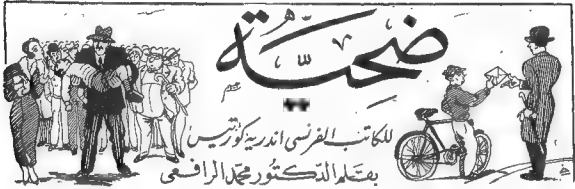
لوران . مع تراجمهم النقدية . ومترجمة بأسلوب فائق .

في ثلاثة صنفعة طبع دار الكتب

ثمنه ١٠ فروش وبيع مؤقلاً بـ ٦ فروش بخضم ٤٠ %

عند البريد وهو فرشان لدخل القطر وأربعة خارجه

ويطلب من إدارة الرسالة وجميع المكاتب



وأطل النلامن النافذة مرة أخرى فأبصر حملا صغيراً قد أذهله منظر السيارة فثبت في موقفه حاراً دهشاً... وأحبب الطفل بمنظره فصاح :
— ألا ترين هذا الحمل الوديع يا أمي ؟ ألا يمكننا أخذه معنا ؟

فضمته أمه الى صدرها وجعلت تقبله وتحنو عليه ؛ وانفجر الأستاذ لاماس من النفيظ فأعمل محرك السيارة وأنفزع بها فجأة ، فلم تكذب تثبت حتى ونب له أحد الرعاة وأكرهه على الوقوف ؛ ثم صرخ فيه مزجراً مهدداً وأراه على ضوء مصباحه جثة الحمل ، وقد فرسته السيارة ودقت أضلاعها ، وكان الدم ينهمر من فمه الصغير ...

— وارتاع جان ماري وفزع لهذا المنظر المربع وجعل يصيح وقد لاذ بأمه ، وأخفى رأسه في صدرها :

— يا للشيء ... يا للشيء ! لقد قتل الحمل ... لقد قتل الحمل !

فأخذت أمه تسكن روعه على حين ارتفع صوت لاماس وقد اشعد الجدال بينه وبين الزامى في ثمن الفريسة السكنية .. وبعد حجاج ولجاج أخرج الرجل ورقة مالية ورى بها في غضب الى صاحب القطيع ، ثم رى الطفل وأمه بنظرة النسخط ، وانطلق بالسيارة لا يلبى ...

غابت الشمس وأظلم الليل ولف الطريق في سواده ؛ فأنكشف على طرف الأفق نور زهر في العتمة وهو يتحرك فيملو وينخفض كالذير ليلفت إليه أنظار السابلة . فما إن اقترب منه الأستاذ لاماس حتى أوقف سيارته ثم مد عينيه في ضوء مصباحها الوهاج فإذا سواد عريض من قطمان الغم تتأبست في سيرها مقبلة كاللوج يدفع بمضه بعضاً ، وسطع له الضوء على مثل البحر من الصوف ، وملأت مسامحه الضجة من ثنائها ورونيين جلالها النحاسية وقممة أظلالها على أرض الطريق ... ثم أخذ الرعاة يزجرونها وينفقون بها يستحثونها للسير حتى حاذت السيارة فتبعثرت حولها وجعلت تحتك بها فلأت الجو من ربح أصوافها الكريهة ونشرت عليه سحابة من غبارها الخائض ...

وهندئذ انخبر جان ماري من حجر أمه ودنا من نافذة السيارة ففتحها ، وأخذ يلفو ويهلل ويهتف :

— الخراف ... الخراف ... إنها ولاشك مقبلة من جبال الألب ، جبال الثلوج والقياب ... أترينها بالنة حظيرتها الليلة يا أماه ؟

فصاح به لاماس وله زئير :

— هلا عقلت أيها الأحق الصغير ... فذلك ولهذا ؟

مهما خريطة الطريق فأمرت ابنتها أن يردھا الى السيارة ؛ فلما نزل الطفل ، وقع في أذنيه صوت صديقه مالميسيه ، وهو طفل أبله ، وكان يحدث لاساس فيسأله هذا الأخير :

— ماذا قالت لك ؟ تكلم وأوضح

فأجاب مالميسيه وهو يقطع ألفاظه :

— لقد أمرتني « ميون » أن أنتظر هناك

لأبلك أنه لم يأت اليوم أحد

— إذن قل لها إنى سأراها غداً في الساعة

الخامسة

فانتظر جان ماري حتى خرج النلام ثم دخل

فصاح به لاساس :

— ويحك ! ما الذى جاء بك ؟

فكان جوابه أن رى بالخريطة في السيارة ،

وانسل راجعاً ولم يتكلم

جلس الأستاذ لاساس يأكل طعامه ، وكان

موزع الفكر ، وحمل يرايح زوجته بنظرات

كنظرات الأعداء ، وهى غافلة عنه ، إذ كانت

كملتها منذ شهرين ، تهم في عالم الخيال تهنئاً

بسماتها ؛ وكان جان ماري يراقبه فيلاحظ منه تلك

النظرات التى تهدد سعادة أمه ، فيرتاع لها ويود

لو صرخ في وجهه : « أيها القاتل ... أيها القاتل »

وكان من عادة لاساس وهو مدرس علم التاريخ

في الديرية بمدينة أورانج ، أن يذهب الى تلك

المدينة لألقاء دروسه بعد الظهر من أيام الإثنين

والاربعاء والجمعة . أما يوم الثلاثاء فيقضيه هناك

في إعطاء الدروس الخاصة . فما الذى عاقه عن السفر

اليوم مع أنه يوم الثلاثاء ؟ لقد كاشف زوجته بنيتها

أن يخرج وإياها الى متنزه فلم تستجب له وذهبت

وكان الراعى قد أمام ذلك الحبل القتيل على يديه

كالطفل الصغير فانثى عنقه وتبدى رأسه في

مسكنة وذبول ... وانطبع هذا المنظر الخفيف

الهائل في خيال الأم وزاده هولاً فنظرها الى طفلها ،

فغلت تضمه إليها وتهدهده وهو ينشج في بكائه ؛

وضاق الأستاذ لاساس فصرخ :

— أما أن لك أن تسكت أيها اللعين !

فكانت الصرخة كالضرب ...

وسكت الطفل وأخذ يفكر ... إنه لا يجب

هذا الرجل الماقي وهو غريب عنه ، ولم يكن ليقول

له « يا أبي » لولا مراعاة أمه إليه ... كلا إنه لا يحبه

ولقد أصبح عنقه أشد الملت وبعده قاتلاً ككل

قاتل ... ألم تكن في قلبه رمة ؟ ألم يكن يستطيع

الانتظار حتى تجوز الغم ؟ ولم هذا الغضب ، ولم

هذه القسوة ، ولم هذا النظر الشرير ؟ ألا صبراً

صبراً ... فهو لم يبلغ السابعة بعد ... ولكنه

سوف يشب شبابه ، وسوف ينتقم ما ينتقم لذلك

الحبل ثم ... وأخذت الأفكار تتوحد في رأسه

وتضطرب وخيل إليه أنه هو تلك الفريسة ، وأن

السيارة مندفعة إليه تحطم أضلاعه وتدقه بعضه

في بعض ، فصاح من رعبه :

— يا للوحش ... يا للوحش !

وانحنى عليه أمه متفرقة وسألته عما به ،

فأجابها لعله كان يحلم ...

وانطلقت السيارة تحت الليل البارد حتى إذا

بلغت نهر الرون عبرته وانحدرت الى نهاية الرصعة ،

وهناك منزل لاساس ، فقال هذا الأخير لامراته :

— اصعدى أنت فأعدي المشاء وسأدخل

السيارة في حظيرتها

وصعدت المرأة في السلم ثم ذكرت أنها تركت

ستقضى الليل بجانب ذلك الرجل ذي العينين
المبدوتين ؟

وثب من سريره وفتح الباب ، ثم صعد السلم
يسرق خطاه حذرا أن يسمع خفق قدميه ، ومضى
يقترب من حجرة نفسها ، وكان الضوء يتخايل من
أسفل الباب

وأنتصت فلم يسمع حسا ، فراه هذا السكون ...
إنه خائف ، ولقد ارتجف ... يا الهي ! أما من كلمة
في فم أو في فمها ؟ كلمة واحدة يسمعه فيسكن إليها
وشق سمعه صوت أمه وهي تقول في حدة :

— ألم بأنك أن تخبرني ماذا بك ياكتورديان ؟
فأجابها لاماس إنه ليس بشيء ، ثم أطفأ النور
وعند ذلك اطمأن جان ماري على أنه فارتد إلى
غرفته ؛ بيد أن الأرق استولى عليه فلم يجد النوم
إليه سبيلا ، فأخذ يفكر في صديقه مالايسيه وفيما
أرسلته به الرضع المجوز ... ولماذا انتظر في
(الجراج) ولم يلق الرجل في المنزل ؟

ثم أشقت ملائكة النوم على هذا العقل الصغير
من الحى التي انتابته ، فتفتت على وجهه ، فأخذ
الكبرى بأجفانه ونام ... وارتفع في الخارج هدير
مياه النهر وهي تتلاطم على ضفته الصخرية ، ودفرت
في الفضاء روح الحمل المقتول ...

وفي النداء ذهب جان إلى المدرسة فجلس غائب
الفكر سهوما ، تلقى أمامه الدروس فلا يصحى إليها
ولا يفقه منها شيئا ... ولما انتهت الدراسة أوفض
إلى الميدان الذي تنود أن يقابل فيه صديقه مالايسيه
فالتقه حتى وجده ثم أطلقه بشيء خصه به ، وحبل
يتسقطه ليكشفه عن سره حتى أفضى به إليه ثم
تواطعا معاً على الكتمان

وأسرع جان بعد ذلك إلى المنزل فكان فيه

على خلاف عاداتها إلى المدرسة ، فصحبت ابنها عند
خروجه وجمعت ذلك عذرا تمتدح به ، ففضب
الرجل وقال : إن هذا عذر سخيف ... لكن لماذا
قال ذلك ؟ أه ... إن جان ماري قد بدأ يفهم ...
فبالقرب من المدرسة يقع منزل والدته الأول ...
منزلها الذي ولدت فيه وورثته عن أهلها وعاشت
فيه مع أبيه قبل أن يقتل في حادثة الطيارة ... إنه
يذكر هذا المنزل ... لقد كانوا ينزلون منه في طبقته
العليا ، وأبت أمه أنت تؤجره بعد وفاة أبيه ،
وراغمت في ذلك زوجها الجديد لاماس ؛ فجاء
هذا بالمجوز الدمية « ميون » وهي ظنُّه ،
فأسكنها في الطبقة الأرضية نكاية بأمراته ...

نعم إن جان ماري بدأ يفهم ... فليس من ريب
أن أمه إنما تصمت اليوم أن تمر بذلك المنزل لحاجة
قلها إلى الذكرى ... ولكن لماذا يقضب لاماس ؟
أليس هذا من حقها ؟ ولماذا يرامقها بتلك النظرات
الصدوء : إنه يكائدها منذ شهرين ... فلا جرم
أصبحت تندم على زواجها منه وإن كانت في حاجة
إلى هذا الزواج لرفقة حالها ... ولكن جان ماري
لن يكشفها عما يعلم أشفاقا عليها ... إنه رجل ، وإن
من واجبه أن يحجبها من ذلك الشق السفاح ...
الذي قتل الحمل ...

وجمع تحت المائدة قبضتيه الصغيرتين يهدد بهما
الرجل ويتوعدده ... !

أردت الأم ابنها في سريره ، وطبعت قلبها
على حببيته فأمسك بها وقال :

— إني أخاف عليك يا أمه ... أفلا تبقيين
معى يا طفلى الصغيرة ؟

تغففت من جأشه وخرجت من الغرفة بعد
أن أوصته بالنوم . ولكن أنسى أن يحض وأمه

وبهذا كان دائم التردد على منزلها . وكان الجميع يتهاونون به ويسخرون منه إلا صديقه جان ماري فبينهما الطوفولة والصداقة

والتقى هذان الطفلان كما اتفدا في الصباح ثم سارا الى دار ماليسيه وتربصا حتى دقت الساعة الخامسة فأسرعا الى موعد الأستاذ لاماس في منزل ظنره المعجوز ، وانسلوا اليه من باب خافي عهد مفتاحه الى ماليسيه لأطعام الدواجن ، ورأيا وسمعا ...

جلسوا للعشاء ، وكان جان ماري مرتبكا يود لو أسرعوا في الطعام مخافة أن يدرك لاماس شيئا من أمره ، أو يستريب به ، أو يسأله سؤالاً ينكشف فيه ... غير أن الأستاذ كان لاهيا بشأنه وبالأفكار التي تذهب وتجيء في رأسه . أما والدته فكانت كعادتها شاردة الفكر تلتقي في الخيال برجل قد عرف جان اسمه منذ ساعتين فقط ...

وفرغوا من الطعام وأوى جان الى فراشه ولم يحاول في هذه المرة استبقاء أمه الى جانبه ، فالحظر لا يزال بعيداً ولا يزال في الوقت سمة ، ثم هو في حاجة الى أن يتدبر ما رآه وما سمعه في منزله الظاهر المعجوز ...

كان يكن في الغرفة المجاورة ، وجعل يوصو من ثقب في الباب ، فرأى لاماس يدخل فيجلس بجانب المعجوز ، وحديثه فيما حدثته به أنها تسمع في كل ثلاثاء ديب خطوات في الطبقة العليا ، وأنه قد تبين لها أنها خطوات رجل وامرأة ... أما أمس فلم تسمع شيئا وقد أبلغته ذلك في لسان ما ليسيه فأوما لاماس برأسه وجعل يحدق في نيران الوقد كما كان يحدق في اللوزع الذي سقطت فيه التبننة ، وكما كان يراقب زوجته بالأمس ...

لوقت المعلوم ، ثم جاءت أمه في عقبه وكانت قد خرجت تتابع شيئا من الفاكهة ، فوضعت ما تحمل وأخذت تداعب ابنها وهو ينظر إليها في إعجاب .. لقد كانت جميلة في تلك الساعة فخرجت وجنتاها وشع السرور من عينيها ، وتهدلت خصل من شعرها الأسود الفاحم على جبينها المشرق الوضيء . وأردت أن تسوي شعرها فتناولت مثبتتها^(١) وفتحتها لتخرج منها المشط ولكنها نبت من يدها وانقلب ما فيها ، فلاحظ جان بين أشيائها مفتاحا وخطابا غفلا من العنوان ، قد علق به الفيار كأعما التقط من الأرض ... فاهوى ليأخذه ولكن أمه أمرعت فاخطفته وغيبته في حقيبتها وقد زاد احمرار وجهها

وفي تلك اللحظة انشق باب الغرفة وخرج منه لاماس مشتمكا مبتدلا تحفه العين ، فقال لزوجته في لهجة الرئاب :

— هل خرجت اليوم يا أنى ؟
وأجابته :

— كانت الخدامة مشغولة بإعداد الطعام فخرجت اشتري الفاكهة إني ذاهبة لأغير ملابسي فراجمة بعد هنية وأخذت ترتق السلم وقد حملت لاماس في اللوزع الذي سقطت فيه التبننة ...

كان ماليسيه في الماشرة من عمره ، وهو يتيم قد كفله خالته ، فكان الجيران يمتنون به في أعمالهم بشيء من الطعام أو قليل من المال

ولما كانت الرضع « ميمون » مقعدة لا تقوى على الحراك فقد استأجرتة هي أيضا في حاجتها .

(١) التبننة حشية يد المرأة

جملت الأيام تمر ووجهه يزداد في كل يوم شحوبا ، وتفضن جبينه من القلوب والفكر ، ولم تلحظ أمه هذا التغير الذي طارأ عليه فقد شغلها عنه سمادتها وأحلامها ، وكانت تخرج كل صباح ... إنها هي لاتعلم ولا تتحذر ، ولكن جان ماري موجود يتأهب ليوم الثلاثاء ...

وجاء اليوم الموعد فكان ما ليس به صديق جان متكتئا الى دراجته على مقربة من مناجم الفحم ، ولبت يترقب خروج دوبيناس حتى رآه مقبلا فأسرع اليه وقال له في كلامه المتقطع :

— أصرتنى عقيلة الأستاذ لأماس أن أحمل اليك رسالتها فهي تريد ألا تلقاها اليوم وأن تبق هنا عجب دوبيناس وحار في هذه الرسالة وفي الفرض منها . ألم تجد غير هذا الأبله فتأخذه على السر ؟ وما بالها لم تكتب اليه بذلك ، وقد فعلت هذا من قبل ، يوم الثلاثاء الماضي ؟

ومنمنته بلاهة الفلام أن يستقصي منه ، فألقى اليه بقطعة من النقد واكتفى بسؤاله : أي مرضة ؟ فمز الفلام رأسه بلاملة النقي ، أو ما بها وهو يتعطي الدراجة ثم اندفع يدرج في الطريق وقد اطمانت نفسه إذ وفق فيها عهد اليه

والتقى عند الظهر بجان ماري فأخبره عما صنع ؛ وتهلل جان وسره فنفذ بتديره المحكم ... ثم وعد الفلام أن يجزيه عشرة فرنكات إن هو كتم السر وتقسمت سحابة وجهه فتلونت وجنتاه ولامت عيناه ، ورنرت في صوته نغات القلب المطمان والواثق ... إنه سيذهب الآن فيتحدث الى أمه ويكشفها

ها هي ذي خارجة من غرفتها وقد تهيأت

إنها والله نظرات يفل بها الدم في عروق جان ماري السكين فيفزع في فراشه كلما عثلها ...

وتبصر من هو كسافييه دوبيناس الذي جاء اسمه في حديثهما ؟ كسافييه ... كسافييه ؟ آه ! لقد تذكره الآن ... فهو شاب مهندس جبل المنظر حسن الشكل ، يعمل في مناجم الفحم بالمدينة ؛ وقد عرفته أمه في السنة الماضية على شاطئ البحر ، وكانت تستر اذا خرجت معه وتماذر أن يراها زوجها فلم يرها . أما « ميون » فمجاز مقصدة لا تبرح مكانها ، فكيف سقط لها هذا الخبر ، ومن أين لها أن كسافييه هو الرجل الذي يجتمع بأمه في الطبقة العليا كل ثلاثاء ! لهم يظنون ظنا فقط ... ولكن لأماس كان يقول للمجوز ويكرر هذا القول :

— إلى واثق من أنه هو بعينه . انه هو بعينه الرجل

وكذلك سر في الحديث نبأ خروج أمه في الأيام الأخيرة كل صباح وتلقيها الرسائل تدس لها تحت الباب ... ثم قال لأماس

— سوف أتحذ مفتاحا آخر لهذا الباب ، وسوف أنصب عليها انصبايا في الثلاثاء القادم وسترين كيف يكون الانتقام ...

الانتقام ... يا إلهي ! إن حياة أمه كالمعلقة في خيط دقيق ... ماهذه الحلي ؟ إنه يهذي ... هاهوذا لأماس ينصب عليه انصبايا ليأخذه فيقتله ...

ثم أخذ يصيح في فراشه ففزعت أمه وأسرعت إليه ، ولكنه استمسك ولم يفيض إليها بشيء إذ لا يجب في رأيه أن تعرف هذه المريضة ما يتهددها بحشية أن يفضحها اضطرابها ... وهو وحده سوف يحمها ويمنعها

واستلّ جان ماري المفتاح من موضعه فدسه في جيبه وانطلق مملئاً أنه ذاهب الى المدرسة ؟ غير أنه ما كاد يتمدد عن الباب حتى تحول الريكان الموعد في منزل أمه فصعد الى الطبقة العليا وأفاق عليه الباب ...

لقد كان هذا المنزل موحشاً كالقبر ، فهو ملاق التوافد علاؤه الظلام وقد ركذ فيه الهواء وتلخّن إذمازجته رائحة النبار المتراكم وقد تندبى بالرطوبة ! ارتسب الطفل وانخلع قلبه وأخذ يرتجف ... ولكن أيخف وقد أشرف على نهاية تدييره الحكم ؟ كلا ... إن ما يخشاه على نفسه لا يعد شيئاً في جنب ما يخشاه على أمه .

ودخل الى البهو فجلس في ركن منه وأخذ يتلغى بالتفكير في المجوز ميون تحت السقف الذي هو عليه ... كيف هي الآن ؟ إنها تعد عنقها الهزيل وترفع وجهها الى السقف ، وترهف أذنيها لاستراق السمع ... ولكنه سوف يحمل من هذه الداهية ومن رضيعها لأماس أنحوكة أو أنحوكتين ...

وكان ينظر في ساعته بين الوقت والوقت على ضوء شمع ضئيل ينفذ من صدع في نافذة ، فلما حانت الساعة الثالثة ، وهي ساعة الموعد بين أمه وصاحبها ، نهض واقفاً وأنشأ يسير في الغرفة ذهاباً وجيئة وهو يشد وطأه كالرجل ، ثم جمل يحرك الأثاث ويرجه رجاً ليبلغ الصوت إلى مسمي المجوز ... الا شك أنها مستطارة من الفرح ، مطمئنة إلى ما تقوله للأستاذ لأماس إذ تقول له « إنها هنا ؟ ولا شك أنه سيئب في السلم كالجنون ويفتح الباب بالمفتاح الذي اصطنعه ، ثم يقتحم البهو كالوحش الضاري ، وعند ذلك ... ؟ عند ذلك

للموعد وأبدعت زينتها ... ما أجهلها ... ويا لها من مسكينة ! فهو سيحرمها مقابلة صديقتها اليوم ... ولكن أليس هذا الحرمان عطاء ؟ يوم واحد ثم تقابله بعد ذلك كل يوم ... إنه سيكاشفها غداً ويقضى اليها بكل ما عانى في سبيلها ، وستمدّه بطلها العظيم وتمجّب به وتقيله كثيراً ... يا لها من مسعدة ! إنه سعيد ، إنه سعيد ...

جلسا بأكلان فقال جان لأمه وقد حوّل نظره عنها :

— لقيت اليوم صديق مالمسيه في رجوعي من المدرسة وكنت قد أعمرته دراجتي فأخبرني أنه صادف أثناء زهرته هذا السيد الذي تعرفته ... أتدكرين ؟ هذا الذي قابلناه على شاطئ البحر ... ؟ فاختنق صوت الأم وغتممت :

— وماذا قال له ؟

قال له : « إني على جناح السفر الى بلدة سالون فيلّخ ذلك لعقيلة لأماس »

ولم تشأ الأم أن تفيض أو تسكّر من الأسئلة ، فان كل سؤال يحرك ظناً وكل ظن يبعث ريبة ، فسكتت ورفقت يدها من الطعام ، وانقلبت سحنتها فأصبحت كالنجم الناطع تشبّاه السحاب ثم قطع جان ماري هذا السكوت فقال لأمه :

— هل لك في زيارة عمي الآنسة ريزون اليوم ؟ لقد تصرّمت الأيام ولم تذهبي اليها ...

وسرت الأم لهذه الفكرة التي خطرت كالوحش ، فهي لم تذهب منذ زمن طويل لزيارة تلك العائنة ... وسهبون ذلك عليها ملل الانتظار الى الغد ؟ وفي الغد تقابل صديقتها في المناجم



الصمت

للكاتب الروسي ليونيد أندرييف

بقلم الأستاذ عبد الرحمن صديقي

- ما فساكا كليكا !

قالت ذلك بصوت
وئيد مع التشديد أبلغ
التشديد على « كليكا » .

وقد قلص وجهها المتنفخ
المتحن بأمارات من الألم
والغنت ، وكأنها أرادت
أن تفصح بسببها
وأمارات غيهاها عن مبلغ
مانعاني من قسوة القوم :
زوجها وابنتها .

وأرسل الأب إجناتي
خمسكة ونهض . ثم أطبق
كتابه وخلع عدساته
ودسها في علبتها وأطال
التفكير مكتنبا وقد

القصة الروسية من أحق القصص بالإنابة ، وذلك
للاطباع الذي انفردت به ، وللإنسانية العالية التي تشتمل
عليها ، ولأنها طبيعية صادقة ، ولتأثيرها العميق
واستثارته للمواطن ، واخيراً لما فيها من الدلالة على
نفسية الشعب الروسي

وصاحبا ليونيد أندرييف من أقرب القصاصين
الروس الكبار عهداً إلينا . وهو ينظر إلى الأشياء
على نحو خاص به ، ويصورها بلسان قوية من ريشته
المتفحلة تظهر النور والظل بأكثر أجسامها وأبلغ
تأثيرها

وفي كل قصة من قصصه فكرة مجردة يحرك حولها
الأشخاص والحوادث ، وهو مع حوله يحفظ التوازن
ويشرك بأنه ليس في الدنيا حرب بحث ولا خير محض
وأندرييف كعظم معاصريه من القصاصين
والكتاب نفا من طبقة الشعب وعرف الضيق والجوع
وابتلى بالكتابة والألم . وقد تخرج في القانون
واشتغل أول أمره بالرسم ثم بالصناعة ، ولكنه
لم يكد ينصر على الخاس قصة « الصمت » حتى كانت
له منها نباهة الذكر والمهرة الثابتة . وهي مثال رائع
على طريفته في كتابة القصة

- ١ -

في ليلة من ليالي أيار
مقمرة إخصيائية ، والبلابل
في القمراء تلعلع شادية
مشجية ، أقبلت أولجا
ستبانوفنا على زوجها
الأب إجناتي وهو جالس
إلى مكتبته . وكانت
أسارير وجهها ناطقة
بألم الحزن وأوجعه ،
والسراج في يدها مهتز
مرتجف . فلما دانت لست
براحتها منكبه وقالت
مختنقة الصوت مجمشة :
- أبتاه ، لنصعد

إلى ابنتنا فيروتسكا !

استرسلت على صدره أجل استرسال لحسية جثة
وخطها المشيب ، وكانت تملو وتهبط في هواده
مع أنفاسه المتلججة العميقة

وبعد هنيهة قال : « حسن . نذهب »

فهب أولجا واقفة . وقالت تناسده بصوت

فتعجب الأب إجناتي وقلب حاجبيه من فوق
عدساته دون أن يلتفت إليها . وظل شاخصاً يبقصره
في الفضاء طويلاً حتى أسقط في يدها ، فقلبت
كفها الأخرى تقلب المهوم الجزع ، وتهالكت
على أريكة خفيفة هناك وقالت :

ولكن فيروتشكا ما برحت صامتة . وحيا لها
الأب إجناتي يوال مسح لحيته في تحفظ ظاهر
كأنما يخشى أن تنالها بالنتف أصابعه المضطربة من
حيث لا يشعر . ومضى في حديثه يقول :

— خالفت مشيتي وذهبت الى بتروغراد —
فهل لمنتك على غالفتك ؟ أكنت يوماً عليك
بالل ضئيتا ؟ أتقولين اني لم أك برآ بك حديثاً
عليك ؟ إذن ، لم لا تتكلمين ؟ انظري ، أي خير
أصبت من بتروغراد !

واقطع الأب إجناتي عن الكلام فجأة ، وتمثل
كالملين خاطره بناءً من الجوانيت هائل
رهيب ، حافل بأخطار راسدة كامنة ، مكتظ بخناق
غريبة أطوارهم ، جاسية مشاعريهم . وهنا ذهبت
فيروتشكا وحيدة ضميعة ، وهنا كانت تلفها
وضياعها ، فجاشت في نفس الأب إجناتي نقمة على
تلك المدينة المائلة الغامضة ، تشوبها النقمة على
ابنته ، وهي ما فتئت صامتة ، صامتة في تشبث وعناد
أما فيروتشكا فأجابته بحفاء وهي مطبقة جفنتها :
— لا دخل ألبنة لبتروغراد فيما أنا فيه . على
أنه لا شيء بي ، والأولى أنت تذهب للنوم ،
فالساعة متأخرة

فأنت الأم : فيروتشكا ! إطمئي إلى يسر ريتك
يا بنتي !

فقاطعتها فيروتشكا نافذة الصبر : كفي يا أمي !
وجلس الأب إجناتي على مقعد وجعل يضحك ،
ثم قال متهاك : « حسن والله ! ليس في الأمر شيء
بمد هذا كله ؟

فأجابت فيروتشكا بلهجة حادة : وقد أقامت
صمدتها واستوفزت في فراشها :

— أبت ! أنت تعلم حي لك ولأخي ، ولكي
إنما أشعر بمحمود شديد ، وسيزول هذا كله ..

متوجس متزلف : « وإنما رجائي اليك يا أبناء ألا
تنمئها . أنت تعرف طباعها »

وكانت غرفة فيروتشكا على سطح المنزل ،
والدرج المؤدى إليها خشبي ضيق ؛ فكان ينبخ
وبصر تحت أقدام الأب إجناتي وخطاه الثقيلة ،
وقد اضطر الرجل لطول قامته وعظم جرمه أن
ينحني حتى لا تصطدم هامته بسقف السلم ، وكانت
زوجته تنقده في ثوبها الأبيض فلمس رذنها وجهه
فانقبضت أساريره وعبس متمللاً متبرماً . وولج
الترقة وهو على تمام اليقين بأنهما في حديثهما مع
فيرا ابنتهما لن يخرجاً بطلائ

وقالت فيرا : « يا الله ! هذان أنتما ؟ » ورفقت
إلى عينيها ذراعاً عارية وبقيت ذراعها الأخرى على
الصحاف الصيفي الأبيض بحيث يتصدر التميز بينهما
لفرط بياض ذراعها وشفوف لونها وبرودة مجسها
فأبتدتها الأم بتندأها : « فيروتشكا ! »
وخففتها العبرة فسكت . وقال الأب إجناتي وهو
يحاول للتلطيف من جفاء صوته وخشونته :

— فيرا ! خبرينا ماذا بك ؟

فظلت فيروتشكا صامتة

وعاود الأب إجناتي خطابه : « فيرا ! أترين
أمك وأنا غير أهل لمتاجاننا بأمرك والاستراحة الينا
بذات صدرك ؟ ألسنا نحبك ؟ وهل لك من هم
أقرب إليك وأمس بك منا ؟ بي إلينا شجوك
وصديقي أنا الشيخ المحرب أنك واجدة بمدى
بعض الراحة ، وكذلك نحن . انظري إلى أمك
المجوز وكيف عذابها ... فيروتشكا ! .. وأنا
— وهنا تهديد صوته كأنما انشعب شيء فيه
شظيرين — وأنا ، أيهون علي ، تحسبينه يهون ؟
سر كافي لست أبصرك نهب لوعة ... ولكن ما هي ؟
وأنا ، أبوك ، على جهل بها ، أصبح هذا ؟

فأنها في ذلك المساء ألفت بنفسها تحت عجلات
القطار فشطرها نصفين

وقام الأب إجناتي نفسه بدفنها ، ولم تكتمه
زوجته حفلة الصلاة عليها في الكنيسة ، لأن نبي
فيروتشكا كان صدمة لها أصابها بالفالج . ففقدت
كل حراك لقدمها وذراعها ولسانها . فقيت
طريحة في غرفة محجوبة الضوء ، وعلى مقربة منها
تدق الأجراس في القسب ممولاة نادية ، وإنها
لنسمع موكب الجناز خارجا من الكنيسة وتسمع
الرتلين ينشدون في مرورهم أمام المنزل ؛ ولقد همت
لترفع يدها وترسم إشارة الصليب فلم تطاوعها
يدها . وأرادت أن تقول : « الوداع يا فيروتشكا »
ولكن لسانها لصب في فمها هامدا مورما ثقيلًا .
وهكذا كانت طريحة بلا حراك حتى ليحسها الرائي

حاجة في نفقة الكرى لولا عيناها المفتوحتان
وشهد صلاة الجناز في الكنيسة جمع حافل من
معارف الأب إجناتي والنوابه عنه . وكلهم مترحم
على فيروتشكا متوجع لمصرعها ، وهم في نفس
الوقت يتنبهون حركات الأب إجناتي ونبرات
صوته ليستدلوا بها على حزن عميق وجوى لا عجز .
إذ كانوا في قرارة نفوسهم لا يحبون القس لسانه
خلقه من تعجبية وعجرفة ، ولشدته وصرامته مع
التائبين اللينيين على يديه ، فضلا عن أنه حسود
جشع لا تفوه فرصة يتقاضى فيها هذا أو ذاك من
أهل دائرته أكثر من حقه . فالكل هنا يودون
التشفي برؤيته متألما كبيرا ، ويودون أن يروا
إقراره على نفسه بأن مصرع الفتاة ركبته منه إثم
مضاعف ، باعتباره أباً فظا غليظ الطبع ، وبصفته
قساً ظهر معجزة عن وقاية لجه ودمه وفلذة كبده من
الخطيئة . ولذلك أمنتوا في ملاحظته وانتطلع إليه ،

والحق أنه أولى لسكا الذهاب للنوم ، وإنى لراغبة
فيه أبها . غدا أو في حين آخر ، سيكون لنا
متسع للحدث

فهب الأب إجناتي دفعة حتى أرتج مقعده
وصدم الحائط وراءه ، وأخذ بذراع زوجته قائلاً :
« لنذهب »

فأنت هذه : « فيروتشكا . . . »

فصاح بها الأب إجناتي : قلت لك فلنذهب .
وإذا كانت قد نسيت الله ، فهل نساها مثلها ! ولماذا
واحتديها للخروج في شيء من العنوة والقسر .
وكانت وهما يهبطان السلم تجر أقدامها جراً يزداد
تنافلاً وراخيا . وغنمعت في همسة منفضية : أف منك !
أنت أيها القس الذي جعلتها كذلك ، وعنتك دون
سواك أخذت هذا الطبع . وإنك لستول عنه .
آه ياربى ، ما أنسى !

وجملت تولول وكفة الدمع مطروفة الجفن حتى
لم تمتد بتبين مواقع خطاها ، بل كانت تاذرة قدسها تهبط
الدرج كأنما تنساقط إلى هاوية ترغب في التردى فيها
ومن ذلك الحين صحت عزيمة الأب إجناتي ألا
يكلم ابنته . وكأنما لم تفلح الابنة الى هذا التغير
منه ، وظلت كهمدها تضطجع آونة في غرفتها
وآونة تمتد الى المخرج . وكانت كثيرا ما تمسح
بالراحتين مينيها كأن عليهما غشاوة . ولكن صمت
الأب وابنته كان يشغل على الأم ويكرهها ، فباتت
وهي بالأمس المولمة بالزراح والضحك أبعد أهل
الأرض عنهما ، فتراها ذاهلة متقبضة لا تكاد
تعرف ماذا تقول أو ماذا تفعل

فلما إن فيروتشكا تخرج أحيانا للتشمس والتنزه
حدث بعد أسبوع من القابلة الآفنة الذكر أن
خرجت خروجها المعتاد كل مساء . وشاء القدر
ألا يراها أبواها من بعد حية ينهما رائحة أو غاذية ،

نظيف مرتب والمقاعد الكبيرة مسربة في أعطيها
البيضاء كأنها الموتى في أكفانها . وفي إحدى
التوافد قفص معلق ولكنه خاو وبابه مفتوح .
وحين ذاك نادى الأب إجناتي : « نستاسيا ! » فبدأ
له أن صوته أجش ، وأحسن أنه يسيء صنعا بميد
جنازة ابنته أن يرفع الصوت الى هذا الحد في تلك
الحجرات المهادنة ، فماود النداء بصوت أكثر
تلطفا وخفوتا : « نستاسيا ! أين الكناري ؟ »
فأقبلت الطاهية وأنفها من كثرة التعجب

ممتنع وارم ولونه قائم كالجزر
وأجابت بجفاء : — لا أدري . لقد طار
فقطب الأب إجناتي حاجبيه مضطربا ،
وصاح بها : « وكيف تركته بطير ؟ »
فأجهشت تبكي وتوسع دموعها بذوائب التندبل
المصوب به رأسها . وقالت :
— إنه الروح الجميلة المزنة لسيدتي الصغيرة
الراحلة ، فكيف لي بحبسه ؟

وخيل الى الأب إجناتي نفسه أن الكناري
الصغير القابع اللون السميد الذي كان دأبه التفريد
شائكا برأسه قد كان حقيقة روح فيروتشكا ، وأنه
لو لم يطر الكناري لما صبح القول بموت فيروتشكا ،
فاشدت على الطاهية ثقتها وصرخ بها :

— اغربي عن وجهي !
ولما لم تبادر نوا الى الباب زاد قائلا : « مجنونة ! »

— ٢ —

ومنذ يوم الجنازة والصمت غيم على البيت .
وليس المراد بالصمت هنا السكون ، فان السكون
إنما هو عدم الجلبة . وأما هنا فالصمت معناه
أن الذين التزموا الصمت لا جرم في مقدورهم
الكلام إذا شاءوا . وهذا ما يقع في نفس الأب
إجناتي حين يلج غرفة زوجته فيلاق نظرهما

ولكنه وقد آنس أن أنظارهم الى كاهله المريض
الضليع يلتصقون انحناء تحت ورق القادحة — لم
يأل جهدا في نصب قائمته وإقامة صعدته . فكان
في تلك الساعة أقل تفكيراً في الابنة الفقيدة منه
في صيانة كرامته

فألقى كرزنوف : « قس صمدت على التمزقناه
وصلب على المعجم عوده » وكرزنوف هذا نجار يدين
القس بثمان بضع الأطر . ولقد شفع ملاحظته
بنفسه بالرأس الى جهته

وعلى هذه الحال من رباطة الجأش واستقامة
الشلطاس سار الأب إجناتي الى اللدني ، وعلى هذه
الحال نفسها عاد منه ، حتى إذا كان عند باب غرفة
زوجته انحنى كاهله قليلا ، ولعل هذا راجع الى أن
ارتفاع الباب دون قائمته . ولما كان قادما من وضع
النور لم يتبين وجه زوجته عند دخوله عليها ،
فلما أن تبينه وجدها هادئة ، وأنه لأدفع في عينيها ؟
وليس بهما ثقمة ولا حزن . فهما خرساوان
سامتتان صمت ألم وعناد ، وكذلك جسمها
البدن المترخي المرتكن الى حاجز الفراش
فسألها : والآن ، لماذا ؟ كيف حالك ؟

ولكن شفتيها خرساوان وعينيها صامتتان .
فوضع الأب إجناتي راحته على جبينها ؟ فإذا هو
خمر رطب ، ولم يبد من أوجها سباقنا أدنى دلالة
على أنها أحست لسته . فلما أن رفع راحته عن
جبينها كانت عيناان غائرتان سوداوان تشخصان اليه
دون أن يطرף لها هذب ، وتكاد تكون الحدقة
منهما كلها فاحة بسبب تمدد انسانيهما ، ولم يكن
فيهما حزن ولا ثقمة

فغمض الأب إجناتي ، وقد بردت أطرافه
وارتدت فرائضه : « حسن ، أما ذاهب الى غرفتي ؟ »
واجتاز قاعة الاستقبال حيث كل شيء كمدته

في المنزل حتى ليخيل أن في الامكان جماعه . واستمرت الحال على هذا النوال فوق في نفس الأب اجناني أنه يسمع الصمت .

وكان الأب اجناني في كل صباح بمد القربان القدس يقصد الى قاعة الجلوس فيأخذ بصره في لحة واحدة قصص الكناري الحاي وسائر الأثاث في ترتيبه المهود . فيجلس في أحد المقاعد الكبيرة ويطبق جفنيه ويستمع الى صمت المنزل . وكان أمراً عجباً . فالفص صامت في وداعة ولطف . والامس والدموع والضحك الطاعن الفقيدي جميعاً يأنسها الرجل في هذا الصمت . وكان صمت الروجة مع قيام الجدران دونه لا يزال عنيداً ثقيلاً عليه كالصا ص - ومرعباً ، مرعباً حتى ليأخذه برد المقرر في أشد الأيام حمارة قبط . أما الالته فكان صمتها لا آخر له ، بإدراك كالفير ، فامضاً كالوت . ثم كان الصمت كأنما يشق بنفسه ، وكأنما يتألف على التحول الى نطق ، لولا أن شيئاً له قوة الآلة وجودها يحسك عن الحراك ويعد كامتداد السلك . وإذا السلك من مكان بعيد لا يعرفه على وجه التحديد يهتز ويصدر عنه صوت ناعم خافت جنون فتحتز الأب اجناني الرغبة تشوبها الرغبة على تسقط بادرة هذا الصوت فيشد بكفيه على جانبي المقعد ويعد رأسه متسمماً مترقباً بلوغ الصوت اليه ، ولكن الصوت ينقطع وينطوي في غمرة الصمت وهنا يهتف الأب اجناني وقد ركب الغضب : « عبث باطل وأضاث أحلام » . وبهت من مقدمه مديد الشطاط ناصب القامة كهده على الدوام .

وكانت نافذة القاعة تشرى على ساحة السوق السابجة في ضح الشمس . والساحة مرصوفة بمحجارة مصقولة الأطراف عمدة . وفي الناحية الأخرى

الشاحصة ثقيلة حتى لكأنما استجبال هواء الغرفة رصاصاً يحرق رأسه وينقض ظهره . وهذا ما يقع في نفسه حين يتأمل معزف ابنته الذي انطبع عليه صوتها ، وحين يتأمل كتبها وصورتها - وهي صورة مرسومة بالألوان جاءت بها معها من بتروغراد . ولقد نما في نظره الى صورتها نحواً خاصاً .

فهو يتطلع أول الأمر الى جيدها حيث مسقط الضوء في الصورة فيخيل إليه أنب عليه خدشاً كالذي كان على جيد فيروتشكا البيت ، وإنه اني حيرة من أمر هذا الخدش ومنشئه ، وفي كل مرة يعمل الفكر للاهتداء الى سببه وعلته . فلأن القطار هو الذي صدمها في هذا الموضع فشم رأسها بأكله ، ورأس فيرا الميتة سليم كل السلامة .

أترى بعضهم داس عليها بقدمه وهم يحملون الجثة الى التزل ، أم أنه أثر ظفر خدشها من غير قصد ؟

ولكن إطالة التفكير في تفصيل مصرعها كان يشق على الأب اجناني وبروعه ، فيتحول عندها الى تأمل عينيها في الصورة ، وهما سوداوان نجالوان أهدابهما اللطفاء تلتقي تحتها ظللاً وريقاً فيزداد بياض القلطين نسوعاً وتبدو عيناها كأنما يحوطهما إطاران كالأطر السود المجلة بالحداد . وقد جعل لها الرسام المجهول - وهو لا شك من الفنانين الموهوبين - معنى غريباً يخيل الى الرأي أن بين هاتين العينين وبين ما تقمان عليه غشاء رقيقاً شفيفاً فهي تذكرنا بغطاء معزف البيانواللامع السوداء تملوه من غبار الصيف غشاوة خفيفة لا تكاد تبين ، وهي على خفافها تنكد من لآلاء الخشب الجلو . وكان الأب اجناني حيناً وضع الصورة تتابعه عيناها غير ناظقتين بل هما أبداً صامتتان . وبان الصمت

واذ ذاك سبب الأب اجتناني من فراشه ، وبسط يديه مضمومتين مما في توسل وضراعة مناديا : « فيروتشكا ! » .

ولا من يجيب الا الصمت .

وفي ذات مساء قصد الأب اجتناني إلى غرفة أولجا استبناشنا زوجته بعد انقطاعه عنها زهاء أسبوع وجلس عند فراشها وهو مشيح بوجهه عن ناظرها الشخصيتين الفاجعين ، وقال :

— أيتها الأم ! أريد التحدث معك عن فيروتشكا . أتسمعين ؟

ولكن ناظرها صامتتان . فرغ الأب اجتناني عقبرته ، واشتد — مثل شدته مع المترفين — في خطابها :

— أعرف أنك تمددني للتسبب في مصرع فيروتشكا . ولكن ، هلا ! أكنت أقل منك حبا لها ؟ إنك لغريبة الرأي — لقد كنت متشددا ، فهل حال ذلك بينها وبين ما شابت ؟ لقد تناضيت عمالي عليها وأنا أبوها من حق الاعتبار ، فطأطأت صاغرا حين ارتحلت — غير حافلة باستئصال لمتني — إلى هناك ، وأنت — أيتها الأم — ألم تضرعي إليها باكية تناشديها البقاء ، حتى أمرتك أن تكفي ؟ أمسئول أنا من أنها ولدت قاسية القلب ؟ ألم أعلمها ما يبني علمه عن الله والطاعة والحب ؟

والتي الأب اجتناني لمة على ناظره زوجته الشاخصين ثم أشاح مستأنفا :

— ما ذا كنت صانعا معها وقد أوصدت دوني مغاليق صدرها وأبت الكشف لي عن شجوها . أكنت أمرها ؟ لقد أمرتها . أكنت أستعطفها ؟ لقد استعطفتها . ماذا ؟ أثبت أنه كان على أن أخرج على قدمي الصبية الخرجوب راكما وأنتحب كالرأه المجوز ؟ ما الذي قام بعقلها ، ومن أين أصابها

سور حجري ممدود لا نوافذ له لأحد غنازن البضاعة . وكانت في الركن مركبة واقفة كأنها نُسب من الطين قائم ، وكان غير مفهوم سبب وقوفها هناك دوامكع أن الساعات الطويلة تنقضي ولا يظهر عابر واحد في هذه الطريق .

كان على الأب اجتناني خارج البيت أن يتحدث إلى الكتيرين : مع مرءوسيه من رجال الدين ، ومع السكان في دارته الكنسية أثناء قيامه بفرائضه ، وأحيانا مع مفارقه يحاورهم فيها هو مأور ومستعجب . ولكنه حين يؤوب ويحتويه غرفته كان ينجيل إليه أنه قضى سحابة نهارة صامتة . وذلك لأنه ما كان ليتحدث إلى واحد من هؤلاء عن المسألة التي هي عنده أم المسائل وأعمها والتي تهيج كل ليلة بلابله وتلمج خاطره : فيم ميتة فيروتشكا ؟

وقد أبى الأب اجتناني التسليم بينه وبين نفسه باستحالة حل هذه المعضلة ولم يزل على اعتقاده بإمكان كشفها وجلاء غامضها .

فكان يحكي لياليه مسهدا تماوده كل ليلة ذكرى اللحظة التي وقف فيها وزوجته في جوف الليل إلى فراش فيروتشكا وهو يستعطفها ويسوق إليها الرجاء أن « تكلمي » . فإذا بلغت به الذكرى إلى هذه الكلمة تمثلت له بقية المشهد على خلاف ما وقع . ولقد حفظت عيناه الغمضتان في ظلالهما صورة حية لا لبس بها من تلك الليلة ، فهما تتمثلان في جلاء فيروتشكا تستوفز في فراشها وتقول مبتسمة ... ولكن ماذا قالت ؟

إن تلك الكلمة التي لم تلفظها ، والتي بها جلاء المعضلة كلها ، تلك الكلمة تخيل له قرية ، جد دانية . فلو أنه يهبط صممه ويسكت خفقان قلبه ، إذن — إذن لسمعا على أنها كانت في الوقت نفسه نازحة نائمة بلاحد ولا أمل .

انبعثت من الألواح البكتسية بها الجدران ومن
الأثاث وسائر ما بالغرفة زيج كريح المطن والأعمال
وكانت الفئراء تتخلل زجاج النافذة وتنبسط
على أرض الغرفة كشرط وضاء ، وكانت المناخيد
بطلانها الأبيض الناصع تمكسها فينير أركان الغرفة
منها نور كليل شمعاني . ويبدو الفراش الأبيض
النظيف وعليه وسادتان كبيرى وصغرى كأنه شبح
من عالم الأطفال . وفتح الأب إجناتى النافذة
فاندفع الى داخل الغرفة تيار من الهواء النقي ،
يستروح السائف في أردانه تراب النهر المجاور وعبق
الزيفونة الزهرة ، ويحمل الى التسمع المصغى نشيداً
خفيفاً لملك لقوم في قارب على النهر يجدفون ، وفي
يجدفهم ينشدون

وخطا الأب إجناتى عارى القدمين كأنه الطيف
لا يحدث صوتاً ، ودنا من الفراش الخاوى وخرَّ
مكباً على وجهه فوق الوسائد يضمها — حيث
لا محالة كانت تضع فيروتشكا وجهها

وظل على هذه الحال طويلاً . وتعالى الشبهيدى
التحارج ، ثم أخذ ينخفض حتى لم يمد مسموعاً ،
والأب إجناتى لا يزال في مكانه ، وشعره المزسل
مشمت مهدل على كتفيه وعلى الفراش
ودلف القمر في مسراه ، فأظلمت الغرفة

واحولكت ، ورفع الأب إجناتى رأسه ونادى
بصوت أفرغ فيه كل حبه الذى أطال كبته وكظمه
بلايت ولا تصريح . وكان وهو ينادى ينضت
لما يقول ، وكأن النضت ليس هو وإنما هي فيرا
— فيرا ، يا ابنتى ! أدركين معنى ابنتى ؟

يا بنيتى ! مهجنى ادى احياتى !
هذا أبوك ، أبوك الشيخ المسكين وقد علاه
الشيب وخذلت القوى

واتفضض منكباء وسرت الرجفة في جنبه

ما أصابها ، لست أدري . يا لها ابنة عاقلة لاقبل لها !
ودق الأب إجناتى على ركبتيه بجمع يديه
— لقد تجردت من الحب — هو ذاك . وأنا
على علم بما كانت تصغى به : مستبد غشوم . وأنت
كانت تحبك ، أليس كذلك ؟ أنت التى بكيت ،
و... تذلت ؟

وشبك الأب إجناتى شخصه خافتة
— تحبك ! بلى والله ، وترويحاً عنك لقد
اختارت هذه الليثة ميثمة شنيعة شائنة إغاثت على
القضض والحصى المفروشة به السكة الحديدية ،
ماتت على الأقدار — كالكلب جدلت به رفقة
بالنمل على خطمه

وغنم الأب إجناتى بصوت هامس أبج :
— ما أشد خزي ! إنه ليتولانى الخزى إذا
خرجت الى الطريق ! ليتولانى إذا خرجت من
الحراب ، ليتولانى أمام الله يا لك ابنة قاسية خسيصة !
إنك لتستحقين اللعنة في قبرك

وألقى الأب إجناتى على زوجته نظرة ثانية ،
فاذا هي منمشى عليها ، ولم تقف من غشيتها إلا بعد
ساعات . ولما أفاقت كانت عينها صامتين ليس
فيهما ما يدل على أنها فقهت مقال الأب إجناتى لها
أو لم تفقه منه شيئاً

وفي تلك الليلة ، وكانت من ليالى تموز مقمرة
ساحية دافئة ينجيم السكون عليها ، قام الأب إجناتى
يدب على أطراف قدميه حتى لا تسمعه الزوجة
ولا تمرضها ، وصعد السلم إلى غرفة فيروتشكا .
وكانت نافذتها من عهد وفاة ابنته لم تفتح فكان في
جوها حرارة وجفاف تشوبهما رائحة احتراق
خفيفة من حديد السقف المستهدف طوال النهار
لوقدة الشمس . وكان إحساس الوحشة والأقواء
نجماً على الغرفة التى طالت غيبة الانسان عنها ، وقد

— تكلمى !

فكان جوابه الصمت

في اليوم التالى تناول الأب إجناتى غذاءه على انفراد مبكراً ، ثم أخذ سمته إلى المدفن لأول مرة بعد وفاة ابنته . وكان المدفن موسداً مهجوراً لا تحس فيه نامة ، حتى لكان النهار القاطن في هدوئه ليلة مشمسة . على أن الأب إجناتى كدأ به نصب قامته مجاهداً ، وأدار بصره من جانب لآخر بحفوة وصرامة ، وهو يزعم أنه كمهدد نفسه . ولم يفتن إلى التخاذل الطارئ الفظيع يفت في ساقبه وإلى لحيته المسترسلة قد اشتملت شيئاً كانما أصابها صقيع هتون . وكانت الطريق الى المدفن طويلة مستقيمة آخذة في ارتفاع لطيف الرقنق ، وفي نهايتها باب المدفن من خشب الزفون يظله سقف أبيض ملتصع ، فكانه فم مغفور الشدقين على الدوام محلولك وعلى حافته أنياب قواطع لوامع

وكان قبر قريباً مغلغلاً في جوف المدفن بعد نهاية المرات الفرشاة بالحصباء . فكان على الأب إجناتى أن يجوس طويلاً في مسالك ضيقة على محاذة الكتبان التمرجة الناتئة بين حشائش مهمة مهجورة من الجميع منسية . وكان يلتقي هنا وهناك بنصب متداعية ، لوها حائل غضر من القدم ، وحواجز منهاره مهتمة ، وصفاً من الحجارة ثقلاً ضخام ملقاة تبهظ صدر الثرى كأن بها عليه حفداً كحد الشيخ بأسراً متجهماً

وعلى مقربة من إحدى هذه الصفائح ، كان قبر فيرا . وكان الدر المشوش عليه مصغراً ذابلاً على حداته عهده في حين كل ما حوله بائع فاضر . وكانت هناك دوحتان متشابكتان ، وخبلة ممتدة من شجيرات البندق ورافة الظلال تبسط أفنانها المتأودة بأوراقها المخشوشة البراء على القبر

الضليع من فرعه إلى أخمصه . ثم همس متهدجاً في لين وترفق كأنما ينادي طفلة :

— أبوك الشيخ المسكين يسألك . نعم يا فيرا إنه يستهطفك ، إنه ليبيكي ، ولم يكن من شأنه البكاء قط ، إن ألك يا بنيتى ولوعتك ، يحزان في نفسي كما لو كانا بي . بل أشد وأنكى
وهز الأب إجناتى رأسه :

— أشد وأنكى ، يا فيرا . وما الموت عندي ، أنا الشيخ ؟ ولكن أنت . .

آه لو علمت ما كان من رقتك ، ولطافة بنيتك ومبلغ إشفائك وتهيبك !

أندكرين إذ وخزت أصبعك ونضج منها الدم فطفتت تصرخين . نعم يا بنيتى !

وكنت تحبيننى حقاً ، وتشغفين بي حبا ، أعلم ذلك . وكنت في كل صباح تقبلين يدي . تكلمى عن هذا الذى يحزنك — فأنى بهاتين اليدين خائف حزنك . إنهما ما برحنا قويتين ، هاتين اليدين ، يا فيرا

واهتزت خصائل شعره

— تكلمى !

وشخص بهينيه إلى الحائط ، وبسط يديه ، وصاح :

— تكلمى !

ولكن الفرفة صامتة . ثم طرقها على بعد سحق أصدا مدبدة ومقتضية من مفير قاطرة طارة فأدار الأب إجناتى عينين اتسع حلقاهما كأن قد تمثل له شبح الجثة مبتورة الأشلاء . ثم نهض من ركوعه على مهل متسانداً ، ورفع إلى رأسه بحركة المذهول يداً مشنجة منفرجة الأشاجع ممدودة الأصابع . ومضى الأب إجناتى إلى الباب ، وفي خروجه همس في حدة :

وزنّاع من رغبة صمّتهم ويرده ، كل هؤلاء
أيضاً يقومون
وخلع الأب إجناتى قبمته السوداء الربيضة
الحاشية ، ومسح يده على ذوائبه المشبعة ، وهمس
منادياً :

— فيرا !

وأخذ القلق أن يكون بمسمع منه غريب .
فاعلى الضريح وتطلع من فوق الصلبان . فلم يكن
على القرب أحد ، فأعاد النداء رافعاً صوته :

— فيرا !

وكان صوته صوت الأب إجناتى المعهود من
قديم جافاً أحرأ ، وكان عجباً أن نداء بهذه القوة
يبقى بغير جواب !

— فيرا !

ومضى الصوت ينادى عالياً ملعاً ، ولما أن
سكت لحظة ، خيل إليه أن جواباً غامضاً دوى
من تحت أطباق الترى . فثلث الأب إجناتى
حواليه مرة ثانية ، ورفع مسترسل لته عين أذنيه
وألصقهما على المدر المحشوشن الشائك فوق القبر ،
ونادى :

— فيرا ! تكلمى !

فأحس الأب إجناتى في فزع أن شيئاً له برودة
القبر قد نفذ إلى أذنه وجدده عقله ، وأن فيرا
تكلمت — ولكن كلامها هو ذلك الصمت
الطويل نفسه ، وظل يزداد الصمت روعة وهولاً .
ولما أن رفع الأب إجناتى رأسه من الأرض
مجاهداً ، ووجهه شاحب كوجه الميت ، خيل إليه
أن الهواء يهتز وينبض بصمت مرئى ، كأن ريحاً
صرصرأ ثارت على ذاك العيلم الخوف ، وأن الصمت
ليزهر أنفاسه ويخفق ، ولا تزال موجاة التلجبة
متقلبة في رأسه جيئة وذهاباً فيقف لها شبره

يجلس الأب إجناتى على ضريح تجاه ضريح
ابنته وهو يتهد بين الفينة والأخرى . وجمل
يتلفت حواليه ، وألقى نظرة على صحراء السماء
الصفاه ، وكان قرص الشمس المتقد معلقاً في مكانه
جامداً بغير حراك . وعندها فقط أحست في نفسه
عمق ذلك السكون الذى لا سكون مثله يحتم
على مدفن ، والريح هاملة لا تهفو لها نسمة تهب
بالأوراق الجافة الميتة . وقام في خاطر الأب إجناتى
مرة أخرى أن هذا ليس بالسكون ولكنه الصمت ،
وقاضن الصمت وطم حتى بلغ أسوار المدفن نفسها
وتسورها متثاقلاً وعمر المدينة . وأما آخره فهناك
في هاتين المينين السوداءين الشاخصين الصرّيين
في تعنت وعناد على الصمت

هن الأب إجناتى كتفيه ، وقد سرت البرودة
فيهما . وسرح نظره على قبر فيرا . وطال تأمله
لعيّدان الحشائش القصيرة المصوحة وقد صار
انزاعها من مناسبتها في بعض الرياض الفيحاء
الضاحية فلم يتبها لها تأصل ولا تعرض في هذه
التربة الجديدة . ولقد عز على الأب إجناتى إقناع
نفسه بأن هنا تحت هذه الحشائش على بمد بضمة
أشبار منه ترقد فيرا ، وبداله أن تدانى الشقة الى
هذا الحد أمر غير معقول ، وإنه ليخامر نفسه منه
حيرة وتوجس غريب . إذ كيف أن هذه التى تعود
التفكير فيها على أنها طويت في ظلام الأبدية
الحقيقة على الأبد تكون هنا قرية ! وكيف بمقل
مع هذا أنها ثلاثت من الوجود ولن تمود !

وخيل إلى الأب إجناتى أنه لو ندس بكلمة ،
بالكلمة التى يكاد يحسها على شفوية ، أو أنه لو أوما
بإشارته ، لأقبلت عليه من القبر ، ووقفت أمامه
ممشوقة القد جميلة كمهد بها ، ثم إنها لا تقوم
وحددها ، بل إن الموتى أجمعين الذين نحس بهم

من ملاقة هذا الرجل طالماً عليك بمنظوره الأشعث
الآبد ، راكضاً ، وائياً ، ملوحاً بذراعيه — حين
تبتين وجهه ممسوخ السحنة مجنونها ، وتسمع
حشرجة أنفاسه تتدافع بصوت أجش من فمه المغفور
وانتهى الأب اجتنائي وهو في أقصى سرعته
الى الرحبة الصغيرة التي تقوم في آخرها كنيسة
المدفن متطامنة بحصصه . وكان على مقعد طويل عند
مدخلها شيخ مهوم يلوح كالحاج من بعيد ، وإلى
مقربة منه امرأتان عجوزان من التسولات في شجار
وصيال تتشاحنان وتباهلان

ولما بلغ الأب اجتنائي منزله ، كان الليل قد دجا
والصباح قد أشرق في غرفة أولجا استبانفنا ، فأقبل
عليها دون أن يبذل ثيابه أو ينزع قبضته الممزقة
التربة وتراى على أقدام زوجته راكماً وانتحب :
— أيها الأم — أولجا — رحماك رقي لحالي
أ كاد أقعد صواي

وصدم بحافة المائدة رأسه وانتحب نحيباً
صاخباً وجيماً ، شأن الكظيم ينتحب لأول مرة ؛
ثم رفع رأسه على يقين من أنه بعد قليل تظهر
المعجزة فتتكلم زوجته وترق لحاله
— يا زوجتي العزيزة

ونهاقت بكل جسمه الضخم ضارطاً اليها
مستعظفاً ايها . فالتفت بالنظرة الشاحصة من عينيها
السوداوين . ولم يكن فيها رحمة ولا نعمة . ربما
تكون زوجته قد صفحت عنه وورقت لحاله ، ولكن
عينيها لا رحمة فيهما ولا مفرقة . اتهمتا على حالهما
خرساوان صامتتان

والبيت كله في وحشة صامت

عبد الرحمن صرقي

أشعث مستطاراً ، ولا تزال منكسرة على صدره
فيئن ويتأوه من وقع صدماتها . ولقد ظل مرتمد
الفرائس يقلب الحائطاً عصبية خاطفة من ناحية
أخرى ، ثم قام متحماً في اثنا وبطء ، وعانى
أشد الجهد وأنكاه ليرفع قامته ويرد الى بدنه
المرتجف مشية الكبرياء المهودة ، وقد أفلج بهد
لاى ، وأخذ ينفخ التراب عن ركبتيه متمهلاً
متروكاً ، ولبس القبعة ، ورسم اشارة الصليب ثلاثاً
على القبر ، ثم دلف بخطوات متساوية ثابتة ، غير
أن طرق المدفن وماله اختلطت عليه فضل السبيل
فوقف عند مفترق المسالك جامداً في مكانه
بضحك :

— ضللت السبيل !

وطالت وقفته بهمة ثم عرج من غير تفكير
الى اليسار . وذلك أنه ما كان ليطبق الوقوف هنا
جامداً ينتظر . وتبعه الصمت على الأثر . وهذا هو
الصمت يخرج من الحدود المشوشة ، وتتنفس
عنه الصلبان الداكنة للتجهمة ، ويتساعد نفحات
دقيقة خافتة من مسام الأرض للتشعبة جثثاً ورماما
والأب إجنائي يضاعف خطاه مسرعاً ، وقد سدر
بصره وذهل عن نفسه ، فهو يطوف بالمسالك بمينها
المرّة بعد الأخرى ، واثبا فوق القبور ، متمشراً
بالحوارج ، يهوى بكفه على الأكاليل من الصفيح
شائكة فيتمزق قمائشها الرقيق الناعم في يديه . ولقد
ذهل عن كل تفكير الا فكرة واحدة وهي الخروج
من هذا المكان . فاندفع من ناحية الى أخرى ،
وأخيراً انطلق يمدو في سكّون ، شبعاً مديد القامة
لا تكاد تتمعره في رنسه الخفاف وراه ، وشمره
المتهدل المرسل في الهواء

وان رؤية ميت قائم من القبر لأخف هولاً



فالحب والاطمئنان بفرمان قلبينا وحياتنا . وأنت ياسيدار ! أنت فينوس هرموزا ! أنت ثرائى وأنت ملكتى ... »

وفي صباح يوم من أيام الشتاء ، أحسن إيليا وهو في مكانه من حجرة الانتظار ، حيث يجلس دائماً ؛ أحسن أن بدأ قوة تجذبه في عطف ، وسمع صوتاً خشناً يناديه : « أسرع ! لقد كنت في (تير انوفا) وعمك هناك يعالج مرضاً خطيراً ... » هذا صوت سائق ينهيه إلى أسر ، ولكنه ما كان ليسليه بعض هدوئه . لقد أرسل أنه خفيفة خافتة ، ثم قال يحدث نفسه : « سأنشر هذا الخبر الحزين على عيني زوجتى » لم تضطرب الزوجة لما سمعت ، ولم تحزن ، ولم تفرح من مكانها وهي جالسة أمام باب الدار لتلمس الدفء من أشعة الشمس ، وقد ازبدت خبير ملابسها ، واتصلت ، ورتبت شعرها في دقة وأناقة ؛ غير أن ملابسها وحذاءها وقد عبثت بها يد البلى ، ووجهها وقد شحبت وتقضن وذوى جماله ، وعينها وهما تضطربان وقد خبا ضوءهما وانطفأ بريقهما ؛ كانت كلها ترمع سطوراً واضحة في تاريخ فاقتهما وعوزهما ومن أقصى المكان ارتفعت نخبة تشبه مايسمعه إيليا دائماً في الحسكة : فهؤلاء أصحاب الدار يتنازعون فيما بينهم أمراً ؛ وهذا الندى — وهو جزء من الدار — قد ضم جماعة يلمون الورق وعزحون في نخبة وصخب ؛ والزوجة لا يعينها

ضاقت سبل الحياة بالفتى إيليا كراى فهو لا يجيد عملاً ، وهو لا يدري كيف يزجى هذا الفراغ المريض الذي وقع فيه على حين فجأة ، إلا أن يقضى شطراً من نهاره في حجرة الانتظار بالحسكة ، واضماً كراسية على ركبته يثبت فيها مآتوفيه به قريحته من أشمار ينجى بها زوجته الحبيبة . لقد كان الضجيج يملأ بازائه والجوع تقاطر من هنا ومن هناك : فقيرات النساء يتخاصمن على درجهم مائتة كائناً يتنازعن أفطار الأرض جريماً ، وقائلو الزور يسرون في هدوء وأناة يتغنون شيئاً ، وصغار الحمامين يندفمون هنا وهنا يفتشون عن صيد جديد ؛ هذا وإيليا جالس في هدوئه ، في زاوية الحجر ، يكتب إلى زوجته بعض الشعر وكأنه لا يحس بما حوله شيئاً :

« أنا أستطيع أن أرى الحياة بمعنى عقلى ، فسكل ما يدور في العالم مقدر قبل أن يكون . أنا شاعر وفيلسوف ، فليس شئ في الحياة يثير في الدهشة لأننى أعلم أن الأيام تملأ بالرد مرة وتسلم به أخرى . لا تقطعى — يا عزيزتى — فلربما تذكرنا عمى أعسطينو ... أعسطينو الذى طرد زوجته وحرما ماله ؛ لعله يذكرنا يوماً فنذهب إلى شاطئ البحر معاً ، نشهد القوارب تضطرب بين الأمواج الهائجة ، ونحن نسير ذراعاً في ذراع كأننا هرموزان في شهر المسل . على أننا — الآن — سعيديان ،

ملحوظة : كتبت هذه القصة بقلم الكاتبة الايطالية جرازيا دليدا ، وقد أخطأ الخطاط فجعلها الكاتب

فالشمس تتألق كأنها ماسة كبيرة ، وترسل أشعتها الذهبية في رفق على صخور الجبل ، والحشائش تضطرب تحت نبات البحر الرقيقة . وحين اندفع هو في طريقه تراءت له الزهور الزاخرة — زهور الربيع الجميلة — تنفث من عطرها الشهيدي في روحه النشاط ، وتذكي في أعصابه القوة ؛ ثم ... ثم انحدرت الشمس الى مغربها ، فاستحوالت حرارتها المنعشة الى برد قارس تحمله نبات الليل ؛ وأحس الرجل أن قدميه تتنديان ، وأن حذاءه قد انفرج عنهما من هنا ومن هنا ؛ فاضطرب وخائفة رزائته الفلسفية حين بدا لمينيه أنه لا يستطيع أن يصلح حذاءه أو أن يجد غيره ؛ وأنه لا يقوى على أن يحمل هم الطريق وهم الحذاء الممزق ممّا . وتمثل له ما يلاقيه من مهانة واحتقار حين يبدو في دار عمه رثّ اللباس ، ذريّ الهيئة ، ممزق الحذاء ، وهو لا يريد أن يكون هو ألم نفسه وعار زوجته حين يلج دار عمه في مثل حذاءه . لا بد أن يجد حذاء ؛ ولكن كيف ؟ إنه هو لا يدرى ... وبعد فترة كان يسير في شوارع القرية المهجورة المظلمة النديّة وقد سيطرت عليه فكرة الحذاء الآخر . وفي ناحية من ساحة فندق هناك صغير يشع نوراً ذهبياً قوياً جذب إيليا اليه . . . جذبه لينام لباته في حجرة قفيرة ، حيث ينام عاملان قهيران ؛ وقد كان غطيط أحدهما يستلب إيليا من أفكاره ومن نومه ممّا . استلقى الرجل على فراشه زماناً في رأسه غير صورة نمل جديد تراءى له أبناً هفا خياله : في الشارع ، في الحقل ، في زاوية الحجرة ، في صندوق في الزاوية الأخرى ، ثم هناك عند الباب وكانت تحور أحياناً الى أخرى بالية ثم عن الفقر والفاقة ... وظلّ إيليا تفزع الريح العاصفة ، والنظيط المبدوي في أرجاء الحجرة ؛ والساعات تمر . وتماق

ما يدور حولها . أما هو — هو إيليا — الزوج عاشق فقد وقف بإزاء زوجته بداعب شعرها في رفق وتجنب ويقول : « أفنملين ما أنا صانع ؟ سأذهب !... » قالت الزوجة : « إلى أين ؟... » قال : « إلى أين ؟ لملك لم تمي شيئاً مما قلت ! إلى عمي أغسطينو طبعاً ! ما أجل ما أرى في هذا اليوم !... » قالها وقد كتم في نفسه أموراً استشعرتها الزوجة المسكينّة فراحت تحرق في حذاءه الممزق حزناً أعيت على الاسكان ، ثم قالت : « وأين لك بالمال تستعين به على السفر ؟ » قال الزوج في ثبات : « إن مي ما يكفيني ، لا يشغلك هذا . إن كل ما في الكون بلد الحياة والجمال لو أن في النفس الهدوء والدمعة . إن ما بهم المرء حقاً هو أن يحب الناس ويحسن معاملتهم . لقد شغلني هذا كل ساعات الصباح أتقرئين أن تقرأي ؟ » ثم قطع قصاصة من دفتره وألقى بها في حجرة وهو ييسم ... ثم انطلق وما خلف من شيء سوى هذه القصاصة ...

انطلق ماشياً لأنه لا علك سوى ثلاث ليرات ؛ وكانت فلسفته قد أوحّت إليه ألا يتخطى بين هذا وهذا ، يقتصر ، فيضيق وقته فيها لا غناء فيه ... هذا نوع من الرياضة تعود منذ زمان ؛ وما كان لشيء ما أن ينزع عنه رزائته أو يحول دينه وبين أن يصل إلى عمه أغسطينو ، وهو رجل سيار . لقد سار في نشاط وخواطره معلقة بمحاذاته دون قدميه ، فهو يشفق عليه ويشفق ..

بلغ إيليا (أوردوسي) — وهي قرية في طريقه — ولم يحدث ما يكره صفوه ؛ فالطريق ممدد لاحب ، والطبيعة جميلة تحنو عليه لتنسيه بعض متاعبه . لقد كانت رحلة ممتعة ، في ناحية من الأرض سحرية ،

يسرق مليون ليرة، أيها السارق ؟
واضطربت الفكرة في رأسه : « مليون ليرة !
أين هي ؟ أين أجدها ؟ لو وجدتها لاختطفتها
لا أنى ولا أنبأ !... » ثم غطى وهو يمسك هذه
الخطرة ، ومد رجله وحرك أصابعه في الحذاء
الجديد . يا عجبا ! لقد رانت على نفسه سحابة
سوداء من السكابة مرة أخرى ، وشمر بقدميه
تتقدان ، وبأصابعه تختليج كأنها تنفر من هذا
الحذاء المروق ! لقد سار في طريقه متكاسلا ،
ومتأبطا حذاءه ليستطيع أن يلبسه إذا تبمه أحد ؟
ثم اضطرب وتوزعته الأفكار السود ؟ فهو يلتفت
الى وراء بين الفينة والفينة ليرى من عساه يتيهه ...
وانثنى الفجر كأنه شيطان مارد يحججه بعينين
فيهما البفض والازدراء ؛ بطل عليه وقد فتمته
سحابة دكناء من الضباب ليبت في نفسه الفزع
والرعب ، ولينذره بالضيعة والويل ؛ وهؤلاء الناس
— عما قريب — يسألون الى القرية ، مارين به ،
وحين يسمعون قصة الحذاء المروق يقول قائمهم :
« نعم ، لقد رأينا رجلا هناك يسير مضطربا ، وقد
تأبط حزمة يخبئها تحت ممطفه ... » .

ورأى — وهو يسير — فلاحا يسير الهولقي ،
في طريقه الى القرية ، تغسل اليه أنه يحقد فيه ...
ويلتفت اليه بين الحين والحين وعلى شفقه ابتسامة
السخرية والتهكم
ثم... ثم انحسر الظلام من نهار حزين كالخ ؛ وقد
نشرت السحب ذوائب طويلة سوداء تصل بين الجبل
الشاهق والبحر المضطرب ؛ والغربان تمر به وهي
تمنق نيمتها المشيوم ؛ وقد انطوى الجبال الذي
أحسه بالأمس في هذه الناحية ؛ وبدت له الحياة
عائسة تبت في النفس الألم والضيق ، ودوت في
في أذنيه أسوات تفرعه من مكانه لأنه رأى فيها

بصره بنجم يتألق في السماء كأنه يسبح بين أمواج
البحر المضطربة ؛ وخيالاً عند زوجته وهو جالس
اليها ينشر على عينيها بعض أشماره الرقيقة الطلية ،
وعند الحياة الناعمة التي يحياها الى جانبها لو ظفر
بما يملك همه ...

وانتفض الرجل من فراشه بعد لأي وهو
يضطرب ، وانحنى على حذاء العامل يريد أن يلبسه
فوجده ثقيلاً واسما فتركه الى حذاء الرجل الآخر ؛
غير أنه لم يجد شيئاً ، وطن في مسميه صوت أقدام تدب
خارج الحجر فاضطرب ووقف في مكانه وقد
سيطر عليه الحزن والفزع ؛ وبدت له خسته
حزن ... حزن حزن القلب يستشعر الخطر
الحقد ؛ وحين انحنى الصوت دلف هو الى الخارج
ليرى ... ليرى الرعدة خالية الا من يصيص من
نور ، وإلا من قطة تحك جسمها في الجدار ،
والا من حذاء بازاء القطة ، بدا في عيني الرجل
جباراً ... فانطلق إليه مخبئة في ثيابا ممطفه ، ثم أدفع
الى الشارع في هدأة الليل وسكونه . لقد غادر
الفندق لم يشمر به أحد ، ثم أسرع ... وترامى له
وهو يسير على شاطئ البحر كأن كواكب السماء
تنساقط رويداً رويداً لتتتمر في هذه الالجة ، فقال :
« يا عجبا ! أكل شيء في الطبيعة والأنسان يريد أن
ينهد ... ؟ » وظل يحدث نفسه هذا الحديث وهو
يخبط في الظلام بين الصخور المظلمة والبحر الداكن
ومضت نصف ساعة جلس بعدها ليلابس الحذاء
المروق . لقد بدا عليه السرور والفرح — بادى
الأمر — غير أنه مالبث أن استشعر الحسرة
تفجؤه وتكد تصعب به ، فراح يحدث نفسه :
« ماذا يكون لو أنهم تبونى ؟ سيقتلونى لاشك .
ماذا تقول زوجتي إذن ؟ ستقول : ماذا صنعت
يا إيليا ؟ أقتسرق حذاء ؟ أى فرق بينك وبين من

يوماً كاملاً لا يظلم شيئاً ، فأحس بأعصابه تتراخى ومشى الهوينى يتربع كأنه عود ذاوَرٍ تصصف به الرياح الهوج ، وولج الفندق ثانية وكأنه في حلم ، وعلى شففته كلمة الاعتراف ؛ غير أنه وجد السكان هادئاً كأن شيئاً ذا بال لم يكن ، وصرفاً تلقى به عصر ، ولم يحم حوله شبهة ؛ فتناول طعامه ، ووضع الحذاء مكانه الأول ، ثم ألقى بنفسه في لجة من النوم العميق الهادي ، فما استيقظ إلا عند ظهر اليوم التالي . وحين من من مرقدته اشترى رغيفاً بما بقي معه من مال ثم سار ...

وبدا الجو في ظايرى إيليا - امرأة أخرى - جيلاً ، والودادى كأنه يسقى في رقة وظرف ، والنبات الأخضر تنبت من القوة والنشوة ، وهو يندفع في سيرة يفور نشاطاً وحياء على رغم هذا الحذاء الممزق الذى عوج فيه قدماء ، وهو - هو هذا الحذاء - كان يوقظ الرحمة والشفقة في قلوب الذين يرونه فيمنحوه بعض الخبز واللبان يتبايع بهما - وبلغ دار عمه وقد أجهده المسير وأضناه التعب ، ولكن الأمل كان يشرق في عينيه فيدفعه الى الأمام ... لقد مات عمه منذ ساعات قليلة ، وراحت الخادم تنظر اليه في دهشة وهي تعجب : « أنت ابن أخيه حقاً ؟ لماذا لم تسرع الى هنا ؟ » ولكنه

وقف صامتاً ، فاندفعت هى تقول : « لقد أرسل اليك منذ ثلاثة أيام وأنتظر ... أنتظر طويلاً وهو يدركك ، ثم بدا له أنك نسيتهم ففقد الأمل . وحين أحس بالموت يكاد يقسم عوده أومى بكل ما يملك الى اليتامى من أبناء البحارة » ...

فارتد إيليا الى داره يحمل الى زوجته الحبيبة الى نفسه خيبة الرجاء وضيق الأمل وهو لا يستطيع أن يقول شيئاً ...

لأمل محمدر حبيب

أصوات الذين من خلفه يقصصون أثره ويسخرون منه ؛ فاستبدل حذاءه القديم الممزق بالحذاء الذى سرقه ، وألقى به في ناحية ثم انطلق ...

لقد ألقى بعض همته حين ألقى الحذاء المسروق ، ولكنه ما يزال في اضطرابه ، وخياله ما يفتأ يصوره أشياء ؛ فهذان العاملان اللذان قضى مهمما ليلته ، على أثره يطلبانه بعد أن وجدا الحذاء اللقى ... سيُلبَّيهما ، ثم يدفعا به إلى المحكمة ، وهناك ... وهناك ... ؟ وتراعى له جماعة يمدونه ويمدونه حتى يعترف ...

ماذا تقول زوجته حين يترأى إليها الخبر ؟ وتناجحت الفكرة برأسه يؤرثها الاجهاد والبرد والجوع ، فانطرح تنتازيه الخواطر المظلمة كما تتناوح الرياح الشديدة الناصفة سحابة في كبد السماء ؛ ورجع إلى نفسه يلومها على أن طوحت به الأيام في هذه المتاهة ، يضرب في الأرض ، ويفقد الراحة والطمانينة في وقت ممك ؛ ثم هو لا يطلب إلا سراها أو أملاً كالسراب ، ومن بدرى ؟ لعله لا يستطيع أن يأتى بالحجة القاطعة يثبت بها أن أغسطينو هو عمه ... ورغم هذا فهو قد ألصق بنفسه عاراً لا يفسل .

نكص الرجل على عقبيه ممتلئ العقل ، مأخوذ اللب ، يحدق في الحذاء اللقى في ذهول وبلاهة ، أفواريه التراب ؛ إنه إن فعل فإ غير من الحقيقة التى في رأسه ؛ أن هذا الحذاء مسروق ، وأنه هو السارق ...

وتردد إيليا حيناً ، ثم هوى إلى الحذاء يخفيه تحت ظلمات مطفئه ، وارتد إلى القرية لا يستطيع أن يبهطها إلا أن يسدل الليل أستاره ، لقد غير

وتفكر الشوارع من كل جابر
وكنت لا أزال أتألم من جرحي

لقد كان لي بالأمس حبيبة وكان لي صديق ،
تفاقتي الحبيبة وصرعني الصديق فالتفتي على فراش ،
الأوجاع ، فأصبحت وفي رأسي من الأضطراب ما لا
أهتدى معه إلى حقيقة حالي ، فكنت أحسب أن
ما صر في لم يكن سوى حلم مروّع وأنا في ساجد
سمادني المفقودة إذا ما فتحت عيني لأنوار الصباح ،
ثم أعود فأرى حياتي بأسرها حلماً طائشاً ساخراً
يتكشف لي بفتة حما استتر فيه من خداع وأكاذيب
وكان ديجنه جالساً على مقربة مني وقد أنارت
أشعة الصباح وجهه فلاحت أمارات الحب عليه
بالرغم من استمراره على الابتسام كعادته

وما كان ديجنه بالرغم من صلاته وجوده إلا
الرجل المخلص الطوف ، غير أن الاختيار كان قد
نال منه وأسقطت الحادثات طرته ، وما جهل هذا
الصديق الحياة فانه خبرها وأسالت كثيراً من
دموعه ، غير أنه أدرع الصبر فاستجرت آلامه
وبات يتوقع الموت
وقال ديجنه :

— إنني وقد نفذت ما أنطوت عليه سريرتك
أراك تمتد بالحب كما تصوره القصصيون والشعراء
فأنت إذن تصدق ما يقال لا ما يقع في هذه الحياة .
لقد ضللت السبيل السوي في تفكيرك ، فان أمنت
في السير وقفت بوجهك المصاب والويلات
وهل يصور الشعراء الحب إلا كما يحسم النحاتون
الجمال ، وكما يندع الموسيقيون الأنغام ؟
إن أرباب الفنون وقد دقت أعصابهم ووهبوا

من أعماق النفوس



استغراب فتى العصر

لألفريد دي موسيه

بتم الأستاذ فليكس فنارس

(تابع)

الفصل الخامس

وعندما رأى ديجنه أن لا دواء لبأسى وأنى
أرد كل نصيح وأقبح في داري أدرك خطورة الموقف
فجاءني في إحدى الليالي ودلائل الاهتمام بادية على
وجهه فذكر عشيقتي بلهجة الزدري ، وأسرف
في التقرب بوجهه إلى كل امرأة مجارياً حوافز عقيدته ؛
وكنت منظرها على فراشي خلست وأسندت رأسي
إلى كفي وأصغيت بكل انتباه لأقواله

وكانت ليلة ، بدأت تهب فيها الرياح فتسمعك
أنين المدنفين ، وكان المطر يضرب برشاشه زجاج
النوافذ ثم ينقطع فجأة فتحسب الطبيعة قد فقبت
الحياة في فترات السكون

في مثل هذه الساعات يحكم الألم جميع الكائنات
فتهتز الأشجار كأنها تتلوى في أوجاعها وتحنى
رؤوسها حزينة عاجزة وتهرع أطياف الحقول إلى
صغيرات الأشجار مترامحة على اللجأ الأمين

عقلك لشعورك أن تصور ماهية الانهيار؟ أم يمكنك أن تدرك ما لا يحد وأنت ولدت في الأمس وغداً ستموت؟

لقد جنّ الكهنة في كل أنحاء العالم أمام هذا المدى الفسيح ، وما نشأت الأديان إلا من الاستغراق في التفكير في أسرارهِ . ما قطع كاتون عنقه ، وما استسلم المسيحيون للأسود والبروتستانت للكاثوليك إلا لأدراك المطلق المتعال عن كل حصر وتحديد

إن جميع شجوب الأرض يسيطرون الآنك نحو هذا المدى الفسيح قاصدين الارتقاء إليه . وفائد الرشد يطمح إلى امتلاك السماء ، أما الماقل فيكتفي بالانحباب والخشوع ويرتعي جاكياً على ركبته كالجحاح جراح شوقه

إذا كان فسيح المدى يعجز إدراكنا فكيف نتوصل به إلى نيل السكّال وقد حتم علينا ألا نتجه إليه في أي شيء وألا نتطلبه من أي شيء ، لا في المحبة ولا في الجمال ولا في السعادة ولا في الفضيلة ، ولكنكنا مع ذلك لازمون أن نتوق إليه لنبلغ في المحبة والجمال والسعادة ما يمكن لنا أن نتأله افترض ، يا أوكثاف ، أن في غرفتك لوحة من ريشة رفايتيل ، لوحة تحسبها مسألة من كل عيب ، فاقتربت منها يوماً مدققاً فيها فوجدت في رسم أحد أشخاصها خطأ فاضحاً كعضو مكسور أو عضلة نافرة من مركزها الطبيعي — كما يقال من إحدى المضلات في ساعد مصارع — فانك تشمر بالكدر ولا ريب ، ولكنك لا ترى بلوغتك إلى هيب الموقد من أجل هذا العيب بل تكتفي بأن

الحسن المزهف يختارون أنقى عناصر الحياة وأبدع رسوم المادة وأزوع ما في الطبيعة من نبرات قيل إنه كان في أثينا عدد كبير من الفنانين فعمدوا كاستيل إلى تصويرهن الواحدة بعد الأخرى ، ثم استعرض مجموعته مستبعداً عيوبها ومستنطقاً منها مثلاً كاملاً لجمالها الحسن على أنواعها هو رسم الزهرة آلهة الجمال وعلى هذه الوثيرة جرى أول إنسان أوجد آلة الموسيقي مقبراً قواعدهما وأحوالهما ، فانه ما وضع الأنغام إلا بعد أن تنصت طويلاً إلى تغريد البلبابل وحفيف الفسوزن

وهكذا أوجد الشعراء أيضاً الأسماء السرية التي مرّت على شفاه البشر من جيل إلى جيل ، كدنديس وكلوبه وهيرو ولياندر وبيرام وتيسيه تلك أسماء لم يبدعها الشعراء إلا بعد أن ابتلوا الحياة وعرفوا من المحبة سريتها وبطيتها في الزوال ، وبعد أن شهدوا إلى أية درجة من الهوس يبلغ الهيام أحياناً متفياً الطبيعة البشرية من أدائها فإذا أنت فقتشت في الواقع عن مثل هذا الحب المطلق الثابت فكأنك تفتش في ميادين الجماهير عن نساء يضارعن الزهرة في روعة جمالها ، أو كأنك تكلف بلبال إنشاء أجمل مقطوعات يتهوفن إيقاعاً ليس السكّال من هذا الوجود ؛ وكفى الذكاء البشري أنه فاز بتصوره ؛ فإذا ما طمع في الحصول عليه رمت به شهوته إلى الخليل والجنون

افتح نافذة غرفتك ، يا أوكثاف ، وتطلع إذا تشرف منها على مدى لانهائية فتشعر أن لا حد لهذه الآفاق ؟ ولكن هل لك بالرغم من تصديق

وجاء أن سواك سيتمتع بها بعدك ، فإيهك وقوع ذلك في هذا المساء أو بعد سنتين . إذا كانت هذه المرأة لن تحبك إلا إلى حين فإيهك أن قصر حبها على ليلة أو طال إلى سنتين

ألست رجلاً يا أوكتاف ؟ أفا ترى الأوراق تتساقط من أغصانها والشمس تشرق فتغرب ؟ أفا نسمع نبضات ساعة الزمان في كل خفقة من خفقات فؤادك ؟ فأى فرق لدينا إذا بين غرام سنة وغرام ساعة من الزمان ؟ أفليس مجنوناً من يتطلع من نافذة تقدرها الكف ليرى المدى الذى لا نهاية له أنت تلقب المرأة التى تحبك عامين دون أن تحنونك بالمرأة الشريفة ، ولعل لديك مقياساً خاصاً تعرف منه ما تقتضيه قبلات الرجال من الزمن لتجف على شفاه النساء

إنك لتجد فرقاً كبيراً بين المرأة التى تستسلم للحصول على المال وبين من تستسلم طلباً للذة ، تجد مثل هذا الفرق أيضاً بين من تبذل نفسها لإجابة لداعى الكبرياء ومن تبذلها في سبيل إخلاصها ؛ إن بين من تشتري من النساء من تقدر لها ثمنًا يزيد على ثمن سواها ، وبين اللواتى تطلب فيهن تمتع حواسك بمن تنال فثقتك دون سواها ، وبين من يدفعك الفرو إلى نيلهن من تبايح بالظفر بها بأكثر مما تبايح بامتلاك أخرى سواها ، وبين من مخلص لمن أنت من نهبها ثلث قلبك في حين أنك لا تنهب الأخرى سوى ربه ، وتهب غيرها نصف هذا القلب ، وذلك تباعاً لما تقدره لأحدها من التهذيب والماديات وما تراهها من كرامة الأصل وروعة الجمال واعتدال المزاج ، وتبعا للظروف الطارئة أيضاً . ولما يقوله

نقول — إنها غير كاملة وإن في أقسامها الأخرى ما يشير إلى الجاهل

إن في العالم نساء زهدن طبيعتهم وما في عواطفهن من الاخلاص عن اتخاذ عشيقين في زمن واحد . ولقد خيل اليك أن عشيقتك من هذه الفئة ، ولقد كان خيراً لك لو أنها منها . ولكنك تحققت خيانتها فهل في ذلك ما يدعوك إلى احتقارها والاساءة إليها وإلى الاعتقاد بأنها تستحق حقدك وتمتلك ؟

افترض يا أوكتاف أن عشيقتك لم تحدهك وأنها لا تزال تحبك دون سواك ، أفلا ترى حتى في هذه الحالة أن حبها بعيد جد البعد عن الكمال وهو حب بشرى حقير يتحكم فيه خبث هذا العالم وأساؤه ؟ أفنتكر أن هذه المرأة قد استسلمت قبل ما نلتها أنت إلى رجل ورجال وأن غيرك سينالها بعدك أيضاً ؟

ارجع إلى رشدك ! إن ما يدفعك إلى اليأس الآن إنما هو اعتقادك بكمال كنت حليت به من محب فاذا هي ساقطة لا حلية لها

ولكنك إذا ما رأيت اعتقادك على حقيقته وانضم لك أنه توهم واعتار بشرى تدرك أن لا فرق بين السقوط دركة وبين التدهور دركتين على شفيرة الميوس البشرية

إنك لن تستطيع أن تنكر أن حبيبتك قد نالها غيرك قبلك وسينالها غيرك بعدك أيضاً . ولكنك ستقول لى إنك لا تهتم لهذا ما دام حبها . أما أبأ فأقول لك إذا كان سواك قد تمتع بها فإيهك أن يكون وقع ذلك في الأمس أو منذ سنتين ؛

الكأس هي الكوثر الذى تشربه . وهكذا ان
تتفجع اذا ما رأيت هذه الكأس عطمة أمامك
فى إحدى الليالى ، وما المرأة الا وءاء من صنعة
الخزاف سريع سقوطه وسريع تحطمه

وجه شكرك لله لأنه سمح لك بأن تلح السماء ،
فلا يخذعك فى جوانحك خفقان تحسبه خفوق
جناح ، فان الأطياف نفسها لا يمكنها أن تحترق
السحاب وفى الأعلى طبقات لا هواء فيها . أنفاس
رأيت القنبرة ترتفع حلقة إلى مسارح الضباب وهى
تفرد لترعى . بعد تحليقها ميتة إلى أخاديد الحقول
اكرع من الحب ما يكرعه الشارب المعتدل ،
وليك أن يصبح سكيراً

إذا كانت عشيقتك أمينة مخلصه ، فأحبها
من أجل أمانتها وإخلاصها ؛ وإذا لم تكن فيها
هذه الصفات وكانت فتية جميلة ، فأحبها من أجل
فتوتها وجمالها ؛ وإذا لم يكن لها من مزية سوى
اللاحة وخفة الروح ، فأحبها من أجل ذلك
أيضاً ؛ وإذا لم يكن لها شيء من جميع هذه الصفات
ولها تعلقها بك فلا تمتح حبك عنها ، فتا يبعد الرجل
فى كل مساء امرأة تتعشق

وإذا ما عرفت أن لك مراحماً فى حب من
تهوى فلا تشد ناصيتك ولا تمل أنك ستنتصر .
إن غرورك يخذلك فيخيل إليك أن حبيبتك
تخونك بالتصاقها بسواك ، غير أنك إذا عكست
نظريتك المكذوبة فقات فى نفسك إن حبيبتك
تخون مراحمك بالتصاقها بك ، فأنت ترى النصر
فى جنبك لا فى جنبه ؛
إياك أن ترسم لنفسك خطة تلزم سلوكها ،

الناس وبموجب تأثير الساعة ، وما تناوأت من
مشروب مع عشائك

إن النساء يستلمن إليك أيها الصديق لا
لسبب الا لأنك فى شرح الشباب التفتد ، ولأن
استدارة وجهك لا عيب فيها ، ولأن شعرك مسرح
باعثناء ، ولكنك لا تصافك بهذه الصفات لا تعرف
من هي المرأة

إن أول ما ترى الطبيعة إليه إنما هو استبقاء
النوع ، لأن الحياة أبنا تجلت من قم الراسيات الى
قعر البحار تفرع من الموت وتفر من الفناء ،
وما فرض الله هذا الناموس إلا استبقاء خلقته
فوضع اللذة العظمى فى الاتصال الجنسي بين الأحياء
إن التخييل يرمش غرباً عندما يرسل الى أثناء
ذرات الحياة يحملها جارفات الرياح . وإذا قاومت
الوعل أثناء فانه لا يبنى ينطعها حتى يقرها .
والحمامة تنتفض تحت جناح زوجها كأرق
المشبهات احساساً

وهكذا الرجل ، عندما يضم رفيقته بين ذراعيه
أمام عطمة هذا الوجود يشمر بالشرارة الالهية التى
خلق منها تهب مشغلة فى صميم فؤاده

أيها الصديق ، إذا ما ضمت إلى صدرك امرأة
ماؤها الصحة والجمال وشمرت بسكرة الفرام تفجر
الدع من مأكبك وليلالود فى صميم فؤادك يدفع
إلى شفتيك بالقسم تفرقه زفرأ بثبات حبك إلى
الأبد ، فلا تكبح جملح نفسك حتى ولو كانت
المرأة التى تضم بين ذراعيك من بنات الماخير .
ولكن حذار : ألا تميز بين الحمرة التى تكرعها
والثمل الذى يسود مشاعرك منها ؟ ولا تحسبن

أنفسهم آلات حرث وزرع . فليس هنالك شعور
مستمرة ولا أصباغ ولا أدهن ؛ غير أن الشق
عندهم سليم من الجرب فلا يجبل لهم أنهم في افتقارهم
يكشفون عالمًا جديدًا . وإذا كانت نساؤهم محرومات
من الحس الزهف في الشهوة فانهن سليات من
الملل ؛ وإذا ما خشنت ملابس أيديهن فان خشوتها
لم تنطرق إلى قلوبهن

لقد ذهبت الحضارة مذاهب لا تأتلف والنظم
الطبيعية ، فان المذراء الكاعب سحينة وراء الأتقال
وهي المخلوقة للشمس والهواء الطاق ، ومن حقها أن
تشهد مصارعة الشباب كما كانت تفعلها بنات
لاسيديغونيا ترجع حرة وتحب غشارة ، ولكن
سحبها لا يحول دون تطرق المشق إليها ، فانها
تجد الفساد في وقوفها أمام مرآتها فيدب إليها
النحول من جودها ويذوي في سكون الليالي جمالها
المحتنق متشوقا إلى الهواء إلى أن يأتي يوم تحسب
فيه من سحبها فجأة وهي لا تعرف شيئًا ولا تحب
شيئًا وتشتهي كل شيء . وتتولى إحدى المتجائر
تعليمها بالقاء كلة سفينة في أذنها ، ثم تؤخذ بعد هذا
الدرس لتلقى على فراش رجل مجهول يفتصبها اغتصابًا
ذلك هو الزواج أو بالأحرى ذلك هو منشأ
الأسرة المتمدينة ...

وتمر الشهور فاذا بالفاتنة تقذف إلى الوجود
بطفلها ، وإذا بشعرها يتساقط وبصدرها يتدلى
فوق جسم شوهته التجاعيد

لقد فقدت هذه السكينة جمال الماشقات قبل
أن تمسق ، فهي لا تعرف لماذا جلت ولماذا أصبحت
أُمًا

فلا تقل إنك تريد حبًا مطلقًا لا شرك فيه لأنك
إذا ما قلت بهذا البعدا ستعطر ، وأنت إنسان
متقلب بالطبع ، أن تستدرك خطأك فتضيف إلى
قولك كلة (على قدر المستطاع)

كن راضيًا بالزمان كما يميء ، وبالهواء كما يهب ،
وبالمرأة على ما هي عليه

إن المرأة الأسبانية وهي من الطراز الأول في
النسوية ، تحب بلا شرك ، فقلها غلص مضطرم
ولكنها تخفي خنجراً تحت أثوابها فوق هذا
القلب . والابطالية تنقد شهوة ولكنها تفتش عن
عربض للتكبين وتقدر قدر عشيقها كما يأخذ الخياط
قياس زبائنه . والانكازية متحمسة تستسلم للسكاكة
ولكنها باردة متمجرفة . والألمانية رقيقة الشعور
ولكنها باهتة جامدة . أما الفرنسية فانها ظريفة
رشيقة ولكنها أكذب من الشيطان

لا تلق على المرأة تبعه ما هي عليه ، لأننا نحن
أوجدناها في حالتها بنشوبها في كل ساعمة
ما أوجدته الطبيعة فيها . وما الطبيعة بغافلة في
عملها فانها تمد المذراء للمشق حتى إذا خرج الولد
من أحشائها تساقط شعرها وهبط نهدها واحتفظ
جسمها بآثار جراحه ، فالمرأة لم تخلق إلا لتكوين
أما ، ولقد يبتمد الرجل عنها بعد أن تكون أدت
مهمتها فيستغفره الجمال المفقود ولكن طفله يتعلق
بأذياله ويشده إلى مسكنه باكيًا . هذى هي الأسرة
وذلك هو الناموس الطبيعى وما يهتدى إلى السبيل
السوى من تحول عنه

إن فضيلة أهل القرى قائمة على أن المرأة في
مجتمعاتهم إنما هي آلة للتوليد وللإرضاع ، كما أنهم هم

تلقين هذا الفتى ما تلقته هي من الحياة ، فتغضى عليه بالألماء يحب طوال عمره

هذه هي المرأة كما أردناها ، وما عشيقاننا إلا من هذا الطراز . ولكننا نغضى مبهزين أطيب الأوقات . فإذا كنت ذا حزم ولك ثقة برجولتك ، فاتبع ما أشير به عليك . استسلم بلا وجل لتيار الحياة . تمتع بنبات الحانات والمواخير وبسيدات البيوت والقصور . كن ثابتاً ومتقبلاً . كن حزينا ومرحاً في وقت واحد ، ولا تبال بأخذعك المرأة أم حفظت عهدك ، ما دمت واثقاً من أنها أولئك حبا

إذا كنت رجلاً عادياً لا غربة لك ، فكن محترساً في اختيارك . وعلى كل لا تضع نصب عينيك أية صفة من الصفات التي تتمنى وجودها في عشيقاتك أما إذا كنت ضعيفاً وفي فطرتك صفات السوء لا مزاي السيد ؟ وإذا كنت تشمر أن في جذورك اندفاعاً إلى التفلل حيث تثمر بحفنة من تراب ، فالأجدر بك أن تتخذ عدتك المقاومة لأنك إذا ما استسلمت لضعفك ، فلا تتوقع نحو فروعك حيث علقت أصولك ، لأنك ستجف كالنبته البلية لا تورق أغصانها ولا تنور أزهارها ، فينسرب نسغ حياتك إلى الجذوع القريبة وتبقى أوراقك كأوراق الصفصاف باهتة متراخية صفراء . وعندئذ لن يجد ما يرويك غير دموعك وما ينفذ بك سوى قطع قلبك

أما إذا كنت متحمساً تؤمن بالأحلام وتطامح إلى تحقيقها فاني أقول لك بكل صراحة : ان الحب وهم لا حقيقة له

يقدم الطفل لهذه المرأة ويقال لها : أنت الآن أم ، فتجيب قائلة : لست أمًا . إذهبوا بهذا الطفل إلى مريض فاني مديني لبن له

وهل بدر اللبن صدر مثل هذا الصدر المفتصب ؟ ويؤيد الزوج هذا الرأي ملئاً أن تعلق الطفل بأمه ينفره منها

تجلس هذه المرأة على سرر غرضها الداني فيوثي بالأطالس وتبذل العناية لشفاها من داء أمومتها ، وما يمر الشهر حتى تراها تحبج للسراح وتنتقل من مرقص إلى مرقص ، ويرسل الطفل إلى مريض في إحدى القرى ، أما الزوج فيدلج إلى المواخير تحت جنح الظلام

ويدور بالمرأة عشرات الشبان يتدفق بينهم بكلمات الحب والاخلاص والوله والحنان الدائم فتسمع من أفواههم كل ما كان يدور في خلاها فلا تلبث أن تختار أحدهم لتضمه إلى صدرها . ويندفع هذا المختار إلى تدنيسها ثم يتحول عنها ليداعب الحظ في مؤسسات القراطين المالية

ففي الأبرص فليس لهذه المرأة أن تعود أدراسها ، تستعطر في البكاء ليلة ثم ترى أحداً حراً مما ذرفت من دموع ، فتتخذ عشيقاً آخر تساو به معها فيسلمها الثاني إلى ثالث إلى أن تبلغ الثلاثين أو تجاوزها ، فيذب الفساد ضامياً فيها حتى على الاشمئزاز ، وتصادف في ليلة من ليالي جوحها يافكاً يتدفق الجلال من عيها وتتدلى طرته السوداء على إشراف جبينه . ترسل عينها شرارات الحياة وتوخطق في فؤاده الأمانى المذاب ، فترى فيه خيال شبابها وتتذكر ما تحملت من شقاء ، فتسارع إلى

مُزاجهم وخيانة زوج والنكابة بمشيق
أجل تما المحبة في نظر ناسنا، إلا التاهي
بالأكاذيب كما يتلعى الأطفال بلعبة الكين. تلك
هى غشاء القلب وهى أقبح من الفعارة الرومانية ،
وذلك هو المسخ المولود سفاحاً من الفضيلة والرذيلة ،
تلك هى مهزلة الحياة التى تمثل بالهمس والغمز حيث
يتجلى كل شئ صغيراً لا شكل له فى رشاقتة فكانه
تمثال صينى ملحقه من عجائب الخلوقات ؛ تلك هى
الحينة تتحكم فى الجلال والقيح وفى كل ما هو
ساوى وجهمنى فى الأرض ؛ تلك هى الأغلال
التي لا حقيقة لها ، بل هى رمة المظالم تتداعى من
كل هيكل أقامه الله فى الحياة
هنا ما قاله ديجنه فتعال أمانى نبراته الازدعة

تحت جنح الظلام

فليكس فارس

(يتبع)

رفائيل

لشاعر الحب والجمال لامرئين

مترجة بقلم

أحمد حسن الزيات

تطلب من لجنة التأليف والترجمة والنشر

ومن إدارة « الرسالة »

التمن ١٢ قرشاً

وما أنا بتذكر عليك صحة مذهبك فى الحب
لأنه عبارة عن أن يهب الانسان جسده وروحه
مما ، بل هو اندغام شخصين فى ذات واحدة تتمشى
تحت الشمس وتجول فى الحقول المزهرة تلتف
بأربعة معاصم وتفتكر برأسين وتشم برقلين
ما الحب الا ايمان وعقيدة بوجود السمادة على
هذه الأرض

ما الحب الا المثلث التأتلى بالنور على قبة هيكل
الوجود ، فاذا أنت أحببت مشيت حراً تحت قبة
هذا المبد والى جنبك المرأة التى لا يفوتها ادراك
سبح خشوعك عند وقوفك لفكرة تخطر لك أو عند
زهرة تلمحها فتتوجه بنظرة استغراق الى هذا
الثلاث الساوى

إن خير ما فى الوجود هو أن يتمتع الانسان
ببذل ما أعطى له من قوة ، لذلك كانت العبقريّة
أروع ما يستهوى النفوس ، ولكن اذا ما ضاعف
الانسان هذه القوة بضمه فكراً الى فكره وعاطفة
الى عاطفته فانه ليلغ السعادة العظمى وفيها يتناهى
ما وهب الله للناس فى هذه الحياة ، لذلك كانت
المحبة أفضل من المبقريّة

تلك هى المحبة فقل لى الآن اذا كانت هذه
العاطفة العليا هى ما نسميه محبة فى قلوب ناسنا
وكيف يكون جهن حياً وما المحبة فى نظره
إلا الخروج مقنعات من بيوتهن وتوجيه الرسائل
السرية والسير بذعر على رؤوس الأقدام وإنشاء
الدسائس وبذل التهم ورشق الحياض الفواتر
وارسال تهديدات المغارى. وارتياء الأتواب النفيسة
وخلع هذه الأتواب أخيراً وراء الأقفال لادلال



موبروس



الأوديسيّة

لهرميرس

بقلم الأستاذ دريني خشبة

(تابع)

في أسيرة العشاق يتآمرون

منوعة ما تقدم

وهاذا وأتجد ، وانطلق تلياك وساحبه من فورهما إلى باب منالايوس الملك حيث وجدا ، لحسن الطالع ، وجوها مسفرة ، وجواهر مستبشرة ، وموسيقى تصدح ، ومنشدن يرددون أناشيدهم ويرسلون أغانيهم ، ووليمة ملكية حافلة اجتمع لها الملك وأبنائه وخلصائه ونداماه ، بأكون ويشربون ويسمرون ويتطربون ... ماذا ؟ لقد اجتمع القوم من كل حدب ، وأقبلوا من كل صوب ، يحتفلون بأبي الملك : بأنه الذي زوجته أبوه من أجل غادات أسيرة وأكثرهن وسامة وقسامة وقتنة ، ابنة ألككتور العظيم - ثم بابنته المفتان العيوب الطروب التي رزقها على كبر من هيلين ، والتي نافتت ببها لها ودلها هرميون ابنة فينوس

وما كادا يجاوزان الوصيد حتى لهما إتيون ، كبير أمناء الملك ، فانطلق إلى مولاه وحده عنهما ... « إن لها لهابة وإن عليهما لرواء ، فهل

سقطت طروادة وعاد كل الحارين من اليونان إلا أوديسيوس نطعم أسراء الأقاليم المجاورة في زوجته الجميلة بنلوب وحاصروا بيتها ، وأخذن ذلك إلهة الحكمة مينرغا - أو باللا أثينا - غرضت ابنه تلياك على أن يفت في وجه العشاق ، وأن يهر إلى ييلوس ليسأل أميرها لسطور عن أبيه وأبحرت هي معه في صورة أمير البحر منتور وهو لا يدري أنه هي ... وأكرم لسطور وفادة تلياك وقس عليه ما كان يعد سقوط طروادة وأرسله مزمزاً مكرماً إلى أسيرة بعد أن أيقن أنت منتور أمير البحر الذي يصحب تلياك إن هو إلا مينرغا . وقد ذهب تلياك مع أكبر أبناء لسطور إلى أسيرة ليسأل ملكها منالايوس - زوج هيلين التي كانت سبباً في حرب طروادة - عن أبيه »

وصل الركب إلى أسيرة بعد أن غور في

إلا عن قصر سيد الأولب في شفاف جبل إيدا :
أية ثروة أى كثر ؟

وسمعه منالايوس الملك فقال :

« بنى لا اقترن أحدا منا - نحن بنى الوقى -
الى سيد الأولب ، وأنت على حق حين ترى أن لأحد
ملك ما أملك أنا من أذخار وكنوز ، فقد سحت
في أقصى الأرض ستين عددا ، وجمت الدرر
القوالى من كل فج ... من كريت وقبرس وفينيقيّة
ومصر ، ومن أثيوبيا وإرمي ... ومن صيدا
ولوبيه ... ورؤوس الشاء والوعل هذه ... الوعل
الوحشى السائم ... والشاء التى تمدنا بخيرها بشير
حساب ... لقد طوفت في الآفاق وتركّت في كل
منها ذكرى . ولا غرو ، فقد نبأكم أبأؤكم بذكر
منالايوس الملك الذى دك الماقل وهدم القصور ...
ما أنس لا أنس هذا القصر المتيد الذى جمعت
عاليه سافله بما فيه من أذخار وقنى ، وددت لو كان
في قصرى شيء منها ، وود الأغريق لو حصلوا في
بلادهم جميعا على بعضها : هناك ! هناك تحت أسوار
طروادة يا صاح ! يا وىح نفس ! يا رحمتا للأصدياء
الأحباء الأعزاء الذين ناموا نومة ! ! اشد ما أسلى
النفس عنهم بالتأسى ؟ لشد ما يندلع الأسى في قلبى
عليهم جميعا ، ولا سيما صفيى وخليلى وأهزى أوداوى
على ... أوديسيوس ! ! أوديسيوس الكريم ! ليت
شفرى يا صديق فيم شطت بك النوى وطال عليك
الأمد ؟ أمى ترزق ؟ أم نويت في بطعاه بلقع ؟
يا وىح لك ، ولأيمك الشيخ ، وزوجك اللتاعة ،
وابنك المحزون اليتيم تلباخوس ، الذى غادره في
الهد ما بلغ الفطام ، الى حومة الوعى وحلبة
الحمام ... » .

يأذن لها مولاي أم يأس فتردها من حيث أقبل ؟
وأوما الملك برأسه الكبير الذى يزيد في وقاره
وحسن سمته شمعه الذهبى ، وأمر إتيون أن يذهب
اليهما ، يسير بين أيديهما إليه إذ كيف يُرد
عن طماى الفرياء ، وقد طعمنا طويلا زاد الفرياء
ودعا إليه إتيون طائفة من الخدم . وذهب الى
الوافدين الكريمين غيبا وسلم ، وحل اللجم وأناخ
البُهم ، ومضى بهما الى داخل القصر من طريق
يشرف على مكان الحفل وترى منه الجدران التى
ازدانت بأحسن زينة ، وقبة المرش التى تلالأت
في الأنوار الوضاء والشرج الواجحة ... ثم لقيتهما
فتيات من عذارى القصر فقدنهما الى الحمامات
المرصية الباذخة فاغتسلا وتضمخا ولبسا ثيابا
ملكه ثم ذهبا للقاء رب هذه القار .

وهن الملك لها وىش ، وأجلسهما الى جانبه
على مقعدين وثيرين ، وهما في دهش من ذاك النظر
المعجب . وأقبلت فتاة فصبت على أيديهما الماء ،
وذهبت فأحضرت مائدة رائمة منسقة ، عليها قدر
غير قليل من أنجر الأشربات وأشهى الآكال ،
ووقف خادم آخر يقدم طبقا بعد طبق ، وكأسا
من ذهب بعد كأس من ذهب ، والملك فيا بين ذلك
يبالغ في إيناسه لها والحفاوة بهما ، ويُنظرهما حتى
يفرغان طماهما فيخبرانه عن أمرهما ، وكان يتلفف
فيفقم لها قطعاً من شوائه بيده .
وسار تلكا صاحبه فقال :

« يئزستراتوس يا صديقى ! ما أجل وما أنغم
وما أدوع ؟ ! هذا الحفل الباهر يتأق في الذهب
والفضة والماج والكهرمان ودروع النحاس !
أبدأ ما ترى العين مثل ذلك ، ولا تسمع الأذن

روحه ، في ثيابه من المم »

وانتهز ابن نسطور الفرصة فقال :

« حقاً أيها الملك إنه هو ، ولكنه نجول حيي ،

ولقد أوشك حياؤه أن ينتمه من لقائك ، وقد هاج

تباريحه ما ذكرت عن أبيه . أما أنا ، فاني ابن

نسطور صديقك الآخر ، وقد أصرني أبي أن أحجب

تلباخوس إلى هنا عسى أن يسمع خبراً عن أبيه

الذي ذهب يذرع الأرض ، ولا يعلم أحد أيان قد

ذهب . . . وهاك ابنه المكلوب يجتر أشجانه ،

وتطحن فؤاده أحزانه . »

وشده البطل - ذو الشعر الكهرماني -

فقال :

« يا للآلهة ! أهكذا أفاعب بلقاء ولدي ! أنت ؟

أنت ابن أوديسيوس الذي شق ظويلاً بسبي ،

وبذل نفسه من أجل ، وما يزال يناضل الزيلات من

جرائ ؟ كرامة وجباً يا ابن خير الأصدقاء ! لو عرفت

أنك تسمى للقاء لشدت لك مدينة في أرجوس تنبيه

على المدائن وترجي على القري ! ورفعت لك عماد

قصر منيف طالما كنت أخاله يؤوبنا جميعاً فنعتمد

سعادة لم يحلم بها قوم من قبل ومن بعد . . . ونلتذ ،

أنا وأبوك وأنت ، وجميع أهلي وأهله ، ذكريات

الماضي المترع . . . آه يا أوديسيوس ! لقد طاشت

الأحلام وذابت الأمانى ، وقسمت عليك السماء . . .

فخرمتك كل شيء ، حتى الأبوة إلى أرض

الوطن ! »

وأثارت كلمات الملك شجون القوم ، فبكى

تلباخوس ، وأذرفت اللسكة ، وانجس الدمع من

عينى بيزستراتوس حين ذكرت طروادة فأذكرته

قتل أخيه تحت أسوارها ، ثم قال : « حسبك أيها

ولم يملك الفتى دموعه حين سمع هذا الحثاف

باسم والده فنشج نشيجاً مؤلماً ، ثم استخرط في

البكاء ، وطفق يذرى شتونه في طرف ثوبه . . .

بين وهشة منالايوس وحيرته ، وذهول الحاضرين .

وانمقد لسان الملك فلم يسأل الشاب عن حاله ، حتى

أقبلت هيلين فجأة ، فتلفت القوم ينظرون إلى هذا

الرشا الذي ينثى مياساً في ظلال من الفتنة كأنه

دياناربة القوس الذهبية . . .

واستوت على عرشها المنضد ، الذي أصلحته

يدا أدرستا وعناية أكلبيد ، ثم أحضرت الطرف

والهدايا وإلى . . . فهذه سلة من الفضة المزخرفة

بالتصاوير هدية من ألكندرا زوج بوليب أمير

طيبة ، عروس المدائن المصرية ؛ وتلك عشر يذر

من النضار الخالص ، وطستان من الذهب ، ودنان

من البريز . . . يقدمها كلها ملك أسبرطة إلى زوجه

البارعة الرائعة الهيفاء . . . ونظرت هيلين إلى

الضيقتين الفريين ، وسألت زوجهما :

« ملكي ! نشدتك الآلهة أن تحبرني من

هذان ؟ إن أحدهما شديد الشبه بطفل أوديسيوس . . .

الصغير تلباخوس . . . الذي تركه أبوه صبيّاً في الهد

من جراء حرب اليوم المشتومة . »

وقال الملك : « وأنا مثلك يا هيلين ، لقد دار

بفكدي ما دار بخلدك من أسر هذا الفتى ! ألا ما أشبه

الساقين والساعدين وتغير العيينين واسترسال

الكتفين^(١) بما كان لأوديسيوس ؟ ! لقد ذكرت

ما قامى صاحبي من أجل وفي سبيل تحت أسوار

اليوم ، فسرعان ما رأيت الشاب يبكى ويكي ويبالغ

في البكاء ، ثم ينقلبه حزنه فيخنى وجهه ، وفيه

(٢) اللثة الشعر التي يجاوز شمة الأذن

لقد أزرى بي أن أفر راعمة فاهجر فراشى الطهور
وظلنى اليافعة إلى بلاد قاصية لانافة لى فيها ولا
جل ... »

وأعذرهما الملك ثم ذكر أوديسيوس فقال :
« أبدا ما رأيت أنبت جاشما ولا أربط قلبا
من أوديسيوس ؟ وإن أنس لا أنس يوم الروع
الأكبر ، يوم فكر أوديسيوس وفكر . ثم دبر
هذه الحيلة المجيبة ، حيلة الحصان الموهلة الذى قهر
لنا طروادة في يوم أو بعض يوم ، وقد عينا بها
السنين الطوال . لقد اختبأ داخله فرسان هيلاس^(١)
الصناديد ، وكنت أنا — سقى الله الشباب —
واحدا منهم ، فما أنسى قط حين أقبلت في
عصبة ذوى أيد من مذاويد الطرواديين (إذ هتف
بهم هاتف إن الحصان يحمل لهم شركا ويطوى
لقريتهم ثمورا) فجلت أنت نادين بأبناء الفرسان
اليونانيين واحدا بعد واحد لترى هل اختبأ منا
بداخله أحد كما تنبأ بذلك التنبؤون . فأنه
كنت أرد عليك نداءك حينما هتفت باسمي ؛ وأنله
لقد أوشك زميلي ديوميديد عليك هو الآخر ،
لولا أن فطن أوديسيوس فخرنا وحبس أنسنا
الشقاقة التى كادت توردها موارد الهلاك ، لو أن
أحدا منا خدع نفيس بينت شفة ... وأحرابا !!!
لقد صمتنا جميعا ولكنك عاودت ، فما كنت
تهتفين باسم أنتيكولوس ، حتى أوشك الجنون أن
يلى ، لولا أن كنت أوديسيوس أنفاسه بكتائديه ،
حتى لكاد يزهق روحه !!! ولم يمضه حتى أقبنا
أنك عدت أدراجك ، وعادمك القوم المنكرون »
ثم كان المزيج الأخير من الليل ، فتلف

الملك : لقد تذكرنا ، أنا وصاحبي ، جلائل أعمالك
فمرغنا فيك الملك الأجل ، والقدام البطل ، ولكن
ماذا تجدى دموعنا ؟ لقد ظلت يد الردى أخى وابن
أبى وأبى في سبيلك كذلك ! ألا تذكر ؟ أنتيوخوس !
البطل الفوارس والفارس الكرار الذى لم تكتحل
عيناي برؤيته ! أوه يا ابن أودودا القادر ، شلت
بدالك بما فتكت بأخى ... »

وتمطف الملك فطبيب ابن نسطور بكلمات
عاليات ، وأمر التدمان فصب الماء على أيديهم جميعا
ثم أخذوا في آكالمهم ، وصبت هيلين قطرات من
طيب مذهب للأحران في كأس تلياك ، وكأس
صاحبه ، لا يعرف من بذوقها إلى الأنسى من سبيل .
وحى قطرات عجيبة أهدتها للملكة ، زوجة (ذون)
الأميرة المصرية بولندامنا ، وكم في مصر من سحر
مبين !

وتكلمت هيلين ، فذكرت ما كانت من
أوديسيوس يوم التقي الجمعان عند اليوم ، وكيف
استطاع أن يتسلل مستخفيا في ثياب شحاذ إلى
داخل المدينة المتيدة ، وكيف قابلهما في حجرة
باريس ليطلهما على خطة اليونانيين ، وما كان من
رجائه إياها ألا تقضه عند أعدائه حتى يعود سالما
إلى معسكره وغيمه ، وأنها برت فلم تنه أحد
بوجوده . ثم رأت أن تتصل من فضيحة فرارها
مع باريس فادعت أنها كانت مسوقة إلى ذلك برغها
لأن فينوس كانت قد سحرتها عن نفسها (لما
وعدت به باريس من أنها ستبه أجمل غادات
هيلاس إذا هو قضي لها بالفاحشة^(٢)) . « واخجلناه !

(١) الألياذة — قضى باريس بالفاحشة لفينوس وحرّم
منها منيرا وجيرا وذلك سبب عدائهما لطروديين

(٢) اسم يونان القديمة

ينافس بعضهم بعضاً في كبر وزهو وخيلاء... من أجل زوجه !! يا للعار ! إنهم استباحوا كل شيء... كل نصمة وكل شأنه ، ولم يمسوا آخر الأمر عن عرضه . انى أستجبرك يا مولاي وأضرع اليك أن تخبرنى عما تعلم من أمر أبى ؟ هل قضى تحت أسوار اليوم ؟ أم ظالته يد المنون فى ركن آخر من أركان الأرض ؟ لقد كان خليلك وصفيك وأثر أصدقاك ، وأعز أودائك عليك ، فبكل آلاء ذلك عندك أستحلفك أن تصدقنى ... ماذا تعرف من أخباره ، وماذا عسيت سمعت من أنبائه ؟

وتنفس الملك تنفسة عميقة وقال :

« يا أرباب الأوب ! أبليت حقارة نفوسهم أن يفضحوا أوديسيوس فى عرضه ؟ ! ألا باءوا بما صنعوا ! ألا ما أشبههم بهذه الوعة التى أجابها الخفاص فولت فى عرين الأسد ، فلما عاد الأسد إلى عرينه لم يبق عليها ولا على أغفارها ^(١) ! حنانيك يا آلهة زيوس ! ميترقا ! أبوللو ^(٢) ! أين هو فيعطش الجبابرة كما بطش بشيلوميليد السرى من قبل ؟ تالله لقد اقربت ساعتهم وأزفت آرزقهم ... فطلب نفساً يا أبى ! إني متييك بما علمته عن أبيك من (بروتوريوس) راعى الأعماق ، وكاهن الأغوار ضلت بنا الفلك بما نسينا من التضحية باسم الآلهة ، فبافنا شطآن مصر ، ورسونا عند جزيرة فاروس ، بحيث كان فى مقدورنا أن نروى من كوتر هذه البلاد التى تمرى من تحتها الأنهار ،

تلياخوس واستأذن الملك فى الانصراف لياخذ كل نصيبه من النوم ، فتأذن ، وأشارت هيلين إلى وصيفاتها فأهرعن الى مخادع الأضياف ، فأصالحن فرشها ، وأعددن الملاحف والوسائد والحشايا ، ثم نهض أمين الملك ، ونهض فى إثره يزا ستراتوس وتلياخوس ، حتى كان كل فى مخدعه ، وحتى اطمأن كل فى سريره ، وناما ... فى ... فى ... سمور وفى قائم وفى سنجاب وتهاويل غير ذلك من الر

قم ومن سندس ومن زوياب ^(١) ونهض الملك والملكة كذلك فدخلوا القصر ، واستمسما لأطيب الرقاد

وذراً قرن أودورا ، ربة الفجر ، فى المشرق الوردى ، فهب الملك وأصلح شأنه ، ورف يازمه الأشهب فوقف على غاربه ، ثم مضى الى مجلسه حيث لقي تلياك فى انتظاره ، فجلسا وجلس وبدأ حديثه فقال :

« أى بى ! تلياخوس ! أيها البطل وسليل البطل ! قيم شددت رجلك الى هنا ؟ الى رحاب ليسديمون ^(٢) فى فلات البر وسروات البحر ؟ الأمر عام ، أم لشأن يخصك ويتعلق بشخصك ؟ » وأجاب تلياك : « مولاي الملك ! متالايوس العظيم ! لقد جئت آتحمس خبراً عن أبى وأقبات أحدث عن أعدائه الذين آووا الى بيته فاي ريمون يستنزفون غلته ، ويهلكون حرثه ، ثم هم مع ذلك

(١) القصر لآبن الروى لم نجد أحسن منه فى ترجمة أبيات سمور

(٢) من أسماء أسبرطه

(١) جمع غفر وهو ولد الوعل

(٢) كان أبولو من خصوم اليونانيين فى حرب طروادة ولما يدهشنا هذا الدماء

تنتفله فتقبض عليه. وتشد وثاقه ، فانه ينفك على أبعاد هذا اليم ، والطريق السوى الذى ينتهى بك . سالما غائما الى بلادك . بل ربما - إذا طلبت إليه ذلك - وقفك على كل ما حصل في بيتك من خير أو شر خلال سفرتك الطويلة ، لأنى أعرف أنك صفي السماء وجيب الآلهة .

غير أنى لم أدر كيف تستطيع أيدى بنى الموق أن تقبض على هذا الآله البحرى الكريم ؛ ولم أخف عليها ذلك ، بل حدثتها به ، وذكرتها لها أنه ربما ولى دبرة إذا شمر من يهذه المحاولة فلا أستطيع لقاءه بعدها أبداً . بيد أنها طمأنتنى ؛ وذكرت أن أباه يخرج من الأعماق في الظهيرة إلى جون قرب حيث يستلقى برهة وسط قطمان كثيفة من مجرى البحر ، من ذراى هاليسودنا الجميلة ، تأتى هى الأخرى فى أثره لتنام نمة . . . « فإذا كانت هذه الساعة فأتى سأقودك بنفسى إلى هناك ، وليكن معك من رجالك ثلاثة هم أشجعهم وأكثرهم قوة ، وسأدلكم على منمرج آمن تنتظرون به حتى يكون قد غلبه الكرى ، ثم تنقضون عليه فتكبلونه وتشدون وثاقه ، وإياكم أن يرهكم بشيء . أبداً ؛ إنه سيكون ثارة شيلارايا ، وثارة سيكون نارا ترى بشرى كالقصر كأنه جمالات صفر ، وأخرى يكون أعفوانا هائل كينفث السم . . . ولكن خذوه أخذاً شديداً ولا تفتلوه فتهلكوا . . . فانه إن آنس فيكم قوة عاد فانتفض إلى صورته الأولى التى رأيتوه عليها ، ثم ترويه بمد ذلك أسلس قياده ، وهذا وتطامن . . . فإذا فعل ذلك سألتكم عن حاجتكم ، فدعوا وثاقه وأطلقوا سراحه وسأله ما شئتم ، فانه يجيبكم عما تسألون . »

دربنى فمشى

(يتبع)

ثم لبثنا ثمة عشرين يوماً لا تجرى بنا ريح ، ولا يره هنا نسيم ، حتى نفذ الصبر ، وفرغ الزاد ، وطلنا أنه المعاد ، لولا أن رثمت لنا إحدى عرائس البحر فبرزت إلينا ، وكانت لنا غوثاً أى غوث ، كنت أجلس وحدى في منمرج بأحد أطراف الجزيرة ، وكان بقية صحبى وأكثر الملاحون يرتادون اللبأ بشوصهم^(١) عسى أن يحصلوا على سمك طرى يكون غذاء لنا ، إذ برزت عروس الماء (إيدوتيا) الجميلة ، ابنة كاهن الأعماق پروتيوس ، وهادت حتى كانت تلقانى ، ثم جلست بجانبى ، وحدثنى فقالت : « أيها النازح الغريب ! أكبر الظن أنك مذهوب بك ، أو أن بك مساً ، أو أن طائفاً من الجنون قد ألم بك ، أو أنك قد آثرت الشقاء السرمدى حيث لصقت بأرض هذه الجزيرة فما تنوى مضياً ، ولا تلتمس مخرجاً ، ولو هلك كل أصحابك ! »

ولم أبال أنى شدت ، فسألتها قائلاً : حسبك يارب ! إنى ما لصقت بأرض هذه الجزيرة بأمرى ، ولا أقت فيها عرساً ، بل كانت ذلك قدراً على مقدوراء ؛ ولكن حَبْرى يحقك إذ الآلهة تعلم كل شيء - من من أبواب السماء يجيبسى هنا . . . وهل مقدورى أن أرتد إلى وطنى فوق غوارب هذا اليم المضطرب ؟ . . . »

وقالت عروس الماء : « أيها النازح الغريب ! سأبثك فأصدقك ! إنك الآن مقيم بشطآن مصر التى تقع تحت إشراف أبى ، پروتيوس ، سيد الأعماق ، ورب اللبأ المصرية ، والمتصل برعايا نبتيون فى أغوار هذا البحر ، فإذا استطعت أن

(١) الشمس حديثة عفاء يصاد بها السمك (السارة)

على ! ليس الجبال في
السحاب ، إنما الجبال في
ظل القدم ، في الظل
اليوناني ، وفي الأم التي
يكنن إيقاعها وأوزانها
تحت الأرض ، حيث
تؤلف كل اثنتي عشرة
خطوة في الليل بيتًا من
الشعر

سيرة الجبال الهولندية

مسرحة شعرية في أربعة فصول

للسامع الفرنسي برنيس رستان

بقلم الأستاذ خليل هنداوي

الفصل الثاني

« قصر باريس لم يخلو في الجزيرة على ضفاف النيل ،
القصر خال من كل شيء ، لا مكتبة ولا كتاب ، هناك
أزمار في آتيتها ، تخال صغير في إحدى الزوايا ،
وفي الأعماق شرفة تطل على الصحراء كأنها تطل على
بستان من الرمال الذهبية للتوضيعة . والزمن شفق ! »

المشهد الأول

باريس (على مقعد ممدود) وسانتيا شقيقته إزاءه
سانتيا — الجو جميل والفصل بهي . . .

باريس — ألمي هذه اللغات البيض البعيدة
سانتيا — هذه ممفيس كما تعلم وبناييمها التي

تجري كأنها تجري من الأحلام
(يرى قرويان حلمات جرائم)

باريس — روما ! إن ثنائيك لا تبلغ مثل هذه
الروعة ! أراهن — وهن عشرين — كأن الحياة تكاد
تدب فيهن . سانتيا ! ليس الجبال في أطواء الكتب .

لا تمثل الكتب شيئاً ؛ إنها ليست إلا لحداً !

سانتيا — أو بعض شيء ندى برشف !

باريس — (يرى النسوة كأنها يؤلفن صفًا من
الجبال لا يتصل عن السيون) أليس هذا جميلًا حقًا ؟

سانتيا — إننا غادرنا من أجلك الحدائق
المؤرجحة بالياسمين كالآزهار الندية ، وقد هجرت
الكتابة يا باريس ! فلماذا لم تعد تكتب شيئاً ؟
(يشير باريس يده)

لاحق لك في الصمت الإنسي أسمع مكتبة الهاماتك ،
التي تتحرى عن كتابك . أنت لا تستطيع أن تبق
هذا العنديل صامتاً . ألا تود أن تكتب شيئاً ؟
باريس — أبدًا !

سانتيا — وهذه الأبيات ، وهذه الأغاني
الحادة المشوشة التي تنتهد في نفسك ؟

باريس — سأصرفها على ! بل سأطردها
كأنها أظاق متشرد ! على أني في بعض خطراتي
لا أكتملك أني أسمعها صارخة شاكية راجية أن
تبقى وأن تحيا . يرجوني نهدي قائلاً : ضمني في
كتابك ؛ وألمي الفتى يهتف بي : « خلدي ! » وخفوق
قلي يصيح : « دعني أبقى » . مع أن كآبات مساء
شاكية ، لأنها أضاعت أجنحتها ، تود أن تبقى خالدة
سانتيا — إنها لجرعة ! . . .

باريس — ذلك حسن ! على أني في الحقيقة
أعبد وأقدر هذه الآثار الرائعة المعجبة التي لم أقم بها
سانتيا — أتبكي ؟

كسرت قيثارتى وأصبحت لا أسف على شيء !
أقول لك : ما معنى كل ذلك ؟ وهل الشجرة التى
عاققت يونيو تفكر فى ما تناثر من أوراقها فى
الخريف ؟ إننى أحب هذه العزلة التى أحيا فيها الآن !
قد بلغت الجزيرة ليلاً كنفراً راحلين ؟ أنت
ومارسيلوس وأما ، لم نجد من ينقل متاعنا إلا هذا
الفقير المصرى ؟ وكانت لسلك هذه الميول الممدودة
هيئة عينيك .. لا صحف ولا جلجلة ، ولا قيثان
ولا مصورون ! كل هؤلاء لم يشقوا سبيلاً إلى
الصحراء ولم يجدوا منفذاً إليها ؟ فهذه النخلة
المهمة لا تعرف أشعاري ، وأبو الهول الجبار يسخر
— فى أحماق الليالي العبرية — من هؤلاء المفسرين
أحلى الحياة ، الجاهلين أحجيتهم العجيبة ولنزه
الغريب ، وإنى لأراني مفتوناً بهذه الظلمات الجديدة ،
وبهذه الضبطات التى لا تجعل منى رجلاً مشهوراً . . .
ما عسانى أقول ؟ إن اسمي — هنا — شيء
مجهول ، ولا شيء من كل الجلبة التى قامت حوله
بلغ هذا المكان . كذلك الزهو الانساني يتلاشى
ويشمر بصناره وحقاره على أقدام الأهرام . لا أحد
يعلم اسمي ، ولا أحد يمس كلمة من كل ما صنعت

(يفتح الباب وتدخل فتاة مصرية وتخل أمامها
كاشها رمز خفى من رموز المدينة)
الفتاة — الشاعر إيجبلانو !

المشهد الثانى

الفتاة — (يردد) :

الشاعر إيجبلانو

سانتيا — ولكن . . .

الفتاة — هذا هو ياسيدي

باريس — إنك واهمة

الفتاة — ولكنى جزت المدينة بمحاجى القلب

لأحظى برؤيته ، وأليت الصغير الذى تحرسه نخلة

باريس — ماذا تريد منى ؟ بل ؟ . . . إننى
أدرف الدمع تهاناً بلا انقطاع ! لقد كنت قبلاً
أعبر فى قصائدى الأولى عن فتوى ، ولقد كان
صراخى الزئاف فى الليل مثيراً ، أما اليوم
— يا سانتيا النعمة — ما عسانى أصنع فى شمرى ؟
وأغنى المدهشة قد فقدت رقتها وأصبح أجملها
ما طفع بالدموع

سانتيا — إذا شدا العندليب فى شدوه رقة البكاء
باريس — فى الآلام الكبيرة لا يستطيع التناهد !
سانتيا — ألا نجد نفسك — خلال سكينتها —
أسفة على سماء إيطاليا وعلى ذلك المساء المائى الذى
نثرت فيه روايتك على الشعب المائج
باريس — لا أسف على شيء

سانتيا — ولا على القطعة الممزقة : ذلك الأثر
الذى لم يمد يدي شيئاً . قطعه الممزقة صنعت
المدينة جماء ، ولم يبق منه إلا نسخة واحدة . إننى
فكرت فيه وفكرت فى تلك المرقق للتأثرة فى
الليل . هذا فؤادك يا باريس ! فؤادك الكثيب
الزاهق مرققه فى كل ورقة تطير ! ألا تأسف على
ذلك اليوم المقطوب ؟

باريس — لا ! وصنعت فى ذلك اليوم ما أصنعه
دائماً ، لأننى ما كتبت لحظة إلا ظارحاً فؤادى
على الناس . إننى غير أسف على شيء

سانتيا — ولكن ألا تأسف على صوت
إيزابيلا ؟ ألا تأسف على ذلك السكبان المذهب الذى
بنظرة واحدة منه عرف أن يصنعك ! إنها يا باريس
كانت إلهة فك ؟ فهل تستطيع أن تفر من
صوتها ومن نظرتها كل دهرك ؟ وهل نسيت أنك
أصبحت تصنع أجل أشعارك لتشدو بها ؟

باريس — تلك كانت القيثارة التى يفتش عنها
فؤادى ، واليوم أصبحت غير محتاج إليها . لقد

لأنك مزقها ، أنت باريس إيجلانو الذى أعبدته
باريس - ارحم قلبك فاني أحطمه
الفتاة - ولكنى رأيتك

باريس - شاعر كبير بالقرب منك ؟ هذا هو
أنا ! فلتوق نفسك الطاعة ؟ هذا ما كنت تتمنينه
الفتاة - إذا كانت نفسك تريد في كل آن
الهزء والسخرية ، فلا تفسد تلك الصورة التى
أحفظها لك ، فكل ما أنا مدبنة لك به من بهاء نور ،
وقم عالية ، وكل ما أودعته في صدرى من أحلام ،
ومثل أعلى ، وعظمة وجلال

باريس - أ كاذب وأضاليل !

الفتاة - المثل الأعلى !

باريس - إن هو الاقناع عتيق مزوق !

الفتاة - لقد كانت غداؤك لى خيراً من
الشهد والخبز

باريس - أسكتى ! لقد كنت كاذباً

الفتاة - واسكت أنت ، وليكن الآن
ما كان مجنوح ذوقك إلى الأسرار ، فانت رفعت
قلوبنا بأنتينك وبكائنك

باريس - إنه لحد فارغ ، بل ليته كان لحداً !
إنه ليس بلعد ، وهل المتدليب الذى يث شجواه
على الأغصان ينادى موسيقياً لينقل دموعه ، وذلك
الشقاء الأليم - بعد أن يبلغ القمة - ألا يسكت
إلى الأبد ؟ لا ؟ اننا لم نقل شيئاً عن حظنا الشوم ،
ومن هذه المسألة العامية لم يبق لك إلا البقايا

الفتاة - اننى سأقتع بهذا اللحد الفارغ ...
ولكن ماذا ! ان باريس إيجلانو حتى يرزق ؟ فإ
يعنى الليل والسكون الكدرى ؟ أنه حتى ؟ أنه في

صدر الحياة ، لن تكون الأرض خالية فارغة
(وتخرج وهو يتكلم على الطاولة كأنه مجنوب
بشكر سرى ، يفتح درجاً ويظهر في صورة ثم يضعها
أمامه ، ويكتب ... وتخرج سائتاً)

سوداء اجتذبتى كأنه معبد في الطبيعة ، لأن لنا
قلوباً إن لم يكن لنا وجوه
باريس - خطأ !

الفتاة - نحن اللواتى نظل وراء أقنعة الكآبة
حتى في النهار يأتي إلينا « الغرب » مع نسائم البحر
باريس - ولكنه لا يحيا هنا

الفتاة - تخطر صورته بين جوانحي دائماً ،
صورته المبهوبة ، صورة هذا الذى يُبكي عليه أشد
بكاء . بلى ! أهواه ، وكل قصيدة من قصائده الملهية
تقدر أن تعبر عن نفسى بلهجة أوضح من لهجتي .
إننى أنطق مع آياته ، وأحس مع ذكرياته ، وأنالم

لهتافه ، وأحب مع تنهدياته

باريس - ولكنه مات

الفتاة - (بلهفة) مات ! يا إلهي ! ليس ذلك
ممكناً

باريس - مات ؟ ولى الفخر بمعرفته ؟ لقد
كان لى صديقاً

الفتاة - مات ...

باريس - أنت تسكين ...

الفتاة - أحس أن الوجود كله أمسى محدوداً
باريس - (مخطفاً الصورة من بين يديها)

وهذه الصورة ...

الفتاة - أصونها وأقدسها منذ طمى

باريس - أنظري ما أنا صانع بها

(يزنها) والآن فأبكي أيضاً !

الفتاة - إلهي ...

باريس - أبكى الآن على شيء ؟ أبكى على
صورة ...

الفتاة - (مصدرة بصرها قليلاً في وجه باريس)
هذا هو أنت ؟ فهمت الآن ، لا أحد يقدر على
أن يأتي بهذا التجذيف الشيطاني ... أنت إيجلانو

أنت الذى شهدت صرعة الآلهة وشعبت مع

الغيوم

هذه غيوم !

الأبدية هي البساط الذى تسحب عليه غزالك ،

وغذاؤك — حين تطلب الغذاء — أحلامنا »

(يتم الكتابة ، فيدخل مارسيلوس صاحب

الوجه ، يدنو من باريس وباريس ما زال يكتب

كالجذوب بهذا الوسى . ينظره مارسيلوس وتجاه

يطرح باريس مآكبيه على الأرض حيث يرى

مارسيلوس)

المشهد الرابع

باريس — مارسيلوس !

مارسيلوس — ماذا تودى عنى ؟

باريس — لا شيء

مارسيلوس — أشمراً ؟

باريس — (ناظر آفى مكان بيد حيث يبدو أبو الهول

كفارق فى الضباب الذهب)

ذاك من أجله ، لا من أجل هذا العالم القائم .

اليكها ! ها هي ذى مطروحة على الأرض !

مارسيلوس — أعنتها عن أخيك أيضاً ؟

باريس — وما عسى يجدى ذلك ؟ إنك تدرى .

الشحوب الذى تقنع به وجهاً !

مارسيلوس — ولكن ...

باريس — (يتناول منه كتاباً) :

فرجيل ، دائماً !

مارسيلوس — أتلوه باستمرار ، إننى أعود

دأماً إلى طريق النور حيث فتح « فرجيل »

أجفاني . يخيل إلى أنه ينادى : « أنت مارسيلوس »

والشفق الذهب مغفور بالسلام المادى ، يظنوه

عليه صفاء وخشوع ، أعود دائماً إلى بيته العظيم

القاتل « سستندو مثل مارسيلوس » فهل يا ترى

أحول يوماً ذلك الجوال الذى اختلسه الزمان من

المشهد الثالث

باريس — (منفرداً)

لا لا ... لا أستطيع

(قوة غريبة تدفعه الى الكتابة)

هذه هي المرة الأولى من بعد فصول فارغة

وشهور خالية . لماذا ، لماذا ، لماذا يا إلهي ؟

هذا الموكب القديم ؟ الكلمات ؟ أية كلمات يجديني

نفساً ؟

نفيتك عنى عشرين مرة أيها النسمة المساة

من عالم الآلهة ، لا أريد مبيتك على ، ولا أريد أن

اميل إليك . فى هذا المكان المنزل لا أحد يشير

إلى أنك تنزل على الأرض

لا كتاب عندي لا شيء ... الهواء ...

الفضاء ... الريح ! ومارسيلوس وحده يتلو

« فرجيل » حاكماً . ولا يدل هذا البيت على أنه

بيت شاعر ، وإنما يدل على واحدة نفس قلقة ،

التهمةا قلقة

بلى ! هذا هو العنوان الوحيد الذى خلدها في

الوجود ، وهذه صناعتى الوحيدة ، إننى قلق ...

فلماذا لا ترالين تعودين نفسى وتهيجيني أيها الآلهة

التي أكره زيارتها في كل أصباحى ؟ ولماذا توسوسين

لنفسى بأبيات جديدة ؟ لا أود أن أكتب شيئاً ؟

أفهمت ؟ إن فكرتى الحمية تذهب إلى أبعد من

عالم الكلمات ، وأما غادرت كل عالم التعبير والألفاظ

(يكتب بأملء غير منظور)

« يا أبا الهول الأعظم ، يا وثن المدم »

الذى تدعوني إليك بعيداً من العالم !

الصحراء هي أوقيا توسك ، والكواكب هي

أحداقك !

تبدو لي كأنك علامة ساحرة !

خلال أعماق الأعصار والأعمار

كارسيلوس « وإن حفظه كله يتمثل في ذلك القند
(يبتعد قليلا وباريس يهز كتفيه باسما ثم يعود
مارسيلوس على أثره)

مارسيلوس - نسيت أن أنذك شيئا عظيما .
على قيد خطوتين مني في الطريق أتلم أني لمت
« إزيابلا موتى ؟ »

باريس - (بدعشة)

إزيابلا موتى ...

مارسيلوس - هي ذاتها

باريس - إلحى !

مارسيلوس - لم تكن وحيدة ، كان بتيهما
أرجائتي وجدهتا هيلين

باريس - إن هذا الجنون : لا أستطيع أن
أراها ... لا ! لا أستطيع ... إن الشاعر قد اتحرق
نفسى ، وإننى أظرد كل ما يمدني الماضى عنه بلسان عذب
إزيابلا ... إنه اسم غدا بعيدا عنى ... إنها

هى التى فرت منها فرارى من القدر

(يقرع باب الحديقة)

مارسيلوس - آه هم أنفسهم

باريس - لالا ؛ لماذا ضعفت ؟ إن قاتى يذود
عنى إزاء الفن الى الأبد ... لتدخل ...

(مارسيلوس ينطلق ليفتح الباب ويهز لحظة جامدا)

نعم ! لتدخل ! لقد كنت أخاف قبلا ، والآن
يتراءى لى كل شيء إزاء أبى الهول بخاراً متلاشياً .

إذهب الى لقائهما ، ولتأت ولتلم أن كل شيء .

- حيث يقيم أبو الهول - سحب طير ! إنها

أصبحت - عندى - لا شيء .

إزيابلا - (صائحة)

باريس !

(تمتد يداها ثم تسقطان على فراخ)

هذا الذى كان يكتب لى قبلا

(يتبع)

فيلين هنراري

مشمله ؟ وهل أموت قبل أن أستنفذ فكرتى ؟
قبل أن أضوى من الحياة وقبل أن أجد « فرجيلا »
يحميلى فى النهاية خالدا ؟

باريس - ولماذا تتكلم عن الموت ؟

مارسيلوس - أتلم لماذا أحلم به ؟

إنى إذا احترضت قبلك على هذه الرمال المحرقة ،

وإذا قدر لى أن أكون السابق وأنت اللاحق ،

وإذا قدر أن يكون للأصغر أصرا إرشادك إلى الطريق

فى هذه الظلمات حيث يهزم آخر فشل ، إذا قدر

لك يا أخى البكر أن تقتفى أنت قبس مشملى لتتزل

فى مثواك ، فأقسم لى بأنك تتناول القيثارة المهمل

المحطم قطعاً على الشاطئ بقلب شجاع . أقسم لى

بأنك تبغى خالداً فى شمرك . إن جزع الموت

يخف على وقعه إذا جئتني خلاله وإذا قدمت واضعاً

على لحدى إكليلا من النار ... أقسم !

باريس - (بإنشامة)

إنى مقسم لك ... ولكن لماذا يساورك هذا

الشك فى نصيبتنا ؟ إننا سنموت معاً فى يوم لا زال

بعيداً ، نموت كهلين هادئين عارفين سره الأكبر

مارسيلوس - (متنبهاً)

إننى فى ريب من ذلك ؛ إننى لا أجد طريقاً

أمام قدى القيتين ... ويخيل لى أن كل شيء منته

أو محدود ، ولكن هذا ليس له جمال غريب ؟

جماله بالأزى على هذه الأرض الصفراء التى طرحننا

عليها القدر ، لآزى من كل شيء إلا شبعاً وميعراً ،

لا تكتمل ولا تتألم ولا تحب . نرى كل شيء بعيداً

دون أن نألنه أو نأنس به . غير متروحين الا وردة

القند !

أخى ! ليس هذا القدر بقبيح ، أقسم لك

على ذلك

يقول البيت الناقص : « ستنفذو أنت





صاحب المجلة ومديرها
مؤسس تحريرها المسئول
أحمد حسن الزيات

جلد الاشتراك عن سنة

٣٠ في مصر والسودان

٥٠ في المالك الأخرى

١ مئة العدد الواحد

إدارة

شارع عبد العزيز رقم ٣٦

التيبة الخضراء - القاهرة

تليفون ٤٣٣٩٠ ، ٥٣٤٥٥

المجلة

مجلة أسبوعية للفقه والنقد

تصدر مؤتلفاً في أول كل شهر وفي نصف

السنة الأولى

٤ صفر سنة ١٣٥٦ - ١٥ أبريل سنة ١٩٣٧

العدد السادس

من أحسن القصص



فهرس العدد

صفحة

الحامي	لجى دى موباسان	بقلم أحمد حسن الزيات	٣٣٠
حناف الهاوية	أقصوة فرنسية	بقلم ف. ف.	٣٣٤
كيف كنت عمأ	أقصوة مصرية	بقلم الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازني	٣٣٦
مبارزة	لثغولا تيشوف	بقلم الأستاذ عبد الرحمن صدقي	٣٤١
من القائل	لأندريه وارنود	بقلم الدكتور محمد الرافعي	٣٤٥
في سبيل الزوجة	لتوماس هاردى	بقلم الأستاذ كامل محمود حبيب	٣٥١
يوميات نائب في الأرياف	صور مصرية	بقلم الأستاذ توفيق الحكيم	٣٥٧
الساحر	لتشير لكوف	بقلم الأديب نظمي خليل	٣٦٣
صيد السمك	للكاتبة الإنجليزية سرفلاد	بقلم الأديب حسن حبيبي	٣٧١
اعترافات في مصر	لأنفريد دى موسيه	بقلم الأستاذ فليكس فارس	٣٧٤
الأوذنة	لهوميوس	بقلم الأستاذ دويتى خشبة	٣٨٠
سر أبي الهول	لموريس رستان	بقلم الأستاذ خليل هندواي	٣٨٥

الأمين، يؤدي كل سخرة، ويلبي كل طلب،
ويتنذل بنفسه للنائب في كل ما جل وقل من
غير كلفة ولا حرج

ثم اتفق في إحدى المفامرات البرلانية
أن صار هذا النائب وزيرا، فلم تمض ستة
أشهر على ذلك حتى عين جان مارين مستشارا
في مجلس الدولة

أصاب الرجل أول ما أصابه فكة من الصلف
والكبر طاش بها ليه وغاب فيها صوابه، فكان
يجوب الشوارع ولذته أن يظهر
للناس، كأنهم يستطيعون أن
يعرفوا المنصب الذي صار إليه،
بمجرد أن تقع أبصارهم عليه.
وكان يتصيد الناسبات ويترصدهم
الفرص ليقول لصاحب الخانوت
وبائع الصحف وسائق المركبة:
أنا - ومنصبى مستشار
في مجلس الدولة - ...

ثم شمر بعد ذلك بالحاجة
الملحة إلى أن يحمي غيره، كأنما
اقتضاه ذلك الشموخ كرامة
المنصب، وضرورة التهنئة،
وواجب التقدير الكريم. فقدم
سندته وعونه إلى كل امرئ في
كل أمر، وبسط عنائه في ذلك

حتى عفا على حاجة المحتاج وسؤال السائل. كان
إذا لمح في الشارع ونجما يعرفه دلف إليه في لهفة
وهشاشة؛ ثم تناول يديه وسأله عن صحته وحاله،

الحجستاني

للكاتب القاصي جدي موباسان
بتعلم أحمد الزيات

لم يكن جان مارين يقدر في حله ولا في وعه
أنه سيكون يوما على هذه الثروة وفي هذه المنزلة
وهو ابن محضر من محضرى الأقاليم. أرسله أبوه
إلى الحى اللاتيني يدرس الحقوق
كما يدرسها كثير مثله، فكان
رحلئسا من أحلاس مشارب
البيرة ينشأها واحدا بعد
واحد، حتى اتصلت أسبابه
بطائفة من الطلبة الرغائين الذين
يستفرون أحداث السياسة
وهم يتماطون أكواف البيرة.
واشتد إعجابه بتخليطهم وولوعه
بخلاطهم، فطلبهم في كل
مجلس، وتبعهم إلى كل قهوة،
حتى كانت يؤدي عنهم ثمن
ما يشربون إذا كان في كيسه
فضل. ثم طالع الهامة فلم يفرز
في قضية من القضايا التي
دافع عنها



موباسان

وفي ذات صباح قرأ في إحدى الصحف أن
رفيقا من رفاق الحى اللاتيني انتخب عضوا في
مجلس النواب، فأصبح له الظل اللازم والكسب

وقال له قبل أن يسمع الجواب عن سؤاله :

«تصرفني مستشار الدولة ، وستجدني إن شاء الله عند حاجتك؟ فقول على بما شئت في غير ضيق ولا تخرج؛ والرء في مثل منصب طويل الباع عريض المقدرة ثم عيّل بكل من يقابله هذه المقابلة ، ويسأله هذه المسألة ، إلى القهوة القريبة ، فيطلب فلما ودّوا وورقاً من أوراق الرسائل « ورقة واحدة ، يا غلام ، فاني أريد أن أكتب كتاب توصية »

كان يكتب في اليوم الواحد من عشرة كتب إلى خمسين كتاباً في التوصية ، فلم يدع قهوة في العاصمة إلا كتب فيها ، ولا موظفاً في الحكومة إلا كتب إليه ، وكان بذلك رخي الصدر موفور السعادة

ففي صباح يوم من الأيام كان في طريقه إلى مجلس الدولة فأمطرت السماء ، فراودته نفسه أن يركب مركبة ولكنه لم يفعل ، وأثر أن يبلغ مكتبه على قديمه . ولكن النيث انسكب مدراراً فشرقت به الطرق وغرقت فيه الأفازير ، فاضطر السيد مارين أن يلوذ منه بأحد الأبواب ؛ وكان قد لجأ إليه قبله قسيس شاع المشيب في رأسه ولحيته . والسيد مارين كان يكره رجال الاكايروس ، فلما صار مستشاراً أصبح يحجمهم ، لأن أحد الكرادلة جاء في أدب واحترام فاستفناه في مسألة عويصة كان المطر لا يزال ينهمر غزيراً ، فدفّع بالرجلين إلى ماوى البواب يتقيان به اللبل ، وكان في طبع السيد مارين حافظ يشبه الحكمة يغريه دائماً بالكلام ليرفع من شأنه ويدل على نفسه ، فقال :

— هذا يوم فظيغ ياسيدي القس

فانحنى القسيس الشيخ وقال :

— نعم ياسيدي ، وهو أفضل على من يقدم إلى

باريس يقضى فيها بضمة أيام

— آه ! أنت من الأقاليم ؟

— نعم ياسيدي وما أنا في باريس غير غريب ...

— لاجرم أن هذا الوابل الهتون ينقل على نفس المابر الذي يريد أن يقضى في العاصمة بضمة أيام ؟ أما نحن معشر الموظفين الذين لا يرحون لها طول المام فلا نكاد نمبأ به ولا نفكر فيه

لم يحب القسيس وإنما أخذ ينظر إلى الشارع وقد خف هطول المطر ، ثم شرع فجأة يشمر مسوحه عن ساقيه يريد أن يعبر الطريق كما يفعل النساء حين بردن عبور الجدول . فلما رآه السيد مارين يريد الانطلاق صاح به :

ستبل نفسك ياسيدي القس ، فتمهل قليلاً فقد أوشكت السماء أن تقلع

فوقف الشيخ المتردد وهو يقول :

— أنا يا سيدي على حد بحلة ؛ وإن عندي موعداً لا سبيل عنه ولا وقت له

فتبين في وجه السيد مارين الكدر ، وقال للقسيس : إنك ستعبر الطريق لا محالة . ولكن ، هل أستطيع أن أسألك إلى أى الأحياء تريد أن تذهب ؟ فتردد الخورى ثم قال :

— إلى ذاهب إلى جهة (الباليه رويال)

— إذن أستطيع ، إذا سمحت ياسيدي ، أن أفيك اللبل بمطربتي ، فاني ذاهب إلى مجلس الدولة وأنا مستشار فيه

فرفع الشيخ القسيس إليه أنفه وحلّ فيه بصره ، ثم قال : قبات ياسيدي ، وأعركك جزيل الشكر حينئذ أخذ بذراعه ومشى يجره ويسبّده ويرشده وينصحه :

« خذ حذرك ياسيدي القس من هذا السيل .

قال السيد مارين في اهتمام ولهفة :
— ولكنهم ياسيدي القس من صفوة أصدقائي
ومن خيرة زملائي . وكلهم طريف الطبع عذب
الخلق . فاحل علي من أمرك ما تحب . وسأكتب
إلى ثلاثتهم كتب التوصية بك لا ألوم فيها تأكيذاً
ولا شفاعاً . فأقبل القسيس بشكرو ويمتدح ويتفرح
والسيد مارين يقول له في غبطة وزهو :

إن من حقك أن تفخر بمثل هذا الحظ
الناهض ياسيدي القس ؟ وسترى أن قضيتك
بفضل ستسير من غير حائل ولا شاغل
فلما بلغا دار المجلس صعد السيد مارين إلى
مكتبه وقدم إليه كرسيًا أمام المدفأة وجلس هو على
مكتبه وطقق يكتب :

« زميلي العزيز ! ... اسمح لي أن أوصيك خير أرجل
فاضل من رجال الدين ومن أوفرهم كرامة وأكثرهم
جدارة هو القسيس .. » ثم قطع الكتابة وسأل :
— اسمح من فضلك ؟

— القسيس ساتتور
فماذ السيد مارين يكتب :
« القسيس ساتتور ، وهو في حاجة إلى جميل
عطفاك ونيل عونك في مسألة صغيرة سيحدثك
عنها : أنا سعيد بهذه الفرصة التي سمحت لي بإزميلي
العزيز أن ... »

ثم ختم الكتاب بالتحية المعروفة ...
ولما حرق ثلاثة الكتب وطواها ألقاها إلى
صنيعته ومحيطه فأخذها ومضى وهو يلهج بالثناء
ويلهث بالشكر

أم السيد مارين عمله ، ثم انقلب إلى بيته ،
فقضى نهاره رخي البال ، ونام ليله قرر الجفن ، ثم
استيقظ صباحه منشرح الصدر ، فدعا بصحف

اتق على الأخص مجلات الركبات ؛ إنها ترشك
أحياناً من قدمك إلى رأسك . اجعل بالك لطريات
المارين فلا شيء أخطر على الميراث من أطراف
حديدها ؛ والنساء على الخصوص أشق على الساترين
في ذلك ، فانهن لا يجملن بشيء ولا يلتفتن إلى أحد ،
وقد يفرسن في حر وجهك أطراف مظلالتهم أو
مطرياتهم . وهن عشيان لا يبالين كأنهن يملكن
المدنية ، فهن يمكن على الأفرز وفي الشارع .
وفي رأي أن تربتهن مهمة أو مفئلة .

ثم جعل المستشار الناصح يضحك والخورى
الشيخ صامت لا يجيب ؛ إنما كان يسير عنى القامة
يتحسس في عناية وحذر موضع خطوه حتى لا بلوث
نعله ولا ثوبه

استأنف السيد مارين الحديث قال :
إنك قدمت إلى باريس لتلوه فيها قليلا ولا
شك . فقال له القسيس في سذاجة :
كلا ، إنما قدمت في عمل

— آه ! وهل هو عمل مهم ؟ وهل لي أن أسألك
عن موضوعه ؟ إذا رأيت أنى أنفك بنافذة فاني
طوع أمرك
بدا على الخورى الارتباك ونم حاله عن التلق
فقال مغمضا :

أو ه ؟ إنها مسألة صغيرة شخصية ؛ هي مشكلة
نافعة مع ... مع مطرائي ، إنها لاتمليك ...
مسألة داخلية من ... من ... نوع الكليروسي
فبادره السيد مارين بقوله : ولكن مجلس
الدولة هو الذى يقضى في مثل هذه الأمور .
فاعتمد على في شأنك . فقال القسيس :

نم ياسيدي وأنا ذاهب إلى هذا المجلس .
إنك طيب القلب جم المروءة . إن مسألتى بين أيدي
السادة لوريير ، وسافون ، وبتيبا

ثم جلس فجأة إلى مكتب السيد (بتينا) وأخذ يكتب :

مولاي . أبتشر ف بأن أرفع إلى عظمتك
ثاني وقت خفية لدساس وأكاذيب نسجها قسيس
ييدي سنثور ثم فاجأ بها سلامة نيتي . وما زال يدور
من وراء خديعتي حتى هملني على أن أكتب
ولا أمضي الكتاب وغلفه التفت إلى زميله
وقال له :

أرأيت يا عزيزي ؟ عساك أن تتخذ مما حدث
 لي درساً وعبرة . إياك أن نكتب كتاب توصية
 بأحد ! أسمعتم ؟
 (الزيات)

الى كل كاتب عربي في مصر وفي غير مصر :

المباراة القصصية للرواية

تشجيعاً للقصاص العربي تفتتح (الرواية)
مباراتها السنوية فيه بهذه المباراة :

مباراة في الأقصوة

جائزتها خمسة عشر جنيهاً مصرياً
وزعها المحكمون على الفائزين الأول والثاني

الشروط

- ١ - أن تكون الأقصوصة شرقية الموضوع
- ٢ - » » » » بليغة الأسلوب
- ٣ - » » » » نبيلة الفرض
- ٤ - ألا تزيد على عشر صفحات من (الرواية)
- ٥ - ألا يتأخر موعد إرسالها إلى (الرواية)

عن آخر مايو سنة ١٩٣٧

لجنة التحكيم سنعلن عنها فيما بعد

الصباح فكان أول ما وقع في يده صحيفة انقلابية
(راديكالية) وكان أول ما قرأ فيها هذا الخبر :
« اكبر وسنا وموظفونا »

لا نكاد سنثات الاكايروس ننفذ على
الاحصاء : هذا قميس يدعى سانتور قد ثبت عليه
بأدليل القاطع أنه ائتمن بالحكومة القاعة ، وأنه
اقترب طائفة من المنكرات نصون القلم عن ذكرها ؟
وقد اتهم فضلاً عن ذلك بأنه يسوعى قديم قمص
نوب قميس نائى . ثم عزله مطارنه لأسباب
يؤكد الراون أنها مخزية . وقد استمدى إلى
باريس ليحاسب على هذا الدوك ، فاهتدى إلى
مدافع وارى الزناد حديد الفؤاد فى مستشار يدعى
مارين لم يتخرج فى أن بوصى بهذا الشرير الفاسق
جميع الموظفين الجمهوريين من زملائه . نسجل
هذا الخبر المريب ، ليرى معالى الوزير رأيه فى
موقف هذا المستشار الغريب . . . »

لم يكذب السيد ماريين يأتي على آخر هذا الخبر
الصاعق حتى وثب فارضاً ثيابه وذهب يمدو يده
إلى زميله (بنتيا). فلما رآه الزميل صاح به :
— ويحك ! أبلغ بك الجنون أن توصي بهذا
المؤتمر المعوز ؟

فأجابه مارين وهو من الجزع لا يملك قلبه
ولا يجد لسانه :

— حاشا حاشا اريدك لقد خدعت ا
تظاهر هذا الخبيث بالورع والنبل حتى خدمني ..
خدعني بنذاته ؟ فأرجو أن يحكم عليه بصرامة .
لأننا خدك به رافة ... أما أنا فأسألك بكتب . قل لي
إلى من يبين أن أكتب لأسأله أن يحكم عليه ؟
أنا ذاهب إلى النائب العمومي ... ثم إلى رئيس
الأساقفة .. نعم إلى رئيس الأساقفة ...

هتاف الهاوية

اقصاصة فرنسية

واهتزت الصخور وفتحت الهاوية فأها ، فتساقطت الجنود فيها في أقل من لحظة ، وتراجع من بقي إلى الوراء وهم يسمعون صراخ رفاقهم يصمد من الهوة بأعين يفتت الأكباد . وساد البكوت بعد برهة ، فرجعت الوديان صدى عويل الشجعان ، وقد نواروا عن الأبصار في ظلام هاوية لا قرار لها

وصرت الساعات وقد عاد كل من الفريقين إلى نمسكته واهى القوى ، وقد خارت المزامم أمام هذه الكارثة ، وتضعض الرأي في إنقاذ ضحايا الهاوية وعند الساعة التاسعة قبل الظهر دخل معسكر الفرنسيين رسول من قبل (ولنجتون) وطلب المثل أمام المارشال ناي ، وكان هذا منفرداً في مضربه غارفاً في لجج التفكير يقطع قلبه حزناً . فتقدم الرسول ووقف بين يديه وقدم إليه رسالة من مولاه ، فأخذها من يده وتلاها كأنه مستفتي من حلم عميق ثم نادى أحد القواد وقال له :

— أعد فرقتك لتسير معي إلى الجبل
وما مضت دقائق معدودة حتى كانت الفرقة تتسلق الجبل بقيادة المارشال . فلما وصلوا إلى القمة رأوا ولنجتون في انتظارهم وحوله قواد جيشه ، وكلهم واجهون . فقال ولنجتون لنأي :

— إنك تم ولا ريب بأمر الشجعان الذين ابتلهم هاوية الكوبا هذا الصباح . وأنت تعلم أن المداء يقف عند الكوارث ؟ فلنتعاون لئلا بين رجالك ورجال أحياء يمكن إنقاذهم من هذه المينة الضمء وتقدم ناي إلى ولنجتون وصاحه قائلاً :

— كان علينا أن نفكر في هذا الأمر دون تأخير ، ولكن الاضطراب جمد دى ، وهذه هي المرة

الأولى في حياتي التي أشعر بها برعشة الخوف وتقدم الجميع إلى فوهة الهاوية ، وكانت الشمس المحرقة تمكس أشمتها على الصخور البيضاء ، والهواء

كانت الجيوش الانكليزية معسكرة على قمة جبل الكوبا متحصنة في مراكز منيع ، لا تحسب للحملة الفرنسية حساباً ، وكانت هذه الحملة تدور بقاعدة الجبل ولا يعلم قوادها كيف يتدبرون الأمر ، حتى رأى القائد الأكبر (ناي) أن يجمع الجيوش وينظمها ليقتذف بها الجبل المنيع . ودوت الوديان بصوت النفير الملن المهجوم ، فاندفعت الكتائب تتسلق الصخور كأنها محمولة على أجنحة ترفعها رفقا في الهواء

وما مضت ساعة حتى كانت عساكر ناي وعددها أربعة آلاف مقاتل يمدق بالانكليز على قمة الجبل ، فذعر الجيش الرابط لهذا الهجوم المفاجيء فأصلوا المهاجمين من مبداهم نارا حامية ردتهم لأول وهلة على أعقابهم ، فلم يمد يرى على تلك المرتفعات المانقة الغيوم إلا أشلاء تطاير في الجو ، ولم يمد يسمع إلا الأنين يخففته إرصاد البارود بمقد بدخان الكثيف قبابا ترمى العيون . وكان كذا أبادت المدافع صفاً من صفوف الفرنسيين يتقدم غيره من وزائه ليتقبل الموت . وفتت الذخيرة ، فصمت المدافع ، وبدأ الدخان ينشع عن الموقع ، غشى الانكليز ارتداد الأعداء عليهم فقادوا أدراجهم مدبرين وارتفع صوت المارشال ناي هاتفاً بجنوده :

— هيا إلى الأمام !

فترا كفت الكتائب لاحقة بالأعداء معملة فيهم كسيف حتى بلغوا منحدر الجبل للجهة الثانية ، فارتفعت الأرض تحت أقدام التراجعين والمهاجمين

هذه الوهاد المميقة تخلص منه رجالنا ؟
وتقدم القس الى فوهة الهاوية ، ثم تراجع وقد
كلل جبينه البرق وامتعق لونه ، فقال أحد القواد :
لقد زلزلت الأرض فجأة تحت أقدام الجنود
فتدحرجوا في هذه الهاوية
وقال ناى : لقد سقط أربعمائة من شجمانى في

هذه الحفرة

وقال ولنتكون : وألف من شجمانى ابتلعهم
هذه الحفرة أيضا
وعلى الجح الانظار على شفتى القس منتظرين
ارشاده ، فإذا هو يسقط جانبا وتهمر من عينيه
الدموع وهو يتمتم بصوات الأموات
وكان الجنود أروخا من الجبال اربعمائة متر ولم
يبق لديهم منها سوى عشرة أمتار ، فإذا بصوت
ضعيف كأنه الهمس خارج من القاع يقول : أروخا
الجبال أيضا

وأرخت الأمتار الباقية وربط الجبل فى
تتوه من الصخر ، فخرج من الهاوية صوت يقول :
لا يمكننى أن أتقدم بعد ، إننى أسمع صراخا
وعصفت الريح فى القاع فانقطع الصوت

متلاشيا فى الهدر

وتقدم للارشال ناى الى الشفير ونادى بأعلى
صوته : أيها الشجاع ! ماذا تسمع ؟

وساد السكوت ، والرعب عملا النفوس ، ورفع
الكاهن يده وبارك ، فانكشفت الرؤوس بخشوع
وجنا الجنود مصليين وهم ينتظرون الصوت الأخير
وكان الشجاع الدلى بطرف الجبال لم يعد يقوى
على رفع صوته لشدة البرد فى القاع العميق ، فدفع
حشيرة أخيرة أوصلت هذه الكلمات إلى الشفير :
« أسمعهم ينادون : فليحي الأباطور ... »
(ف . ف)

البارد يتصاعد من القاع السحيق . وأحنى القائدان
الكبيران رأسيهما ، فعلا وجههما الاصفرار ، إذ
وقعت أنظارهما فى القمر البعيد النور على لبد الظلام
وقال المارشال : يجب أن ندلى أحد الجنود
ليرى ما حل برفاقه . والتفت إلى أحد القواد قائلا :
أحضر الجبال وانتهى برجل

وخرج من الصفوف جندي فرنسي طويل
القامة ، وهو يتسم مفتخرا بالتضحية فى سبيل
إخوانه ، فخلع سترته ، وربط وسطه بطرف الجبل
الطويل ؛ وبعد أن رفع يده بالسلام أمام المارشال وضع
رجليه على فوهة الهاوية ، وبدأ الجنود يروخون الجبل ،
وعندئذ تقدم أحد الجنود الانكاز طالبا النزول
إلى الهاوية أيضا ، فقال ناى ولنتكون : لا يرسل
فى مثل هذه المهمة عدوان ، فقد يشتبك فى
المنحدر بهراك بحول دون بلوغنا النتيجة التى نترقبها
فأطرق ولنتكون وتراجع الجندي الانكازي
إلى صفه . وكان الجنود يصلون الجبل بحبل آخر ،
وبثالث ورابع ، حتى شتمروا بوقوف الجذب من
الأعماق . فنادوا جميعهم بصوت واحد :

— ماذا ترى ؟

فأجابهم صوت الهاوية كأنه صدى بعيد :
لا أرى شيئا ، أروخا الجبال أيضا
واستمر الجندي على إرسال الجبال وقد خفت قوة
الجذب ، فاستدل القواد أن الشجاع يسير على مهل بين
الصخور متلصقا سبيله على مفاز لم تطأها أرجل بشر
وما مضت دقائق حتى أصبحت الجبال تلوح
فى الفضاء كأنها لا تحمل شيئا ، فوجم ولنتكون
وقال : أحضروا القس الذى وجدناه هذا الصباح
على سفح الجبل فله يعرف منفذا لأخراج رجالنا منه
ومثل القس أمام القائدين فقال له ولنتكون :
أنت من أبناء هذه البلاد ، فعلا تعرف منفذا بين



جداً ولكن احذر أن تنازلها

فسألها: «هل سأكون عمها هي أيضاً؟»
فضحكت وقالت: «ستكون عمنا اليوم...
واحذر أن تفلط»

«ولكن سأغلط على التحقيق. إن العمومة
حدث جديد في حياتي، فإذا أخطأت في تمثيل الدور
فلا عجب.... لم أندرب عليه قط.... هل قلت
خطيها... أم جيبها؟»
فقالت: «باسلام... وما الفرق...؟ شيء
غريب»

قلت: «صحيح لا فرق... ولكن عمك؟
كيف يمكن ألا أغلط... ثم إنها مهمة صعبة....
لا أشعر أنني سأرتاح إليها»
فقالت بدلال سليبي كل قدرة على المقاومة:
«كن ظريفاً... كالعادة»

فضحكت مسروراً وقالت: هل يسمح لي أن
أكون عمًا ظريفاً؟»

قالت: «لا مانع. ولكن احذر أن تنازلها»
قلت: «لقد شوقني إليها... أغريتي بها. فهل
هي حقيقة ظريفة؟... أعني تستحق أن أرضى من
أجلها وفي سبيلها أن أكون عمًا؟»

قالت: «جداً... موت...»
قلت: «ياحفيظ يارب... والآن يا بنيت الأخ

«كن ملاكا...»

«بغير جناحين؟»

«وافتح البوابة»

«آه... أفتح البوابة لتخرج السيارة»

«كيف عرفت؟»

«بذكائي... ألم أقل لك إنني ذكي؟»

فرمت إلى نظرة من عين ساجية ثم قالت
بابتسام تماجل أن تمنع أن ينقلب قهقهة عالية:
«كن ملاكا...»

فوقع في روعي من ابتسامتها أن في الأمر مالا
يدخل في طوق الملائكة، فزمت ولم أقل شيئاً،
وغالبت هي الضحك ثم قالت:

«وكن اليوم عمي»

«عم... عم... عمك... ياخير...!»

قالت: «اسمع... إن لي صديقة تريد أن
تخرج للقاء خطيبها، ولكن أباه لا يدعها تخرج
وحدها، وقد اتفقت معها على أن أمر بها لنذهب
إلى السينما... فهل فهمت لماذا أريد منك أن تكون
اليوم عمي؟»

فقلت وأنا أتوجع: «فهمت أنني سأذهب
إلى سينما لم تكن لي على بال، وأني سأمثل دوراً لا
أرتاح... من هذه الفتاة؟»

قالت: — كأن هذا جواب السؤال — «جميلة

الله في عمره الى زمن غير زمنه ... » وقلت له :
أرجو ألا تكون درجات السلم كثيرة ... فانت
السلام تمنى ... جداً ... »

فطلعتني الرجل وأكد لي أن الدرجات ثلاث
قط - ودار وعدّها - وأشار الى خجيرة ، وأوما
الى أن أدخل ، فإذا فيها فتانان - التي جعلتني معها
والأخرى التي سأكون معها - أفنى التي تريد أن
تخرج لتلقى حبيبها أو خطيبها ... سيان كما قالت
صاحبتى ... وحدقت في وجهها وأنا أسلم عليها
وأطلت النظر اليها وأقيت يدها في يدي ، وأنا
أسألهما عن صحتهما ، وأتني على بيتها وأدلهما الطريق اليه
وكانت كفها رخصة ووجهها حلواً مسحاً
وعيناها واسمتين ولونها صافياً وقدها رشيقاً

وجلس الرجل الى جانبي يحيني
ويرحب « بالم » ، وجادت خادمة « بالمشوراء »
فاعترفت وقلت إن معدتي لا تهضمها وإني أظن
أني شخيت ، فقال الرجل : « المغو » وقالت
صاحبتى : « صحيح .. معدته ضعيفة .. والطبيب
ينهاه دائماً عن أكل شيء بين الوجبتين » ، وجادت
القهوة ونارلوني فنجانة ، فصببت القهوة من الفنجانة
في الطبق ، كما رأيت بمض الشيوخ يفعلون ، وكان
هذا أروع ما وافقت إليه في أدائي لدور الممثلة
وكانت صاحبتى تقالب الضحك بمجد ، ثم نظرت الى
وتمض شفتيها عذرة من الفاظ ، ثم سألتني الرجل
عن الدنيا التي اخترتها ، فقلت له : « ياسيدي لقد
ألحت هذه البنت للومنة (والعمومة تسمع هذه
لللعنات) أن أخذها الى السينما مع صديقة لها
فاعترضت لأنني لا أكنتمك أني لا أطمئن الى
الصداقة بين البنات ، ولكني أحداً الله .. حمدته
وشكرته لما رأيته .. شمرت بالاطمئنان فما عكن
أن تكون بنتك إلا فتاة مهذبة .. (وهنا شكرتني

المزير - وإن كنت لأعترف لك أخاً ولا أختاً -
تفضل وتخطي عن القيادة ... »

قالت : « لماذا ؟ ... إني أحب أن أقود
السيارة ... هل أخطأت ؟ ... »

فتركت سؤاليها بلا جواب ، وقلت بلهجة
الأمهات : اسمي السلام يا بنت ... »

فضحكت ومالت بالسيارة الى الرصيف وتخلت
لي عن مقعد السائق

وبلغنا البيت - لا أدري كيف ولا من أين
فقد أطارط صوابي كثرة التماريح وضيق الحارات ،
ولكن البيت كان في فضاء رحيب وإن كان غير
نظيف . وزلت هي وبقيت أنا في السيارة . ومضت
دقائق وأنا أفكر في عمها وفي الفتلة التي ستقول لي
« يا عمي » ، وفي كيف أطيع الصبر على هذه
العمومة ، وإذا بقى يقول لي : « تفضل يا عمي »
فصحت به - فقد فاجأني - « إيه ؟ .. » وكان
مؤدباً مهذباً ووسياً قسماً حدثت نفسي أن الفتاة
التي ستدعوني عمها لا بد أن تكون جميلة - إذا
اطرد القياس ، وتهدت لأنني سأكون عمها أيضاً ...
وللعمومة قيودها ، ولا بد من الاحتشام ... فلا حول
ولا قوة إلا بالله !

وقال الفتى : « تفضل حتى تلبس أختي »
فشكرته وأغلقت أبواب السيارة فسد كان
الأطفال كثيرين في الحارة ، والأطفال ملاعين
يمعبثون بكل شيء كما كنت أفعل لما كنت طفلاً ،
ومشيت وراءه الى بيت حديث البناء ، فاستقباني
وراء الباب رجل وقور ظننته أول الأمر من
السكان ، ولكنه مديده الى وقال - كما قال الفتى -
« تفضل » ، فقلت لنفسي : « إن تمثيل دور الممثلة
ينبغي أن يبدأ هنا ... حالا ... فان هذا الرجل
الطيب لا بد أن يكون هو الأب السني الذي مد

ودرنا نبحت عن بيت الخطيب — أو هكذا ظننت ، ولكن الحقيقة أننا صرنا به ، وأن الفتاة رآته في الشرفة غير أنها خجلت أن تدعو عمها إلى الوقوف وتنزل ، وأحسست أن جوال السيارة لا يخلو من ركود ، فوقفت في بعض الطريق وانجملت إلى الفتاة وسألها : « هل عرفت البيت ؟ . وهل رأيت فيه صاحبك ؟ » ففزت رأسها أث نم واضطرم وجهها — حياء على ما أظن — وتولت صاحبتي الكلام والايضاح ، فقلت لها : « حسن . ابقيا أننا هنا وسأزل إليه »

ولما وقمت عيني عليه وهو واقف في الشرفة ومعه أخته أشرت إليه أن ينزل فلم يفهم ، فصاحت به : « تمال ... أبوه انت ... » وسلم مرتبكا وقال : « أفندم »

فقلت بمنف : « لا أفندم ولا يحزنون ... كيف تكلف الفتاة أن تقطع إليك الكرة الأرضية ولا تجثم نفسك عناء السى إليها ؟ ... ثم إن أباه لا يمكن أن يقبل »

فقاطعتي وقال بلهفة : « هل يعرف ! ... » قلت : « اسمع ... هذه الملاقة يجب أن تكون رسمية علنية وإلا فالواجب أن تنقطع ... الآن »

وقال بصوت خافت : « بالطبع » فالتفت إليه وقلت بصرامة : « بالطبع ماذا ؟ ... تقطع ؟ ... أو تستمر على وجه القبول ؟ »

قال : « تستمر بالطبع ... إنى أريد أن أتزوجها »

فوقفت وسألته : « وماذا عندك ؟ . إن الزواج ليس من وسائله هذه المقابلات السرية التي لا يعلم بها والدها ... والآن تمال وأطمني ... » ومضيت به الى السيارة وكان يمشي مطأطأ

واستغفر الله كما لا أحتاج أن أقول) فرأيت أن أختار شريطاً غير غراي . . آثرت شريطاً من الأشرطة البوليسية . . وهي كلام فارغ ، ولكنها خير وأسلم عاقبة من الأشرطة الغرامية ، وأظن أنك توافقني . . أليس كذلك ؟ »

فوافق وشكر وأكد لي أنه تشرف بمعرفتي ، ولا أكنتم القاريء أني خجلت منه في هذه اللحظة وأن نفسي حدثتني أن أسارحه بالحقيقة من أولها إلى آخرها ، ولم يصدني عن ذلك إلا التحرج من الزج بنفسى في مأزق آخر لا يسهل الخروج منه ، وإذا صارحته بأنى لست عمّا ولا قريباً فإذا يكون موقفى . . بل ماذا يكون موقفه صاحبتي التي جاءت بي إلى هنا وادعت أنى عمها . . ثم إنى أريد أن أرى هذا الحبيب أو الخطيب — سيان — الذى تريد أن تلقاه وتحتال هى وصاحبته على هذا النحو المخرج — لى — لتلقاه ؟ وقد أستطيع أن أصنع خيراً إذا رأيته فإن لى لفراسة

وأخيراً نهضنا ، وركب معنا الفتى — أعنى أخاه — فاحتفظت أنا منه بمقتضيات العمومة على فرط ثقلها حتى تركنا حيث يريد ، وكانت الفتاتان على التعداد الخلقى ، فلما نزل الفتى وأمنت أن يسمعى قلت لهما وأنا أمضى بالسيارة على غير هدى : « هل أتقنت دور العلم ؟ » ، فضحكت الفتاتان ، فقبل إلى لحظة أن الفتاة التى جثنا بها تعرف أنى لست عمّا ولا ابن عم ولكن صاحبتي قالت شيئاً فهمت منه أنها تريد أن أمضى في تمثيل الدور فسخطت وقلت : « والآن إلى أين بنا » ، فقالت الفتاة الجديدة : « إلى ... من فضلك ... أعنى إذا سمحت » ، وقالت الأخرى — صاحبتي — « بالطبع ... إن عمى سبور ... » ، وضحكنا من هذا المم « الاسبور » ، ومن حقهما أن يضحكا..

قلت : « لا شيء ... اطمئني ... ولكن اطمئني بلا سؤال أو تردد »

وأنا رجل لا أحب التلصص ولا أطيع البلاد . ولا صبرنى على التلوى والف والدوران . ولعلنى عظم بأن الخط المستقيم هو أقرب مسافة بين نقطتين . والذي يصنعه غيرى فى يوم أصنعه أنا فى لحظة لأن أعصابى لا تحتمل البطء . لذلك مضيت إلى بيت الرجل وكانت كل من الفتاتين تسألنى : « إلى أين من هنا ؟ » وكاتنا أول الأمر تمشجان وتضحكان ثم وجعنا لما دنوت من البيت واتفى كل شك فى أنى أقصد إليه

وقلت للشاب وأنا أزل وأجره : « تمال أعرفك بأبيها ، فما أستطيع أن أستضجبك معها بغير ذلك ... أعنى بغير اذنه ... أنفهم ؟ »

وكانت لهجتي صارمة أو قل انها كانت حازمة وإن خلت من العنف ، فسار معى . وجاء الرجل مستغرباً عودتنا قبل موعد انتهاء السينما فقلت له بلا تعهيد : « هذا الشاب يريد أن يكون نسبيك ... يحب بنتك هذه ... وأنا أعلم أن هذه مفاجأة ... ولكنى لا أدعوك الى تزويجه الآن ... إنما رأيت من واجبى أن أخبرك ... وسيمطيك اسمه وعنوانه ويحدثك عن نفسه وأهله وأصله وقصله فيها بدم ... فاذا وافقت ورأيت أهلاً لثاك فهنيئاً لك وله ولبنات والافارمه ... وقد أخبرتك بهذا ... فاجأتك به لأنى لا أستطيع أن أدعه يصحبنا الى السينما بغير علمك وإذنك ... فهل تسمح له بذلك ؟ »

وتشهدت لما سمعت الرجل — هذا الرجل الرقود الطيب — ياذن لى فى ذلك ويشكرنى أيضاً ...

تالله ما أطيبه ! ... وعدنا الى السيارة فركبناها فى صمت ففقد بهت الشاب واستمعنى عليه الكلام . وله العذير .

الراس . وأحسب أنى نفصت عليه هذا اللقاء ، ولكنى لم أكن أستطيع غير ذلك فقد كانت صورة الأب الوقور الطيب الذى لا يتخالجه ريبة ماثلة أمام عيني ، وقد ترك لى ابنته مطمئناً الى ومتممداً بعمد الله على . ولو كنت لم أدخل بيته ولم أروجه ولم يأتمنى على فتاته لما أحسست أن على تبعة . وشق على أن يكلفها هذا الفنى أن تذهب اليه فى آخر الدنيا ، وهو قاعد فى بيته لا يتحرك ولا يسى ، ولا يبالي ما تتحمل الفتاة فى سبيله من عناء وما تفرسها به الرغبة فى لقائه من احتيال وكذب وخداع . فنويت أن أحسم الأمر

وهم بالركوب فحذبت من كتفه ، ونأيت به قليلاً وسألته : « الى أين أولاً ؟ ... قل لى ماذا تقوى أن تصنع ؟ إلى لا أريد أن أضايك ولكن هذه الفتاة الساذجة فى ذمتى فهل تستطيع أن تكون رجلاً ؟ » فاققد وجهه وتلمس ثم استطاع بجهد أن يقول لى إنه رجل شريف وأنه لا يبنى بها سوءاً وسألنى وقد وجد لسانه : « هل حضرتك ... »

فقاطمته قائلاً : « لا يمتيك من أنا ... تمال ... بكفنيك أنى قد وثقت بك ... تمال »

فسره هذا . وهل هو إلا طفل . . . وإنى لا كون حماراً غيبياً بليداً إذا لم أستطيع أن أستولى على زمامه ... والتفت إلى صاحبتى ونحن راجعون بالسيارة وقلت : « وأنت أيضاً ستطيعين عمك فالت على وقالت : « إيه ؟ » قلت : « لا شيء ... لقد شئت أن أكون لك اليوم حمراً . فاستنكرت أن أكونه فى أول الأمر ولكن الدور حلالى ... أعجبى ... فانا الآن مع حقيقى ... سأظل عمراً ظريفاً ... ولكنى عم على كل حال فلا تنسى هذا » فسألنى بصوت خفيض : « ماذا جرى ؟ طمئني ... »

ولكنه جنون أتمر خيرا
وقالت الخطيبة ونحن خارجون : « عسى ...
لا تركنا »
فتنايت وقلت : « هل سأظل عما لك أيضا
الى الأبد ... »
فجذبت ذراعى وقالت بلهجة المستعطف :
« لا تركنا ... فاهم »
قلت : « سمعت . وفهمت . وأطمت . »
قالت صاحبتى : « أما إنك لم ... »
فلم أقل شيئا وفتحت أبواب السيارة وأشرت
اليهم بكلتا يدي وقلت : « يتك . يتك . يتك »
كما يقال للدجاج
وتمشينا جميعا فى بيت الرجل الطيب . ولكنى
قبل أن أتناول شيئا من طعامه قلت له :
« سأقول لك شيئا . لست عما لهذه الفتاة .
هى صديقة وجارة . أعرف أهلها جميعا من زمان
طويل . وقد ألفت أن تدعونى معها . حكم السادة
فقط . وأنا أكره هذه العمومة ، ولذلك أدخلها .
أمامك ، وأرجو أن تميئنى على التخليص منها . فما
قولك ... ؟ »
وكانت يداى على ركبتى فى انتظار حكمه ،
فأحسست راحتين عليهما فالتفت فاذا الفتاتان
تنظران إلى بابتسامة الرضى والسرور ، فرددت عينى
الى الرجل استعجله الحكم فقال : « تفضل ياسيدى
تفضل »
فتشهدت ورفعت يدي الى المائدة لآكل وإذا
بالخطيبة تنهض وتميل على عنق وتقبلى
كلامها إنها فتاة لا تستحي ... أبدا ... أبدا
إبراهيم عبد القادر المازنى

ودخلنا السيارتين جلست بين الفتاتين وجلس الشاب
على عيني صاحبتى التى جماتها خطيبته برضاه أو على
الرغم منه ، لا أدري ، ففعل ذلك عند الله ؛ وكانت
الفتاتان لا تمرقان شيئا مما حدث لأنهما لم يدخلوا
البيت معنا ولم نقل لهما شيئا فى السيارة فلت على
صاحبتى وقلت لها : « الآن تستطيعين أن تهنى ...
ما اسمها ؟ . لقد صارت خطيبته حقاً وصدقاً ...
لا كذبا يا مملونة ... »
فراحت تثرثر وتساألنى : « آيه ... ماذا تقول ...
ماذا حدث ... كيف كان هذا ... ماذا صنعت حين
دخلت البيت ... ؟ »
فوضعت كفى على فمها . وكيف بالله كنت
أستطيع أن أصد هذا الطوفان من الأسئلة بغير
ذلك ؟ وقد وقف الطوفان ، ولكن اللعينة عصفتى
فكبرت أصرخ لولا أننا فى سينا . وتصبرت
وتجملت وأنجحت الى الشاب وقلت له وأنا أمد
كفى المضوضة : « بسها ... إذا كنت مسرورا »
فباسها - بطنا وظهرا - مرة وثانية وثالثة .
فاستحييت وانزعجتا منه ، وحولت وجهى الى
صاحبتى وذهبت أحدثها بما كان ، وإلى لكذلك
وإذا بالفتاة الأخرى تجذبنى اليها وتدبر وجهى الى
وجهها وتطوقنى بذراعيها وتقبل خدي ... أى والله
ولا تستحي ... فدهشت ونظرت اليها ... ثم
حولت وجهى عنها . فقد كانت الدموع على خديها
وأعترف أنى لم أر شيئا من الشريط ... نعم
نظرت ولكنى لم أفهم ... لم يكن بلى الى ما أرى
وكنت أفكر فى هذه الفتاة وفى مصيرها مع
فتاها لولم يلهمنى الله أن أكون مجنوناً وأن أصنع
ما صنعت وهل يفعل هذا سوى مجنون ؟



كان ذلك في بكرة الصباح

و « فلاديمير كلادينوف » فتي وسيم ، مدبد القامة ، في الثانية والعشرين من عمره ، كالفلسان مظهرًا ، له وجه مليح وشعر وحف أشقر ، يرتدى حلة الضباط ، ويتنمل نمال الركوب الطويلة ؛ وكان واقفًا في مرج ممشوشب كساه متساقط الجليد ، وهو شاخص الى ضابط آخر ، وذلك الآخر رجل أسبل الشارين ، بائن الطول ، عمر الوجه ، وكان مواجهاً له على مسافة ثلاثين قدماً وهو يرفع على مهل يده حاملة في قبضتها مسدساً يسده الى فلاديمير

وكان فلاديمير واضماً ذراعيه متشابكين على صدره ، حاملاً كذلك في إحدى كفيه مسدساً ، وهو ينتظر — انتظار من لا ييالي — طلقة النار يطلقها عليه خصمه . وكان وجهه الناضر الصبيح وإن غشيته مسحة من شحوب تتوقد الشجاعة فيه ويملوه ابتسام المستخف . وكان موقفه الخطر ، وما يبدو على غرعه من تصميم مبرم لا رحمة فيه ، وشدة الانتباه من جانب الشهود الواقفين صفًا واحداً بلا حس ولا حراك ، كل هذه مجتمعة جماتها لحظة بالثة الهول ، غامضة الكنهه ؛ رهيبة

الوقع . إنها مسألة شرف يجب هنا القضاء فيها . وكان الجميع شاعرين بجلالها . وعلى قدر بمدى إدراك ما هم صائمون كانت اللحظة تزداد رهبة على رهبة

وانطلقت رصاصة . وسرت في فرائض الجميع رعدة . وأرخى فلاديمير ذراعيه ، وثني ركبتيه ، وخر في مكانه . وهو على الثلج لقي ، وقد نفذت الرصاصة في رأسه ، منطرح ، وذراعه متباعدتان ، وشعره ووجهه ومتوسد الثلج تحت رأسه ، كإهما مضرجة بالدم . وهروا إليه الشهود فاحتلموه . وفحصه الطبيب فقرر وفاته . وأحلت مشكلة الشرف وانفض أمرها . ولم يبق إلا إبلاغ الخبر الى الفرقة التي يتبعها الضابط ، وإبلاغ النزي بقدر ما يمكن من التلطيف والتحرز الى الأم التي أصبحت من بعده وحيدة في الدنيا . فان الفتي القاتل وحيدها . وهي لم تخطر قبل البارزة في بال أحد . أما الآن فالكل يفكرون وبطيسلون التفكير . فالكل يعرفونها ويحبونها ويدركون أنه لا بد من التقديم لهذا النبأ النظيف عندها والتمهيد قبل إلقائه والتدرج في مسأفه . وفي النهاية وقع الاختيار على « إيفان جوليوبنكو » بوصف أنه أصحهم جميعاً

الغرفة غاطية زائرهما سليمة السريرة طيبة النخزة :

— وبمدا فكيف لاصري أن يبق فيكم
أيها الشبان ؟ هانذا أحاذر أن أحدث أدنى حاس
للأنفداح وأطباقتها . واستمعك في عدم إبقاظ
إبني ، فإذا هو قد مضى منذ برهة طويلة ولم يخاف
أثرا ! ولكن ، لم لا تجلس وتشرّب قدحا من
الشاي ؟ لقد أهملتنا نشر الاهل في هذه الأيام الأخيرة
وابتسمت كأنما تنبسم عن سرور مخاصر ،
وزادت بصوت خافت :

— كانت الأخبار كثيرة عندنا في تلك الآونة ،
وما أحسب أن فلاديمير استطاع كتبها . ولا بد
أنه أفضى بها اليك كافة بمخافيرها لبومنا هذا .
إن ابني فلاديمير مستقيم الطبع مفتوح القلب .
والليلة البارحة دارت بخلدی الظنون مع ماها من
إثم ! إذا كان فلاديمير إبني يذرع الغرفة طيلة ليلته
فمنه أنه يفكر في « لينوتشكا » صبا بها ، مشوقا
اليها . وإن من مألوف عادته وبدنه إذا ذرع الغرفة
الليل طوله أن يعضى لا محالة في الغداة . آء يا إيفان
لا أتمنى شيئا على الله إلا أن يرزقني من لدنه هذه
الفرحة يقربها عيني في هري . وما ذا تطلبه امرأة
محجوز أكثر من هذا ؟ وليس لي غيرها أمنية
وبشري ؛ وإنه ليخيل لي أن ليس ثمة سؤال أرتجيه
بعد إذ يتزوج فلاديمير ولينوتشكا . إن في ذلك
لنبطة لي وأما غبطة ، وسعادة ما يمددها سعادة . ومالي
سوى فلاديمير من حاجة . وليس شيء أحب إليّ
من هناة

وكان من شدة تأثر السيدة المحجوز أن جعلت
تكفكف الدمع قد اغرورت به عيناها
واسترسلت تتحدث إليه : « أو تذكر ؟

لتبلغ الخبر للأُم وتهوين الخطب جهد المستطاع

كانت « بلاجيا بتروفنا » قد استيقظت
ساعتئذ من نومها . وكانت تجهز لنفسها شاي
الصباح ، حين دخل الى غرفتها « إيفان »
جوليوبنسكو « مكتئبا مرثيا

وهبت السيدة المحجوز للالقاء ضيقها قائلة :
« لقد جئت في الأوان والشاي مجهز يا إيفان ! »
ثم أردفت : « إنك قادم لا محالة لترى فلاديمير ! »
ففهم « جوليوبنسكو » مجفلا : « لا ... إنما
كنت مارا ... »

— أنت لا بد عاذره ، إنه لا يزال نائما لقد
قضى سحابة الليلة الماضية يذرع غرفته حيثة
وذهابا . وقد أوصيت الخادمة ألا توقظه ، فإن
اليوم عطلة بمناسبة العيد . ولكن ملك آت في
مهمة مستعجلة ؟

— كلا ، وإنما عرجت عليكم في ضروري
لحظة ...

— إن شئت رؤيته أمرت بإبقاؤه

— كلا ، كلا لا تكلف نفسك

ولكن بيلاجيا بتروفنا كانت متمدة أنه قادم
ليرى ابنها في أسر من الأمور . فخرجت وهي تتمتم
بينها وبين نفسها

وجمل « جوليوبنسكو » يذهب ويحيى
مضطربا ، ويقلب كفيه ، وهو لا يدرى كيف
يبلغها الخبر الفظيع . لقد أزعجت اللحظة الحاسمة ،
ولكنه لم يمد مالهكا لنفسه بل ملكه الزرع فهو
يلعن الحظ الذي ورطه شر موط في الأمر كله
واستهات « بيلاجيا بتروفنا » وهي تدخل

« إن لك عندي تحية ، لقد كتبت لنيوتشكا فيما كتبتك لي توصيني بأن أبلغ تحياتها إلى إيفان ، وأن أرجوه المحبة مع فلاديمير وإيراثها ؟ فأنتم ترى بنفسك يا إيفان مودتها لك ! لا واهم الله ، يظهر أنني لا أستطيع الاستئثار بهذا وحدي . لابد من إطلاعك على الخطاب ، ولتنتظرن أنت لنفسك مبلغ ما فيه من محبة وعذوبة

وعاودت ييلاجيا بتروفنا البحث عن حرمة الخطابات في جيها واسحبت منها طرسا رقيق الورق مقرط الكتابة ، ونشرته أمام إيفان جوليوبنك وقد زاد وجهه اكفهرارا ، وحاول إيفان أن يدفع عنه القرطاس الممدود ، ولكن ييلاجيا بتروفنا كانت قد أنشأت تقروءه :

(عزيزي ييلاجيا بتروفنا — متى يئين الأوان التي أخطبك فيه بنير هذا فأدعوك ييا أي العزيزة المحبة ! إنني أقرب ذلك اليوم متلهفة ، وإن أمل لمظيم بقرب حلوله حتى لست أحب دعوتك من الآن باسم غير ييا أي —)

ورفعت ييلاجيا بتروفنا رأسها ، وتوقفت من التلاوة ، ونظرت إلى جوليوبنك بسمين غلظها المبررات وقالت : « أترى يا إيفان ! » . ولكنها رأت جوليوبنك يبعث شاربيه بناجديه ، وأن عينيه هو أيضاً مفرورقتان . فقامت وأقبلت عليه ، ووضعت يدها الزمعة على شمره ، وقبّلت في هيئة فوق جبينه ، هامة من شدة التأثر : « شكرا يا إيفان ! لقد كنت دائما أعتقد أنك وفلاديمير أقرب إلى الآخرين الشقيقين منك إلى مجرد سديقين . لا تؤاخذاني . إنني سعيدة أيما سعادة . والحمد لله سبحانه ! »

لم تكن الأمور في البداية جارية على أحسن حال ، سواء قنيا بينهما أو فيما يتعلق بالمال . فأنكم معشر الشبان الضباط غير مسموح لكم حتى الزواج من غير مال مرصود . حسن ، لقد تم الآن إعداد كل شيء : حصلت على الخمسة الآلاف رويية اللازمة لفلاديمير . وفي الامكان ذهابهما إلى المحراب لمقد الزواج غداة غد . أجل ، وقد كتبت لي لنيوتشكا خطاباً ما أطفه . إن قلبي جدلان مبهج وأخرجت « ييلاجيا بتروفنا » — وهي مسترسلة في كلامها — خطاباً من جيها ، وأظهرته لجوليوبنكو ثم أعادته : « أنها لفئة محببة ! وناهيك من طيبة نفسها !

وجلس إيفان جوليوبنكو ينصت إلى كلامها وهو على مثل الجمر . وقد أراد أن يقطع عليها هذا الفيض من الأحاديث ، ويقول لها إن كل شيء قد انتهى ، وأن فلاديمير ابنها مات وأصبح في خبر كان ، وأنه بعد ساعة واحدة لن يبق لها شيء من هذه الآمال الزاهية . ولكنه أنصت إليها والنزم الصمت ، ونظر إلى وجهها الطيب اللطيف فأخذ منه الاشفاق عليها وإذا حركة تشنج تأخذ بكظمه وأخيراً سألته السيدة المعجوز : « ولكن ، مالي أراك اليوم متجهماً ؟ ما بالك ، إن وجهك يبدو مكفهر كأمدا كالليل !

وود إيفان لو يقول : « نعم ! سيكون وجهك كذلك حين أخبرك الخبر ! » ولكنه لم يلفها شيئاً ، واستعاض من ذلك بأن أشاح بوجهه وجعل يقتل شاربيه

ولم تلحظ ييلاجيا بتروفنا شيئاً ، واستطردت وهي في أفكارها مستغرقة :

ضروب البطولة وسائر ما يسمونه مسائل الشرف على اختلاف ألوانها . وأخيراً هب من مجلسه وهو موطن النفس على التصريح أو الفرار . وأقبل ، فتناول — ممجلاً ومن غير كلام — يد بيلاجيا بتروفنا وانحى يثمشها ، فأخفى بذلك وجهه عنها ، وإذا سيل من الدمع السخين الدرار ينهمر فوقها . ثم انتزع نفسه وانطلق لا يلوى على شيء ، وتناول عند الباب معطفه الكثيف وخرج من البيت دون أن يقول كلمة

وتطلعت بيلاجيا بتروفنا وراءه مندحشة ، وقالت في نفسها : « لاشك أنه أيضاً عاشق ، مسكين ، كان الله في عونه . إيه ! إنها لوعة العبا تلوعهم — ومن بعدها سعادة »
ثم سرعان ما نسيت ، وغاب أمره عن بالها ، واستغرقت المعجوز في أحلامها بالسعادة تتراءى لها محقة كاملة !
عبد الرحمن صرقي

استدراك

جاء في (مذكرات نائب في الأرياف) المنشورة في هذا العدد أن مدة المعارضة أربعة أيام والصواب ثلاثة

وقاضت الدموع على خديها . واشتد بإيفان جوليو بنكو اضطرابه وارتابه ، ولم يسمعه إلا أن يأخذ بين راحتيه يدها الباردة المروقة ويكب عليها تقبيلًا . وكان مختنقًا بالمبرات فلم يستطع أن يلفظ حرفًا . ولكن هذه الفورة من الحب الأموى أشمرته بالتبكي الشديد ، حتى لقد آثر أن لو كان هو الصريح على الساحة وقد نفذت الرصاصة في دماغه ، فذاك أهون عليه من سماع عبارات الحمد له وامتداح صداقته وغالص أخوته بجري على لسان هذه المرأة وهي بسد هنية قصيرة سيتضح لها حقيقة الواقع وجلية الأمر . وماذا يرتأى فيه وقتئذ ؟ ألم يقف — وهو الصديق وفي حكم الشقيق — ساكنًا جامدًا حين كان المسدس مسددًا إلى فلاديمير ؟ أليس هذا الشقيق نفسه هو الذى قاس المسافة بين النزيهين ، وهو الذى حشا المسدسين ؟ كل هذا صنعه بنفسه ، وقد صممه وهو يمس ما يصنع ؛ وهاك الصديق بل الشقيق يجلس الآن صامتًا ولا يتقدم حتى هنا للقيام بواجبه

إنه جزع خائف . يحترق في هذه اللحظة نفسه دون أن يستطيع مغالبتها ليقول ولو كلمة واحدة . وإن إحساسًا غريبًا بالتناقض يخرج صدره ويزهق روحه ، فهو في كرب واختناق . والوقت يمر سراعًا ؛ إنه يعلم بمروره ، وكلما زاد به علما وهت عزيمته ولم يقو على حرمان بيلاجيا بتروفنا مما بقي لها من لحظات سيدة أخيرة . فإذا هو قائل لها ؟ وكيف يقدم للخبر ويهيئ لها لسماعه ؟ لقد حار إيفان جوليو بنكو في أمره وأسقط في يده

لقد انفسح له الوقت هنا ليلمن في سره جميع المبارزات وجميع المشاحنات وكل ضرب من

رفائيل

لشاعر الحب والجمال لامرئتين

متزوجة بقلم

أحمد حسن الزيات

تطلب من لجنة التأليف والترجمة والنشر

ومن إدارة « الرسالة »

التمن ١٢ قرشًا

من القاتل



بسم الدكتور محمد الراضى

لأندريه وارنود

لعلها واحدة من صواحيه نظرت عليه أو نعمت
منه أو نكثت عهداً ؛ أو لا فمشيق واحدة ممن
أراد أن يزعمه من طريقه ..
عرفت كل هذه التفاصيل من الخادم وأنا
أتناول فطوري ، إذ كنت في فندق المحطة وقد
بت فيه متخلفاً أتنظر القطار المحلى الذى يبرح في

الصباح قرية بوثلبيه

ودخل أحد الشرطة إلى
الفندق فجعل يتحرى أسماء
السافرين الذين وصلوا بالأمس ؛
ثم تقدم إلى فى شأتى وشأن
أوراق ؛ ثم سألنى كيف
قضيت الوقت منذ طرأت على
هذه الناحية ؛ وبعد أن تثبت
من قولى حياىى ومضى لميله .
فقلت للخادم :

— ما أحسبه يشقى عليه

أن يضع يده على القاتل والبلة من صفرها تكاد
تسلخه لمن يبحث عنه .
قال : لا يكون هذا رأيك يا سيدى ، فالقرية
يمر بها غرباء كثيرون .. وعب القاتل من أهلها .
فلا ريب أنه قد تدبر واحتاط وفكر وتدير ،
وما يكون مثل هذا المجرم الذى يقتل هذا الغفلاق

أصبح الناس في قرية بوثلبيه الصغيرة وعلمهم
الضباب ومعه الزبح الباردة تسفع الوجوه ، وبين
الضباب والريح يطير الخبر المزيج : أن قتل مسيو
فئنيه برصاصة وقمت في عنقه !

وعتروا على جثته في أرياض القرية ، بين أسوار
الحدايق على مقربة من النهر ، وكانت الماصفة

والطر وظلام الليل ستر على
القتل والقاتل ، فلم ير أحد
ولم يسمع

ومسيو فئنيه هذا عملاق
معصوب الخلق ، مفتول
المصل ، غليظ الألواح ، طويل
عريض قد ناهز الأربعين ،
يميش في سعة من غلة أرضه
ويلهو أكثر وقته بالصيد ،
وفى سائر الوقت يختلف إلى
الأندية والحانات

ويعرفه أهل قريته فاجراً صاحب نساء وغزل ،
خديته وحديثهن على كل شفة ؛ ولم يلقه الليل إلا
على امرأة يخادنها أو يحتظيها ؛ ومن اليه أشد ميلاً ،
فله المال وفيه القوة ، وإلى ذلك ظرف وجال وصبابة
ورقة حديث

فن الذى قتل مسو فئنيه ؟



كبيرة فأوقدته إلى بلدة بكسيول القريبة من هنا في عمل من أعمالها يستغرق سنين عدداً . فلما جاء إلى هذه البلدة أخذ بجبال طبيعتها وسحر مناظرها فابتاع منزلاً ريفياً سكن فيه مع زوجته الجميلة ، تحوطلها سعادة الحب ؛ أو لعله كان يتوهم ذلك .. وتصرمت الشهور وتبعتها السنون وهو ناهم بحياته الجديدة ، مسحور بالجمالين في الطبيعة وفي زوجته « مثلين » . وكان واثقاً من حباها معاً مثلاً إلى وفائها ، حتى أتى إليه ذات يوم كتاب غفل من التوقيع ينهبه فيه كاتبه إلى أن يفتح عينه على زوجته ... فسخر من الكاتب وكتابه ، وانطلق إلى داره وما يشك أنه سيطالع امرأته ببث بضحكها ويضحك

وخطر له وهو يفتح باب الحديقة أن يحكم الدعابة فيجعلها رواية ذات فصائل ؛ فإذا انفجر من النفيظ في الفصل الأول وهو يمتدق الرية ، انفجر من الضحك في الفصل الثاني وهو بطمأن إلى الحب ... فلبس وجه النفيظ والحنق ودخل على زوجته دخول الموتور في عرضه وكرامته وقال لها : — أما الآن فقد برح الخفاء وانكشف المستور وتحقق الظن ونطقت الرية ... تباً لك من خائنة غادرة تبثذل عرشها وتحون زوجها . هلى فأسأل الله أن يرحمك إن كان يرحم الفاجرة ؛ فاني قاتلك لاحتالة

وتابع الرجل حديثه لى فقال :

لم أكن — علم الله — أريد غير الزح والدعابة وما كان يحظر لى قط أن يحدث ما حدث ... فما سمعت المرأة ما سمعت ورأت ما رأت ، حتى انقلبت عينها وزأغ بصرها وانكفأ لونها وتهارب دمه ، وارتمدت واضطربت ومادت ووقمت بأكية على قديمى ... !

إلا غارماً شديد البأس يرهبه الناس فلن يظهر اسمه على لسان أحد . وأى الناس يريد لنفسه القتل ؟ . وخرجت أسراً في الجموع المضطربة أذهب هنا وهناك إلى أن يحين الوقت ، ثم توجهت إلى المحطة وجعلت أتصفح الوجوه أبحث عن شخص يجنى به القطار أمس وقضينا معاً شطراً من الليل . وكان هو أيضاً قد طرأ على البلدة وتخلف ينتظر القطار الحلى ، فتواعدنا أن نلتقى في المحطة

وكان صاحبي هذا رجلاً قد علاه المشيب فايض شعره الخشن ، وسطع بياضه على وجهه قد لوحته الشمس قاسمراً واحراً . وكان قصير القامة صلب المضل ، قويا مجتماً ، عصبى المزاج يطير من عينيه مثل الشرر إذا حدث إلى بك ..

ولم يكن حديثنا في القطار إلا تحية وردّها ؛ وقد تخلف مثلى في بوثليابه ، فما إن وطئت قدماه أرض الرضيف حتى أسرع إلى عربة الأمتة ومعه الحالون ينزلون متاعه وأثقاله وهو شىء كثير عجيب مختلف ، يجمع أنواعاً عدة من فسائل شجر الورد إلى صناديق ضخمة تظم ألواحاً من الرمر المصقول أجيد نحتها في باريس

ودنوت من الرجل ، وكان القطار بهم أن يتحرك ولما بفرغ الحالون من عملهم ، فالتفت حقيقتى وعملت معهم في إزال ما بقى ، فشكرنى ودعانى للعشاء معه

وتلافينا في مطعم اشتهر بأجادة أطعمته فسا بفوت الغريب أن يختلف إليه . وجلسنا لطعامنا وبدأ يتحدثني حديثه ، فكانت قصة من أعجب القصص ..

تزوج شبنك هذا وهو في الأربعين من عمره بفتاة تقارب العشرين . وكان مهندساً في شركة

إن قلة فيزبون بعيدة لا يمكن بلوغها إلا بالسيارة؛
فإن كان الخبر صحيحاً فعادة زوجتي كلما أرادت
السيارة أن تسألني هل أنا في حاجة إليها ؟
إذن فلا تنظر

وجلست معها للعداء وكان لم يكن بي شيء ؛
وأشرفنا على الفراغ من الأكل ولم تسألني فهدأت
وكدت أطير فرحاً ، وجلست في نفسي ألين الخيفة
وأهلها ، وأنا في ذلك إذ قالت مشاين في تردد :

— أحتاج الى السيارة اليوم يا عزيزي ؟ فاني
أريدها لنزهة قصيرة في الجبل

وكان كلامها كالصاعقة انقضت على ، فاحتبس
لساني ورأيتني أختنق ؛ غير أنني تماسكت مرة
أخرى لأنتهي الى النهاية . فقلت لها وأنا أنزع
الكلام انزعاً :

— ألا ترين أن الجو اليوم ليس جو النزهة
في الجبل ؟

فمبست وقالت بحفاة :

— ولكني أريد التنزه اليوم

وكنيت مستعلماً أن أمنعها إذا زعمت لها أنني
في حاجة الى السيارة ، أو قلت إنها معطلة ، أو اعتلات
بملة ما . . . ولكن قلبي كاد يتمزق بالشك ،
وأردت اليقين واليقين في خروجها ، فركبتها
لشأنها وقلت خذوها . فليست في حاجة اليها
وأسرعت الى محل العمل فسألته من فارتاك

فقبل لي لأنه قد خرج في سيارة ولني يعود بعد ظهر
اليوم . . . فطار لي وتحققت من مهيبتي ، ولم أملك
الصبر حتى ألتبس سيارة تجملني وتكسني في طي
الحائن والحائنة ، فمعدت الى « مونتوسكل » كان
لأحد العمال فطرت به

فلما وافيت الفندق رميته ومضيت حذراً ألوذ
بكل ما يواريني . وكنيت الى تلك اللحظة أراجع

فوقفت مشدوهاً لا أكاد أصدق ما رأيت
لولا أنني أرى . . . ثم أحماني الحب وأشفت عليهما
وظننت ناهياً مما يعمده الرعب ، وقلت : لعلها
حسبتني قد جئت . . . فضممتها الى صدرى وقبلتها
وجعلت أهدئ روعها وأعتذر إليها حتى سكن ما بها
ولسا طابت نفسها انفجرت ضاحكا وقلت
لها : هذا هو الفصل الثاني من الرواية الهزلية . . .
ثم حدثتها بالخبر وأقرأتها الكتاب ، فطوقني
بذراعيها وتملقت بي وقالت وهي تقبلي :

— ما كان أبعدك من الزحمة ! لقد حسبتك
جنت . . . فلأن أظن بك الجنون أقرب من أن
أظن أنك تراب في

وصرت الأيام وكنيت أشهد حهما يتضاعف كما
تكفر الثابتة عن خطيئة تريد أن تمحوها من
ذاكرة عنها . . . وجعلت ذلك الكتاب على عملي من
حسن الظن ، فقلت : لعله من ما جزم بيث بي ،
أو عدو يكيد لي ، أو عامل طرده فيريد أن ينتقم
منى بتخريب سمادتي . . . غير أنني لم أطمئن الى ذلك
وساورتني الظنون الأخرى ، ولم أر من الحكمة
أن تعلم زوجتي عما تخالجي من الشك ؛ فجعلت
أجنس عليها وأستقصي أخبار من تتصل بهم ؛
حتى كان يوم تلقيت فيه رسالة أخرى لا توقع
عليها ، وهذا نصها :

« إن زوجتك على موعد من كبير المهندسين ،
وأنت تعرف أنه السيد « فارنك » ، وستوافيه اليوم
في الساعة الثالثة على قفة فيزبون بفندق الخنزير البري
حيث يلتقي المشاق . . . »

فما قرأت هذه الرسالة حتى دارت بي الأرض
وغلى دى وجن جنوني فعممت أن أذهب الى دار
المهندس فأبطئن به . ولكنني تماسكت وجعلت أندب :

قد هلك كل من أرسلتهم الشركة إليها، فهي تضن أن تيمث في إلى الموت وما عجلت الشركة أن الموت هو الذي أريد . فقبلت العمل وسافرت دون أن أرجع إلى بكسيول لأرى زوجتي ، إذ لم يكن أبضى إلى من أن أراها ووهبتها المنزل وزلت لها من حصه من مرتبي تدفعها الشركة إليها ؛ غير أنني اشتراط ألا تعلم ولا يعلم أحد بالسكان الذي سافرت إليه ، وأن يغير اسمي في دفاتر الشركة حتى لا تعلم ولا يعلم أحد . وتركت بلادى كأني مودع العالم ، فلا هم لي إلا أن أموت في أفريقيا فينساني الجميع ...

ونشبت الحرب غير أني لم أغامر فيها لشدة احتياجهم إلي ، فلقد كان الزنوج يهاجمونا كل يوم ، ولولا مدافعنا الرشاشة لهلكنا جميعا وجعل الزمن يمر وكأنه لا يمر علي ، إذ لم يكن لي شيء جديد . ولم أعد إلى بلادى وآثرت أن أهلك كما يهلك الانسان في الصحراء . وانقطعت عن العالم وانقطعت أخبار العالم عني ، فلم أكتب لأحد ولم يكتب إلي أحد ؛ واستحجر قلبي من هول المصائب ، ورأيتني كالوحش الذي لا يفهم الموت حين نمت إلى الشركة ذات يوم زوجتي الحائنة ... وكان صباح وكان مساء ، وتقابل الظلام والنور ، حتى مررت يوما بمحس نزل فيه سريه من الجنند يقودها ضابط عاش في باريس قبل الحرب ؛ فجلسنا نتحدث ونستعيد العالم ، وما كان أشد دهشتي حين علمت منه أنه كان عاملا في إدارة الشركة ... !

وترأى بنا الحديث عن رجل ، ورجل من الرؤساء ، فقال لي :

— هل عرفت فارناك ؟

نفسى وأزعم أن زوجتي قد ذهبت إلى جهة أخرى وأني لن أجد أحدا ، وسأجلس في الفندق لكأس أو كأسين ثم أعود إلى داري مطمئنا فأجلس عند قدمي زوجتي وأعتذر إليها كما اعتذرت في المرة الأولى ... وما بلغت هذه الخطاطرة من تفكيرى حتى كنت بجذاء الفندق وكأنه يقول لي أنظر أنظر ... أصبحت زوجتي ، وقد جلست إلى فارناك وأمامها الشراب ... فانتفضت عليها كالوت . أما هي فوفقت مغشيا عليها ، وأما هو فانتفض وقد اكفهر وجهه وتلفهم لسانه وأخذ يتمتم ، يحاول أن يتكلم ... فلم أسله ولم أسمع له ، بل صغمته على وجهه ثم انطلقت أعدو كالمجنون وظهرت بالوتوسكل

كان ذلك قبل الحرب العظمى ، وكانت الماديات يومئذ غير الماديات ، والشرف غير الشرف ، فواصلت البلدة حتى التمت زميلين لي فطلبت إليهما أن يكونا شاهدي في مبارزة فارناك . وأجمعت علي قتله إذ كان حذقي في الضرب بالسيف لا يقل عن مهارتي في الرمي بالرصاص ثم ألفت في محل عملي وأبيت أن أرى زوجتي أو ترأى . فكتبت إلي تضرع أن آذن لها ففعلتني بالخبر على جلبيته فان الأمر غير ما ظننت ، وإنما هو شأن آخر سئمت به بالبرهان القاطع ، و... وهنا مضرت الرسالة ولم أستوف قراءتها ، وأبيت عليها ناسألت

ووقعت المبارزة وتضاربنا بالسيف ؛ فما كانت إلا هزيمة ثم أغمدت سيني في صدر الخائن فسقط ميتا ولم ينطق بكلمة ولا حرف

وعدت ساعتي إلى باريس فكتبت إلى الشركة سر أتمس عملا آخر . وجاءني الرد أن لا عمل إلا في ناحية بعيدة من بلاد أفريقيا ... وفي هذه الناحية

فتم اختللت أعصابي وأصبحت خطراً على أيتامى ،
ولست أدري ماذا كان يحدث لو لم ترحمي الطيبة هناك
فتضربني بالحي التي أرجعتني إلى هنا ... ولم تقناني
الجلي فقد كانت لي قوة أقوى منها ، وهي رغبتي
في التكفير عن الذنوب

وبحثت فطعت أن تاركك زيبكا هو ابن أخيه ،
وقد ذلّ بمدخر ، واقترب مد غنى ، فزلت له من
أكثر ما جمعت من المال

أما زوجتي المسكينة فلم تترك أحداً تربطها بها
أصرة ، فجعلت هي أن أعيش ما بقي من العمر في
ذكرها ، أنمذب بها كما عذبني ... فاستغفرت
من الممل وجئت أريد بكسيول التي دُفنت فيها ،
ومى مارأيت من غراس الورد على أنواعه ، ومن
هذه الأحجار الغالية ، وهي نحت مثقال عظيم في
باريس ، وهو آت بنفسه على أثرى لقيم البناء على
القبر ، فيجعله أثرًا خالدًا مذكورا من آثار الفن ،
وإلى جانبها سأقضي بقية مدتي ، وإلى جانبها سأدفن

وحان الطعام أن يلقى أبوابه ، نخرجنا وكان
المطر ينهمر ، وجعلنا نلتصق الطريق حتى بلغنا
المحطة فيها مقهى يظل مفتوحاً إلى الصباح ، وأبى
صديقي إلا أن يدخل إليه ، فهو على سنه ما زال
يظلم إلى الحمر ؛ ولم يكن احتجز لنفسه غرفة يأوي
إليها في الفندق ، وتركته يتألم سكرًا وانطلقت
وحدي .

قلت في أول القصة إنى توجهت إلى المحطة
وجعلت أتصفح الوجوه أبحث عن شخص ، فهو
صاحبى شيمائك ، وقد ألتصقت فلم أجده ، وأتفكر
فلم يجيئ ، إلى أن تحرك القطار فوثبت إليه

فحدثت فيه أحسبه بهزأني ... ولكي
تذكرت أنى قد غيرت اسمي فمن البعيد أن يعرف
من أنا ؛ وكأنما أراذ أن يذكرني ، فقال :

— ألا تذكر فارتك الذي قتله زميل له في
المبارزة ؟

قلت — فأقصة هذه المبارزة ؟

قال — لقد ذهب فارتك ضحية خطأ شنيع .

— أى خطأ وبحكم ؟ ألم يكن خيلاً لزوجته قاتله ؟

— كلا كلا ... لم يكن في قدرته أن يكونه ...

ولقد اطلعت على الملف الخاص به عند ما كنت
أعمل في إدارة الشركة ؛ فهذا البائس أظهر من
الطفل الرضيع إذ خذلته الطيبة فلا يصاح
لا امرأة ... لا تلك ولا غيرها ولكي ...

إنى أعرف ما تريد أن تقول ... نعم إن
الرجل فجأه مع زوجته على حال ظنها سرية ، غير
أنهما لم يكونا في مجلس غرام ، بل اجتماعا لشأن
آخر ... فقد كانت هذه الزوجة تصرعت إلى
فارتك وألحت عليه أن يسي في الانعام على
زوجها بنوط الشرف ، وسمى فارتك وكتب إلى
الشركة أيضاً ، وقد رأيت كتابه بمعنى رأسى ،
وكان طلبه قريباً من الاجابة ، وبشروه بذلك ،
وذابت الزوجة إليه تتلقى البشرى ، ولكن الزوج
الأبله يهرش به ولم يسمع منه ، ثم قتله ولم يسمع من
زوجته ، ثم رحل إلى حيث لا يعلم أحد أين رحل ...

قال محدثي :

هذا ما قصه الضابط ... وكادت والله أموت
حسرة وبُدا ، وكادت أجن من هول ما صنعت ،
وتمزق قلبي أشد وأوجع مما قاسيت من قبل ، فلم
أطق الميئس وحاولت الانتحار فحبل بيني وبينه ،

كانت تهم به هيام الجنون فتأتى في سيارتها الصغيرة بين الوقت والوقت للخلوة به في فندق من الفنادق ثم تدفع للفندق ما كان يجب أن يدفعه هو ... !

وجعل ثينيه بمن زوج هذه المرأة فقد كان أبله مفقداً ؛ إتهم رئيسه بزوجه فدعاه للبارزة وقتله ثم نأى فلا يدلم أحد أن هو . وقد ترك لزوجه منزلاً وجصة كبيرة من مرته ، فكان ثينيه هو الذى يستمتع بالمال والدار والزوجة ، شاخرا هو وعشيقته من النفل ... الى أن هلكت المرأة

وهنا سكنت ثينيه من الكلام وكان السكر قد نال منه ، فغمغم الرجل الشيخ بكلمات لم تفقهها الفتاة ؛ بيد أنها رأت وجهه كوجه النمر من الحنف والنيط

وبعد ذلك أخذ ثينيه يغنى ويريد فأخرجهم صاحب المقهى . وسأل الشيخ صديقه أن يصحبه في زهرة ، وأبت الفتاة وألحت على ثينيه أن يعود الى مثواه ، فأغضبه الحاحها فلطمها لطمه ألقنها الى الأرض . وما كادت تنهض حتى أبصرتهما يتهددان الى ناحية النهر ...

فالتقت الصحيفة من يدى وقد عرفت من القاتل ... وتحزنت على صديق التمس صاحب غراس الورد وأحجار الزمر للصقول ... فلا بد أن يكون قد أزهق نفسه وانتهى القاتل والقتيل ... وقيل أن أعادر قرية بوقلييه تحدثت الى محطة بكسيول فعلمت أنه لم يأت إليهم أحد يسأل عن الزمر وغراس الورد ، وقد ذوى الفراس فالتقلب حطبا ...

وأنت يا فبر زوجة شيمزك ... ؟ ؟

محمد الرافعي

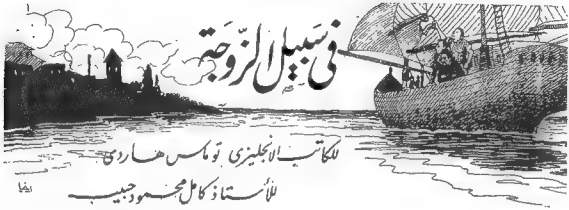
وبلفنا بكسيول وفيها ينزلون ما جاء به صديق من غراس الورد وأحجار القبر ، وأنزلها القطار ومضى في

وقضيت عملي ورجعت بعد أيام ، فاضطرت الى التخلف مرة أخرى في بوقلييه ، فنزلت حيث كنت نازلاً وسأت الخادم :

— هل عثروا على القاتل ؟

فقال : إنهم قبضوا على فتاة ولكنهم لم يقبضوا على دليل يثبت جنابها . وأن هذه الفتاة أقرت أن القاتل رجس خرب كان معها هو وقتل ، ووصفته بأوصافه ، فبحث الشرطة في جميع الفنادق واتصلوا بكل من نزلوا بها تلك الليلة فلم يهتدوا إليه ولا إلى من يعرفه . ولعله لم يقض ليلته في الفندق ... ولكن ما الذى يدعو هذا التريب لقتل ثينيه ؟ لا أظنها إلا حيلة تريد الفتاة أن تخدع بها الشرطة ... وأى ذلك كان فأبمالك الجريدة المحلية وقد اقتصت الخبر من أوله إلى آخره

وتناولت الجريدة وقرأت ما شهدت به الفتاة فإذا هي تقول إنها كانت صدرا من الليل مع ثينيه تماقره الخمر حتى غلا . فلما انتصف الليل وأغلقت الحانة ذهب الى مقهى المحطة ؛ ودخل الى المكان رجل علاه الشيب ، أشمر الوجه مشرب بحمرة ، قوى الجسم ، قصير القامة ؛ وكان يرتج من شدة السكر . فتجاذب هو وثنينه الحديث وخاضا فيه ، وزعم أنه قادم من باريس ووجهته الى بكسيول وأخذ ثينيه كعادته يشفق الحديث بأخبار النساء من حظايا وعشيقاته ، وقال ان اسم بكسيول يذكره بأيام الطلب إذ كان في السابعة عشرة من عمره ، وكان يومئذ قد اتخذ أول خليلاته وهى زوجة مهندس تدعى مشلين ... وازدهى بأنها



- ١ -

يردها بعده كلمة كلمة ، وقدر كع وضم يديه إلى صدره في خضوع ، والجمع من حوله خشع بنظرون .

وحين تمت الصلاة انصرف الناس وقد عرفوا في الشاب البحار شادراك جوليف الذي رحل عن وطنه الأول هافنبول ... رحل عنه إلى نيوفوند لاند ، حين مات أبواه .

وانطلق البحار يتحدث هذا وذاك ، وبقيت عليهم قصة حياته منذ ركب البحر ...

وعلى قيد خطوات منه فتانان : أما أحدهما فضئيلة ضامرة رقيقة ، وأما الثانية فت طويلة قارعة ؛ جذبته إليهما بمض ما بدا عليهما من رقة وخفة ونشاط ، فقال لحدثه : « من الفتانان ؟ » قال له صاحبه : « أما القصيرة فهي إميلي هانتج ، وأما الطويلة فهي جونا فليبارد » ، قال : « نعم لقد ذكرتكما ... » ثم أسرع ؛ وحين خذاهما قال : « إميلي ، ألا تذكرين ... ؟ » قالت الفتاة : « هذا ما أظنه يا ماستر جوليف ! » وحدقت فيه الثانية ، فقال : « لأستطيع أن أذكر الآنسة جونا ما غير أفي أعرف عنها الكثير »

وساروا جميعاً والبحار يتحدثها حديث ماضيه ، وبما تنصتان في شغف ولذة ، وبلغوا - بعد حين - دار إميلي ، فتركتهما هذه ليسيرا جنباً

في أمسية يوم من أيام الأحد ، وقد ابتدأ الظلام ينشر مسجوفه على مدينة هافنبول ، كان فناء كنيسة سان جيمس يتلأأ ، وتسطع فيه أضواء الشموع ؛ والقس في عرابه يحذر الناس ويمظهم ... ثم وقف - وقد انتهت الصلاة - في خشوع وذلة ، وراح الجميع ينسلون رويداً رويداً .

كان المكان هادئاً صامتاً لا يرتفع فيه إلا هدير الأمواج الصاخبة تصفع الشاطئ في شدة حيناً وفي لين ، وإلا صوت أقدام رجل ينطلق إلى باب الكنيسة يريد أن يفتحه لينصرف الماعون ؛ وحين شارف الرجل على الباب ارتفع الزلاج من الخازج ودلف رجل في لباس البحار ... ثم انطلق على مهل حتى وقف بأزاء المهراب ، والقس يحده بنظرات فيها الغضب والحلق على فضوله ؛ غير أن البحار قال في هدوء : « لا تؤاخذني بما فات ياسيدي ، فلقد جئت لأشيد الله على أن أنقذني من الفرق حين تحطم مركبي ؛ هذا واجب أريد أن أؤديه إن وجدت منك الرضا » ، وصمت الراهب حيناً ثم قال : « لا مانع ؛ وكأن يجدر بك أن تجيء في بدء الصلاة ، والآن سنصلي معاً صلاة النجاة من الفرق » ، وانطلق القس يتلو الصلاة والبحار

واختلجت هذه الأفكار في رأسها فكتبت الى صاحبها تقطع ما اتصل بينهما ، وانطلقت الى صاحبها تريد أن ترى أثر الخبر في نفسها ، وفي يدها كتابها الى شادراك لتقرأه على صديقها قبل أن ترسله .

دخلت جوانا فلم تجد إميلي في الدكان فجلست تنتظر ... ونظرت فاذا شاب يصدق في بعض الكتب من خلال الزجاج ... إنه هو ، هو شادراك جاء ليجلس الى إميلي ، وهو الآن يجبل بصره فيما حوله عليه يجدها وحدها ، وأفتت جوانا من أن يجلس الى صاحبها تحت سمع إميلي وبصرها فافتلت تتوارى خلف سحف لتري وتسمع ، ولتستطيع أن تنسل من الباب الخلفي متى أرادت ... وبدا لمينيا ما ارتسم على وجه شادراك من سمات الألم والحزن حين دخل فلم يجد إميلي ، وهم أن يخرج غير أن شبح إميلي كان قد بدا له فترث . وحين رآه هي فزعت كأنها تريد أن تنكص على عقبيها ، فقال شادراك : « لا ... لا ترجعي ، ما الذي يفزعك يا إميلي ؟ » قالت : « لا شيء يارب ان جويلف ، لا شيء سوى أنك فجأني فاضطربت » وكان صوتها يضطرب كأنه يحدث عن بعض ما في قلبها من بأس وألم . ورأى الشاب ذلك فقال وهو يسم : « لقد عرجت عليك في طريق ... » قالت وهي تقفز ليكون النضد بينهما « لمك تريد بعض الورق ! » قال : « لا ، لا ، لا ، يا إميلي ! لماذا تقفزين هناك ؟ لماذا تهتدين عني ؟ أفاصبحت نبفسنتني ؟ قالت وما زال الاضطراب في ألغائها : « لا ، أما لا أكرهك ، وكيف أفعل ؟ » قال : « تماي إذن هنا نتحدث كسديقين ... » وجلست إليه وعلى فمها ابتسامة رقيقة ، وانطلق هو يتحدث : « ها أنت ذي يا هنزتي ... » قاطعته : « لا تقل هذا ، أيها الربان ؟ إن هذه كلمات يجب

إلى جنب حتى دار جوانا ... وحين رأى شادراك نفسه وحيداً ارتد الى دار إميلي ... إنها تعيش مع أبيها ، وهي تدير دكاناً صغيراً للكتب ، تسد عاتريجه منه نفرة لا يسدها وانب أبيها الضئيل ... ودلف الى الدار ليجد الأب وابنته يشران الشاي ، فتناول قدحاً آخر ؟ وأخذ يحشهما حديث البحر ومفاجأته ، والفتاة تحس أن هذا الشاب يجذبها إليه رويداً رويداً ، ومضى أسبوع توثقت فيه بينهما عرى الصداقة

وتلاذ القمر - ذات ليلة - ليبحث في نفس البحار الشاب النشوة والطرب ؟ فانطلق يستمتع بالهدوء والبحر والقمر ، ويستروح نسيات الحياة الناعمة ... ورأى فتاة تميز على بعد ظنها إميلي فانطلق في إثرها ، وحين سار مجذأها وجدها جوانا غياها وصار الى جانبها ، وهي تدفقه عنها برفق خشية غضب إميلي ، غير أنه أصم أذنيه عن كلماتها وراح يجذبها ...

ماذا قال لها وماذا قالت ؟ ماذا كان منها وماذا كان منه ؟ لم يسع شادراك بشيء من ذلك ، ولكنه أصبح يهفو نحوها ويهمل إميلي قليلاً قليلاً . وطارت إشاعة يحمل في ثناياها عزم البحار الشاب على الزواج من جوانا دون إميلي . ودوت الإشاعة ليمث في نفس الأولى الأمل الخلو ، وفي قلب الثانية اليأس والحيرة ... وبدا لجوانا أن تنطلق الى صاحبها تكذب الخبر وتقول لها إنها ستدفع الشاب عنها في رفق ولين ...

لم يكن شادراك هو كل أمل جوانا ، فهي لا تستشعر حبه في قلبها ، وهي لا ترى فيه رجلاً لأنه فقير ، ثم هي جذابة جميلة ناعمة ، تأمر القلوب وتسيطر على الأفتدة ؟ غير أنها أعجبت بلباقة البحار وظرفه ، وكانت ولوعاً بالزواج ...

لا تستطيع أن تجلس إليك . ولقد أحست هي في خطابك صفة قوية قاسية هذمت كيانها » وأفاضت الأم فيما قالت ، وكان البحار الشلب رقيق القلب ، سليم الطوية ، فصدق حديث الأم المفترى ، وألقى بين يديها قياده وهو يقول : « وبلى ! لقد قسوت حقاً ، والآن فلها هي الخيار »

وفي الصباح التالي جاءه خطاب من جوانا تطلب إليه أن يوافيها الى اللقي ... وقالت له وما يسيران ذراعاً في ذراع : « الآن رجعت المياه الى مجاريها ، وكان خطابك غلطة من غلطات الشباب أليس كذلك ؟ » قال وهو يسم : « بلى ... » وتصرفت أيام ... طلما بمدّها على العالم عروسين ...

- ٢ -

وكرهت الزوجة أن ترى زوجها يركب البحر فيخطئها نصف زوجة ، ويتركها وحيدة وقد ماتت أمها ، ثم هي لا تأمن غدر الأمواج ، فراحت تحب اليه البقاء الى جانبها ليقوما معاً بفعل فيه الأمن والريح

واطمأن الزوج لحديث زوجته ، فأنشأ دكاناً للبدالة ، وبذل قصارى جهده ليفوز من دكانه بختم غير أن جهله بفنون التجارة كان عقبة كأداء . ودار الفلك دورات ، وهو هو ، حيث كان منذ سنوات ، لم يُفد شيئاً سوى ولدين أشرقا في دجى حماه ، وأحبتهما الأم حباً أنساها ما كانت تحبوه بزوجها من الحب ، وشبّ الطفلان على شاطئ البحر فهما الفراهة والقوة والنشاط ، لكنها لا تستطيع أن تنشئهما كما صور لها خيالها ، وبنت لها الحقيقة مرة لأداعة

أن تكون لشخص واحد ليس غير » . قال : « لقد أدركت ما تعنين ؛ وإني أقسم أنه ما حال في خاطري يوماً أنك تفكرين في ... أنا أشعر بعزل إلى جوانا ، وأعلم أنها لا تحمل لي في قلبها شيئاً من الحب ، وما كان بيننا سوى الصداقة ؛ وأنت تلمين أن البحار حين يهبط أرضاً يكون أعشى كالغفاش ، فهو يريد امرأة تسلس له وتتفاد ثم لا يمينه ما وراء ذلك . ولقد أحببتك وسكنت إليك — بادی الأمر — ولكنك انزويت عني فأحسست كأنك تدفينني من نفسك في رقب ، فانطلقت إلى جوانا ... » قالت وهي ترتجف : « كفى ، كفى ؛ فأنت ستزوج من جوانا في الشهر القادم ، وإنه من العار ... » قال وقد أمسك بذراعها يضمها إليه : « إمبلى ... عززقي إمبلى ... إنه هو أنت ... أنت وحدك التي أحب ، وأنت التي ستزوجها . إن أمل جوانا أن تتزوج من رجل غيى غنى . إنها لا تصلح لي ... » وكانت جوانا من خلف الستر تختلج وتضطرب وقد فجأها حديث شادراك فأزعجها وآلمها ، فانطلقت وفي قلبها الحقد والكراهية لصاحبها إمبلى ... انطلقت إلى دارها تمزق الخطاب الذي كتبته إليه وفي رأسها حاطرة تضطرم : لقد عزمت على ألا تدع البحار الشاب يفلت فيكون هو سعادة إمبلى وشقاها في وقت معاً ...

وطربت إمبلى لحديث الشاب فقامت تودعه وفي عينها عبرات الشكر والسرور وسيطرت الفكرة على شادراك فكتب إلى جوانا يكشف لها عن بعض ما ظنه قد خفي عليها ، وطلب اليها أن تكتب له ، ثم انتظر ... انتظر طويلاً فلم يظفر منها بكلمة ، وأمضه الانتظار ، فانطلق اليها ... وقالت له أمها : « إنها مريضة

السعادة لابنيك ! » قال : « لقد كنت أستطيع لو أنني انطلقت إلى عملي .. عمل الذي أجيده ... إلى البحر ... »

ونحركات أطباع الزوجة في صدرها فقالت : « أفترى النجاح هناك ؟ » قال : « نعم » قالت : « أفتريد أن تذهب ؟ » قال : « ما أريده للذة في نفسي فأنا أجد اللذة هنا إلى جانبك وإلى جانب أولادي غير أنك تريد الثراء ، وهذا طريقه . » قالت : « ومتى تمود ؟ » قال : « من يدري ؟ » وفي الصباح لبس شادراك ملابس البحار وانطلق إلى البحر ... إلى نيو فوندلاند ...

وترعرع الطفلان ، وانطلقا إلى الميتاء يملان بأجر زهيد ، وأمهما جالسة إلى نفسها تحدتها : « لاضير ، فهما يكسبان ما نسده به عوزنا ، سيكونان في السابعة عشرة والثامنة عشرة حين يرجع أبوهما يحمل إليهما المال ، وبه يملنان ما بلغ أبناء إميلي من الرقاهية والعلم ... »

واقضت الأيام ، وحانت عودة شادراك ولكنه لم يأت ... غير أن ذلك لم يزعج الزوجة ولم يقلقها فهي تعلم أن المركب شرابي وأنه لاضير إن لم يصل في ميعاده ... وانطوت أيام ...

وعاد الرجل وعلى وجهه سمات الفرح باللقيا بعد الفراق الطويل ، وعلامات الفوز بما يرضى به زوجته ؛ وراح يضم زوجته في شغف وحب وهو يقول : « لقد أدفدت كثيرا يا جوانا » ثم أفرغ في حجرها كيسا كبيرا قد ملأه ذهباً . وبدأت الدهشة على وجه الزوجة — بأدى ذي بدء — ثم انمحت قليلاً قليلاً ، ليحل محلها الجشع الذي في صدرها فقالت : « أهذا كل ما أنت ؟ » واستشعر الرجل الخيبة فقال : « ماذا ، ماذا يا عزيزتي ؟ إنه

وكانت إميلي قد تزوجت من تاجر غني ، وأح يتودد إليها حتى رضىته زوجاً ، وتفتحت زهرة هذا الزواج عن طفلين مسحاً عن قلبها ما كان من حب لشادراك ومن كراهية لجوانا ، واستقرت إميلي في دار زوجها الفسيحة الجميلة ، وهذه الدار نجاء دكان شادراك !

لشد ما ألم جوانا أن ترى المرأة التي غلبتها على أمرها حيناً من الدهر في قصرها الشديد ، ترفل في حريرها وستندسها بين أطفال كالآثار ، وأن تراها تطل من نافذتها بين الحين والحين كأنها تستمتع بما ترى في دكانها من معاني الضمة والفقر ! ولشد ما حزن في قلبها أن تستشعر الخيبة بعد أن أحرزت النصر ، وأن ترى حياتها تفتتح من فاقة وعوز ! أفكان هذا هو كل ما أفادت جوانا حين ظفرت بفتاها شادراك ؟

وجلست جوانا إلى زوجها تحبته وقد خلا المكان إلا منهما ، وبصرها معلق بعربة أحد الأغنياء الكثيرين الذين يزورون إميلي بين الفينة والفينة ، تحبته تقول : « ما كان لرجل أن يبرز في عمل لا يجيده ولا يتقنه ، وأنت لا تحسن فنّاً من فنون التجارة » قال الزوج : « إن الثراء لا يعني كثيراً ، وحسبي أن أعيش إلى جانبك سعيداً .. » قالت : « أفلا ترى ما بلغت إميلي من الثراء والدعة ؟ إن ابنتها يتملأ في الكلية ، أما ابنك فلا يستطيعان ... » واستيقظ الهوى في قلب البحار حين ذكرت إميلي فقال : « إنه أنت أنت التي رفعت إميلي إلى ما ترين حين جذبتني إليك ، فارتدت هي في بأسها تميم التاجر إلى ما يطلب . » وتكرر الحقد والتغيب في صدر الزوجة فقالت في غيظ وحدة : « دع الماضي ، وانظر كيف نجد

لثراء ... ١- قالت وكأنها تؤنبه : « هذا ثراء لمن يعيش في البحر ؟ أما هنا ... »

وأمسكا عن الحديث حين دخل الولدان ... وفي يوم الأحد التالي انطلق شادراك الى الكنيسة ليؤدي صلاة النجاة

وبدا للرجل أن زوجته لا تقنع ، فراح يحذنها ليستيقظ من حديثها بمض ما يكنه قلبها ، فقالت وهي تشير الى دار إميل « إنهم يملكون الآلاف وما عندنا سوى بضعة مئات ؛ لقد اشترىوا عربية وحصانين . ما زلنا فقراء يا شادراك ... »

وقضى الزوج عامًا لا يرى زوجته إلا حزينة كئيبة ، فأمنضه ذلك وآله وعزم على أن يفاخر في البحر مرة ثانية مع ولديه . وانطلق الى زوجته يكشف عن عزمه فاضطربت وفزعته ، وقالت : « لا ، لا ، يا شادراك . لا أستطيع ذلك ، ولا أريد أن أفنذ بهما في يد الأمواج ... » قال الزوج « وأما لا أستطيع السفر بدونهما »

وباتت المرأة ليلتها تقطب الفكرة في رأسها ، وعلى خطوات منها إميل تسمم الحقد والفيظ في قلبها فلا تستطيع صبرا على ما هي فيه من فاقة وفقر ؛ غير أنها لا تقوى على أن تعيش وحيدة ؛ ولكن .. ولكن أحلامها في الفنى والسعادة ... وصيحت زوجها تقول له : « أستفيد كثيرا لو أنهما ذهبا برفقتك ؟ » قال : « أضاعا مضاعفة ، ففما خبري من رجال كثير ، وأنا ألع فيهما الذكاء والظفنة والجلد والجد » قالت : « وهل في ركوب البحر من خطر ؟ » قال : « نعم »

ومرت أيام وأيام ، والأم لا تستطيع أن تقر على رأى ... ثم وافقت ...

وحُيِّل للرجل أن موقف الوداع يصعب

بقلب الأم ويذفر في الصبيحت غراس التخاذل والضعف ، فأنسل برقة ولديه في الصباح الباكر ونسبات الريح تمر هيئة ندية . وأحسب الأم ، بعد حين . فاندفعت على آثارهم لترى ما سطره الرجل على الجدار ، بنبتها بسفرهم خلسة لثلاث محزنها ساعة الفراق وتولها ، لترى كل ولد وقد ترك أتركا تحت أثر أبيه يقول : « وداعا يا أماء ! » وانطلقت الأم لتدرك السفر ، غير أن سفينتهم « جوناثا » كانت هناك عند الأفق تحضر المباب ... وتفجرت المبرات من معجزها - وقد تصدع قلبها - تسبح السرور والهجة عن أيامها . وارتدت ... ارتدت لترى مثلها الأعلى في المرأة التي دفعت زوجها وابنها الى اليم ... إميل ...

وانقضت أشهر الصيف الأولى ، وجوناثا لا تبرح دكانها وما فيه إلا الرفوف ، وإلا النضد ، وإلا بقية من البضاعة ؛ وجاءت أيام الشتاء تريد أن تحمو ما سطر أبدى زوجها وولديها ؛ وشق على الزوجة أن ترى هذا الأثر النالى عجى ؛ وهي ترى من خلاله سمات سيدها وولديها ، فقطعته بألواح من الخشب ...

ورأت إميل ما يضطرب في خيال صديقتهنا جوناثا فانطلقت ترفه عنها وتشتري منها بعض أشياء هي في غنى عنها وعن بعض ما فيها من قذارة ورداءة ؛ وجوناثا لا تطعن إليها ولا تهدأ لأنها ترى في ذلك معنى الشبابة والتشفي ؛ وتأثرت الحقد في صدرها حين رأت ابني إميل وقد عادا ليقضيا أيام عيد الميلاد بين أبيهما وأمهما ، يبدو عليهما أثر النعمة والعلم معا ...

ومضى عام ... وبدأ القلق يستولى عليها ... وجلست إميل إليها تحذنها فقالت لها جوناثا : « أنت تميزين في طريق التجاح ذاعا ، أما أنا

من امرأة مثلي تهدها الأيام؟» قالت إمبلي في رقة:
«أطلب إليك أن تعيشي معي ... معي في منزلي
فأخرجك عن خلوتك ووحدةك وكأنيك»
قالت: «لا، لا. سأظل هنا إنك تريد أن
تنتقمي ... تنتقمين مني لأنني حلت بينك وبين
شادراك؛ إنك تريد أن تحبسي في دارك لتبهذي في
نفوسهم اليأس حين يمودون فلا يجدوني»

وأمسكت إمبلي عن الاجابة لأنها تعلم — كما
يعلم من في هافنبول — أن شادراك وولديه قد
ابتلعهم الأمواج منذ حين ...

ومرت الأيام ... وهجرت جوانا عن أن تدفع
أجر الدكان والمزلة حين غضب مينيها؟ فهي قد
عافت العمل منذ زمان، وزوجها قد أخذ كل
ما أفاد ليشره ويكثره، وتضائل الأمل في عينها
رويداً رويداً، فأجابت إمبلي إلى ما طلبت ...
وامتدت يد الأيام إلى المرأة تحمل إليها المشيب
البكر، وترسم على وجهها غصون الأسى والألم،
وتحني ظهرها، غير أن الأمل ...

واستولت على المرأة زعة جنون تفرعها عن
مرقدتها بين الفينة والفينة لتنظر خلال النافذة
علها تجد أحباءها

وهبت ريح الشتاء الباردة تصفر صفيح أمزجها،
والظلام الحالك ينشر ذوائبه على المدينة، والراة
جالسة في حجرها ترهب السمع ... ترهب السمع
بعد ست سنوات خلون منذ أن أفلح المركب
«جوانا» ... وخيل إليها أنها تسمع صوت
شادراك وولديه، فاندفعت تدق باب الدكان دقا
عنيفاً ... وأطلق شاب من النافذة يقول لها:
«يا سيدتي، إن أحداً لم يأت»

فلس محمود حبيب

فأهبط في منبعر الاخفاق دأماً « قالت إمبلي
«لماذا، لماذا؟ سيرجمون جميعاً وفي أيديهم الثروة
والمال ...» قالت «أفترجمون؟ أفترجمون حقاً؟
إن الشك قد هيمن عليّ. إن مركباً واحداً قد
أفلقهم جميعاً، والأشهر تمضي وأنا لا أعرف ما
يصنعون! لا شيء يترغ عنى لهم سوى عودتهم»
قالت إمبلي: «أنت غططة يا جوانا، لماذا دفعت
بهم إلى البحر؟» فالتفت جوانا بهتاجة تقول:
«نعم، أنه أنا التي فعلت، وأنه أنت التي أخربتني
بذلك؛ فما كنت لأستطيع أن أراك غنية ترغلين في
حلاك وحلك وبخر تتخبط في شدائد الفقر
والحاجة. هذا ما في قلبي، ولا يمتني بعدها أن
تكبرهني» قالت إمبلي في هدوء: «لا يا جوانا،
أنا لن أبفضحك أبداً»

وكانت إمبلي صادقة فيما قالت ...

ودار الفلك دورته بذيق المرأة وبأل أمرها،
لتكفر عن سيئات اقترفتها حين طاوعت أطعماءها،
واليأس يتدفق في قلبها ينزع عنها الصبر والايقان
وذكرت أمنية زوجها حين قال: «... وحين
نمود غائمين سالمين نذهب إلى الكنيسة لنؤدى
صلاة الحمد كما فعلت أول مرة ...» فكانت تذهب
هي صباح مساء لتركع هناك حيث ركع زوجها
منذ سنوات وسنوات وهي تفرغ إلى الله ...

وطال بها الانتظار، وهي لا تجد من يقص
عليها قصة زوجها وابنيها، فتوزعها الغموم
والأحزان، وارتاحت لوحدها وخلوتها وإمبلي
من ورائها تدفع عنها الخواطر السود؛ غير أن
جوانا قالت لها في غضب وحسرة: «أنا أكرهك!
أنا لا أستطيع أن أراك!» قالت إمبلي: «لماذا؟
فأنا أريد لك السلاوة والاطمئنان!» قالت: «أنت
سيدة غنية تتمتعين بالمال والزوج والبنين، فأذا تبنتين



يَوْمِيَّاتِي فِي الْإِزْيَافِ

لِلأَسْتَاذِ تَوْفِيقِ الْحَكِيمِ

١٦ أكتوبر...

كالطائر للرح، وأحياناً يحرن ويشب على قدميه ويأبى أن يتقدم كأن في طريقه أمي رافمة الرأس. وهو الساعة يهتز في يدي ويرقص ولا يطيعني كأن شيئاً يخيفه أو يقصيه عن مروج الأحلام. فنظرت إلى خزانة ملايبي الخشبية فإذا غار أسود على رأسها واقفاً يقرض الخشب بأسنانه؛ فجعلت أنظر إليه عليه يذهب، فلم يذهب؛ ومضت ساعة وهو في مكانه وأنا في مكاني، كلانا له عمل من غير شك، وهو فيما يبدو لي لا يحفل بوجودي، ولكني أنا أحفل بوجوده. فزيارة في هذه الساعة شغلتي من نفسي. وأخذت الأخطه وهو يمسح رأسه وفيه يديه الصغيرتين. وجعلت أفكر في هذا المخلوق الذي لا يفكر في، وهنا كل الفرق بيني وبينه؛ وتركت هذا النجار الصغير ذا المنشار الدقيق، وحملت كتابي إلى سريري وسدلت «الناموسية» عليّ وأحكمت ربط أطرافها حتى آمن فضول هذا الزائر إذا حدثته نفسه بمداعبة قدي العارية. ولم

لم نستطع أن نعرف شيئاً من الشيخ عصفور، ولم نستطع كذلك أن نقبض عليه، فهو لم يرتكب أمراً يقع تحت نصوص القانون فأطلقناه، وخطر ببالنا أن ندفع في أثره أحد المحبرين عسى أن نستكشف غريب الفتاة... ولكن أين هو المحبر السري الذي يخفي على الشيخ عصفور؟ إنه يعرف كل رجال الحفظ معرفة أكيدة، وهو الذي قام معهم في الوقائع مئات المرات وسهر معهم وأكل وشرب وغنى وأنشد، ودلهم على مخاي، الأسلحة، واقتنى معهم آثار المجرمين. إنه يكاد يحسب من أسرة «البوليس». تركناه ينصرف في سلام. وقد اكتفى بالأمور الحائق بأن شيمه إلى الباب بصفحة على قفاه شق بها قليلاً، وانصرف بعد ذلك كل منا إلى شأنه: الأمور إلى ناديه، وأنا إلى منزلي حيث خلعت ملايبي وخلوت إلى نفسي، وأخرجت كراسه يومياتي ألقي فيها هذا الكلام الذي لا أجد من ألقى به إليه في هذا الزيف. إن القلم لنعمه لأمثالنا ممن كتبت عليهم الوحدة، ولكن القلم كالجماد ينطلق أحياناً من تلقاء نفسه

وصفق يديه :

— يا أفندي يا محضر! حضر الجلسة ...

الجلسة .

وألقى معطفه التيل الأبيض السفرى على كرسى ، وأخرج وسامه الأحمر من معطفه ولبسه في الحال . وأقبل الفراش بالقهوة فشربها القاضى وهو واقف في جرعتين وهجم على قاعة الجلسة ، ونحن في أعقابها ، وصاح المحضر :

— محكمة ١١

ونظر القاضى في « الرول » وقال :

— قضاي الخالفات . محمد عبد الرحيم الدنف ،

لم يبق دودة القطن ... غيابة خسون قرشاً . تهاى السيد عنييه ... لم يقدم ابنه للتطعيم ... غيابة خسون ... محمود محمد قنديل ، أحرز بندقية بدون رخصة ... غيابة خسون والمصادرة . غيابة خسون ... غيابة خسون ...

وانطلق القاضى في الأحكام كالسهم لا يوقفه شيء ، والمحضر ينادى صرة واحدة حتى يلاحق القاضى ؛ فن لم يسمع النداء . عد غائباً وحكم عليه غيابة . ومن سمع بالمصادرة فحضر يجرى ابتدرة القاضى :

— أنت يا رجل تركت غنمك ترمى في زراعة

جارك ؟

— أصل الحكاية يا سعادة البك ...

— ما عندناش وقت لسماع كحايات ...

حضورى خسون . غيره . عبد الرحمن ابراهيم أبو أحمد . الخ الخ ...

وانتهت الخالفات في مثل لمح البصر ، وجاء

دور قضاي الخنج وفيها سمع شهود ومرافعة محامين .

أجد قائدة من . « المصايد » فانها تكلفنى عناء في إغداها وترقب نتيجتها . وليس أشق على النفس ولا أدعى إلى إضاعة الوقت من انتظار النتيجة . إذا كانت الفريسة خائرة تحاورنا وتداورنا ولا تقع حتى تقع معها نفوسنا . وفوق ذلك فلنكم قنصنا من الزبران ، ومع ذلك لم نقطع زيارتها ، فلنتركها إذن تبحر وتروح ؛ ولننجم لها هذا الجليل ؛ ولنحرص نحن هل أنفسنا وحوادثنا . وأنا والله الحمد ليس لى حوائج يحمى عليها غير هذا الأثاث الرخيص من الخشب الأبيض قد حطمته كثرة التنقلات من بلد إلى بلد . فإذا بضيره أن تمبث به أسنان صغيرة ؟ ونمت في تلك الليلة بعد المشاء بقليل ، فان في اليوم التالى جلسة القاضى السريع ، وقد كلفت مساعدى بحضورها على أن أحضرها معه إلى جواره كي أمره على نظام الجلسات وما يتبع فيها من إجراءات . وجاء الصباح وذهبت إلى المحكمة فوجدت مساعدى في غرفة المداولة متابطاً منظروفاً به وسامه وهو في انتظار القاضى . ولم يلبث القاضى أن جاء في القطار القادم من القاهرة وخلفه شيمان الحاجب ، وهما يشتركان في الخطى والقاضى يخرج من جيبه نقوداً يناولها للحاجب ويقول له :

— اللخم يكون فلاخ من قشرة بيت اللوح ا

وامسح للببيض يا شيمان أفندى ؛ والزبدة والجبنه على

عهدتك . أوضع الحاجة في السنلاى « كويس »

وانظرنى بها هل الحطة في قطار ١١ كالنتاد . اطلع

انت السوق والأفندى المحضر يقوم بذلك بالعمل ا

وانصرف الحاجب سريعاً ، ودخل علينا القاضى

وسلم في مجلة قائلاً :

— أظن تدخل الجلسة .

والحكم دون أن ينظر الى التهم أو ينتظر بقية دفاعه
ساعتها ووضعها أمامه ، وصاح في المحضر :

— بسرعة ، القضية الأولى ...

فنادى المحضر :

— سالم عبد المجيد شقرف ...

فنظر القاضي في الرول وعرفه التهمة والتفت
الى التهم وهو لم يجتز بعد عتبة باب الجلسة وصاح فيه :

— ضربت الحرمة ؟ كلمة واحدة ... قل من
عندك !

— يا سعادة البك فيه راجل يضرب حرمة !

— ممنوع الفلسفة . كلمة وزد غطاها .

ضربت ؟ أم لا ؟

— لا

فصاح القاضي في المحضر :

— أنكر التهمة . هات الشاهد

فحضرت الحرمة المضروبة تتمتر في « ملها »
الأسود الطويل ، فلم ينتظر القاضي حتى تدخل
الجلسة ، وصرخ فيها :

— ضربك ؟

— أصله يا سيدى القاضي ربنا يخليك ...

— مفيش أصله . ضرب والا لا ؟ هي كلمة

لا غير

— ضرب

— كفاية . واستغنت المحكمة عن بقية
الشهود ... كلامك يا متهم

فتصنح التهم وجعل يدافع عن نفسه والقاضى
مشغول عن سماعه بكتابة الحثيثيات ومنطوق الحكم
على الرول بالراصص الى أن فرغ . فرفع رأسه ونطق

— شهر مع الشغل . غيره ...

— يا سعادة القاضي أنا عندى شهاد

لا ضربت ولا بطحت . الحكم ظلم . ظلم يا ناس

— إخرس ! اسعجه يا عسكري !

فسحبه العسكري بيديا . ونوديت القضية

التالية . فحضر رجل ههم مقوس الظهر أبيض

اللبية يدب على عصا قابضه القاضي :

— بددت القمع المحجوز عليه ؟

— القمع قحى يا سعادة القاضي وأكلته أنا

والعيال

— معترف . حضوري ، حبس شهر مع الشغل

— شهر يا مسلمين ! القمع قحى . زراعتى ..

مالى

فسحبه العسكري . وهو ينظر بينين زائنتين

الى الحاضرين كأنما هو لا يصدق أن الحكم الذى

سمع حقيقى . إن أذنه لاشك قد خاتته ، وإن اليقين

عند الناس الحاضرين . فهو لم يسرق قمع أخيد ،

لقد جاءه المحضر حقيقة فحجز قفحه وعينية حارسا

عليه حتى يسد مال الحكومة ، ولكن الجوع

اشتد به وببيله فأكل قفحه ؟ فمن ذا الذى يسده

سارقا ويعاقبه عقاب السارق ؟ إن هذا الشيخ

لا يمكن أن يفهم هذا القانون الذى يسميه لصا لأنه

أكل زراعتة ، وثمرة غرسه . إن هذه الجرائم التى

اخترعها القانون اختراعا ليحمى بها مال الحكومة

أو مال الدائنين ليست في نظر الفلاح جرائم طبيعية

يحمسها بفرزته الساذجة . إنه يعرف أن الضرب جريمة

والقتل جريمة والسرقة جريمة . لأن ذلك اعتداء

— الحبس بالزور يا حضرة القاضي؟ أنا مظلوم .
 لا قاضي سمع كلامي ولا حاكم طلب مسؤولي لحد
 الساعة !
 — إغرض ! معارضة يا رجل بعد الميعاد ؟
 — وما له ؟
 — القانون يا رجل انت ععدد أربعة أيام
 — أنا يا سيدى القاضي غلبان لا أعرف أقرأ
 ولا أكتب . ومن يفهمنى القانون ويقربنى
 المواعيد ؟
 — يظهر انى طولت بالى عليك أكثر من
 اللازم . أنت يا بهيم مفروض فيك العلم بالقانون .
 إحجزه يا عسكري !

ورضع الرجل بين المحجوزين وهو يلتفت عنه
 ويسرة إلى من حواله ليرى أهو وحده الذى لم
 يفهم ! ؟

وجملت أتاأمل لحظة سحنة هذا المخلوق الذى
 يفترض فيه العلم بقانون « نابلدون » ١١
 وانتهت الجلسة آخر الأمر . ووثب القاضي
 ناهضاً وعاد الى حجرة الداولة ، وخلع وسامه على
 محجل ، فان قطار المودة لم يبق على قيامه غير سبع
 دقائق . ولكن القاضي تمود الركوب فى آخر
 لحظة ، فهو فى إسرعه لم يفقد ثباته الدائلى ولا
 اطمئنانه ؟ وتناول معطفه الأبيض ووضعه على
 ذراعه وسلم علينا وانصرف الى المحطة فى شبه ركض .
 وإذا كاتب النيابة يدخل مسرعاً ببعض الملفات
 وخلفه عسكري يسحب مسجوناً والكاتب يصيح :
 — القاضي مشى ؟ عندنا معارضة فى أمر
 حبس مفروضة على حضرة القاضي

فقلت له فى الحال :

ظاهراً على الغير ، وأن الرذيلة الخلقية فيها بديهية
 جليلة . ولكن التبديد ... كيف يفهم أركانه
 وحدوده ؟ إنما هو جرعة قانونية يظل يتحمل وزرها
 دون أن يؤمن بوجودها . وأسلم الشيخ أمره
 لخالفه . وتسلمه الحراس وهو يقول : « لا حول
 ولا قوة إلا بالله » . ونوديت القضية التالية ،
 ولم يكده المحضر بلفظ اسم المتهم حتى كان القاضي
 قد وزن « الدوسيه » فى يده فوجده ثقيلاً والشهود
 كثيرين ؟ ونظر إلى ساعته ، ثم نظر إلى منصة
 المحامين فلم يجد مع هذا التهم عمامياً فملت أنه
 يريد أن يؤجل القضية ، ولم يجب ظنى ، فقد
 التفت إلى النيابة قائلاً :

— النيابة طالبة التأجيل ؟

فنظر مساعدى إلى مرتبكا . فأسرعت قائلاً :

— بالمعكس ؛ النيابة تمارض فى التأجيل

فأخفى القاضي امتعاضه وقال فى شبه همس :

— ننظرها والسلام . هات القهود ...

غير أن القاضي ذكر أن هذه القضية إنما هى
 قضية « معارضة » فى حكم غيابى سبق فيها . وينبى
 أن تقدم المعارضة فى خلال أربعة أيام . فقرأ فى
 الحال التواريخ وصاح من فوره فى التهم متنفساً
 الصمداء :

— القضية مفروضة شكلاً يا حضرة التهم

لأن المعارضة تقدمت بعد الميعاد

فلم يفهم الفلاح ذو « المرى » هذا الكلام .

وقال :

— والعمل إيه يا حضرة القاضي ؟

— العمل أن الحكم السابق بحبسك ينفذ عليك .

إحجزه يا عسكري !

نهر لياليه ليحشوه هذه الأوراق

وخلوت أخيراً في مكتبي . ودخل على رئيس القلم الجنائي بيريد النيابة . وفتح مظاريفه أمامي كالمتناد في كل صباح . وما كدنا نقض غلانا أو غلافين حتى سمينا نخبجاً خارج الحجرة وصوتا مدويا عرفت فيه صوت الشيخ عصفور ، فبعت من يسأل عن خبره ، فقيل لي : إن المركز أرسله اليوم مقبوضاً عليه بعد أن حرره محضر تشرد . فأدركت أن الأمور ما زال يقتد أن هذا الشيخ هو الذي خطف البنت . وأن حقه عليه ما زال متاجباً وأنه لجأ إلى وسائل الإدارة ليقوع به . إن فكرة اتهام الشيخ عصفور بالتشرد فكرة نيرة لا يمكن أن تخطر إلا بذهن الأمور التيف . والحقيقة أن هذا الشيخ متشرد لا أكثر ولا أقل . وهو من هذه الناحية يصلح فريسة لنصوص القانون التي بين أيدينا . ولكن العجيب أن يسكت عنه المركز كل تلك الأعوام التي مضت ولا يفتن إلى أمر صناعته إلا الساعة . إن هذه الوسيلة لم تعجني كثيراً ، ولم ترض ضميري القضائي ؛ فإن نصوص القانون لا يبنى أن تكون أسلحة في أيدينا لضرب بها من نريد ضربه في الوقت الذي نختاره . إن القبض على الشيخ عصفور اليوم هو من غير شك مسألة انتقامية . إن الأمور قد رأى هذا الرجل يفت من نهمة خطف الفتاة دبر وفكر في طريق آخر لا يستطيع منه الافلات . هذا أسلوب الإدارة الذي لا يحسن أن يسلكه رجال القضاء ؛ وعزمت في نفسي أن أفرج عن الرجل ، ولكني أرجأت النظر في أمره حتى أفرغ من « توريد البوستة » التي أمامي . فلقد قدم لي عبد المقصود أفندي مطروفاً

— الحق القاضي على المحطة قبل ما يركب فصاح الكاتب في المسكرى :

— هات المسجون يا شاويش واطلع على المحطة

وهو رول الجميع : الكاتب والجاويش والمسجون في ذيل حارسه مربوطاً في السلسلة كأنه كلب . وجروا كلهم خلف القاضي الراكن . وهذا منظر مألوف لأهل البلد في يوم هذه الجلسة . فان المعارضات التأخرة والتجديد لأوامر الحبس تنظر وتمضي في « بوفيه » المحطة قبل قيام القطار بدقيقتين ، ويتحرك القطار وقدم القاضي ما زالت على الرصيف والأخرى في العربة الأخيرة وهو يقول :

— رفض المعارضة واستمرار حبس المتهم فيدون الكاتب منطوق هذا الحكم فوق « رخامة » مائدة البوفيه ، بينما يتسلم القاضي من شعبان الراكن خلف القطار المتحرك « سلاي » البيض والزيد واللحم ، والحاجب يصيح بأعلى صوته : — اللحم يا بك من بيت اللوح وبيت الكلاوي !

وصعدت بعد الجلسة إلى مكتبي أنا ومساعدى وقد بدا الوجوم على وجه المساعد ، فقد كان يحسب أن النيابة ستقوم في كل قضية تشرح وجهة نظرها في الاتهام . ولقد كان أعد لذلك مرافعات طويلة مكتوبة بخط واضح جميل على « أفرغ فولسكاب » مسطرة ، فإذا هو يخرج بها من الجلسة مطوية كما دخل بها ، وإذا الأحكام قد انطلقت انطلق القطار في بساطة وسرعة ، والعدالة قد جرت مجراها في طرفة عين كأنها جواد السباق من دون حاجة إلى هذا التحليل والنشر والاستشهاد والاستدلال الذي

في نفسى : « تلك ملحوظة من النائب العام » .
فأسرعت بفضه فاذا هو بلاغ من مجهول أرسل
الى النائب العمومى رأساً فى القاهرة ، فأحاله على
لأجراء اللازم فيه . فذشرته فى يدي وقرأه بأمان ،
ولم آت على آخره حتى كان قد استولى على العجب ،
وأطرقت لحظة أفكر ؟ ثم أعدت النظر فيه
وتعملت فى قراءة سطره هذه :

« سعادة النائب العمومى بمصر دام
نرفكم بأن الحرمة زوجة قمر الدولة علوان
المضروب الموجود «بالاستبالية اليرى» كانت
ماتت من سنتين مخنوقة وتستر عليها «حلاق الصحة
من أجل الرشوة وأجرى دفنها بدون علم الحكومة .
واسألوا زوجها علوان وأختها البنت ريم عن الذى
خنقها . وأسباب الجريمة مالمومة ولا تخفى على
فطنتكم إذا كنتم خاطركم بالتحقيق بنفسكم وإنكم
تكشفون أسراراً خطيرة ، وتضربون على أيدي
الأشياء . «وتوضعون» المدل فى مجراه . والمدل
أساس الملك . وقد قال الله عز وجل فى كتابه
المعزى : (وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل)
صدق الله العظيم » « فاعل خير »
(يتبع)
توفيق الحكيم

آلام فتر

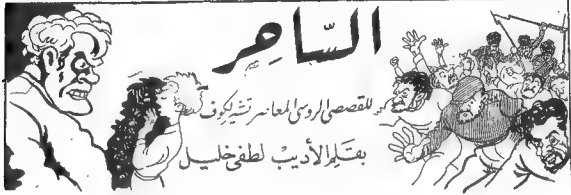
للشاعر الفيلسوف جوتة الأسانى

الطبعة الرابعة

ترجمها أحمد مسمه الزيات

وهي قصة عالية تدبج من آثار الفن الخالد
ومنها ١٥ قرشاً

أصفر ضخماً علمت أن فيه « قضايا جنائيات » مرسله
إلىنا من الرئاسة لدرستها والمرافعة فيها أمام محكمة
الجنائيات المتمتدة هذا الشهر فى عاصمة المديرية التى
نعمل فى دائرتها . فالتقيت نظرة على هذه القضايا
فوجدتها تحوى مئات الصفحات . وهل لى رأس
يتسع الآن لكل هذا ؟ لا شيء ينفرنى من عمل
النباية غير المرافعة فى قضايا الجنائيات . فان من
المسير على ذا كرتى الضميفة أن تحيط بكل تلك
التفاصيل التى تتكون منها الجريمة كي تبسطها بعد
ذلك فى نظام وترتيب مهدوء أمام قضاة ثلاثة عابسين ،
وعمامين متربصين ، وجمهور يشاهد ويحكم لا على اب
الموضوع ، بل على مدى اتقان الحركات والإشارات ،
ورنين الصوت فى القاعة ، ومهارة الاتقاء ، والضرب
باليده فوق النصبة . إنى بطبى لأصلح إلا للملاحظة
الناس خفية يتحركون فوق مسرح الحياة ، لأن
بشاهدنى الناس مثلاً يارعا قد سلطت على وجهه
الأضواء . إن هذه المواقف تسمى بصرى ، وتذهب
لبي ، وتطير ما فى ذا كرتى ، وتفقدنى ذلك الهدوء
النفسى الذى أرى به أعماق الأشياء . لذلك ما ترددت
وأمرت بإحالة هذه القضايا على المساعد ، فهو ما زال
فى تلك السن التى يهر فيها الانسان ويعجب بهذه
المواقف والمظاهر ؟ وقد يكون له من حسن
الاستعداد لهذا العمل ما يجب على أن أوجهه اليه .
وإنى فوق ذلك أتبع له فرصة الإقامة أياماً فى عاصمة
المديرية حيث يجد فى ملاحيتها ومشاريتها ما يرفه
عنه ويلطف من أثر الوحدة والضيق فى هذا الزيف
الصامت . وأعجبني هذه الخجج ورأيها كافية
لاقناعي بوجوب إزاحة هذه القضايا الثقيلة عن كاهلى .
وناولني رئيس القلم الجنائى بعد ذلك مطروفاً آخر
صغيراً قرأت عليه بالجهر الأحمر كلمة « سرى » فقلت



الحوانيت ، ولكن الأمان من أى شيء ولم يقف أحد على السبب ؟

لقد كانت جموع المال تروح وتغدو على الأرصفة ، وثيدة الخطى ساهمة الوجوه تتكلم فى همسات خفية مع من يقابلها من الرفاق ؛ ثم يحدق بعين المقت والحفيظة إلى ذلك الشعب المترف وهو يخطر فى لباس فاخر ويشيح بعيداً عن ذوى الخلقان الممزقة والوجوه الشاحبة للريضة والأيدى النليظة القذرة التى تشوه جمال الشوارع النظرة التى كانت تفيض بهجة وسخراً فى ذلك اليوم الخريفى الجميل الذى كانت فيه أوراق الأشجار المروسة على أحياض الطرق الفسيحة تلتقى أشعة ذهبية — كأنها تستقبل قبلة العراق من الشمس الفارسية — على تلك المراتب ذات الطلاء الوهاج ، بينما صراخ أكب الترام بأجراسها المجاجلة ، والسيارات بأبواقها الصارخة ، والدراجات النارية الرائحة تفرم المسالك والدروب

كانت تلك الكتل البشرية تلوح كأنها حجيج غير منتظر قد جاء من عالم آخر يخطو بين أناس مترفين ، فتجنّبوا ملامسته أو الاقتراب منه خيفة أن تمسهم منه لونه أو ينالهم من أطرافه وخرن . ثم مالبت تلك الجموع أن تفرقت أبديداً كأنها

كانت المدينة فى هياج وذعر ؛ وكان الاضراب سائداً فى العامل والمصانع قد اندلع كالنار تسعفها الريح حتى عم سائر الأنحاء ، وفوق الفرسان من الشرط تخترق الشوارع — كأنها رجال اللطافى الذين اعتادوا أن يأتوا مسرعين ، ولكن بعد فوات الفرصة — بوجوه ساهمة مهمومة ينقلون الخطى على قرع الطبول كأنهم رجل واحد والألق يسلم من حراب بنادقهم وهم يلوحون بها فى القضاء ، ثم ينفلت بينهم أحد القوزاق فى جلده المارى إلا من الشعر كأنه أبه مجنون فهوى الناس بعضهم على بعض متدافعين إلى مختلف الجهات مخافة أن يطأهم بقدميه

بقيت المدينة على تلك الحال من الصخب والاضطراب ، فواجهت الحوانيت تاتي بأضوائها المختلفة ، وجموع الناس تتراحم على الأرصفة فى خوف وقلق ، والمراتب تتسارع فى الشوارع فى صراع وعنف . وبات الناس يتوجسون خيفة من كل شيء ؛ فإن صفر شرطى فى صفارته أو انفلت أحد القوزاق فى الشارع ، أو نزت برأس عرييد نزوة الشجار والعبث ، استولى على قلوبهم الخوف والملع . فيندفع بعضهم إلى مكان الحادث ويولى البعض الآخر الأدبار طالباً بالأمان فى مجازات

— اسرع !
 — ولكن الى أين سيدتى ؟
 — هناك . الى الأمام . ياله من ضيق ! أدرسى بما
 — لا تخافى سيدتى . إنهم لن يقتربوا منا .
 — وما كادت المرة تنمط الى الشارع الآخر
 حتى عاد الهدوء الى قلب الأم ، فمادت الى حديثها
 الأول :
 — تذكر أنى سوف لا أدفع لك أكثر من
 عشرين كوكبا .
 — إن هذا قليل يا سيدتى .
 — إذن نزل . قف . سنأخذ الترام .
 — أنصح لك أن تبقى حيث أنت يا سيدتى فإن
 الترام سيقف بعد قليل .
 — من قال هذا ؟
 — إن المال سيضربون اليوم . أعلم هذا من
 قبل .
 وعندئذ كانت جماهير المال قد اقتربت منهم
 فدفعت الأم السائق دفعة قوية فضى في طريقه ،
 بينما الابن ينظر إليهم في خوف واضطراب فيلوذ
 بأمه شيئا فشيئا .
 — إني لأفهم لماذا يهتمون بهم كل هذا الاهتمام ،
 فإن كانوا لا يريدون أن يعملوا فلديهم يعطون
 الشوارع جيئة وذهوبا ؛ فسرعان ما يعضهم الجوع
 ويرجعون عن عزمهم .
 فأجابها السائق : إنك على حق في هذا يا سيدتى ،
 فإن الجوع يفيض ثقيل . ثم أدار وجهه عنها وأخذ
 يمشى بشعرات ذقه ولكنه ما لبث أن التفت
 إليها ثانية وقال : « يمكنك أن تروضى حيوانا
 بالتجويد ويمكنك أن تعملى هذا مع أى إنسان
 آخر ولكن الاساءة للرجل الفقير خطيئة لا تنفرد

سرب من الكلاب الضالة عند ما حاجتها فرق
 القوزاق الراكضة فسرى الخوف إلى جميع القلوب
 — أى : هل هؤلاء الناس عمال ؟
 — نعم . نعم ... امض فى طريقك ولا تتلفت
 حولك
 — ولكن لماذا يهرولون هكذا ؟
 — خوفاً من الشرط . امض ولا تتكلم
 — لماذا لا يتركهم يمشون على مهل مثلنا ؟
 — إنه لا يسمح لهم بذلك
 — لماذا ؟
 — أوه ! أرجو ألا تنقل على . أعطنى يدك وسر
 فى طريقك وإلا ... فالسوط ... فأمسك « سرج »
 بيد أمه وأخذ يجز رجله خلفها وقد امتلأ قلبها
 رعباً من تلك الجموع التدفقة حتى سرى إلى الطفل
 الصغير الذى كان يمدق فيها حوله وهو ذاهل مأخوذ
 — وهل هم أشرار يا أمى ؟
 — من ؟ من ؟
 — المال ؟
 — لا أدري . ففهم الطيب ومنهم الخبيث .
 — إنهم لا يريدون أن يعملوا
 — أم كسالى يا أمى ؟
 — نعم . نعم . ولكن هيا . وإلا كنت مثلهم
 — أم أنجاس يا أمى ؟
 — وفى تلك اللحظة كان الفرسان القوزاق قد
 ركضوا بجيولهم ، وصفر رئيسهم صغيراً عالياً ولوح
 بسوطه فى الفضاء فدوى كالطلق النارى ارتجفت
 له قلب الأم ، فأسرفت الى إحدى المربيات الواقعة
 ودفعت فيها ابنتها الصغير ثم أقت بنفسها فيها دون
 أن تسامد صاحبها على الأجر بل دفنته من الخلف
 وصاحت فى صوت غثتق خائف :

يكذب يستقر في منزله حتى نادى أخته « سونيا »
وحس في أذنها :

— لقد رأيتك اليوم بمض المال ، لقد رأيتك
حقاً !

— ماذا يشبهون ؟

— إنهم ... حسن ... إنهم يشبهون الفلاحين
ومنذ ذلك اليوم لم يمد سرج يتحدث كلما
نزل الى حديقة المنزل يلعب مع أخته إلا عن أولئك
الناس الذين عطلوا المصانع وأضرخوا عن العمل ،
ولكنهما لم يسلا الى رأى برتخان إليه : أم أشرار
أم أخيار ؟ أما في المنزل فقد كانوا أشراراً وأما في
الحديقة فقد كانوا أخياراً

وأخيراً ذهب سرج الى البواب وسأله :

— ولكن هل يستطيعون أن يوقفوا مصنعا .

— من السهل جداً يا سيدى الصغير .

— كيف يتسنى لهم هذا ؟

— بأن يدعوا البخار يخرج أو يتركوا المصنع
قاعاً مفضفاً

— وبدونهم لا يشتغل المصنع ؟

— كيف يشتغل من دونهم ؟

— وبدونهم لن أحصل على معطف جديد ؟

— لن تحصل

— وستبقى الصغيرة ؟

— كذلك سترتك الصغيرة و « بنطالونك »

وقيصصك ، فستضطر أن تسير كما ولدتك أمك .

— عارياً ؟ ... أوه ! يا لك من أبله ! إن أمى

تحضر لى كل هذه من الخارج .

— عليك أن تنتظر إذن حتى تصنع ، ولكن

ماذا تعمل لو حدثت أضراب عام في السكة الحديدية ؟

والآن من يكسونا أيها السيدة إذا ما بلى معطفك
الجميل وثقاً كنت تملأى البسيطة ؟

— لا تهم يا رجل مادام معك المال الكافى .

فان لم يشتغل عمالنا اشترينا ما يلزمنا من الخارج .

— ولكن ماذا تملأين لو وقفت قطارات

السكة الحديدية ؟

— هذا لغو . إن القطارات لن تقف أبداً .

من يسمح بهذا ؟

— من يدري ؟ إنهم يشيخون أنها ستقف حالا .

فأنصت « سرج » الى الحديث الذى دار بين

السائق وأمه ومار فى أسر أولئك الناس الذين

يطعمونه ويكسونه وفي الوقت نفسه يهربون من

رجال الشرطة . لقد اشترت له أمه معطفاً جديداً

للشتاء فلفه في أوراق ووضعته على ركبته يخفى له

قلبه فرحاً كلما خطر له أن ما من إنسان يستطيع

أن ينزعه منه

— وهل صنعوا معطفاً الجديد هذا يا أمى ؟

فأجابه السائق : لقد صنعوا كل شيء أيها

السيد الصغير ، ما من شيء إلا وكان من فضل أيديهم .

ففضبت الأم من هذا الكلام وشدت ابنها

من كفه وقالت له : اسكت . لا ينبغي لك التحدث

معه . أما السائق فقد مضى يتفلسف في نفس

الطريقة حتى ضاقت به الأم وصاحت في وجهه

غاضبة : « وأنت أيها الرجل يجب أن تزج في

السجن »

فسكت الرجل عن الكلام وأحب جواده

بالسوط فأخذ يطوى الطرقات حتى وصل الى المنزل .

وهكذا رجع سرج والشكوك تملأ رأسه في

حقيقة أولئك الناس الذين يدعون « العمال » فلم

— أيمكن أن تقف السكة الحديدية عن العمل ؟
 — هناك إشاعة بأن القطارات ستقف .
 — وماذا يكون مصير والدي ؟ كيف يمود إلينا ؟
 — أوه ! ربما يمطي عصا .
 — اسكت عن هذا الهراء . سأبلغ هذا إلى أمي
 التي سوف تجزيك عليه .

ثم غاب في تفكير عميق ، وأخيراً جذب
 كتم مطفئه الجديده ، وقال :

— وهل حاك البمال هذا أيضاً ؟
 — نعم . لقد صنعوا كل شيء . إن أمك لم
 تعمل أكثر من أن أوجدتك في هذا العالم .

لم يعض على هذا يومان حتى كان التزام قد وقف عن
 السير ، واحتجبت الصحف عن الظهور ، وأغلقت
 الحمامات أبوابها وانطفأت المصابيح في الشوارع
 وتمطلت القطارات عن السير ، وعم الملح سائر
 المحطات حتى أخذ الناس يتوقفون شلاً عاماً في
 حركة اللواصلات بين ساعة وأخرى

كان مقدراً أن يصل والد « مرج » في ذلك
 اليوم ، ولكنهم لم يأت فقلقت الأم وأشاحت بوجهها
 عن كل من المنزل ، ولم يسمع « ليرج » أن ينزل
 إلى ردهة الدار ، فكان يقضي الساعات الطوال في
 إحدى النوافذ يأكل قلبه شوق ملح ليقف على
 ما كان يجري في الشوارع

— وهل سيأتي أبي حالاً إلى المنزل يا أمي ؟
 — إنه لا يستطيع ذلك ، ثم أخذت تلحن
 الاضراب والمبال والوالد أيضاً

— أحقاً يا أماه أنهم يستطيعون ؟
 — يستطيعون ماذا ؟

— أن يمنعوا السفر بالسكة الحديدية
 — يظهر أنهم يستطيعون ، لا تنقل على . ثم
 تفرق الدمع في جفنيها وهاجت نفسها حقناً وغضباً ،
 أمام مرج فقد أدار رأسه إلى النافذة وأخذ ينظر
 إلى المارة في شيء من الاهتمام والخوف ، ثم
 همس قائلاً :

لو استطعت لقتلتهم جميعاً !

ولم يأت المساء حتى كانت الشوارع قد أقفرت
 من المارة فأغلقت الحوانيت وأقفلت النوافذ بالمصاريع
 الخشبية ، وأخذ رجال الشرط والقواض بطوفون
 في الطرقات لا يقفون إلا في الأسكنة التي أوقدوا
 فيها النيران ، فلم يستطع الابن أن ينام بل كان يقفز
 من فراشه في موهن الليل ويتسأل حافياً إلى النافذة
 ليري ما كان يجري في الشارع

كانت ألسنة النيران تندلع في الفضاء وأشباح
 مهولة من الناس تتحرك حول النيران الجراء كأنها
 وحوش ضارية تدور حول فريستها ... فيحس
 الابن برعدة تتمشى في جسمه فينكمش راجعاً إلى
 فراشه وقد توهمهم وحوشاً جائمة سوف تنقض
 عليه وتشويه في تلك النيران المستمرة ثم تلهمه
 التهاما ، فيزوي في فراشه النائم الدق وهو
 يصيح : أمي ! أمي ! إني خائف مقرر .

— لماذا لم تنم ؟ ولماذا لم تنم من فراشك الآن ؟
 — إن النار في استمار دائم يا أمي وهؤلاء الناس
 لا يزالون أمام نافذتنا

— نعم ولا تخش شيئاً . آه لو يأت والدك ؟
 — أمي !

— ماذا بني العزيز ؟
 — أريد أن آتي إليك . إني خائف

— الهال أيضاً ! ثم حك وراء أذنه بيده وقال :

— وماذا نفعل بدون الكمك ؟

— سنفكر في حيلة

— ولكن ألا يستطيع المحافظ أن يجبرهم

على خبز الكمك ؟

— لا يا عزيزي سرج ، إنهم لا يخافونه

— ألا يخافون المحافظ ؟

— إنهم لا يخشون إنساناً قط

— إذن فهم ذوو بأس شديد ؟

— بيدهم كل شيء . فلتأكل هذا الخبز اليابس

الآن فسوف لا تجده قريباً

— إني لا أستطيع أن أكل الخبز الأسمر

— نعم ، ولكنك ستفرح به غداً

— لماذا ؟

— إلتأث الأمر على سرج فلم يمد يدك أي نوع

من الناس هؤلاء الذين لا يخافون المحافظ ولا يخشون

إنساناً قط ولكنهم مع ذلك يفرون من وجوه

القوزاق ورجال النمرط . ما العمل ؟ أيقفون

المصانع ويمطون الترام والقطارات والصحف .

ويسلبونك الكمك ثم الخبز الأسمر ثم لا تفصل

شيئاً لهم . ثم أخذ يستفيد في ذهنه صور الساحرات

والسحرة الذين قرأ عنهم في القصص الخرافية

المديدة وتذكر قلاتهم المسحورة التي تخفهم من

أعين الناس فلا يمكنهم أن يقبضوا عليهم فإذا أسرم

المحافظ أن يعملوا لبسوا تلك الفلانس المسحورة

وغابوا عن العيون ! !

ثم سرى القلق من الشوارع إلى البيوت وشاع

الخوف في نوب كانت من قبيل آمنة مطمئنة

فانقلب نظام الأسر واضطر أصحابها إلى تغيير عاداتهم

والحد من مطاعمهم واختفت مباحج الحياة من

— مم ، بنى المحبوب ؟

— الساحر ! !

— أي ساحر ؟

— أشكال مختلفة

— إذن فلتأت إلى

فقفز سرج من فراشه فرحاً وجرى إلى سرير

أمه وقبض على يدها وقد اختبأ تحت الغطاء

ثم همس قائلاً : « إنهم يستطيعون أن يعملوا

كل شيء »

وسرعان ما غابت الأم في النوم من جديد

تاركة ابنها يطل برأسه من تحت الغطاء وينظر إلى

المحافظ فيرى الأطياف الحمراء التي تمكسها نيران

الشارع المستمرة فيستولى عليه الخوف ثانية فيأتي

بالغطاء فوق وجهه ويمود يفكر في أولئك السحرة

الأخيار والأشرار وفي أولئك الناس الدعويين عمالاً :

أم أخيار أم أشرار ؟

وفي الصباح جلس إلى المائدة ليتناول طعام

الافطار ولكنه لم يجد الكمك الساخن الذي

اعتاد أن يراه كل يوم بل وجد خبزاً ناشقاً بارداً

لا يفرى على الأكل . فصاح : هات لي بمض الكمك ،

لماذا تقدمين لي هذا الخبز القذر ؟ ثم أخرجه

الغضب عن نفسه فألقى بسلة الخبز بعيداً دفماً لذلك

الاهانة التي لحقت من والده :

— أشكر الله يا «سيد» سرج على هذا الخبز الآن

— ماذا ؟ عليك ببض الكمك . أي ! لماذا

لم تأت لي بالكمك اليوم ؟

— ولكن أين لنا به الآن يا عزيزي سرج

وقد أغلقت كل الخباز

— لماذا ؟

— لأن جميع الهال مضربون

ورواؤها . ولو شاء لكان لدينا الآن كمك كثير
ساخن ، وإن لم يشأ فلن يجرى الماء في الأنابيب
ولن يكون هناك شئ أو حمام . إنه لا يخاف إنسانا
ولا يخشى سلطانا .. ياله من ساحر !!

لقد كان الصبي واثقا من هذا فلم يمس أسبوعان
حتى حدثت المعائب في يوم واحد . فقد استأنف
الترام سيره وقاضت الشوارع بالأنوار الكهربائية
الخافتة وعادت الصحف الى الظهور ورجع الوالد
الى بيته فركب معه إحدى العربات اخترت بهما
الشارع العام فرأى السحرة قد جمعوا كتلا زاخرة
مبتهجة يحملون الأعلام الخفاقة وينشدون الأناشيد
المدبة دون أن يتصدى لهم شرطي أو يروهم قوزاق
فتناق الطفل الخروج الى الشارع ليرام
بنفسه فقال :

— أى ! لقد عاد السحرة بمخبطون في الشوارع
دعيني أخرج لأرام
— إنك لا تستطيع
— إنهم ليسوا أجباساً بل أظهار الآن . أليس
كذلك يا أمي ؟

ثم مضت عدة مشهور كان فيها كل شئ حسنا
فعاد للبيت مرحلة القديم وجنته المفقودة . ثم
تصادف يوما أن ذهب الوالدان الى إحدى الملاعب
وخرجت للربية لقضاء حاجة لها ، وانصرفت
الأخت الى عرائنها ولمها بيتا الجدة كانت لا تزال
ظريحة القراش . فاحس الطفل بشئ من الضيق
إذ لم يكن هناك ما يلعبه أو يسرى عنه فأخذ ينتقل
من غرفة الى أخرى في تراخ وكسل

— جدتي ما ذا أعمل ؟ ؟
— فلتدلك ساقي ، فإن الألم داودني فيها

المدينة كلها وقد الناس هناءة العيش . وأخيرا
تسلل الخوف إلى تلك التصور المنيفة حيث كان يقيم
سرج وأمثاله فأغلقت الأبواب وأحككت الأقفال
ووقف البوابون أمامها يتبادلون الحديث مع الحراس
والعسس وهم ينفخون في صفافيرهم . وجأة انقطعت
الكهرباء عن منزل سرج فتأدى أمه قائلا : « في
الكهرباء خلل يا أمي »

— أمي حجرة الاستقبال

— وهذه أيضا

ثم جاء الخادم وأخبر سيده أن هناك اضربا
عاما فقلينا بالشموع

وعلى هذا شمل الظلام المنزل كله لا يظهر فيه
إلا أضواء الشموع الباهتة المضطربة . التي كانت
تنمكس على المقاعد و (البيان) فتلوح في أعظيتها
وستأثرها كأنها جثث في أكفانها قد غابت في
تفكير عميق . وبينما هم كذلك إذ جاءتهم الأنباء
الزعجة بمجملها الخدم الذين كانوا يتحدثون في
غرفتهم الخاصة .

« إنهم يشيعون أن المياه ستقطع ، وقد سمعنا
الآن أن حفلات الجنائز ستقف ، ولن يكون لحم
في السوق غدا ، ولو استمر الحال على هذا أسبوعا
واحدا فإن قطعها ثائلا سوف يمتاح المدينة »

استمع « سرج » الى تلك الأخبار المزعجة
وهو ذاهل مشدود ، فقد ظهر له أن العامل هو
المثل الأول لهذا الدور وسرعان ما انبثق في ذهنه
أن العامل ما هو إلا ساحر ، ساحر ذو قوة غريبة
يمكنه أن يأتي كل شئ . فلو أراد لاستأنفت
القطارات سيرها ورجع أبي الى المنزل وعادت
الكهرباء تضيء كما كانت ، فيمود للترف بهاؤها

وفتح عينيه فرأى رجلاً قد ارتدى ثوباً بالياً وجلس على مائدة صغيرة يلهم طعاماً ساخناً يشاهد منه البضار وهو يلتفت حوله في خوف وحذر ، وقد أمسك الطبق بيده كأنه يخشى أن ينزعه منه غيره . فاشرب الأب الطفل ببقته ثم تلفت حوله وقال : « ولكن أين الساحر ؟ » لم يكن هناك غير الخادمة وهذا الرجل ؟

أجبت أن يكون هذا الرجل هو الساحر الذي يخافه ؟

ثم قويت رغبته في رؤية ذلك الساحر ، فاندفع إلى المطبخ ، فقفز الرجل واقفاً وقد سقطت المعلقة من يده ، فقالت الخادمة :

لا شيء ، إمض في أمرك . فلن يذبح السيد الصغير شيئاً

فأجاب سرج . أي شيء ؟

— لا تخبر أبك أو أمك بأمر هذا الرجل الذي يتناول الحساء . إنها فضلة من طعام قديم !

— حسن

إنه جائع فيجب أن ترجه إليها السيد الصغير

— من ؟

— إنه : هذا الرجل زوجي

— زوجك ؟

فألقى عليه الطفل نظرة شذراء وهو واقف في قوام بخيل يرتجف خوفاً ورفقاً ، ولكنه ظنه ساحراً خفياً قد لبس هذه الصورة الزرية الكثيبة ثم قال كذلك أنت . إنك ساحر ... إلى أمرك

— من ؟

— أنت أنت !

— إلى عامل يأسدي الصغير ولكني لأجد عملاً — ولكنك ساحر ... إلى أمرك . تستطيع

— إلى لا أحب هذا . فهو عمل ثقيل . ثم تركها وانصرف إلى أخته ولكنه لم يكذب عرائسها حتى تناول واحدة منها وكسر ذراعها وولى هارباً إلى المطبخ ليرى الطاهية الجديدة ، ولكن الخادمة لم تسمح له بالدخول فقال لها :

— ولكن ماذا أعمل إذا كنت وحيداً ؟

— ليس في المطبخ ما تلهو به

— ولكن من ذا الذي يتكلم هناك ؟

— إنه زوج الطاهية

— إنه مُسَلَّر

— لماذا ؟ إنه رجل عادي . عامل

— أزواج الطاهية عامل ؟

— نعم

— ساحر ! يجب أن أدخل إليه

— لا . إنني أشكوك إلى الريبة وأخير أمك

بذلك إن فعلت هذا

— إذن فأنت كاذبة . ساحر أمي أنك أكلت

القشدة

إنك كاذبة في هذا فقد التقطت ذبابة فقط ثم تشاجرا معاً ، ولكن الطفل لم يجرؤ مع ذلك على دخول المطبخ فبقى واقفاً يباه متردداً في الأمر حتى جاءت الخادمة وفتحت الباب فأسرع يخلس النظر إليه فاستطاع أن يسمع صوت الساحر ولكنه لم ير الرجل نفسه ، ثم استبد به الشوق للملح والرغبة القوية ، فزم أخيراً على الدخول . ولم يكذب يرى الخادمة تبعد قليلاً حتى صاح : « أشكرك اللهم » ثم اقترب من الباب وأخذ يفتح شيئاً فشيئاً بيد المكسنة حتى انفتح على مصراعيه ولكنه لم يستطع أن ينظر إلى المطبخ دفعة واحدة ، فوقف قليلاً ثم طع الرأس حبس النفس حتى استجمع من شجاعته

أن تعمل كل شيء .. لقد أثبت كل تلك الأضرار ،
ولكن حذار أن تعود إليها ثانية . إن ضوء الشمعة
باهت كئيب ولا أحب إلا الكمك مع الشاي
— إنى لم أعمل شيئاً يا سيدى الصغير وسأترك
هذا المكان حالاً
— ولكنك غير خفيف كما كنت أظن . لقد
حسبتك هائل الجسم مارد القامة طابس الوجه .
قل لى : ألم تسجر نفسك ؟
— أنسخز منى لأنى لا أجد فتات الخبز . حرام
يا سيدى حرام
— ولكنى كنت أظنك أعظم من هذا وأنتك
مرح طروب فرأيتك ترتعد فرقا وأنت تتناول
طعامك . إنى لا أخافك بمد ذلك
ثم انسل الطفل إلى المر المام ووقف قليلا ،
وهو متأهب للجري إذا قام الساحر بعطاردته ، ولكن

لم يحدث شيء من هذا بل كان هناك رجل واقف
بجانب أحد الجدران يشفق شقيقاً غالياً ثم يحذف
عينيه بطرف كره . فصاح
ساحر ويكى !! إنه الجزء العادل !!
— لماذا لم تدع أبى يهود إلينا ؟ لماذا قطعتم هنا
الكهرواء ؟
— لماذا حرمتنا من الكمك الساخن ؟
— فلتتل الآن جزاء ما قدمت يدك
ثم صرخ صرخة عالية دوت في جميع أنحاء
الترز
مرحى . مرحى ..
ثم أسرع إلى مرييته في نشوة المنتصر الفائز
وهو يقول :
لست أخافه بمد اليوم !!
تظمى ضليل

شركة مصر للغزل والنسيج

تحفف عنكم وطأة حرارة الصيف المقبل
بما تنتجه لكم

من ملابس قطنية خفيفة وجميلة وبأسعار معتدلة
أطلبوا منسوجاتها من

شركة بيع المصنوعات المصرية
إنها إحدى مؤسسات بنك مصر

صَيْدُ السَّمَاءِ

للكاتبة الانجليزية سر سفيلا
بفلم الأديب حسن جشي

الجليد ؛ ومضى الرجال
بطرحون شباكهم على بعد
مائة قدم ؛ أما أنا فتقدمت
تدبرت بالحرام ، وجلست
على قطعة من الثلج ،
وأخذت في مطالعة كتاب
كنت قد أخذته مني

وأقبل الرجال ظهراً ، وقد أصابوا سيدياً كبيراً
وكان كل منهم قد اشتد به الجوع ، وإذا كنت المرأة
الوحيدة بينهم ، فقد قتت بإعداد الطعام وتهنئته ،
ثم جلسنا حول ناهمة ، متعازدين فيما بيننا أطراف
الحديث ، أما أنا فقد جلست أنصت إليهم ، إذ كانوا
يتكلمون عن تجاربهم في الصيد ونهارتهم فيه ، بما
لا يدع مجالاً لامرأة . ثم

عادوا إلى الصيد ؛ وإذا
بالشمس تختفي ؛ ثم
أربد الأفق ونجمت
السما ، وتراكت
السحب ، وهبت
ريح عاصف ، وأخذت
قطع الثلج يصطط
بعضها ببعض في
صوت قوي أزعجني .
ولما أفضحت لأخي

عن مخاوف نضك مني ، وسخر بي وطلب إلى أن
أخرج ما اصطاده من شبكته ، حتى أشغل عن هذا
الفرح . ولما أنعمت ما وكل إلى أداؤه ، اقترح أن
أقوم بنفس هذا العمل للآخرين ،
كان أربعة رجال منهم قد جلسوا على يسار أخي

في صباح باكر من أيام يناير ١٩٣٠ غادرنا
أنا وأخي وخمسة أصدقاء لنا مدينة سنجاو ، ووجهتنا
متشيجان لصيد السمك . وقد يلوح للمرء أن من
الغريب أن يذهب أحد في شهر يناير للصيد في جو
يكو متشيجان هذا ، ولكن ينبغي أن أذكر أن
كثيرين يكسبون قوت طهم خلال هذا الشهر .

كان الأفق منيراً ،
والسبيل واضحة ،
ومع أن الأرض كانت
مغطاة بالجليد ؛ إلا
أن الحرارة كانت فوق
الصفر بضع درجات ،
والجو دافئاً ، وتدفنا
باللابس النيلة ،
واستمتعنا معنا
صناديق الذخيرة ،
وقد وضعنا القهوة

الساخنة في « الترموس »

وإذ وصلنا خليج سجنائو وهو البقعة التي
اختلفناها للصيد وجدنا الجليد يتوغل قرابة ميل
في أنجاء البحيرة ، فتركنا عربتنا على الشاطئ ،
وحملنا منها بعض الذخيرة ، جاعلين وجهتنا حافة



الكاتبة

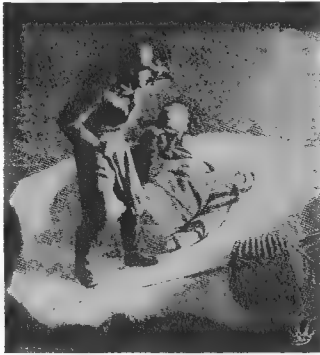
البحيرة، وكان الملع قد اشتد بي في هذه اللحظة، ولكن زميلي "أقبلا على" يشجعاني، فأخذنا بشيران إلى الشاطئ حيث كان رفيقان من رفاقنا يدفنان العرب، ولكن الجو أخذ يبرد عن ذي قبل، وعم الظلام حتى لم نستطع أن نتبين أحداً، وأقبل الليل ورأيت أن حجم كتلتنا الثلجية قد تضاعف إلى نصف حجمها الأول، وأبتلت ملابسنا بما كانت تسقينا به الريح من ماء، ولم ألبث أن شعرت بالبرد القارس فأجلستني توم وويلاند بينهما، ودراني بغطاين مما أحضرته؛ أما رفاقنا الآخرون فقد اختفوا تماماً، ولم يدع الرجلان وسيلة من وسائل التسلية إلا جاولاها مني، وأقبلا بطمئنان خاطري بأن لا بد من مجيء قارب نجاة بعد قليل. وأخذ الثلج يتحرك بشدة فزاد ذلك في رعبنا، واشتد البرد؛ ولم تلح أي بادرة من بوادر النجاة. ثم أشمل توم عود تقاب ونظر في ساعته، فإذا نحن في منتصف الليل، فكان لنا في هذا الموقف ثمان ساعات. وحاول (ويلاند) إلباسي معطفه الجلدي، فأبوت ذلك؛ ومن ثم سار وسط الحلوة محاولاً معرفة ما بلفته الكتلة من مساحة، ولم أستطع أن أرى أكثر من ستة أقدام أمامي؛ غير أنني لاحظت أنه سرعان ما رجع إلينا، فسألته عما صارت إليه الكتلة وما بقي من الثلج، ولكنه لم ينس بيت شقة، فتخاذل جسدي كأنما خدر، وشعرت كأنني في غيبوبة.

وعلى حين فجأة صرخ توم واختطفني ثم دفنني عن نفسه إلى الجانب العكسي؛ فدُرْتُ عدة مرات حول نفسي قبل أن أعلم أن الوقوف، ثم اثبتت زاحفة إليه ألهمت، وقد أبصرت منبطحا على الثلج، وأمامه الماء، ولم أعرف إذا كان ما كنت

(توم) متحدين؛ ولما أعمت على مضيت فاحية الصياد الأخير ويدعي ويلاند، وكان صديقا قديما لي جلست بجواره، وأخذنا نتحدث فيما بيننا، ثم أقبِل «توم» واشترك في الحديث؛ وأخذ الجليد يصطدم ببعضه ببعض؛ وبالرغم من ضحك رفاقي كنت خائفة، إذ لاحظت أن الريح أخذت تشتد عن ذي قبل، وتومى هدارة صاخبة؛ وفي الحال أخذت كتل من الثلج هائلة الحجم تندفع بشدة وتهوى إلى البحيرة، فأقترحت على توم أنه ربما كان الأجدر علينا أن نغادر هذه البقعة، ولأول مرة في حياته خضع لطلبي، وأخذنا نعمل جميعا معا في نقل ذخيرتنا.

وانحيت لالتقاط بضع سمكات حينما سمعت صوت اصطدام هائل، فالتصبت، فإذا بي أرى لشدة هلي واضطرابي شريطاً أسود من الماء قد فصلنا نحن الثلاثة عن الأربعة الآخرين، فصرخت بأعلى صوتي، واذ ذلك أبصرت قطعة الثلج التي نحن وقوف عليها، قد أخذت تتحرك فاحية البحيرة، فقفز توم وويلاند في مكانهما، واندفع الأربعة الآخرون يجرّون هنا وهناك وينصحبوننا بما لا ظائل تحته... كان طول كتلتنا الثلجية مائة قدم، وعرضها سبعين تقريبا؛ فجري توم إلى حافتها، وجاول إلى باقي بأحد أطراف شبكة صيده للآخرين ولكن لم تساعده قواه وعاكسته الريح، وازدادت مساحة الانفصال بيننا وبينهم؛ فرى بالشبكة ثانية ففشل أيضا، إذ وقع في الماء، وأحاطني (ويلاند) بذراعه، وقد اصفر وجهه وجذبني إلى وسط الكتلة الثلجية، فقد كان ذلك كما يظهر آمن مكان، إذ كانت الحواف تنهم قطعاً قطعاً؛ وأخذت الريح تشتد عفا، وتدفعنا سريعا إلى ناحية

قديما ، فافزعنى هذا ، والتفت الى (ويلاند) وقد غشى عليه ، وصرخ ابنى نجاة وقد قفز قفزة عالية فالتفت فاذا نور يمتد من مشعل سفينة وهو يتألا وسط هذا الديجور القاتم وأخذنا ننظر الى هذا الضوء في لحظة وشوق وهو أخذ في الاقتراب منا لحظة بعد أخرى ، وصرأماننا سبت مرات ، وبعد لحظات قلائل أنزل زورق النجاة وسار تجاهنا ، وقفز منه رجلان نحونا ، ودرأنا بالأغطية ، وحملانا الى الزورق ثم عادا بويلاند وتوم وساربا الزورق الى الباخرة ، فأبصرت جزيرتنا الصغيرة وقد خلع عليها الضوء لونا شفقيا هيبجا ، ولم أشعر بلذة ما في حياتي كلذتي وأنا أروشف القهوة الساخنة التي ناولنا إياها الضابط في حجرته بالسفينة ؛



وشربت ثلاثة أكوام منها ، فأحسست بالقوة تسرى في جسدى ، ثم شعرت برغبة شديدة في النوم ، ولما استيقظت بعد أربع عشرة ساعة أبصرت نفسى على سرير في إحدى المستشفيات . أما ويلاند فقد استعاد صحته برغم ما حاق به من أهوال بيد يومين . أما أبنى فقد كان أمرع منه ومنذ تلك المخاطرة ، قصرت صيدى للسماك على المياه الضحلة خلال شهري مايو و يونيو ما

مضى مبهى

يفعله توم ؛ ولما اقتربت من الحافة أكثر ولمسته قال : آهاتى بك يا بنى !

فدوت إليهم ذراعى ... وإذ ذاك عرفت ما كان يعمل

لقد كان يحاول إنقاذ ويلاند ؛ ذلك أن قطعاً من الثلج قد انفصلت وانزلت في الماء وعليها (ويلاند) ؛ فجذبني أبنى ، ولما عرف أنى أصبحت غام من الفرق مدّ يده لجذب زميلنا ، وحاولت أنا الأخرى إنقاذه ، ولكن لم أتبين يده أو جسمه لشدة الظلام التراكم بعضه فوق بعض ، واستطعت أخيراً أن أمس أصبعه ؛ ولقد كان صراعا عنيفا لا أستطيع وصفه . ونجحنا أخيراً في جذبه ، وأحسست كأن ذراعى سينفصلان عن

جسدى ، وأخذ الثلج يتراجع الى الوراء ، وردد ويلاند أمامنا كأنه الجثة الهامدة ؛ وظل ثلاثتنا بضع دقائق واجبين صامتين من شدة الفزع والرهب ؛ ثم احتملناه الى الكتلة الجليدية ودرأناه بالأغطية ، ولما لم نجد فيه هذا العلاج ، أخذ توم في تحريك ذراعيه بقوة ، يدفعهما الى الأمام والخلف ليسرى الدم في جروقه . وإذ ركمت بجانبه تبينت أن الماء قد أحاط بنا أحاطة السوار بالعصم ، ولم يبق من الكتلة الثلجية الطافية سوى مساحة لا تتجاوز عشرين

اليها فأشعر بحزن عميق ، لأنها لم تكن صديقة
عشيقتي لحسب ، بل كانت أيضاً مستودع أسرارها ،
وكثيراً ما كانت تخفي معنا ساعات السمر فأستغلها
وأتمنى أن تخلي لنا المكان . ولعل نفورى منها تولد
من صبرى على فضولها . وما كان تساهلها معى ومع
عشيقتي ، بل وما كان وقوفها صراداً موقف المدافع
عنى تجاهها ، ليمحو سيئة هذا الفضول ، فكنت أراها
قبيحة ثقيلة . ولكننى أنمنت النظر فيها هذه المرة
فلاحت لى وعليها مسحة من الجمال ، فكنت أهدق
فى يديها وأتوأبها فأشعر بأنها تحرك ساكناً من
فؤادى ، وكانت هى تمدق فى " فلا يخفى عليها أسرى
وما يفعل التذكار بمواطنى ؛ وقطعنا مسانة الطريق
وأنا أنظر اليها وهى تبتسم لى . ولما بلغنا المدينة
قالت : — وأخيراً . فقلت : — أخبريها إذا
شئت ، وانهمر الدمع من عيني

وبعد أن تناولنا الشاء جلسنا أمام الموقد ،
فقالت : أقضى الأمر واتقاع كل رجاء ؟ فقلت :
والأسفاه ! إن الأمر القضى إنما هو فجيعتى ، وستودى
هذه الفجيعه بى . ولا أطيل بوصف حالى : لقد
امتنع على أن أحبا وأن أحب سواها وأن أعيش
بلا حب

واستلقت على مقعدها متراخية وقد لاحت على
وجهها علامات الأشفاق ، واستغرقت لحظة كأنها
تنأى نفسها وتنتص من قلبها الى أصداء بعيدة ،
ثم مدت لى يدها فالتزبت منها فقالت : — وأنا
أيضاً قد أصابنى ما أصابك ، وتهدج صوتها فقطعت
حديثها

إن للحبة أخوات عديدات أجملهن الشقة .
صاغت هذه المرأة وتذائنا حتى كاد أحدهنا

من أعماق النفوس



اعترافى فى العصور

لألفريد روى موسيه

بقلم الأستاذ فليكس فنارس

الفصل السادس

وفى اليوم التالى ذهبت قبل العشاء الى غابة
بولونيا وكانت السماء متلبدة بالغيوم : ولما وصات
الى باب مالو أقيمت عنان فرسى على عنقه ، وذهبت
تأبها بين الأشجار مستغرقة أستعيد أنوال ديجنه فى
ذهنى ، وما توغلت فى أحد اللمطفات حتى لاحت
لى عربته تستقلها إحدى صديقات خليلتى ، فددت
إلى يدها لتصافى ثم دعتنى الى تناول العشاء معها
إذا لم يكن من مانع لى

وكانت هذه المرأة — وتدعى مدام ليفاسور —
قصيرة بدنية شقراء ، وكنت أنفر منها دون ماسبب ،
ولكننى لم أملك نفسى من قبول دعوتها ، لأننى
كنت أتوقع حديثاً معها عن عشيقتى ، وأحمرت
رفيق السائق بقيادة فرسى فذهب به ، وجلست
أنا قربها وعدنا الى باريس

وبدا المطر يتساقط ، فأززلنا النطاء وأصبحنا
فى عزلة ، وقد ساد علينا السكوت ، وكنت أنظر

وكان يسود سكوت عميق حول البيت التي تقطنه هذه السيدة ، إذ كان يسكن أحد أقسامه مريض ، ففرش التبن على الطريق المجاورة منها لفرقة العربات ، وكنت أنا مطوقاً هذه المرأة بذراعي وقد أذهلتني عاطفة اقتسام الأشجان ، وطالت محادثتنا فكنا نتشاكى فأشعر أن بيت آل أبي وآلامها شيئاً من اللذة ، وأسمع صوتاً مواسياً كأنه نشيد ساوى يتمالي من اثنين متوجعين . وكان دمعاً ما يمازجان وأنا مكب عليها فاكنت أرى غير وجهها ، ولكنني عند ما تراجعت عنها رأيت أنها كانت في هذه الأثناء رفعت إحدى رجلها وأسندتها على رف الموقد فانسحب رداؤها حتى بدت ساقها عارية

ولما رأيت اضطرابي لهذا المشهد لم تغير وضعها فأدبرت ظهري ليتسنى لها ستر ما انكشف منها فتجاهلت الأمر . فوقفت الى الموقد أنقرس فيها واجأ ؟ وإذ انضج لي أنها مدركة ما تفعل أدركت بدوري أن هذه المرأة قد شامت أن تلمس دورها لأغوائي ، فإنا كانت دموعها وما نقلته عن آلامها إلا اختلاقات تستكمل بها فنها

أخذت قبعتي وتوجهت الى الباب ، فأرخت رداءها على مهل ، فلم أنبس بكلمة بل أومأت مسلماً وخرجت

الفصل السابع

وعند ما رجعت إلى مسكني وجدت وسط غرفتي صندوقاً كبيراً . وكانت إحدى عمامتي انتقلت إلى رجلي ولم تكن حصتي من ميراثها

يلتصق بالآخر ، فبدأت تستكمل مثنية على عشيقتي تنتحل لها الأعذار وتوجه إلى كرات الاشفاق ، وازداد حزني فلم أجد ما أجيبها به ، وذهب بها الحديث الى التكلم عن نفسها ، فأسرّت إلى أن رجلاً أحبها ثم تركها منذ أمد غير بعيد بمدة أن ضحت في سبيله سبتها والكثير من ثروتها . وأن زوجها وهو رجل حقود كان يتهدها . وكانت تذرف الدموع وهي تسرد حكايتها حتى نسيت همي بهمها ؛ ثم استطردت فقالت إنها تزوجت مرغمة فقام النضال طويلاً بين عقلها وعواطفها ، وهي الآن لاتأسف على شيء أسفها لبقائها محرومة من الحب . ولاح لي أنها كانت تلوم نفسها لأنها لم تعمل على الاحتفاظ بقلب عشيقها ، إذ عاملته بشيء من الاستخفاف

وعادت فاستعملت للصمت بعد أن فرغت عن قلبها فقلت لها :

— ما هي بالصدف العمياء تلك القوة التي قادني الى غابة بولونيا هذا الصباح . إن الآلام البشرية أخوات فائحات ؛ ولعل هنالك ملاكاً كريماً يضم هذه الراحة المرتجفة البسطة نحو الله تتوسل الى رحمته . لا تندى على ما بحث لي من سرك ، فإنا للانسان أن يندم على دمة ذرفها أمام أي مخلوق كان . وما سرك الذي أودعته إلا دمة سقطت من عينيك فاستقرت في فؤادي ، فاسمحي لي أن أرجع إليك أحياناً لنشاكى وتنالم معاً

وشعرت بمظف شديد يجذبني الى هذه المرأة وأنا أتكلم حتى رأيتني مكباً على وجهها أقبّلها ، وما خطر لي أنها تستاء مني ؛ أما هي فبقيت بلا حراك كأنها لم تنتبه الى ما أفعل

فأنتم إلا بلهاء ... وفي الحالين أنتم كاذبون لأنكم أوجدتم من قاب الانسان أساطير ضلال وأوهام .
مهلاكاً ! إنني سأدفع بكل ما كتبتم إلى السنة اللبيب
وما كنت أجد من منجدي في ثوري غير
دموعي فأتيقن وأنا أسكبها أن الحقيقة التي لا حقيقة
سواها انما هي الأوجاع والآلام . فأهتف قائلاً :
أجيبني أيها البقريات المنقسمة على الخير والشر
لأعرف إلى أية ناحية أتجه . أقيم بينك حكماً يفصل
في خلافك فأهتدي من حكمه إلى المنهج السوي
وتناولت تورا قديمة كانت على الخوان ففتحتها
قائلاً : أجيبني أنت أيها الكتاب المقدس
وامدني بأحكامك ، فوقع نظري على الاصحاح
التاسع من سفر الجامعة فإذا فيه :

« لأن هذا كله جعلته في قلبي وامتحنته هذا
كله . إن الصديقين والحكماء وأعمالهم في يد الله .
الانسان لا يعلم حياً ولا بفضاً . الكل أمامهم .
الكل على ما للكل ، حادثة واحدة للصديق والشرير ،
للصالح وللطاهر والنجس ، للذابح وللذي لا ذبح ،
كالصالح الخاطيء ؟ الخالف كالذي يخاف الخلف ،
هذا أشرُّ كل ما عمل تحت الشمس . إن حادثة
واحدة للجميع وأيضاً قلب بني البشر ملآن من
الشر ، والخسافة في قلوبهم وهم أحياء وبعد ذلك
يذهبون إلى الأموات »

ما يقول الفلكيون عندما يتنبأون من مرور
مذنب في ساعة معينة ، وهو الكوكب التائه في
الأفلاك ؟ ما يقول علماء الطبيعة عندما يرون
حيوانات ساجدة في فطرة ماء ؟ أيتقدون بأنهم هم
مخترعو ما يتجلى لهم وأن مرصدهم ومجهودهم يضمنان
لكون نواويسه ؟

ذات شأن ؟ فوجدت في الصندوق أدوات وأشياء
مختلفة بينها عدد من الكتب القديمة علاها النبار .
وكنيت إذ ذاك أتملل بخبراً ، فرأيت أن أتصفح
بعض هذه الكتب ، وأكثرها روايات نشرت
في عهد لويس الخامس عشر . ولعل سمعي وهي من
الصحاحات المأذونات كانت ورثتها من أقارب لها
فاحتفظت بها دون أن تطلعهما ، لأن هذه الكتب
كانت عبارة عن مجموعة دروس في الفوابة والفحشاء
أهمهد بنفسي ميلاً لا قبل لي برده إلى تحليل
جميع ما يقع لي من حوادث سواء أكانت هامة أم
تافهة فأطمح دائماً إلى وجود ارتباط بينها فأجىء
بتسلسل لها وأنظمتها في سلك واحد كعقد لا بد من
ضم شتات حباة . ولعلني ذهات مع الوهم إذ أعتقد
بوجود علاقة بين حالتي ووصول هذه الكتب ،
فاندفعت إلى مطالعتها مبتسماً وفؤادي ينفطر حزناً .
وكتب أناجي هذه الصفحات قائلاً : إنك دون
سواك تملنين حقيقة الحياة وتجسرين على القول
بأن لا حقيقة إلا بالتمتع باللذات والمرارعة والفساد .
كوني لي نعم الصديق وانثني على جراح نفسي
سمومك السكاوية فأنتلم منك أن أؤمن بها تملنين .
وهكذا بدأت بافتحام السالك المظلمة مهملأ
مطالمة دواوين أحب الشعراء إلى ، فلا النبار كل
كتاب كنت أجالسه من قبل كأستاذ اتلقن
الحقيقة عنه . وكثيراً ما أخذتني سورة الغضب
فدست على هذه الكتب بقدي كأني أنقم من
مؤلفيها فأقول لهم :

— أيها التائهون في الأحلام ، إنكم لا تملنون
الناس غير الألم . إذا كنتم عرفتكم الحقيقة فما أنتم
إلا منعمو عبارات مخادعون . وإذا كنتم جهلتموها

يصراخ يشبه الأبن قاتمته بيضى وهو عرق كالسهم
إلى الأفق البعيد ، ثم مرّت فتاة صغيرة في الشارع
وحى تنفى

الفصل الثامن

ومع هذا فقد أثبت نفسى أن تستسلم للحياة
اللو والاستمرار إذ كنت أتمثلها حالكة مفجعة ،
فقررت أن أحاول اجتيازها ، وهكذا افتحمت
كثيراً من الآلام ، وساورتنى مرهقات الآلام .
ولو لم يكن غير حرارة الشباب ما يحول دون
شفائى لكفنتى أوجاعاً وجهاً . فقد كنت أرى
توجهت وبلا عمل شملت نفسى لا أفكر إلا فى
النساء . وإذا نظرت إلى إحداهن شمعت بهزة
أنفص لها انتفاضاً . ولكم أفتت من نوى وجسدى
يتصبب عرقاً ، فأترابى على جدران غرفتى بشهيق
تختنق يطلب الهواء !

لقد كان من خير ما أسعدت به قلباً يعمد
الشباب بمثله ، أنى أسلمت عفتى لاحب ؛ غير أن
هذا الحظ قضى على بأن أشرك بطوال حياتى كل
شهوأتى بماطقة الغرام . وذلك ما كان يدفعنى إلى
الهلاك ، فكنت وقد تسلط على التفكير المستقر
بالرأى لأملك خيالى من الجوح ليلاً ونهاراً فى
مازق الحب الضال وفي مهاوى خيانة النساء

امتنع على أن أنصوّر إمكان الوصال بلا حب ،
فكنت لا أقطع عن التفكير فى المرأة قاطع الرجاء
من وجود الحب الصحيح ، فذهبت الآلام فى
نفسى مذهباً أو رثنى شيئاً من الخيل ، فكنت
أشتهى قارة أن أعذب جسدى أسوة بالهوان
لأمتيت شهواتى ، وتارة أريد أن أندفع إلى الشارع

ما قال فى نفيه يأتى من وضع أول شرعة
للناس عند ما فتش عن حجر يضعه أساساً لبناء
الجموع فهتف به هاتف من أعماق أحشائه يقول له :
إن الحق للقوة . أمن أوجد العدل هو هذا المشرع
يا ترى ؟ وهل اخترع المار أول رجل اقتطف الثمر
من أرض جاره وأخفاه تحت ردائه متلفطاً عينا
وشبلاً ؟ وقد دب الرعب فى قلبه ؟ وما قولك فى
صاحب الحقل الذى سُرقت أعماره فخرم نتاج
جهوده ؟ يلتقى السارق فلا يرفع عليه يداً بل يشمله
بعفوه ويقول له : إليك بما تريد من أعمار حقلى ،
فبئس الشر بالخير ثم يرفع رأسه الى السماء شاعراً
بارتجاف فى قلبه وبدموع فى عينيه وبخشوع بطوى
ركبته . أترى هذا الرجل أول من اخترع فضيلة
المعروف ؟

يا لله ! لقد سمعت أذناى امرأة تكلمنى بالحب
ثم تخوننى ، وسمعت أيضاً رجلاً يكلمنى عن الصداقة
وهو يشير إلى بالأنفاس فى حمأة الدنس ، ورأت
عينائى امرأة تستخرط فى البكاء ثم تطمع فى
مؤاساتى بمضلات ساقها ، وهذه التوراة التى تحمل
اسم الله تردّ على سؤالى قائلة : — (من يدري ؟
وأية أهمية لكل هذه الأمور ؟)

وسارت الى غرفتى المفتوحة أنظر الى الفضاء
الفسيح الباهت فى وجوهه صارخاً : — أصبح
أن المدم ورايك ؟ أجب أبها الفضاء ، أفليس فيك
شئ سوى الأوهام تدفع بها الى صدرى وقد مددت
إليك ذراعى ؟

وكان الصمت العميق يسود جميع ما تطلّ
نافذنى عليه
ومرّ طيرٌ بجناحيه السوداءً ذاهباً فى الهواء

فراشى وروائح البارود والاصطبل تنبعث من
أثوابى ، فاستر وجهى بلحاح هاتفاً : إليك هنى ،
أيها الشيخ ... أفا أسترخ منك ليلة على الأثل ؟
وما كنت جميع هذه المحاولات لتجذبني نفماً
لأن المزة أسلمتني إلى الطبيعة فقذفتني الطبيعة
إلى الحب

وعند ما كنت أرتاد قاعات التشريح ، كنت
أرى نفسى عطاءً بالبحث فأمسح يدي بمخرى
الدهاى فيملو وجهى الاصفرار ، وأشمر بأنى أختنق
من الروائح الكريهة المنبثقة من الأشلاء الفاسدة ،
فكنت أعرض عن النظر إليها لأتمثل أمامى الحقول
الخضراء توج سنابلها ، والروج يروح عبرها
فى سكون النسق ؛ فأقول فى نفسى : لن أجد فى
العلم سلوى ، فانى باستغراق فى هذه الطبيعة التى
لا حياة فيها سأموت كمن أقتذ من لجة البحر فأن
بجلد حيوان سلخ حديثاً لاستمادة الحرارة
المفقودة . لقد قضى على بالاً أشقى ، خسي أن
أموت هنالك فى الحقول تحت أشعة الكوكب النير
وكنى أنطلق على صهوة جوادى قاصداً
متزهات تنثر وشاغيل ، فأترجل هنالك لأنطرح
على صراج نصير ، أو لأتوه فى واد مقفر ، فما كنت
أسمع من الأوداج والروج إلا صوتاً واحداً
يقول لى : فاذا أتيت تطلب هنا ... إلخ

الحلل الخضراء ، وما الخضرة إلا رمز الآمال
فكنت هنئذ أفزع إلى المدينة لأتوه فى أزقتها
المظلمة فأطلع إلى بصيص الأنوار من نوافذ المساكن
المقفلة على أمرار الأسر وخفاياها ، ثم أسرح الطرف
على العريبات تلوح وتختفى ، وعلى المارة تزدحم وتبتدد ،
فأراني بين كل هذا وحيداً شريداً . أشهد الدخان

أو الحقول أو أى مكان آخر لأنطرح على قذى
أول امرأة أسادفها مقبلاً لها أننى أحبها حباً أبدياً
والله يعلم كم حاولت أن أسلو لأزال الشفاء ،
فكان أول ما لجأت إليه انمزالى عن العالم جرباً
مع نفورى من مجتمع رأيت جميع الناس فيه
يشبهون عشيقتي رزيلة وخنسلاً . فرجعت إلى
ما كنت أعملت من دروسى فتوغلت فى مجاهل
التاريخ واستغرقت مع الضمراء الأقدمين كما عدت
أيضاً إلى درس التشريح

وكان يقطن الدور الرابع من مسكنى شيخ
ألانى واسع الاطلاع ؛ فألجأته بالرغم من محبته
للوحدة إلى تدريس اللغة الألمانية ، فبدأ عمله
بكل جد وإخلاص ، ولكنه مالبت أن اصطدم
بفكرى المشتت ، فكان وأنا أجلس إليه تحت
نور مصباحه الضئيل ، يضع كفيه على كتابه
ويشخص فى متجلداً مندهشاً ، وأنا سابع فى
أحلامى لا أشمر لا بصبره ولا باشفاقه على حالى .
وأخيراً قلت له : أنت أطيب الناس قلباً ، ولكننى
أرى المبت فيها تحاول . دعنى لما قدرلى ، فما أستطيع
أنا ولا تستطيع أنت تبديل هذا المقدور

وما أدرى أدركك الرجل ما أفنى أم فاته ما ألح
عنه ؛ غير أنه سألنى بحمارة ، ولم يعد يذكر لى
اللغة الألمانية ودرسها

وبدأت أشمر أن المزة لن تسوقنى إلى الشفاء
بل إلى الهلاك ؛ فتحولت عنها إلى طريق أخرى
وهجرت المدينة إلى الحقول شاغلاً نفسى بالصيد
متوغلاً فى الثابت أطمعها خبياً على ظهر جوادى ،
ووارست البارزة بالسيف مجهداً نفسى حتى المياه ،
فما كنت أعود المساء إلى مسكنى إلا لأنطرح على

ترفع عقيرتك شاكيا لفرغ الحق من شرابه ، وإذا
فرغ الحق في الأنبية من الشراب دنان ، وإذا
فرغت الدنان فالروابي مكسوة بالكروم تقتصر
لتملأها . اتخذ لك من الكلام المسول صنارة وتقدم
إلى نهر السلوان متصيداً فيه امرأة جميلة تلهو بها
حتى إذا أفانت من يدك لا يفوتك إسلياد سواها .
تمتع بالحب الذي تنوق إليه بكل جوارحك ، ولا
تضيع أيام شبابك ، ولو كنت أما مكانك لكننت
اختطفت ملكة بدلاً من التناهي بدرس التشريح .
هذه النصائح التي كنت أسمعها في كل حين ، وعند
ما كان يحين زمن الرقاد كنت ألتفح بردائي وقلبي
يكاد يتفجر ألماً ؛ فأهرع إلى سريري لأجنو أمامه
باكياً مصلياً ضارباً على هذا القلب كما كان غاليه
يضرب الأرض قائلاً : ومع هذا فلها تتحرك ...
(يتبع)

فليكس فارس

يتصاعد حزينا من السطوح وأشعر بالآلام تجول
في هذه الأزقة الملتوية حيث يترأص الناس وقد
كلهم عرق الجهود ويلاص الألف دون أن يعرف
أحدهم الآخر . فالسبيل العام إلا مزاج تتعارف
فيه الأجسام وتتناكر عليه الأرواح ، هنالك لا تمد
للغريب يد إلا يد بنات اللواخير

إن ما تهف به المدن إنما هو قولها : — هيا
إلى الفساد . . هيا إلى الفواحش ، فما يسكن
الآلام سواها

ذلك ما تقوله المدن وما يقرأه المارة مكتوباً
بالفحم على جدرانها ، وبالأحوال على أرسفتها ، وبإلهم
النتجيد في عروق الأوجه الشاحبة

وكننت أجلس أحياناً على مقعد منفرد في
قاعات المراقص فأنظر إلى النساء يتأيلن بأثوابهن
الحمر والورقاء والبيضاء وقد عرين المعاصم وضغرن
الشعور كأنهن الحور يسكرهن النور في أجواء
التناسق والجمال ، فكنت أقول في نفسي : —

ما أروع هذه الأزهار تقتطف وتستنشق ! وما
ستكون كلة هذه الأقحوانات الأخيرة إذا ما نثرت
وريقاتها واحدة واحدة لتستنطقها سرها . أنها
لتقول لك — قليلاً ثم قليلاً ، ثم لا أحبك حتى
ولو قليلاً

تلك هي حقيقة العالم ، تلك هي نهاية
إبتساماتك ، أيها الأزهار

على هذا الشفير المروع تتأيلن بأوشحتكن
الزينة بالأزهار ، أيها الراقصات وعلى هذه الحقيقة
الشنماء تتأيلن كالمها على رؤوس أرجلكن الصغيرات
وكان دبحته لا يفتأ يقول لي : — والله ما رأيت
سواك من ينظر بمجد إلى كل هذه الأمور . إنك

رفائيل

لشاعر الحب والجمال لأمرتين

مترجمة بقلم

أحمد حسن الزيات

تطلب من لجنة التأليف والترجمة والنشر

ومن إدارة « الرسالة »

العدد ١٢ قرشاً

لولا أن نثرت العروس فوقنا طليقاً مبقاً، لأخياشيمنا
وأثقتنا من صلول (١) تلك الجلود .



الأولاد ليسوا

لهروس

بقلم الأستاذ دريني خشبة

(تابع)

وتلبثنا نرقب البحر حتى برزت عجول البحر
فنامت في الجون، ثم كانت الظهيرة فبرز بروتوس
وطفق يمد قطعانه، ميتدغا، لفقلته، بنا، وكأن
أثارة من الشك لم تخامره في حالنا، فانطرح ونام .
وانتهزنا الفرصة، فانطلقنا نمدو إليه، وقبضنا عليه،
وشددنا وثاقه بحيث لا يستطيع إلثاقنا... يا عجبا !
لقد انتفض انتفاضة هائلة، فإذا هو أسد غضنفر
ذو لبدة، ثم انتفض فإذا هو أفموان أرقم يتحوى
ويتحوى، ثم انتفض فصار غمراً ثامناً ذا أنياب، ثم
صار خنزيراً برياً، فسيلاً رايكاً ذا عباب، فايكة
باسقة ذات غصون وأفنان ! والسا لم يجد بداً من
أن يبدو لنا على حقيقته، انتفض فكان على صورته
الأولى، ثم قال : « عمرك الله يا ابن أتريوس أى
إله جبار حبسك في مياها وسلكك على، تمسك
بى وتشد وثاقى ؟ ماذا تريد ؟ » قتلت له : « حبسك
يارب هذا البحر، إنك كنت بى علماً ! لقد طال
مقامنا بهذه الجزيرة، ولست أدري أى إله عادل
حبسنا فيها، ولأى شيء ؟ » . وقال بروتوس :
« ويك يا متلايس ! لم لم تصل لسيد الأوبل ثم
تُضج للآلهة يوم غادرت (طروادة) ؟ لقد غضب
الجميع عليك فكذبوا أن تغفل في تيه هذا
البحر حتى تكون تلقاء مصر، فتقيم ثمة حتى
يثوب اليك رشك وتصل للآلهة خاشعاً خائباً
متصدعاً، ثم تذبج القرايين وتجزر الأنخيتات فتعود
الى أوطانك ! » وعمرانى بما ذكر ما عمرانى،
فقلت له : « الحمد لك أيها الإله القدوس ...

(١) أروح اللحم صار نثناً وصلوله رائحته النتنة .

ثم غابت عروس البحر في طيات التسج،
وتركتنى في حيرة مما ذكرت، ثم إنى عدت إلى
قرقى في السفينة، وعاد كل إلى قمرته، وبمد أن
تمشيئنا، وكان الليل قد أضحى سدوله، نمنا نوماً
لا أماناً ولا قيراً... وبزقت أورورا تموه المشرق
بأصباغ الورد، فنهضت أسلى للآلهة فوق السيف
المتد، وأبتهل إلى السماء أن توقفنا لافيه خيرنا
ثم اثنتيت فتخيرت من رجال ثلاثة هم أصحابهم
لهذا الأمر، وهم موضع ثقى ومقدد رجائى .
وبرزت من الماء عروس الماء، وأحضرت
لنا أربسة جلود من جلود عجول البحر لنابسها،
ونستخفى بها، وانتم الخدعة على أيها . وأعدت
لنا مهاداً في رمل الشاطئ . ثم دلفنا لنحوها، ونام
سكل في مهده، وألقت فوقنا ما مدها من الجلود
المتنة التى أروجت حتى كدنا نختنق برائحها،

رجلاني ، وانطرحت ألقب في الرمال من الغم ،
وأذرف الدمع من الحرقعة على أخی . ولكنه خاطبني
قائلاً : « إنهم يا ابن أتريوس . إنك تبكي ولات
حين بكاء .. هلم فعد إلى وطنك لترى بعينيك قبره
ولتشهد ابنه العظيم أورشنت ينتقم له » . ويستأصل
شأفة قائله .

وكأنما سرى عني بما قال بعد ، فنهضت وساءلته
بمدا أن شكرته على ما أناني : « .. إذن من هذا
البطل الثالث الذي ما يفتأ يذرع البحر ضالاً في
رجابه ؟ »

فقال : « ذاك ابن ليرليس ، وسيد إيثاكا
(أوديسيوس) ! لقد شهدته بعيني حينما في جزيرة
عروس الماء كاليبسو ... لقد حل عليها ضيفاً
برغمه ، فلقد تحطمت سفائنه ، وهويته عروس
الماء ، وهو ما يزال عنده لا يجد مراكباً يحمله إلى
وطنه ... أما أنت ... أيها الملك مثاليوس ،
فطوى لك ! إنك ستحيي سيداً ، ثم تنتقل إلى دار
الخلد ونعيم لا يفنى ... ودار الفردوس أولاً ...
حيث لا برد ولا زهرير ، ولا يوم عبوس قطير ،
بل : دسقى ، ومن معك من الأناسي من ماء معين ،
لأنو فيه ولا تائبم ... مقام كريم وجنة نعيم ،
وعادتك الحسان هيلين ، يا ذرية زيوس العظيم ! »
ثم غاص في الم ، وعدت ورجلاني إلى الفلك ،
وفي القلب لومة ، وبالنفس أسمى . وتبلغ كل بقعات
ثم أسلمنا عيوننا للسكرى ، وكأنما نام أسطولنا في
ظلام الشاطئ .

وانبلجت أورويا فغضرت بالوزد جببت
الشرق ، وهبت أنفاس الصباح النداء فأهرعتنا

سأفعل ، سأفعل كل ما تأمرني به ، ولكن قل لي
بحق ربوبيتك ، هل وصل كل رجالنا إلى أوطانهم
سالمين كما تركتهم أنا وصاحبي نسطور عند طروادة
أم أن منهم من غرق أو قتل أو مات حتف أنفه ؟
وكأنما ضاق بي ، ولكنه قال : « بك يا ابن
أتريوس ما هذه الأسئلة ! أتبتني أن تقف على كل
أسراري ؟ إذن فأعلم أن أكثر رجالك قد عادوا
سالمين إلى أوطانهم ، وأن قليلاً منهم من مات ومن
هؤلاء قائدان فقط قد قضيا ، وما يزال واحد يذرع
رحب هذا البحر ، ضالاً على غير هدى ... لقد
هلك أجاكس بما تحدى الآلهة ، وبما ادعى أنه
ناج برغم السماء من البحر اللحي الذي كان يناوح
سفينته ، فبرز نيتيون غاضباً وخطر السفينة نصفين
بضربة قاضية ، من رمحه السمهرى ذى الثلاث
شعب ، ثم رطم حطامها بسد ذلك فوق صخرة
جبريه ... مسكين أجاكس لقد غص بالأحاج ،
وشرق بقطرات فأت ... أما أخوك^(١) فقد نجى !
لقد دفعته موجة هائلة فوق شاطئ (ماليا) ...
أرض ديسيس وإيجستوس .. ومن ثمة ركب
البحر إلى وطنه آمناً . ألا كم كان أخوك رائماً حين
وطئ أرض الوطن فراح يقبل رمالها ويناجي
كثبانها ! ألا ليت ما نجى ! لقد لحه أحد الأوغاد من
جواسيس إيجستوس فانطلق يخبر سيده الذي أعد
كيتاً من عشرين رجلاً من أفسق رجاله حيث اغتالوه
كما يذبح المعجل ؟ الأوشاب الفجرة ! لقد باءوا بما
صنعوا ، وأبيدوا على بكرة أبيهم .. »

وما يكاد يصمقني هذا الخبر حتى خذلتني

(١) أجايمون الذي نجى من الفرق ثم ما كاد يبلغ
قصره حتى قتلته زوجته وعشيها إيجستوس

تفضن جبينه ، وانتشرت على أساريره سحابة
كثيفة فقال :

« رأيت إذا أعطيت سفيني للفتى تلباك فاني
أريد أن أبحر إلى إيليس لأرى أفراساً لي اثنتي
عشرة ما تزال ترضع أنسلها^(١) متى يرجع من
يلوس يا أنتينوس ؟ »

وَرُوعَ الرجلان لهذا الخبر ، فلم يكن أحد يعلم
أن تلباك قد غادر إيثاكا ، بل كانوا يظنونه يبحر إلى
وأحزانه في أحد الأدغال النامية في ضرائه . قال
أنتينوس :

« أحقاً أنه أبحر يا نومون ؟ وهل صحبه أحد
من ذويه ؟ وعلى سفينتك ؟ سفينتك أنت ؟ وعلى
أبحر عليها بدون إذن منك ، أم أنت الذي أذنت
له بها أول ما طلبها منك ؟ »

وأجابه نومون : « بل أبحر عليها باذني . وماذا
عساك كنت صانماً لو سألك أمير في مثل بأسائه
أن يبحر على سفينتك ؟ أكنت ترفض وتتأني ؟
لقد أبحرت معه ثلة من أشجع البحارين ، كاهم
فينان المود ، غرييض الشباب ، وقد رأيت معه
أمير البحر منتور . ألا لكم كان يبدو منتور بهيا
وقورا رائماً ، تالله لقد خلته — بل أكبر ظني أنه
— أحد الآلهة ، وكيف لا يكون إلهاً وقد رأيت
بميتي هاتين صباح أمس وهو قد أبحر إلى ييلوس
قبيل ذلك ، فاني عاد ؟ »

وفرغ نومون ، وعاد أدراجه إلى دار أبيه ،
واستولى الفحول على الرجلين ، وكان الشاق قد
فرغوا مما أخذوا فيه من هو ولعب ، وجلسوا
يستريحون من التعب ، فيم شطرم أنتينوس ،

(١) الفلوك والفرس لم يبلغا مانا

جميعاً ، وجزرنا الأضاحي باسم الآلهة وحلبنا لها
خابئين ، وأنت لأخي رمساً فوق ترى مصر الخالدة ،
ثم هبت الريح رخاءً ففشرنا الشراع وأصلحنا
القلوع ، وأعلمنا من فورنا إلى أرض الوطن ،
فلبنا هيلاس سالين

وبعد ! فلتقم معنا ههنا أياماً ترح وتفرح ،
ونسعد نحن بك يا ابن أعر الأصدقاء ، ثم لتمد لك
الهدايا والقي التي تليق بك ، ولتمد إلى وطنك على
عربة فاخرة تجرها ثلاثة من الصافقات الجياد ؛
ولنزودك بكأس ذهبية تصب منها قرايين الخمر
للآلهة فتذكرنا أبداً »

وشكر تلباك واعتذر ، وأبدى من الحنين إلى
وطنه ، وماعليه من واجبات ، وما يبتني من عودة
إلى ملك ييلوس ، ما برح عنده أن يستأذن في
الأوبة ... فأعذره ملك أسبرطة ، وأهدى إليه
كأس فيدعوس الفضية ، ذات الشفة الذهبية ،
الكأس الخالدة التي صنمها الآلهة فلكان بيديه
لينفع بها ملك سيدونيا

وهيا النذل مقصفاً فاخراجه جزور وخمر ،
وأقبلت أزواجهن يحملن الخبز ، فأكل الملك ومن
معه ورووا

هذا ما كان من أمر تلباك ومنايوس
أما ما كان من أمر الشاق آئند ، فقد كانوا
يلعبون ويمرحون في بيت ملك إيثاكا ، يلعبون
الأسنة ، ويقذفون القرص ، ويتصارعون
ويمرحون . كانوا جميعاً يأخذون في هذا اللو لزوجية
الوقت ، إلا أنتينوس ويوريماك ، فقد جلسا بمزل
يتحدثان . إذ أقبل الفتى نومون بن فرينوس وقد

أدّيت ثمنًا لذلك روعي ولكن... هيا... لننض
دليون - خادمتي الوفية ذات التجارب - إلى
ليرتيس - فلتحدثه عما تأخر الذئاب. وحي
لم يبق إلا أن يقتلوا ولدي وسليل أوديسيوس T
ونَهضت يوريكليا مرصع ثيابك، تنثر دموعها
وتقول:

«وا أسفاه على أيها الملكة! سأعرف بما
كان ولك أن تقتُلي... أو تبقى على! لقد زودت
الأمير بكل ما أمر من زاد ونحر، وأخذ على موثقا
ألا أبوح بسرّه حتى تغضى اثنا عشر يوما بتمامها...
حتى أنت يا مولائي! لقد أمرني ألا أعلمك بشيء
أهدني يا مولائي ولا تضاعني أحزان القصر بحزن
جديد، وأمضي إلى خدمتك فاسترحي ثمة، ولنصل
جميعاً لربة المدالة مينرفا - باللا الطيبة - أن
تصون مولاي الأمير وترعاه، وتكلاه من كل خطر
وليمد إلى عرش آباه ليحكم ويمد يد يد شؤون
البلاد.

ورقا الدمع في عيون الحاشية، ونَهضت بلوب
فصعدت إلى الطابق العلوي، وأمرت بسلة من
الكعك فنفجت بها المذاوي قربانًا لمينرفا وتقديما،
ثم أرسلت هذه الصلاة:

«إسمي يا ابنة سيد الأولم! يا مينرفا العاذلة!
باسم ما ذبح لك أوديسيوس في هذا القصر وما ضحى
نضرع اليك وتتوسل بك ونصلي لك، أن تصوني
ابنه الأمير وأن ترسل عيوسه من شواطئ غضبك
على أعدائه... أولئك الأضياف الظالمين... آمين»
وانهمرت الدموع من عيني الملكة فاستجابت
مينرفا صلاتها. ثم علا غييج القوم وارتفع صخبهم،
وكان فيهم شاب تزق الثالث في أذنيه صلاة بلوب
فحسبها أشرفت تناغي وتنازل، فراح يفرض بها

وهو يتميز من النفيظ، وينقذ الشرر من مقلته،
فقال:

«يا أرباب السماء! أفيقوا أيها الزفاق! عمل
باهر! باهر جدا! لقد أبحر الفتى ثلياك في عسبة
من شباب الملاحين ليؤلب عليكم المالين، ويرسل
علينا حسابا! الريل له! أعددوا لي مركبا
وعشرين فارسا من أبسل صناديدكم لأتجاه بين
أواذي ساموس ونشوء إيتساكا التامس الذي
ذهب يستروح أخبار أبيه ليسمى إلى حشفه بظلفه»
وتحمّس للسأ وعلا هتافهم، وهربوا إلى
الرحبة الداخلية في بيت أوديسيوس يتألمون،
وكان على مقربة منهم الأمين ميدون، الذي انطلق
بدووه ينقل ما عقدوا خناصرهم عليه من إفك إلى
الملكة الباكية الفتوذة... بلوب - وما كاد
يقص عليها ما اعترموه من قتل ثلياك حتى تضمضت
وتخاذلت ومادت من تحتها الأرض، وتحمّست
أنفاسها هنيهة، ثم سألت ميدون فيم أبحر ولدها.
«ألكي بنقرض اسمه من صفحة الوجود؟» وأجابها
الرجل: إنه ذهب يتسمع الأنباء عن أبيه. ثم
ذهب لطيفته، وجلست الملكة الرزاة لدى
الوصيد تبكي وتتعب، ومن حولها الفيد الرايب
والمحوز الشمطاء من خادمات القصر، يُملون
ويكفكفن...

قالت الملكة: «ويح لي أيها المذاوي! أبدا
ما أحسب واحدة من النساء قد لقيت بهض الذي
لقيت مما كتبته على البهاء! لقد فقدت زوجي،
أسد هيلاس الكريم أوديسيوس الأمير الحلال
رجل الفضائل والمروءات! ثم لم يبق إلا أن يرحل
عني ولدي... دون أن أعلم أمر رحيله من
إحدا كن، فسكنت أحول بينه وبين ما اعترم ولو

وتكسرت النصال على النصال ... لقد فقدت زوجي ... أسد هيلاس وغر أرجوس ، وغري الأبدى ! ثم ها أنا ذى انتفض فرقا على ولدى ... ولدى الطرى الفينان ، الذى لا قدرة له ولا احتمال ... فى هذا البحر الالهى ... لقد أفلمت به سفينة كأنها تسبح فى بحر من دمي وأحزاني ! وهما قد نقبه الأشرار فى سفينة أخرى يريدون غيلته قبل أن يرد إلى وطنه ! »

وتجيبها مينرفا : « لا عليك يا ملكة ، ولا عليه هو الآخر ! إن مه راعيا يحفظه وبقية ... راعيا يتمنى الجميع أن يكونوا فى رعايته أبدا ... مينرفا ! إنها أيضا تبشرك وترقه عنك ، وأنا هنا رسولها إليك ، أقبلت بأمرها أواسيك ! »

وهلعت پتلوب ثم قالت : « وى ! أما إنك إذن لربة وقد كنتك الأرباب ... ألا أقص على إذن ما كان من أمر رجلى ؟ أما يزال حيا برزق ؟ أم تحطفته بد المنون ؟ »

وتضاحك الشبح المابس فقال : « لا ! ليس الآن ! لن أذكر لك إذا كان رجلك ما يزال حيا أو إنه قد قضى ، نالنا ولذلك ؟ »

ثم رفت فى ظلام الغرفة ، وصعدت فى سماء الأحلام .

ونهضت الأم وقد سرى عنها بهذا الحلم ، وانجذب كابوس المم الذى كان يتقل على قلبها

وأقلع المشاق فملكهم فى اليم المضطرب ، كل تحده نفسه بمقتل تليباخوس ، حتى كانوا عند برزخ أستريس ، بين ساموس وإيثاكا ... فأرسوا ثمة بتربصون -

دمرى ضربه

(يتبع)

فى كلات قوارص ، قطعها عليه أتينوس بتحذيره القوم ، ونصيحته لهم أن يستمعوا على حزم أمرهم بالكتمان .

وتخير أتينوس عشرين من خيرة رجاله ، وعم بهم شطر البحر ، ثم ركبوا فى سفينة أعدت لها اعزموه من تلصص وقرصنة وفك إعداء كافيا فنقلت إليها الأسلحة ، وجمعت إليها حال الزاد والذخيرة ... وأقبلت ، لا بأمر الآلهة مجراها ... ولا سلكت سبيل الرشاد .

واضطجعت پتلوب فى فراش حشوه فكير وهم ، وبجاشت فى قلبها الوساوس ، وطفقت الأوهام تفتك برأماها القلق الحيزان بسبب ولدها ، وماذ برله الكلاب وما كادوا ، مسكين أيها الأسد ! لولا قوتك وجبروتك ما أكثر صائدوك حولك الأحابيل .

وأخذتها سمنة من النوم ، فأقبلت مينرفا الكرمية فى رؤيا عجيبة تواسيها وتذهب عنها ذلك الطائف الحزن ، فترت بزى الأميرة اللقنان ، إفتيا ، ابنة البطل الكبير إيكاريوس ، ثم وقفت عند رأسها ، وشرعت ترسل هذه الأحلام :

« أهكذا تنامين ملء عينيك الجميلتين يا پتلوب العزيزة ؟ ليفرخ روعك ، وليصف بالك ، فالسباء ترى ولدك ، وهو عائد إليك عما قريب ! إنه لم يقترب شيئا مما يفضب الآلهة ، ولذا فهى تكاؤه وترعاه وتحفظه ، فقرى عينا واسلى وانمى ! »

وتقول پتلوب لزمى يحلم :
« من ؟ إفتيا ؟ عجبا ! فيم قدمت يا أختاه وقد نذر أن كنت تلين بهذا القصر ؟ ألتواسينى ونسلينى ؟ لقد تكاثرت الأخران على قلبى ،

النهار يفصل قليلا
بين المحبين الماشقين
ولكني، يا إزاييلا،
لن أغدرك أبداً
(تقف قليلاً، ويكون
هناك سكوت يفصل بين
الفتى، وكان باريس
يفكر ويذكر وينسى لماضي)
وداعاً يا إزاييلا !
إن ربح مصر تصفر،

سيرة أبل إلهوك

مسرحية شعرية في أربعة فصول
للكاتب الفرنسي ميري رستان
بقلم الأستاذ خليل هندأوى

شكراً لأنني أدركت حلى الذي يرتش
سأرحل ! وحين أرحل وانتهي إلى أطراف
الوجود يستحيل بيننا اللقاء يا إزاييلا
باريس — (متأثراً) ما هذا أيتها السيدة ؟
إزاييلا — (بغربة وبرود)
وها هما كيتان منك ، أحدهما في بدء حبنا
والآخر في منتهاه فليس معنى المرأة — يا باريس —
إلا أن تذكر حين يتنامى الرجل
باريس — (تحيط به الذكريات)
إزاييلا — إلحني — للمسرح — أووويلا !
ها أنت تنظرن ، إنني أحيا وحدي ، وفي بعض
أحيائي أخوض الصحراء راكباً ، أو أطوف في
النيل على زورق
(ينظر إليها طولاً)
وأجل من هذا ألا أفوه بكلمة ...
إزاييلا — وأنت في شرك عدو الصمت
باريس — من أين جئت ؟
إزاييلا — جئت من فرنسا حيث مثلت
مسرحية « فيدر »
باريس — أنتملين دائماً ؟

المشهد الخامس من الفصل الثاني
إزاييلا ، باريس ، أراجتي ، مارسيلاوس
(تبتعد إزاييلا من باريس ، تراه وتقول بصوت
مقطع غريب المهجبة)
إزاييلا — « يا حبيبتي ! ها قد هبط الليل
على روما
ورداً أزرق الحواشي قد انبسط على الأعالي
لا أرى إلا السماء ، ولا ألمح أحداً
ولا أفكر إلا فيك ، لأنني لا أهوى سواك
كنت — يا حبيبتي — هذا المساء شمعة
الروح المتأججة في المسرح
ألا غفلنا لأحضانك التي جمعت شعباً كاملاً
بفهمتي
ولكني لا أهوى منك شهرتك ، ولا مجدك
ولا فنك ...
وإنما أهواك أنت يا إزاييلا !
أنت حبي الأكبر وكل وجودي يهتز لك ...
كل كياني هناك ...
هذه الليلة ذاتها ، كنت أود أن أقول لك قبل
متوع النهار

بكل هذه العبرات الالهية ، وإذا كان حقاً أن
— هناك — كل آثارك الآتية ، فلتبك عيناى
دون وخز في هذا الهواء ، ولتغم — إلى الأبد —
بدموعها القلقة هذا الأمان حيث يهدم فيه حظ
شاعر .

ارجانتى — وواجبك نحو عالم غيور ، فأنت
لم تعد لفنك ، وإنما لنا ا قلب الشاعر العظيم هو
يقظتنا وهو — حين يصمت — يقهرنا .

باريس — فكروا فيما بروقكم !
ازايلا — لاحق له في ذلك ، لقد احتملنا
منه تلك الحركة حين قذف بقلمه على الملائ . . .
ومن ذلك الحين ولى هاريا ، ولكننا نريد أن نفكر
في عودته إلينا

باريس — لم يعد الفن من الكبر ما يتسع
لأسرارى .
ازايلا — ألا تعرض بعد اليوم عبقرتك
على الناس ؟

باريس — (يضرب على صدره) يكفينى في الليل
أن أعلم أنه — هناك — يزجر !
ازايلا — وإذا لم يعد يزجر ؟ هل تعلم ماذا
يقولون ؟

باريس — (بسخريه) أننى هروم بلا شك ،
وعمرى ثلاثون .

ازايلا — ويقولون : إنك في جذوة الحب
أصبحت شعلة خادمة ، وإنك بت تخشى الجمهور ،
وإن القلمة التي صغفت بها الشعب لم تتم في الحقيقة ،
ولكنك أردت إخفاء زعما بما عملت ، هل أنت
تارك سوقا لثل هذه الشائعات ؟
باريس — ما يهمنى ذلك ؟

ازايلا — المسرح هو كل شيء ، فإذا هجرة
أموت سائماً ، إننى قفيرة الى أن أطرح هذه
الأنواء المبيقة كحسن بينى وبين الناس
أرجانتى — انتصاراتها الأخيرة سودت وجوه
الأولين . آه لو تراها في مسرحية « الفينيقين »
أو في « تاجر البندقية » !

ازايلا — نسيت « هيلين » حيث كنت
أتناول بأنامل أجهل أكاليل الفار ، حقاً لقد مثلتها
أكثر من المرات السابقة

باريس — عن أية هيلين تتكلمين ؟

ازايلا — عن « هيلينك »

باريس — أعن « هيلينى » ؟ بل ذكرت :
فهل اسمى في الفضاء ينادى اسمها ؟ هيلين . وبأى
حق جرى يسمح لى بأن أفتح جفنيها . هيلين ؟
اننى أ كذب ككل انسان ، هذا ضلال ، اننى لم
أذرف دموعاً على قبرها

ازايلا — البكاء باطل حين تبتكر البقيرة .

باريس — الأثر الخالد هو دموع حية .

ازايلا — إن حاضرك لينار من انتصاراتك
المولية ؟ يلزمننا الآن قطعة جديدة منك ، وروما
لا تزال تريد أن يخفق قوادها لانتصاراتك .

أرجانتى — كذلك .

باريس — هات إنائى يا مارسيلوس !

مارسيلوس — (يتناول مارسيلوس إناء ويطيحه
ازايلا) .

وهذا ناسلم من النار ؟ ولهذا ترين هذا الأمان
مصبوباً على هيئة قلب .

ازايلا — (تأخذ الكأس بيديها ، وترفضه حتى
شقيها بخموص البأس والحب)

الأمان التي كانت تحملها « أرملة يومية » لم يتبلل

هذه الطبيعة دون أن تجرئ على النظر إلى وجهه .

إزاييلا - باريس :

باريس - انظره ؛ أريد أن تتمرقي إليه مر
أيها السيدة إنه أبو الهول ، وإيها السيد
- مدير مسرح أوروبا - ارفع قبعتك جلالاً ،
هذا هو الأوحـد الكبير الذي يلتحف كل الأبدية ،
يحيط به حشم غير منظورين هم القرون الإنسانية
يبحثون أمامه ، قيمته الحجرية مبللة بالندى ، هي قبعة
قيصر أو قبعة الأهرام ؛ والآن أفيمكم جرأة على
محدثي عن العبقورية وعن اندادى وعن المشاهد ؟
ألا فاختشوا أبا الهول أن يهز الأرض ضاحكاً في حالة
من حالات هذيانه !

إزاييلا - إنك لتسخر باطلاً ؛ هل بإمكانك
أن تصرف الناس عن لومهم لك بأنك انتهيت !
يا باريس ! ماذا يهمننا أبو الهول ؟ هذا المارد المملاق
الذي يقف على هذه المدينة الممتلئة ؟ والذي يزيد
بقلب غيور هو أبو الهول الآخر ؛ أبو الهول الذي
كان لا يحيا إلا بك ، لأن مدينته كاملة تقول بأنه
غير موجود ؛ ولأن هذه الضوضاء الباطلة ألبت في
جميع روما ، فأثبت لها بأنها مخطئة . وهي تظن
أنها لم تكن إلا طليعة نهمة فأثبت لها بأنها مخطئة .
اسمع لي يا باريس وأنست لي ! إن المدينة ذات
التلال السبعة تود أيضاً - في عصرها للنحط -
أن تحمل أترك كياقوتة ثمينة ...

باريس - (هزأ كتمية)

أنكرت «أبا الهول» ماذا كنت تفكرين فيه ؟

إزاييلا - ولكن ...

باريس - أجل ! ماذا كنت تفكرين فيه ؟

إزاييلا - (منفضية الطرف)

كان أجمل آثارك

إزاييلا - أوتارك اسمك يغييب في الليل ؛
وكوكبك ينطفئ في اللحظة التي أخذ يلمع فيها ،
إن الخطأ الوحيد الذي يرتكب حيال المجد
والحب هو الاعتزال ؛ إنهم - ولا ريب - قد
تكلموا كثيراً عنك في الشهور الأخيرة وعن
مسرحيتك «أبي الهول» ، ولكن الصمت اليوم
يخيم على الجميع ، وهذا «سير ماران» مقغم غبطة
وهنا لتنفقه عليك ، وحين تبتعد البقرية يحل
الاكتساب محلها .

باريس ! ليس هذا بحق ولا يمكن أن يكون
حقاً ، إن هذه الجهة التي يكلها النور الذهبي ؛
والتي يتوجها الفار ، هذه الجهة ، لا ترضى بأن
يسلمها فاجها رجل أقل شأنًا ، لا يجدر بك أن
تقع بهذا النسيان المين ؛ وحين لا يتنازل الإنسان
فمعنى ذلك أن أراء انتهى ؛ فهل تتركهم يفكرون
بأنك هذا الإنسان ؟ وهل تترك الشعب الماجل
يتخذ شاعراً غيرك ؟

باريس - إذا كان هذا هو المجد ؛ وإذا كنت
تقولين حقاً فالأجدر أن يراه من بعيد لا من قريب ؛
إذا كان هذا هو المجد - يا أوروبا ! - فاني أوتر
هذا الليل الأزرق في أفريقيـا حيث اقتفيت أثر أخى ،
وهذه المشاهد التي لا تنتهى ، وهذا الهواء المترشح
بشذاك العظيم .

أنظري ! يا للفرقة ! فضاء خالٍ من هتاف
الاستحسان ، ووجوه المصورين ، وفي للساء حيث
يرقد أبو الهول ؛ رجلاه في التراب وجبينه في السماء ،
هل لمحة يتشمش تحت لآلاء القمر .

أجل ! لقد جئت بقودك الجرح ، عارفة في
الحقيقة من أنا ؛ جئت تشكمين لي عن أدوار
وعن استحسان ، وهنا ، هنا في هذا البلد ، وإزاء

وجوه الرجال ، وإذا كان الشعر يثير الكون
فذا لأن الشعر هو حب أيضاً .

باريس — لنجتنب الكلام عن الحب .

إيزابيلا — هذه المدينة التي تقدسك ، المدينة
التي ما زلت أراها بعد رحيل عنها ، أما تنبأت أنت
بما يحتمل قلبي ؟ قبلاقي كانت أتم آثارك ، وعبثاً
تمن في الفرار منها لاحقاً إلى هذه الأهرام ، إن
هذه المصافير البلية تعود إليك ؟ تعال فان ظل
الشمس بدأ يحيا . تعال نحيا ، تعال نتألم ، تعال
نبدع ، تعال إلى الحب .

باريس — لا أريد ... لا لا ...

إيزابيلا — إن هنالك أشياء تخفى في صدري ،
أنصت لي فأنتي أمثل كل بطالتك ، كل من تود
ومن تريد ، إن دم « إيزولت » هو هنا يجرى في
ذراعي ، وهيلين أعادتني صوتها الرنان ، وعندى
عيننا « بيريس » لأعبدك .

تعال ، تعال ! إلى كصحيفة من رخام مهجور
فقيرة إلى من يترك قلبي يخفق من أجله ، فقيرة إلى
أن أحس في حاتي الجامد أشعارك المظلمة المتوقدة
تنبت كالجزر في اليم .

فكر ، لم يمد بي حياة ، اسمع لي ! أعد على
قلبي الخفاق ! وصوتي المنطلق ! انني أحضر وشحوي
هو الدليل ، أعد لي قبلاتك ورواياتك .

باريس — (واضماً يديه على جبينه) إنني جاهل
الهي ! هذا الصوت

إيزابيلا — هذه عبقريتك تتكلم في أعماق
نفسى .

باريس — ما تذوقت أبداً هاتين الشفتين
المأجنتين .

باريس — وماذا يهمك بعد هذا ذلك الصباح
وتلك الأعمال ؟ يكفينك أن أترأ جيلاً خلق ...

إيزابيلا — ألا شيء بعده ؟

باريس — لا شيء

إيزابيلا — (بصوت منخفض) (إلى إرجاني
ومارسيلوس)

دعانا الآن وحدنا ! ينبغي ذلك ، إن كليوباترة
أضاعت ممالكها ، أما أنا فأريد أن أنقذ ممالك ...
(ينسحب إرجاني ومارسيلوس ، وتنفرد إيزابيلا
بباريس ، وكان الليل يهبط رويداً رويداً)

المشهد السادس

باريس — أقول لك معاوداً مؤكداً بالاشيء
أقوله لك .

إيزابيلا — (تدنو منه برقة وهوى)

ولكنه يجب ذلك ؟ كيف تأباني حين أكلك
بدم قبلتنا ؟ « لا الحمد ولا الفن » كتابك الأول
في قلبي وفي ذاكرتي ، ووجودى كله كان يهتز لهذا
القسم الفيور ! لماذا لم تأت بي معك إلى هنا ؟ إنني
لأسمع عن قلبانك وعن عتوك ، ولا أسمع عن
غيابك ، وتريدنى ألا أنألم منك حين أسمع وقع
قدميك .

باريس — قد كان يجب على ؟ إذ كان يصمد
إلى — من أعماق نفسه — نداء أكبر من الذي
أحبه .

إيزابيلا — أى نداء ؟ بقرب أى نداء يتلاشى
هذا النداء ؟

باريس — أصبح الحب أصغر من أن يحيط
بأسرارى .

إيزابيلا — صه ! لا شيء أكبر من الحب ؟
عند ما يذكر على اللسان يظهر شحوب الموت على

ماذا؟ قلت: الشيخوخة؟ ويقول: — هذا البلد، بلد الشمس والزمان والشقاء! هذا البلد — وهو في حالة يأسه — يريد أن يحيط حبينا الجديد بوسائل زينته القديمة لا تنتم عن هذه الليلة الجذابة الفتاة، أنصت إلى أصوات هؤلاء النسوة ينشدن بعيداً تقول أغانيهن: الحب! وتردد الصحراء: الحب! ويرجع الليل العميق، والبحر: الحب! ويقول أبو الهول الجاثم على هاوية الرمال، المسترسل للحلم استرسالاً أبدياً: الحب! نعم! كل شيء عفى، وكل شيء كغنياب زاحف على القمر. ولذلك ينبغي أن نحب بدون انتهاء! فلنحب...

إننا سنلتقي في الليل الذي يقترب منا كهذه القطمان التي نمد أجزاسها، لنحب إذا! لنحب حباً لا يفنى ولا يبيد، وكل من لا يحب يقفى حياته سُدًى. وليشهد على حبينا هذا الدملاق الراسي ذو الجناحين، وليشهد على حبينا الفنى هيكله الأبدى.

باريس — (مرتعداً مضطرباً متأثراً). وأنا سأخ نفسي عن هذه الصحراء العميقة إذا انتزعني أيها الآلهة البشرية، إذا... ولكن مادام الأمل يلعب في ناظرك الأزرق فأنا أقبل بتجديد الصراع والسرور، وإذا ما نفيت ذلك عن نفسي فأى أثر أمتنعهم الآن؟

إزاييلا — (برقة وفتنة).

الآن!

باريس — أى شيء أستطيع أن أحب لهذه

إزاييلا — هذا هودى الذى يتحرك فى الليل لمصيرى.

باريس — لا! دعنى.

إزاييلا — (تنفسه إليها) اسمع!

باريس — إزاييلا!

إزاييلا — لقد ملكتك! إني لأعذل تلك الليلة من الصيف الأخير، هل تذكر؟ اذكر أيامنا المتهبة إلى إيطاليا، وقيلاتنا فى الشرفة الزاهية، وذلك الكهل الذى كان يتمم، اذكر ذلك الكهل! آه لقد كان فى عيوننا قس من الشمس، وكانت الأمسيات لطيفة ملاعبة لهوانا، ولكن هذه تشبه شيخوخة العالم، لماذا تنفر من بين ذراعى؟ هنا أريد أن ألتصق، هنا عن كسب من هذه الرمال القاتمة.

(فتحت النافذة، وبيت نفيس، النجوم... الطبيعة. أبو الهول)

باريس — إزاييلا!

إزاييلا — إلى أبى الهول الأعظم الذى ذرف عمره على ألوف الأعوام، وبلغ من الكبر ما يبلغ حظنا من القصر، إليه؛ إلى أبى الهول تمال! (فادت إلى النافذة الفتوحة وهناك فى الليل بدأت تهب له)

ان النهار الأزرق جلبابه ينتهى الآن. والليل طفق يرصع عنقه بالكواكب، والقطمان تؤوب إلى حظائرهما، وهذا النخيل يشمخ ويتطاوّل كأنما يريد حمل السباء على أوراقه الخضراء؛ وهذا صوت قيثارة بعيد يصل كرجفة بيضاء. وهناك على قيد خطوات، فى الجزيرة المنبخرية زهواً — نسوة ملهبات متلويات الخصور رقصن ويرددن بألحانهم الجديدة أهانج الشمس والتيل...

باريس — أصغى ، أصغى ، أصغى . هل تسمعين هذا الأنين ؟

إزابيلا — لا أسمع غير هذا الريح التي لا يختلف ، يرافقها هدير النهر الكبير .

باريس — آه يا آلهي ، ما العمل ؟

إزابيلا — لذة الليل تفتح لنا جوها ، وصدى قبلة واحدة قد يهيجها .

باريس — لا ، إني أسمع نداء .

إزابيلا — إنك لا تسمع إلا ندائي .

باريس — إنك — في الحقيقة — لست مبرأة لسماعه ، ولكن أما الذي أحيا وسط هذه الرمال الذهبية ، ذا أذن مرهفة وقد سمعت كل شيء سمعته

كصرخة سفينة ضالّة ؟ تجوز الزمان والحدود والفضاء ... قبلتك ليست بشيء ؛ قبلتك تتلاشى

حين أسمع — غاصراً الصحراء متموجاً فوقنا — هذا النداء الذي ينازع كل شيء من أجل .

إزابيلا — كيف تسمعه ضد من يبعيدك ؟ هل هنالك صبيحة يستطيع سماعها بين قلبين متحابين

يخفقان ؟

باريس — مهما تداني قلبان فالقضاء يمشي بينهما ، على ، على ، على ؛ الهى بعيداً نذك انخالد على الدهر

هذا هو العملاق الذي يناديني . إنك تحدّثيني عن القبل . فكركي أيها الابنة البعيدة عن المخاطر ،

فكركي في كل ما تقوله إلّسة النيل . إنه يناديني إزاء النهر الذي لا يبيد . أهو إنسان أم وليد ؟

أم امرأة ؟

إنه أبو المول : وهو الذي يعلم السر ، ويعلم لماذا خلقنا ولماذا نحيا . ونحن نفكر في أنه يعلم كل

ذلك أرانا ترتعش ... لنا — باهتمامنا عنه —

الأفتدة التي تميدني ، آتاري المحرقة تسكن هذا الآناء ، وكل غابري الناري يرقد في هذا الرخام

الرمادي ، أما أبو المول ...

إزابيلا — بأبي المول ؟

باريس — الوحيد من آتاري ؛ الوحيد الذي خلّد ، هو ذلك الذي طرحته أرضاً وأنا كالوحش

وتقبله الشعب جميعاً بوجهه . بلى ! لقد مرقت كل شيء من هذه الصحف المسودة ، ولم يبق لي

قصاصة منها .

إزابيلا — (مادة إليه يدها بالأثر) .

هذا هو !

باريس — يا آلهي !

إزابيلا — نعم ؛ لقد قايلت هذه البقايا البعثرة الحفيرة ، وأعدت الأثر كله ، فاستنقذت الأثر

النفيس من النسيان ، وهكذا أيقظت آلياته ووقفت على أشعاره ، وهذا بعض واجب الرأفة أن تسيد

نظام ما يبعثره الانسان ، أو تجد ما يبيده .

(ترفع الأثر الذي أهنته)

ها هو الأثر المنقذ !

باريس — أهو ؟

إزابيلا — هو الأثر الوحيد الذي ستستطيع بواسطته أن تجابه نقادك ؛ أترى أيها التاعس الذي

دممت عيناه كيف تأسف كفك على عزيقه . والآن فلترحل وليسبقنا أراجانتى !

تمال تتروح النسيم ، تمال وتنفق في السكينة الصخب الذي كانت تقطعك عنه روما ، عد لتعود

شهيراً في بلد السرور ، ودع عنك هذا التخيل المحرم وهذه الطرق الطاغية غباراً ، وهذا النهر ، وهذه

الصحراء ، وأبأ المول الغريب !

(يهران بأن يطلعا متعاهين ، وبجاء يفصل منها باريس)

إن نحيًا متجاورين معاً...

إزاييلا - صه !

باريس - لقد فردت من الأمل واللذة والطموح ، وأصبحت لا أهتم إلا بالأنهاء عليه ، لا هدف لي سواء أ وحياتي تمضي خالية من الحب والأصدقاء ، والآلهة فارغة منك ، ومن الكتب لأن « آباء المول » في أجواز الصهراء يفارون من القليل - من الإنسانية - التي تجري في نفوسنا كنت أخال أنه هداً وسكن ، ولكنه قد أحس خطواتك المبطنة بالحب ، على هذه الطريق ، لقد شعر - ولا ريب - بمخطر يدام . فهو يناديني بلهجة أكثر عنفاً : « تمال » .

صوت أبي المول من بعيد - تمال !

باريس - اسمي صراخ هذه الشفة الهامدة ، هاهو يوقظ «مارسيلوس» للتلاقي في ضجاء . لا شيء يقف دونه - قلت لك - لا شيء !
(يدخل مارسيلوس صاحب الوجه)

المشهد السابع

باريس ، مارسيلوس ، إزاييلا

باريس - أسمعته أنت أيضاً ؟ لقد كنت هنالك بجانب إزاييلا .
مارسيلوس - نعم ! وليس أجل منه هذه المرة .

باريس - لقد كان صراخاً رقيقاً مرئناً .

مارسيلوس - وواضحاً !

باريس - كان كآله خالد .

إزاييلا - لم يكن ذاك إلا حفيف الريح بين الأوراق .

مارسيلوس - لا ، لا ، لا ؛ لم يكن ذاك بحفيف

هواء ؛ كان أشد من ذلك .

باريس - هل أنت مقتد به ؟

مارسيلوس - كان يقول : « تمال » وقد سمعته جلياً ؛ اسمع أنت ، يجب علينا أن نوافيه ونسي إليه ، لأنه سيكملنا هذا المساء ... وذات شيء حقيق .

باريس - شكراً يا مارسيلوس ! إن نظرتك تزيدني يقيناً ، إذ لم أكن واحداً في استمائه ، ولكنه ...

مارسيلوس - يدعونا في جوف الليل الخائف وكفه الضخمة الرمادية تقتحم السكون . إنه ينظرنا يا أخي . إنه يحمل القمر على جبينه .

إزاييلا - هل أننا مجنونان حتى نختطفك منا ؟ إن هو إلا تمال يرد غلوى ألوف الستين .

باريس - أنه سيروى لنا لما نحيا على الأرض .

إزاييلا - أنكما مستصدمان الجبين ييكه وخرسه .

مارسيلوس - إنه يفسر لنا المنايا التي لم يشهدا أحد منا .

إزاييلا - باطلاً يشير الإنسان على تماله .

مارسيلوس - إنه سيبين لنا ماخبأته لنا الأقدار ، وبه نعلم لماذا خرج (لازار) من لحده صاحب اللون كأنه خارج من سرير .

باريس - وجهلنا عرقنا وبمحطنا .

مارسيلوس - وعن أسرار الموت يحدثنا .

إزاييلا - كفى ... كفى !

مارسيلوس - كلمات القند الجديدة ؛ أريد أن أفهم كل هذا ، وإن كان حتى بذلك .

إزاييلا - أيها الولد ! إن قلبك القوي لا يدري .



باريس — هلم لنعلم هذه الشعلة لماذا تلتهم ،
ثم بعد يوم تمحمد ؟ تعال ! فما أقصر هذا النياب
بالنسبة للنياب الثاني . انه سيفول لنا كل شيء .
تعال !

إزابيلا — قفا ! فالدار بيضاء مخفوفة بفراس
الأس ، والريح تمول في الليالي الأكثر عازجا ، هنا
خصائل النساء التي تلوح سوداء ؛ هنا الفن والحب
والطرق المحجة ...

صوت أبي الهول — تعالوا ...

باريس — اسمعيه يجيبنا
(جَاءَ نصف الزوية ، والبرق تلمع خلل السماء
وعلى ضوئها يلوح أبو الهول)
أبو الهول — تعالوا ...
إزابيلا — (متعلقة بهما)
لا !

مارسيلوس — ان نداءه العالي يشق حناصير
الظلام ، اننا نقتبسه حتى أطراف المالم
أبو الهول — تعالوا ...
باريس — لا نتردد ! لنمش من غير ارتعاش

ولا وجل !

إزابيلا — ابقيا !
أبو الهول — تعالوا ...
إزابيلا — ابقيا ...
أبو الهول — تعالوا ...
إزابيلا — ابقيا ...
أبو الهول — تعالوا ...

(يبدو من العرفة أبو الهول يلعب عليه القمر ،
إزابيلا تضحى ، ومارسيلوس وباريس ينسلان في الليل
بينما كان صوت أبي الهول يتردد)

(يتبع) ضليل هتاروى

ما يقول في المسائل الكبرى ليس لها جواب ،
وكلا زاد التنقيب في السى وراء حكم هوأى زادنا
ذلك أننا لا ندرى شيئا .

مارسيلوس — ولكنى سوف أنتزع من
هذا السارد جوابا كاملا .

إزابيلا — وان بك لفرأ فانه من حجر .
باريس — لا لا : فلقد رأيت جفونه ترمش
إزابيلا — ذلك قلبك الذى يدق بالقرب
منه .

مارسيلوس — وسمعى في أعماق نفسى كلامه .
إزابيلا — ذلك فؤادك الذى زاد وحييه
ألا يهتجى الذهاب نحوه ؛ حقا ان هذا الليل لرائع
والفراخ المظلم بلاء الوادى . ولكن هنالك الحب ؛
هنالك النور ، والورود التى يداعبها الريح .
كنت نحيها قبلا ...

باريس — أحببناها يوم كانت أفئدتنا هادئة .
دعينا نمر !
إزابيلا — سيزغ الفجر .
باريس — دعينا .

إزابيلا — هنالك حلاوة الوجود ولولم يفسر
معناه ؟ والصيف ؟ أليس هنالك الصيف الذى
يسطع على الأكوان ؟

هنا لذة غداثر النساء الشقراء أيتها الفتيتان !
هنا لذة بأيدينا ! فلا تمدوا وراء أبى الهول فانه
يقبلكا .

باريس — (أخذاً بيد مارسيلوس)
وأنت لم ترتجف في حين مثل هذا الارتجاف ...
مارسيلوس — انى أفكر في « ساتيا » التى
ترقد هنالك . سرعان ما يخمد الحب غالبا إذا ترك .

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
أحمد حسن الزيات

٣٠ في مصر والسودان
٥٠ في الممالك الأخرى
١ ثمن العدد الواحد

الإدارة
شارع عبد العزيز رقم ٣٩
الجنة الخضراء — القاهرة
تليفون ٤٢٣٩٠ ، ٥٣٤٥٥

المروية

مجلة أسبوعية للقصص والتاريخ

نصدر مؤقتاً في أول كل شهر وفي نصف

السنة الأولى

٢٠ صفر سنة ١٣٥٦ — ١ مايو سنة ١٩٣٧

العدد السابع

من أحسن القصص



فهرس العدد

صفحة	
٣٩٤	من ذكريات القرية ... أقصوصة مصرية ريفية ... بقلم أحمد حسن الزيات
٤٠١	الملكة ... بقلم الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازني
٤٠٩	يوميات نائب في الأرياف ... صور مصرية ... بقلم الأستاذ توفيق الحكيم
٤١٤	دورثيا ... للكاتبة الانجليزية مسز جور ... بقلم الأستاذ كامل محمود حبيب
٤١٩	تسي تانا ... أقصوصة يابانية ... بقلم محمد محمد مصطفى
٤٢٢	فلوريدور ومرجريت ... أقصوصة فرنسية ... بقلم ف. ف.
٤٢٥	على قم الألب ... عن الانجليزية ... بقلم أحمد فتحي مرسى
٤٣٠	للرأة الحائرة ... لثوماس هاردى ... بقلم نظمي خليل
٤٣٧	الأوديسة ... لهوميروس ... بقلم الأستاذ دريني خشة
٤٤٥	اعتراقات فتى مصر ... لألفريد دي موسيه ... بقلم الأستاذ فليكس فارس
٤٥٠	سر أبي الهول ... لوريس رستان ... بقلم الأستاذ خليل هناموى



- ١ -

أفرانه اشتركوا في زعامة القوة ، وانفرد كل منهم بموهبة من الواهب النادرة يجعله رجل وحده . قالمهدى يجيد الزمر في الأرغول ، وأحمد يتقن غناء الواويل الحر ، وحسن يحدق النقر على (الدربكة) ، وعلى بدير حفلات الأنايس وغزوات الليل . وتقسّموا على هذه الزايا ، هوى الشبان وإنجاب الصبايا ؛ فكان لكل منهم حزب من الجنسين يتعصب له ويهتف به وينقاد إليه ، في غير وقاحة تُسقط حياء الفتيات ، ولا خصومة تذكر صفاء الفتيّة

كانوا يدخلون الحشيش ، لا لأنه حكم من أحكام (الكيف) ومرض من أمراض المادة ، ولكن لأنه كان في زمنهم من صبوات الشباب وزوات الفتوة . وكانوا هم وأتباعهم يسرقون القمح ليلاً من حقوله ، لا لأن السرقة فيهم أثر من أوم الفطارة ، بل لأن قوى الشباب الجياشة كانت تبحث في رموسهم وتضطرم في نفوسهم فلا يجدون لها متنفساً ولا مقيصاً إلا هذه الزوات الليلية يتحدّون فيها بقطة الحراس وسطوة الحكومة

كانت المزرعة البعيدة من مزارع (الأمير) تسمى وهي يضاء تتألق باللوز المتفتح كما تتألق السماء الصافية بالكواكب الزهر ، ثم تصبح وهي سوداء كأنها الأرض بعد الجراد أو الدار بعد الحريق ؛ فيرخى (التفتيش) ويزبد ، ويبرق (الركز)

كان أهل القرية يسمونه (البجيوح) لأنه كان غيباً من الكرم يصيب الإيادي المنكودة ، ونسياناً من الرمح يتمش الأجسام المجهودة ، وشماعاً من البهجة يغمر النفوس الظلمة . كان ابتسامه الدائم يفيض على وجهه البرزخي إشراقاً من الروح المذب بمجمله أقرب إلى البياض المشبوب ؛ وكانت نكتته على طرف لسانه يرسلها في المناسبة الجميلة فتفجر الضحك من الصدور الكظيمة ، حتى وصفوه بأنه يصحك حجارة القبر !

كان جميل الهندام ؛ يلبس الجلباب الأنيق المحكم على صدر من الشامي أو الجوخ قد زرّ لفقيه صف منضود من الأزهار الحمرية ؛ ويضع على رأسه طاقية من القماش الأبيض المحرم قد أمالها قليلاً إلى الجهة اليمنى من رأسه ؛ ويجعل في يديه الطرزين بالوشم الأزرق خاتماً أو خاتمين من الفضة البيضاء والمقبق الآخر ؛ أما قدماء فكانتا حافيتين في القنيط ، ناعلتين في القرية ؛ وهو على أية حال كان مثال الطرف للشباب ، ونموذج الفتوة في البلد

كان الهدي (وهذا هو اسمه) سمحري القوام ، مجدول المضل ، جرىء الصدر ، شهم الفؤاد ، لا يتخلف عن الصف الأول في كل ما يصيب القرية من أعراس ومآتم وممارك ؛ فكان رابع ثلاثة من

وبرعد ، ودار المهدي تنفي وترقص وقد أولت
(لأجدعان) الذين قضوا ليهم في العمل الجريء
وليمة سخية لا يقدم فيها غير الحلاوة الطحينية على
(الصواني) وفي (الأفاجر) ؛ ثم يخرجون بمد المأدبة
الى ضفاف التربة الجارية فينامون على بساط النجيل ،
تحت الصفصاف الظليل ، يفغمهم غير الغليظة والسعد ،
وينفهمهم نسيم اكثور المنمش وقد خلص من
حرور الصيف الى فتور الخريف . ثم يستيقظون
على أنغام الناي الحنون يرسلها المهدي في الفضاء
الصافي فتتمزج بأغاني القرويات الجميلات وهن
يقطفن في أحجارهن لوزات القطن المميز
كان الناي أو الأرغول للمهدي كاللسان
للشاعر أو الحنجرة للبلبل ، ينفخ فيه روحه ، ويصور
به عواطفه ، ويرسل منه رسائله ، ويفعل به ما يفعله
كوييدون بهمه . فهو في النهار الزوج الطروب
المهائم في هبات النسيم ، يرفه عن اللاغبين في
استراحة الطنبور ، أو ظهيرة المراث ، أو وحشة
الساقية ؛ وفي الليل رسول الطرب المتبوع في
حفلات الأعراس ، يجتمع هو ورقاقته الثلاثة في
دار العريس فيجتمع عليهم نساء البلد ورجالها
وأطفالها يتمتعون بنغاث المهدي ، ورقصات على ،
وتقرات حسن ، ومواويل أحمد

— ٢ —

زحرت الى القاهرة في طلب العلم ؛ ثم كنت
في الصيف أعود الى القرية فأنجم في حياتها ،
وأختلط بينها وبناتها ، فأعجل دواها وأنها الطاهر ،
وأجلو شموري بجوها الستين . وأهدد أحلام
مستقبلي في مهد الطفولة
في ذات صيف لاحظت أن بالهدي مسحة
من هنال لا يملها مرض ؛ ورأت أنه قليل
الدابة كثير الوجوم ، يطرق أطراق الهموم
ويذهل ذهول الشاعر . وأعجب أمره أنه آثر
الأرغول على الناي ، ومال عن سير الحرب الى أقاصيص
الحب ، وهجر مجالس الفتوة ، وحافظ على الصلوات
الخشى في أوقاتها وراء الأمام . فسألته ذات يوم وقد

وبرعد ، ودار المهدي تنفي وترقص وقد أولت
(لأجدعان) الذين قضوا ليهم في العمل الجريء
وليمة سخية لا يقدم فيها غير الحلاوة الطحينية على
(الصواني) وفي (الأفاجر) ؛ ثم يخرجون بمد المأدبة
الى ضفاف التربة الجارية فينامون على بساط النجيل ،
تحت الصفصاف الظليل ، يفغمهم غير الغليظة والسعد ،
وينفهمهم نسيم اكثور المنمش وقد خلص من
حرور الصيف الى فتور الخريف . ثم يستيقظون
على أنغام الناي الحنون يرسلها المهدي في الفضاء
الصافي فتتمزج بأغاني القرويات الجميلات وهن
يقطفن في أحجارهن لوزات القطن المميز
كان الناي أو الأرغول للمهدي كاللسان
للشاعر أو الحنجرة للبلبل ، ينفخ فيه روحه ، ويصور
به عواطفه ، ويرسل منه رسائله ، ويفعل به ما يفعله
كوييدون بهمه . فهو في النهار الزوج الطروب
المهائم في هبات النسيم ، يرفه عن اللاغبين في
استراحة الطنبور ، أو ظهيرة المراث ، أو وحشة
الساقية ؛ وفي الليل رسول الطرب المتبوع في
حفلات الأعراس ، يجتمع هو ورقاقته الثلاثة في
دار العريس فيجتمع عليهم نساء البلد ورجالها
وأطفالها يتمتعون بنغاث المهدي ، ورقصات على ،
وتقرات حسن ، ومواويل أحمد
وكان الفتيات الناهديات يتكدسن في دهليز
الدار يتوسعن الوجوه الراغبة أو الخاطبة بميونهن
المسلية الحاملة . وكنا نندس بينهن ونحن صغار
فنسمع من بين شفاههن الأدمس ذلك الإعجاب
التردد الهامس بأولئك الذين يدخلون السرور في
كل قلب ، ويبيثون الإعجاب في كل نفس ،
ويقدفون الرعب في كل مكان خارج القرية . وكان
المهدي على الأخص تعرض الأنظار للسدة ،

أنافة إلى عين رأسها كأنها طاقة المهدي ، فلا يسمع إلا أن تصدق ما يقولون من أن أباهما بضن بها على الفلاح الذي يبتذل جمالها في إدارة الطنبور وخدمة الماشية

— وكيف تلقاها يا مهدي ورأى أبها فيك هذا الرأي ؟

— ألقاها كل يوم وهي تسقى الجاموسة من التربة ؛ تدرکہا بتردد في المساء ثم تجلس إلى تحت شجرة التوت فتساقط أعذب الأحاديث من غرام وشكوى ؛ وأصحابها وهي ذاهبة على حمارها الأبيض القصير ، تحمل الغداء إلى أبها في غيطه البعيد ، حتى إذا قاربناه جلست على حوض الساقية أتمعها بنظري حتى ترجع فأعود معها إلى القرية ؛ وفي بعض الأيام يذهب أبوها إلى السوق فأقضي معها ومع أنها ذلك اليوم السعيد ، لا بكل النظر التثبت في النظر ، ولا يفتر الحديث المتصل بالحديث ، ولا نشمر بالسكان الذي يحصر ، ولا بالزمان الذي يمر ، ولا بالموعد الذي يقترب

وربما ظلت النهار كله مع أبها في الزرعة تضع بذور القطن في الأرض ، أو تنثر حب الذرة وراء المحراث ، أو تنقى غلت الرزق وسط الماء ، فلا أستطيع أن أراها ؛ فأحاول أن أخفف برحاء الشوق عن قلبي المعيد بالنظر إلى حمارها وهو يتمرغ في الحارة ، أو إلى كلبها وهو راكض على عتبة الباب ، أو إلى عجبتها وهي تمشى متتدة أمامها إلى التربة

أرجو ألا تضحك ؛ إن حب ربا قد صورني الأشخاص والأشياء على غير الصورة التي تراها ؛ فأنا حقيقة أرى حمارها أجل الحبر ، وكلبها أطرف السكاب ، وجاموسها أطف الجاموس ؛ إن في

جاني بسد انصراف الناس يسألني عن الكتاب الذي يجيد فيه أشعار الشيخ حسن جابر اللقي :

— مالك يا مهدي تغيرت بعض التغير ؟ أبك علة ؟ ألك حاجة ؟ فأجاني وقد استراح إلى موضوع الحديث كأنما أصاب به نفساً من كربه :

— علق (ربا) ، وحاجتي هي !

— ربا ؟ أتجها ؟

— أموت فيها !

— ولم لا تخطها إلى أهلها ؟

— يقول أبوها إنني أسرق غيطان الناس

وأتناطى الحرام ولا أصلي

— وماذا ترى أن تفعل ؟

— لا شيء . ستركها خاطبوا إلى ، وسيفير

أبوها بالطبع رأيته في

أنا أعرف ربا ؛ وهل في قريتي الصغيرة من أحمله حتى أجهل ربا ؟ كانت وحيدة أبها الحاج حسين ، قطعها على الدلال ، ونشأها على الدعة ، ووسع لها في الثياب والزينة ، وأعفاها من أكثر عمل النيط والبيت ، فشب على أخلاق الترفين خفيفة الزاد عزوفة النفس مرهقة الحس واهنة الأعصاب رقيقة البدن ؛ ولكنها كانت على الغاية من ملائمة الشكل وصفاء البشرة وعدوبة الروح وسحر الجميع . وأبلغ آيات الجمال فيها عينان ساحبتان وأهداب وطاف ينبعث منها في القلوب مالا تستطيع اللغة أن تسميه ولا العلم أن يصفه . فإذا خرجت ساعة الأصيل في أترابها الجبيلات يحملن الجراد إلى النهر أو من النهر ، مبرزها في مقدمة السرب بقدها المشوق اللعين ، ومبشها الخنثة الموزونة ، وخصالها الفضي اللامع من خلال ذيلها المهفاه ، وجرتها المائلة في

يعمل مع أيها في النبط ، ويكاد يعمل مع أمها في المنزل ؛ وهو الذي يسقى الجاموسة ويبلف الحمار ويرعى شؤون الأسرة

— إذن قبل أبوها أن يزوجها منه ؟

— نعم ، قبل بعد أن تحقق أنه ترك الحرام وعزف عن القو وعكف على العبادة وأخذ عهداً على السيد القصي . وم الآن يرصدون الأبهة لحفلة العقد ، ويمدون المدة لثقة الزواج

— ٣ —

يبيع القطن ومسحت على الجيوب الفارغة يد قارون ؛ ومست الشبان الأعزباب مواسم الهوى فذهب كل منهم يسمى لأهله البنت التي صفر لها (الضفائر) واشترى لها (التوايش) وأهدى إليها (الحلالة) ؛ وأخذ الشيخ عبد الوهاب مأذون القرية ينتقل من دار إلى دار وتحت إبطه دفتره المريض وفي حزامه دواءه النحاس ، يقصد المقعد ويأخذ المندبل ويشرب السكر ويسمع طلة البندقية التي تملن عقد الزواج للفتيات المنتظرات حين يقول للمريس : « بارك الله لك فيها » ؛ وأقبل الزمار الصببت (أبو سعد) بطوله ومزماره ومهرجه ، فلبث في القرية الساكنة أسبوعين جعلها فيها صورة صغيرة من (مولد السيد) ؛ وتساءل الوافدون على الأفراح : أين المهدي ؟ لم يظهر في زفة من الزفات ، ولم يسهر في ساهر من السواهر ؛ وكان العرف الجاري أنه هو الذي يقول (العليل) ، ويهندم العريس ، وينظم الزفة ، ويقترح الأدوار على (أبو سعد) ، ويرسم لوكب الرفاف الزائط مكان الوقوف وزمان الحركة . ولقد تحدثت المصاطب منذ شهرين أن زفاف ريا إلى المهدي سيكون افتتاح الموسم ، وأن شعراء (الربابة) ، ومنشدي الواوابل ،

كل أولئك شيئاً منها لا أعرفه . ولو كنت تعلمت لعرفت . !

لقد أحببت غير ريا ؛ ولكنه كان حياً غير هذا الحب . كان حياً لم يمتد السطح ولم ينفذ إلى ما وراء الاحساس فلم يغير في عادة ولا صفة . أما حبها فقد خلقني خلقة أخرى ، حتى لأتأس المهدي القديم في إهابي فلا أجده : أصبحت لأميل إلى غزو الليل ، ولا أرغب في لهو النهار ، ولا أفكر في غير الخير . وفي بعض الساعات والخلوات أشعر أن في رأسي عالماً عجيب الألوان غريب الصور توج فيه الزهور وتطوف به المرائس ، فأستغرق فيه استغراق الطفل في « صندوق الدنيا » ، وأحس سيلاً من المائي ينهمر على لساني فأحاول الكلام فلا يبر ، وأجرب الفناء فلا يجدي ، وأجد الأشعار التي حفظتها من عنتره وأبي زيد لا تصور ما في خيالي ولا تنقل ما في خاطري . ولذلك جئت أسألك عن الكتاب الذي أجد فيه أشعار الشيخ حسن جابر النفي فاتها أقرب إلى ما أريد

لا تظن ياسيدي أني أزور لك كلام المهدي على عادة الكتاب ليطرد الحديث على أسلوب واحد . الحق أن المهدي كان بذكائه وعقله كاتباً لا ينقصه إلا القلم ، وبخياله وحسه شاعر لا يوزع إلا القيثارة . هذه هي معانيه لم أقتص منها ولم أزد عليها . ولو كنت أذكر اليوم ألفاظه لما ترددت في تسجيلها انصرف المهدي عني وغاب فلم أعد ألقاه عندي ولا أراه عند غيبي . فسألت عنه ذات يوم رفيقه أحمد صاحب الصوت الأبيض واللوال الأهر ، فقال وهو يبتسم في خبث ويشير في باس :

— أوه ! إنه لا يكاد يفارق ريا ولا أهل ريا :

والشيخ عبد الجبار هذا ضرر في حدود السبعين نحصيل الخيال لاصب الجلد ، ولكنه مسموم الجسم متين العصب . كان شيخ الفقهاء ومعلم الصبيان في القرية ؛ وقد تنفس به المر حتى ربي جيلين من رجالها ؛ فكان يتمتع لذلك بنفوذ واسع واحترام عظيم . وكان واغر اللب شديد الدهاء رزين الطبع ، ثم أكسبته حراولة التمانيم على الأسلوب القديم سلاطة اللسان وخشونة اليد وقساوة القلب ، فقلما تخرج من كتابه متخرج دون أن تصاحبه عاعة في بدنه . لقد كان يضرب الصبي بالجريدة حتى يفقد الوعي ؛ ثم يتركه لأنه تمب لا لأنه أشفق . وكان إذا تهدأ أو توعد ظهر غضبه التسمر في مقلتيه الجاحظتين على رغم انطفاهما ، فلم أر أعمى يؤثر بعينه غيره . وكانوا يسمونه (جلاد الشيطان) لأن الجن الذين يركبون الجليات كانوا يرتدون فرقا من ظلمته . وليس الجن وحدهم الذين كانوا يرهبونه ، فقد كنا وكان الصبيان إذا مر الشيخ عبد الجبار في زعوطه الأسود ، يده على كفتي قائده ، ورأسه الدقيق نائب في عمامته الضخمة ، وخده الشاحب مصمرا للناس ، وأذنه المنصوبة مرهقة للنفط الطريق ، وقفنا صامتين راهبين كأن جنازة تمر !

— ٤ —

لقد كنت وأأسفا من شهود هذا الحادث الفاجع ، فانا أقصه عليك كما حدث . لا يزال على طول المهدي حيا في ذاكرتي رهيبا في نفسى كأنه وقع أمس . والحوادث البسيرة تجد خلودها في أعماق الحافظة الصغيرة ، فكيف بالحادث الجلل ؟

جاء المهدي بالشيخ عبد الجبار بعد صلاة المشاء إلى ربا ؛ وأقبل أهل الحارة ومن سمع من رجال القرية إلى البيت الحزين القلق يساهمون في

ولاعبي البرجاس ، وضاربى (الحطب) سيتقاطرون على البلد يؤدون إلى المهدي بعض ما أولام في سالف المهدي من أباد وصنائع

— هل عندك يا علي خبر عن المهدي ؟ هل هو مريض ؟

— هو في أمان الله ، ولكن ربا مريضة

— منذ كم ؟

— منذ شهر

— وماذا تشكو ؟

— يقولون إنها (معذورة) ، فهي لا تتكلم ، ولا تنبسم ، ولا تشتهي الطعام ، ولا تذوق السكرى . وقد عُدتها بالأمس فوجدتها مسبونة على الحصير ، زائفة البصر ، ساهمة الوجه ، رفع بدأ وتضع أخرى ، ثم تنبكي من غير سبب ، وتنفض من غير حى ، ويدركها الذمول حينما تنفض عينيها ولا تتحرك . وكانت أمها على رأسها تروح عليها ، والمهدي يجانها يذب عنها ، وأبوها أمام الحجره يدخن في تفكير وحزن ، فسألت أمها :

— كيف حال ربا اليوم ؟

— كما ترى . ولقد ذهبت اليوم ومى مندبها إلى الشيخ فرج ؟ ففاس الأثر وفتح الكتاب ، ثم قال إنها ألفت ماء بالليل أمام القرن ولم تبسل ، فوقع على أطفال من الجن فركبها أبوم . ولقد كتب لها حجابا كبيرا أحملناه إليها فعملته ، و رسم بالحبر أشكالا في طبق . ثم عجاها بالساء وسقيناها إياه فشربته ؟ ولكن ربا لا تزال ذائلة ذاهلة ، لا يطمئن بها فراش ، ولا يسكن لها عصب !

— وسأذا لا تطلبون لها الشيخ عبد الجبار ؟

— لقد فكرنا في ذلك . وسيذهب المهدي

بعد صلاة المشاء يدعو

الرجاء والدعاء والأسف ، فلأثوا الحجره وسفلوا
الدعائز وسالوا خارج التبة . وكانت ربا سامة كأنها
صورة الجلم الهنيء ؛ فلما دخل الشيخ عليها حملت
فيه بعينها ثم صرخت صرخة شديدة ؛ فقدم
النساء أسفات وقال بمضهن لبمض : عرف جلاده
ففرع ! ليت ذلك كان من زمان !

— جاد ! هات (الفلقة) !

وجاء جاد بالفلقة فوضعا في قديم ربا مكان
الخلخال الغضى اللامع ؛ ثم شدها وأمسك من
طرف وأمسك شاب آخر من طرف . واستل
الأعمى جريدة من الحزمة وبرك على ركبتيه وبقى
في يده ، ثم أحمى على المريضة المنهكة ضربا دراكما
يهدم جسم الجان بله الإنسان !

كانت ربا تصرخ صراخا عاليا متواليا من
الضرب للوجع ، والقوم صامتون وفي سرهم النشابة
بالشيطان الذى يلتمس الرحمة فلا يجد ، ويحاول
الحزمة فلا يستطيع

تخطمت الجريدة الأولى فوقف عبد الجبار
وأقبل بوجهه التضمر على ربا الصارعة وقال في
تهديد وحنق :

— هيه ! قل لى ما سمحك ؟

— ؟

— أمؤمن أنت أم كافر ؟

— ؟

— قل لى من أى القبائل والقبائل أنت ؟

— ؟

— أتأهمنى على تركها وأنا أشامك

وأطلقك ؟

— ؟

كان الأعمى يلقى هذه الأسئلة المتجددة على
المقزيت الأسير فى جسم ربا ، وريا تئن أنينا متصلا

جلس عبد الجبار عند قدمى ربا ، وجلس بجانبه
عريف الكتاب ومعه حزمة من جريد النخل
المشذب المصقول مما يستعمله فى تأديب الفلاظ
الشداد من « أولاد المكتب » ، ودواء من الخنزف
الأخضر ، وقلم من القصب الأبيض ، وخرقة بالية
مقودة على شيء . ثم أخذ يسألها سؤال الماروف :

— ماذا بك يا ربا ؟

— لا شيء يا سيدنا

فلما رأى سيدنا الصوت طبيعيا والجواب عاديا
قال لنفسه وهو يسمع الناس :

— هيه ! لقد هرب ؛ ولا بد من استحضاره

ثم فك النقدة حما فى الخرقه فاذا هوفقات من

اللبان والجاوى . ودعا العريف بموقد النار فوضع فيه

البخور فأفحم أرجه الحجره . حينئذ أخذ الشيخ

يتلو الزائم بصوت يشبه الندمة فلا يكاد يتيقن

منه حرف . ثم كان يتحسس عند بمض المقاطع

فيشتد ويخمد ويذكر بمض الأسماء الغريبة ، حتى

هيج دخان البخور وهممه الشيخ وازدحام الحجره

أعصاب المريضة المسكينه فاختلفت أطرافها اختلاجا

أحسه الأعمى ، فأمسك عن التلاوة وأمر برفع الموقد

وأشار إلى عريفه أن يبدأ العمل

تقدم العريف المحرب وتناول يدها اليمنى
وكتب على ظفر إبهامها كلمة أملاها عليه الشيخ

حمسا ؛ ثم كتب كلمة أخرى على ظفر السبابة ، ثم
على أطراف الوسطى والبنصر والخنصر ، وقلم باليد

ملجأ فزعها ومرفأ دمعها — يصب على جسمها الناحل هذا المذاب ؟

لم تمد ردا تصرخ ولا تستغيث ، وإنما كانت تنتفض للضربة والضربة انتفاضة اللسوع ؛ ثم ترسل مدامعها الفزار في صمت ، وتقلص شفيتها الرقيقتين في مضض . ووقمت عين المهدي على هذا الوجه الشهيد المحتضر فاسترخت يده وارتمى على الأرض مستخرطا في البكاء . فأنهر عبيد الجبار هذا الضارب الطورح وتناول الجريدة وصاح :

— جاد ! أعد نظرك في الأظافر فلعل بعضها

قد أصحبت عنه الكتابة فيهرب

ففحص الريف أطراف البنان المرسله وأصابع

القدمين الممزقة ، ثم قال في اطمئنان الواقع بمعله :

— الكتابة سليمة يا سيدنا

حينئذ أخذ الجبار يفكر في عذاب آخر ،

ولكنه أراد أن يندربه الجني قبل تنفيذه ؛ فزحف

حتى بلغ رأس الربيعة ، ثم الصق فمه بأذنها وأخذ

يسارّه . ولكن ما باله ارتبك ؟ إنه ولا ريب لاحظ

كما لاحظ القوم أن ردا تنسيم نما لا يكاد يظهر على

المرأة ، وأن العفريت مهما عذب لا يخذل هذا

الجنود ، فأحس الخطر وتوقع الكارثة . وأراد الخبيث

أن (ينقذ الموقف) كما يعبرون فقال :

لقد وعدني أن يشارو نفسه ؛ فدعوه الآن هادئا

يفكر حتى يصبح الصباح !

وفي الصباح ذهب عبد الجبار وادعأ بفتح

الكتاب ، وذهب أبو ردا هالكا يفتح القبر !

ومنذ ذلك اليوم المشؤم مات المهدي الذي

عرفته في أول القصة ، وعاش في جسمه المهدود

مخلوق آخر لا هو شخص ولا هو شيء !

الزيات

في استرخاء وخفوت وضراعة ، والقوم حولها

ينتظرون إجابة الشيطان وأبصارهم شاخصة

وأفاسهم معلقة ، والأسنة خارج الحجره تتناقل

صمته القريب في حمس وعجب ، والشيخ عبد الجبار

يحدق بعينه البيضاء في عين الصباح أخافت ويقول :

يا سلام ! ما رأيت أعند من هذا الملمون ! يا جاد !

هات الجريدة الثانية !

وشد الفلقة جاد بمن جديد ، وبرك الشيخ

الجبار على ركبتيه من جديد ، ثم شرع يديق القدمين

الصحيلتين دقا عنيفا بالجريدة الثقيلة ؛ وهبت قوى

الفتاة المذخورة تدافع الألم المض بالصراخ

الدامع والاستغاثة المبتهلة :

— أنا في عرض النبي ! أتقذبنني يا أماء !

أعثنى يا مهدي ! أنا أموت ! ليس على شيء ! آه !

لم يجد هذا الهتاف المؤلم ممعا من أحد ؛ لأنهم

بمقدون بإخلاص أن للمارد العنيد يخذلهم عن نفسه ،

وأن ردا الحقيقة الناعمة في غلاف من العفريت لا تدرى

ولا نحس . وكسدت يد الجبار من الضرب فخل محله

شاب قوى . وتحطمت الجريدة الثانية والثالثة ،

وجلاد الشيطان بعيد الأسئلة بين فترة وفترة

فلا يسمع إلا الجواب الطيبى أو الأثنين المستسلم

وزاد عجب الناس من عناد الجني الكافر ،

واشتد سخط المهدي على هذا الرجم الذى غلبه على

حيبيته ، فتناول الجريدة الرابعة ووقف بمحان

الأعشى وقد كان مهمهم ويدمدم ، وأخذ يلعب قدسى

حيبيته المودنين بالمصا المضرة المبرومة ! وريا ..

أوه ! لا تسلى حينئذ من حال ردا . إن في بعض

مظاهر النفس ودلالات اللامع ما يقف أمامه البيان

الانسانى أبكم لا ينطق وعييا لا يبين . وماذا عسى

اللفظ المعنى الجامد أن يصور لك حال ردا وقد

فتحت عينها الداميتين فوجدت للمهدي —



السنية ومعهما يحمل لها الكتب والكراريس
ويعنى أن أكلها في الطريق إطاعة لأمر « الست »
فأكاد أجن من فرط الحب والغيرة والشعور بما أنا
فيه من المهانة والتحقير . وأحسب أن كراهة امرأة
عمى لي وحي لينتها مما اللذان جصلا منى رجلا
مستقلا وأغرياني بما صنعت ، فقد تحولت من الأزهر
إلى دار العلوم ، وقد دفنى إلى ذلك أمور منها أن
مستقبل الطالب في دار العلوم معروف ، وأن
التابع فيها كان يأخذ في الشهر جنبا على سبيل
الاعانة . فتحولت إلى دار العلوم كما قلت . من غير
أن أراجع عمى أو أشتيره ، وصبرت على ذلك العيش
كالخدم في بيت عمى شهورا ، وادخرت الجنيهات
التي قبضتها من المدرسة في أواخرها ، ثم تركت
البيت واستأجرت غرفة شاركى فيها طالب آخر
وفرشناها بأزوم ما يلزم وأقنا فيها . وبكى بيانا لما
فررت منه أن أقول إن بنت عمى هي الوحيدة التي
افتقدتني وشمرت باقتطاعى من البيت ، وكان الحب
بينى وبينها متبادلا ، فلما لقيتها وحدها مرة وأخبرتني
الخبر فرحت وأنتت على وشجعتي

ولا أطيل - تخرجت من دارالعلوم وأصبحت
مدرسا ألقاضى في الشهر ثمانية جنيهات لا واحدا
قط ، وعينت في مدرسة بنها الابتدائية ، وبشاه
الله أن يعين عمى وكيلا للمدرسة فلولوا كراهة امرأة

لا أدري إلى هذه الساعة كيف أسكن أن أدع
هذا يحدث . . ولو أن أحدا تنبأ لي به : قرأه
في فتجاة القهوة ، أو طالعته سطوره من الخطوط
التي يرسمها بأصبعه على الرمل ، أو تبينه من اجتماع
ورقات معينة وهو ينشر الورق كله أمامه ، أو من
تقارب بعض الودعات وهو يلقيها من كفيه على
الأرض - أقول لو أن أحدا تنبأ لي بهذا وأنا
سبي لسكان الأرجح ألا أسدق ، ولكن الحق
أن أدفع جيبه بأصابع يئامى وأقول له : « بخ »
فقد كنت في حدثاتي « شقيا » جدا . وكانت
امرأة عمى تكزهنى وترم أن كراهتها راجعة إلى
« شقاوى » ولكنى - حتى في حدثاتى -
كنت أدرك أن كرهها لي سببه أذى فقير وأن عمى
يمولنى ويكفلىنى ، فقد مات أبواى في طفولتى .
وكان عمى ضعيفا لا يستطيع أن يخالف زوجته
إرادة أو أن يهد لها في أمر . فتركها محرمى التعليم
الحديث وترسلى إلى الأزهر « مجاورا » ضنا منها
على « بأكثر من القوت الضرورى والكسوة التى
لا غنى عنها . وكانت تفرق بينى وبين بنت عمى
التي كنت - ومازلت - أحبها ، فكنت أقضى
ساعات الدرس والنوم في النظرة لأن امرأة عمى
لا تأذن لي في الصعود إلا في الأعياد - لتقبل
بدها - وكنت أرى بنت عمى تذهب إلى المدرسة

أفرغ من واجبي وأذهب الى بيتي . ولن تراني
زكية شيخاً لأنها لا تذهب معي الى المدرسة فانا
لا أبدو لها الا أفندياً كما تحب

وكانت هذه بداية الشر كله ، فقد قالت لي
يوما وهي تدير معي في الحديقة : « اسمع ياسيد ! لماذا
تعمل الألعاب الرياضية في المدرسة ؟ »

فالتفت اليها مستغرباً وقلت : « أهمها ؟ ..
ماذا تمنين ؟ »

قالت : « أعني أنك لا تشترك فيها ... ترك
تدريب التلاميذ لهذا الأذى ... انه أذى في الواقع
وان كان يكتب ويقرأ ... هو جندى لا أكثر
وقد يكون أقل من جندى »

قلت : « وهل تريدني أن يتولى تدريب
التلاميذ على الألعاب الرياضية فيلسوف ؟ »
قالت : « لا ، ولكن الروح الرياضية لا يبنها
إلا متملم »

قلت : « ولكن ماذا أصنع ؟ ، إن هذا
ترتيب وضمته الوزارة ولا شأن لي به »

قالت : « الوزارة لا تمنحك أن تمنى بتلاميذك
وتتطوع لمساعدتهم »

وابتسمت لي ، وانهارت حصون المقاومة .
وأحسب أنا معشر الرجال ضعاف . ولم تتركني في
ذلك اليوم حتى بذلت لها الوعد أن أعني بالألعاب
الرياضية وأن أطوع لمساعدة التلاميذ .

ولم يكن الأمر سهلاً فقد كنت في المدرسة
شيخاً ، وعسير على من يلبس ثياب الشيوخ أن
يشترك في ألعاب . وخلق بمنظرة حين يتحول من
شيخ في قفطان سابغ وجبة تفيض عليه الاحترام
والوقار ، وعمامة مكورة ، إلى رجل نصف عار في
قميص قصير وسروال أقصر ، أن يضحك التلاميذ

عني لي لوسفي أن أقم مع عمي في بيت واحد ،
فقد صرت أستطيع أن أؤدي نفقات معيشتي
وتكاليف إقامتي ، ولكن هذا لم يكن ميسوراً .
على أن استقلالي لم يشغلني على نفسي ؟ وكان يسرنى
على العموم أني صرت أستطيع أن أزور بيت عمي
زيارة من لا يحتاج إليه ، ولا يطلع في شيء منه ،
وأن أرى « زكية » وأعشى معها في حديقة
البيت - خلسة بالطبع - وأن أبها جبي الذي
لم نخدم وقته الأيام

وكنت شيخاً - بهامة وجبة وقفطان -
فقلت لي زكية يوماً : « لماذا لا تغير هذه الثياب ؟ »
فلم أفهم وقلت : « أعبرها ؟ .. وما عيها ؟ »
قالت : « البس ثياب الأفندية ... كأني »
قلت : « اسمحي لي أن أقول إنني لا أحب أن
أكون كأنيك »

قالت : « أعرف ذلك .. إنه ضيف ولا شك ..
ولكنك لا تقلده هو إذا اتخذت ثياب الأفندية .
كل الناس يلبسونها .. »

قلت : « لأدري هل تسمح لي الوزارة
أو لا تسمح ؟ . ولست أحب في قاتحة حياتي
الجديدة أن أتمرض بخلاف في هذا الموضوع »

فتركت كل هذا وقالت : « إنني أريد ذلك ..
يسرنى أن تغله .. ألا تحب أن أكون مسرورة
بك ؟ .. سيد ! .. من أجل أنا ! ... »

فلم يسمعي أن أظل أعترض بعد هذا . وأعددت
عدتي لتغيير الثياب ، وكانت كلفة هذا التغيير
كبيرة ، وكان هذا هو الذي يصدني عن التغيير .
أما الوزارة ورأيها فقد أقيمت لها ثياب الشيوخ
ألينها في المدرسة ، وأخلعها حين أغادرها ، وبذلك
انقبت غضبها المحتمل ، فالحاشان بي بعد أن

بالرجل الذى يملك ... دح هذا لى

فتركها وأنا أحدث نفسى أن فى زكية مشابهة من أمها ... أعنى أنها ورثت قوة الشكيمة والارادة وجاءنى يوماً جندى من جنود البوليس وكان مارداً مضطجماً مقتول المضل، ولم أكن دونة جسامه، غيبانى كأنى ضابطه، ثم شرع يحسنى كأنما كان يخشى أن أكون مصنوعاً من الجبن الطرى . ثم ربت على كفتى وقال : « عفارم » كأنما كنت قد صنعت نفسى !

ولا أطيل ... بدأ التدريب بكل أنواعه حتى بأثقال الحديد ، وكنت لا أفهم لماذا كل هذا ، ولكن زكية كانت ورأتى تستحقنى وتشجعنى ، وكانت امرأة عمى قد سافرت الى مصر ، فصار فى وسع زكية أن تخرج معى أحياناً للتنزه على النيل وكانت سافرة لا تتحجب ، وكان قد عُرف أن عمى وكيل المديرية ، فالذين يرونها معى يعلمون أنها بنت عمى ، فلا بأس من خروجها معى . وانتقل التدريب من البيت - حيث بدأ - الى مخفر البوليس حيث الأدوات التى صرنا نحتاج اليها ولا سبيل الى نقلها ، مثل الموازييت « والحفصان » والمعلقة وما إلى ذلك ، واتقنت كل هذا فقد أحسست من نفسى إقبالاً عليه ورغبة فيه ، وسررت أن أذهب اللحم المترهل وأنه أكتنز وصار عضلاً قوياً . وكان معلمى يأبى كل جزاء أو مكافأة ، وكنت أعجب لهذا ولا أرتاح اليه ، فإن كون وكيل المديرية عمى لا يبيع لى أن استغل الرجل على هذا النحو ، فبر أنه كان يؤكد لى أنه يجد سروره ولذته فى تعليمى فكنت أسكت ولا أفهم . وأبى لى أن أعرف أن بنت عمى هى التى تدفعه ويجهز به ... ؟

وقال لى الرجل يوماً : « إنك يمكن أن تـ

ويغريهم بركوبه بالزاح والبعث ، ولا بأس بالألعاب الرياضية ولكن البأس كل البأس أن أصبح موضع استمراء . ولم يكن يسمنى أن أقدم إلى الناظر ممرباً عن رغبتى فى التطوع لمساعدة التلاميذ على شئ . لا أحسنه أنا أولاً ، ولا نجمائى ثانياً صالحاً له ثانياً . لهذا عدت إلى زكية وقلت لها إنى نوبت أن أغير ثيابى رسمياً أولاً ، وأن أندرب على هذه الألوان ثانياً ، فدهشت وقالت : « تغيرها ؟ أولست قد تغيرتها ؟ . أأنت تلبسها ؟ »

قلت : « الجواب نعم ولا ... ألبسها خارج للمدرسة وأنضوها فى المدرسة وأعود شيخاً »

قالت : « ولكن لماذا ؟ . ان هذا ... هذا ... لا مؤاخذه ... جين ... لا يلىق بك ... إنى أحب أن تكون شجاعاً »

فلم يسمنى إلا أن أكون كاتحب - شجاعاً ومن التريب أنى لم أجد أثراً لما كنت أخشاه فقد استشرت الناظر ، وكان رجلاً وقوراً جريئاً كريماً على نفسه وعلى رؤسائه ، فقال لى : « إنى أراك فى الخارج أفندياً ، واحسب ان التلاميذ يرونك أيضاً ، فلماذا لا تكون أفندياً دائماً ؟ . أما الوزارة فلا أرى أن لها شأنًا ، ثم إنك هنا فى بنها بعيد ، ومع ذلك من الذى يعرفك ؟ . على كل حال ضع القوم أمام الأمر الواقع »

ففعلت ، وبقي التدريب الرياضى ؛ فغفر لى ان أستعين بالمعلم الأسمى - كما تصفه زكية - ولكنى آثرت أن أستشيرها أولاً ، فنهتنى عن الاستماعة معلم المدرسة ، وقالت : « يجب أن تظهر لهم جميعاً أستاذاً كبيراً حتى فيما كان الظن أن تجهله »

فسألتها : « ولكن من إذن يعلمى ؟ »

قالت : « لا تحمل همًا ... سأبحث أنا إليك

وعلانا ، وترنانا ، من الرؤساء ، ومن رجال الادارة
ومن الأعيان وآباء التلاميذ الى غير ذلك . وأنا
مكب على عملي واثق أنه سيرفعني في الوزارة درجات
وقالت لي بنت عمي يوما : « لماذا لا تبشكر
شيئا ؟ علم التلاميذ الملاكمة . ألف فرقة منهم لها ..
تصور وقع هذه المفاجأة في الاحتفال السنوي .. »
قلت : « فكرة والله .. ولكن هل يوافق
الناظر ؟ لابد من موافقته كما تعلمين »
قالت : « أوه ... الناظر ... كلا قلت لك
شيئا تقول لي الناظر ؟ ... هل تتصور أن الناظر
يسوؤه أن تبيض وجهه ؟ .. كون الفرقة وفاجئته
هو أيضا بها .. »

ففعلت . وكنت في أول الأمر أستمير فقاظات
الملاكمة من ملعب البوليس ، ثم رأيت أن أذهب
بالفرقة التي انتقيت أفرادها من كبار التلاميذ الى
ملعب البوليس ، فلما دنا العام من ختامه كان بعض
أفراد الفرقة صالجا للعرض الى حد ما
وكننت أنا في خلال ذلك مواظبا على التدريب
لا أقطع عنه ولأقصر فيه ، فاتفق يوما أن أكني
صميدة على حنكي لكمة قوية على خلاف عادته ،
فألتفتي وأحسبت الدم يصمد إلى رأسي من فرط
الغضب والنفط ، وأهلت عليه غير عابى أو مترقب
وكننت أتوقع أن يثور في كاهن ثوبه ، ولكنه لم
أحس وقع اللكمات ابتمس ونأى عني وقال :
« يكني .. يكني .. الآن اطمان قلبى »
فوقفت وسألته : « ماذا تفنى ؟ »

قال : « لا شيء .. أردت أن أجربك . الآن
صرت ملاك . تستطيع أن تنازل من شئت »
فابتسمت مسرورا وإن كانت منازلة أحد من
الناس لم تجر لي في خاطر فاكنت أتملم من أجل

يكون منك ملاك عظيم »
فسألته : « ملاك ؟ »
قال : « نعم ... ليس أسهل من هذا ... لماذا
لا تتدرب على الملاكمة ؟ »
قلت : « ولكن لماذا .. ما الداعي ؟ »
« قال : لم لا ؟ ... »

فلم أر بأسا ... ولم لا - كما قال - وكننت
قد شغفت بالرياضة بعد أن أفتنتها وحذقتها وبرعت
فيها وصرت موضع إعجاب زكية ، ولكني قلت
للرجل : « اسمع يا صميدة (وكان هذا اسمه) إني
معلم ، ولا يليق لي أن أظهر للتلاميذ بأنف مبطل
أو شفة أو عين واردة سوداء ، فإذا كان لابد من
الملاكمة فلا تضربني بشدة »

فقال : « إن الخوف على منك لا عليك منى »
فسرني هذا وأقبلت على الملاكمة أتملمها
بسرعة ، وكان صميدة يقول لي إن ضربتي رجلاي :
أى أنى سريع الحركة خفيفها جدا ، وأن هذه الزربة
خليفة أن تفسد على أقوى الخصوم من أيام الأخرى .
فلما سمحت منه ذلك صار همى أن أحسن استقلال
هذه الزربة الى أقصى حد وأبعد مدى

وصرت ملاكا - كما شاء الرجل - وكننت
في أثناء ذلك قد تطوعت للمعاونة على تدريب
التلاميذ ، ثم صرت أنا الشكل في الشكل - كما
يقولون - ولم يبق لمعلم الألعاب إلا الخدعة ، فإ
كان يحسن شيئا في الحقيقة - أعنى شيئا يستحق
الذكر - وفرح الناظر بذلك ومدبصره الى آخر
العام الدراسي ، وراح يتصور الحفلة الرياضية التي
سيقيمها ويدعش بها رؤسائه في الوزارة . وكان
لا يفتك بجدني عيما ويطلب رأيي فيما يبنى أن
يكون فيها ، ويقول لي إنه يريد أن يدعو فلانا

البدنية . وكان الناظر ربما مازحني وقال : « والله فلتحت يا شيخ سيد » فأقول : « والله يا حضرة الناظر ما كان لي هذا على بال »
ولو استطعت لقلت له إن الفضل لبنت عمي زكية

وجاء يوم الحفلة بعد طول الاستعداد — أي الفناء — فقد كانت تلك الأيام أيام جهود متواصلة من الصباح إلى المساء ، وكان أشق ما فيها أن زكية وصميدة كانا يصهران على استمرار تدربي على الملاكمة كأنما كنت سأحترفها ، أو كأنما أصبحت حياتي رهنا بها وبمبلغ إلتفاني لها . وما أذكر الليالي التي عدت فيها إلى البيت وانظرت على الفراش ونمت إلى الصباح — بتياني — كالقتيل

وأقيمت الحفلة على ما رسمنا ورتبنا . وكان المدعوون حشداً كبيراً من الموظفين والأعيان والرؤساء في وزارة المعارف . وكان الناظر يادي السرور ظاهر الاحتياط ؛ ولكنني كنت أتوقع أن يكون استقبال المدعوين والتلاميذ للتلاميذ للملاكمين خيراً مما كان وأكرم ، فقد كان هذا جديداً في ألأب المدارس ، وكانت تلاميذي جذرين بالتشجيع والمطف ، لا بهذا الصمت العميق أثناء الملاكمة وذلك التصفيق الفاتر بعد انتهائها . ولم أرتح إلى هذا الفتور ، وشق على أن يكون هذا جزءا تلاميذي . ومن غيري يرف مباهج ما تجشموا واحتملوا وبذلوا من الجهد في سبيل الاستعداد لهذه الحفلة ؟ . ولا عجب إذا كان فتور المتفرجين قد أعدم ، فقد كانوا يحركون أذرعهم يبطء وفي استرخاء ، وكنت أحرضهم وأستجهم بالإشارة

ذلك بل من أجل ما أراي أفيد من اللذة والسرور ودنا الموعد القى تقام فيه الألعاب وكنت قد أعددت برنامجاً حافلاً ، فسألتي زكية :
« كيف نسيت الملاكمة ؟ »
قلت : « لم أنسها . سيتلاك أم أربعة من التلاميذ — كل اثنين ممّا »

قالت : « أنظن أن هذه ملاكمة ؟ هذا لعب »
قلت : « هل تريدن ملاكمة جدية بين هؤلاء الأطفال ؟ »
قالت : « سيفعلون كل ما يقدرون عليه ، واعتقد أنهم لن يقصروا ولكن هذا لا يكفي . . . يجب أن تكون هناك ملاكمة جدية بين رجلين »
فلم يسعني إلا أن أسألها وأنا أنضح : « ومن أين نجى بهما بالله ؟ »
قالت : « إذا كان هذا كل ما في الأمر من صعوبة فدعه لي »

فسألته كيف تنوى أن تدبر الأمر ؟ فقالت :
إن عمي يمكن أن يقترح على المدرسة أن تسمح بأن يضم إلى البرنامج فصل في الملاكمة بين اثنين من الجنود . فاعتزنت بأن هذه حفلة مدرسية لا علاقة لها بالبوليس وأن الناظر خليق أن يرفض ، فقالت :
« مالك أنت ؟ دع الأمر لي ولن تجسر شيئاً إذا أبي نظرك ، فإذا قبل فإن نجاح حفلتك يكون باهراً . ألا ترى أنني أريد لك الخير ؟ »

فشكرتها — أعنى قبلتها — ومضينا في الاستعداد . وكان الناظر لفرط اهتمامه بالحفلة قد أخلى من الدروس فانقطعت لتدريب التلاميذ وتنظيم الأمر . وكان يضعهني أحياناً أن شيئاً ممعاً مثل ينقلب في شهور بطلا من أبطال الرياضة

حل ... بالطبع يمكن ... »

وزيت الناظر على كفتي وقال : « برافو ، برافو !
والآن عجولوا »

وهم بالرجوع فاستوقفته وصحت به : « ولكن
يا حضرة الناظر هذا مستحيل ؟! كيف يمكن ؟! »
ولكن زكية قاطمتي وقالت : « بالطبع يمكن .
إن صميده يؤكد أن في وسك أن تأكله ... لأجل
خاطري ! ... لا تخيب أمل فيك ... قل إنك
تقبل »

وابتسمت لي . وكان الجندي الملاكم ينظر إلينا
وينتظر ، ويداه في خاصرته ، وعلى وجهه ابتسامة
زراية واستخفاف لا تطاق . وأعلن أن هذه الابتسامة
الثقيلة هي التي دفعتني إلى القبول والرضى لا الابتسامة
الحلوة الساحرة التي جادت على بها زكية ، فبرزت
رأسي أن نم وعيني على الجندي

وما أسرع ما خملت ثيابي وألقي على جسدي
صميده شيئاً كالبرنس ، فأنا كان لي وحي ، ولا كنت
أفكر إلا في الظهور أمام تلاميذي وأمام رؤسائي في
الوزارة ، ملاكاً ؛ ولم يكن ما بي خوفاً وإنما كان
خجلاً . وكان صميده يدفعني ويربت على كفتي .
ودخل الجندي مزهواً منتفخاً ودخلت وراءه

مطاعاً الرأس من فرط الاستحياء . وقال لنا الجمهور
مقابلة حارة . ثم نهضنا وتماخنا ، ولكن خصمي
زاد على ذلك أن لس دقتي بفقاذه وابتسم ، فبلا
الضحك ، فأحسست أن دى ينفل في عروقي من
الغضب ، وهل مما يحتمل أن يجعلني هذا الجلف
أضحكة وعرضة استهزاء ؟! .. واغتنتت فرصة
نسحت لي فلكنته بقوة — على أنه — ولم يكن
هذا ذنب فقد كان أنه كبير أيفرى بالكلمة ؛ وأحسب
أن الحكمة كانت عنيقة فقد دار وتطرح ، ثم أقبل

فلا يزيدون على الابتسام ، ثم يستأنفون بحرك أيديهم
كأنما هم يسبحون في الماء . فلما انتهوا صفت لهم
بشدة ، ولكن الفتور المام أخجلني ، فكففت فجأة
وهوت يداي إلى جانبي

وكانت الملاكمة الجديدة بين اثنين من رجال
البوليس هي الشهد التالي والأخير في البرنامج .
وأحسب أن انتظارها هو ميث هذا الفتور القبي
كان من نصيب التلاميذ ، فإ كانت ملاكمة هؤلاء
إلا لعباً . فطلت واقفاً في مكاني وراء منصة الملاكمة
أنتظر أن يجيء صميده بالتلاكين ويقدهما إلى
الجمهور ، فقد كان هو الحكم . فجاء صميده ولكن
وحده ، وليس كفتي بأطراف أصابعه فالتفت إليه ،
فدعاني أن أتبعه . وكان هناك ستار وراء النصبة
وغرفة لتغيير الملابس ، فقال لي وقد أصبحنا بمزل
عن الجمهور : « ما العمل ؟ » فبرزت رأسي مستهماً ،
فقال : « إن الجندي الثاني مريض فهو لا يستطيع
أن يحضر »

ودخل في هذه اللحظة الجندي الآخر وصدره
عار ، وعليه غابة من الشعر ، وقال بصوت عال
لا يخلو من السخربة والاعتداد بالنفس : « أين هذا
الهرباب يا صميده ؟ »

فلم أرتح إلى منظره البشع ، ولم يحسن وقع
لمحجته في نفسي ، فنظرت إليه كما ينظر الإنسان
إلى شيء قذر ؛ ثم حولت وجهي عنه فقد دخلت
في هذه الساعة زكية ووراءها الناظر
وقال صميده : « ما العمل ؟ »

وقالت زكية : « ألا يمكن أن تنازله يا سيد ؟ »
فبغت ووقف لساني في حلق ، وجف ربي ،
لا من الخوف بل من الدهشة .
وقال صميده : « والله فكرة ! ... أحسن

وانطلقت صيحة عظيمة من الجمهور — من الأعيان ومن التلاميذ جميعاً — ووقف السكّال وراحوا يصفقون بلا تفرق بأيديهم وأحسب أني أنا الوحيد الذي لم يكن مسروراً في تلك اللحظة

وجاءني ضابط المدرسة يدعوني إلى مقابلة وكيل الوزارة في غرفة الناظر، وكنت أتوقع شيئاً من هذا القبيل، فاجرى في وهمي قط أن الوزارة ترضى عن مدرس بلا كم جندباً في حفلة كبيرة عامة كهذه؛ ولكني لم أكد أبلغ الغرفة حتى استغربت أن أرى زكية داخلة أمامي ومعهامى، فسكنت نفسي قليلاً لأن هذا يشبه أن يكون اجتماعاً خاصاً لا مقابلة رسمية. ومرت في الغرفة ووقفت مطرقاً فوقف الوكيل ووقف مثله الباقون — مفتش انجلىزى وآخر مصرى والناظر وعمى — وقال الوكيل : « إني أهنتك ... لقد كنت بارعاً جداً »

وصاغني المفتش الانجلىزى بيده بقوة وخزارة وأنا على بلغة عربية عظيمة . ولم يكن شيء من هذا مما كنت أتوقع . وخطرت أن الفضل في حسن ما استقبلت به لاد أن يكون لناظرنا الجريء الحر، فتركهم جميعاً واندفعت إليه وصاحته شاكرًا فنأثر الرجل الكريم وقال :

« إني مسرور وآسف في الوقت نفسه . لقد جرّ على نجاحك أذى فقدتلك ... أو على الأصح سأفقدك »

وقال الوكيل : « لاشك أن فقد المدرسة له سيكون خسارة ، ولكن يمزك أنه سيكون بفضل تشجيعك أنفع في مكان آخر ... نعم لقد رأينا — أنا وجناب المفتش — أن ننتفع بك في الوزارة

على كالوحش المفترس ، فتذكرت ثناء صميده على سرهقي وخفة حركتي ، وذهبت أحاوره وأداوره بخفة وسرعة لم أعهدهما في نفسي من قبل ، وقد نفعتني ذلك فانتهي الشوط الأول من غير أن يصيبني أذى

وكنت أنتظر أن ألقى من المتفرجين تشجيعاً ، ولا سيما من تلاميذي ، ولكن الشوط الثاني بدأ والسكّال صامت ، وكان خصمى مفيطاً محققاً ، لا أدري لماذا ، فأنهال على كالصخرة ، ولكني كنت أسرع مما قدر ، فلم يبلغ مني شيئاً . ويظهر أن هذا زاده سخطاً وغيطاً ، فقد صاح بي بأعلى صوت : « ألا يمكن أن تقف في مكان ؟ .. إن المرء يحتاج الى موتوسيكل ليبلغ بك »

فانفجر المتفرجون ضاحكين . فلم يبق لي عقل فقد كان ضحكهم عليّ ولا شك . ووقفت وثبت له فأقبل يريد أن يلمكني ، فانحرفت قليلاً لأتقي الضربة فراح في الهواء ، وفي هذه اللحظة التي انحرفت فيها ، سمعت صوتاً يصيح : « عليه ! » عليه ! . اقله ! وكان وجهي بعد أن انحرفت قد صار الى الجمهور فلما رفعت رأسي رأيت — تحت عيني — عمى واقفاً يلوح بيديه في الهواء ويصيح : « عليه ! . عليه ! . اقله . »

ولا أدري إلى هذه الساعة أكان عمى يحضني أنا على القتل ، أم كان يحض خصمى على اللواء في ، ولكن الذي أدريه أن البقية الباقية من عقل طارت وذهبت مع الرياح الأربع . ودرت واستقبلت خصمى الذي دار مثلي بعد أن تطرح لما أخطأني ضربته ، ولكنته تحت ذقنه فازتمى على الأرض وانحنى صميده عليه وهو يمد ثم أقبل على يهنتي بالفوز الساحل

أنها لا يمكن أن ترضى عن زواج بنتها من « رجل شُغِّلَى » ولكن عمى كان قد أعلن الأمر ودعا الناس فلم تبق لها حيلة
 « شُغِّلَى » هذا كان وصفها — ولم يكن يخفف من سوء وقته في نفسى إلا قول زكية :
 « ولكنى أنا أحب أن تكون شُغِّلَى — أنا جملتك كذلك لأنى أحب هذا ... تعال يا حبيبي الشغلى ... قبلنى ... لا ... ليس هكذا ... بل كما يفعل الشغلى ... تماماً ... أوه كده »
 إبراهيم عبر القادر المازنى

الى كل كاتب عربى فى مصر وفى غير مصر :

المباريات القصصية للرواية

تشجيعاً للقصص العربى تفتتح (الرواية)
 مبارياتها السنوية فيه بهذه المباراة :

مباراة فى الأقصوصة

جائزتها خمسة عشر جنيهاً مصرياً
 يوزعها المحكون على الفائزين الأول والثانى

الشروط

- ١ — أن تكون الأقصوصة شرعية الموضوع
- ٢ — « « « بليغة الأسلوب
- ٣ — « « « نبيلة الغرض
- ٤ — ألا تزيد على عشر صفحات من (الرواية)
- ٥ — ألا تكون قد نشرت من قبل
- ٦ — ألا يتأخر موعد إرسالها إلى (الرواية)

عن آخر مايو سنة ١٩٣٧

لجنة التحكيم ستعلن عنها فيما بعد

وستتخذ التدابير اللازمة لنقلك وأرجو أن يكون هذا مما يسرك »

فلم أستطع أن أقول نعم . وكيف ألق بها مسروراً ؟ . ولم يسمنى إلا أن أنظر الى زكية وكانت تبتم ، فلم أفهم كيف تبتم وهى تعلم أنى سأنقل وأناى عنها ؟

وهنا قال عمى : « والآن ياسيد . يحسن أن تأخذ زكية وتراقفها الى البيت »
 فاستأذنت وتبتمها ومشيت معها مهموما مغموما فقالت لى فى بعض الطريق :

« مالك ؟ ألا يسرك ما حصل ؟ »

فقلت : « كيف يسرنى وهو فراق ؟ »

فسألتنى مستغربة : « فراق ؟ من قال هذا ؟ »
 ثم كأنما انتهت الى شىء ، فقالت : « ألم يخبرك أحد ؟ »

ونظرت الى . وأحسبها قرأت فى وجهي الجمل التام والدهشة والحيرة فقد قالت : « ولكن بالطبع لم يخبروك .. أوه يا مسكين .. ألا تعرف أن عمى قبل أن تزوج ؟ »

فصحت بها فى الطريق وقد وقفت : « إيه »
 فقالت : « ليس فى الشارع .. انتظر حتى نبلى البيت .. نعم قبل وأخبر وكيل الوزارة أيضا ودعاه الى الحضور .. حضور المقد .. فهل أنت مسرور ؟ »

وهنا يبنى أن أقول إن زكية عرفت — لا أدري كيف — أن عمى له ولوع باللاكة ، فاستقأت هذا ودرت الأمر كله — أغرتنى باللاكة وتآمرت مع صديدة مؤامرة انتهت — كما قلت — بمنزلاتى لهذا الجندى الغظ . ولم يسكر هذا الصفو كله إلا امرأة عمى فقد بقيت ساخطة ولم تكتمنى



يَوْمِيَا نَادِي الرِّيفِ الْإِرَافِيَّ

لِلأَسْتَاذِ تَوْفِيقِ الْحَكِيمِ

١٧ أكتوبر . . .

فكرت ملياً في أمر ذلك الخطاب . من ترى يكون مرسله المجهول ؟ الأسلوب ينم عن أن صاحبه أزهري فسد . هذه الآية القرآنية وهذا التوقيع لا يصدران إلا عن هذا الصنف الذي يستغل علمه القليل وجهل الناس المطبق في الريف فيعبد على تحرير البلاغات المأجورة وبذر الشقاق بين الأسر والأفراد . ولكن في هذا الخطاب على أي حال وقائع تستدعي التحقيق . ولو صح ما جاء فيه من أن زوجة قمر الدولة قتلت خنقاً لخرجنا من الأمر بجنائية تمخضت عن جنابة . لايهنا الآن البحث عن صاحب الخطاب بقدر ما بهنا التأكد من صحة الانهام . لا بد إذن من فتح المغبرة واستخراج جثة زوجة المصاب وعرضها على الطبيب الشرعي . وقد اتجه تفكيري كله هذا الاتجاه فلم أشغل ذهني بما ورد من ريم في هذا البلاغ وما يمكن أن يلحقها من شر . ذلك أن كل شيء مترتب على نتيجة فحص الجثة . وكنت قد بادرت فأخطرت الطبيب الشرعي بيرية ، وفقت بما يلزم من إجراءات لفتح القبرة ، فمينت عليها الحراس يسهرون الليل بجوارها حتى لا يبعث بها طاب . وأرسلت في طلب « اليعاد » وكنت قد انصلت تليفونيا بالمركز عقب قراءتي ذلك الخطاب

لأخطر المأمور ، فقيل لي إن المأمور ركب ومضى إلى اجتاع خطير معقود في المديرية برئاسة المدير وحضر إلى للفور الماون يقول :

— سمادتك اطلمت طبعا على جرائد المساء

— أبدأ

— في البلد أزمة وزارية

فأدركت في الحال سر اجتاع المديرية ، وعلمت أن رجال الادارة منذ الساعة لن يكون لهم عقل ولا فكر في غير تقسيم هوى الوزارة الجديدة ، حتى يمدوا أنفسهم للميل معها كما مالوا مع غيرها . وهذا الميل يبدو أكثر ما يبدو في التجهيم السريع للمعد والأعيان الموالين للوزارة الآفلة ، والابتسام البديع لأنصار الوزارة المقبلة . ولم أبدأ ملاحظة المماون ، فأنا رجل قضاء لا يبنني لي الكلام في السياسة ؛ ومهما تغيرت الوزارات والأحزاب فإن القانون هو القانون . والتفت إليه أخيراً وقلت في غهوه :
أظن حضرتك تقوم معنا بدل المأمور
— الظروف الحاضرة تمنعني من ترك المركز .

فارتبك الرجل قليلاً ثم قال :
— أنا غرضي ... راحة سعادتك من جهة ،
وعدم إحراج المركز في الظروف الحاضرة من جهة
أخرى ...
— طيب . طيب ...

وأسرعت فأقفلت باب الموضوع . فقد سمعت
تقراً على باب حجرتي ، وأبصرت من خلفه الطبيب
الشرعي بحقيته الصغيرة يستأذن في الدخول .
فنهضت في الحال وأجهت إليه وأدخلته مرحباً .
وطلبت له فنجاناً من القهوة . ثم نماذجنا الحديث
في الأحوال العامة . فأخبرني باختصار ماسبق أن
علمته من عيد القصور أفندي من أن الوزارة الجديدة
قد تسلمت قلماً مقاليد الأمر ، وأنها تسند العدة
لاتخابات جديدة . ولم نعلق على هذه الأخبار
بشيء . فكلانا يجهل ميول الآخر . وكلانا يخشى
أن يظهر رأيه الدفين . وبدلاً لوقتنا الكلام في
المعمل وفي القضية التي بين أيدينا ، وأخبرت الطبيب
بظروفها في عبارات سريعة . واستقر الرأي على
البادرة بالانتقال إلى المقبرة . فقمنا إلى السيارة
وانطلقنا ولم تقف حتى بلغنا مكاناً قصياً في الزارع
قد تجمعت فيه تحت ظل شجرتين أو ثلاث بضعة
مقابر من الطين والأجر قد عليها « شواهد » طويلة
سمراء كأنها رؤوس المغاريت فنزلنا . وهرع
لاستقبالنا الحراس . هبوا فجأة من مرافقهم لمرآنا
وخرجوا علينا ، بعضهم يهبط من أعلى « مرتبة »
قد وضعت فوق المقبرة كما يوضع المودج فوق النافذة ،
وبعضهم يثب من على حصير فرش بين يدي هذه
المقبرة كأنهم قرعة تثب من حجر أمها ، وسألت
عن حضرة ملاحظ النقطة فأشاروا إلى الطريق
الزراعي ، فربأت فقي في ملابسه العسكرية بقبل

لكبر ملاحظ النقطة موجود هناك في خدمة
سمادتك

فكرته . ينصرف إلى مركزه ، وأمرت بأعداد
السيارة ، وجلست أنتظر الطبيب الشرعي وقد أجاب
على برقيتنا بإشارة تليفونية أنه حاضر اليوم . ودخل
على عبد القصور أفندي وأشار يده إلى « النتيجة »
المعلقة بالحائط ، وذكرني بضرورة تفتيش سجن
المركز ؛ فالتفتة عليها أن تقوم بهذا التفتيش فجأة
مرتين في كل شهر على الأقل . فلم ألتفت إليه
وأمرته أن يذكرني فيما بعد ؛ فخشى خطوتين ثم
عاد وغمز بعينه :

— فيه إشاعة أن الوزارة الجديدة تألفت
وناوبة أن تجري انتخابات جديدة
— وماه ؟

— غرضي يعني ... قبل سجن المركز
ما يزدهم ...

فلم أنس بكلمة ، وتشاغلت بتقليب أوراق
القضية التي تقوم من أجلها ؛ ورأى رئيس القلم
الجنائي أني أن أجيب . فأنصرف متردداً متباطئاً .
وأدركت من هيئته أنه لم يأت من تلقاء نفسه ؛
فناديته فرجع ، فقلت له في ابتسامة التخاطب :

— كاتب ضبط المركز كلك في التليفون ؟
فأجاب للفور :

— طبعاً . ودفاتر السجن مسددة جاهزة ...
ومحضر التفتيش مكتوب . وكل شيء تمام ، ولا باق .
غير إنضاء سعادتك ... والمحكمة كلها قيمة ربع
ساعة وتكون انتهينا من مأمورية تفتيش السجن
فنظرت إليه شزراً :

— شيء جميل . تفتيش فجائي مضبوط
يا عبد القصور أفندي ... ؟

بجثة أخرى ما كاذ بفحصها الطبيب حتى وجدها هي كذلك جثة رجل . وهكذا ظل يمرض علينا الجثث التي وقفت عليها يده فاذا كلها لرجال . فصاح اللاحاد مغيطاً :

— أmaal النسوان راحت فهن يا رجالة ؟
فقال له الطبيب في هدوء :

حضرتك بالاختصار غلطت في القبرة
ثم نظر إلى القبرة التي بجوارها وقال له :
— افتح دى

فذهب اللاحاد بأدواته حيث أشار إليه الطبيب
بينما أنزل الحراس « متاعهم » من فوق القبرة
الأولى وهم يتهايمسون :

— بقى كنا را كين غلط !
وفتحت القبرة الثانية . وما كاد اللاحاد يزحف إليها ويختفي فيها حتى ظهر الملاحظ عائداً وخلفه امرأة تحنى وجهها بطرف طارحتها السوداء وترنح عقيرتها مولولة :

— يا لى كنت متورة الحارة !
فسد الملاحظ فيها في الحال منتهراً :

— اخرسى يا ولية !
واقترب الطبيب الشرعى من المرأة وحادثها فطم منها أنها كانت جارة للمتوفاة وأنها حفرت جهازها
— اسمى يا سقى . البيتة كفنوها قدامك ؟
فتنهبت المرأة وقالت :

— قدامى يا سيدى ، وبقيت بعيد عنك أطم وأرقع بالصوت

— المهم عندنا مش الظم ، كفنوها في كم « درج »

— في عين السدو ثلاثة « أدراج » : درج
مهرى ودرج كزمير ودرج جري أخضر ...

متبختراً على حصانه الأشهب . ولم تمض لحظة حتى بدأنا العمل ؛ فأمرنا اللاحاد بفتح القبرة فأعمل في الحال فأبسه ومموله في البناء الذى يخفى المدخل . وسألني الطبيب الشرعى عما إذا كنا استدعينا أحداً من أهل المتوفاة يستطيع أن يتعرف على الجثة وكفنها ؛ فأجبت أنه لا نعرف المتوفاة غير أخت قد هربت واختفت . فاقترح إيفاد الملاحظ إلى القبرة يحضر لنا امرأة من الجيران ممن حضروا غسلها أو دفنها . فقام الملاحظ للفقور لما انتدب له . وأمن اللاحاد في الدق والهدم حتى جرح صدر القبرة جرحاً بالغاً وقام عنها وهو يقول :

— الباب من غير مؤاخذه من ورا ...

وتناول أدواته وذهب إلى الناحية الأخرى وجعل يوسمها ضرباً وطرقاً . فصاح به الطبيب الشرعى :

— هل هي يا رجل مقبرة توت عنخ آمون ؟
تغلط في المدخل وأنت لحاد الناحية !
— أصله يا حضرة الدكتور مضى عليها زمن مقفولة

وضرب ضربتين افتتح تحتها المدخل . وزحف الرجل على يديه وقدميه إلى داخل القبرة وخرج يجذب شيئاً ملفوفاً في « قماش » لا لون له من القدم تكاد أطرافه تنفتت في أصابعه . ووضعه تحت أنظارنا وهو يقول :

— شوفوا هي دى « بلا قالية » الحرمة ؟
فكشف الطبيب الشرعى عن تلك المظالم النخرة ونظر فيها ثم قال لللاحاد :

— ارجع بها يا حمار . دى جثة رجل
— راجل ؟

واختفى اللاحاد بالجثة في قلب القبرة وعاد فظفر

التي لها في حياتنا البشرية كل الخطار لو زعنا عنها ذلك « الرمز » أبقى منها أمام أبصارنا الالهية غير المكثرة غير جسم مادي حجر أو عظم لا يساوي شيئاً ولا يعنى شيئاً . ما مصير البشرية وما قيمتها لو ذهب عنها « الرمز » ... « الرمز » هو في ذاته كائن لا وجود له . هو لا شيء ، وهو مع ذلك كل شيء في حياتنا الأدمية . هذا « اللاشيء » الذي نشيد عليه حياتنا هو كل ما نملك من سمو نخشع له ونتمتع على غيرنا من المخلوقات . هنا كل الفرق بين

الحيوانات العليا والحيوانات الدنيا

وقطع الطبيب سلسلة تفكيرى بمقص طابى في يده ذات القفاز الجليدى الشفاف يفحص به المظام قائلا :

— امرأة من غير شك

ومضى في عمله وهو يقول :

— الأضلاع سليمة ، والجذعية : الطامة

سليمة ، والعظم الالى ... وهنا نظرت اليه في اقتباه . فالمظم الالى في العنق هو الدليل الناطق على حدوث الجريمة . فان كسره معناه أن الخلق قد وقع . وإن كل ما يهمنى في الحقيقة من استخراج الجثة والكشف عنها هو فحص العظم الالى ، والتحقق من سلامته . ولم يهمنى الطبيب حتى أسأله وصاح وهو يربى هذا المظم بين أصابعه :

— مكسور

هذه الكلمة كانت كافية لتحديد موقفى من الأمر . ان ما جاء في البلاغ الجهول المصدر حقيقى إذن . وماذا أنتظر بعد ذلك . وصحت في الطبيب : — انتهينا . وعزمت على الدودة مسرعا للبدء في تدبير ما يبنى للوصول الى معرفة سر هذه القضية الجديدة ، فعنى من دون ريب مفتاح الأولى

وخرج اللحاد وقتئذ يجذب من داخل المقبرة جثة شخص الطبيب كدفنها وقد ذهب لونه بفعل الزمن إلا بقية انخسار خفيف في أطرافه ينم عن حقيقة لونه الفارب ، فأمر من الفور بحمل الجثة ووضعها على « لوحين » من الخشب نصباً سريماً على حياة مشرحة تحت ظلال شجرة من السنط ، وطلب إبعاد الحاضرين فرفع الملاحظ عصاه الخيزران الرقيقة في يده وفرق الناس صائحاً :

— بعيد . بعيد ...

وكشف الطبيب الكفن في احتياط . وما كاد ذلك الهيكل العظمى المدجج يظهر للعيان حتى سمعت خلفى همساً وهممة ، فاستدردت فأبصرت سائق السيارة مختفياً خلف جذع الشجرة شاحب الوجه بارز العينين يشاهد هذا المنظر ولا يملك نفسه : — لا حول ولا قوة إلا بالله ! إنا لله وإنا اليه راجعون !

ولحه الطبيب فأنهره وأمره بالابتعاد . وصحت أنا كذلك في الدائق صيحة انصرف بعدها الى سيارته وقبع فيها . غير أنى تأملت قليلاً أمر هذا السائق ... ما الذى روعه ؟ أهو منظر المظام في ذاتها ، أم فكرة الموت المثلة فيها ، أم المصير الذى قد رآه أمامه رأى العين ؟ ولماذا لم يمد منظر الجثث أو المظام يؤثر في مثلى وفى مثل الطبيب ، وحتى في مثل اللحاد أو الحراس هذا التأثير ؟ يخيل لى أن هذه الجثث والمظام قد فقدت لدينا ما فيها من رموز . فعنى لا تعدو في نظرنا قطع الأخشاب وعيدان الحطب وقوالب الطين والآجر . إنها أشياء تتداولها أبدنا في عملنا اليومى . لقد انفصل عنها ذلك « الرمز » الذى هو كل قوتها . نعم . وماذا يبقى من كل تلك الأشياء العظيمة المقدسة

وسألته عن الخبر فأجابني أنه قد صدر اليوم امر
برفض العمدة الحالي وتميين آخر مكانه من الأسرة
النافسة في القرية . ففهمنا كل شيء ، ومال على
الطبيب بقول ضاحك :

— يظهر أن تليفون الحكومة عند العمدة في
مقام الصولجان

— هذا صحيح فيما أرى ، انه مظهر السلطة والحكم
وأداة الاتصال بالحكومة ، وان خلمه من دارالعمدة
« المخلوع » إنما هو « رمز » لروال السلطة ، وأن
هذا العويل المرتفع من « دوار » العمدة القديم ،
وهذا البكاء الذي يشيع به التليفون الخارج من
بيته للدليل على فداحة المصيبة ؛ وهذه المصيبة ككل
مصيبة لها وجهها الآخر الباسم بطل على ناحية
أخرى ؛ وإن دار العمدة الجديد الذي يستقبل
التليفون الداخل عليه بالزغاريد والدفوف للابيل
أيضا على مبلغ السعادة والهناء . هنا « الرمز »
كذلك في شكل « تليفون » من الصاب والخطيب
وقد لعب دورا مهما على مسرح هذه القرية

الوادعة

وانطلقت بنا السيارة والطبيب صامت في
بعض الطريق . وأخيرا التفت إلى وقال :

— يظهر أن العمدة الجديد من محاسيب
الوزارة الجديدة

قلت له : إن هذه القرية ككل قرية اليوم في
مصر بها عائلتان قويتان أو أكثر تتنافس العمدة
وكل منهما ينتمي إلى حزب من الأحزاب التي
تتنازع الحكم . ولماذا تريد أن يكون الحال في القرية

غيره في الدولة ؟ وهل القرية إلا مصغر الدولة ؟

(يتبع) . توفيق الحكيم

وفرخ الطيب الشرعي من أمر الجثة وأعادها
للحادد أمانا الى مقرها وسد عليها كما كانت . وأنا
صامت في مكان أفكر فيمن يكون الخائف لهذه
المرأة . أهو زوجها المصاب ؟ وما الذي حمله على
ذلك ؟ وأختها ريم ما شأنها في الأمر ؟ أترأها تعلم
بهذه الجريمة ؟ وأين ريم الآن ؟ إن وجودها اليوم
في التحقيق ذو أهمية كبرى . ولكن كيف نمش
عليها ؟ إن الشيخ عصفور يعلم مقرها ، أو على الأقل
يستطيع أن يماوننا في البحث عنها . إذن فلنجعل
الشيخ عصفور مبدأ لخط السير الجديد . فلأفنته
أنا بوسائل مبدأ عن طرق الإدارة المتينة . إن
منه قد يؤخذ بالحيلة والهدوء . ترى لو أفهمته مثلا
أن في إمكانه أن أزوجهما منه ... وأعجبني الفكرة
وعزمت على تنفيذها . وركبنا السيارة عاشرين .
ومررنا في طريقنا بالقرية ، فإذا أصوات حزن وولولة
نساء ترتفع من « دوار » العمدة . قلت وأنا أتف
السائق بإشارة :

— العمدة مات ؟

وأطلقت من نافذة السيارة ، فإذا أنا أمام منظر
لم أفهمه أول الأمر . رأيت شيخ الخمر ووكيله
وبعض الخفرء يحملون شيئا في أيديهم ومن حولهم
جوع الرجال والنساء والصبيان يهللون ويكبرون
والنساء يزهردن كما يفعلن في الأفراح وفي أيديهن
الدفوف يضربن عليها . وتأملت جيدا ما يعملونه
وتأمل من الطبيب الشرعي دهشا فראينا آلة تليفون
حكومية من طراز تليفونات المراكز . فصاح الطبيب
في عجب :

— التليفون له زفة كأنها زفة عروسة

ومر بقربنا خفير نظائى فأشرت إليه فأقرب



دورثيا

للكتّابة الانجليزية ميسين جور

بقتل الأستاذ

كايل محمود جيب

— لن أستطيع أن أساعدك
— لكي تفعل لابد أن تحي الموت أو تهذب بي إليهم ... (لورد بيرون)

القصر ، فأصرني أن أسهر على صغيرته ، وأن أخصها
بالعناية ، وأن أرفق بها ... وبدأ على الفور حين
ترامى لي أنني أصبحت أما ، وهذه دورثيا ابنتي
وأختي في وقت مما . إنني أحبها ... أحبها وأعطف
عليها ، وأطرب حين أراها
في جمالها ورقتها وطفولتها
تتب هنا وهناك

وشاء أبي ألا نبرح
مقاطعة روكسلي في هذه
السن الباكورة ؛ غير أنه
استطاع بزياراته المتتالية أن
يرى عن كثب ما نحن فيه
من هتاءة وسرور ، ومن
تألف ووفاق . لقد اطمأن
إلى ما رأى فزادت ثقته بي
وسرّ ما أحبوا أختي دورثيا

من عطف وحنان ، فأقامني عليها حارساً أميناً دون
حريتنا المجوز مسر شيرلي التي بذرت في نفسي
غراس الكبرياء والنظرسة حين أدخلت في روعي
أنني الكبيرة ، وأبني التي سارث هذا الملك
الكبير من بعد ... ثم هي تهملني في خضوع ،
وتترضاني في ذلة



انحدرت من أصل انجليزي عريق في الجهد ،
ونشأت كما ينشأ أبناء الأشراف لا يسمون إلا
كلمات اللدج وعبارات التلق في فشبّت مي
كبريائي ، وراحت تملن عن نفسها في حركاتي ،

وفي رفات صوقي ، وفي
نظراتي ، وفي ... غير أن
كل هذا قد استحال في
نفسى إلى نوع من اليأس
والقنوط منذ هبطنا هذه
البقعة الخالية النائية ، ومنذ
بدت الحياة في عيني جدباء
مقفرة

وماتت أمي عن طفلة في
العاشرة ، وعن أختي دورثيا
في الثالثة ، وهي ما تزال تبسم
للحياة في سذاجة ورقة ...

وماتت لسكون بين يدي أبي اللورد هيربرت أوف
روكسلي ... لقد كان شقيقاً رحباً غير أنه ما كان
ليستقر إلى جانبنا ليرمانا ويتولى أمرنا ؛ فهو سياسي
ضليع ، وقف إلى جانب الملك جيمس الثاني ودافع
عن مبادئه ؛ وهو يدقوة فتاة في البلاط ... وأراد
أبي أن يتطلق إلى حياته في اللديفة وإلى عمله في

لست أذكر كيف تعرفت إلى السير وطوت ورسلى ولامتى ... لقد جذبني إليه ما رأيت فيه من وداعة وهدهوء ، وما سمعت من حديثه وقد تنبأ من كلمات التصنع والخطب . لقد علقتة وأطأنت إليه ، غير أنه ما لبث أن غادر القصر ليكون مدر أملك الملكة . وحين انطلق إلى عمله بواعدنا على أن نتلاقى في حفلات القصر وهي كثيرة . لقد نأى .. نأى وألستة التناء والملاح ما تبرح تلقى في أذنى طنيناً لا يكاد يبالغ شفاف قلبى ، ولا يستطيع أن يحوله عن هذا الرجل . وتكاد تنسى أول عقبية في حياتي حين بدالى أنني قد علقت بهذا الرجل ولا أدري ماذا يحمل لى قلبه ؛ وأنا فتاة لا أستسلم لمن يطمع فى أن يلبسنى ، ولكن أملى حين غالى . وورحت أنشر شياكى فى خفاء وتستر خشية أن تشعر هذه القلوب التى طمعتها بالكبرياء وآلتها بالثأبى ، وأنا أراها تنقصصنى فى غير ملل ولا فتور لتجد ثغرة تنفذ منها إلى ما يسوءنى ، وكفة اللورد لوفيل تستعثنى إلى أمر ...

لقد كانت رنات صوت السير ورسلى موسيقية شجية جذابة تركت فى نفسى أثراً لا يمحو . والحق أن قلبي قد خفق له صررات وصرات ، وأحسست كأن حنى له يتدفق فى قلبى عاصفاً قويا ، ولكنه هو .. ماذا رأى فى ؟

وأخذ الشك يضطرم فى قلبى ... قلبى المتلهف للشتاق ، والأمل الحلو يخفف بعض ما أقامسى . لم يقل لى مرة إنه يحببى ، ولكنه كان لا يطمئن إلى سوى ، ولا يرافق غيرى ، ولا يرقص إلا معى ؛ وفى ليالى الصيف الصافية يطلب هو إلى أن ننطلق مما إلى شاطئ نهر التاميز لنفر من جلبة القصر وضوضائه ، فأسير الهوينى إلى جانبه فى هدأة الليل

وكانت دورثيا - بادية ذى بدء - حبيابة ضعيفة ضاوية ، تتكلم فى هدوء وتضطرب فى سيرها ؛ ثم هى لا تستطيع أن تكفكف عبراتها المتدفقة إذا هى أحست الشدة أو لست القسوة ؛ غير أن ابتسامتها البذبة ما كانت لتفارق ثغرها الحلو ؛ وحين تداعب النسبات الرفيقة شمرها الذهبى البدر ، يتألق من بين ثنياه وجهه وضاح كأنه طلعة البدر فى الليلة الصافية ، ويكشف عن عيني جذابتين تنبث منهما أشعة آسرة . حقاً ، لقد كانت دورثيا جميلة فائقة جذابة كأنها حوراء

وأرادنى أبى - وأنا فى الثامنة عشرة - على أن أبدو بين فتيات البلاط على رغم ما كان فيه من اضطراب وتقلقل ؛ فجذبني من وحدى فى روكلى إلى هوابت هول المانجة الساطعة المتألقة . لم تنزل قدماى ، ولم يسيطر على الخور والضعف لسا رأيت فى القصر ، فلقد كان فى قلبى من الثرور ما خيل إلى أننى فتاة القصر جملاً وجاذبية ورقة حديث ...

والثفت حولى جماعة يتقربون إلى وينثرون على مسمى عبارات المدح والاطراء ، وكانهم رأوا فى ما رأيت فى نفسى من قبل ؛ غير أننى كنت أستقل ظلمهم وأحدهم بنظرات فيها الازدراء والاحتقار وأنعم عليهم فى جفاء ... وجعلت ترفنى أنا - أنا الآنسة ميراندا هيرت - إلى أعلى فأصبح حديث المجالس ، ومادة الصحف ، ومنية القلوب ، وبهجة القصر ، وقذى فى عيون النساء ؛ وصرت محبوبدة يسجد عند قدسى الحب القذى أفضنه وأمقته وأتوى عليه ؛ حتى أن اللورد (لوفيل) قال لى فى غضب وقد دفعته عنى فى جفاء وغلظة : « ميراندا ، إن هذا الاحتقار الذى تشربته الآن هنا وهناك سيبتقم منك بعد حين ! » فابتسمت ابتسامة السخرية لما سمعت

وشخصه الجليل ما يرج يضطرب في خيالي .
إنني أحبه ... لقد امتهنتُ نفسي حين
أحببت من لا يحبني ... امتهنت نفسي ، غير أنني
ما أزال أحبه

أين من أستطيع أن أفض أمامه أغلاق قاي ؟
إن مريتنا يجوز ثنائة لا تكتم سرّاً ؛ ودورثيا
ما تزال طفلة لا تفهم نجوى ، وأنا لا أريد أن
أجعل لها في طفولتها مشقة بذكر الحب ...

وتصرمت أعوام وأعوام وأني ما يزال في مفاه ،
وأنا أجهد نفسي في المحافظة على ماله ، وفي السهر
على أختي دورثيا ؛ وشبابي يذوي رويدا رويدا ،
وجالي يحبو قليلاً قليلاً ؛ وأنا في شغل عن ذلك بما
في قلبي من حب للسير وورسلي ، وبما آخذ به نفسي
من عادات وطبائع رضيها هو واطمأن إليها

ولبثنا زماناً في روكللي لا نرحمها ؛ غير أن أحد
أقارب أي هيا لنا فرصة ، فاستطعت أن أراقبه أنا
وأختي إلى لندن ، ثم راح هو يصحبها إلى هناك
الفينة بعد الفينة ، لأعيش وحدي زمناً أحدث
نفسى حديث الأمل في الرجل الذي أحببت

وبينا أنا أجلس إلى نفسي في ليلة من ليالي
الربيع ، رأيت رجلاً غريباً يذلف إلى الحديقة ،
فنظرت ... فنظرت فإذا ورسلي ... ورسلي نفسه
إلى جانبي ، فراح قلبي يديق دقات عنيفة كأنه يريد
أن يوقظ ما نام فيه . لقد جاء ... جاء وفي يده
خطاب من أبي إلى مسز شيرلي يقول فيه « وأرجو
أن ينال السير وورسلي كل ما يصبو إليه من العناية
والاحترام بينكم لأنه ليس ضيق لحسب ، بل هو
سيمصبح — بعد حين — زوج إحدى ابنتي .. »
ما أسعدني ، ما أسعدني ! هذا خطاب أبي ، وهذا

وسكوته ، أنصت إلى حديثه المذب وكلماته تنطق
عن بعض ما يستشعر من لغة وسعادة

وشذات أبي أمور القصر فما استطاع أن يفتح
عينيه على ما ينتازعني من هوى ، فهو ما يفتا يحدث
السير وورسلي عن دوائس يحيكها جماعة البروتستنت
لتنصف بالملك جيمس ، أو عن بعض ما تنتره
الملك حوالها من مقت وكرامية . أما أنا فقد
سيطرت على الماطفة فسلبتني مما يدور حولى ،
وعزب عني أنني سأكون نحبة حين يهب الأعصار
فيف كل أتباع الملك وأحبابه

وتردد أبي حيناً في أن يتبع شيدته إلى مفاه ،
ثم انطلق على أثره ، وكنشيطرويا مرححة حين
خيل إلى أنني سأرافق أبي والسير وورسلي إلى
سانت جرمان ، ولكن أبي أرادني على أن اردن
إلى روكللي لأقوم على ابنته دورثيا

رجعت لأرى دورثيا ما تزال في ثياب الطفولة
ومرحها . ولأستشعر في نفسى شيئاً غير الذى كان
فقلبي يخفق ، وخواطرى تضطرب ، وأنا كأنا عصا
ساحر لستى لتترك في أحسن ما في المرأة وتزع
عنى بعض ما كان من كبريائى وغطرستى ، وتحيل
نظراتى وكلماتى وحرركاتى إلى أشياء أخرى منها الرقة
والظرف . يا حبذا ! لقد أحببت ... أحببت بقلب
فيه التواضع والانسانية والشك في وقت مما !

ليته نشر على عيني بعض ما في قلبه إن خيراً
وإن شراً ، فأعيش بالأمل الحلو أو باليأس القاتل !
ليته تزع عني الاضطراب والقلق بكلمات لا لأنه
لا يحبني ، وإنما كان يحبوني الصداقة والعطف
لحسب ! سينسأني أو لعله نسيني ، فهذه الأيام تمر
ولم أظفر منه بخطاب يحدثني حديث قلبه . ها هي
ذى الأيام تمر وصوته المذب ما يزال يرن في مسمعي

ووجدت عذراً ، فانطلقت الى خجرتي ... الى مرآتي ، وقلبي يتنزي حقدًا وألمًا ، وبلى ، وبلى ! هذه أول مرة أرى فيها حقيقة أمرى ! لقد رأيت ، والاضطراب يكاد يعصف بي ، والهم يوشك أن يفتك بقلبي ؛ رأيت أن الأيام والأسي قد مسحوا كثيرًا من جمالي وجاذبيتي ؛ وارتد تاريخي يحمل في أضافه عبرات وعبرات سكبتها في سبيله هو ... أيام كنا مفترقين ، ورأيت شفتي وقد نزع عنهما طول انتظارهما للشفتين الآخرين ما كان عليهما من رونق ومن حمرة . وتبلبلت ، وبممت صوتًا كأنه منبث من أعماق النيب يقول : « سيطلبك يا ميراندا ... إنه سيطلبك ! » ولكن كيف ... ؟ وأنا لا أستطيع أن أتردد أيام الشباب وبهجة الجلال ! ليت ... ليت الأيام التي سلبتني ما سلبت من جمال تسليني من حياتي فأستريح ... لقد كادت الأفكار المضطربة تقتلني ، غير أن ورسلي ودورثيا انتزعاني مما كنت فيه

وبدا لي أن ورسلي راح يباعد بينه وبين ليصل بينه وبين التي أحب ، فلفت الفتور في حديثه ، وفي نظرائه ، وفي ... ورأيت أملًا ذهبي يتلألأ في رويدًا رويدًا ؛ فهو يحدسها في رقة وشفق ؛ وهو ينظر إليها في تفتت وانكسار . وترأى إلى أن دورثيا تبادلها حبًا بحب وغرامًا بغرام ، فأحسست الصغعة القاضية تقضض عظامي ، ثم لا ترسلني إلا واهنة يائسة . وما كان لي أن أحذرهما ، أو أن أتهمهما بالخيانة . وكيف ... كيف أقبل وهي توفن بأنه حبيبها وأنا لم أكتشف لها عما يضطرب في قلبي لا ، لا ... لن أقبل . سألقى بنفسي في قرار الخيبة واليأس ، وأدفن في قلمي أملًا كان ثم انطوى ليسندًا

خطبي وحبيبي الى جانبي ! أى سادة ! وأى هتاة ! لقد عمت هذه الساعة الجليلة سيئات الماضي ، ومسحت سنوات كثيرة انصب على فيها اليأس والألم انصبًا

ورأى السير ورسلي ما رسمته الأيام على صفحة وجهي ، فراحه ما رأى ، وخيل إلى أنه يلحظني بشيء من المطف والشفقة والأسف حين بدا له أنه هو سر هذا التغيير . لقد نزع عنى أفكارى المضطربة ، وخواطرى المتضاربة رويدًا رويدًا ، وكنت أجلس اليه في كن في حدائق روكللي أستمتع الى حديثه عن النفي و . . . ويستمتع هو الى حديثي عن عملي في روكللي ، وعن رأيي في تنشئة أختي دورثيا تنشئة طيبة ، ثم عن رغبتى للوحة في رؤية ابى ، وهو يعرف انه سيمود قريبًا

وجلست إليه مرة في الردهة ، وقد نشر الليل علينا سحجه ، وأرسل الصيف نسائم الرقيقة تبعث في نفسينا النشاط واللذة ؛ جلست إليه يحدثنى وأحدثه ، وأبسم له ويسم لي ، وبين يدي عود رحت أداعبه فتنبث منه أنات قلبي الماشق وسيطرت علينا النشوة فا جذبنا منها إلا دورثيا حين اندفعت إلينا - وقد هزها الطرب - وهي ترسل صوتها الشجي بأغنية كنت قد علمتها إياها وقد تجلت مفاتها واضحة خلاصة أسرة ... وبدأت على وجه ورسلي سمات الدهشة والسرور ، وطربت - بأدى الأمر - لما رأيت ؛ ثم رأيته وقد تعلق بها بصره فما يطرف ولا يتحول ، وفي نظره أثر الهوى والرغبة ، وترأى لي كأن هوة سحيقة تنفجر تحت قدمي ؛ وبدا لي مستقبل مسطورًا بحروف من نار

يا الشقاوق ؟ وبالنسبة ! لقد أصبحت إلى نداء
شيطاني فتعطلت إنسانيتي ، وبلفت للمدى في
القسوة والفظاعة حين أوقفت يديها وقيدت رجلها
ووقفت بازائها أحدها بنظرات فيها التشفى
والانتقام . . . ولكن صوتاً أجش فيه القسوة
والغضب ناداني من خلفي . إنه هو ... هو صوت
أبي ؟ والتفت مذعورة ، فإذا هو ... هو أبي على
قيد خطوة مني

لقد غاظها ما رأى قهدهم على بكاءات للذاعة
مريرة ، وهو يقول : ماذا ، لماذا ؟ وبدت عليه
الشفقة فتناثرت عبراته وهو يستل خنجره ليقطع
الحبل ، وأختي المسكينة تضطرب وتجهش .
وبدأت - بصد إذ فقدت حنان أبي وعطفه -
أنني أصبحت وحيدة لا أحد من يشفق على ،
فيئست مرة أخرى . وراح الشيطان يرفه عني ،
وينفث في لساني عبارات فيها الشر والدم . . .
وأرسلها على لساني وأنا هادئة كأنني لأفضل أمراً
إذا فقلت :

« لقد لبست دورثيا ثياب المار والحق حين
انطلقت تبادل ورسلي غراماً دينياً وخباً فاحشاً ! »
لقد قال أبي لا سمح ... فأركانه السبع يهاك
القرم وعلى خطوتين منه فريسته ، وغلى في دمه
شرف أجيال عدة لم يلم ولم يدنس ، وفي يده خنجره
بضطرب ... لقد قذف به ... قذف بالخنجر في
قلب أختي ... أختي دورثيا البريئة ! وتفجر الدم
من قلبها الطاهر ومن كل نقطة منه تتصاعد اللعنات
فلا تنصب إلا على رأسي

ويلي ، ويلي ! لقد جئتي ، ولكن ماذا
أفدت ؟ ماذا أفدت ؟
لأم محمد حبيب

مما ... ولكن كيف ؟ لا أستطيع أن أفعل ...
وتنازعني عوامل جديدة وسوس بها الشيطان ليدفع
قلبي - وقد استقر فيه الألم والألمى - يدفعه
ليصنع بادرة مروعة ...

واستطاع ورسلي أن يرى ما يصطارع في نفس
فطار من روكل ... طار في سائر وضعة ،
لأستشعر للرح الخبية وصرارة اليأس . لقد كنت
أستطيع أن أخذ نفسي بالصبر ، وأن أرغمها على
النسيان لو أنه ظل إلى جانب دورثيا رعاها ويحفظها ،
غير أنه ألقى بها إلى ليعطيني فرصة الانتقام ... طار
وما ظننت أنه انطلق لينثر قلبه على عيني أبي
بعد إذ حدثها حديث الزواج ، وما كان حديثه
عيباً . لقد قصت على قصتها في سذاجة وصرخة
وسلامة قلب ، ثم قالت إنه حبيبها ورجلها وخطيبها ،
يا لله ! لقد كانت قصتها كية على قلبي أفزعته لتبذر
فيه روح الشر والحسد

وجاءت إليها مكوك الهوى من خطابات وصور
وهذايا ... جاءت لتنفث في الحقد فيحور ألكا
وحسرة . لقد انطبع في ذهني كل ما قرأت وما
رأيت ... انطبع في ذهني ليتسمر في قلبي وأمام
عيني شباهي الضائع وجمال الداوي ، فشاغ الغلام
في نفسي ورائت على نفسي عوامل لا أدري ما هي ،
غير أنني لمست الشر في أضغافها ، فرحت أدعو الله
أن ينقذني ... وشاء القدر أن أغتمر في هذه الحماة
فتأثرت في نزوات البشرية الشريرة ، فانطلقت إلى
أختي أقسو عليها ، وأغلظ لها في القول ، وأضربها
لغير ما سبب ، وأحبسها في حجرة مظلمة وهي
ما اقترفت ذنباً ؟ وأمعنت في إبدائها لأشهرها
بعض ما أقامني في سبيله ... في سبيله هو



ربة الأمر وتمذيب الجنود
أما الأسيرة فقد تضعض جلاها حين سبقت
إلى المحاكمة ، وكانت تسلم أنها محاكمة صورية
سيمعها حبا الحكم بالاعدام . . .

وجيء بها في أمهالها نصف عارية ، وأخذت
تنظر في شيء من الحيرة والذهول الى المقاعد
الويرة المنثورة هنا وهناك ؛ ولفحها دفء الموقد ،
فاندفع الدم حارا في جسد لها فبدت عذراء الصين في
نوبها البالي كدمية لأمر فنان

كان الجنرال شو كسل ياباني بقدر ووطنه
ويسعد امبراطوره ، ولذلك كبح جماح عاطفته لما اهتز
كيانه لرأى الفتاة وحول نظره عنها ، فرجع به
النظر كأن جبالها لا ينتهي فما ينتهي الإعجاب بها .
وسألها في خشونة عن علة وجودها في ساحة القتال
وتكلمت تسمى نانا فكانت كلانها الموسيقية
تستقر في قلبه ، قالت إنها كانت الى جانب شقيق
لها تخفف عنه وبيلات الحرب . . .

وطفت على رأس الجنرال شنج شو أنسى قواد
اليابان وأصلهم هوذا زوبعة نفسية هائلة ، وعجب
لنفسه إذ وقفت فيه فتاة الصين عاطفة الحب الذي

الدافع تصم الآذان في جنوب منشوريا ،
وجنود اليابان تكسح الأراضي الصينية بقيادة
الجنرال الشاب شنج شو ، وزحف الظلام وهذا
الليل إلا من أسوات بضعة مدافع كانت ترسل
فذاقتها بين الحين والحين . وأوى الجنرال شو إلى
مخدعه يستقر إغفاءة الفجر ، وفي الصباح دخل
إليه مستشاره الملازم تسنغ ، قال :

— كثر عدد الأسرى الصينيين بإسبدي
الجنرال ، وقتل المؤن فأضحي حلم يفتت الأكداد
وتحرك الجنرال الشاب في مقدمه قليلا ونظر
إلى نافذة تطل على الميدان وارتسمت على وجهه
علامات الاشفاق لما رأى فعل العرى والجوع
بأسراء ، وأخذت أصابعه تمسث في شارب الصغير
بحركة آلية ، وقال بهدوء :

— اقتلهم جميعا رميا بالرصاص
— نسيت أن أقول إن بينهم فتاة وجدت
بالخنادق الصينية أمس عند استيلائنا عليها ، وكانت
فائدة الوعى من شظية قنبلة أصابت ساقها
— أجاوسة هي ؟

— أظن ذلك
ووقف الأسرى رجزون بالوت ينتشلهم من

ومرت أيام كان كلا جن الليل جلس إليها ساعة
يحدثها في كل شيء إلا غرامه

ما كانت نانا تشر بليل للجنرال ...
وإذ أحست بالقلق ذات ليلة لفيا به عيبت
لنفسها من أمرها ومرت ساعات وهي ترقب وقع
أقدامه وسهدت حتى مضى أكثر الليل ونجحت
نظراته الطافحة حيا وعطفه الجليل ، فأحست بقلبها
اثاث يلف بخياله ويمتد بوليه ...

ومضى النهار أقبح من ليل داج مخيف
وأغارت أسراب الطيارات السينية على القلعة
تحاول نسفها

وجزعت نانا إذ تموت قبلما ترى الرجل الذي
توهجت لقاؤه ، وتساقت القنابل على القلعة كالطرر
التمر حتى إذا انتهت الفارة دخل عليها ضابطان
من سلاح الطيران الياباني وخرجا بها إلى طائرة في
سفع الجبل وفي دقائق كانت الطائرة تنهب بهم الجو
إلى الميدان الشمالي لتدلي نانا بشهادتها في قضية اتهام
الجنرال شنح شو بالخيانة النظامي

ودخلت نانا إلى المكان الذي يحاكم فيه الجنرال
وتقطعت أوصالها سارات نموله وشجوه والنفقة
عينها ، قرأت صدره يملو ويهبط . ها هي عينا
تبسمان لها

من لها بكلمة عطف يلفظها فه ليرتوى بها
قلبها الظالم ؟

وقطع عليها خيالها دخول أعضاء المجلس
المسكري ونظرت الى رئيسه الأشيب وقد بدت
في قلمات وجهه دلائل الغلظة والهدوء
وطلب الرئيس من الجنرال أن يقسم بشرفه
المسكري ليقول الحق فأقسم

لم يشعر به من قبل وعينا حاول أن يستجمع
شئات حواسه ، وراحه بريق عينيها الجليتين رقبان
ما ستفرج عنه شتاء

كان يرى في إعدامها فتاة ، وفي الابقاء عليها
خيانة لوطنه وأميراطوره
وكان يابانيا ... فأنكر عاطفته ونطق بالاعدام

وسيقت نسي نانا إلى قبو قلعة مجاورة في انتظار
تنفيذ الحكم

ودخل الجنرال الشاب حجيرة معطم القلب
مزمق الأحشاء وما انتصف الليل حتى شعر بشوق
إليها كالجنون ..

ولم يميا بدعشة جنوده وحراسها لما قام يدفعه
قلبه إلى قاتنته

وذعرت الفتاة لمرآه ولكن روحه قفزت إلى
عينيها تنطقان بقرامه الماصف فاطمأنت إليه ...

ونظر إلى قاتنته المزينة تعبت السكابة بنضرة
شبابها وإلى جفنها الرطب كأنما علق به أثر من دم
ووقف أمامها وقد تضاد الوجود في نظره
فأصبحت هي كل شيء فيه . واستقر بريق عينيها
في أحماق قلبه نارا مجلس إلى جانبها يحترق ...

قالت :

— أنتنفيذ الحكم جئت ؟

— أجلته أياما

— إذا تريد تنفيذي ؟

وعز عليه وهو القائد الظافر أن يمتد يدها
بهيئته ، وقتك أنوثها برجولته ، فقال :

— ذلك ما تستدعيه الظروف

وخشى غدر عاطفته أن تضطره إلى الاعتراف
بقام يقتل ساقه اقتلاما

قال الرئيس :

— ترى إلى القيادة العليا نبأ حكمك بالاعدام على الجاسوسة الصينية تسي نانا ... أفلت ؟

— نعم

— فإذا ما جن الليل ذهبت إليها ؟

— نعم

وأجلت تنفيذ الحكم باعدامها ؟

— نعم

— أذلك لأنها شفتك حباً ؟

وهنا اختلج قلب الجنرال ونظر إلى نانا فإذا

بوجهها أبيض كالثلج وعم :

— نعم أحببتها

أحببتها ... !!

وحلت هذه الكلمة سعادة الدنيا ودخلت

إلى صدر نانا ، ونظرت إلى رجلها يترق بجها

فأشرق وجهها وابتمت له

وتداول الرئيس مع الأعضاء في صوت خافت

وانتصب في مجلسه ونطق بالحكم

وتلقى الجنرال حكم إعدامه مع نانا بهدوء بال

ورباطة جاش ... وتأهت نانا وسكنت كأنما على

رأسها الطير

استولى الجنود اليابانيون على منشوريا فأمر

الامبراطور بتسريح الأسرى والعفو الشامل عن

جميع المحكوم عليهم ، وأسرع أحد الفرسان إلى

الميدان برسالة الامبراطور لينقذ حياة الجنرال ونانا

والطريق طويل صخري ، والفارس يهيب

الأرض بجواده وقد بقى على موعد إعدامها نصف

ساعة . ومضت عشرون دقيقة كان قد نال الجواد

الاهياء ، فيئس الفارس من إمكان الوصول ، ولكن

الأمل عاوده فاستحث الجواد

ها قد لاحظت له خيام المسكر كنعط يضاء

تحت الأفق . ولم يبق سوى خمس دقائق ...

وروقت نانا تنظر إلى فوهات عشر بنادق

تصوب إلى صدر حبيها . فأظلمت في عينها الدنيا

وشمرت بقلها بنصع ...

ودوى الرصاص فسقط الجنرال وسقطت معه

شعاب قلبها ...

وصوبت إليها الفوهات بدورها ونادى رئيس

القوة :

واحد

اثنان

وإذا بالفارس يصرخ ويسقط من على ظهر

جواده اللاهث أمام الرئيس ويده الرسالة ، فتناولها

منه ونظر إليها وإلى جثة الجنرال ، فازدحت في

عينه الدموع ودفع الرسالة إلى نانا

وهوت نانا على جثة رجلها تشبعها ألماً وتقبيلاً

فأبسدها عنها الجنود برفق فنظرت نانا إلى السماء

وقالت :

— رب لم سكنت على بالحياة ؟

محمد محمد مصطفى

أمين بولك الضباط بمدرسة البوليس

رفائيل

لشاعر الحب والجمال لاسرئين

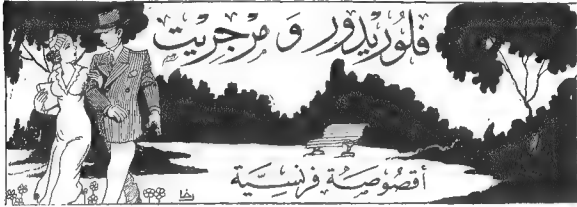
مترجمة بقلم

أحمد حسن الزيات

تطلب من لجنة التأليف والترجمة والنشر

ومن إدارة « الرسالة »

العدد ١٢ قرشا



الحقيرة حيث تطرح على سريه أكملًا زيارة طيف
الحبيبة في منامه

وعاد الفتى في الساء التالي الى مكان الالتقي ، وبات
ينتظر موافاة الحبيبة فأخفقت آماله ، وعاود السكره
صرارًا فما رأى في جنة غرامه غير أزهارها ، وما
نشق غير عبيرها . ومرت الليالي فتيقن الماشق أن
سره قد اختضع ، وتأكّد أن الحبيبة قد غادرت الدبر
وعبثًا قتش عنها فما عثر لها على أثر

— ٢ —

ومرت على الماشق أيام ساعاتها أعوام ، وهو
يشغل نفسه بالتمثيل على السارح وفي قلبه غصص
من تذكارات الفتاة المجهولة

وفي ذات ليلة كان فلوريدور يقوم بتمثيل دور
مؤثر فحانت منه التفاته الى مقاعد الطبقة العاليه ،
فرأى حبيبته شاخصة اليه وقد ارتسم الحزن العميق
على ملامحها وتساقطت من عينيها الدموع . وقف
الممثل مشدوهاً الى أنبأ به صوت الملقن الذي
حسب أنه نسي دوره ، فساد الى التمثيل بلهجة
ملأها الحب روعة وهو يتبع على ملامح من بهوى
تأثير إلقاءه وإيمانه . وما انتهي من التمثيل حتى
هرع الى غرفته مفيرًا أبوابه واندفع الى مدخل
السرحة لعله يرى خالته ليه . فلم يوفق الى لقائها ؛
وتكررت هذه الحادثة والمثل يحاول عبثًا مقابلة

— أحبك حبًا ملأ جوانب نفسي وملاك على
مشاعري

— لقد وهبتك قلبي عربونًا لحب لا انتهاء له
— أحق ما تقولين ، أم هذا صدى غرامي
تردده الأوهام ؟

— يشهد هذا البدر النير ، وهذا الزوض
النضير ، ويشهد مبدعهما أنني لا أحب سواك ،
ولا أقف حياني إلا عليك

وسمع من بعد وقع أقدام قذعر الماشقان
وتواعدا إلى الندى ؛ وتسلى الشاب جدران الحديقة
العاليه وتواري مبتعدًا في الشارع وهو يناجي نفسه
فأنكر : من تكون يا ترى هذه الفتاة التي تقف
حياتها على ، وما أنا إلا ممثل على السارح
العمومية ؟ إن كل ما يتجلى لي فيها ينم عن محدث
رفيع وثقافة عاليه . لقد أرادت أن تخفي اسمها عني
فقللت : مادمت في مدرسة الدبر تلميذة أنلقن العلم فما أنا
إلا أسيرة لا أملاك نفسي ، فاقنع بما أعلنته لك من
حبي الآن إلى أن أبرح هذا المكان فأطملك على
الحقيقة وأسلك يدي أمام الله والناس

وكان الفتى فلوريدور يستعيد ذكرى اليوم الذي
رأى فيه لأول مرة هذه الفاتنة تطل من
نافذة الدبر وترسل إليه نظرة أوقبت جذوة النرام
في قلبه . وتابع السير حتى وصل إلى غرفته

أصرح : إن الممثل الذى أمثلك فؤاد وحيدى هو أنت ، أيها السيد فلوريدور

وصمق الممثل وهتف قائلاً : أنا ؟

— عفواً ، إن فى هذا التصريح ما يمس عزة نفسك ، ولكننى ألجأ إليك فلا تضيف أملى ، فانك على ما أرى لانصرف ابنتى وما اجتمعت بها ؟ فاذا ما تقدمت إليك بطلب ظاهره مستغرب يؤدى إلى إلزامك بتضحية فأن يصعب الأمر عليك ، وعليه يتوقف الابقاء على شرف اسمى وحياة وحيدى وحى تملن أنها لا تريد أن تقترن بفيرك

— وما هى هذه التضحية ؟

— إنك قادر على اقتلاع جرائمك من قلبها — وبأية طريقة أقتلع ما تسعيه جرائمى حى ؟ — أصغ الى ... إن وحيدى لم ترك إلا عن بعد وأنت على المسرح مرند أبواب الأبطال تشد أجل الأشرار ، فن السهل عليك أن تبدد أوهامها إذا أنت رصيت بالظهور إليها فى مظهر الرجل المادى ، بل الرجل المتهنك الكبير البعيد عن كل تهذيب وثقافة ، فتتأكد عندئذ أنها عشقت نوباً ، وأجبت بما ليس منك بل من أقوال الشعراء . إن ما كلفك به هو الظهور بهذا المظهر المتخفرك وتشفى من دأها المقام ؛ وهل من قاتل للحب غير الاحتقار ؟

استغرق فلوريدور فى التفكير . لو كان ما يمتقده الدوق صحيحاً من أنه لم يجتمع بالفاتنة وما عرفها ، لكان هنالك واجب يسهل القيام به ، ولكن أنى للقلب الذى ضم المحبوب إليه أن يستهمل انسلاخه عنه . ولاحق الفاتنة الشرقية الرفيعة المحتد لخيال الممثل وافقة من حبه على شفا جرف تكاد تنزلق عليه هائلة بقلب أيها واعتقادات من تنتمى اليهم . وطال تفكيره وهو يقابل بين شخصيتها

الفاتنة عند نهاية جملة ، الى أن دخل عليه يوماً وهو فى لجج من الأحزان شيعب شبيب تدل أبوابه على أنه من عليه القوم ، فاستقبله الممثل مستغرباً هذه الزيارة ، ولكن الشيخ مديده مصاحفاً وقال : عفواً أيها السيد ؛ إننى أتيتك ولا معرفة بيننا ، ولكن من الأمور ما يميز تجاوز المألوف ؛ ولدى مسألة هامة يتوقف عليها شرفى وسعادتى . أنا نبيل وأنت من كرام الناس فسوف أتناول الموضوع بلا توطئة

— تكلم يا سيدى ، فأنا مصغ

— هب أنك أمير ولك ابنة جميلة فى ريمان العسا وحى وارثة اسمك الوحيدة ، وقد وجدت لها عريساً من أعظم الدولة تحمده الملوك على أمجاده فلم تقبل ابنتك ما أعدته لها من سمادة فاذا فعل ؟ — أترك لها الحرية ، وأجهد أن أكتشف سر قلبها ، إذ لملها وهبت قلبها لى أمتلكها حبه فلا تستطيع مقاومة قضاء الله فيها

— وإذا عرفت أنها عاشقة ؟

— أطاوعها فى إرادتها وأساعدها على الاقتران بمن تهوى ، فليس بفير الحب من سمادة على الأرض — وإذا كان ما تشير به يفوت الامكان ؟

— ولماذا ؟

— لأن الفاتنة التى أتتكلم عنها هى وحيدة الدوق بارسلان أحد نبلاء القصر ، وهذا الدوق واقف أمامك الآن ، ولأن الذى تهواه ابنتى رجل شريف ولا ريب ، ولكنه يمثل ...

— ففهمت يا مولاي . إن فى تنازل ابنة الدوق بارسلان إلى عشق من هو دونها نسباً لماراً تأباه الطبقة الميزة بالانقباب ، ولكن ما تمنى بهذا الكلام ؟

— إذا كان الأمر لم يتضح لديك ، فهأنذا

من جبل لا قبل له يلوغه ، وتذكر وعده للأب الشيخ التوسل الضيف . فهاك عواطفه وفيها نورة وسير

وجلس فلوريدور الى المائدة بين الدوق وحببيته ؛ فلما قدم الخدم أول لون من الطعام كانت قد ملأ كأسه وأفرغها في جوفه دفعة واحدة ، ثم ألحقها بكأس وكأس ؛ ثم أخذ يمثل دوره مشكلا بلهجة عوام الناس منتخبا ألفاظه السمجة ؛ وماصرت نصف ساعة حتى كان فلوريدور يحلق بمينيه ويقسم ويلعن متدحرجا تحت المائدة وقد سحب غطاءها معه فتدحرجت الأواني تتحطم بفرقة أخفت الزفرات التي كانت تندفع من قم شهيد الروء بالرغم عنه

ونفضت ابنة الدوق بإشارة من أبيها وقد علا وجهها اصفرار الموت ، فتقدم الدوق الى الفتى قائلا : — إن مروءتك تفوق إبداءك في التمثيل . لقد جبرت قواذي الكسير ، دعني أسد إليك الشكر الذي تستحق . ولكن ماذا أرى ... ماهذه الدموع المتدفقة من عينيك أيها السيد ؟ ... ووجع الدوق إذ لم يجبه فلوريدور بكلمة ، بل اندفع الى خارج القاعة كأنه قد رشده مرسلا ما كبته من زفرات وعويل

— ٤ —

ومر فلوريدور بعد أيام قرب دير ولهبات الكرم ، فرأى جمعا عثشدا في الأسواق المجاورة وسمع رنين الأجراس مؤذنة باحتفال كبير ، وإذا بمرية مذبذبة موسومة بشارات الشرف ووراءها عدد من المربات الأخرى ، وكلها فاخرة تجرها الجياد الملهمة . فسأل أحد التفرجين عن هذا الاحتفال فقال له : هذه مرية الدوق بإرساله بحمله وإصراره لحضور حفلة إبتها ...

والضحية التي يمزحها أبوها عليه ، فاذا بصوت الشيخ الوقور يرتفع قائلا : لا تردد ، أيها السيد الكريم ؛ إن ما يوجه إليك الآن إنما هو رجاه والد حصر في وحدته كل ما في الحياة من سعادة ومجد وآمال ؛ فإنا إلا شيخ هاو ضعيف ، بل أنا أحد أشراف وطنك أضرع إليك أن تحفظ اسم سلالتي من المار ، فلا تدعي أذهب بواجبي إلى القسوة على ابنتي التي لم يترك لي الدهر سواها

وأدى كلام الشيخ قلب الفتى ، فوعده بالقيام بما يطلب منه لاستئصال حبه من قلب الفتاة الوحيدة التي ملكت لبه وملأت جوانب نفسه

— ٣ —

وفي اليوم التالي عند الظهر أعلن خادم القصر لسيده الدوق قدوم الممثل فلوريدور . فقال الدوق أدخله إلى البهو الكبير ، وها أنذا آت إليه .

دخل فلوريدور البهو وجاء الدوق يصاحفه ؛ ثم ظهرت النادة ، فقال الدوق :

أقدم إليك ، يا ابنتي ، الممثل فلوريدور . الذي أعجبت بتمثيله ؛ وهو من كبار أهل الفن ، ولذلك دعوتني إلى مائدتنا ولعلك تسرين بذلك

وظاملا فلوريدور رأسه مفكرا بأية فظاظلة يجب عليه أن يبتدى بتمثيل دوره الذي عاهد الدوق على القيام به ؛ ولكنه ما رفع بصره وشهد خالبة لبه حتى علا وجهه الاصفرار ؛ وإذا مدت يدها لتصاحفه وهي ترتجف من الشوق خيل إليه أنه يلصق شفثيه بشفتيها ، ويفرق نور عينيه بأنوار مينها . والتفت الى ما حوله فارتمش أمام مظاهر الأبهة والبذخ في هذه القاعة تنقف بينها فتاة حديقة الدير التي أقسمت له بالله ألا تحول من حبه ولا ترضى بغيره رفيقا لحياتها ، فرأى هاوية سحيقة تنفتح تحت رجله ولاحت له الحبيبة في ممتصم

في بلاد أسحر والجمال

على قديم الألب

ترجمة أحمد فحشي مرسى

وفي الجنوب حيث
تقوم جبال الألب سداً
منيعاً بين السماء والأرض
وقد جلت الثلوج
رؤوسها بلونها الشف،
وبريقها الفراء، يقصد
محبو الرياضة والمخاطرة،
فيستلقون شامفا التلال،

ورؤوس الجبال، ممرضين حياتهم لدام الخطر،
وقاجيء الهلاك

وسأقص عليك في هذه السطور، قصة ممتعة،
لبعض هؤلاء الذين دفنهم نشوة التضحية، وحفزهم
حب الاستطلاع إلى كشف قمم الألب، والوصول
إلى ذروتها، على الرغم مما يخفى من حنوف،
ما وتكن من مهالك:

كان الشتاء ذلك العام، شديد القسوة، قارس
البرد، وكانت الجبال ملفعة بشقوق من الجليد مؤذرة

يصف بعض كتاب الغرب سويسرا بأنها
« مستراد الغرب وملبه » يؤمها الفرييون رغبة في
الترحول والتطلق، وحباً في التجول والتسلق، وميلاً
إلى اجتلاء الحسن وترشف الجمال

في الشمال حيث تنبسط السهول الخضراء،
وتتند الرياض الأرجية، وقد أزرتها الطبيعة بمطر فها
الأخضر، وطورتها بكفها الصناع، ليجاً ناشدو
السكنية، وعاشقوا الجمال، فيقضون فصل الربيع،
مسرحين الطرف في جنبات الروج المنضرة،
متممين النظر بسحر الطبيعة وروعة الكون

أقسمت ألا أسلم يدي إلى سواك، ولكنك لن
تسلم هذه اليد، فكل شيء يفصلني عنك حتى
إرادتك. فهأنذا أنخرط في سلك الرهينة لأبر
بقسم أقسمته أمام الله في الحديقة بين ذراعيك
وأقسمته أيضاً وأنت تخنق زفراتك، وتقضى على
كرامة نفسك

« اليوم أنشع السواد، وأسدل على وجهي
النقاب. وهذا الكتاب هو آخر فكر أوجهه
إلى هذه الحياة، وحتى تطلع عليه تكون حبيبتيك
مرغبت دى بإرسال قد ماتت عن هذا العالم
لتحييا بالله... »
الراهبة إنناس

(ف. ف. ف.)

(٥)

ولم يقف فلويدور ليسمع تمة الحديث بل
اندفع راكضاً نحو مسكنه الحقيق وهو يقول في
نفسه: أواه، لقد نجحت في تمثيل، وهذه
الجبية تزوج اليوم بشريف من طبقة أهلها.
ويلاه من ظلم الأقدار!

وما آوى إلى غرفته حتى رأى على الخوان
غلافاً باسمه، فافتض ختمه وقرأ ما يأتي:

« بالرغم من محابلاتك اقتلاخ حيك من قلبي
لم يزل شخصك نصب عيني، فلن أنظر إلى غيرك
حتى يواديني رمسى. ما فاني الجهد الذي بذلته
لأرضاء والدي، فقد كنت أقرأ في قلبك حقيقة
نفسك وأنت تسدل عليها ستار تمثيلك. ولهذا

هائلة تنحدر من ذروة الجبل إلى قرارة السهل
— ولكن ما هي تلك الثلجة ... ؟ ... الثلجة
هي مجرى من الثلج الدافقة المنحدرة من قم
الجبال إلى الهوى والوهاد ، وتنشأ عادة من أن
الثلج لا تنهض بما يتحمل منها من الثلج الحديدة
الترابكة ، فيدركها الهيار وتهبط إلى السهل جياشة
يدفع بعضها بعضاً ...

وسطح الثلجة مفر خداع ، فهي تبدو هادئة
وأدعة ، حتى إذا وطئها الإنسان دون درب أو خربة
سقط في هوة من تلك الهوى السحيقة التي يحفها
سطح الثلجة النزار

وقد يتساءل البعض ... « ولكن لماذا يقدم
الإنسان على اختراق الثلجة ، ويرى بنفسه في
التهلكة » ... والجواب على ذلك « أن عواصف
الثلج تنشر عدا على صفحة الثلجة طبقة شفة رقيقة
من الجليد ، فتبدو لمن يراها مستوية ، متبسطة
ممهدة ، حتى إذا وطئها القدم لم تنهض بها ، وهوى
الإنسان إلى قرارة الهوة

والثلجات من تلك المناظر البهجة التي تقع
عليها ناظر رائدى الألب ، فهي في بريقها الرقاف ،
ولونها الأزرق الصافي من أروع ما تقع عليه
العين ... فإذا أشرقت الشمس ، ونفضت عليها
رميضاً من شعاعها اللطاف ، تجمعت لديها أبهج
الألوان ، وتلاشت عليها أروع المشاهد

وعلى حفاف الثلجة يرى الناظر ، إذا سرح
الطرف ونقص النظر « مناظر الثلج » Glacier tables
قد انتشرت في جنبات المكان ... وهي قطع من
الصخور الرقيقة المتناثرة التي تجمعت تحتها الثلج
فرقتها عن الأرض ، وكانت لها بمثابة قوائم ترتكز
عليها كما ترتكز المنضدة ...

يعرود من الثلج ، عند ما خرجت الجماعة ، وكانت
مكونة من خمسة رجال — كاشفين وثلاثة أدلاء —
إذ لابد للمتسلق من دليل يهديه بين مسالك الصخور
لأن من الهلاك المحقق أن يخبط بين تلك الجبال
خبط عشواء دون أن يعرف شهابها ويخبر دروبها
وكان كل منهم مزوداً بفأس صغيرة لتعظيم
ما يمترض سبيلهم من الثلج الغزيرة والصخور



غروب الشمس على ثلج سان موريتز

الناتئة التي قد توقعهم عن مواصلة التسلق . وكان
الأدلاء يحملون على ظهورهم حقائب من الصوف
« rucksack » ملأى بما يخاف حمله من طعام وشراب ،
هذا عدا حبل متين النسيج ، يشدون به بعضهم إلى
بعض في مواقع الأخطار

أخذ السيفر يتحرك وتبدل الخطى ، ثابت القدم
فما أوغل في المسالك حتى اعترضت سبيله ثلجة

بعض ، وساروا يتيمنون الدليل في رهبة وتؤدة
وأفصح النجى ، فجلى لهم الطريق ، وبدت
أمامهم قمة تلحمة دقيقة الذروة لابد من عبورها ،
تقع في جانبها الأخيرة سحابة ، وكانت القمة عالية ،
ضيقة لا يتسع صدرها لأكثر من اثنين ، إذ ازلت
قدم ، قاله أعلم بالمسير
وهنا يبدو ذكاء الدليل وصرانه ، فهو دائماً
ثابت القدم رابط الجأش في مواقع الأخطار ، لأنه



الثابت تغطي سفوح الألب السفلى

من الهلاك الإنسان أن يحفل أو يرفج ، أو يسير
مشارك الخطار ، موزع اللب ...
وتقدم الدليل وفأسه في عناء ، يشق بها
طريقاً إلى أعلى المرتقى ، والآخرين في أثره يزحفون
وقد عقل الخوف ألسنتهم وغشى الرعب قلوبهم ،
فأخذوا يتشبثون بالجبل كلما علقت أبصارهم قرارة
الموة ... وأخيراً بنوا الجانب الآخر بعد لأي

ونمود الآن إلى جماعتنا وقد اعترضت الثلجة
سبيلهم ، فطعموا يدورون حول ضفافها في
حيلة وحذر ، حتى اجتازوها بسلام ، فإذا هم في
ضيق منبسط ، وإذا بالدليل يشير إلى شيء أسود
قائم على مدى البصر ، فرغ الجميع نواظرهم ليتبينوا
به معرفته ، فإذا به كوخ صغير قائم على سفح
الجبل ... ولكن أى كوخ هذا ؟ ... أقيم هنا
إنسان ؟ ... كلا ، فهذا الكوخ ليس في حياة
أحد ، بل أقامته الحكومة ليتحضر به التسلقون ،
من عوادي البرد ، وظلمة الليل ، ووعناء السفر
وكانت الشمس القارية تطوى مطارفها الزاهية
عن الكون ، عندما بلغ أحضاننا الكوخ ، وقد
أضناهم التعب ، ونال منهم التعب ، وبلغ بهم
الجوع مبلغاً جعلهم يهتمون الطعام اتها ... ثم
أخذ الليل يلف الكون في مسوحه السود فاضطجع
كل منهم في ركن من أركان الكوخ وراحوا
في سبات عميق

وتيقظ الجميع بعد الواحدة بقليل على صوت
الدليل ، وكانت السماء صافية الأديم مسفرة
الوجه ، تطلع في جنباتها النجوم البراقة ، وتغلق
في حواشها الأضواء الرقيقة ، التي تنعكس على
الجليد فيبدو كالزجاج الرائق اللذوب ، وكانت
نيمات الألب العاطرة المهفافة تملأ الصدور وتنفع
الجسوم عندما يتمددوا عن الكوخ ، وراحوا
يتابعون التساق بين الحيلة والحذر ، فقد بدأت
أخطار الطريق تبدو جليلة ، فتكشفت الثلوج ،
وبدت الهوى السحيقة وعاد الجليد ينهار تحت
أقدامهم ؛ فابتدروا الجبل وشدوا به بعضهم إلى

وصرت لحظة رهيبة اختفى الجسر بعدها عن النواظر ، يحمل الرجلين في طوياء ولم يبق إلا الجبل يضطرب في أيدي الآخرين اضطراب الأرشية في البئر البميده النور . ترى أينقطع الجبل وينقضى الأرفيضم الألب نحيئين جديدتين الى سجل ضحاياه؟ وغضى الآخرون دون هدى أو غاية ، حتى ليقتلهم الجوع ويصرهم البرد

ونجاة تنقل عليهم الجبل فأدركوا أن زميلهم ما زال معلقين بطرفه الآخر ، فأنجلى اليأس عن قلوبهم ، ودب فيها الأمل ، فأخذوا يجذبون الجبل في هدأة وصمت وبعد لحظات ظهرت رأس أحد الرجلين وهو يحطم بفأسه ما يموق الجبل من الجليد . وما بلغ حافة الهوة حتى انبرى يمين زملاءه على اخراج الدليل الذى ظهر بعد لحظة وعلى ثمره ابتسامة هادئة ، وهو يتمتم بكلمات الشكر

وجلسوا جميعا تماسكا للراحة بعد هذا الجهد البالغ ، ثم قاموا يبحثون عن جسر يمشون عليه الهوة ؟ وأخيراً عثروا بعد جهد جهيد على جسر أشد تماسكا ، وأثبت بناء من الأول ، فتقدم الدليل بغيره في حذر ، حتى إذا تثبت منه تبعه الجميع الى الضفة الأخرى من الهوة

وكان في الجانب الآخر مرتفع صخري ينحدر الى حافة التلاجة ، فكان لا بد من ارتقاؤه ، فصعد الدليل وهم في أثره ، الى أن توقف فجأة متقصيا النظر الى الأفق البعيد وقد عرى وجهه عبوس وجوههم تفلتت الجميع الى حيث ينظر ، فإذا بهم يرون على مدى البصر ، ضبابا أبيض كاللذخان

وجهد ، فإذا بهم في منبسط من التلوج يضم تلاجة جياشة هائلة ، تقوم على شفافها مرتفعات من الجليد تنهار الى التلاجة مرتفعاً بعد آخر فهم الآن بين هلاكين . فالتلاجة عن يمينهم مأجبة مزبدة ، والتلوج بن يسارهم منهارة متساقطة ، فلا سبيل الى النجاة إلا بعد التلاجة ولكن أفى لهم ذلك ؟ تقدموا قليلا فإذا هم أمام هوة لا يدرك البصر مداها ، عليها جسر دقيق ضيق من الجليد ، فأسرع



من مناظر الألب القريبة

الدليل يتبعه أحد الرجال ، وكافت الفأس في يده يمهّد بها الجسر ، ويرسم بها مواقع الخطى ، وما إن بلغ منتصف الجسر حتى بددت منه صيحة رعب عالية ، فالتفتوا جميعاً فإذا الجسر ينهار تحت قدميه ويتساقط الى قرارة الهوة السحيقة

ولم يكن على الجسر في تلك اللحظة إلا الدليل وزميله ، أما الباقون فقد ارتدوا الى حافة الهوة ممسكين بطرف الجبل

وكان الجميع يصمدون في ريث وحذر ، فان
زلة قدم واحدة تؤدي بهم جميعاً إلى الهلاك . وأخيراً
بمد لأى وعناء ، بلغوا نهاية الحائط فخنسوا ويتناولون
طعامهم ... وامتنع احد الرجال عن الطعام ، لأنه
كان يحس بدوار شديد ، فقد ثقل عليه رأسه
وامتنع لونه ، وآلمته عيناه ، وتثقلت زفراته ، وذلك
لخلخلة الهواء في الطبقات العليا من الجو ... ولكنّه
على الرغم من ذلك لم يفكر قط في التأخر أو البودة
وبمد الطعام بقليل قاموا يصليون السير ،
ويتأهبون التسلق ، فانه لم يبق أمامهم إلا القليل
للولوسول إلى قم الأب ؛ فساروا بحثون الخطى بزم
وجدد ، فمبروا بعض القمم ، واجتازوا بضغ
مرتفات متقاربة

وكانت الشمس قد ادرقت ، والنهار قد متع ،
فطرق صمهم صوت متزن الجرس ، متسق الثبرات ،
يشق « أغنية النصر » المروفة ، فالتفتوا جميعاً ،
فاذا بالدليل قد بلغ طلائع القمم ؟
(عن الانجليزية) أحمد قننى مرسى

قصص اجتماعية

مترجمه بقلم الأستاذ محمد عبد الله هناد

مجموعة من القصص الربيع الفائق الثمانية من أعمال
الأديب الفرنسي م : بورجيه . كوكيه . أناتول فرانس .
موباسان . ميريه . مارسل برينو . دي باغيل . جان
لوران . مع تراجمهم النقدية . ومترجمة بأسلوب فائق
في ثلاثة أجزاء صفحة طبع دار الكتب

ثمنه ١٠ قروش وبيع مؤقتاً بـ ٦ قروش بخصم ٤٠٪
عدا البريد وهو قرشان لداخل القطر وأربعة خارجه
ويطلب من إدارة الرسالة وجميع المكتبات

يتقدم نحوهم في سرعة محيية ... فقال الدليل :

— أيتها عاصفة ثلجية تحتاج الجبال ... فسأل
أحد الرجال :

— وهل ثابت طويلاً

— من يعلم ؟

وأرسل الدليل بصره يمينا وشمالاً ليتثبت
من موقعهم ووجهة سيرهم قبل أن تنشام العاصفة
وتضرب عليهم حجابها الكثيف فتحجب عنهم
الطريق وبعد لحظات كانوا يدرجون في
جوف العاصفة التي أحالتهم جميعاً كتلا من الثلج
تتحرك ، وخلصت عليهم أبراداً من الجليد ، لفهم
من قمة الرأس إلى الخصر القدمين

وقد دامت العاصفة برهة غير قصيرة ، هذأت
بعدها ثورة الريح ، وتتشعب ضباب الثلوج ، وأشرقت
أشعة الشمس ، فأخذوا ينفضون عن جسومهم
حلل الثلوج ، ويمسحون عن جبينهم ماءها البارد
وكانوا قد اجتازوا المرتفع ونزلوا في واد
منبسطة يلوح في نهايته ، حائط أملس من الثلج ،
لا تملق به كف ، ولا تماسك عليه قدم ، يبلغ
ارتفاعه زهاء المائة متر

فوقفوا أمامه مشدوهين ، ومضت برهة قبل أن
ينفس أحدهم ببنت شفة ، كأنه يدور بخلدنم ذلك
السؤال « كيف لنا أن نتعلق بذلك الحائط الأملس ؟ »
بمد برهة من الحيرة والتساؤل ، تقدم
الدليل فشد أوساطهم إلى الجبل ، وأخرج
فأسه ، وسار أمهم إلى الحائط فأخذ يدرجه
بالفأس ، ويحفر فيه مواقع الأقدام ، ثم أخذ يصمد
رويداً رويداً ، وهم في أثره ، وكل بيده الفأس يشق
بها الطريق



الصيد ... ولم يكن الشاب بالجامد القلب ، الخامد الماطفة ، بل كان مشبوب بالاحساس ، ملتهب الشهور ، فسرعان ما استجاب لبريق عينها ، وخضع لرخامة صوتها ... ولكنه لم يكن يتمدد أن يحظه سيسمو به إلى مراتب النبلاء ، بل أيقن أن اهتمامها به لا يصدو فرجة لمواطفتها المكبوتة ، والهيبة لنفسها الحائرة ، ولم يدرك أن هذه الفتاة تكبره أصحاب الطبايع اللزقة والشخصيات المستمارة ... ولكن قد يجيء الوقت الذي ترى فيه العين النبية الناشئة في عين صاحبة نور الحلب وريق الهيام ، وهما قد جاء لفتى الوعود ، ولم يكن بالغبى الأحمق فسررت الطمأنينة إلى قلبه ، وتمددت بينهما المقابلات حتى إذا ما خلا كل إلى صاحبه كشف له عن نفسه وباح له بمكنون سره ، فيبتهامسان ويتناحيان ثم ينصرفان دون أن يذبحا مرراً ، أو يفضحا أسراً ... ثم تمكنت بينهما الألفة حتى لم يستطعا أن يكبحا تلك المواطف النائرة التي كانت تضطرم في قلبهما

ولكن الفتى كان دونها شرفاً ومربية ، فلم تكن تستطيع أن تمنح زواجها به ، فالتحذت للسالة حلاً وسطاً ، فمزمت على الاقتراح به دون أن يعلم بذلك أحد ... ثم نظما فيما بينهما مواعيد المقابلة ، فسكناا يلتقيان في إحدى غرف المنزل بميدى عن

عاشت عيشة مترفة في قصر وريق بديع يحف به الجلال من كل جانب ... وكانت امرأة ذات حسن عبقري ، وجسم خصيب ، وأثوة متيقظة ، تزو إليها الميول أينما حلت ، وتشبعها القلوب أينما ذهبت ، حتى أصبحت حديث أهل المدينة كلها وفئة لشبابها ، فقرأى اسمها إلى ما وراء ذلك الاقليم « ويسكس » يجد الناس في ذكره حلوة وفي تزيده متعة وسولة ... أما هي فقد استعذبت تلك الحياة وأخلدت إلى هذه الدعة واطمأنت إلى تلك الألسنة التي تهتف باسمها في كل يوم ، ولكن قلبها المتكبر الذي كان يشرف على تلك القلوب الساجدة المابدة لم يجد هواه إلا في شاب وريق الحال عادى الهيئة قد أحمر من أسرة فقيرة متواضعة . إذ كان أبوه يعمل كاتباً في « دائرة » والدها ، ولكنه كان وديع الخلق ، كريم النفس ، دقيق الزواج ، قد أغرمت به فتاة قروية ساذجة ، فلم يرد أن يصدسها في حبها الأول ، بل وهبها جانباً من حبه الشاب الفاضل ، وأحلمها ركناً من أركان قلبه الفسيح الناصر ؛ فأرادت تلك الفتاة النبيلة « كارولين » أن تستأثر بذلك الشاب فاغتصمت فرصة تروده على منزل والدها بحكم عمله وأخذت تتودد إليه ... تجده مرة وتنازله أخرى ، وكانت ماهرة في هذا الفن مجيدة لهذا النوع من

أعين الناس، فيقيضان ساعة تسكر فيها روحهما بلذة الهدوء والنبهة؛ ولكن هذه البطافة المشبوبة ما لبثت أن خمدت فأخذت تفسق من السكره الأولى، وخلت إلى نفسها تسكر فيها أنه من طيش ورعونة، وكيف أن فتاة كريمة الحمد عريقة النسب تزوج من شاب دونها شرفاً وقدراً... وكان خليقاً بها أن تفتن بنبيل عظيم، أو قاض نابه، أو أسقف جليل... أجل لقد كان زوجها الشاب ذكي الفؤاد واسع الاطلاع، ولكنه كان قليل التجارب ضيق الخبرة...

لقد اعتاد أن يزورها تحت أستار الليل فيتسلق إلى نافذة غرفتها فيجدها في انتظاره، ويأوى إلى جانبها ساعة والناس نيام، ثم يمود إلى كوخه الصغير قبل طلوع الفجر... ثم جاءها ليلة وقد شاقه الحب إليها، ولكنه لم يمض معها ساعة حتى مل الحديث وهمم بالنزول، فقد كان لقاء ثقيلاً متكلفاً سمع فيه ما أثاره وأخرجه عن نفسه إذ شعر أن قلبها قد أخذ يتحول...

والحقيقة أن اهتمامها بمصيرها أخذ ينسحب عنها إياه... وعلى لجأة أحس بالقطع أحشاء فهب وافقاً ثم مال إلى النافذة يستنشق بعض الهواء، ثم ما لبث أن همس بهذه الكلمات: «آه يا قلبي!» ثم سقط على الأرض جثة هامدة... فأسرعت إلى إشعال المصباح وقد خبا ضوءه وانحنت عليه تسأله ما به، ولكن قلب المسكين كان قد وقف، فاستيقظ في ذهنها ما كانت الطبيب قد قاله له من أنه مصاب بمرض القلب، وأن هذا المرض قد يورده حثفه يوماً

ثم أخذت تفحصه مدة طويلة ولكنها أدركت

أخيراً أن زوجها المسكين قد قضى نحبه فبقيت حائرة لا تدري ما ذا تعمل

ولقد أحست أولاً بإحزن والأسى على فراقه... لكنها ما لبثت أن أخذت تفكر في مكانها كاتبة أحد النبلاء فنظرت إلى الجثة وقالت: «لماذا تموت هنا أيها الزوج التمس وفي تلك الساعة...؟ لماذا لم تمت في كوخك...؟ إذا لم أعرف أحد أمرنا ولبقى سرنا مكتوماً...» ولكن دقات الساعة العالية في سكون الليل العميق قد أبقتها من ذهولها، فهضت مسرعة إلى الباب، وقد عزمت على إخبار والدتها بحقيقة الأمر طساعة أن هذا هو الطريق الوحيد لخلاصها من هذا المأزق... غير أنها لم تكذب تدنو من الباب حتى رجعت عن عزيمتها وقد أيقنت أن في إيقاف والدتها إفساء لسرها كله، فموت على حمل الجثة بعيداً من دون مساعدة أحد... ثم أخذت تنهيا لهذا العمل الجسيم، فألبسته ملابسه وربطت ذراعيه وتزلت به سلكاً شيقاً... ثم حملته إلى مكان أمين تظله الأشجار... وعلى باب كوخه ألقت بحملها الثقيل؛ وقد أخذ منها التعب كل مأخذ؛ ثم وضعت في يده مفتاح بيته الخشبي لتسعى الحقيقة على الناس، وانحنت عليه وقبلته القبله الأخيرة، وعادت أدراجها وهي تنسى آثار قدمها في الطريق... ثم انسلت إلى مخدعها دون أن يشعر بها أحد؛ وأوت إلى غرفتها وأغلقت نوافذها، وأعدت كل شيء إلى ما كان عليه

ولكن لم يكذب يطلع الصباح حتى ذاع في المدينة نبأ موت ذلك الشاب الرقيق الوديع على باب منزله وهو يحاول فتحه... لقد كانت جميع الظروف تدل على أن الميتة طبيعية، فلم يثر حولها نقاش...

لقد اعتاد أن يزورها تحت أستار الليل فيتسلق إلى نافذة غرفتها فيجدها في انتظاره، ويأوى إلى جانبها ساعة والناس نيام، ثم يمود إلى كوخه الصغير قبل طلوع الفجر... ثم جاءها ليلة وقد شاقه الحب إليها، ولكنه لم يمض معها ساعة حتى مل الحديث وهمم بالنزول، فقد كان لقاء ثقيلاً متكلفاً سمع فيه ما أثاره وأخرجه عن نفسه إذ شعر أن قلبها قد أخذ يتحول...

والحقيقة أن اهتمامها بمصيرها أخذ ينسحب عنها إياه... وعلى لجأة أحس بالقطع أحشاء فهب وافقاً ثم مال إلى النافذة يستنشق بعض الهواء، ثم ما لبث أن همس بهذه الكلمات: «آه يا قلبي!» ثم سقط على الأرض جثة هامدة... فأسرعت إلى إشعال المصباح وقد خبا ضوءه وانحنت عليه تسأله ما به، ولكن قلب المسكين كان قد وقف، فاستيقظ في ذهنها ما كانت الطبيب قد قاله له من أنه مصاب بمرض القلب، وأن هذا المرض قد يورده حثفه يوماً

ثم أخذت تفحصه مدة طويلة ولكنها أدركت

فلم تستطع الفتاة أن تحبس دموعها المهمة وقالت : « لم يكن حبيبي تماماً ولكن كنت أنا حبيبتة . أما وقد مات فاني لا أهتم بالحياة بعده » « أتمسطين أن تبقى على سر من أسراره يا ميلي ؟ إن هذا السر يتصل بشرفه ولا يبرفه لإنسان غريبى ، ولكن يجب أن تعرفيه أنت »

فاظهرت الفتاة استعدادها لكتمان هذا الأمر . وحقاً لقد كانت وفيه لذلك الشاب الذى أحبته والذى تمكيه الآن

« إذاً فقابلينى اليوم بعد الغروب عند قبره أفض إليك به »

وفى غسق تلك الليلة من ليالى الربيع الجميلة ، كان شبحا هاتين الفتاتين يحومان حول قبر ذلك الفتى التمس . وفى ذلك المكان الموحش ، وفى تلك الساعة الوهمية ، أخذت الفتاة ذات النسب والجمال تقص على ابنة الخطاب كيف أحبه وتزوجته سرا ، وكيف مات فى غرفها ، وكيف جرفته فى جوف الليل الى كوخه حتى لا ينكشف أمرها فصاحت تلك الفتاة الساذجة مذعورة :

— تزوجته يا سيدتى ؟

— نعم ولكن هذا كان طيشاً مئى . كان الأجدر به أن يتزوجك أنت يا ميلي فقد كنت له ، لكنك فقدته

— نعم وهم من أجل ذلك يسخرون مئى فيقولون : لقد جنت به حباً وهو لم يلفت إليك

— إن النصر على أولئك المتهكمين حلو لذيذ ... لقد فقدته حباً ولكن يمكنك أن تترديه ميتاً وعلى ذلك تمسطين أن تنالنى من أولئك الساخرين ما تريدن . — وكيف ؟

ولكن بعد تشجيع الحنازة أخذ الناس يهيمون أن رجلاً كان سائراً فى الطريق فى ساعة متأخرة من الليل ، فرأى شبح امرأة دب فى الظلام وهى تجر جثة ثقيلة فى طريقها الى كوخ ذلك الفتى ، فأخذوا ملابسه القديمة وفحصوها من جديد ليروا فيها من آثار الجرح على الأرض ، وأخيراً عرفوا أنه هو الرجل بعينه .

أما كارولين الجميلة الذكية فأخذت تفكر فيما يجب أن تعمل ... فرأت أولاً أن تتعرف بالحقيقة كلها ... إلا أنها بعد أن بلغت الى تلك المرحلة دون أن ينكشف أمرها أو يرقاب فيها أحد ، عذرت على بذل مجهود آخر لأخفاء باقى العالم ...

وسرعان ما لمت فى خاطرها تلك الفكرة ... لقد كان ذلك الزوج يحب فتاة قروية قبل أن يقع فى شرك هذه النبيلة ، وكانت هذه الفتاة لا تزال على حبها إياه إذ لم تكن تعرف من أمر زواجه شيئاً .. على أن نفوذ كارولين على أولئك الفلاحين الذين يعملون فى أراضي والدها كان عظيماً ... لها الكلمة

النافذة والقول المسموع ... فمزمت على مقابلة تلك الفتاة تمسح فيها عارها وتحملها نتيجة وزرها بعد أن أخذت تفتق من نشوتها ، وشمرت بالأمم الفضيحة والندم تنوش صدرها كلما ذكرت ذلك الزوج المنحوس ، حتى لقد كرهت اليوم الذى لقيته فيه وودت أن لم تكن قد رآته قط . وسرعان ما اهتمت الى تلك الفتاة فوجدتها بمتعة اللون مهدودة الجسم ، قد ارتدت ثوباً أسود حداداً على ذلك الشاب الذى أحبته وأخلصت له وإن لم يمتن بها إلا لئلا ... فقالت كارولين :

آه ! لقد فقدت حبيبك يا « ميلي »

ثم أعطتها كارولين كل آثار الذكرى التي كان زوجها قد قدسها إليها حتى خصلة الشعر وفي اليوم التالي أعلنت الفتاة ذلك الأمر بين الناس حتى فزع بين أهل المدينة كلها . وفي ذمول ذلك الموقف الجديد أخذت مربي المسكنة تمثل الدور كما لو كان قد حدث معها فعلا . واستطاعت بما كانت تصيبه من مال كارولين أن تشتري منزلا صغيرا وأن تتردد على الكنيسة من وقت لآخر ، وقد ازدادت جمالا وفتنة أيقظا في قلوب خدنيها القرويات الفيرة والحسد .. ثم فكرت في أن تقيم نصبا تذكاريا فوق قبره ما دامت كارولين تقوم بدفع النفقات ، فاعلمها هي إلا أن تقدم الحزن والأسى ... وما لبثت مربي أن أراحت إلى تمثيل دور الأرملة ، ووجدت في زيارته كل يوم والبكاء فوق قبره لذة وتفرجا ، فكانت تنثر الأزهار فوق قبره وأصبحت تمتدح وهي تخطر في فوها الحزين أنها كانت زوجة حقا

ثم اتفق أن صرت كارولين يوما مع بعض صاحباتها بتلك المقبرة فلمح مربي وقد انحنت على قبر حبيبها تنثر فوقه الأزهار في رقة وخنان ، فتأثرن لهذا المشهد المؤلم وعجبن لذلك الوفاء النادر الذي لا بد أن تكون صاحبه قد وجدت صدها في ساكن ذلك القبر .. أما كارولين فقد شعرت كأن نورا غريبا ينبعث من عينيها يحسد تلك الفتاة على مكانها هذا كأنه لا يزال يقابلها بعض الحب لزوجها المتوفى ... ولكن الفروق الاجتماعية أكرهتها على إخفاؤه في طيات صدرها . وأخيرا لم تستطع تلك الفتاة أن تقهر تلك المواطنات القوية التي كانت تصطرح في نفسها ... فذهبت يوما إلى المقبرة ، وكنت وراها حتى إذا ما جاءت مربي تنثر الأزهار

فأفضت إليها كارولين بما يجب أن تعمله ... وهو أن تمن ميل بين الناس أن ذلك الشاب كان قد عقد عليها سرا ، وأنه كان يزورها في كوخها في اللبلة التي توفي فيها . فلما قضى بحبه بين يديها حملته إلى منزله لتندأ عن نفسها الفضيحة والمار .. وأن تقول إنها كانت عازمة على حفظ ذلك السرى نفسها لولا أن الاشاعات والأقاويل قد أجبرتها على إفشائه فأجابتها ابنة الخطاب وهي دهشة لهذه الفكرة :
— وكيف أثبت هذا ؟

— يمكنك أن تقول إنك تزوجته في كنيسة القديس ميخائيل في مدينة (باث) باسمي بحجة أنه أول اسم خطر ببالك لتتقضى اسمك من التهمة ... وسأعينك على ذلك

— أوه إنني لا أحب أن ..
— إذا علمت ما أسرك به فاني سأكون صديقة لك ولوالدك وإلا فسيكون لي مكابح آخر ..
وسأعطيك الآن خاتم الزواج لتلبسه كالوكان لك
— هل لبسته يا سيدتي ؟

— في الليل فقط
وأخيرا قبلت مربي ما عرضته عليها كارولين دون تردد كبير إذ لم يكن الوقت يحتمل ترددا .. ثم أخرجت الفتاة النبيلة الخاتم من صدرها ووضمته في أصبع مربي وهي واقفة على قبر حبيبها . فاقشعر بدن الفتاة ومالت برأسها وقالت :

— أشعر أنني أصبحت عروسا لجثة

ولكن هذه الفتاة ما لبثت أن شعرت أنها قد ارتبطت بتلك الجثة قلبا وروحا وأحست بشيء من الهدوء يسري إلى نفسها .. فنخل إليها أنها قد استحوزت في الموت على ذلك الشاب الذي عبثه على غير طائل في الحياة

عليه الآن . أنا أرملة الوحيدة . فان نصيبى فيه
أوفر من نصيبك . لأنى أحبه وأبكيه وأدعى باسمه
المزير

فصاحت كارولين وقد كاد الشرر يتطاير من
عينها :

— إنى أحبه ولن أسمح لخلوقة مثلك أن تنتزعه
منى ... كيف أسمح بذلك وهو أب لذلك الجنين
الذى يضطرب فى أحشائى ... يجب أن تمديه إلى
ثانية ... ميبلى ! ألا ترجينى وتقدرين موتى ؟
بالقصرع ! إنه عدو النساء ، لما ذالم أترو قبل أن
أقدم على العمل ؟ هيا أعطينى ما أعطيك وأكدى
لى أنك ستساعدينى على نشر الحقيقة
— محال ! محال ! ؟

وقد ازدادت الفتاة إصرارا وعنادا : « انظرى
إلى هذا النصب ... انظرى الى ثوب الحداد ...
الى هذا الخاتم ... استمعى الى الاسم الذى ينادونى
به ... إن نفسى ليست أهون على من نفسك ...
أفيمد أن أعلن أن حبه حى ، وأن نفسه نفسى ...
وأحمل اسمه بدلا من اسمى ، وأتخذ من موته حزنى
وشجنى ... أجمى اليوم فأهدم ما بنيت به
ودمنى ؟ لا لا لا ! لن أرضى لنفسى هذا المار ...
إنى أصدقك القول يا سيدتى ... إن قصتى هى
الحقيقة بعينها ، وأنت كنت واهمة فى كل ما دعيته
لنفسك ... ولكن أرجو يا سيدتى ألا تدفينى
إلى هذا ، إنى أتوسل إليك أن تبقيه لى »

لقد كانت ميبلى تزعم أنها أرملة تدافع عن
زوجها ... حتى أن كارولين رقت لحالها بالرغم
منها ... فقالت لها :

— نعم ... إنى عالة بموقفك ... ولكن فكرى

على القبر كمادتها كل يوم برزت لها كارولين وهى
بشاحبة مرتجفة تقول :

— ميبلى ! اقترى منى ! إنى لا أدري ماذا أقول
لك ... فقد كدبت أموت

فمجيبت ميبلى لهذه المفاجأة الغريبة وقالت :
— معذرة يا سيدتى .. !

فدنت منها السيدة وأختلطت يدها اليسرى
وقالت :

— أعطنى هذا الخاتم
فأسرعت ميبلى الى انترازه من أصبعها ... ثم
أعادت كارولين سؤالها فى صوت حاد غائب وقالت :
— إنى أطلب اليك أن تعطينى إياه ... أوه !
أوه إنك لا تعرفين السبب ... لقد عرفانى حزن
والم لم أكن أتوقعهما !

فأجابتها ميبلى وقد تملكها الدهر
— ولكن ماذا تريدن يا سيدتى ؟

— يجب أن تعلمى أن كل ما حملته كان كذبا
وإدعاء لا أساس له من الصحة ... وأنى أمرتك
أن تملئيه بحافظة على اسمى ... وأنه لم يتزوج
غيرى ... وقصارى الكلام يجب أن نذهبى الحقيقة
وإلا فضى على جسمى وعقلى وشرفى الى الأبد »
ولما كان لكل شئ حد فان للدوء والوداعة
حدما أيضا ... فقد أصبحت ميبلى تمنعد أنها قد
امتزجت بذلك الشاب ولما واما وأصبح لها الحق
فى أن تحمل اسمه كما حملته ... وأن تحمل به كزوج
وتتحدث عنه كزوج ... حتى لم تمد تفكر فى
سواه . وأخيرا قالت وقد غمرها اليأس والقنوط :
— لا ... لا ... إنى لا أستطيع أن أتركه ...
لقد أخذته منى حيا ورددته إلى ميتا . سأحفظ

بلاده أخيراً ... فلما انتهت عاد الى إنجلترا وقد رقى الى قائد فرقة ولما يبلغ الخامسة والعشرين ...
 ترامت أخبار ذلك الابن الى كارولين ...
 وكيف أنه قد أشرف على الزروة دون أن يكون صنيعة لأجد ... فأيقظت فيها غرائز الأمومة السكائمة وملأتها كبرياء وغفراً ... فأخذت تهتم بابنها الظافر الموفق ورغبت في رؤيته بمد أن توفي زوجها « المركز » دون أن تعقب منه ولداً ... فاتفق يوماً بينها كانت تدير مبرتها خارج المدينة أن صرمت بها إحدى الفرق العسكرية فوقع بصرها على ضابط شاب قد امتلأ جوداً أصيلاً مطعمها ... فسرعان ما عرفته لما بينه وبين زوجها الأول من شبه قوى، فضاعف هذا النظر عواطف الأمومة التي بقيت كائمة في زوايا قلبها هذه المدة الطويلة، فأخذت تسائل نفسها كيف صبرت على إغفاله هذه السنين الطوال ... فلو أنها كانت جريئة في حبها خلسة في عاطفتها ... لاعترفت بزواجها الأول ولتجهت بتربية ذلك الطفل كإن لها ... فإذا كان يصيرها لو أنها فقدت هذه الجواهر النادرة وكسبت ابناً شهماً قادراً ... أخذت هذه التأملات والمواقف تعمل في قلب تلك المرأة المكننية الوحيدة، وأخذت الندم ينوش فؤادها الحزين على عدم الاعتراف بزواجها الأول أضفاف ما ألهمها للارتقاء به وأخيراً لم تستطع أن تغلب تلك الرغبة القوية الملحة التي كانت تتأجج في صدرها حتى أيقنت أنها لا يمكنها أن تمشي دون أن تعلن أمومتها لهذا الفتى، فمزمت على أن تنزعه من حضن تلك المرأة التي أخذت تضمها الكراهية والبغضاء لأنها استبدت بذلك الطفل دونها ... ثم أيقنت أن ذلك الابن سيرحب باستبدال فلاحه معدمة، بأماً أخرى نبيلة غنية.

في ... ملذا أعمل ... فبدونك إن أستطيع أن أبقى على اسمي ... قالت نشر الأكاذيب والفضائح أحب شيء للجمهور ... » ولم تحض بضعة دقائق حتى كانت الفتان قد شعرتا بضرورة العمل معاً ... فأخذتا تتشاوران فيما يجب أن يمصلا ... وأخيراً عادت مبلى الى بيتها ... وأفضت كارولين الى أمها بكل ما حدث ... ولم يحض على ذلك بضعة أيام حتى تركت كارولين وأمها القرية وذهبتا الى لندن حيث وافتهما هناك مبلى بحجة تغيير الهواء على نفقة تلك الفتاة النبيلة التي كانت تشفق عليها في محنتها ووحدها

وفي مستهل العام الجديد عادت مبلى الى القرية تحمل بين ذراعيها رضيعاً فأقامت في منزلها الصغير تعني بذلك الطفل الجديد بما كان يصلها من كارولين من مال ...

وبعد ذلك بعامين تزوجت كارولين بأحد النبلاء ... فباشت معه عيشة سعيدة إلا أنها لم ينجبها طفلاً ... بينها كان ابن مبلى يكبر شيئاً فشيئاً، وكانت أمه تتوسم فيه يوماً بعد يوم صورة ذلك الرجل الذي استحوذ على قلبها الشاب ... ثم ذهب به الى القبر ... فصرخت على تربيته قدر ما كانت تسمح به ظروفها ... إذ أخذت كارولين تنصرف عنهما شيئاً فشيئاً، ولم تعد تفكر في طفلها إلا اسماً ... ولكن مبلى كانت تقتطع من قوتها لتقوم بنفقات الطفل، فأرسلته الى المدرسة الابتدائية ... ولما بلغ العشرين دخل في الجيش متخذاً من الجندية أهيمته وعمله، وسرعان ما اكتسبته رجولته الكاملة وأخلاقه القوية ومواهبه النادرة إعجاب رؤسائه ... خبوه بمطعمهم وجهم حتى أبلى بلاء حسناً في تلك الحرب الضروس التي خاضها

المشهورات فقد كان يعرف أن ولادته محاطة بشيء من الغموض - أما سلوكه نحو البارونة فإنه لم يخل من الاحترام والتقدير ، إلا أنه كان أقل مما تنتظر ، وأخيراً وضع أمامه أمر التفاضل بينهما ومرعان ما قال قولته الأخيرة :

« لا يا سيدتي . إنى أشكرك كثيراً ، ولكنى أفضل أن أترك الأمور كما هي ، فإن اسم والدى هو اسمى على أى الحالات . إنك لم تعنى بى يا سيدتي إلا قليلاً عندما كنت طفلاً لا حول لى ولا قوة ، فلماذا أدعى إليك الآن وقد أصبحت قوياً قادراً ؟ ! » إن هذه المحادثة المريضة (مشيراً إلى ميلى) قد حبتى عطفها طفلاً ، وعالجتى شاباً ، وسهرت على مريضاً ، وحرمت نفسها حتى أنفث اللذات من أجلى . إنى لا أستطيع أن أحب أمماً أخرى كما أحبها . إنها أسمى وسأكون دائماً ابنها ، ثم طوق عنقها بذراعيه وطبع على جبينها قبلة أودعها أرق عواطف البنوة وأسمائها

فلم تقوَ كارولين المسكينة على مشاهدة هذا المنظر الذى كاد يستل روحها من بين أضالها . فقالت وقد خفقتا العبرات وتهدج صسوتها فى حلقها :

— إنك تقتلى ! ألا تستطيع أن تعينى أيضاً ؟
— لا يا سيدتي . لقد كرهت أن تنسبى إلى أبى الفلاح ، وإنى أكره أن أنتسب إليك !

فتهدت المرأة تهديدات عميقة عالية وقالت :
« ألا تستطيع أن تعطينى قبلة واحدة ... كما أعطيتها ؟
إنها ليست كثيراً ... حتى كل ما أريد ... كل ... فأجابها : نعم . ثم قبلها قبلة عابرة باردة كانت فيها نهايتها .
نظمى غليل

وفى اليوم التالى ذهت إلى بيت ميلى القديم فى تلك القرية الصغيرة فوجدتها لا تزال فى ثيابها السوداء الريفية حداداً على فقد حبيب شبابها ... فلم تكذب تخطو الى داخل الكوخ حتى صاحت :
— انه ابنى يجب أن تتركه لى ... لقد أصبحت فى موقف أحمى فيه العالم أجمع . أظنه يزورك من وقت إلى آخر
— كل شهر منذ أن عاد من الحرب ...
يا سيدتي ... وبمكث يومين أو ثلاثة فى كل مرة ... وأصعبه أحياناً فى رحلات قصيرة . قالت هذا فى صوت الظافر الطاهر
فأجابتها كارولين فى هدوء :

— حسن . يجب أن تتركه لى . إنك لن تفقدى شيئاً فلك أن تراه متى شئت . سأذهب الآن إلى اثبات زواجى الأول وسأخذ معى
— لقد نسيت يا سيدتي أن هناك اثنين يجب أن يؤخذ رأيهما فى هذا الموضوع ، لست أنا فقط بل هو كذلك

— سأعم كل شيء . لا تظنى أنه سيرفض . ولكنها لم ترد أن تسرع الى ميلى بالتعرض إلى الأسفل والنسب ، فقالت : إنه لم يجرى ودى ولا يتصل بك فى شيء . فانفجرت القروية غيظاً وقالت فى تهكم صرير : « ماذا يمتنى من أمر اللحم والدم ؟ إنى أترك المسألة له فلندعه يفصل فيها بنفسه »

فأجابها كارولين : « هذا كل ما أبنيه . قلت أرسلنى فى طلبه ولأقابلته هنا » . ثم أرسل فى طلب الضابط وجلس الثلاثة فى ذلك الكوخ الصغير يتداولون فيما بينهم
لم يدهش الشاب إذ علم أن أمه إحدى النبيلات



هومروس



الأوديسية

لهومروس

بقلم الأستاذ دريني خشبة

هبت أورورا من فراش زوجها النافى الحبيب
(تيتون) فنشرت في الشرقي غلالة سنية من
فيض ضوئها ، بينما كان مجلس الآلهة متعذراً في
ذروة أولب ، وقد استوى زيوس على عرشه ،
وميزرنا ... ربة الحكمة والوعظة الحسنة ، قائمة
بين يديه ، تحصى آلام أوديسيوس ، وتبث أشجانه
وتصور للآلهة صنوف العذاب التي يتجرع غضبها
وحده في هذه الجزيرة النائية السحيقة ، فتقول :
« أبناها ! يا سيد أرباب أوأاب ! جوث ! اصغ
لى ! وأنتم يا آلهة الخلود ! أعيرونى انتباهة واحدة
منكم ، فإنها حمى ! إلى أين تصير الأمور إذن ؟
ها كم قد أصبح أمر الناس فوضى ... والطغاة
يمشون في الأرض مفسدين ، وكأنما أغضمت
أعينكم عن خيائهم ، ولم يضركم ألا تكفوا
أشرارهم ، ففسيتم الرجل الصالح أوديسيوس الذي
طالبنا منحكم محبته ، والذي بذل لشعبه مهجته ...
يشوى اليوم في تلك الجزيرة الموحشة ببحر هوموس ،

أوديسيوس يبحر من جزيرة كاليسيو
فمقدمة الفصل السابق (١) :

« لما وضعت حرب طروادة أوزارها عاد كل النادة
اليونانيين إلى أوطانهم إلا أوديسيوس الذى ضل طريقه
في البحر كما كان بينه وبين تيتون من عداوة — وقد
كانت زوجة بنلوب على قسط وافر من الجمال فطمع
فيها كل أمراء بلاده وحاصروا بيتها واستنفذوا
خيراته . وكان ابنه تلياك فى طرى الموت فلم يقو على
نضالهم ولكن ميزرنا ربة الحكمة كانت تتطف على
والده وتعتك أولئك المشاق ؟ فبذت للفق في صورة
آدمية ونصحت أن يذهب من فورهم الى نسطور ملك
بيوس ومنالايوس ملك أسبرطة ليسألها عما كان من
أمر أبيه — وقد أجبرت معه ميزرنا تحرسه وتسر
عليه . وأكرم للملكان وفادته وقس عليه ملك
أسبرطة تثيرات پروتيوس إله الشاطئ المصرى عما
كان من أمر أوديسيوس وما كان من عداوة تيتون
إله البحر له . وأنه ما يزال منياً في جزيرة كاليسيو
— وهال المشاق إجمار تلياك فصبوا على قتله عند
عودته وتربعوا له في البحر بالقتل . »

(١) نتجهد بقدر استطاع أن نلخص جميع الفصول
السابقة حتى تتصل الحوادث في ذهن القارئ الذى سائر لللمعة
من أولها . ولكن يستطيع من لم يبارها أن يبدأ من أى
فصل شاء

ويلقى بمد طول النأى خلاه»

وأصلح رسول الآلهة الأميين ، هرمز ، نعليه
الذهبيتين ، نغفتا به كالريح فوق السحاب وفي غمنا
عصاه السحرية العجيبة التي إن شاء داعب بها
الجفون فأغفت ، وإن شاء ردها إلى الصحو واليقظة ،
وما فتئ يرف بين السماء والماء ، ويدوم في ذاك
الفضاء كالفرنوق^(١) الذي يتوائب على أعراف الموج
يصيد ما يقتات به ، حتى كان فوق تلك الجزيرة
المنزلة عن جميع العالم . ثم ما برح يرق هنا ويرق
هناك حتى انتهى إلى ذلك الكهف السحيق الذي
تأوى إليه عروس الماء الشقراء ذات الشعر
الكهرماني وقد جلست ثمة تفرد وتفتى وتعمل
دائبة في منسج أمامها ، ويدها تتلقفان الوشيمة^(٢)
الذهبية كما يخطف البرق والنار تتأجج في الموقد
بقربها وتتوهج ، وجمر الأرض والسنندل يبعق
ويتأرجح ، وعلاً نشره أركان الجزيرة وفجاجها ...
وقد بسقت أشجار الحور والسنديان عند مدخل
الكهف ففتته بظلال رائحة ، وظلمة رهيبة ؛
وصنمت جوارح الطير أوكاراً لها في الدوح الذهب
في السماء ، وكنت^(٣) الهدأة ييضها ، وقر الفداف
جنب صفاره ، وطفقت البومة ترسل في الآفاق
صغيرها ، وتناثرت فوق الشاطئ أفاعيص الطير من
كل نوع ؛ وامتدت الكروم عن عيين الكهف
وعن شماله مثقلة بالعناقيد ذوات السكر ؛ وتدقت
جداول أربعة من عيون كوثرة تسقي السندس
الجميل للتضر بأفواف الورد والبفسج ... منظر

(١) بوزن طنبور وبوزن فردوس طائر مائي (الطاس)

(٢) المسكوك

(٣) رقدت عليه

وينير في صفحة السراب آماله ، .. كلال على كاليبسو
عروس الماء ... لا يملك سفينة فيقلع إلى الوطن ،
ولا يجد قلباً إلى جانبه فيبته حزنه ويشتكى إليه
لأواه ... وكأنما لم يكن بحسبه بعض ذلك ، بل
تسلط عليه الأقدار القاسية عسبة من الأعداء
الآلءاء يتربصون بانه الشر ، وينتوون غيلته ، إذ
هو عائد من أقصى الأرض . من أسطرة وييلوس
بعد رحلة منهكة يأكية ، قام بها يتنصم خبراً عن
أبيه يشق في قلبه غلة ، ويرى في نفسه كلوماً
ويجيها رب السحاب الثقال :

« أمة كله هائلة انفرجت عنها شفتاك يا ابني ؟
ألمت تتشوقين إلى عودة أوديسيوس سالماً
أمنّا فييطش بكل أعدائه ؟ إطمئني إذن ، ولتخرس
ولده تلياخوس حتى يصل سالماً أمنّا هو الآخر
إلى أرض الوطن ، وليببؤ أعداؤه بالفشل »
ثم توجه بالخطاب إلى ولده هرمز ، رسول
الآلهة ، فقال :

« هرمز ! هلم يا بني إلى عروس الماء الشقراء
كاليبسو برسالتني ؟ مرها أن ترسل أوديسيوس
على رمث^(١) وحده ، لا أنيس له من إنس ولا
آلهة ، فليلق الأحوال الطوال حتى يصل إلى شيريه
أرض الفيشيين ، ملوك البحار وأصهار الآلهة ،
فلزودوه بسفينة وزار وذخيرة من أمحال من
ذهب وديساج ، وبكل ما تشتهي نفسه مما يفوق
نصيبه الذي حصل عليه من أسلاب اليوم ، لو عاد
به غير منقوص إلى أرض الوطن ، ثم ليبحر سالماً
إلى إيشاكا ... بهذا قضت المقادير أن يؤوب ... وأن
يستعيد سلطانه كوصولجانه ، وملكه وإخوانه ؛

(١) خشب يرم إلى بعضه ويركب في البحر Raft

المنزلة من الأرض ، يحيط بها الملح من كل مكان حيث لا عباد ولا خلق يؤتون الزكاة ، ويقبضون الصلاة ، ولا أثر لمادة زيوس العظيم إله إرجيل جلالة ، يقول إنك تحتجزين هنا أنفس مخلوقاته ، البطل الكبير الذي زح عن بلاده إلى اليوم فقضى ثمة تسع سنين ثم أبحر عنها بعد سقوطها في الماشرة مع محاربى هيلاس الذين تفرقوا في البحر شذره ذر ، فتمهم من غرق ومنهم من قتل ، ومنهم من وصل إلى بلاده ... إلا إياه ... فقد هلك كل رجاله ، وقذفه البحر فوق جزيرتك النائية ... جوف يأمرئك أن تديه ، ففي كتاب القادير أنه لا يهلك هنا ... بل يعود إلى بلاده ويأق فيها آله »

وُزِلَتْ كاليبسو زلا وألقت بحية : « ها ... الظلم والحسد ... دائما ... هذا دأبكم يا آلهة ... كم تأكل قلوبكم الصغيرة كلما ضمت ربة إلى ذراعها أحد بنى الوق ! وهل نسيتم يوم رتم عندما علقت ويانا ذات الأصابع الوردية هذا الفتى الجليل أورويون كيف دبّت الفيرة في قلب أبوللو ففكر هذا المسكر السى ، ودرقت الفتى بيدي حبيبتيه ويانا ؟^(١) هل نسيتم أيضا كيف أرسل أبوكم جوف إلهي صواعقه على إياسيون المسكين لأن سيرس ربة الريح قد هويته وأخذته بين ذراعها حين شفقها حبا ؟ ! كذلك أنتم منى اليوم ، وكذلك أنتم غيوروت دائما ، فما أقساكم إذ تنفسون على

(١) تراجم الأوديسة إلى أبدينا مبينة في السلام من هذه الأسطورة لذلك اضطررنا أن نتصرف قليلا اعتداء على شرح الأستاذ جبر - وخلصنا أن أبوللو علم بما بين بين أخيه ديانا وأورويون من فتى فاستدع ديانا وأخذ يبارها في الرماية - وكان أورويون يستعمل في البحر لخطها تصوب سهمها إلى رأسه وهي لا ترمى فتتله

عجب ، وأنى منظر عجب يميث البهجة والانشراح حتى في قلوب سكان السماء ١١

ووقف هرمس يمتع ناظريه بسحر هذه الجنة ثم دلف إلى الكهف ، ولم يكن يسيرا على عروس الماء أن تعرف من هو ، وأى إله خالد طرق بابها ، ولو أنها هي أيضا فرد من أسرة الخالدين ... ذلك لأن سكان السماء يكونون مثلنا أحيانا ، لا يعرف أحدهم جميع الآخرين ، لبعد الشقة ، ونأى الدار ، وانقطاع المزار ... ، وأرسل عينيه في كل شق من شقوق الكهف ، بيد أنه لم يقف لأوديسوس على أثر ... فأنثى ، وغم نحو الشاطئ واستوى على صخر عظيم نأى ، وشرع ينثر من عينيه الدموع الغوالي ، يطفى بها في القلب سميرا سرمديا يلازمه أبد الدهر ... وكأنما عرفت كاليبسو من هذه الآية أنه هرمس ، فراحت تسأله ، إذ هي مستوية على عرشها المرد العظيم :

« هرمس ! يا صاحب العصا السحرية ، يا من طالسا أحبيته وبجلته ، حدثنى فيم أقبلت ، وقد نذر ما قدمت إلى هنا . هلم قتل . سل حاجتك فسأقضيها إن تكن في وسى ... ولكن هلم أولا ولتؤد لك مراسم القرى وواجبات الضيافة ... هلم ! »

ومدت عروس الماء ساطعا حافلا بأشهى ألوان الطعام وصنوف الشراب ، وأقبل هرمس فاغتذى وروى من هذه المائدة القدسية ، ثم توجه بالسكام قتل : « تسألين أبها الربة فيم أقدمت ! ألا فاعلى أننى ما أقدمت عن أخرى ، لكنه أبى ، سيد الأولب وكبير الآلهة ، هو الفتى أرسلنى . إذ أية حاجة لآلهة في هذه القطعة

حياتك الغالية في تنور من الآلام ، هلم ... هيا
إلى عمل جيد .. أمامك الدوح العظيم والأيك الذهاب
اقطع منه ما شئت واصنع لنفسك رَمَماً يحملك
فوق هذا المياب التسلاطم . وسأزودك بكل
ما يكفيك من طعام وشراب ؛ وسأمدك بأثواب
جديدة تقيك الحر والبرد ؛ وسأسخر لك الريح
تُهدُّ هُذُك إلى بلدك البعيد ... هذا قضاء من
آله السماء التي تقدّر فتعبدل ، وتقضى فلا يرد لها
قضاء . »

وتفرغ أوديسيوس لهذه المفاجأة ثم قال :
« أوه يا عروس ! بل في الأمر سر تحالين
إخفاءه عني ... أي رَمَث يجعلني في ذلك البحر
اللعجى وأى ربح تسخرين من أجل ؟ وإن السفينة
العظيمة لتخسر عباها وهي لا تدري أنسلم أم يكون
أهلها من المغرقين ؟ لا ... لن أنمل حتى تطيق
موتك ، وحتى تقسمي القسم العظيم ، أنك
لا تبطنين لي شرّاً ولا أذى ! »
وتبسّث الربة الهيفاء ، وراحت تربت على
خديه وهي تقول :

« ويحك ! كيف تسيء في الظن يا أوديسيوس ؟
أية حجة تملأها يديك على ما قلت ؟ ولكن اصغ
إلى ... أقسم لك بقسم الآلهة في الأرض والسماء
والدار الآخرة ... بالقسم العظيم الذي يقشعر له كره
كل شيء ... أني لم أضمر لك نيا عرَضت عليك
شرّاً ولا أذى ... إن الذي تبكي من أجله ، أبكي
أما أضماف ما تبكي من مثله ، فإلقد كنت ضرورة
من ضرورات حياتي هنا ، ولقد تملق بك قلبي ،
وهامت بمحبك نفسي ، وليس قلبي من صخر
فيحتمل البعد عنك بله الأضرار بك »

حببي ؟ لقد أنقذته بنفسى من هذا اليم الذي
التقم سفينته بمن فيها حين شطرها أبوكم بسهمه
في مئة من عبثه ! حببي الذي أهواه من أعماق
وأفتديه بروحي ، والتي أهد له حياة الخلود ...
ولكن ... وألفهاف ! كيف أطرده من عندي ؟
ويحي ! إن تكن هذه مشيئة زيوس فلا أحدثن
أوديسيوس ليرى لنفسه ، إذ ليس هندي مركب
يأمن فيه غائلة هذا البحر المضطرب ، وإنى ناصحة
له ، ... »

وكلها همرض فأنذرهما من غضبة سيد الأواب
وحضها أن تعمل على إبحار البطل

ورف همرض الرسول في لازورد السماء وانطلقت
عروس الماء تبحث في الجزيرة عن أوديسيوس ،
حتى لقيته فوق صخرة ساهما واجما ، تقشّر قلبه
المهاوجس ، ويبعث به محال الأمانى ، وقد انهمرت
فوق خديه عبرات حرار ! واللحظات تدبل
فتسقط من حياة في ظلام اليأس كأوراق الخريف
وقد ملّ هذا المقام الطويل البائس في جوار
عروس الماء ! تلك التي تملج عليه حبا البارد ،
وتقسره على أن يقضى لياليه بجانها على فراش
واحد في ذلك الكهف السحيق ... وكلا فكروا في
وطنه ، ونظرا إلى الموج التواثب في أفق اليم ،
وعرفا أن لا قدرة له عليه ... بكى وأن ، وتوجّع
وتضدّع ، وأرسل في لانهاية الماء والسماء آمات
وأهات ... »

واقتربت منه عروس الماء في رفق وحسب ،
وقالت له :
« أيها النفس لا تتعجب هكذا ، ولا تعجز

بشفوفها الرقيقة الثلجية الناصعة التي كأنما نسجت من نسبات الصباح المطرى ، وراحت تخطر فيناثة ريانة ، وقد انتشحت حول وسطها النجيل بقرطى جميل ، وألقت على رأسها بنجاش صفيق رقيق ؟ وقدست إليه فأسا ذات حدين أسعدها كالسلاطور ، ركبت فيها يد من خشب الزيتون اللين ، ثم إزميلا حاداً مرهقاً ... وسارت بين يديه حتى كأنما عند ثابة عظيمة تخبر فر ، لأحبة شاحبة ، بسقت فيها أشجار الحور والسنديان والشرين^(١) ، وتركته ثمة وعادت أدراجها إلى كهفها ...

ولم يهدأ للبطل المسكين بال ، بل شرع من فوره يقطع كل أيككة عظيمة حتى اجتث عشرين من أكبر دوح الثابة ... ثم أقبلت كاليسو وقد حملت إليه آلات ساعده على تشذيب الشجر ، واستطاع بعد لى أن يضم بعض الجذوع الى بعض ثم كسبها بكلايات كبار ، وأفرغ في وسط الزمالة ولما يحمل مكاناً أميناً ، كأحسن ما يصنع السقانون ... ودعم ذلك جميعاً بألواح ودسر ، وصنع قلماً وتجعل في القلع شراعاً ، ثم سوى السكان مكانه ، وجعل في الباطن صدارة^(٢) كبيرة تقي الرمث الانقلاب ، ولم ينس أن يجعل جوانبه بفروع وأغصان تربد في قوته وتضاعف من منته . وأتم صنع مركبه في أربعة أيام ، وأثزله الى البحر في الخامس ؟ ثم أدخلته عروس الماء حماماً ففسلته وضامه بخه بالطيوب والمطور ، وخامت عليه حلة من دياج عفيف وزوده بزقين من خمر وماء ، وأمدته بثيء كثير من طعام وأتواب

(١) ولم نجد لهذه اللفظة أثراً في اللسان والقاموس
(٢) أو صبرة قطعة حجر كبيرة يتزن بها المركب في البحر وتسمى في مصر (صابورة)

وانطلقا سوياً إلى الكهف ، وجلس أوديسوس فوق الشكك الذي كان يجلس عليه هرمن منذ هنيئة ، ثم أنبل جوارى الماء يحملن شيئاً كثيراً من اللحم والشراب فأكلوا ورويا ؟ ثم شرعت كاليسو تحفده وتقول :

« أهكذا يا ابن ليرتيس العظيم ، أيها الحكيم الصناع ، لا تفتأ نحن إلى وطنك وتتمزم الرحيل اليه ؟ أنا عذرك يا أوديسوس ... فوداعاً ! ولكن هل فكرت أيها الرجل في الأهوال الجسام التي تخرط قنادها قبل أن تصل إلى بلادك ؟ أليس خيراً لك أن تظل إلى جانبي ، وتقاسمني كهفي ، فتصبح من الخالدين ... وتنسى هذا الجلال الغاني الذي لا يتفك بصيبك وبسديك ، والذي أحسب جمالي وفتنتي لا يقلان عنه سحراً إن لم يزيدا عليه قوتاً ؟ »

فجيبها أوديسوس الحكيم : « أيها الربة المخوفة ! هو في حقيقتك ! أنا أعلم أن بنلوي المزيزة لا تزن من جمالك وقوتك مثقالاً ، لأنها هالكة ، ولأنك من الخالدين . بيد أن الذي يصيبني هو وطني ... ووطن الحبيب الذي أحسن إليه وأهم به ، وفي سبيل العودة إليه لن يخفى هذا اللجج للتلاطم ، فلقد بلوت الأعاصير في البر والبحر ؟ في خيبار الممعة ؟ وفي الفلك تحت كاسكل الزوينة ... إلى إلى يا خطوب ، وأندى بكل حوذك يا رزايا ... »

وتوارت الشمس بالحجاب ، وأرشد الليل سدوله فوق الجزيرة ، ونامت الربة في سريرها الوثير وبين ذراعيها حبيبها تشمه وتضمه ، وتحسه وتلكمه ... حتى إذا نضرت بالورد أوزورا جبين الشرق ، هب الألفان وتدثرا ؟ هذا بثوبه الخشن ، وتلك

ثم إنه لاعب السحاب بصولجانه ذى الشعب
 الثلاث فامتدّت منه ظلمات في أرجاء السماء ،
 وطفق بمد يهز أعماق البحر فهاج وهاج ،
 وتلاطم بالأمواج ، وصاح صيحة براح المشرّين
 ورياح المزيّين فاجتمعت إليه من كل مكان
 سحق ... ثم هبت ريح الشمال الناجية اللاخفة
 فانطلقا لآلاء النهار ، وناء الليل خآة ، وطنى المباب
 وشابت نواصيه بالثبج ، وتناوح الوج المنضوب
 حول الرمث ، وهلع فؤاد أوديسيوس وأصبح قلبه
 فارغاً ، وطاشت أحلامه وذابت أمانيه العذاب ،
 وراح يحدث نفسه هكذا : « يا نتماستى ! أى مقدار
 قاس يترصدنى ؟ ! لقد أذرتنى ربة السماء مقبة هذه
 الرحلة الهوجاء في البحر فا صدقتها ، وتنبأت عن
 الشدائد التي تمتد طريقى إلى الوطن ، غها هي ذى
 تتحقق ! أية أعاصير هوج وأي موج ينتفض من
 الأعماق سلط جوف على هذا البحر ! بعد لحظة
 أغوص في ظلمة هذه القبور التي يشقّق عنها الوج !
 ألا لبتنى مت قبل هذا وكنت نسياً تحت أسوار
 إليوم ، يوم أوشكت أن أقضى ثلاثاً في سبيل إنقاذ
 الأترديس^(١) أو يوم أوشكت أن أصرع برماح
 الطرواديين إذ أدفع جموعهم عن جثة أخيل ! !
 أجل ! لو أننى مت ثمة لأقيمت من أجل الطقوس
 الجنائزية ، وأديت لى الشماثر الدبانية ، وذرف فوق
 قبرى كل يوفانى أغلى دموعه وأعزّ مبراته . وتفاذيت
 هذه اللوثة المجهولة التي تكاد تلتقمى ! »
 ثم كانت العائمة ... فان موجة كالطود فجأته ...
 فعمرت الرمث ... وأقلت مقبض السكان من بدى
 أوديسيوس ، فانثرت في اللجة ، ثم غاص في أعماقتها ،
 وعبثا حاول أن يطفو ... لأن الرياح تكالبت من

(١) هو أجايونون

وودع عروس الماء المهزونة ؛ وجلس عند
 السكان ، ثم دفع الرمث في البحر ، وابتعد رويداً
 رويداً
 وكان قلبه يفيض بالبشر ، وصدره يمتلئ
 بالانفراح ... وظل يجرى به الفلك الصغير سبعة عشر
 يوماً ، وعيناه في كل ليل ما ترمغان عن التريا في علياء
 السماء ، وما تفران تنظران الى نجوم الدب الأكبر
 التي تقف للجبار^(٢) بالرصاد ، كما علمته عروس الماء
 قبل أن يرح ، أن يجعل هذا النجم الى شماله أبداً
 ثم بدت جبال فيثيا الشمم كأنها دروع
 مسرودة فوق صدر الأرض الشاحبة ... ولكن !
 وا أسفا ! ... لقد كان الجبار تبتيون ثانياً عتانه
 من سوليا^(٣) ، فلهج أوديسيوس فوق رمته يتواهب
 على هام اللوج ، ويقترب من الشاطئ ، فينجو إلى
 الأبد من بطشه ... وفارت في نفس تبتيون
 — إله البحار ، وأندى أعداء أوديسيوس —
 ثورة من الغضب ، وظل يملك هذه السكايات في
 نفسه من فوق بطاح إتيوبيا^(٤) :
 « وى ! أو قد تبدلت مقادير الآلهة إذن ،
 وتحركت فيهم عواطف الحنان من أجل هذا الرجل
 أوديسيوس ، فقضوا فيه ما قضوا لأنهم يسكنون
 السماء ولم يبالوا بى لأنى أسكن الأرض في
 إتيوبيا ؟ ... إنه يرى شاطئ فيثيا قيد وثبات منه
 وهو إذا ففز إليه أصبح بنجوة من هموم تترصده
 في كل موجة من موج هذا اليم ... ولكن ...
 لا ... لأهبنه بالف سوط عذاب قبل أن يصل
 الى البر ... »

(١) - الجوزاء Orion

(٢) إحدى مقاطعات آسيا الصغرى وكانت تدعى بيسيديا

(٣) هكذا في الأصل

بشرط ألا تنظر إليه وهو يسقط في الماء»
وسلّمت إليه زوارها الموعود، ثم غاصت في
الماء، وبقي أوديسيوس مكانه في حيرة شديدة.
وحزن عميق؛ ثم أفاق من غشيته، وجعل يهرف
هكذا: «أوه! ترى؟ أذاك شرك آخر تدره
الآلهة لي؟ ولكن لا... لن أبرح مقباً فوق
الرمث، فالبر بعيد، ولأظل مكاني مادامت الجنوع
مُكبّية هكذا، فإذا حطمتها يد الحدّثان فلأفعلن
كما أشار الآلهة التي كان يكلمني منذ لحظة...»
وما كاد يفرغ حتى أرسل عليه نبتيون موجة
جارفة حطمت رُمته، وتركته طالقاً بأحد الأرواح...
وأسرع أوديسيوس فخلع الرداء الجليل الديباجي
الذي خلّفته عليه كالبيسو، ولف الزوار الموعود
حول صدره، وقذف بنفسه في الماء... وراح
يسبح!

وكان نبتيون الجبار يرى بيمينه، وبشفي
حردّه، ويقول في نفسه: «ذُقْ يا أوديسيوس
وبال أمرك في هذا الطوفان، قبل أن تضلّ حبالك
بجبال الشعب الذي هو حبيب الآلهة، وبشيفري
ثمة هل تنتهي آلامك!»

وحثّ مطيّته حتى وصل (إيجيه) حيث
يشرف قصره النيف

وكانت ميترفا تشهد الكفاح المائل بين
أوديسيوس وبين اليم، فأظلمت من عليائها،
وداعبت الرياح حتى استنامت وونت، ثم أطلقت
بوريس، ربح الصبا الشبلي الكريم جفري^(١)
رخاء، يدفع أمامه البطل العظيم الذي ظل يناضل
الموت ويصرعه يومين أطول من دهر، وليتلين

(١) الضمير عائد على بوريس وهو مذكور

كل مكان، وكلّ نجاة من موجة ففرت له فهاها
أخرى... ثم حدثت المعجزة... فقد وسمه بمد
لأوى وبعد عناء شديد أن يدفع نفسه دفعة اليأس
إلى السطح، وأن يلاّ رثيته النهوكتين بتنفسه من
الهواء، كانت تنمزج بالماء الأجاج المنصب من
جبينه، حتى لأوشك أن يغص بها... لولا أن
أطفت به الصدفة، فرأى الرمث قريباً منه، وقد
انترعت المصاصة قلاعته وشراعه، فسبح إليه
وأمسك به، ثم استوى عليه، وتركه للموج تلعب
به واحدة وتعبث به أخرى، وتجتمع عليه الرياح
عن شماله ويمينه، ومن خلفه وقدامه، حتى قبض
له القدر عروس الماء (إينو) ابنة قديموس، التي
كانت تعيش في البر وتعرف فيه بهذا الاسم، والتي
تخذت اسم (ليوكوتيا) بعد أن نزلت إلى البحر
وعلقها أحد الآلهة فوهها المخلود... لقد تفجرت
في قلبها شكايب الرحمة من أجل أوديسيوس لما
رأته في هذا الروح التي ليس كمثل روح، فسحرت
نفسها ووثبت على الرمث في صورة غفلاس الماء،
ثم قالت له: «ويحك أيها البائس! قيم أترت
غضبة نبتيون عليك حتى ليتبعك سرباً في شباب
البحر، ويصب عليك كل تلك الرزايا...؟ على أنني
أصبح لك أن تدع هذا الرمث، تتدافعه الرياح
حيث تشاء، ثم تخلع ملابسك، وتقفز في الماء،
وتسبح بقوة وجلد حتى تصل إلى شطآن فيشيا،
حيث تسلم بنفسك، وتكون بئمان من بطش
هذا الجبار. خذ، هالك زواراً من حرير من
حياكة السماء، لفّه فمحت صدرك، فانه يحميك
بئمان حتى من مجرد التفكير في الموت؛ فإذا وصلت
سالماً إلى الشاطئ، فازمه بكل ما أوتيت من قوة
بميداء في البحر، وأدر وجهك بمجرد أن تفعل،

فقدفه في مسيل من مسایل الماء المنتشرة على الشاطئ، وعندها، ظن أوديسيوس أنه بنجوة لولا تيار النهر الذي كاد يسلمه بدوره للمحيط، مما جعله يضرع لرب النهر ويبتهل... ويدعو من أحماق قلبه ويصلي، حتى استجاب الرب الرحيم لصلاته، فكسر حدة التيار، وقُلَّ من غرب الماء واستطاع البائس المنهوك أن يصل إلى إحدى المدوئين وأهيا مهالكاً عظماً.. فانطرح على الترى بقبله... وبلهت ويقول:

« ويح نفسي ماذا تبتهن يه آلام! لقد أقبل الليل وأنا عي مصدع، ولا قبل لهذه البقية من حشاشتي بطل المشاة وصقيع الفجر... فلوأني استطعت أن أنساق هذا الحدود فالوذ بأجرة من هذه الثابة! ولكن! وى! أى وحش صار يفتدى بلحمي ثمة؟ »

يُشَدُّ أنه تقول في الجبل حتى أوشك أن يضرب في الثابة؟ ثم كان بين زيتونتين إحداها ثمرة، والأخرى عقيم، كل منهما لقاء شجرا حتى لا تنفذ الريح بينهما، ولا تنسرق أشعة الشمس خلالها، ولا الماء يواصل إلى من استندى بهما

هناك... وجد أوديسيوس مأمنه... فراح يمد الأرض، ويلطم ما استطاع من قش ويحطب حتى صنع لنفسه منامة تكفي اثنين فيره، من الضاريين المشردين في الأرض، ودعم حفافها بفروع الشجر... ثم أسلم عينيه لنوم هادئ عميق، سكبته مینزفا في كلتا مقائيه

فلله ما كان أروع غاراً في هذا السفط من القش، كشملة من زيتونة لا ثمريه ولا غريبه، يمتز بها رفق شاب في قرار مكين^(١)

(يتبع) دبرني خضبة

أحلك من غياة جب، حتى إذا غابت أورورا في اليوم الثالث، استطاع أن يرى الشاطئ على مرمى البصر، من فوق موجة عالية ما أحل الأمل الذي يحمي بعد يأس! لقد كان ينظر أوديسيوس إلى التلال والجبال القريبة، والثابة الناعمة في أحياها، كما ينظر الأطفال الأبرار إلى أب لمهم أمهكتة الملة... ثم عائل للشقاء بعد تسليم وقنوط!

ومحس الأرض بقدميه... ولكن... وأسفا! الأعماق الهائلة والصخور والأواذي والوج الذي يرتطم بأقدام الجبال فيرغى ويزبد... لم يكن بهذه الجهة مرفأ، ولم تكن تجوس خلالها سفن... ولقد ظل أوديسيوس يكافح ويكافح... حتى غم على قلبه، وكاد يتفشاء طائف من الخور، بعد أمل أكيد!

وجاشت الوسواس في قلبه، وطفق يحدث نفسه حديث الهلك في هذه اللجة الرجراج... وكان أخوف ما يخشاه أن يدقمه الوج على نتوء الصخر فيحطمه، أو أن تلجحه أمفريت، زوج نيتيون، عدوه اللدود، لأنه البحر، فتسلط عليه من وحش الماء ما يلقفه، أو يقذف به إلى أعماق الأعماق... كرة أخرى

وبينا هو في بحر من ماء ومن هواجس، إذا موجة هائلة بضطرب بها اليم فتسدمه في قوة وعنف إلى الشاطئ ذى التتوء والنؤى فتكاد تدق عنقه، وتذروا عظامه، لولا أن قبض بذراعيه الجبارتين على حافة صخرة بارزة... وثمة ظل معلقاً حتى أقبل جبل آخر من موج البحر فاحتمله إلى الأعماق كأنه أحد مراطين الماء... وجاءه المسكين ثانية وثالثة حتى تدافع الوج من خلفه

(١) كانت النار في الزمن القديم أغلى ما يعتز به الناس

الأرض فيثير غبارها ، وكان القمر في كبد السماء الصافية ، يرسل أشعته الفضية على الرجل النائم . ولم يكن هناك أحد سواها ، أنا والنائم النمل الذي لم يكن يشعر بوجودي وهو يتوسد الحجر القاسي كأنه على فراش وثير .

وشمرت بأن حال هذا الرجل زادت في آلامي ، فتمكنت من مبارحة مكاني الذي ما كنت لأبرحه ، وما كنت لأستفيد من وجودي به لأطرق الباب حتى ولو أغربت على ذلك بملاحة وتاج ، وذهبت إلى قرب هذا الرجل النائم أنفوس فيه وأقول في نفسي :

ما أحزن نومه ، لا ريب أن رقاد هذا الرجل لا يقلقه شيء من الأحلام ، ولعل زوجته تنتعش في هذه الساعة لجار لها باب السكن الوضع . إن أبواب هذا الانسان عبارة عن أطوار بالية ، وقد نحل خداه وتجمدت بداه ، فمن يكون هذا المخلوق إن لم يكن واحداً ممن لا يجدون كل يوم كسرة خبز يقتاتون بها ، فهو إن نهض غداً من نومه يستعاوده جميع همومه ومحتاجه جميع مصائبه ، ولكنه هذا السناء كان يملك بضعة دراهمات مكنته من الدخول إلى حانة قابض النسيان لأوجاعه . لقد رجع هذا الرجل في مدى أسبوع ما أناله ليلة رقاد هنيء . ولعله حرم بذلك أطفاله عشاء ليالهم ، ولكنه الآن يتنأى من آلامه ، فله يقينه أن يتجده ولصديقه أن يلج مسكنه الحقيق كاللص ، بل أنا إذا شئت أن أضرب على كنفه لأقول له : إن عدواً يهدد حياته ، وإن النيران تلهبهم مسكنه ، فانه لينقلب على جنبه الآخر ويعود مشتغراً في نومه

وذهبت أذرع الشارع بخطوات واسعة قائلاً : وأنا . . . وأنا . . . وأنا المحروم لذة النوم ، وفي جبني



استغفرت في العصر

لألفريدو موسى
بقلم الأستاذ فليكس فانس

الفصل التاسع

وكنت وصلت إلى أشد الهاوى ظلاماً عندما دفعني اليأس وثورة الشباب إلى فلة قررت أجماع حياتي

كنت كتبت إلى عشيقتي أنني لا أريد أن أراها بعد ، فقامت بما عاهدت النفس عليه ؛ غير أنني ما اذتممت من غضبة الليالي تحت نافذتها جالساً على مقعد أمام بابها لأراها تلوح في كالخيال من حين إلى حين بين منفرجات ستارها

وبينا كنت في إحدى الليالي جالساً على عادي وقد غمك الألم كل مشاعري ، رأيت عاملاً يسير على الطريق في ساعة متأخرة وهو يترنح سكرًا ويتمتم بكلمات لا تفهم تتخللها هتافات نشوة وحبور . ووقف هذا العامل بنته وأطلق صوته مترنماً ثم عاود السير ورجلاه تقودانه تارة إلى يمين الطريق وتارة إلى شماله حتى بلغ قهقداً موجهماً لمقعدى أمام بيت آخر فانظر ح عليه ، وبعد أن قلب برهة على ساعده استغرق في الكرى

وكان الشارع مقفراً والهواء الجاف يهب على

الحانات ، فنار تأثري وقالت في نفسي لملي ان أفوز حتى بهذه التمزية ، فكنت أراكم من باب دكان إلى باب دكان آخر هاتفا :

- أريد خرا .. أريد خرا ..

واهتديت أخيراً إلى حانة مفتوحة ، فطلبت زجاجه خمر وجلست أكرعها دفعة واحدة دون التفات إلى نوعها ، وابتعت الأولى بثانية وبثالثة ، فكنت أقلب الكأس تلو الكأس مكرها ، كبريى يتجرع دواء فرض عليه فرضاً لأتقاذ حياته .

وما مضت رهة حتى شعرت بأبحرة هذا الشراب - الذى كان ولا شك مشوشاً - تصاعد إلى رأسى وتورثنى السكر فجأة ، فيتوالى على ذهنى الصفاء والاضطراب ، حتى فقدت قوة التفكير ، فشخصت بإبصارى إلى مافوق كأنى أودع شعورى بنفسى ، وتراخى ساعدى على الخوان فلم أستطع تحريكهما . وعندئذ لاحظت أننى لم أكن منفرداً فى الحانة إذ رأيت فى طرفها كتلة رجال يحمل القبح فى وجوههم الفاحجة ، وتعالى الثبرات الشاذة فى أصواتهم ، وكنت أرى من أصواتهم أنهم ليسوا من العامة ولا من متوسطى الحال وكل ما فيهم يدل على أنهم من أحقر الطبقات ، من الطبقة التى لا مكانة لها ولا ثروة حتى ولا مهنة سوى مهنة البطالة الدنيئة . من الطبقة التى لا تنتمى إلى الفقراء ولا إلى الأغنياء وقد انتهى إليها بؤس الفقر ورذيلة الننى

وكان بين أيدى هذه الجماعة ورق قد ملأ ، وكان الخلاف قائماً بينهم فيخشون أصواتهم فى مجادلاتهم ؛ وكان بينهم فتاة غضة الصبا ، بهية الطامة ترندى أثواباً نظيفة ، وليس فى مظهرها ما يشبه من حولها من الناس سوى صوتها الأبح الذى كان

من المال ما يكفى لتتويع هذا الرجل سنة كاملة ، يسودنى الغرور بل الجنون فأترفع عن دخول الحانات ، وأتجاهل أن النساء يدخلونها ليخرجوا بالسعادة من بين جدرانها

يا لله ! إن عناقيد من الكرمه تمصرها الأقدام كافية لتبيد أحلك الموم ، ولتقطع الأشرار التى تمدها روح الشر على مسالكنا . إننا نمول كالنساء وتنا لم كالشهداء ، فيخيل إلينا حين تساورنا المصائب أن العالم قد تهدم على رؤوسنا فنطرح منتجين كما انطرح آدم أمام الباب اللوسد بيكى النيم المفقود ، فى حين أنه ليس علينا إلا أن نعد يدنا إلى الكأس لأطفاء لهب أحشائنا ، وشفاء أوسع جرح فتحته فيها الحياة . ما أحقر هذه الموم التى تداوى بزشفة من مثل هذا الدواء !

إننا لنمجب من أن العناية الآلهية لا ترسل جميع ملائكتها لتنصت لأتبالا لنا ، وما العناية بحاجة إلى إرسال طعام أملاكها إلينا ، فهي قد رأَتْ أوجعنا وما خفيت عنها شهواتنا ، وغرور روحنا الساقطة وما يحيق بنا من غمرات الآلام فاكشفت بأن تنبت ثمرة صغيرة سوداء تبدل على جوانب طريقنا .

إذا كان هذا الرجل ينام ملء جفونه فلماذا لا أنام أنا مثله ملء جفونى

لقد يكون مزاحى متوسداً فراش خليلى الآن فيخرج منه عند الفجر ، وتشمع هى حتى الباب فينظران إلى وأنا أعطى فى نوى على هذا القمد فلا أتنبه لصوت قبلتهما ؛ وإذا ما ضربانى على كتفى فأننى أقلب على جنبى الآخر واستمر فى الرقاد وحكم الروح فى فذهبت . مفتشاً عن حانة أستقر فيها ، وكان نصف الليل مرّاً وأقلت أكثر

مستسلم للبأس ، قد صرخت بصرعة حسبت معها
أننى أشاهد حلما ، فاضطربت أفكاري حتى حسبتنى
جنت أو استولت على قوة مجهولة

وصحمت بالفتاة فجأة : من أنت ، وما تريدن
منى ؟ وأن عرفتنى من قبل ؟ من كلفك بمسح
دموعى ؟ أهذه واجبات مهنتك ؟ وهل تظنين أننى
أرضى بك ؟ . . . إننى لن أمسك بأطراف أمالى .
ما ذا تفعلين هنا . ؟ أجبى ، أملا تظلين ؟ ، وبأى
ثمن تبيعين إشفافك ؟

ونهبنت طالبا الخروج ؛ ولكننى شعرت
بأن رجلى لا تقدران على حلى ؛ وأن غشاوة أسدلت
على عيني ، ونفدت قوى فارتيمت على مقعد مستطيل
عثر به

أخذت الفتاة يدي وقالت : أنت متألم . . .
لقد شربت كما يشرب الأطفال أمثالك فما عرفت
ماذا فعلت . . انظر على هذا المقعد إلى أنف تمر
عربة . . قل لى عنوان أمك لأرسلك إليها
ثم تضاحكت قائلة : إذهب إلى بيتك ما دمت
قبيحة فى نظرك . . .

والتفت إليها وهى تسكلم ، وما أعلم إذا كان
السكر أرائى ما رأيت ولم أتبين إذا كان ضلالى سبق
هداى أم هداى سبق الضلال ، فرأيت فى وجهها
صورة لوجه خليلتى ، وعند ذلك شعرت بصقيع
الجليد فى أعضائى

إن الانسان ليشعر أحيانا بارتعاش فى شعر
رأسه ، ويقول السذج إن ذلك دليل على مرور
ملك الموت ، وما كان الموت قد صر على رأسى بل
هو داء المصر ، وما كانت هذه الفتاة إلا ذلك الداء
بمينه تجسم فيها شاحبا هازما بنبرات الصوت
الأبح وجاء يجالسنى فى زاوية من هذه الحانة

بتمالى كأنه صوت مناجاة المهين المناداة فى الأسواق
ستين سنة . وجدت هذه الفتاة ، وقد أدهشها
ولا ريب وجودى فى هذه الحانة ، وأنا صرير
ما أرتديه من أتيق الأنواب ؛ وما لبثت أن تقدمت
نحو مجلسى وعند ما رفعت الزجاجات الثلاث من
الخوان ، ورأتها فارغة افتقر ثغرها عن در نصيب
فقبضت على يدها ورجوتها أن تجلس قربى جلست
مسرورة ، وطلبت أن يحضر الخادم لها المشاء .

وحدثت فى الفتاة صامتا وعينائى مفرورتان
بالدموع ؛ فسانتني عما يحزننى ، وما كنت قادرا
على إيراد الجواب ، فهزئت رأسى كأننى أريد أن
أطلق القطرات الحائرات من مدامى ، فتساقطت
على خدى . وأدركت الفتاة أننى أكم أمرا
مؤلما فما حاولت اكتشافه ، بل أخرجت مندبها
وهى تتناول طعامها لتهر على وجهى أنا قائما

وكان فى هذه الصببة شىء لا يحدد إلا بأنه مزيج
من أخشن الأشياء وألطفها ؛ وقد تغفلت المطف
فى غشاؤها ؛ فوجت حائرا فى تقديرها . ولو أنها
كانت التفت بى فى شارع ومدت يدها إلى
لتراجعت فيها مشمئزآ ؛ غير أننى وأنا فى حالتى كنت
أرى من الغرائب أن تتقدم نحوى فتاة ما رأيتها
من قبل فتجلس صامتا إلى خوانى وتتناول طعامها
أماى ثم تحفف مدامى بمندبها ؛ لذلك بت أمامها
واجما تاركا مخلوبا

وصحمت صاحب الحانة يسألها عما إذا كان لها
معرفة بى . فأجابته إيجابا وطلبت ألا يتدخل أحد
فى أمرى . وبعد قليل من الزمن انصرف اللاءبون
وأقبل صاحب الحانة أبوابها من الداخل ثم انحسب
إلى غرفته الخاصة ، وهكذا بقيت لوحدى مع الفتاة
وكانت هذه الحوادث التى أرتها بما فعلت وأنا

الفصل العاشر

المستقر ، ولكل إنسان في حياته ساعة وقف فيها صارخاً : إضرب سهمك مذهباً في مجلتك الدائرة ، أيها الزمان

وبعد أن تم ترتيب الغرفة طبقاً لما ذكرت أوقدت ناراً ، وجلست القرفصاء أكرع كأس يأسى حتى التأملة ، وأسبر صميم فؤادى لأشهر بتملحه وانقباضه ، وكنت أستعبد في ذهني أنشودة تبرولية كانت تنفث خيليتي بها وهي :

كنت في روض دلالي زهرة فيها غرام أحرق المشق جمالي هكذا يقضي الغرام وكانت نبرات هذه الأنشودة ترن في أذني كأنها صرخة تتعالى في قفار قلبي ، فأناجى نفسي قائلاً : هذه هي سمادة الانسان . هذه هي جنيتي أصبحت صبية من بنات الواخير ، وهل خيليتي أفضل منها ؟ هذه نملة الكوثر الذي تحتسيه ، هذه جيفة الغرام ...

وأطلقت الفتاة الشقية صوتها بالانشاد إذ سمعتني أغمم أناشادي ، فملت وجهي صفرة الموت إذ سمعت عواطف نفسها تنشد هذا الصوت الأجلش المتعالى من فم فتاة تشبه من أحببت ، فكان هذا الصوت هو النعشاء تفرغ في صدر نورت فيه أزاهر الشباب ... وخيل إلى أن صوت خيليتي قد أصبح منذ سقوطها شبيهاً بهذا الصوت ، وخطر ببالى ما يحكى عن (فوست) من أنه رأى فارة حمراء تنشب من فم ساحرة عارية كان يحاصرها في ليلة راقصة . فصرخت بالفتاة : اسكتي ، وهرعت إليها فترامت ضاحكة على سريري ، فانطرحت يدورى إلى جانبها وإذا بي أرى جسدى كتمثال ممدد على لوح مدفن

أى ، رجال هذا الزمان ، التسارعين وراء

وما كدت ألحظ مشابهة هذه المرأة لمشيقى حتى اجتاحت دماخى فكرة عظيمة لم أجد بداً من تنفيذها

وكانت خيليتي في أوائل عهد غرامنا تأتي خلصة إلى غرقتي للاجتماع بي ، فكنت أملأ هذه الغرفة أزهاراً وأغرم النار في الموقد ، وأعد العشاء ، وما كنت أغفل عن تزيين السرير وإعداده للحبيبة المنتظرة

ولكم شخصت الى هذه الحبيبة الساعات الطوال وهي جالسة على المقعد أمام المرأة ، وكلانا صامت يناجى الآخر بحققان فؤاده ، فكنت أراها كالسكة من عالم الجن تحول الى جنة هذا السكن الصغير حيث أرقبت كثيراً من الدموع . ولكم تألفت بروعة جمالها بين هذه الجدران الأربعة الحزينة والرياش القديم ، وقد تجمعت حولها كتيبي وأثوابي

وكان نذكار هذه الليالي لا يفارقني لحظة منذ فقدت بهجتها ، فكانت كتيبي وجدرائي تناجيني بهذه الذكري وأنا مسهد مفجوع فترهقني حتى أذهب هارباً منها الى الشارع نافراً من سريري الذى لم أكن ألتجأ إليه إلا لأذرف عليه الدموع اقتدت هذه الصبية الى غرقتي وأجلستها على المقعد ، حولاً ظهرها نحوى وأبقيتها عليه وهي نصف عارية ، ثم شرعت أرتب كل ما حولها على النمط الذى كنت اخترته في أعمق الليالي ارتساماً في خيالى إن للذكريات السعادة صورة واحدة تنقلب على سائر صورها ، فهي خيال يوم أو ساعة تأتت سواها في جمال المؤثرات فتبقى كأنها الأنموذج

قيمتها ، اذكروا انكم قد تشقون شيئاً بالرغم من
صقيع عواطفكم ، ولقد ينقطع عرق في أعماق
أحشائكم فصرخون صراخاً يشبه أنين الثالين—
لقد يجيء يوم تدرودن فيه إلى الألفة الموحلة عندما
تطلبون ملذاتكم لتستنزفوا فيها قواكم البائرة
فلا تجدون من السال ما ييلفكم أيها ، فتذهبون
بنظراتكم الحائرة ووجوهكم الشاحبة المحسدة
لتنطرحوا على مقعد منفرد تحت ظلام الليل

أيها الأنايون المنتصبون كنفائل من مصر ،
المتفردون باخضاع كل شيء لتفكيركم ، أنتم الباهون
بترفكم عن اليأس وبصمتكم في حساب الأرقام ،
إذا ما سطا اليأس عليكم وأخطأتم في حسابكم يوم
يزعزعكم الأفلاس ، تذكروا (أبلار) وقد اختلط
القضاء منه (هلويز) التي بالغ هيامة بها ما لا يبلغ
مشاره حكم لجيادكم ودنانيركم وخيلائكم فإن هذا
الماشي قد فقد بإفترافه عن سبيل ما لا يمكن لكم
أن تفقدوه أنتم ، حتى وما لا يمكن أن يفقده أميركم
إبليس لو عاد إلى الجنة ليسقط منها مرة أخرى .

ذلك لأن أبلار قد أحب هلويز حباً لا تقرأؤه في
أمة جريئة تصفعونها ولا يلوح حتى نكيال لنسائكم
وبنائكم لا في كتمان ولا على مسارحنا — ، ذلك
لأن هذا الماشق أمضى نصف حياته ياتي قبلة على
جبين الحبيبة الطاهر وهو يلقنها الزامير والأناشيد ،
ذلك لأنه لم يكن له سواها على الأرض

تذكروا هذا البتل وعلمو أن الله قد أرسل
إلى قلبه المراء والسلوان .. فإذا ما تذكركم هذا
الماشي والحنة التي حلت به فإن كفر فولتير
ودعايت كوزيه تفقد معناها في نظركم فتعلمون أن
العقل يمكنه أن يشق الإنسان من أوهامه ولكنه

ملذاتكم في المراقص والسارح ، إنكم ستمودون في
آخر الليل إلى مساكنكم لتقرأوا قبل استسلامكم
للوسن أشياء من كفر الشيخ فولتير أو مداعبات
كوريه ، أو خطب مجلسنا النيابي عن الاقتصاد
السياسي ، فأجيزوا لي أن أوجه إليكم هذا الرجاء ،
ولكل منكم ما يروح به عن نفسه راحة هذه
النبته السامة التي زرعها العقل في قلب حضارتنا :
إذا ما وقع هذا الكتاب الوضيع صدفة بين أيديكم
فلاتوجهوا إليه بسمة الاحتقار ولا ترفضوا أكتافكم
مستهزئين . لا تقولوا وأنتم تخالون أنفسكم في حرز
أمين إن واضع هذه الفصول مصاب بداء الأوهام ،
ولا تظنوا أن العقل أو ما تعتبرونه عقلاً هو خير
مافي الإنسان من قوى ، وإن حقائق الحياة قائمة على
حركة المضاربات المالية وورق اليسر ولقيذ الخمر
وصحة الجسم وعدم البالاة بالسوى ، وعلى فراش وثير
تمددون عليه عضلات توترت بالتهوهات تحت
جلد ناعم يمسى بالمطور

لا تنتروا ، فقد تهب يوماً عاصفة هوجاء على
حياتكم الهادئة ، ولقد رسل المنابة الآلهية صرصرآ
على الأدواح الباسقة التي تسقونها من مياه النسيان
الراكدة . لستم بآمن من عثرات الآمال فإن في
أعماق عيونكم دموعاً ، أيها المتحصنون بالجلود :
وأنا أقول لكم إنكم معرضون لخيانة خيلائكم وما
تهتمون لهذه الخيانة اهتمامكم لوت أحد جيادكم ،
ولكن اذكروا أن المضاربات المالية معرضة للخسارة
وإن أقوى ورقات اليسر قد تصطدم بأقوى منها ،
وإذا كنتم من غير فئة المضاربين فلا تنسوا أن
سمادكم وذهبكم وفنضكم مودوعة عند صيرفي قد
يُزل به الأفلاس أو ممثلة بقراطيس مالية قد تسقط

الأكدر الذي عشي بين
النخيل يترك القمر
يتقطر ، ان أيام مصر
ترتمش حولنا ، والماء
يدفع اللحظات بين يديه
كمسحة سوداء ،
والسكون ذاته صلاة
غريبة ، والرمال تتألق
كالحرير الأرجواني .

سيرة أبل إهولك

مشرقية شعرية في أربعة فصول

للكاتبة الفريسي مريسي رستان

بقلم الأستاذ خليل هندأوى

ل من العمر عشرون ، وما إلى أجبك !
الماشقة : عيناك اللامعتان لهامن البحر حرقته العميقة

الماشق - منذ أي زمن تهويني ؟

الماشقة - أنى لي أن أعرف ؟

الماشق - ألا تعرفين ؟

الماشقة - يجب أن أهولك من اللحظة التي
كنت فيها ، وإنى لأذكرك في كل أيام الجميلة !

الماشق - قد انتصف الليل
(ينهض)

الماشقة - أين ترى الساعة ؟ أه إلى أريد
ألا أعرفها ، فصوت المؤذن الذي يتعالى لا يصل
إلينا ، هنا الساعة تخفى على استحياء ثلثا تسهر بها

الفصل الثالث

أبو الهول الأكبر

الصبراء التزامية ، الليل الشامل ، الفضاء ، الزمان ،
ضباب ذهبي يغير الأشياء ؟ وأبو الهول الشامخ يبدو
بين الأشياء كأنه السكائن الجديري الوجود .

يرتفع السار : الليل فاج ، والنيوم تنزاح قليلا
قليلا ، يبدو القمر والنيوم تبت واحدة فواحدة كأنها
تنصر من النور ، وأبو الهول كأنه ينصر من الظلمة ،
وعلى قدى أبي الهول عاشقان مصريان !

المشهد الأول

أبو الهول ، الماشقان

الماشق - بحب العودة سريعاً ؟ انظري لاليل

ولتذهبوا إلى أبواب المابد محاولين فتحها فتجدونها
مقفلة في وجوهكم فيخطر لكم أن تاجأوا إلى الرهينة
التي لا يخرج المندرون منها إلا إلى قبورهم ، ولكن
الاقدار تسخر بكم وتقذف اليكم بزجاجة سحر وامرأة
عاهرة ، فإذا ما كرمتم الحجر وقدمتم العاهرة إلى
فراشكم ، فتبينوا مصيركم وادخلوا إلى أية هاوية
تتحدرون

فليكسي غارس

(يتبع)

أعجز من أن يشفيه من آلامه !
إنكم لتدركون إذ ذاك أن الله قد أوجد الحكمة
مدبرة لشؤونكم لاراهبة عمة تمنع على أسرة الأعلام
منكم . إنكم لتدركون بأن قلب الانسان لم يقل
كلته الفصل عندما أعلن أنه لا يؤمن بشيء لأنه
لا يرى شيئاً ...

إنكم في ذلك الحين لتجولون أنظاركم على
ما حولكم مفتشين عما توسعون الأمل فيه

القرن — أيها الملك الحجري ! بيم تأمرنا
فنعمل ؟ نحن حرس لك !
أبو الهول — لم أعد أريد حراستك ! فكنوني
وحيدا ، كم نجوم تنظر إلى ؟ أريد أن أغل وحدني
هذه الليلة

القرن — نحن هنا دوماً نحرسك
أبو الهول — دعني هذه الليلة السرية البارزة !
القرن — لنكن كلناك مسموعة !
(ينسحب كل خيال مغطا رأسه إزاء أبي الهول
مددما بصلاته)

الخيال الأول — يا سيداً من حجر !
الخيال الثاني — يا أوزة الخلود !
الخيال الثالث — يا ملك الزمان !
الخيال الرابع — يا جدار التواني !
الخيال الخامس — يا عجيبة مصر !
الخيال السادس — يا حكومة الموالم !
الخيال السابع — يا زهرة حجرية من دهره
على صفحة السماء !

الخيال الثامن — يا خلية نابضة تخرج فيها
الحفظات عسلا !

الخيال التاسع — يا وثناً خالياً من الرافة !
الخيال العاشر — يا شرفة المشاهد !
الخيال الحادى عشر — يا نور المشرق !
الخيال الأخير — يا آله السحب وداعاً !
(تنزاري القرون ، أبو الهول وحده مع الليل والنجوم)

المشهد الثالث

أبو الهول وحده

أبو الهول — بلى ، لأترك وحدى ، ذلك خير !
أيها الليل إنا وحدنا الآن ، ليرم أحدنا

الماشق — إن الساعة قد تسجل في قبة
السماء الملائى بالنجوم ، لأنها تحدد الزمن بقرية
حزينة ؛ إبرتها السائلة هي إشعاع القمر الوهاج
الذى يهبط من عل ليعمل على تفرقنا ، يجب أن
نذهب... هيا !

الماشقة — لماذا هذا التبكين ؟ فالرجوع
هو الموت ، وأنا أريد أن أحيأ على فك ! الحياة
بدونك هي صحراء غيفة جدا ، والهواء الذى يعجبك
يجمأنى أغار أحيانا منه . أريد أن أتم عينيك وفك
الماشق — إن شفتيك رقيقتان

الماشقة — ومن أحب مثلنا ؟ لا أحد...
هذه المرة الأولى التى يبنى فيها أن يحبوا كما أحببتك ؛
ونحن ابتكرنا هذا الحب . ألا قبلة مستطيلة أيضاً
تطبعها على فى اللهب ونموذ بعد ذلك يا حبيبي !

الماشق — حبيبتى !
(يتماقان شديداً ، ثم يتصدان
والفتنة تنفت إلى الرواء)

الماشقة — هل رأيت ؟ لقد كنا فى ظل
أثر... يقال إنه ذو وجه خالد جميل ، كم غبر به
من السنين هنا !

الماشق — إننى أجهل ذلك...
الماشقة — سر جمع يوماً إذا شئت مع الفجر .
تعال فضع قدمك موضع قدمي ، فاعسى يكون
أبو الهول ؟

الماشق — لا أعلم...
(يتعد الحبيبان)

المشهد الثانى

أبو الهول (وحده)
القرن
تهب القرون فى منتصف الليل وكن جالسات كالأشباح
السوداء على قدى أبي الهول

الآخر ! لقد سئمت — طيلة النهار من الأنوار
الوضاءة ، وحين تمودنى بارد الأنفاس ، وتحط
رحالك على حجرى ترتاح روى ، أنا فى النهار
مخلوق كبير من حجر ، ضجج أصم ، حتى إذا
جئتني غمرتنى بحياة جديدة ، وأصبح القمر
مرسوحى التى بها أجلب الهواء
أبها الليل البالغ من الكبر عتياً هانحن
شاخصان وجهاً لوجه . لننظر ، فالشمس النابتة
تحمل أشمتها ، وأن باستطاعتنا — حين تبعث
فى الروح — أن نتحد اتحاداً سامياً .
ماذا نقول ؟ وأنت مائل بإتسامك الغضبية ،
هل نعلم عن هذه الكائنات والناس والآلهة وللوقى
شيئاً ؟ هنالك سمير اميس ، وهنالك ساردانا بال .
وهذا الرماد الشاحب ، إنهم يدعون هذا كله
صحراء . . . الصحراء كلمة كبيرة ذهية لاتشبه
شيئاً ، وعليها بدأت تنزل عظمتك وكبرياؤك .
هذا هو الرماد . الرماد ، الرماد ، . . . هذا
— أبها الليل — هو رماد من لحونا فى القديم .
إنهم ينعمون على صمى ، ولكن من ذا أكلم فى
هوى السجقة ؟ قالهار طفل لا يعلم شيئاً ؛ النهار
هو ذلك الطفل الكبير التفاضل الذى يضحك ؛
حين يكون الانسان مثلى ، بقدر أن يتكلم مع
الليل ، مع الليل وحده لامع سواء ؛ على شفا
اللانهاية المسدلة قناعها . إن عندى أسئلة ، والليل
عنده نجوم ! (يتبد)

نجومك ، أعلم أسماءها الخفية ، وناظرى البعيد
فى الليل يتسأى إلى تلك السيون ؛ وأنت بماذا
تفكر ؟ أليس الأجدد بنى أن نبصت ؟ موسى
لم يكن مهده إلا لحداً فسيحاً ، وقبصر كان ذلك
القاتل الذى لم يمد ، بلى ! نعلم حقاً ما علمناه . قد
وضع هنا قبمته المبهولة من طين . « قبصر » اسم
زاد جداً لحظ زائل ! وماذا تقول عنه أبها الليل ؟
وعن ذلك الحارب التحلى بالزايال الرومانية ؟ قبصر
الكبير مات ميتة راح حقير . ليس القبصر بقبصر
إذا لم يملك على كليوباترة ، وهذا اسم عظيم أيضاً ؛
يُخيل إلى حين أدوء بهذا الاسم أن المساء زاد
ندوة وطراوة ، وأن القضاء غمرته أسوات نواقيس
كانت تاتى إلى هذا المكان ؛ أما نرى أثرها
فى هذا الطريق ؟ ألا تذكر مثلى ؟ ألا تذكر ؟ لقد
غير عشرون قرناً دون أن يطمس أثر قدمها ، ودون
أن يبديد وجودى شيء . كانت تضحك وتغشى
بخطوة خفيفة ، هى خطوة المسكة الراحلة . كانت
تضحك وأسمع ضحكها أحياناً ، وما أسمع مثلى
رنين ضحكها الطائفة بالغبطة والسعادة ، كأنما
سامعها يخيل إليه أنه يرى لؤلؤة تذوب .
(كأنه يسمع صوتاً قليل يدوى بالقرب من أذنه)

أنت تقول إنها كانت شقراء ، وأظن ذلك
حقيقة . ألا ترى أنفحك سخيرة حين يرد هؤلاء
العلماء ، هؤلاء العلماء ، هؤلاء الجهال ، أن يمشوا
الماضى وينشروا الفارب ؛ وإنما أنت وحدك ، وأنا ،
نهم فى هذه الأجواز المظلمة ، وأنت وأنا قد رأينا
كل شيء .
بلى ! قد تكون أنت أكثر علماً منى لأنك
تهوى على الآفاق البعيدة بمحناك الكبير الأزرق ،
تدور أنت حول الأرض ، وأنا أبقي راسياً فى مصر ؛
ولكنك لا تدركى — برغم ذلك — مرأ أنا أدركى به
منك ، سر ليلة تموز ، وليلة ايلول ، لأنى كنت
أفكر حين كنت ترتجف ؛ هنالك سر أعله دون

باريس — إن صوتك ، من أعماق الوجود قد
نأدى روحينا . إيه يا أباهول ، الآلهة التي ليس
بآله ، والمرأة التي ليست بامرأة ! أجبنا ! لقد
دهوتنا فجئنا

مارسيلوس — لقد جزنا طرقاً مظلمة ،
ووصلنا طارحين عنا ذلك العالم
أباهول — وما يجدي الكلام من ؟ كل
مخلوق لا نفع له . لا جواب لكما عندي . انطلقا
في طريقكما

مارسيلوس — لقد قلت لنا « تعالوا » بلهجة
ليست بشرية

أباهول — لا أذكر هذا النداء لأنني كنت
أنتي ندائي في طيات السكون لا أعين أحداً . هذا
حق . ولكني لا أعلم من ينبغي أن يحفظه ،
ولا أدري أبداً من يجب أن يلبى وبأني ...

مارسيلوس — نحن !
أباهول — (بجرقة) انما ؟ وما تسميات
بذلك ؟

مارسيلوس — (يزعم) بلي ! نحن ؟ رجلان
يرغبان في كلامك
أباهول — (يهتفه)

رجلان ... وما معنى ذلك ؟ رجلان ؟
مارسيلوس — وقد ساورها القلق .
أباهول — (هائلاً) هل تعلم قيمة الرجلين
عندي ؟ لإنهما أحقر من حبتين من الزم في
الظلام البشري ، لأنني رأيت من البشر ما يفوق
عدداً ما رأيت من الرمل

مارسيلوس — ولكن في كل رجل إنسانية
بأسرها

الوري وحدي : لقد ظن « أوديب » أنه سيقدّر
على استخلاصه من ذات مساء ، وقد ذهب يمشي
اللاً بانتحاري . ها هذا أنجك ساخراً ، لأن أباهول
يحيا بينما هلك (أوديب)

أأقتل نفسي ؟ بالسخرية للقدر ! لقد اتهمت
الأفئدة من كل مكان ، ورأيت الجميع يبيدون
وأنا باق سرمد ! أنتشق الظلمات كالنفس ، وأضرب
بسياطي القرون التي تتقهقر ! وأحياناً كنت أبتني
أن أراق ، وأن أمد يدي إلى الجواز الانساني ،
ولكن الموت كان يكر عاجلاً ، والرجل الصلب
كان عمره أقل مدى من خطرة من خطراني !
(يبدو مارسيلوس وباريس)

المشهد الرابع

أباهول ، مارسيلوس ، باريس

باريس — إن الطريق الموحش الذي يوئل
بنا إليه قد انتهى ، وها هو ظه يترامى لنا في الليل .
هذا هو ! لنقترب في هذه الظلمة الحالك ، ابدأ قبل
بالكلام ، فإن بي خشية
مارسيلوس — لا ! كن أنت البادئ
يا أخى !

باريس — أنت !
مارسيلوس — كله بأسلوب لين !
باريس — الظل الذي ثقب — هذا الماء —
موضع عينيه يُخيل لي أنه يخرج منهما نظرة عميقة
كالوجود :

أباهول العظيم ! نحن هنا . . . لقد سمعنا
نداءك المجهول وقد أتيناك
مارسيلوس — بلي ! قد أتينا !

لساذًا نحيا، ومن هم الناس؟ أنت الذى تعلم سر الكون يبنى أن تقول لنا

أبو الهول - (بسفري) :

هل تظن أننى أعلم؟ لا أعلم إلا الابتسام... سر الكون! وهل للكون سر فى الحقيقة؟

باريس - أجب! ماذا نصنع؟ ما هو لنا؟ وأين تتوارى هذه العوالم؟ هذه النجوم؟ وهذه الوجوه؟

أبو الهول - ولهذا جئت تكرر على هذه الشاهد! دعنى! أريد أن أأم...

باريس - قلت لنا: تمالوا!

أبو الهول - قليك المضطرب صور لكم ذلك.

إنى أنادى: تمالوا بناءً غير مقصود. وليزعم من زعم أنه نودى فى هذا الظلام. انظروا إلى هؤلاء

الأطفال الذين ارتدوا الكبرياء؟ هؤلاء الأقزام،

أقزام لحظة يأتونى ويزعجونى... هذه الصحراء

الترامية الأطراف، الحمراء اللون مثير راحتي.

فليركونى ناعماً...

باريس - ستحدث إلينا!

أبو الهول - ومن يجرع على التكلم كالآصر فى

هذه البقعة؟ أين تراك قائماً فى أى مكان؟ أنى

أود رؤيتك. أجاهل أنت تلك المصوراتى تحيط بى

من كل جانب؟ أجاهل أنت أنى إذا أومأت بإشارة

صغيرة هرع يلى - إجماعى - ثلاثون قرناً -

لحنية صاغرة لتدأى!

باريس - كفى... د

أبو الهول - لا يستول عليك الغضب! فقد

ألفت أن أسمع مثل هذا الصياح، وأرانى محتماً

كل هذا بسكون نفس. رأيت كل شيء يزول من

أبو الهول - أنظر إلى ما تبقى لى من عشرين قرناً بشرياً! هذا الرماد الذى أضع عليه غالى...

لا لا! دعنى وحدى فى هذه الزاوية، فلا شيء عندى أقصه عليكم أيها الرجال الذين تحدثونى!

بمحدث الوحيد هو هذه الهوة المكوكية. فيم تريدون أن تتحدث يا كائنات عمرها عمر ساعة!

هنا الذى يحيا دوماً إزاء من يموتون. ليس بيننا صلة تربطنا! إننى لم أعد أنى أبداً الكائنات التى

أحببتها. فى البدء حين كانت الريح تهب علية رقيقة، أملت ناظرى إلى هذه الكائنات البشرية

وما كنت أدري أن سيدركها الغفاء وشيكا! ولكنى رأيت كل هذه الكائنات تهوى إلى

التحدر! وهكذا أصبحت لا أريد أن أجيل ناظرى المحجى الروح فى هذه الانسانية الزائلة

بمرارة

دعنى أنظر إلى السماء أيها المخادعون!

فالكواكب أطول عمراً من البشر، وانطفأوا

أبعد من انطفائكم

باريس - ربما كان ذلك! ولكن هذه

النجوم السابحة فى السماء اللاتبة، هل تراها تتألم؟

أجفانها القضية، ونظراتها النورانية، ربما

كان لها فى الأعلى خفقات أكثر طولاً، ولكن

الشيء الذى لا تملكه فى سمائها الزرقاء، هو قلق

الإنسان الممدود على هذه الأرض؟ وإذا قدر

للإنسان هذا الحظ التقلب - كما قلت - فذلك

لأنه سريع الاشتعال، سريع الانطفاء

مارسيلوس - ولهذا ترى أرواحنا تزعج

تحت الألم - وأنت المشرف علينا، التاوى على

صخرتك الباردة، تريد منك أن تعلمنا بصوتك -

قديمك - يضيغ زخرفه كزنية تنقاذها
الأمواج ؟ وأكبر آثارنا الرقيقة تندو خواتم في
أصابعك !

لا لا لا... سوف تسكمنى... لأنى أريد
ذلك !

مارسيلوس - نستكمننا ؟

أبو الهول - من قال : أريد !

باريس - أريد ...

أبو الهول - ما عمرك ؟

باريس - فى الثلاثين ...

مارسيلوس - فى العشرين ...

أبو الهول - (ساخراً)

الشب أطول عمراً منك ! أطفال ! أطفال !

عشرون ربيعاً ! وتقولان هذا ! ترفضان الرأس

شاحاً وجفونك فى اضطراب . لاحق لك فى

قولك . عشرون عاماً ! لحظة قصيرة ، نظرة ،

بسمه ، وإنها تلك الدة التى أفضيتها لتحريك صرقي

الكبير . وتهدة واحدة منى لها ضعف هذا العمر .

ولكن القضاء هنا مفعم بالكهولة الخالدة . وهذا

هو الخلود يصفر على جناحى . هذه الشجرة فى هذه

النخلة البعيدة ؟ رأيها حين وجدت ابنة فرعون

موسى عارياً فى ماء النيل . عشرون عاماً ! يا لها من

جرأة غريبة ! تقول عشرون عاماً أيها الطفل !

الذى يمتد بها ويُرعى عيماً . أينما الشبهة الحقيقية

الناجة على قلبى القاسى ، يبنى أن يكون له عشرون

عاماً حتى يكلمنى بهذه الهجة !

مارسيلوس - البطل إذا كان أكثر فتوة

وشباباً ، كان أكبر عظمة !

أبو الهول - إذا لم يكن لك إلا العشرون

فلقد ولدت إذا الآن . عد إلى بصد أنى عام

ألهة وكهات وأبخره . رأيت نابليون ولم أرتع
لرؤيته ...

باريس - أراك تقابل كل الجهود البشرية
بإسمامة التهنيم !

أبو الهول - لا لا ! إننى لأسخر منه ولا أنهم

إننى أحيا بدمه ! ماذا تنتظرون منى ؟ أكلت ؟

أصداقة ؟ أنا لم أعد أبداً بشيء لكثرة مارأفت

وأشفقت ! الحقيقة ! سل القمر عنها . قد رأيت

كثيراً من الحقائق ، حتى أوقن بوحدة منها

مارسيلوس - يا أبأ الهول !

أبو الهول - حقيقة ! لقد رأيت أكثر من

عشرين حقيقة . كل الحقائق ترحف إلى هذا المكان

باطلاً زحفها . وكل حقيقة مائة الآماء الذى

لا ينضب ، فذرونى أنام فى لحدى الرمل !

مارسيلوس - لا لا لا ... ستقول لنا

باريس - لقد كنت مخنياً ، كنت شاعراً ،

وكانت الجملة تعترف لى ، وقاعة التمثيل مقام

دعوى . أردت - يوماً - أن أولف قطعة عنك .

وبينا أفكر فيها وأجمع الفكر حولها ، إذا بى أراك ،

أراك تتخايل - فى قلب آياتى وننادى بى ! ويسمكت

- فى الليل - كانت تضى لى سهراتى ، واسمك

حين يذكر بيت فى روح اليقظة

أبو الهول - صه ! إننى لم أدر شيئاً

باريس - ها أنا ، ذو الشهرة الكبرى التى

لبث (پاسكال) قللاً من أجلها ، شهرتى هى شهرة

« موسى » المتفرع للآله حين خط على صحيفته

اسمك العظيم الحزين ، إن اضطراباً عنيفاً يرسو فى

روى . لقد عريتنى من كل شيء كنت أعبد

وأقدس . أنت وحدك عظيم . أنت وحدك الذى

تخشا القلوب . أنت وحدك جميل الف - تحت

الساقية الزرقاء حمامه ، لأنه طرح يوماً سيفه في
وثبة عظيمة من وثباته ، ولما أشرق النهار رأيت
هذه الساقية تلمع

ماذا تريد أن تعلم أيضاً ، يا واضح الأسئلة ؟
كل هذه الأسماء العظيمة التي لبثت نفوس أمحايها
شاحبة باهتة . كل هؤلاء القياصرة وهؤلاء الملوك
هؤلاء كلهم عندي أموات الأمس ، عرفتهم
وعاشرتهم . كل هؤلاء رأيتهم . يعنون كالأشياء
الحقيرة ، لأنني كنت الشاهد الذي يرى كل شيء
يتلاشى أمام عيني

كنت الحكم الخالي من الرأفة ، والقارب
الفارغ من علاجه ، والملوك من غير فردوس ،
وملاكة البحر من دون أمواج ، والماشقة من غير
قبلة ؟ وفي سريري المجري أرى كل شيء يركض
إلى زواله ، ويعلم أن الوجود هو القناء ...
باريس — لا تريد هذا ...

أبو الهول — ماذا تريد أن تعلم ؟ أنساني عن
أوديب ؟ إنه كان ملكاً كلوكنا . لقد كذب كثيراً
ها أنت ترى أنني لا أزال هنا
باريس — لا أطلب هذا ...
فيليب فنباري (يتبع)

آلام فرتز

للشاعر الفيلسوف جوتة الألماني

الطبعة الرابعة

ترجمها محمد حمزة الزيات

وهي قصة عالية تصد بحق من آثار الفن الخالد

وعنها ١٥ قرشاً

وحينذاك تتكلم . لقد سئمت من الليل ، وضجرت
منكم ومن أسئلتكم ، أريد أن أنام قرناً دون أن
أجيبكم !

عشرون عاماً ! أجل قصيراً لكن للؤلؤة تنفتق !
كلية باطرة — عمر سمحها بقبلة !
جوليت — عمر سمحها بقبلة !
روميو — ذاك الطفل الوديع الحجل الذي
قال لأبي الهول بأن له عشرين ربيعاً
مارسيلوس — كفك سخرية مني !

أبو الهول — أنا ساخر منك ؟ إنني أحدثكم
لأنكم أردتماني على ذلك . حسن ! سأنام قرناً . فإذا
تريدون أن تملوا يا عابري الطريق ؟ إذا كانت
كلية باطرة ذات غدار لامة أو سود ؟ كنت
أحدث الليل عنها هذا المساء . لقد كانت غداً
ذهبية ، أذكر ذلك ، وهل تعلم أنها لم تكن جميلة
باريس — ولكن ...

أبو الهول — أن هذا يدعشك حقاً ...
ولكن أصغ إلى الصخرة زهرة عظيمة ، وعنق شفاقة
إنني لأبسط على كل شيء وجهها القريب الوردى
الذي لا يؤسر . وجهها القريب الطافح إلى الأبد
بالرقة الساخنة والجمال الثائب

آه من ذلك القارب اللان بالمبيد والطوب
الذاهب دون أن أراه ! الملوك التي تتلاشى في القبل
وفي السحر ؟ في المشاهد الخلابه أحبوا كثيراً وشففوا
كثيراً بهذا الوجه الصغير ، بهذا الوجه الزائل .
لقد مالقوها كثيراً ، وهذا هو كل أسطورتها
أنا نفسي كنت مستهماً بها ؟ وقبل قليل
نطقت باسمها فقطرت من عيني دموع

والآن ماذا تريد أن تنتزع مني ؟ أهناداً وأدلة
أم أذاعات عن قيصر وبومباي ؟ قد تكون هذه



الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلم والفن

مجلة الآداب الرفيعة والثقافة العالية

تصل الماضي بالحاضر وتربط الشرق بالغرب

على هدى وبصيرة

الرسالة : تعبر باخلاص عن روح النهضة المصرية

الرسالة : تجمع على وحدة الثقافة أبناء البهود المصرية

الرسالة : تصور مظاهر العقيدة للأمة المصرية

الرسالة : تسجل ظواهر التجديد في الآداب العربية

الرسالة : تنجي في الفن أساليب البسطة المصرية

مجموعة أعدادها ديوان العرب المشترك ، وكتاب الشرق

الجديد ، وسجل الآداب الحديث ، ودائرة معارف عامة

الاشتراك الداخلي ستون قرشاً ، والخارجي ما يساوي جنبهما مصرياً ، وللبلاد العربية خصم ٢٠٪

طبعت بالمطبعة الرحمانية بشارع الخرنفش رقم ٣٥ - تليفون ٥١٥٢٢

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

بدل الاشتراك عن سنة
٣٠ في مصر والسودان
٥٠ في الممالك الأخرى
١ مئتين العدد الواحد

المدارة
شارع عبد العزيز رقم ٣٦
الحيطة الخضره — القاهرة
تليفون ٤٢٣٩٠ ، ٥٣٤٥٥

الحرورية

مجلة اسبوعية للقصص والبرائح

نصدر مؤقثاً في أول كل شهر وفي نصف

العدد الثامن ٥ ربيع الأول سنة ١٣٥٦ — ١٥ مايو سنة ١٩٣٧ السنة الأولى



فهرس العدد

صفحة

٤٥٨	الحبىز اللون	لى دى موباسان	بقلم أحمد حسن الزيات
٤٦٢	لى	أقصصة مصرية	بقلم الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازنى	...
٤٧٠	يوميات نائب فى الأرياف	صور مصرية	بقلم الأستاذ توفيق الحكيم
٤٧٦	الفسرىق	صورة ريفية	بقلم الأستاذ محمود الحفیف
٤٨٤	الشیطاة	لبرنار نابون	بقلم الدكتور محمد الرافعى
٤٩١	السيدة نكولنش	للكاتب النموى آدم مولر	بقلم الأستاذ كامل محمود حبيب
٤٩٧	المرائب	لقصصى الروسى تشيرلكوف	بقلم نظى خليل
٥٠٥	اعترافات فنى المصر	لألفريد دى موسيه	بقلم الأستاذ فليكس فارس
٥١٢	الأوفنسة	لهوميروس	بقلم الأستاذ دربى خشة
٥١٦	سر أبى الهول	لورينز رستانت	بقلم الأستاذ خليل هندلوى



- ١ -

عنه الغضب . ثم بلغ به الرضا أن اعتراه القلق على ما صنعت ابنته الأحداث ، فأقبل يسأل من بينها أخلاءها القدماء الذين لا يوسها ، فلما أكدوا له أنها تنبسط على النعيم بين الأثاث والرياش ، وأن لديها كومة من الأواني الملونة منضودة على رؤوس الدافئ ، ونخبة من المناظر الجميلة مرسومة على وجوه الحوائط ، فضلاً عن الساعات المذهبة المعلقة في كل مجلس ، والطنافس الفاخرة البسيطة في كل ممشى ، جرت على شفثته بسمة خفيفة ، لأنه منذ ثلاثين عاماً يكده فلم يجمع غير خمسة آلاف فرنك حقيرة ؛ فالبنية على كل حال ليست غبية !

وفي ذات صباح جاء فيليب بن توشار صاحب مصنع البراميل ليخطب إليه ابنته الثانية روز ؛ فقد فؤاد الأب دقات الفرح ، لأن آل توشار من ذوى الثراء والمكانة ، فهو قطعاً سعيد الجد في بناته . ضرب الأب موعداً ليوم العرس ، وعقد النية على أن يحصل الاحتفال به نقياً ، واختار أن يقام بسنت أوديس في مطعم الأم (جوزا) . ذلك يقتضى زيادة الكلفة والنفقة ، ولكن لا بأس !

إن المرة الواحدة لا تصير عادة !

وبينا كان الشيخ وابنتاه يتهيأون ذات يوم

كان للسيد (فانى) ثلاث بنات : أنا ، وهى البكر ولم يمد لها ذكر في الأسرة ؛ وروز ، وهى طريقتها في العمر ولم تتجاوز الثامنة عشرة ؛ ثم كاير ، وهى الصغرى ولا تزال غضة الحدأة في ريعها الخامس عشر . وقد أشبل الأب عليهن بعد وفاة أمهن فلم يتزوج

كان السيد فانى مدير الآلات في مصنع من مصانع الأرزار ؛ وهو رجل منهم الفؤاد ، مرمى الجانب ، رضى الخلق ، عزوف النفس ، مثال للعامل الصالح ، وقد اتخذ مسكنه في شارع (الجلولم) بمدينة الهافر

ولما هتكت ابنته أنا رداء الحشمة ، وأطلقت لنفسها عنان هواها ، أخذها المقيم المقصد ، وتوعد الغوى الأثيم بالقتل ، والنوى غلام غريب رأس قبا من الأقسام في متجر كبير من متاجر المدينة . ثم وقع في سمه من بعض الأفواه أن ابنته استقامت على الطريق الأمثل ، وأحسن القيام على ما جمعت من المال ، وأطأنت إلى الميش الطليق في ظلال السيد دوبا ، وهو غاض فانى الشباب على السن من قضاة المحكمة التجارية ؛ فقرت فورة الوالد وسكت

فأذنت لهما أنأا راضية متباعدة . وجبوا لأجل الزواج يوم الثلاثاء الأخير من هذا الشهر

— ٢ —

أخذ موكب الزفاف سمته بعد اللواضعات المدنية في دار الصعدة ، والطقوس الدينية في الكنيسة ، إلى دار أنأا . وكان آل تاي قد دعوا من أسدقائهم العمة لاموندوا ، والمم سوفتتين وهو شيخ متفلسف متكاف بهم بالقيود ويحتفل للنظام . وقد انتخبوه مراقبا لأنأا ، وإنما قروا أحدهما بالآخر لأنهما أبرز من بالحفل شخصية وأرفع مكانة . ولابلغ الركب منزل (أنأا) تركت قريبها وتقدمت الموكب قائلة : « ساهديكم الطريق » ثم صعدت السلم بجلي وتركت موكب المدعويين ينقل خطاه في زناء وبطاء . ثم فتحت الفتاة الباب وأفسحت الطريق للمدعويين فدخلوا مشدوهين مأخوذين بحول عيونهم في الأثاث الفخم ، وتدورهم وسهم في البيت الأنيق . وكانت قاعة الطعام لا تتسع للمدعويين فدت للسائدة في البهو ونظمت فوقها أداة الطعام وآنيته ، وصفت عليها دوارق الصهباء فوقع عليها من الشبابك ضوء من الشمس لآلا نضارها ومشع سناها

دخل النساء غرفة النوم يخلفن ما عليهن من قبعات وشيلان ؛ ووقف الأب توشار على العتبة يختلس النظر الخبيث إلى السرير الواطيء المريض ويشير إلى الرجال بيديه إشارات الجون والدعابة . وسار الأب (تاي) الوقور وقبعته في يده ينتقل من غرفة إلى أخرى . وهو ينظر إلى أثاث ابنته الفخم نظار الزهو الفخور ، ويلاحظ قطع الرياش لحظ الفاحص القدر وهو عيش مشية قيم الكنيسة في أبهاء الكنيسة . وكانت (أنأا) لاتفتأ ذاهبة آتية

للشدهاء ، فتح الباب فجأة ودخلت أنأا عليها أنفر الحلال ، وفي أسابعها أنفوس الخواصم ، وعلى رأسها قبعة مرشاشة ؛ وكانت في هذه الزينة عذبة الروح خفيفة الظل ، فوقعت على صدر أبيها وأخذت بمنقه فلم تدع له وقتا ليقول : (أف) ، ثم ألقت بنفسها بأكية في أحضان أختيها ، ثم غيشت دمعها ومسحت ماسال مننه وجلست إلى السائدة وطلبت طبقا للشرب الحساء مع الأمرة . وفي هذه المرة تحن الأب (تاي) وتعلف ، حتى باك ابنته رقة ورحمة ؛ ثم قال مرة بعد مرة : « حسن يا ابنتي ! هذا حسن ! » وحينئذ أخذت أنأا تذكر ناجات لأجله : ذكرت أنها لا تريد أن يقام عرس روز في سنت أدريس ، وإنما تريد أن يقام عندها وتتجمل هي أكلان الزفاف فلا تكلف أباهما شيئا . لقد أمضيت النية على هذا الأمر ، وجمعت الأهبة لسكل شيء ، وقدمت النفقة عن كل عمل . فقال الأب مرة بعد مرة : « حسن يا ابنتي ! هذا حسن ! » ولكن شيئا من الشك تخالج في صدره فقال : ليت شعري أيقبل آل توشار هذا الاقتراح ؟ فأجابت روز وقد بنها هذا السؤال : ولم لا يقبلون ؟ أتركك الأمر ، وسأذهب إلى فيليب فأكله فيه . وفي اليوم نفسه ذهبت روز إلى خاطبها فيليب وحدته في اقتراح أنأا فارتاح له ، وعرضه على أبويه فاقت في وجههما السرور ظمعا في غداء هنيء مريء لايتكلفان له كلفة ؛ ثم قال : « لا ريب أنب الحفل سيكون هناك أنغم ، فان السيد دبوا يتقلب في الرخاء ويتمرغ على الذهب » ثم استأذنا في أن يدعوا صديقتيها الآنسة فلورنس طاهية الأسرة التي تسكن الطبقة العليا من المنزل ،

طلب أمه ، ونهض باسمًا وانتفت إلى (أنا) على سبيل الأدب والتظرف ، وبحث عن أغنية من الأغاني التي تناسب مقتضى الحال وتوائم جلال المأدبة . وانخذت (أنا) هيئة السرورة وتطرحت الى الوراء على كرسيا لتسمع . وبدا على الوجوه المصنية اقترار من السرور والمهم ؛ وأعلن الفتى الفتى أنه سيقى (الخبز للملحون) ثم دور ذراعه اليمنى على صورة قرص وأخذ ينشد :

إن الخبز المبارك هو ما تصنعه الأرض ؛

ولا بد أن تقتله بسواعدنا الفتية ؛

ذلك هو خبز العمل الذى يقدمه الرجل

الصالح فى المساء إلى بنيه وهو جذلان مقببط .

ولكن هناك خبز آخر يفتن النفوس ويفوى :

ذلك هو الخبز للملحون الذى زرعه لهلاك كناجهم .

أيها الأطفال لا تلصسو ؛ إنه خبز المار والخطيئة .

أيها الأطفال الأخرى ؛ حذار أن تمسوا ذلك

الخبز للملحون ؛

انفجر المدعوون بالتصفيق وأطالوه فى حدة

وشدة . وقال الأب توشار : « ذلك شيء فى محله » .

وأدارت الطابعة لل دعوة فى يدها قطعة من الخبز

ونظرت إليها فى حنان وإشفاق . وقال السيد سوفنتين

مغممًا : « حسن جدًا » . ومسيحت العمة لا موندوا

عينها بقوطها . وأعلن العريس أنه سيقى القطوعة

الثانية ، وانطلق ينشدها بقوة وحمية :

احترموا ذلك البائس الذى حطمته السن المأيلة

لجاء يستندى الأكف على قاعة الطريق .

ولكن احتقروا ذلك التنبال الذى يترك العمل

وهو صحيح البدن جم النشاط ثم عمد به للوال .

إن الاستجداء مع القدرة سرقة من المنتج

ترعى النظام وتستمتع الطعام وتوفر الجمال للمأدبة

وأخيرًا وقفت على وصيد غرفة الطعام الماطلة

من أناتها وصاحت فى القوم : « تناولوا هنا بأجمعكم

لحظة ! » فسارع إليها الاثنان عشر مدعوا فوجدوا

اثنى عشر كوبًا من خمر ماطر مصفوفة على صورة

الأكليل فوق منضدة عالية ؛ وأخذ كل من المروسين

بخصر الآخر ووقفوا فى أحد الأركان يتبادلان

القبل ؛ وظل السيد سوفنتين يشهد (أنا) بالنظر مسوقا

بتلك الرقبة وذلك الرجاء اللذين يحركان الرجال

حتى الشيوخ والسوخ إلى النساء الحسان كأنما

يفرض على الأنثى واجب الحرفة والزام الصنعة أن

ينزلن عن شيء منهن للذكور

أعدت المائدة وجلس إليها القوم : أهل الزوجين

فى طرف ، وبقية الناس فى طرف ؛ وتصدرت

فى الخمين الحماة ، وتصدرت فى الشمال المروض ؟

وأخذت (أنا) تمجمل بالماء إلى المدعون أجمعين فلا

تدع كاسًا تفرغ ولا طبقًا ينقص . ولكن رهبة

الاحترام ووازع الاحتشام اللذين بهما فى

النفوس تخامة المسكن وأبهة الخدمة ، ألجأ الأنواء

وشلا الجوارح . إنهم يأكلون أشد الأكل ،

ويطعمون أجود الطعام ، ولكنهم لا يحرحون

ولا يحرحون كما يفعل الناس عادة فى ولائم

الأعراس . كانوا يشمرون بأنهم فى جو تشيع فيه

مهابة الجلالة فبرمت الأم توشار بتلك الحال ،

فعى بطبعها دقة تحب المزاح وتطلب الضحك ؛

وأرادت أن تسرعى ذلك الاقتباس عن القوم ،

وكانوا قد أتوا على ألوان الطعام ووقفوا على

الحلوى ، فطلبت إلى ابنها فيليب العريس أن يثنى

المدعون أغنية ، وكان قد ذهب سمعه فى الخنى أن

صوته أرخم صوت فى مدينة الهافر ؛ قلبى العريس

التي أو هن عظمه الكبر .
وسرقة من العامل الذي قوس ظهره العمل .
خزى لمن يبيش على خبز الحول والكسل !
أيها الأطفال الأعزّة ! حذار أن تمسوا ذلك
الخبز الملمون !

لم يرد البيت الأخير إلا الخادمتان والأب
توشار . أما (أنا) فقد انتسفلونها وكسر طرفها
التم ، ولف رأسها الخجل . وأما الزوج المثنى فقد
ملكه الدهش وظل ينظر حواليه نظرا ذاهل يحاول
أن يعلم السبب في هذا الفتور المفاجئ . وألقت
الطاهية قطعة الخبز من يدها كأنها مسمومة .
وحاول السيد سوفتئين أن ينقذ الموقف فقال : إن
القطع الأخير شديد مفرط في الشدة . وطنى الدم
في وجه الأب تاي فاجر حتى أذنيه ، وتسعر الفضب
في عينيه . وصاحت (أنا) في خدسها بصوت
يهدجه البكاء ويبلله الدمع أن يقدموا الشمينانيا .
وسرعان ما تطلعت وجوه القوم وثابت الى نفوسهم
البهجة . وكان الأب توشار لم يروم يحس ولم يج ،
فظل يردد بين يديه قرص الخبز وهو يتشدد
أيها الأطفال الأعزّة ! حذار أن تمسوا هذا
الخبز الملمون !

ورأى المحتفلون قتاني الشمينانيا بأقنعتها الفضية
هل أبدى الخدم فهبت في نفوسهم ثورة الماضفة
وزجج في حناجرهم صوت الرعد وصاحوا منشدين :
أيها الأطفال الأعزّة ! حذار أن تمسوا ذلك
الخبز الملمون !

الزيات

المباراة القصصية

طلب إلنا كثير من الكتاب أن نعد في أجل المباراة
في الأقصوصة لوقوع الأجل الأول في أزمة الانتجبات .
فتزولا على إرادتهم مددنا الأجل إلى آخر يومه

نهض القوم أجمعون واقفين حتى الخادمتان ،
وأخذوا يرفعون عقائرهم بالبيت الأخير . وكانت
أصوات النساء الناشرة الحادة تقطع أصوات الرجال
الرزينة المثلثة . وكانت العبة والزروس تكيان أحر
بكاء ؛ والأب تاي يخط في صوت كصوت البوق
الزودج ؛ والأب توشار يردد جازعاً بين يديه قرصاً
من الخبز ؛ والطاهية الصديقة ترسل عبراتها
الصامتة على قطعة الخبز التي لا تزال تكابد في يدها
المذاب ؛ وقال السيد سوفتئين في وسط هذا
الجزع العام : « ذلك هو الكلام الحر والمنزى
الصحيح ، لا ما كنتم تريدونه من المجون والدعابة »
كذلك أدرك التأثير . (أنا) فارسلت قبلاتها إلى
أختها ، وأشارت إلى زوجها إشارة الإعجاب والمودة ،
تريد بذلك أن تهنيها . ومادت بالفتى نشوة النجاج
فأخذ يضي القطوعة الأخيرة في حماسة وطرب :
أيها الماملة الحسنة ! كافي بك تصيخين وأنت
في مأواك المتواضع إلى صوت الخادع المفوى !
اذهي لشأنك بإسكينة ! أتركه ولا تترك الأبرة .
إن أهلكم أنت ؛ فسادتهم فيك وبك .
هل تجدني في الترف الخزى والبذخ الأنيم جمالاً
ولذة حين يرسل إليك أبوك في نفسه الأخير
لمنته ودعوته ؟
إن خبز الخطيئة والخرى ممجون بالدموع !

ليلى

مؤسسها إبراهيم عبد القادر المازني



أمام عينها ، كشر يربط السينا ، ما كان من أمرها إلى الساعة ، فقد تخرجت في المدرسة السنية ، ولكنها لم تستغل بالتدريس ، فقد أحببت فتى رشيقاً أغراها بنفسه ، ووعدها بالزواج ، وكرر الوعد ، وأكده ، وأقسم على الحفاظ — وما أسهل بذل هذه الوعود على الشبان — حتى فاز منها بما يني . وألحت عليه بطلب منه الوفاء ، وتوسلت إليه ، وبكت ، وقبلت يديه ورجليه ، ولم يكن هو بنوى الوفاء ، ولا كان في وسعه ، فما كان سوى عامل في مصنع ، وإن كان مظهره يوم أنه من الوجهاء . ولم يكن يدرك ما تورط وورطها فيه — وماذا عسى أن يخشى مثله ؟ ولكنها هي كانت لا يخفى عليها ما هي سائرة إليه من الفضيحة ، لا محالة ، إذا لم تعجل بالتدبير المنقذ . وليتها أظلمت أنما على ما كان من أمرها مع هذا الفتى . . . ولكن ما جدوى « ليت » بعد ثلاث سنوات قضت فيها المحسرة على الأم المسكينة ، ولم ترق قلب أبيها الفليظ ؟ وكانت ليل تخشى ضعف أمها ، وقوة أبيها ، فلم تجد أمامها إلا افتأها تاتي بنفسها عند قدميه ، بأكية ، متوسلة ، وهو يرى تضعفهما هذا ، فيتعجب ، ويتفطر ، ويتحكم ، ويدعوها أن تفر منه . وتردد هي وتنجح عن هذه الخطوة الحاسمة التي لا رجعة بعدها إلى أهلها ، فإن أباه عنيف عنيد ، يؤثر أن يقتلها على أن يقبلها في بيته . بل هو لا محالة

وقفت « ليلي » أمام المرأة ، تصلح شعرها وتضع فيه المشابك ، وتسو به براحتيها أمامها ، وتنفى شمرات منه هنا ، وترد أخرى إلى مكانها هناك ؛ ثم تناولت الشئبة وفتحتها ، ونظرت فيها هتية ، ثم قلبتها على النضدة ، ونفضتها بأطراف أصابعها ، ثم تحنتها وراحت تتأمل ما أنفرغته منها . ثم هزت رأسها أسفة ، وشرعت ترد الأشياء إلى الحقيقية : المشط والتنديل وثلاثة طوابيع يريد بثلاثة ملاليم . . . لا شيء غير ذلك . . . حتى ولا أجرة الترام إلى عملها الجديد التي فازت به . وما غناء ثلاثة من طوابيع البريد بثلاثة ملاليم ؟ . . . لو كانت بستة لباعتها وركبت الترام من غمرة ، فإن المسافة طويلة من حدائق القبة إلى شارع سليمان باشا . . . ولو كانت عشرة لباعتها أيضاً — لا لتركب — فإن الشيء يسهل أن يحتمل إذا كان معها قرش تأكل به . . . كلا . . . لا بد أن تصبر على الجوع وأن تتجملد وتحتمل الشيء مع الطوى ، وما بقى سوى يومين ثم تقبض أجراً عن هذا الأسبوع الأول . ولكن هل تستطيع أن تحتمل الجوع وتب العمل والشيء يومين كاملين ؟ وأبت أن تفكر في هذا ، وأن تدعه يبطط همتها ، وقالت لنفسها إن حسبها أنها وثقت إلى عمل ، وأنه وسعها أن تظل حية إلى اليوم . وهبطت على كرسي وهي تقول : « آخ ! » لا من التعب ، بل مما ستاتي في يومها هذين ، وصر

وحى خارجة من المستشفى في طريقها إلى «المهوسل» حيث الطعام والنوم ، فتحدثها دقائق ثم تسكر راجعة إلى البيت . وكانت المسألة التي تشغل البنتين هى كيف ينبغي أن يحيا ليلي ؟ فقد كان مفهوماً أن إقامتها في بيت صاحبها ليست سرمداً وإن كانت تنفق على نفسها من ثمن ما يتبناه من الحلى ، فإن لهذا آخر على كل حال . وكان مما فكر فيه أن تعمل في عيادة أحد الأطباء ؛ ولكن ليلي أشفقت أن يراها عنده أحد من أهلها أو معارفها . وخطر لها أن تعمل في مصلحة التليفون ، ولكن السعى أخفق ، ولم تجد وساطات الأطباء الذين استماتت بهم «الحكيمة» فقد تحول التليفون وانقلب «أوتوماتيكياً» فما الحاجة إلى بنات جديديات ؟ وخشيت أن تشتغل بالتعليم في مدرسة ألمانية فيمتدى إليها أبوها ، وكان خوفها من ذلك عظيماً . وأخيراً اقترح عليها طبيب أن تتدرب على الآلة السكاكية ففعلت وأتقنت ذلك حتى صارت تكتب غانين كلمة في الدقيقة ، وأعانها الطبيب وأحفها بمكاتب يتلقى طلبات «النسخ» ، ولكن العمل كان قليلاً لأن أكثر ما كان يطلب كان باللغتين الفرنسية والانجليزية ، وكانت تعرف الانجليزية ، فقد تعلمتها في المدرسة ، فلم يسعها إلا أن تتدرب على كتابتها على آلتها ، وسهل عليها بعد ذلك أن تستطيع نسخ «الفرنسية» أيضاً فإن الحروف واحدة وإن كان جهلها بهذه اللغة قد جعلها أبطأ . غير أن السرعة يمكن أن تجيء مع الوقت

واستغنت على الأيام عن المقام في بيت صديقتها وإن كانت صلتها بها قد بقيت وثيقة ، فإن فضلها عليها كبير ، وجعل صلتها معها ليس مما يجحد ، ولا مما ينسى حتى لو زعت نفسها إلى الكفران . وأفلس المكتب فانتقلت إلى سواء بعد عناء ،

قاتلها إذا عرف الحقيقة ، وإذا أطاعت فتاها ، وفرت . وسيمر الحقيقة إذا بقيت فالفرار أنجى . وقد لا يكون أشرف ولكنه سبيل الحياة إذا شئت أن تبقى حية . وقد كان . فرت مع هذا الفتى وحلت معها في حقبة الشباب حلها ، وشيئاً من حلل أسوأ أيضاً ، وقد نفمها ذلك ؛ فما أقامت مع الفتى إلا أياماً في فندق زرى . وكان ظنها أنها ذاهبة إلى بيته ، وأملها أنها ستكون زوجة له فيكون ما يرجى أن تستفسر زلتها على جسامتها ، فاذا بالفتى لا يريد إلا أن يقضى أياماً في متعة خالصة ثم يلقى بها عظماء بعد أن أكلفها الحما ، فسكادت نجم ؛ واغتنت فرصة خروجه من الفندق يوماً ، فحلت حقيبتها وأدت حساب الفندق ، وانطلقت على غير هدئ . وصارت المسألة «أين تذهب ؟» بيت أبيها لا سبيل إليه ، وأترابها في المدرسة . . . كلا . . . هذا أيضاً ممتنع . . . وتذكرت وهى واقفة في محطة الترام صديقة لها كانت من جيرانها في زمن الحداثة ، وهى الآن «حكيمة» في قصر المينى . ولكن الحكيمات في هذا المستشفى يتن فيه ولا يخرجن إلا أياماً معلومة ، فما العمل ؟ ولم يطل تردددها فذهبت إلى «الميادة الخارجية» وسألت تلميذة لقيتها فيها عن صاحبها ، واتفق أنها كانت تعرفها فدلها عليها ، وأبأنها أنها تعمل في قسم الرمد ، وكتبت إليها ورقة بمثلت بها مع خادم أو «عورجى» كما يسمى ، فدعتهما الحكيمة إليها . وكانت هذه المقابلة بداية الفرج

أقامت ليلي بعد ذلك مع أهل الحكيمة ، وكانتا تلتقيان يوم الأحد ويوم الخميس والجمعة إلى مساء ، — كل أسبوعين مرة — وكانت ليلي ربما اشتاقت إلى صديقتها في أيام عملها بالمستشفى فتذهب ، في الظهر أو في الساعة التاسعة ، لتراها

تمهلى . كن شغيبى عندها »
 فقال : « لو كان الأمر إلى لما تفاضيتك شيئاً
 قط . ولكنك ترففين زوجى . ولست أعرف لى
 حيلة »
 قالت : « ولكن كيف أستطيع أن أعطيك
 اليوم شيئاً ؟ لا أعرف أحداً أقترض منه .
 ولا يمكن أخذ شيء من المكتب . إني جديدة فيه »
 فقال : « اسمى ... لو لم تكونى بلهاء لأمكن
 تذليل كل هذه الصعاب ... ولكنى لم أرفقاة
 مثلك »

فقلت : « ماذا تفنى ؟ .. كيف يمكن تذليل
 الصواب ؟ »
 فأراح كفيه النليظتين على كتفها وقال : « أنا
 أستطيع أن أدبر الأمر إذا طاوعتنى »

فهزت رأسها غير فاعمة فقال : « تعالى ... »
 وطلوفا بذراعه ، وأدنى شفتيه للمطوطتين
 من فها ، فاولت أن تنأى عنه ولكنه جذبها
 إليه بقوة ، فحوت وجهها عنه ، فذهبت شفتاه
 تبتان فى نحرها ، وكتفها ، وكانت يده اليسرى
 تتحسس صدرها وتقف وتتكور على نديها الراسخ ،
 فكاد عقلها يطير ، وتفلتت من عناقه بمنف ،
 وارتدت راجعة الى آخر الغرفة وهى تلهث وتنهج ،
 كأنها كانت تجرى ، وصدرها يملو ويهبط كالنوح ،
 من جهد المقاومة ومن الغضب أيضاً . وكان هو
 ينظر إليها نظر النعمة والفيض ، فصاحت به وهى
 ترجف : « إذا لم تخرج من هنا فأسأرخ »

فزام ، وهز رأسه ، وقال وهو يدور لبخرج :
 « طيب ... سنرى ... إما أن تدفى اليوم
 وإلا فأخرجى أنت » فلم تقل شيئاً ... وماذا عسى
 أن تقول ؟

على الرغم من أنها أصبحت معروفة فى هذا المحيط
 — محيط الكاتبات الناسخات . وكانت حلها قد
 ذهبت جميعاً فى نفقات الحياة ، وأجور التعليم ،
 وسد النقص ، وهامى ذى الآن قد التحقت بمكتب
 جديد بعد أن ظلت عاطلة شهرين أكلت البطالة فى
 خلالها القليل الذى كان مدخراً

ونهبنت عن الكرسي وهى تنهذ وتنالوت
 حقيبتها ، لتخرج إلى عملها ، وكانت الساعة
 السابعة فأمامها ساعة كاملة للمشى إلى المكتب ،
 وقد عرفت بالتجربة أن الساعة فوق الكفاية ،
 ولكن فسحة الوقت خير من ضيقه ، ومضت إلى
 بابها لتفتحه وتخرج ، وإذا بنقر خفيف عليه ،
 فقالت : « تفضل » فدخل رجل بدين وسلم وقال :
 « أراك خارجة »

قالت : « نعم ... » وهمت أن تقول إنها
 مضطرة إلى التكير ، ولكنها كبحت نفسها فأيمنه
 هذا فقال : « أجرة الزفة عن ثلاثة أسابيع ...
 ألا يمكن أن تعطينى منها شيئاً على الحساب ؟ »
 قالت : « آسفة . وإنى لشاكرة لك هذا الصبر
 كله . والمطوف أيضاً .. بعد يومين .. أقبض أجرة
 الأسبوع فأعطيك شيئاً »

قال : « إنك تخرجينى مع زوجتى . هذا الصبر
 الطويل ليس له عندها إلا معنى واحد . وقد
 أنذرتنى اليوم . وبعثاً أطول أن أفهمها الحقيقة ..
 لا تريد أن تفهم . كل ما تعرفه أن الأجرة تأخرت
 ثلاثة أسابيع . وكل ما تريده هو أن تؤدى إليها
 هذه الأجرة أو تخرجنى اليوم »

قالت : « ألا يمكن أن تمهلونى يومين اثنين ؟
 أبى أذهب إذا خرجت اليوم ؟ ليس لى مكان آخر »
 فهز الرجل كتفيه الفليظتين ولم يقل شيئاً .
 فدننت منه ليلى وقالت : « أرجو . أرجو أن

« لأنى شقراء ؟ »

فقال : « إذن أنت ؟ »

فأراحته من عناء التخمين وقالت : « مسيلة »
فقال وهو يهز رأسه بمنف كأمها وجد ما يسره

من حيث لم يكن يحتسب : « أنا أيضاً مسلم »
فلم تقل شيئاً واحتزأت بالابتسام ، وشرعت
ترفع غطاء « الرمنجتون » . وتركها هو وذهب
بجلس على الكرسي الآخر ثم رأما تنظفت في الغرفة
فنهض وهز رأسه مستفسراً ، فنهضت هي أيضاً
وقالت : « لا تنب نفسك ... أظن أن في وسعي
أن أجد كرسياً من الخيزران في ... »

فقال وهو يمدو الى الباب : « بالطبع ... أما
إني لمنفل ... »

وعاد بالكرسي وهو يقول ضاحكاً : « لكأنا
كنت أظن أنك ستجلسين القرفصاء وتكتنين على
حجرك . 11 لم تشهدى ذلك المسد بالطبع ...
لا يمكن ، فأنك ما زلت صغيرة .. أوه جداً ..
ولكن أين تعلمت الكتابة على هذه الآلة ؟ صغيرة
إذا كنت أنطفل ولكن الصريات يندر .. جداً أن
تعنى واحدة منهن بذلك »

قالت : « ولكني استطعت أن أتلم .. صنعة
في اليد أمان من الفقر » وابتسمت
فقال : « أهو ذاك ؟ معصرة .. كان سؤال
فضولاً مني لا يقتدر .. ساعيني »

فسرها منه هذا الأدب ، وقالت : « ليس
هذا سرا .. ألسنت أعمل .. لست هاوية بالطبع »
فقال : « إذا كنت تملين في مكتب .. فأنك
ولا شك تعرفين لغة أجنبية أو اثنتين .. »
قالت : « أعرف الإنجليزية ، وأصبحت أعرف
من الفرنسية ما يكفي للنسخ ... وأنتكلهما أيضاً
فأنتيا جميعاً تتكلما هناك »

« بونجور »

« خذى هذا العنوان واذهي إليه
حالا ... عمل مستعجل ... الرمنجتون ذهب بها
أحمد ... العمل يستغرق يومين ... ثلاثة ... اللهم
الافتقان ... يجب أن يكون راضياً ... فاهمة ؟ »
فذهبت ولم تسأله أهو عربي أم أفرنجى ...
وماذا بهم ؟ .. كله عمل ... آلى ... ودخلت
الشقة فإذا هي بيت لا مكتب ، وقالت للخادم
النوبى : « إني من محل ... »

فاكتفى بأن يشير إلى غرفة المكتب فجلست
على كرسي من الجلد كبير وثير ، وأدارت عنها في
الغرفة فلم ترفها أماناً غير كرسي آخر كالذى
جلست عليه . وحول الجدران رفوف كثيرة عليها
كتب لا تحصى ، وثم في الركن مكتب أثيق ،
وفي وسط الغرفة منضدة صغيرة ، مما يستعمل
للشاي ، وضمت عليها « الرمنجتون » فتوقعت أن
ترى رجلاً على السن وأدهشها أن يدخل عليها
شاب يناهز الثلاثين وإن تعلم أن هذا هو الذى
جاءت لتعمل له ولتنسخ ما يشاء

وقال بركة لا تكلف فيها : « قهوة ؟ »

قالت : « أشكرك ... فيها بعد ... ماذا تأمر ؟ »

فقال وهو يناولها ملفاً ضخماً : « في كم يوم
يمكن الفراغ من نسخ هذا كله ؟ »

فقلبت الأوراق ونظرت في الخط والسطور ثم
رفت رأسها إليه وقالت : « صمب أن أقول كم
يستغرق ... ولكن ... بعد ورقة أو اثنتين أستطيع
أن أحكم حكماً قريباً من الصحة »

فهر رأسه وهو يبتسم وتحول عنها ثم كأمها
خطر له خاطر فدار على عقيقه بسرعة وسألها :
« يهودية ؟ »

فابتسمت له ، وقالت وهي تهز كتفها :

بالروايات والقصص ، ولكنها منذ ثلاث سنوات لم تقرأ رواية ، وإن كانت قد ذهبت مرارا الى السينما — وهي مطمئنة فان أباهما من الأدباء السيئين ومع ذلك كانت تتحرج وتلقى على وجهها نقابا خفيفا شفافا ، حتى حين تعشى في الطريق كانت تنتقب زاحمة أن هذا وقاية من الشمس والتراب

ولم تشعر بعبد الحميد — فقد كان هذا اسمه — حين دخل عليها ووقف ينظر اليها أكثر من دقيقتين . فلما رأها لا تلفت اليه ، ولا ترفع عينها عن الورق ، ولا تنهمل أو تتباطأ في العمل قال : « ممذرة ... إن هذا انتحار »

فرفعت رأسها حينئذ وقالت : « أوه ... لم أرك أسا جئت ... كلا ... إني على العكس مسرورة ... وأعترف لك بأن هذه أول مرة سرتني فيها على ... رواية مدهشة »

فقال وهو ينحى كفها عن الرميحيتون : « قد تكون الرواية أو لا تكون مدهشة ... ولكن أبست على الدهشة ألا يحتاج الانسان الى الراحة . تفضلي وقوى وأريحى جسمك قليلا على هذا الكرسي »

وتناول ذراعها لينهضها ، فقالت وهي تقوم : « صدقت ... أستريح دقيقة »

فقال وهو يعضى بها الى الكرسي : « تستريحين تماما ... »

فقالت وهي تجماس على الكرسي : « ولكنى أريد أن أعرف بقية الرواية »

فقال : « اضطجعي أولا ... أنا أتمنى عليك البقية .. ألخصها لك في ألفاظ قليلة »

قالت : « كلا ... هذا يفسدها ... إني أريد أن أقرأها »

قال : « إذن أقرأها لك »

فقال : « أوه لست أريد أن أفتح لك محضر تحقيق ... بممذرة مرة أخرى ... ورفض يده الى جبينه المريض ومسحه وقال : « هذه أول مرة أرى فيها مسلمة تشغل بالبنسخ (ونحك) أرانا نتقدم ... أليس كذلك ؟ »

وكانت قد شرعت تدق على الآلة الكاتبة ، فاكثفت بالابتناس

وتركها هو بعد ذلك وخروج بعد أن قال لها إن في وسعها أن تطلب ما تشاء من الخادم ... أى شيء ... قهوة ... شاى ... أكل ... كل ما في البيت تحت أسرها

ولكنها لم تطلب من الخادم شيئا ، ولم تعلق راحته ، بل أقيمت على الآلة تدق ، وتدق ، بسرعة ثمانين كلمة في الدقيقة ، وتخرج له من كل ورقة نسختين . واستغرقها العمل ووجدت فيه متعة لا عهد لها به في مثله ، فقد كانت هذه زوايا تنقلها — استمدادا لطبعها ولا شك — وكانت الصور التي يرسمها المؤلف — هذا الشاب الوسيم المؤدب تنجسد لها ، والمواقف تتمثل ، وهي تدق ، وتدق بسرعة ثمانين كلمة في الدقيقة ، وكانت نفسها يحيش بمثل المواظف الموصوفة ، والاحسانيات المصورة ، فتضحك تارة ، وتحنقها السبرات تارة أخرى ، وتبس حينئذ ، وترى نفسها تنطق بالألفاظ التي تدقها بقوة وعنف كأنها تثل ما تقرأ ، أو كأنها كان الأمر حقيقة لا خيالا . وكانت ورقة بسد ورقة تاتي في السلة على المكتب وهي ذاهلة عن كل شيء . فلما قامت مرة ، ولا تعطت لترجع أعضائها المكسدة ، وتحرك أصابعها التي كادت تنتشج وتتصلب أو تتخشب ، ولا شعرت بظلم أو جوع ، ولا كان لها بال إلا هذه الرواية التي تقرأها وهي تنسخها . ولقد كانت مشغوفة أيام المدرسة

ولم ينتظروه بل ذهب إلى غرفة النوم وجاء منها بزجاجة من الكولونيا رش منها على وجهها الأصفر، وأقبل على راحتها بذلكهما ونخلع حذاءها وجوربها، وراح بذلكهما أيضاً بالكولونيا، ومحمد واقف ينتظر، وينتظر الأوامر التي لا تصدر، ولا يصنع شيئاً

وبعد لأخر ما بدأ الدم يمود إلى وجهها المنقوع، فتنفس عبد الحميد الصمداء واطمان، وقتحت ليلى عينها وأجالتهما في ما حولها بفنور، ثم تنهدت ووسمها أن تتكلم

فقالت: «لم يحدث لي هذا أبداً»
فقال بشيء من العنف: «كان جيلك جداً أن يحدث لك هذا في الشارع.. هه؟»
فابتسمت وقالت: «أشكرك.. إلى أسفة.. هذه أول مرة»

فقال: «محمد.. خذ هذه الزجاجة وضمها في مكانها.. والآن لا يسعني، وقد خرج محمد، إلا أن أوجه إليك سؤالاً قديماً.. بارداً في الحقيقة.. ولكنه واجب.. متى أكلت آخر حبة؟»
احذرى أن تكذبي

قالت: «لا داعي للكذب.. أسس الظاهر»
قال: «لقد ظننت ذلك..»
قالت: «كيف عرفت؟»

قال: «أوه السألة في غاية البساطة.. ليست مسألة فراسة، ولكنها مسألة ضم قرينة إلى قرينة... وأعترف أنني مررت بمكتب... واستدرجت صاحبه إلى الكلام عنك، فقال إنك معروفة في مكاتب النسخ، وإن كنت من الجديديات عنده.. هذا يومك الخامس في مكتبتي.. وأنتي عليك وطمانني كأنما كنت أحتاج إلى ذلك.. فلما أغنى عليك الآن أدركت أن هذا من التنبؤ

قالت: «تنبؤ... دعني أقرأها أنا... وأنا أستريح»

قال: «بعد النداء... الوقت طويل»
فقالت: «الفداء؟ كلا! اسمح لي أن أخرج ثم أعود في الساعة الثالثة.. كالعادة»

قال: «ولم لا تبقى وتنتدين هنا؟ قولي إنك باقية»

قالت: «لا أستطيع.. سأعود بالطبع بعد الظهور...»

وكانت تعلم أنها مفلسة، وأنها لا تستطيع أن تذهب إلى بيتها — حيث ذلك الرجل الخشن الفظيع — وهبه ليس فيه فائدة هناك؟ وإذا لم تذهب إلى البيت فإن يمكن أن تذهب؟ هذا شاب يمرض عليها أن يطعمها وأن يريحها من الأثباب التي تعزق أحشاءها، ويعفها من الشعور الثقيل بالقرص والمض في جوفها، فلم لا تطيع وتقدم وتأكلي؟ وأحسنت وهي تدير هذا في نفسها بالدموع تترقق في مآقيها وتخفقها، وخشيت أن تخونها قواها وأن تغلبها المبرة أمامه، فقرضت أسنانها وشددت أعصابها، ونهضت متحاملة على نفسها

فقال: «إلى أين؟ لا يمكن أن تخرجي... عيب... لا يليق»

فقالت بضيق — فابقيت في بيتها ذرة من القوة بعد أن أُنفتت البقية في الكسارة: «أرجو..» ولم تزد فقد هوت كالجنة أو كأنها ثوب فارغ ولم يكن هذا مما يجري لصاحبنا في حساب، فلم ينتبه إلى ما حدث إلا بعد أن ارتعت على الأرض — بعضها على الكرسي وبعضها على السجادة — فأبغى عليها وحملها وأراحها على الكرسي، وخرج بعدو ويصيح: «محمد.. محمد.. تمال حالاً..»،

وتملك في عيني .. ولكنها تكلف على كل حال
فقلت مستغربة : « تكلف ؟ أبداً »

قال : « إن الذي أعنيه هو أنت الشجاعة
لا تكون إلا تكلفاً .. شيء يحمل الإنسان نفسه
عليه .. هذا ما أعني »

فقلت : « ولكنني لست قاعمة »
قال : « نؤجل الدرس إلى وقت آخر ؛
ونتحدث الآن عنك .. قولي ما اسمك ؟ »
قلت : « فريدة »

قال : « ينطقونها في المكتب (فريدا) ...
ما علينا .. هل هذا اسمك الحقيقي ؟ »
قلت : « لماذا تظن أنه ليس اسمي ؟ »
قال : « ما رأيك من شجاعتك يحملني على
هذا الظن ... أنت بنت فاس »

قلت : « كل الناس أبناء فاس »
ونحكت ، فقال : « أعني أنك تشعرون بكرامة
محربين عليها »

قلت : « هل أنا الوحيدة التي تفعل ذلك ؟ »
قال : « أعترف أنني انهزمت ... عندي كلام
كثير ... خجج ... ولكنني أوتر الهزيمة ... فما
قولك في أن تكون صريحين ؟ »

فضحكت . ولم يكن ضحكها سروراً بل من
شمور بالصف وبالاضطراب الذي أدركت أنه
سيدفعها إلى الاعتراف بكل ما في نفسها . فقال :
« قولي لي اسمك الحقيقي ... سأحفظ به »

فاقرت من حيث تريد المسكارة وقالت :
« ولكن ما الفرق بين اسم واسم ؟ .. كله اسم »
قال : « ها .. لقد صبح ظني ... والآن
ما اسمك الحقيقي ؟ .. لقد وعدتك بكنيته ، فهل
تستطيعين أن تقني بي ؟ »

قلت : « نعم ... ليلي »

والجوع .. ألا ترين أني أصلح للقيام بدور سنكلر
أو شرلوك هولمز ؟ »

فضحكت وقالت : « لماذا سألت عني ؟ .. »
فقال : « قبل أن أجيبك يجب أن تتظري
قليلاً حتى أعود إليك »

وخرج وتركها ، فراحت تفكر مسرودة
في هذا الشاب - نعم هو شاب وإن كان الأرجح
أنه جاوز الثلاثين - وفي رفته ودعته ، وفي صرودة
نفسه وحسن أدبه ، وفي براعته في فن الرواية براعة
جعلها تعمل كما لم تعمل قط في حياتها .. وفي
وسامته ، وفي هذا السحر الذي ينطلق من عينيه ،
فينفذ إلى القلب ، ثم تهتد آسفة سحر
أو لا سحر .. سيان ! لا شك أنه يوجب بها ..
هذا واضح .. ولكن ما قيمة هذا الإعجاب ؟
وهبه أحبا ، فما أملها معه إلا أمل الخلية ؟
وهيات أن ترضى ذلك ؟ ولو كانت ترضى ذلك
لما فاتها ما فاتها من الفرص ولا كانت خسرت
ما خسرت من الأعمال ، فما كان أكثر أصحاب
الأعمال الذين طعموا في هذا النوع من الملائة ،
فلما خيبت أملهم ألغوا بها في الشارع .. وحسبها
زلة واحدة في حياتها أورتها هذا الشقاء الطويل ...

واختصرت زفرة طويلة ، فقد دخل في هذه
اللحظة محمد وأمامه سيده - الخادم يحمل ساطانية
متوسطة فيها مرق ، والسيد يحمل فوطه

وقال السيد : « اشربي هذا .. حالاً .. »
وطرح الفوطه على حجرها ، ففعلت كما أمر ،
وقال لها : « هذا يكفي الآن .. بعد طول الطوى
يحسن التخفيف حتى لا تنيب المدة »

فقلت وهي تضحك : « لا تنالغ .. إنه يوم
واحد ليس إلا »

قال : « هذه الشجاعة التي تظهرينها تسرنى

وعرف اسمها الكامل ، واسم أبيها أيضاً ، فقال وهو يحسح جيبته : « انتظري ... أليس والذك هو الذي كان ضابطاً في الجيش ؟ » قالت : « هو بمنته » قال : « وكان يسكن في شارع ... » قالت : « هذا هو البيت الذي ولدت فيه » قال : « غريب .. لقد كان أبي رحمه الله صديقاً جداً لأبيك .. ولداهما يلتقيان الآن ! غريب ؟ وماذا حملك على ترك أبيك ؟ أسمع أنه كان عنيفاً » قالت : « لأنني خفت عنفه .. اسمع .. سأقص عليك حكايته كلها .. لم يبق بد من هذا .. وأحببني بعد ذلك إذا استطعت .. ربما كان هذا لازماً لتشتفي » وقصت عليه الحكاية ، ولم تكتم شيئاً ، ولم تحاول أن تهون من زلتها . كان يصني وهو مطرق ، فلما فرغت قالت : « والآن يمكنك أن تبانيني أنك دفنت حبك للمباغت لهذه الفتاة الطائشة » قال : « لقد كنت خجيرة .. ولست أدفن جيبي لك ؛ ولكنني أنوي أن أعلنه ، فهل تسمحين لي بأن أطعم أن تحبيني يوماً من الأيام ؟ » فأطرقت تفكر ، فقد أساءت فهم ما قصد إليه وتوهمت أنه يريد بها كما أرادها غيره ، خيلة ، وشعر هو من إطرافها أن معنى كلامه ليس واضحاً ، وشعوره ترددها الظاهر ، فقال : « إني لا أرى أنني أستطيع أن أعيش بعد اليوم بدونك ، فهل تقبليني زوجاً ، على أن تكون الطاعة مني والحب ، ولا يكون منك إلا ما يسمح بالأمل في أن تحبيني يوماً ما ؟ »

فصاحت : « ولكنني أحبك من الآن ؟ »

وندمهما فما بقي لهما مقام معهما !

ابراهيم عبد القادر المازني

قال : « ليلي ؟ .. ليلي ما ذا ؟ » فقالت : « ألا تفهمي ؟ .. لست أشعر أنني أستطيع المقاومة إذا ألححت ... ارحم صفتي » فقال : « بالطبع ... معذرة ... لست أريد أن أستغل ضعفك ... كلا ... اغفري لي فضولي فإنه ليس عن خسة بل عن .. » وأمسك متردداً ؛ فقالت وقد رأت تردده وأدركت بفريزتها الذكية ، ولأوله : « عن .. ؟ » فقال : « عن حب .. لقد قلتها ... قولي عني مغفل ... ما شئت قوله ... ولكنها الحقيقة ... وقد استرحت الآن .. رفعت عن صدري حجراً .. تنفست .. محبب ولا شك .. هي دقائق رأيته فيها .. ولكني مع ذلك أحببتك كأنني عرفتك من قبل أن أخلق ... كأنما كنا معاً في عالم آخر قبل هذا . ولست أقول هذا لأخذك ، وإني لأعلم أن الرجل يستطيع أن ينجذع المرأة بتمثيل دور العاشق ، ولكني لأحاول خداعك ، ولا مطمع لي فيك .. كل ما أعرفه أنني أحببتك .. قد يكون هذا شعوراً وقتياً يفتت بعد قليل أو كثير ... وأني أحب لا يفتت ؟ .. على كل حال لا أعلم ... أعرف فقط أنني فوجئت بهذا الحب الذي غمر نفسي وشاح فيها علواً وسفلاً ... انتظري إليه كيف شئت ... باستخفاف إذا أردت إذا لم يسمك غير ذلك ... ولكن صديقي .. فاني أحتمل الاستخفاف ولكني لا أستطيع أن أحتمل التكذيب .. كلا .. » فقالت ببساطة : « إني أسدقك » فصاح بها : « إيه ؟ »

قالت : « ألم تسمع ؟ هات أذنك وأنا أصبح

لك فيها .. صدقتك ... هل نعمت الآن ؟

لا لا لا لا ... صدقتك معناها صدقتك فقط ! !



يَوْمِيَّاتِي فِي الْأَرْيَافِ

للأستاذ توفيق الحكيم

١٨ أكتوبر

كان أول ما فعلت عقب رجوعي إلى مكنتي أن أرسلت في طلب الشيخ عصفور ، فحضر أمي مطرقاً سامتاً فابتدرته :

— البنت ريم تمجيك ؟

رفرف رأسه ونظر إلى نظرة أحسست أنها نفذت إلى أعماق نفسي ، ثم عاد فأطرق ولم يجب فقلت له :

— أنا مستعد أن أطلب المأذون وأعقد

عليك وعليها

فلم يدحرا كما ، فضيت أقول :

— لو كانت موجودة هنا كنت حالا

وجمت أستعثه على الكلام فلم يخرج من صمته . وأخيراً رنم بصوت كالمهمس لكنه واضح الثبرات :

نهييتك ما انتهيت

والطبع فيك غالب

وذيل الكلب ما يتعدل

ولو علقوا فيه قالب

فما تمالكب أن صحت :

— إخرس يا بهيم !

وأسرعت بطرده ، وقد تبين لي أن لا فائدة ترمي من مثله . ورأيت أن أسأل حلاق الصحة ؛ فاستدعيته وسألته في أمر المرأة المخنوقة وكيف صُرح بدفنها بدون إذن النيابة ، فقال من فوره :

— وشرفك يا سيدنا البك ما أعرف إن كانت مخنوقة أو محروقة . حضرة حكيم الصحة أمر بالدفن كالمتاد

— بدون توقيع كشف ؟

— لو كنا نقعد نكشف بإسمادة البك على كل بنت كان زماننا توفينا من بدرى

— بقی بالاختصار لا أحد كشف ولا نظر ..

— الجارى عليه العمل يا سمادة البك أن حلاقين الصحة في الجهات تبلغ حضرة الدكتور المفتش بالتلفون . وحضرته قاعد على مكتبه هنا ما عليه إلا أنه يسأل في كل حالة عن سبب الوفاة وزرعه عليه في التلفونون : ماتت يادكتور موة ربها

يقوم يقول : ادفن ، ادفن ، ادفن ...

— ما شاء الله ، ما شاء الله ، ما شاء الله !

ولم أرفأئدة كذلك من البحث مع هذا الحلاق فانأ أدري الناس بمحلاقي الصحة . إن كل مهمتهم أن يقبضوا من أهل المتوفى خمسة قروش ويحصلوا لهم على الأذن بالدفن دون أن ينظروا في وجه جثة أو ينتقلوا إلى منزل . إن هم إلا سمسرة « دفن » ، وحتى مع فرض وجود النزيه منهم الذي يريد القيام بواجبه فيذهب للكشف على الجثة ، ماذا يستطيع مثل هذا الجاهل أن يستكشف ؟ إنه سيرى رجلاً أو امرأة قد فاضت روحها وليس بها إصابات ظاهرة . فكيف يعرف أن الوفاة مشتبته في أمرها ؟ إن « نظام » حلاق الصحة نفسه ، هذا النظام الذي لا تعرفه أية دولة على بسيط الأرض هو موطن الداء . ومثله عندنا نظام « الدابات » وإني مازلت أذكر ماقصه على طبيب مستشفى الركز ذات يوم . قال لي إنه ذمى إلى حالة ولادة عسرة في إحدى جهات الريف ، فذهب مسرعاً فوجد المريضة ملقاة على ظهرها وقد تدلت منها ذراع الجنين وبجوارها عجوز حراء الشعر والشدقين ، قالت له إنها « الدابة » وأخبرته أن المريضة قد مضى عليها ثلاثة أيام على هذه الحال بهذه الذراع الخارجة منها . فسألها لماذا انتظرت كل هذا الوقت ولم تخطري الطبيب ؟ فأجابت : « كنا منتظرين ستر وينا ، قلنا ربنا ينتمها بالسلامة » . ووضع الطبيب يده في الرحم فاذا الرحم محشو بالطين ، وإذا مثانة المريضة قد تهتكت وأنها هالكة لا أمل فيها ، وأن المولود قد مات منذ يومين . وأتت نظرة حوله فاذا كومة من « التبن » القدر عند أقدام المرأة . فالتفت إلى « الدابة » الصحية مستفهماً ، فقالت :

أصله يا عبيدى الدكتور لما دخلت يدي أسحب الولد لقيتها راحت « منفلطة » ، قت قلت : « أحرص كفى بشوية تبن » . ومدت للطبيب يدأ ملوثة « بالتبن » قد بدت منها أطافر طويلة سوداء . وقال لي الطبيب : « إن الدابة تولد المرأة كما لو كانت جاموسة » . وماتت المريضة مع طفلها واكتفت الصحة بأن سحبت من هذه الدابة « الصحية » التصريح ... ولكنها لم تغير النظام وحى . تعلم أن ألوف الأطفال يموتون على هذه الصورة في كل عام . نظرت إلى حلاق الصحة ملياً وأدركت أن أرواح الناس في مصر لا قيمة لها . لأن الذين عليهم أن يفكروا في هذه الأرواح لا يفكرون فيها إلا قليلاً . وطردت هذا الرجل أيضاً ، وقلت في نفسي : إن خير السبل في مثل هذه القضية أن أعرف مرسل البلاغ المجهول . وفكرت لحظة ، وخطر لي أن أعرض خطه على القاضي الشرعى وهو يتحرى لي بين موطنى محكمته وبين المحامون الشرعيين . ولعله هو نفسه قد مر به هذا الخط . وما دمت أعتقد أن صاحب الخطاب أزهري فليكن البحث في دائرة المحكمة الشرعية . وطابت في الحال عبيد المقصود أنندى رئيس القلم الجنائى وهو عين أصدقاء القاضى الشرعى وكانته أن رافقنى في الحال ، ولم يعض قليل حتى كنا في بناء تلك المحكمة ، فسألنا من القاضى فدلونا على حجرة أمام بابها « قبقاب » ؟ فهمس عبد المقصود أنندى في أذنى أن فضيلته لاشك كان يتوضأ كي يصل الطهر . ومرت لي في عبارتين مبلغ ورع هذا القاضى وزهده . وضر بنا على الباب ودخلنا ، فرأينا القاضى خالماً جيبته وعمامته وهو جالس على حصير الصلاة ، وبين يديه طبق به بلع من نخلة رأيناها مثمرة في فناء المحكمة . فلما رأنا

للمأمور مرة في الميد فوجد حجرة استقباله عبارة عن « دكتين » من الخشب فوق كل منهما فروة خروف قدرة وبينهما حصيد قديم . أما المرتب الكبير فهو يكثر برمته إلا جنبهات ثلاثة هي كل نفقات الشهر . وفي آخر العام يشتري بالمال للكنوز عقاراً وطنياً . وهو لا يضح ماله في المصارف خشية أن يعرف مقداره . ولا يدري أحد أين يدفنه طول عامه . وأخبرني المأمور أن القاضي وكأنه لم يَمِ الليل حضر إليه في الصباح البكر يجري ويقول في تردد :

— مشروع المسجد بلفته لسادة المدير ؟

فأجاب المأمور في ابتسامة خفية :

— ظمناً اليوم آخر النهار أما نأوى أقابل سعادته ..

فأسرع القاضي في رفق وتلفظ ومال على أذن المأمور كأنما يقضى إليه بسر :

— أرجوك بس . مسألة الخمسة جنبهات ..

— مالها ؟ ..

— لا داعي لذكرها ..

هذه الواقعة تمثلت في رأسي فجاء عندما قال لنا القاضي في قلبي : « طلب خصوصي ؟ » فقد قرأت ما جال في نفسه . فهو لا شك قد خاف أن نكون قادمين لطلب تبرع من هذا النوع . فأسرعت أرد إليه الاطمئنان وأخبرته أن حضورنا هو لعمل من أعمال وظيفتنا ، وأخرجنا في الحال من ماف أوراقنا الخطاب النفل وعرضناه عليه وحادثناه فيما يريد منه فأنشرح صدره وقال :

— موضوع بسيط . نشرب الزنجبيل أولاً ..

ثم ننظر بعد ذلك في أمر البلاغ ..

وصفق بيديه وصاح :

نهض وحيانا وأجلسنا على الكرسي وطلب لنا « زنجبيل » ، ورأى عبد القصود أفندي أن يوفر على مؤونة بدء الحديث ، فالتفت إلى القاضي الشرعي وقال :

— البك وكيل النيابة ، غرضه يطلب من فضيلتك

فأجاب القاضي سرباً في شيء من القلق :

— خير إن شاء الله . طلب خصوصي أو ...

وذكرني هيأته وقلقه بقصة عنه قصها على المأمور . قال لي يوماً إن المدير اقترح تحسينا لمظهر المركز ومراعاة للصحة العامة لإنشاء متنزه في وسط البلد ، وقد تبرع بعض الأعيان بما استطاعوا التبرع به من مالهم ، وبلغ القاضي الشرعي ذلك ؛ فذهب إلى المأمور وسفله هذا المشروع واقترح أن يقام بدل المتنزه مسجد لمباداة الله ، وحض الناس على التقوى والصلاح ، فأمن المأمور الخليفة على كلام القاضي وتحمس لرأيه أعظم التحمس ، وقال له :

— لا بد من عرض اقتراح المسجد على

سعادة المدير ، وأنا متأكد أنه موافق مقدماً ،

وزيادة في ادخال السرور على قلب سعادته نكتب اسم فضيلتك في رأس قائمة التبرعات ، باعتبار أنك متبرع بمبلغ خمسة جنبهات . وقد ذكر لي المأمور أنه لم يكذب يلفظ هذا المبلغ حتى اصفر وجهه القاضي ولم يجهد ما يقول ولم يستطع أن يسحب اقتراحه وظهر عليه الضيق والخرج ، وقد كان المأمور يتوقع ذلك على الرغم من علمه يسر القاضي وبسطة حاله . وهذا اليسر لا يبدو على حيائه فهو يقطن في شبة حجريتين ، وكيفية من الطمام قليل من الجبن . مع جلتين وبلعتين . وقد زاره

الكتاب من شيء فأسكتني الحاضرون فسكت نادياً بوجود سماعة الدين ولولا هذا ما سكت ورب الكعبة ، ثم استمر هذا الأفتدى في كلام لا هو بالمقول ولا بالنقول إلى أن قال إن طاله النصراني قد استطاع بمادلات جبرية أن يزن الأرض والماء ! فما تمالكت نفسي ونهضت وأنا أتفتض وبحث به : « مهلا يا حضرة الأفتدى مهلا ، أخبرنا قبل كل شيء ، هل هذا العالم (شنتون) وزن السموات والأرض بالكروسي أو بدون الكروسي ؟ ... » فارتبك المدرس ونظر إلى « قائلا : « كروسي إيه ؟ » فرددت عليه بالآية الثرية : « وسع كروسيه السموات والأرض ... » أجب أيها المدرس الآفاك ، ما هذا الحاصل والجوهر ، الوزن كان بالكروسي أو بغير الكروسي ؟ ... »

فكتمت ضحكي وقلت في هيئة الجد :

— وأخيراً ... ؟

— وأخيراً يا سيدى ... لا شيء ، لم يستطع

الحاضر أن يجيب ، واحتج وانسحب ، وضج الحاضرون واختلط الحابل بالنابل ، وغضب منى سمادة المدير واعتبرها إهانة لجلسه ، وترك الناس المحاضرة وهي المسألة الأصلية والتفتوا إلى اعتدائي على مقام المدير وهي مسألة فرعية ، وتكاثروا على يطالبون إلى الاعتذار ، فاعتذرت ، ولكن مع ذلك أشعر أن من يومها والباشا المدير لا ينظر إلى بعين الرضا ...

وسكت قليلاً ثم قال في لهجة أخرى :

— بمناسبة الحالة السياسية اليوم . أظن الوزارة الجديدة ستجرى حركة تغيير وتبدل بين المديرين ورجال الإدارة كالمتاد ؟

فلم أكده أفتح في لأجيب حتى دخل الفراش وهو نصف شيخ . أعني أنه يلبس العمامة على جلباب

— يا شيخ حسنين . استمجل لنا الفراش ثم صمت قليلاً . وعاد غيماً :

— أهلاً وسهلاً ... حصل لنا الشرف ...

ورأى عبد المقصود أفتدى أن يدي إلى صلته بالقاضي وممرقه له فأشار إليه والتفت إلى « قائلا :

— فضيلته من كبار العلماء الراسخين في العلم ووجه الكلام للقاضي :

— أنا يا فضيلة القاضي لا أنسى يوم المحاضرة لما رديت على الولد المدرس ..

فقاطعه القاضي مستغفراً مستمعاً :

— أخزاء الله . أنا لا أطيق الصبر على الكفر والجهل . والتفت القاضي إلى « وقال :

— تصورا يا سيدى البك أن هذا الأفتدى مدرس جغرافيا في المدرسة الثانوية التي فيها محاضرة علمية عن عالم نصراني اسمه « شنتون » قال إنه قد عرف بالضبط وزن الأرض والماء ... استغفر الله العظيم ..

وتأملت قليلاً في الاسم الذي نطقه القاضي . واهتديت آخر الأمر إلى أن المقصود به العالم الرياضي « اينشتاين » ، ولذا لي أن أعرف ماجرى ، فهذا من غير شك صراع بين عقليتين واسطدام بين رأسين يحاول كل واحد أن يشاهده ويقفه على مده ، فقلت للقاضي في شيء من الاهتمام :

— وحضرت المحاضرة يا فضيلة الشيخ ؟

— حضرت والأمر لله من قبل ومن بعد

— وماذا حصل ؟

— حصل يا سيدى أن هذا المدرس قام وقال في حضرة الباشا المدير وكبار الموظفين والأعيان إن هذا العالم الكافر قد أتى بما لم يأت به الأوائل والأواخر ، فقممت وبحث به : « كذاب يا حضرة المدرس ، لقد قال الله في كتابه العزيز : ما فرطنا في

نفرجوا جميعاً . وعاد إلى الأمور يتنفس الصعداء
ويقول في صوت متعب :

— بق لي يومين بيلتين في القرف ده

وأردت أن أداعبه وأخيفه قليلاً فقلت :

— لكن أنت يا حضرة الأمور معروف عنك
انك من حزب الوزارة السابقة
فقال لي على الفور :

— اسكت اجمل معروف . أنا طول عمرى مع
الوزارة الجديدة بقلبي ، والى في القلب في القلب ؛
والأعمال بالنيات

فابتسمت وقلت له :

— تترك السياسة وتتكلم في الشغل

وأخبرته بنتيجة فحص الجثة ووجود العظم
اللاى مكسوراً ، وضرورة البحث عن المجرم في
حماية المنيق الجديدة . وطلبت إليه أن يوجه عنايته
لمساعدتنا في الكشف عن الفاعل . فقال في الحال :

— المركز مش فاضى للفتنق والحرق

— عجيب . انتم لكم شغل غير المحافظة على
الآمن ؟

— يعنى حضرتك مش فاهم ...

— لأ مش فاهم ...

— تترك الانتخابات وتلغفت للقتل والفتنق ؟ ..

— طبعاً

— ما عنديش أوامر بالكلام ده

وتركنى وجعل يبعث بقبود حذيدية وسلاسل
معلقة على حائطه . وغزنى عبد القصور أفندى كي أغاق
هذا الموضوع . وأراد أن ينير مجرى الحديث فقال :

— البك الأمور يسمع بطلب دفاتر السجن ...

وشمرت أن كرامة عملى في خطر فصغخت قائلاً :

جادي قنبر كلابيب الفلاحين ، وهو عارى القدمين .
وقدم أنسا فتجانين من طرزين مختلفين قد كسر
مقبضهما . فشربت في احتراس وأنا أنظر الى داخل
الفتجان خشية أن يكون فيه بدل السكر صرصار .
وفغرنا من الحديث والتجيبيل وبدأنا العمل . وطلب
القاضى أوراقاً بخط موظفيه ضاهينها بخط البلاغ
فلم نجد مشابهة . وعرضنا البلاغ على من في المحكمة
لعل أحداً يذكر لنا أنه يعرف صاحب هذا الخط
فلم نظفر بظائل . وخرجنا من المحكمة كما دخلنا .
وشيننا في طريقنا الى دار النيابة . فقال عبد القصور
أفندى :

— نمر بالرة نفقت سجن المركز ونخلص

فلم أبدأ اعتراضاً . وذهبنا الى المركز فوجدنا
الأمور قد جمع بعض الممد في حجرته وجعل يشرح
لهم وجهة النظر الجديدة ويصدر إليهم تعليمات بنفس
الحجاسة التي كان يبدىها في مبدىة تولى الوزارة السالفة .
فأنا إن رآنى وعلم بالفرض من زيارتى حتى خف
للاستقبال وأجلسنى في صدر حجرته . وقض مجلسه
وهو يشيع الممد الى الباب قائلاً :

— فتح عينك يا عمدة أنت وهو . مرشح
الحكومة في الانتخاب لازم ينجح ، أنا نفقت بدى
وأنتم أحرار . مفهوم ؟ ..

فأجابوا في صوت واحد :

— مفهوم يا حضرة البك

وتردد أدهم وقال :

— فيه يا جناب البك جماعة مشاغين أقويا
كلهم مضموعة من العائلة الثانية الكبيرة ...

فدفع الأمور في كتفه دفماً وقال له :

— المشاغين على أنا ... تفضل

— لا بد من أن أفقش بنفسى السجن والمركز كله
ونهمست في قوة وعزيمة أزجعت الأمور .
فتردد ثم قال في رفق :
— تفصل . السجن تحت أمرك . . . انتظر
سمادتك دقيقة واحدة
وخرج سريماً من الحجرة وهو ينادى :
— يا شاويش عبد النبي . . .
واختفى عن نظري . ودفعني دافع الى النظر
من نافذة الحجرة تطل على فناء المركز . فرأيت
الأمور والجاويش يسرعان الى سجن المركز ويفتحانه
ويخرجان منه أشخاصاً تدل هيأتهم على أنهم من
أهالي النواحي ذوي الرخاء ويزجان بهم في حجرة
النبن والناف وبذلكان عليهم باها بالفتاح . فقلت
لمبعد المقصود أفندى :
— تمال وطل بميتك ده ولا سجن الباستيل .

الأمور أخفى بمض الأهالي في أودة النبن
فقال لي عبد المقصود في شيء من التوسل :
— يا بك ، الوقت بطل ، والسياسة متحركة
في البلد ، ما فيش داعي للتدقيق . . .
— يعني تترك الناس في الحبس من غير جرم ؟ . . .
— يا سمادة البك ، رئيس الأمور هو وزير
الداخلية ورئيس الوزراء في الوقت نفسه ، أما رئيسنا
فهم وزير الحفانية فقط ، وقد سبق أن قضاة
وكلاء نيابة وقفوا للادارة في ظروف سياسية
مواقف من هذا القبيل قاموا تقاوم الصعيد .
— معنى عفى على دقاتر المركز ونسكت ؟ . . .
— يا سيدنا البك ، إحنا حاكنا نكون أحسن من
مين . . . كان غيرنا أشطر . . .
— طيب ، قم استعجل لنا الدفاتر والاملام . . .
(يتبع)
توضيح الحكيم

بواخر

شركة مصر للملاحة البحرية

لماذا يفضلها الناس ؟

لأنها تفوق غيرها بدقة النظام وجودة الطعام
ولأن جميع أسباب الراحة متوفرة فيها
ولأنها قطعة من مصر
ولأنها بواخر شركة مصرية صميمة



من الذين منذ ثلاثين عاماً أو تزيد ، ينمقد على رأسه
سجاف قصير من تلك الأقراص التي يتخذها
الفلاحون من روث الماشية ، كأنما أريد به أن يزيد
هامته بمض الطول ، أو يكسب جبهته شيئاً من
الزينة . ولقد عبثت يد الزمن بتلك الأقراص
فتأكلت جوانبها ، وبذلك الجهة الضيقة فتشقق
حتى تبدو شقوقها كأنها
الفنن في رأس جله الشيب
وجمده السنون . على أن ذلك
الكوخ على ضمته كانت تفيض
عليه بساطة من الروح والهدوء
تجمل الأفئدة تهوى إليه ،
وتصبو إلى الميشة القريرة
السكنة في جواره

في ذلك الكوخ الضيق
يسكن (طليح) البدوي

واصراته ، وابنائها حنظل وراغب ، وبناتها
شروء ، وعز ، وشاء ، على أنهم لا يقضون تحت
سقفه إلا ليالي الشتاء ، أما في النهار فاهم مضطرب
واسع ومتنفس فسيح في ذلك الفضاء المحيط بهم ؛
وأما في الصيف فلم يكن ثمة من سقف يلوهم سوى
تلك التبة الزرقاء تربتها مصابيحها اللامعة المتناثرة

كانت شجرة التوت الكبيرة التي تقوم على
رأس حقنا منذ عشرات السنين مقلنا من حر
الصيف ، نأوى إليها إذا اشتد القيظ فنقضي النهار
في ظلها الوارف السايح ، ولا نمود إلى القرية إلا في
منه القمر أو في لمح الشفق . كان ذلك دأبنا طيلة
عطلة الصيف لا نغل هذه الدوحة ، بل لا نطيق أن

بتصرم أسبوع دون أن نقضي
يوماً إلى جانبها ؛ هنالك حيث
كنا ننعم بذلك الهواء الطرى
الرخي الذي تستروح النفوس
نسبته في أشهر الحر ولا تصيبه
إلا في ظل سرحة فينائه كتلك
السرحة ، امتد من حولها
الفضاء وانبسجت الأرض
على قيد خطوات من تلك
الشجرة الوارفة الظل بحري



توعة من تلك الترع الكبيرة التي تنساب في الدلتا
زائخرة في الصيف بذلك الفيض الذي يحمله النهر العظيم
من نلال الحبشة فيملاً به الترع والتدران فتجيش في
أفحاء الوادي بالقوة وتفيض على أرضه الخصب والري
وعلى مقربة من تلك الشجرة تقع العين على
كوخ متواضع ، يستقبل الشمس إذا طلعت ، أقيم

مطرق كأن به حما . وجلسنا إلى جانبه أحاده وأدابعه
 كمداني ، فسألته استبطن دخیلة نفسه :
 — ما حال إبراهيم اليوم يا شيخ العرب ؟
 — ما زال على حاله من الغضب والعنف ،
 لا يسكت أسانه ، ولا تهدأ ثورته . يهدد ويتوعد ،
 ويقسم الإيمان على تنفيذ ما اعتزم ، على الرغم من
 نصيحنا له وزجرنا إياه

كان إبراهيم هذا شريكاً لشيخ العرب في بعض
 غنائه ، توشحت بينهما أسباب المودة ، وتوثقت
 روابط الألفة ، وأجبه شيخ العرب حباً شديداً
 ولا سيما بعد أن خطب إليه ابنته عمر . كان فقي في
 نهاية المقد الثالث من سني عمره ، طويل القامة في
 غير إسراف ، ريان البدن في غير امتلاء ، مغتول
 العضل ، وسميح الحيا ، يرف في مقدمة فوديه وشم
 عصفوريين باسطي الجناح ، تزداد زرقة لونهما وضوحاً
 في تلك الحجرة التي أشرب بها وجهه الوضئ الألبج .
 تلمع نيل نفسه في عينية الواسعتين الجليتين اللتين
 كانتا مضرب التل في حدة البصر ، وتبين قوة
 عزيمته وإياه طيمعه في أنفه الطويل الأشم وشارب
 اللرهم للبروم ، كما تلمس صرامته وجراً قلبه في
 سداد نظرائه ولهجة حديثه وإشارة يديه . ينظر إليه
 النساء والبنات نظرة الصباية والاحباب ، ويرمقه
 الرجال معجبين بفتوته وخفة حركته وروعة قواده ؛
 وهو إلى ذلك ماهر اليد ذكي الفؤاد في كل ما يطلب
 إليه من عمل ؛ يغزل الصوف في سرعة محببة وإتقان
 مدهش ، وينسجه رقماً جميلة النقش بهيجة الألوان ،
 خبير بالنماذج عيز الجيدة منها لأول نظرة ، خبير بما
 يصيب الثنات من علل ، بصير بما يلزمها من علاج
 أو جيرة ؛ يقظ في السوق لا يتخذ في شراء ولا

أو يتبرها بالعقير المتأذى الواض

كل شيخ للعرب وهذا هو اسمه الذي اعتادته
 الألسن يقوم على حراسة « الوابور » القائم إلى
 جوار كوخه ، في بناء لم يتخذ من اللبن كما اتخذ
 الكوخ ، بل من الآجر المتين ؛ وكان شيخ العرب
 من أولئك الأعراب الذين ينتجعون الرزق في قرى
 مصر ، فلما جرى بذلك « الوابور » أقبل على حراسته
 بأجر معين . وهو إلى ذلك رعى الأغنام ويتخذ
 من أسوافها ومن لبنها أناناً وطعاماً ، كما يصيب من
 بيع صغارها بعض المال

حللنا ذات صباح ذلك القليل الحبيب تحت
 هاتيك الشجرة ولم ييسد من الشمس إلا نصف
 وجهها ، فأخذ بعض الرفاق من بني العم يبحثون
 فيما ألقينا على الأرض من متاع ليهبوا لنا الطعام
 وقد أحسننا الجوع بعد سير ساعة ، وتحلقنا على
 حصير حول الطعام ، فأكلنا في شهية كادت تصل
 إلى الشره ، وكانت نفوس الرفاق جميعاً تفيض بالرح
 والبهجة ، يزيدم انتماشاً نسيم الصباح الجميل الوافي ،
 كما كان كل شيء حولنا ينبئ بأننا سنغني يوماً
 سميذاً

وأقبل شيخ العرب ، وكان قد ذهب مبكراً في
 بعض شأنه إلى غربة على بك وهي تقع غير بعيد على
 الضفة الأخرى للترعة ؛ ودعواناه إلى الطعام فأصاب
 منه يسيراً . ولما فرغنا انصرف الرفاق إلى ما اعتادوا
 من لهو ، فبعضهم ذهب بصيد السمك ، وتأهب
 البعض للعب الزرد ، وكانوا قد جاءوا معهم بصندوقه ،
 وبسط البعض كومة من التراب ثم خططوها
 وهبأوها للعب « السبجة » . أما شيخ العرب فقد
 أسند ظهره إلى جذع الشجرة وجلس يدخن وهو

إليها بصره الحديد ! ولا تنسى هي إذا خرجت
ترعى الغنم في متوع النهار أن تلف خصمها الدقيق
بجزائها الأحمر الذي غزله بنائه ونسجته كفته ،
ولا تحمل معها غير ذلك العمود من شجر اللوز الذي
أهداه إبراهيم يوماً إلى أبيها . وهو يتنمها ببقصره
أبنا أتجعت ، حتى إذا اشتد وهج الظهيرة أودا إلى
شجرة فجلسا يطلمان بما حملا منهما من زاد

كان من أبهج الأيام عندنا أن يكون معنا
إبراهيم ، إذ كان يتيسر لنا لمبه السبجة مع شيخ
العرب فرجة متممة ، كما كنا نطلب إليه بعض
الواويل فنصنعي إلى حديث قلبه وخاجات نفسه
يفيض بها لحنه القتي ، ويرسلها في القضاء سوته
القوى ، ولكننا لم نجد هناك تلك المرة ، كالم
نجد في المرة السالفة

كان آخر مرة لقيته ثاراً لا يقر ، مقيظاً عنقاً
كأنه في ثوزة النمر المزجر المحتاج ، وقد اخنق فيه
ذلك الانسان الباش الرزين . ففر من مكانه كالسهم
إذا انطلق فواجه أخته وكانت لدى باب الكوخ
تتحدث إلى عز ، فخلق برهة في وجهها الذي
سرت فيه صفرة كأنها صفرة الموت ، ثم بصق في
هذا الوجه وهو يكاد يتميز من الفيظ ! يحبس
لسانه لكيلا ينطق أمامنا بما لا يليق من فحش
القول ، وهو يحرق الأرم ، وينبث من عينيه
ريق الشر والمقت ، ولولا نظرة ملامة من عز
خفت حدة وردت وثبتت لحظ يديه برأس أخته
التي كانت تنفض أمامه انتفاض المصفور بأغتيه
المصقر ، أو الصبي صور له خياله أنه يبين يدي
شيطان ! ثم التقط غصاه واتخذ سبيله مبتدأ عنا
دون تحية أو التفاتة ، وهو يتوعد ويؤكد الأمان

ينين في بيع ؟ يشارك الفلاحين في أعمالهم وهو
ذلك الراعي فيحملهم على الإعجاب به والاعتراف له
بالتفوق ، فخطوطه في زراعة القطن كأنها ضربت
على خيط ، وآراؤه في الساد والبزوز وأوقات الزرع
والحصاد آراء الخبير المجرب ؛ هذا إلى ذهن فطن ،
وعقل مبتكر ، يفهم ما يلقي إليه أول مرة في سرعة
ويسر ؛ وتراء إلى جانب ذلك كله التقدم التفوق في
القوم والمب ؛ ينازل الرفاق في لمبة السبجة فيظهر
عليهم ويسخر منهم ويلعب « الخطب » فلا تخطيء
يده ولا تسلك عصاه ، ويفني في الأرغول أناسهيد
حساسة تبعث في قلوب خلانه الطرب والقوة

تمثل له في عز طيف أحلامه وصورة خياله
فأسلم لها قلبه وأسلس قياده ! يرى فيها ما لا تراه
عيناه في غيرها من بنات العرب ، فتجياها الجليل
الصبوح فتنة ناظره ، وعيناها الضاحكتان اللذبتان
بهجة فؤاده ، وقوامها الرفيف الشيق متممة روحه ،
وحبها التي تسكبه على قلبه في حرارة وقوة هناة
نفسه ونعيم حياه . يرى في أتران خطواتها وسرعة
التفاتاتها صورة من نزوع نفسه وتوئب همت ،
ويحس في حذقها ومهارة كفها ظلاً من مهارته
وكفايته ، ثم يرى في رفق حديثها وهدهو طبها
ما يعوزه من رفق وهدهو ، وما تنوق إليه نفسه
من سبكينة واطمئنان . على أن أم ما يسمو بها في
عينه طهرها الذي جمعت به بين بأس الرجال ونومة
الأبكار ، والذي جعلها كالوردة في أعلى النسن
تأخذها العين قبل غيرها ولكن يحول دون الوصول
إليها علوها أولاً ، ثم ما يحيط بها هناك من أشواك
يرى غناها في الأرض القضا ؛ فيراها عن
بعد وسط غناها وحدها أوصحة تحظّل أومع أمها
أو إحدى شقيقتها فيعرفها قلبه ، قبل أن يتفد

الزينة ، وتبالغ في التبرج ؛ فقد ماها الصغيرتان فاعلن ان
أبدا ؛ وترى نعلها الأصفر اللدقيق نظيفا كأنه لم يمس
الأرض ، ومن نقاتها الأحمر المحبوك حول خصرها
تتدل على مرطها الأسود اللامع خيوط مختلفة
الطول مشكلة الألوان فتنتهي بذلال تعلو وتهبط
وتبازل عنة ويسرة كلها خبط خطوة أو حانت
منها الفتاة . وفي صغيرتها شريطان ساطعا اللون
مقودان ولكنهما لا يستقران على رديهما في موضع ؛
أما شنوفها وأقراطها وخواتمها وخالخالها فلم تقنع
في اقتنائها بما دون الفضة . وبراها في مشيتها
كالظبية تبت في الحقل من حولها السحر والجمال ،
فاذا تنفت أو ضحكت أطلقت نفسها على مسجيتها
فلأنك حدة نبراتها وحلاوة صوتها نشوة وقتنة ،
وحملك فيض مرحها على مشاركتها ولو كنت
ضائقا بهمك

ولكن الفتيان والرجال لا يدكرونها إلا في
تفاخرهم ، وتمام إذا جاء حديثها يتبادلون
نظرات الخبث ، ويتناولون عبارات اللؤ ، وترى
كلامهم وقد تشككت أساورها بما يجوز في نفسه
واختلجت عينها بما نعى إليه أخيرا من أمرها

راح شيخ العرب بقص على من حديث إبراهيم
وأنا مصغ بسمي اليه ، مقبل بمحواسي عليه قال :
— أ رأيت ما كان من ثوبه غداة كانت سكينه

هنا تسمى إلى عز بعض حديثها ؟

— رأيت ذلك خيرى وأزجى

— إذا لو علمت ما كان بينه وبين زوجها شبل

وما دب بينهما من شحنا وبغضاء ...

قال ذلك وأطرق كمن يشغل رأسه ثم فاستفهمته
ما حدث ، فأخبرني أن الرجلين يتربص كلاهما بالآخر

وظلت أخته في مكانها لدى الباب واجهة أول الأمر
ثم ما لبثت أن عاردها هدوؤها ، وانبسبت أساورها
كأن لم يكن هناك شيء ؟ ولعلها أرادت بذلك
السكون أن تتظاهر أمامنا أن الأمر هين وأن
ما يفضب أخاها لا يستحق كل هاتيك الثورة ؛
بيد أنه لم يكن سكوتا متكلفا يحجب وراءه
اضطرابا أو إشفاقا ، فقد هالتنا في عينها نظرات
جريئة غريبة ، نظرات من يحس أنه في موقف
البار والخرى ولكنه لا يستشعر ذلك الخزي ،
ولا يرى مكان الخجل من حياء إلا التبعج باسم الذى
يدل على أنه يحس كل شيء ولكنه لا يبالي بشيء

كانت « سكينه » وهذا هو اسمها فاهرة الجلال
رائحة المحاسن ، لطيفة التكوين تحس هذا الجلال
وتدرك بغير زها مدى أثره في نفوس الفتيان والرجال
فتعصن في الدلال وتسرف في إبداء زينتها ، وليس
أعجب إلى نفسها من أن ترى ما يقبل جمالها بقلوب
الشباب لها عيانا هما السحر أو يقصر عنهما
السحر ضاحكتان أبدا ، ساطعتان كأنهما نجمتان
جريقتان دجوان تصوبهما إلى القلوب ولا تستردهما
من حياء كما تفعل النسوة ، كأنما تريد أن تجهز على
« رعاها » وما استطاع في لمح تينك الميتين مرة
أن ينسى سحرها أبدا . هذا إلى جبين سقيل وخذ
أسيل يبدو مشبعا بالجمرة مع ما يحسه من سفع
الشمس ، وفم ريف كما ترز الزهرة في ندى الصباح
تحتاج عليه البسات ، وتنقسم بينه وبين عينها
النظرات ، وأنف لطيف دقيق إذا تغير قيد شعرة
عما هو عليه فلن يوافق تلك القمبات وهي لا تقنع بما
أسبغته عليها يد الطبيعة من حسن فتراها تمن في

حوله أو هلكوا ! بخيل شديد الحرص ، يحاسب ناظر زراعته على اللبم حسابه إياه على الجنيه ، لا يذكر حسنة ولا ينسى إساءة ، يقيم نفوذه على البطش والجور ، عسوف عنوف لا تأخذه رافة بأحد ، لأنه يرى الرافة ضعفاً لا يليق بمثله ؛ لا يمدل نبوغه في جمع المال من شتى الوجوه إلا مهارته في إحكام الدسائس وتبذير وسائل الكيد ؛ على أنه في أشباع شهواته قد فالت كل نبوغ وتمدى كل حد ، حتى ليتلاشى تلقاء تلك الناحية فيه كل نبوغ آخر !

وقل في الناس من تكون له مثل تلك القوة البهيمية التي لا تعرف كلالاً ولا تحس مللاً

رأى. وهو على حمارة إلى عزبته في ثلاثة من رجاله ذات صباح امرأة في ظل شجرة ، فكأتمها تلاشت كبريأؤه بفتة . سأل رجاله في غير رفع وفي غير حياء : من تكون تلك المرأة ؟ فأخبروه أنها سكينية الأعرابية فمجب كيف تكون في عزبته ولا يعلم بها ! فأفهموه أنها زوجة «النفرة» الجديد شبل ، فسرت في وجهه أولاً أمارات الارتياح ، ثم علم أنها أخت إبراهيم الأعرابي فامتعض وانقبضت أساريره ؛ وبذله ، فاستعاد كبريائه وراح يملأ سخطه على وجود امرأة في طريقه دون حياء كما تمأها ن علي الناس أمره ، واعتذر إليه أعوانه بشى الما ذير فعى أعرابية جاهلة ، وهى لا تعرف أن هذا طريق البك إلى مزارعه ، وهى لن تمود إلى ذلك بعد اليوم ، إلى غير ذلك من وجوه الاعتذار

على أن البك وإن تظاهرها بالمزة في الناس ، تهون عليه نفسه فيما بينه وبين نفسه . وسرعان ما تنهات على سكينية حتى صارت شغله الشاغل ، وسرعان ما صار لوجها الحطوة والمال ؛ وقد عرفت الأعرابية الماكرة ناحية الضمف في هذا المتعاطف

يريد أن يقتله ، وأن الأمر وصل بينهما إلى مثل ذلك التفرج والمسدوان ، فقد حدث أن لطم إبراهيم زوج أخته أمام جماعة الفلاحين من أقرانه في عزبة على بك ثم راح يكبل له السباب الملقذع الذى يستفز الجبان ، ثم اختفت من غم شبل عشر نمجات ، ووجدت إحدى بقرته ميتة والأخرى بين الموت والحياة ؛ والناس جميعاً موقنون أنه ما فعل هذا غير إبراهيم بعد أن تهامس أهل المزة بما شاع عن سيرة أخته ، وهو مصمم إذا أراد ، جرىء إذا اتوى ، عات إذا نفذ ، ليس في المزة كل ما يخرج على سطوة على بك ويستخف بسلطانه سواء . على أنه اليوم لا يرى شيئاً كفاً لخصومته ، بل إنه لينظر إلى من هو أعظم وأسمى ، ينظر إلى على بك نفسه ويرى فيه غريمه وعدوه الألد . أو ليس يطفئ اليوم على شبل المطف كله ، ويمده بما له ويمفيه من مشاق الأعمال ؟ وكيف يصبر إبراهيم بعد أن يتبين أن البك إنما يفعل ذلك كله من أجل سكينية وعين سكينية ؟ كيف يطيق إبراهيم أن يلقى الناس ويحتفظ بينهم بمكانته وهو اليوم يتبعه الفضيحة أبناً سار ، ويأتيه المار من كل مكان ، ويلقاه الخنزى أفى حل

كان على بك من أرباب الضياع ، يتحدث الناس بما كان لجده من ثراء وجاه ؛ ولقد تقاسم بنوه من بعده هذا الثراء الضخم وذلك الجاه المريض فاتجهى إلى على بك بن حسن بك منه جانب كبير ؛ ولكن أخلاق جده انتهت إليه كاملة ، فهو شديد الكبرياء عظيم الأنفة غليظ القلب ، ينظر إلى أهل عزبته جميعاً نظره إلى عبيده وإمامه لا يهيم إلا أنت يشيع بطنه وعلاً جيوبه ، عاش من

التجبر فأسلمت إياه وحطت من كبريائه ، تدل عليه متى شادت فلن يستطيع قبض كفه عنها ، ونحكر به فلن يقوى على إدغالها ، وهي تتقرب إليه صرة وتنفّر منه صرة فلا تجد في الحالتين إلا الخضوع والاستسلام من ذلك البك الماني وأوى خضوع هذا الذي يجعله على الرغم من مكانته لا يتورع أن يتردد على كوخها بنفسه متخذاً من الليل ستاراً ؛ ذلك الكوخ الذي اختاره لها بالقرب من مسكنه غير عابٍ بما يقول الناس أو بما يقولون أما زوجها فقد تفاطل عن هذا كله وتجاهله ، وحسبه ما يصيب من وراء ذلك من مال أو حظوة عند سيده ؛ وما كان هذا الضميف ليلاً عيني زوجته المتبرجة الشرود . فهان عليها أمره منذ أن تزوجها ؛ وما يهد له سبيل هذا الزواج سوى سدأته لإبراهيم منذ حدثتهما . ولقد رضيت به كارهة مرغمة ، ثم ما لبثت أن طرحته وراء ظهرها فلم ترع له حقاً أو قل لم تحس له وجوداً . ولقد ظلّه إبراهيم حقاً فيما انتقم به منه فما هو إلا أداة قافزة حقيرة ، لا يملك من أمره ولا من أمر زوجه شيئاً

أفاض شيخ العرب واسترسل ، وما كان يمتدني إلا إبراهيم ، وقد عرفت الآن سر غضبه ، وبواعث ثورته . أيستطيع وهو فرد فقير أن يقاوم البك وله من الأهوان والجاء ما يقابل به بلده بأجمعه ؟ ورأى شيخ العرب في حديثي إشفاقاً عليه ، وفي عيني لفة لسباع بقية خبره فقال : كثيراً ما طلبت إليه أن يأخذ حذره ، وألا يطلق لسانه بما لا يليق ، وعلى الأخص لأن خصمه ماضي البطش ، سريع الانتقام ، فظليع القدر ، لا ينجو من كيد عدو ، ولا يفر من جباله مسمى ، ولو كان

كسحنة الحبشى ، بيد أنها كانت على الرغم من ذلك تنعكس أشعة الشمس ، فويشدت بريقها حتى يخطف الأبصار

وانتهبنا على حين غفلة إلى الكلاب تجري نائمة نحو التربة ، فاتجهت أبصارنا جميعاً إليها ، ولكننا لم نر غير الماء ينساب مسرعاً دافقاً ، وماهى إلا لحظة حتى رأينا حنظل يجري نحو الضفة ومن وراءه راغب ، وما يشير إلى الماء ، ويتمهما عن وهى تؤيدهما بقولها : إنها جثة آدمى وليست جيفة حيوان . وأسرعت إليهم فوقفت معهم ، ولكنها كانت تخالفهم قائلة : إنها جيفة حمار . وأمعنا النظر في الماء فرأينا شيئاً ساجماً ، يتحرك حركة غريبة ، هى حركة تدفق اللوح ، ولم تبيته أول الأمر إذ لم يكن يطفو منه فوق الماء إلا جزء يسير ؛ ولكننا استطعنا أن نرى كنفها آدمية عارية وجزءاً من القراع ، ثم ما لبث الرأس أن تبدى برهة ولكنه عاد فاخفى ، ثم برز الوجه وبرز إلا قليلاً والتيار يحمل الفريق مسرعاً فيبدو للعين من أجزاء جسمه ما يبدو حسب حركة اللوح . ولقد أحزننا ذلك النظر وروعنا ، ورأينا بعض الناس على الضفة الأخرى ، وكان الفريق أقرب إليها منا يرفعون أصابعهم بالتشديد ، كما رأينا بعض الفئان يتجمعون ويمجرون على الشط قبالة الجثة ؛ وكأنما يجد شيخ العرب فى مكانه فلم يذهب إلى حيث كانت تقف زوجته وأولاده . وشمل الجو كله من حولنا رهبة شديدة وكآبة قابضة ، والفريق يجري به اللوح فيدخل فى ظل بعض الحشائش ، ثم يخرج منها إلى ضوء الشمس ثم رأينا خمسة من الرجال يأتون مسرعين على الشط الذى كنا نقف عليه ، فساروا يتبعون الجثة

فى همس : « رأيت كيف يكون مميت البلوى هؤلاء السادة ، ثم يهموننا نحن الأعراب بأننا أصل الحوادث ، والحكومة تأخذ بما يقولون ولا تفكر أن تبحث أسباب تلك الحوادث ، أو تتبين بواطنها الخفية . . . »

وتوقف محدثى على نداء ابنه راغب :

— أبتاه !

— ماذا يا ولد ؟

— حنظل وعز وأى والثفات ... هاك ...

هاك إيش ها تريد يا بوى ؟

— ما أبغى شئ يا ولد ... اسكت

ولما وصلت عز وأما وأخوها من « سرحتهم » إلى باب الحظيرة ، أشار شيخ العرب إلى ابنته فجاءت مسرعة وحيت فى طلاقة وهدوء ، وعلى وجهها مسحة من همها الدفين ، وقال لها أبوها : « إكبرى النار يا بنت ، وهات الشاى » ، وأعطيناها بعض ما لدينا من الشاى فذهبت لعمله ، ثم جاءت أمها لحيت وجلست ، وجلس حنظل غير بعيد منا وفى يده مغزله وصوفه

وجادت عز بالشاى ، فتهتدت أمها وهى تحدها حدج الاشفاق ، وقال لها أبوها وهو يخفق هم : « دبرى الشاى يا عز » ، وتناول كل منا من يدها قدحاً من تلك الأفداح الزجاجية ، ورحنا نحذى الشاى فى صمت

وكانت الشمس قد لآلت صفحة الماء بأشعتها القوية التى كانت تبدو لأعيننا أعظم ضوء أو أشد وهجاً ونحن فى ظل الشجرة ، حتى لقد كان يصعب على بعضنا أن ندرك النظر لحظة إلى الماء ، وكان الماء يومئذ مثقلاً بذلك الوزن الذى يهبط به النهر الحبيب فى زمن فيضانه ، فكانت صفحة التربة

لبثت تنتظر وهي لا تدري من الفريق، ولكن لم يطل انتظارها، فقد عاد راغب مسرعاً وكأنه يحمل إليها نبأ سارا؛ وقال في سذاجة الأطفال وبراءتهم: «يا عن، يا عن، إنه إبراهيم أخو سكينه»

صرخت الفتاة مذعورة للنبأ الفاجع، ولكنها حتى في ذلك الموقف تداركت وجودنا فقطعت صرختها وهزلت نحو الكوخ؛ وهناك أبصرناها تسقط لدى الباب متشيخة عليها، فخرينا إليها ولكن عينا حاولنا أن نفعل شيئاً، وأخذنا في أمرها من الارتباك ما يأخذ الرجال عادة في مثل ذلك الموقف.

بيد أننا أسرعنا فأرسلنا من أحضر أباه وأمه، فجلست الأم بذلك يديها ورجليها وقد ألقَتْ رأسها على ركبتيها، وأبعدنا نحن الرجل قسراً عن الكوخ وأجلسناه بيننا تحت الشجرة وبه ضعف ما بابتها، ولم يبق حتى أقافت من غاضبها، وكأنا عقد اليأس لسانها أو ذهب الملعاب بلها فلم تقل شيئاً، وكذلك انمعد لسان أبيها فلم يتحرك وهو يقاب كفيه في جزع لن يصفه كلام

وجلسنا نحن حوله كأننا قوم اجتمعوا في مأتم فلا تتساءل إلا بالألحاظ ولا تتجاوب إلا بالاءاء. وصر الرجال بعد لحظة يحملون غريبتهم على عفتهم التي أعدوها، يريدون أن يسرعوا بمجنته حتى يخفوا الحادث

قضينا يوماً كثيفاً ثقيلاً لم نستطع أن نكمله فعدنا إلى القرية في عصره؛ وانقضى الأسبوع وحل موعد الذهاب إلى التربة، ولكننا لم نذهب فقد علمنا قبل ذلك الموعد بليسة أنه قد ألقى القبض على شيخ العرب فقد جاء ذكره في قضية مقتل علي بك فاستدعى لسباع أقواله إذ قد حامت حوله بعض الشبهات الخفيف

ربما تخنجح، وفي وجوههم حسرة واهتمام شديد وكانوا يصيحون بقولهم: «البر البر يا طالب الدفن» ومن معقدياتهم أن الفريق يجنح إلى البر إذا صاح الأحياء أمامه بثلث المباراة

وليت بشري هل استمع الفريق إليهم حقاً؟ فلقد أبصرناه يجنح إلى الشاطئ قليلاً قليلاً حتى أوشك أن يلامسه غير بعيد منا، ولكنني لم ألبث أن تبينت سير جنوحه، فان انثناء التربة في ذلك المكان جعل الموج يرتد من الشاطئ الآخر إلى شاطئنا فوجه إليه الفريق شيئاً فشيئاً

وذهبتا وذهبت امرأة العربي وابنتها لرؤية الفريق. أما شيخ العرب فلبث في مكانه برهة، ثم قام فتحامل على نفسه وسار يجر رجليه ليلحق بئساً، وهناك رأيناه وقد أخرجه الرجال ممدداً على الشاطئ وقد غرقت ملابسه وتورم جسده: رأينا إبراهيم جثة هامدة ولا حظنا على فقه ضربة وفي عنقه أثر شجار عنيف؛ ويحلب الرجال فصنموا من عصيهم محفة ألقوه عليها وخلموا عليه بمض ملابسهم ووقفنا نحن مشدوهين أمام هذا المنظر وفينا من لم يستطع أن يحبس دمه على الأخص لرأى ذلك الشيخ الذي أذهله الرعب فتركة كالأصم أو المجنون وصرنا نحو الشجرة فرأينا عن وأخواتها في انتظار النبأ فما كان لمن أن يرين غريباً ربما تمرى جسده. وهل كانت تستطيع عن أن ترى هذا الفريق ولو كانت على جسده من الثياب أطولها وأعرضها؟ هل كانت تستطيع أن ترى خطيبتها وحبيب روحها ممدداً على الشاطئ جثة هامدة متورمة؟ هل كانت تستطيع أن ترى إبراهيم وأحبابه من حوله يمسحون دموعهم بأكفهم وهم من أشداء الرجال؟



جاءها ، وإن كانت قد ناهزت الثلاثين ؟ فأومأت إليه أن يتبعها وانطلق على أثرها إلى غرفة منموزة ؛ وقالت له بصوت متهدج مرتمش :
— هلم فأخبرني الخبر وأوجز ما استطعت فان زوجي ينتظري

فوقع كلامها منه إذ لم يكن يعلم أن لها زوجاً .. وتخاذل من هول الصدمة ، وكاد ينقطع عن الكلام ، لولا أن رأى اضطرابها فمدت الأمل عليه وقال لها :

— إن ضاق بك الوقت فلن يتسع لي أن أخبرك بكل شيء في هذه المرة ، ولكن حسبك أن تعلمي أنني قد خرجت من السجن ، وكان مأواي في هذه السنوات العشر الطوال .. أوه أأرجو ألا تنظري إلى نظرة الاحتقار فلقد كنت أحسبك غير جاهلة أمري وإن لم أكتب إليك ...

فطاشت نظراتها إليه بنظرات من الخوف والرهبة ؛ ثم قالت له بصوت مرتمجف :
— وما شأني في كل هذا ؟

فأبلس ولم يدرك كيف يقول ، وتساط غايه صوتها المنذب قبله إرادته ، وكثيراً ما كان يسلبه ما يسلب ويهيج فيه ما يهيج ، ونهب الصوت إلى وجودها ، ونهب وجودها إلى ذكرى الأيام الماضية فنَّ " وأنَّ واعتراه ما يعترى المحبين ، وجعل يلتبس

بينما كانت سيمون أدبل تهم بالخروج من (الأستوديو) إذ كان لها عمل المثلة الأولى في شريط سينائي جديد ، اعترضها شاب أنكرته بما كان يفشي وجهه من الأصباغ والطلاء فلم تثبته ، ولكنه دنا منها وأسر إليها اسمه
— شارل جيرو ...

فذهبرت الفتاة وتراجعت كأن هذا الاسم قبض على قلبها فهي تريد الإفلات منه ، ولكن الرجل خطا إليها وقال في مسكنة وذلة :

— أما إنك لم تعرفيني فقير عجيب ؟ فقصدت عشر سنوات كاملة ، وفي دون هذا تنكر المرأة رجاءها ... ولملك النساء أين ماذا جئت أفعل الآن بمد هذه القمية الطويلة ...؟ فما جئت إلا لأني على العهد وما زلت أحبك
فأجابته : لملك جنت ...!

فجعل يرمقها في ذهول ، ولم يصدق عينيه وأذنيه إذ لم يكن يتوقع أن يرى ويسمع ، وهو الذي تجسم في ضيبلها ولقي ما لقى من أجلها ؛ ثم قال لها :

— أريد أن أفرد بك فان لي حديثاً وكانت سيمون لا تزال كعده بها وضئفة فانتة جذابة ، بأرعة الشكل ، بديمة التكوين ، رقيقة الملامح ، عصبية المزاج ، لم تقل الأيام من

ففضت بصرها وهزت رأسها علامة النفي ،
ولكنه صرّ في حديثه وقال :

— لقد دفع إليك صديقي « أدولف ملبان »
في ذلك الوقت مبلغاً كبيراً من المال وزعم كما
أوعزت إليه أنه من أحد أقاربك ... غير أنني
كنت أمل أن استدركن أنه مني

فبدت الدهشة على وجه سيمون وقالت :

— أدولف ملبان ... ! أدولف ملبان ... !

— آه . . . لكلك تذكرينه الآن . ؟ لقد كان
صديقي الحميم فاستدعته المال ليسهل على الحرب .
ألم يدفعه إليك ؟ أجيبني ...

وكانت ترمقه بنظرات غريبة فأخذ يدها بين
يديه وجعل يشد عليها ولكنها انزعجت منه وفرت
لا تولى ، وثبت في مكانه لا يلحق بها

ثم عاد إلى غرفته وفي نفسه الأمل ، فذلك
الانفعال الذي بدا عليها لم يكن من غير شك إلا نتيجة
هذه القابله . . . كلا . . . لأنه لن يهون عليها ومن
أجلها سيجن عشرين سنوات . . . ولكنه اغتم لزواجها
وداخله الشك في أمانة صديقه أن يكون قد ذهب
بالمال ولم يؤده إليها ، فترى ماذا فعلت المسكينه
بمد اختفائه ؟

وتفتحت له الذائرة وأطرق يفكر في الأيام
الماضية . .

كان شارل وسيمون من بلدة بوردج فتعارفا
وتحبا منذ الصغر . وكانت أسرته غنية واسمه
النفي ، أما هي فكانت بتيمة لا مال لها . فلما أراد
الزواج منها كبر ذلك على أهله وأبوا أن يقرروه
فرحل معها إلى باريس وكان لها من العمر ثمانية
عشر عاماً ، فأخذ يرتفق ببعض الأعمال ليكسب

الألغاز فلا يجدها ، ولم يدرك كيف يذكر لها أنه
من أجلها سرق ومن أجلها قتل ...

لقد أكتفها كل ما فعل فما تعلم شيئاً إلى الآن ،
وبوده لو كانت تعلم ؛ إذن لأدركت عملها من
نفسه فمسي أن يرتفع بذلك في عينها وتعرف أي
حجب هو ... ؟ ولم يكن يرتاب في أن مجرد التقائهما
يضلعه منها بما مضى ويستعيد إليه حنائها القديم ،
وإن يكن للحظ عمل فالحظ هو الذي هداه إليها
ويسر عليه البحث عنها ، وجاء باسمها بين أسماء
المثالات في السفينة فما كان أسهل عليه بعد ذلك أن
يعرف مقرها ... أفتبد هذا يخشى ويرتاب ويأس ؟
وتعلم لسانه وخمغم قائلاً :

— أراك خائفة مني ... أو لا فهو الحذر
وما يحق لك أن تحذري من يحيا بهواك ، فان
كانت رؤيتي قد ساءت لك فمذرة ...

فبدا التأثير على وجه سيمون وكأنها ندمت
على ما فرط منها ، وهاج شجونها منظر الرجل الذي
طلبا أحبته ، وقد جاء يسألها هذا الحب مرة
أخرى ، فقلبا قلبها وانفرط الدموع من عينها
وتساءلت في حزن ورقة :

— لست أدري كيف يقدم شاب مثلك على
فعل جزاؤه السجن ؟

فنتجهم جبينه وتساقطت الكلمات من فمه

— لقد اضطررتي اليؤس والحب ...

فاحتجت عليه قائلة :

— أهنأك يؤس فوق ما تحمّلناه معاً ؟

فلم يطلق صبراً وصاح بها :

— ألم تدركي بدني لم أقترف ما اقترفت إلا في
سبيلك ولأنت تشك من هذا الشقاء ؟ ألم تعلمي أن
السماعة قد جاءتك في الوقت الذي اختفيت فيه ؟

عامل البنك ويتربص به الى أن سنحت الفرصة فانقض عليه ذات مساء في مكان منقطع قدس في فة خرفة مبللة (بالكلوروفورم) ثم احتوى ما في حقيته من المال وتسلل الى منزل صديقه ولم يره أحد

ونقض خبره لصاحبه فأظهر له هذا من الاخلاص والمطف ما سكن إليه ؛ وقال في نفسه جريمة دون جريمة ، وسرقة أخف من قتل ...

ولكن جرائد الصباح ظهرت تحمل نبأ وفاة عامل البنك من قتل (الكلوروفورم) فارتاع شارل وأسقط في يده وأخذته الرعب . وتنصّح له صديقه فأشار عليه بأن لا يرجع الى باريس حذراً أن ينم عليه المال وقد عرفوه مملقاً ؛ ثم زين له السفر الى مدينة برن والبقاء فيها حتى يُنسى الخبر ويُعلو القضية

ورأى شارل أن هذا هو الرأى ، فمدّ يده ففكان ثروة ... ثم عزّل منه القسم الأكبر ودفعه لصديقه على أن يحتفظه عنده أياماً ثم يؤديه لصاحبه سيمون أدبل في باريس ويزعم لها أنه من أحد أقاربها . قال :

— فان شكك في الأمر فعليك بالصمت وقل لها المال هو المال ، وسوف تعلم متى ما لم تعلم منك ، وإذا نجوت فان أوبى إليها قريبة ، وإذا وقعت فاني متلف جميع أوراق فلا يعرفون اسمي ولا يهتمون بي إليك

وتماقن الصديقان طويلاً ، وسافر شارل الى برن فأقام بها خمسة عشر يوماً وثق بمدى من نجاحه فأزعم العودة الى باريس ؛ وما كاد يستقر حتى كبسه الشرطة وقبضوا عليه ، ولم يدر من أين دهي ١٠٠٠

ما يتباخنان به . وكانت هذه حالة بصمة أشهر ، فما نقص من سعادة المال أغته حتى بوجودها ، الى أن جاء يوم أعوزته القوت ولم يجد عملاً فأصبحاً ولا مأوى لها يضربان في شوارع المدينة وبينتان في ضرائبها فلم يربدا من الكتابة لأبيه يسأله للمعونة ، فأرسل إليه ما يكفي لتوفية دينه وابتاع تذكرة العودة ؛ وهذه ان هو لم يرجع في الحال ان لا عوّن ولا مساعدة ولا ميراث ... !

ولكن شارل لم يعبأ ولم يكثرث لوعيد أبيه وآثر البقاء مع سيمون والحب والفقر ؛ ثم سنحت له فكرة السفر الى جنيف ليستريح خالته الفنية قبل أن تصفر يده مما أرسله أبوه . وودعته سيمون على الحطة بمد أن تواعدا على اللقاء بعد أسبوع ... ولم يخطر لها في تلك اللحظة أن اللقاء لن يكون الا بعد عشر ساعات كاملة ... !

ولما وصل شارل الى جنيف لقي خالته وسألها ان تقرضه مالا يتسبّب فيه بالتجارة ولكن أباه كان قد أنهى إليها الخبر وحذرها ، فنفثته وردّه ردّاً قبيحاً . فتأثرت تأثره وجن جنونه ، فإذا تفعل سيمون إذا فقد القليل الذي تركه لها ؟ إنها بين موتين ، فلما ان تموت جوعاً أو هو الموت الأدبي للمرأة الحسنة ...

وأخذ يقلّب رأيه ويفكر في حاله ، وكان قد اطلع في المصحف على أخبار السطو على عمال البنوك ، فلم يده فكره المضطرب الى خير من هذه الوسيلة ، وما ينفذ العالم ولا يضره نقص اللصوص واحداً أو زادوا واحداً ...

وأعدّ عذبة وترك منزل خالته بحجة الرجوع إلى باريس ، ثم أوى الى منزل صديقه أدولف مليون وكان طالباً في إحدى جامعات جنيف ؛ وأخذ يتأثر

الميسر وخيليات السباق ، وأصبح عالة عليها تطعمه وتكسوه ، وما يحب المرأة من تطعمه وتكسوه . وكان الى ذلك قليل الحزم كثير التسويف فقال لها وقد أشاح بوجهه عنها :

— ليس هذا بالرأى . . فقد لا يعلم زواجنا أبداً ، وما أحسبه إلا يائسا منك إذا يأسته ، فيدعك وشأنك . وكل ما يجب هو ألا يراى فأجابته في ازدراء :

— إنك تخشى إذا هو علم زواجنا أن يهملك بأنك دلت عليه الشرطة وفضحت جريمته . . فازلت أنتساء كيف قبض عليه وقد كان آمنا ولم يأتعن أحد غيرك ؟

فبهت الرجل وقال لها وقد اختنق صوته .
— أفتظنني مهما كنت سافلاً أسفل الى مثل هذه الدينئة ؟ أنتقدين ذلك يا سيمون ؟ فأجابته ببرد : ولم لا ؟

فصمق لكلامها وظل باهتا مشدوها ؛ وقامت هي الى الباب وألقت اليه وهي تخرج من الترفة :
— لا يدهشك أن ترائي في أحضان شارل . . فظل قابلاً متكدساً في مكانه وقد طاش عقله .

فهو ما زال يحب سيمون ، ويؤثر الموت على أن يفقدها ؛ ولكنه قال في نفسه : « إن في ذكرى الأيام السيئة التي قضتها مع شارل ما يحول بينها وبين شارل » ، ونسى هو الآخر أنها من النساء وصدق حدس الحبيب الأول ، فتمكن شارل مرة أخرى من مقابلة سيمون في (الاستديو) والتحدث اليها ، وكانت تصدف عنه في بادىء الأمر ، غير أن الحب للتأجيج في صدره نفى عنه اليأس بل هوّن عليه أمر زواجها وما يدرى بمن تزوجت . . . وقرّ في نفسه أن سديقه لم يؤد اليها

وفلت البنتة فعلها في نفس هذا المسكين فتعالج ، وقرّ روه وجعلوا يسردون أخبار جريمتهم عملاً عملاً وكلة وكلة فتضضع وأقرّ ؛ بيد أنه رآهم يجهلون اسمه ، فانتحل اسماً فأخذوه به وحكم عليه بالسجن عشر سنوات بالأشغال الشاقة ، وكانت الجرائد الفرنسية في شاغل عن مثل خبره باضطراب الحالة الدولية في ذلك الوقت فلم تنشر اليه ، وهكذا أخفى أسرهم وظل مجهولاً من أهله ومن سيمون ، فكان هذا عزاءه في سجنه ، وهان عليه ما سوى الفضيحة معد من محب . وأخذ يمل النفس بأنه متى انحسرت هذه المحنة ولقي سيمون وأفضى اليها بالخير ازداد حظوة لديها فجزته وقاء بقاء وإخلاصاً بإخلاص ؛ ونسى أنها من النساء . . .

وتصرّمت المدة وخرج من السجن فلم يبق بقاء والديه وحرمانه ميراثهما ، ووقع له عنوان سيمون في اعلانات الصحف فكان ما وجد أحب اليه مما فقد . وما هو ذا الآن يردد في نفسه بمد أن قابلاً « إنها ما زالت تحبني وإن أصبحت ذات بمل ، فان كان قلبها لي وحدي فهي لي وحدي ... »

وجلس سيمون في الوقت نفسه للعشاء مع زوجها أدولف ملبان بمنزلها في شارع كورسيل ، وكان زواجهما من عشر سنوات ، فجري بينهما كلام قالت فيه :

— يجب عليك أن تطلع شارل على الحقيقة قبل أن يعرفها من غيرك فذلك أحرى أن يخفف وقعها عليه

وكان أدولف رجلاً بادناً حامل الحركة ، لم يعمل عملاً منذ ورث الخلية على سيمون بأرباحها الطائلة فهو متبطل يقضى أيامه فيما يزينده خولا بين دور

ومر اليوم طويلاً بطيئاً كأنه بعد دقائقه واحدة واحدة ؛ وكانت سيمون تلحظ على زوجها القلق والاضطراب على ما يبدو من سكنته ، فأعجبها ذلك ، وابتسمت ابتسامة خفية وقالت في نفسها : « إنه هو أيضاً يحبني ... »

وفرغت من عملها فأخذت تتحدث إلى بعض صديقاتها ؛ ثم عادت إلى منزلها فدخلت إلى حمامها وأطالت السكب فيه ؛ ثم جمعت تزيين وتجميل في زينتها والوقت يمر لا ينتظر حتى إذا ما استقلت سيارتها كان قد فات الموعد الذي ضربته لشارل ، واتقضت ساعتان ...

فلما بلغت المنزل أبصرت بالقرب منه سيارة عرقها ورسّها أن تراها ...

ثم تقدمت إلى الباب الخارجي فلاح لها نور ضئيف ينبعث من إحدى الغرف تحت ظلام الليل الدامس ؛ ففتحت الباب وردته وراءها ثم دخلت إلى الغرفة المضيئة فوقع بصرها على جسم ضخم منكفي على الأرض فندت منه في غير ذعر ولا دهشة ، وأنحنت عليه تنبيهه فإذا هو زوجها أودلف وقد تشحط قتيلاً في دمه ...

وأخذت تمثل ما حدث فكانت القضية في خيالها أن الصديقين التقياً على لجأة فجر الكلام الكلام ، وعلم شارل أن أودلف هو صاحب المنزل وهو زوجها الذي خان عهده وخلفه عليها فطاشت الغيرة بقله قتلته ، ثم هاله ما صنع واستبطلأ قدوسها فنجأ بنفسه ...

وجملت تتأمل الجثة وقد علت شفتيها ابتسامة شيطانية ، وقالت تحدث نفسها بصوت مسموع وقد أدمنت أن يسمعا أحد :

— كنت أنساك : من سيقتل منهما ... ؟

المال فاختلّت حالها ، فذلك سبب زواجها آثرته على السقوط ، وتلك فضيلة تسره ولا تجزئه ... ولم تقو سيمون على تيار هذا الحب الجارف فتفتح قلبها وباتت تنتظر صاحبها كل يوم على باب (الاستديو) فتصطحبه في سيارتها للتنزه في الغابة ...

وسألها شارل في أحد الأيام :

— أما تخشين أن يباغتنا زوجك ؟

فأجابت وعلى شفتيها ابتسامة ذات معنى :

— إن هذا لا يعني ألبنة

وكانت هذه هي المرة الواحدة التي جرّ فيها الحديث إلى زوجها ولم يسمح شارل لنفسه أن يسألها عن حياتها طوال هذه السنوات المعمر وألمها ما هو فيه وأصبح لا يفكر إلا في أمر حبهما ومستقبلهما فقال لها :

— أخبريني أن لك منزلاً ريفياً بضاحية سان جرمان وأنكم لا تنزلون به إلا في الصيف ، وعندني أنه أفضل مكان نختل فيه دون حذر ... فاستحسن رأيه واستمهلته إلى أن تحتاط للأمر ثم يكون له ما يجب

وفي ذات يوم فاجأته بقولها :

— سأقوم هذا المساء بعمل التجربة الأخيرة للشريط السينائي الجديد ، ولا ريب أن زوجي سينهز هذه الفرصة فيقصي البيلة في اليسر كدأه كلما غبت وبهذا يتجاوز وجهه ... فهناك مفتاح منزلنا الرقيق واحرص على أن تكون هناك عند منتصف الليل فسأوافيك في هذه الساعة وقد انتهيت من عملي ؟

فلَمَّ المفتاح ودسه في جيبه ، وما تسه الدنيا سروراً وغبطة

ومن غيرك يبعث بهذه الرسالة إلى أدولف ؟
ثم أخرج من جيبه خطاباً غفلاً من الامضاء
يجعل يقرأه عليها :
« إن كنت تريد أن ترى بينيك خيانة
زوجتك فاذهب الى منزلك الريفى عند منتصف
الليل »

فتباهت كأنها لا تفهم شيئاً ، ولكنه نظر
إليها في ازدراء وقال :

— لا تحاولي الإنكار فما تجدني دليلاً إلا قام
دليل ... ولقد فاجأني أدولف ، فلما رأيته قتل ،
ولكني ظهرت عليه وانزعجت سلاحه ثم رميته
بخيائه فتبرأ منها وأكدي أنه دفع اليك المال منذ
عشر سنوات ، ولم تكن به ردية فبعت به وأغرخته
وسلّطت عليه هواك وقتنتك ورضيته عاشقاً ،
ثم رضيت به زوجاً ، وعلمت منه كل ما جرى على
لم يكتفك شيئاً ... وكان المسكين يمدني والجنون
بطير في عقلي وتمثلت تسخرني في قتلته على غير
وعى ... ألا فاخبريني الآن لماذا تجاهلت وأنت
عارفة ، وهل تلك إلا نية السوء وضمير الشر ؟

فسكنت هنيهة ثم عثمت :
— كيف لي بالحجة وأنت لا تصدقني ؟
فاستأنف كلامه بصوت محموم :

— لقد كنت واقفة من قتل أحداً ، فابتلاق
عاشقان لامرأة واحدة في مخدعها إلا طي جرعة ...
ولا شك أن أدولف كان يعلم أني أنا الذى ينتظر
هنا في منتصف الليل ، وإن لم تذكرى له اسمي في
خطابك ، فجاء على نية القتل ومعه سلاحه لأنه
كان يخشاني ... ولقد حررت في وخدعتني بمبك
لنتهي بي إلى هذا المسير فانك أوقعتولاً ، وهل
جئت بعد الوعد بساعتين إلا لتكون الجرعة قد

فها هو ذا أدولف وقد استرحت منه بقتله كما
استرحت من الآخر بالقرار
ثم دارت على عقبها وهمت تريد الخروح ،
فانفض جسمها إذ رأت شارل بالباب يقول لها وقد
تكلم وجهه وانقلبت سمعته :
— إذن كان أدولف صادقاً ؟

فامتقع لونها بصفرة الموت ، وظهر في عينها
الرب ، ولكنها تماسكت وصاحت بصوت مختنق :
— أنقتل زوجي ثم تتجرأ ...
غير أن شارل قطع عليها وقال في جفاء
وخشونة :

— كيف علم هذا الرجل وكيف جاء إلى هنا ؟
أجيبني من هذا الذى استدرجه ؟
فزاغ بصرها وتلجلج لسانها وتمتمت :
— لست أدري ... لست أدري ... ! لعله
حكم الاتفاق والصادفة ... دعني أخرج من هنا
وإلا صرخت وجمعت الناس عليك
فهز كتفيه ورمأها بقهقهة منكرة اقشعر لها
جسمها ثم قال :

— اصرخي ما شئت فإن يجديك ... فالسكان
منزل والقوم نيام ، وهي أحداً منك فأفانك فانه
سوف يقبض عليك بتهمة الاشتراك في الجريمة ...
ألم تهري مى من بورج قبل اثنتي عشرة سنة ؟
وبعد هذا أأنت أعطيني مفتاح النزل ؟
فقال وقد انخذلت ووهنت قوتها وأحسبت
الأرض تميد بها :

— لست أدري لم تخطبني بهذه اللجة ؟
— ذلك لأنك دخلت إلى هذه الغرفة وكل
حركاتك ثم عن دخيلة نفسك الخبيثة ، فقد ظهر
لمعني أنك كنت تتوهمين رؤية هذه الجنة هنا ...

شيء أحبك وأنت صماوك ، وأنت عاثر الجدد ،
وأنت خامل مجهول ؟ أفنتجيب بعد ذلك من وقوعي
بسهولة في أحضان أدولف وقد جاء في المأل والجلد ؟
وما نسيت شؤمك حين ظفرت به فغشيت أن تمود
إلى وتقع في حياتي وقوع المم في السعادة ، فما
كدت أعلم من صديقك بما اقترفته من تلك الجناية
وهو يحذني بها متحزنا عليك رائيا لك ، حتى
أسرعت فأبليت الشرطة ودلتهم على غبتك ليأخذوك
عني أنت وشؤمك وتماستك ...

ثم صاحت وهي تهقه بجنون :

— قالى رجع الفضل في سجنك هذه المشر
السنوات ... أسمع يا شارل ... أسمع يا شارل ،
وهل فهمت الآن ؟

وبقى شارل كالأخوذ ، على حين ازداد هياج
سيمون واتسمت أجفانها وجحظت عينها ،
وأخذت تقبل وتدبر كأنما ترقص حول جثة
أدولف ... ثم قالت فيما تهذى :

— وكذلك ضربت أحدكم بالآخر ونخلصت
منكم معا دون أن ألوث يدي بالجريمة ... ألا ترى
هذا تديرا يا عزيزي ؟

وظهرت عليها أعراض الجنون ، فقال شارل
في نفسه وهو يتفحص لها : « ذلك خير ما أعناه
لبراءتي ... فلن يأخذ أحد بقول امرأة مجنونة ،
وسيمتقدون أنها هي التي قتلتني في حالة من حالات
نفسها ، ومسندسه أقوى دليل على انحصار الأمر
فينا بين الزوج وزوجته ... »

وبينا هو في تفكيره انقضت عليه سيمون
تريد الفتك به وهي ترخي وتريد ، فدفقها عن نفسه
وانفلت منها وخرج هاربا والمجنونة تصيح بالجنحة :
— اقتل شارل يا أدولف ... اقتل شارل
يا أدولف ... !

محمد الزاوي

وقعت في هاتين الساعتين ؟ فان كنت أنا المقتول
هددت زوجك فتخلصت منه ، وإن كنت
القاتل أسلمتني إلى الموت إذ لم أفر ... ؟ ولماذا
جئت ، وكأني في اسطاعتك ألا تبجي لولا
ما استحكك من غرضك الخبيث لتتعي خطتك
الجهنمية ... ؟ فلا تنسى أني قضيت عشر سنوات
بين القتلة والمجرمين وعرفت كثيرا من ميولهم
وطباعهم

ثم قطع حديثه وسكت لحظة وكأنما عاود
حبه وأخذته الذاكرة بها ، فقال بصوت خافت :

— اصنني إلى ياسيمون ... لن أمسك بسوء إذا
أنت أخبرتني ، لماذا أردت التخلص مني ومن أدولف ؟
فأجابت سيمون وقد سكن اضطرابها وامت
عينها ، وأخذت تضحك ضحكة جنونية :

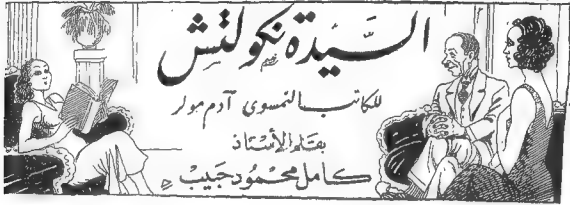
— إن كنت تريد علم ذلك فاعلم أني أحب
رجلا ثائلا ...

فتحرك قلبه وزادته رغبة فيها ، وقال وهو
يفيض حنانا ورقة :

— وهل نسيت ياسيمون أيام حبنا وعهد
شبابنا وأحلامنا ، وأني في سبيلك طابت ما طابت ؟
أست بهذا أحق بك من هذا الجيب أ

فكأنما طعنها في قلبها ورأته متطفلا على الحب
وما كانت تصانمه قبل ذلك إلا كمكيدة وخداعا ،
فهاجها فجأة ، وقالت في ثورة من الغضب :

— ألم تدبر بعد أنها الأحق أنك أبغض الناس
إلى ؟ وكيف تريد أنت أنسى شؤمك على ،
وما ابتليت به في مفاشرتك من تكذوم ، وفقر
وتعاسة ؟ لقد استغويتني ففررت ملك إلى باريس
وكنت صنفرة طائشة ، وأملت أن يوافق أحلك
على زواجنا ، تغاب الأمل وذهبت الآفاق ،
وبقيت أنت ومامك إلا نكد الحياة ، وفي أي



المدرسة ، وهذه فرولين يبيسي أختها تنطلق كل صباح في سيارة السيدة الفخمة الأنيقة لشترى شيئاً ، أو تزور صديقاً ، أما السيدة نفسها فكانت تبحر الدار إلا بعد أن تتناول طعام الغداء عند الساعة الواحدة بعد الظهر

وكانت الطفلة في سني طفولتها الأولى ترافق أمها إلى الحدائق ، أو إلى الغابات ، أو إلى المنتديات فلما شبت وترعرعت حال بينهما أمر . فالأم تنطلق إلى لهما ومتمتها وميلنكا في خدرها تتلقى درسا في البيان ، أو تجلس إلى مربيها تحدها حديث المدرسة ، وهذه تقص عليها بعض ما يثر به المجاز ، وهي يجوز شطاء تسهر على الطفلة وتجوبها بعض ما تهفو إليه نفسها من الحنان والعطف وأنها هناك ... أو تكذب على درس تطالعه ، أو ... ودأب قولها يتكوف على تناول طعام الغداء في دار السيدة ، والسيدة تزعج أنه معها ، وهو يصبحها هي وأختها في غدوها ورواحها وبفتيها بهما المنتديات العامة والساحر والحفلات ، ثم اندفعوا جميعاً بزجون بأنفسهم في حياة الصخب والحب ، كأن بهم ظمأ للبحث والرح ، وبدت السيدة نكولتش في أعين الرجال جميلة جذابة فيها اللباقة والبراعة والذكاء ، ثم ... ثم لسوا في حديثها نفثات السحر والطرب ؛ فراحوا يتوددون إليها

منذ سنوات عشر كانت تسكن داراً أنيقة في حي كارتر في فينا ، وهي حسناء ناعمة ، واضحة الجبين ، بسامة الثغر ، هيفاء رقيقة ، يزيد جمالها شمر قاحم رجبل ، صفته يد صناع ليضاعف من جمالها وروقتها ، وفي عينها الزرقاوين الحاليتين تفتش وحوار ... ولقد عجبت زوجة البواب أن ترى هذه الفتاة تلصق إلى بابها قطعة من نحاس مصقول لامع كتب عليها « السيدة نكولتش » و « السيدة » في فينا هي الماملة أو القابلة أو الخياطة ؛ وما هذه واحدة من أولئك

وكانت زوجة البواب تعلم علماً يشيع في جوانبه الشك أن هذه السيدة أرملة سياسي صربي قضى عمراً من عمره في سفارات برلين وسانت بطرسبرج ، وليكنها تعلم علم اليقين أن للسيدة أصدقاء كثيرين فهي ترى الدار تمنح كل ليلة بالزائرين وهي دائماً تطفل ، وهي دائماً تسترقق السمع والبصر ؛ لتشبع رغبة في نفسها ، ولتستطيع أن تطعم بعض فئات المائدة ؛ أو هي تنطلق إلى صاحب الدار ، وهو كوت يجوز فيه الصلاح والوقار والزهد ، فتشعل على عينيه بعض ما ترى وما تسمع ، فتكون الفضيحة ...

ولم تسكن السيدة تسكن الدار وحدها ؛ فهذه ابنتها الصغيرة ميلنكا تطوى نهارها بين جدران

نشأت في وادي درينا ؛
جئت بك إلى دار أمي
لنستريح قليلاً ، يا عزيزتي

أنا لا أحبك الذهب ولا أفتح أمامك
الكنوز الثغالبية

لأنني فقير لا أملك من ذلك شيئاً
ولكنني أطوح عند قدميك الصغيرتين قلبي
قلبي وقد أفعمه الحب والفراق

وعرفت الطفلة أن هذه الأغنية هي بعض قلب
أبيها لأنه استقبل بها زوجته الحبيبة لأول مرة
هبطاً معاً دار أمه ، وأرادت الطفلة أن تسمع من
المجوز قصة أبيها وما اكتسحت به عيناها ، ولكن
المجوز كانت تدفعها في رفق « ستملين ذلك ،
يا عزيزتي ، حين تبلتين سن الفتاة ... »

حقاً ، لقد كان الأب صديقاً أغرم بوطنه
وأحب زوجته وابنته في وقت معاً ، وهفت نفسه
إلى أن ينشئ ابنته في دار أمه ليسكب هوى قلبها
بعض ما يفتل في عروقة من هوى بلاده ، غير أن
الأم نفرت منه — بعد حين — لتعيش في
منأى ... في برلين ؛ وهو يزورها حين الفنية والفنية
ونشأت الطفلة لا تجد السعادة إلا بين جدران

المدرسة ، بين صديقاتها وزميلاتها ، فكشفت
الدار ، وبدأ لها ما يكتنفها من غموض وعزلة ،
فسيطر عليها السخط والألم ؛ فشبت وشب معها
البغض لأنها والمقت لبارها غير أن مفاتها راحت
تملن من نفسها فبدت فتاة جذابة ، رائحة الحسن ،
جميلة الطامة ، فيها الأنوثة والدقة والنجل ...

وكانت السيدة قد اعتادت أن تصحب اختها

ويتملقونها ، وهي تبسم في رقة وهذوء ؛ أما يميني
فكان في مرحها الحق ، وفي حديثها المجون ، وفي
نظراتها الاستهتار ، ثم هي لا تتحرج ولا تبتأني ،
وكيف تفعل وهي تريد التمتع واللذة ، لقد فقدت
الزوج وفقدت الأمل فيه فأرادت أن تجد الصديق
والصديق ...

وكان نقولا بيتكوف عضواً في مجلس إدارة
الدولة انتدب في السفارة الروسية ، وهو رجل
طروب لمع للشباب في عارضيه ، غير أن قلبه ما زال
شاباً فيه التزوات الطائشة ، قوى مأسك لم تزعزعه
الشيخوخة وهي تهاجمه في شدة وعنف ، سياسي
عبقري يرى النجاح والرقى في التجسس والإغراء
فهو ينشر شباً كهنا وههنا فما يخفى عليه خافية من
أسرار المظالم والوجهاء من الأجانب والوطنيين ...
وشاع عنه هذا غفافة الجميع ، وتجنبه جماعة وحذره
جماعة غير أن واحداً لم يبتو عليه

وكانت السيدة وأختها هما ساعدها : فالأولى
تنقص في خداع المرأة ورزاة المحرب ؛ وأما الثانية
فكانت تندفع في طيش وتهور ، أشفقت منهما
السيدة أن بعضهما بما تستمع به من احترام وتقدير ،
وبيتكوف يلح ويلح ...

في هذه الحياة المضطربة ابتداء السك يفتتح عن
زهرة ناضرة جميلة مات أبوها وأما تلوه ، تحبسها
دوامي الحب والنبي في حجرتها ليلافا تريحها ، ثم هي
لا ترى إلا ألم بيتكوف يرميها بالنظر الشرير ويقنع
لها في القول ويقسو عليها ، ولا يرايها المجوز
أنوكا ، فما تجد اللذة في شيء سوى أغنية عذبة
تردها المجوز كل مساء عند فرائشها :

أنا سياد

دم أجداؤه الكرماء ، فاب به من عبث وما به من
لهو ، فهو يهوى الفتاة ، وهو يريد لها لنفسه منذ
خفق لها قلبه ؛ والمجوز تضطرب في رؤيتها
الخواطر المتناقضة : أفستطيع الفتى أن يتزوج من
فتاة ، وهي تصل بينهما ، وهي لها الدنيا بعد الأتية
تحت أستار الظلام ، في منأى عن الرقيب والواشى

ورجعت السيدة وأختها وقد ألتما الخفية ،
وحز في نفسيهما الاعراض والطرود ، وعاد الم
يتكوف ليرى ... يرى الفتاة بين أشجار الحديقة
ترف رفيف الزهرة اليانعة في نسبات الفجر الندية
نغليه جالما ، واضطرب قلبه حين وجد فيها صورة
الأم منذ سنوات وسنوات ، واستلبه بعض ما رأى
من قبوه وغفلته ، فهوى على يد الفتاة يقبلها في
شفف ولهفة ، ففزعت هذه وجفلت وهي تقول :

« أى عمى ، عمى الزبر ! »

وانطلق الرجل الى السيدة ليرى ... ولأول
مرة بدت في خاطره قبيحة تستلبها الشيخوخة من
جالها رويدا رويدا ، فمافها وانجذب عنها وعن
أختها في وقت معا ، ورأت هي فيه الفتوة : وفي
حديثه القسوة ، فحزنت حزن المرأة تفقد عشيقها
وعائلها ... أبابيسى فما كان ليستبها مارأت من
عمها وهي الرحلة الطروب ، فنادرت الحجرية في
خفة وهي تقول : « سأحب ميلنكا الى الكازينو ... »
وكشفت السيدة للرجل عما يضطرم في قلبها
— حين خلاهما السكان — وانهمرت عبراتها
حرى فيها الأسى والشجن . نعم ، لقد أحبا حينما
من الدهر وأحبته ، وذاعت هي لذة الهوى وذاق
هو منها ... أفنكون هذه هي النهاية ؟
وعلى حين نجاة قال يتكوف : « مارينا ، إن

-- كل صيف -- إلى حيث يصطاف المظاء
والرجعاء لحاجة في نفسيهما ؛ وترأى إليها أن ملك
الانجليز يسقي بعض أيام هذا الصيف في مارينباد ،
فانطلقتا إلى هناك ، واستطاع يتكوف أن يهيء
لها حجيرة في فندق فيرستهورف حيث يهبط
المظاء ... وخشيت السيدة أن تبحم حولها
الشبهات وتتناولها الألسن حين خيل إليها أن
ما يبدو على حقيباتهما من قدم ورتبة ينم عن
شئ ، فراحت تسد سهاما في طيش وهرج ؛
وضاق صدر الملك بهذا التطفل والتبجح ، فأمر ،
فخيل بينهما وبينه ، وارتدت السيدة وأختها على
أعقابهما بعد أسبوعين تحملان الخفية وضباب الأمل
لأول مرة في الحياة

وكانت ميلنكا في إيشل وأما في مارينباد
تستشعر ألم الوحدة وصرارة العزلة ؛ ووجدت إلى
الخلاء طريقا ، فانطلقت هي وصريتها إلى الكازينو
كل صباح ، وإلى غابات لوفن كل مساء ؛
واستطاعت أن تتحدث إلى ضابط شاب من ضباط
الحرس الملكي فيه الطرف والمرح تعود أن يجلس
إلى نضد بجوارها ، وصريتها ترى ... لقد ألتما
حينما أن ترى الفتاة سجيبة أو كالسجيبة ، فسرهما
الآن أن تراها تجد اللذة والتمتع في حديث رقيق مع
شاب مهذب فيه الرجولة والحياة

لم تكن الفتاة ماحنة طائفة ، ولم تكن هوجاء
مستهزئة ؛ فهي تمشى على استحياء ، وتجلس في
أدب واحشام ، تسون نفسها عند الابتذال
والبئث ... ثم هي قد علقت الفتى الضابط كيرات
كرامر وعلقها هو ، وهو من أسرة عريقة في الجدة ،
طيبة المنبت ، ذكية الفئرس ، وفي عروقه يجري

زمانا فهاجت : « نعم ، إنك لا تجد ما تدفعه ...
أفنتيت أن مذكراتي عن الجاسوس الرومي تزول
أركان العالم ؟ » قال وهو يكم في نفسه الجرح
والرعب : « لا تكوني حمقاء يماربنا ، فانا رجل
حطمته الأيام ، لا أبكي على شيء أما أنت فاترايين
شابة » ثم قال بعد أن أطرق قليلا : « ... وأنت
أم هذه الحسنة ، ذهبا مني فسيهافت عليها الرجال
تهافت الذباب على الحلواء » قالت في غيظ وغضب
« أفلا تسمع ما أقول ؟ إن أخلي بينك وبينها ،
لقد حاولت جهدي أن أحول بينها وبين أن ترى
حياتنا المضطربة ، وألا تنغم في هذه الحماة ،
لتكون - بعد حين - سيدة نفسها أو تزوج من
رجل ... إنها ابنتي وإن لا ترى فيها إلا سلمة
ظالية تريد أن تبيعها بالثمن البئس ... » قال في
هدوء : « أيهما ؟ يا لفتاة ! استمود ومعا الملايين
ثم تزوج بمن تشاء ! »

وكان الرجل فظا في نظراته ، حيوانيا في آرائه ،
وحشا في خواطره ، تنفطر الانسانية من عباراته ،
كم في الحياة من أمثالك أيها السبع الضاري الدفء ؟
لقد أصر على أمر ، وترك الأم حزينة مضطربة
ما تستقر ولا تهدأ

ورجعت بيبي من الكازينو باشة مستبشرة
وقد رأت الفتاة تنزو قلب الشاب كيرات كرات
رويدا رويدا ، وجلست هي إلى السيدة تقض عليها
قصة الغرام الجديد ، وابتسمت الأم حين بدا لها
أن هذا الشاب قد أرسلته العناية الآلهية لينقذ
الفتاة من هاوية عميقة توشك أن تتردى فيها
ونادت السيدة ابنتها « ميلنا » : « إنك تتأقنين
كثيرا كأنما تريد أن تكشفني عن مفاتيكي ! »

ابنتك جميلة ... جميلة فانتة خلابة ... ويل لي !
كأنني لم أرها من قبل ! » وفزعت السيدة فقالت
وهي تضطرب : « أعتقد ... أعتقد ؟ » فقال
في هدوء : « لقد كانت في الرابعة حيث كان
نكولتش ... فهي الآن في الثامنة عشرة ... »
وصرخت المرأة في وجهه حين تراءى لها ما يريد
الرجل : « لا ... لا ... » فقال هو في سخرية
وتعك : « الصغيرة أجل ... لقنيتها ... » وصاحت
المرأة أخرى وهي تنتفض من الدهر وقلبا يتمزق
إربا : « لا ، لن ألقها بين براثنك ، لن تسيطر
عليها ، لن تنفذ بها إلى الهاوية ... » قال وقد
أصر على أمر : « إقلى ما شئت قلن تستطيعي أن
تحولي بيني وبينها ، فانا الوصي عليها وأنا الذي
أريد ... إنه فوق طاقتك أن تجدي لها زوجا غنيا
كريم الأصل ، ومن العجز أن تزوج من رجل
فقير ... » قالت : « لا ... أنا لا أفكر في زواجها
الآن ، ولكنها هي ستكسب ما يكفيها فهي
ستنال درجتها الجامعية قريبا ... » وابتسم الرجل
ابتسامة الهزاء وظاهه أن تقف الأم في سبيله تدفعه
عن أمر يريده لنفسه فاضطربت الكلمات على شفتيه
« المستقبل ! المستقبل يا ماربنا ! أنا لا أجد ما أدفعه
لكم ... سأنتقل إلى عملي في سانت بطرسبرج ثم
أعود في الخريف الفلاحم لأرى رأيك ... »

واستشمرت المرأة الصفعة حين تراءى لها أنه
سيذلها ويخضعها وهي لا تمك شيئا . لقد اندفعت
معه في طريق وعر زمانا ، وهو يعلم لماذا انتحز
نكولتش وهو شاب فيه القوة والفتوة ، ولماذا
أصبح هو وصيا على الطفلة ! وارتد تاريخها كله
ينشر نفسه على عينها وقد أترع الخمازي والساوي
ويوقف في نفسها زعزات طيبة أسدل عليها الستار

وأحسّت الفتاة شدة الصدمة في قلبها فطارت الى حجرتها تبكي أمها الضائع وسعادتها المفقودة ، والمعجوز تريت على كتفها ، وتهدي من يورتها ، وتبسم في نفسها الأمل الحلو من جديد ، فهي تستطلق في الصباح الباكر الى آل كرامر عدها تلقى الشاب فتحده الحديث وترى رأيه

وترى الى المعجوز أن كيرات قادر القصر صباها الى إيشل فارتدت على عجل بحمل البشري .. بشري قدوم الزوج المنتظر

وأفزع السيدة حديث المعجوز عن إيشل ، قصة مارينبار ما تزال على الألسن ، وهي تخشى أن يدوى الخبر في إيشل والفتى عندها فيحجم ، فطارت الى فينا لتدفن سوءاتها هناك

وكانت خطابات بيتكوف تبعث في نفسها السأم واللل ، فهو ما يزال يتحدث عن ميلنكا ويطلب رسمها ، فأرسلت اليه تصده في شدة وعنف ، وتأتي أن تسلس له بعد إذ أحسّت بالأوممة الصادقة تدفق في قلبها قوة تحرس ابنتها وتبهر عليها ؛ وهو ... هو بيتكوف الوغد يتخذ من قصة غرام الفتى والفتاة أول حجر في بناءه السافل

وعلمت الأم أن قانون الحرس الملكي يحجم على الشاب أن يتقصى خبر الأسرة التي سيصبح ضمها لها ، فراحت تحدث أختها الحديث ، وتوحى اليها أن تذهب الى أحد مكاتب الاستعلام لترى ما يقولون عنها وهي تقول « لا أظن أن أحدا هنا يستطيع أن يجيد في فترة ينفذ منها » قالت الأخت « وأنا أوقن أن بلادا غير هذا لا نستطيع أن نجد فيه الأمن والطمأنينة »

وانطلقت بيبي الى مكتب الاستعلام تسأل المدير خبر السيدة نكولتس وابنتها لأن ضابطا شابا

واضطربت الفتاة لما سمعت غير أن السيدة اندفعت « لعلك عقلت هذا الشاب ! » قالت في انكسار « نعم ، نعم يا أمه » وصمتت الأم حينما قالت « لا بأس ، لا بأس ولكن احذري ! » وطربت الفتاة لحديث الأم الرقيق وعطفها السامى

وفي الحق لقد كان الشاب يرافق الفتاة وخالتها كل يوم حتى باب الدار ثم يقفل راجعا خشية أن تراه السيدة ، والسيدة تنظر من خلال النافذة ، ثم ... ثم أرادت أن تعرف من هو الشاب ؟ فأرسلت الى بيتكوف تطلب اليه أن يرافها بما يعرف عن آل كرامر .. وجاءها البريد بحمل أخبارا تسر ، ثم راحت هي ترى ما وراء ..

وعلى حين بفترة بدت السيدة في الكازينو في ثيابها السوداء وقبعتها المريضة ، متأنقة متبرجة مخطف البصر واللب ؛ وإلى جانبها ملينكا ، فتاة في مستقبل العمر تحلب القلب وتأسر الأتفدة ؛ ثم بيبي ... ومرمر جميعا بالفتى وهو جالس الى أخويه خياهن في أدب وهو في مكانه لم يبرحه ، وكان ظهور السيدة قد بث في نفسه الرهبة والخوف فما استطاع أن ينطلق اليهن ... وتكرر هذا أياما ..

لشد ما ألم السيدة أن ترى الفتى يتزوى ويحجم وهي كانت تأمل أن تراه الى جانبين يتحدث ويتحدث ثم يصحبهن الى الدار ... واضطربت بيبي لهذا الاخفاق ؛ أما ميلنكا فقد حز في قلبها أن تنطوي الأيام ثم هي لا تستطيع أن تجلس الى صاحبها تحده ويحدها ، وتدق اليأس في قلبها حين قالت لها أمها « أنا أحرم عليك أن تجلسي الى هذا الشاب الوضع أو أن تتحدثي اليه فهو يريد المتعة الرخيصة واللذة السافلة خصب . إن في هذا الاحجام من الضمة والزادة ما فيه ... »

جامدة ذاهلة تستحث الأخت في صوت فيه الألم والحسرة « أقرئى ، أقرئى ! » واستأنفت الأخت « وتنبئ حياة السرف التي تعيشها السيدة وأختها ، وقد انطوت أيام شبابهما ، أنهما ما تزالان تملآن في الجاسوسية... لهذا ولنبر هذا مما نكتمه لاستطيع أن ننصح شاباً ذا كرامة وشم أن يصاهر هذه الأسرة . أما الفتاة نفسها فنحن نجزم بأنها بميدة عن كل ما يشين السيدتين وبمصاف بكرامتهما . وقد ترى إلينا أن الشاب قد نفص يديه منذ أيام... » وانقض الحديث على السيدة صاعقة تمررها عركاً ، وتهد من كيانها ؛ وأختها إلى جانبها تستشعر الخيبة واليأس والمآر جميعاً . وانهمرت عبراتهما ... عبرات الندم تحاول عبثاً أن تفصل بعض ما جنت يداها حين غرتهما الحياة بزخرفها ، وحين زين لها الشيطان سوء عملها

ورجعت ميلنكا إلى الدار وفي عينيها عبرة تفرق ، وفي قلبها الأسى والحزن ، لأنها رأت صديقها على خطوات منها يراها فيصدف عنها ، ثم هي تبسم له فيعرض عنها . واندفعت إلى حجرتها عليها تطلق بعض الواعج المضطربة في قلبها بسيل من عبراتها الحمرى ... ولكن أنها نادتها لتنتشر على عينيها بعض صفحات الماضي ، غير أن الفتاة قالت في غيظ وحنق : « لا ، لا أريد أن أسمع شيئاً ، ولكن فلنرحل إلى بلد لا يعرفك فيه أحد » ثم جفلت من بين يديها وأنها تناديهما ...

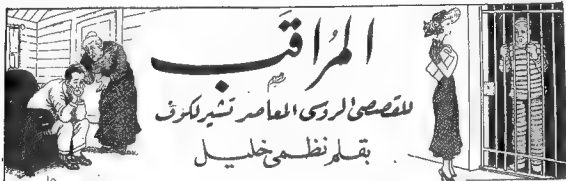
. وفي الصباح وجئت السيدة في بحر لجى من الدم وعلى التضد خطاب منها إلى بيتكوف .. وجاء الرجل ليصحب الفتاة — دون خالتها — إلى سانت بطرسبرج ... إلى الهاوية ...

لعل محمود مهيوب

يريد أن يتزوج من الفتاة ، وحدها الرئيس بنظرة فاحصة ، وبدا عليه الجذ والاهتمام حين سمع قولها « لأن ضابطاً شاباً ... » ثم قال : « أنا لا أعرف شيئاً ، ولكننى أستطيع . . سأقضى وأرسل إليك ... وخشيت المرأة أن يفتضح الأمر فتركت عنوان إحدى صديقاتها ...

وتصمرت أيام ... وانطلقت السيدة وابنتها — ذات ليلة — كل واحدة إلى حجرتها ، تتأهب للذهاب إلى الأوبرا ، وقد ابتدأ الأمل يحيا في نفس السيدة ، وخيل إليها أن المصوم التي رأت عليها حيناً من الدهر قد انقضت أوكادت ، وأن المستقبل يحمل في أضغافه مسرات ومسرات ، بعد إذ انطوت صفحات الماضي ومحاها النسيان ، ثم جاملتا تنتظران ييبسى ... وعادت الأخت وفي يدها خطاب كبير ... إنه من مكتب الاستسلام ...

وسرت في مفاسل السيدة رعدة خفيفة ، وسيطر عليها الشك فقالت : « أفضضه الآن أم نطرحه جانباً حتى نمود ... » قالت ييبسى : « لا ، لا بد أن نقرأه الآن » ، وترددت السيدة حيناً ثم قالت : « لا بأس ، فلنذهب ميلنكا ومريرتها فقط ... » ثم أخرج الباب ، وقض الغلاف وراحت ييبسى تقرأ : « لا ريب في أن السيدات يستمتعن بطيب الأحودثة ، والسيدة تعيش في رفاة وبذخ وإن كانت لا تملك شيئاً ، وهي تزم أنها أرملة سيامى صربى له شهرة ومركز ، وهذا زم بعيد عن الصواب ، وتساكنها سيدة أخرى تقول هى إنها أختها ، وهذا ادعاء فيه شك ، وهما تندفان في طريق ليس فيه الشرف ولا الكرامة ، وهما تملآن في فرق الجاسوسية الأجنبية ... » واضطربت ييبسى وقالت : « يا للمار ، يا للمار ! » والسيدة



لا ترى أمامها إلا زوجها الشيخ « ستيان » يسير في الغرفة في خطى متثاقلة ، وهو يسمل سملاً حاداً . فلا يكاد يرى زوجه وحدها حتى يشيح عنها ويدمدم بهذه الكلمات : « كففاك ذهاباً وانتظاراً ! » ثم يصمتان — فكلهما كان غارقاً في الأفكار مثقالاً بالهموم — يكاد الدمع ينبجس من عينيه ، ولكنهما كانا يقاومان الحزن ويشكفان الصمت

كان يتردد على منزل ستيان صيرف المدينة وهو رجل ثمار مدع فيقص على الزوجين كيف يمايل السجونون السياسيون في السجن ، وكيف يحبسون في حجرات ضيقة ذات فتحات ضيقة ينصب منها الماء حتى تنقلص أبدانهم ، وتجمد دماؤهم في عروقهم ، وتقف قلوبهم عن الحركة . فتضطرب تاريا لهول هذا الكلام ؛ فتصيح خائفة وجلة : إلهي ! إلهي ! فيحاول الصيرف أن يهدئ ثورة الأم الحزينة فيقول : ولكنهم قد يطلقون سراح البعض منهم . ثم يمضي في حديثه الطويل المتصل ، وهو يشوه الحقائق ويلفق الروايات حتى يسرى الخوف والرعب في قلوب الزوجين المفجوعين في وحيدهما المرز فيقضيان ليلهما على فراش دونه شوك القتاد

اعتادت ماريا أن تذهب كل مساء إلى المحطة تتوسم وجوه الركاب باحثه عن ابنها « نيكولاس » فيقفز قلبها فرحاً كلما وقفت عينها على شاب في لباس الجامعة ولكنها كانت في كل مرة تفقد ابنها فلا تجده فتندفع إلى المراتب وتحرق النظر في الجمهور الواتف على الرصيف ، وهي لا تكاد تصدق عينها ؛ فتسال وهي حائرة قلقة :

— إلى أين يذهب هذا القطار ؟

فيجيبها رجل : إلى موسكو

— وهل جاء من « كيف » ؟

— نعم

فتصوب المرأة بصرها جهة « كيف » ثم يملأ وجهها ابتسامة حزينة دقيقة لتلك الصورة المرززة التي ستطلع عليها من وراء ذلك الضباب والدخان — صورة « نيكولاس » المرز وهو في لباس الجامعة — ولكن هذه الصورة الحلوة الجميلة سرعان ما تختفي من ناظرها فتهم بالرجوع إلى المنزل وقد فاض بها الحزن حتى كاد يحبس أنفاسها . حتى إذا مادنت من البيت استيقظ فيها ذلك الأمل من جديد فتتوهم أنها ستجد ابنها هناك فتسرع الخطى وتندفع إلى الباب في شوق وخوف ، ولكنها

الطعام ذات النعطاء الأبيض لا تزال قائمة وسط
الحجرة . فذكرته هذه بحياته الماضية البعيدة ؛
فالخبرة كما تركها على المكتب ؛ ومحفظة الأوراق
لا تزال عالقة بالخائط ، والأوز يتبختر في فناء المنزل
وهو يضم فراخه الصغيرة الصفراء إليه . فابتسم
نيكولاس لهذه الأشياء كأنه قد رآها بالأمس

كانت السماء صافية سافرة ، والهواء رخوا ليناً ،
فوقف الشاب في إحدى النوافذ رقب الطيور وهي
تهرع إلى أوكارها . فأبصر شعباً يدب من
بقيد يشير التثيرة بقدسية وعيتاه إلى الأرض ،
والمصافير تفر من أمامه وهي تشعشق وتتناثر

فاطمان نيكولاس هذه المناظر الجميلة المتعددة
— منظر الشارع المادي المفقور والحائم الطاهرة
والطيور المنردة ، والأوز الصارخ الفرح ، والغرف
النظيفة المرتبة — وشمر بوحده وهذونه ؛ وسرعان
ما أدرك أن له حياتين متميزتين متباينتين : إحداها
هناك حيث كان يعيش ، والأخرى هنا بين أحضان
والديه . وأن حياته البعيدة أصبحت نلوح له كأنها
قصة خيالية قد قرأها في أحد الكتب ، وأن حياته
في القرية حياة حقيقية غير مثيرة — كقانون
الطبيعة

— أحب السمك يا عزيزي كوليا ؟
فالتفت كوليا حوله فرأى أمه واقفة وهي
تترنح من فرط السرور . وقد شمرت أكتافها
استعداداً للعمل . وقال :

— السمك ؟ حسن . إنى لا أهم كثيراً
بالأكل

— إذن اطلعي لك بمضامنه . وسرعان ما عادت
حاملة طبقاً به سمك ووضمته على المائدة وهي تقول :

لم يمض على هذا الحديث بضعة أيام حتى كان
نيكولاس واقفاً بالبواب ، فلم تكده ما رآه حتى
أسرعت إليه وضمته إلى صدرها والدموع تنهمر
على خديها ؛ ثم أخذت تقبله ، وهي لا تكاد تصدق
أن « كوليا » قد عاد إليها ، فكانت تنظر إليه وقد
اندفعت إلى رأسها آلاف الأسئلة تريد أن تلقىها
كلها قبل أن تسمع جواب الأول منها
— هل أنت في صحة جيدة ؟

— أحياناً أطلقوا سراحك ؟
— إلهي ! هل أنت حي حقاً ؟

فنظر إليها في ابتسامة حزينة مضطربة وقال :
« لقد كنت يائساً من لقاءك يا أمه ! »
— ولكني كنت أذهب إلى الحطة كل يوم
إذ لم نستطع أن نفكر فيما حدث لك
— الأمر عادي ؛ لقد سجت بضعة أشهر في
حصن . . .

— وأنتك الآله ؟ لقد صليت من أجلك
يا عزيزي . هل عفوا عنك ؟
— فأجاب كوليا في ابتسامة رقيقة : « لا .
ليس عفواً تاماً ، ولكنهم أرسلوني إليك صديقاً »
— وماذا هم صانعون بك ؟

— إنى لا أعرف على وجه التحديد ، ولكني
سأدخل الجامعة ثانية في بخر سنتين
— أظنك في حاجة إلى الطعام . إنك ضامر
هزيل . انتظر قليلاً فلن أغيب هناك

كان كل شيء على ما هو عليه : فالغرف نظيفة
مرتبة والستائر مدلاة على النوافذ وشجرة
« اللبلاب » لا تزال تغمر الباب بأكاليلها ، ومائدة

من العمل. ضجراً بالباب الكثير الذى يضيقه فى المكتب، والطريق الطويل الذى يقطع على قدميه. فأرجو أن تحمل غضبه وضيقه
أما نيكولاس فقد كان يفكر فى هذه المقابلة يخشى الصدام به. والحقيقة أنه لم يرد أن يفهم أبداً بأنه كان فى الامكان أن يسلك غير ما سلك إذ كان يشعر دائماً أنه على حق، ولكنه كان لا زال مضطرباً بضيق بالتجمل الذى يفسد عليه حياته؛ ثم نظر من النافذة فرأى والده يخطو متناقلاً كما لو كان أحد الأعيان الملتوظين فى القرية، وقد أمسك فى يده شمسية ضخمة، وتباطئ بحفظة كبيرة
— ماذا يحمل أبى؟

فأجابه أمه فى لطف: إنها بحفظة الأوراق التى يحملها دائماً حتى ولو لم يكن فيها شيء، كذلك الشمسية وإن لم يكن هناك مطر. فلماذا الرجل من الأوز اندفعت إليه مشرقة بأعناقها تمض ساقه، فوقف فى مكانه وشمخ برأسه وأشار إليها بأصبعه فانكششت الأوز وهزنت ذيلها وعادت إلى أحواضها. ثم خرج نيكولاس إلى الباب ولكن ستيبان لم يسرع فى مشيته إذ كان قد علم بحجته وهو فى مكتبه بل قال وهو يتشم: أه! أه! هل أنت؟ ولم يرد أن يظهر فرحه الذى غمر قلبه لذلك الشاب الذى كان يظن أنه غاق مسمى حتى أنه قد رآه فى الليلة السابقة فى حلم مروع ثقيل كأنه مسوق إلى ساحة الاعداء وقد جاء ليودع والديه، فتقدم إليه كوليا بوجه شاحب وشفتهين مرعجتين وقال: «يوم سفيد يا أبى! فأجابه أبوه: سعيد يا ولدى! ثم تأتاه عناقاً قصيراً وسمل سماعاً عالياً. ثم أخذ يسأله عن حجته. ثم جاءت ماريا فرأت الأب

أبها المصاة — علام المصيان؟ ما ذا تريدون؟ ولكنها لم تنتظر الجواب فلم تكن تريد أن تعرف ما ذا يريدون. بل أسرعت إلى المطبخ لترى الزبدة التى كانت على النار. ثم عادت وهى تقول: «سأتى والدك الآن، فلا تملظ له. قد ينضبك ولكنه لا يحتفظ بغضبه عليك طويلاً. إنه شيخ قد عاش طويلاً، بينما أنت لا تزال تحبو فى الحياة؛ وليس العمر المحرب الطويل كالسير فى المرمى والحقول

— ومتى يعود أبى؟

— كعادته كل يوم فى الساعة الثالثة

— وأين يعمل الآن؟

— فى نفس المكان الذى كان يعمل فيه — فى مناقصات الحرس — ومرتبه كما هو لم يزد. لقد ضمعت أعصابه حتى كادت يده تقف عن الكتابة. فقال نيكولاس وقد غمره الحزن والألم: شيء مرعب؟

— نعم مرعب يا عزيزى كوليا فقد أصابه شلل كاد يقعده عن العمل. كنا نؤمل أن ... ولكن ماذا ... إنما لا نستطيع أن نعيد الزمن من جديد. كل قبل أن يبرد الطعام. فأخذ نيكولاس يأكل فى تراخ وكسل إذ كان يفكر فى حال والديه وينظر إلى أمه كيف ابيض شعرها وبيست بدائها واحددوب ظهرها. بينما هى كانت تديم النظر إلى الساعة ترقب عودة ستيبان تتنازعها مشاعر الخوف والفرح، فقد كانت تتمجل بحجته ليرى ابنه الوحيد، ولكنها كانت تخاف أن يخرج النضوب بالأب فيسبى إلى ابنه. فعملت على تهيئة الجو لهذه المفاجأة الغريبة فقالت: «إن والدك يأتي متعباً

أن ما عملته قد تلاشى كالنجم المحترق
وترى الأم أن الحديث قد أخذ يشتد والجو
يكفهر فتحاول أن تلقى بمض الماء على النار المتأججة
فتقول : « كل إنسان عنده أولاد ، وهو مضطر
إلى هذا العمل . ليس هناك ما يسوع هذا الأحصاء
الآن » فأجابها الزوج وهو يسعل سعالاً عالياً : « إني
لا أحصى عليه شيئاً ، فقد قربت نهايتنا ، ولا ننتظر
منه شيئاً . لقد علمنا على أن يقب على رجله . . .
ولكن علام التحدث في هذا وكل إنسان هو
الخائف لسماده » فلم يقو كوكليا على سماع باقي الكلام
بل ترك أمه تعتب على أبيه وهي تقول : « ما كان ينبغي
لك أن تهجم هذا الشاب بهذه السرعة »

خرج نيكولاس إلى الفضاء يمشى بالأوراق
المتناقلة قرب الطريق ويفرّكها في يده ثم يغيب
في تفكير عميق وهو واقف أمام ذلك البحر
اللانهاى من القمم الأخضر ، ثم استولى عليه نوع
من اليأس العميق إذ كان كل شيء حوله صامتاً
لا يسمع إلا قنابر الحقل تنفى بأصوات مرتمشة
متقطعة حتى بدا له أن هذا العالم نائفه ثقيل ، وأن أم
مشاكله هي الصحة ؛ فان كانت الصحة جيدة حلت
مشكلة الحياة كلها . فيكفى أن تترك قلبك يتأمل
هذه الحقول النضرة والأجواء القسيحة والسحب
البيضاء . كل شيء سيكون كما كان من قبل ، وسيأتى
الشتاء ويقبه الصيف ، وستخضر الحقول ثم تضرها
التلوج ، وستتدثر القبرات وستقام الأسواق وستعج
القرية بوفود الفلاحين

ثم أخذت القرية تصحو على أصوات المشاة
وهي راجعة إلى حظائرهما ، فثماء الشياه وخوار

يشيح عن ابنه ، فعملت على تخفيف حدة ذلك
الوقف فقالت : « احمد الله أيها الأب فقد عاد
إلينا ابنا في صحة جيدة ، وهذا كل ما تريد . هيا إلى
الغداء . هل ضايقتك القباب اليوم ؟
فلم يجب الزوج بل قام الثلاثة إلى المائدة ،
وأخذ الأب يلقى على ابنه بعض الأسئلة القصيرة
المتضمنة فقال :

— وعلى هذا أخرجوك ؟

— نعم

— إذن كنت مجرماً ؟

— نعم

— وتعود إلينا مراقباً ؟

— نعم

— وماذا تريد أن تعمل الآن ؟

— سأستأنف دراسى

— أى إنك تبدأ من جديد ؟ فإذا ما طردت

ثانية رجعت إلى الأول

— فأجابت الأم : لم هذا الكلام الآن ؟ لكل

شيء نهاية

— فقال الأب : حسن ، وستأتى نهايتنا قريباً .

ولكن لماذا طردت يا ولدى ؟

لقد اشتركت في الثورة ؟

— حسن جداً . ولماذا حبسوك ؟

— لا أعرف

— اسمع يا بني ؟ إني مضطر أن أقول لك إني

لم أكن أنتظر هذا العمل منك . لقد كنا مضطرين

إلى دفع نفقات المدرسة ثمانى سنوات وأجر

المدرس الخاص والكتب والملابس ، وكنت أمنى

نفسى بأن هذا كله سبرد إلى . ولكن ظهر لى الآن

هذه الكلمة الثرية . ولكنه تمالك نفسه وسار وهو يفكر فيمن تكون هذه الخطيئة

وأخيراً وصل الى حجرة صغيرة كثيفة اللون لم يكن بها إلا نافذة واحدة قد ثبتت فيها قضبان من النحاس ، فنظر نيكولاس الى هذه النافذة فرأى فتاة في ثوب بنفسجي بديع ، وقيمة من القش قد زينتها بأزهار الربيع . وقد وقف بجانبها طويل الشارب تلعب حربته في الفضاء ككلا لوح بها أو انتقل من مكانه

فقات الفتاة في ابتسامة رقيقة عذبة : « نهارك سعيد . فرد عليها الشاب التحية ، ثم أخذ كل منهما يرمق الآخر ، وبعثا حاول نيكولاس أن يتذكر هذه الفتاة إذا كان قد رآها من قبل . كان وجهها مغلي بقناع خفيف قد ألقت عليه أسلاك النافذة ظلالاً رقيقاً ، فلم يستطع أن يتبين سمات وجهها فقال لها في استحياء : « أتمسحين أن ترفي القناع ؟ » فرقمت الفتاة القناع فسحرة عينها ، وجلت وجهه حمرة الخجل

وخفض بصره . لا . لا . إنه لم يرها من قبل وهنا تنبه الضابط لحديث الشاب ، فكان كلا حركت الفتاة يدها لوح هو بستانه وشمل سملاً عالياً يريد أن يفهمها أنه لا يزال يقظاً لما يدور بينهما — لقد نسيت بكل تأكيد حبيبتيك (جاليا) فأجاب نيكولاس في غموض : لا . ثم ابتسم فجلبت ضحكة قوية من الفتاة ، وتالتت أسنانها من خلال الأسلاك

فلوح الضابط بستانه وقال : « هل تزامن الهدوء قليلاً ؟ »

فقات الفتاة في حدة : « أحرام علينا أن

الثيران كان يختلط بأصوات النساء وهن يصحن على فراجهن لتذهب الى أوكارها ، وأسواط الرعاة تدوى في الفضاء كأنها طلقات نارية ، ثم امتلأ الجو بسحائب التراب وما لبث الظلام أن لف القرية في سكون مطبق عميق

عاد نيكولاس الى المنزل فاستلق على مقعد كبير في الحديقة وأخذ يستعيد في غيبته صور ما حدث له في « كيف » وسرعان ما لاح له صورة تلك الفتاة الثرية حاملة له اللذة والألم ، فذكر يوم أن كان يقيم في سجنه الضيق الثقيل وقد اعتقد أن هذا العالم قد نسيه حتى أمه ووالده ، إذ دخل عليه السجنان يقول : « زائر قد جاء إليك » فحب نيكولاس واقفاً وسار خلف السجنان في عمر طويل مظلم قد فتحت فيه « الرنازين » على أبواب متساوية غفيل اليه أنها حديقة حيوانات مرقومة الأبواب وخلف كل باب واحد من هذه الحيوانات الضارية من يكون الزائر يأتى ؟

أيمكن أن تكون أمه ؟ لا ، إنها لا تعلم بسجنه . قد يكون أحد رفاقه . ولكن كل رفاقه في السجن أو في المنفى ، وفوق ذلك فإنه لا يسمح بزيارة أحد من رفاقه . إذن لم يأتني أحد . ثم سأل السجنان : من جاءني ؟

فأوسع السجنان الخطو ولم يجيب ، فقال نيكولاس : « أعمرم علينا أن نتحدث معكم ؟ قد تكون خطيئاً في استدعائك لي »

فنظر اليه السجنان وقال في هدوء : خطيئتك ؟ — خطيئة ؟ ثم سكث طويلاً وقد شعر أن قلبه يشب بين أسنانه . وأراد أن يضحك عالياً من

وهل يسمح بشمورى هنا ؟

لم يكن هناك من يجيبه

قضى نيكولاس ذلك اليوم فرحاً منتبهاً ،
وقد نسي أنه مسجون وهو يطوف بزرائه منشداً
كوخش كاسر قد ضاق بقفصه

لقد كان هذا اليوم يوم ميلاده ! !

ثم جاء المساء ؟ مساء السبت !

وهناك في الأفق البعيد أخذت أجراس
الكنايس تدق فبغت في نفسه الهدوء ، وأيقظت
فيه ذكريات الطفولة الحارة ، ففتح النافذة وأخذ
ينظر إلى تلك السماء الصافية ، وقد أخذت الشمس
الغاربة تمكس أضواءها على جدران السجن ، والحائط
ترقرق بأجنتها في الفضاء ، فأيقظت في قلبه
شجون الذكري والالم ، وذكرته بالحريه ؟ ثم
اشتد عليه الحزن وزادت به الوحدة وشعر بم حاجته
إلى التحدث إلى نفسه : من تكون جاليا ؟ ثم
استبد به الشوق فتناول عصا صغيرة ، وأخذ يخدش
بها على جدران الزنزانة :

« النجوم تضيء لامة في السماء الزرقاء

ومن خلال النافذة يهب عيبق الربيع
وعلى الأرض الناعمة يجتمعون غرائس الأحلام
الساجدة على أجنحة الفضاء ! »

ولكنه عاد فحما ما كتبه واستلقى على سريره
يفكر فيمن تكون تلك الفتاة الجميلة

قضى نيكولاس الأسبوع كله يترقب يوم
السبت ، وقد شعر أنه لن يأتي . لقد عاش من أجله
ولم يفكر في شيء غيره ، لم يهدأ في نومه إذ كان

نفضحك ؟ ولا أن نصرخ ؟ ... » ثم سألت
نيكولاس إن كان يضحك في سجنه

فأجابها : « إن الانسان هنا لا يحتاج إلى
الضحك ولا إلى الصراخ . أظن أن العالم في الخارج
جميل جداً الآن »

فأخذت جاليا نصف له قدوم الربيع وفيضان
الأنهار ومنظر الطيور وتفتح الأزهار ثم قالت :
سأحضر اليك بعضاً منها المرة القادمة . أحبب
البنفسج ؟

— ثم وسأضهما في زرائي وستذكرني
دأماً بك

قال هذا بصوت راجف وهو يحرق في وجه
تلك الفتاة . أي وجه جميل هذا ؟

— لا تحزن . سأجى اليك كل سبت

ثم دقت الساعة اثنتين وانتهى زمن للقابلة .
فقال السجنان وهو يفتح الباب :

— تفضلني . فقالت الفتاة :

— لا تحزن ! وداعاً ! تذكر أنني ذهبت أن
لك أصدقاء

أما نيكولاس فقد تبع السجنان وهو مطرق
إلى الأرض وعيناه تطفران بالدموع ، ولم يكذب
يصل إلى زرائه حتى أوصدها وراءه وأخذ ينشئ
في صوت عال : « هبوني حرية السير . هبوني
حرية الحب »

فسمع صوتاً ينهيه عن الفناء والرقص لم يعرف
مصدره ، فقد ظن أن الباب يتكلم فأمسك من
الفناء ، وقال :

والحب ! أهو مسموح به هنا ؟

فلم يجيبه أحد

وسمع طيور الصباح تفرد على فتن الأشجار ، فاطمان إلى هذا الهدوء ، وهذا الجمال ، وأغمض عينيه من جديد محاولاً أن يتذكر حلمه اللذائبي البعيد فشهركان نوراً كنور الصباح المبكر يضيء قلبه المظلم الحزين . آه ! لقد ظهرت له جاليا في حلمه علابها البيضاء وقبعها المزركشة بأزهار الحقول ، ثم انحنت عليه وهمت في أذنه قائلة : « استيقظ ! يجب أن تذهب إلى الشرطة ! » ولكن هذا لم يكن همس جاليا بل كان صوت أمه ماريا تذكره بما لم يكن قد نسيه ، فقد أصبحت كلمة « البوليس » تسميته ككلمة أب . فهب غاضباً وارندى ملابسه وخرج مشيحاً من أمه بأرق الدعاء وأخلصه ، فقد كانت نفس الكلمة تثير في قلبها هي أيضاً نوعاً من الألم التامض الخفي !

خرج نيكولاس قاصداً مركز الشرطة ، فلم يكد يصل إلى الباب الخارجي حتى هب الناس وقوا وتهاوسوا فيها بينهم أن يريهم هذا القادم من ألم الانتظار والشكوى . ثم دخل بيتاً مظلماً يريد أن ينقض نفوح منه الرطوبة وتنتشر فيه رائحة الفيران الميته وقد جلس النساء على الأرض الرطبة المبللة ، ووقف بجانبهن حارس عملاق يقفل شاربه وينازل صناديقهن ، فسأل نيكولاس عن سبب انتظار هؤلاء الناس ، فملت أصوات متعددة مختلطة : « نحن النشود أمها الرقيق » ثم سار إلى غرفة الانتظار ، فسمع صخباً وضجيجاً ، فن صرير الأقدام إلى وقع أقدام الخدم وهم يندون وبروحون إلى خشخشة الأوراق . وأخيراً أدخل على رئيس البوليس الذي كان جالساً إلى مكتبه منكباً على أكباد من الأوراق ، ولكنه مالبث أن اعتدل في كرسيه ونظر إليه

يهيب مذعوراً وهو يردد اسم السبت . وأخيراً جاء يوم السبت ، وكان يوماً مطيراً ؛ ولكن نيكولاس لم يشعر بذلك ، إذ كان قد نسي كل العالم في ذلك اليوم فلما أحضروا الغداء صاح : « هل من زائر ؟ » ولكنه لم يلق جواباً ، فبقى الطعام كما هو ، وبقى هو ينتظر ، وأخيراً جاء السجان بالمشاء يحمل معه باقة من البنفسج قد ذبلت أزهارها ، فارتجف نيكولاس ، وقال وهو يتناولها في نعمة حزينة يائسة : وزأري !

فابتسم الحارس ومضى

فنظر نيكولاس إلى الأزهار ، فرأى أمامه جاليا تقطفها وتقدها إليه في ابتسامتها المشرقة المذبة فدفن وجهه فيها ، ثم أخذ يتنسم أريجها ويستنشق فيها عطر الربيع وعبيق الحرية ورضع أوراقها كأنه طفل غريب ؛ ويحنو عليها محاولاً أن يبق على حياتها بدم شبابه وقلبه ، ولكن هذه الأوراق مالبثت أن اسودت وتفضت وماتت ، ولم يبق منها إلا واحدة وضمتها بين صحائف كتابه

وإذ هو يفتح هذا الكتاب أبصر تلك الزهرة الذابلة ، فأخذ يفكر فيمن تكون جاليا الغائبة !

استيقظ نيكولاس عند سماع همس غريب ، فأصغى إليه ، فآذنه صوت والده يصلي لله ، وقد سمعه يردد في آخر صلاته : « كذلك ابني الخلامي خادمك نيكولاس » ، ثم قام الرجل ونفض عنه التراب ، وجاء إلى ابنه يوقظه ، وهو يقول : « استيقظ . يجب أن تذهب اليوم إلى الشرطة ، وإلا قبض على أنا . عليك أن تخفي ذلك التهمد المكتوب هناك ، ثم تنصرف » ثم فتح الشيخ النافذة ، فمرت بالحجرة نسمة الصباح للنسمة ،

امتدت إليه وهناك أسندت رأسها الى ظهر ابنها وأخذت تبكي وتتنحب . وأخيراً قال الابن في صوت راجف حزين : « يجب أن أذهب بعيداً . ماذا أعمل ؟ » إلى لا أعرف . لا أستطيع احتمال أكثر من هذا . لن أذهب ثانية الى البوليس . بل يجب أن أذهب إلى مكان آخر

— ولكن ألا ترحم والدك ؟ إنه يصرخ الآن من الألم . ألا ترحم شيخوخته ؟ اكتب التعمد للبوليس . اعمل ما يطلب منك والدك

فهمجت الذكريات الأليمة على نيكولاس وصاح :

— لا ، لا ، لن أعمل شيئاً . سأذهب الى مكان آخر

— إلى أين يا عزيزي كوليا ؟ إن والدك سيفضطر أن يجيب عنك

— لا ، لا ، لن أذهب

وفي الصباح وجد نيكولاس ملق في مقعده بنام نومة الرجل المجهد الذي فزع من هوم العالم وأعباء الحياة

ووجد بجانبه كتاب وعليه زهرة البنفسج القذابة .
نظمي طريل

آلام فرتو

للشاعر الفيلسوف جوتة الآسائي

الطبعة الرابعة

ترجمها أحمد مسهم الزينات

وهي قصة عالية تد بقى من آثار الفن الخالد

ومنها ١٥ قرشاً

نيكولاس وقال : « حسن . ماذا تريد ؟ إليه . السواة ؟ إن عمداً لا يمكن للشباب أن يثأره ... انظر إنك ضامر كالسوسيا وأما بدين كالقيل . في الناس الذكي والخي - الفقير والنبي - هذه هي سنة الطبيعة ...

— وأنت ... ؟

— إلى لا أريد شيئاً

— يجب أن تنصرف عن مجالس المهيجين وألا تستمع إلى خطبهم الثورية . إلى لا أهدئك كرئيس للبوليس ولكن كشخص عاش ولده كثير من الخبرة والتجارب . أنظن أني لم أحلم بالسواة ؟ إلى ! لقد حلنا بها جميعنا ونحن شبان ولكننا كنا غططين . والآن إنك مراقب هنا . يجب أن تكون نحت أنظاراً دائماً . ثم خرج نيكولاس بوجه شاحب ممتنع وجسم مرضوض مجهد وفي عينيه بريق الكراهية وشرر التمرد والثورة

أمضى نيكولاس بقية اليوم يتجول على شاطئ النهر حتى جاء الليل فتسلل إلى كوخه الصغير الذي أقامه في حديقة الخزل ، وهناك استلقى على مقعد كبير ووضع يده على وجهه وأخذ يستمع إلى أصوات الأجرام التي كان يحملها إليه السكون العميق ، ثم لا تلبث أن تذوب في جوف الفضاء . ولكنه ما لبث أن سمع صوتاً ضعيفاً يقول له : « ألم تهم يا عزيزي ؟ » فالتفت نيكولاس إلى مصدر الصوت فرأى أمه واقفة بالنافذة وهي تن وتبكي

— ربك لا تبكي من أجل يا أمه !

— وكيف العبر يا ولدي العزيز ؟

فتركها الابن وذهب إلى كرسية واستسلم للبكاء . فأخذت أمه تلمس باب الكوخ حتى

أنتظر فراغ الصبية من ارتداء أثوابها . وكل ما يمكن لي بأن يؤديه ، هو أنني كنت أسمع القاذف التاري يقول لي : عد الى رشك لأدراك ما أنت فاعل

ولقد فكرت صهرا في ما كان سيقع لي لو أن الفتاة أسرعت بمخادعة للفرقة كما أمرتها . لا ريب في أنني كنت سأجد سكوتي بعد ثورة الخجل التي ساورتني ، فإن الحزن شيء واليأس شيء آخر ؛ ولكن الله قد جمع بينهما كيلا يتسلط أحدهما منفرداً دون رفيقه على النفس المتألة . فقد كان يكفي أن تخلو غرفتي من هذه المرأة ليضعف بآس ويقتوى حزني بالندم ، وللندامة ملاكها اللانع الغفران عن قاتلي النفوس . ولو جرت الحوادث على هذا الوجه ، لكنت وجدت الشفاء وأوصدت بابي دون كل فاحشة بمسد أن أبقى لي زيارتها الأولى مثل هذا الخجل وهذا الاشتزاز

ولكن الحوادث اتخذت مجرى آخر
كثت لم أزل جالساً أنتظر خروج الفتاة وفي نفسي مراحل من الكره والخوف والفضب ؛ أما هي فبقيت منهمكة في ترتيب شعرها وتنسيق ظيات ثوبها تبشيم لحياها في المرأة . وصرت ربع ساعة وأنا أتبع شاردات أفكاري حتى نصبت وجود شخص آخر في غرفتي ، وبدأت من الفتاة حركة أشمرتني بوجودها ، فانتبهت من غفلي وزجرتها ، فذعرت وقامت تطلب الباب وهي ترسل إلى قبة الدواع من بعيد . وفي هذه اللحظة قرع جرس الباب الخارجي بشدة ، فهضت مسارعا إلى إخفاء الفتاة في غرفة داخلية ما كدت أدفع من لاجها حتى دخل ديجنه ومعه رفيقان من شبان الجيرة إن بعض حوادث الحياة تشبه التيارات المتدفقة في عباب البحر ، فهي قضاء أو مسدفة

من أعماق النفوس



استغفرت في العصر

لأفريدي موسى
بتم الأستاذ فليكس فانس

الجزء الثاني

الفصل الأول

وعند ما صحوت في اليوم التالي ، رأيتني بلغت من الانحطاط والذمالة ما جعلني كازها لنفسي ، فاستهوتني فجأة فكرة مروعة دفعتني من فراشي فهبت وأنا أصبح بالخلوقة التي قضيت معها ليلى قاتلا لها : أردي أثوابك وأخرجي حالا من هذا المكان

وجلست أحدى بالجدران حتى بصرت بأسلحتي المعلقة على الزاوية . . .

عند ما تترأى فكرة متألة الى أحضان الفناء فتقدم الروح على الكبار تشعرها الحركة الآلية للتنفيذ بشيء من الرهبة يصطدم بالإرادة فيزعزعها . ومن يهاجم الانتحار يستول الذعر على أنامله وتنقلص عضلات يده عند ما يحس بضيق الحديد . وما أقدم إنسان نحو الموت إلا وأحس بإحجام الطبيعة عن مجاراة

يصعب على الآن إيضاح ما كنت أشعر به وأنا

معها المزاح فرجونه بلهجة جافة أن يعفني من مزاحه ، فها هم لقول بل تناول الموضوع الذي جاء من أجله ، وما جاء إلا ليعلمي أن خليتي لم تسكف بأخاذ عشيقين في آن واحد إذ بلغ عشاقها الثلاثة ، وذلك معناه أنها لم تعامل من خدعتني لأجله بأحسن مما عاملتني

قال ديجنه : إن مزاحي لم يتورع من نشر الخبر ، وقد عرفت باريس كلها بخيانة الخليلي له أيضاً ؛ وما أدركت لأول وهلة معنى هذا القول حتى استمدته الحكاية ثلاث مرات ، وإذا فهمتها صعقت ولم أجد سوى الضحك ألجأ إليه حين أيقنت أن من أحببت امرأة ساقطة ، ولكنني وجدت حين قالت لي نفسي بأنني أحببتها بل لم أزل أحبها إلى الآن وأبد رفيقا ديجنه ما قاله هو ، فعرفت منهما أن خليتي كانت في منزلها . وقد اتقى الماشقان فيه فكان عراك شديد اشتهر أمره حتى اضطرت المرأة إلى مقابلة باريس هربا من الفضيحة والعار وما كان ليخفي علي ما يصيبني من كل هذه المهازل ، إذ أصبحت مبارزتي من أجل هذه المرأة وتولني بها جميع مافلت من أجلها سخرية وهزوا ، وما كان ما توصف به من أخط الصفات وما يفترض من عمرها فوق ما اشتهر منه إلا ليشتري بأنني لم أكن إلا واحداً من عديد من تناولهم خداع هذه المرأة الساقطة

ولاحظ الشاب امتعاضه فوقفا عن التماذي في السخرية ؛ غير أن ديجنه لم يقف إذ كان مصمماً على معاملتي معاملة الطيب يعالج صريضة بقسوة لا بد من الأخذ بها ، وكان يرى لنفسه هذا الحق وهو الصديق الجيم الذي محضني الورد وياداني الخدمات العديدة ، وقد اعتقد بحسن نيته فما زاده اضطرابي

أو عنابة الهبة ، سيما ما شئت ، ولكنها كائنية وما ينفعها التمارض في معنى كلماتها . على أن جميع من يذكرون قيصر ونابوليون لا يفوتهم أن يصفوا كلاهما رجل العناية الإلهية ، فكأنهم يرون الأبطال دون سواهم من الناس يستحقون عناية السماء بهم . ولعل الألهة في اعتقادهم كالثيران في حلبة الصراع لا يستهويها سوى الأوشحة الأرجوانية إن ما ينتج عن أحقر الحوادث في هذه الحياة وما تبدل في مسالكنا أنه الأمور ، لمصلحة تفتح أحرق الماوى أمام التفكيرين

إن أفعالنا لشبيهة بالسهم الصغيرة التي تتلوى بتفويقها نحو الهدف حاسبين أنها ستجده طوع اختيارنا ومهارتنا ، ولكن لفحة من الهواء تهب على أحدها فجأة فتحوله عن مجراه وترفمه لتدفع به إلى تجاهل الآفاق

إننا نشمر بصدمة مروعة عندما يتضح أن كبرياءنا الواقعة من ذاتها ليست إلا شعباً يتجلى مهارة وعزماً ...

إن القوة نفسها وهي سيدة العالم التي يقبض الانسان عليها وينتضيها سيفاً يناضل به في مترك البقاء ، انما هي خاضعة ليد خفية تحولها عن الهدف الذي نرى اليه ، فاذا جهدنا متطلي كالسيف خلا أمامه مضربه فرمى بمجمله الى الحضيض

هكذا بينما كنت أتجه بكل ارادتي الى تطهير نفسي من أدراخ خليتي ، ولملمي كنت أتجه أيضاً الى ازالة العقاب بنفسى ، رأيتني ماثلاً أمام تجربة خطيرة قدر على أن أسقط فيها

وكان البشر يطفح من وجه ديجنه ، فانطرح على المقعد وهو يتحكم بجأين عليه وجهي من اضطراب ومن سهد ، وما كنت في حالة أحتمل

فصل منها وهو مسك الختام ؛ فاعلم ، يا عزيزي .
أوكتاف أن المراك بين عاشق خليلتك القديعة إنما
وقع في ليلة مقمرة ، وبينما كان كل منهما يهدد الآخر
بقطع عنقه ، لاح في الشارع خيال يتمشى على مهل
وقد عرف أن هذا الشبح لم يكن مواءك أنت . .
وصحت به : — ومن قال هذا . . من رأى في
الشارع ، أنا . . ؟

فقال : هي خليلتك بمنى التي رأيتك . . وهي
نفسها أخبرت بذلك وهي تضحك وتؤكد للناس
أنك لم تزل هائما بها وتقضي الليل كالسوس أمام
بابها . أفلا يكفيك أن تعلم أنها تملن هذه الأمور
على مالأ الأثهاد ؟

ما تمكنت يوما أن أكذب في حياتي ، وفي
كل مرة حاولت أنت أموه الحقيقة يفضحني
وجهي . ولكن هذه المرة شعرت بتسلط الخجل
على من إعلان ضمني ، فقلت في نفسي : (ما كنت
لأقف أمام بابها لو أنني عرفت أنها تدهورت إلى هذا
الحد) واجتهدت أن أنفخ ذاتي بأنه لم يكن بإمكان أحد
أن يراني ويعرفني ، فحاولت إنكار الواقع ، ولكن
الاحمرار علا جبيني فاتحاً أمري . وحقد ديجنه
بي وهو يتشم فصحت به : — حذار ، يا هذا ،
فانك تتجاوز الحد

ودفعت في الغرفة أذرعها طويلاً وعرضاً كمن
ققد ضواها ، وحاولت أن أضحك فصناني الضحك ؛
وأخيراً وجدت نفسي تجاه ستر متحرك فقلت : —
وهل كنت أعلم أن هذه الشقية ...
فانقبضت شفتا ديجنه كأنه يصر على قوله :
أفأ كان بكفيك ما عرفت ؟ .

وجت وكان اللهم — وقد انقبضت عليه عروق
ربع ساعة — تصاعد إلى صدغي فأبها فبها فبدأت
أكرر القول وأنا لا أحي — أينما كنت في

إلا إقبالاً في الشدة ليقتذف بي إلى السبيل الذي يريد
لي ، ولكنه ما لبث أن شعر بنفاذ صبري فاختر
السكوت ، وما كان سكوته هذا إلا يزيد من ثورتي
فبدأت بدوري أنهرش زائرني مستفهما وأنا أعشى
ذهاباً وإياباً في الغرفة متوقفاً بجماع التفاضيل عن هذه
الحوادث التي صمعت لها . وكنت أتكلف
الابتسام ثم أنظاها بالسكون ، فاجتحت محاولاتي ،
لأن ديجنه تمنع بالصمت فجاء يمد أن ذهب بثرته
إلى مدى بعيد ، فكان ينظر إلى بهود وأنا أذرع
غرفتي بخطواتي كالتملب أطبق قصصه عليه

وشعرت بمجزى عن بيان ما كان يدور في
خلدني : أصبح أن تلك المرأة التي تربعت صنما
معبوداً في صميم فؤادي والتي ذقت من هجرها
الأمرين ، تلك المرأة التي حصرت فيها كل هيأى
وأردت أن أبكيها مادمت حياً قد استحال ما بين
ليلة ونحاما فاحشة تلوك اسمها ألسنة الشبان ،
مهتوكة تملن بنفسها فضائحها على مالأ الأثهاد ؟

وكنت وأنا استعرض هذه الأمور ذهني
أحس كأن كايًا يطبع على كتفي علامة المار . وكلا
استغرقت في التفكير كانت تتكاثف الظلمات حولي
فأدير رأسي عن جلسائي وأنا شاعر بابتساماتهم
ولحظاتهم تنصب على لاستجلاء سر برقي

وكان ديجنه يتبع حركاتي وسكناتي وهو
لا يجهل إلى أن يتجه بما يفعل لأنه كان يعرفني
ويعرف أنني أقدم على كل أمر وأتجاوز كل حد بما
في من اندفاع إلا حدًا واحدًا وهو الشرف ؛ لذلك
كان يقصد أن يصم الأذى بالمار مستعينًا على
عواطفني بتفكيرتي

ولما رأى أنني وصلت إلى الحد الذي يريد ،
صوب آخر منهم من جوبته إلى فقال :
أفأ أعجبتك هذه القصة ؟ إليك الآن بأخر

هذه المحاولة السخيفة تهتف هازئة : — هذا هو جزاؤك . . .

لو جاء هؤلاء الصحاب فقالوا : إن الناس يهزأون بك لكنت أجيبهم : ما لي وللناس ؟ ولكنهم جاءوا يقولون إن خليلك لا زمام لها ولا عهد

إذا ، لقد اشتهرت الفضيحة وثبتت بشهادتين ما كان يمكن لمؤدبها أن يملأنا وجودي على ما كنت عليه دون أن يحدنا بما كانا عليه أيضاً ، فإذا أ كذب الناس ، وما بوسى أن أقول لهم ؟ وأين أجد لي ملجأ وقد أصبح قلبي وهو مركز حياتي طلالاً مهدماً . وهل لي ما أقول إذا كانت هذه المرأة التي ما كنت لأتردد في اقتحام أية سخرية وأية ملامة من أجلها واحتمال جبال المصائب تنهار على في سبيلها ، هذه المرأة التي أحببتها فأحببت سوى فاطمة بالنور النطفيء بل قننت بأن أقف باكياً أمام بابها لا لشيء إلا لألعب فيها وأنا بعيد عنها شيئاً المضيئ وقد استجالت إلى أطراف تذكار ، ولأفخر اسمها دون سواء على لوح قبر دفنت فيه جميع آمالي ... هل لي ما أقول إذا كانت هذه المرأة هي نفسها تسخر بي وتهزأ بدموعي ؟ إنها هي نفسها أول من أشار إلى بيناته قاضياً على التثنية أمام من لا عمل لهم إلا الاندفاع في ميلهم إلى الاستمراء عن يحتقرهم ...

أجل ، هي نفسها من روى بالاهانة إلى خارجة من شفتين طالبا التصقتا بشفتي ومن جسد كان روحاً لحياي بل دماً من دمي ولحماً من لحمي . وهل من إهانة أقطع من هذه الإهانة وما هي الاهانة لارحة فيها تصفع الجبين الوجيع برشاش نفثاتها ... وكنت كلما استغرقت في آلامي يمتد غصبي وتضطرم ثورتي ، وما أدري أيسح أن أصف

الشارخ غارقاً بدموعي ، كان المراك قائماً بين الماشقين ؟ في تلك الليلة جرى هذا .. وقد هزأت بي . . . لقد سخرت في ١ . هي ؟

أما رأيت هذا في حلم يادينه ؟ أيمكن أن يكون مثل هذا صحيحاً ؟ ...

وكنت وأنا أدفع بهذا الهذيان أشعر بالغضب يساورني حتى استولت على هزة عنيفة اضطرتني إلى القعود وبدأت ترتعش .

وقال ديجنه : — ما لك ولهذا الهزلة تقابلها بالجد ، يا أوكثاف ؟ لقد أوهقتك هذه الهزلة منذ ثلاثة أشهر ، والأمر ظاهر ، فأنت بحاجة إلى التسلية . تعال لتناول المشاء سوية وغدا نذهب للتنزه في الضواحي

وكان يقول هذه الكلمات بلهجة فملت في نفسي ما لم تفعله أواجي . إذ شعرت بأنه يمايلني معاملة طفل عليل

وبقيت ساكناً أحاول التغلب على ذاتي عناجتها قائلاً : — لقد خدعتني هذه المرأة فجاءت بمدىها النصائح السيئة تمل قلبي ، وما وجدت لي ملجأ لا في العمل ولا في ادهاق قواي ؛ ولم يبق لي وأنا في العشرين من ربيع الحياة ما يقيني التدهور في القنوط أو الفساد إلا ذخيرة الآلام المريعة أستعبد بها وقد جاءني الآن من يريد تحطيمها بين يدي : إنهم لا يوجهون الأهانة إلى حبيبي الآن بل إلى أباسي ، لقد أصبحت سخرية وهي نفسها تهزأ بي ... وأنا أبكي

وما كنت لأصدق بوقوع مثل هذه القرية ، فكان الماضي بأمره يحتاج تذكاري فأرى ليالي غرامنا القديم تمر أمامي كأشباح تتوالى مترامية على شفير جرف لا قرار له غير صخور مظلمة كالمدم وكنت أسمع فقهاء تتجاوب أسداؤها فوق

ولو اضطرت إلى حفر هذا القبر في صميم فؤادي قلت هذا وارتميت على مقعد أنظر إليهم يدخلون الفرفة وأنا أشمر بالسرة الرائثة التي يشمر بها كل إنسان بفرج كرب الاحتقار عن نفسه ، وإذا ما خطر لإنسان أن يعجب لا يتخاذى منهجاً جديداً في حياته ، فاذكك الإنسان بمطالع على خفايا القلب البشري ولا هو يعلم أن المرء أن يقف عشرين سنة على تردده ، وليس له أن يتراجع إذا هو دفع بالخطوة الأولى على أي سبيل

الفصل الثاني

ما أشبه من يصاب بالدوار عن يتبلذ للخلاعة والفحشاء ١ وما أوائل الدروس إلا رعب تمازجه لذة الشرف مرتجفاً من برج مرتفع على الأشماق إذا كانت الرذيلة المسترة تنال من نبالة الخلق وتحط من معزة النفس ، فان في الخلاعة الصريحة التي تقتحم الهواء الطلق شيئاً من كبر الحسارة تراه متجلياً في أشد الخلاء فساداً . إن من يسير تحت جنح الليل سائراً أنه باردانه ليطلع حياته متكرراً نافضاً زياء نهارة خلصة ، إنما هو كبعض الايطاليين الذين يربلون خناجرهم رشقاً إلى ظهور من لا يجروون على منازلته . إن في الزوايا المظلمة وفي التلاق تحت جنح الليل ما يشبه كين الأشرار ، في حين أنك ترى في مقطم المطارة الصاخبة شيئاً من صفات المحاربين ، فتحسب أنك تشاهد عمراك في موقفة وتهتف بك الكبرياء قائلاً : إن جميع الناس يفعلون هذا مستترين ، فاهتك الستر أنت وأقل علانية ما يرتكبونه في الخفاء وإذا ما ادوع الخليج هذه النجوى ، فإن شماع الشمس لينمكس ملتصماً على درعه

ما كنت أشعر به من الغضب ، وكل ما أعرف عنه هو شعوري بآطافه الانتقام . ولكن أنى لي أن أنتقم من امرأة ؟ . وأين السلاح الذي يمكن لرجل أن ينال به من امرأة لأشتره باعز وهان ؟ أية ضربة أوجهها إليهما وأنا أعزل حتى من السلاح الذي رشقني بناره ؟ وهل لي أن أنازلها بما نازلتني به من وقية واغتياب ؟

ولاح لي فجأة وراء الباب الزجاجي خيال الفتاة التي كانت لم تزل تنتظر الافراج عنها . وكنت نسيها تماماً ، فهضت من مقمدي ومحت بأعجابي : اسمعوا ... لقد أحببت ... ، أحببت كجنون بل كأحمق فاستحققت كل ما ترشقونني به من عار ؟ غير أنني سأعرض عليكم الآن ما بثت لكم أنني لم أعد ذلك الأحمق الذي تنوهمون

ودفعت باب الفرفة الصغيرة برجلي فأنكشف نجماً الفتاة وقد لجأت إلى زاوية لتتقى الأنظار ومحت بديجته : أدخل ، أنت يا من رأني مجنوناً لهيأى بأمرأة ؟ أنت يا من لا تحب إلا بنات المواخير ... أفأ ترى حكمتك تختال هنا في هذا الفرفة ؟ سل هذه الحكمة ، سل هذه الفتاة عما إذا كنت قضيت ليلتي كلها تحت نافذة تلك المرأة ، فأنها أخبر من سواها . . . ولكن ليس هذا كل ما أريد أن أقوله ؛ إنك تدعوني إلى تناول المشاء معك هذا المساء وإلى زهرة في الضواحي غداً ، فأنا أقبل دعوتك ، ولكنك لن تبارحني منذ الآن ، فلتمض النهار سوية ، فأقدم لكم ما تشاؤون من خر وورق ميسر وأزهار . أنتم لي وأنا لكم ، فلتتماهد على هذا الشمار ، لقد شئت أن أرفع في قلبي مزاراً أحسنت به غرامي ولكنني الآن سأزل هذا الغرام إلى قبر أدفنه فيه

ولا بالنربان تحوم ناعبة فوق رأسه
لقد سردت الحوادث التي رمت بي إلى هذه
الحياة ، فلي الآن أقص ما رأيت فيها :
لأول مرة رأيت فيها المجتمعات التي يدعوها
مراقص مقننة ، كنت سمعت من يقول إن فيها
دعارة القصور وإن إحدى ملكات فرنسا تنكرت
فيها بزي بائنة أزهار ، ولكنني ما شهدت في هذه
المراقص إلا بائعات أزهار متنكرات بزي خادمات
الجنود . كنت أحسب أنني سأجد فيها المدارة
فكذب الواقع حدي ؛ وما يمكن أن ندعو دعارة
هياكلاً متساقطاً من دخان ، ولا اللكم والصنع ،
ولا فتيات سكارى منطرحات كالأموات على ركاب
الكؤوس المخطمة

لأول مرة رأيت فيها فسق المائدة ، كنت
سمعت أحاديث الشرابة في الولائم وبلغني اسم
فيلسوف يوناني أقام دين الفطرة على لغة الحواس ،
فكنت أتوقع أن ألقى في هذه الولائم شيئاً من
الاستغراق للنسي إذا امتنعت الأفراح الحقيقية فيها
فما وجدت إلا أقبح ما في الحياة : ما وجدت
إلا ملالا يحاول أن يتمتع بالعيش ، فكان هنالك
قوم يسودم الخلق الانكليزي يتحدثون عن أعمالهم
ويجدون التسلية في هذا الحديث وهم يقدرون
ملذاتهم على ما بذلوا من مال ، وعلى هذه الوتيرة تدور
عليهم ردى الحياة

لأول مرة رأيت فيها بنات الهوى يمدن أن
كنت سمعت قصة (اسبازي) يحتمنها (السيباد)
وهو يتناقش مع (سقراط) ؛ كنت أتوقع أن أرى
انطلاقاً وقحاً فيه شيء من الروح وخفة الروح ؛
كنت أتوقع أن أشاهد ما يفنى ويطلقو كساب
الراح المثقة فما وجدت إلا شفاهاً مترخية وعبوتاً
جاحظة وأأمل مشنجة

قبل أن ديموكليس كان يحيا وفوق رأسه سيف
معلق ؛ وما حال الخلاء إلا مثل حاله ، فان فوق
كل منهم سيفاً يقول : تقدم . . . تقدم أبداً ،
فأنا معلق بخيط على وشك الانقطاع
وما أرى ما أسور به حياة الخلاء إلا وصف
مجلة يقدمها في أعياد الرفع رهط المقتنين ، وهي
تخترق الطرق مكشوفة يلعب الهواء على عابليها من
مشاعل تنير الوجوه المكسدة ، وعلى هذه المجلة
فئة تفتي وفئة تضحك وبين الفئتين تلوح غلوقات
كأنها نساء ، وما هي في الواقع إلا قبايا نساء عليهن
من الإنسانية آثار عافية . ولهن من نساء يلقيهن
بين القبيل كل أنواع الامانات والتحقير ولا يعرف
المحتضن لهن هوية ولا اسماً

وكل هذا الرهط تسير به مجلة الساخر مفرقة
تنبرها مشاعل الغاز اللهب ، وقد تحكم السكر في
الرووس فجدد فيها كل تفكير . ولقد تخيل إليك
من حين إلى حين أن هنالك ما يشبه الاحتضان
والتقبيل ، وإذا تدحرج أحد من هذه المجلة فما
يهم أحد بأمره ، وهل يهم شيء من يرى نفسه
خارجاً من عدم سائراً إلى عدم . . . على هذه الوتيرة
تسير خيول العرب خبيكاً ويعر رهط المسافرين
إذا كان الدهش هو أول ما يشعر به المنخرط
في سلك الخلاء ، فما يشعر به بعد ذلك إنما هو
الاستمزاز بقبض على القلب ليجره جراً إلى الاشفاق .
إن ميدان الخلاعة مجلى للقوة أو بالأحرى مجال
لنقاد القوى ، وذلك ما يجتذب الكثيرين من
عشاق المجازفة ، فيقدمون الى هذا الميدان ليبدلوا
نفوسهم بمبدن ما فهم من قوى ، فهم كالغافرس
المنيد يمتطي فرساً جوحاً وينطلق غير شاعر بما
يملق من لجه ومن دمه على أشجار الطريق ولا بالشرد
بتظاير من محاجر الذئاب تنبئه في الأرجاء المقفرة

هذا الزمان ولا في الزمان المنصرم إلا كلمة «البقاء»
وما حفرت هذه الكلمة على الذهب للتوهج بشمع
الشمس بل على الفضة التي تبدو لمينيك باهتة كأنها
مغشاة بكدورة أنوار الليل

لأول مرة رأيت فيها الشعب ، كان ذلك في
صبيحة المرفع (أرباء الرماد) عند منحدر (كورنيل)
وكانت السماء قد أمطرت الأرض رذاذاً منذ مساء
فأصبحت الأزقة كأنها مزارق أوحال ، وكانت
المجلات الحاملة رهط المفقنين ترمته دافعة بلا نظام
بين المتفرجين على جانبي الطريق ، وهم واقفون رجالاً
ونساء يمرضون أنواعاً من القبح على الرصيفين .
وكانت تلعب في محاجر هؤلاء الناس عيون أعارتها
الجر لوها فبدت فيها نقمة الوحوش الكاسرة .
وما كانت سدائم المجلات تنال صدورهم لترجمهم
قيد أكلة الى الوراء ، وكنت أنا واقفاً على مقدم
إحدى هذه المجلات المكشوفة فكنت أرى من
حين الى حين أحد المتفرجين يتقدم نحونا من صفه
وهو بأسماله ليوجه إلينا أقطع الشتام ثم يرمينا
بحفنة من الدقيق ويمود أدرأجه . وما طال سيرنا
حتى بدأ الناس يرشقوننا بكتل من الأوحال تخمنا
تراجمنا بل داومنا التقدم نحو جزيرة النرام وغابة
(رومانفيل) موطن المناق والسرور . وسقط أحد
أصحابنا عن مقعد المجلة الى بلاط الشارع ففرع
الشعب إليه قاصداً تحطيم عظامه ... فترجلنا وأدخنا
به لوقايته وكان حامل النفير يتقدم المجلات ممتطيا
جواده فرشقه الشعب وقد فرغ ما لديه من الدقيق
بمحجر خدش كفته

وما كنت سمعت بمثل هذا من قبل ، فبدأت
أترقب حالة المصر الذي نميش فيه
(يتبع) فليكس فارس

لأول مرة رأيت فيها السيدات المتهتكات .
كنت قرأت (بوكاس) و (باندالو) بعد أن
طلعت (شكسبير) ، فكنت أتخيل هؤلاء السيدات
ملائكة جسيم يواجهن الحياة بالرشاقة والرح ،
وكنت أربم منهن أشكالا تنم عن الجنون في
الخيال ، وقوة الابداع والفحة بعيون ساحرات
تثير برشقة لحظ فاطر أحداث شجون وغرام .
كنت أحسهن في الحياة تموجا واهتزازا كأنهم
البحار ، وأراهن مرصحات غلات ، أو منطرحات
سكرا من غمرة الحب والهيام . هذا ما كنت
أتصور وما كنت أتوقع أن أرى ، فإ رأيت إلا
محررات رسائل وضاربات مواعيد ، دأبن لإرسال
الأكاذيب لرجل مجهول بعد رجل مجهول ، وستر
الدنيا بالرياء ، يوما يميني إلا الى هدف واحد :
الاستسلام والنسيان

لأول مرة ارتدت فيها أنفية اليسر ، وكنت
سمعت الأحاديث عن جداول الذهب والثروات
بالحظة من الزمان ، وعن سيد من قصر هنري
الرابع ربح بورقة واحدة مائة ألف ريال وهي قيمة
ما كان يرتدي من ملابس ، فإ رأيت في هذه
الأنفية إلا دكان أثواب يستأجر منه المال المرتدين
قيصا ليس لهم سواء ثوبا بمشرين درهماً لتخضية مهرة
واحدة ؛ وما رأيت إلا جلاوزة يمحسون باب ناد
فيه رهط الجائنين يقامرون مجاذفين بطلقة عيار
نارى على أدمغتهم مقابل رغب ...

لأول مرة رأيت فيها مجتمعا للخاصة وأللعامة
من ثلاثين ألف بنى حملات اجازة يبيع أعراضهن
في باريس ؛ وكنت سمعت بكل فيالق الفخشاء
في كل زمان من عهد بابل الى أيام روما ، وقد
كتبت على أبوابها « اللذة » فإ رأيت لا في

نام أوديسيوس منهوك القوى
وذعبت ميزرقا تدبر له أمراً في شيريا ، بلاد
السلافة ذوى المجد من أبناء فياشيا — ملوك البحر
الذين فروا من وجوه جيرانهم الجبابرة
السيكلوبس — في مصر الخالي ، وزلوا بهذا
البلد ، فسادوا حصونه ، وأقاموا أسواره وتوزعوا
أرضه المخصبة ، وأسكنوا الدور والقصور ،
وأنشأوا المابد للألهة عرفاناً وشكراناً
وقضى ملكهم وزعيمهم نوزيتوس ... ثم
استوى على العرش من بعده ألكينوس ، حبيب
الآلهة ، وصفي السماء

كانت الأميرة الحسناء ، نوزيكا ، ابنة
ألكينوس الملك ؟ نطق كاللاك في نوم عميق بين
وصيفتين رائعتين من وصيفاتها ، فوق سرير وثير
في مخدعها الملكي الفاخر

وكان رواج الباب محكما كأنه رواج باب الجنة ،
ولكن ذلك لم يقف بسبيل ربة الحكمة ميزرقا ،
التي خطرت الى الداخل كنسمة فادية من نسيات
الصباح ، ووقفت لدى رأس ابنة الملك تزخرق لها
هذا الحلم النفى الجليل ، وكأنما تبدو لها في المنام في
صورة صديقتها وأختها أتراها ابنة ديماس الكريم :
« نوزيكا ! يا وضح لك أيها التوهم المكسال !
أهكذا تهملين ملابسك وأنت موشكة أن ترقى إلى
عروسك ، وعليها يتوقف مظهرك ومنظرك
ورواؤك ، ورواء حاشيتك وسائر وصيفاتك ؟ كما
يتوقف عليها زهو أربك بين الناس . انهضى مع
الفلسف^(١) فاذهي بطارنك إلى الفتى عند ضفة
النهر فاعسلها وأعديها ليوم زفافك ، يوم تودعين
مرح هذا الشباب الخالي ... هلى إلى ساعلونك ،

(١) الفتى أول ضياء الصبح



الأوديسية

لهرميرس

بقلم الأستاذ دريني خشبة

مقدمة ما تقدم

« لم يعد أوديسيوس البطل اليوناني فيمن عاد إلى
بلاده بعد حرب طروادة ، لأن نبتيون إله البحار
كان عدواً لنودا له فصرده في البحر — وكانت
زوجة البطل من أجل نساء البلاد قطع فيها الطامسون
كل يريدوا زوجة له . فحاصروا منزل أوديسيوس
ليرغموها على التزوج من أحدهم . وقد ثارت ميزرقا
ربة الحكمة لهذا فبدت تفتي تلياك بن أوديسيوس في
صورة آدمية وجعلت تعرضه على البحث عن أبيه ،
فزار لهذا الفرش ملكي بيلوس وأسبارطه ، صديق
أبيه ، فأكرما وفادته ، وأخبره الأخير عما علم من
أخبار أوديسيوس . وروع الساق لما علوا ما كان
من سفر تلياك فترهبوا له عند إحدى الجزر ليقنوه
في المودة . أما أوديسيوس فقد انتهى به اللطاف في
البحر إلى جزيرة سيقية تسكنها إحدى عرائس الماء
(كالبيسو) التي وجوه وشفتها جبه فاحجزته
عندها حتى أرسل كبير الآلهة واده (هرمس) بالحاح
من ميزرقا يأمر عروس الماء أن تصد مركباً
لأوديسيوس يعود عليه إلى بلاده . وأبحر السكين
وما يزال اللوح يلعب به حتى كاد يفرقه نبتيون عند
شاطئ جزيرة ملوك البحار — ولكنه نجا وتأم
منهوكا في غابة فون السفح »

المطارف ونشرها فوق حصياء الشاطئ الذى طعمه
الدونضحة الجزر ، واغتسلن بمد ذلك وتضمعن ،
وجلسن على شفا النهر يتلفعن بلبقات ، ثم وضعن
فتلاعن بالأكبر ، وتفتت ابنة الملك أعذب الأغاني ،
وتثنت كما تثنت ديانا فى شفاف الجبال وفى بدا
القوس والترس ، وتصيد الخنازير فى أربعات
— ومن حولها رجب من عذارى الآلهة ، وابنة
لاتونا تتيه^(١) عليهن وتدل ... كذا كانت تيس
ابنة الملك ، فيكشف لألواها جمال الأخريات

وهنا ... شاءت ميرفا أن يهب أوديسيوس
من نومه ، ليشهد الشداء الهيفاء التى كُتبت فى
الأزل أن تقوده إلى المدينة ؛ ففبا كانت نوزيكا
تضرب الكرة لتلقفها إحدى وصيفاتها ، إذا هى
تملو وتملو ، ثم تدوم كما يدوم الطائر ، وتهوى
فى الباب الصطخب وسط النهر ...

وصرخ المذارى صرخة داوية ، فانتفض
أوديسيوس وهب مذعوراً مشدوهاً ليرى هذا
النظر المحجب

« ويحيى ! أى بنى الموتى قُطبان هنا ؟ ليت
شمرى أشوس^(٢) عرابيد أم أكرام أجويد ؛ أبوه !
إنهن عرائس ماء تفرعن فرجعت النيران أضياء
صراخهن ، وتراقص الحجاب فى العباب من
جبرسن ، وتثنى الكلا نثوة فى الوادى ! لأدلف
نحوهن فأرى إليهن ... »

وخطر من دَعِينَتِهِ^(٣) خطر ان الأسد
هاجته الماصفة ، فانتقدت فى عينيه جمرتان من
غضب ، أو ظمى فاشتدت غلته إلى الدماء ...
وذال^(٣) نحو المذارى ، فما إن رأيته حتى تفرعن

أنت يا ساحرة ألباب شباب الفياشيين ١ سلى
أباك رسل إليك عربية وبقلاً تحمل ثيابك ومطارفك
إلى مُدَوِّة النهر حيث لا شاهد ولا رقيب . »

وانفتلت ميرفا ذات العينين الزرجيتين ،
ورقت أسباب السماء حتى كانت فوق ذروة
أولب ... حيث السكون والمسدوء والصمت ،
وحيث مستقر الآلهة ، وحيث لا تنصف ريح
ولا تغلب سحب ولا تدمع عين مطر ... وحيث
السماء لازوردية ساقية إلى الأبد

وخطرت أورورا فوق عرش المشرق ، وأرسلت
من لسنها أميناً من رسل النور يداعب جَفْنَى
نوزيكا ، فهبت وحملها الجبل كما يفتأ يساور رأسها
الصغير ، وهرعت من فورها تبحث عن أبويها
تقص عليهما أبناء ما رأت . وقد أُلْقَتْ أمها لدى
المدفأ مكبة على غزل من صوف أرجوانى موسى
بصبغ بحرى ، ومن حولها وصيفات يساعدها ...
ثم لقيت أباه يكاد يذهب ليرأس مجلس شيوخ
الملكمة ، فاستوقفته ، وكلته فى العربة ، واحتجت
بملايس إخوتها الخمسة الذين يستحبون أن يراقصوا
العذارى فى الحفلات بملايس لالتيق بأبناء الملوك ..
وعقد الخجل لسانها فلم تذكر مطارف زواجها
وشفوف زفافها ... ولم يبخل أبوها بما طلبت ، بل
أمر لها بعمرة كبيرة عديدة ودواب ، وزودتها أمها
بأشربات وآكال وطيبوب، وسروخ^(١)

واستوت مع وصيفاتها فى العربة ، وساطت
البغال فانطلقت تملوى الرحب إلى النهر حيث
وقفت عند منترج يترقق فيه بلور السماء ، متدفقا
من ينبع قريب . وسرحت الدواب لترعى المشب
الحلو النامى على حفافى الماء ، ثم أخذن فى غسل

(١) ما مسح به الجسم من دمن أو طيب أو غيرها

(١) هى ديانا

(٢) الدغيلة والدفلى الشجر اللثغ

(٣) ذال وذال بمعنى قى خفة ونشاط

إلى مدينتها ، وتسبغ على — أسبغت عليها الآلهة كل ما تمنى من هناءة وبلهنية وقران قوى العرى لا تتناول إليه أعين الأعداء — « دأركا يسترسوه قى » وأجابته نوزيكا : « حبا أيها القريب النازح وكرامة ! إن سيالك تدل على نبل ، وتمتلك بغيره عن رفة ! اصطبِر على ما ابتلاك به سيد الآلهة الذى يده العزة ، يشقى من يشاء ، ويهب لمن يشاء . سآذلك إلى المدينة ، مدينة الفياشين ملوك البحر ، التى أنا ابنة ملكها العظيم ألكينوس ، رب نعماتها ومصدر رخائها » وأومأت الى وصيفاتها وهى تقول : « مكانكن يا عذارى ! فم فرازكن هكذا من إنسى كرىم ؟ لقد آبت الآلهة أن نطأ قدم عدو أرض أحبائنا ، بلادنا المقدسة ، التى انمزلت فى لجج هذا الخضم عن كل العالم . إنه غريب يا عذارى ، جواب آفاق ، قذفه البحر الى شاطئنا ، فرحبا به ضيفا من لدن زيوس ، وأهلا بوفادته وسهلا ... هلم إذن يا صو محبات قدمن له طعاما وشرابا ، ثم هيئن له حماما فى منوع ظليل عند حفافى النهر »

وأهرع البنات قعدن أوديسوس الى منوع ذى ظلال وأفياء ، وأعددن له ثوبا وكساء ، وهيان طيوبا يتضمخ بها إذا فرغ من حمامه ، وسألهن أن يذهبن بعيدا حتى لا يترى أمائهن ، إذ « ... لشد ما يحجبني أنت أبوعاريا أألم الخرد الحفريات ! » ... وهادين إلى مولاتهن يحذثنها بما قال : بينا هو قد اقتذف فى الماء ينسل كاهله وحقوقه مما حمد عليهما من ملح اللجة ، وسعد فتضمخ بالطيب النمين ، ثم أسبغ على بدنه المتيد ذلك الكساء الذى منحته إياه نوزيكا ، ومن أعجب العجب أن ميترقا نفسها كانت تعاونه فى تجميل خلقه ، وتزيل من شعره الكث

وولتين مذعورات فى الشاطى ذى النوى ... إلانوزيكا ! فقد نبغت فيها ميترقا من روحها ، وزعت من فرائعها رجة الخوف ، فوقفت شماء الأنف تنتظر القادم ... وارتيك أوديسوس ولم يدر ماذا يصنع ؟ أيجثو تحت قدمها يتوسل ويتضرع ، أم يقف عن كسب يستعطف ، ويسأل الفتاة دأركا ، ويرجوها أن تهديه إلى المدينة ! وآثر الثانية قتلطف ، ثم قال :

« عَمَرَكَ اللَّهُ أَيُّهَا الْمَلِكَةُ ! أَرَبَّةَ مِنْ الْخَالِدَاتِ ، أَمْ حَسَاءَ مِنْ بَنَى الْبَشَرِ ؟ أَضْرَعُ إِلَيْكَ أَنْ تَجِيبِي ! فَانَكِ إِنْ كُنْتَ رَبَّةَ ، فَا إِخَالِكِ إِِلَادِيَانَا ، ابْنَةُ سِيدِ الْأُولِبِ ! وَلَمْ لَا ؟ وَلَكِ قَسَامَتَا وَوَسَامَتَا وَقَدَمَا الْمَشُوقِ ، وَحَسَنَتَا السُّوَى ، وَجَاهَلَا الرُّوَى ! أَمَا إِنْ كُنْتَ مِنْ بَنَاتِ حَوَاءَ ، فَأَسْمُدِ آلَكَ بِكَ ، وَلَشَد مَا زَهَوْنَ بِجَاهِكَ ! كَلَّا خَطَرْتُ فِى مَلَبِ ، أَوْ بَدَخْتُ ^(١) فِى مَرْتَعٍ ... ثُمَّ مَا أَسْمُدُ الزَّوْجَ الَّذِى سِيَحْظِي بِكُلِّ ذَلِكَ الْجَمَالِ ، لَا يَضَارِعُهُ فِى الْعَالَمِ جَمَالُ ! ! أَلَا مَا أَرُوعَ مَا تَبْقِيْنَ كَالنَّخْلَةِ الْيَانَةِ فِى دِيْلُوسَ ، عِنْدَ مَذْبَحِ أَبُولُو ، أَيُّهَا الْأَمِيرَةُ ! ! أَلَا كَمْ أَعْنَى أَنْ أَنْتُمْ قَدَمِيكِ ، لَوْلَا مَا يَنْتَابِي مِنْ رُوحَ ، وَيُؤَوْدِنِي مِنْ فَرْعَ — أَنَا — ذَلِكَ الْمُحْسَنَى الْحَزُونِ الشَّجُونِ ! — أَنَا — ذَلِكَ الْعَمِي الْمُوْهُونِ الَّذِى أَفْلَتَ مِنْ يَدِ الْمَوْنِ أَمَسَ ، كَثُرَ لَهُ مِنْ نَابِهِ فِى ذَلِكَ الْبَحْرِ الْهَجِي ، بَعْدَ سَفَرَةِ عَشْرِيْنَ يَوْمًا مِنْ جَزِيرَةِ أَوْجِيْبِيَا ، وَسَطِ أَنْوَاءَ وَأَلَوَاءَ ، وَمَوْجِ كَالْجِبَالِ حَتَّى شَاءَتْ الْعَنَابَةُ أَنْ تَطْرَحْنِي بِشَطْطَانِكِ الْحَبِيْبَةِ ! وَلَسْتُ أَدْرِي مَا خِيَاتَ لِي الْمَقَادِرَ بَعْدَ ! وَلَكِنْ ، هَلْ تَرَى مَلِيكَتِي مِنْ أَجْلِي ، وَهَى أَوَّلَ مِنْ لَقِيْتُ فِى هَذِهِ الْأَرْضِ بَعْدَ طَوْلِ عَنَائِي ، فَتَرْضَقْنِي

كالأعلام — والذي أخشاه أن يرانا الناس ثمة فيسهزؤوا بنا، وقد سلفوني بالسنة حداد، فأثابني سفاهة وتندر: ترى من يكون هذا التريب التريب المرقلي الذي يقص أثر الأميرة ابنة الملك؟ أي صدفة جمعت شملهما يا ترى؟ سرعان ما زارها تزف إليه عرساً كاعبا... قد يكون ضيفاً غير محمود من أرض نائية؛ أو ربما صادت بصلاواتها وتسيبها واحداً من الآلهة أبى من السماء ليقر في حضنها إلى الأبد... الحمد لله الذي من عليها زوج سعيد من بلاد غربية يشبع أمانتها الجائعة بعد أن رفقت الأيدي الكثيرة التي تقدمت إليها من أبناء الفياشين... هكذا يقول الناس إن رأونا أيها الرجل، ولهم الحق، فأنا نفسي لا أفي من اللأمة فتاة عذراء تستبج أن تمشي مكشوفة مع رجل غريب قبيل عرسها... ولكن اصغ إلى: إنك واصل حتى إلى أبي إذا اتبعت نصيحتي... بعد قليل سيصل ركبتنا إلى حرج أشجار الحور المقدس النابت في تخوم الطريق باسم ربة العدالة والحكمة ميرفا... وإن عنده لنبحاً يترقرق وسط كلاً وأعشاب... وإن عنده لحديقة أبي، الجنة الضحوك اللثاني! قف ثمة حتى إذا دخلنا بحن المدينة وحسانا في بيت أبي، ففقد أنت وادخل المدينة واسأل أي من الناس، ولو طفلاً يافقاً، عن قصر الكينوس الملك، أي الحبيب، فانه معروف مشهور لا يضارعه منزل آخر في سمته وأهنته؛ فإذا دخلته فلا تتوان لحظة، بل سر قدماً حتى تلقى أي ببالسة لدى الوقد المتأجج بجانب عمود مرمرى مكبة على غزلها الصوفي الوشي بأصباغ البحر، ومن حولها وصيفاتها يماونها في انجازها — وقريباً منها ترى أبي مستوياً على عرشه بطعم ويشرب كأحد آلهة الأولب... لا تكلمه...

الأشعث تليداته التي كانت تذبذو كأنها أزهار الخزامى... ثم هي بعد كل ذلك تضي عليه أمواها من البهاء تظلل بها صدره، كأنما هي فلكان الصنّاع يمل حلية من فضة وذهب، وجلس على الشاطئ في رونق وروعة، حتى إذا لمحه الأميرة المذراء أذهلها جماله، وقالت لوصيفاتها: «فأله يا صوبجات لقد شككت في حال هذا الرجل أول الأمر، وقد حسنته أفاقاً من رطاع الناس، لولا أنني أئن أن الآلهة لا تسوق إلى بلادها الحبيبة هذا الصنف من البشر... أما هو الآن، فليشد ما يشبه أرباب السماء! أواه! لوددت أن يكون لي زوج في بهائه وحسن سمته، على أن يبق آخر الدهر منا... هلم يا وصيفات... قدمن له طعاماً وخمراً» ومددن أمامه سحاطاً كبيراً، وزودنه بأحسن الأشراب والآكال؛ وأخذ أوديسيوس في أكلته حياً متادباً، رد عنه تلك المسغبة الطويلة التي أنهكنه وأوهت قوته

ووضعت أحمال المطارف والثلثاب فوق العربة؛ وشدت البغال، واستوت الأميرة في مكانها، ثم هتفت بأوديسيوس فقالت له: «هلم أيها النازح الغريب! إلى المدينة إذن! إني سأرشدك إلى قصر أبي، حيث تلقاه في جمع من أشراف الفياشين وسنطلق وسط هذه الحقول، وإن لي معك من أجل هذا لكلمة... لقد بنيت مدينتنا فوق صخرة راسية، وأحاط بها سور عظيم، ثم وصل بينها وبين قُرضتها جسر ضيق تقرر على جانبيه سقائنا، رابضة متراصة؛ ثم ينهض عندها معبد نبتيون العظيم، وبجواره سوق المدينة المبنى من الحجر الصلد، حيث تباع جبال السفن وشرائعها، وحيث تصنع مجاذيفها وأكثرت عتادها — لأن الفياشين لا يمتنون بشيء عنايتهم بهذه المنشآت في البحر

سيرة ابن الهولك

مسرحية شعرية في أربعة فصول

للكاتب الفرسى موزيس رستان

بقلم الأستاذ خليل هنداوى

وأفسى قلباً ! إلى ! فان
وجهك - تحت شمعي
الذي يواريه ظلك - يشبه
وجه أوديب ، فكأن حذراً
باريس - أنا مثله خاشاً ؛
لا أخشاك !
أبو الهول - أدن
يا مارسليوس !
مارسليوس - أجد
بعض التأثير على قلبي

أبو الهول - ألهذا السر جشماً !

مارسليوس - وهو الذي جشمننا العناء

أبو الهول - (ويراها الأحدث سنّاً ، فيلفت إليه
برأفة)

إنك تشبه قيصر الصغير ، إنه ظل ذهب ولم يعد
باريس - لم نأت لهذا ، يجب ألا نحوم حول
المهوى التي تريد اللقاء فيها ، إن صوتك تارة يتقاعد
وتارة يصبح بشرى اللوعة . إننا لم نأت لهذا ،

أبو الهول - سلى إذا عما تطلب ؛ أنا مصغ
إليك !

باريس - نريد أن نعلمنا سرّك ؛ وهو أكبر
الأسرار في هذا الطريق ، وهو السر الوحيد في
هذا الوجود

أبو الهول - لقد قلت لك ...

باريس - يجب أن نتنبأ ...

أبو الهول - كنت إخالك أكثر شجاعة

يناجي ابنة جوف ، الدّرة بابيجس

وهنا . . . وقف أوديسيوس بصلي ليرفا :

« يا ابنة جوف القوي المتعالي اسمي لي ! أضيخي
الآن ياربة ! لقد نصّحتني متى إذ كانت اللعج
تلقني فراعيني الآن اجعلي لي مرفقاً في أُمري ،
وهي لي عجة ورجة من قلوب أبناء الفياشينين
أنسى بها آلامي . . (آمين آمين)

ولبت ربة الحكمة واستجابت لدعائه : بيد
أنها احتراماً لعمها (نيتيون) الذي لا يفتأ يقتني
أثر أوديسيوس ، عدوه الأكبر لم تشأ أن تبدوله
(يتبع)
دربى خشمه

بل جاوزة الى أمي الرّوم ثم مسل حاجتك تقضها
لك ، وتمدك الى وطنك مهما كان سحيقاً نائياً ..
أتر في صميمها عامل الخير والهمة ، تدرك الى آلك
وذوبك وبلادك .. وسلام عليك »

ثم إنها ألهمت ظهور البقال فانطلقت تصدو
مولية عن النهر الذي صار يبتعد قليلاً قليلاً ..
وكانت نوزيكا آخذة بزمامها لتكبج من جاحها ،
حتى لا تفوت أوديسيوس من ورائها

وكانت الشمس تصبغ بالورس جيبن المغرب
حينما وصل الركب الى حرش مينرفا القدس ، الذي
نهض حوره الباسق في السماء نضراً ملتفّاً كأنما

أبو الهول — تقول : جريئة ! دون أن تعرف
أى سر أو أواره في أتواي !

باريس — كلما أممت في الفراغ في زدت عزيمتي !
لا سر عيت الروح المنيرة ! الزواج ! أريد
— منك — بياناً أيتها الشعلة التي تهافت على نارها
فراشات كثيرة

أبو الهول — أيها الطالب الفرق في سبيلي !
هل نظرت — أبة درجة بالغ الشحوب في وجهي ؟
تمال وانظر إلى أشعة القمر وانهم ! فالسر الذي
أكتمه هل يخلق هذه النشوة التي تودع في هذا
الشحوب الذي يزيد تفكيره وتأمله كلما زاد تأمله .
تمل انظر على شمع فارك الذاهله ، أتريد دائماً
أن تعرف الأشياء التي أعرفها ؟ هل تريد دائماً أن
تفرق في روعي الباعثة على الروح ؟ هل تريد
الحقيقة الأكثر بأساً ؟

نعم ! هل تريد دائماً يا باريس ؟ بعدما رأيتني
وعلمت أنني أكثر الكائنات بأساً لأنني أكرهها
خلوداً !

باريس — نعم : أريدها
مارساليوس — نعم : نريدها ، نريدها
أبو الهول — مع كل ذلك ؟
الاثنان — مع كل ذلك
أبو الهول — لا شيء . يستطيع أن يحيا بعد
معرفة لغزي ! لا يستطيع ..

الاثنان — تكلم !
باريس — أريد ذلك
مارساليوس — أريد أيضاً
أبو الهول — لا أستطيع أن أجيئكما معاً !
مارساليوس — ماذا تقول ؟

وأنت تدري أننا لا نحفل بشأن المارك الفانين ،
والآلهة الفانين ... تريد سر هذا الكون البعيد .
أنت تعرفه ؟ قل لنا !

أبو الهول — وإذا ...
باريس — قل لنا على أى حال !
أبو الهول — (بدلاى) لا ...
باريس — هذه كلنك الأخيرة ؟
أبو الهول — ما أجل هذا التعدي ؟ وإذا
كان توفى عن الكلام ..
باريس — كفالك ..

أبو الهول — وإذا كان من حسنة العالم بالترتيب
أن يبقى ساكناً ! وإذا كان التراب سيواريك غداً
فلماذا تديشون ؟ وإذا كان صميتي أسى ماتطيه رحمتي
باريس — كفالك كذبا ونهتاناً !

أبو الهول — وإذا كان سكوني في الليل أكبر
ما يمنحه قلبي الهادي ؟ وإذا كانت الحياة الخالية
من المعرفة خير وسيلة ..
باريس — (بنهول)

كيف تستطيع أن تعرف قلوبك كقلبي . يمكنني
أن أحتمل كل شيء !
أبو الهول — إنك تظن ذلك أيها البطل !
« حمت » كان يقلب جمجمة في المقبرة بكفه ولكنه
كان لا يدري الكلمة النهائية حين كان يقاب !
ربما كان في الشك سعادة : فاحفظ ذلك وامض
لطيتك !

باريس — لا أريد أن أبرح المكان !
أبو الهول — يا للضحكة التاعسة ! ولكني
سأصمت ..
باريس — صمتك جريئة

إلهي ! إن قلبي يبق سريماً ، والصحراء
— يخيل لي — أنها زادت آماداً... إلى أقدم
عليك يا أبا الهول ، وروحى التيقظة الآن تصمد
إليك أيها النور العجيب ! أرقى إليك... أقبل
عليك... وأحكمك...

(رقى مارسليوس إليه ، وكان القبل شاملاً...
يتحنى على فمه ليقول له السر ، وإيريس يتأمل جميع حركات
هذا اللغيف من الخلود والفاء ، مارسليوس يصغي ، وتراه
يصفر لونه تحت ضوء القمر ، ثم تنطبق عيناه وتتخذل قواه
كن أصيب بصاعقة)

باريس — (ملقياً بنفسه على جنة أخيه)
النجدة ! النجدة ! مارسليوس ! ليس هذا
بحقيقة . أختي لا تتلقى هكذا جفنيك ! كلني...
أجبنى ! ها أنا باريس يناديك يا كيا...
(يفكر فجأة أمام اللجنة في السكيات اللاتينية التي كان
يلقظها الدم الحى ورددتها)
إنك ستفتندو مارسليوس !
(بألم وبكاء)

هل جئت بك من إيطاليا إلى الصحراء ، إلى
الموت ، إلى الكآبة ؟
ألا تنفس قليلاً وأجبنى خلاك ذم ! إنني عجبك !
أبو الهول — لقد مات إلى الأبد ! أجل !
مات إلى الأبد !
(الليل فام الأصفاء ولا نجمة في السماء . أبو الهول
وحده يسمع أين الباكي)

إنه هجر هذه الأرض ، حيث يهوى كل
شئ ، هذه الأرض حيث نطأ تراب قبورنا .
انظر إلى السماء التي لا تحد ؟ إن في منتصف هذه
الليلة آلاف السكواكب الروعة كانت ترتجف
كأنها عيون متطلعة على مصائبنا . إنها كلة ؛ بل
كله بسيطة رُجِّمت في الليل ، وهذه الظلمة

أبو الهول — انتخباً أحدياً !
مارسليوس — باريس ..
أبو الهول — (بد صمت طويل)
مارسليوس !
مارسليوس — أختي ! لقد اصطفاني الآله
الحجبرى...

باريس — ستقول لي ما يحدث بك
مارسليوس — ولماذا هذا الانتقاء الغريب
الذي أثرته ؟
أبو الهول — في اللحظة التي ستعرف فيها هل
تضطرب أحياناً ؟
مارسليوس — لا أحد منا يخشى ! إن هناك
ظماً شديداً !

باريس — اذهب وليبدأ ! امض يا أختي
الحبيب ! يا قطعة من قدرى ! يا خفقة مضطربة من
صباحي ! اذهب واقتطف الحقيقة... هي لنفسى.
أيضاً... الحقيقة

مارسليوس — (بذهول وغبطة)
يا أختي ، يا قطعة من ذهب ونار ! أليس قلبي
قلبك ؟ إنني في طريق المعرفة... يا لسان البهي !
إن هذا يكفر عن الشقة التي تحملناها . سأعرف
السكامة ، كلة العلم الانساني
أختي ! أشبه لي أنف كوكباً جديداً سطع
في دى

سأعلم كل الحقائق العميقة ، قبلي قبة عميقة
عتيقة يا أختي الأوحدا ! إن رعشة عميقة تتمشى
فوق ذواب النخيل... لقد كنت على حق
يوم هجرت مصنى وحبيبتى ، وروما وفنوني
وليالي الحب
(يرقى ويقف على أبي الهول)

على الرمال المتقلبة !
لقد هلك مارسيليلوس - أريد رجلاً آخر
يهلك بعده ؟

تمالى إلى ! وفر من هذا المكان الذى يهيم
عليه الموت ، واهرب من هذا السر القاتل ! وانج
من هذا الموت الذى يخرج من قلبه ... إلى
ساحل إليك الفرار - يا حبيبى باريس !
أبو الهول - (بصوت ليس أعذب)
إنه لن يصنى إليك ولن يسمع نوحك ! هول ،
ولا شيء يستطيع أن يستنقذه منى
إزايلا - ألم أكن جميلة بقدر ؟ ألم أكن
رفيقة وحنونة ؟

باريس - (مبتعداً عن أبي الهول قليلاً قليلاً)
إزايلا !
أبو الهول - أما تشاء أنت تعرف سرى ؟
أغلب عليك الرجل ؟ أراك أصبحت شاحب اللون
باهت الوجه ! لقد رن صوت ملهب هادئ السحر
الذى يربط قلوبنا ... اذهب أيها الهيبوب الخائى
ميتة مثل ميتة أخيه

باريس - (إزايلا تتلقى به)
لا لا ! دعنى ...
إزايلا - باريس
باريس - أود أن أعلم ...
أبو الهول - اذهب أيها الهاك ، واضرب
لمشيقتك موعداً فى مساء
إزايلا - لدى من القبلات الحية التى تبسها
الحبة اللطيفة !
أبو الهول - ولى - فى الليل - صوتى
الرنان ذو الأمراء

انتشرت سدولها فى كل مكان . لأن السر الأعظم
الذى أواربه تحت تقاني عيث القلوب ، ويطقى
النجوم

باريس - لتسمعى سماء خامدة النور !
أبو الهول - لن يصعد شهيقك إلى السماء !
باريس - اصمت ! اصمت أيها المارد الرعب !
أبو الهول - لقد بدلت لهجتك ...
باريس - لهذا الأمر أعجبك هذا الفتى ...
أبو الهول - كل من أفشيت لهم سرى
الحقيقى هلكوا دون أن يفوهوا بلفظة ... وهذا
واحد منهم
باريس - اصمت ...

أبو الهول - ليس فى هذا المنظر شيء عندى !
ولقد أنحك أمام ميت !
باريس - وميتان يزيدان إعجابك ، إذا لامر به
فيه ، لأنك ستكلمنى بدورى ! بهذا الجسد المتمزق
وهاتين العينين الهامدتين ! أما تكلمت وحدتني !
لأننى مصر على ذلك . فان قلبه الهاك لأكثر
معرفة من فؤادى الحى . وعيناه المغمضتان المحدثتان
قد ملأتهما اللانهاية

(يرتقى باريس إلى التمثال كما صنع مارسيليلوس ، وفى
هذه اللحظة توافيه إزايلا وتصد برداء أبيض شفاف)

المشهد الرابع

باريس ، مارسيليلوس (طريقاً على قدمى أبي الهول) ،
أبو الهول ، إزايلا
إزايلا - (بصيغة شديدة)
باريس ! لا تصغ إلىه !
باريس - إزايلا !
إزايلا - حنانينك ! لقد وجدت آثارك

(شاحب اللون ، كأنه يرتقب أجله . لكنه جاء يفهم أنه لا يزال حيا ، وبصيغة الظفر) :

إلى أحيا ...

أبو الهول — (بتعجب)

ولماذا لم تمت ؟ وبأى حق تنظر في الحياة ؟

باريس — أنا حى ...

أبو الهول — لا يمشى من يعرف سرى !

باريس — أنا حى ...

أبو الهول — أجمعا عارفا الكلمة التى تهتر

لها قتي ؟ لا يقدر أحد على ذلك !

باريس — أنا أول من يقدر !

أبو الهول — لن تقدر ! وما قدر أحد على

ذلك . الكل يجهلون سرى ...

باريس — عرفت سرى ولا أزال أحيا ...

نعم ! لا أزال أنفَس وأحيا ! وأنت أيها الحبيب

الضعيف العزم لأنك لم تستطع أن تطبق عينيك

على السر ؟ يا رفيق صباى ، ثم هادئا قرر النفس !

إنى سأنجز وعدى ، وسأعود الى ابدعى الأول ،

فالممل وحده يذهل عن الألم الكبير . ومن أجلك

أيها الوجه الشاحب ، سأجعل جوابى على سر

الموت قطعة تندقق فيها الحياة . وهكذا تنظر حيا

فى آثارى واجتكارى ..

(يقترب من جثة مارسيلوس وبرقة زائدة وحنان

صيق مؤثر حله وألفت إيزابيلا موشعها على وجهه الشاحب

وقبل أن يبتعد أجشش بالبكاء وودع أبا الهول) :

— وداعا

(باريس يجوارى وخلفه إيزابيلا ، وبعد لحظة يظهر

أبو الهول ، يفهم ضاحكا قائلا بنفسه) :

— لم أقل الحقيقة إلا لمارسيلوس !

الستار

فيل هنرلى

إيزابيلا — اذكر سمادتك ، والأيام التى

قضيتها فى حى !

أبو الهول — إنى أعرف قبلة لا تنتهى أبدا

باريس — لا لا ... أريد أن أعلم !

(يعود إلى أبي الهول)

إيزابيلا — (متوسلة إلى أبي الهول)

آه ملك الرمال ! كن أكثر إشفاقا على منه .

ألا تبصر — إزامك — امرأة تبقى البقاء طيلة هذا

الخلود الشاع البارد ! لا أملك إلا هذه اللحظة

الانسانية التى تصرمنى ... فالتقرون — لديك —

تتراكم قائمة حائرة . يمضى فريق ويعود فريق !

أفنى هذه التقرون إذا كان فك الخلال لا يمنع إلا

الموت للحب الذى يتأديه !

أما هذا فلا تذقه الردى — إنك إن تفعل

تقضى على ممة غدا — لا أملك من الزمان إلا عمر

حبه ، هو ليعانى الذى أعتقد ، وحياتى ، وكوكبى

المساعد ، الحياة خالية إلا به ... إنك إن تقتله ...

أبو الهول — (لباريس)

اصعد ...

إيزابيلا — إنك لن تغمض هذه العين التى

أعبدتها !

إنك

أبو الهول — لقد كنت أتردد فى أمرى ...

قد انتهت كل شىء ... سأكلك !

(يرتقى باريس كارسيلوس ويودعه سره)

باريس — (وهو يسمع كلماته)

إنى أسمع ... أسمع ... وبيد . وبيد . وبيد !

(عاد إلى إيزابيلا الفاجأة ، وهو يكاد يسقط على الأرض

كارسيلوس)

إلى حى ... إنى مائت لا عمالة !



الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلم والفن

مجلة الآداب الرفيعة والثقافة العالية

تصل الماضي بالحاضر وتربط الشرق بالغرب

على هدى وبصيرة

الرسالة : تعبر بأفكار عميقة روح النهضة المصرية

الرسالة : تجمع على وحدة الثقافة أبناء البوادي المصرية

الرسالة : تصور مظاهر البصيرة لدولة العربية

الرسالة : تسجل ظواهر التجدد في الآداب المصرية

الرسالة : تضيء في الفنون أساليب البصيرة المصرية

مجموعة أعدادها ديوان العرب المشترك ، وكتاب الشرق

الجديد ، وسجل الآداب الحديث ، ودائرة معارف عامة

الاشتراك الداخلي ستون قرشا ، والخارجي مايساوي جنهما مصر ، والبلاد العربية بمخمس ٢٠٪

طبعت بالمطبعة الرحمانية بشارع الخرقش رقم ٣٥ - تليفون ٥١٥٢٢

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
أحمد حسن الزيات

بدل الاشتراك عن سنة
٣٠ في مصر والسودان
٥٠ في الممالك الأخرى
١ ثمن العدد الواحد

الإدارة
شارع عبد العزيز رقم ٣٦
التيبة الخضراء — القاهرة
تليفون ٤٧٣٩٠ ، ٥٣٤٥٥

الحرورية

مجلة أسبوعية للقصة والسير

نصدر مؤقتاً في أول كل شهر وفي نصف

العدد التاسع ٢٢ ربيع الأول سنة ١٣٥٦ — ١ يونيو سنة ١٩٣٧ السنة الأولى



فهرس العدد

صفحة	
٥٢٢	الموسوم بلبي دي موباسان ... بقلم أحمد حسن الزيات ...
٥٢٦	من غير عنوان لقصة الرومي تشير لكوف ... بقلم الأديب محمود البدوي ...
٥٢٩	غرام ادوارد الثالث مسرحية إنجليزية ... بقلم الأستاذ عبد الحميد حمدي ...
٥٣٤	مات الملك عاش الملك لماري كوليرج ... بقلم الأديب محمد عبد الفتاح محمد ...
٥٣٩	يوميات نائب في الأرياف صورة مصرية ... بقلم الأستاذ توفيق الحكيم ...
٥٤٥	أخيانة أقصوصة مصرية ... بقلم الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازني ...
٥٥٥	ليلة ممطرة لنيلكس براون ... بقلم الأستاذ كامل محمود حبيب ...
٥٦١	القلب المخطم لراشنيطون أرفنج ... بقلم الأديب حسين محمد كامل ...
٥٦٥	اعترافات في العصر لأنفريد دي موسيه ... بقلم الأستاذ فليكس فارس ...
٥٧١	الأوذيسة لهوميروس ... بقلم الأستاذ دبري خفية ...
٥٧٧	سر أبي الهول لموريس رستانت ... بقلم الأستاذ خليل هندواي ...



ينظر إليهم عن حُرُضِ الحسد والحفيق . وربما
قضى أعمار أيام العطة الطويلة بمد هؤلاء واحدًا
بمد واحد ، ثم يقول لنفسه : « ما أكثر من لقيت
منهم بين شارع المالدلين وشارع درو ! »

كان يمشي ويُد الخطي يفحص ملابس الناس
بمعينين قد صرتا على تمييز تلك النقط الحمراء من بُمد ،
حتى إذا بلغ الناية من زهرته كان يجسه من عدد
الموسمين قد بلغ الناية من نفسه : « ثمانية أوسمة
من رتبة ضابط ، وتسعة عشر وساما من رتبة فارس .
ذلك كثير ! وإن من السفه أن تبذر الحكومة هذا
التبذير في الأوسمة على هذه الصورة . تأمل فطاعة الحال
إذا لقيت مثل هذا العدد في الرجصة ! » ثم يعود
أدراجه وهو هو د في مشيه ؟ فإذا شغلته زحمة الناس
عن الفحص فأذهلته عن واحد من الموسمين هاج
هانجه وانتفخ سحره

كان يعرف الأحياء التي يكتر فيها أولو الأوسمة ؟
فهم كثار الصدد في شارع (باليه رويال) ؛
وعندهم في شارع الأوبرا أقل منه في شارع
(دلانيه) ؛ وهم على عين (البشار) أكثر منهم
على يسراه . ثم هم يفضلون بعض المقاهي والملاهي
على بعض . وكما رأى السيد سكرمنت شزيمة من
ذوى الشعور البيض يقفون على طوار الشارع

في الناس من يولد ومعه غريزة متسلطة ،
فلا يكاد يبلغ حد التفكير والتبصير حتى تتحرك في
شموه وتصرخ في دمه . فالسيد سكرمنت لم يحل
في ذهنه منذ طرأه سنه إلا فكرة واحدة : هي
أن يكون موسوماً ، أو حامل وسام . فكان وهو
في حدائنه يحمل وساماً من الزنك كما يلبس الأطفال
قبعات الجنود ، ثم يقدم يده في عظمة وزهو إلى
معمونة أمه في الطريق وقد رُفِ صدره الصغير المزدان
بالشريط الأحمر والنجمة المدنية . وبعد أن درس
دراسة سقيمة عقيمة فشل في امتحان البكالوريا .
ثم التاث عليه أمره ولم يدر ما يصنع ، فتوسل بفناء
إلى أن تزوج من فتاة جميلة . ثم عاش هو وهي في
باريس عيش السراة من الحضر بلا بسان عالمها
ويعتزلان عالم الناس ، ويهيجان بصداقة ضابطين
من ضباط الفرق ، ويفخران بمعرفة عضو من أعضاء
مجلس النواب يمكن أن يصير يوماً ما وزيراً . ولكن
الفكرة التي سكنت رأس السيد سكرمنت منذ أيامه
الأولى لم تزل حديث أمانيه ولبلاي صدره ؟ فهو
لا ينفك فريسة للألم الملح لأنه لا يملك الحق في أن
يحمل على رذنجوته ذلك الشريط الصغير الملون .
وكان منظر الموسمين (Décorés) الذين يلقاهم في
الشارع الأكبر يروع فؤاده ويرقد صدره ؟ فهو

ودهشة : « درجة من درجات الأكاديمية ؟ وماذا فملت حتى تبلغ ذلك ؟ فأجابها في حدة وغضب : « إلهي ما أريد . إني أبحث فيما ينبغي أن أعمل - إنك غيبة في بعض حالاتك » فالتصمت الزوجة الحسنة وقالت : صحيح ! إنك على حق ، ولكني لا أعرف أنا ماذا ينبغي ! » فسنتحت للرجل فكرة فقال : « لملك إذا كنت النائب (روسلين) في هذا الموضوع ظفرت منه بنصيحة غنية . أنا كما تعلمين لا أجروء على أن أبدأ بهذا الحديث . ذلك شيء دقيق عرج ؛ فإذا صدر عنك كان طبيعياً لا حرج فيه نزلت السيدة سكرمنت على مقترح زوجها ، وذهبت إلى النائب روسلين فوعدها أن يكلم الوزير . ولما احتته السيد سكرمنت قال له النائب : لا بد أن يقدم طلباً يسرد فيه شهادته ودرجانه . شهادته ودرجانه ؟ ؟ إنه لم يعمل من ذلك شيئاً حتى البكالوريا . على أنه مع ذلك عكف على العمل وشرع يؤلف رسالة عنوانها : (حق الشئب في التعلم) ، ولكن الأفكار لم تواته فمجز عن إتمامها . ثم أخذ يبحث عن موضوع - أسهل مثلاً وأقرب مصدرًا ؛ فجرب على باله هذبه الموضوعات متعاقبة : « تعليم الأطفال بالنظر » ويريد بذلك أن يُنشأ في كل حي من الأحياء الفسيرة مسارج بالجان للأطفال يحشرهم فيها والدوم فيتلقون بها مبادئ المعارف البشرية عن طريق الفوائيس السحرية . تلك دروس حقيقية يعلم النظر فيها المخ ، فتبقى الصور منقوشة على لوح الذاكرة ، ويصبح العلم منظوراً بهذه الطريقة . ولا تجدها أسهل منها في تعليم التاريخ العام ، والجغرافيا ، والتاريخ الطبيعي ، وعلوم النبات

فيربكون الرور ، قال لنفسه : « هاك ضباطاً من وسام جوقة الشرف ! » ثم تملكه الرغبة في أن يتقدم إليهم فيسلم عليهم ثم لاحظ أن لضباط هذا الوسام مشية تختلف عن مشية فرسانه ، وأن أوضاع هاماتهم على عواتقهم تختلف فيهم عنها في الناس ، لأنهم يشمرون أن لهم باسم الحكومة اعتباراً أعلى وخطراً أجمل . ثم تأخذه في بعض الأحيان سورة من الغضب الاشتراكي الحاقد على الموسمين . ثم رجع إلى منزله وقد هيبت رغبته رؤية الأوسمة ، كاتسيع رؤية الأطمعة شهوة الجائع ، فيقول في صوت قوى : « متى نتخلص من هذه الحكومة القذرة ؟ » فتسأله زوجته وقد فجأها هذا التصريح : ماذا بك اليوم ؟ فيجيبها : « إن ما لي هو السخط على الجور الذي يقترب في كل مكان . لعمري إن الشيوعيين على حق ! » عاد بعد النداء فخرج ، وأخذ يتأمل معارض الأوسمة في بيوتها ويتوسم علائها المختلفة الأشكال والألوان ، فود لو أنه ملكها جميعاً ، وأنه أصبح على رأس موكب غم في صدرة حاشدة ، تتلأل على صدره هذه الأوسمة ، وقد رُكبت أنواطها المفوفة واحداً فوق واحد على حسب درجاتها المتفاوتة ، ثم يمشي مشية النافج الوقور وهو يتوهج توهج الشمس في جلب من همس الإعجاب وهنات النجاة ولكنه وأسفاه لا يملك لقباً من الألقاب يحمله الحق في وسام من الأوسمة : إن وسام الحيون دونور ، أو جوقة الشرف (كما قال لنفسه) بعيد للنال عن رجل لا يؤدي وظيفة عامة . فهلا يحاول أن ينال درجة من درجات الأكاديمية ؟ ولكنه لا يعرف السبيل إلى ذلك فتحديث به إلى امرأته ؛ فقالت له في عجب

وقدme الى بعض الجماعات العلمية التي تعالج على الأخص مسائل العلم النامضة ، رجاء أن يدرك من ورائها بعض الشرف ، ثم أوصى به رجال الوزارة وفي ذات يوم كان النائب المحترم يتفدى عند صديقه السيد سكرمنت (فقد دأب منذ شهر على أن يأكل عنده) فقال له في صوت خافت وهو يصاغه : « لقد ظفرت لك اليوم بنعمة كبيرة : حملت لجنة الأعمال التاريخية على أن تكلفك خدمة ، فناط بك أن تقوم ببعض الأبحاث في مكتبات فرنسا المختلفة »

لم يكد السيد سكرمنت يسمع هذا الخبر حتى استرخت قواه فلم يستطع أن يأكل ولا أن يشرب . ولم يمر على هذا الحديث أسبوع حتى كان الرجل يضرب في مدن فرنسا ، يزور المكاتب ، ويتصفح الفهارس ، ويقطب المخطوطات . وبلغ به اللطف مدينة (روان) فحدثته نفسه أن يركب إلى باريس ليري زوجته ، فقد مضى على مفارقتها إياها أسبوع ركب قطار الساعة التاسعة فبان منزله منتصف الليل . وكان لديه مفتاح البيت ، فدخل وهو ساكت الصوت صامت الخطى ، يرحف من السرور ويتساقط لذة المفاجأة .

كانت امرأته محبوسة في غرفتها فيما للسأم ! ! نادى الزوج زوجته من وراء الباب : « يا جان ! يا جان ! إنه أنا ! »

لا شك أن جان قد فرغت وريمت ، لأنه سمعها تنب من فوق السرير ، وتحدث وحدها كما يتحدث النائم في الحلم ؛ ثم أسرع إلى مقصورة زينتها ففتحتها ثم أغلقها ، وجلت في الترفة مراراً حافية القدمين بريمة الخطى ، فصدمت بنص الأنث

والحيوان والتشريح الخ . ثم طبع هذه المذكرة وأرسل منها نسخة إلى كل نائب ، وعشرا إلى كل وزير ، وخمسين إلى رئيس الجمهورية ؛ ثم بحث إلى كل صحيفة بارزية بمشر ، وإلى كل صحيفة إقليمية بنحس

ثم عالج موضوع المكتبات المتنقلة فاقترح أن تسير الحكومة في الشوارع عربات صغيرة كمربات البرتقال موقرة بأشتات الكتب ، وتجعل لكل ساكن في كل حي حقاً في استئجار عشرة كتب في الشهر بصنتم . ووجهته في ذلك أن الشعب لا يشغل باله ولا ينفق ماله إلا في اللو ؛ وما دام الرجل لا يذهب إلى التعليم فليذهب التعليم إليه على أن هذه الأبحاث لم يعبأ بها لسان ولم يعب بها فكر ؛ ولكنه مع ذلك قدم طلبه ، فأجابوه بأنهم علموه ورقوه ، فلم يبق لديه شك في الفوز . وانتظر ثم انتظر ، فلم يرد على انتظاره شيء . ففقد النية على أن يسعى للأمر بنفسه ، فطلب الإذن على وزير المعارف ، فاستقبله في مكتب الوزير موظف حديث السن ولكنه رصين المظهر ، تمرأأمله على نضد من الأزرار الكهربائية كما تمر بد المازف على مضرب البيان ، فيدهو الحجاب والبلدان والمكتبة ؛ فأكد له هذا الموظف أن مسأله تسير قدماً في طريقها الواصل وأشار عليه أن يستمر في أبحاثه الخطيرة . فأتصيح السيد سكرمنت وحسر عن يده للعمل

أصبح النائب روسلين يهتم أشد الاهتمام بفوز سكرمنت ويشجري له ما استطاع الوجوه العملية والنصائح الحكيمة . وهو نفسه قد ظفر بوسام لا يدري أحد إلى اليوم الأسباب التي أهله لهذا التميز . اقترح على السيد سكرمنت دراسات جديدة ،

— نعم ... وإنه لسر ... سر عظيم !
ومضت بالمطف المجيد فبينته في خزانة الثياب
ثم أقبلت على زوجها تقول وهي مضطربة شاحبة :
« هذا ممطف جديد استصنفته لك . وقد أقسمت
لا أفشي إليك بشيء . إن ذلك الأنعام لا ينشر
رسميا قبل شهر أو ستة أسابيع . يجب أن تتم العمل
الذي كلفت به ، ولا ينبغي أن تعرف الخبر إلا بعد
رجوعك . إن النائب روسلين هو الذي طلب لك
هذا الأنعام »

فاسترخت مفاصل السيد سكرمنت وقال في
غممة : « روسلين الموسوم ... وسمي بهذا
الوسام ... أنا ... هو ... آه ! » واضطر المسكين
أن يشرب كوبا من الماء ...

وكانت على الأرض ورقة صغيرة بيضاء قد
سقطت من جيب المطف ، فالتفتها السيد سكرمنت
ونظر فإذا هي بطاقة قرأ عليها : روسلين . عضو
مجلس النواب »

فقال له امرأته :

« رأيت ؟ لم لك تصدق ! »

فشق الرجل من السرور وأخذ يبيكي من الفرح
ولم تغض ثمانية أيام حتى نشرت الجريدة
الرسمية أن السيد سكرمنت قد أنعم عليه بوسام
اللعبيون دونور من درجة فارس مكافأة له على
خدمات استثنائية (الزيات)

المباراة القصصية

طلب إلينا كثير من الكتاب أن نمدح أجل الباراة
في الأقصوصة لوقوع الأجل الأول في أزمة الامتحانات .
فتزول على إرادتهم مددنا للأجل إلى آخر يوميه

فصوت ما عليه من أكواب وقوارير وتحب .
وأخيرا قالت تسأل : « أهو أنت يا إسكندر ؟ »
فأجابها إسكندر : نعم إنه أنا : افتحي إذن .
فتح الباب وألقت زوجه قلبها على قلبه وهي
تقول مغمضة : « أوه يا للعرب ! يا للفاجأة !
يا للفرح ! ثم أخذ الزوج ينضو ثيابه على أسلوب
على صرتب ، شأنه في كل شيء ، ووجد ممطفه
على كرسي . فتناولوه ليملقه على مشجب الدهليز
على عادته ، ولكنه وقف بفتة وقفة الداهل
الشدوه ، لأنه رأى في عروته شريطا أحمر ! وأقبل
على امرأته يمجج ولا يكاد يبين :
« ه ... ها ... هذا المطف موسوم ! »

حينئذ قفزت امرأته قفزة فكانت فوقه ،
وأخذت يديها المطف وقالت : « كلا ! إنك
وأم ... أعطى إياه . ولكنه ظل ممسكا بأحد
ردنيه لا يرسله ، وقال في جنون وحدة : « هيه !
لماذا ؟ أخبريني ... لمن هذا المطف ؟ إنه ليس معطى
لأنه يحمل وسام اللعبيون دونور . » فجهدت
المرأة كل الجهد أن تنزع المطف من يديه وهي
مستطارة اللب تدمم بهذا الكلام : « اسمع !
اسمع ... أعطى إياه ... لا أستطيع أن أبوح لك
بشيء ... هذا سر ... اسمع ... فتكدر الرجل
وانكفأ لونه وقال : « أريد أن أعرف كيف كان
هذا المطف هنا . إنه ليس معطى » وصاحت المرأة
في وجهه قائلة : « بلى . اسكت . أقسم لي ...
اسمع ... لقد أنعم عليك بوسام ... » فاعترت الرجل
هزة من التأثر فتكك لها جسمه فأرسل المطف
من يده وذهب قارعي على مقعد

— تقولين ... إني ... إني ... أنا ... موسوم ؟

من غيب عنوان

للقصص الررى شيكو
بقلم الأديب محمد الربري

نفسه . وحينما يهيج غيظ متمكن ، أو بأسره فرح شديد ، أو يتحدث عن أشياء مروعَة تأخذُه نشوة قوية ، ويتسائل الجمع من عينه اللامعة ، وتضرب وجهه الحرة ، ويدوى صوته كالرعد . هنا يحس الرهبان المستمعون أن أرواحهم تدبها عظمتُه وأنها تفتي فيه . لقد كانت قوته في هذه الدقائق العظيمة المجدبة لا تحد ، فلو أمر شيوخ الدير أن يقدفوا بأنفسهم في البحر لاستبقوا إليه مسرعين

كان موسيقاه وصوته وشعره الذي ينتهل به إلى الله متبعا لسرور الرهبان لا ينضب . ففي مدة حياتهم الزمنية تنقلب الأشجار والأزهار والرياح والغريف إلى أشياء مملّة ، ثم يلققهم هدير اليم الزاخر ، ويصبح شدو الطير يملول النغم موزون الجرس . ولكن سجايا رئيسهم كانت لهم بمثابة القوت المحي والقوة المجددة

كمرت السنين وما زالت الأيام تشابه الأيام ، والليالي تحاكى الليالي ، وما دنا من الدير أحد ، اللهم للإضوازي الوحش وجوارح الطير . وكانت أقرب للسّاكن الانسانية بعيداً جداً . ولا تصل إليها من الدير أو تصل إلى الدير منها حتى تمبر صحرا ذرعها مائة ميل

والذين يجرؤون على القيام بهذا هم أولئك الذين لا يمحولون للعبادة قيمة ولا يقيمون لها وزناً ، والذين نبدوها وراءهم ظهرياً ونفضوا أيديهم منها جملة . يولون وجوههم شطر الدير وكأنهم يسرون إلى القبر

ولشد ما كانت دهشة الرهبان عند ما قرع بابهم في ليلة من الليالي رجل برهن لهم على أنه من

كانت الشمس في القرن الخامس عشر تشرق كل صباح وتغرب كل مساء كما هي اليوم . وحينما تقبل أشعتها الأولى ندى الأرض تنفض هذه غبار الكرى ، وتشيع في الدنيا الهبة ، وتحلو الأماني ، وتمود الأرض في المساء إلى سكنوها ، ثم تنفوس في غياهب الليل . وقد ترى أحياناً سحابة راعدة تلوح ، ويقصف الرعد وهو زيجر ، أو تهوى نجمة من شاحق وهي وسّسى ، أو يقبل راهب حثيث الخطى شاحب اللون ليخبر رفاقه بأنه رأى نمرأ قريباً من الدير . كان هذا كل شيء ، ثم تمود ثانية الأيام تشابه الأيام ، والليالي تحاكى الليالي

كان الرهبان يصلون ويسملون : أما رئيس الدير فيعزف على الأرغن ، ويقرض الشعر اللاتيني ، ويؤلف النغم الموسيق . وكان للكهل الحلو الوديع ذكاء فادر وسجايًا خبيدة . فهو يعزف على الأرغن ببراعة ، حتى أن معظم الرهبان الذين يضمف سمعهم كلها قربت نهاية حياتهم ما كانوا يستطيعون أن يحبسوا دموعهم كلها هفا صوت أرغنهم من صومعته . وعندما يتكلم ولو من الشئون العامة كالشجر الوريف والوحوش الضارية والبحر الخضم ، لا يسمعه إنسان دون أن ترى دموعه تترقق في عينيه ، أو بسمة ترسم على شفتيه . فيخيل إليك أن الأتنام التي تتجاوب في الأرغن هي بسنها التي تمتلج في

والقحة ولكنه أثر تأثيراً غريباً في رئيس الدير ، فنظر هو والرهبان بعضهم إلى بعض ثم قال رئيسهم بوجه شاحب : « إخواني ! إنه الحق . فصحيح أن الحاققة والضعف البشري جرفا الإنسانية النعمة في تيار الجحود والآنم فأهلكها وقضيا عليها . وهانحن أولاء لا نريم من هذا السكان كأنه لا عمل لنا ولا واجب علينا . لماذا أذهب إليهم فأذكرم بالمسيح الذي نسوه ؟ »

نالت كالت رجل المدينة من نفس رئيس الدير ، ففي اليوم التالي أمسك بعكازه وودع إخوانه وركب الطريق إلى المدينة ، فأسى الرهبان لا ينعمون بموسيقاه ولا بحلو حديثه ولا برائع قريضه

تقريبه شهراً ثم شهرين فعااد ؛ وأخيراً في نهاية الشهر الثالث سمعوا نقر عصاه المألوف نغف الرهبان للملاقاة وأمطروه بالأسئلة ، ولكنه بدلا من مشاركتهم في جوهرهم بكى بكاء حراً وما نيس بينت شقة . رأى الرهبان أنه أصبح نحيلاً ، وأن أعراض الكبر قد بدت على ملامح وجهه .

فما تمالك الرهبان وقد رأوا منه ذلك أن أجهشوا بالبكاء ، وسألوه عما ييكى ، فما أجابهم بكلمة ، وغادرم موصداً عليه باباً ومكث في صومعته خمسة أيام ما شرب فيها شراباً ولا طعم طعاماً ولا عزف على الأرغن . ولما طرق الرهبان عليه باباً وألحوا عليه في الخروج ليشاركوه في أساء كان جوابه الصمت المميق

خرج من مكتبته أخيراً وجمع حوله الرهبان وأخذ يقص عليهم ما حدث له خلال الشهور

سكان المدينة ؛ وكان هذا الرجل أكثر الناس ارتكاباً للآثم وحياً للحياة . وقبل أن يصلى أورجو رئيس الدير أن يباركه طلب طعاماً ونييذا فلما سأله عن سبب قدومه من المدينة إلى الصحراء قص عليهم قصة صيد طويلة : خرج يطلب الصيد ومعه شراب كثير فضل الطريق ، وعند ما أشاروا إليه أن من الواجب عليه أن يسمى راهباً أجابه في ابتسام :

« است لكم بصاحب ! »

شرب وأكل كل ملء بطنه ، ثم رفع بصره إلى الرهبان الذين يقومون بخدمته وهز رأسه لأثماً وقال :

« إنكم مشعر الرهبان لا تعملون شيئاً ، كل ما تمنون به هو طعامكم وشرابكم . هل هذه هي الطريقة لخلاص أرواحكم ؟ فكروا الآن ؛ بينا أنتم تعيشون في هدوء هنا ، تأكلون وتشربون وتحملون بالخيرات . والبركات إذا بإخوانكم هناك قد كتب عليهم عذاب الجحيم . انظروا ما القى يحدث في المدينة ؛ بينا بعض ناس يموتون جوعاً ، وإذا بالآخرين لا يعرفون كيف ينفرون الذهب . ينغمسون في الدعارة ويهلكون فيما كما يهلك الثياب في السمل ؛ ثم لا صدق ولا إخلاص بين الناس . من القى يجب عليه انتشالهم مما هم فيه ؟ أنا القى أروح صريع الكأس من الصباح إلى المساء ؟ هل أنتم الله عليكم بالإخلاص ومن عليكم بالحب وحباًكم القلوب الرحمة ، لتجلسوا هنا بين هذه الجدران الأربعة ولا تعملون شيئاً ؟ ! »

وكان كلام الرجل السكير ينطوى على الجرأة

نصف عارية على منضدة وسط القاصفين ، ويصعب عليك أن تتصوروا شيئاً أكثر فتنة وسحرًا منها ! صبي ناضر زاهر ، وشعر طويل جثل ، وعينان سوداوان لامعتان ، وشفتان مكتنزتان عمقرتان ، ثم سفاهة وجراءة وقحة . هذه الهيمعة تبتسم فتفتر عن أسنان بيضاء كالبرد كأنها تقول : « انظروا ! إني جميلة ومستهرة ... » وتتدل من عاتقها الملابس الحريرية البديعة المشجرة . على أن جمالها لا تخبئه ملابس ، لأنه بشره يفسح لنفسه الطريق بين طيات ثوبها .. كأنه الأعشاب الصغيرة وهي تشق لنفسها الطريق في الأرض زمن الربيع . وتشرب الرأة التي لا تستحي التبيذ ، وتثني الأغانى ، ثم تستسلم بعد ذلك للمعربين ... » لوح الرجل الكهل بذراعيه حائقا ثم استمر يصف لهم سباق الخيل ، وصراع التيران ، والملاعب ، وحوانيت الفنانين حيث يعرض هيكل المرأة العارية مرسومًا بالزيت أو منحوتًا بالصلصال

كان الرجل في حديثه لسنا متهمًا جهورى الصوت حلو الجرس كأنه يعزف على آلة موسيقية لاتقع عليها العين ، والرهبان ذاهلون من أنفسهم ، غائبون عن رشدهم ، وقد أسرتهم كلماته وسحروهم بياثه ، فهم يلهثون من فرط السرور . فلما فرغ من وصف اغواء ابليس وقتنة القسوق وسحر المرأة لعن ابليس ثم غادر المكان واختفى وراء باب

فلما خرج من صومعته صباح اليوم التالى لم يجد راهبا واحدا في الدير . فقد انطلقوا جميعا مسرعين إلى المدينة !

محمد البردى

الثلاثة التي خلت والدمع ينضج وجهه والألم يأكل قلبه ؛ ثم هدأت نفسه وتهللت أساريره حينما أخذ يصف لهم رحلته من الدير إلى المدينة . غنى الطير وخر الجدول على جوانب الطريق ، وجاش صدره بالأمانى الحلوة والآمال المسولة . شعر بأنه جندى يتهبأ لانتقام الموقمة والوصول إلى النصر المحقق . سار حالما يقرض القصيد ويصوغ التشيد ؛ وسرعان ما وجد نفسه في نهاية الرحلة . على أن عينه أومضت بالحب ، ونفسه جاشت بالنفص ، وصوته ارتمش عند ما بدأ يتحدثهم عن المدينة والانسانية . ما كان رأى ولا تخيل قبل اليوم كل الذى رآه وأحسناه وهو في قلب المدينة . رأى وفهم لأول مرة في حياته سلطان ابليس وسيادة الجور وضعف القلب الانسانى الخاوى . هنا تخشون أو ستون رجلا جيوهم مرتعة بالسال يقصفون ويشربون النبيذ دون حد ، أخذوا وقد تملكهم نشوة الراح يرفعون عقائرهم بالنماء الساقط ، ويتوهون في شجاعة بأشياء جارحة لا يجرؤ انسان يخاف الله جل سلطانه أن يشير إليها . فهم أحرار سمعاء شجاعات لا يخافون الله ولا بمخشون الجميع ولا يهابون الموت . يقولون ويفعلون ما يشاءون ، ويذهبون إلى حيث تمسوقهم رغباتهم الجامحة

أما النبيذ فصاف صفاء الكهرمان ؛ وهو أيضا زكى الرائحة للذيد الطعم ، لأن كل من يعب منه يطفح وجهه بالبشر ورغب في الشراب ثانية . وهو يميز على ابتسام بابتسام ، وتهلل غبطة كأنه يعرف أى ضلال جهنمى يختبئ تحت حللته

على مزاج غضبه وبكى أحر البكاء وأشجاء . ثم استطرد يقص عليهم ما رأى : « وقفت امرأة

غرام إدوارد الثالث

بقلم الأستاذ عبد الحميد حمدي

بإدلة على مولاي الملك ؟
فأذا في مقدور عبدة
أن تفعل لتزيل عن
نفسك أسباب الأذى
المباين والسكابة
الطبيقة ؟

إدوارد - عفواً يا سيدتي ، إنني لشارد الب ؟
وما أستطيع أن أثير أزهار المزاء على أرض من
الفضيحة والمار ؟ قاني قد أخطأت يا كوتنس ،
منذ دخلت هذا المكان
الكوتنس - حاشا ، يا مولاي ، أن يكون
بين أهل هذه الدار من يستطيع أن يرى ملكي
مخطئاً !

أطلعي يا مولاي الكريم على أسباب امتناعك
إدوارد - وماذا يكون مبلغ قربي من الشفاء
إذا أنا أطلعتك على ما تطلبين ؟

الكوتنس - يكون ذلك على قدر ما تستطيع
جميع قواي النسوية أن تبتذل في مشرتى البواء .
إدوارد - إذا كنت تقولين حقاً ففي ذلك
كل أسباب الرضا ؟ فاستغذي جميع قواك في
تحقيق أسباب سعادتي ، وعندئذ أسعد يا كوتنس
أو أموت

الكوتنس - سأفعل ، يا مولاي ، ما تريد
إدوارد - أقسمي على ذلك يا كوتنس
الكوتنس - أقسم بالسماه أني سأفعل
إدوارد - إذن انتحي جانبا غير بعيد
واذكرني أن هنا ملكا مفرماً بك
واذكرني أن في مقدورك أن تسعديه ، وأنت

يتحدث الناس اليوم عن غرام دوق ونندسور
(الملك إدوارد الثامن) سيدة كانت متزوجة يوم
أحبها ، وعما انتهى إليه ذلك الحب من طلاق السيدة
زوجها ، ونزول الملك عن عرشه للافتراق بها .
وهنا قصة ملك آخر من ملوك الانجيز هو إدوارد
الثالث الذي أحب كذلك سيدة متزوجة ، وقد
انتهى أمد غرامه على ما يرى في هذه التمثيلية الشعرية
التي وضعتها بعضهم ، وقد نسبت إلى شاعر الانجيز
الأكبر شاكسبير

وتلخص القصة في أن الحرب كانت قاعة بين
إدوارد الثالث وبين الاسكتلانديين ، وقد حاصر
الاسكتلانديون حصن دوكسبرج وأسروا حاكمه
لورد سالسبري ، وقامت زوجته لادي سالسبري
بالدفاع عن الحصن دفاع الأبطال ، حتى إذا اقترب
الملك إدوارد من الحصن تخلى عنه المحاصرون
وتراجعوا هاربين أمام جيوش الملك

وقعت لادي سالسبري أبواب الحصن أمام
الملك الذي أصبح هو وحاشيته ضيوفاً ؟ وما كاد
الملك يرى ربة القصر حتى أحس بحبها بهاجم قلبه
وشعر بمرج موقفه ، وفاجأته اللادي واقفاً إلى
نافذة الزدهة شارد الفكر فجزى بينهما هذا الحوار :
الكوتنس - يؤلى أن أرى مظاهر الحزن

بعيدة عنها ، بينما أنا محتفظة بها
إن جسمي هو غمد خد روعي ، وساحتها ،
ومعبدتها ؛ وروسي ملاك ، نقي ظاهر ، سابو ،
غير مدنس

فإذا أمرتك بيت هذا الملك يا مولاي فثابت
روحي السكينة ، وقتلتني روعي المذبذبة

وطلب الملك من الأول وارويك ، والد
الكونتس أوف سالسبري — بحكم عين الطاعة
التي أقسمها له — أن يذهب إلى ابنته فيأمرها
باطاعة رغبات الملك . وتظاهر الأول بالطاعة ، وكان
موقفه غاية في الحرج . وفي الحوار الآتي بينه وبين
ابنته يبدو مبلغ ذلك الحرج ، كما تبدو لباقة الأول
في أداء واجب الطاعة للبعين التي أقسمها ، وواجب
الشرف والحرص على كرامة ابنته

وارويك — كيف أستطيع أداء هذه المهمة
القاسية ؟ يجب ألا أناديها بابنتي ؛ إذ أين هو
الأب الذي يقبل في مثل هذا الطرف التمس أن
يخرض ابنته على الزنا ؟

إذن سأناديها بأمرأة سالسبري ... فهل أتكلم ؟
لا ... إن سالسبري صديق ؛ وأين هو الصديق
الذي يؤذي الصداقة بمثل هذه المثلبة ؟

إذن لا أناديها ابنتي ولا أناديها امرأة صديق .
لا ، فما أنا وارويك كما تتوهمين
إن أنا إلا عام قادم من عكمة الجحيم
لبست روحه جسم وارويك
لأجل إليك رسالة من الملك .

فلك انجلترا العظيم مفرم بك أيتها السيدة ،
والرجل الذي يستطيع أن يسلبك حياتك

قد أقسمت علي أن تبذل في سبيل إسماده كل
ما تستطيع فوثق تحقيقه من أسباب المزاء
أفضل ذلك كله ثم خبريني متى تتحقق سعادتي
الكونتس — لقد فمات ذلك كله ، يا مولاي
الملك الهيب

ولقد قدمت لك من مظاهر الطاعة والاخلاص
كل ما في مقدوري من قوة الحب التي أستطيع أن
أحيطك بها

قتل لي ، يا مولاي ، أي برهان غير ذلك تريد ؟
إدوارد — لقد سمعتني أقول لإني مفرم بك
الكونتس — لأن كنت مفرماً بجالي نخذه
إن استطعت ، فهو على ثقافته لا يساوي في نظري عشر
قيمه ؛ ولأن كنت مفرماً بقضيتي نخذهما إن استطعت
فتبع الفضيلة يعني بمقدار ما ينطق منه
وليكن غرامك يا مولاي بأى مما أستطيع أن
أعطى وما أستطيع أن تأخذ ، فلتنه عني

إدوارد — إن جالك هو الذي أريد أن أنسم به
الكونتس — وددت يا مولاي لو كان جمالي
دهاناً ؛ إذن لمحوته خربت منه نفسي وقدمته اليك
ولكنه ، يا مولاي الملك ، ملتصق بحياتي
ملازم لها

فإذا أنت أخذت أجدها أخذت الثاني معه ،
فجالي كالطيفال التواضع ينبع ضوء الشمس الشرقة
في صيف حياتي

إدوارد — ولكنك تستطعين أن تغيريني
إياه فأنسم به

الكونتس — ليس أسهل من أن أعير روعي
بعيداً عن جسمي — والجسم في قيد الحياة —
إلا أن أعير جسمي — وهو مأوى روعي —

الكونتس — حصار غير طبيعى ... إذن ما أشد تسمى .. أأجوب من خطر الأعداء لأنهم من أصدقائى فى خطر أشد منه فطاعة وقسوة ؟ أليست لى الملك من وسيلة أخرى يدين بها دى الشريف غير إفساد باعث هذا الدم فى هروق وحله على أن يكون محاميه الشرير ورسوله للفضوح ... فلا عجب إذا فسدت الفروع ، بعد أن دب الفساد فى الجذوع . ولا عجب أن يموت الطفل المجنوم إذا تلبثت حمة الفرع وقد جف مئينه . إذن أتركوا للأثم حبله على الثارب ، وسلموا الشباب الطائش زمام الحرية المطلقة ، وأزيلوا القوانين الشديدة اللائمة ، واهموا جميع القواعد التى تجزى على المار بالمار وتقابل الجرعة بالمقاب . لا ، بل دعونى أمت إذا كانت إرادة الملك الناضجة تأبى إلا ما يريد . فلأمت قبل أن أطيع لإرادته ، وأمل الدور الذى يريد أن أمثله فى ملهاته شهوة الفاضحة وارويك — أراك تتكلمين كما أردت أن تتكلمى . فاصنى إلى فأأنا بعيد ما أسمعك من قبل ، فان قبرا شريفاً أجل مكانة من خدع الملك الدنس . وكلما عظمت مكانة الرجل عظمت قيمة عمله كرمياً كان ذلك العمل أو شائناً . والذرة الحقيمة التى تنطير فى شمع الشمس تبدو للمعين فى أضواء قيمتها الحقيقية . وأشد أيام الصيف صفاء لا يلبث أن يلوث الحجة الهامدة التى يبدو كأنه يقبلها . وعميقة هى الضربات التى يحدسها الفأس القوية ، والجرعة التى ترتكب فى المكان المقدس يتضاعف أثمها عشرات المرات . والعمل الشرير الذى يرتكب بحكم القوة إثم مزدوج مقرون بالتحريض : والقرود التى يكسى باللابس الجميلة البراقة الألوان يصبح منظره

إن أراد ، يستطيع كذلك أن يسلبك شرفك ... فأطيعيه وأعيريه شرفك لتتقضى حياتك فكثيراً ما يضيع الشرف ثم يسترد ، ولكن الحياة إذا ضاعت فإنها لن تعود ؛ والشمس التى تجف الحشائش تلمس الأعشاب ؛ والملك الذى يدينك قادر على أن يرفع مكانتك . ويقول الشعراء إن رمح أشيل العظيم كان يشق الجروح التى يحدسها ... ومغزى ذلك أن الرجل القوى يستطيع أن يصلح ما أسد والأسد قادر على تنظيف فكيه اللاميتين ، وعلى ستر قسوته بمظاهر الوداعة بينما فريسته الهائلة ترتعد عند قدميه والملك مستطيع — فى عظمتيه — أن يستر عارك وهؤلاء الذين يجروون على النظر ناحيته باحثين عنك إنما يفتقدون نعمة البصر بالنظر إلى قرص الشمس وما مبلغ الضرر الذى يمكن أن تحدثه نقطة من السم فى المحيط الهائل ؟ وعظمة المحيط كقيلة تطهير كل ما يلقى فيه من الفاسد ، وتتجردها من قوة الأذى ... وأنتم الملك العظيم يبرر سوء عمله ويكسو جرعة الندم المرة غلافاً من السكر حلوا مذاق . واذا كرى إلى ذلك أن لا ضرر فى أن تفعلنى ما لا يمكن أن تصونيه فى مأمن من المار وهأنذا بأمر ملكي قد أبرزت الرذيلة فى ثوب الفضيلة . وإلى لمتنظر جوابك فى قضية مولاي

الملك — أن تخضى لارادنى
الكونتس — إنما ذلك حقك يا مولاي
الملك — على أن هذا يا أحب الناس إلى ليس
إلا مقابلة حتى بحق ومبادلة حب بحب
الكونتس — بل مبادلة الخطيئة بالخطيئة ،
والمدواة بالمدواة
ولكنى إذ أرى جلالتك ميالاً لهذا الأمر فلا
ممانتى ، ولا حى زوجى ، ولا مكانتك السامية ،
ولا الاحترام الواجبة رعايته ، ولا شئ من ذلك
بقادر على أن ينقضى . وإذا لم يكن بد من أن
تقلب قوتك وتطنى على كل هذه الاعتبارات فاني
أستبدل الرضا بالتمتع .

وسأرغم نفسى على عمل مالم أكن لأعمله .
إنما أشرت يا مولاي أن تحمو تلك الوازع التى
تحول بين حب جلالتك وحبى

الملك — أذكرى هذه الوازع يا حبيبتى ، وإنى
لأقسم بالسما على أن أزيلها
الكونتس — إنها حياتهما هى التى تقف
بين حبينا

وإنى لأعص إذ أقول ذلك يا ملىكى
الملك — حياة من يأسيدنى ؟

الكونتس — فليعلم مولاي الملك الحبيب
أنها حياة ملكتك ، وسالبرى زوجى الشرى ،
فهو بصفته هذه سيحول دون حبنا مادام حياً ،
ولن نستطيع أن ننم إلا بموتهما

الملك — إن ما تطلبين فوق طاقة قوانيننا
الكونتس — وكذلك شأن رغباتك ، فإذا
كان القانون يستطيع أن يمنحك من تنفيذ أحد
الأمرين ، فليمنحك كذلك من محاولة الأمر الآخر

أدعى إلى الزاوة والاحتقار . إلى أستطيع يا ابنتى
أن أطيل الكلام فى وصف عظمة الملك وجسامة
البار الذى يلحقك من وراثتها ؛ ولا تزيد الكأس
الذهبية منظر السم إلا إشباعه . وتبدو الليلة الظلماء
أشد ظلاماً إذا تحللها البروق . والزينة الفاسدة
أخبت ريحاً من العشب المطن . وكل مجد يتعذر
إلى الأثم يتضاعف البار الذى ينشأ عنه . وإنى
لأترك الآن وقد أودعت نفسك دعواتى التى
ستقلب لمنة قاسية أشد القسوة إذا أنت لوتت
اسمك الذهبى الشريف بلونه البار الموه بمظاهر
المظلة والمجد (ينصرف)

الكونتس — سأبنيك ، وإذا ما استدار عقل
هذه الناحية فينمر جسمى روحى فى هم غير
محدود النهاية

وفى أثناء ثورة عواطف إدوارد يصل ابنه
البرنس أوف ويلز إلى قصر روكسبرج فتثور فى
رأس الملك معركة شديدة يبدو أثرها فى حوار بينه
وبين الأمير يذكر فيه واجباته الزوجية ، فيتردد
بين الحرص عليها وبين الاندفاع وراء شهوة المفاجئة
الملحة ، وبينها هو فى هذا الحوار يتقدم اللورد
فيما قدم اللادى سالبرى ، فيأمر الملك ابنه
بالانصراف والتسلى مع أصحابه ، وتدخل لادى
سالبرى فيجربى بين الملك وبينها هذا الحوار

الملك — الآن جئت يا صديقة روحى

لتزبدنى من كلاتك القدسية

فى معارضة حبى بجمالك الفتان !

الكونتس — لقد أمرنى أبى ، وهو يباركنى ..

ها على جنبي تتدلى سكيننا زواجي .
خذ إحداها فاقتل بها ملكك
وتسلم مني أين هي واقدة ،
فسأقتل بالأخرى حبيبي الذي بنام نوما عميقا
في سويداء قلبي ؟
فاذا ذهبنا جميعا فسأوضح لازدتك غرامك .
لا تحاول أيها الملك الداعر أن تمنعني
فان عجزى أسرع في حركته من محاولتك
انتاقي

فاذا تحركت فسأضرب ، فقف مكانك ،
واستمع لما أخبرك به
فأما أن تقسم على المدول عن رغبتك الشريرة
فلا تمود أبدا إلى عبادتي فيها وإلا أقسمت
بالسما (ترك) أن تاطخ هذه السكين الماضية
هذه الأرض بما أردت أن تلوث من دم صدرى
السكين . أقسم يا إدوارد أقسم !
وإلا فسأضرب هنا وأموت تحت قدميك
إدوارد — إني لأقسم بالقوة التي تزودني الآن
روح الخجل من نفسي ألا أفتح شفقي بسميد
الآن بكلمة تشير إلى هذا الأمر الشرير .

انهضى أيتها السيدة الانجليزية صدقا التي
ستفخر بها جزيرتنا أبدا بخير مما يستطيع أى
رومانى أن يفخر بتلك التي أجهد كثرها للتبوش
أفلام الكثرين عبثا في محاولة وصفها .

انهضى ولتكن خطيئتي عماد سمعك الشريفة
التي ستغنين بها على مر الأجيال
انهضى فلقد أقمت من ذلك الحلم الكبره !
عبد الحميد محمد

وما أستطيع أن أصدق أنك تحبني كما نصف -
إلا إذا أنت وفيت باليمين التي أقسمت
إدوارد — كفى . . فليمت زوجك والملكة
فأنتك لا روع جمالا مما كانت هيرو
ولم يكن ييرولس ليندر بأقوى مني
وقد خاض مجرى الماء سميا إلى حبيته .
أما أنا فسأخوض جحيا من الدماء لأصل إلى
هيكل معبودي .

الكونتس — وإنك لتفعل أكثر من ذلك ،
فستصبغ ماء النهر بدم قلبيهما الذي يشطر حينا
ويفصل بيننا . ونصيبا زوجي وزوجك من هذا
الدم متساويان

إدوارد — إن جمالك يحملهما جرعة موتهما
ويقدم الدليل الذي يقضى بأن يموتا
وأنا باسم هذا الدليل وبصفتي قاضيهما سأذنبهما
الكونتس — يا لله من الجمال المزيف ! ومن
القاضي الفاسد الضمير !

وعند ماتمقد محكمة السماء العالية فوق رؤوسنا
اجتماعها العام وتبدأ حساب الناس ، ونحاسبنا
على هذا الشر المحسم هل نستطيع إلا أن نتحجب
كلانا من هول الجرعة ؟

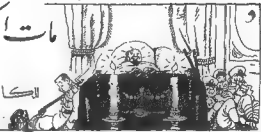
إدوارد — ماذا تقول حبيبي ؟ هل هي مصممة ؟
الكونتس — مصممة على أن أتحلل من
قيودي ، وإذن إليك هذا :

أنجز وعدك أيها الملك العظيم أصبح لك .
قف حيث أنت وسأبتمد عنك قليلا
ثم ترى كيف أسلم نفسي بين يديك
(تلفت إليه فجاء كاشفة عن سكينين)



مات الملك عابش الملك

للسكاتبة الانجليزية ماري كوليريدج
بتلاد الأديب محمد عبد الفتاح محمد



أن الغم قد انطبق ، والمعين أسبكتا ، والقلب كأنه
كف عن وجيهه الدائب
ودار الحمس :

— يا لله ! ما أروع ! ما أشد جلاله !

كانت غشية الموت قد أصابت الملك ، ولكنه
أفاق منها فرأى الصمت الروح الرهيب قد شمل
القاعة . صمت سحري في روعته ، جليل في رهبته .
ووجد نفسه من كثرة الأزهار الفواحة في مثل
الفردوس الذي وعد الله عباده المتقين . وألقى في
نهاية الفراش عند قدميه شمتين ترسلان ضوءاً
خافتاً مرتمشاً ، يخفق تكففاً قلب الماشق . وكان
رأسه هو الذي تحرر من التطاء الخملى اللين اللقي
على بدنه الجليل ؛ ورأى على ذلك الضوء الدابل
الضئيل أربعة ، بل خمسة رجال حول السرير
يفنون في نوم عميق

وشاع في نفسه فرح شديد حينما استطاع أن
يتحرك . وما كادت ساعة القصر الكبيرة تنهض
من دقاتها الاحدى عشرة حتى أحس بقوة الحياة
تطرد من جسده ضعف الموت . فهب من رقدته
جالساً وهو يضحك ضحكة خفيفة

ما هذه القوة الفاشمة التي كادت تودي به على
حين يرى بلاده في أشد الحاجة إليه ، ولكن
صوتاً خفياً هتف بالملك من وراء النيب يقول :

لم يكن السكون شاملاً ولا الصمت كاملاً في
القاعة الرجبة التي خيم عليها جلال الاحتضار
وغشها الموت . هناك حيث رقد الملك مستسلماً إلى
تلك القوة الخفية التي استولت عليه لتتزع منه سر
الحياة . وكان الناس بين غاد ورأفح ، بهامسون في
سكون وحذر كأنما يخشون أن يزججوا ذلك الذي
يلفظ أنفاسه الأخيرة ، على الرغم من أن الطبيب
الخاص لجلالته قد أذاع أن عليه لم يمد يده يسمع شيئاً .
وكان أولى بالمحتضر أن يتمل لنحيب زوجه
الصغيرة الحساء وقد جثت على حافة سريرها ، لو كان
ديب الفناء في بدنه قد ترك له شيئاً من حس السماع
وروى في الاضاعة ألا تكون قوة باهرة ، وفي
الستائر أن تظل مسدلة كيلا يؤدي الضوء عيني الراقد
الجليل ، على الرغم من أن الطبيب قد أكد أن
جلالته أصبح لا يرى شيئاً

ولم يسمعوا لإنسان ما أن يدنو من الفراش
ماعداء أولئك الذين له في قلوبهم أخاص الحب
وأشد الوفاء ، على الرغم من أن الطبيب قرر أن
صاحب الجلالة أصبح لا يعرف من الناس أحداً
رقد وقد تدلت يده الكريمة من الفراش كأنما

تبحث عن شيء ، فتناولتها الملكة بين يديها منتعجة
معهلة ؛ بيد أن الملك لم يستطع أن يجيب على ضغطها
ليده بالمثل ، لأنه كان في واد آخر غير واديهما . ولو حظ

إن أمانه ساعة ليس غير ، سيمود بعدها إلى الحياة
ويكون هذا الحلم المزيج قد مر بسلام
وتنفس الصمداء عند ما مر ذلك بمخاطره ، ثم
غشم قائلا :

— ستعود الأمور إلى مجراها بعد حين
واستذكر لحظاته الأخيرة ، ثم استدار وسرح
البصر في فراشه وقال :

— فيرأى لم أكن يوماً ما جباناً ولا رعديدًا .
وابشم حيناً ذكراً للهالة التي منحها إياه الصوت
الهاتف

ونظر أمامه فألقى ملكه الواسع المربض يمتد
تحت ضوء القمر الزاهر ، فقال لنفسه :

— سأجد ولا ريب ثلاثة آلاف عوضاً عن
ثلاثة ، أليس الكل أصدقائي وأحبابي ؟
ومر عند ما ترك باب القصر اللئيف بطفل يركب
بكاء مراراً ، فقال له في عطف :

— ما خطبك أيها الصغير ؟

فأجاب الطفل من خلال النحيب :

— لقد فارقت أبواي وذهبا إلى القصر .
جاء موت الملك ولم يعودا بعد . وإلى كارتى
وحيد نصب جائع ، ولم أتناول عشاءً حتى الآن ؛
ثم إن دميتى انحطت . ألا ليت الملك يعود إلى
الحياة ثانية !

وانهمرت مسارب عيني الطفل واشتد نحيبه ،
فسر الملك أشد السورور ، وقال في نفسه :

— ها هوذا أحد أفراد شعبي يتمتع بعودة الروح
ولم يكن لديه بنت ولا ابن ، فأراد أن يداعب
الطفل ويلعبه . ولكنه آثر أن يعمى إلى شأن أم
إذ كانت في طريقه إلى منزل الرجل الذي أدناه .

« أيها البعد ! سأمنحك الحياة ساعة بعد هذه
الموتة . وإذا عثرت فيها على ثلاثة يشق عليهم فراقك
جمعتك من الخالدين »

إذن فهذه ساعته . ساعته التي انتزعها من
الموت انتزاعاً . كم يا ترى مر منها ؟

لقد كان ملكاً عادلاً كآء المين لا يفتل عن
راحة شعبه ، جرى الصدر لا يعرف من الخوف
سبيلاً إلى قلبه ، ولكنه يحب الحياة . لله ما أجلها !
لقد عرف الآن قيمتها لديه . على أنه لا يحب الحياة
لذاتها ، ولا يتعلق بها لذاته ؛ إنما يهوى الحياة لأن
أعماله لم تتم ، وآماله لم تحقق ، ورسائله لم تؤد على
وجهاها الأكل

وارتدت الأشياء في عينيهِ ثوباً جديداً وهو
يفادر الثفرة ماراً بالحراس الناعمين . وفارقه شعور
السخط والتبرم بالقوة الظالة التي سلبتها الحياة
وقلب الأمر على جميع وجوهه ، وبند الماطفة

وحكم العقل ، وقال في نفسه : « إن البلاد حقاً في
حاجة إليه ، ولكن هناك من يمدله من الرجال
أو يفضله . وإن الدنيا مليئة بالعقول الناضجة
والقلوب الكريمة . العالم واسع ، وإنه ليراه الآن
أوسع . كل شيء يبدو في ناظره أكبر مما كان
من قبل . لقد نبذته بلاده الآن وهجرته بعد أن
أفنى عمره في السعى لها والحديث عليها

وتردد لدى الباب : أين يذهب أول الأمر ؟
أيذهب إلى زوجته ؟ كلا ، لا ينبغي أن يراها الآن ،
فمينها قرعهما البكاء ، وجسمها هذه الحزن

يجب ألا يراها إلا حين يستطيع أن يضمها إلى
صدره ، ويرى دموع الفرح بودته إلى الحياة
تنضح أسيل الخلد ، كقطرات الطل على نصير الورود .

من نفسه وآثره على غيره

وخامره شعور غريب ، وخشى ألا يجد
في منزله ، وقال :

— يا أُمَيَّاسُ السَّكِين ! إني سعيد إذ لم يمت
حزنًا على ، فلا أستطيع احتمال فقدته ولا الحياة من
بمده . وأني حينًا داف إلى منزل صديقه المشاهل
تفسد وتروح محمولة والحياد مسرجة ؛ وبلغت
أصوات المرح والمزج مسميه ، فتلفت هنا وهناك ،
ولكنه لم ير الوجه المألوف . وأبصر بابًا مفتوحًا ،
فتسأل منه ، ولكنه لم يمر على صديقه ؛ وبحث
عينا في غرفه . كانت كلها خاوية ، فانتابه هلع
شديد . لم يفته الحزن ولا ريب ! . وبلغ الجناح
الذي تساقيا فيه الصقور على غرة من الليالي ، ولم
يجده هناك أيضًا . رأى الكتب مبثرة والزجاج
متناثر الشظايا على بلاط الفرفة

ولوح إطار صورة ملق على الأرض ، فالتقطه
فكانت صورته وقد تحطم الإطار ، فتركه يسقط
من يده ثانية كأنما لسمته نار تندلع منه

وانتهى ناحية الموقد الكبير في ركن من
القاعة ، وكان قلبه يتأجج بالجر كأنه الحب اليائس
فرأى بقية من رسالة لم تحسها النار بعد ؛ كانت
رسالة كتبها بخطه إلى صديقه الحميم ؛ وفتناولها
وصر يبصر عليها ، فالتفت آخر رسائله إليه كان
قد ذكر له فيها تفاصيل مشروع اعترم القيام به
وما كاد يطعمها النار اللهب حتى دخل القاعة
شخصان يتحدثان : يقول الرجل للمرأة :

— أُنْ أُمَيَّاسُ ، ألا تلمين ؟

— ذهب ليقدم ولاءه للملك الجديد ، إذ نحن
كما نعلم في قلق مستمر ، وهذا الملك ليس على شاكاة

سلفه من حيث الآراء الثرية ، وقد كان سلفه
يحمل له اللقت والكرامية ؛ وقد عمل أُمَيَّاسُ
الماكر على أن يفسح لنفسه مكانًا في البلاط الجديد ،
وأمل أن يكون قد أفلح . لقد أقسم إلى أنه
كان يستهجن سياسة الملك القديم . لاسرية في أنه
كان يحبوه المطف والمطف والطف والحظوة ، ولكن يجب
ألا تحكم الماطفة إذا أردنا الرغد في العيش . وقد بدأ
خطته حين مات الملك ؛ وما أنذا أرسل أمتته
في أثره

— حسن جدًا !

قالها الرجل الذي عرف الملك فيه أحد سفرائه ،
وقال بعد برهة :

— سأنبه فورًا . وإني أقول لك والكلام
بيني وبينك ، أن ذلك لصالح الدولة ؛ فالك الملك الجديد
أرعن طائش لا يدري ماهية الحكم . لقد أمرني
أن أعقد صلحًا لا يتفق وما شيدنا من قصور الآمال ؛
غير أن الحرب قاعة لا محالة . ولا اكتملك أني
لو كنت أطعت أمره لعزت الترقيات في الجيش
وشعت المناصب

ولم يطق الملك سماع بقية الحديث ، فانصرف
وهو يقول في نفسه :

— لأذهبن إلى أصدقائي ، فهم على الأقل
لا يمنون شيئًا من مهادنة خفي ، وللهل يجردهم
من كل ما وهبهم إياه

وسمع الساعة الكبيرة تدق ربع الساعة الأول
وهو يسير . لقد كان ملكًا حكميًا ، إذ اتخذ سيده
إلى أفقر الأحياء في مملكته ، وقد زار هذه الأمكنة
من قبل متخفيًا ، فأثر في نفسه ما غم فيه من السكنة
والفقر

— لقد طالبنا حاول أن يثبت بالقانون . كان
أولى به أن يهتم بالأرياء الذين يسيرون في السجون .

إن في الأمر شيئاً ولا ريب
يا الله ! كأننا التئم هذا الجمع للنيل منه
والقدح فيه

ودقت الساعة الربع الثاني حينما ابتعد الملك
عن هؤلاء الرعا

وأحس دافعا قويا دفعه إلى عدو له كان يكيل
له السبائب والشتائم فيتقبلها منه هاشبا باسمًا ، واتخذ
سبيله إلى السجن قدما . وانتقى غرفة منه تضم بين
جدرانها اللكناة وجلا واحدا يكتب مستنداً
على إحدى ركبتيه . فأدام الملك النظر إليه ،
وسرعان ما دخل حارس السجن يرافقه رئيس
مجلس الشورى ، وهو رجل كان يجب به الملك
ويقدره حق قدره

ورفع السجن رأسه بسرعة ثم قال في اضطراب
وقلق :

— ولكن بوى غداً
ثم عاد وتمالك نفسه وقال :
— غير أني الآن على استعداد لي رجاء واحد .
هل آمل أن تبلغوا هذه إلى زوجي ؟

فتكلم رئيس مجلس الشورى في هدوء :
— لقد مات الملك ، وأرجى تنفيذ الحكم
فيك . إن الملك الجديد سياسة أخرى ، ومن
المحتمل أن يطلق سراحك غداً

فقال السجن في حزن عميق :

— مات ؟

فقال الآخر في حزم :

— أجل . مات !

ولم يكن أحد يعلم من أين أتته تلك الحى
الخبيفة التي أودت بحياته ، حتى هو نفسه لم يكن
يعلم علم اليقين ، وغشم ضاحكا :

— سوف لا تمس الحيات جسمي بعد الآن
وكانت منازل الحى الوضيع تدل على فقر مدقع
ويؤس شديد ؛ وكانت الأمراض والأدواء تبدو
واضحة على وجوه الأهلين البؤساء الذين وقفوا
جماعات على قاعة الطريق بهامسون ويردون اسمه
من حين إلى حين . كان اسمه جاريا على كل لسان ،
شاغلا كل ذهن ؛ ومهمهم فيما سمع يرددون النشرات
الطبية التي أذيت عليهم ويحزرون اليوم الذي
يشيعونه فيه إلى مقره الأخير . عجبا ! يظهر أنهم
بحوثه مقتبطون

وفي إحدى المواخير أبصر خمسة رجال حول
مائدة يجثسون شرابا ، فوقف بتسمع إلى حديثهم ؛
وسمع أحدهم يقول :

— حمد الله على خلاصنا منه . فما فائدة ملك
يضن بفلس واحد زيادة عما أمر به . ولا يخفى عليكم
ما في ذلك من كساد تجارتنا . أما الملك الجديد فيبدو
لي أنه من صنف آخر . وستروج بضاعتنا في حكمه
وأيام الحق . فقال آخر :

— أجل . لقد كان ملكا لا يطاق . كان يطاردنا
ويحرم علينا القو . بأى حق كان يفعل ذلك ؟ أريد
أن أعلم
فقال ثالث :

— أما أنا فأقول . ليسقط ذوو التيجان . فان
كان لابد منهم فليتركونا وشأننا . وإنى لأؤثر
شابا لا ينصاع لما تخليه عليه سالبات النهى الكواعب
وقال رابع :

وتلبدت السماء بالسحب القائمة فحجبت قرص القمر الزاخي . وهبت ريح باردة نالت من جسده المهوك . وأحس عزلة موحشة تشمله ، ووحدة قاسية تكاد تصرعه ، وقاض قلبه ياساً وغماً أحقاً ليس هناك من يهتم له ويمرّن عليه ؟ إنه يهب كل ما لديه في سبيل نظرة عطف حقيقية واحدة . كم يتوق الآن إلى شخص يبذل له من ذات نفسه ما يجمع عليه يده ويشد به عضده . كم يموزه الآن أليف يثمه بنعمة وداده ويقبل عثاره لديه لحظات أخرى ثم ينتهي الأجل . كيف بالله احتمال عمره الطويل ؟ على أي حال لم تبق له إلا دقائق معدودة

وأحس سلوة في نفسه وعزاء في قلبه . نسي كل ما أساء به إليه الناس وصغر لديه شأنه وحقّر في عيني نفسه ووقف لدى باب غرفة زوجته يقدم رجلاً ويؤخر أخرى . ماذا يفعل لو وجد أمله الباقي صراباً ؟ ألا يحمل به أن يعود حتى لا تصرعه الحقيقة المرة ؟ غير أنه غنم قائلاً :

— لم أكن يوماً ما جباناً ولا رعديداً وكانت زوجته تجلس إلى جوار الموقد وحيدة تخفي وجهها بشعرها الأسود الوحف المسترسل . أحس عند ما رآها لأول وهلة بمطف نحوها يكاذ يذيب منه القلب . وحجب كيف تسرب إليه الشك في إخلاصها وكان خافها الثمين بطوق بنصرها كهمده به منذ أن أهداها إياه ، ولم يكن بالفرفة ما يسترعى البصر سوى بريق حجره الأخاذ وشعر يحنين إليها . ودهش لم تركتها وصيفاتها

فهب السجين واقفاً يحس جبينه كالحموم ثم قال :
— نسيدى لقد كنت أجله وأحترمه . كان ملكاً بكل ما في هذه الكلمة من معان سامية ، وقد غاملي معاملته لسيد عظيم . ذلك فضلاً عن زوجه الصغيرة الحسنة ، لكم أتمنى أن يمت صرة أخرى ، وكان اللمع يجول في عيني الرجل أثناء حديثه

ودقت الساعة الربع الثالث والملك ينادر السجن الرهيب
كان عطف عدوه أشد وقفاً على نفسه من غدر خالصاته . وعجبه . خير له أن يموت من أن يكون مدينًا بحياته لئلا ذلك الرجل

غير أنه لم يسمه إلا أن يطرب لشعور الرجل نحوه وتقدير ما في نفسه من نبل ومروءة ؟ وهان عليه الموت وسهل لأنه رأى أن عجة الناس له لم تكن إلا حلماً من الاحلام . إن هؤلاء الناس الذين تمب لهم ومهر عليهم لم يلبثوا بمد شاو من يحترم نفسه

— أين أصدقائي الآن ؟ . طفل غريب ، وعدو نبيل . إنهما كل مالى من أصدقاء . وهل للحياة قيمة بمد ذلك ؟

ألا يجدر به أن يستسلم للقضاء . ولا يتمنى بمد الآن شيئاً ؟ لقد تلقى درساً بليفاً . في وسمه أن يرقد فينام فينال الراحة الكبرى . لقد بررت القوة الالهية مسلكتها مع الانسان الطامع الجاهول . ماذا ينفع المرء أن يثبت عنده كذب أخيه ؟ وقارقه الأنف ، وذهب عنه الحزن ، وبرج الخلفاء ، وتكشفت له الحياة



يَوْمِيَّانَا فِي الْإِرْيَافِ

لِلأستاذ توفيق الحكيم

١٩ أكتوبر

رأيت أن الطريق الوحيد بعد ذلك أن أبحث عن ذلك الخطاب الذي كان قد تقدم للبيت ريم . ولكن كيف نستدل عليه ونحن لا نعرف حتى اسمه ؟ فلنطلب إذن إلى المركز أن يأتي إلينا بأحد الجيران لعله يعرف الخطاب . ولكن الجار امرأة ؛ فان المرأة بطبيعتها فضولية ثائرة . فما من جارة لا تعرف أسماء الخطابين والخطوبات في الحارة .

ولكن هل أستطيع الآن أن أكلف المركز باحضار شاهد أو بالبحث عن مجرم ؟ إن السياسة وحدها هي كل شيء اليوم في المركز ؛ ولن أجد خفيرا يلقى بالا إلى أوامري الساعة . فلنتصل نحن مباشرة

وحيدة . كان يجب ألا يفارقها في تلك الليلة العصيبة . وبدت لها كأنها غارقة في أفكارها وهومها . ألا ليثها تسممه صوتها الموسيق الحنون ، أو حتى تردد اسمه

بجوار فراشه . لذلك أمسكت بيده بين يدي وهو يجود بنفسه . لقد ملكني الخوف وأنا أنتظره هنا وحيدة مع نفسي . ظننت روحه تأتي فتفزعني . ولكن لا ، لقد ذهب إلى حيث لا رجعة . ستعرفون علينا السعادة بأجنحة من الحب بعد الآن

بيد أنها كانت سائمة صمت القبور وفزع الملك الحركة مباغتة . وفتح باب سرى في الجدار ؛ باب سرى كان يظن أن أحدا لا يعلم به سواهما ؛ ودلف منه رجل وانتصب أمامها . فرفعت إصبعها إلى فها توى إليه بالصمت . ثم ألتفت بنفسها أخيراً بين ذراعيه :

وزعت خاتنها ولثته ثم قدمته إليه وهي تبكي وعند ما دقت الساعة تملأ انتصاف الليل نهض الحراس من نومهم فرأوا الملك راقدًا قد تنشاه جلال الموت . غير أنهم لم يروا تغييراً عظيماً عتري حياته ، فقالوا فيها بينهم :

— هل عدت أخيراً ؟ كم أنا سيدة ! عفواً يا حبيبي ! لقد كان على أن أفضل شيئاً وأنا جاثية

يجب ألا ندع الملك تراه ثانية

ترجمة : محمد عبد الفتاح محمد

— أيام انتخاب ياسماده البك
— والممل ؟
— تتصل بدوار الممد وتطلب النفز والحرمه
— اتصل

واستطعنا آخر الأمر أن نطفز بحضور الحرمه الجارة مع « مخصوص » وكان ميعاد غدائي قد حان . وكان قد أجهدي الممل المتناد بالكتب . أعني تحقيق التزويرات وقضايا الرافا حش والتلبس الوارد من المركز من « إيراد » اليوم ، وأكثره الآن محاضر « تشرد » ضد الأهالي غير الموالين للحكومة القائمة . وما أسهل هذا السلاح وما أقواه في يد رجال الادارة ! فان كل نجل كرم من أنجال الأعيان يمكن اتهامه بأنه لا يحترف صناعة ، ويمكن بذلك القبض عليه وحبسه أربعة أيام باذن النيابة لحين التحرى عنه وتطلب صحيفة سوابقه من مصر . وأين هو وكيل النيابة الذي يمرض المركز اليوم في إصدار أوامر الحبس ؟ وقت لفتقده بمد أن أصدرت من هذه ماشاء الله والمركز . وعدت بسد الظهر لسؤال المرأة ، فتكلمت كلاماً كثيراً لم أخرج منه إلا أن الفتى الخاطب يدعى « حسين » وهو ليس من أهالي البلدة بل من بلدة مجاورة

— اسمه حسين إليه يا وليه ؟ فيه ميت حسين في البلد . لقبه إيه ؟

— ما اعرفش لقبه ياسيدي . البنيت قالت اسمه « حسين » وأنا مالي بقي أسأل عن أصله وفصله . أما حرمة غلبانه في حالي ، ببعد عنك ما أكره على إلا كثر الكلام . أنا طول عمرى ياسيدي في الحارة ما أحشر نفسي في كلام ولا في سؤال . وأنا مالي قالوا يا داخل بين البصلة وقشرتها ...

بالقرية وتطلب إلى النقطة أن ترسل إلينا المرأة المطاوعة . وأمرت في الحال حاجي فتقدم إلى آلة التليفون وأمسك بالبوب وجمل بصيح أكثر من ربع ساعة :

— يا نقطة ! يا نقطة ! ردى على يا نقطة ! البك الوكيل جنبي يا نقطة !

ولكن النقطة غضت طرفها الناعس عنا ولم تكلم نفسها عناء الرد علينا ؟ واشتد غيظ الحاجب وجملت يده محرك جرس التليفون بقوة كادت تخلجه . وهو من طراز تليفونات الراكر التي لا توصل الكلام بين للتكلم والمخاطب حتى ينقطع نفس الاثنين من كثرة السباح ، وحتى ينقطع جبل الحديث مائة مرة ومرة تشبكي خلاها جبال أحاديث أخرى من بلاد أخرى ومن مصالح مختلفة . فبينما يدور الكلام حول إرسال متهم إذا صوت يجيب في مسألة متعلقة بتفتيش الرى والفتحات ونوبات الترع ، وإذا آخر يتكلم في أنفار القرعة ويطلب طلبات في لهجة الأمر والنهي . على أننا اليوم لا ناتي ردا على الاطلاق . ويد الجرس في يد الحاجب لا يقف لها دوران ، كأنه يدبر طاحونة بن . ولا ينفك بصيح نارة مهددا ونارة متوسلا :

— أنا في عرشك يا نقطة ! كلمة واحدة يا نقطة ! إخص عليك يا نقطة ! ردى على يا ...
فما تكلمت أن قلت :

— شيء لطيف ! ناقص تركع وتقول : « ردى على يا روح قلبي يا ست هانم يا نقطة ! »

— يظهر ياسمادة البك أن النقطة خالية من حضرة الملاحظ والبولكامين والكل كليتة ...

— النقطة خالية ...

زوجها ، ودنت من القاتل الحقيقي وصرت عليه من الكرام ، ووصلت إلى ذلك المسكين صاحب المستندات الذى ليس له فى الثور ولا فى الطحين ، فلكى به صدره لسكة كادت تذيبه وصرخت بالصوت :

— غريمى

فأخرج على الرجل وقد فوجئ ثم تناك وقال :

— يا سقى أما أعرفك ؟

فلم تسمع اليه المرأة ومضت تقول :

— غريمى دى . غريمى

والنفت إلى الرجل كالـ تجير :

— يا سيدى البسك . انهضى . أنا عمري

لا شفها ولا قالتها ...

فقام وكيل النيابة وهو أنا ولا نغر بأسلته « النجارية » المحفوظة عن ظهر قلب ، المعتبرة من « روتين » العمل التى إذا لم تسأل أحصتها الرئاسة علينا هفوة ، وإن لم يكن هناك محل لتوجيهها ، أسئلة سخيفة لا تبنى شيئا فى ذاتها ولكن القضاء يعتبرها محرجة مضيقية على نخناق المجرم :

— بينك وبينها صفائى

— أبدا يا سيدى ولا أعرفها

فتمهل قليلا لى ألقى ذلك السؤال الذى يلقيه كل وكيل نيابة وكل قاض فى ثقة واطمئنان كأنما يلقي يده على الدليل المبين :

— إذن ما سبب ادعائها عليك ؟

— أنا عارف ! مصيبة على الصبح وارتعت على

— احجزه يا عسكري

— يحجزنى ؟ أنا يا سيدنا البسك لى قضية

مدنية تحت . اعمل معروف خلينى أروح لشئلى وألقى الرجل فى الحبس الاحتياطى . ونودبت

— اسكتى قلبت دماغى فى الفارغ . داهية تقلب دماغ الذى طلبك . يعنى لو عرضنا عليك الولد تعرفيه ؟

— أعرفه يا سيدى . يا نداه ! وأنا بقى خلاص انعميت ... أنا كنت اسم الله على مقامك ...

— كفاية ... انت واحدة والله الحمد لا تحبى كثر الكلام ولا ...

كثر كلام ... أبدا وحياة شرفك ... أنا ببسك عنك من يوم ...

— بس !

وناديت الحاسب ، وأمرته بإخراج المرأة واجلاسها فى الدهايز بجواره تنتظر حتى تطلب . وكانت بمخبرة البلدة التى فيها الفتى ليحضرها الفتيتان الذين يسمون فيها باسم « حسين » ممن تنطبق أحوالهم وأوصافهم على ما لدينا من المعلومات . وجلست أنتظر ساعة وأنا أفكر فى قيمة هذا العرض « القانونى » . إنى لا أتق كثيرا بفراسة هؤلاء النسوة . وما زلت أفكر قضية قتل أثنين فيها زوجة القاتل وعرضنا عليها اللهم بيت أشخاص آخرين جئنا بهم عفوا من قاعة الجلسة المدنية المنقذة فى صباح ذلك اليوم . وكان من بين هؤلاء شخص منكود الطالع أتى يحمل مستندات شركته فى جاموسة ويسمع الحكم على خصمه بالطلبات . فاذا هو يحمد نفسه قد زج بين الأنفجار الذين أخذوا من قاعة الجلسة ليقفوا فى صف طويل فى قاعة النيابة وقد أخرج عليهم وكيل النيابة امرأة شحطاء ، وأمرها أن تبرز القاتل من بينهم . فقفرت المرأة فى الوجوه وهى تدق صدرها وتدعو بالويل على قاتل

طابقا للقوانين الحديثة ينبغي أن يرمى في تطليعها
عقيلة هؤلاء الناس ومدى إدراكهم وقدرتهم
الذهنية

وحضر الطالبون وأوقفهم في صف طويل
وأدخلنا المرأة فتقدمت وهي تقول :

بسم الله الرحمن الرحيم
ولم أترك لها مجالاً للثرثرة . فقد انتهت بها :
— كلمة ورد غطاها ياولية . من في الحاضرين
الخطاب ؟ ...

فدنت من أقرب الفتيان إليها ونظرت إليه
بعينها « المشاء » نظرة « المرضخالي الأبيض »
إلى « عريضة » يرفعها في يده حتى تمس أنفه .
وقالت له في صوت خافت تريد ألا يصل إلى
مسامي :

— أنت « يا ادمدى » مش اسمك حسين ؟
فأدركت في الحال مبلغ علم المرأة بما انتدبت
لأجله وقلت لها في شدة :

— كل الجدعان اللئالي قدامك ياولية اسمهم حسين
— قطعة !

لفظتها المرأة في صوت الواقع في حيرة من أمره .
ثم اتجهت الى التالى وسألته :

— انت منين يا جدد انت ؟
فأجابها الرجل في صوت هادئ :
— من أمبابة يا سقى !

فقال على الفور في لهجة الجد :
— دى بلد الجبر يا جددان . دا كان مرة
« ادمدى » جوزى اشترى منها حمار ...

فلم أتمالك أن صحت :
— أخرجى يا « قرشانه » يا « وحشة »
يا قليلة الحيا ... ضيعت وقتنا ، نهار بحاله .

قضيته المدنية فلم يحضرها بالضرورة قسطنطين دعواه
وجلس الرجل القرقصاء على الاسفلت ومستنداته
في يده يفكر فيها آل إليه حاله بلا مبرر ولا جبرية
تذكرت ذلك وقالت في نفسى : « كلا لا ينبغي
أن نبالغ في قيمة « المرض القانونى » إن هؤلاء
الفلاحين بأعينهم التى أكلها الصديد منذ الطفولة ،
ومداركهم التى تركت هملا على مدى حكم ولاية
من جميع الأجناس لا يمكن أن يركن إليها فى حكم
أو تمييز . وهل هناك أعجب من « عرض قانونى »
آخر قت به فى قضية تزوير ، وكان التهم « أفنديا »
وقد وضعت بين أشخاص مطرشين وحشث بالمجنى
عليه الفلاح وأسرته باخراج « غريمه » من بين
هؤلاء ، فتفرس فى الوجوه لحظة ثم ترك الصف
بأ كله ووقف تجاهى أنا وكيل النيابة المحقق وأطال
النظر فى وجهي وقد بدت فى عينيه علامات الشك
الذى سيتبعه اليقين أنه وقع أخيرا على المجرم الحقيقي ،
وكان حاضرا عندى وقتئذ أحد كبار مفتشى
النيابات زائرا وقد أراد أن يشهد عملية المرض .
فها لى أن يطيل الرجل شكه فى أنا فيبدو للمفتش
رأى لا أراضاه ، فانهثرت الفلاح وأمرته أن ينظر
فى الصف الذى أمامه ويخرج منه التهم . فكان
الأمين يمر بالصف سرا سريما ويمود فيلقى بصره
على ويفحصنى من رأسى حتى انخص قدى لحص
المشبه المستريب . ولن أذنى اضطرابى يومئذ .
وقلت فى نفسى : « الله يكون فى عون المرؤسين »
ولم أجد عند ذلك مندوحة من أن أنهى عملية
المرض فى الحال قائلا فى سرعة : « لم يستمر
المجنى عليه على أحد » وأمرت الحاضرين بالانصراف
نفرج الرجل وهو ما زال يمتثل النظر . كلا إن
تلك الاجراءات التى تتبع فى أعمالنا القضائية

عن القضية التي ترفع فيها قائلاً إن التهم فيها قد حكم عليه بالأشغال الشاقة المؤبدة لأنه قتل رجلاً في نظير مبلغ خمسة جنهات . فالقاتل رجل سوداني بدوي قوى الجسم يحترف إزهاق الأرواح . وقد اتفق معه أحد الفلاحين على قتل خصمه له وحررت الكيبالة بشمن « الروح » . وأنطلق ذلك المحترف حاملاً بتدقيقه كما يحمل الفنان قيثارته ، ووقف بها تحت نافذة المسجد حتى دخلت « الروح » الغالية وسجدت تصلى فأرسل إليها الصياد من بين قضبان النافذة قبلة واحدة ذات صفر من « ماسورة » أرغوله الجهنمي كانت فيها الكفاية . وهي صناعة تحتاج الى ثبات يد ، كصناعة التجارة ؟ فالنجار الحاذق يضرب السبارضبة واحدة لا عوج فيها ولا ميل ، تصيب اللوح في الصميم . وكان مصير هذا الدم الضائع كالمتاد ومآل القضية البراءة ، لولا خلاف دب بين البائع والمشتري . فالقاتل سلم « البضاعة » حاضرة . ولكن للمشتري مطلب يلين . ولم يطلق القاتل المحترف صبراً على هذا « الزبون » المتوقف عن الدفع فصاح به وسط الجلسة غير صراخ حرمة قضاء ولا فضاة ...

— ما زنى أقتله لك لوجه الله ؟
وترك « زبونه » والتفت الى هيئة المحاكمة :
— اشهدوا يا ناس على قلة الشرف . أنا أستحق الشنق ؟ الى ما قبضت مقدم . هو يخرب البيوت إلا الشكك
وخشكت قليلاً أنا ومساعدى . وقد أبدت له ملاحظتى على هذه التجارة أو الصناعة المرووفة في الريف . وهي الاستعجار على القتل . ان الفلاح المصرى يلجأ كثيراً الى عتوف يقتل له . كما كان بعض ملوكنا الأقدمين يلجأون الى الجنود المرتزقة . أهو تنه

إخص على دى شهود ...

فلتها من غيظي وأنا ليس من عادى « التباحة » ولكن هذه المرأة التي أهتمتى أنها رأيت الخاطب بعينها وترعرع إذا حضر أمامها قد انتضج الساعة أنها لا تعرف إلا اسمه . وحتى هذا الاسم الا بتر « حسين » من أدرانا إذا كان هو اسمه الحقيق أو أنها كلة ألقتها على عواهنها هذه المرأة « الهجاصة » وسألت الحاضرين عن الخاطب فلم أحد بينهم من يفهم غرضى أو من يعرف شيئاً عن الموضوع . فصرتهم . ولم أكد أدخل الى نفسى وأفكر فيما يبنى عمله بعد ذلك ، حتى فتح الباب ودخل على مساعدى أتيا من البندر حيث كان يتراجع فى قضايا الجنائيات التي أحلتها عليه . وقد رأيت وجهه نضراً مشرقاً . وابتدري قائلاً :

— البنادرى النعيم . يا خسارة رجعتا بسرعة إلى جحيم الريف
— أخذت أحكام براة
— أما زلت فى أحسن بانسيون وصرفت ضمف بدل السفرة

— رد على سؤالى . القضايا عملت فيها إيه ؟
فوجم الشاب قليلاً ، ولم يكن ينتظر منى الكلام فى العمل والجد منذ اللحظة الأولى . وكان يحسن بي فملاً أن أكون به لطيفاً رقيقاً ولكن القضية التي فى بدى أتميت أعصابى ، أو لعل شيئاً من الحسد الخفى قام فى نفسى إذ رأيت هذا الفتى عائد كالأهرة المشرقة من ذلك النعيم الذى يقول عنه بينما أنا راسف فى أغلال الوظيفة غارق فى عمل دى مسؤولية لا يقف ولا ينتهى . وتنهت مع ذلك لمخوضتى وأردت أن أبتم وأن أتكلم فى غير القضايا . ولكن المناسبة كانت قد فانت . ومضى المساعد يتحدثنى

ولقد أخبرتني فعلاً أحد المستشارين من أهل الصراحة
انه بعد أن نطق ذات مرة بالحكم في جناية خطيرة
ورجع ليلاً الى مكتبه وورقه وملفات القضية ليكتب
الحجيات ، وقع نظره على أقوال وهجارات في محضر
جلسة اليوم ، وفي المحاضر السابقة ، وفي تحقيق النيابة
استخلص منها تفكيره الهادي الرزين في ذلك الليل
الساجي ما لو عرفه قبل النطق بالحكم لكان حكمه
قد تبدل وتبدل . ولكن ما العمل الآن وقد تم
النطق بالحكم وما من سبيل الى تغييره بأى حال ؟
لا يستطيع أن يصنع شيئاً . فجعل همه تلك الليلة
أن يستخرج من الأوراق جميع الأسباب التي
يبرر بها النطق بالحكم . وكمن الحجيات الطويلة
تكتب تبريراً وتدعماً للحكم سريع مضي النطق به ،
لا تفسيراً لعدالة ولا تعميماً لحقيقة ...
(يتبع) توفيق الحكيم

خلق في الفلاح يضاف الى أمراضه الجفائية والفكرية
والاجتماعية الكثيرة . أم انها قوة مقدرة وضمت
ثقة بالنفس منشؤها اشتغاله بأعمال المبدع من قديم
في الأرض والزراعة وترك الفروسية والجنسية
للمفبرين وأقربهم بنا عهدا الاعراب والأتراك .
ان الملاحظة على أشهر محترفي القتل في الأرياف أنهم
من دم أجنبي . أم ان الفلاح يحب السلام وبأنف
أن يزاول سفك الدماء بيده التي تبذر البذر ويخرج
منها الخير . لست أدري . إن الأمر يحتاج الى درس
خاص . ويكفي هنا نحن المتصلين بهذه المسائل أن
لا نمر عليها بغير ملاحظة . وقد أهتمت مساعدي
أن مهنتنا سخية عمادة البحث والملاحظة . وإنه طول
حياته بها لا يبنى أن يسير مغفص العينين . فهي
خير مهنة تكون الرجل تكوننا صحيحاً . فوكيل
النيابة إن هو إلا حاكم صغير في مملكة صغيرة إذا

فهم كل شيء في هذه المملكة ، ولا حظ كل
شيء ودرس الناس وطباعهم وعمازهم ، فقد
استطاع بعد ذلك أن يعرف تلك المملكة
الكبيرة التي هي دولته . بل استطاع أن يفهم
ذلك العالم الأوسع الذي هو « الإنسانية » .
ولكن كم من رجال النيابة أو القضاء يستطيع
أن يلاحظ ان قوة الملاحظة هي أيضاً هبة
عظيمة لا يملكها كل الناس . وقد وحي
مساعدي هذا الكلام وهو على قسط وافز من
الذكاء . فأطرق قليلاً ثم رفع رأسه وأخبرني
أنه لاحظ أمراً استوقف تفكيره في جلسة
الحجيات ، ذلك أن المستشارين ينطقون بإذى
بدىء بالحكم . ثم ينصرفون بعد ذلك الى
كتابة الأسباب . والنطق الذي يتصوره
هو أن يكون الأمر على العكس . ملاحظة قيمة .

سليم خضير

٥٠٦٥
٥٠٦٥



١٠٥٧
مطبعة

بريشة ذهب عيكار ١٤
مضمون ٣ سنوات

لست تجعله الحبيب كوماتل لشرقة
مكتبه ورطبة خضير بساع عبد العزيز

الحَيَاة

لدؤسان إبراهيم عبد القادر المازني



وما إليها ، وأن تقوم بما تقتضيه الخدمة . وكان
أصدقاؤها كثيرين فسرهم هذا وارتاحوا له وأقبلوا
على « ناديا » ليساعدوها ، وآثروا على الأندية
الفتوحة بلا قيد ولا شرط ، أو كما قال بعضهم :
« لكل من هب ودب » فصالح حالها بذلك حتى
لقد احتجت أن تنتقل الى شقة واسعة كثيرة
الترف والشرقات . وصار للملون - على الأيام -
خير زياتها وأسخامها ، فقد كان أكثر من عداها
يحمل معه ، وهو خارج ، ما بقي من طعامه وشرابه ؛
أما أولئك فقد كانوا يتركون الباقي ، ولا يفهمون أن
يحسنوا تجزئة الخادومات ؛ وكثيراً ما كانوا يكلون إلى
« صفية » أعداد الطعام والشراب الذين يريدونهم ،
فيكون لها من ذلك ربح آخر . وقلما كانوا يكتفون
بنصف الريال المطلوب

ولم تكن « صفية » كبيرة السن أو دمية ،
ولكنها كانت قد قامت سن الاقبال عليها من الشبان
وبلغت سنًا تحتاج فيها الى المحاورة والمداورة ، وتأكيد
الحاسن ، وإبراز الفائق ، فكانت لا تزال تدخل
غرفة وتخرج من أخرى ، وتجي هذا وتلاطف ذاك ،
وتحمل بيدها البضعة الكوب أو الطبق لتجيء
بشير ، وتجي الخادمة وتلقى الابتسامات هنا
وهناك ، وتخطر في شغوفها المحبوة التفصيل . ومن

كان الحاضرون يجلسون حيث شاءوا من
غرف الشقة الرحبة ، فقد فتحت كلها - ماعدا
غرفة النوم - وكان كل اثنين - كل فتاة وفتى -
يختاران المكان الذي يراه أوفق لها وأطيب .
فتحمل إليهما الخادمة طاولة صغيرة وترص عليها
ما يحتاجان إليه من أطباق وكواب ، ثم يجيئها
بشرابهما وطعامهما اللذين دخلا بهما ، فيأكلان
ويشربان ويسمران ويرقصان - فان في البيت
فونرفاقاً لا يستريح - ويظللان كذلك - « في
خورد وفي أمور » كما يقول ابن الرومي - الليل كله
أو بعضه ؛ ثم ينصرفان راضيين شاكرين . فقد كان
هذا اتفاق « صوفي » أو « صفية » - كما توتر أن
تسمى نفسها - مع ضيوفها ، وكانت خياطة وكان
الحال حسناً ، والأيام مقبلة عليها ، فجاءت من هي
أربع منها وأكيس وأبقى وأقدر على الاستيلاء على
أهواء الزبائن فركدت السوق وقل العمل ونضب
المعين ؛ ثم خطر لها أن تسمع لمعارفها من الجنسين
ان يسمروا عندها ليلتين في الأسبوع - السبت
والأحد - أي أن تجعل من شقتها نادياً خاصاً ،
واشترطت أن تتقاضى من كل واحد وواحدة نصف
ريال ، ولضيفها أن يجيئوا بما يشاءون من طعام
وشراب ، وعليها أن تعد لهم الأواني والأدوات

تسندته وتقوم اعوجاجه . ولم يكذب عبده يراهما حتى نهض وتناول ذراع الرجل وقال له بمحبة :

« ما هذا الذى صنعت بنفسك ؟ . كيف تجرؤ أن تجيء إلى هنا وأنت على هذا الحال ؟ »

فقال الرجل وهو ينحط على أقرب كرسي : « إيه ؟ ماني ؟ »

فقال عبده : « ألا تحجل أن تحمل هذه الفتاة عيب جسمك الثقيل ؟ »

فزأب الرجل وأدار عينه في الغرفة ، ثم كأنما أحس أن جفونه ثقيلة ، فأغمض عينيه ، ورد رأسه إلى ظهر الكرسي ، فهزه عبده هزاً عنيفاً ، وصاح به يدعوهُ أن يفتح عينيه ، فأشار إليه الرجل أن يبعد عنه ، فساد عبده يقول كأنما يحدث نفسه : « ولكن الفتاة ؟ . كيف تكلفها أن تحتمل منك هذا الحال ؟ »

فقال الرجل : « ما لها ؟ إنها رابحة على كل حال » فدهش عبده ونظر منه إلى الفتاة ، ثم كأنما خطر له خاطر فقال لصفيّة : « اجعلي بالك إليه .. إنه صديق لي . اعتنى به . أرجوك »

والتفت إلى الفتاة وقال لها : « تعالى معي .. إن بقاءك معه وهو على هذه الحال لا يليق .. تعالى تقف في الشرفة »

وأشار إليها فشت أمامه إلى حيز أوما ، فلما سارا وحدهما قال لها : « هل جئت إلى هنا من قبل ؟ » قالت : « أبداً »

قالت : « هل تعرفين أحد هنا ؟ » قالت : « عرفته اليوم من صديقة لي » قالت : « من أنت ؟ »

قالت وهي تبسم : « إنك شديد الفضول » قال : « لأن تعرفي صاحباً يبي ما يقول ويفعل ، خير فيما أظن من أن تعرفي من لا يكاد يبي »

أدري منها بأبراز خطوط الجسم الجليل ، واستدارات القدر الرشيق ، وإكساب الأنداء والأرداف فتنة فوق فتنتها الطبيعية ؟

وكان بعض ضيوفها يأتون فرادى اكتفاء بما يملكون أنهم يفيدونه عندها على كل حال من الأناش والبهجة ، فما كان يدخل هذا البيت غريب عن رواده ، فكان المستفرد الوحيد يستطيع أن ينتقل من مجلس إلى مجلس ، وأن يمايت أو يضاحك أو يسامر أو يراقص من شاء . وكان من هؤلاء عبد الحميد — أو عبده كما كان يسمى في المادة — ولم يكن يعرف من الموجودين إلا اثنين — « دافيد » الذى جاء به « ورشحه » في مرة سابقة ، و « صفيّة » ربة البيت . وكانت « صفيّة » قد أعجبها شكله ووقع من نفسها هدوؤه وسكون طائرته في الأغلب ، وما يدور عليه من قوة الجسم والإرادة معاً . وكان قليل الشراب تزر الحديث ، ولكنه لم يكن على هذا لا جامداً ولا قاراً ولا صارم الجدد ، فكانت صفيّة تقبل عليه وتحاول أن تحمل عنده عمل الصاحبة التى لم يجيء بها ، ولا تتركه إلا لحظات قصيرة للمناوبة بغيره إذا بدت لها حاجة إلى ذلك . وقالت له مرة :

« لماذا تجيء وحدك ؟ » فلم يدر ما سرادها ، ونظر إليها — أثارها النظر — قبل أن يجيب ثم أتر الملاحظة فقال :

« وهل أما وحدى ؟ » فسرهما جوابه ، وظنت أنه قانع بمجلسها وحديثها ، وراحت تبنى نفسها الأمانى ، فقد توسمت فيه — من منظوره — النفى ، وأنت من سيرته الجلود . وإنها لهم بكلام مناسب ، وإذا بالباب يفتح ، وإذا بالثنين يدخلان — رجل وفتاة — وكان لا شك في أن الرجل سكران طافح ، فما كانت رجلاه تحمله إلا يجهد ، وإلا بفضل الفتاة التى

من السباحين . وشره على الخصوص أنه لم ير على شفتيها أراً للأحمر وأن حاجبيها طبيعيان .

وقال لها : « ما اسمك ؟ »

فضحكت وقالت : « لكأنك أبي »

فقال : « لا تصحكي .. واسمى .. قد يكون فضولي ثقيلاً ولكن عجبتك مع هذا السكران ... »

فقاطعت : « هل الهىء الى هنا عيب ؟ »

فقال : « لا . لست أزعج ذلك .. إن المكان لا عيب فيه ... نادى أكثر ولا أقل ... ولكنه خاص ... ليس لكل الناس ... ولكن أين كنت مع أحد ؟ .. أين سكر الى هذا الحد ؟ .. »

فجالت : « اسمع ... إني كذبت حين قلت إني عرفت من صديقة لى ... الحقيقة أنى لم أره إلا منذ ربع ساعة ... أى قبل أن ندخل هنا بدقائق »

فقال : « هذا أدهى ... كيف اتفق ذلك ؟ أعنى هل عادتك أن تعرف من يشاء أن يعرفك ؟ »

قالت : « لك المذر . وعبث أن أقول شيئاً .

هل تسمح لى أن أخرج ؟ »

فاعتذرت لها ، ولكنه ألح عليها أن تقول له ماذا كان أحمد يعنى بقوله إنها رابحة على كل حال .

فقالت ببساطة : « أقول لك الحق إني لأدرى . إنه صاحبك فسله بعد أن يفيق »

وهمت بأن تعفى عنه ، فتلق بها وراح يطالبها بأن تقول له كيف جاءت الى هنا مع أحمد ؟ فقالت هل تصدقني إذا قلت لك إني أنا مستغربة ، وإني لا أعرف كيف اتفق أن يحدث هذا ؟ »

فأحس من نبرة صوتها أنها صادقة ، وقرأ في عينها الصراحة فقال لها : « مالك ؟ حدثيني »

فابتسمت ، ولكن ابتسامتها كان فيها من

فضحكت فحكة رقيقة خافتة وقالت : « أظن أن الأمر على العكس ! »

فقال : « هل تتبين أن تقولى إنه لا يعرف من أنت ؟ »

قالت : « هذا ما أعنى . إنك ذكى »

قال : « وماذا كان يعنى بقوله إنك رابحة على كل حال ؟ »

فأطردت قليلاً وقالت : « إن اهتمامك هذا بأمري يسرى ، ولكن هل من الضروري أن تعفى في التحقيق إلى النهاية ؟ »

قال : « عفواً ولكن الكلمة عجيبة ... وأنا أخشى أن تكون .. أن يكون .. »

وأمسك . وماذا عسى أن يقول ؟ إن هذه أول مرة يلقاها فيها ، وليس من اللائق على كل حال أن يتدخل لنفسه حق القيم عليها ؛ ولكنها كانت جميلة ، وكانت يماها تدل على النعمة والترف ، وقد نجد كثيرات يلبسن من الثياب أغلاها وأغلاها ولا يكن مع ذلك فيها إلا كالستيميرات لها ؛ أما هذه الفتاة الصغيرة السن فيبدو للناظر إليها — من

النظرة الأولى — أنها ألقت النعمة والترف ، وأنها نشأت في أحضانها . وكان قوامها ليناً ، وقدها صغيراً ؛ وكان نديها راسخين من غير أن يحسهما أو يرفضهما شيء . وقد وقمت عين عبده عليها ، أول ما وقمت على شيء فيها ، ففطن إلى دلالة ذلك وأدرك أن هذه الفتاة لا يمكن أن تكون إلا غربة على الرغم من ذلاقة لسانها . وهل يعقل أن يظل النديان راسخين على الرغم من امتداد الأيدي إليهما وكثرة البعث بهما ؟ أبداً .. أبداً .. كذلك كان يحدث نفسه وهو يكلمها ويحدث في وجهها الدقيق المعارف ، الشرق الديباجة ، الصايح ، بتير ممونة

أن يذكر لها رقم تليفونه وينسى أنت يذكر لها اسمه ، وأن تقيس هي الرقم ولا تسأل عن الاسم الذى يبنى أن تذكره وتطلب أن تكلمه ! ولم تكده تقيب عن نظره وتذهب إلى حيث لا يدري ، حتى فطن إلى هذا السهو ، وأيقن أنه قد فقد لها إلى الأبد ، إلا أن يشاء الله أن يلتقي بها اتفاقاً في الطريق فراح يمدو في الشوارع كالجنون لعله يدركها ، ولكنه لم يكن يعرف أن بيت قريب لها في هذه الناحية ، وأنها دخلته قبل أن يدركها فاقعة ويشرع في العدو ... احتياطاً منها لهذا ...

ومن المبالغة أن نقول إنه أحبها ، فقد كانت حسانة نفسه عظيمة ؛ ومعنى ذلك أنه لا يشق من النظرة الأولى ، وأن تجاربه علمته الحذر ، وعودته الشك والاستراية ، ومالت به إلى تاتي الحياة كما يتفق أن تكون وبشر احتفال كبير ، ولكنه لا شك في أن هذه الفتاة وقمت من نفسه واستوت على جانب منها ، أو احتلت مكاناً فيها . وكان يعرف قتيات كثيرات يأمن بهن وبسر بمجلسهن ، ويقضى الساعة والساعتين معهن في سمر وضحك ولعب ؛ وكانت له سيارة لاهي بالفخمة جداً ، ولا بالتى يحق لأحد أن يزدريها ؛ وكان يؤثر أن يحمل التى يتفق أن تكون معه إلى حيث يشاء هو ، ولا يخطر له أن يسألها أين يحب أن تذهب ، ولا يترك لها الخيار ، ولكنه لم يكن يفهم ذلك عن جفوة في طبعه ، أو مجرفة أو ما يجرى هذا الجرى ، بل لأنه اعتاد أن يكون الزمام في يده ؛ ولكن هؤلاء الفتيات اللواتى يعرفهن كن لا يجنبهن ولا يرضى بهن ذوقه ، وكان بعض إخوانه الذين يعرفون سلامة ذوقه يقولون له : « ماذا يجيك في هذه ؟ » — مثلك — فيقول وهو يضحك : « ليس لي الأمر خيار ... هذا ما وقفني إليه الله ... »

الكتابة أكثر مما كان فيها من السرور ؛ وقالت : « هل أروى لك قصة حياتي منذ ولدتني أمي ؟ » فقال : « يسرنى أن أصنى »

قالت وهي تضحك : « ليس الآن ... يجب أن أخرج ... لقد كنت مجنونة ... أشكرك على عنايتك في .. فضولك رد إلى العقل ... نعم كنت مجنونة ... لا بأس ... حصل خير ... فهل أعتمد عليك ؟ هل تسمح أن تخرج في ؟ تخرجني ؟ يجب أن أعود »

فقال : « تعالى » ومضى بها إلى باب الشقة ، ولم يمن بأن يحكي صفة وهو خارج ؛ وكانت صفة تنظر إليه وإلى الفتاة بعين النعمة والحنق ، فقد ساءها منه أنه وكل إليها العناية بصاحبه السكران وينصرف هو عنها . وجعلت تسأل نفسها لماذا لم يكل هذه العناية إلى الفتاة وهي كانت معه ؟ ... كيف يرى عليها هذه الجثة ، وروح هو يختطف الفتاة من صدقيه ؟ وأسرته في نفسها وحقدتها ، فقد كانت لها مآرب فيه

وجاؤه عيده أن يقنع الفتاة بأن تذهب معه إلى السينما ، فقد كانت الساعة دون التاسعة ، ففي الوقت متسع ، أو أن يتمشى معها في شوارع غمرة وهي مضادة ولكنها كالظلمة ، وكانا قريبين من هذا الحى ، ولكنها أبت وأصررت على العود إلى البيت ، ورجت منه ألا يرافقها ، وأخيراً — وبعد اللتيا والتي — رضيت أن تقيس رقم تليفونه وأن تمد بأن تكلمه « يوماً ما »

تركها وهو لا يعرف من هي ، وهي لا تعرف من هو . فأما هو فألح عليها بلا جدوى أن تخبره من عسى أن تكون ؛ وأما هي فلا تحتاج أن تقول إنها لم تحاول أن تعرف اسمه . وكان من التريب

ذلك بقى كما هو فلم يضمن اعتقاده بأنه فقد درة
ومضت الأيام ، وكان قلما يتلبث في مكتبته
لكثرة ما توجه أعماله إلى الخروج . وكان أخوانه
يقولون له عتيجين عليه : « يا أخی أين تذهب ؟ »
كلما جئنا أو سألنا عنك بالتليفون قبل لما خرج
فيقول لهم : « وما حيلتي ؟ . مطالب العمل
تضطرني إلى النط هنا وهناك ؛ ولا سبيل إلى إنجاز
أعمالي إلا إذا تهدتتها بنفسى » ، ولكنه بعد أن
قابل الفتاة وجد الوسيلة إلى القعود والاستغناء عن
الخروج ، واكتفى بالتليفون وبمساعده في
المكتب . وكان قلما يبادر الترفه التي فيها التليفون
خافة أن يتفق أن تكلمه فلا يحسن غيره جوابها
لأنها لا تعرف اسمه . . فتأله ما كان أحقه .
كيف تركها تذهب قبل أن تعرف اسمه ؟ ولم يكن
طريقه من غمرة ولا غير هالما هو قريب منها ، فقد
كان بيته في شبرا ، ولكنه صار يذهب إلى شبرا
عن طريق غمرة ، ويجوب بسيارته كل شارع وشارع
في هذا الحى . وكان كثيرًا ما يترك السيارة ويعبى
على سهل وعينه إلى النوافذ والشرقات . وكان ربما
قال لنفسه : إنه أبله ... ومن أدراه أن بيته في هذا
الحى ؟ ثم يعود فيقول لنفسه : إن هذا هو الأرجح .
فقد قالت له إنها التقت بأحد قبل أن يدخل بيت
صفية بدقائق ؛ والمقول أن تكون راجعة الى بيتها ،
وإلا فإذا كانت فتاة مثلها تصنع في حى غمرة في
الساعة الثامنة مساء ؟ . ثم يعود فيقول لنفسه :
لعلها كانت عند قريب لها أو في بيت نسيب
أو صديقة ؟ . ولم يمنعه هذا الاضطراب أن يظل
يجوب الحى كل يوم ، وكل ليلة ، صرات ، ولكنه
لم يفز بشئ .
وقال لنفسه عصر يوم وهو ماض الى مكتبته في
شارع عبدالعزيز : « القاهرة واسعة ... فيها مليون

وعصفور في اليد خير من ألف على الشجرة » ،
وكان يدرك أن إخوانه على حق ، وأن اللواتي
يسرفهن لسن أهلاً لأن ينفق في سيلهن وقته
وماله . . ولكن ماذا يصنع ؟ . أتى له أن
يصل أسبابه بأسباب فتاة من الطراز الذى هو
أحب إليه ؟ إن هذا يتطلب أن يميش المرء للمرأة ،
أى أن يجمل همه ووكده أن يتصل بالنساء . وهذا
يمكن ، ولكنه عسير عليه ، فقد كان هناك عمله ،
وخلق به إذا أمهل أن يفقد رزقه . وكان فيه فوق
ذلك حياء ، كان في أول الأمر شديدًا ، ثم ظله
وقهره ، إلى حد كبير ؟ غير أن حياءه لم يذهب
ولم يبق كامناً ؟ فكانت تمر به منه نوبات — إذا
صبح هذا التعبير — تفسد عليه كل ما عالج به نفسه
وراضها عليه أو ظن أنه راضها عليه . وكانت هذه
الفتاة التي رآها في بيت « صفية » من الطراز
الذى يشتهيه ويصبو إليه — الجسم الصغير والقدر
المتدل والخلق المستوى — وشام الخير من لمحاتها ،
وأنس من كلامها الرشد . ولا ريب أن يجيئها مع
أحمد — ذلك السكران — كان خفة وطيشا ،
ولكنه صدق أنها جاءت معه لا تدرى كيف . .
ومن يدري ؟ لعل نوبة اضطراب نفسى عرتها
فأقدمت على ما كانت خليقة أن تحجم عنه لو كانت
متزنة الأعصاب . . على كل حال قد ذهبت الآن .
وأكبر الظن أنها لن تلقاه . . حظ ١١ درة ظل
حياته يحرص على مثلها في بل الحياة ، ثم لم يكده
بظفرها حتى حرمها . . ولكن هل حى درة ؟ .
بلا شك . . ولم يعجبه هذا التسرع ، وقال لنفسه :
إن شمسوره بالحرماني الذى مئى به هو الذى يحمله
على المغالاة بقيمتها . واقتنع بهذا — اقتنع عقله
بأن الحسرة والأمل هما اللذان يملان به الى اللبالة
والتنجمل والقول بما لا يعلم — ولكن شعوره مع

لست قاهرة .. معذرة »

فأدرك أنه هور ، وأنه لا معنى لتحميلها تبعة ما لقي في تلك الأيام . وكان الدق الذى فى قلبه قد هدأ ، وأنفاسه قد انتظمت فقال : « معذرة .. لا تؤاخذهنى .. إنما عبت ابنى تبيت فى البحث عنك .. أوه كل يوم ... وكل ليلة ... لم أدع شارحاً من شوارع غمرة إلا مشيت فيه مرات بصدد شمر رأسى »

فقال : « غمرة ؟ . (وضحكت) إن يبنى فى

المنشية ... ولكن لماذا أتبيت نفسك ؟ »

وكانت عيناه قد اتسمتا جدا ، وهو يسمعهما تقول ان بينها فى المنشية ؟ ثم فطن الى ما فى ذلك من سخر القدر ، فابتسم وقال لها : « لأنك أخلفت وعدك ... ألا تذكرين ؟ . ما علينا ١ . والآن قد وجدتك قالى أين ؟ »

قالت : « إلى ذاهبة لشراء أشياء »

قال : « أحملك فى سيارتى الى حيث تريدن فاني أكره أن أكلك فى الطريق .. لأجلك لا لأجلي »

وأقمتها فركبت معه ، وقال لنفسه إنها دقائق ليس إلا ، فأتبع لها بما أجن من الشوق ، وراح يصف كيف كان يصبو إليها ، ويتلفه على رؤيتها ، وكيف كان ينتظر بجانب التليفون كل يوم ساعات ، وكيف كان يمشى فى غمرة عذقا فى البيوت دأنى فى شرفاتها وشبابيكها ، ويصطدم بالناس والأشياء ولا يبالي أو يعتذر

وكانت تنست ولا تقاطع ، فلما فرغ قالت له : « هل تريد أن نضحك على ؟ »

قال وهو كالذهول : « أضحك ؟ »

فقال وقد أيقنت من هيئته أنه صادق : « انى أصدقك ... ولكن أليس هذا غريباً ؟ .. انه

وربع مليون نسمة فلا أمل فى لقاءها إلا بمعجزة ... وأولى بى أن أكب عن البحث فانه عناء باطل ... ولأسهل من ذلك أن أجلس إبرة فى كوم من القش . »
وكان قد بلغ المتبقة الخضراء فتذكر أنه لم يعلق ذقنه ، فترك السيارة الى جانب الرصيف الأيسر المهادى لخط الترام ، وذهب الى دكان حلاق وهو يتحدث نفسه بأنه سخي . . يخرج من البيت من غير أن يعلق . . « لنفرض انى التقيت بها فهل أقابلها بهذا الوجه القذر ؟ . » وضحك من نفسه وهو يقعد على كرسي الحلاقة وقال — لنفسه طبعاً — : « معنى خلاص ؟ . لم يبق إلا حلاقة الدق ؟ . أهذا كل ما كان يمنع ان ألقاها ؟ . أما إلى لسخي ؟ »

وكان يتشم والحلاق يجرى الموسيقى على صفحة خده فيضطر أن يرفع يده حتى يعود جلد الوجه الى الملاسة بعد التقبض . ومن يدرى ماذا كان الحلاق يقول لنفسه وهو يرى هذا الزبون الطارئ يتشم أو يمس بلان مناسبة ؟ . . .

وخرج ومشى مطرقاً الى السيارة ، ووقف أمام بابها ليفتحه ، ويركب ، وإذا به يرى الفتاة واقفة على رصيف الترام ١ . وكانت وحدها أيضاً ١ . أو على الأقل لم يكن الى جانبها أحد لا من هنا ولا من هنا ... فذهب يمدو إليها وقال لها وهو يهيج — لامن الجرى بل من الاضطراب المصعب — وقلبه يدق كالطرفة

« أنت فين ؟ . هلكتنى »

فالتفتت إليه مستغربة ، أول الأمر ، ثم عرفت فقلت ببساطة : « آه ... أهو أنت ؟ . سلامات »

قال : « سلامات إيه وهباب إيه ؟ . بسجيك كده ؟ . أنا مت .. »

فقالت بدهشة — وقطعت — « مت ؟ .

مفاجأة إلى أنا على الأقل»

فقال بأخلاق: «لقد كانت مفاجأة أنا أقوى ... لم أكن أتصور أن يحدث لي هذا ... أن أحب من النظرة الأولى ... كان هذا يبدو لي مستحيلاً ... ولكن الأيام توالى وأنا لا أزداد الا شغفاً ... لم يفتر شوق اليك وذكرى لك ... لم نهت صورتك ... بل صارت أقوى وأسهر ... لا أدري كيف ...»

فقال فجأة: «اسمع ... اذهب الى الجزيرة» فكان بطير من الفرح، وبلتها في أوجز وقت، ولم يبال بالمارة ولا بشرطة المرور، وكانت تبسم إذ تراه لا يتكلم ولا يبتغي بشيء إلا أن يبلغ الجزيرة في مثل ومض البرق. ووقف هناك فقال: «لا ... يحسن أن تمشي على سهل ... أوقف ... لا بأس ...» وسره وهو جالس إلى جانبها في السيارة أن يسميها تقول له: «إني أخشى سوء ظنك ولذلك أرى أن أروى لك قصتي ... لن أذكر أسماء ...» القصة فقط ...»

فهر رأسه مقتبلاً ... أليست قد صارت بمنى أن يحسن رأيها فيها ... حسبها هذا ...» وروت له قصتها فقالت: إنها كانت مخطوبة لشاب من أسرة كريمة غنية، وإنهما تحايا بسد المخطوبة، فما رآته قبلها، ومضت الأيام وكرت الليالي، وكانت تلاحظ مستغربة أنه لا يذهب معها الى سينما أو مسرح، أو يخرج معها للتزده، وكان يمتد دائماً بالعمل وضروراته، فكانت تقبل عذره ولا تلج عليه، ولا تثير الأمر أدنى تفكير، حتى كانت الليلة التي رأها فيها في بيت صفية، وكانت في السينما مع أمها، وإذا بخطيبها يدخل وذراعه حول ذراع فتاة اسرائيلية — هي اسرائيلية على التحقيق، سمعتها تدل على ذلك — وكانت الأنوار قد أطفئت

لأن السينما كانت قد بدأت تجلسا وراهما، فلم يبق لها عين ترى السينما بها، ولا عقل يفهم، ولا أذن تسمع إلى ما يهيمس به خطيبها في أذن صاحبته فسمعت ما فهمت منه — على الزفر من تقطع الكلام وضجة السينما، أنه سيظل وفيها لها لا يتخلى عنها، وأن ما سمعته عن زواجه أو وشيك زواجه كذب واقتراء، وأن كلام الناس كثير، وهل هو مجنون حتى يتزوج هذه المصوصة المروعة؟ ولم تستطع أن تسمع أكثر من ذلك لأن الهم صعد الى رأسها فدار، ثم نهضت واعتذرت الى أمها بأنها مريضة وأنها ستذهب الى البيت لترقد. همست بهذا في أذن أمها ... وتركها قبل أن تستطيع أن تقول شيئاً، وخرجت كالمجنونة، وظلت ماشية على غير هدى، ولم تدرك أنها في حي غمرة إلا بعد أن خرجت من بيت صافية ... وكل ما تعرفه عن هذا السكران — أحمد — أنه لف ذارعه بذراعها — لا تدري ولا تذكر كيف — وأنها صمدت معه فما كان في رأسها عقل ... هذه هي القصة .. وقد انتهى كل ما بينها وبين خطيبها .. لم تقل شيئاً لأمها ولا لأبيها .. اكتفت بالاصرار على الرفض .. فتركاها وشأنها لما رآها عفت الاصرار، ولأنهما أدركا أن الأمر لا شك خطير .. وقالت له أخيراً إنها شاكرة له وحافظة لجميله، لأنه رد إليها عقلها في تلك الليلة

ولما فرغت من قصتها أدهشها بقوله:

«تزوجيني!»

فلم تستطع أن تقول أكثر من «أ .. أنت ..»

إيه؟ ...»

فلم يجعل باله الى دهشتها، ولو جملة لكان خليقاً أن يحس بما يفتر من حماسته، بل أعاد الطلب: «تزوجيني»

الى الاسكندرية ، واستأجرا هناك شقة مفروشة في « الرمل » قريبا من البحر ، فدخلت عليها يوما صديقة لها من عهد الحداثة اسمها « زكية » وكانت شديدة العناية بئنائها ويطورها ، مسرفة في حبها للسباحة والرقص ؛ وكان هواها هذا يثير لظنا كثيرا حول اسمها ، ولكنها كانت لا تبالي ذلك اعتمادا على ما لها وجاء أسرتها ؛ وكانت تتمتع أنه يسمها أن تفصل ما تشاء ، لا ما ينبغي ، فكان أترابها يحسن استقباليها في بيوتهن ، ويتيقن أن يخرجن معها ، مخافة أن يتبد اليهن القيل والقال ؛ ولم يكن فيها سوء ، ولكن استخفافها بالتقاليد وافتراطها في استعمال حريتها ، كانا عظيمين ؛ ولم تكن كل فتاة يسمها ما يسمع زكية . وكان معروف عنها أنها تجرى مع أول الخاطر ، وأنها أصرح مما ينبغي ، فكان لسانها يفسد عليها مزايا الصدق والراحة وطيب القلب ؛ ولم تكن تبالي أن تحشر نفسها فيها لا يمينها ، ولم يكن هذا عن فضول بل عن إخلاص وغيره ، ولكن دخولها في شؤون غير هائلة كان يحل للناس وقالت لمائدة وهي تجلس على كرسى : « ما أبهاك اليوم يا عايدة . يظهر أن الزواج زاد حسنك فضارة »

وأبتسمت وهي تخرج من حقيبتها الصغيرة . عليه مذهب مرصعة فتحتها وأخذت منها سيجارة مذهب الفم أشعلتها وراحت تدخن وتنفخ وقالت عايدة : « وأنت ؟ إلى أراك ترجسة . هذا الثوب وحده حلم جميل ... لم أرك منذ أيام ! فإذا كنت تصنعين بنفسك ؟ »

قالت زكية : « دعيني وقولي لي أين عبده ؟ » قالت عايدة : « عبده ؟ .. إنه في مصر ... له ثلاثة أيام هناك ... تعرفين العمل وضروراته » فقالت زكية وهي تنفخ الدخان وقد شردت

فقالت : « إنك مدھش ! » قال : « كلا .. إني أحبك ، وقد عانيت في الأيام التي افتقدتك فيها ما ملني أنني لا أستطيع أن أحيا بدونك « فتزوجيني »

قالت : « وأما ؟ ليس لي حساب عندك ؟ » قال : « بالطبع .. ولهذا أقول تزوجيني » فقالت : « أرجو ألا تنسى . فهم ما أقول ... لو كنت أحبك لما وسمي أن أتزوجك الآن ... فقد يقال إني تركت خطيبي من أجل رجل آخر » قال : « ماذا تمبئين رجل يقول عنك ما قال ؟ » قالت : « لست بأبالي ، وإنا أبالي الناس ... أهلى ومعارف »

قال : « ماذا يمينك منهم إذا كنت سعيدة معي ؟ »

قالت : « اسمع ... قبل أن تخف حدة الألم الذى أعانيه لا سبيل الى التفكير في شيء » قال : « مسكينة . ولكن هل معنى ذلك أن لي أملا »

قالت : « من يدري ؟ ثم إني لست أبى » قال : « أبوك ... آه أبوك . ولكن ماله ؟ » قالت : « قد يكون له اعتراض »

قال : « اعتراض على سعادتك ؟ أم تريد أن تقولى إنك لا تعرفينى ؟ . ممكن الحق » وعرفها بنفسه وأفضى اليها بكل ما يمكن أن تحتاج الى العلم به ، ولكنها مع ذلك رجت منه أن يصفها من حديث الزواج فسكت ، واكتفى بوعدها بأنها تلقاه من حين الى حين

وصارا يلتقيان كل بضعة أيام مرة ، ثم كل يومين ، ثم كل يوم ، وأخيرا خطبها الى أبيها وتزوجا وصرا عام وجاء الصيف ، فانتقل عبده و« عايدة » — فقد آن أن نعرف اسمها كما عرفه زوجها —

إن في وسعك أن تردني إليك إذا أحسنت السياسة ...
الأمير يحتاج إلى كياسة وحسن تدبير ... ولم أقل
لك ما قلت لأفند عليك حياتك ، بل لأنهم لك إلى
الخطر لتعاليجه بالحسكة »

فصاحت عايدة : « أتظنين اني أقبل إن أظل
مع عبده بعد هذا ؟ . بعد ان خافني ؟ . كلا ...
ولو ظل يتوسل إلى علي قدميه سنوات ١ . يعطى
خاتماً لموس ، وما مضت على زواجنا سنة واحدة ؟
هه ... ويخذونها ان يتصل في الخبر ؟ . » وتحدثت
الدموع على خديها « إني أحب عبده ... حبه عملاً
قلبي ، وكان حبه بمرصدي ... أتظنين في أني
أندني وألجأ الى الحيل لأستعيد حبه لي ؟ . أألوث
نفسى لأنتزع من هذه المرأة ؟ . كلا ! الحب الذى
يذهب لا يعود . والنار التى تخدم كيف يرجى أن
تمود مضطربة ؟ . لقد حرق عبده قلبي . إقتلع
أحشائي من جذورها . ولا أستطيع ان أغفر له
هذه الخيانة »

وغلبها البكاء ، وتسانلت عبراتها ، واضطربت
شفاتها ، وعجزت عن الكلام . ثم أحسّت بدأ على
كتفها ، وصافح سمعها صوت عبده :
« أنا خان يا عايدة ؟ . كيف اكتشفت خياني ؟ .
مهلاً ... لقد سمعت كل كلمة »

فقال زكية . « أنا أخبرتها ... رأيتك تعلى
تلك المرأة أمس خاتماً ، وسمعت أن من واجبي
أن أنبه عايدة »

فقال عبده : « هل تسمحين بالخروج من هنا ؟ .
ولا تكلفي نفسك عناء الرجوع مرة أخرى . ا .
ففضبت زكية وصار وجهها كالجرة وقالت
وهي تخرج : « هذه إهانة فظيمة »
فقال عبده : « إذهي وسكني أعصابك بالرقص
مع أول رجل تصادفينه »

نظرتها : « العمل ... إن العمل لا يمكن أن يقضى
الرجل عن فتاة لها مثل جالك وسحرك ... شيء
واحد هو الذى بنأى به عنها ... امرأة أخرى ! »
فبهتت عايدة وحلقت في وجه صاحبها بعينها
الواسعتين ثم قالت : « هذه سخافة يا زكية ...
لا ينبغي لك أن تظلي هذه الظنون بعبده ، ومن
باب أولى لا يجوز مثل هذا الكلام عنه »
فقال زكية بلهجة الصر : « ألا يجوز لي
ذلك ؟ حسن . اسمي إذن . وأذكرى أنه ليس لي
غاية أبشها من وراء ما أقول ، وأنه ليس أحب إليّ
من أن تكوني سعيدة موفقة ... ولكنه يبدو لي
أن من واجبي أن أعرفك أن عبده على صلة بأمرأة
هى الخطيئة مجسدة »

فربت عايدة ، ووثبت الى قدميها وأحسّت
أن رأسها يدور ، ويدور ، فاعتمدت على ظهر
الكرسي وامتنع وجهها ونظرت الى زكية مهووة
فقال زكية : « صحيح يا عايدة . لقد
رأيتهما مما البارحة في سان جيمز ... وسمعت
حديثهما أيضاً ، فقد كنت قريبة منهما أراهما
ولا يراى ، وكان مما سمعته : « إن زوجي لا يجوز
أن تعرف شيئاً من هذا أبداً ، فليبق بيني وبينك
فقط » ثم أخرج من جيبه خاتماً لأدري ماذا يساوى
ولكنه على كل حال لا يمكن أن يكون من قصدير .
والآن قد عرفت الحقيقة ، فإذا تنبؤ أن تصنعى ؟ »
وكانت عايدة تنظر الى الأرض ، أو الى قدميها ،
فلم تجب ، فأعادت زكية السؤال ، فقالت عايدة :
« أصنع ؟ تسأليني ماذا أنوي أن أصنع ؟ .
ليس هناك سوى شيء واحد أستطيع أن أصنعه ...
أغادر الاسكندرية حالاً . ولن آخذ معي شيئاً ...
إنتهى كل شيء »
فنهضت زكية وقالت : « لا تكوني سخيقة ...

وأخرج من جيبه ورقة ودفع بها إلى عابدة

وقال عبده ، وهو يسير مع عابدة على شاطئ البحر :

« إني سعيد .. سرني ما حدث »

فاستغربت وقالت : « سرى ! لست ظاهمة »

فقال بإقتسام : « لأنى لما سمعتك وأنا واقف فى مدخل الباب ورأيتك تتورين هذه الثورة أيقنت أن حبك لى لا يمكن أن تنال منه الأيام أو تفتقره الحوادث »

فقال بجهش : « لا تكن واقفا .. »

وذهبت تمسك أمامه ، وقد سمها أن تضحك وتمزح ، فجرى وراءها ، وخاض الماء إليها ، وتناولها بيت ذراعيه ، وضمها إليه ، وأهوى بشفتيه على شفتيها . ابراهيم عبر القادر المازنى

ثم دار وواجه عابدة فقالت وهى تنتحب :
« كيف تفعل هذا ؟ كيف ؟ »

وحالت الدموع دون الكلام ، فقال عبده :
« اسمى يا عابدة ... ان المرأة التى كنت معها فى سان جيمز هى « صوفى » أو صفيه ... هل تذكرين هذا الاسم ؟ . يظهر أنه كان لها مآرب فى ... وأنا لا أدرى . ويظهر ان زواجى أحقنهما ، وقد راحت تلفظ وتحدث بأنى عرفتك فى بيتها ... لا تبالى ، ان هذا ظمن عليها هى قبل أن يكون ظمننا عليك أو على ... الحقد يعمى ويصم ... لهذا اضطررت أن أنالنها وأقيدها ... إستكتبتها إقراراً بضارها الى قطع لسانها بمد اليوم ؛ وكان لا بد أن أداورها وأحاورها فأتقدتها مبلتاً من المال ... قليلاً فى الحقيقة .. وأعطيها خاتماً ليس له قيمة كبيرة ، لأنى خفت عواقب لفظها ... سممة المرأة كسممة البنك ... »

علمكم المصرى

يرفرف على

النيل و كوثر

فهما رمز بلادكم

سافروا عليهما تجسّدوا راحتكم المنشودة

غرف فاخرة .. طعام شهى .. خدمة كاملة

اتصلوا بشركة مصر للسياحة شارع ابراهيم باشا رقم ٤٩



ترقق عبرات النيط والشر ... وهو يستشعر في نفسه السمو على من حوله من رفاقه جميعاً حتى الطالب الجاسمى مول ، ثم هو يحتقره ويزدرجه لأمر في نفسه ، وهو دائماً بهيج غيظه ويثير غضبه بكلمات فيها السخرية والهكم ، ولكنه الآن قد جلس في هدوء وصمت ، ونظراته تقتحم هذا الطالب القذر ... وفي الناحية الأخرى من النضد جلست اليصابات أخت كلوتيلدا الصغرى وهى فى السابعة عشرة ، ثم ابنة عمها كلارا وهى فى السادسة عشرة ، ثم فنانان فى سنهما هيلين وماوى أختا أُنُو وهوى الخامسة عشرة ، وهم أبناء أحد الجيران وكلهم يلبسون الورق فى هدوء وسكون تبدو عليهم اللذة والنبطة ... إلا الطالب مولر فقد جلس يقرأ شعراً

وراح أُنُو يتناوب فى ملال ، وسرت البدوى الى كلارا فراحت تتناوب هى الأخرى ، والى جانبها اليصابات تفيض نشاطاً وحياة ، ويزجها ما ترى فى هذين من كسل فتشور بهما الفينة بعد الفينة ... وابتدأ الخول يتسرب الى النفوس ؛ غير أن النازم ما تزال تدفع الى كلوتيلدا المرة بعد المرة ، والمطر ما يزال ينهمر والرياح تصفر صغيرها المزجج .

وأرادوا أن يردوا النازم الى أهلها ، فأرغوا الذين خبروا على أن يملوا عملاً : فهباين تقف

أرخى الليل سدوله على الكون ، وبالطر ما يزال يتطل رذاذاً يلاطم زجاج النافذة فى رفق ولين ؛ وم فى حجرة من منزل ريفى حيث يقضون عطلتهم ، وقد تناثروا حول نضد عليه مصباح ينمى منه ضوء هادى ضئيل ، وم جماعة من الشبان والشابات بين الربيع الخامس عشر والمشرين من العمر ؛ وكلوتيلدا أكبر الفتيات سناً لم تسلمخ الثامنة عشرة ؛ فتاة فى مقتبل العمر وجرة الحياة ، فى ميمة الصبا واكتال الأنوثة ، تضطرم فى وجنتها حمرة الشباب والجمال ، هيفاء جذابة ، فيها الملاحاة والظرف ، وفى نظراتها السحر والفتنة ؛ وهى جالسة الى جانب طالب جامعى رث اللبس ، زرى الهيئة ، منتقع اللون ، تبدو على وجهه سمات الحياة والجبن ، وفى نظراته الاضطراب والضعف ؛ ثم هو هادى رزين ، يرى مجون من حوله فيسبى فى هدوء ودعة ، ثم لا يجوض فيما هم فيه من لمو وعيث ... وقبالة كلوتيلدا يجلس أنيلو وهو شاب فى السابعة عشرة كثر الشعر سبطه ، تنمى من عينيه أشعة نقادة علامة ذكاء وفراهة ، وفى وجهه يتدفق دم الشباب الحار علامة صحة وسلامة ، ويدها متقبضتان كأنهما محرزتان ثميناً علامة قوة وفتوة . ثم هو قد ورث عن أمه الألمانية الليل الى البصراخ فى وجهه من يمانده ، صراخ الغضب والحنق ؛ وفى عينيه

كلوتيلدا : « نحن بخير يا أماء ! » وقالت اليصابات :
« لقد أفرغنا المطر والريح . وماذا تفعلين أنت
وأني ؟ أما ترألان تلبسان الورق ؟ » قالت المرأة :
« نعم ، ما زلنا ... اتخذوا لكم سلوة ... » ثم
أغلقت الباب في رفق وساد الصمت
مرة أخرى

وانطلقت كلوتيلدا وكلارا الى النافذة تنظران
من خلال الزجاج ، فانطلق مول على آثارهما وأتيليو
جالس الى التند ينظر ... وأتو يضرب في أنحاء
الحجرة ينفي أغنية انجليزية اهتزت لها اليصابات
فراحت ترقص على نغمتها وابنتا الجار ترمقانهما في
لذة وطرب

وعلى حيث بقية أنتيليو وهو يقول :
« ما هذا ؟ ماذا وراء ... ؟ أفنسيطر علينا الخلود
والكسل فنظل في هذه الحجرة الضيقة طول الليل ؟
لا بد أن نعمل شيئا ... » قال مول وهو يسم في تهكم :
وما تطلب البنا أن نعمل ؟ قال : « فلنعمل شيئا ..
شيئا مثل ... فلنذهب الى الغابة » قال الآخر :
« عجبا ، أفنذهب تحت هذا الماء النهر ؟ » وراح
أتيليو يقلده ويسخر منه « الماء النهر ؟ » لقد
كان يفيض هذا الطالب من قلبه ، أما الآن وقد
رأى كلوتيلدا تنظر اليه شررا حين سخر منه فقد
استحال هذا البغض الى كراهية ومقت يخزان
قلبه في غير رحمة ولا شفقة

لقد رأى هو هذا الطالب منذ فترة يقف الى
كلوتيلدا وقد ألصق جسمه بجسمها فأحس هو
بالدفء والحياة ، وأحس هي . . . ثم . . ثم أرادت
إليه ذكرى أيام عطلة عيد الامبراطورية حين كانت
كلوتيلدا لا تراقص إلا هذا الشاب ولا يراقص

صامتة لا تتحرك ولا تنملل ، وكلارا تحفظ
قطعة من الشمر ، وأتوا يقلد صوت الحيوان ،
وكلوتيلدا تصطنع الحفاقة فتقدم على راقها بألفاظ
جافية نابية ، وأتيليو يمثل دور صاموك أرسستقراطي
تمينه رفيقته اليصابات

وراح أتيليو يتصمك على كلوتيلدا ، وحين
وقف بأزائها نزت منه نزوات الماطفة الفياضة
الجائعة ، وأحس كأن نارا تستمر في قلبه ، فرفع
يدها الى فيه يريد أن يقبلها ، وحينئذ تحدقان في
عينها ، ثم ذهل عن نفسه ... وأجهدت اليصابات
نفسها في أن تجره بعيدا فأبى وقلبه يضطرب ...
وسحبت كلوتيلدا يدها في رفق ، وفي نظراتها
الشفقة والطف ، وعلى فيها ابتسامة رقيقة ؛
والجميع يرمقونه في دهشة وعجب ، إلا مول فقد
سيطر عليه الحقد والنظ

وانتهى أتيليو ناحية ، وثارت به اليصابات :
« حقا لقد كنت وقحا » وأصم الشاب أذنيه عن
لوم الفتاة ، ونهتهم ماري الى أمر حين قالت :
« والآن ماذا تفعل ، والطر ما يزال يتدفق ؟ »
وكانت العاصفة ترأر وتصفع جدران الدار في شدة
وعنف ، ثم اضطرب الصباح يوشك أن ينطفئ ؛
وفزعوا جميعا حين سمعوا الباب يصصر صرخا شديدا
وأوراق الأشجار تصصف بها الرياح فتنبعث منها
أصوات مزججة ، والماء ترعد وتبرق تندثر بأمر ؛
وراح عليهم حزن عميق نزع عنهم ما كانوا فيه
من صرح ولهو ، فوجوا ...

وفتحت باب الحجرة المجاورة امرأة فيها
الجمال والظرف ، وقد تمشت شعرها الأسود الناعم
وعلى شفتيها ابتسامة غبية ثم قالت : « ماذا بكم
يا أولادي ؟ لماذا تجلسون في صمت ؟ » وأجابت

عن هذه الأصوات المتكررة، هذا وقت سرور بانقطاع الطر ! » وقال الطالب وهو يبسم في همهم : « لقد انتهى هناك وابتدأ هنا . . في الدار ! » وفي الحني لقد كانت القطرات تتساقط من خلال السقف في رفق أولاً ثم في شدة ؟ وفتحت البصابت النافذة فاندفع الى داخل الحجرة هواء ندى بارد فثب فيهم جميعاً روح النشاط والقوة ، فقالت كلوتيلدا : « الآن نستطيع أن نخرج الى تزهة قصيرة ... » ووافق هذا هوى في نفوس الجميع فانطلقوا بفتشون عن مطاطهم وقبعتهم في صخب ولجب ، ثم راحوا يتشاورون فيما يفعلون ...

وقال مولر : « تزهة في الناية مشياً على الأقدام » فأجاب أنيليو في إحتقار : « مشياً على الأقدام ؟ كيف ؟ كأنك تريد أن تطلق كل اثنين معاً ، كأنك تمنى . . » ووقفت الكلمات على شفثيه فما استطاع النطق ، فأجابت كلوتيلدا حين اضطرب الشاب : « الأدب والحياة يا أنيليو ! » . . . « بخد ما كان في أنيليو من حماسة وشجاعة حين رأى عيني الفتاة تقدحان شرراً يتطار ، وهفت نفسه الى أن يشتد ، غير أن كبرياءه ألجمته فجهد في مكانه . واندفع الشاب وقد ارتد إليه هدهوه : « لعل ما فيك من ذكاء وفراة . قد أوحيا إليك بشيء ، فما هو ؟ » وأحس أنيليو بالصفمتين في وقت معاً فتخاذل ثم قال : « الى النهر ، ونصحب معنا المصاييح اليابانية ندرأ بها الظلمة والضلال . أموافقون ؟ » وساح أنو والبصابت معاً :

« حسن ! » وتبادلت هيلين وكلارا النظرات ... نظرات الفزع والريبة ، وبدأ عليهما الجبن والخور ، غير أنهما ما استطاعتا أن تقولوا شيئاً ، وقالت كلوتيلدا للطالب مولر : « ماذا ترى ؟ » قال : « لا بأس ، فما في النهر ما يفرع وقد هدأت الماصة ! » قالت هي : « أفتتقده ؟ » وآلم أنيليو

هو غيرها ... ثم هي لا تذكره هو إلا في النهاية وقد أوشك الحفل أن ينقض فتنتطقي إليه تسأله : « لماذا لم تراقصني ؟ » فيجبج في جفاء : « لا أستطيع الرقص ! » وقلبه ينازعه إليها . فتم هي كتفها ثم تنطلق الى صاحبها ، ليظل هو وحده يتمنى لو أوى إلى فراشه وقد أحجده التعب وأضناه السهر . غير أن ريح كلوتيلدا كان يرف عليه عطرأ ندياً بين الفينة والفينة فيبحث فيه النشاط والصبر

لقد ذكر أنيليو هذا وغير هذا مما كان ، فكلوتيلدا ومولر كانا يسيران دائماً جنباً الى جنب ، وباتياناً أسراً واحداً ، ويتبادلان الهدايا والنظرات والابتسامات كماشقين يهفو قلب كل منهما نحو الآخر فما يستطيع عنه صبراً ، وارتدت الحوادث المؤلمة في خاطره يشد بعضها بعضاً فطأطأ رأسه وذهب في غمرات من الأفكار السود ؟ واستطاع أن يرفع رأسه — بعد لأي — وأزسل من أعماقه زفرة كاد ينشق لها قلبه . . ثم ظم الى النافذة في فتور وتكسر فما رأى أحداً ، فأدار بصره يبحث فاذا كلوتيلدا وصاحبها قد جلسا يقرآن شعراً في كتاب واحد والحجرة في سكون القبور ...

وقطعت البصابت هذا الصمت العميق بقولها : « أنيليو ! لقد قلت شيئاً ثم أسكت ! » وفزع هو حين رأى الفتاة تنزعه من أحييته وأراد أن ينحط عليها بكلمات قارسة لذاعة جزاء وفاقاً لما أنبته به منذ حين ، غير أنه هذا من ثورته وقال : « أنا ؟ أنا لا أذكر ! » وصاحت ماري من جانب الحجرة : « لقد انقطع المطر ! » وصاحت هيلين من الجانب الآخر : « حقاً ، حقاً ! » وانطلق الجميع الى النافذة يتدافعون ويتصايحون وكادت تقع بينهم مشادة لولا أن كلوتيلدا زجرتهم : « أمسكوا

والثف حولها الباقون يشجعونها فصرخت أخرى وهي تبكي : « أنا لا أجسر » فطوفتها هيلين بيديها وهي تقول في رفق : « لا تخزني ، سأظل إلى جانبك » وصاح أُو : « نعم ، أيها الجبناء ! » ثم اندفع ليأخذ مكانه في القارب واندفعت اليبابات على أثره ثم ماري ؛ وأمسك هو بالمجدافين وجذب القارب إلى اليم في قوة وهو يفتي ...

وفي القارب الثاني كلوتيلدا ومولر وأتيليو . ودفع أتيليو القارب بين الأمواج في تيار جارف ، ثم ... ثم هبت الريح شديدة عاصفة ، واضطرب النهر ، وبعدت الشقة بين القارين ... وفزعت ماري واضطربت اليبابات ، فأرسلتنا مما صبيحة عالية أفزعت أُو وزعزعت عزمته ، واضطرب لها قلبه فارتد إلى الشاطئ وقد خشي منبهة الاندفاع وجرف التيار القارب الآخر ؛ وأتيليو ومولر يحدقان في صمت وإطراق ، وكلوتيلدا تضطرب وقد سلها الفزع من رزائها ... ثم انفضأ الصباح فران عليهم ظلام عميق ، وخيل إليهم أن صوراً مخيفة تنمكس على صفحة الماء ، وأن أصواتاً خشنة تنبعث من كل ناحية فتنتف في القلوب الرعب والهلوع ... وأجهد الشبان نفسيهما عبثاً أن يبلنوا الشاطئ ، والأمواج تجذب القارب في شدة وعنف ، وبدا لهم جميعاً في كل ما يرون معنى من معاني الحزن واليأس ، وراعت لهم الأصوات حولهم تشيعهم إلى النهاية ..

واستولى الكلال على الطالب فأطلق المجداف من يديه وهو ينظر إلى كلوتيلدا فابتسمت ابتسامة صرة وقد سيطر عليها الأسى واليأس ، وانتفض أتيليو يقبض على المجداف الذي أطلقه مولر وهو يصارع الأمواج في عزم وقوة ، ثم أرسل صبيحة دوى لها المكان : صبيحة فيها السرور والبشرى لأنه

ما رأى فقال : « لا ضير ، فأنا ذاهب ومن أراد قلبتي » ثم انطلق وفي نفسه الثقة والزم ، وانطلق الجماعة على أثره

وساروا في طريق غير معبد وسط حديقة مهيمة ، قد تشعث فيها الأغصان وأوراق الأشجار ونبتت فيها الحشائش هنا وهناك ؛ والرياح تمصف قهز الأغصان فتساقط عليهم قطرات كبيرة من الماء تبلل ملابسهم ووجوههم ؛ وأقداهم تقوس في أرض رطبة لينية ؛ وحين بلنوا النهر صاحت اليبابات : « المصاييح ، المصاييح ! » وانبرى أُو في شجاعة .. ثم انطلق إلى الدار ليحضر المصاييح والثقاب

وكان الماء يندفع يلاطم بعضه بعضاً فينبعث منه خرير كهدير الاعد ، والأمواج تضطرب وترجزر ، والتيار يحمل بعض الأغصان وأوراق الشجر وقطعا من الخشب ، وفي فجوة على الشاطئ قاربان أترع أحدهما بالماء .. واندفع أتيليو ينشل الماء من واحد ، ومولر إلى جبل القارب الآخر يفك عقده ، والفتيات ينظرون في صمت ، وكلوتيلدا تنظر إلى السحب المتكاثفة في السماء

وأفاح الطالب في حل رباط القارب ، وحين انطلق إلى الثاني كان أُو قد عاد وسدده يملو ويهبط من أثر الاجهاد والمصباحان تحت مظفنه . وراحت ماري تهز بالطفل حين رآته قد أساء اختيار المصاييح فتصايح الصبية ، ودوى الصوت في أذني الطالب يزجه وقد أعجزه أن يفك المقدة فصاح في غيظ : « الصمت ، الصمت ! » وكان أتيليو قد انتهى من عمله ، فاندفع إلى الطالب يترع منه الحبل ، وفي لحظة البصر كان قد حل المقدة ، ثم أضاء المصباحين في مهارة وإتقان ، ثم قال في هدوء وكبرياء : « فلنبدا ! » واضطربت كلارا ثم صرخت : « أنا لا أجسر »

لقد ثارت الماطفة في قلب الصبي فا استطاع أن يرد جحائنها ، وترقرقت المبرات في عجزه فما استطاع أن يكفكفها ، فانطوى إلى نفسه يحذر . حديث قلبه ، ثم .. ثم أضاء الصباح وراح يقاب بعمره فيا حوله ، فرأى طريقاً ممهداً بأزاه النهر فساراً في صمت جنباً إلى جنب ، وقطع هو هذا الصمت بقوله : « يا عجباً ، لقد بلغنا البر بعد إذ فقدنا الأمل وعلينا الآن أن نحمد الله ... » وصمت الفتاة فما أجابت فأطرق هو في حياء وخجل ... ثم قال : « أمتية أنت يا كلوتيلدا ؟ » وأصمت هي أذنها عن حديثه ثم انطلقت بعيداً كأنها تهرب منه ، وأحس هو بالألم والحمية يخزان في قلبه ، فرفع الصباح ليرى مكانها منه ، ثم اندفع على أثرها يقول في خضوع وذلة : « كلوتيلدا ! أفاغضبتيك؟ ماذا ، ماذا فعلت ؟ » ثم انتفع لونه ، واضطربت أعصابه ، وفترت قوته لأنه ... لأنه تذكر ...

ونازعته نفسه إلى أن يجمم عند قدميها يتوسل ويتوسل ، غير أن شيئاً في نفسه رده فا استطاع أن يفعل ، ثم قال في عس واضطراب : « كلوتيلدا ! ماذا جنيت ؟ لم أفعل سوءاً ! أنا لا أذكر . جفاً ، أنا لا أذكر ... » وخفت صوت الفتى قليلاً قليلاً ، ولكنه ما يزال يستمطفها : « لماذا ؟ لماذا تقسين علي ؟ لماذا ؟ لقد علتكت وأغرمت بك ! » وكانت هي قد بسدت عنه فا سمعت كلماته الأخيرة ، وانطلق هو على أثرها . فقالت له في جفاء : « دعني ، دعني وحيدة ! » واستطاع هو أن يرسل من بين أناته الخافتة : « لا ، لا يا كلوتيلدا ! لم أجن ولم أجترى ! إن قلبي ... » ثم راح يلين ما قسا من قلبها ، ومن حولها الطبيعة القاسية عابسة متحاجة تبث في قلب الفتى الأمسى والحسرة . وهي ... هي كلوتيلدا تنفث فيه اليأس والألم ...

استطاع أن يجذب القارب زويداً وويداً إلى الشاطئء وقفز مول إلى الشاطئء وأمسك بالقارب يريد أن يجذبه اليه ، غير أن موجة قوية غلبته على أمره فانفالت القارب ، وأفزعه ما رأى فصرخ صرخة شديدة ... وراحت الأمواج تنقاذ القارب وقد ذهل الاثنان عما هما فيه فا استشفرا الصدمة ؛ وما أحسا أن القارب قد انخرق رغم أن حذاء كلوتيلدا كان قد اغتمر في الماء ، فكانت ترتد من شدة البرد ومن شدة الخوف معاً

وأحس أنيليو بالأعياء والجهد فألقى الجدافين جانباً وقد استرخت ذراعه إثر صراع عنيف دام طويلاً ؛ ثم قال في أسى : « لقد تهدمت ، ستكون النهاية ؟ » فأجابت كلوتيلدا بصوت فيه نبضات قلبها المضطرب : « استمر ، استمر » وحاول هو أن يستمر ، غير أن قوته كانت قد تحطمت فغرعلى ركبتيه ومال رأسه فلس رداء الفتاة واستقر في حجرها ، فصاحت : « ماذا ، ماذا نصنع ؟ .. » ولكنه كان قد خرج عن وعيه فطوقها بذراعيه في رق وشق ، ودفتمته هي عنها في صمت ولين ، فاستلقى في قاع القارب ، ثم قام وقد آلت له الصدمة ، واندفع إليها ثانية .. لقد رنت في أذنيه صيحة خافتة ثم لم يشعر بسوى شفتيها الجليتين تلمسان شفتيه ؛ وإلا جسمها النض الرطيب اللدن ينفع بهيره حواليه ، ثم يلمص بحسمه ؛ وإلا شمورها ، وقد عثت به الريح ، يداعب وجهه فينقب في قلبه الشاب معاني ومغاني ...

ووقف القارب فجأة ، فالتفت هو مذعوراً ، فبداه أنهما على خطوات من الشاطئء ، وفي قوة الشباب وعزمات الرجولة جذب القارب فاذا هما ... فاذا هما في أمان ... ثم هبطا إلى الأرض وقد ابتدأ الظلام ينحسر عن جبين الفجر وهما يستشمران برد الليل في مفاسلهما

ورقة ... وهو يرى ... وهو يرى ... وثبتت الفتاة في خياله ما تبرح ولا تتحول ؛ فأحس بدمه يفور في عروقه ، فهب يريد النهر ... —

واستقبله النهر وفي خور أمواجه المويل والبكاء ، وجلس هو على شفا جرف يردد بهرره في هذا الخضم ، كأنما ينظر الى نهايته ؛ وفي أذنيه ترن هذه النغمات الحزينة تثير في نفسه الشجن والحزن ، ثم راح يحدث نفسه : « لو أنني ألقيت بنفسى لانهت متاعى ... » لقد عصفت به أحزانه فسلبت عقله ، فراح ينشق نسات النهر في لغة ومتممة ، ويرى في اضطراب الأمواج وزجرجتها رنات فيها السحر والفتنة ... هنا ... هنا ينتهي شبابه ويطوى كتاب حياته ... ثم اضطرب وسمرت في مفاصله صمحا الخوف ، فقال يهدى نفسه : « ما هذا ؟ إن المرء لا يموت إلا مرة ! » غير أن الجين والخور وحب الحياة والحسرة على شبابه كانت جميعا قد استيقظت في قلبه فارتد عن النهر فرعا لقد ذهل عن نفسه فما استطاع أن يسمع وقع أقدام المساة ولا أصواتهم وهم يقتربون منه ، وقد ابتسم الفجر ... وأصر على أن يرجع إلى الدار لينام ، فيستجم ، فينسى ... ثم انطلق وهو يقول : « ويلي ! أفسك هذا في سبيل الفتاة ... ؟ »

وعلى حين بقتة أحس يدين تلسانه في رق ، ووجهه بلثته المبرات يلمس بوجهه في عطف وحنان ، وهي تضمه إليه في شوق وشغف ، وأضادت الحياة في عينيه مرة أخرى ، وشاع السرور في قلبه ، وسيطرت عليه نشوة اللذة والسعادة ، ثم فتح عينيه يستشف ما وراءه ، ففزع فارتد ... ثم اندفع ثانية ليلقي بنفسه بين أحضان أمه

لأم محمد مهيب

وبدا لها شبح يضرب في الأرض يبحث عن شيء ، وارتفع من ناحيته صوت ينادى : « من هناك ؟ أنيليو ... كلوتيلدا ... » إنه هو ... هو الطالب مولر . ونادت كلوتيلدا : « هيا ! إنه أنا » ثم اندفعت مولى ...

لقد رأى أنيليو الطالب يسرع نحو كلوتيلدا ، ورآها هي تسرع نحوه ، ثم وقفا جنباً إلى جنب ، وخيل إلى أنيليو أنهما يتماثلان فتجهم وتبسم ؛ وهبت نسمة من نسات الفجر تحمل إليه حفيف الأوراق كأنه قبلة ! فارتد وانتفض قلبه ، ثم مجد في مكانه ، وقد استولى عليه دوار شديد فأغلق عينيه حيناً ... وحين أدار بصره رأى الصديقين يلغهما الظلام ، وهو ما يزال يسمع صوتاً يناديه : « أنيليو ، أنيليو ! أسرع فنحن في انتظارك ! » وانطرح على الحشائش التدية ، والأزهار من حوله تنفخ عبرها الشذى تريد أن تبعث فيه الهدوء والنشاط ؛ غير أنه كان قد انطوى على آلام مبرحة يتقطر لها قلبه ، وتتداعى لها رجولته ؛ وأظلمت الدنيا في ناظره ؛ فراح يتقلب في قلق ومضض ؛ وتدقن اليأس في قلبه لينزع عنه نور الحياة وجمالها ؛ واستولى عليه شعور غريب ... شعور الفرار من على الأرض ، من هذا المذاب ... وبدت له الحياة ، بعد التي أحب ، ميتاً لا خير فيها

واضطرب شبح الموت في خياله ، وتراعى له أنه يشق إليه الظلام في مثل عصفة الريح وهدة الموج ؛ وكلوتيلدا ماثلة في خواطره ؛ فهو يراها ومن عينها السوداء ينبت أشعة أسرة تمجدها إليها في غير هودة ولا لين ، وهو يرى وجهها الرضاء الجميل ، وعلى شفتيها ابتسامة رقيقة عذبة ؛ وهو يرى قدها التحيل الضامر يتهدى في دلال



إذ أن الرجل له مصالح وأطامع ، وطبيعته تدفعه إلى ولوج ميدان الحياة ، والكفاح في معيها ، صاحب ، والحب عنده ألحمة في مستقبل حياته ، أو أنشودة ينشدها في أوقات فراغه ، وذلك لأنه في شغل عنه بما يطمح إليه من شهرة ، وما يسعى وراءه من ثروة ، وما يروم تحقيقه من فكرة ، فهو لا يقتأ مشوقا إلى بلوغ ما يصبو إليه من سؤدد بين أئداده من الرجال ؛ أما المرأة فكل حياتها تهب للمواطف ، وما سيرتها إلا تاريخ لنوازع القلب ؛ فالقلب دنياها التي تطمع فيها إلى فرض سلطانها وإقرار مكانها ، وفيه تنقب عجايب تمتناه من غيبوة الكنوز ، فتطلق كل جارية فيها للنفس ، وتنطلق بكل روحها مع سفينة المواطف ، فان غرقت سفينتها فقد خاب الرجاء فيها ، إذ معنى ذلك افلاس قلبها ودوال دولتها

قد تسبب خيبة الحب للرجل آلاما ممتدة ، وقد تخرج بعض ما رق من أوتار قلبه ، وتصف يعض معالم هتائه ، إلا أنه مخلوق عامل يستطيع أن يبسد أفكاره ويصرفها بالاندماج في دائرة الأعمال المتنوعة ، كما أن في وسعه أن ينفس في اللامى والمسرات ، أو يسدل مقر سكناه إذا رأى أن السرح القى مثلث عليه فصول مأساته عاظ

اعتاد الذين تقدمت بهم السنون ونحطت بهم حدود الشباب فلم يودوا يتأثرون بما يتأثر به الشبان من عواطف ، والذين درجوا على الخلاعة وشبوا في جوها الزامى حيث لا مقام لشعور أو قرار لماطفة ، أن يهزأوا بأخبار الحب جملة ظانين أنها لا تمدو أن تكون سورا وأقاصيص من نسج خيال القصصيين والشعراء ؛ إلا أن خبرتي بدخيلة النفس الانسانية تملئني على ألا أرى رأيهم ؛ فقد هدنتي التجارب إلى أن المرء قد يسدو فائرا باردا لشواغل الدنيا ومهموما ، وقد يطالع الناس هاشا كاشا مراعاة لمراسم المجتمع وآدابه ، إلا أن وراء هذا الظاهر الهادى نيرانا كامنة ترقد في أعماق أبرد الصدور ، وهي نيران إذا أثارها مثير احدثت احتداما لا يعرف مدهاء ، وقد تسوء عقباء . الحق أنى مؤمن قوى الإيمان بذلك السلطان الأسمى ذاهب مع تمايله إلى أقصى حدودها . إلى مؤمن بالقلوب المحطمة إيمانى بأن خيبة الحب في رجائه قد تمخل بفنائه ، ولكنى لا أرى الحب حرصا كثير الفتك بينى جنسى ، في حيث أنى أؤمن الإيمان كله بأنه المرض الذى يصيب كثيرا من النساء اللطيفات فيزعجهن ويذهب بهن ومازلن في مستقبل العمر وشرخ الشباب

بمد قليل وجدت الأصدقاء ييكون على قبرها وقد عاجلها المنية في وفرة صباها ، فتعجب ما شاء لك المحب كيف هبطت الى عالم الظلام والديدان تلك التي كانت تشع الى عهد قريب ضياء الصحة والجمال ؛ فيقال لك أصابها برد أو مرض شائع فتوقاها ، وما يدري أحد منهم ذلك المرض الفكري الذي سبق فاستنزف قواها وتركها فريسة لأدنى المؤثرات

مثلا مثل الدوحة الفينانة تزهى القابة بها وتردان ، تقف رشيقة القد مياسة الأغصان وريفة الأفنان بينا ينهش الدود لها فيسرع اليها الذبول حين يري إشراق نضرتها وازدياد توريدها ؛ وعلى غرة نراها وقد مالت بأغصانها الى الأرض وأخذت تتساقط أوراقها ورقة ورقة الى أن تضمحل وتموت فهوى في سكون الغاب . فإذا ماتنا ملنا هذه الانقراض الجلية أخفقنا في تحليل ميتتها محاولين عبثا أن نذكر تلك العاصفة التي عساها أن تكون قد أطاحتها ، أو تلك الصاعقة التي لعناها تكون قد صمقتها

لقد لاحظت بعض النساء وهن منحدرات بخطى سرية نحو الذبول وقد أهملن شأنهن فاخترن من الوجود على مهل كأنهن تبخرن في الهواء . ولقد ظننت صراخا أني أسبت الحقيقة حين عزوت وفاتهن الى آلام السل المهلكة تارة ، وإلى البرد تارة ، وإلى الحزال مرة وإلى الأحزان مرة ، ولكنني وجدت في النهاية السبب الحق وهو يأس الحب وضيمه الأمل

كل يذكرك ولا يرب قصة ذلك البطل الارلندي الشاب « . . . » فهي قصة كان وقمها أليما بحيث

بملاسات لا قبل له بتحمل ما تسببه له من غصص وآلام ، فبحرل الى حيث يشاء متخذنا أجنحة الصباح طائرا الى أقصى البلاد حيث يخلد الى الراحة والسكينة

أما حياة المرأة فهي بالنسبة الى حياة الرجل حياة استقرار وعزلة وتأمل ، وهي أكثر اسطحيا لأفكارها وعواطفها ؛ فإذا ما استعالت هذه الى رسل ودواغ الألم والحزن فالى أين النجاة ، وأين تلقى الزماء ؟ إن حظها من الحياة أن تحب وأن تنال ، فإذا ما ساء حظها وخاب فألها في حبها قتل قلبها في ذلك مثل القلمة تقع في أيدي الأعداء فتُنهب وتُسلب وتترك خواء

كم من عين متألقة خبا ضيائها ؛ كم من خد أسيل غدا شاحبا ؛ كم من وجه جميل ذوى وطواه الردى دون أن يدري امرؤ السبب الذى أودى بتلك النضارة ؛ فتن طبيعة المرأة أن تخفى عن العالم آلام عواطفها المجروحة كما تنضم الحمامة جناحيها الى جانبها تخفى بهما السهم الذى يوغل في مقاتلها . وحب المرأة الحساسة هادىء خجول ؛ وبها أصابت في حبها من توفيق قللا تهمس به لقات نفسها ؛ أما إذا خاب رجاؤها في الحب أودعته طيات صدرها وتركته هناك في هم واصب بين ظلال أمسها . القاهب ، فقد أخفقت آمال قلبها وانتهت بهجة الحياة الكبرى عندها ، فهي عندئذ تماق الألاماب البهجة التي تنمش القواد وتسرع التنبضات وتدفع تيارات الحياة والصحة في الروق ، وهي في حالما تلك تقلقها الأحلام السود وتفرزعها في نومها ، ويمتص الأسمى دماءها حتى ليمسى جسمها من الوهن والحزال ينقض ويهدم تحت أضغف مؤثر خارجي . فإذا ما سألت عنها

يا لهو من قبركم هو غيف لكم هو هين !
وقد خلت الذاكرة عما عساه أن يخفف غصة الفراق .
ولم تستطع تلك الملابسات الوديمة وإن خالطها النهم ،
أن تذيب ذلك الحزن في تلك الدموع المباركة التي
تنزل كالطلل من السماء برداً وسلاماً على القلب في
ساعة الفراق الممضة

ترملت ، وزاد في وحشة حياتها أن تلك الصلة
قد أثارت غضب والدها وسخطه فنفاها من بيته .
ولو أن صديقاتها روعت نفوسهن ومنعهن الخوف
أن يهينها عطفهن ، لما أعوزها المزاء ، فالارلنديون
قوم حساسو النفوس كبرعمو الشعور . ولقد
مدت إليها ييولت كريمة يد المونة وأحطنها بريق
الرعاية وقدمتها للجمتمات ، وحاولن الترفيه عنها
بشقي للملاهي والمسرّات ليزول عنها حزنها ولتبدد
عن فكرها ذكرى مأساتها ، إلا أن ذلك كان عبثاً
في عبث ، فإن من التنبكات ما يثلف النفس ويذويها
وينفذ إلى منبت السمادة فيسحقها سحقاً فلا يعود
إلى إنبات . أما هي فلم تأب التردد على متندييات
السرور ، ولكنها كانت فيها منفردة بنفسها
موكولة الى أساهها ، فكانت تسير في وجوم
بشيب فيه الشعور بالدنيا التي تموج حولها .
وكانت تحمل في نفسها على الدوام غما دفيناً يستجر
بدايعات الصديقات ، ولا يحفل بسحر الفناء
ولا بجمال الرقص

لقد رأى من روى لي قصتها في « كرنفال »
وقد أخبرني أنه لم ير منظر ألبؤس أكثر إبلاماً
لنفس من رؤيتها في هذا الحفل الحافل تمشي كالخيل
الصارع وحيدة كثيفة بينا كل ما حولها زاه بهيج

لا يمكن أن تنبئ سريماً ، فقد حوكم إبان الاضطرابات
الأرلندية متهما بالخيانة وفذقيه حكم الاعدام بالشنق ،
وكان لخامعة حياته الفاجعة صدى عميق في قلوب
الجمهور ، إذ كان شاباً في ميمة الصبي وزهرة الشباب ،
متوقد الذهن ، كريم النفس ، شجاع القلب ، كل فيه
كل ما يحب في الفتى من كريم السجايا وحيد الصفات ،
كما كان سلوكه أثناء المحاكمة سامياً تجلت فيه بسالته
واقدامه ؛ وكان لنفسه النبيلة في دفع مهمة الخيانة عن
نفسه ، ولدفاعه الرائع عن اسمه ، ولنداءه الحار للأجيال
المقبلة وهو في موقف الاتهام وساعة اليأس صدى
داو في أعماق كل صدر كريم ، حتى إن أعداءه أنفسهم
نددوا بتلك السياسة التكرّاء التي قضت عليه بالقتل
ولكن قلباً واحداً بين هذين القلوب قاقت
حسرة ولوعة كل وصف ، ذلك هو قلب تلك الفتاة
الجليلة ابنة أحد مشاهير المحامين الارلنديين التي
كان قد نال حبها أيام سمدعه وتوقيعه ، وكانت هي
قد أحبتة لأول ما أحبت تلك الحماسة التي تحب
بها المرأة حبها الأول في مقبيل أيامها . لقد كانت
تحبه أيام محنته ، أيام تألبت عليه أقاويل الناس
وأحكامهم ، أيام عصفت العواصف بحاله ، وتهدد
العار والدمار اسمه ، وأحاط به السوء من كل جانب .
ولقد كان يزيد حبها له معاناته لتلك الآلام ، فكيف بها
اليوم وكيف ألما وهي التي كانت تهيم بطيفه وتشغف
بخياله . وقد حرك المصاب نفوس عدائه . سل عن
ذلك من سدّت أبواب القبر بشفة في وجهه ، وفرقت
بينه وبين من لم يعد له وبجبهه أحداً ، وقد جثا على
حافة القبر كالطُرد في دنيا باردة موحشة ذهب عنها
كل ماهو محبوب وكل ماهو جميل

الزوجة الصالحة ، غاولت أن تسمد زواجها ، إلا
أن هذا المم الساكن وذلك الحزن السكمن لم يدجع
فيهما علاج

فذهبت رويداً رويداً ، وأخذ منها الهزال
مأخذة ، فسارت وشيكاً إلى انحلال لا أمل في البرء
منه ، وهوت أخيراً إلى قبرها تخيمه القلب المحطم
وقد نظم فيها مور الشاعر الأرنلدى الشهير
أبيانه الآتية :

بميدة عن الأرض التي بها متوى بطلها المحبوب ،
يلتف حولها المحبون وهم يصمدون الزفرات ،
إلا أنها تشيع عنهم بوجهها وتأخذ في التحجب
فقد علق قلبها بالثرى الذى ضم الحبيب ،

تنشد أغاني الفطرة عن مواطنها السذج الأعزاء
مؤثرة ما كان يحبه من بيت تلك الأنعام .
آه ! ليس يدري أولئك المعبود بالحنانها
كم يتمزق قلبها وهي تشدو بأنفسها !

عاش لحبه ومات في سبيل بلاده ،
وكان هذات كل ما يمتيه من دنياه ؛
وسوف لا تنجب عاجلاً دموع بلاده عليه
ولا أمل لمن أحبه أن يعيش طويلاً من بعده

ابنوا قبرها حيث تستقر أشعة الشمس ،
حين تؤذنت بقبابها يدنو غدر موموق ،
حتى تضيء عليها في نعيمها كبسمة من القرب
من جزيرة الأحران التي أحبها وعلقت بها
(حدائق القبة) عيسى محمد لامل

وقال لي إنه رأها تلبس حلل المرح في حين تسير
ساهرة الوجه بمنقمة اللون يضرها الأمسى كأنما تحاول
هبتاً أن تتدح قلبها لحظة تنسيه فيها حزنه القيم .
وبعد أن طافت بالحجرات الفاخرة وجالت بين ذلك
الحشد الصاخب شاردة اللب جلست على درج
منصة الموسيقى ؛ وبعد أن نظرت في الفضاء برهة وهي
شاخصة الطرف يبدو عليها عدم الشعور بمجال المناظر
من حولها ، أخفت تنفي ، شأن القلب الليل في
تقلب أطواره ، فكان شدوها باكياً . لقد كان صوتها
رخياً إلا أنه في هذه المرة كان مؤثراً بسيطاً ، فتنفست
عن نفس بائسة ، والتفت حولها الجميع وساد السكون ،
فاذابت النفوس وأدمعت العيون

لقد أثارت قصتها شغف الناس ؛ إذ أن قصة
سبيدة على ذلك الاخلاص وهذا التفاني لا بد أن
تثير إعجاب الناس في بلد عرف أهله بالحناسة
والوفاء ، فأحبها وأعظم بها ضابط بإسل خطبها وهو
يحدث نفسه بأن من كانت تخلص هذا الاخلاص
للبيت ، تظهر ولا شك مثل هذا الاخلاص
للحي ؛ إلا أنها خيبت أملة في ذلك إذ لم يكن
في وسعها أن تصرف فكرها عن ذكرى حبيبها
الأول . على أنه أمر على طلبه قائلاً : إنه يكفيه منها
التقدير بديلاً عن الحب . وساعده عليها اقتناعها
بمعدناته وعوزها واعتمادها على الغير ، إذ كانت
تعيش على فيض ما تجود به الصدقات ، فتجبع في
النهاية في الحصول على يداه مع تأكيد رهيب بأن
قلبها ما زال ملكاً لغيره ولا سبيل إلى ضده عن هواه
سافر بها إلى سويسرا لمل تبديل المناظر بمحو
ذكرياتها القديمة . ولقد كانت رقيقة القلب مثال

بتساؤلوا ما إذا كان صديقهم قد خرج بفضلهم من
مأزق ليقع في مأزق أشد حرجا وشيقا
تلك هي واجبات الصداقة في نظر هذا النوع
من الأصدقاء

من مصائب الشبهة أنها تتوهم الحياة قاعة على
مثال الحوادث الأولى التي طرأت عليها . وهناك
نوع من أشقياء المجتمع ترام على أهبه ليقولوا للفني
المصدوع : إنك على حق في اعتقادك بالشر ، ونحن
نعلم حقيقة

ولقد سمعت رجلا وخط الشيب شعورهم
يشكلمون عن نوع من علاقات الرجل بالمرأة
يصفونه (بالماطفة الجواله) فكانوا يتحدثون عن
هذه الماطفة كأنها آلة حديثة اخترعها هندس ،
فيصورون كيفية استعمالها ويذكرون ما يجب أن
يقول العاشق ، وما عليه أن يجيب به مقرر في قواعد
رسائل الغرام وكيفية الركوع لاستمطاف المرأة
المشاهة . وهكذا كان هؤلاء الأفاضل ينظمون
حركات الهجوم والدفاع

وما كانت هذه الأصول الموضوعية إلا لإيجاماني
أفهمه شحكا ، لأنني ما تمكنت يوما أن أقول
لامرأة أحقرها إنني أحبها حتى ولو كان هذا
التمتارف المعمول به مما تعرف المرأة نفسها زيفه .
ما جنوت يوما أمام امرأة دون أن يمشو قلبي من .
لذلك ما عرفت حياتي هذا النوع من النساء
البتذلات ؛ وإذا ما كنت وقعت لاحداهن ، فما
كان ذلك إلا دون قصد مني وعن جهل بحال المرأة
التي أغوتني

ليس من المستغرب لشي أن يهمل الانسان
نفسه ، ولكن ما أستغرب هو أن يقدم على تدنيسها .



اعتراف في العصور

لأفريد موسى
بقلم الأستاذ فليكس فارس

الفصل الثالث

وكان ديجنه قد أعد في بيته في الضاحية حفلة
للشباب مستكة من خمر وطعام ولعب وصيدورية
وسباق ؛ وكان غني هذا الصديق محملا بحب الضيافة
والكرم ؛ وله مكتبة مجهزة بأتم الكتب ، وكان
إذا حدثك ثم حديثه عن علم واسع وأدب جم
وحملت إلى هذه الحفلة كما بقي أظالمها فلا تغلب ؛
وقد احترم ديجنه حزني إذ سكنت أنا عن استفساره
فلم يعاود الكرة على

وما كان يهتم ديجنه إلا لأمر واحد ، وهو أن
يراني ناسيا خليلتي ، فكان يرضيه أن أتناول الطعام
كسواي ، وأرافق الأحياب في ألباهم وصيدهم
إن في العالم أناسا مثل هذا الصديق يحاولون
جهدم أن يخدموا من يودون فلا يترددون في أن
يرشقوا وجهه بحجر إذا رأوا ذباة تسع خده ...
فهم لا يفترون يمنونه عن ارتكاب ما يمدونه خطأ ،
ولا يطلب لهم عيش دون أن يتوصلوا إلى طبع هذا
الصديق على غرارهم ، فإذا هم ظفروا بناتهم فركوا
أيديهم ونفضوا أناملهم دون أن يحطّر لهم يبال أن

الأزهار ورقة أخذتها فاذا عليها :
 « إلى أوكتاف من ديجنه ، بشرط المعاملة بالمثل »
 وما قرأت هذه الكلمات حتى أدركت ما يرى
 إليه ديجنه من اهدائه إلى خليلته كما تهدي
 الجواوى . . . وما كان ديجنه على ما أعرف به من
 الصراحة ليفعل ما فعل تضليلا أو هزوا ، فهو لم
 يقدم على فعلته إلا ليلقني درسا
 إن هذه المرأة كانت تحبه ، وقد سمى أنني
 عليها ، فأراد أن يردمنى من التعلق بها في حالى
 قبولي لها ورفضى

فوجت أنفوس فى هذه المرأة ودموعها تتحدر
 على خديها ولا تجرؤ على مسحها خشية أن اتقه إلى
 بكائها ، وما كنت لأعلم بماذا تهدها ديجنه حتى
 أطاعت . فقلت لها : لا بأس عليك ، أيتها الأنسة ،
 ارجعى من حيث أتيت

فقلت : إذا أنا خرجت من غرفتك قبل
 بزوغ الفجر ، فإن ديجنه سيميدنى إلى باريس ،
 وليس بوسى أن أخالف أمره ، فوالدى فقيرة
 فأجبتها : إن فقرك يدفعك إلى تنفيذ أمر
 ديجنه إذا ما وافقت أما عليه ، ولقد يستهوى بك
 الرائع ، ولكنك تبكين ، وما تدفين دموعك من
 أحلى ، وأنا لا شأن لى فى غير هذه الدموع . اذهبي
 وأنا كافل لك أن لا يرجعك ديجنه إلى باريس

إذا كان التأمل صفة نابعة من صفات العقل
 فى أكثر الناس ، فما هو عندى إلا كفضيلة
 لا تتحكم إرادتى فيها ، فان التأمل يجتاحنى كنوب
 عاطفية شديدة لا قبل لى بردها ، فعند ما خرجت
 هذه المرأة من غرفتى جلست وقد اعترتنى نوبة

ولقد يكون فى هذا القول شيء من الكبرياء ،
 ولكننى أربأ بذاتى أن أرفضها فوق موقعها ، أو أن
 أحبط بها إلى أدنى من مستواها . وليس أكره إلى
 من المرأة التى تهزأ بالحب . ولتل هذه المرأة أن
 يبادلنى عاطفتى هذه فأنى لن أنزعها هذا الحب
 إن مثيلات هذه المرأة لأحبط من الماهرات ؛
 وقد تكذب الماهرة كما تكذب المرأة المحتقرة
 للحب ؛ ولكن الأولى قد تحب ، أما الثانية فلا تفقه
 للحب معنى

أذكر امرأة تملقت بى فكانت تقول للرجل
 الذى الذى تمايشه : لقد مللتك ؛ وهأنذى ذاهبة
 إلى حبيبى

إن مثل هذه المرأة خير من النساء اللواتى
 لا يتقاضين عن أعراضهن ثمنا

وقضيت فصل الصيف عند ديجنه حيث بلغت
 أن خليلتى راحت فرنسا . ومنذ اليوم الذى بلغت
 فيه هذا الخبر استولى علىّ غم لم أجده لنفسه
 على سبيل

وكنت فى وسط هذا المجتمع الجديد أتطلع
 كالفرس الجوح الى كل ما حولى

وكان لديجنه خلية على غاية من الجمال . وكنت
 أتمشى معه فى إحدى الليالى فقلت له لئنى أقدر
 جمال عشيقته وتعلقها به واخلاصها له ، وأبشمرته
 أنى أعبطه على هذه النعمة . فسكت على عادته وابتسم .
 وعندما دخلت الى غرفتى لأرقد فى المساء نفسه
 سمعت طرقة على بابى فأذنت بالدخول ظنا منى أن
 أحد الصحاب أخذهُ الأرق فلقباً إلى ، وفتح الباب
 فرأيت امرأة تتقدم مترددة وقد امتنع لونها وتعرجى .
 نصف جسمها ويدها طاقة أزهار قدمها إلى ، وبين

أن تقتل جسداً ؟

ولكنك قد تكون عاشقا لهذا الجسد فلا تجد أمامك إلا من يقول لك : أترع الكأس واذهب في سبيلك ، فإن للجسد الذى يحترق من أجله غنا معيناً . ولكن دمجته يحب خليلته فهو لا يرضى عليها بشيء ، فهل لهذا الرجل حب خاص به دون سواه ؟ لا ؛ إن هذا الرجل لا يعرف الحب ، ولا فرق عنده بين امرأة تستحقه وأخرى لا تستحقه لأنه لا يحب أحدا

وما الذى أبلغ دمجته هذه الدركة من الشهور ؟ فهل هو خلق بهذه الماهة ، أم أصيب بها بعد ولادته ؟ إن دمجته ليس رجلا ما دام الحب أرم للانسان من الماء والهواء . أهو أحد الجبابرة أم أحد الصعاليك ؟ فهو يرتضى على أحضان امرأة تمسقه دون أن يشعر بأية رعشة ودون أن يتوقع أى خطر ؟ وما الحب لديه إلا ساعة جسد يبدد مال . أية ولعة هي حياته ؟ وأتى شراب يتدفق في أفداحه ؟ إن هذا الرجل لم يتجاوز الثلاثين من عمره وقد أصبح مدمنا على السم مكتسبا بمناهة تهزأ بزفاف الأفاعى التى يداهاها

إن في الأمر لفزا عميقا يا بى ، وعليك أن تجد له حلا . مهما اجتهد أنصار الفحشاء بالتعليل فانهم قد يشتبون ليوم من الأيام وليلة من الايام وساعة من الساعات أنها غاموس طبيعى ، ولكن إبتائهم هذا لا يصمد لوجه الزمان لأنه ليس من شرب على الأرض لمعتبر المرأة رفيقة الرجل وسواها ، أو للنبى المقدس لحياهه ؟ وقد استحققت التمجيد في الصفتين

ومع هذا فانك لترى من الناس من ينتصب

النأمل ، فاذا أنا أنابى نفسى قائلا : هذا قضاء الله فيك يا هذا ... لعل دمجته كان على حق لاعتقاده بأنه إذا لم يرسل خليلته إليك لكنت تقع أسيرا في هواها

أذا دفقت في حسنها وجمالها فأدركت أنها آية في الخلق وما تجود الطبيعة بمنزلها إلا نادرا ؟ ومع ذلك فإن الرجل الذى يريد أن يشفيك من دائك لم يجد وسيلة أجدى عليك من الصاق شفتيك بشفتيها ليحوأ نار الحب من قلبك

ولسكن رأى هذه الفتاة رجل قبلك فاستهدفوا للخطر الذى تراميت أنت عليه

وهذا دمجته تميد جمالها ولكنه لم يؤخذ به ، فهل يحيا هذا الرجل بلا قلب ؟ إن لهذا الرجل قلبا ولكنه يختلف عن قلبك شعورا ، لأنه لا يستقد في شيء ولا يهتم بأى أمر كان ، ولكنه إذا أصيب بلسعة في رجله فانه يرتعش خوفا . وهو الممتد بانحصار الحياة في جسده ، فاذا ما فقدته فقد الكون بأمره . أيعكس للانسان أن يحيا على هذه الوتيرة فيجعله روحه بالسياط كما يجلد المتبدون أجسادهم ؟ افتكر يا هذا واعتبر أنك لترى رجلا يضم بين ذراعيه أجل امرأة وهو مشتمل بحمارة الشباب يعان لهذه المرأة إعجابها وتعانى هي حبا له فيجيبه يوما صديق يثنى به ويقول له : إن هذه المرأة مبتذلة فيزول كل إعجاب وحسب من قلبه ، ولو أن هذا الصديق قال له إن هذه المرأة جانية لما فعل هذا الوصف في قلبه ما فعلته كلمة « مبتذلة »

فما هي قوة هذه الكلمة بأنرى ؟ إنها ولازيب تحبل النار ، وتنزل المقاب السادل بالمرأة التى استحققتها ولكنها ليست إلا كلمة أهمل للكلمة

الكاذبة إلا بذورا لا تثبت غير المراتة والأوجاع
وقد استنفدت قواى حتى ملتها
إنها لكلمات لا يتفوه بها إلا القلائل ممن
مشوا فى الحياة حيث مشى هذا الرجل ؛ غير أنهم
لا يشعرون بغير معناها فى قلوبهم ؛ وأنا أيضا لا أجد
سواها فى صميم فؤادى

وبعد أن عدت إلى باريس فى أول الخريف
بدأت حياة الشتاء منسدفًا الى الملامى والمآذب
والمراقص ، فما كنت أفتقر من ديجته إلا نأرا ؛
وكان هو يبدى مزهدا رتياحه لى ؛ وما كنت أنا
مرتاحا إلى نفسى ، لأننى كنت كلما توغلت فى هذه
الحياة تزايد هموى ، فما طال لى الأمر حتى بدأ
هذا العالم الذى حسبت لأول وهلة واسع الأرجاء
يضيق لى فى كل خطوة ، فكنت كلما لامست شيئا
من إشباحه يضمحل ويتوارى أمامى

وكان ديجته يستفسرنى عن حالى فأقول له :
وأنت مالك أيها الصديق ؛ لعلك تذكر قريبا بأرجح
الى القبور ، أم إن فى صدرك جراحا نكبتها
رطوبة الشتاء ؟

وكنت أراه أحيانا يتظاهر بعدم سماع ما أقوله ،
فيكينا نهرح الى الموائد ونشرب حتى نفقد الشعور ،
أو نستأجر فرسين وننتقل الى الحقول قاطعين عشر
مراحل لتتناول طعامنا هنالك ثم نمود لنسبح ،
ثم نتناول العشاء ، ثم نتركا كفى الى موائد القمار ثم
ننسحب الى أسرتنا .. وما كنت أصل الى سريرى
وأوصد الباب على حتى انطرح جاثيا أذرف الدموع ،
وتلك كانت صلاتى فى كل مساء

ومن غرائب حالى أننى كنت أشعر بشيء
من الفروء عند ما كنت أتمكن من الظهور على

للمحارب المدجج بالسلاح ليندفع قافزا فوق الهاوية
التي تفصل الله بها بين الانسان والحيوان . ومن
يقدم على هذا العمل فأنما هو ينكر النطق على نفسه
فيصبح كالوحش الأجم خائفا لجمبة المفكرة الناطقة
بقبيلات الجسد وشهواته اذ يضع على فمه ما على أشدق
الحيوان من طابع الصمت الأبدى

إن مثل هذا المسخ يقف أمام أشرف كلة وجب
عليه أن يتعلمها فينفخ عليها حاصفات من دياجى
الذابة السوداء حيث يأخر شياطين الفناء بالحياة
لقد تجاوز هذا الرجل الحد الذى أوقف الله
الانسان عليه ، فهو قد تهقر عن هذا الحد وأندفع
إلى ما وراءه . . . وقد أصبحت أحشائه كاحشاء
المرأة الماقرأ وأوجدتها الطبيعة فاقصة أو تسربت إليها
قطرات أعشاب سامة تقضى على جرثومة الحياة
إن العمل والمطالعة قصرأ عن شفائك يا بنى ؛

وقد أصبح شمالك أن تنسى وتعلم ، وقد كنت
تقلب صفحات الكتب الميتة ، وأنت لما تزل قاصرأ
عن دراسة الخرائب والاطلال . أنظر إلى ما حولك
من قطعان البشرة وإلى عيني أبى الهول تشعان بين
ما خطته اليد المستترة . طالع كتاب الحياة أيها
الطالب وارم بنفسك فى تيار الحياة فما الحياة
إلا كنهر السبكس فى الأساطير تولى مياهه المناعة
لن يجرؤ على اقتحامه من الأبطال . أقدم فأما أن
يقودك هذا التيار الى الموت أو يرضك الى الله

الفصل الرابع

قال القديس أوغسطينوس وهو الرجل الكامل
عند ذكراه أيام شبابه :

— وما كانت جميع هذه السررات والملاذات

وأشعر أنني رجعت الى الأيام التي كنت فيها طفلا
والرغم من أنني كنت أتبع دقة النظام الذي
قررتُه أنا وأصدقائي في حياتنا المشوشة ، فإني
ما كنت أهل الذهاب الى بعض المجتمعات الماليلة
غير أنني كنت أشعر باضطراب شديد عندما
كنت أنظر الى أبة سيدة ، فإني كنت ألس أيدى
النساء إلا صرتمشا بمد أن صممت على هجر الحب
الى الأبد

ومع هذا فإني رجعت ليلة من أحد المراقص
وفي قلبي من الألم ما أشمرني ببودة الحب اليه ،
لأنني كنت جلست الى المسألة . بقرب سيدة لها
من الجمال والأدب الجم ما لا قبل لي بنسيانه .
وعند ما أغضضت عيني لأنام انتصب خيالها أمامي
فحسبتي مقضيا على بالهلاك ، ولذلك صممت على
أن أجنب أبة فرصة تمكنني من الاجتماع بها .
وبقيت أغالب نفسي خمية عشر يوما ما يارحت
فيها مقعدي ، فكننت أنطرح عليه ساهيا ففزع في
خيلتي جميع حركات هذه المرأة وكلاتها

وما طال الأمر حتى ذاع صيتي في باريس حيث
يترصد الناس لسكنات الناس وحركاتهم بأنني
سيد الخلاء . وكان ذكاء العالم في هذا مدعاة لاجعابي
به ، لأنني بمد أن كنت في مينة أشد الناس حفاة
عند ما وقعت لي حادثة خيلتي أصبحت الآن الرجل
المتصلب الذي يتحكم في شعوره . وذهب البيض
الى القول بأنني ما كنت عاشقا لهذه المرأة بل
كننت ألب دوري بمهارة ، فكان ذلك خير ثناء
يوجهه هؤلاء الناس إلى

والأنكي من هذا أنني أصبحت أنا نفسي
أنتفخ غرورا بهذا الشرف المسكين وأتأذ بفروري

غير الحقيقة التي أعهدا في نفسي . فكننت أباهي
بالاغراق في وصف شروري وأجدالة شاذة يشوبها
الحزن العميق ، وما كننت أشعر إلا باللال عند ما
كننت أسرد حوادتي على حقيقتها ، وما أدري كيف
أصف هذه اللذة التي كنت أستغرق فيها عندما
كننت أقص وقائع جنون وفشاء لا حقيقة لها
وما كننت أنألم لشيء تألى لاضطرابي الى
ارتياح الأماكن . التي كننت أرافني خليلتي إليها فإني
مضى ، فكننت أظهر كالمتهو أمام رفاقي وأذهب الى
مكان منفرد لأحدث في أصول الأشجار ونبات
الأرض ، حتى إذا مللت تأملني ضربتها برجلي وحاولت
تخطيها . ثم أعود الى حيث أتيت وأنا أتمم قولي
المألوف : « إن الله لا ينجي » وكانت تنتهي هذه
النوب بي الى سكوت بطول مدى ساعات

واحتلت دماغي فكرة ملكيت جوانبي وهي
أن لا حقيقة إلا في المرى ، فكننت أقول إن العالم
يسمى أصباغه وأدهانه فضيلة ، ويدعو سبخته ديناً ،
وأثوابه أدباً ولياقة ، وما الشرف والأخلاق إلا
خدمات لقضاء حاجته . فالعالم لا يشرب خمره إلا
من دموع الساكنين الذين يؤمنون به . فهو عشي
مطرقة ما دامت الشمس تتكبد السماء فيذهب الى
السكنائس والمراقص والمجتمعات ، وعند ما يتسدل
ستر الظلام يتمرى قراء مومساً لها من التيس رجلاه
ولكنني كننت أحتقر نفسي بهذا القول إذ
كننت أشعر أن تحت هذا الجسد الذي تستره
الأثواب هيكلا من عظام فكننت أرتمش وأسال
نفسى ما إذا كان هذا كل الوجود

وكنت أعود الى المدينة فأصادف في طريقي فتاة
تمسك بيد أمها وتسير معها فأبنيهما بأنظارى متنبها

مزاحى يدفعني الى الحزن المفرط كما كان حزني يثير
مزاحى فاستغرق في ضحكي
وسمعت ذات يوم رجلاً يتججج بأنه لا يعتقد
بأية خرافة وأنه يسخر بكل تفاؤل وكل تشاؤم فجاء
أصحابه الى غرفته ومددوا على فراشه هيكلاً رمة
بشرية وكثروا في غرفة مجاورة ؛ ودخل الرجل الى
غرفته في ساعة متأخرة فلم يسمع السكامنون أية
حركة حتى الصباح ، إذ شاهدوا صديقهم جالساً
على فراشه وهو يلعب بالمظلم . وكان الرجل قد سُين
وقد كان في داخل شيء يشبه هذا الرجل يلعب
بمظلم رمة محبوبة ، وماتلك الرمة إلا انقراض غرامي ،
وهي كل ما تبقى لي من سالف أيامي
(يتبع)
فيلكس فارس

وكنت موجهاً كل جهدي الى أن يراني الناس
(واصل الى مقام من تجرعت عواطفهم في حين أنني
كنت أشتغل بالشهوات ونذهب تخيلات الجامعة
في كل مذهب
بدأت أعلن أن ليس للمرأة أقل شأن في
نظري ؛ وكنت أبذل الجهد لخلق أوهام أعلنها
للناس وأقول إنني أفضلها على الحقائق فكأنني لم
أكن أرى لذة إلا في تشويه ذاتي ، وكان يكفيني
أن تلوح لي بفكرة تصدم الرأي العام لا تطوع
للدفاع عنها مهما كلفني الأمر

وهكذا بليت بأعظم النقائص والعيوب : بليت
بتقليد كل ما كان يستوقف انتباهي للجهل بل لمرأته ؛
وبما أنني لم أكن أرضى أن أظهر في مظهر القلند
كنت أندفع الى اللعالة لأثبت أنني مبتدع لا تابع ،
فلم أكن أرى شيئاً حسناً حتى ولا مقبولا ، وأبدي
عجبي ممن يفقدون رزائهم في إعجابهم ، ومع ذلك
أكن أنورع في حماسي عند ما كنت أدافع عن
نظري أريد أن آخذ بها ، فكنت أندفع في بياني
حتى تضيق اللغة عن امدادي بالتعابير اللازمة
لابداء إعجابي ؛ وكان يكفي أن يسلم أخصائي بما
أرى اليه لأفقد كل فصاحة وكل حماسة

وما كانت هذه الحالة الفكرية إلا نتيجة
ملازمة لحياتي التي كرهتها وما قدرت على تبديل
خطي فيها . فكنت أعذب تفكيري كأنني أنتقم
منه وأخذ كل وجهة طلباً للهرب من نفسي
ولكن بينما كان غروري بداعب ذاته على هذه
الوتيرة كان قواذي يتقلب على أوجاعه ، فكأنني
كنت أنطوى على رجلين أحدهما ضاحك والآخر
باك ؛ وكان الصراع مستمر بين دماغي وقلبي ، فكان

في الطريق

كتاب جديد يصدر في سبتمبر

بقلم الأستاذ

ابراهيم عبد القادر المازني

أكثر من ٦٠ قصة في ٥٠٠ صفحة

قيمة الاشتراك فيه ١٠ قروش

التي بعد الطبع ١٥ قرشاً

ترسل قيمة الاشتراك بعنوان المؤلف

بشارع غاروق رقم ٢٢١ بمصر

الاشتراك يقبل في منتصف أغسطس



هوميروس

الأميرة إلى القصر فلحقها إخوتها الأمراء الخمسة
النسجولوب، فحذا الدواب وحملوا الطارف والنياب،
وصمدت هي إلى غندعها حيث كانت خادماتها المعجوز
الشمطاء (يوريمديوسا) تنفي بنار الدفأة

ولم تكذبور ترى سيدتها حتى حيث وثقت،
وانطلقت تمد لها وجبة الماء

أما أوديسيوس فقد ذهب من مجلسه فوهم
شطر المدينة، وقد نشرت حوله مبرقا — صفتته
الوفية — ظللاً وغماماً يحجبه عن أعين الناس حتى
لا يضايقه أحدم يسأله من هو وفيم أقبل ومن
أى الأقطار جاء ... بيد أنها لاحت له قبل أن يابح
باب المدينة في هيئة فتاة قروية كاعب يحمل فوق
رأسها جرتها ... وتعمدت أن تترض طريقه،
فانتهزها فرصة وراح يسألها هكذا: « يا بُنَيَّة !
أتسمحن فتدليني على بيت رب هذه البلدة،
ألكينوس الكريم ؟ لقد نال مني الوقي وطول
السفر، وحلت عليكم يا أهل فيشيا الأجايذ ضيفاً



الأوديسية

لهوميروس

بقلم الأستاذ دريني خشبة

في قصر ألكينوس

فمقدمة الفصل السابقة

« لم يعد أوديسيوس من طروادة فيمن عاد من أبطال
الاغريق فطعم في زوجته الخيلة — بنلوب — أمراء
البلاد وحاصروا بيتها ليرغموها على اختيار أحدم زوجاً
لها . وقد ساءت هذه الحال إلهة الحكمة ميرقا وصديقة
البطل غرضت ولهم تلياك أن يبحر إلى أسبرطة ويلاوس
ليسال الملوك هن أبيه وقد أبحر تلياك ، وعلم أن أباه
ما يزال حياً في جزيرة كليوس همروس الماء — وغيف
عشاق بنلوب لما علموا بإبحار تلياك فذهبوا به ليقنلوه
في عودته . أما أوديسيوس فقد صنع له رمثاً وأبحر
عليه من عند كليوس ولم يزل يصارع البحر حتى اقترب
من سواحل شعريا بملكه أمراء البحر وهنا ثارت
العواصف وكاد يفرق ... ونجا بعد جهد . ونام في
دخلة في طرف غابة على سفح الجبل . وأقبلت نوزيكا
ابنة ملك شعريا في ربرب من وصفاتها لتنسل مطارف
عمرسها فلقيت أوديسيوس الذي رجأها أن تمنحه
دثاراً وأن تله على مدنتها — وقد أعطته ما سأل
ورمحت له الخطة التي ياتي بها أباهما الملك ألكينوس »
وفرغ أوديسيوس من صلاته ، ووصلت غربة

غير معروف ، من بلد سحيق ، فهل تفعلين ؟ »
وقالت ميرزا — ذات المينين الزرجديتين —
وهي تضحك :

« حبا أيها الغريب القور وكرامة ! سأدلك
على بيت ألكينوس بنفسى ، فهو غير بعيد من
بيت أبى ... ولكن لى إليك وصية ... أصمت
مادمت سائرا ، ولا تحدج أحذا بنظرة ، ولا تكلم
من أهل هذا البلد إنسيا ، فقد جيلوا على ازدراء
الغرباء وقلة إيلافهم ، وتلقهم فى فتور وبرود طبع ،
وقد أحبه نيتيون رب البحار فأذل لم أعناق
الوج وأسلس لسفهم أعراف الماء ، فعى تخطر فيه
كالطير حين تحذف ، أو كالفكرة حين تخطر فى
الخلد »

وتهدأت ربة الحكمة بين يديه ، ودلف هو
وراءها ، ولم تره جموع البحارة الحاشدة التى كان
يسير بينها ، لأن ميرزا ضربت على أعينهم غشاوة
عجيبة حجبتهم عنهم ؟ وكان ينظر بعين الدهش إلى
مينائهم وسفائهم ورحبة السوق التى يأوى إليها
أبطالهم ، وإلى تلك القلاع المهدقة بالمدينة فى أبهة
وجلال ، ثم بلما بيت الملك ، فقالت ميرزا :

« هاك يا أبتاه القصر الذى سألت أن أدلك
عليه . وستلقى فيه رؤساء وأحرارا أعجاب السمو
بولون ويقصفون ، فعلم قاتمهم بقلب رابط وجأش
ثابت ، فهم أعجب الناس بشجاع جرىء ، وأكرهم
للإجم غريب . وستكون اللذة أديتا — سليلة
الشرفاء الامجاد آباء ألكينوس الكبير ، وحفيدة
الردة الجبارة من ذرارى نيتيون^(١) — أول من

(١) آثرنا ألا نثبت هنا ما ذكره موسى من نسب الملكة
عنانة الاملا

تلقى . إنها سيدة قومها ، وهى محبوبة مبعجة إلى
درجة التقديس من زوجها وأبنائها ومن جميع
الفياشيين ملوك البحار ، الذين طالما كتكبكبوا حول
موكبها فى شوارع المدينة هاتفين داهين ... إنها
تجلس وقورا كأحدى ربات الأبواب فتفغر بالهبة
أبناءها ، ونقضى فيما يشجر بينهم ... لك الله ياسيدى
إن قدر لك فاستطعت لقاءها ... إنها إذن تمنحك
برها وتسبغ عليك من بركاتها فتعود إلى بلادك
راضيا ، وتلقى آلك وخالنك عزيزا مكرما »

ثم غابت ميرزا عن الانظار ، وغادرت أرض
شيرا الجيبية إلى صراون — ومن ثمة رفت رفة
فكانت فى أمينا حيث أوت إلى قدسها الكريم
إركنيوس

ودخل أوديسيوس قصر الملك هيابا متخاذلا ،
غارقا فى بحر لحي من الوهم والفكر ، لأنه ما كاد
يطأ بقدمه وصيد الباب الكبير حتى يهره لألاء
شديد خائف ينبعث من الداخل ، يزيد فى شدته
ولماته تلك الجدران المصفحة بالنحاس زينها إطار
من الازورد الأزرق ، وتلك الأبواب المائلة من
الذهب الخالص ، والمعاد السامقة من الفضة المجلوة ،
تكلمها تيجان من النضار الثمين . وعلى التمين وعلى
الشال ربضت كلاب من ذهب ، صنعة فلكان ،
صناع الدماء الخالدة ، وخالد أيد الدهر كل ما صنعت
يدا فلكان . ثم تلى بعد ذلك ردة فسيحة مترامية
صفت إلى جدرانها كرامى كأشجار عروش ، ونبث
فوقها غارق ذات أفواف وشفوف ، صنعة وصيقات
القصر ؟ وهنا ... يولم الملك لأحرار شيرا ... فيقف
الولدان فى جلابين من ذهب ، وفى يد كل شملة
تسكب الأنواء من فوق المذبح على جموع الطامعين

بُكَير كبير وآلاء وافرة أسبغتها الآلهة على
الساكنين في الملك ا

وقف أوديسيوس مسبوه اللب ، مشدوه
الفكر ، يردد طرفه في هذا المنظر المدهج ، ثم أفاق
نظراً إلى الداخل ، حيث اجتمع زعماء المدينة
وشيوخها يصبون الخمر باسم هرمن رسول الدماء
تقدمة وقرباناً ، وصلاة غلام أرباب الأبواب قبل
أن يأووا إلى مضاجعهم . ولم يتلبث عندهم ، بل
تقدم في خطى حثيثة برغم إعيائه ، وكانت ميزفا
تحجبه في ظلال كثيفة من أعين الملأ ، حتى وصل
إلى حيث يجلس الملك والملكة ، فكُشِفَ عنه
غطاؤه ، وجثا عند قدمي الملكة يبث شكاه بين
دهش الساكنين الكرميين وشدة تحيرها :

« أريتا يا ابنة ركنور صفى الآلهة أتوسل
إليك وإلى الملك العظيم ، وإضافكم النبلاء ، من
الله عليهم ، وضاعف لهم آلاؤه ، وأنتم على ذوابهم
وألف بين قلوبهم وقلوب رعاياهم ، أتوسل إليكم
يا سليلة الجدد ضارعاً أن تعطني على » وأن تكري
مثنواي ، وأن تعينيني على الرحلة من فوري إلى
بلادتي التي أحرق إليها شوقاً ، والتي فصلتني عنها
أهوال وأهوال ا

وساد سكون عميق وصمت ، وظل البطل
الساكن جاثياً عند حافة البوابة المتأجج ، حتى
تفجرت شائيب الرحمة والحنان في قلب إخنيسوس ،
ابن الملك البكر ، فراحت الكلمة الطيبة تتدفق
من فم الجليل المنب في فصاحة وتبيان ، وبحكمة
تقليدية ، وخير ، حيث قال :

« حاشا لجذك أيها الملك أن تدع هذا الغريب

في كل ليلة ... يا للقصر كأنه جنة الخلد ؟ ... إن
خمسيف من غيد شيريا الرايبين يخدمون الملك
ثمة ... يطعن الفصح وينخلن الدقيق ، ويندفن
الصوف ويعملن على النول ... مائسات كأفنان
الدوح بداعهن النسيم الحلو ... حاذقات في النزل
والنسيج كأحذق ما يكون بحارة شيريا في عنفوان
الماصفة .. قد تقفن صناعتهم عن ميزفا فافتتن
وأبدعن إبداعاً . ثم تكون البوابة الكبرى ، حيث
فردوس القصر البائع ، وجنته دائية القطوف ،
ذات الأسوار المنيمة المحيطة بهذه الأربعة أفدة ...
للآلهة هذا الدوح قد بسق في جنباتها ؛ وللآلهة
أشجار الزمان المثقلة بأثمارها مفترة عن شفاء
الأفاح . وحرمة المجل قد خضبت حدود التفاح
والكثري ، وسالت قطرات من الشهد في ثمرات
التين ، وتأنجت أنواراً زاهية في أفنان الزيتون ...
فاكهة شهية جنيبة لا مقطوعة ولا ممنوعة شتاء
وصيفاً ، يانة أبداً ، تداعبها أنفاس (زفير رب
الصبا فتشيع فيها النضج والتماء ، كلما قطفت يد من
جنانها ثمرة نمت مكانها في الحال ثمرات ، فما تقل
آخر الدهر قطوفها وما تنقص

وخلال هذه الجنة المثمرة تمتد الكروم ذات
الأعناق والربط والمناقيذ من نور ، بعضها يهـمر
فتقطر الخمر منه ، وبعضها يحف على سوته فيكون
زيبكاً جنياً . ثم توشى أطراف الحدبة أحواض
من الزهر الشذب اللسق ، وتتفجر في وسطها
عينان نضاختان ، يترقق الماء من إحداها كاللجين
في مسابيل هذا الروض ، وتتدفق مياه الأخرى في
نهر صغير ينساب إلى المدينة من تحت عتبة القصر
فيرتوي الأهول منه

وشاركت في ولأعنا ، وهي تبقى على حبقنا ،
فلا تأس بأذى رجلاً منا يضرب في الأرض ، وليس
ما بيننا وبينها بأقل مما بينها وبين السيكلوس
أو المردة الجبابرة ، وفي ذلك تغارنا وهو آية مجدنا »
ونهض أوديسيوس المحكم فقال : « غفراً
غفراً أيها الملك ! ما أنا في الآلهة ؟ أين لي
خلقيها السوي ، وكيانها السجاوي ؟ بل أنا شقي
من أبناء هذه النبراء ، أثقلت كاهله حولة هائلة من
السكرات والآلام ، حتى لا يعرف الناس من شقي
شقاه ، ولا من تحمل مصائبه وأرزاءه . . . بلأيا
صبتها على رأسه الآلهة فصر وألب ... أوه ! أبداً
لا أنتهي إذا سردت لكم طرقاً يسير أ منها ! ولكن
لاداعي الآن .. أرجوكم .. أتوسل إليكم .. دعوني
أتباع بهذه اللقات في هذه الملحة الحائلة من الراحة
التي لم أنم بثلاث منذ بعيد . لشد ما يصرخ الجوع
في أذني الجوعان ، ولشد ما يمدح الطوى ! إنه يالج
عليه بكل صنوف الألم ، حتى ينسبه آلامه وأشجانه .
إن له لشبهه عالية الصخب تطلب العون في جوار
وجنون ، حتى ليضيع في ضيبيها هتاف جميع الآلام
إلى أن تكفي . عفواً أيها السادة ! إن أفتأ أضرع
إليكم أن تيسروا لي عوداً أحمد ، وأوبة سالمة ، بمد
طول المنام ، والشقاء الذي ليس بعده شقاء ، إنه
لا أحب إلى من أن أودع الحياة بمد نقارة واحدة
أزودها من أهلي ووطني . »

وتأثر القوم من أجله فأنثوا عليه ، وانفتحت
آراؤهم على معاونته حتى يمود إلى بلاده ويلي ذويه
ثم نهضوا فصبوا غمر الصلاة باسم الآلهة ، وشربوا
نخب رب البار ، ثم تفرقوا إلى منازلهم ، إلا
أوديسيوس ، فقد ظل جالساً ساهماً وأجماً ، كما ظل

جائئياً هكذا في غبار الموقد وفي وهج النار ، وأن
تشر ك أصيافك ينتظرون أمرك . . . وما تكلم
منهم أحداً ! إلا أخذ بيد الفريب وأقمده مقعد
الندي ، وصر الندمان يسقه من كأس جوف كبير
الآلهة^(١) ، وحبيب الفرباء وذوي الحاجات ،
والنادل يهيئ له عشاء مما تبقى من لينة الليلة »
وما كاد الأمير يفرغ من قائه ، حتى أنهض
الملك أوديسيوس وأجلسه على كرسى نغم جانب
ولده الحبيب المحكم لاداماس . . . ثم أقبلت
إحدى وصيفات القصر فصبت الماء على يديه من
أبريق فضي ، ثم أحضرت مائدة حافلة بأشهى
الأكل وأطيب اللذائذ والأشربات ، فأكل
أديسبوس وارتوى ؛ وأمر الملك كبير الشعاة
بوتونوس ، فزج الراح وقدها إلى الجميع حيث
صبوها مقدمة لجوف رب الصواعق وكبير الآلهة ،
وحبيب الفرباء ، وحاي ذوي الحاجات ، ثم شربوا
بعد ذلك حتى رواء

وقال الملك : « أيها الرؤساء والشيوخ
الفضايون كله عفواً الخاطر ، فاسمعوا وعوا . . .
لقد طعمتم جميعاً وستفرقون إلى مضاجعكم ،
ثم تجتمع عند مطلع الفجر نحن ، ومن لم يحضر من
نواب الأمة الأجلاء ، فننظر في شأن هذا اللابئ
الفريب ، بمد أن نضحي للآلهة . . . إنه يطلب
أن يمود في حبايتنا إلى وطنه كيما يصل سالماً
غانماً من غير أن يسه أذى ، إلا أن تكون ربات
الأقدار قد قصت عليه أمراً ، وإلا أن يكون من
أرباب السماء الخالدين . . . لقد وصلت بيننا وبين
الآلهة وشائج القرني ، وطالما غشيت بحالنا

والآكال ؛ ثم أرسلت بين يدي ربحاً ربحاً ما انفكت تجرني في عباب من بعده عباب طيلة سبعة عشر يوماً ... وفي الثامن عشر لاحت قمم جبالكم الشم تخفق قلبي فرحاً ... بيد أنه كان أملاً مُخْلِياً لم يطل أمده ... فقد أُنْبتون الجبار إلا أن يقف بسبيل ، وإلا أن يرسل ربحاً مفاكسة تثير الموج وتبهج اللج ، وتحرق ما التأم من ومن فلكي الصغير — الذي كان كل أملى .. ولم يدب من أن أ كافح الماء ، وأذرع اليم بالسباحة ، حتى تصافرت الريح والموج ، فقد قفاني إلى ساحلكم ذي الثؤي .. ولم أحتمل صدمة الصخور ، فضجني السيل الراي إلى الأعماق كرة ثانية ... وشرعت أ كافح مرة أخرى ، حتى ترقنتي موجة مريبة في نهر وديع متظلم ... فسبحت إلى إحدى عدوتي ، واستقلت على الشاطئ خفق الأحشاء منهوك القوى ... وأقبل الليل فهاككت على نفسي إلى دغيلة مهدتها بمساليح وشيء من القش وفروع الشجر ، ونمت ليلاً طويلاً ونحوه متعباً وظهيرة كلها نصّب وإعباء .. ثم أيقظتني صبحات قرية مُرنة ، فاذا بكنتم الأميرة الحبيبة الخشنة في ررب من أثرها بتلابن كرباث الأوب على رمال الشاطئ ... وجثوث تحت قدمها ، ومازالت بها أخلق شبهاً الفض يدهوات مسولات ، وأثير نحوه صباها الفينان أحتق أسرت لي بطعام شهى وغر ممققة ، وأشارت إلى منطف فتوجهت إليه ففسلت ما على جسمي من خبث ، ثم منحتني هذا الصادر وذاك الدثار ...

تلك قصتي أسرها عن قلب عزون .. ما فيها أنارة من مين »

قال الملك : « لشد ما أخطأت بنيتي إذ لم تصحبك

الملك إلى جانبه سامعين واجين ، والتدل قيا بين ذلك يحمون أطباق المائدة وأكوابها ، حتى إذا فرغوا أخذت الملكة تتحدث إلى أوديسوس ، وقدلفت نظرها هذا الثوب النضفاض الذي كان يلتفع به : « والآن جادت نوبتي في التحدث إليك أبهذا الغريب الكريم ، من أنت ؟ ومن أين أقبلت ؟ وأنى لك هذا الصادر وذاك الدثار ؟ ألسنت قد قلت إنك غريب نازح أفلتكت المنايا في لجج البحر ؟ » وقال أوديسوس يجيب أريتا :

« أبها الملكة ! قد لا أفرغ من الحديث إذا حاولت أن أسرد قصتي بمخافها ! بل ليس أشق على من ذلك ، فقد كرتني الآلهة بكل أنواع المهوم وصنوف الآلام ، بيد أنني لم بمأساتي المخرقة في كلت فأقول : « في أوجيجيا — إحدى الجزر القاصية التي لم تطأها قبلي قدم بشر ولم ينظر بها إلهة — تقيم عروس الماء اللتان — كليسو — البارة الرائمة الصناع ، ابنة أطلس الجبار التي قدر على أن أكون أول لاجئ إلى جزيرتها بعد أن سلط جوف صواعقه على سفينتي فشطرها وأغرق كل رجالي ، وظللت أما متشبهاً بالسارية ليالي وأياماً ، حتى دفتني للقدير في اللية العائرة إلى ساحل الجزيرة حيث آوتني كليسو الجميلة الرواة ، وأقعدتني من موة أكيدة وأطعمتني وأكرمت مئواي — ثم عرضت أن تهني الحياة الخالدة والشباب الأبدى ، لولا أنني تأيت ... ثم أفت عندها سبع سنوات لم يرقأ طواها دمي الذي نضحت به أنواي وما خلدت على من دثار ... وفي الثامنة أرسل إليها جوف كبير الآلهة من يأمرها بإطلاق مراسي ، فأبحرت على رمث زودته بالأطايب والأذخار ، والأشريات

في غير عناء أو أعياء ، وستعرف سبب فخاري
بسفائي وبحارتي الذين يذرعون البحار ويضربون
أكبادها حين يبحرون بك »
وشاع البشر في أسارب أوديسيوس ذي
التجارب فقال : « أيها الأب الحالم ! الله عمادك
الفر ! أبحر يا مولاي يسر ذكرك في البلاد ، وألق
أهلي وأنشق نسمة من وطني »

وهكذا تشقق الحديث بينهما ...
ثم أمرت الملكة بعض وصيفات القصر
فأعدن فراشا وثيرا في الرواق ذي الأحمدية ،
وهيئة بوسائد من دمس ، وبثن فوق الأرائك
والحشايا ، وعلقن الستائر والأسجاف ، ووضعن
البرانس ^(١) واللحف ... وكانت كل منهن تحمل
شعلة كبيرة تنوهج في جوانب القصر ... حتى إذا
فرغن من كل شيء ، دعون أوديسيوس في أدب
وظرف أن ينهض لينام ... وغفا بطل هيلاس ...
وأسلم عينيه لأحلام سعيدة

ونهض الملك والملكة لينعما بطيب المنام
(يتبع)
درمى ضمنية

(١) البرنس عمامة المروف عربى فصيح

رفائيل

لشاعر الحب والجمال لامرئين

مترجة بقلم

أحمد حسن الزيات

تطلب من لجنة التأليف والترجمة والنشر

ومن إدارة « الرسالة »

المن ١٧ قرشا

إلى هنا في جملة حشمة ما دمت قد رجوتها في
ذلك أول الامر »

وقال أوديسيوس بحبيبه : « إنها لم تخلى أيها
الملك الكريم وما عليها من ملام . لقد كنتي في
مثل ذلك فأبيت لأني خفت أن يسوءك ذلك منها
ومنى ، ولأني أعلم أن الناس في كل مكان ظنانون
قوالون »

فقال الملك : « كلا أيها السيد ، إن صدري
لا يحمل مثل ذلك القلب الترق ... إن الرصانة
والأنفة أفضل منات الخلق الكريم ... تالله يا بني
إني لأوثرك كولد ، وبودي لو قبلت فصهرت
إلى وتزوجت ابنتي ، وعشت معنا كواحد منا ..
وإني - إن رضيت - لقطعك الأظفار الشاسعة
وما تحك المنزل الرحب . هذا وليس في فياشيا
كلها من يبحر أن يقسرك على شيء تأباه نفسك .
معاذ الله يا بني ... إن هذا إلا عرض ... مجرد
عرض منى لما أنسته فيك من سرور ورجاحة عقل
ونبل ... فان لم يرقك أن تفعل ، فاني معذرك
أسباب عودتك غدا ، وستنام ملء عينيك بينا
يكون الفلك ينهب اليم ويطوى المباب ، منسريا
فوق الموج بقوة الأذرع الفتية التي تتمثل في

المجاديف حتى تصل الى وطنك سالما قائما بل حتى
تصل الى أبعد منه ، ولو الى ما وراء أيوبيا أبعد
الجزائر منا ، حيث يحمل بحارتنا ردمنتوس ^(١)
ذا الشعر الذهبي لزيارة تتيوس ^(٢) جبار الأرض ..
إنهم يبحرون به الى هذه الجزيرة ويمودون في يوم

(١) ابن زيوس من زوجته أوروبا وفاضى العدالة
في الدار الآخرة « هينز » « جرير »

(٢) أحد حردة طارطاروس وينطى جسده مساحة
تسعة أذنة (جرير)

كصفور جريح . شفاء
الحب . إنني داخلته إلى
غرفتي
(تقول لنا بسها)

أرماندا ! هاتي حجابي .
باريس — (بوحة)

لقد خيل إلى أني أرى
أبا الهول تكشفه النجوم
وقصائدي الانسانية كانت
تؤيسنا في بعض الأحيان

ولكنها تصبح أحسن رونقا حين تمر على لسانك
الشادي ! وشكر آلك لأنك كنت في هذه اللحظات

القصيرة تفرنين شعرنا إلى أحلامنا !

إيزابيلا — (تبص عنه مرسة إليه قبله)

لكي يصح مزيد الشر بذوق سليم ينبغي تقبيل
القم التي أخرجه

(تضي إيزابيلا ... وأرجاني يدنو من باريس) .

أرجاني — لا تذهب ياسيدي ، فالمدينة جماء
تريد أن تهنتك !

باريس — زهوك يبالغ في ذلك ؛ فليكن
ما تريد ... سأستقبلهم !

أرجاني — (يزعم)

اسمع كل هذه الأصوات !

باريس — (من غير أن يسي ما قاله أرجاني ، وقد
ملك عليه حلم وكآبة)

هل تكون قطعتي مجموعة سمعي المكتوب ؟
وهل أراي أودعت على الصفحة السرية فؤادي كله ؟

أرجاني — هل يحصهم ؟

(يقدم للمحبون كالوج ، وفي المقدمة الأمير وصديق
المؤلف)

الأمير — شيء رائع !

سِرُّ ابْنِ الْهَوْلِ

مسرحة شعرية في أربعة فصول

للكاتب الفرنسي برنيس رستان

بقلم الأستاذ خليل هنداي

الفصل الرابع

بعد انقضاء عام على السرح الروماني حيث يناد
تمثيل « أبي الهول » بعد انتهاء التمثيل . في الزاوية
(أبو الهول من الورق) . عن اليمين باريس بالقرب
من إيزابيلا وهي تزي أبي الهول . أرجاني يحدث
سانتيا ، والعمال منترون في كل مكان

المشهد الأول

باريس ، إيزابيلا ، سانتيا ، أرجاني ، العمال
المحبون والمحببات

أصوات العمال — ابتعدوا الستار

من الباب الحديدي

إيزابيلا — (لباريس وهي من الكآبة للفتيلة)

آه لو كنت تعرف ، بالرغم مما تدورق من الألم ،

أية سعادة تفرني في إذاعة اسمك في هذه القاعة !

عندما سميت « اسمك » اختنق سوقي ، وأصبحت

شاحبة الوجه ، باهتة اللون . قلت : « قطعة باريس

إيجلانوا » ! ولك — يا حبيبي — قد صفقوا وهتفوا

باريس — شكراً !

إيزابيلا — لقد أعدت إليك تاجك ، والقطعة

التي غزقت هنا قد حلفت منتصرة وسط هتافهم

الصدق — وباعث على المحب !
 (يماقله ثم يلتفت إلى امرأة خلفه وبصوت منخفض)
 ردىء جداً
 غيره — عليك الأفتدة
 » — يهز القلوب
 » — يتركها حائرة
 » — ييمث فيها القوة
 » — يزيد في حركتها
 سافنيا — إنك لم تبلغ في حياتك مثل هذه
 الرقة البعيدة
 غيره — في اليوم الذي تريد ستكرن عبقريا
 صديق المؤلف — كانوا في الفصل الأول
 جامدين ؟ وقد كنت أول هاتف لك . نعم ! لقد
 صحت : أحسنت بصوت رنان من مقصورتي
 باريس — إني مدين لك من غير شك
 بظفري
 امرأة — إن مروحي تحطمت ، لم يبق منها
 إلا جناح واحد !
 غيرها — قد تمزق قفازي لكثرة التصفيق !
 » — من حسنك أنك منعتها عنا زمناً
 طويلاً حتى تعرضها علينا آية كاملة
 فتى — أنك لا أكبر شاعر عليها ، يرون !
 أقول : يرون أوداني ...
 باريس — لا تبلغ ! لا يعرف « يرون »
 إلا بعد مائة عام بعد موته . ليس المجد التأتاني على
 جبين الأحياء إلا ضياعاً لخلود الناس . إنك بعد
 موتك تستطيع أن تحكم على
 إراجفاني — (مرقاً « باريس » برجل كهل متأق
 يدعو معبده إلى المغزى :
 المدوق دى ليجانو
 المدوق — أنذكر — أيها الأستاذ — في

بارما إحدى الأماسي الرافضة ؟
 باريس — (يحاول أن يتذكر عبثاً)
 ربما ...
 الدوق — إنك نوحى إلى وسيلة السكتابة
 باريس — ولكن ...
 الدوق — كيف تنظمون الشعر ؟
 باريس — نمدد على الأصابع
 الدوق — نمد حتى الثانية عشرة ثم نبدأ
 باريس — أنظم الشعر بينما ترقص الدوقة !
 لقد قيل لي — والمهدة على الأشاعات — إن
 الدوقة تحسن الرقص . إنها ترقص . وتستطيع
 أن ترقص بينما ترقص أنت الشعر !
 الدوق — لقد طرقتني هذه الفكرة يوماً أثناء
 طوافي على البحيرة . أود أن أنظم مقطوعة ...
 باريس — ومقطوعة ثمانية ! وأين الدوقة
 الآن ؟
 الدوق — إنها رحلت ... ولعلها في هذه
 اللحظة تزور هيركولانوم
 (يعنى الدوق)
 المعجبة — (تلتقي بنفسها على باريس)
 سيدى ! إنك ستكتب كلمة على مجموعتي هذه
 تجد فيها كلمة من الملاك الكبير ، وكلين من
 الراقص الروسي . وكان يجب حتماً أن أحظى بها ،
 ولدى فكرة سطرها عضو في الجمع العلمي
 باريس — كنت إخال أنهم لا يفكرون في
 شيء ، ناوولي مجموعتك !
 المعجبة — إليك قلبي !
 باريس — بلى ! سأكتب ، ولكن من
 أنت يا ذات العينين اللامعتين ؟ إني أود أن أعرف
 كيف يدعونك ؟ وما اسمك الصغير ؟
 المعجبة — أنا للمعجبة الحسنة أجلس في الواقع

الصدق — وباعث على المحب !
 (يماقله ثم يلتفت إلى امرأة خلفه وبصوت منخفض)
 ردىء جداً
 غيره — عليك الأفتدة
 » — يهز القلوب
 » — يتركها حائرة
 » — ييمث فيها القوة
 » — يزيد في حركتها
 سافنيا — إنك لم تبلغ في حياتك مثل هذه
 الرقة البعيدة
 غيره — في اليوم الذي تريد ستكرن عبقريا
 صديق المؤلف — كانوا في الفصل الأول
 جامدين ؟ وقد كنت أول هاتف لك . نعم ! لقد
 صحت : أحسنت بصوت رنان من مقصورتي
 باريس — إني مدين لك من غير شك
 بظفري
 امرأة — إن مروحي تحطمت ، لم يبق منها
 إلا جناح واحد !
 غيرها — قد تمزق قفازي لكثرة التصفيق !
 » — من حسنك أنك منعتها عنا زمناً
 طويلاً حتى تعرضها علينا آية كاملة
 فتى — أنك لا أكبر شاعر عليها ، يرون !
 أقول : يرون أوداني ...
 باريس — لا تبلغ ! لا يعرف « يرون »
 إلا بعد مائة عام بعد موته . ليس المجد التأتاني على
 جبين الأحياء إلا ضياعاً لخلود الناس . إنك بعد
 موتك تستطيع أن تحكم على
 إراجفاني — (مرقاً « باريس » برجل كهل متأق
 يدعو معبده إلى المغزى :
 المدوق دى ليجانو
 المدوق — أنذكر — أيها الأستاذ — في

اليوم — تترأس شعرًا
النيور — ما هذا؟ الجمال، الجمال؟ وما تريده
هو البساطة

غيره — شعر ليس له روح الشعر.
النيور — موسيقى ليس لها تأثير في أنفسنا !
أهذا شعر يصفق له ؟ إن هذا شيء، حجاب، حدثني
عن « ساندور » مثلاً، فهو شاعر، قد يمكن أنه
لا يفهم ولكن موسيقاه مؤلفة من ألحان متطابقة
الأمير — (كتبت لأمير)

ومن هو ساندور ؟
النيور — هذا هو في الحقيقة إنسان ! ومن
يتلو شعره يا عزيزي لا يذكر بيتاً منه . وهنا
يظهر سره ! ذاك شيء غريب، إن بيتاً واحداً
يبقى شهيراً
الأمير — ولكن هنالك مجموعة شهيرة، وأنا
أحب اللثام

الحسود — نعم أعلم ذلك، ولكننا إذا فكرنا
قليلاً نراها ليست على شيء . قلم ... وسكون ...
وساعة عمل، أعطيك فيها مئة بيت على طرازها .
القانون سهل والأسلوب جميل . والبيت من الشعر
لا يحسب بيتاً إلا إذا خطر بمخاضين
الأمير — ألا ترى ؟ إن بي ضعفاً عن غيبة
البيت الممنوع !

بلى ! برغم « ساندور » وبرغم جميع الذين
روون أن القصيدة ليست خفقة قلب، ولكنهم مأساة
يمكن حذقها كحذق الطهي، إنه يبدو نفساً محترقاً !
إنني أحب الأبيات الممنوعة على أن تعطيني !
الحسود — ولكن لا شيء أسهل من ذلك
ولا أقل نصيباً

الأمير — وإذا كان الأمر سهلاً بهذا المقدار
فأنت به !

الأولى مسترسلة لأحلامي، أنظم وشاحي من القطع
التي أجمعها، إلى جملة ذكية الفؤاد أيضاً ! لماذا
تريد أن أقول لك « أميا » ستفاء عند ما يجتذب
الفجر فلأئده الليلية . وكأنه يريد أن يظل وردي
اللون ... !

أنا المعبجة الحسناء !
(تذهب)
ارجاني — (يقدم لباريس رجلاً ينحني أمامه)
أرجوك الانصات له !
باريس — من هو ؟
ارجاني — مدير مسرح انجليزى شهير ود
أن يمثل « أبا الهول » في مواطن شكسبير
المدير — متى تشاء أن أتكلم معك ؟
(تتلاشى تنمة المحادثة إذ يمسدون ، والمخرجون
والآخرون يتناقشون بصراحة
المعبجة — لم ينظم في حياته أوسع ولا أتم
من هذا ؟

امرأة — (مقبلة على فريق)
إنني أوتر قطمته التي كان يعلماها « فوسنين »
زميل — إن ظهور « أبي الهول » سخييف !
كاتب — هذه ليست بقطعة ، إذ ليس لها
إلا مؤلف واحد !
الأمير — (بخفية)
ما تصنع أنت ؟

الكاتب — معين !
أصوات — وهل يتكلم هكذا أبو الهول في
في المساء الأخضر ؟
أصوات أخرى — فيها كثير من الأبيات
الجميلة، كثير من الأبيات الرائعة !

ارجاني — (لباريس)
يجب أن تكون سعيداً !
شامت حسود — إن للروح الفئائي أصبح —

ارجانتى - عفواً !
 باريس - لماذا أنا لست هناك ؟ هناك فى
 تلك البقعة أمام النيسل ؟ وعلى جوانب الصحراء
 حيث تهايل ظلال التخييل الأزرق منذ آلاف
 الأعوام ، وحيث برى النساء ظله على حفافى الرمل
 المتورد ، فيبدو الراعى شاعراً وإن لم يفه بشعر
 هنالك ! يا ارجانتى يجب أن نحميا والحب ينعمرنا
 ارجانتى - (وقد تفض عنه الأخيبة)
 لقد كانت القاعة طالحة بالناس
 باريس - ولكنها الآن فارغة ، إن كانتا
 واحداً إذا أغمض جفنيه ترك الوجود فارغاً !
 (ينظر إلى الظلمة ، والقاعة الفارغة)
 بلى ! القاعة فارغة ، لأننى لم أستطع أن
 أصافح يدي يد مارسيلوس ، لأنه هلك هنالك !
 ارجانتى - ولم تفكر فيه من دون انتهاء ؟
 باريس - لقد وعدته بأن أعمل !
 قال لى : « إذا هلكك قبلك ؛ وإذا قُدر
 - على عكس الدستور - للأكثر فتوة بأن
 يقودك إلى هذا السرب المظلم فاعمل ... » إنك
 ترانى يا أخى - أعمل ، وقلبي يجيب على ذلك السر
 الأعظم الذى أذاقك حزنك ...
 ولكن هل لاحظت شيئاً غريباً ؟
 ارجانتى - لا !
 باريس - فى هذه الظلمة التى تستقر فيها
 نظرك ، وفي هذه القاعة القاعة التى لا أبصر فيها
 شيئاً ، ينجس إلى أن نظرة قديمة تنبئ : ألا ترى
 ملازم لى يدخل فى نفسى ويثأر منى ! إلى - منذ
 عام - أراء يقتنى أثرى ، وبطأ موضع قدمي !
 ألم يبق أبو الهول هنالك ؟ فلماذا هذه الصورة
 تطوف حولي بدون انتهاء ، تؤلى وترى صدرى
 حرجاً ؟ كائى منندٍ مرقق خوذته النحاسية

(يرمى باريس وخلفه ارجانتى ، والجميع يهتونه للمرة
 الأخيرة)
 باريس - (شاعراً برياء البش)
 كثيرة هى الأكف التى تمتد للمصافحة
 ارجانتى - الفوز !
 باريس - على أن كثيراً من هذه الأكف
 تقنح جراحا
 المدعوون - أيها السيد !
 باريس - (ضافوا على يد ارجانتى)
 عفواً يا ارجانتى ! افهم نفسى . إن الأيام التى تفتقر
 فيها إلى كل هذه الأكف المدودة ، وإلى كل هذه
 الضجة المانعة ، لا ترى منها أحداً عند التائبات
 فى هذا المساء ما عسى أن يصنع لنا هؤلاء
 الخائفون ؟ إننا فى أيام الشقاء نحتاج إلى أصدقاء
 (يصعد مع سانتيا القاهبة)
 أذاهية ؟
 سانتيا - (مع صديقتين لها)
 عد معنا !
 باريس - إننى أنتظر إزايلا
 سانتيا - إلى القد ...
 باريس - (متناولاً باقة زهر كان قد أخذها من
 إحدى المصبات)
 تناولى هذه الأزهار ، ورسى بأزهارها صورة
 أخيك . يجب أن تفعل لأن الصور هى قبورها
 الحقيقية
 سانتيا - شكراً
 باريس - إن الأموات الذين لا ينسام أحد
 هم الأحياء المجهولون الذين ينفقون فوقنا
 (باريس وحده مع ارجانتى على المسرح النازغ)
 ارجانتى ، ارجانتى ! لماذا أنا لست هنالك ؟
 وكيف استطعت أن أعود إلى أوروبا بعد ما وطلت
 قدماى الصحراء

ونفيت عنه القرون التي تدود عنه ، وسفمت
بناصية ملك الصحراء ! ...

(تبدو إزاييلا ، وقد خلت رداء أبي الهول ، تختال
في ثوب دقيق يوهج بدنها تحته ... تدو منه يبطء ... وهي
ليست إلا عاشقة عصرية تقرب من عاشقها)

المشهد الثاني

إزاييلا ، باريس ، ارجاني

إزاييلا - ياله من ظفر ! ياله من مساء !
إنك لم تقدم إلى مقصودي لتراني ! ولا تزال تخطر
هنا !

باريس - إزاييلا

إزاييلا - أسع إلى ... أحس قلبي يدق هذا
المساء دقا عنيقا ، يخيل إلي أن وجودي كله يهتز
ها إن أبيانك استعالت طيوراً ضخمة مشتملة
تخفق على صدرى المارى ، لقد رددت على
رقة جناني !

باريس - (رائياً لها)

أيتها الحبيبة : يا حبيبة لحي ودى ! يا خالقة
عبقريتي ! هو كذلك

إزاييلا - هل تحس أية غبطة منيرة ، بهذه
المودة التي تجل عن الوصف للآلهة ؟ في كان ذلك ؟
وأنا السبب المؤثر . أنا أسى ملك للوصول إلى
فوزك الباهر ! إن عشيقه شاعر ، وأمة نظمه
وطرقه ، تود في وقت واحد أن تكون خليلته التي
يصطفها ، ومبدعة عبقرية التي توحى إليه ، وإنها
لتسكون الأقوى نفوذاً تقتطع الانتصار بمد
الانتصار كالأزهار
(نضبه لها)

تمال ! فلندخل مثنوا ! فالجد آب إليك في
جهاد يوم واحد . هذه الساعة ساعة الحب ،
وسريرنا الفسح العميق ينادينا ... تعال نم بجانبي
حتى الفجر

باريس - إزاييلا ...

إزاييلا - أحبك حين تنفخ ، منهوك ،
مثلاً ، على ذراعي كما يفخو الطفل الوديع ع روف
بعض الخطرات أيقظ ، فأرى وجهك الساكن
يطفو عليه الرقاد . إنك لا تدري أى ظفر يمدوني
حين أراك هكذا ؛ لاشئ عندك ! والجمهير التي
تمسك أفردتك وحدك . تستطيع أن تنام هادئ
الاعراض ، حراً مجهولاً ، متأزماً من الضيف ، بوجه
فتى خفى كوجوه أولئك المجهين حين يتمضمون البون

باريس - إزاييلا !

إزاييلا - (يشفق)

إن عينيك المطبقين هما كالفجر الذي أشرق
على ضفة مشهد ! إننى لأخشاك حين تكون عيناك
تمضمضتين ! فظنرتك الخطرة التي قد تكون غاضبة
وجيلة في الوقت ذاته تتوارى تحت جلباب الليل
الذي تكلف من ظلمة الألوان ، وانطباقي الأجناف .
أرأني أكثر الناس تعلقاً واختلاطاً بك ! أنا تقن
منك الأسرار المجهولة حيناً تطوق ذراعى العاربتان
رأسك ! هي لا تعلم شيئاً من لم تبصر حبها وتأمل
فيه وهو قائم مطبق جفنيه ، ومن لم تعلم كيف تفتح
- خلال رقاده المنهوك - عينيه بقبها

باريس - إزاييلا !

إزاييلا - غداً ، عندما انفجر الجديد البازغ
على سرير الحب يفتح عيوننا ! تبار بذهول المصحف
التي تتحدث عن أكاليل النار التي حظيت بها هذه
الليلة ! كم تبدولنا انتقادات هؤلاء ضعيفة واهية
قبل أن تراها ، وأنت وحدك المنتصر !

باريس - إزاييلا ...

إزاييلا - باريس ! إن مصر قد دخلت في
النسيان ! مدينتك التي صفقت لك وهتفت هتاف
الاحباب هي قرينتي ! مجدك وسماواتك يتركان لي

إزاييلا — استقبله ، فهذه ساعة الرحمة قد
دنت ! حيث الشاعر كالحارب الحنون ، إذا
اقتطف أ كاليل النار أخذ يستنشقها . إنني عائدة .
(تنطق إزاييلا وارجاني)

المشهد الثالث

باريس ، الصحافي ، والمعال
الصحافي — أريد أن أسألك يا سيدي عن
شمورك وعما أثر فيك مشهد هذا المساء ؟
باريس — (بوقاحة)

كنت أظن يا سيدي أنك جئت قبل الوقت ،
ولكنك الآن جئت بعده ...

الصحافي — هذه بعد الأولى ، ولكنه كان
مساء غريباً رائئاً ، والجاهل يريد أن تعرف عند
يقظنا ما أوحى إليك هذا الفوز
باريس — حقاً !

الصحافي — (يحاول أن يكتب بقلم صغير)
ستقول لي أليس كذلك ؟ ماذا أحسست إذ
انتصرت ؟ وحين ألقيت المسرح يتأرجح لنفحاتك ؟
أين كنت أيها المسلم متوارياً عنا ؟
باريس — لم أكن في مكان ؟ كنت أدخن
مع العمال

الصحافي — أي شعور عراك ؟
باريس — كنت كثيرًا
الصحافي — أ كنت كثيرًا حين هزتنا
نتمتك ؟ ثم تكتئب ؟

باريس — أ كُتِبَ لأنني وجدت أنها لم تبلغ
ما أردت ؟ أ كُتِبَ لأنني أرى كل شيء على الأرض
حيًا ومجدًا وانتصارًا ، وأنها ليست بتيء منها
الصحافي — لا يمكنني أن أرى ذلك !
باريس — كل ما تخيله يسحر حالًا ، والنساء

حق ذلك : لقد انهزم الآلهة الجحري من الأفق
باريس — لم تكلمين بهذه اللغة ؟ لم
تذكرينه في ؟

إزاييلا — (تفيض عليه)
لأنني أعبدك ، ولأن الليل جميل بهي ! لأن
خصائل شمورك تمجيني صرخة على عنقك . ولأن
قلبي يدق فيملاء الفراغ ؟ ولأنني أصبحت ولا أخشى
منافسًا !

ضمني إلى قلبك ، ضمنى شديدًا !
انظر ! ها هو المسرح لا يزال يخفق لفوزك
الغني . أنا لأحب فيك مجرد عبقريتك الممزجة
علي ، ولكنني أحبك أنت يا باريس ! أحب عينيك
الفكرتين الملتحنتين في اللانهاية ، يسكن فيهما الدمع
تحت قبلاقي . ومن كل حياتك التي لا تخمد ،
وعبقريتك الساطعة أحب فك

باريس — إزاييلا !
إزاييلا — أنا عالة أنك ستذهب يومًا عني !
فالرجل يقضي الحياة عاملًا على الفرار من بين أذرعتنا !
(يتماقنان)

تأمل ... فلا تزال عينك تفر من قلبي !
آه ! إن أطول قبة في العالم تنتهي سريعًا !
هناك إنسان ...
(يدنو إنسان مع ارجاني)
ارجاني — (ميسًا باريس)

هذا صحافي يطلب زيارتك للمرة الثانية بعد
أن صرفناه مرتين

باريس — من أين ؟
ارجاني — من صحيفة « المأساة »
باريس — لا أكن أستقبله ، ولا أريد أن أرى
أحدًا !

المشهد الرابع

— باريس واقفا أمام أبي الهول —

باريس — ما أنت إلا من ورق شاحب اللون
بمبدأ جداً عن مصر ، وبمبدأ عن الشهد الذي
يخلق الاضطراب . ولكن عند ما أقف وحدي
بجانبك في السماء ، يجيل إلى أنني واقف أمام أبي الهول
الحقيق ... أبي الهول المصري الذي يسترسل
لأفكاره تحت إكليله المرصع بالجوم دون أن يبالي
بأرزائنا !

هأنذا قد قهرتكم أيها الوحش الصامت !

إنني أحياء ... أنظر إلى ...

إن الذين ماتوا هم كل الذين وقفوا على أسراركم
المظيمة ... ولكنكم كلتي ! وها أنا أحياء على
الأرض ، وإنني أكاد أرى هنيئة مارسيلوس
لا فظاً أنفاسه ، ماداً ذراعيه نحوي ، تتألق على
وجهه الأسمر شعاعات الموت ممتدة بأشعة القمر
أميت مارسيلوس ؟ لا ! ولكنه جفني عليه
إنك لتعجب بأخي الميت في أخيك الحي ! صوقي
يرجع إلى صوتك الخالد ، وأسع في قلبي القوى
قلبك الحزين يخفق

(يصبح غريبة للاضطرابات)

ولكن لم هذا الفراغ ؟ وهذا التأخير ؟ هانا
وحدي معه وهو وحده مي . نحن وحدنا كما كنا
من قبل . إنني أسمع هزيم الريح بين أشجار النخيل
في السهول التي لا يخترقها سبيل

بلى ! هذا هو ذات الأريج ، إن الانسان
— يوم بدأ يتألم — وحينها نزل يحمل معه صحراؤه
ريح مصر الباردة تهب عنيفة ...

لا لا : أنا لا أستطيع أن أبقى بدون (إيزابيلا)
لا أستطيع .. إيزابيلا ... إنها لا تسمع تدائي ...

ليست كبيرة إلا في أعماق قلوبنا

الصحافي — لماذا لم تطل على الناس عين
قطعوا الأكف تصفيقا ؟

باريس — وما صنئ عندم ؟

الصحافي — تحميمهم ! وترى شعباً يعوج إعجاباً
بك . ولماذا لم تنجيء حين تصاعد هديرهم

باريس — لأنهم كانوا أكثر !

الصحافي — ولكن جميعهم يحبونك

باريس — أتحال ذلك ؟

الصحافي — أنني أؤمن ...

باريس — أما الأسود فأنهم يصطفون لها حين
تفترس صربها . وإذا كان المرء هو الذي سيسيطر
على ملوك الصحراء فالشعب يصبح خجلاً ! أتريد
منا أن نزعج أنفسنا الذين يأتون لينظروا إذا كنا
أكلنا ؟

الصحافي — ولكن ألا تستنني أحداً ؟

باريس — أجل ! بعض نفوس صافية يقودها
حب الجبال وحده إلى النور . ولكن هذه النفوس
تفضل — بغير أمل — أن تهتف للشاعر دون
أن تراه

الصحافي — أهذا كل شيء ؟

باريس — هذا كل شيء !

الصحافي — أهذا كل ما يوحى إليك مثل
هذا المساء ؟ أما عندك شيء آخر لنقوله ؟

باريس — لا شيء !

الصحافي — مالي إذن إلا أن أنصرف !

باريس — نعم ! هذا هو كل شيء .

(يذهب هذا الصحافي مضطرباً والمال يهون بجمجم
أبي الهول)

لا ! لا نسموه ! دعوني وحدي معه : وحدي ..

السما قد احترقت جناحي الماطلين . أنا لم
أصعد الى الأعلى ، أنا لا أدري شيئاً . لست إلا
كائنات أرضية مثلك . وإزاء « أبي الهول » نفسه
« أبو الهول » جديده يبدأ . فالأرض تقول
« الفناء » والسما تملأ القضاة

باريس — لا لا ! إنك سلبتني مرايتم في .
إنني لن أموت هناك ! سأحيي ! لست واحداً من
أولئك الذين يجب عذابهم
أبو الهول — إنني تبيت وجهك حين تكلمت
ولمحت مستقبلك وقتوتك ومواهبك ...
(باريس سألها من الألم)

ولكن مارسيلوس لأى سبب انتزعته !
أبو الهول — (يد صمت عميق)

عفواً ! لكوني حطمت قلباً في زهو الحياة .
إن « مارسيلوس » السلوب « بيت من » شعر
فرجيل « لم يدفعه الى الموت إلا سبب قديمي . إنني
بقتلي إياه قد آثرته على غيره . وقد أكون أحسن
في إجابة رغبة كايكا بإعطائه الموت وإبقائك في عالم الحياة
أذكر أيضاً يا باريس ! لقاءنا تحت الأفق !
فليمترج مع كل حب عنيف فيك أثر غيبي الغريب
هناك . إننا لن نتلاقى . نحيل إلى أن كواكب مصر
وسماءها تدعوني إليها . ولكن ، على الأقل ، تبصر
عينك هنا نظري الزمردى ، ولحدي الحجرى
الوداع ...

(تتوارى الصرراء وأبو الهول ، وتظهر إيزابيلا ،
وتعرج على باريس ... وباريس يستيقظ كمن أزعجه حلم)
باريس — إيزابيلا ! أعطيني عينيك ، فك أيضاً !
تمالي ... لنفسي في موكب الحياة ...

إيزابيلا — الحب وحده هو قاهر الموت ...
(يذهبان متماثلين)
— الستار —

(تمت الرواية)

كم يبتنا من الأبداء ؟ ... ولسكن ما أدنى
هذا الظلام الذي لا يُرد !

كني ... دعني أحيي هكذا يا إله الألم !

صوت أبي الهول — تماؤوا ...

باريس — الصوت ذاته دائماً ...

أبو الهول — تماؤوا ...

باريس — النداء ذاته ، ومع هذا أراي وحيداً

هنا ... لا أريد أن أسمع تداءك أيها الرسول اللعين

أبو الهول — لم أقل الحقيقة إلا له

باريس — كذب واقتراء . كلامك ليس

حقاً ، ولا يمكن أن يكون حقاً

أبو الهول — باريس ! إن مارسيلوس وحده

هو الذي أدرك السر

باريس — النجدة ... أغيثوني !

يتلاشى المشهد للثلاثون والمسرح ... لا شيء إلا
الصرراء وأبو الهول

المشهد الخامس

أبو الهول . باريس . إيزابيلا

أبو الهول — قضى مارسيلوس زهرة مضطربة
وبما أن الحقيقة كانت تغفل فأنا قد أبديتها !

باريس — أبو الهول

أبو الهول — إنك لن تغفل على رسالتى التى

هى الموت . ما أنت إلا جاهل لأنك لا تزال تحيا !

وربما كنت حين حملت أسراي الى مارسيلوس

قبل صرعه ، ربما كنت تخدوعاً

سرى ! وما هو هذا السر الأكبر ؟ أنا وجدت

ولست بآله . إنني غصت كل الزهو الانساني ،

حتى إذا تأملت فيه لم أجد إلا التراب !

باريس — ماذا تقول !

أبو الهول — إلا للتراب ... هناك الأفق ،

الأمل المجنون ، وقد يكون الأمل على حق . لا أرى

إلا التراب والموت



الرسالة

مجلة أسبوعية للتدقيق في العلم والأدب

مجلة الآداب الرفيعة والثقافة العالية
تصل الماضي بالحاضر وتربط الشرق بالغرب
على مدى وبصيرة

الرسالة : نهر باختر من عهد روم النهضة المصرية

الرسالة : تجمع على وحدة الثقافة أبناء اليهود المصرية

الرسالة : تصور مظاهر البصيرة للأمة المصرية

الرسالة : تسجل ظواهر التجديد في الآداب المصرية

الرسالة : هي في النفس أنابيب البصيرة المصرية

مجموعة أعدادها ديوان العرب المشترك ، وكتاب الشرق
التجديد ، وسجل الآداب الحديث ، ودائرة معارف عامة

الاشتراك المأخوذ من قسطنطينية الخارجية ما يساوي جنبها مصر ما يول البلاد العربية من خمس ٢٠٪

طبعت بالمطبعة الرحمانية بطابع الخرافة رقم ٢٥ - تلفون ٥١٥٢٢

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المستول
احمد حسن الزيات

٣٠ في مصر والسودان
٥٠ في الممالك الأخرى
١ ثمن العدد الواحد

الادارة
شارع عبد العزيز رقم ٣٦
العتبة الخضراء - القاهرة
تلفون ٤٢٣٩٠ ، ٥٣٤٥٥

مروءی

جَدَّةُ السُّبُوحِيَّةِ لِقَصَصِهَا وَالتَّيْمُحِ

نصبر مؤقناً في أول كل شهر وفي نصفه

العدد العاشر ٦ ربيع الثاني سنة ١٣٥٦ - ١٥ يونيو سنة ١٩٣٧ السنة الأولى



فهرس العدد

Index

٥٨٦	إكسوس ومكريا	أسطورة إغريقية	بقل أحمد حسن الزيات
٥٩٣	الشال	أقصصة فرنسية	بقل الأستاذ ابن عبد الملك
٥٩٧	يوميات نائب في الأرياف	صور مصرية	بقل الأستاذ توفيق الحكيم
٦٠٣	الزوجة	لواشنطن تونج	بقل الأدب حسين محمد كامل
٦٠٨	المرض	أقصصة مصرية	بقل الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازني
٦١٦	وتفضلوا بقبول احترامي	لالتيكوف	بقل الأستاذ عبد الطيف النشار
٦٢٠	جزاء الاجتهاد	لرشارد جارنت	بقل الأستاذ عبد الحميد حدى
٦٢٦	النواع القابلة	لثوماس هاردي	بقل نظمي خليل
٦٣٣	اعتراقات في العصر	لألفريد دى موسيه	بقل الأستاذ فليكس فارس
٦٤١	الأوديسة	لهوميروس	بقل الأستاذ درسي خشة

أكلتها عن مصدر هذه
الحرب

ودلفي كاتملين^(١)
مدينة مقدسة تقيض
جوانبها بالمعجائب ،
والناس يمرون عليها
وهم فيها معرضون ،
وأنا كأولئك الناس

أسطورة إغريقية تمثل الفضيلة والشجاعة

أكسوتوم كركيا

للشاعر الفرنسي هيجينس بي مورر
مترجم الأستاذ أحمد محمد الزيات

في هذا اليوم لأريد أن أنتقل بك من البرانس
إلى الهيدروم ، ولا من الهيدروم إلى منصة
أبولون ، فانك ولا شك حجبت إلى هذه
الأماكن منذ طويل في (سياحة أنا كرويس) ،
وأنا - ولا أخفى عنك - مشوق كذلك إلى رؤية
أشيال هرقليس

كان الشمو القوي استولى على الأغريق لدى
رؤيتهم أولئك الأبطال يترجم عنه هذا الغتاف
الاجاعي الصاحب : « يا للآلهة الخالدين ! ما أوفى
القوام وما أصلب المصل ! » وكان في الجمع شيخ
سيط المظام ، تحبسه وفي يده عصاه المذهب وعلى
جبينه عصابته البيضاء ، ملكا من ملوك الأغريق
المشرين ، مال على كاهن من كهنة أبولون ، وهو يجمناز
المبد حاملا مبخرة من مباخر المطووع وقال له في
صوت خافض :

— لقد عرفت هرقليس وزوجه ديچانير
حق المعرفة ، فاعرفت لهما غير ثلاثة بنين ؛
فإن إذن هذه البذراء اللتقبة التي تجلس مع

في ذات يوم لا أذكر من تاريخه إلا أنه كان
لما من من موت هرقليس ، كانت مدينة (دلفي)
تموج بالناس وتمج بالضوضاء وترخر بالفتوة . كان
ذلك اليوم آخر أيام الألعاب الفتوية ؛ ومن أعجب
الأشياء أن الصراع والسباق كانا يجريان على غير
مشهد من أحد ، والرياضيين والسواقين كانوا
ينتصرون على غير علم من إنسان ، حتى قيل إن
الشاعر سيمندس كان ينشد رائع الشعر في الفرس
الجميل ولا يستمع إليه يومئذ إلا بطله ؛ ذلك لأن
كلمة واحدة طار بها السباع فطارت بالقوم من
ميدان اللعب إلى ميد أبولون :

« هام أولاء أبناء هرقليس ! هام أولاء
أبناء هرقليس ! »

ومن في الناس لا يضحي بمقعد في الملعب
ليرى أبناء هرقليس سيد أبطال الأغريق ؟ وكانت
أثينا منذ شهر قد استيقظت ذات صباح فوجدت
هؤلاء الأبناء مخلوعين مضطهدين مشردين
يتهاقون في الساحة السامة على مذبح الرمة
فثارت بها الحفيظة لشكواهم ، وبزت فيها القلوب
والسيوف لبلاوهم ، ثم بثت بهم في هذا اليوم
على رأس السفارة المقدسة إلى دلفي يستنبثون

(١) يوجه الكاتب الحديث إلى صاحبة التي دعاها
أخته ، وكتب إليها طائفة من الألاميس عنوانها (أفاميس
إلى أختي) Contes à ma soeur وهذه إحداها

قسمتها طبيعة الأرض ومطامع الناس إلى عشرين دولة صغيرة ، يضارب أبنائها البسيد من شدة الزحام بالرفاق والمناكب . وكان الرف المضاف في الأم القديمة أن يقتل الناس رجلاً لرجل ، وجسماً لجسم ، فجعلوا قوة البدن جناع القوى وملاك الفضيلة ؛ وكانوا يتوسمون غايل الكفاية والفضل في قبضة اليد وقوة الكتف ، كما يتوسمها نحن اليوم في أسرار الجبهة ولحات العين ؛ وحسبك أن هرقليس رمز القوة ومثالها كان إلهاً .

تأخر ظهور الكاهنة الوسيطة التي يتكلم بلسانها الآلهة (La Pythie) ولكن أحداً لم يسمع هنين السأم ، ولم يلج عبوس الانتظار ، لأن الجمهور كان يجد فيها يرى غذاء لفضوله وريراً لشوقه : كان يرى هيلوس بكر هرقليس وأكبر الأخوة ، وهو محارب عملاق عارى القراعين مجدول المغلات مطهم الوجه ، فيجده وعلى منكبيه جلد الأسد ، وفي يده المراوة المقداء ، أشبه بأبيه من الليلة باليلة . ثم يرى أنتينور وهو سوغ^(١) هيلوس وأدق منه ملامح وأرشق منه قامة . كان يتشج بقدياسته الجديدة ، ويبتسم لشباب الأغر يق ، ومنغراه منفوخان يتنسان عبر الإعجاب في نشوة ولذة . وعلى الجلة كان الآلهة أنتينور شديد الخلاء والصفاء ؛ أما أخوها (إبيسط) فكان لا يشبههما في شيء غير القوة والشهامة . كان وجوده في هذا العصر وفي هذا العصر خطأ صارخاً في تقويم الزمن . وأعجب شيء فيه أنه كان أشقر الشعر سامم الوجه منقبض الزاج ، وانقباض المزاج عاطفة عصرية

(١) يقال : هو سوغ أخيه وسينه إذا ولد بعده وليس بينها ولد ، وهو بالفرنسية (Puiné)

أبناء هرقليس على مقعد واحد ؟

— كلامك يا أبا الحق لا صرية فيه ، فليس لهرقليس من ديجانير غير ثلاثة بنين ، ولكن له من زوجته الأخيرة (يول)

— فقاطعه الشيخ قائلاً : صحيح ! ثم ضرب على جبينه بأصبعه علامة التذكر وقال : لقد روى لي (فيلوكتيت) هذا الحديث عشرين مرة ؛ ولكن قرنين من الزمان يدوران على الرأس لا بد أن يضمضاً فيه التذكرة ! نعم أذكر الآن أن هذا الزواج أعقب بنتاً . . . فارتفع من وراء الشيخ صوت ندى عذب بهذه الجلة :

— بنتاً وابناً يا أبا

فالتفت الشيخ فرأى يافماً صاحب اللون هش العظام في زى أهل الأرجوليد يردد في احتشام وخجل :

— بنتاً وابناً وما إكسوس ومكرويا

فقبس الشيخ ضاحكاً من اللغام ، وقال للكاهن : أنظر ! في (ييلوس) يهتف الناس بملى ، وفي (أرجوس) يرسلون إلى تلاميذهم ليملؤني . . .

ثم قال لللغام : من الذي أنباك هذا يا بني ؟ وماذا تسمى ؟ ولكن الفتى لم يتحمل ملاطفة نسطور (وهو الشيخ) فأقلت منه وغاب في زحمة الناس دون أن يجيب

وكان ذلك الفتاف لا يزال يدوي في الفضاء لا يمتريه فتور ولا يناله تمير :

« يا للآلهة الخالدين ! ما أوفى القوام وما أصاب المضل ! » ولما لم تعجبين لهذا الاطراء ، وتحمليهن على تحمل الاستهزاء ، ولكنك تذكرين أننا في بلاد

وعندئذ اضطربت النبية المذبة في النصبة اضطراب
الديسج ، فغشمت الأصوات وأصنى القوم
بدأت الكاهنة أمرها بالشهيق ، ثم انبمته
بمقاطع من الأئين والضراعة ، ثم انتهت إلى كلمات
ذاهلة لا تسفر عن معنى ، ثم تكلم الآله بلسانها
فقال :

« إن (منيرفا) ستقاتل ... وعلى خوذتها
الآلهية ستصبح البومة : « إني عطشى » ويذهب
جهدها باطلاً

تدعو مينرفا لآلهة النصر
وآلهة النصر أختها فلا تأخذها ...
إني أسمعها وهي قادمة تثرأجنتها في الهواء ...
ولكن البومة تصيح : إني عطشى ، وأريد
أن أرتوى بالدماء ...

إن أرجوس تنتظر ملوكها لتؤلفهم :
إضطربى ويمدى أرجوس إ إن البومة في
طيرانها السفاح تبحر في الجو باحثة عن جبهة
تقية تصحبها .
إنها تحوم وتحوم ثم تقع على ... ولادن أولاد
هرقليس »

وفي هذه الساعة الرهيبة المصيبة على أبناء
هرقليس ، لم يكن في الميدان ملك نفسه وضبط
حسه غير أبناء هرقليس إ
على أن الكاهنة لم تكذب تمسك عن الكلام
حتى صاح بها هيلوس :

— عيشي الضحية بالاسم

ولكنها كانت تنساق من الضعف على درج
النصبة ولم يبق منها إلا رمق . فقال كبير الكهنة :

مسيحية . ثم كان يرجع من الماركة الدامية الشعواء
إلى الدار مذنب الروح حيي الطبع ، كأنه أخذ
أولئك المحاربين الشقر من أهل الشمال : يصرون
المردة والأغوال ، ثم يطأطئون الهام ويحرمون
الكلام أمام عصا ساحرة صغيرة . كان وهو يتحسر
على عرش (أرجوس) كأنما يأسى على شيء أعز
عليه من عرش إ قال ابن إذن كانت تصعد زفراته
وتتبخر دموعه ؟ إلى بيت صديق ، أم إلى قبر أم ؟
علم ذلك عند الله ؟ فإن سره لم يسافر عن ضميره
إلى أحد ، حتى أخته الفتاة مكربا ، وهي أمانة
سر الأسرة لم يفض إليها بذات صدره . وكانت
مكربا جالسة إلى جانبه تصلى ...

عفواً يا أختاه (١) لقد شلت بالأبطال عن
العذراء ، ولكنها هي اللومة ! انظري ! إنها مسترة
في ظل إخوتها ، كأنها تحرص على أن تنفعلها السيون .
إنها لم تكشف عن وجهها النقاب بعد ، فقسبنا
لأنزال بجمولة ، ولكنك أسلفت لها الحب ولاشك ،
لأنك سمعت منذ قليل أنها ودومة تقية

وأخيراً أعلنوا ظهور الكاهنة الوسيطة ، وكان
الوهن لا يزال بادياً عليها من أثر ما أصابها من
اختلاج الأعصاب في وسطائها الأخيرة بين الآلهة
والناس . فهي تجر نفسها جرأ من الأعياء والجهد
حتى بلغت النصبة متكئة على كاهنين من كهنة
أبولون . حينئذ افتتح في جوف المهراب باب على
مصراعيه فاقتحمته هبة عريضة من الهواء المازف ،
فقمشت دخان القرايين وهزت الجح الحاشد فضج
الناس قائلين : « الآلهة ! هذا هو الآلهة ! »

(١) يربد الكاتب أخته هو

والشفقة عاطفة تجنّش القبح ، فكيف يكون أثرها في الحسن ؟

حدث أسرة هرقليس كلها إلى أثينا في مركبة واحدة ، وقد عقد الأبطال الثلاثة قلوبهم على أن يقرعوا بينهم غداً في معبد منيرفا ليلمعوا أيهم يجب عليه أن يموت . وكان إكسوس المسكين قد جاء في اختيال وصرح يضع اسمه مع أسماء إخوته في الصندوق ، ولكنهم منموه ودفعوه معتقدين أن من الالهانة للآلهة أن يهينوا للقدر — وهو في أغلب أمره ساخر عايب — الفرصة ليقدم إليهم هذا الثريان الضئيل الأحمق . أما أخسهم مكريا فلم يشاءوا أن يعرضوها معهم على رغبة الموت لسبب آخر غير سبب إكسوس : لقد كانت خطيبة (ليكوس) وهو زعيم من زعماء أثينا ذوى رأى السموع والأمر السافذ ، (وأثينا هي التي غضبت لهم تلك الغضب وشهرت دونهم السيف) فهم يحرصون كشعب سياسى أو أدبى على ألا يقطع الاستعداد للتضحية الاستعداد للزفاف . لذلك وجدت مكريا غرفتها بعد عودتها تضوع بعبير الألفاظ والتعجب التي قدتها (ليكوس) ، ولكن نفسها وهي تتسلف الحداد على أخ من إخوتها لم يهزها كرم الهدايا ولم يدرها جمال التحف . على أنها رأت إكليل الزفاف مصوفاً من الزئبق الجميل النضر ، غملمته ووضمته على جبينها من غير إرادة ولا وعى . وفي هذه اللحظة سمعت من خلفها زفيراً يتصعد في ضعف ، فالتفتت فإذا هي ترى إكسوس ! إكسوس أخاها الذي جمعت له في قلبها الأم والأخت في وقت مما ؛ إكسوس الذى عنيت به وأشبلى عليه لأنه

إن الآلهة كان جبار القلب غليظ الكبد ، فاذا استأنفت التجربة قتلتها ولا شك . فليقدم أحد أبناء هرقليس نفسه

فارتفع من بين الجمع ذلك الصوت الرخيم الذى تكلم منذ هنيهة من وراء نستور وقال : أنا أقدم نفسى ! فقال له الكاهن في لهجة قاسية : « من أنت ؟ وماذا تسمى ؟ » فأجابته الغلام : « أنا ابن هرقليس واسمى إكسوس »

فانفجر الناس بأصوات الدهش لهذا الجواب المفاجئ ؛ ثم قال قائل منهم بينهم : « إذا صدق قوله فقد صدق اسمه » وستملمين يأخذانه أن إكسوس كلمة يونانية معناها العليق ، فكان أن أوبه عند ما ولد وسماه بهذا الاسم احتقاراً لشكله واستصغاراً لشأنه . والحق أن هذا المخلوق المش يشبه في انتسابه إلى هذا العرق القوي ذلك النبات الطفيل الرخو الذى تهب به الريح وهو قائم على جذوع السديان

دلف (تينور) إلى الغلام وقال له بلهجة الحائق المتوحد : لقد منعناك أن تقيمنا إلى دلفى . . . » ولكن ابنة هرقليس التي ظلت إلى تلك الساعة ساكنة ساكنة محتجة ، ألفت نفسها بين الأخوين فقطعت من بينهما الشر ؛ ثم أخذت الصفيير من يده وخرجت به من اللبى وهي في صمم من نداء هيلوس يدعوها إليه ، وفي ذهول عن هتاف الإعجاب الذى انبث عن يمينها وعن شمالها ، لأن نقابها انجسر من ذات نفسه لسرعة المشى وشدة الحركة ، فبدت مكريا للميون بإرة الجلال رائمة الحسن لطيفة الروح ، وقد زاد في جمالها تلك الشفقة التي تجلت في صوتها وفي عينيها ،

فسممت قارعاً يقرع الباب فذهبت أفتحه وفي حسابي أني أجد الصيادين والصيد ، ولكني وجدت عابري سبيل يطلب الدنف والمأوى برهة من الزمن فأدخلته ؛ ثم جلست إلى جانب سريرك ، واشتغل هو بتجفيف ثيابه على نار الموقد . وما كان أشد دهشى حين رأيت نوراً لطيفاً يتلألأ على شعره الأشقر ! عزوت ذلك النور بدءاً إلى انكسار النار التي في الموقد ، ولكن الموقد خبا وغرقة المسافر ما تزال مشرقة ! حينئذ أدركت أنه أبولون ، أبولون الذي طرد من الأولوب فهم متنكر كفى العالم على وجهه ، ثم بقيت على رغم تشكركه بقايا النور من هالته

فخررت جاثية أمامه ، وقلت : ماذا تبنتني مني أيتها الآلهة العظيم ؟ فقال : « لا شيء غير المأوى . على أن الطرد قد كذب والجو قد صفا ، فأنا ذاهب وسأقبلك قبلة الوداع » فتقدمت واحففة القلب ، مضطربة الحواس إلى عمي ، وقدمته من يده إلى مرقدك ، وقلت له : « الأولى أن تلاطف هذا الصبي المسكين فإنه لم يظفر بعد بملاطفة إله . إلس وجهته الذابلة فتفطر ، وانفخ في شفته الباردة فتنفق » فتبسم أبولون لرجائي ، ودنا منك فنفت في فك من روحه ، ولكنك نفتنته كانت قوية مضطربة ، فسرت إلى قلبك فأفغمته وأشلمته ! من أجل ذلك كان قلبك يحترق ولا يقر عن الوجيب ! ومن أجل ذلك كان جسمك يذوى وروحك لا تستجيب ... وهأنذا وقفتك على جلية الأمر فهل تصفح عني ؟

فما كان جواب إكسوس إلا أن قبل أخته ، فقالت له : « إن برهان عفوك عني أن تنقاد لي

عليل الجسم مبذوء الهيئة ، إكسوس الذي لا يخطو في البيت خطوة إلا بابتسامة من مكربا تبتد بؤسه وتجدد أنسه ، فإذا غابت عن الدار غاب عنه الأنس واستولت عليه الوحشة

كان ينظر إلى الزهور الرضبة والدمع يجول في عينه ، والهم يمتلج في صدره ، والألم الممض يرسم على أسرار وجهه ، فاستطير فؤاد أخته من الخوف عليه ، لأنها تموت أن تراه يشكو ويتألم منذ اثني عشر عاماً ، فلم تجده يوماً على مثل هذه الحال من السكد المقلق واللوعة الأليمة ، فأقبلت عليه تمتنر إليه وتسرى عنه وتقول :

— أوه ! اعف عني واغفر لي يا طفلي المسكين !
— أنا أعفو عنك وأغفر لك يا مكربا ؟ علام إذن ؟ والسعادة التي غمرت بها قلبي وعمرت بها وجودي ؟
— لا تشكر لي عتابي بك ؛ ذلك دين أفضيه ذلك تكفير أؤديه

فانيمشت من عين الفتى المشدوه نظرات ضارعة تسأل أخته حل هذا اللغز . فقالت له : سمحك إلى ! منذ أربع سنين (كان عمرك يومئذ ثمانى سنوات وعمرى أربع عشرة) جرت في أسرنا حوادث غيبية وأمور خارقة لم يصل عليها أبى ولا بأخوتي . لملك تذكر ذلك الكوخ الذي ينوء على شاطئ البحر ليختفوا فيه من أعين المضطهدين الكثيرين الأقوياء . كنت فيه ذات مساء وكان أبى وإخوتي في الصيد ، وكنت أنت منهوك القوى من كثرة ماجريت في الغابة طول النهار ، فاستسلمت على مهددة المطر والريح لنوم ثقيل ؟ وكان الليل قد أقبل منذ حين وأبى وإخوتي لم يقبلوا بعد ،

صالحاً لشيء .. تعلم إقامة التماثيل وشيade الهياكل
فلعلنا نصير يوماً آلهة » غاولت أن ألي مبنعى
اخوتي ، ولكن الأزميل والنحت كانا ثقيليين على
يدي ، ثم كانت هناك رؤى غريبة تطوف بيني وبين
جنادل (إروس) وكانت إسبى الناحلة الذاهلة تخط
في التراب اسماً لا تخط غيره : اسم أخوتي الحبيبة مكريا
افتحوا ! أنا إكسوس السكيني ! أنا عليقة
السنديانة التي إن تمر عليها هبة الريح تمت

— ٣ —

حينئذ قال لي اخوتي : « إن في مضيفنا شيخاً
من شيوخ الكلدان يقرأ في صفحة السماء أسرار
التيب وأنباء المستقبل ، فاستمع إليه ، وثقف عليه ،
ثم قل لنا ترى في مطاوي السحب كنوزاً أو نصراً »
فسمعت من الشيخ : ثم قضيت ليالي طويلة أُرصد
النجوم والغيوم فلا أرى كنوزاً ولا نصراً . إنما
كنت أرى عيون السماء تنظر الى نظر المحب ،
كأنها عيون مكريا ...
افتحوا ! أنا إكسوس السكيني ! أنا عليقة

السنديانة التي إن تمر عليها هبة الريح تمت

— ٤ —

حينئذ قال لي إخوتي : « خذ قوساً ونشاباً
واخرج إلى الصيد في الغاب » فحُبِبتُ الغاب
بقوسى ونشابى ، ثم لم أثبت أن نسييت إخوتي
وذهلت عن سيدى . وبينما كنت أسمع غناء الرياح
وتفرق البلابل أقبلت طيئة فأكلت ظمأى من
جيبى ، ثم جاء طائر صغير أعياه طول العالـيران
فنام في كنفاتي ، فحملته إلى مكريا

افتحوا ! أنا إكسوس السكيني ! أنا عليقة

السنديانة التي إن تمر عليها هبة الريح تمت

وتسمع منى ؛ قل يا قليل الحكمة بأى معجزة
تجوز من الموت جوعاً وظمأً في طريقك الطويل
من أئينا إلى داني ؟

فقال إكسوس : أوه ! كنت من الصباح إلى
المساء أسترجع النشاط بالفناء ، وأستفتح الأبواب
بالتشديد ، فكلمنا داني الدخان على ولية في أحد
البيوت طرقت الباب وأنشدت الأغنية فيفتح لي
أهله ويترولوني خير منزل

فتبسمت مكريا وقالت : أغنية عجبية ! هل
لك أن تعلمنها يا إكسوس حتى أغنيها أنا أيضاً
في ذهابي إلى داني أو إلى الأولب ؟

فتمنع إكسوس وتدل على عادة اللغنين في كل
عصر ، ثم نزل على مشيئة أخته بعد رجاء قليل

أغنية إكسوس

افتحوا ! أنا إكسوس السكيني ، أنا عليقة
السنديانة التي إن تمر عليها هبة الريح تمت
منذ اثني عشر عاماً سقط قزم من جلد الأسد
الذي يتنكب هرقليس ، فكنت أنا ذاك القزم ؛
كان أبى لا يحبني لأنني كنت صغير الجثة رقيق
البدن ، وحينما كنت أصطدم بركبتي وأنا طفل
كنت أسمع فوق رأسي زجرة كزجرة الماصفة ؛
وكان إخوتي يقرّبوني كلما دعوتهم لإخوتي ؛ ومع
ذلك أريد أن أعيش لأن لي أختاً محببتي ومحبو على ،
هى الجيلة السكرمة مكريا !

افتحوا ! أنا إكسوس السكيني ! أنا عليقة
السنديانة التي إن تمر عليها هبة الريح تمت

— ٥ —

قال لي إخوتي ذات يوم : « اجتهد أن تكون

- ٥ -

ورءوسهم مرفوعة، من الدزة ، ثم جرت المراسم
المألوفة وهي لا تختلف عما رأيتاه في داني ؛ وأقبل
كاهن من كهنة (مينرفا) فأجال الأسماء في
الصندوق ، ثم تقدم طفل مصوب العينين إلى
الأباء المقدس يستخرج منه حكم الموت ، فلم تكذب
يده تلمس حافته حتى دوى على عتبة المبد صوت
امرأة يقول : « قف ! ها كم الضحية ... »

وكان ذلك الصوت صوت مكربا وهي تتقدم إلى
المدبح كاسفة اللون ، كاملة الأهبة ، تنوس على
جبينها الأزهر الجليل عصابة الذبيحة . فدلف إليها
أيمحط وقال : أنها أنت يا أختاه ! لقد وعدتني أن
تتخفى لتقوى على سربر إكسوس . فقالت وهي
تقالب الدمع وتحبس الزفرة : إن إكسوس مات !
وليس الآن ما معنى أن أفديكم بنفسى . ثم تابعت
سيزها البطيء إلى الهيكل بين تصفيق الجمع وإذعان
الآخوة ، ثم جثت مكربا أمام المدبح ، وعوقت
بالإشارة مدية الذابح المجلان حتى تاقى على اخوتها
ابتسامها الأخير ؛ ثم أغضت عينها ، وأزاحت
الغطاء عن نديها ، وكانت بصدد قنيتين جسدا
بضطرب على مذبح الهيكل !

ثم أضرمو النار ، وجعلوا منها لاكسوس
ومكربا محرقة واحدة ! وعندئذ رأى الناس شيئا
يصعد من السبيب إلى السماء ، رقائق الأجنحة تلمع
الريش رائع الرواء !

وهكذا كانت الفضيلة (مكربا) في المصور
الحوالى تكفل الشعر (أكسوس) وتلهمه . والفضيلة
والشعر أجل ما في الحياة وأنبى ما في الانسان
(الزبات)

حينئذ قال لي إخوتي : « إنك لاتصلح لشيء »
ثم ضربوني ، ولكنني لم أبك ، لأن فكركى كان
مشغولا بأختى ؛ وغدا سيأخذون منى مكربا ؛ وغدا
ستسأل وهي جالسة في حفلة الزفاف : ما هذا الدخان
الذى يسلم هناك وراء النار ؟ فيجيبها المدعوون
« لا شيء »

« إنها محرقة إكسوس المسكين ، عليقة
السندباد التي عصفت بها الريح فجعلتها كالريم »
فصاحت الفتاة وقد ملكها الحنان وأدركها
الجزع : كلا إنك ستميش ! وسأجملك في قلبي ،
حتى إذا تارت المواسف الهوج لا يمسك منها
أذى . إن (إيكوس) سعيد محبوب ، وعذارى أئينا
كثيرات يفتحن له دورهن وسدورهن . أما أنت
أيها الفريد الشريد الموجه ، فإليك وحدك كل
أبى وأحلامي وحي !

« خذ يا أختى ، خذ يا شاعرى ! هذا نحن
أغنينك » ثم زعت من فوق جبينها الأبلج إكليل
الزفاف وألقته مبللا بالدمع تحت قدى إكسوس !
فأراد إكسوس أن يجيب ، ولكن التأثير المفاجئ
صق الصبي المسكين فلم يستطع إلا أن يقول بصوت
خافت . أوه ! ثم وضع يده على قلبه وخر مغمشيا
عليه ! ثم بات طول الليل يتضور من شدة الحمى ،
وأخته يجابهه لا يمتض لها جفن ، ولا يرقا
لينيها دمع

وكان الند موعدا أبناء هرقليس إلى المبد
ليقتربوا هناك على الضحية ، فتقدموا إلى الهيكل
كما يتقدمون إلى الممركة : قلوبهم فارغة من الهم ،



كانت الزوجان يسيران على هذه الحال لا يتبادلان الكلام ولا النظر، حتى قالت الزوجة:
— لنقف هنا قليلاً. فوقفا، وتقديم الخادم إلى الرسام بكرسي صغير من القماش فقمده عليه.
وكان كل من الرسام والزوجين الساكنين الساكنين يلقى عليهما نظرة حنان وحزن، فقد اضطربت الآلة بأن حادثاً من حوادث الاخلاص والتضحية وقع بينهما، إذ تزوج الشاب منها على الرغم من عاهتها المزمنة تأثراً من حبها إياه كما يقال. فقال رجل لآخر وكأما جالسين على مقعدين يجلسان نظريهما في الفضاء:

— كلا، ليس هذا صحيحاً. أنا أعرف جان سومير جد المعرفة
— إذن لماذا تزوجها؟ فقد كانت حين الزواج على هذه العاهة! أليس كذلك؟
— نعم هو كذلك؛ ولكنه تزوجها. تزوجها كما يتزوج الناس حقاً وسفاهة.
— وبعد؟

— وبعد؟ ليس هناك بعد ولا قبل يا صديق.
الإنسان أحق لأنه أحق. وأنت تعلم من خصائص الرسامين الزواج المضحك، فهم يتزوجون على التقريب كل الأمثلة (modèles)؛ وقد يتزوجون من

كانت مدينة (أريتا) ذات الصخر الأنهب والحصى الأبيض والبحر الأزرق تستريح تحت الشمس الصاحية، في يوم من أيام يوليو الصاحية. وكان منظرها العام أشبه بالهلال قد انتهى طرفاً استدارته يباين أحدهما صغير وهو الآمين، والثاني كبير وهو الأيسر، ثم تقدما في الماء الساكن نفوس كلهما فيه، وارتفعت قفته حتى بلغت مستوى الصخور. وكان قد جلس على شاطئها المدب جماعة من المصطافين ينظرون إلى المستحمين، واحتشد على مشرف الكازينو جماعة أخرى قاعة أو قاعدة تعرض تحت أضواء الشمس المشرقة جنة مزرعة من الزينة تسطع في خلالها المظلات الحجر والورق مطرزة بأزهار الحرير الملون. وانمزل في آخر المشرف على طريق الزهرة فريق آخر من المصطافين يريدون السكون وينشدون الراحة، فوقفوا خطام الوئيدة على أنفام الموج بعيداً عن زحمة الأجسام ونجبة الأصوات. وكان بين هؤلاء شاب معروف نابه هو الرسام جان سوهير. كان عني ساهما واجبا بجانب عربية صغيرة من عربات المقعدين يدفعها الخادم في هون وزرق، وقد جلست في هذه العربية زوجته وهي فتاة في ريق العمر تشرح النظر الحزين في جمال السماء وزينة الأرض وبهجة الناس

مما ، لأن في طبيعتهم أن يكن صادقات كاذبات على أشد ما يكون الصدق والكذب ، أو لا يكن على شيء منها أصلاً

أنظر الى الوسائل التي يتوسل بها أكرم النساء ليلفن منا يردن ، تجدها وسائل مكددة وساذجة ؛ فهي مكددة بحيث لم تقع في حدسنا من قبل ، وساذجة بحيث تراها بعد أن نصبح من نخبائها لا يسمنا إلا أن تعجب منها ونقول : « كيف ! لقد خدعتني بحق وغباوة » . ثم إنهن يتبعن دائماً يا عزيزي ، وعلى الأخص إذا تعلق الأمر بزواجهن . وهاك قصة السيد جان سوير :

كانت الفتاة مثلاً كما علمت ؛ فكانت تجلس في مرسى على الأوضاح التي يريد بها ؛ وهي بارعة الشكل ظريفة الطبع رشيقة القوام ، فمشقتها كما يشق الانسان كل فتاة على مثالها في الجمل والفتنة ؛ ثم تخيل أن حبها قد أخذ بعجام قلبه . وهناك ظاهرة غريبة : اذا ما رغب الانسان امرأة ظن غلصاً أنه لا يستطيع أن يعيش بدونها بقية عمره ، ولكنه متى ملكها زهدا ، وإن تستطيع الشهوة الهيمية أن تمسك بمجانها طول الحياة ، فلا بد من شيء آخر هو توافق النفس والطبع والرازج . ومن واجب الرجل أن ينظر حين تفتنه المرأة : أهذه الفتنة صادرة عن إغراء الجسم ، أم عن جاذبية الروح . وقصارى الكلام أنه أحبا أو ظن ذلك ، فاصدها على الاخلاص وواعداها على الوفاء ، ثم عاض هو وحى على هذا الأمل . وفي الحق كانت الفتاة ظريفة ، وزاد في ظرفها تلك التباوة اللطيفة التي تتصف بها الباريسيات الصغيرات ؛ فهي تثرثر وتهذر وتطلق بالمحادثات التي تجعلها الطريقة الغربية التي تلقاها بها

الخطيبات المجازر ، ومن السيدات الموهبات لأى سبب من الأسباب ؟ لماذا ؟ لا يعلم أحد لماذا ؟ يخيل إلى على العكس بأن طول معاشرتهم لهذا النوع من النساء الفواجر اللاتي يسمين الناس (أمثلة) جعلهم بمافون جنس الأنثى ، فأنهم بعد أن يجلسوهن ليرسموا صورهم على مثالهن يتزوجونه . اقرأ الكتيب الصادق القاسى الجميل الذى ألفه الفونس دوديه بعنوان (نساء الفنانين)

أما الزوجان اللذان تراهما ، فان الحادث الذى وقع بينهما وقع على صورة خاصة وحال فظيمة

لقد مثلت هذه الفتاة مهزلة ، أو بالحري مثلت مأساة أليمة . لقد قاصرت بكل ما تملك لترى كل شيء أو تخسر كل شيء . هل كانت مخلصه ؟ هل كانت تحب جان ؟ لا يدري ذلك إلا الله . ومن ذا الذى يستطيع أن يحدد تحديداً قاطعاً ما فى عمل المرأة من زور وحق ؟ إنهن مخلصات دائماً فى ما يبدو عليهن من آثار انفعالاتهن ومظاهر عواطفهن . فهن ساخطات مجرمات مخلصات كرمات لثبات على حسب ما يجرى فى شعورهن من البواعث والآثار . وهن لا يفترن عن الكذب من غير أن يردن ولا يملن ولا يفهمن . وفيهن مع ذلك وعلى رغم ذلك صراحة مطلقة فى الأحاسيس والمواطف اللاتي يظهرنها بأحكام وحلول عنيفة غير متوقمة ولا مفهومة ، تضلل منطقنا فى الرأى والحكم ، وعادتنا فى التعديل والتوفيق . فالفاجأة والعنف فى غريزاتهن يجعلانهن أنفاساً لا تحل ، فنحن لا نبرح نسأل هذا السؤال : « هل من صادقات ؟ »

« هل من كاذبات ؟ » ولكنهن يا صديقى صادقات كاذبات فى وقت

استولى بجماله على فلم أفكر في غيره
فأمسكت عن الكلام، ولكن شهوة الحديث
ملكها بعد لحظة فسألت جان :

— أذهاب أنت غداً إلى باريس ؟

فأجابها :

— لا أعلم

فماودها الغضب، وقالت :

ملكك ترى مما يهيج نفسك أن تنتزه وأنت
صامت . إن الانسان إنسان لأنه يتكلم فلم يجب
على قولها بشيء . وفطنت هي بفضل غريزة المكر
فيها إلى أنها ستحنقه ، فأخذت تنفي ذلك الالحق
الثير القبيح آذى الآذان والأذنان منذ عامين ،
ومطلمه : كنت أنظر في الفضاء ... فقال لها خمنها :

— اسكتي من فضلك ؛ فقالت له بحدة :

— ولماذا تريد أن أسكت ؟ فأجابها :

إنك تفسدين علينا النظر

هنا حدث الشهد الكبري السفيد بنبأه الفاجي
وحسابه المبتسر ، فاحتقنت الوجوه وأنهمزت
الأعين ، ثم طردا إلى البيت . وكان جان قد تركها
تمضي في نورتها لا يدفع ولا يهاجم ، لأنه كان
يخدر الأعصاب بنشوة هذه الليلة العالوية التي مبطت
بها إلى الأرض هذه العاصفة الهوجاء

ومضت بعد ذلك ثلاثة أشهر ، كان الفتى

يضطرب اضطراب القنيص في هذه الملاقة القوية
الخفية التي تربطانها المادة في مثل هذه الحالة .
كانت الفتاة لا تنفك ترهقه إرهاب المضطهد ،
وتعذبه عذاب الشهيد ، فصار يومها وليامها
شجاراً متصلاً لا يتخلو من سباب وضرب
وأخيراً صمم على أن تنتهي هذه الحال على أي

أشبه باليراعات الذهبية ؛ وكان لها في كل لحظة
حركات تدنن بها عين الرسام : فهي حين ترفع
ذراعها ، وحين تبسط يديها ، وحين تنحني ، وحين
تركب العربة ، تترك حركات محكمة مقدرة مناسبة .

وفي غضون ثلاثة أشهر لم يلاحظ جان أنها في حقيقة
أمرها تشابه سائر (الأمثلة) ، فاستأجر بيتاً صغيراً
في (أندريسي) ليقضيا فيه الصيف . وكنت هناك
ذات ليلة حين أخذت الهموم الأولى تثبت في قلب
صديقي ؛ وكانت تلك الليلة قراء ، فأردنا أن نجول
جولة على ضفة النهر ، وكان القمر يرسل على الماء
المرتد وابلأ من الضوء ، ويكسر أشعته الصفراء على
دارات الماء وتيار اللج وعباب النهر البعل الهارب
كنا نسير على طول الشاطئ نشاوي من
ذلك الطرب المبهم الذي يمتعه فينا هذه الليالي
الحالة ؛ وكانت نفوسنا مهيأة لأعمال فوق أعمال
البشر ، وقلوبنا مفتحة لحب كوائن شمعية مبهولة ؛
وكنا نشعر بالجذبات والرغبات والأمانى تختلج في
نفوسنا ، فلزمنا الصمت مقتونين بصفاء السماء
وطرأة الليلة الجميلة ، وعذوبة البحر التي خيل
إلينا أنها نفذت إلى الجسم وغمرت الدهن وعطرته
وغمسته في السعادة .

وعلى حين بثت صاحبة جوزفين (وهو اسم
الفتاة) قائلة :

— هل رأيت السمكة الكبيرة التي وثبت هناك ؟

فأجاب جان من دون أن ينظر أو يعلم :

— نعم يا عزيزتي

فقالت مضطربة :

— كلا إنك لم ترها ، لأن ظهرك كان إليها
فابتسم وقال : نعم هذا صحيح ، فإن الجوق قد

إذا تزوجت قتلت نفسى . أسمع ؟
 فهرز كنفه وقال : حسن ! اقتلى نفسك ! فنبست
 بكلمة أو كلمتين وقد أخذ يكظمها لهم القاتل :
 أقول ؟ .. أقول ؟ .. أقول ؟ .. أعد ! فقال معيدا :
 اقتلى نفسك إذا كان هذا يسرك ! فقالت وشحوبها
 يزداد وحالها تسوء : لست فى حاجة إلى التحدى ،
 سألقى بنفسى من النافذة . فضحك جان بملء فيه
 ومضى إلى النافذة ففتحها ، ثم حيا وأنحنى ، كمن
 يريد أن يقدم عليه غيره فى المشى ، وقال : هذا هو
 الطريق ! تفضل ! فثبت فيه نظرها الحائر الطائر
 لحظة ، ثم جمت نفسها كمن يريد أن يقفز سياجا فى
 حقل ، وصرت أمامه وأمامى إلى النافذة ثم اخفت !

لا أنسى ما حيت ذلك الأثر الذى أحدثته فى
 نفسى هذه النافذة المفتوحة ، وقد هوى منها ذلك
 الجسم ! لقد رأيتها فى تلك اللحظة واسعة كالسحاب
 فارغة كالفضاء ، فرجمت القهقري ، ولم أجروء على
 النظر كأننى خشيت أن أسقط . وتبيلد جان فلم
 يستطع الحراك ولا النظر ؟ وتسايق الناس فأثروا
 بالفتاة مكسورة الساقين ، فلم تمش على قدميها بمد
 اليوم . وتقدم حبيها مبيل الصدر من وخز
 الضمير ، منفعل النفس من اخلاص الفتاة ؟
 فأواها إليه وتزوج منها

ذلك يا عزيزى حديث هذين الزوجين
 وأقبل النساء ، فرغبت الفتاة فى العودة خشية
 البرد ، فأخذ الخادم يدفع عربة الكسيحة نحو
 القرية ، ومشى الرسام بجانب امرأته وقد مضت
 عليهما ساعة من الزمان لا اللسان يخاطب اللسان ،
 ولا النظر يبادل النظر . (مضى رضى مرسله)

وجه وبأى ثمن . فباع رسومه واقترض من أصدقائه
 بعض المال حتى حصل فى يده عشرون ألف فرنك
 فوضمها ذات صباح على المدفأة ومعهما كتاب الوداع
 وترك لها المنزل ولجا إلى بيتى

وفى الساعة الثالثة بمد الظهر قرع الباب ،
 فذهبت أفتحه فإذا هى فى وجهى لا تكاد تملك نفسها
 من الحزن والقلق ، فارتبكت أنا ، ودخلت هى ، ورآها
 هو من بعيد فوقف حتى أقبلت عليه ومرت بين
 قدميه الخفاف وفيه الأوراق المالية . وقالت فى هيئة
 نبيلة ولهجة موجزة : هالك تقودك . لا حاجة لى
 بها . وكانت حينئذ عميقة اللون مضطربة البسال
 حرية بأن تأتى كل حماقة ؟ وكان هو كذلك كاسف
 الوجه عمن الصدر حريا أن يرتكب كل شدة ،
 فسألها : ماذا تريدن ؟ فقالت : لا أريد أن تعاملنى
 معاملة البنى ، لقد توسلت إلى حتى سكنت إليك ،
 فأنال أطلب إلا أن تبقينى عندك

فصرب الأرض برجله وقال منفملا :
 لا ، هذا كثير . إذا كنت تظنين أنك ...
 فجذبته أنا من يده وقلت له : دعنى يا جان أفعل .
 ثم تقدمت إليها وأخذت أكسر من غضبها بكل
 ما عليه الخاطر فى مثل هذه الحال ، وهى تستمع
 إلى جامدة شاخصة صامتة مصرة . فلما فرغت
 جميعى والحال لا يزال على أشده ، لجأت إلى آخر
 الحيل فقلت : إنه لا يزال على حباك يا صغيرتى ،
 ولكن أسرتك تريد أن تزوجه ، وأنت تعلمين ... !
 فأخذتها رجفة قوية وقالت :

— آه ... آه ! لقد فهمت الآن ! ثم التفتت إليه
 وقالت : تبني أن تزوج ؟ فأجابها فى شدة وحزم :
 — نعم . نخطت إليه خطوة وقالت :



يَوْمِيَّاتِي فِي الْإِكْرَافِ

لِلأَسْتَاذِ تَوْفِيقِ الْحَكِيمِ

٢٠ أكتوبر . . .

قمت في الصباح بمجرد خزينة المحكمة . فالنيابة هي التي من شأنها مراقبة الخزينة ، وعليها أن تقوم بهذا الجرد مرتين على الأقل في كل شهر بطريق المفاجأة . ويظهر أن كلمة « المفاجأة » وضمت في اللوائح والتعليمات من قبيل التشويق كما توضع في الاعلانات ، فهي في العمل لا وجود لها . وقد جرت المادة أن ينسى وكيل النيابة لكثرة مشاغله هذا الجرد فلا يذكره به إلا الصراف المقصود مفاجأة . فهو الذي يطلب في إلحاح حضور البك الوكيل للجرد حتى يسد الخانة طبقاً للقانون . وفي أكثر الأحيان لا يشعر وكيل النيابة إلا وقد فوجيء هو بالدفتر الخاص بالخرزينة يمرض عليه مع المحضر محرراً باسمه « نحن فلان وكيل النيابة قمنا اليوم بمجرد الخزينة ، فوجدنا بها كذا أوراتا مالية وكذا فضة وكذا أشياء ثمينة وكذا أمانات » فيوقع وهو لم يتحرك من كرسيه وهو يقول : « خذوا إمضاء وخلوا عني بلا وجع دماغ » . غير أني أنا شخصياً انتقل بالفعل وأشاهد الخزينة وإن كنت أوقع آخر الأمر على كل حال دون أن أطيق

صبراً على عد النقود التي توضع أمامي . وانتهيت من هذه الأمور ، وعرجت على مخزن النيابة في طريق أفنتشه « بالرة » وهو عبارة عن حجرة تشبه دكان « ألف صنف » فيها من أصناف البنادق والقذارات الرقيقة والكاكين والشرائش والناجل والفؤوس والبلط والنباتات والمراوات و « اللبد » و « البلغ » و « الجلابيب » اللطخة بالدم والطين و « الصناديق » الثقوبة بالرش والبساوود ؛ كل عليه رقمه وتاريخ ضبطه ورقم القضية التي ضبط على ذمتها . وعندي أن نظرة واحدة تلقى على مخزن نيابة أي بلد تدل في الحال على لون هذا البلد وعقليته ودرجة حضارته . ولا شك عندي في أن مخزن نيابة « شيكاغو » مثلاً لا يمكن أن يحوى مطلقاً هراوة أو شرشرة . وصمدت بعد ذلك إلى مكنتي ، فوجدت حضرة القاضي : « القيم » في الانتظار وقد أحضر له القرائش القهوة . فأكاد يراني حتى صاح :
— خلاص ، الفوضى دبت في البلد :

الوزارة ، وأنتك خطر على سياستها الحاضرة إلى آخر
هذا الأسلوب المعروف

— شيء جميل . البوليس يجرى التقارير السرية
ضد القضاة ؟

— حصل

— والمعمل إليه ؟

— اترك لي المسألة . أنا أتحرى من المركز
بلطف وأجرى اللازم . . .

— لهذا الحد تميث السياسة عندنا بالمعادلة
والنظام والأخلاق ، أعوذ بالله ! شيء غيف . . .
وجعل يهز رأسه أسفاً وحنفاً . ثم التفت إلى
جفأة وقال :

— ذا صحيح . تصور أن فضيلة القاضي
الشرعي « الضلالى » حامل اليوم أنه صديق الأمور
الحكيم مع أنه كان يكرهه كراهة التحريم من بعد
حادثة الأجزاء !

فأبدت عجي . إنى حقيقة كنت قد سمعت من
الأمور فيما سمعت من أخبار القاضي الشرعي هذه
الحادثة : إن أهالى البلد وأعيانها لاحظوا افتقار
البلد إلى أجزاء « أصولية » فتنبه من البنادر
الكبيرة فاكثبتوا فيما بينهم بمبالغ أسوأها .
أجزاء نظيفة كاملة الأدوات ، وعينوا لها
« أجزاء » قانونى هو رجل سودى اسمه « جبور »
ثم تباحثوا فيما يصلح مشرفاً على مالية هذه
الأجزاء وعلى إدارتها ، ووقع الاختيار فى آخر
الأمر على فضيلة القاضي الشرعي . ومن غير فضيلته
بلحيته الوقورة وسبعته الطويلة يؤتمن فى هذه
البلدة على أموال المسلمين وغير المسلمين من المساهمين ؟
ووافق الأمور على تنصيب القاضي الشرعي مشرفاً

فأردت أن أفتح فى أسأله الافصاح ؟ فلم يعملي
ومضى يقول :

— راحت هيئة الأحكام !

— إيه المسألة ؟

— المسألة يا سيدى أنى أصدرت حكماً مدنياً
ضد عمدة من الموالين للحكومة وراح المحضر ينفذ
عليه ، تعرف حصل إيه ؟
— لا

— انضرب بمعرفة الممدة « علقه » لكن
« نضيفة » وأحبس أربعة وعشرين ساعة فى حجرة
التأيفون

— والمركز عمل لها قضية ؟

— أبداً . ما هي هنا الخطورة . لا قضية
ولا مذكرة ، ضحكوا على المحضر وقالوا له يسحب
شكواه وصرفوها

— ما داموا صرفوها انتهينا

— انتهينا إزاي ؟ أنا لا يمكنى أسكت عن
مسألة زى دى . ذا اسمه إجرام ! البوليس يجرم . . .
— يظهر أن حضرتك اشتقت لحر وجه قبلى
— بنقلوا قاضى وجه قبلى لأنه أراد منع المركز
من المبت . . . ؟

— عملوها كثير . وسبق نقلوا قاضى أقصى
الصعيد لأنه أفرج فى قضية معارضة عن متظاهرين
ضد الحكومة ، مع أن هذا القاضي كان من
المهادين البعيدين عن الأحزاب وعن السياسة .
ولا يخفى أن بينك وبين الأمور سوء تفاهم عاثل .
وساعتها تلقى الأمور خمر التقارير السرية عنك
واتهمك بأنك من خصوم الحكومة ، وأنتك من
أرباب الفن والدسائس ، وأنتك تضطهد أنصار

جيور أنت يكسر ساق القاضي إذا حضر إلى الأجزاء بعد ذلك . واستغاث بالمأمور ، وعرض عليه ما وصات إليه حالة الأجزاء . فاذا هم موشكة على الافلاس ، فقد اختفت مستحضراتها ونضبت مواردها ، ولم يبق أمل في بقائها ، فان الأجزى هو الآخر إقتداء بفضيلة المشرف الوقور لم يقصر في الاجهاز من جهته على الباقي من « الدرج » والبضاعة والأدوات ، وتنظيم للمأمور وصاح في الأعيان الساهمين :

— الحق علينا الى صدقتنا اللحية والسبحة ! ومنذ ذلك اليوم والمأمور دائم التمشير بالقاضي الشرعى قائلاً عنه : « الرجل الضلالى » . والقاضى الشرعى من جهته دائم التليل من المأمور قائلاً عنه : « الرجل الزنديق لاعب اليسر »

ولكن السياسة قد جعلت رجال الادارة اليوم أصحاب سلطة غيفة . وقد خشى فضيلته على نفسه ، ورأى بمحنته أن الأمان فى مصاحبة المأمور . فهل يحجم عن التقرب إليه والتزلف له ؟

مر بمخاطرى كل ذلك وأنا جالس وأمامى القاضي الأهلئ ، ولم أتمالك فقلت كالمخاطب لنفسى :

— لا بأس من الصلح ، لكن فى الظروف الحاضرة ... فيه شيء اسمه كرامة ...

فرفع القاضي يده فى حركة ذات معنى وقال :

— كرامة بين « يا موشير » !

ونهض يريد الانصراف وهو يميل على ويقول بصوت منخفض :

— كلام فى شرك . فى يوم حضر الى بيتى فلاح ومعه خروف وقال « الهدية » . فقلت له : « هدية ليه يا رجل » ؟ فقال : « الهدية الى تم

وتكرم فضيلته وتسلم مهام عمله بأن جعل مجلسه عصر كل يوم أمام باب الأجزاء حيث ينتحنج ويبدأ باسم الله والصلوة على نبيه وآله ومحبيه . ثم يصيح :

— يا خواجه جيور . القهوة والشيشة !

ثم يجتمع عليه من أصدقائه وأقاربه الآئيين من الكفور عدد كثير كل يوم ، فيأمر لهم بالقهوة أو الشاى . وكل هذه الطلبات طبماً على حساب الأجزاء ، وهو لا ينسى مطلقاً أن يلقى نظرة على مستحضرات المحل قبل انصرافه وهو يقول لجيور :

— عندك صابون ممسك من المال ! زجاجة « الريحه » « الكلونيا » دى لا بأس بها ! ..

ولا يكاد يدخل فضيلته منزله حتى تكون هذه البضاعة التى أعجبتة قد سبقته إلى البيت . ويميل أحياناً أطفاله إلى جواره يباب الأجزاء أو يتركهم يامبون حوله . فاذا جاعوا أو بكوا صاح القاضي فى الأجزى القانونى :

— يا خواجه جيور ! هات للأولاد كم قرص نمتاع من عندك !

ويحتاج فضيلة المشرف إلى بعض المال فى بعض الأحيان فيقول للأجزى :

— هات من « الدرج » أربع « برايز » وتمر بائمة دجاج فيشتري منها فضيلته « زوجين »

« عتاق » ويصيح فى الأجزى داخل الأجزاء :

— ادفع لما من « الدرج » يا خواجه جيور وضاق ذرع الأجزى جيور آخر الأمر . فصاح فى القاضي ذات يوم :

الدرج ! الدرج ! شوها السما بها الدرج ! ونشب الشجار بين المشرف والأجزى . وأقسم

— طول بالك ، انت يظهر عليك إنك مش عارفى . والله لا بد من اتى ...

فقاطعه المدة مستطفاً :

— أنا رجل غلبان ...

ففى المأمور فى وعيده :

— انتظر ! إن ما كنت أدخلك البرلمان ، ما ابقاش أنا مأمور المركز !

— ليه أنا عملت إيه بس تدخلنى البرلمان ! قالها الرجل فى توسل وارتياح . فضحكت وعجبت . والتفت إلى المأمور قائلاً :

— كشوف الانتخابات فى جيبه وهش عارف البرلمان ده بيق إيه . أهم عهد نشغل معهم ١١١
ثم عاد المأمور والتفت إلى الرجل قائلاً :

— تفصل من غير مطرود !

نخرج المدة ذليلاً كأنه خادم أوجرم ، وقلت فى نفسى هذه الالة التى يذوقها فى حضرة رجال الادارة لن تذهب سدى ، فهو سيذيقها بينهم لأهالى القرية التى يحكمها ، فان كأس الاذلال تنتقل من يد الرئيس إلى المرؤوس فى هذا البلد حتى تصل فى نهاية الأمر إلى جوف الشعب السكين يجرعها دفعة واحدة

وجلس إلى المأمور يعرف سبب « تشريفى » المركز بالزيارة ، فأخبرته أنه « الشوق » ، فأقسم المأمور بتسامة غير المؤمن بهذا السبب الأفلاطونى ، ولم أصر كثير على كلمتى ، وقلت فى هيئة الجد :
— بلفك يا حضرة المأمور أن أحد المحضرين ضربوه وحسوه أثناء تأدية وظيفته ؟

— فأجاب من فوره :

— ما عنديش خبر

عليها الاتفاق علشان رد الولية امرأتى » . ففهمت وقلت له فى الحال : « انت يا رجل غلطت فى البيت انت قصدك القاضى الشرعى » ١١

فلم أبد دهشة كبرى وأطرقت برأسى . وسكت القاضى محدث قليلاً . ثم تحرك نحو باب الحجره وحيانى بيده تحية مختصرة وذهب . وجلست وحدى قليلاً أفكر فى كل ذلك . ورأيت أن أقوم الى المركز فى شبه زيارة خاصة لأستطلع من المأمور عما أخبرنى به القاضى . فانطلقت بعفردى وخلفى حاجبى حتى بلغت حجره المأمور ، فوجدته فى هذه المرة أيضاً مع أحد الممد بمحاده فى شبه عنف ولم تكن سببا هذا المدة تمن عن يسر ولا عن وقار ، ويخجل إلى أنه من أجبال الممد . « قال المدة كالجرادة » يتخذ شكل الأرض التى يولد فيها . فالأرض الخضراء تخرج الجراد الأخضر ، والأرض الصفراء تخرج الجراد الأصفر . وهذا المدة الأصفر لا شك من بلاد قاصية فقيرة على حدود المركز قرية من الصحارى . وسلمت على المأمور وقلت له باسمك :

— دائماً مع الممد !

فقال فى نبرة تعب :

— نعمل إيه يا سيدى !

ثم أجلسنى وطلب لى القهوة . إذ على الرغم من اعتكافى عنه وعن ناديه ، فهو يحترمنى ولا يحمل لى ما يحمله لغيرى من الضغن . فاقى حريص دائماً مع رجال الادارة على تنفيذ أوامرى فى مظهر بسيط لا يشمرهم بفضاضة الأمر . واستأذنى المأمور فى إتمام حديثه مع المدة لينتهى من شأنه ويتفرغ لى فأذنت له . فالتفت الى الرجل وقال له فى صياح وتهديد :

— إن كان على دى اظمن
ثم سكت قليلاً ، وقال فى قوة وخيلاء :
— تصدق بالله ؟ أنا مأمور مركز بالشرف .
أنا مش من المأمور الى انت عارفهم ، أنا لاعمري
أندخل فى انتخابات ، ولا عمري أضغط على حرية
الأهالى فى الانتخابات ، ولا عمري قلت انتخبوا
هذا وأسقطوا هذا .. أبدا ، أبدا ، أبدا . أنا مبدئى
ترك الناس أحراراً ينتخب كما تشاء ...
فقاطعت المأمور وأنا لا أملك نفسى من
الاعجاب :
— شىء عظيم يا حضرة المأمور ، بس الكلام ده
مش خطر على منصبك ؟ أنت على كده .. أنت
رجل عظيم ...
ففى المأمور يقول :
— دى دائماً طريقي فى الانتخابات : الحرية
الطلقة ، أترك الناس تنتخب على كيفها ، لغاية
ما تتم عملية الانتخاب ، وبمدين أقوم بكل بساطة
شابل صندوق الأصوات وأرميه فى التزعة ،
وأروح واضع مطرحة الصندوق الى احتنا موضعينه
على مهلنا
— شىء جميل !
قلتها فى شىء من الاستغراب ممزوج بخيبة
الآمل . ولم أشأ أن أعقب على ما سمعت . ومددت
يمنى مسلماً . وخرجت وخرج خلفى المأمور يشبهنى
إلى الباب الخارجى ، وإذا بى أرى وأنا أجتاز فناء
المركز شريطة من الخلفاء تنأهب للشحن فى
« اللوريات » ، ومن بينهم الشيخ عصفور بأسماله
وعوده الأخضر ، فالتفت إلى المأمور أسأله فى ذلك ،
فقال وهو يشير بيده إلى الرجال :

— حصل تبليغ للمركز ؟
— لو كان حصل كنا ضبطنا لها واقعة وعملنا
قضية
— بالتاكيد
وأطرت قليلاً ، وفكر المأمور لحظة ثم قال :
— حد بلغ سماعتك بشىء ؟
— لو كان حد بلغنى كنت فى الحال باثرت
التحقيق
— مؤكد ؟
— المسألة يظهر أنها مجرد إشاعة
فانطلق المأمور يقول :
— هى وحياتك إشاعة ، خارجة من بطن
الحكمة لتشويه سمعة المركز ، وأنت لا يخفاك أن
حضرة القاضى « طالع فيها » وغرضه يشنع علينا
بأى طريقة ...
وأراد المأمور أن يسترسل ، فبادرت بإغلاق
هذا الباب حتى لا أزعج بنفسى فى هذا الشجار
القائم بينهما . حسبى أى أفهمت المأمور من
طرف خفى أنى لست بئافل عن الموضوع ، وأنى
لا أخجم عن اتخاذ الاجراء اللازم فيه ، ونهضت
فى الحال ، ونهض معى ، وقلت مازحاً :
— والانتخابات يا حضرة المأمور ... ؟
— عال
— ماشية بالأسول ؟
فنظر إلى ملياً ، وقال لى فى مزاح كزاحى :
— حاضحك على بعض ؟ فيه فى الدنيا
انتخابات بالأسول !!
فضحكت وقلت :
— قصدى بالأسول : مظاهر الأسول

ومررت في سيري بجوار الشيخ عصفور
فابتدرته :

— البنت ريم راحت فين ؟
فنظر إلى الرجل شزراً ولم يمن بالرد على .
فأعدت عليه الكرة في شيء من الرفق والاستعطاف
— ريم ياسيدنا الشيخ ، خلى نَفْسَكَ ويانا
في مسألة البنت ريم !

فهز الرجل رأسه ، ولوح بعوده ، وقال مترنماً:
إيش راح ينسوبك
من الشكيان ويفيدك
ليسه ما حكنش
على طيرك وهو في إيدك
فابتسمت وقلت للشيخ عصفور وأنا أشير
بأصبي إلى المأمور :
— قل لحشرة المأمور ، هو اللى استلم الطير !
(يتبع) توفير الحكيم

— أنفاز قايمة لحفظ النظام ساعة إعطاء
الأسوات ...

— والشيخ عصفور ماله ومال الانتخابات ؟
— مواويله تؤثر على عقول الفلاحين !
— يعني متدب للدعاة !
فابتسم المأمور ابتسامة المصادق على ملاحظتي ،
وابتسمت أنا أيضاً وأنا أضيف قائلاً :
— حتى الشيخ عصفور شغلته في السياسة !
فنظر إلى المأمور نظرة ذات معنى ، وقال
في تهديد :
— نممل إيه بس !

وفي هذه المباراة وهذا التهديد كل الكفاية في
جملي أرتي لحال لهذا المأمور وأقدر دقة موقفه
ومسؤوليته أمام الرؤساء الذين يطلبون إليه نتائج
معينة بالذات بكل الوسائل التي يراها مؤدية إلى
النرض ، فإن أحجم أو تردد فصل بلا رحمة ولا شفقة

في الطريق

كتاب جديد يصدر في سبتمبر
بقلم الأستاذ
ابراهيم عبد القادر المازني
أكثر من ٦٠ قصة في ٥٠٠ صفحة
قيمة الاشتراك فيه ١٠ قروش
التمن بعد الطبع ١٥ قرشاً
ترسل قيمة الاشتراك بعنوان المؤلف
بشارع قاروق رقم ٢٢١ بمصر
الاشتراك يقبل في منتصف أغسطس

مكافأة

للمه برل على القاتل

تطلى مجلة « الرواية » مكافأة وقدرها ٥
جنيهات لمن يدل على القاتل في القضية المشار إليها
في « يوميات نائب في الأرياف » للكاتب الكبير
الأستاذ توفيق الحكيم التي تنشرها المجلة تباعاً
على أن تصل الردود إلى المجلة قبل أول يولييه مع
بيان الأدلة بوضوح وإيجاز



الثقل ، وترأب بطنها ووجدتها
صدره المصدوع
كنت ذات يوم أهني
سديقا تجمعت حوله أسرة
موفورة الصحة حمة النشاط
جمعت بين أفرادها أقوى

« لأغنى من درر البهار ما يجده الرجل
من راحة بال ، وما ينم به من خفي البهجة
في كنف حب المرأة ، فأقربت للزلزال
وملأت صدري روائح النسيم ، فأرواح
ما يتردد في ظلال الزواج من أنفاس لها عير
ما أحلاه ، وما أطيب البنفسج في حياضه
يبلغ مداه » (مدلتون)

أواصر المحبة ، فقال لي متحمسا : « ما أستطيع أن
أعني لك نصيبا في الحياة خيرا من أن تكون لك زوج
وبنون يقاسمونك في يسرك السراء ، ويكوتون في
عسرك عزاءك وعونك على الفراء »

وهذا حق ، فقد رأيت الزوج الذي يتردى
في سهاوى البؤس أقرب نهوفاً من سقطته وأندر
على استعادة بكائه من الأعزب الوحيد . ويرجع
بعض الفضل في ذلك إلى أن لدى للزوج دافعا
أقوى على العمل هو حرصه على القيام بمطالب
أعزائه ضعيفي الحيلة الذين يعتمدون عليه في سد
حاجاتهم وحفظ حياتهم ، إلا أن الفضل الأكبر في
ذلك يرجع إلى أن مابقي الزوج في داره من عطف
ومودة يخفف من همه ويزيل من حرته ، ويجدد
نشاطه ويذكر ملكاته ؛ هذا إلى أنه لا يفقد الثقة
بنفسه ولا همون لديه قدره حين يرى أنه رغم ما يحيط
به من سواد وبرغم ما يصادف خارج داره من هوان
ما يرح يترفع في بيته عرش مملكة صغيرة من
المحبة والوداد . بيد أن الأعزب يكون في رؤسه

ظلالا أتيسح لي أن أشاهد
بطولة المرأة وثباتها في تلقى
ضربات القدر معجبا بأحباتها
الضراء بمد السراء ، حتى
ليخيل للمرء أن المحن التي تغل
عزيمة الرجل وتصعد أركان

نفسه تستنهض المرأة وتستثير قواها ، وتبث فيها
من البسالة والسموم ما يبلغ القدرة في بعض الأحيان .
وليس أوقع في النفس من رؤية امرأة رفيقة ناعمة
كانت أيام اليسر والنعم عنوان الضعف وقلة الحول ،
وإذا بها تسمو بأدراكها فجأة فتصير سند الرجل
ومفرج كربته أيام يؤسه وخلال محنته ، وليس
أروع من رؤيتها تصمد لمواطف البؤس الجائحة
رابطة الجأش ثابتة الجنان

تلذذ الكرمه بأوراقها النضرة حول السندياته
مستمتعة بها على بلوغ شعاع الشمس قنظل معتمدة
عليها وتلك موكلة بها ، حتى إذا ما نزلت بالسندياته
صاعقة فزعتها حنت الكرمه عليها بسايلجها الرفيقة
العلوف تضم بها أعصابها المزقة وأنسجتها المشقة ،
كذلك حال المرأة تمول على الرجل وتكمل أمرها
اليه ، فلا تمد وأن تكون زينة بيته وحلة أنسه ، فإذا
ما انقضت عليه البأساء بضربة من ضرباتها الهوج
شاه لطف الله في قضائه أن يجعل منها موثله وعزاه
فترعى نفسه المضطربة بمحناتها ، وتحمل برقب رأسه

« مضاربات » واسعة النطاق . فلم يرض على زواجه كثير حتى فاجأته المأسي ترى فقصفت بما له . وفي لحظة وجد نفسه قد انحدر الى هوة الفاقة ، فظل وقتاً ما يئني في نفسه حقيقة ما آل إليه أمره وقد شجب وجهه ، وتحطم قلبه ، وأصبحت حياته كرباً دأماً لا يريم . ومما زاد في كربه وجعله عسير الاحتمال على نفسه اضطراره أن يتكاف الابتنام والحشاشة أمام زوجته ، إذ أنه لم يكن يقوى على ازحاجها بالانفناء إليها بجيلة أمره ، وحقيقة خطبه . بيد أنها على رغم ذلك رأت بين الحب التي لا تقفل أنه لم يكن على ما يحب . فلاحظت نظراته الحائرة وزفراته المميقة ولم تخدعها محاولاته الناشلة في الظهور بمظهر السرور ، وحاولت جهد ما ما سكت من روح صرح أن ترفه عنه ، فأحاطته بكل ما وسعها من رفيق الضياء ، ورفيق الملاطفة ، عساها تفتح في رد السرور الى نفسه وإعادة النبطة الى قلبه ، فأخفت مسامها ولم تفلح إلا في دفع البهم مدى جديداً في صميم قواذه . فكما رآها أحق بأن يزيد لها حيا ، زادت نفسه كرباً ، وأمضت التفكير فيما سيحياه إليها من الشقاء والحرمان عما قريب . ودار بخلد أنه لن يمضي إلا القليل حتى يفارق الفناء شفتها ويبارح الوميض هينها ، ويرزق قلبها الخفافق بين جنينها ، مثل قلبه ، تحت عبء هموم الحياة وأرزائها وأخير أجاء في ذات يوم وروى لي حقيقة حاله . وكل ما انتهي إليه أمره بلهجة من أعمق اللجات بأساً ، وأشدّها بؤساً . فلما وقفت منه على جملة حاله سألته : « أوترف زوجك ذلك كله ؟ » فصاح بي وقد خففته العبرات : « بالله ألا ترجى فتشقق على ، ولا تذكر شيئاً عن زوجي ، فان التفكير فيها هو الذي يكاد يفقدني صوابي . »

فقلت له : « ولم التكنان ؟ ولا مناص من

عرضة لأن يهمل شأنه ويتلف نفسه ، إذ ينجمل إليه أنه وحيد متروك ، سيحل بقلبه من البوار مثل ما يحل بالدار المهجورة حين يموزها النزول للمأمول تميد إلى فكركي تلك الخواطر ذكرى قصة من قصص الحياة الزوجية شهدتها بنفسى ، فقد تزوج صديقي ليسل من فتاة جميلة مهذبة شبت وسط الحياة الجديدة وشفت بأعاطها الطريفة وأزيائها المستحدثة . لم تكن ذات ثراء ، إلا أن زوجها كان في بسطة من العيش ؟ وكان يروقه أن يتيسر لها التمتع بمجاراة كل طريف والتعجلى بكل ما يضفي على المرأة غلالة السحر والفتنة من جميل الزى ، ونفيس الخلى . وكان يقول : « إن حياتها ستكون قصة من قصص عبقر »

كان خيالاً يميل إلى الجدل والرسانة في حين كانت هي مريحة طروباً ، فكان لا متراجها اثتلاف شجى النغم عذب الألحان . ولطالما شهدت عن كذب ذلك الهيام الصامت الذي كانت تفيض به نظراته إليها ، وهما يجلسان بين الرقاق . وكنت أرى نظراته تلك تبعث في نفسها البهجة والسرور كما كنت أراها تتجه بصرها إليه وسط التهليل والاحجاب ، وكأنما لا تبحث عن مبتها من الاستحسان والقبول إلا عنده . ولقد كانت حين تشكى على ذراعها يلوح جمال قوامها الاثوى رائماً في تباينه مع طول قامته وبإدى رجولته ؟ وكان يبدو الاستسلام ويتدفق الحب في نظراتها إليه مما كان يبعث فيه الزهو بها والحب عليها ، وكأنه ما شنف بهذا الحل الوديع إلا لضعفه وقلة حوله . وهكذا مضيا في طريق هذا الزواج المبكر والاختيار الموفق إلى حياة زوجية تحفها الورود والراحين مالمكين فيها من أزمنة التمتع ومقومات السعادة ، واحتمالات الفناء ما لم يتبع لغيرها من الأزواج . وشاء القدر أن يفارق صديقي بما له في

« كيف تكلم الأمر عنها في حين أن الواجب أن تسلم به لتستطيع أن تمد المدة لهذا التغير الذي طرأ على معيشتك ، إذ من الواجب عليك أن تغير نظام حياتك ؟ فانت وجهه سحابة من النعم لم تخف على فاسترسلت أقول : « كلا لا تجعل لذلك سبيلا إلى قلبك ، ولا تر فيه مدعاة لايام نفسك ، فاني واثق أنك لم تجعل سعادتك في يوم من الأيام رهينة المظهر الخارجي . ولا زال لك أصدقاء حميمون لا ينقصك في نظرم أن يقل رونق دارك ، ثم إنى واثق أنك لست بحاجة الى قصر منيف حتى تسد مع ماري »

فصاح مضطربا متأثرا : « اني لا أستطيع أن أسعد معها في كوخ وأن أحمدهم معها الى النافذة وأهوى الى الحضيض ، أستطيع ، أستطيع باركها الله ، باركها الله » صاح بذلك وقد غمره سيل من الأسى والشجن فقلت له وقد تقدمت إليه وأمسكت يده بحرارة : « صدقي يا أختي واثق أنها سوف تكون كما كانت وخيرا كما كانت . وسوف يكون من دواعي فخارها ودليل على انتصارها وسببا في استئثاره كامن قواها واستجاشة مدخر عواطفها أن تبرهن فريضة طروبيا على أنها إذ أحببتك أحبتك لذاتك ، فان في قلب كل امرأة قبسا من نار علوية يظل كامنا ما أغترق نور أيام السراء فما ينتشر ضياؤه الاساعة ينجم ظلام الخطوب . وما يدري الرجل حقيقة زوجه وأنها راحة صدره وللك الكريم الذي يحوم حوله حتى يسلك بها غمار الحياة وتصهرها المحن »

لقد كان في صدق تبصيري وبلاغة لمحيي ودقة تصويري ما أقر فكره التأثير وهذا خاطره الروح ؛ وكنت أعرف من أحاول اقتناعه ، فتأملت الضرب على الوتر الذي أشجاء وانتهت باقناعه بالذهاب الى بيته والافضاء الى زوجه بما أحزنه وناب به قلبه

أن تعرف جليلة الأمر عاجلا أو آجلا فلن تمك كتابته عنها طويلا ، وعند ما تظهر لها الحقيقة يوما ما سوف يكون الخبر أشد وقعا على نفسها ، وأكثر إيلا لها مما لو كاشفتها به ، فان لهجة الحبيب تخفف وقع الخبر الشديد ؛ هذا إلى أنك تحرم نفسك بهذا السكبان راحة عطفها فضلا عن أنك بتصرفك هذا تخاطر بالرباط الذي يولف بين القلوب ، ألا وهو تبادل الفكر حرًا ، وبث الشهور صريحا . ولا بد من أن تكتشف عاجلا أن أمرا يقلق بالك ويكريك ، وليس طي الأمرار في النفس بما يرضى الحبيب ، فتشعر عندئذ أنك تبخسها حقها وتنقص قدرها ، ويسوءها أن ترى أحزانك أنت يامن تحب قد أخفيت عنها « أوه ! ولكن ألا تتصور يا صديقي أثر تلك الضربة التي سأطرح بها كل آمالها وأمانها ؟ ألا ترى أنني سأهوى بقلبي الى التري حين أخبرها أن زوجها قد أصبح فقيرا ، وأن عليها أن تطرح عنها مطارف الحياة وزينتها ، وتترك مباحج المجتمعات وفننتها . وتزوي في في عالم الفقر الدقع والظلام الطبق ! كيف أخبرها أنني قد هبطت بها من ذلك الجو الذي تحلق فيه ، والذي كان في وسمها لولا ما حل في أن تظل محقة فيه في اشراق دائم نورا لكل عين ، وبهجة لكل قلب ، كيف تحتل الفاقة والتربة ، وقد شبت في أعطاف اليسر ؟ كيف تحتل الأزواء والامال وقد كانت معبود المنتديات ؟ أوه إن ذلك سيحطم قلبها .. إن ذلك سيحطم قلبها رأيته بلينا في جزعه فتركته يتدفق في حديثه فالحديث يسرى عن نفس المحزون ، ويفرج كربة المكروب . فلما هدأت ثورته ، ورأيت أنه قد هدأ الى هدوئه واستسلم للكتابة عدت الى حديثي في رفق ولين وأخذت أحثه على المبادرة بالافضاء الى زوجه بذات نفسه وحقيقة أمره فأومأ بالقبول ؛ بيد أنه كان جد محزون

والتي تصلى ناره كل حين توجسا من كشف المستور .
وليس متاعب الفقر شيئاً الى جانب متاعب الادعاء
الكاذب وتكاليف الكبرياء والتطلع للجيب الخاوي .
إن محاولة المحافظة على المظهر الفارغ هي التي يجب
أن تضع لها حداً ؛ فكن شجاعاً في قبول مظهر الفقر
فانك بذلك تجرد الفاقة من سلاحها البتار وعذابها
الآلیم « فوجدت من ليسل تمام الاستعداد لقبول
هذه الفكرة إذ لم يكن فيه ميل للادعاء الكاذب
أوحب للمظهر الفارغ ، أما وجهه فغسبنا ما أظهرت
من ميل للسير وفق مقتضيات ما آل إليه حاله

جاءني ذات مساء بمسد ذلك بأيام ، وبعد أن
تخلّى عن منزله واتخذ لنفسه كوخاً صغيراً في
القرية على مسافة أميال من المدينة ، وكان قد شغل
طيلة يومه في إعداد أمانه ، وما كانت تلك الدار الجديدة
تتطلب من الأدوات إلا القليل البسيط ، وكان قد
باع الأثاث الفاخر أثاث منزله السابق إلا أنه أتى
قيثار وزوجه وقال : انه احتفظ به لأنه قريب الصلة بها
متصل بأقصوة هواهما ، وأنه يذكره ببضعة لحظات
من أحلى لحظات هيامهما ، حين كان يجمل الى القيثار
ويستمع الى صوتها الشجي الحنون . فما وسمعي
إلا الابتسام لما ينطوي عليه هذا الزوج النديم من
فروسية ووفاء . لقد كان ذاهباً الى الكوخ حيث ترك
زوجه تقوم باعداده ، ولما كنت مشوقاً الى تتبع
قصة هذه الأسرة وكان المساء جيلاً فقد اقتربت أن
أحبه . ولقد كان متمباً لما بذل في يومه من جهد
فسار وقد انتابته نوبة من التفكير الحزين . وأخيراً
صعد من بين شفتيه زفرة عميقة وقال : « مسكينة
ماري ! » فقلت له : « وماذا لها ؟ هل أصابها شيء ؟ »
فقال لي وقد ألقى إلي بنظرة مألوف : « كثير عليها
أن تنحدر الى هذا السكان الوضعي ، وأن تحبس
في هذا الكوخ الشنيع ، وأن تضطر الى معاناة

ولا بد لي من أن أعترف باني على رغم كل ما قلت
كنت قلقاً غير مطمئن الى النتيجة ، إذ من يستطيع
أن يعتمد على جلد من عاشت كل حياتها بين القو
والسرور ؟ أليس من المحتمل أن تمرد تلك النفس
الطروب عند ما ترى ذلك المنحدر المظلم الذي شقه
البؤس فجأة أمامها ؟ أو ليس من المحتمل أن تظل
روحها المرحمة متعلقة بالأفاق المشرقة الخيلية التي
ظلت حتى الساعة تسمد بها ؟ وما أمر الضيق بمد
السمة لمن أحبوا مستحدث الأزياء وطريف الملاهي ،
فان الفاقة لتجلب لهم من الآلام المبرحة ما لا يحسه
غيرهم من الناس . وعجمل القول اني لم أستطع أن
ألقى صديقي في التدد إلا وأنا مشفق مضطرب وكان
قد أفضى إليها بدخيلة نفسه وحقيقة خطبه
« وكيف نلتك الخبر ؟ »

« كالللاك ، حتى لكأنا كانت فيه راحة فكرها ،
فطوقت عنقي بذراعها وسألتني : أهذا كل ما أحرزتك
طيلة هذه الفترة الأخيرة ؟ » ثم أضاف الى ذلك قوله
« إلا ان الفتاة المسكينة لا تستطيع أن تتبين ما لا بد
لنا من ملاقاته من تبدل حال بحال . انها لا تعرف
الفقر الا تصورا مما قرأت عنه في شعر الشعراء ،
لا يوجد الا إحاطا بالحلب مقرونا بالهوى ، انها لم تشمر
بعد باننا فقدنا شيئاً ما إذ لم نمان بمسد الحرمان مما
ألفت من الناعم والمطارف ، ولكن التجربة الحقيقية
ستكون عندما تصطدم بالواقع وتما في وضع الشاغل
وتافه الحاجات ورقة الحال وسوء المال »

فقلت له : « أما وقد انتهيت من مكاشفتها
وتلك هي المهمة الشاقة فانك ستجد عما قريب سرّاً
خفياً يبذل أمامك الحياة فتراها تسير بك من حال
الى حال أهناً وأسعد . نعم إن الكشف عن الخبر
الشؤم قد يؤلم إلا أنه ألم ساعة يزول ، وأما
حرصك على البكتان فهو الكرب الذي لا ينتهي

الأنثاء ، وقد ظهر حول الباب وفي مدخله
المختوض عديد من أواني الزهر نسقت تنسيقاً
فيه سلامة اللق ، وانفرج الباب الخارجى الصغير
عن عرش بين الأعشاب يؤدى إلى الباب الداخلى
فما كنا نبقله حتى سمعنا نفا موسيقيا ، فأمسك ليسلى
بيدى فوقنا نستمع إذ كان الصوت صوت ماري تنف
في بساطة رائحة مقطوعة من المقطوعات التي يحبها
شمرت بيد ليسلى تضطرب في ذراعي ووجدته
يتقدم ليستطيع أن يستمع بوضوح ؛ فكان وقع
أقدامه صوت على المر المرصوف ، فأطل من النافذة
وجه مشرق جميل ما لبث أن اختفى وسمعت خطوات
رفيفة ، وأقبلت ماري للقينا مرتدية ثوباً ريفياً
جيلاً أبيض اللون ، وقد وضعت في طيات شعرها
الجميل بضع زهرات برية ، وقد علت التضارة
والرواء وجهها وتوردت وجنتاها وأشرق بالانسام
عيناها ، فآرايتها قط أكثر منها ابتعاشاً مما بدت
عليه في تلك اللحظة ، فهتفت : « عزيزي جورج ،
كم أنا مسرورة بقدمك ! فلقد طال انتظارى إليك ،
ولقد كررت إلى المنعاف أبحث عنك . لقد أعددت
المائدة تحت دوحة جميلة خاف الكوخ ، ووجهت لك
بعضاً من أطيب عمار الفرولا التي تحبها ، ولدينا إلى
جانب ذلك قشدة ممتازة . إن كل ما هنا عذب وهادئ »
ثم وضعت يدها في يده ونظرت إليه منشرحة
وقالت : « آوه ! سنكون سيمدين كل السعادة »
فقلب ليسلى على أمره ، وضمها إلى صدره وطوقها
بذراعه وقبلها ثم قبلها ولم يستطع الكلام ، وغلبته
الدموع فلأت عينيه . ولطالبا أكد لي أنه رغم
ما أصابه بعد ذلك من نغمي ورغم ما انتهى إليه من
خير وسعادة ، فانه لم يشمر قط بأعذب ولا أسعد من
تلك اللحظة التي غمره فيها من النبطة والسعادة ما لا
سبيل إلى وصفه ولا أحد لجلاله . حسين محمد لامل

مشقة العمل في هذا السكن التمس
« هل تألت من هذا الانقلاب ؟ »
« تألت اكلاً ، لم تبارحها عذوبة روحها وصفاء
نفسها حتى ليبدو عليها أنها أكثر مرحاً وسروراً
بما كانت عليه في أي وقت آخر . ولقد كانت كلها
جباً ، وكلها عذوبة ورقة ؛ فكانت راحة قلبي
وبهجة نفسي » فقلت متمججاً : « يا لها من فتاة
تستحق الإعجاب ! أو تدعى أنك فقير ياصديق وأنت
لم تكن أكثر غنى منك اليوم ، إذ لم تنكشف لك
قبل اليوم جوانب تلك المظلة التي لاحد لها
والتي أنعم الله عليك بها في شخص هذه المرأة »
« آوه ! ولكني لا أستطيع أن أستريح
ياصديق حتى يمر بسلام أثر اللقاء الأول لهذا
الكوخ ؛ فهذه أول مرة تصطدم فيها بالواقع
وتجرب فيها الحقيقة المرة ، واليوم فقط تلج مسكنا
وضيقاً تسكد فيه طيلة يومها في إعداد حقير لوازمه ؛
واليوم فقط تذوق متاعب الأعمال المنزلية ؛ واليوم
فقط ترى نفسها وقد حرمت المطارف ، وفقدت
المتع ، وفارقها النعم ، وذهبت عنها الراحة ، ولماها
تجاس الساعة متمعة كثيفة تفكر في أمر ذلك الفقر
القبل الذي تستصلي ناره وتلقى أذاه » ، ولقد كان فيها
قائه شيئاً من الصدق وكثيراً من الاحتمال لم أستطع
أن أناري فيه ، فسرنا صامتين
انثنينا من الطريق المام إلى منعطف ضيق
ألقت عليه أشجار الثاب ظلاً كثيفاً أوضح عزلة
ذلك المكان ، وقد ظهر المنزل قبالتنا تبدو ببساطته
خليفة بمحباب أشد الشعراء شفقاً بالريف وإيثاراً
للبساطة ، وإلى جانب تلك البساطة تجلى جمال
النظر الرقيق ، إذ امتدت على جانب من الكوخ
كرمة برية غمرته بكثيف من ناضر الأوراق كالآلت
عليه الأشجار الشجراء فينان الأعصان ورشيق

المريض

د. ستان ابراهيم عبدالقادر الحازقي



لينا ؟ وكيف جف وتصلب جسمها الذي كان بالأمس رخصاً ؟ وجاوز الأمر التثاؤب الى التعبس فأحس أنه ثقيل على نفسها ، فكف عن الدرس ، وراح يسأل نفسه : « كيف حدث هذا ؟ . لقد كانت أول يوم خفيفة مرحة ، وكان فيها لين ومرونة ، وكان الجلال يضحك بوجهها ، وبضئته نوره ، فهل رآني أذوبها وأخذت هذا الضياء ؟ » وضاقت صدره ، وهو جالس ، ولم يحتمل كل هذا الجلال الذي يخالبه ، فصفق وطلب كأساً من الويسكي ولم تكن الخمر مما يحب ، ولكنه خالف عادته ، لعل الخمر ترفع هذا الذي جثم على صدره ، وشرب الكأس بلا مزج ، صرفاً ، بغير تقطيب وطلب أخرى ألحقها بالأولى ، وثالثة شمسها بال سودا ، فقد أحسن أنه صار أخف وأقوى ، وأن الحجر الذي كان على قلبه قد انحط ، فقد صمد الشراب الى رأسه ، فرفع عينه وأجالها في الفتيات السائرات وراح ينقدهن أيضاً ، فهذه صدرها أعلى مما ينبغي لمن كان لها مثل عودها ، وتلك مصومة لا تدي لها ولا خصر ولا ردف . وهذه الثالثة بديمة التكوين ، ولكن ينقصها أن تكون خطوط جسمها ألين ، والرابية . . . أوه ما شاء الله . . . لقد تحسن النسل جداً في هذا العصر . أين من هؤلاء أمهاتنا اللواتي كن يخرجن ملفوقات في

جلس سالم في (الأسريكين) مطرقاً ينظر الى كعب حذاءه الذي سقله له الرجل منذ دقائق ، وكان يحركه كأنما يريد أن يحفر حفرة في الأرض الصلبة . وكان كرسيه قريباً من رصيف الشارع ، وكان غاصاً بالناديات والرائحات من كل فائقة ممشوقة القوام ، ولكن عينه لم تكن إلبهن بل الى الأرض وكان في الحقيقة يديرها في نفسه ، ويتساءل : « لما دخلت حياتي الى الآن من المرأة ؟ » ولا يهتدي الى جواب لسؤاله ، فقد كان في السابعة والعشرين من عمره ، وكان ما له كثيراً ، ولا عمل له إلا إنفاق هذا المال — إن صح أن هذا عمل — وكان يحس أنه ليس حياً بالمعنى الصحيح ، وينكر من نفسه انقباضه عن الخلق ، وحياده وخجله من المرأة . وتذكر ، وهو جالس يراجع نفسه ويتهمة بالضعف وعدم الصلاح للحياة ، أنه حاول مرة أن يتعلم الرقص وكانت معلمته رشيقة خفيفة فاستقبلته أول يوم بالابتسام والترحيب ، وعلمته خطوات ، وكان يحسها ليونة مؤنسية ، ولكنه لم يجعل به الى ذلك ، وإن لم يفته الشعور به ، بل أقبل على الدرس جاداً كأنما الدنيا ليس فيها غير قديميه ، فما أضيق رقعتها ! فلما كان الدرس الثاني ، دار معها دورات لاحظ أنها انقلبت جامدة ، وأنها سارت كأنها ناعة ، فقد كانت تتنأب بالقلع ! فمجب أن ذهب

والملادات ، وكأنهن منها في غمرات أو زكايب ؟
وقرت عينه بهذه المناظر وزايله الشعور بالكبد
والحرمان ، وأنس من نفسه قوة وجراءة لا عهد له
بهما ، وكانت هذه نشوة ، ولكنه لم يكن يعرف ذلك
أو يفطن إليه ، وكان الشراب قد أدار رأسه ، فتمض
يتمشى ووضع طربوشه على رأسه بغير احتفال ،
وكان الزر الى الأمام ، وكان دغا أطرق وهو سائر
على عادته ، ولكنه في هذا المساء استطاع أن يرفع
رأسه ، وكان حين يفعل ذلك فجأة يلح الزر
فيضحك ويضربه بأصبعه فيدور ثم يستقر بمض
خيوطه فوق الطربوش والباقي يتدل على مستداره
فيضحك كره أخرى ويهز رأسه مسرورا ، ثم يروح
يقنى ، لا بشعر أو نحوه ، بل ييمض ما يدور في
نفسه من الخواطر ؟ وكان تلحينه مبتكرا لا تشوبه
شائبة من التقليد ، وكان في الواقع أشبه بمن يقنى
نفسه في الحمام ليتسلى ، ولم يكن يحس أن في
الدنيا ناسا يروحون ويحيثون ويستنبهون حاله
وينظرون إليه ويتسمون أو يقطبون . وكان هو
يصبح - وفي ظنه أنه يهمس - كل بنت تحب
أن تحب . - يا سلام ! . . . تمام . . . لن تأكلني
إصرأ . . . أبدا ! »

ولم يحظر بياله هذا المساء أن به نقصا ، أو أن
ظله ثقيل ، أو أنه دميم ، فقد صرفه عن ذلك
ما شرب على خلاف عادته . وكانت ابتسامة الفتاة
حسبه مطيرا لكل هذه الخواطر الثقيلة من رأسه ،
فزرد الجاكطة ومضى وراءها يريد أن يدركها .
وكانت أسرع منه ، ولكنه قوض ذلك بقوة
الارادة ، وصحة الزم ، وإذا بها تقف أمام مدخل
عمارة ضخمة عالية ، على الجدار إلى جانب بابها
الواسع لوحات كثيرة فقال وهو يهجم : « سيدة »
فنظرت إليه مليا ، وحدثت نفسها أنه السكران
الذى كان يقنى في الشارع ، وخطر لها أن تنق
إسقاطه فقالت : « سيدة » وكانت السكرة قد
راحت ... طارت في الهواء . . ولم يبق في رأسه
إلا الرغبة في معرفة هذه الفتاة الجميلة بأى ثمن ،

وأجال عينه وهو يتبسم راضيا عن نفسه وعن
الدنيا التي حكت فجأة في عينه ، فوقعت على فتاة
أيقن حين رآها أنها أجل من خلق الله . ولا شك
أنه كان مبالغا ، ولكن الحقيقة أنها كانت جميلة .
وكانت وسطا لا بالطولية ولا بالقصيرة ، وغضة
هيفاء لا هزيلة معروقة ، ولا بدنية يلح عليها اللحم ،
وسمراء ولكن شعرها ناعم وحف ، وذهي مرسل
لا يبدو أن شيئا يحسك من مشابك أو نحوها ،
وكانت خطرتها رقصا بلا تكلف ، ومشيها انسيابا ،

التي احتسأها قوت ضمه . وثبتت جناحه فرعه
من أن يكون هذا آخر المهد بها ، فالحق بها
كالجنون ، وإذا بها تدخل عيادة الدكتور
جيسل ولم يكن قد عني بأن يعرف أى
طبيب هو ، ولكن ما قيمة هذا ؟ . . . وجلس
في غرفة أشار إليها الخادم ؛ وكانت غاصة بالخلق
فتشهد لأن هذا خليف أن يتبع له أن يطيل المكث
حتى يرى الفتاة مرة أخرى أو تمنح فرصة لـ . . .
من يدري ؟ . ثم نهض وراح يتمشى في الزده ،
فقد كان يحس أن السكون شاق ، وخرج الخادم
في تلك اللحظة من غرفة السيدات ، فأوما إليه
وناوله عشرة قروش وشرع ياتي عليه سؤالاً بعد
سؤال ، لا عن الدكتور فما كان يعبأ به شيئاً ، بل
عن المارة ومكث من هي وأجرة الشقة فيها ، كأنما
كان ينوي أن يشترها ، ثم وثب فجأة وبلا مناسبة
إلى السؤال عن الفتاة التي جاء وراءها ، ولم يتمفر
على الخادم أن يعرفها لأن سالماً وصفها وصفاً دقيقاً
وإن كان لم يخل من المبالغة ، ثم لأنها كانت آخر
من دخل قبله ، فأراه إلاقول الخادم : « آه الرئيسة
خديجة ؟ » فدهش سالم وسأله : « عمن تتكلم ؟ »
قال الخادم : « عن الرئيسة خديجة ؟ » فسأله سالم :
« مالها ؟ » فقال الخادم : « ألم تكن تسأل عنها ؟ »
فقال باستغراب : « هل سألتك عنها ؟ » قال :
« آه ! هذه هي خارجة » وكان هذا صحيحاً ، فهم
بأن يتبعها ، ولكنه أحجم فقد صار حسبه أن
الخادم يعرف من هي ، ثم سأله : « هل قلت الرئيسة ؟ »
الرئيسة أين ؟ قال : « في مستشفى الدكتور »
فسأله : « هل للدكتور مستشفى خصوصي ؟ » قال
الخادم : « طبيباً أحسن مستشفى » فسأله : « ماذا
يعالجون فيه ؟ » قال : « كل الأمراض » وهم بأن

مظاهير بأن يتأمل اللوحات الكثيرة وقال : « أظن
أن عيادة الدكتور جميل هنا ؟ » وأشار إلى اللوحة التي
تحمل هذا الاسم . فابتسمت وسرها أنه يتكلم
البحث عن اسم طبيب ليخلق موضوعاً للكلام ،
وخيل إليها أنه ليس بسكران كما توهمته ؛ واعترفت
أنه وسيم مليح القصات فقالت : « ربما .. من
يدري ؟ » فقال : « إذا لم يكن .. أى هؤلاء
أحسن ؟ هل لك أن تشيرى على ؟ » ولم يكن يريد
أن يقول ذلك ولكنه قاله بلا تفكير ، فلم يسمها
إلا أن تصحك ثم قالت : « هل أنت واثق أنك تريد
أن تدخل عيادة طبيب ؟ » فقال : « بالطبع . إلى
مرضى جداً .. لا أدري كيف عشت إلى الآن ..
كيف أمكن أن أعيش » وأحس وهو يقول ذلك
أنه ليس خير ما يقال لفتاة جميلة يرجو أن يستميلها
إليه . وما ذا تمنع فتاة عمتشقي متحرك ؟ ولكن
السيف سبق المدلل . وسمها تقول — كأنما كانت
تقرأ خواطره — « مسكين ! ألا يحسن أن تذهب
إلى مستشفى ؟ » فقال بسرعة ، فما كان يعنيه إلا
الكلام والسلام : « والله فكرة ... هل تعرفين
مستشفى ؟ » ولم ينتظر جوابها بل اندفع يقول :
« اسمي . من أنت ؟ . من عسى تكونين بغض
ال نظر عن كونك أجل فتاة على ظهر الكرة
الأرضية ؟ » فخلقت في وجهه ، وقد أدعشتها
جرائته ، ولكن لهجة الجذ والاخلاص لم تفنها ،
ومنتها أن تنضب ، وأقنتها أنه يقول ما يعتقد
فابتسمت واكتفت بأن تقول : « اسمع لي ... »
ودخلت المارة وتركته واقفاً ، فتردد وعاوده الحياء
القديم الذي أفسد عليه حياته ، فقد كان ذهابها ،
هكذا فجأة ، صدمة كانت تضيق تشجيع الإبتسامة
التي أجزته وراءها ، ولكن بقية من الكؤوس

فقال الدكتور : « بالطبع المستشفى أحسن وأضمن ، ولكن المسألة متعلقة بك »
فكاد سالم يرقص من الفرح وقال : « جيل أستطيع أن أدخل الليلة ؟ »

فسأله الدكتور بدعشة : « الليلة ؟ ولم هذه المجلة ؟ »

فقال سالم : « خير البر عاجله ... شيء لا بد منه لسأذا تؤخره ؟ إ أكره التلكؤ-والبلادة والتردد ... نعم الليلة »

قال الدكتور وهو يتأمل : « حسن ، سأرى . إنك أغرب مريض رأيته ... لا يبدو عليك أقل إدراك لخطورة حالتك »
قال : « بالعكس ... أنا واثق أنها خطيرة جداً وأنها ستكون أخطر إذا بقيت خارج المستشفى دقيقة واحدة »

قال الدكتور : « كما تحب »
وتناول التليفون

كانت مصحبة الدكتور جميل بك في حي هادي محيط به البساتين ، وكان النظام فيها دقيقاً والنظافة شديدة بالرضى ، وكان فيها درجتان اثنتان ليس الا ، فليس للفقير فيها محل ، ولا يحتاج ان يقول ان سالما آثر أن ينزل في الدرجة الأولى ، لا حباً في الواجهة أو الفخفخة ، وان كان ماله كثيراً ، بل لأنه أراد أن يكون أقرب الى الريسة خديجة وأدنى وسيلة إليها . وكان رأى الدكتور جميل فيه قد سبقه الى المصحبة ، فلم كل من فيها أن مريضاً مدنفاً قد يصبح هامة يوم من الأيام في شهر من الشهور المقبلة قادم ليقم في المصحبة ويراقب ويعالج ما أمكن العلاج ،

يسردها ، ولكن سالماً قطع عليه الكلام بأن دس في يده عشرة قروش أخرى وقال - أوصاح - « هذا أحسن طبيب وأنا أسعد الناس » فقال الخادم : « الله يشفيك يا بك ! »

وجاء دور سالم فدخل على الدكتور جميل ، وكان طويلاً مديد القامة ، وشاباً ولكنه يؤثر أن يترك عثونه ليزيد وقع علمه وفعل طبه بوقار الشيخوخة المستعار

وسأله الدكتور : « مالك ؟ »

فابتسم سالم وفرك كفيه ، وراح يصف الأمراض التي يسمع بها ولا يعرفها ، ويزعم أنه مصاب بها جميعاً وفي وقت مما . وكان الدكتور يصفي إلى وصف حالته وآلامه فيقطب ، ثم يزداد تقطيباً ، حتى صار جبينه كالخصير ، ولما فرغ سالم من الوصف نهض الدكتور وزام وهو يتمشى وقال « ارقد هنا »

ولخصه بمنابة وجمل وهو ينقر على بطنه ويتحسس أمعاءه ويضغط هنا وهناك يزوم ويهز رأسه أسفاً ، وسالم يرى ذلك فيخفق قلبه طرباً ، ثم قال الدكتور : « البس ثيابك ... واسمع ... » فأقبل عليه سالم بوجهه وقال : « نعم نعم ؟ » فقال الدكتور : « إني أسف ... مرضك صعب ويحتاج إلى عناية شديدة ووقت طويل ... والنتيجة (وهو كتفيه) لا أدري ... قد تشفى أو لا تشفى ... »

فسر سالم جداً وقال بهلغة : « ألا ترى يادكتور أنه يحسن أن أدخل المستشفى لينظم العلاج ويؤمن الخلط ؟ »

فقال لها : « إسمي ... متى تكون الريسة خديجة هنا ؟ »

قالت : « غدا صباحا ... لماذا ؟ . هل تعرفها ؟ »
قال : « لن أعرف أحدا إذا لم أعرفها ...
أخبرها أنني أريد أن أكلها قبل أن تغير ثيابها ...
مفهوم ؟ »

حدثت الريسة نفسها أن مريضا مثله مشغيا
على التلف جدير بأن يجاب إلى رجاء كهذا لا ضير
منه ، وفي هذه اللحظة جاء من يدعو إلى التلفيون
فذهب وتناول الساعة وقال :

« إسمع يا دكتور من فضلك ... إنى لا أحب
أن أرى حولى ناسا وجوههم بيضاء ... السمرة
هى اللون الذى أحبه ولا أطيق سواه ، فإذا لم يكن
عندك ممرضة أو ... أو ... أو ... ريسة سمراء
فانى أخرج الآن ... لا يمكن أن أبقي ... لا فائدة
من أى علاج ... »

فقال الدكتور : « أوه لا تخف ... اطمئن ...
سنجد لك ممرضة سمراء ... أنهن كثيرات »

فصاح فى التلفيون : « لا لا لا لا . ليست كل
سمراء صالحة ... سمراء واحدة هى التى يمكن أن
أطمئن إليها وأرضى أن أضع نفسى بين يديها »
فسأله الدكتور : « من هى ؟ »

قال : « لا أدري . . لقد رأيتها فى منامى . .
وأحلامى كلها صادقة . . لا يكذب واحد منها . .
ومتى رأيتها عرقها . . فإذا لم تكن هى التى بدت
لى فى حلمى ، فلن أبقي دقيقة واحدة هنا . . وهذا
شرط لا سبيل إلى النزول عنه »

قال الدكتور ملاحظا : « سنرى غدا . . اتق
من شئت ممن عندنا من السمراوات »

فلما رأوه يدب على الأرض وهو داخل كائما هو
ذاهب إلى مرقص ، وبصفر وهو يعنى ، ويدبر
المصابين أسابيه ، دهشوا وهتوا وخيل إليهم
أن فى الأمر خطأ أو أن هن الأزعم أنه هو المريض
وجاء بدلا منه . وفركوا عيونهم التى لم يصدروها
وأحاطوا به - رجالا ونساء - وراحوا يصمدون
عيونهم إلى وجهه ويصورونها إلى قدميه ، ثم ينظر
بعضهم إلى بعض مستغربا وأقواهم مفتوحه من فرط
الدهشة ... أهدأ هو المريض الذى يخشى على حياته
من الفساد الذى فى مسدنه وأمعائه ؟ ... الفساد
الذى لا يكاد يكون له علاج ؟ ... أهدأ هو الذى
يدبر عينه فهم كائما يفقد شيئا لا يراه ولا يدري
أين يلتصه ؟ ... لو كانت المظاهر تصدق لكان
هذا خليقا أن يكون ملاكا ! فالحق أن الدكتور
جميل بك آية من آيات الله ! ... كيف عرف ياترى
داهه الدفين الذى لا يتنى به مظهره الخداع ؟
وسألهم سالم ، وهم حافون به فى غرفته : « قولوا
لى ... هل أنتم كل من هنا ؟ »

قالوا : « نعم »
قال : « إذن هناك خطأ ... أين الريسة ؟ »
وكاد يقول : « خديجة » ولكنه آثر أن يكبح نفسه
فتقدمت إحدى الفتيات فنظر إليها معبسا
وقال : « أنت ؟ هل أنت الريسة ؟ » ثم خطر
له خاطر فأضاف : « الريسة الوحيدة ؟ »
قالت : « لا ... هذه ليلى ... »
قال : « آه ... بالطبع ... أين التلفيون ...
اطلبوا لى الدكتور حالا »

فظنوا أنه يمانى ألما باطنيا يشدد ويتجهد ليكتمه
فخرج ثلاثة أو أربعة منهم ، يمدون ، وبقيت الريسة

« اشرب هذا » قالت اليها وقال : « اسمي . هل هذا اللبن ضروري ؟ » قالت . « بالطبع . إنه غذائك الذي أشار به الدكتور » فقال : « لا بأس ! من يدك أنقبل أي شيء » ورد اليها الكوب فارغاً فهمت بالخروج فقال : « إلى أين ؟ » قالت : « سيجيء الدكتور بعد قليل فاستعد للقائه » ، فسألها : « وما الداعي لحضوره ؟ .. أأنت قد دخلت المصحة وانتهى الأمر ؟ » فضحكت وقالت : « سيميد فحسك »

وجاء الدكتور كما قالت — بعد قليل — وأعاد الفحص وأتبعه به ، وآلمه أيضاً ، ثم اعتدل بعد طول الانحناء عليه وقال : « خديجة . لا شيء إلا اللبن » ففزع سالم وقال : « ولكنني قلت إنني أمقته ؟ » فقال الدكتور وهو لا ينظر إليه : « لا شيء إلا اللبن » وخرج

فدنت منه وكان قد أغمض عينيه ، يائساً ، وراح يسأل نفسه : « كيف يمكن أن يمشي على اللبن وحده ؟ .. إن هذا سينتهي به إلى ما يتوهم الدكتور أنه مصاب به ولا شك » وأحس خديجة تلصص يده ففتح عينيه مسروراً فألفهاها تجسس تبضه وسمها تقول : « تبيان ؟ » قال : « ميت » قالت : « مسكين .. هل تحس ألماً ؟ » قال : « كلا . إنما أحس أن دماي تنفي في عروقي .. خلى يدك على يدي » قالت : « هذا من أعراض المرض .. تتري المرء نوبات من النشوة ... »

فقال : « اسمي ... أليس عندكم شيء من الويسكي »

فصاحت به : « إيه ؟ »

قال : « ويسكي ... جون هيج ... بالصودا » قالت : « إنك أعرب مريض رأيتك في

قال : « وتكون لي خاصة .. لا تمنى بأحد سوى . . . وأؤدى أنا نفقاتها . . . مفهوم ؟ » فقال الدكتور : « لا بأس . لا بأس . مسألة بسيطة . ولكن يجب ألا تقلق نفسك أو ترعبها بأمر كهذا . . . سنفعل كل ما يسعنا لنكفل لك الراحة ؛ والآن اذهب ونم » فنام مطمئناً . . .

وفي الصباح جاءت التي أدخلته المصحة ، ووقفت أمامه بتبسم له ، وعليها ثوب أبيض قصير الكمين ، فحدث نفسه بنعمة الله عليه ، وقالت له وهي تدير عينيه في الغرفة : « إن ثيابك لا تزال في الحقيبة » ومضت إليها لتخرجها وترصمها في الخزانة فقال : « أوه .. لا تنمى نفسك فاني أستطيع أن أرتبها » فقالت : « ولكن هذا واجبي . إنني أفعل ذلك لكل مريض أكون عنده أو أحضر دخوله » فصاحت بها : « إذن يجب أن تكفي عن هذا . مريض واحد هو الذي يجب أن تقصرى عنايتك عليه . هذا كان اتفاق مع الدكتور الذي قال إنه ليس في مصر كلها إلا فتاة واحدة يأتمنها على » فمرت الفتاة وقالت : « هل قال هذا حقيقة ؟ إذن سأولى أورك بالهنا ؟ » فقال : « بالهنا وبالليل » فنظرت إليه وانحنت على الحقيبة لتخرج منها الثياب وترصمها في الخزانة ، وقالت وهي تفعل ذلك : « إن ذوقك جميل . . . هذه النامات (البيجامات) بديمة » فصره هذا وحدث نفسه أن البداية طيبة وقالت : « والآن سأخرج وأجيب باللبن » فوجم وطال وجهه ، لسببين : أحدهما أنها خرجت فركد الجو حوله ، والثاني أنها ستجيبه باللبن وليس أبض إليه منه ؟ على أن غيابها لم يطال ، فقد رجعت بعد قليل وفي يدها كوب وقالت :

حياتي ؟ ألا تعلم أن هذا يقتلك ؟
 قال : « ألم يقل لك الدكتور إن ميت لا محالة ؟
 فإذا بهم ؟ سيان أن أموت بالويسكي أو بالبن ...
 بالويسكي أحسن ... وألذ أيضاً »
 قالت : « يحيل إلى أنك ضريف ! »
 قال : « سلى الدكتور ... صدقيه إذا كنت
 لا تصدقني »
 قالت : « لقد أسرني أن أدلك لك معدتك »
 قال : « بالطبع ... هذه هي ... إنه دكتور
 حكيم ... »

ولو أن غذاءه ظل مقصوراً على اللبن لمات كما
 قال لنفسه ، وهو يشرب الكوب الأول منه ،
 ولكن خادمه كان يجيئه — سرّاً — بما يشتهي
 فيأكله خلسة . فاتفق يوماً أن دخل عليه الخادم
 بفطير وكان قد غاب يومين فتصور سالم ، فلما رآه
 مقبلاً صاح به : « أين كنت كل هذا الدهر ؟
 إنى أموت جوعاً هنا » قال : « ياسيدي
 لا تؤاخذني ... لقد جئت يومين ولكنهم كانوا
 يفتشونني ويأخذون ما ممي ... غير أني استطعت
 اليوم أن أغافلهم وقد خبأت هذه الفطيرة ... »
 فتناولها سالم بسرعة ومال عليها بفمه ففلاّه بقضمة
 كبيرة منها ، وأراد أن يقول له اغلق الباب ، ولكن
 فيه كان محشواً فمجزواً كفتي بالإشارة إليه ، وعرف
 الخادم المراد فوقف وراء الباب وأسند ظهره إليه
 لأنه لم يجد مفتاحاً . وأقبل سالم على الفطيرة يلتمسها
 بأسرع مما كان يتوهم أن في قدرته أن يصنع ،
 ولم يكده يفرغ حتى سمع نقرّاً خفيفاً جعل يقوى .
 لقد كان يشير للخادم ألا يفتح زجماً يسمح فيه
 ويعني على آثار الفطير . ثم دخلت خديجة وقالت :

« ما معنى هذا ؟ . هل كنت تصنع شيئاً مخالفاً
 للأوامر ؟ » فقال بابتسام — فقد ارتاح لما أكل
 وأحس بالامتلاء — « وماذا أستطيع أن أصنع
 هنا غير ما ينبغي ؟ » فقالت : « إنه يبدو عليك
 أنك خالفت الأوامر » قال : « أبداً . كل ما حدث
 أن حسن هذا جاءني بخبر سار جداً ... فأنا لهذا
 منشرح الصدر ... اسمع يا حسن ... هات لي كل
 يوم خبراً ساراً ... إن خير علاج هو الأخبار
 السارة ... أليس كذلك ؟ »

فأحست خديجة أنها غلبت فسكنت وأقيت
 على السرير ترتبه وقالت وهي تفعل ذلك : إن الدكتور
 آت . ولم تكده تفرغ حتى دخل وأوسمه جسماً وضغطاً
 وتنقيراً حتى كاد يجن ، وقال وهو يفعل ذلك : إنه
 يظن أن في المعدة شيئاً غريباً ، فأدرك سالم أنها
 الفطيرة وكاد يضحك لولا ما هو فيه من الهم . ثم
 قال الدكتور : « لقد رأيت إبدال اللبن بعصير
 البرتقال ليس إلا ... واست أرى داعياً لاجراء
 عملية ... وسأرى ما يكون ... »

وظل ثلاثة أيام يشرب عصير البرتقال ولا يصل
 إلى شيء سواه ، لأن الخادم حجز عن تهريب أي
 شيء ، فضعف وقلت حركته وبدأ عليه الهزال ،
 وساء خلقه أيضاً ، مع غير خديجة بالطبع ، كما
 لا يحتاج أن يقول . وكانت أخبار شراسته مع
 الممرضات وغيرهن تبلغ الدكتور جبيل ، فزاد
 اقتناعاً . بأن هذه الحالة العصبية التي تدرى بالاعتداء
 باللفظ أو اليد مما يؤيد صحة التشخيص ويستوجب
 زيادة العناية والتدقيق . وكان المزاج الوحيد الذي
 يساعد سالماً على الاحتمال والصبر ، هو وجود
 خديجة إلى جانبه أكثر الوقت وقد استطاع بالصف
 مع سواها ، وبالل التي يبذلها للصحة وأن فيها

سالم لم يكن سلوك مريض مدنف مشف على الهلاك وسرها في قرارة نفسها أنه تخاض من فرط حبه لها وأنه إنمأ أراد أن يكون قريباً منها ، واشتريت أن تسمع هذا منه هو ، لا من عمه فقط

ولم يخيب سالم أمهلاً فقال : « صحيح وسأمن عليك القصة . . . شاب خجول لا يستطيع أن يكلم فتاة ، فإذا حاول أن يكلمها وقف لسانه في حلقه ، وماله كثير ولكن ما خير المال وحده ؟ فاتفق يوماً أنه شرب كأسات من الويسكي صرغاً ، ورأى بعد ذلك أجمل فتاة في الدنيا ، ونظرت إليه الفتاة فابتسمت ، وكانت هي الوحيدة التي رأت وجهه وابتسمت ، فخرى وراءها ، ولم يكن مريضاً ولكنه اضطر أن يخترع لنفسه مرضاً يسوغ به اقتحامه عيادة طبيب ، فاخترع واخترع حتى طار عقل الطبيب المسكين ، وقد أحب هذه الفتاة حب عبادة ، وفي سبيلها صبر على الابن الصرف واحتمل عصير البرتقال ... يا لها من تضحية ! ! وهو يحيا وحده ، بلا أنيس أو إلف ... وبيته موحش ، فقل تظنين أن الفتاة يمكن أن ترضى بهذا المجنون زوجاً لها ؟ »

وكان الم ينظر إليها ممججاً ، وابتسم لها مشجماً ، فقالت وقد وقع من نفسها أن سالماً عرض نفسه لللاك من أجلها « ولكني لست سوى ممرضة ... لست كفؤاً لك »

فقال وهو يضع ذراعه على خصرها : « ستظنين ممرضة ... فقد أصابني في طفولتي أ ... أ ... » فضحك وتنهضت عن السرير وقالت : كفى اختراعاً ...

وخرج الثلاثة ، بعد قليل ، معاً ...

أبراهيم هبة القادر المازني

أن يحتكرها لنفسه ، وأمانه على ذلك أن الدكتور جيل يعطى عليه ويرثى له ، ولكن الخادم قلن وأشفق على سيده ، وكان قد ربه وحمله صغيراً وظل معه بعد وفاة أبويه ، فلم يسمه إلا أن يفضي بوساوسه وهو أجسه إلى عمه - عمر سالم - وإن كان سيده قد أمره ألا يخبر أحداً أنه دخل مصحة . فجاء الم وزار ابن أخيه ، وألح عليه أن يفضي إليه بالحقيقة وأن يطمئن قلبه ، فقال له سالم إنه بخير ، ولا خوف عليه ، وأن كل ما في الأمر أنه « مريض جداً » ! ! فضحك الم ، وكان ظريفاً كيساً ؛ وقال لابن أخيه ، إذن قم والبس ثيابك واتفق أن خديجة كانت في ذلك الوقت تهم بالدخول ، فلما رأت هذا الزائر وقفت ونظرت منه إلى مريضها ، وحدث فيها الم والتفت إلى ابن أخيه وسأله :

« أمي هذه ؟ »

فوز سالم رأسه أن نعم

فقال الم : « إنك ممذور ... »

وكانت خديجة تسمع هذا الحوار وتتمجب ، ولا تفهم شيئاً ، فأشار إليها سالم أن تدنو وأن تجلس على السرير ، فترددت ، فألح ، فأطاعت ، فقال لها :

« هذا عمي . إنه كاترين ، لا يخيف ... وهو

يدعوني إلى الخروج من هنا ، والموذ إلى البيت ، وأنا أصر على البقاء ، لأن حياتي هنا أملاً وأمتع .. إلا إذا قبلت أن تذهبي معي إلى البيت »

فكانت : « ما ذا تقول ؟ لست فاهمة »

فقال الم : « يا ستي هذا مريض خريف .. متأرض من أجلك »

فنظرت إليهما كالذهولة ، وتذكرت أن سلوك



ذهشة شديدة : « ولكن أين نحن الآن ؟ وهل
كان ما رأينا هنا حلماً ؟ »

ولس كل منهما الآخر ليستوثق هل هو في
حلم أو يقظة . وكان أمامهما المحيط ، ووراءهما متسع
قليل من الأرض خلفه المحيط أيضاً ، فبكيا لأول
مرة بعد أن ألتى ديوانهما

ونظر كلاهما إلى الآخر فرآه لا يرتدى غير
قميص النوم ، وقد علق في جيبه صفيحة عليها
رقم . وقال أحدهما : « الآن موعد تناول القهوة ؟
ولكن من لنا بها الآن ؟ » ثم عاد إلى البكاء وقال :
« ما الذى نفعله يا صاحب السعادة ؟ إننا لو كتبنا
تقريراً فكيف نبحث به ؟ »

فأجاب الموظف الآخر : « سأخبرك بالذى
يجب أن نفعله يا صاحب السعادة : أنا أذهب شرقاً
وأنت تذهب غرباً ، ثم نمود إلى الاجتماع هنا ،
وإذا اهتدى أحدهما إلى رأى تشاورنا فيه »
وهنا اختلفا في تعرف الشرق والغرب وتذكرا
قول رئيس الديوان :

« إذا أردت أن تعرف الشرق فاجعل الشمال
أمامك ، فالذى على يمينك عند ذلك هو الشرق » ،
ولكنهما لمأرادا أن يعرفا أين هو الشمال اتجها
نحو كل الجهات دون أن يهتديا إليه . ولأنهما
قضيا كل حياتهما في دار المحفوظات ، فقد ذهب
بمجهودهما هذا عبثاً

كانا في وقت ما يشغلان منصبين من مناصب
الحكومة

وكان كلاهما فارغ الرأس . ومن أجل ذلك
وعلى غرة منهما وجدا نفسيهما « يشحنان » إلى
جزيرة غير مأهولة كأنما ينقلهما إليها بساط ساليان
وكانا قد قضيا عمرهما في ديوان حكوى نشأ
فيه وترىا وشابا ؛ وكانا قد ولدا به أيضاً . وهما
من أجل ذلك لا يعرفان أى شيء لا يتصل بأعمالهما .
وكل الذى يعرفانه ينحصر في الصيغ الديوانية
اللاذوقة التى تنتهى بهذه الجملة : « وتفضلوا بقبول
احترامى »

لكن هذا الديوان ألتى وأتالتهما الحكومة
فهاجرا ، بعد إذ أطلق سراحهما ، إلى شارع
بوديشسكايا في بطرسبورج . وكان لسكل منهما فيه
منزله وطايبه ومماشه

ولما استيقظا من النوم في الجزيرة التى
« شحننا » إليها ، وجدا نفسيهما نائمين تحت لحاف
واحد . ولم يفهما بالطبع في البداية ماذا أصابهما ؛
فأخذتا يتكلمان كما لو كان الأمر بينهما يجرى على عادته
قال أحدهما : « ما أغرب الحلم الذى رأيته ليلة
الأمس يا صاحب السعادة ! لقد رأيت في الحلم أنى
نقلت إلى جزيرة غير مأهولة »

لكنه ما كاد ينطق بهذه الكلمات حتى وثب
من مكانه ووثب الموظف الآخر أيضاً ، وقال في

سمك وسماني وأرانب وفاكهة وأن ليس في مقدورها الحصول على شيء منها

قال أحد الموظفين : لا أعرف كيف نعيش هنا ؟
إننا حتى لو استطينا الحصول على طائر فكيف نذبحه
وننظفه ونطبخه ؟ كيف يحدث كل ذلك ؟

فأجابه الآخر : « إنني في الحق لا أفهم كيف
يحدث كل ذلك »

ثم حادوا إلى الصمت وحاولوا أن يناما ، ولكن
قبل أن تنمض عيونهما سر سرب من السباتي
فتخلياه وهو مقل على الأطباق . وقال أحد
الموظفين : « لقد همت من شدة الجوع أن آكل
هذا » فأجابه الآخر : « إنني سأمتص جوري »
ونظر كل منهما إلى الآخر نظرة شركاء نفسه
تحده بأن يأكل صاحبه ؟ ثم صرخ كل منهما صرخة
جنونية كأشها عواء الذئب . وقال الموظف الذي
اشتغل مرة بالتدريس : « أظننا لن ننتظر حتى
يحاول أحدهما أن يأكل الآخر » فأجابه : « وكيف
نقل ؟ إننا بلا ريب سنلاقي الموت ؟ فمارأيك
يا صاحب السعادة ؟ »

قال : « يجب أن تقطع الوقت بالمحادثة ، وإلا
فان واحدا منا سيأكل الآخر لا محالة » فأجابه
الموظف الآخر : « ولكن ماذا نقول ؟ إبتدى أنت »
قال الموظف الذي كان مدرسا : « قل لي لماذا
تشرق الشمس أولا ثم تغرب ؟ ولماذا لا يكون
العكس ؟ » فأجابه الآخر : « هذا سؤال مضحك
يا صاحب السعادة . إن الشمس تشرق لكي نستيقظ
ويذهب كل منا إلى الديوان ، ثم تغرب لكي ننام »
قال : « ولكن لماذا لا نفترض العكس فنذهب
عند شروق الشمس إلى الفراش فننام ونحلم ، وعندما
تغرب الشمس ... » فقاطعه الآخر قائلا : « إن

وقال أحدهما : « أرى يا صاحب السعادة أن
يذهب أحدهما إلى اليسار والآخر إلى اليمين »

وكان هذا الموظف قد اشتغل فضلا عن عمله
في دار المحفوظات بتدريس علم الخط وقتما ما ، فهو
لذلك أذكي قليلا من صاحبه

وكان كما اقترح . أما الموظف الذي ذهب إلى
اليمين فوجد أشجارا تحمل كل أنواع الفاكهة ؟
وكان بوده لو يستطيع تناول فاكهة ، ولكن الثمر
كان شديد الملو فلا يستطيع الحصول عليه إلا إذا
تسلق الشجر . وقد حاول أن يتسلق إحداها ،
ولكن ذهبت محاولته سدى . وكل الذي نجح
فيه أنه مرق قبيص نومه

وألقى نظرة على الماء فراه ممتلئا بالسمك ، فتمنى
لو أن كل ما فيه من السمك معروض للبيع بشارع
بود شسكاي . ولما مر هذا الحاطر بذهنه جرى
لما به . ومضى في الغابة فرأى كل أنواع الطيور
والأرانب والغزلان فقال :

« يارب ما أكثر رزقك وما أقل قدرتنا على
الحصول عليه ! »

واشتدت عليه وطأة الجوع . وعاد إلى المكان
الذي اتفق مع صاحبه على لقائه فيه فوجده في انتظاره
قال : « ما ذا وجدت يا صاحب السعادة ؟ »
فأجابه صاحبه : « لم أجد غير عدد قديم من جريدة
الوقائع الرسمية » . فأخذ يحده عما وجده هو .
وجلس الموظفان ، ثم حاول كل منهما أن ينام
ولكن خلو معدتيهما من الطعام سبب لها أرقا
شديدا . وكان من أسباب الأرق أيضا تفكيرهما
في الماش الرتب لسكن منهما ، وفيمن يتقاضاه
عنهما الآن فيتمتع به دونهما . وكان من أسباب
الأرق فضلا عن ذلك تفكيرهما فيما بالجزيرة من

السعادة ؟ وأى صنف من الخدم نجده هنا ؟
 فقال : « خادم بسيط كسائر الخدم يستطيع أن
 يمد لنا الطعام وأن يصيد السباقي والسماك ويطبخهما »
 قال : « هذا حسن ولكن كيف نجده ؟ »
 فقال : « لماذا ؟ إن الخدم موجودون في كل مكان .
 إننا نقوم فنبحث حتى نجد واحداً منهم . ولا بد
 أن يكون هنا خادم على الأقل »

اطمان الموظفان إلى هذه الفكرة . وقام كل
 منهما ليجث عن خادم . وطالت مدة بحثهما ،
 ولكنها لم تذهب سدى ، فقد وجدا في النهاية
 رجلاً أسود اللحية على جسمه ثوب من جلد الماعز
 وهو قائم تحت شجرة ؛ فلكزه صاحب السعادة
 وصاح : « كيف تنام هنا ونحن موظفان نكاد
 نموت من الجوع . قم ! »

فنهض الخادم ونظر إلى الموظفين وكان أول
 ما هم به أن يفر ، ولكنها أمسكا بتلابيه فاستسلم
 المسكين للقدر القدر عليه ، وصعد بالأمر وتسلق
 شجرة تفاح فجمع للسيد الجديدين خير ما فيها .
 وقطف تفاحة توشك على الفساد ، فجعلها لنفسه .
 ثم نزل عن الشجرة ، فجمع مقداراً من البطاطس
 وأوقد النار بفسرة حجرين في وسط هشم وطيخ
 البطاطس ؛ وفي أثناء ذلك صاد أرنباً فأضافه إلى
 الطعام . وصاد كذلك زوجاً من السباقي ؛ فأدرك
 الموظفان مقدار ما لقياه من السعادة يقرب هذا
 الخادم . ونسيا أنهما كادا يموتان من الجوع منذ قليل .
 وقال كل منهما للآخر : « ما أسمى حياة الموظف ! »
 وقال لهما الخادم : « هل أنتم مسروران ؟ »

فقالا : « نعم ونحن نقدر خدماتك »
 قال : « فهل تسمحان لي الآن بأن أسترخ ؟
 فقالا : « نعم على شرط أن تأتي لنا بجمل أولاً » فذهب
 وجمع ألباقاً طويلة ولم يزل يفتلها حتى صنع منها جبلاً

هذا القول لا يستقيم مع التفكير ، لأن شروق الشمس
 يجعل الإنسان على الاستعداد للذهاب ، كما أن غروبها
 يجعل الإنسان على طلب المشاء »

وقد أفسدت كلمة المشاء المحادثة لأنها حاجت
 جنون الموظفين الجائعين ، فقال أحدهما : « إن أحد
 الأطباء قال لي إن الإنسان يستطيع أن يعيش مدة ما عا في
 جسمه من سواكل . فقال الآخر : « لأفهم ماذا تعنيه »
 قال : « هذا يعني أن في الجسم أنواعاً مختلفة
 من السواكل ، وأن بعضها يتحول إلى بعض حتى
 تصير إلى الخلاصة الغذائية » فقال الآخر : « وماذا
 يحدث بعد هذا ؟ »

قال : « يحتاج الإنسان في النهاية إلى طعام جديد
 ليتحول إلى الأنواع المختلفة من تلك السواكل » فقال :
 « إذن فالمجرة كلها بالطعام ! لعنة الله على الطعام ! »
 وأدرك الموظفان أن هذا النوع من الحديث
 لا يؤدي إلى الفرض الذي يقصدان إليه ، بل هو
 يزيد من شهوتهما فقررا أن يتركا الحديث ؛ فلما طال
 بهما الصمت تذكر أحدهما الواقعة الرسمية فتناولها
 ليقراً فيها لصاحبه . ولكن انتهت الفقرة الأولى
 — وهي خبر ولية رسمية — إلى ذكر أنواع الطعام ،
 فأخذ الآخر منه الجريدة ليقراً خبراً آخر . وأخذ
 يقرأ ، ولكن الخبر — وهو استكشاف جديد — قد
 انتهى بإقامة حفلة تكريم ، وتناول أيضاً ذكر الطعام
 ودفع بالجريدة إلى صاحبه فقرأ فيها فقرة
 لا تتعلق بدايتها بالطعام ، ولكنها انتهت إلى ذكره
 أيضاً . فأطرق كلا الرجلين وتساءل تآؤباً مؤلماً

ثم برقت هينا صاحب السعادة إذ خطر بباله
 خاطر صميد . ووقف فجأة ليعان استكشافه وصاح :
 « ماذا تقول ؟ لقد عرفت السبيل إلى النجاة ، فإذا
 تقول إذا أنينا بخادم ؟ »
 فصاح الآخر : « وكيف تأتي بخادم يا صاحب

المزول المجاور للديوان القى كانه
ولم يكن من السطوع طمعا أن يطلب هذان
الموظفان الى الخادم شيئا فيتردد ضنا منه بلذتهما
وسرورهما ، ففكر في الوسيلة المؤدية الى عودتهما ،
وصنع لها من اشجار القانة سفينة لم تكن كسائر
السفن ، ولكنها مجرد أخشاب مربوطة بعضها الى
بعض ، وصنع لنفسه مجدافين ليتولى بمفرده
تسيير السفينة

وأبدت الرحلة ، فسكانا يملئانه ويلقبانه بأقيح
الألقاب كلها ظنا أن حياة اثنين من الموظفين
ستعرض للخطر في سفينة هذا الخادم
وكان يقول : « لا تخافا يا صاحبي السعادة فاني
وسائر الخدم متعددون تسيير هذا النوع من السفن
كلما أردنا الفرار من خدمة السادة

وكان البليدان لا يسملان شيئا في السفينة ، فمض
الخادم مع انفراده بالتجديف يهيء لها الطعام مما
يصيده من السمك ويشويه حتى بلغت السفينة الهر
وما كان أسدهما عندما انتقلت السفينة من
بحر البلطيق الى نهر النيفا . ودخلت السفينة قناة
كترينا وهما لا يزالان بها ، ولم يخطر ببالهما أن يقطعا
بقية المسافة مشيا على الأقدام . وفي النهاية وصل الى
العاصمة ، فاستمر الخادم يحدف حتى وصل الى شارع
بوديشسكايا

كانت سمادتهما سادة بالثة عندما زلا من
السفينة فجلسا على أقرب مقهى من الشاطئ . يشربان
القهوة . وفي اليوم التالي لبسا الثوب الرسمي وذهبا
لقبض للتجمد من الماش . ولست أستطيع الاخبار
عن مقدار هذا الماش ولكنهما لم ينسيا الخادم ،
فقد أهديا إليه زجاجة من الويسكي وخمسة
قروش صحيحة

تتمتع يا خادم ! عبد اللطيف البشار

طويلا متينا فسلمه اليهما واستأذن في السماح له بالراحة
فقيدها بلجبل وأذناه بأن ينام في ظل الشجرة المجاورة
وزاد حذق الخادم في تهية الطعام فزاد
الموظفان بدانة وصحة . وقال أحدهما للآخر وهما
يتناولان طعام الافطار : « ما رأيك يا صاحب
السعادة ؟ هل تمتد أنت قصة برج بابل قصة
رخزية أم قصة واقعية ؟ »

فقال : « إنها بلا شك قصة واقعية ، والدليل على
ذلك كثرة ما في العالم من اللغات . وإلا فكيف
نشأ اللغات لولا تبليبل الألسن ؟ »

قال الآخر : « وهل تمتد أن قصة الطوفان
صحيحة ؟ » فقال صاحب السعادة : « نعم بشر شك .
ودليلها وجود أنواع كثيرة من الحيوان » وتناول
عدد الوقائع الرسمية . فأخذ يقرأ للمرة الماشرة من
أوله إلى النهاية

لكن السأم دب الى نفسيهما ، فقد كانا يذكران
ثيابهما الرسمية ومعاشهما وطاهيهما في بطرسبورج
فتدرف عيونهما الدمع

وقال أحدهما : لأعرف كيف شارع بوديشسكايا
الآن يا صاحب السعادة » فقال : لا تذكرني به فقد
كاد يقتلني الحنين إلى الوطن »

قال الآخر : « إن الحياة هنا لذيذة لا عيب
فيها ، ولكن الحل يتوق الى شئ أمه ، ونحن
نتوق الى رؤية بلدنا والى ارتداء ثيابنا الرسمية في
يوم قبض الماشات على الأقل

قال صاحب السعادة : « إن الملابس الرسمية حتى ولو
كانت من الدرجة الرابعة تسر الانسان وتنسيه متاعبه
واستدعى الموظفان الخادم ليشير عليهما برأى
لسكى يعودا الى شارع بوديشسكايا ، وقد كان من
حسن الحظ أن هذا الخادم القى يعرف كل شئ
قد عرف هذا الشارع أيضا ، وكان أيضا خادما في



جزاء الاجتهاد

للكاتب الانجليزى ريتشارد جارت
بقلم الاستاذ عبد الحميد حمدى

ولكن أباهما كان أكثر تنبهاً الى حديثهما .
قال لهما يوماً :

— أخشى يا ولدى أن تكونا — فى دراستكما
وتقديراتكما المختلفة — قد نظرتما الى قوانين بلادكما
والأ لآدركتما أن الانسان لا يصيب الثروة التى
يصبو إليها بالوسائل التى صورتموها لنفسيكما
فسأل الفتيان أباهما :

— ما معنى ذلك يا أبانا ؟

فأجاب الشيخ :

— لقد قال آباؤنا بحق إن الاحترام الواجب
علينا لمعطاء الرجال الذين نمسخدم فى هياكلنا بما نحن
مدينون لهم به من وسائل الحياة ، هذا الاحترام
لا يمكن إلا أن يتأذى اذا حاول نسلهم أن يكسفوا
شمس عظمهم وصيتهم بمخترعاتهم الجديدة ، أو اذا
هم تجرأوا على أن يصلحوا ما يحسبونه غير صالح من
أعمالهم . وعلى ذلك قد حرم على الناس بأمر من
الامبراطور سوين أن يخترعوا شيئاً ، كما حرم عليهم
بأمر من الامبراطور ووشى أن يحسبوا شيئاً من
الاختراعات التى وجدت حتى الآن . ولقد فصل
سلفى : فى المركز التواضع الذى أشغله ، من عمله ،
لقوله أنه يرى من الأصلح أن تكون العملة مستديرة

فى الصين ، وفى حكم أسرة تانج^(١) ، فى مستهل
القرن السابع المسيحى ، عاش حاكم صينى عالم
ولكنه فقير . وكان للرجل ثلاثة أبناء : فورسى
وتورسن ووانج — لى ، وكان الأولان شابين نشيطى
العقل ، يجهدان نفسيهما دائماً فى البحث عن شىء
جديد مفيد . وكان وanj — لى ماهراً ولكن فى
الألعاب التى تتطلب الذكاء ، وقد تفوق فى هذه
الألعاب إلى مدى بعيد

وكان فورسى وتورسن دائمى التحدث أحدهما
الى الآخر فى الاختراعات المجدية التى سيخترعنها
حتى بلغا سن الرشد ، وفى الثروة والصيت البعيد
اللذين سينهما بهما إذ ذاك . ولم يكدهما حديثهما
يصل الى أذن وanj — لى الذى لا يرفع عينيه إلا
نادرآ عن رقعة الشطرنج التى يحل عليها مسائله

(*) ولد ريتشارد جارت سنة ١٨٣٥ وتوفى سنة
١٩٠٦ وشغل وظيفة أمين الكتب المخطوطة بالتنصيف
البريطانى من سنة ١٨٨٩ إلى سنة ١٨٩٩ واشتغل فى
سامات فراغه بوضع كتابه « عشق الآلهة » الذى نقلت عنه
هذه القصة

(١) أسست أسرة تانج العظيمة سنة ٦١٨ ومؤسسها
هو لى بوون الذى اتخذ لنفسه اسم كاو — تاو ، وفى عهد
هذه الأسرة انتشر نفوذ الصين وشهدت فترة نجاح استمرت
أكثر من ثلاثة قوام

فكان الجواب على سؤاله :

— إن الملك العظيم قد مات ، وقد فصل رأسه
عن جسمه فصلاً تاماً ، ولم يبق في فارس ملك
لا عظيم ولا صغير
فسأل الفتى :

— وأين أستطيع أن أجد ملكاً عظيماً آخر ؟
فأجابوه :

— في مدينة الاسكندرية حيث أمير المؤمنين
مجد في نشر دينه

فقصده فورس إلى الاسكندرية حاملاً قوالبه
وحروفه

ولم يكذب بجناز أبواب المدينة حتى رأى سحابة
هائلة من الدخان تكاد تحجب المدينة كلها عن
الأنظار . وقيل أن يتمكن من السؤال عن سبب
هذا الدخان أقبل عليه الحرس فقادوه إلى حضرة
الخليفة عمر ^(١)

(١) لعل الكاتب قد اختلط عليه الأمر من تشابه اسم
عمر باسم عمرو ، فالخليفة عمر بن الخطاب لم يحضر إلى مصر
والذي ضحى هو القائد عمرو بن العاص ، وقد نسب المؤلف
بسد ذلك إلى عمر الأمر بحرق مكتبة الاسكندرية معتمداً
في ذلك على رواية مكتوبة عندها المؤرخون للدقون ومن
بينهم بعض المستشرقين
على أنه مما يؤسف له أن بعض كتب التاريخ التي تدرس
الآن في المدارس الثانوية تسجل على عمرو بن العاص هذه
الرواية الكاذبة دون إشارة إلى كذبها ، وهذه الكتب
قد اشترك في تأليفها بعض كبار الأساتذة المصريين ؟ فإذا
جاز لنا أن ننسب الضرر لمؤلف هذه القصة التي قد يكون
الخيال والتمني القصصى فوصول إلى المفزى الذي يقصد إليه
ما اللذان حملاه على الأخذ بهذه الرواية المسكونة ، كما حملاه
على اختراع المباريات التي نسبها بعد ذلك إلى عمر ، فأى عذر
تتلمسه للأستاذ المصري الذي ثبت مثل هذه الرواية المكذوبة
ضارباً صفحاً عن الروايات الصادقة التي أثبتتها المحققون . من
المؤرخين وقدنوا بها هذه القصة التي دست على تاريخ عمر
ابن الخطاب وقائده عمرو بن العاص ؟

بدل أن تكون مربعة ، كما هي الآن ، وأنا شخصياً
قد تمررت لفقد حياتي لمحاولتي الجمع بين مبرد
صغير وزوج من ملاقط الشعر ، فقال التبيان :
— إذا كان هذا هو الشأن فليس وطننا بالبلد
الذي يصلح لأن نميش فيه

وطافق الولدان أباهما وترك البيت غير مودعين
أخاهما وأنج لي إذ كان منهما في حل مسألة من
مسائل الشطرنج . وقبل أن يفارق أحدهما الآخر
اتفقا على أن يمودا إلى الاجتماع في هذه النقطة
نفسها بعد ثلاثين سنة مزودين بالثروة التي لم يكونا
ليشكا في أنهما سيحصلانها باستغلال مواهبهما
الاختراعية في البلاد الأجنبية . وتماهدا فوق ذلك
أنه إذا خان الحظ أحدهما فلم يحصل على جزاء مجهوده
فان الآخر يشاظره ثروته

وقصد فورمين إلى مهرة الصناع الذين يقطعون
أحرف الكتابة من الخشب الصلب ، لاستعمالها
في طباعة الكتب ، حتى إذا وقف على أسرار
صناعتهم قصد إلى صانع السبائك النحاسية فدرس
عنده طريق صناعة أمهات الحروف من النحاس ؛
فلما انتهى من ذلك أيضاً قصد إلى عالم من أكثر
السياحة في أرجاء الدنيا المختلفة فتلقى عليه اللغات
اليونانية والفارسية والعربية . ثم صب عدداً من
الحروف اليونانية في قوالب من النحاس ، ووضعها
في كيس مزوداً بنفسه في الوقت نفسه بعدد من
الحروف الخشبية التي قطعها بنفسه ، وسافر باحثاً
عن الثروة . وبعد أن عانى الكثير من المتاعب
وتمرض للكثير من الأخطار . وصل إلى بلاد
فارس ، وسأل أهلها عن الملك العظيم

فقال فورسي :

— ليعلم الخليفة أن مواطني الصينيين قد جمعوا بين النقيضين ؛ فهم في وقت واحد أعقل أهل الأرض وأغباهم . فقد اخترعوا فن نشر العلم والمعرفة ، وهو الفن الذي لم يوفق قط الى معرفته عقلاء الهند واليونان ، ولكنهم لم يتعلموا بل وانهم ليأبون أن يتعلموا كيف يخطون الخطوة الواحدة الصغيرة الضرورية بعد ذلك لجعل هذا الاختراع صالحاً من الوجهة العامة لجميع أبناء العالم ثم قدم الفتي للخليفة ما يجعل من قوالب وحروف كاشفاً له عن السر كله في فن الطباعة

فقال عمر :

— يلوح لي أنك لا تعلم أننا بالأمس قد أمرنا بحرق جميع الكتب وإخفائها من فوق الأرض ، لأن ما تحويه لم يكن يخرج عن أحد أمرين : فهو إما مخالف لما جاء في القرآن فيكون في هذه الحال كفراً ، وإما أن يكون متفقاً مع ما جاء فيه فيكون في هذه الحال زائفاً على الحاجة وليس نعمة ما يذهب لبقائه . . . ويلوح لي فوق ذلك أنك غير عالم بأن الدخان الذي ينجم على المدينة إنما مصدره مكتبة الكفار التي أحرقت بأمرنا .

وعاد الرجل الى الصين في ببطء متحفظاً مختلف صنوف الآلام مستجدياً قوته على طول الطريق . ووصل الى المكان الذي اتفق هو وأخوه على الاجتماع فيه ، في اليوم الأخير من السنة الثلاثين من مفادته إليها . فلم يجد أثراً لبيت أبيه التواضع ، ولكنه وجد مكانه قصراً شاهقاً ، محيط به الحدائق والمرائش وتكتنفه أشجار الصفصاف وقنوات الماء

تقطعها الجسور وتحوم حولها الطيور البديعة الألوان فقال الرجل يحدث نفسه :

— ليس من شك في أن تورسن قد أصاب غنيمته ولن يأتني أن يشاطرنيها على مقتضى اتفاقنا وما كاد ينتهي من هذه الكلمات التي خاطب بها نفسه حتى سمع من ورائه صوت انسان ؛ فلما التفت رأى رجلاً أسوأ منه حالاً يسأله الاحسان ، ولم يك هذا الرجل غير تورسن فتعانق الاخوان وقد انهمرت دموعهما ، وبعد أن سمع تورسن حكاية ما أصاب فورسي أخذ يروي قصته قال :

— لقد قصدت الى هؤلاء الذين يعرفون سر السحوق الذي اصطلح على تسميته تراب النار ، الذي لم يتمكن سوين من منعنا من اختراعه ، وان كان ووشى قد اهتم بمنع استعماله الا في الألعاب النارية . . . وبعد أن وقفت على سر هذا السحوق وضمت كمية معينة منه في أنابيب مجوفة صنعها من الحديد والنحاس ، ووضعت فوقها كوراً من الرصاص تتفق أحجامها مع تجاويف الأنابيب ، ثم وجدت أنني بايصال اللب الى تراب النار من أحد طرفي الأنبوبة أستطيع أن أدفع الكرة الرصاص من الطرف الآخر بقوة تمكنها من اختراق ثلاثة من دروع المحاربين في وقت واحد ؛ فلأثت برميلاً من هذا السحوق وخبأته هو والأنابيب على سجاجيد حملها على ظهور الثيران ، ثم رحلت قاصداً مدينة القسطنطينية ، ولست أروى لك الآن حكاية المتاعب التي اعترضني في هذه الرحلة ، ولكنني أن تلم أني وصلت آخر الأمر نصف ميت

وجه ذلك الرجل الصبني لم يكن سوى وجه أخينا
وايحي لي

« ولو أنني كنت في ظرف غير الذي كنت
فيه لأجهدت نفسي في الوقوف على معنى ذلك الذي
شهدت ، ولكن لفقي كانت شديدة وكذلك
كانت حاجتي وجوعي . فبحثت عن صناع الأساحة
البرزين ، واستطلعت بعشقة كبيرة أن أجمعهم كلهم
في مجلس واحد . وقدمت اليهم الأنايب وتراب النار
وانفنت رصاصتي بسهولة من أحسن درع استطاعوا
أن يقدموه »

فصاح صانع دروع الصدر : « من ذا الذي
يحتاج الآن الى دروع الصدر ؟ »

وقال صانع خوذ الرأس : « أو الخوذ ؟ »
وقال كبير صناع التروس : « أنا لم أكن
لأأخذ خسين بزنة ثمنا لهذا الجن ، فاقانده الآن ؟ »
وقال صانع السيوف : « وستقل قيمة سيوفى »
وقال صانع السهام في لهجة حزينة : « وسهامى
ستصبح عديمة القيمة »

وصاح أجدهم : « إن هذا الاعمل دفيء »
وصاح آخر : « بل انه لسحر ساحر »

وصاح ثالث في صوت قاصف : « إني أنا
التاجر الشريف اللم بمهنتي أقول ان ما ترونه ليس
إلا وها - ولكي يبرهن على صدق رأيه أتني بمحديقة
متأججة في برميل ، فطار الجميع جملة مع سقف
المنزل في الهواء ، وهلكوا جميعا ، ولم ينج سوى
وقد فقدت شمري وجللى . وشبت في الحال
حريقاً كالت ثلث مدينة القسطنطينية

« ووجدتني بعد أيام راقداً على فراش السجن

من التنب والشاق مجرداً من كل شيء إلا بضاعتى ،
واستطلعت بتقديم مامى من السجاجيد رشوة
لأحد الضباط أن أحصل على الاذن بالدخول على
الأمبراطور^(١) والتحدث ، اليه وقد وجدته منهمكا
في لعب الشطرنج يكدح رأسه في حل إحدى مسائله
« وقد أخبرته أنني كشفت سراً يمكنه من أن
يصبح سيد العالم ويساعده بنوع أخص على طرد
المسلمين الذين يهددون إمبراطوريته بالخراب

فقال لي : « يجب أن تلاحظ أنه ليس من
المحتمل أن أستطيع الإصغاء اليك قبل أن أنتهى من
حل هذه المسألة ، ومع ذلك فلكيلا يقول انسان
إن الأمبراطور يهمل واجباته منهمكا في تسلية
سخيفة ، فاني سأحيل اختراعك على صناع
الأسلحة البرزين في عاصمتى ، ثم أعطاني كتاباً الى
الصناع وعاد الى اللعب ، وعند ما تركت القصر
حاملاً رسالة الأمبراطور صادفت في الطريق موكباً
عظيماً . فالفرسان والمشاة الرماة ، والمازفون
على الموسيقى ، والمنادون ، وحاملو الأعلام - كل
هؤلاء يحيطون بـ رجل صيني يجلس في سميت
تحت مظلة ذهبية فوق فيل مسرج بسرجه نفيس ،
وكانت جديشته مضفرة بالورود الصفراء ، وكان
الموسيقيون يمزفون ويدقون الطبول ، وحملة الأعلام
يلوحون بأعلامهم في الجو ، بينما المنادون يصيحون :
هكذا يحتفل بالرجل الذى يشتت الأمبراطور
بشكره - وان لم أكن غلطاً خطأ كبيراً فان

(١) الأمبراطور كونستانس الثانى الذى حكم من سنة
٦٤١ الى سنة ٦٦٧ وقد حارب ضد العرب للمسلمين الذين
استولوا من أملاكه على الشام وقبرس ورومدوس وأثينا

لغير التسلية المجردة من كل غاية ، ولم أفكر قط في استخدامها لجمع الثروة إلى أن سمعت يوماً عن طريق المصادفة أن الشحوب الغريبة تجهل هذه اللعبة جهلاً تاماً ، وحتى إلى هذه اللحظة لم أفكر في كسب المال من طريق الشطرنج ، ولكنني شمرت بشفقة شديدة على هؤلاء البرابرة المتأخرين حتى لقد أحسست أنني لن أندوق شيئاً من الراحة قبل أن أنير عقولهم ، وتحقيقاً لهذه الرغبة الملحة قصدت إلى مدينة القسطنطينية فاستقبلت هناك كرسول من السماء ، وقد بلغ من تأثيري في القوم أنه لم يمض غير قليل حتى أصبح الأباطور ورجال دولته لا يفكرون في شيء غير لعب الشطرنج ليل نهار ، وحتى شملت الفوضى شئون الأباطورية واستطاع المسلمون أن يهاجموها في قوة وعنف . وتقديراً لخدماتي للأباطور رأي أني يكافئني بمظاهر التكريم التي رأيت أني ياخي نؤخذها منها عند باب القصر

« وهكذا بعد أن وقع الحريق الذي تسببت أنت فيه وإن لم يكن من عمدي ، تحدث الناس بأن الأباطور كان يعمل على تخريب عاصمته بالتآمر مع ساحر أجنبي ، يقصدونك بذلك . وبمسد فترة قصيرة تآمر كبار الضباط ودخلوا نخادع الأباطور بفكرة خلعهم عن العرش ، ولكنه أعلن أنه لن يتنازل بحال من الأحوال قبل أن ينتهي من دست الشطرنج الذي كانت يلعبه ممي في تلك اللحظة ، فوقف الضباط ينظرون إلينا ، ولم يلبثوا أن اهتموا بالأماني ، وبدأ النزاع بينهم على أينا سيفوز ؛ وبيناهم في خصامهم أقبل الضباط المخلصون وقبضوا

وقد شفقت من بعض جروحي ، مصفياً في حزن إلى مشادة بين اثنين من حراسي حول ما يجب أن أعامل به : هل أحرق أو أدفن حياً ؟ وبيننا المشادة قائمة وصل إلى السجن أمر من الأباطور بإطلاق سراحى ، فقرأه الحرس ممتضين شاعرين بشيء من الضمة ، وكان نص عبارته : أقذفوه خارج المدينة . وقد عجبوا من لين ذلك الحكم ومع ذلك أقذفوه بمهامة شديدة حتى وجدنتي قد طرت في الهواء وسقطت وسط البوسفور ، حيث انقضت مركب صيد وأزلت على الشاطئ الأسبوى ؛ ومن هناك قفلت راجماً إلى بلادى استجدى القوت على طول الطريق

والذى أراء الآن هو أن نستطف رب هذا البيت العظيم ونستثير شفقتة ، فقد رأف بنا عندما يعلم أننا كنا نعيش فيما مضى في البيت الصغير الذى أدخل الطريق لإنشاء قصره العاصم»

واجتاز الرجال باب الحديقة ومشيا على استحياء متجهين إلى القصر ، متأهبين للوقوع على قدمي سيده ، ولكنهما لم يفعلا ، لأنهما قبل أن يحاولا الركوع عرفا في ذلك السيد أخطأهما وأنجى ولم يستطع وأنجى أن يعرف أخويه لأول وهلة ولكنه لما عرفهما آخر الأمر أسرع فقدم إليهما كل ما يحتاجان إليه ، حتى إذا سد حاجتهما من الطعام والشراب وارتديا فاخر الملابس قصا على أخيهما قصتهما ، وسألاه أن يقص عليهما قصته فقال :

« أخرى ... لأنني بأنهما كن في لعبة الشطرنج النبيلة التي اخترعت . لحسن الحظ قبل عصر الأباطور سوين زمان طويل ، لم أكن أقصد

عليهم . وقد ضاعف هذا الحادث مكافئ احتراماً
لدى الامبراطور ، ثم لم تلبث هذه السكينة أن
تضاعفت مرة أخرى بعد ذلك الحادث بقليل عند
ما لعبت مع أمير البحر المسلم الذى كان محاصراً
الرفأ فربحت منه أربعين سفينة محملة غللاً بدلت
من قحط المدينة رخاء ويسراً

« وسألتى الامبراطور أن أعني عليه ما شئت
فقلت ان كرمه لم يبق لى ما أطلبه غير حياة مواطن
مسكين علمت أنه مسجون بتهمة محاولة حرق المدينة .
فأمرنى الامبراطور أن أكتب أمر العفو عنه
بيدى . وثق يا تورسن اننى لو عرفت أن ذلك
السجين هو أنت لأظهرت من الاهتمام بشخصك
ما يرضيك

« وأخيراً عادت القسطنطينية عائداً الى بلادى
مزرودا بالثروة الطائلة فى ركب حريم أقطع الطريق
صراحل على ظهور الابل البريمة . فلما وصات الى
هنا ابنت بيت أبى الصغير وأنشأت فى مكانه هذا
القصر العظيم حيث أعيش مفكرآ فى حل مسائل
الشطرنج وفى أقوال العقلاء مقتنماً بأن الشيء
الصغير الذى تعرفه الدنيا وتبذل الى الأخذ به خير
من الشيء العظيم الذى لم يعرفه الناس بمد ، فهم
لا يستطيعون تقدير قيمته . فالعالم ليس إلا طفلاً
كبيراً يفضل أسباب التسلية على وسائل الثقافة والتعلم
فسأله أخواه فى دهشة وفى صوت واحد :
— اوتسمى الشطرنج مسلاة وملهاة ؟
عبد الحفيظ محمدى

شركة بيع المصنوعات المصرية

تعمل على احياء الصناعة المصرية وترويجها

معرض دائم لكافة منتجات البلاد

تعرض

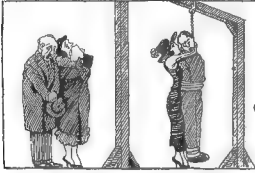
المنسوجات الصيفية

من جميع الأنواع : قطن . حرير . كتان

بضاعة جديدة لهذا الموسم ، صنع شركات بنك مصر

التي أجمع الكل على متانتها وتفوقها

شاهدوا مبتكرات الصناعة الحديثة قبل شراء حاجياتكم



الذراع الذابذة

للشاعر الانجليزى توماس هاردى
بتم نظمى خليل

— إمض بى" وخبرنى إذا كانت سمراء
أو بيضاء ، طويلة مثلى أو قصيرة ، وإذا كانت
تظهر دية بيت أو فتاة ناعمة الأظافر لم تمتد بعد
حياة المنزل

فانطلق الابن إلى السوق ، ولم يكذب بعد عن
منزله حتى رأى والده يسير وبجانبه فتاة تصغره
بسنوات . كان وجهها صافياً صبوحة كأنه نور
منبث من بين نخائل الورد . فسدد الولد إليها بصره
بالرغم مما كان ينوء به ظهره ؛ وكانت الشمس قد
غمرت وجه تلك الفتاة فبرزت ملاحة قوة جذابة
فاغتازلت الزوجة الشابة « جرتود » من ذلك
الصبي الذى يمدحها بنظرانه القوية الطويلة فقالت
لزوجها :

— أنظر إلى ذلك الصبي الفقير كيف يمدحنى
بالنظر !

— أجل ، قد يكون أحد سكان تلك القرية
— أظنه يعرفنا
— أجل ، يجب أن تنوقى مثل هذه النظرات
فى مثل هذا الموقف الجديد

والآن — هيا ، لم يبق على منزلنا إلا ميل واحد
علنا نبلثه قبل أن يهجم الليل
أما الولد فلم يكذب إلى المنزل حتى ابتدرته
أمة قاتلة :

غص الطريق بطوائف القرويات وهن راجعات
إلى منازلهن الريفية الصغيرة يتجاذبن شتى
الأحاديث مما يتصل بحياتهن الزوجية ، حتى إذا
مادون من نهاية الطريق همست إحداهن بصوت
خافض كأنه خارج من جوف بقرتها :

— « ألا خبرانى ، أيقترن السيد « لوج »
بزوجه الجديدة غداً ؟

— لقد بلفنى هذا
— ألم ترها ؟ إنهم يقولون إنها فتاة ضئيلة
الجسم موردة الخدين — قالت هذا ثم التفتت إلى
بقرتها وهي تضرب بذيلها فيكاد يصفاح وجهها
— فأجابها إحدى صاحباتها : « إنها تصغره
بسنوات . أنصرفين كم يبلغ من العمر الآن ؟

— حوالى الثلاثين
ثم تفرقن إلى منازلهن ، وفي الصباح التالى
نادت « رودا » زوج السيد « لوج » القديمة
ابنها وقالت له : « لقد بلفنى أن والدك سيتزوج
من زوجته الشابة اليوم — إنى أريدك الآن أن
تذهب إلى السوق حيث يمكنك أن تراها . فقال
لها الابن : أعازم أبى على الزواج إذن ؟

فأجابته أمة : نعم . . . يمكنك أن تراها وأن
تجدنى عن بعض قممات وجهها
— أجل يا أبى

لأن جميع الأعين كانت ترفعها
ولم يكده الصبي يستقر في منزله حتى يادرته
أمه قائلة :

« إيه ! حسن »

فأجابها ابنها إنها ليست طويلة بل قصيرة
فتنهت أمه فقد شمرت بشيء من الارتياح
ثم استأنف الولد كلامه فقال : ولكنها جميلة
جدا ، جدا يا أمي ، بل هي فائنة . والواقع أن جمال
هذه الفتاة قد ملك زمان قلب ذلك الصبي الناشئ .
فأجابته أمه : كفى . كفى . هذا كل ما أريد أن
أسمعه . هيا إلى السائدة . مد عليها الخوان . إن
الأرباب الذي اصطدته طري شهي ، ولكن احذر
أن يصطادك أحد

ولكنك لم تخبرني مانوع يديها

— لم أرها فقد كانت لابسة قفازها

— ماذا كانت تلبس هذا الصباح ؟

— لقد رأيته في ثوب أبيض ههناف تعبت
به نسبات الريح كلما هبت فتمسكه بيديها تخافة أن
يتطاير عن يديها . أما والذي فقد كانت تملأ وجهه
ابتسامه الرضى ويتبختر في سببه كأنه أعد النبلاء
ثم توالى زيارات الصبي لهذين الزوجين كلما
شمرت أمه بالحاجة إلى أوصاف جديدة لهذه الزوجة
الشابة ، ثم أخذت تكون من هذه الأوصاف صورة
ذهنية لتلك الفتاة التي لم ترها بعينها

خلت الأم ذات مساء إلى نفسها ، وقد أوى
ابنها إلى فراشه وبقيت هي وحيدة تنقلب في
فراشها تطلب النوم فيأتي عليها ، ثم أخذت
تستجمع في مخيلتها هذه الأوصاف التي سمعتها من
ابنها حتى غابت في نومها فلاح لها شبح تلك الفتاة
بحوم أمام عينها وقد اردت ثوبها الأبيض الههناف

— ألم ترها ؟

— بلى ، رأيته

— أهي سيدة تماما ؟

— نعم ، إنها مكتملة الشباب وفي عينيها بريق

المرأة الناضجة

— طبعا ، وما لون شعرها ووجهها ؟

— إن شعرها كضوء النهار ووجهها كدمية

الصبية

— إذن عيناها ليستا سوداوين كميتي

— لا . إنها تملآن إلى الزرقعة وفيها صفيير

جميل يشغلتان رقيقتين تنفرجان عن ابتسامه حلوة

وأسنان مفضضة لامعة

— وهل هي طويلة ؟

— لم أر طولها ، لقد كانت جالسة

— إذا عليك أن تذهب إلى الكنيسة غدا

فستجدها هناك . إذ ذهب وراقبها في مشيتها

وأخبرني إذا كانت أطول مني

— حسن يا أمه ، ولكن لماذا لا تذهبن

أنت وترينها بنفسك ؟

— بنفسى ! إنى لن أسمح لنفسى أن أنظر إليها

ولو كانت تسير تحت هذه النافذة . لقد كانت مع

السيد لوج طبعا فإذا قال أو فعل ؟

— لم يأت شيئا جديدا

وفي اليوم التالي ألبست الأم ابنها ثوبا نظيفاً

وأرسلته إلى الكنيسة ، فكان أول من وصل

إليها وجلس في أحد المقاعد الأمامية ، وأخذ يراقب

جورج الوافدين ، وأخيراً جاء لوج ومعه زوجه

الشابة وهي تتمش في مشيتها حياء وخجاء كما تفعل

كل فتاة في سنّها تظهر في المجتمع لأول مرة ،

ولكنها لم تنبه إلى نظرات ذلك الصبي هذه المرة

ثم أخذت تتردد على المنزل من يوم إلى آخر حتى أنست كل واحدة الى صاحبتها . وفي ذات يوم جاءت « جرود » وقد امتنع لونها واستولى عليها الهزال والسأم ، فسألها « رودا » عن علمها ، فأجابها : « إني أشكو مرضاً حيرني وأمياني وإن لم يكن ذا خطر ، ثم كشفت عن ذراعها اليسرى فنظرت إليها « رودا » وسرعان ما تذكرت تلك الذراع التي أمسكت بها في حلمها ، ثم توهمت أنها ترى فيها آثار قبضتها وما تركته أصابعها الأربعة عليها فسألها : كيف حدث هذا ؟ فأجابها « جرود » وهي تهز رأسها : « لأدري ؟ ولكن حدث أن كنت نائمة فرأيت في حلمي أُنَى انتقلت الى مكان غريب وجأة شعرت بألم ينتاب ذراعي فاستيقظت وأخبرت زوجي بالأمر فهوته على وقال إنه سيحول عما قليل » — منذ كم حدث هذا ؟

— منذ أسبوعين في الساعة الثانية

لقد كانت هي الليلة والساعة التي رأت فيها « رودا » ذلك الشبح ، فشعرت أنها آتمة مجرمة . وسرعان ما هجمت عليها تلك الأفكار القديمة ولاح أمامها شبح ذلك الحلم كما لو كان قد حدث بالأمس ، ثم قالت في نفسها بعد أن ودعت صاحبها : « أوه ! أيمكن أن يكون هذا ؟ أيمكن أن أتناط على غيري وأصيب لهم اضطراب على غير إرادتي ؟ ثم مضت تفكر في شقي الحلول

تنابت الأيام وذراع « جرود » تزداد ذلوكاً وجفافاً وشكوك الائم تزداد يقيناً حتى لقيتها أخيراً وقالت لها : « أرجو أن تكون ذراعك قد صحت تماماً » فأجابها « جرود » : « لا ، إنها تزداد سوءاً على سوء ، فقد اشتد في المرض حتى لأفوى الآن على احتمالها »

— صبر بك أن تذهبي الى طبيب.

ولكن وجهها كان قد مثبت به التجاعيد فبدت كأنها عجوز ، ثم شعرت أنها قد جثمت فوق صدرها كأنها كابوس ثقيل ، ثم أخذ ذلك الحلم يزداد شيئاً فشيئاً حتى كاد يكظم أنفاسها فهبت من نومها واستجمعت قواها ودفعت ذلك الشبح عن نفسها وهي تصيح : « يا إله السماء ... » ثم جلست على حافة سريرها والعرق البارد يتساقط من جبينها : لم يكن هذا حلماً بل كانت هي بعينها ، لقد نلت ذراع غريبها وهي تدفعها عن نفسها . لست الذراع بلعدها وعظما — كما توهمت ذلك — ثم نظرت إلى الباب فلم تر شيئاً

لم تدق النوم في تلك الليلة ، فلما جاء الصباح كان وجهها شاحباً كوجوه اللقي ، وكانت جسمها يهتز كأنه القصبه المرشوخة ، فلم تقوَ على حلب اللبن إذ كان ينصب بعبداً عن الحلب ؛ فقد كانت لا تزال تشرم أنها ممسكة بذراع غريبها . فلما رأى ابنها منها ذلك قال : « ماذا حدث لك يا أماء الليلة الماضية ؟ لقد سقطت عن سريرك لاشك »

— هل سمعت وقع جسم ؟ ومتى ؟

— حوالى الساعة الثانية

ثم صمتت الأم وأخذت تتناول طعامها في تراخ وكسل ، ولم يبرح الابن المنزل ذلك اليوم بل بق فيه يماون أمه في حلمها . وفي الساعة الحادية عشرة جاءت امرأة لم تكذب تنظر إليها حتى تذكرت ذلك الشبح الذي ظهر لها في حلمها الليلة الماضية ، ولكنها لم ترفي وجهها تلك التجاعيد والخشونة التي رأتها في حلمها ؛ فقد كان صوتها حلواً رقيقاً ، وإشارات لطيفة بالغة ، وابتساماتها لليلة ودبة ، حتى لم تعد تصدق حواسها . لقد جاءت « جرود » الزوجة الشابة ترور صاحبها حاملة إلى الصبي جذاءً جيداً وبعض اللب

على هذه الفتاة المسكينة بسوء نيتها إذ لم تكن تبني أن تسبب لها أذى جسمياً ، ثم أخذت تفكر فيما تظنه تلك الزوجة لوعلت بأمر ذلك الخلم ، ثم برأت أنها إذا كتمت عنها ذلك الأمر كالتب كان هذا خيانة أخرى منها

أخذت تفكر في هذا طول الليل حتى إذا ما جاء الصباح خرجت لترى زميلاتها وقد شمعت بحاجة قوية الى هذا اللقاء ، فلم تكذب تدنو من المنزل حتى خرجت إليها « جرترود » وحينها تحية الصباح فقالت « رودا » : « أود أن تكون ذراكم ... »

— لقد قيل لي إنه ليس هناك إلا طريق واحد أعرف به علة هذا المرض ، وقد أعرف الدواء أيضاً ، وهي أن أذهب الى ساحر يقيم في الاقليم المجاور لنا ، ولكننا لا نعرف إن كان حياً أو ميتاً ، ولا أذكر الآن اسمه ، ولكني سمعت أنك تعرفين عنه الكثير . إلى أحاول أن أذكر اسمه . فقالت صاحبتها وقد امتنع لونها : « أليس اسم الساحر « ترندل »

— آه نعم هو بسببه . أهو حي ؟

— أظن هذا

— ولكن لماذا يدعونه ساحراً ؟

— لأن له السلطان على من خوله من الناس

— ما أسخف عقول هؤلاء الناس الذين يمتقدون في مثل هذه الخرافات . لقد ظننت أنهم يمتنون علماً طبيعياً . سوف لا أفكر في مثل هذا الرجل ثانية

فشمزت « رودا » بشيء من السكينة والطمأنينة فقد كانت تخشى أن يفرض ذلك الرجل أمرها عند صاحبتها فتتظنر إليها كأنها شيطانة في صورة إنسان ، كانت السبب في تشويه جمالها والقضاء على سعادتها لم يمس على هذا يومان حتى جاءت « جرترود »

— لقد صحبت زوجي الى أحد الأطباء ولكن الطبيب لم يستطع أن يعرف علة مرضي بل نصحني أن أضع ذراحي في ماء ساخن ، ففعلت كما أمرني ولكن هذا لم يفدني شيئاً

— أنتم جميعاً أن أراه ؟ فكشفت عن ذراعيها وأشارت الى موضع الألم وكان هذا فوق المصم . فلما رأت « رودا » ذلك لم تستطع أن تحبس عواطفها . لم يكن هناك أثر لرحم بل كان هناك آثار الأصابع الأربعة ، الأول تجاه المصم والرابع تجاه الرقبة

— يلوح لي أن هذا من قبضة يد ، فاني أرى آثار أصابع هنا ، فأجابتها « جرترود » في ابتسامة ضيقة ضيقة : « إن زوجي يقول ان أحد الشياطين هو الذي فعل هذا » فانتفضت « رودا » انتفاضة عنيفة وقالت : « إن هذا وهم ، ولو كنت مكانك لما صدقت » فأجابتها « جرترود » في شيء من التردد : « اني لا أهم كثير أجهنم لو لم يكن بي مايفر زوجي مني أو يعض من جبه لي . إن الرجال يقيمون وزننا كبيراً المظهر الخارجي »

— أجل ولكن زوجك لا يحب سواك

— نعم كان هذا في أول الأمر إذ كان غفوراً

بي ؟ أما الآن ...

— يمكنك أن تستريه عن نظره

— آه ! ولكنني أعرف مكان التشويه — قالت

هذا وهي تحاول حبس الدموع التي ملأت عينها

— أدعوك بالشفاء من هذه العلة قريباً

ثم انصرفت « جرترود » وخلت « رودا »

الى نفسها وقد انتالت الأفكار على خاطرها حتى أصبح عقلها هدفاً لتلك الرساوس التي جرها عليها

ذلك الحلم البنيض ، وقوى عندها ذلك الشعور بالأثم

حتى أخذت تؤنب نفسها على ما ظنت أنها جلبته

لها الرجل : ان الطب عاجز عن شفائك ؛ فان هذا من تديبر عدو . فازتود « رودا » في نفسها وتراجعت الى الوراء أما « جرترود » فقد صاحت : « أى عدو ! » فhez الرجل رأسه وقال : « انك تمرقنه جيداً ، ولو أردت لأربتك اياه وإن كنت أنا نفسى لا أعرفه . فلما ألحت عليه « جرترود » أن يخبرها من هو أشار الرجل الى رودا بالبقاء في مكانها ، ثم قاد جرترود الى غرفة صغيرة وأجرى أمامها عملية السحرة فأحضر كوباً وملاء ماء وجاء بيضة وكسرها على حافة الكوب فنزل الزلال في الكوب وبقى الملح ، ثم حمل الكوب الى النافذة وأمر المرأة أن تنظر فيها ولكنها لم تستطع أن تتبين ذلك الوجه الذى خيل إليها أنها تراه في الكوب . فلما خرجت كان وجهها أشد امتقاعاً ، ثم عادتا الى القرية وقد شمعت رودا أن صاحبتهما قد تغيرت

فمنذ ما سأتها عما رأت أجابتهما في شيء من التحفظ والحرج : « لاشيء يستحق الذكر » ثم ملا وجهها شحوب غريب حتى أصبح شبيهاً بذلك الوجه الذى رآه رودا في نوبها . وبعد صمت طويل قالت جرترود :

أ كنت أنت أول من فكر في هذا الساحر؟ عيلاً لو كان هذا ...

— لا . ولكنى لست آسفة على مجيئنا الى هنا . إن كل شيء مقدر مكتوب

ثم سارتا في الطريق دون أن تتحدثا كثيراً وقبل أن تفرقا قالت جرترود « ان الناس يتهامون بأن علة مرضى سببها نظراتك الى . فامتقع وجه المرأة وغابت في تفكير عميق

ولم يأت الربيع حتى كانت « رودا » وابنها

الى منزل صاحبتهما وقالت لها إن ذراعى ترداد سوءاً وأصبح الأمر جد خطير ، حتى فكرت ثانية في ذلك الرجل الذى حدثت عنده وإن كنت لا أعتقد في أمثال هذا الرجل إلا أنى أشعر برغبة في زيارته الآن . أيعمد عنا كثيراً ؟

— نعم ، هو على مسافة خمسة أميال

— حسن سأضئ إليه — ألا تصحبينى

لتدلينى على الطريق ؟

فتمت « رودا » قائلة : « لست أنا » ثم أخذ الخوف ينادوها من جديد خشية أن ينكشف أمر حلما فتفقد صداقة صاحبتهما ، ولكنها لم تجد طريقاً للاعتذار وانفقتا أخيراً على أن يتقابلا عند نهاية الطريق حتى لا يراها أحد

استيقظت « رودا » في اليوم التالى وأخذت تفكر في شتى الحلول التى تخلصها من هذا المأزق ، ولكنها لم تجد بداً من الذهاب ، فتوجهت الى السكان الذين حيث قابلت صديقتها ، وقد أخفت ذراعها في مئزرها ثم مضت في سيرها لا تتحدثان إلا قليلاً

لقد كان طريقاً طويلاً مقفراً ، وقد امتلأ الجو بالسحب فحجب الشمس ، وأخذت الرياح تعول وتصفر وهي تهب فوق التلال ثم تهوى الى بطن الوادى

أما « جرترود » فقد كانت كلما فتحت موضوعاً للحديث ردت عليها صاحبتهما في إجابات مقتضبة محاولة إقفاله ؛ وكانت تشعر كلما تقدمت في الطريق أن شيئاً ثقيلاً يحم على صدرها حتى كرهت أن تسير بجانب الذراع المريضة أو أن تدنو منها . وأخيراً جاءت الى الرجل « رودا » وقصت عليه « جرترود » قصة ذراعها ، فقال

عنق أحد المشوقين . فارتاعت المرأة لتلك الصورة التي رسمتها في ذهنها هذه السمكات - ثم مضى الساحر في كلامه : على أن يكون هذا عقب إزاله من المشقة مباشرة

فسألته الزوجة : « ولكن ما فائدة هذا ؟ » فأجابها الرجل : إن هذا يزيد في دورة الدم . عليك أن تذهبي إلى أحد السجون وترقي إحدى نحيابه . لقد طالما أرسلت إلى السجن عشرات النساء اللواتي جئن إلى يشكون بعض هذه الأعراض . ثم ودعته المرأة وانصرفت وقد أبي أن يأخذ منها أجراً عادت المرأة إلى منزلها وهي تشك في كلام الساحر ولكنها بعد أن يشتت من الشفاء اندفعت بأمل إعادة حبها المفقود بشفاء ذراعها إلى تحقيق فكرة ذلك الساحر وقد تذكرت كلامه لها : « إن ما يأتي بالرق يذهب بالرق أيضاً . » فقضت مدة طويلة وهي لا تفكر إلا في المشوقين حتى أن صلاتها لم تكن إلا ببعض هذه السمكات : « اللهم اشفق لي أحد الأشقياء أو أحد الأبرياء ! » لم ترد أن تستعين بزوجها فقد كان يضيق بأفاعيل السحر ولا يؤمن بأعمال الشعوذة

ثم جاءها يوماً يخبرها بعزمه على تركها يومين لقضاء أمور خاصة به ، ففرحت الزوجة لهذا النياب إذ وجدت فيه فرصة لتحقيق غايتها . فلم يكده يغيب عنها حتى امتلأت جوارداً مطعماً أخذ يطوى بها الأرض حتى وصلت أخيراً إلى السجن المقصود حيث تجد فيه شخصيتها التي ارتفعت سماعتها بنهايته ، ثم ذهبت إلى الجلاد تسأله عن تلك الضحية ، فظنم الجلاد إحدى قريبات النقي السكينة أو سبيده . فقال : إنه صبي لم يتجاوز الثامنة عشرة قد ساقه القدر إلينا عند ارتكاب الجريمة . ولم يجد غيره

قد تركا القرية

عاشت جبر ترود مع زوجها ستة أعوام كانت حالتها تزداد سوءاً على سوء ، ففاض الابتسام والاشراق من جبينها ونضب الجلال من وجهها وأصبحت الذراع المشوهة مصدر قلقها وتمسها ، وفوق هذا لم تعقب من زوجها ولداً وما كان أحوجها إلى ابن يحيا في اسمه ويرث أرضه

لم تعد الزوجة لحظة عن السعي في علاج ذراعها وذهبت النصائح والأوصاف الطبية في غير جدوى ولم تجد عليها الرق والتمايذ شيئاً

ولكن الحنين إلى الولد كان يشتد بالرجل يوماً بعد يوم حتى لم يستطع أن ينفله ، فجاء إلى زوجته يوماً وقال : لقد فكرت أن أتبنى ولداً ولكن الوقت قد فات فقد مضى الولد ، ولا أعرف مكانه الآن - فأدرت الزوجة الترض التي يرى إليه فان قصة الزوجة الأولى « رودا » لم تكن قد غابت عن ذهنها وإن لم يتحدث أحدها إلى الآخر عنها كانت في الخامسة والمشرين ولكنها كانت تبدو فوق هذه السن بكثير . فقد قضت ستة أعوام كانت كلها عبدة ثقيلة لم تنق فيها الحب إلا شهرين . وكثيراً ما كانت تخلو إلى نفسها وتستعيد أيامها الماضية ، فتهمج عليها ذكريات مرضها فتثور وتئن ثم تتأوه قائلة : « آه لو عادت إلى أيام حي الأول » ثم أرادت أن ترمي بآخرة سماتها للشفاء من هذا الداء المياد ، فانطلقت إلى الساحر القديم ، ولم تكن قد زارته منذ ست سنوات ، فلم يكده الرجل يراها حتى تذكرها ، فذكرت له المرأة التجارب التي عملها فنهز الرجل رأسه وقال إن معظم هذه الأشياء لا تنفع - ليس هناك إلا طريق واحد ، ولكن صعب تحقيقه . وهو أن تطوق بذراعمك المشوهة

فاستجمعت المرأة قوتها ومدت ذراعها ، فأخذها الجلابد ورفض النطاء عن الحنطة وطوق بها عنق المسكين ، فشمرت المرأة بهزة عنيفة وأخذ الدم يتدفق إلى تلك البراع المريضة ، ولكنها لم تكد تلثف وراءها حتى رأت « رودا » وقد اجرت عينها من البكاء وأرخت شعورها على كتفها ، وقد وقف بجانبها زوجها « لوج » ساها حزينا ولكن عينيه لا تدمعان ، فقال لها في صوت غاضب أجش : « ماذا نعملين هنا ؟ » ، ثم صاحبت الأم : « رودا » يا لك من شيطانة أمحولين بيننا وبين ابنتينا .. إنك لتمثلين حقاً تلك الصورة البشمة التي رأيتها في حلمي القديم ، ثم جذبتها من ذراعها العارية ودفعتها إلى الحائط ، فوقمت تحت قدمي زوجها ، فلما رفعها زوجها عن الأرض كانت غائبة عن الرشد

لقد كان المشنوق ابن « رودا » قد اتهم ظالماً في إحدى الجرائم ، ثم جاء إليه والده في الساعة الأخيرة ليشهد مصيره المحتوم . ولم يرد أن يجبر زوجه جرثود بهذا بل قال لها إنه ذاهب إلى قضاء أمر من أموره الخاصة

حملت الوجوه ولكنها لم تبق إلا ثلاثة أيام حتى فاضت روحها لأن دورة الدم كانت أقوى مما تحتمل

أما الزوج فلم يكد بفرغ من دفن زوجه حتى ترك قبرته إلى بلدة أخرى حيث مات هناك بعد ذلك بعامين وقد أوصى معظم ثروته إلى أحد الملاجئ تاركا جزءاً يسيراً منها إلى زوجه رودا — إن كانت لا تزال حية — إذ كانت قد اختفت من ذلك الاقليم كله . ولكنها عادت بعد ذلك بسنوات كثيرة وقد ابيض شعرها وتخاذل جسمها ولم يبق فيها إلا جبين مضن يحنى أعنى الأفكار ، وقلب مكلوم يحمل آلم الذكريات نظمي ضئيل .

نهمه . فأجابته المرأة : لست أسأل عن هذا بل أريد وأن أعرف موعد التنفيذ . فقال الجلابد : في الساعة الثانية عشرة كالعادة ، أي بمجرد وصول البريد من لندن . فقد يكون هناك غفر . فارتاعت المرأة وصاحت : ففو ؟ إلى لأود هذا ، فسالها الرجل : « ماذا تريدين ؟ »

فقلت : أريد أن أمسه لأنه أحد الطلائع التي كانت السبب في تشويه ذراعي وهدم سعادتي . وقد أشار على بهذا أحد السحرة . فقال الجلابد : أوه . نعم . نعم . لقد أدركت غرضك الآن . كثير من النساء يأتين إلى مثل هذا الفرض . ثم تشكين ؟

فكشفت له المرأة عن ذراعها فأخبرها الرجل أن تذهب إلى محافظ السجن وأن تصطحب معها طبيباً ثم تقدم اسمها وعنوانها . فقلت له : ولكني لا أريد أن يعلم أحد بهذا — أنتين حبيبك ؟

— لا . بل زوجي
— حسن . سأشهد لك الطريق
— ولكن أين هو الآن ؟
— إنه لا يزال حياً في داخل هذا السجن . ثم

رسم الطريق الذي تسلكه ، فانصرفت شاكرة . وفي الساعة الثانية عشرة من اليوم التالي كانت المرأة جالسة في إحدى غرف السجن تنتظر تنفيذ الاعدام في المتهم الشاب

ثم قرى الحكم وسبق التهم إلى المشقة وفي تلك اللحظة دخلت المرأة بسرعة وقد حسرت عن ذراعها المريضة ، ثم انحنى على الصندوق الذي كان فيه المشنوق ، ولكنها لم تكد تراه حتى غابت قواها وكادت تهوى إلى الأرض فأمسك بها الرجل وحس في أذنها قائلاً : « هيا »

لشموره حتى يبدأ رد الفعل في أعضائه فينقلب إلى
الروح الجنوني كارعاً من الحجر ما يفقده رشده
فيستولى عليه روح الهدم والتحطيم . ولكن ما يأتيه
يختم نوبه هذه بقذفه كرسياً إلى نافذة مفاقة يحطم
زجاجها بقرقة تعم الآذان

وكنت أداني مندقماً بالرغم مني إلى تشرريح
أخلاق هذا الرجل ، فكان يلوح لي كأنه فرد من
مجتمع غريب لا أعرف له مقرأ على هذه الأرض .
فما كنت أعلم أكان هذا الانسان مسيراً في عمله
يئاس مريض أم بدلال ولد صغير

وكان ديجنه يبدو بخاسة في أيام الأعياد كأنه
ماخوذ بشورة عصبية فيأتي بأعمال صبيانية يحتفظ
فيها بكل برودة خلقه فكان من براه لا يتالك من
الاستغراق في الضحك . وقد أقمعي يوماً بأن
أخرج للتزه معه وحدنا عند النسق فارتدنا
أولاً بأجابه غريبة الشكل وقمتنا وجهينا وحمل كل
منا آلة موسيقية وذهبتنا على هذه الصورة مأهين في
الأحياء الصاخبة محتفظين برصانة أرباب القنون ؛
وصادفتنا في تجوالنا عربية كان سائقها قد دب فيه
النعاس فنام على مقعده فسارعتنا إلى حلل أربطة
الفرسين ثم تقدمنا إليه ومحبنا به فأفاق ، وركبنا
العربة طالين منه إيصالنا ، وما لوح المسكين بسوطه
في الهواء حتى ذهب الفرسان خيباً وبقي هو في
عربته مشدوها ، وتوجهنا بعد ذلك إلى الشانزليزيه
فرأى ديجنه عربية تقدم نحونا فاعترضها وأمر
السائق بالوقوف وتهدده بالقتل إن لم يترجل عن
مقعده ؛ وإذ نزل الرجل عند إرادته لمذجوراً أمره
بالانبطاح على الأرض معرضاً نفسه لأواخر العواقب ؛
ثم فتح باب العربة كأنه قاطع طريق فرأينا شاباً
وسيدة استولى عليهما الرعب الشديد ؛ وأمرني ديجنه
بمجاراة فيا سيفل ، فأخذ يقفز من الباب ليعود

من أعماق النفوس

استغراقاً في العصور

لألفريد موسيه

بسلام الأستاذ فليكس فمارس

(تابع)

وما كانت هذه الحياة المضطربة تخلو من
أوقات لها لثتها وصفاتها ، فقد كان مباشر
ديجنه من الطبقة الراقية وأكثرهم من أرباب
القنون ، فكنا نغضى ليالي عديدة يسود سمراً الخلبع
فيها ما يمد جسد البمد عن الفحشاء ؛ وكان أحد
الصحاب عاشقاً مغنية مشهورة تشجبتنا بصوتها
الساحر الحزين . ولكم جلسنا إلى المائدة فنسبنا
ما عليها من طعام مستغرقين فيما يثير لإنشاد هذه
المغنية في نفوسنا من حنين ؛ ولكم درنا بأفداح
الشراب ونحن نصنى إلى أحداً يلقى علينا بصوت
عميق رائع بعض مقطوعات من لامارتين ؛ فكنا
نؤخذ بمجانها حتى كأن تفكيرنا حصر في دائرة
منها ؛ فكانت تمر الساعات دون أن نشعر بها ، حتى
إذا جلسنا بعدها إلى المائدة ساداً سكوت رهيب
وعلت بأهدابنا الدموع

وكان يحل هذا التأثير في مثل هذه الأوقات
على ديجنه بأكثر من تجليه في الآخرين وهو
المعروف بيننا بسلامة خلقه وبرودة طبعه ، فكانت
المواظف تلتدق من كآته ولثتانه كأنه شاعر ساعة
زول الإلهام عليه . وما كانت تنتهي نوبة استسلامه

شهوة الصبا من إهابها النض وعلى خوان عمالها رواية كل صفحاتها صباة وغرام ، وهي لم تلقن علماً ولا تعرف عن الآداب والأخلاق شيئاً فتتدفق حياتها تخيط الأثواب أمام نافذتها حيث تجد طريق منع رجال الشرطة المرور عليها ليحجبها عند المساء رهط من بنات الهوى الحاملات الأجزات يخطفن عليها ذهاباً وإياباً ، مانفعل هذه الفتاة بعد أن تكون قطعت أسابها واستنفدت نور عينها منذ الصباح حتى المساء عاملة في رداء أو في قيمة إذا هي انكأت عند النسق إلى نافذتها فرأت ما عمت فيه يداها الشريفتان لكسب قوت من حولها يريد به قوام قاجرة ورأس عامرة ؟ . . .

ولكم من عربة تقف أمام بابها كل يوم فتدخل منها فتاة لها رقها كالعربة التي تستقلها ، وتدخل على هذه العاملة المسكينة لتعدها بالفتات الاحتقار وتقف أمام مراآتها لتجرب مراراً الرداء الذي انكببت عليه في سواد الليالي لأنجازها . وتخرج الماهرة من كيسها ستة دنانير يتوهج ذهبها ، وهي العاملة لا تكسب إلا ديناراً طوال أسبوعها ، فلا تملك نفسها من التفرس فيها والتأمل فيها تلبس من حلى ثم تتبعها بأنظارها حتى تركب عربتها وتتوارى

ويجيء يوم ينقطع فيه العمل عنها ويسود الظلام على البيت الذي تظله الفاقة ، وقد انطرح في إحدى زوايا الأم المربضة ، فتفزع العاملة البائسة بابها وتمتد يداها قابضة على مجهول يمر على الطريق . . . هذه هي حكاية الفتاة التي تعرفت إليها . وكانت تحسن العزف قليلاً على البيانو وتعرف شيئاً من فن الرسم ومن التاريخ والعرف ، فكانت كل مآرفها على هذا النحو شيئاً يسيراً من كل شيء . ولكم كنت أظن أنهم ينظرون في هذه المخلوقة

فيفزع من الباب الآخر وأما أتمعه حتى خيل إلى من في العربة والظلام سائد أن المهاجرين عصابة من المصوص يقول لك بعض الناس إن الحياة تولى من يتلبس اختیاراً ؛ ولهم يعجبون في سرائرهم إذ يصدقهم سامعهم . وهل العالم إلا عاصفة إعصار لا يشبه أحدها الآخر ؟ فكل ما في الحياة يذهب بدداً كسرب أطيبار ينتشر في الفضاء النسيج ، فما تجد مدينة تتشابه أحيائها ؟ فمن عرف أحدها يبقى جاهلاً لسايرها ؟ غير أن هذه الأعاصير التي تدور منذ وجود العالم لم تزل تخترقها سبعة أسباب لا تتغير على عمر الأجيال : وأولها يسمى الأمل ، والثاني الضمير ، والثالث الرأي ، والرابع الشهوة ، والخامس الحزن ، والسادس الكبرياء ، أما الأخير فيسمى الانسان

وما كنت وأصحابي إلا كسرب أطيبار ، فيقينا سوية إلى أن جاء الربيع نلعب حيناً ، ونركب حيناً أحياناً ولعل القارئ يتساءل أين النساء في هذه الحوادث وأين هي الفحشاء ؟

وماذا عساني أقول عن هذه المخلوقات الحاملات اسم النساء واللواتي راودن حياتي كأشباح أحلام ؟ أيمكن للانسان أن يحتفظ بالذكريات من وقائع لم يكن فيها شيء من الأمان والآمال ؟

وأين أجد هذه الوقائع الآفلة لأثير منها نذكاراً ؟ وهل من شبح أشد صمتاً منك أيها المرأة العابرة كالظل ؟ وهل من انطباع أسرع إلى الزوال منك في صفحة الذكريات ؟

وإذا كان لابد من إيراد شيء عن النساء فلاذكرن منهن اثنتين :

وإليك الأولى

أسألك أولاً عما يمكن أن تقول إليه عاملة بالخطاطة لها من العمر ثمانية عشر ربيعاً تتدفق

انتهاز الفرصة للأخذ بأحدث لا طائل تحتها . أما (الفالس) فرقصة تتيح لك أن تتمتع بالمرأة التي تضمها نصف ساعة بين ذراعيك وتسر بها بين تصادم الراقصين وهي خفة الجوارح فتكاد لا تعلم إذا كنت تنقص إرادتها أو تحمي ضعفها . وكما بين الراقصات من يستسلمن إلى قيادتك بحفر تتدفق الشهوة منه فلا تعلم ما يدور في خلدك أشهوة هو أم حذر ، وتقف مرتاباً في نفسك فلا تدري حين تشد بالراقصة إلى قلبك أترفع ثمة أم تنقص كالقنينة الضئيلة بين يديك

لاربي في أن ألمانيا التي اخترعت هذا النوع من الرقص بلاد ما خفيت حقيقة الحب عن أهلها وكنت أخسر راقصة راتمة الجبال تنتمي إلى السرح الإيطالي جاءت إلى باريس لتمضية أعياد المرفع ، وكانت بزى الرافصات في هيكل إله الخمر ترتدي قفطاناً من جلد النمر ، وما كنت رأيت في حياتي امرأة تشبه هذه المرأة في دلالتها ، فقد كانت ممشوقة القد ناعلة القوام تنطلق في خطواتها بسرعة ، ولكنك تخالها تنسحب سحباً وهي تنقص في دلها . ولقد يحسب الناظر إليها أنها تنصب مرافصها في حين أنه لا يحسب بها إلا تخيال

ميال بين ساعديه

وكانت هذه الثانية مذبذبة صدرها بطاقة كبيرة من الورد تورثي نشوة أن منها نشوة الراح ، وكانت تنطوي على ساعدي لأقل حركة كأنها من الأماليد عاشقات الشجر ، فكنت إخالها بما فيها من لبونة وعذوبة خلابة وشاحاً من ناعم الحرير يلفي كأذيال النعام . وكان عقدها التتلي من عنقها يهتز في كل دورة من دوران الرقص ضارباً على نطاقتها للمدني فأسمع له صوتاً خافتاً كثيف النغصون . وكانت في حركاتها من الجلال ما يوقفي منها أمام كوكب

والأسمى يرين على قلبي إذ أرى فيها بداية حمل الطبيعة ونهاية ما يأتيه المجتمع من التشويه ! ولكم شخصيت بشغوى أمامها إلى ليل ملهم تلوح فيه شرارات ضئيلة من نور عليل ولكم حاولت أن أشمل بعض الجرات الخادمة تحت هذا الرماد ، وقد كانت حلة شعرها بلونه ، فكنا ندعوها (ساندريون)

وما كانت تزق تسمح لي بأن أعين لها مملين فتولي ديجته الانفاق على تعليمها ، ولكنها عجزت عن بلوغ أي نجاح ، فما كانت الملم يتوادي عن نظرها حتى تكثف يديها وتبقى الساعات الطويلة محدقة بما وراء نافذتها . وكانت تمر الأيام على هذه الوتيرة فهدتها يوماً بأني سأقطع عنها المال إذا هي لم تتجهد ، فبدأت بالعمل دون إبداء أية مقاومة ، ولكن بلني بعد ذلك أنها كانت تخرج خلسة من البيت ولا يعلم إلا الله إلى أين كانت تذهب ، ففروتها قبل أن أسرحها أن تطرزي لي كيساً ، وقد احتفظت بهذا الكيس مدة طويلة كذخيرة حزينة وأبقيته معلقاً على جدار غرفتي كأنه رسم لكل طفل عاني في هذه الحياة

أما الثانية فهذه قصتها :

وكانت الساعة العاشرة مساء ، وكنا قضينا نهراً نال الرياضة الندية تنزهنا إلى منزل ديجته وكان هو قد سبقنا إليه لاعداد ما يلزم الليلة راقصة . ولما دخلنا الباب رأيناه مزدجماً بالمدعويين وبينهم عدد وفير من المثلثات ، وقد بين لي الصاحب السبب في دعوتهم إلى الحفلات فقالوا إن الرجال يتراحمون عليهم وما وصلت إلى القاعة حتى اندفعت مع تيار الراقصين ، وكنت شديد الميل إلى رقصة (الفالس) إذ ليس بين أنواع الرقص ما يخالها خفة ورشاقة وليس غيرها إلا حركات لا معنى لها يقصد منها

وراقصها وإذا هو لم ينفذ إليه ذلك الشيء المجهول
أو تلك الكهارب المسكرة التي تنتشر في الرقص
حين تتعالى التلنثات ويكسف لمب الجسم أنوار
المصابيح وما تنتشر هذه الكهارب إلا من
أجسام الحسان فيتكبرن بها أولاً ، ثم تهب منهن
كالسحب المتصاعد من مبخرة تتأبل مع الرياح

واستولى على خيل صريع . وما كنت أجهل
أن الحب يورث هذا النمل ، وما كانت هذه أول
مرة عرفته ، ولكنني ما كنت أعلم من قبل أن
يوسع امرأة أن تدفع بالقلب إلى مثل هذا الخفق
وأن تثير في الخيلة مثل هذه الأشباح بجبالها
وبأزهارها وبثوب غشط بجلد الحيوان المفترس ،
وبحركات دوران اقتبسها من أحد المهرجين ،
وبالتفاف معمم بض على كتف ، وذلك دون أن
تنبس بكلمة أو تبدى فكرة واحدة كأنها ترفع
عن الاعتراف بمرزتها وسلطانها

وما كان ما أشعر به من الحب بل من الظلم
الحرق ، فاني لأول مرة في حياتي كنت أشعر
باهتزاز أوتار مشدودة متى على غير قلبي ، فان تجللى
هذا الحيوان الرائع لميني كان قد استنطق وترأ غير
أوتار القلب في أحشائي ، وما كنت أحس بنفسى
ما يدفعني إلى أن أقول لهذه الثانية إنني أحببتها
أو أعجبت بها أو حتى لأعلن لها تقديري لجمالها ، فما
كنت أشعر أن على شفتي ألا تعطشا للالتصاق
بشفتيها لأقول لها : منطقتي بهذين المصمين
التراخين وأتلى على كتفي رأسك المسائل وارثقى
بهذه البسمة المذبة شفتي

لقد عشق جسدى جسدها فكنت من جمالها
في سكرة كسكرة الراح ...

ومر في دميته فسانى عما أفعل حيث كنت
فأجيبته : من هي هذه المرأة ؟ فقال : وأية امرأة

رائع يتسهم لي فأخاطها جنية تنشر جناحيها لتمود
أدراجها . وكان الموسيقى الشجية الهائعة كانت
تصدح من بين شفتيها وهي مائلة برأسها إلى الوراء
تكلمها الضفائر السوداء ، وقد أرهق عنقها من
ثقلها فالتوى

وما انتهى دور الرقص حتى ارتيمت على مقعد
في زاوية القاعة ، وكان قلبي ينبض بسرعة قطعت
أنفاسي ، فهفت قائلاً : يا لله مما رأيت !
يا للسخ الزائع ! والياك من أقى كلما حسن وجمال
تعرف كيف تلف وكيف تململ بجملها اللين
الأرقط ... لقد علمتكم حبة الجنان المغوية كيف
تلفين على شجرة الحياة وبين أسنانك ثمرة الموت .
يا لك ساحرة تتحكمين في قلوب الناس وتعلمين
ما يفعل بهم هذا الدلال الذي يتجاهل قوته ! وهلا
تلمين أنك تهلكين وتفرقين وأن كل من لمسك
سيحل به المذاب ، وأن ابتسامك وعين أزهارك
والاقتراب إلى ملاذك يؤدي إلى الموت ... ذلك
هو سر الخلاوة في افتراق تنورك وتفتق أزهارك ،
فأنت تترفين هذفاك عند ما ترسلين معصمك
متراحياً على السكواهل

لقد أعلن الأستاذ هاللي حقيقة مروعة حين
قال : (إن المرأة عصب البشرية والرجل عضلها)
وقد قال هومبولت العالم الجدى نفسه : إن أعصاب
النسر يحوطها إشعاع خفي . وأتباع سبلانزاني
يمتقدون أيضاً أنهم اكتشفوا الحاسة السادسة . إن
في هذه الطبيعة التي تغدق بنا إلى الوجود ثم تدفنا
إلى الموت وهي هائلة بآمن القوات الخفية ما يكفها ،
فلا نضيفن إلى ما نتسكع به من ظلمات ظلمات أخرى
ولكن أى رجل يعتقد أنه يتمتع بالحياة إذا
هو أبكر سلطان المرأة عليه ، إذا هو لم يشعر
بارتماش ساعديه بعد أن يكون خاصر امرأة جميلة

يصحب رجله المرحاء ليطبق على (فينوس) ويشبهها
تقبيلًا ، ولحيته تهب بدخان مصنعه وهو يحدهج
بنظراته الزائفة جسم الأنثى الجمال الرض مستغرقا
في التحديق بها وهي كل ما عاك فيحاول أن يتسم
ويتظاهر بالارتعاش مسرة وحبورا ، ولكنه في
الوقت نفسه يتذكر أباه كبير الآلهة (جوبيتر)
الجالس على عرشه في السماء

وحدق ديجنه في وجهي ولكنه لم يجب بل
قبض على يدي وجري قائلا :

إنني جد متعب وأعمر بحزن ، فأنت هذا
المصعب يقتلني . هيا بنا إلى المائدة نستعيد قوامنا
وجلسنا إلى مائدة جمعت كل ما لذي وطايب ،
ولكنني كنت أشاهدها ولا أتعجب بها إذ كانت
شفتي ترتجفان في ابتهاجها ، وسألتني ماركو عما
في قبعت شاخصا كالصنم أسرح أبصارى من
رأسها إلى قدمها صامتًا ذاهلًا

وما تأملت ماركو نفسها من الضحك فضحك
ديجنه معها من بيد وهو ريقنا . وكانت أمامها
كأس كبيرة من البلور تنعكس عليها الأنوار
فتتكرس على أسطحها لتنعكس بالسبسة الألوان . ومدت
يدها للبراقية فلألت الكأس بخمرة قبرصية فيها
حلاوة الشرق وتكتمه وقدمتها إلى قائلة :

— هذه لك يا بني
أخذت الكأس ثم أهدتها إليها قائلة :
بل لك ولي

ووطبت شفتيها من الحباب وأعادتها إلى
فكرتها دفعة واحدة وأنا أرسل إليها نظرات
حزينة قاتنها معانيها

فسألتني : أردتة هي ؟

— لا

— أمتب أنت ؟

تعي ؟ فقبضت على ساعده وسرت به في القاعة ؛
ولحظت الإيطالية أننا نتجه نحوها فابتسمت وإذا
تراجعت قليلا قال ديجنه — آه لقد رقصت مع
ماركو ...

— ومن هي ماركو ؟

— هي تلك الدلة الضاحكة هنالك ... فهل

أنت معجب بها ؟

— لا ، لقد رقصت معها وأحب أن أعرف
اسمها . وهذا كل إعجابي بها

وما قلت هذا إلا لأنني شعرت بشيء من
الجل ، فقول ديجنه عني وذبحت أنا نحو الإيطالية ،
فاستوقفتني قائلة : رويدك ، يا وكثاف ! ليست ماركو
كسائر البنات ، فهي في عهدة سفير ميلانو وتكاد
تكون زوجة له ، وقد جاءت إلى هذه السهرة مع
أحد أصحاب السفير ، غير أنني سأكلها في شأنك
فلا أدعك تحوت إلا إذا لم يكن بد من موتك .
سأحاول إبقاء ماركو عندنا للعشاء

قال هذا وتوجه إليها فسادني اضطراب يعجز
بياني عن تحديده ، وما بدأ بمحادثتها حتى تشيا
سوبة وغابا عن عياني بين ذرافات المدعوين

وكنت أأاجي نفسي قائلة : أيمكن أن يصيب
حديس ؟ أن تكون هذه المرأة هي من سأحب ؟
ولكن ما لقلبي ولهذا فإن حواسي وحدها تعمل
عملها بمزول عنه

وكنت أحاول بمثل هذا التفكير أن أهدي
رومي . وما طال الانتظاري حتى شعرت بيد ديجنه
تلقى على كتفي وهو يقول : سندهب إلى المائدة ،
وعليك أن تشبك ساعذك بساعد ماركو فهي تعرف
أنك معجب بها وقد تم الاتفاق ...

قلقت : اسمع ، يا ديجنه ، إن ما أشعر به بغوت
إدراكي ، فكأنني في رؤي أشهد (فولكان) فيها

تتكلم ولم تشرب بل أسندت رأسها بيدها وتاهت
في أحلامها . وما كان يوح على وجهها ما يدل على
تأثر أو استغراب ؛ فقلت لها :

— أما تريد أن تفعل ما يفعلون ؟ لقد سقيني
خمرة الشرق فهل لك بتذوقها ؟

قلت هذا وملأت كأسها دهقا فرفعتها بيدها
إلى فمها وارتشفتها حتى التالة ؛ وبعد أن أعادت
الكأس إلى المائدة عادت إلى استغرابها

وكنيت كلما أدت النظر إلى هذه العادة أزداد
استغرابا لخالها ، فعلى لاسرلتي ولا بضايقتها شيء ؛ بل
تفعل ما يطلب منها ولا تقوم بأية حركة من تلقاء نفسها
فذكرتني بتمثال الراحة الأبدية ؛ فقلت في نفسي
لو نفخت روح في هذا التمثال لما كان يبدو لنا إلا
كأركو ثانية

وكنيت أقول لها : أنت طيبة القلب أم أنت
شريرة ... أحزينة أنت أم مسرحة ... أيرورك أن
تجبي ... أنهون المال والذلات ... وأى نوع منها
تفضلين ... أسباق الخيل أم الجرام الرقص ...
أى شيء يمجبك ... وعماذا تحلين ؟

فأكنيت أظن منها إلا بجواب واحد على جميع
هذا ، وهو ابتسامة لا حزن فيها ولا سرور ، كأنها
تعني الاستسلام وعدم المبالاة

وقربت إلى مبسمها شفق فألقت عليها قبلة
مترامية تشبهها ، ثم رفعت يديها إلى فمها فصرخت
بها : ويل لمن سيجبك يا ماركو ...

فألقت إلى بنظرة من مقلتها السوداء ثم رفعتها
إلى الملا وأشارت بإصبعها بحركة إيطالية لا تقلد
ولفظت بتمهل الكلمة الكبرى الخاصة بنساء
بلادها : لقد يكون ...

وقدمت أشكال الحلوى والفاكهة ونهض
فريق من اللصوص إلى القاعة يدخنون ويلعبون .

— لا .

— أنشكو صداعا ؟

— لا

— ما بك إذا إلا هموم غرام

وظهرت على وجهها علام الجذ ، وكنيت أعلم
أنها وليدة نابولي لذلك نبضت إيطاليا في قلبها عندما
تفوهت باسم الغرام

وفي هذه الأثناء كانت الدماء تنصاعد إلى
الرؤوس والأفئدة تنصدم بين الأنامل وبدأت
الحدود تصطبغ بلون الجمر فكانها كانت تبرقع
أشد الوجوه اصفرارا كيلا تملوها من الحجل حمرة .

وكانت الضجة تنهال وتنخفض كأنها نبرات
أمواج ، والأحداق ترسل لماعها إلى كل صوب ثم
تذهب تائهة . . . فكان في القاعة نسيات خفية
كانت تخفق فيها كل هذه الأرواح المائعة في نشوتها ،

وكل روح تتلمس طريقها إلى سواها

وهبت إحدى النساء من مكانها بين الحشد
كما تنهال على صفحة البحر الساكن أول موجة

تننسم الماصفة فتملو منذرة بإقترابها . وقفت

وأشارت بيدها لينبعت الحضور إليها وكرعت

كأسها ثم حولت أناملها إلى شعرها تنثر خدائرها

الذهبية على كتفيها وعلى صدرها التهدج بأنفاسه ،

فما أسمعنا سوى نبرتين غننقتين وامتقع لونها فجأة

فترأخت على مقدمها

وقامت قيامة الحاضرين ، فساد المرح والرج

حتى نهاية السمر ، فما كان لأحد أن يتميز شيئا

وقد اختلط الضحك بالنناء والعراخ

وسألني ويجنه عما أقول في هذا فأجبتة بأنني

لا أجد ما أقوله ، فإلى إلا أن أسد أذني وأسرح

أبصارى ...

وبقيت ماركو ساكنة وسط هذه العممة فلم

على شعور غريب يبدو ماثير هذه المحاسن من شهواتي
ولعلني كنت مأخوذاً باستهواء من الاشماع
الحنفي فتحكم في مافي هذه الثانية من سكون وجود .
وانطرحت متمثلاً بها على القمد المستطيل قبلة
سريها وتغلغل صقيع الموت في روحي
إن نبضان الدم في المروق يشبه حركة ساعة
غريبة لا تسمك خفقانها إلا في الليل ؛ في طيات
الظلام تتوارى مشاغل الانسان حوله فيعود منكشاً
على نفسه ليسمع حركة الحياة فيه

وامتنت جنوني من النفض بالرغم مما تحمات
من متاعب نهاري وأحزانه ، وكانت عينا ماركو
تحدقان في فسكان كل منا شاخصاً في الآخر وقد
خيم علينا السكون

وقالت : ماذا يشغلك هناك ؟ أفا تريد أن تجيء
الى جانبي ؟

فقلت : بلى ... إنك رائمة الجلال يا ماركو ...
وسمعت صوتاً كأنه نبرة أنين ، وكان ذلك
صوت انقطاع وتر من قيثارة ماركو . وأدبرت
وجهي نحو مصدر هذه الأنه ، فرأيت أوائل أشعة
الفجر تلوح بنورها الباهت تتأثر النوافذ
نهضت فأزحمت لإحدى الستائر فانتشر الضياء
في جوانب الترفة ووقفت لحظسة أنظر إلى المدام
فاذا هي مجلوة صائبة الأديم
وكررت ماركو دهبوها إلى ، فأشرت إليها
بأن تنتظر

وكانت هذه الفادة اختارت لسكنائها هذا
الحى البعيد عن مركز المدينة احتراساً ؛ وكان
لها منزل آخر تستقبل فيه أصدقاء عشيقها .
ولعل الترفة التي كنا فيها ليست سوى موضع
خلوة ، فقد كانت تشرف على حديقة اللوكسنبور
التي رأيته منبسطة أمامي

وما بقي على المائدة إلا العدد القليل . وكانت بعض
النساء يجلسن للرقص والبعض الآخر للنماس ،
وعادت جوقة الموسيقى إلى العزف وتضاءلت أنوار
الشموع فاستبدلت بها سواها ، فتذكرت وليمة
(بترون) التي ما كانت تنطفئ المصابيح فيها حول
من طرحتهم السكر على مقاعدهم حتى يتسلل الخدم
إلى المائدة ليسرقوا ما عليها من الأواني الثمينة
ودام الانشاد يتعالى من أفواء اثلاثة للفنيين
الانكليزي ذوي الوجوه الشاحبة

ودعوت ماركو الى الانصراف فنهضت
واستندت إلى ذراعي فسيمنا ديجنه قائلا :
— إلى الند

وخرجت بها من القاعة وكنت كلما اقتربت
إلى منزلها يزداد خنوق فؤادي ويستولى الصمت
على لحيرتي في هذه الثانية التي تترفع عن الشهوة كما
تترفع عن الكره ، وما كنت أدرك السر في ارتجاف
يدي وهي تلف هذه المخلوقة الساكنة الجامدة

وبلغنا غرفة ماركو فاذا هي على مثالها قائمة
تنثشر الشهوة في جوها ، وكانت منارة مصباح من
الرخام الناصع البياض يرسل في جوانبها أشعة
منكسرة ، وكانت المقاعد كأنها أسرة وثيرة مشدودة
بالحرير على زغب الطيور ، وما دخلت إلى هذا
السكن حتى هبت في وجهي رائحة عطور تركية
أصليبة مستوردة من الفسطنطينية ، وهي أقوى
المطور تهيباً للأعصاب وأشدّها خطراً

وقرعت ماركو جرساً فجاءتها وصيفتها الفتية
وسارت وإياها إلى الحذر وما لبثت حتى انطرحت
فيه على سريها وقد أسندت وجهها يدها مترامية
على عاداتها

ووقفت أمامها أنعم النظر فيها : وكنت كلما
مؤغلت في إعجابي وكما ازداد إعجابي بحاسنها لي يستولى

بثقل هائل يخفض رأسى التنب
وتقدمت بضعة خطوات إلى مكتب كان
مفتوحاً قرب نافذة أخرى فاستنداً ساعدي
إليه ، والتفت بلا قصد أحديق رسالة تركت
مفتوحة عليه ، وهي لا تتضمن إلا كلمات قليلة ،
فقرأتها مراراً دون أن أفهم معناها حتى انجبت
تدريجاً ، فذهرت منها فجأة ، وأخذت الورقة
بيدي أقرأها ، فإذا هي مشحونة بأغلاط الاملاء .
وقد ورد فيها :

(لقد ماتت أمس عند الساعة الحادية عشرة
ليلاً . شعرت باقباض فدمعتى وقالت لى : لوزون
أما ذاهبة للقاء رفيق . افتحي الخزانة وخذى منها
النطاء الملحق بمبارقته كذلك النطاء ...)

جثوت باكياً أمامها فمدت إلى يدها صارخة :
لا تبكى ... لا تبكى ... ثم أرسلت زفرة ...
وكان باقى الصفحة مزمزماً

يصعب على بيان ما فعلت فى هذه الأسطر
الفاجعة . قبلت الرسالة بيدي فإذا على ظهرها عنوان
ماركو وتاريخ اليوم المنصرم فصرخت : — لقد
ماتت ... ومن هى التى ماتت ؟
وتقدمت نحو السرير منادياً : من هى التى
ماتت ...

وفتحت ماركو عينها فقرأت مستنداً إلى
سريرها والرسالة فى يدي فقالت :
— هى أمى ... أفا تريد أن تأتى إلى جنبي ...
ومدت ذراعها نحوى . فقلت لها : — اسكنى ...
فامى ودعيتى هنا . فالتفت على جنبها لتستغرق فى
نومها ثانية

وشخصت إليها حتى تأكدت أنها لن تسمع
حركتى وتراجعت رويداً وانسحبت من المكان
(يُجمع) فبكس فارس

وكنْتُ أشعر فى قرارة نفسى بقوة أغالها
فلا أستطيع التحكم فيها فكأننى منها كالتقابض
على قطنة من الفلين يريد إغراقها فى الماء فتتملأ
بين أسابعه وتأنى طبيعتها إلا الاثناث إلى سطحه ،
ولكننى عند ما مدت بأنظارى إلى مسارج
الحديقة انتفض قلبى بين جنبى فهب التذكار فى
يبدوكل فكرة تراودنى . لكم هربت من المدرسة
وأنا صغير لأجأ إلى ظلال هذه الأشجار حيث
كنت أنظر حويدي كتاب من جاحات الأشعار ،
وتلك كانت جميع ضلالت صباى وآسفاه ...
وتنبتت ذكرياتى البعيدة تشارفنى من الأشجار
الباسقة المارية من أوراقها وتنطلق إلى من خلال
الأعشاب النابذة تحت ظلالها . إلى هنا أتيت مرة
للتزهر مع أخى ومعلمى وكنْتُ فى العاشرة من
عمرى ، فكنا نرى بقطع الخبز إلى ذرافات الطيور
الجامعة . وهنا جلست مرة منزويًا أنفجر على رهط
من الفتيات يرقصن فيرقص قلبى لنهتهن : نهات
تشيد الأطفال ؟ وهنا أيضاً صررت ألف مرة على
الطريق ذاتها فى رجوعى من المدرسة ، وأنا أقذف
الحصى برجلي ، وأطارد بذهنى بيتاً من قصائد فرجيل
شخصت ملياً أمام هذه المشاهد فهتفت :
— هذه أنت يا طفولتى ، وهما أنت هنا يا لى

وأدرت طرفى إلى القرعة فإذا ماركو قائم وقد
انطفا المصباح ؛ وكان ضوء النهار قد تبدل منظر القرعة
تبدلاً ، فظهر لون الورق الملصق على الجدران ،
وكنْتُ حسبته فى الليل مستعيراً زرقه الآفاق ،
بلون الأوراق الخضراء وقد أحالها الذبول ، ورأيت
ماركو ، التمثال الرائع ، منطرحة على سريرها
ووجهها غمتع كوجه الأموات

وملكننى رعشة لم أفر على احتلاكها فكنت
أنظر تارة إلى السرير وطوراً إلى الحديقة فأشعر



هوميروس

حفل أولمبي

وصنبت أوروبا بمثل حمرة الخجل وجنات الشرقيين ، فاستيقظ الملك ، وهب أوديسيوس من نومه ؛ وذهب إلى الشاطئ حيث تأنق السفن مراسيها ... وهناك ... فوق مقعد حجري أماس ، جلسا يتحدثان ؛ بينما كانت ميرةفا تدق البشار في شوارع المدينة ، وقد بدت في صورة منادي الملك وطيلسانه ، تدعو سادات الفياشين وشيوخهم إلى مجلس الملك ، للنظر في أمر هذا الغريب الكريم اللامحى الذى حل عليه ضيفاً ... « كأحد آلهة الأولمب ، رغم ضربه الطويل في عرض البحار » وأزدهم سادات المدينة وأشياخها في قاعة المجلس ، وكانوا يقبلون في أوديسيوس نظرات الإعجاب والدعش ، وكيف لا ؟ وهذى ميرةفا قد أضفت على صدره الزحج وكنتفه المنظمتين ، وجسمه السامق ، رؤاً علويًا من الآلهة والجلال ، كان يتمكس وقاراً ورهبة في قلوب الفياشين

(٨)



الأولمبيات

لهوميروس

بقلم الأستاذ دريني خشبة

فهرسة الفصل السابق

« لم يد أوديسيوس البطل اليوناني الكبير من طروادة بعد أن وضعت الحرب أوزارها بل ظل يضرب في البحار عدة سنوات مما أطلع أمراء النواحي في زوجته الجيلة ، غاصروا بيتها وأتلفوا ثروتها وترهبوا لولها تلك ليقطوه ! وهو قائد من أسيرة وييلوس بعد أن لقي ملكيهما ، وحده أحدهما من مصر أبيه ... أما أوديسيوس فقد غرقت سفنه ، ونجا هو من الموت ، وسبح إلى جزيرة إحدى ممالك الماء (كليسو) التي هوجت وشغلها حبه فأقنعه لديها زمناً طويلاً حتى أمرها زيوس كبير الآلهة بإطلاق سراحه ومنحه سفينة يعود فوفها إلى بلده ، وقد أبحر على رمت صغير ظل البحر يلب به حتى إذا بلغ أرض شيا غرق الرمت وسبح أوديسيوس إلى الفاطية ، وفي الصباح لقي ابنة ملك الفياشين في جماعة من أتباعها جلادين فوق الفاطية ، فسألها أن تمنحه دثاراً يستر به عورته ؛ وركت له الفتاة ، فأكرمت منواه ودلته على بيت أبيها الملك الذي حش له ویش ، وعرض عليه أن يزوجه ابنته إذا لم يكن ثمة حائل دون ذلك ؛ وأرجأ النظر في عودته إلى بلاده إلى الصباح ... »

تذبح وتنتزع أنيابها حتى أخذ الجميع فيما أقبلوا له
من طعام وشراب . . . ثم أقبل متادى الملك يقود
النشد الألهي الأسمى ، رخم الصوت ، صفى ربات
الفنون ، اللان عدلى له بقسطنطين من خير وهن شر
سواء ، فوهبته التطريب المعجز ، وسلبته النور
من عينيه المزيّرتين . . . وأقيم له عرش مُسَرَّد
في وسط الصالة الكبرى ، عند محمود مرمرى
عظيم ، فاستوى عليه ، وأعلمه بوتونوس مكان
قبتارته المعلقة فوق رأسه ، ووضع بين يديه سلة من
طعام وشراب^(١)

وما كادوا يفرغون من آكلهم حتى رقصت
عراس الفنون في فم النشد المطرب ، فأرسل غناء
سحر ألباب الناس ، ورق بها إلى أثر الآلهة
في قبة السماء . . . لقد تنفى هذه الأغنية التي تنظم
النزاع الذي شجر بين (أخيل) بن بليوس ، وبين
أوديسيوس بن ليرتيس أثناء الوليمة الالهية ، والذي
جاءت به نبوءة أولولو (في دلفوس) حينما استوحاه
أجاثمونيون عن يوم سقوط طروادة في أيدي اليونانيين
وسكت المفني ، ودفن أوديسيوس وجهه السام
في ذيل ثوبه الأرجواني الفضفاض خشية أن يلاحظه
أحد . . . وطقق بيكى . . . ويستخرط في البكاء
ثم كشف عن جبينه ، وسق الثرى كأساً من خمر
صلاة للآلهة . . . ثم عاد إلى بكائه حينما جبل المطرب
لحناءه ، وكان يرسل هباته في كسائه غير ملحوظ
من أحد إلا من ألكينوس ، الذي غر عليه ما رأى
وما سمع من عبرات ضيقه ، ومن تهديده ، فقال :
« حسبننا يأسادة ما طمنا وما سمنا . . . هلوا جميعاً
نشهد الضيف الكريم بعض ألهنا ليسد كر في
المالين أن الفياشيين خير من بحرى ومن يثب ،

(١) خمر لذيق الطعم

ولما انتظم عقد القوم نهض ألكينوس الملك ،
فقال : بإسادة الفياشيين وشيوخ الأمة ، كلمة
صراخلة ، فاسمعوا وعوا : لقد حل هذا الضيف
الكريم الذي لا ذكر اسمه في بيتي بمد أن شرق
في آفاق العالم وغرب ؛ وإنه ليرجو أن تمدوا له
يد المعونة فيعود أدراجة إلى بلاده في كنفكم
سالماً ، إذ طالما كان هذا دأبكم ، إكرام الضيف ،
والاحسان إلى الزبراء اللاجئين ، وردم إلى ديارهم
بهما كانت سحيفة آمنين . . . فالبدار إذن . . .
هلوا إلى سفائنكم فتخيروا أحسنها حالاً ، وأصلحها
لجالة هذا البحر ؛ ولتمدوا لها نخبة ذوى بأس
من أصلب فتيانكم عوداً وأشدم مراسا . . .
إثنين وخمسين عدداً من أبيض زهرات شباب
هذه الأمة . . . ثم تناولوا إلى فاني مولم لكم تحية
لهذا الضيف ، فلا يتأخر منكم أحد أبداً . . .
وليحضر معكم أحب النشدين دمودوكوس الآلهي ،
صاحب الألمان الخالدة ، والصوت الساوى الساحر ،
فليشرف آذاننا بحلو أنغامه التي لا يقدر عليها
إلا هو . . . »

وانصرف الملك إلى تره شيوخ الفياشيين ، وانطلق
رسول إلى منزل النشد دمودوكوس الآلهي . . .
واختيرت النخبة ذات البأس من شباب الملاحين ،
وأعدت السفينة في مكانها الأمين من الم ،
فصُبت القلاع ونشر الشراع وصُفّت المجاديف . . .
ثم مضى الجميع إلى بيت الملك ، حيث كانت الجماهير
الحاشدة تكظ الأبياء ، وتزدحم في الدهاليز ، وتملأ
الصالة الكبرى . . . وجرى بالقبائح . . . فهذان ثوران
كبيران ذوا خوار . . . وهذان اثنتا عشرة شاة
سمنية ، وتلك أربعة خنازير كيناز^(١) ما كادت

(١) كيناز جمع مفردة مثله كثيرة اللحم والشحم

وأمر الناس في السكم والمصارعة !
 ونهض الملك ، ونهض في إثره كل أضيافه ،
 وتقدم المنادى فقاد دودوكوس ، وقصد الجميع ،
 إلى ساحة السوق الكبرى ، حيث احتشدت
 كواكب الشجعان والشباب اليافع من ذوى القوة
 والفتوة والبأس الشديد ، أتوا من كل حدب لهذا
 الحفل للمشهود ... وفي وسط الحلبة وقف الأبطال
 آكرون وأوكيال وإلاتريوس ونوت وپرمينوس ؛
 ثم وقف خلفهم الأبطال أخيال وأنايسين وإرتيموس
 وبونت وپور و أمفيال وتون ... ثم نهض حليف
 مارس للهوب يوريالوس ، ثم نغر شباب الفياشين
 نوبوليد ... وقف كل هؤلاء ... ثم هب أبناء

مفتول الساعدين ، وإن له لمتقا أى عنق ... كل
 ذلك برغم بدوات الضي وأمادات العناء ، وما حطم
 البحر من جسمه الخصب ، وهل أهلك الجسوم
 الرجال من أجبال الباب ١ ؟
 وكأنما راقى هذه الكلمات البطل يوريالوس
 فطلب إلى لوداماس أن يدعو الضيف إلى النزال ،
 فنهض لوداماس ثانية وقال : « هلم أيها الضيف
 فأرنا هل تجد من هذه الألما ب شيئا ؟ إنه
 ما يستحق أن يعيش من لم يعمل بيديه ويسع
 بساقيه ... هلم ؟ حاول إذن ! فإم احترازك هكذا ؟
 إنا لن نؤخر لك قط ، فالسفينة ممتدة والملاحون
 على أهبة »

وقال أوديسيوس بيمينه : « أتتخذني هزوا
 حين تدعوني للعب بالوداماس ؟ أى لهو وأى
 لعب وأنا نفوذ أسقام وطريح آلام ، لا أمل له إلا
 أن يمود إلى بلاده ، وفي ذلك ما يضرع الملك
 للناس ! »

وهب يوريالوس بصدا^(١) ويقول : « كلا
 أيها الصديق ... إني عزيزك ، فسجك لا تنبئ عن
 رجل رياضي ، بل أكبر الظن أنك من رجال
 الأعمال أو حفظ الخازن ... أو ... إن لم
 يخب حدسى ... من أدلاء السفن في الثغور ؛
 ومن يدري ؟ فقد تكون عيارا أو قرصانا ! »
 وعبس أوديسيوس وبسر ، وانتشرت فوق

جبينه ظلمات من ألم ، وتهديج صوته فقال : « إنك
 لم تحسن كيف تتكلم أيها السيد ، وإنك لم تبال
 أن تطلق في لسانك بهجر القول كأننى رجل
 لا اعتبارى ... على أن الآلهة — جاءت وعلت —

« والآن أيها الأصدقاء نسأل ضيفنا الكريم
 إذا كان يمحذ شيئا يفخر به من هذه الألما ب ؟
 إنه ما يزال غرض الشباب ، بادى الفتوة ، مكتنز
 المضللات ، عظيم منة الساقين والفضحين ،

مجلانة تقيس مدى القذفة ، ثم قالت : « ألا أبهذا
الغريب ! الأهمى نفسه لا ينكر برهائك الدماغ
القوى ! إنه مدى لا يستطيع أحد غيرك ، فتبه
على هؤلاء الفياشين ! إن منهم من لا يستطيع أن
يباريك فى أى من هذه الألما ب فادهم إليك
وما عليك من بأس »

وشاعت الكبرياء فى نفس أوديسيوس حين
سمع هذا الما ب من صميم الفياشين يطربه وبني
عليه وينصب من نفسه قاضيا له ، فقال ، وقد
انكسرت حدة غضبه :

« هلموا أيها الشباب فاقدفوا هذه القذفة ،
أقدف أبسدها وبقرص أكبر وزنا ! هلموا !
ليأت أقوى ملايككم فاني له ! وليقف أضربى
مصارعيكم فانا أخوه ! وليجبر من أسرع عندائكم
فلن يلحق غباري ! لقد هجمت فأرى فلهلوا !
إلى أيديكم جميعا ! لا لوداماس فانه مضيق وصاحب
قراى ، وليس بي أن أأزل من أكرم مثواى فى
دار غربي ، وليس بي من الترق ما يحملنى على شيء
من ذلك ... أما غيره فانا له ، وسيعلم منازلهم
يكن مبلغ قوى ... إنه ليس من الألما ب الناس
ما يعجزنى ... فانا رب القوس ، وطالما صرعت
الألوف من الأعداء تحت أسوار طروادة ، وأبدا
ما رى أحدهما كما رميت إلا فيلكتيتس يوم حاز
قصب سبقيها دونى ... على أنه من أنا ؟
إننى لم أبلغ من الحول بعض ما بلغ هرقل أو
يوريتوس الذى نفس عليه أبولو مهارته فى الزمالة
فقتله ... هذا ... وإذا ذكر الرمح السهوى ،
فانى أبلغ به الذى لا تبلغه سهامكم ! على أننى
لا أطمع أن أبلغ خفتكم ورشاقة حركاتكم — فأنذ
قاسيت من الأرزاء ما قصم ظهري ، وصارعت

لم يتفق أن منحت أحدا من الما لين كل ألانها فى
وقت مما ... بسطة الجسم ورجاحة العقل وقوة
البيا ن ... فقد يلوح لك هذا الرجل مهذبا عظميا
فى حين قد وهبه جوف بيا نا متينا ولسانا مبينا
حتى ليخلب ألما ب سامميه ، وحتى ليرتفع فى
نفوسهم إلى مصاف الآلهة ... وقد تنظر إلى ذلك
الرجل كأنما تتدفق فى عضلاته قوى السماء ، وهو
لا يحسن أن يقول كلمة ... مثلك ... مثلك تماما ...
فلقد أوتيت بسطة فى الجسم ، حتى لتوشك فى
ذلك أن تكون مثالا تقيس عليه الآلهة ، إذا أرادت
أن تخلق ماردا جبارا . ولكنك — وأسفاه ! —
لم تؤت بيا نا ولا حكمة ! فلقد أثرت فأرى بكلائك
الغلاظ . المعاف ! إلى — أيها السيد — كما
ذكرت — لا أحسن من هذه الألما ب قليلا
ولا كثيرا ... ولكنى كنت فتاها وقارس حلبها
أيام كنت شابا يافعا غض الأما ب ريان الشيا ب ...
أما أنا الآن فوا أسفاه ! ! إن حداث الزمان
لم يُبق منى ... ولا على ! لقد ذبل شبابى فى تقع
الحروب وسوح الوغى ... وفى هذا البحر اللججى
يشاء موج من خلفه موج ... كالجبال ... بيد
أننى ... على الرغم بما ينقص ظهري من ويلات ،
سأبث فى سجل شجاعتك قوى ! فان لما هرفت
به من قول السوء لأنيابا تمضى ونهشنى ...
أو أدلى على قوى وجبروتى ... »

وكان إلى جانبه قرص القذف الذى يستعمله
أبطال الفياشين فى مبارياتهم فاقبض عليه واحتمله
بيده القوية الفتولة ثم دفعه دفعة هائلة كن لها هزيم
وقصف ، واستهلها بحجارة الفياشين الشجبان
نفضوا رؤوسهم حتى استقرت بجيتدا خلفهم ...
وهنا بدت ميزفا بين اللان فى صورة أحدم ، وهبت

أوديسيوس وشدة تنجيته ، والطرب فيما بين ذلك
 بوقع لهم النغم الحلو ، وللموسيقى العالية ... وفرغوا
 من رقصهم ، فشرع النشد يتنقى أسطورة مارس
 وممشوقته الآتمة سبتريا^(١) إذ أغواها رب الخروب
 المستهتر بمسول الكلام ومطاول الغرام فاستلانت
 له ... وكان أبوللو — إله الشمس — يرقبهما
 من مركبته الذهبية في علياء السماء ، فطار بالفضيحة
 المشتومة إلى الزوج التامس ... فلكان ... الذي
 استطير وثار ثأره ، فراح يصنع أنشودة كبيرة
 كالشرك من حلق الحديد الفرغ الذي لا يقوى
 عليه أحد ، حتى إذا فرغ منها حملها إلى داره ودمها
 حول سريره ثم ألم باللمرج النجس حيث أوى
 مارس إلى فينوس — الزوجة الآتمة — وكان
 مارس يقلب في عينيه أخريات غفوة الضحي ،
 فلمح فلكان بطوى الرحب إلى أرض لنوس —
 أحب المدائن إلى قلب الآله الحداد ... وطرب
 مارس أيما طرب ... وأيقظ ممشوقته قائلا :
 « هلى فينوس ... إنهمض أيتها الحبيبة ... لقد
 ذهب زوجك إلى لنوس أرض البرابرة ... هلى
 إلى البيت ... إلى السرير الدافئ ... إلى الحب ...
 إلى نعيم الهوى ١١ » وهبت فينوس ... وانطلق
 الأتيان إلى سرير فلكان ، وفي قلب مارس غلة ،
 وملء جوانحه غواية وإثم ... وفي دمه شيق إلى
 هذه الفاكهة يكاد يقتله ... ولكن ... وأسفاه !
 إنهما ما كادا ينطرحان فوق الفراش الوثير حتى
 انطرحت فوقهما الأنشودة المائلة ... وأمسكت
 بهما إمساكا شديدا ... لم يجدا منه حولا ، ولم
 يجدا منه خلاصا ... وكان أبوللو يرقبهما كذلك ،
 وقد حدث فلكان بما رأى .. فعاد الآله الحداد

موج هذا الخضم حتى حطمنى وأوهانى ، ولقيت
 من الطوى ما برانى ١١

وصمت الفياشيون ولم ينسوا . ثم تكلم الملك
 فقال : « عمرك الله أبهذا التنازع الكريم لقد
 جلبات في آذاننا كفاتك ، فدل على شجاعة
 وعنفوان ، وأغمت هذا الشاب الذى جرح عزتك
 وأهان كبرياءك أمام الجميع ، نعمسكت عن محديك ..
 ولكن نعال فانظر إلى ما نريك من ضروب الخفة
 وفنون الرقص وفنون الفناء والسبق في العدو ،
 وسهارتنا حين نسوس الفلك فوق أعراف الموج
 ورفاء التبج ، كما نتحدث بهذا كله إلى أقرانك
 وبين ظهرائ قومك ، وتحكيه لأطفالك . عمرك الله
 أيها الثريب المكرم إنه لا غر لنا في ميدان اللكم
 والمصارعة ، بل غاية المتاع عندنا فوب موشى ،
 وطعام ملون ، وقبتار ممرنة ، ورقصة خاطفة ،
 وحمام دافئ وفراش وثير والآن ... هلموا
 أيها الفياشيون فالهوا أمام ضيفكم والمبوا ، وأروه
 من رقصكم وشفنوا أذنيه بشنائكم ، فلسوف يتحدث
 بكل ذلك في الأفاق ، وحسبكم أن يذكر عنكم
 أنكم أهرمن ركب البحار ... هلموا ... ليحضر
 أحدكم دمودوكوس الآتمي ... يمزج على قيثاره
 ويتلاعب بقولتنا بفنائهم ... امجنوا عنه في بعض
 ردهات القصر ... »

وانطلق منادى الملك يبحث عن الطرب
 الآتمي ، وانطلق آخر يمد قيثاره ، ثم نهض تسعة
 فياصل عهدون أرض الملعب ويهينون الحلقة ،
 ويزحزون الجماهير ... وأقبل النادى والطرب
 يسى بين يديه ، وجلس في وسط الحلقة حيث
 أحدق به الولدان اليوانع اليوانع يمسون ويرقصون
 بسيفان مخطف كمثل خطيف البرق ، بين دهش

الفادحة للأله الأعرج ... ثم خاطب أبولو
— رب الشماع الوضاء — هرمن فقال : « يا ابن
جوف ، يا رسول السماء ، ألك في هذه النفوة الحلوة
في حضن فينوس ، على أن تقع معها في هذا الشرك ؟ »
وأجابه هرمن عابسا : « يا رب الرماة ! بنفسى
بنفسى ! ! منذ الذى يأبى حضن فينوس في شرك
هو ثلاثة أضمان هذا الشرك ، على أن يرمقه سكان
الأرض والسماء ! ! » وتضاحك سكان السماء ،
ولكن نبتيون الذى ساءه هذا الحال خاطب فلكان
فقال : « هلم فلكان ففك هذه السلاسل والأغلال ،
وإنى زعيم لك كغفيل أنه مؤد إليك كل ما تقرض
عليه من غرم ! » .. ورفض فلكان أن يطلق
فريسته ... « لأنه من يضمن ألا ينطلق مارس
وهو لا يلوى على شيء ، غير عاني بكل ما عساه
أن يمد ؟ » . وقال رب البحار : « ليطعن قلبك
يا فلكان ، فوعزنى وجلالى لئن لم يف مارس
لأنجزن أنا ، ولأؤدين عنه غرامته ! ! » . فأجاب
رب الحديد الصناع : « إذن ، فان يخبب رجائك ،
ولن رد ظليك : » . وتقدم ففك الأغلال عن
الماشقين الفاسقين ، وانطلق مارس إلى مأواه
بأرض تراقية ، وانطلقت فينوس إلى مرثها الجبل
بأرض بافيا — حيث تلقاها ورب من أترابها
بالبشر والترحاب ، ففسلتها ، وضمختها بالطربوب
القدسية ، وأسبلن عليها شوف الصبي وأردية الشباب

وفرع دمودوكوس من إنشاده بين تأثر
أوديسيوس وتلف البحارة الفياشين ، ثم أوما
الملك إلى أبنائه فوثبوا وسط الساحة ، وأخذوا
يرقصون في خفة ، ويتقاذفون كرة ظالية من صنع
بوليب ، فكان أحدهم يرسلها عالية حتى تدنو من

على مجل ، ولم يكن قد بلغ شيطان لنومى بمد ...
وكان قلبه بدق ... لا ... بل كان قلبه يكاد ينضلع
فوقف في البهو الكبير ثم أرسل صيحة مدوية
يستصرخ بها الآلهة : « يا جوف العظيم ! يا آلهة
الخلود جميعا ! أنظروا ! إشهدوا كيف تقضض
فينوس زوجها مع عشيقها الفاجر مارس ! وله ؟
لأنه وسيم قسيم قوى ولأننى محط منوك موهون !
ذنب من ؟ إنها جريرة من أنسلوى وجاؤا بي إلى
الحياة ! أنظروا كيف يتمرغ الشهوانيون الفساق
فوق فراشى ! لقد تناجت مشاعرهم فهم لا يبالون
أن يأكلنى النيط أو يقتلنى الحقن ... ولكن لا ..
حسبهم هذا الشرك الذى لن يفلتهم حتى يرى
جوف فيهم رأسه .. جوف الكبير التمالى .. والد
فينوس ! الذى أطلب إليه أن رد إلى قناطير الهدايا
الزوجية التى قدمتها باسم ابنته الماهرة كشروط
لاطلاق سراحها ! »

ولم يكذب فرغ من صرخته حتى اجتمع في
بيت جوف ذى الأرض النحاسية جميع الآلهة ...
وكان أول من أقبل نبتيون رب البحار ، ثم تلاه
هرمن رسول الآلهة وصاحب القوس ، ثم أبولو ...
ثم غيرهم وغيرهم ... ولم يحضر من ربات الأولب
واحدة ! فقد احتجزهن النجل من شهود
هذه الفضيحة ! ثم أطل الآلهة يققهون
ويضحكون ... ويتلهون بهذا المنظر العجيب ،
ويقول بعضهم لبعض : « يا للآثم ساق إلى
أوحم المواقب ! وباللأعرج الأكسح ، يشاقى ! »
السباق المحلى ! ! لقد استطاع فلكان أن يمسك
بتلابيب مارس ، الذى هو من هو ... مارس !
أسرع عدائى السماء ! ! إن عليه أن يؤدى الفرامة

به ، كما أفرغ منه الخمر تقدمه للآلهة . وسألها
أن تمد للرجل حماما ينمسه ، وأن تدع الأنواب
والأكسية كيما يهدر بها —
وأمرت الملكة خدسها فأعددت الحمام ،
وأحضرت هي ثوبا فضفاضاً فوضعت فيه بدر
الذهب وكأس الملك وسائر الهدايا ، ثم تلقت إلى
أوديسيوس فقالت له : «والآن أيها السيد هلم فناق
هذا الصندوق فهو لك ، لتكون أماناً عليه إذا غفوت
في السفينة . » ولي أوديسيوس ، وأغلق الصندوق
ثم ربطه بحبل طويل عقده تمقيدا . ثم دعت ربة
البيت إلى حمامه ، ولله كم ألقت عيناه حين رأى
الثوب الديباجي العظيم ، الذي لم يلبس مثله منذ
قارق كليسو ... ثم اغتسل وتدر ، وتضمخ بأحسن
الطيبوب ، وبرز كأحد آلهة الأولمب ... وبينما هو
يطوى الأبناء إذا صوت جيل ذوغنة يهتف به ...
وإذا هي الأميرة الفينائية — نوزيكا — واقفة
خلف عمود عظيم وهي تقول : « س . س . س
أيها القريب النازح اذكرني دائماً ، أنا ، أولي .
لعلك هنا !! » تبسم أوديسيوس وقال : «نوزيكا !!
أنت ؟ ابنة أكرم الملوك ألكينوس ؟ لك الله !!
ألا وحق جوف رب الصواقي لو سحت الأحلام
ووصلت سالماً إلى بلادى لظلت آخر الدهر أعبدك
عبادة أيها الجميلة المذراء كما أعبد الآلهة أرباني . »
وبلغ مجلس الملكة فاستوى إلى كرسي مجواره ،
 واجتمع الفياشيون مرة أخرى ، ودارت الأقداح ،
 وأجلس المطرب الأعلى الآخى ، بغرشيرو ، قريبا
من العرش ، وقدم إليه أوديسيوس جزءاً من
شواء حله أحد الندك ، فأقبل عليه المطرب حتى
اغتنى ، ثم توجه إليه أوديسيوس بالحديث فقال :
« كم أذنت جدر بالثناء يا دمودوكوس ، بل أنت
أولى به من أكثر الناس ! ليت شمري ! هل

السحب ، فينب الآخر فيلتقطها وهو معلق في
المهواء ، ثم يتقاذونها أحدهم بعد الآخر ، بين
تهليل الفتيان وتصفيقهم الشديد . وسر أوديسيوس
مما أبداه أبناء الملك في الرقص ، وأثنى عليهم لأبيهم ،
ورجاء في الذي رجاء فيه من تهينة عودته ، فتوجه
الملك إلى زعماء شعبه وقال : « يا زعماء الفياشين
وأشياخ الأمة ! حمى بنا أن نكرم مئوى هذا
الضيف الذي بدا لكم من وقاره وحكمته وأثير
أرومته الشيء الكثير ... هلموا إذن ... إنكم إتنا
عشر زعماء ، وأنا الثالث عشر ... فليحضر كل
منكم بكرة من الذهب وصدراً مفضوا فتكون
من الجميع هدية سنية له ... أما يوريلوس فعليه
هدية كذلك ، وعليه أن يتنذر بما فاه به . » ووافق
الشكل على ما اقترح الملك ، وأرسلوا رسلهم يحضرون
البدر والصدور ، ثم نهض يوريلوس يتنذر ويقدم
لأوديسيوس سيفاً جبراً له مقبض من فضة ،
وقراب مطعم بالماج ، ودعا له أن تسكاه الآلهة
بمعين الرعاية حتى يرى زوجه وولده وبلاده ، بعد
كل الذي احتمل من عناء ونصب . وتقبل
أوديسيوس الهدية ، ودعا لصاحبه بحياة الأمن
والسلم والرفاهية . ثم علق الجراز فوق كاهله الضخم
ووصلت الهدايا الأخرى مع غروب الشمس ،
فنهض أبناء الملك يتسلمونها ، ويحمونها إلى داخل
القصر ، ووصلت الهدايا الأخرى مع غروب الشمس
فنهض أبناء الملك يتسلمونها ويحمونها إلى داخل
القصر ، حيث أهم أربنا الملكة ... ونهض الملك
فتوجه إلى الداخل كذلك ، وسأل الملكة أن تحضر
ثوباً وأكسية ، وأن تمد صندوقاً يتسع لهدايا الزعماء ،
ملوك البحر ، التي خلعوها على الضيف ، وقدم هو
هديته ... كأسه الخاصة من الذهب الخالص ،
الحلى بأبهج الطرف وأبجى التصاوير ... « ليذكر

مرة إلى زوجها القنيسل ، ومرتين إلى أبنائها
 التاسعين ١١ كذلك كان أوديسيوس وكذلك كان
 يخفى دموعه في طرف رداءه فلا يراها أحد إلا
 الكينوس الملك الجالس قريبا منه ... وقال الملك
 متحدثا إلى رعاياه : « أيها الرعماء والأشياخ
 الفياشيون ، أولى ثم أولى أن يفرغ للشهد من إنشاده ،
 فلقد تصدع قلب ضيفكم ووهنت روحه مما يسمع
 من هذا القصص الحزين ! لقد أحبيناه كأخ ووهبنا
 له محبتنا وودنا وصافى أخوتنا لا ليحزن أو يأسى ...
 والآن ! هل يسمع ضيفنا فيذكر لنا اسمه الذي يعرفه
 به آله ويدعونه به ؟ لقد كنتم هذا عنا ، فهل ولد
 أحد ولم يجعل اسمًا ؟ من أنت أيها العزيز ، وما
 بلادك ؟ وإلى أين تحملك سفينتي ويبحر بك رجالي ؟
 لقد منحتنا نبتين — رب البحار — الأمن في ذلك
 البوم وذلل لنا غواشيه ، ولكنه ليس أشقى عليه من
 أن تحمل سفنتنا أغرابا مثلك لانرفهم فتبحر بهم
 إلى بلادهم ! ! إنه يفضض علينا ، وقد يفرق سففنتنا
 تشقيا واتقنا ما حينئذ تعود أدرأجها إلى بلادنا ، فتهوى
 إلى الأحماق ثم يسرحها إلى جبل نافي فوق الباب ،
 قَبِيلَ شيريا ! تكلم أيها السيد ! اصدقنا ! من
 أنت ؟ ومن أي البلاد قدمت ؟ وأين ضربت
 بطون الركائب ؟ وأي الأمصار شاهدت ؟ وماذا
 يفجر هذا الأسمى في أحماقك كلما سمعت عن جنود
 الأخيين وكلا ترددت في أذنيك أغنيات طرودة ؟ إن
 الآلهة تحيك من حاضر الزم طيلسان المعلوم لندة !
 أقتل أبوك عذ ؟ أم صرع أخوك تحت أسوارها ؟
 أم قفى حوك في ساجتها ؟ أم أودى أصدقاء لك
 أحباء في حلبتها ، كنت تصدم كبيض أهلك ،
 أو أغرن من أهلك ؟ تكلم ! »

دريتي مضربة

(يتبع)

نفقت موسيقاك على عرائس الفنون ، أم أنت قد
 حذقتها على أبولو نفسه ! لقد أنشدت ما كان من
 جيش الأخيين كأنك كنت شاهد عيان ، أو كأن
 شاهد عيان قد قصه عليك ! أنشد لعمر ك ! تحدث
 عن الحصان الهولة الذي صنعه إيبوس بإرشاد مينرغا ،
 والذي حمله أوديسيوس الجبار هو وصحبه إلى قلاع
 طروادة ، ثم اختبأ هو وم فيه ، فكانوا أول خراب
 اليوم ! ! تن ! ! إلى سوف أجل اسمك فأنشره في
 الآفاق أيها المطرب للمجز الذي لا يباريه إلا عازف
 موسيق السباء ، أبولو ! تقدر اسمه »

وتنزل أبولو على لسان للشهد فراح يقص الوقائع
 الطروادية مذكرا اليونانيون بمعسكرهم وبعد
 إقلاعهم من شطآن اليوم وذاك الانقسام في الرأي
 بين الطرواديين عن الحصان الهولة أيقصمون ظهره
 أم يدقون عنقه أم يحفظونه نذكارا لهذه الحرب
 ونصيحا للآلهة ... على كل حال لقد قتلوا الحصان
 داخل أسوارهم ليكون القاضي عليهم بمن فيه من هذه
 النخبة أولى القوة من أبطال الآخرين ... وهكذا
 قدر عليهم في الأزل أن يهدموا قريتهم بأيديهم ...
 تنفي الشاعر المغن بكل هذا ، وأتني أيعاثناء على
 أوديسيوس الذي كان يكر كانه مارس ، ومتالايوس
 الذي كان يفر كالصاعقة ، وعلى بقية الأبطال الصناديد
 الذين فازوا بالنصر في ظل باللا — مينرغا — ربة
 الحكمة . وكان أوديسيوس ينصت إلى غناء المطرب
 وإنشاده ، ودموعه تنحدر غزيرة على خديه ،
 والآهات المميقة تشق صدره شقا ... كأنها آهات
 تلك الأم الرؤوم التي وقفت فوق جبان زوجها
 الباسل تبكيه وتنسبه ، وقد سقط في الحومة يدفع
 عن مدينته أعداءها ، وقد وقف من خلفها أبنائها
 خضض ينأي كأفراخ القطا ... ثم يقبل الأعداء
 فيخمدون أنفاس هذه الأم بضربة لازمة ، فظفر



الرسالة

مجلة لرسالة العرب والعلم والفن

مجلة الاداب الرفيعة والثقافة العالية
تصل الماضي بالحاضر وتربط الشرق بالغرب
على هدى وبصيرة

- الرسالة : تعبر باخلاص عن روح النهضة المصرية
- الرسالة : تجمع على وحدة الثقافة أبناء البلاد المصرية
- الرسالة : تصور مظاهر العصرية لدى المصريين
- الرسالة : تسجل ظواهر التجديد في الاداب المصرية
- الرسالة : تبحث في النفس أساليب البسطة المصرية

مجموعة اعدادها ديوان العرب المشترك ، وكتاب الشرق
الجديد ، وسجل الادب الحديث ، ودائرة معارف عامة

الاشتراك الداخلي ستون قرشاً ، والخارجي مايساوي جنينها مصرياً ، وللبلاد العربية بخمسة ٢٠ ٪

طبع بالمطبعة الرحمانية بشارع الخرنفش رقم ٣٥ - تليفون ٥١٥٢٢

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها السنول
احمد حسن الزيات

مرل الاشتراك عن سنة

٣٠ في مصر والسودان

٥٠ في الممالك الأخرى

١ عن العدد الواحد

الطوارئ

شارع عبد العزيز رقم ٣٦

العبدة الخضراء - القاهرة

تلفون ۰۲۳۹، ۵۳۴۵۵

المروية

مجلة الأسبوعية ملقطة

نصبر مؤقتاً في أول كل شهر وفي نصفه

العدد الحادى عشر ٢٢ ربيع الثانى سنة ١٣٥٦ — ١ يوليه سنة ١٩٣٧ السنة الأولى



فهرس العدد

٦٥٠	عنراء حلب	بقلم الأستاذ فليكس فارس
٦٥٧	في اللروج	بقلم أحمد فتحي مرسى
٦٦٣	يوميات نائب في الأرياف	بقلم الأستاذ توفيق الحكيم
٦٦٤	عائيل	بقلم الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازني
٦٧٤	في غمرة الموت	بقلم الأستاذ عبد الحميد حدى
٦٨٢	الرسالة الأخيرة	بقلم محمد عبد النعاج محمد
٦٨٧	الطفل السيد	بقلم شكرى محمد عياد
٦٨٧	الغنداقى	بقلم محمد الزاوى
٦٩٢	أغنداقى	بقلم الأستاذ فليكس فارس
٧٠٤	الأوذىة	بقلم الأستاذ درين خشبة

قوتيهما إلى سهول
سورية ووجهتهما حلب

وكان يوم من أيام
الربيع والنسيم البليل
هبَّ على جنائن
حلب الطوبة المدينة

نحسبها عقوداً على نحر حسناء .
هنالك ، في تلك المدينة التي
تنصب الخيرات إليها من
جبهاتها الأربع : مصر
وطرابزون وبغداد
وأرضروم ، كان شعب
كبير من بقايا مملكة الدنيا ،
مملكة الرومان الخالدين
بقوتهم وضعفهم وضلالهم
ورخائهم

وكانت حلب ، بدائنها المدينة منفردة على
سهولها الخصبة الخضراء كالثريا بنجومها البدة
على صفحة الأطلس الأعلى . وفي وسطها المدينة
الكبرى حاملة قلعتها كالتاج على مفرق بهائها
وسلطانها ...

نحن الآن أمام هذه المدينة الزاهرة في أواخر
حكم اليونان على مدخل عصر جديد وحياة جديدة ،
في الأسواق حركة التجارة وحياة الأمم ، وفي الدور
والجنائن مجالى الهو والنحشاء : قبور الشعوب ...

وكانت غادة من بنات اليونان السوريين جالسة
إلى نافذة تطلّ على المروج في أطراف المدينة وقد

عَزَاءُ حَلَبَ

لِلْأَسْتَاذِ فَيْدُكْسْ فَنَارَسْ

منذ ٢٧ سنة كنت أتصفح تاريخ العرب ،
عظُر لي أن أنقش منه أفايس أضمتها الواقع
بأمانة للورخ وأنسج برديتها جبال الشام ،
وما كان في ذلك المهد من بهم للأفصوسة
فيا أذكر لا ترجمة ولا تأليف . كتبت هذه
الأفصوسة ونصرتها في جريدتي إلى كانت
تصدر باسم (لسان الاتحاد) سنة ١٩١٠ في
بيروت ، وأردت ثمانية التآليف فاجتاحت قلى
عواصف السياسة ترده من الماضي إلى الحاضر .
ومرت السنين فاذا أنا أرى هذه الأفصوسة
بين مئات الصفحات التي أمتها السياسات الحوالة
كبحر كريم يتبع على أكوام من الرماد .
فليكس فارس

ولما فتح بيت القدس
أبوابه لعمر بن الخطاب ، وقف
هذا الخليفة العظيم على أطلال
مملكة الرومان وآثار الملك
الخالد الذي وضع أساسه
رجل ليس من هذا العالم ،
وقف الخليفة حزينا على تلك
الأرض المقدسة التي دنسها
الرخاء وتحولت فيها أشرف
المبادئ إلى طقوس وأوهام ،

فلما علا النفس أن يمدح البطريق سفرونيوس بنظرة
مأ أكثر من يستحقها من كاهن وشيخ في هذه الأيام
وكان الحجر الذي ألقى يعقوب رأسه عليه
ليحمل حلمه المشهور مغطى بالأقدار ، فأمر الخليفة
أتباعه بتطهير ذلك المكان حيث بنى الجامع النخيم ،
ثم دعا إليه أبا عبيدة ويزيد بن أبي سفيان وخولهما
السيادة على سورية وفلسطين ، فكانت بلاد قيصرية
فيلبس . نصيب يزيد ، وسورية على رجبها نصيب
أبي عبيدة . فتحت فلسطين أبوابها ليزيد ، وكانت
قرية رام الله أول من أبرم عهدا مع الفاتح ، ولكنه
وقف عند أبواب قيصرية لمناعتها ، وتحول عنها
راجعا إلى أبي عبيدة فأنضم الجيشان المريان ودفعا

— دامس !

ووقف البطل العربي مرتجفاً كأنه مائل أمام
اللات والعزى ، يمد في جبال الفتاة أصنام أجداده ،
وضع يمينه على قلبه ، وشاله لم تزل قابضة على مقبض
سيفه ، وقال متكلماً باليونانية ولهجة الضاد بادية في
كل مقطع من مقاطع كلامه :

— إذا كان هذا القلب لا يكفيك من الدنيا ،
تغير لى أن أعود إلى الصحراء وأموت . لماذا
لا تتبعين من جاء ليقدم إليك حياة ويمهلك إلى
بلاد الحب

وكان دامس قد جثا أمام هيلانة وهي تنظر إليه
ملكاً ثم تلقت إلى ما حولها ، واللمع يحول في
عينها ؛ وبعد سكوت عميق وضعت الفتاة يدها
على كتف البطل العربي وقالت :

— أحبك يا دامس ، ولكننى أحب بلادى .
إن التى تولد في رياض خلج لا تقدر أن تعيش في
لواضع الصحراء . ولولا أننى أمة احتلال جيوشمك
هذه البلاد لكنت أأرحها منك لأموت بين
ذراعيك حيث تشاء ، ولكن لا تنس يا دامن أن
أبطال عمر واقفون على مقبرة منا ، وأننى أأنظر فتح
أهل وأبناء هذه البلاد الجميلة نهاية استبداد خلفاء
هرقل لينهض هذا الشعب الباس من شقاءه بمد
أن ظال استعباده لكبرياء أسياده . لقد استحوالت
الشرائع السامية التى سادت أجدادنا إلى قذارة عند
قاعدة عروش الظالمين الذين لا يعرفون غير شريعة
القساوة والاختصاب . ألا تذكره يا دامس ، ذلك
الشاب الزاهد المتشح بالسواد الذى رأيت يمشى أمام
هذه الحديقة فى أول يوم رأيتك فيه ؟

— إننى أذكر ذلك

أرخت شمرها على كتفها وأسندت وجهها
الأبيض الناصع إلى يدها وأاملها بتحريك باهتراز
عصبي ، وعينها شاخصتان تارة إلى السماء وتارة
إلى أسوار القلعة الراسية فوق المرتفع كبرج حصين
يهدد الآفاق ويهزأ بما أنبسط تحته من سهول ...
ومالت الشمس إلى الغرب ، ورنّت أجراس
المعابد من جوانب المدينة فانتبهت الفتاة ورسمت
على وجهها وصدرها رسم الصليب ، وهي معلقة
أبصارها على الطريق التوارية في السهول البعيدة
ولاح بين الجناث شبح تقدم مسرعا حتى كان
أمام النافذة فوقف هناك راسماً حلقة في الهواء ثم
اختفى وراء أشجار الفستق النضجة .

وأرسلت الشمس قبلتها الأخيرة على أحجار
القلعة وتوارت وراء الجبال المسحقة
مرت الساعة الأولى من الليل وساد الظلام
وكانت الحديقة المحاذية لبيت عادة حاب قد
أفقرت وأغلق بابها الحديدى

وكان الأشجار قد شعرت بانطفاء عيون الرقباء
فالت مع النسبات تتعاقب أغصانها فتهازح أوراقها
بحفيف كأنه ارتجاء الشهور على التحور ...

وظهرت فتاة تحت جناح الليل ملقعة بدثار من
أجل ما نسجت أنوال خلج اليونانية ، وقفت
الفتاة أمام المدخل الحديدى وشخصت إلى أعلى
رتاجه ، وما عثمت أن انقض من أعلى السور إلى
الحديقة رجل ملتف بعباءة وعلى رأسه كوفية
سوداء وعلى جنبه يمانى محذوب ؛ انحدر كما ينحدر
الطير من الهواء منفضاً على غصن ، أو كنفراش
الرياح تسكره الزهرة ببغيرها فتجذبه إليها ...

— هيلانة !

وكان الجلاس قد بلغ أشده في دامس وهو يتكلم فارتفعت كوفيته عن جبينه واسترخى عقاله فلاح جبينه الأسمر مكللا بقطرات العرق، وكانت عيناه ترميان شرراً؛ وذعرت الفتاة من هذا المشهد فأصبحت غلوبة أمام جبينها تنسد على الاقارار فيصدها ما تراه من حماسة، كان دامس يطلب الحب في الحق وهي تحاذر أن يقضى ذلك الحق على حبه شمعت هيلانة بحرب تستمر في قلبها بوقت ماضيا وحاضرا، فأحنت رأسها بدمع كما تحنى الزهرة أمام عاصفة هوجاء، فقالت في نفسها: «إنه وهو في شك يكاد يمين، فإيكون حاله لو عرف الحقيقة يأتى؟» إن الحاضر له ومستقبل بين يديه؛ أما الماضي فهو لى، لى وحدى أحفظ بأسراره وليس لغير الله أن يسر أغواره

على أن صوتاً خفياً كأنه الأنين كان يرتفع من ضمير الفتاة هاتفا:

«إن من خدع في الحب فقد كفر بقلبه وقضى على عواطفه، إن المحبة المستقرة على الخفايا والأسرار ليست محبة كأن الله إذا جهل الوجود لا يكون إلهاً» ولكن مدينة ذلك الزمان لم تكن تؤهل أبناءها لسبح مثل هذا الصوت الخفى، لذلك انتفضت هيلانة كأنها تستغيث من حلم حميق وقالت:

— لقد رجوتك مرارا يا دامس ألا تعود إلى مثل هذا الكلام. حلفت لك وأكرر أمامك القسم بأننى ما أحببت سواك فاكشف

— أمام قسمك أكذب نفسى وعياني يا هيلانة، وأنا أقسم لك بأننى لن أحول عن نيلك مادام فى دم وحياء، ولو كفى فتح حبيب هلاكى، فإنا راجع عن أماني ولو اضطررت إلى تساق جدران القلعة وخدى

وارتمش دامس كأن فى هذه الذكرى نارا لاسمة، فابتسمت الفتاة بمرارة وقالت:

— أجل هى شرارة النيرة، يا ابن الصحراء! هذه لماتها فى أحداقك. لا تنكر. أنظن أننى أحببت؟ أن لهذا المرض الهائل الذى لا تعرفه بنات اليونان فى رجالهن!

رفع دامس بصره إلى السماء وقد خرج من فيه أنين حميق كأنه زفير ليث جريح وقال:

— إن لم يكن فينا نحن العرب من داء غير هذا الداء لكفانا دلالة على ما فينا من أفة وشتم. هى ممزة النفس تنال. هو الدم يحترق بمرارة الصيانة والشرف. هو الجدد الأثيل ذلك الداء. أو تسمينه داء يا ابنة الجدد المتداعى التى لا ترى حولها غير رجال استججرت قلوبهم وجمدهم فى عروقهم المتراخية، إن النيرة ليست واحدة فى قلوب الرجال يا هيلانة، فثم من يثار لأنه تعود الانفاس فى الشهوات فهو لا يرى إلا الشر حياً أدار بصره؛ ومنهم من يثار عن صيانة فى النفس ورفعة فى القلب، وما أنا بمن يغترون بما يشعرون. أريدك سامية كما يصورك خيالى العربى فى دماغى اللهب. أريدك واقفة من حبي الى درجة إظهار نفسك أمامى كما هى، ولعلك لا تدريكن ما أرجوه منك. لقد لحت منك نظرة ألقيتها على ذلك الزاهد ولم تزل تلك النظرة مستقرة كالسهم فى قلبي، وأراك تمعدين إلى التوجه كلك أودت سبر سرك. ونحن معشر العرب لم تعود الكذب. قولى لى إنك كنت أحببت ذلك الزاهد فلا أحقن ولا أثور، ولكن الشك فى صدقك وإخلاصك يقضى على. لقد أبت نفوسنا أن تلتصق بالكاذبين ونحن نعملها تحت البنود إلى الفتح المبين ...

— انفت التهووسون حول يوا كينا لأنهم اعتقدوا فيه الاستبسال في الدفاع عن البلاد ، وقد تبعوه الى معركة أمس وأنت أدري بما سيكون —
— أليس في المدينة بقية من حزب القتلى يعيل الى التسليم ؟

— على ، كاهم يريدون الأمان ، ولكن وقاحة يوا كينا تنقل عليهم ولم تزل أشباح إخوانهم تتراى في الليل على الدماء التي خضبت الساحة ولم يسمح الظالم بمحو آثارها

وكان دامس يتكث الأرض برأس سيفه مستغرقاً في التفكير ، ثم رفع رأسه وقال :

— إلى الملقى إذا يا هيلانة ! جدي إيمانك واثبتى على المهد . إن شبك سيحجر من عبوديته ، وحين يسود المدل ربوعك أسقم لك من أضلاحي بيتاً تسكنينه على أرض أجدادك ، ولكن اعلمى أنني لم أزل أذكر تلك اللقطة الهائلة .. وبلده ... إن الأيام هائكة الأستار ، فإذا رأيت المستقبل أشد غيرة منك على شرفي فأنى أحول هذا السيف الى صميم القلب لأموث ... لك هذه الدقائق القليلة ، يا هيلانة اهتكي أمانى أاستار كبرياتك فلا تخادعي نفسك . أجبني بحق إلهتك الذى أعبد وتمبدن ، هل أحببت أحداً قبلى ؟

— لا

وتماثى الجيبان

وكانت قطرات الأمل تسقط كالندى على قلب دامس ، ودموع هيلانة تنحدر مترجمة إلى فاهما كانسكاب الفسليين على حجارة جهنم السوداء

وساد الظلام على مدينة حلب وأرجائها وكانت مضارب الحملة العربية منتشرة حول أبواب المدينة

— اسمع يا دامس ، لقد قطعت على الكلام بلواسع غيرتلك الجنوبية ، فلم تصبر ربنا أقص عليك ما تعلم . ذكرك بالزاهد لا لأثير حنقك ، بل لأقول لك إنه مات مقتولاً بسيف أخيه في ساحة حلب نفسها .

— إذا هو أخ يوا كينا حاكم البلاد ، وآخر حامل لتاج هرقل ... علمنا أن هذا الملك قتل زاهداً ولكننا ما علمنا أن القتال أخوه

— إن يوحنا الزاهد هو أخ يوا كينا الظالم السفاح ، فان يوحنا الذى أسأت به الظن ، قد دعا الشعب للاستسلام للعرب ، لأنه عرف عدلم وتيقن نبالة قسدم ، وكان قد ذهب إلى مسكر أبى عبيدة بتيمة عدد من أهل المدينة فأبرم مع الفاتحين عهداً ، ورجع بمن معه عند الفروب على أمل تسليم المدينة عند بزوغ الفجر ، ولكن يوا كينا كان فى انتظارهم فى الساحة العمومية مع جنده ؛ ولما التقى بأخيه ألقى القبض عليه وأمر بنحر من اتبعوه واحداً فواحداً حتى خضبت الساحة بدمائهم ، فثارتم حمية يوحنا فصرخ بأعلى صوته أمام الجماهير المحشدة :

— ليأت العرب بعلهم لتخليص الشعب من ظلمك ...

حينئذ نلغ سيف يوا كينا خنقاً صدر أخيه ، فسقط المسكين قتيلاً وهو يعمل على تحرير قومه من السفاح وتهديج صوت الفتاة بفصحة الدموع ، فشمس دامس بهبوب نجات الذكرى من وراء القبور فارتش وكادت غيرته أن ترجع به إلى خطابه المبتور ولكنه ثبت فى موقف التفكير بأحوال الحملة الفاتحة فأمر يده على جيئته وقال :

— وبعد ذلك ؟

لأطير وأقتض من حالى على يوا كيتنا النائص الآن
فى بحار ملذاته !

وسقطت من جفون دامس دهمتان نزلتا ببطء
على شاربيه فسحقهما بأردانه وشخص إلى السماء ،
وتقدم الشيخ الطويل إليه حتى لاسمه ووضع يده
على كتفه وقال :

— اسمع أيها العربي . أنا يوناني أحفظ فى
ذا كرتى كثيراً من أجداد مملكة هرقل فى سوريا .
أنا مسيحي أؤمن بالمسيح ونجيله الطاهر ، فأنا
اليوناني المسيحي سأسلم أمنع قطعة فى ملكنا إلى
يد العربي المسلم ، ويشهد الله أن ما أقوم به إنما
هو واجب عليه الضمير على ، فلست بالثان ولو
وسمى الناس بالرواق . إن حلب بأسرها تسلم
زمامها لخليفة نبيكم ولكن يوا كيتنا العاصي يتحصن
فى هذه القلعة ويطلب الحصار مدعياً أنه يصمد
هجات الاسلام حفظاً لدين أجداده وهو الذى
يدعى المحافظة على الدين قد صبغ الساحة بدماء
رجالنا وكان ابني الوحيد بين أولئك الوطنيين
التمردن على الفساد والظلم

بكيت وحيدى بكل دموى ، وأقسمت ألا
أجيب داعي اللون ، وأن أتمرد عليه إلى أن يقبض لى
الله أن أرى انهيار هذا الملك وانحطام عرش يوا كيتنا
الناشم ، إننى لن أترك الحياة الا وأنا أحرق قطعة
من عرش يوا كيتنا على قبر ابني الشهيد
واختنق صوت الشيخ فترة ليرتفع بكل
نبرات الاقتناع فقال :

— لست بحاجة لإطالة الكلام لأبرد نفسى
أنت تعرف أن النصارى كلهم أنفوا اللذل وتركوا
الحياة مستعبدين لرجل لا إله له غير كبريائه وشهواته

تشب النيران بينها والجنود واقفون ينتظرون
المشاء

على أن من يتميز هؤلاء المريان عن قرب يجد
بينهم عدداً وفيراً من سكان المدينة ويرى من حين
إلى آخر نسوة يونانيات حاملات لاجنود أطباق
الحلوى

وكان هواء الليل يحمل إلى بعيد صوت نشيد
عربي نغم يبدو كأنه هتاف الحجاز على أطلال
بزنطة للتداعية ، ثم لا يلبث أن يجاوبه نشيد
متقطع باللغة اليونانية كأنه أنين الأجيال للزمنة
الرحيل عن ملبب الدنيا

على مقربة من أحد المضارب الراسمة كان
البطل دامس جالساً القرفصاء وقد تشنجت أصابعه
على مقبض سيفه وهو غارق بالتفكير ، مضت ساعة
وهذا الرجل جامد لا يتحرك ولكن خشيش
الأعشاب اليابسة أمام مضربه نهبه لقدوم رجل
طويل القامة ملتف برداء يوناني وقف أمامه وقال له :
— أراك قانطاً يا دامس وليس لثلى هذا اليوم
يحفظ الأبطال القنوط

بق دامس جامداً ولكن ارتجافاً عصبياً كان
يحمد جبينه العالي ، فرفع رأسه وقال :

— سوف نعود من حيث أتينا ، وهذا المقاب
الكاسر متحصن وراء هذه الجدران . والله لو أن هذا
الحصن النيع حراب مسمومة لاخرقته بسدرى ،
ولكنه حجر أمم جامد فلا هو يقتلى ولا أنا
أقوى على تحطيمه

وانتفض دامس محدثاً بالقلمة وهى مخترقة
السحاب كأنها تهزأ بالزمان
— أو اه ! لو يستبدل الله ساعدى بمخاحين

الصوت الخالد الهيب في أعماق ضميره الى الجهاد من أجل الحق، ولكن البطل العربي في نشوة إيمانه كان قد لامس بحسه الباطن الوقائع الكائنية التي تتجلى مبادئها وراء الزمان والمكان، فسمع هاتفاً عميقاً بعيداً عن حواسه يناديه :

إن في القلعة قبر حيك، ولكن وراء بابها المحطم بقبضة يدك الخطوة الأولى لأمهد الجديد، بداية حكم العرب المجيد...

وكانت الساعة الأولى بمد نصف الليل، وأخذت الأنوار تنطفئ متتابعة داخل أسوار القلعة، وبلغ السكر حده في أدمنة الجنود والحراس فتقلت أجفانهم وناموا وهم مغمضون بقية اللحن اليونانية التي كانوا يتشدقون بها...

وكان يواكينا لم يزل ساهراً يكرع الراح في إحدى البنايات الفخمة القائمة إلى جنوب القلعة وبين يديه غادة رومسية استندت إلى عود تنطق أوتارها لغة القلوب وكانت تنشد قائلة :

« وإذا جن الليل وأرسلت السماء من نجومها لمعات الأسرار، عندما يستغرق كل شيء في السكون ينتبه الكون بأسره في عين نلوع، وقلب ينبض ثم حينئذ إذا كنت جندياً عاجل من درعك كأسك، وإن كنت كاهناً فأكرع الحجرة من كأس الهيكل، الحب هو الآلهة المعبود، فإن زهدت في الحب كفرت بربك »

وكان يواكينا يصوب أنظاره حيناً فحيناً إلى الجهة الشمالية من البرج فتخفق أهداب جفنيه على نظرات منكسرة في أحداقه

وكانت تقف أبصاره على غرفة موصدة هنالك في طرف القلعة حيث كان يقم أخوه الزاهد يوحنا.

إن من يبلطخ يده حتى يدم ابن أبيه وأمه ليس إلا كافراً بالله وبروح الله، وأنا أعتقد كما يعتقد جميع العقلاء في بلادنا أن دين النبي العربي ليس إلا شملة من روح الحق يرسلها الله إلى الأرض لتجديد قوى الخير والقضاء على الفساد والضلال، فالنصرانية الحلقة الثالثة من الطغاة الكافرين بها تمد يدها من قلوبنا لتصافح الاسلام، وما هو إلا صنوها الذي حطم الأصنام ودعا الناس إلى عبادة الله الواحد الأحد

إن يواكينا يتلاهب بنا باسم الدين ليديم عرشه الهادى بمجامع أبنائنا، وهو الكافر بربه فكيف يعتقد بالمسيح؟ إنما الدين هو العدل، وما أورث الله الأرض إلا لرجال الحق، وأنتم أولئك الرجال — إنني أؤمن بالفتح المبين لاسقاط سلطنة

المارقين، ولكني لا أتميز السبيل إليه في قضاء الله، وهذه القلعة واقفة بين الماضي والمستقبل حلقة جبارة تملأ الفضاء، وأية قوة تستصل إليها لتكسرهما؟

— إذهب إلى أبي عبيدة وتمهد له بفتح القلعة وعد إلى لنتم عملنا هنذا السماء، ولنتكن جنودكم على أهبة الهجوم

— إنني أتيملك بأن تريد، أقذف في إلى أشداق الموت. إن الجهاد حق على المؤمنين

ونفض دامس وقد ملأت عقيدته جوانب نفسه، فخرج القلعة المتألمة بالأنوار بلفئات النسر المتحيز للانطلاق، وما تقدم بضع خطوات حتى استوقفه خفقان قلبه الماشق وقد هتف صوت هيلانة فيه : تقدم إلى اللقاء، إلى كوتر الحب للتدق من شقي، فانتفض المجاهد المطلق في وجدانه يخفق هذا الصوت الدخيل خشية تطرقة إلى نبرات

كالأسد النائر فكتم أنفاسه وألقاه صريحا ، وكان الشيخ اليوناني قد تقدم كالبرق الخاطف نحو الباب الكبير ففتحه من الداخل ، ولم تغض فترة من الزمان حتى كان أبطال العرب مستولين على الحصن تحقق على مرتفعاته أعلامهم المحضراء ...

وتكحل الشفق بأوائل ذرات النور في إحدى خنادق القلعة كانت جثة باردة ممتدة وقد تقلصت أصابع كفها على ذخيرة مفتوحة تدلت منها خصلة شعر تحضبت بالدم ...
الذخيرة ذخيرة يوحنا الزاهد القنيسلي يشهد رسم هيلانة وشعرها فيها بما أودى بحياة داهس البطل العربي الذي دون التاريخ فتحه أبواب الحصن المنيع

وفي القاعة الكبرى ، داخل الحصن ، كان رجل يكلي المرق جبينه ظارحا سيفه عند قدميه يدور به أبطال العرب وهو رافع يده هاتفا :
أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ..
هو يوا كينا ذلك الشهيد ، هو مرهق شبه وعبد شهواته وناحر أخيه بيده هو الجاني على دين الله في المذهبين الموصلين الى الله
وبين المقابر كان شيخ هرم يحرق قطعة من الخشب الموشى بالذهب فوق حفرة لم تحب ردودها بعد

وعلى قصر من قصور حلب الشاهقة ، كانت فتاة ترفع أبصارها إلى السماء وتضع يدها على قلبها معلقة أبصارها على الطريق منتظرة عودة من خلد الحب وأرداء الخداع ...

فليكس فارس

هنالك في تلك الغرفة المدخل السري الوحيد للقلعة ولكن ذلك المدخل موصد الآن على بقايا أبواب الراهب القنيل وقد علفت بها سلسلة ذهبية مرسوطة على ذخيرة انفتحت عن صورة فتاة وخصلة كبيرة من الشعر

للشرفات هود كما للتخير غفلات في ضمير الانسان

وكان صوت المغنية الرومية يرن في أذن السفاح فيذهب قسم منه إلى ضلاله ويتساقط قسمه الثاني على روحه كالندى على الأزهار اليابسة . كانت كلمات الأغنية البذيئة تستقر في شهوته وتدور مع دمه الفاسد ، ولكن اللحن أو النغمت أو الايقاع ، تلك الأصوات السرية التي لم يقر الانسان على إفسادها كانت ترفرف فوق كلمات الأغاني كأنها حمامة بيضاء تائهة فوق جيفة منتهنة ، فتذكر يوا كينا أن في الكون شيئا لا يقدر الانسان أن يتناوله بيد الأرجاس

ولكن هذا المحارب اليوناني الماتي الذي عني إلى معقله للنبيع على أنهار من الدماء لم تستوقفه طويلا هجمات نجواه ، فتقدم مترنحا في سكرة إلى الفتاة الرومية يحتضنها ويداعب شعرها الذهبي الطويل موليا ظهره لباب غرفة أخيه الموصدة ..

وفي تلك الدقيقة ، ابتدأت أخشاب ذلك الباب بالسقوط تحت ضربات خفية وظهر شبح اليوناني الطويل دليل داهس فتقدم باحتراس متطلما إلى كل جهة ، وكان هنالك حارس ممدد على الأرض فانتبه من نومه مذعورا قابضا على حليفه ووقف لبنادي ، ولكن داهسا اقض عليه من الغرفة

على ضفاف «الدينير»
وكان أولنا جندياً سابقاً
في الجيش، رجلاً أحمر
الشعر، باث الطول،
ضامر العود، طلق
اللسان، بروى الكثير
عن حياة السجن،
وعيشة الأسار

أما الثاني فكان شاباً
ريق الشباب، لذن
الماعطف، شاولي الجسم،
وقد أخبرنا عند لقائنا

أنه طالب في جامعة موسكو، فلم نمن لذلك كثيراً،
فقد كان كل ما يمتدنا أنه جائع طاوى البطن مثلنا
وكنتم أماً قائلهم بوجعي الحفر الصامت،
وحياي الذي لازمني منذ بواكر أي، ولني أنطلق
ملك في الحديث عن نفسي فليس هذا مقام ذلك،
ولكنني أقصر القول على أنني كنت كثير الوثوق
من نفسي ولم أزل كذلك...

وكنتم أماشي الجندي في المقدمة، أما الطالب
فكان يتخبط وراءنا في ونا ومهل، وقد علق ببطيئة
شيء بال كان يشبه المطف في حين من الأحيان،
وعلبت رأسه بقايا قبة زرقاء قديمة، وبدأ في قدميه
حذاء عتيق يجيل إلى أنه التقطه من جنبات الطريق،
أما الجندي فكان يكتس قيصاً وردى اللون، وقبة
حريرية الطراز، أما قدماه فكانتا عاريتين شثنتين...
وهكذا كنتم أنا أيضاً

وطفقتا نقلب الطرف في أرجاء تلك المروج
الناصرة الجنيات، فما عادت نواظرنا منها بطائل
ألهم إلا السماء الراقدة الساحبة، التي كانت أشبه
شيء بطبق أزرق هائل قلب على الأرض، وكان

فخ المروك

للقصصى الروسى مكسيم جوركى
بقلم الأديب أحمد فتحي مرسى

... ومضينا في طريقنا نحث الخطي، بعد
أن خلفنا وراءنا «ميركوب» نهما كالدب،
ناقلا على العالم أجمع... فندنا اثنتي عشرة ساعة أوزيد،
ونحن ندير الحظ في نواحي المرح، وتتقصى النظر
على جنبات الطريق، علنا تقع على شيء نقيم به
أودنا... ولكن أعيننا حسرت عن ذلك نهاية
ذلك القضاء المتصل... وأخيراً قرأنا العزم على
أن نصل السير... ولكن إلى أين؟... ثمّة إلى
الأمم قليلاً... فسرنا في صمت وضيق، وقد
تراخت أعصابنا من الجوع، وارتبكت مفاصلنا
من التعب، وقصرت خطانا من الأبن
وكنا ثلاثة عرف كل منا الآخر في صام ليلى

* تحتفل الأوساط الأدبية في موسكو في هذه الأيام
بذكرى مرور عام على وفاة شيخ أديبها الحديث، وكانت
النايغ مكسيم جوركى... وقد توفي جوركى في مثل هذه
الأيام من العام الماضي. بعد أن قضى حياة بالسة طويلة ذاق
فيها الكثير من ضروب الموز والناقة والتفرد، وقد طبعته
هذه الحياة على نوع من الأدب مازه من غيره. وهو اثنتان
في وصف البؤس وذكر البائسين، وقد تخبرنا له هذه القصة
لأنها تمثل — على ما نرى — جانباً من عيشته، وطرفاً
من حياته

— لا شيء هناك ... لم يبق إلا أن نقضى الليل في ذلك الصمت النائي ... فهيا نجتمع بعض الحطب لنضرم النار أيها الرفاق

فانطلقنا نلتقط من الرج ما اعترض سبلنا من أضفان الأعشاب الجافة ، وكنا كلما تشق الجسم لالتقاط عود جاف يساقط على نفسه ، وبأن أن يستقيم ويستوى ثانية كأن به رغبة ملحة إلى الحمد والتطرح ، لما أضواء من الاضياء والنصب والجوع . وهتف الجندي أخيراً :

— لو قبض لنا الله من هذا الرج ثمة جذر من جذور النبات ، فان من الجذور ما يؤكل ؟ ولكن الحزون كانت تبدو حولنا منبسطة مبهمة خالية من الأشجار ... وكان الليل غاشياً على الكون ، وقد رجفت في ثناياه النجوم الفارقة ، وضاءة الطلعة ، وهاجت الجبين ... وعلى حين غرة أقبل الطالب علينا هامساً :

— أيها الرفاق ... إن عن شمالكم رجلاً قادراً في الرج ، فقال الجندي :

— رجل ؟ .. ولم يرد هنا ؟ لا بد أنه مزود بالطعام ... فما يدلج إنسان في تلك الشجيرات النائية دون طعام وأشراب ... هيا نذهب إليه أيها الرفاق وتقصدنا الطالب بيمينه البراقة الخضراء ، فسيح الخطو ، حثيث السير ، وكان الرجل جامداً في مرقدته لا يتخلج أطرافه ، ولا تطرف عيناه فتطرق إلينا الشك ... وقال الجندي :

— ربما لم يكن هذا رجلاً ... ولكن سرعان ما تبددت الريب فقد طرق سمعنا صوت متزن الجرس ، متسق النبرات شق غواشي الظلام يقول :

— مكانكم .. وإلا ألحبت رءوسكم !

الطريق ضيقاً حصباً تلوح على حفافيه أكوام مشتتة من القمح المشيم ، بينما انتشرت في نواحي المرج بضمة أعواد جافة أغفلها منجل الحاصد فلاحت كتلك الشمرات البيضاء المتناثرة في عذارى رقيقنا الجندي ومضيئنا في سيرنا ، ووجهتنا ذلك الأفق اليميد ، وقد ضرب عليه السحاب لثاماً رائقاً غراً ، فرفع الطالب إليه لظه وأومأ نحوه بينماه قاتلاً في تحيلة وزهو :

— تلك ولا شك جبال « الكريمان » التي درسناها

فنظر إليه الجندي حبياً وقال :

— جبال ... أي جبال يارفيق ؟ ... تلك سحابة صافية شفة كاللبن المروق ، ووددت من من نفسي لو كانت حقاً من اللبن المروق فزوى منها عطشنا ، ونبل بها صدانا ... ومضت برهة قبل أن يبتس أحدنا بينت شفة . وأخيراً قال الطالب في لهجة الماتب :

— لقد قلت لكم إنكم تضربون إلى الأصقاع الفير الآلهة بالسكان ... فقاطعه الجندي قاتلاً :

— لقد قلت لنا ... ؟ حقا هذا دورك لتقول لنا ، فأنت بيننا الضارب بهمهم أوفر في العلم ، ولكن خبرني يارفيق أين هي إذن الجهات الآلهة بالسكان ... ؟ فلم يجر الطالب جواباً ، وسرنا يرتق فوقنا الصمت ، وكانت الشمس قد جمعت خبوطها الذهبية عن الكون ولم يبق منها على الأفق إلا الشفق الأحمر الزهيم ، وقد تمثل فيه الأمل الباسم ، ولفته غلالة وردية شفة من السحب ، فسدت المروج موحشة صامته ، وقد هفا عليها السكون ، ورائت فوقها الهدأة ، وأخيراً قال الجندي وهو يتنصت ويتلفت :

رفيقى وأخذت أحطلم ذلك الخبز الجاف بأسنانى
التي كانت على أهبة لضغ الصخر، وأحسست وأنا
ألوك فى شندق تلك القليات، أنها سرعان
ما انقلبت دماء دافقة فى الجسم فأنتفى ما مضى
من الجوع وما مر من الفاقة... ولكن عند
ما ألقيت فى فمى بما بقى من فتات الطعام أحسست
جوعاً مضاعفاً من جديد... وحس إلينا
الجندى أخيراً:

— إنى على يقين من أن ذلك الرجل معه لحم
أيضاً... وأضاف الطالب:

— وللتبث من ذلك أقول إن الخبز يفوح
برائحة اللحم....

وكننا جالوساً بعضنا
إلى بعض وقد جمع حولنا
الليل مـوحه السود،
وبسط علينا الصمت
جناحه الشامل حتى عدنا
نسمع ضربات قلوبنا،
ونامة أنفاسنا....
... وكننا جائعين!

ومضينا تتداول وتتناول فى ذلك، إلى أن
أشرت أخيراً على رفيق أن تسطو على الرجل
فنأكل ما بقى من طعامه دون أن نمسه بشر؛
وصادف هذا الرأى هوى من نفس الجندى فصاح:

— هيا بنا أيها الرفاق

فقمنا متخاذلين وبمنا شعار الرجل ونحن
ننأسل فى خطانا، فـاجزنا خطوتين أو ثلاث
خطوات... حتى أصمأقأنا دوى طاق شديداً
شق سكون المروج الشامل... فصاح الجندى
بالرجل:

— أخطأت الرى أيها الرفيق!...

فانتبهنا فإذا الرجل قد انتهض من رقدته وفى يده
«مسدس» صغير، ألجم به أفواهنا وعقل أقدامنا
وأخيراً هتف به الجندى:

— لا تُزع أيها الرفيق... فلن نمسك بسوء
اننا نكاد نصرع جوعاً... فأعطنا شيئاً من الخبز
ولكن الرجل تلبث فى مكانه جامداً لا يتخلج،
شاخصاً لا يطفو... فاسترسل الجندى:

— ألا تسمع أيها الرفيق... فأجاب الرجل
وهو راجف واجف

— حسن... فصاح به الجندى

— لا تطرق قوادك الزببة أيها الرفيق...

فاننا لا نبني بك شراً

وتبدت على شفى
الجندى ابتسامة ظافرة،
لم يثبتها الرجل الغريب
لطول الشقة وبهمه
الليل... وأخيراً قال
الغريب:

— انتظروا... ثم

لوح بيده فى الهواء فسقط

عند أقدامنا شيء أسود هوى عليه الطالب بيده،
فإذا به يضع لقيات جافة مـمربة، سوداء مشمعة،
فلم نلنى إلا لهذه الصفات الأخيرة المتتابة، بل
جلسنا حول الجندى، وكان قد ارتقق الأرض
وظفق بقسم بيننا الخبز

— هذا نصيبك أيها الرفيق.... وتلك
حصتك أيها الطالب... وهذا ما تبقى لى....
كلا، ماهذه بقسمة عدل، أعطى قطعة من نصيبك
أيها الطالب

فانصاع الطالب صاغراً وأعطاه ما طلب،
وجلسنا نأكل فى صمت... وقد انفردت عن

انتظروا قريباً السيد عمر مكرم مع الأستاذ محمد فريد أبو حديد

— وماذا عن الرجل ؟
 — فليذهب إلى الشيطان ... أما كفى أن أكلتنا
 طعامه
 وتفرقنا من المرح نجوع ما ألقينا من الأعشاب
 عندما يفتنا الرجل ثم أشعلنا النار في كومة
 الحشيش ، فاضطربت وتوهجت وأنضت ما حولنا
 من الظلمة ، فسرى الدفء في الجسوم ، ودب
 الكرى إلى الجفون . وطرق سمنا صوت النجار
 الخافت يقول :
 — أيسمح الرفاق أن أدنو من النار قليلا ؟..
 إن عظامي بكاد يفتتها البرد ...
 وأخذنا عليه المطف فسمحنا له بالدنو ، فأتى
 يدب على رجله وقدميه .. وقد أغرق عينيه فيض
 من الألم ، وغمر وجهه صبخ من الصفرة .. وبدأ
 في لمع النار زائغ البصر ، متكئا اللون ، ثم جلس
 على كسب متايمرس أطرافه للرضوضة ، ويبسط
 أصابعه الثنائة .. وبعد برهة سأله الجندي :
 — ولم لم تركب البحر مادمت على هذه الحال
 من الابعاء والوهن ؟
 فأجاب في خفوت :
 — لقد نصحوا لي أن أخذ طريق البر لأنه
 آمن على صحتي . ولكني لا أستطيع الوصول ..
 وسيطوئني الموت في تلك المروج النائية ولن أرى
 طفاتي الحبيبتين .. يا إلهي ..
 وأخذ الرجل يصيح فنهز الجندي قائلا :
 — « كفى ... صدعت رؤوسنا أيها النمي »
 وجمحت أنابه :
 — « لا تفكر علينا صفو النوم أيها الرجل »
 ثم أضاف الجندي :

وأمرنا إلى الرجل فألقى الطالب بنفسه على
 كيس طعامه ... واتجه الجندي نحو الرجل
 المسكين وكان قد تطرح على ظهره وهو واجف
 راعش ، فركله الجندي بقدمه قائلا :
 — كان الأوثى أن تطلق النار على نفسك
 أيها النمي . — وهنت الطالب مازحا :
 — لقد عثرت على اللحم أيها الرفاق فتمالوا
 نأكل ...
 وجلسنا نأكل من جديد ، وكان الليل حولنا
 ملما بظلامه ، سواد على سواد ... وعلى حين
 غرة سمنا الرجل المسكين يغمغم من صوت خافت
 كأنه الأثين :
 — عفوا ... أيها الرفاق ... كيف لي أن
 أعلم ... لقد أطلقت النار لأن الرعب ملا جوامحي .
 إني في طريق إلى مقاطعة « سمولنسك » وقد
 تولتى الحمى عند مغرب الشمس ، فوهي منها
 جسمي ، ووهنت أعصابي ، وأخذت على مذاهب
 السير ... إني أمارس التجارة ... ولى زوجة
 وطفلتان لم تريا منذ أربعة أعوام خلون ... لكم
 الطعام فكلوا كل شيء .. أيها الرفاق .. »
 فأجاب الطالب :
 — « وهل نحن في انتظار إذ ذلك ؟ » ثم هس
 إلينا الطالب :
 — لا شك أن ذلك الرجل مصه نقود أيضا
 فأجاب الجندي :
 — إنك دائما صائب التخمين أيها الرفيق
 ثم نهض الجندي قائلا :
 — هيا نفرم النار لننام أيها الرفاق ...
 فالتفت عينا الطالب ثم قال :

— أسمع أنت ؟ .. أظن أنك ستنال عطفنا
بعد أن أطلقت علينا النار .

وصمت الرجل وصمتنا ... واستلقى الجندي
على ظهره .. وتطرح النجار على كومة من الشب
ورقدت أنا غن عيئه ، واضطجع الطالب إلى يساره
وهو يتنأب ويتناوم وبعد برهة هتف الجندي وهو
يتأمل في السماء :

— ما أروع الليل الساكن .. وما أبهج السماء
الصافية .. تأمل أيها الصديق .. إنه ليخيل إلى أن
الله خلق السماء دثاراً لتلك الأرض الناعسة النافية .
ما أجل تلك الحياة الطلقة الحرة أيها الرفيق .. إنه
قد يكتنفها الجوع . وقد يكدرها البرد ولكنتنا فيها
أحرار طلقاء ... نضرب في ذلك الفضاء الرحيب
لا إمرأة لأحد علينا ولا نهي ، بل نحن سادة أنفسنا .
لقد كاد يقتلنا الجوع فيها أياماً ... وهانحن أولاد
قدأ كلنا ورويتنا .. ورقدنا تط لعلنا يلحظها النجوم
الفوان كائنها تقول لنا : « خففوا عليكم جأشكم
أيها الرفاق .. واضربوا في فضاء الله الواسع وتعلموا
وتدبروا ولا تحفلوا بأحد . »

وصمت الجندي قليلاً ثم قال :

— كيف أنت أيها الرفيق النجار .. لا تكن
غاضباً علينا لأننا أكلنا طعامك ... ماذا كنت
تريدنا أن نفعل ومعك طعام وليس معنا شيء ...
ثم إنك ستمر غداً على سوق « بيركوب » فتبتاع
منه ما شئت من الطعام .. منذ كم أخذتكم الحى ؟
ومضى موهن من الليل كانت تحمل الرمح
خلاله إلى همس الجندي وجواب النجار ، ثم غشى
الصمت على الكون ، وسكن هزيم الرياح في الأفق
وعقد الكرى أهداب الجفون ...

— تنبه ... تيقظ أيها الرفيق ... دعنا
نذهب سريعاً

فانتهضت مرتاعاً من النوم فرأيت الجندي
واقفاً بجاني يستعشى إلى السير وقد تكفأ لونه
وتوجف قلبه ، وكانت شمس الصباح الضاحية قد
لألت نواصي الأعشاب في المرج ...

وتلفت عينا فإذا النجار ماقى على ظهره ممزق
الثياب وكان أزرق الوجه فاغر الفم جاحظ العينين
وقد أغرقهما الرعب ، وتصلبت فيهما الحاجر ...
وهتف الجندي أخيراً :

— أما كفأك تأملاً ... هيا امض بنا ...
قتلت في تردد :

— أهو ... أهو قتيل ؟ ... هل الطالب ...
قتاطني قائلاً :

— « ومن غيره ... ربما أنت أو أما »
واسترسل قائلاً :

— أهدأ أثر العلم في نفسه ... أغاية العلم أن
يترك رقيقة على هذه الحال ... أما والله لو علمت
طوية نفسه قبل ذلك لسفكت دمه ... هيا بنا أيها
الرفيق ، يجب أن نذهب عن هذا المكان قبل أن
تلمحنا عين إنسان .. أقام أنت .. إنهم سيكشفون
أمره اليوم ويترسمون خطانا ... » ثم وضع يده في
جيبه قائلاً :

— ولكن هذا مسدسه مى ... فصاحت به :

— ألقه في الطريق ...

— كلا لن ألقيه . إنه شيء ذو قيمة
ومضينا نحث السير فذكرت في الطريق طفلتي
النجار المسكين فقلت :

— هذا كثير على زوجة الرجل وطفليته

فأجاب :

القلب الحب والعطف ، وأجل له في طوايا النفس
التجلة والاحترام ، وقد سرتنا سويًا إلى أعظم « كارا »
ثم افترقنا إلى حيث لا لقاء . فسألته :

— أو لم تطفئك الذكري بعد ذلك إلى ذلك
النجار المسكين ؟
فضحك ثم قال :

— ما الذي تريدني أن أذكره فيه ، أو أستشعره
لأجله ... انني لن ألام على ما حدث له ، ولن
تلام أنت ولن يلام أحد غيرنا ... فاني يجدي
اللوم ... لأننا كلنا أشباه وحوش ضارية .
اسكندرية أحمد فخرى مرسى

واجب !

ما الذي يمنحك من أن توفر لنفسك
القوميسيون ومصاريف المحل و ... الخ إذا
وجدت أمامك مورده مصرى يستورد لك الصنف
من أشهر فبارك ألمانيا ويسلمها لك رأسًا بشكاليها
فقط

محب

قلم حبر الكتابة سفنكس القلم الأبيض
ذو الريشة الذهب المضمونة عيار ١٤ مثله في
السوق يباع بثمانين قرشا . أرسل فقط ٤٠ قرشا
إلى حسين حسنين شارع الطيران عمرة ٣١ مصر
الجديدة وللخارج زيادة خمسة قروش يرسل
إليك الطلب في الحال

مطلوب وكلاء في الشرق والأقاليم للقلم
ولأنصاف أخرى مما نستورده من الخارج ما

— دمع هذا الآن ... واسرع في سيرك ...
عج بنا إلى الجين فأغلب الظن أن البحر في تلك
الجهة

وحذانا عن الطريق فتركت زميلي في عرض
الرج ، وصعدت على وهدة عالية كانت على كشب
معا ، وأشرقت بناظري على ما مضى من الطريق ،
فسمعت رفيق يقول :

— علام تنظر أيها الرفيق .. أدخل في روعك
أن الحياة ستدب في جسمه ثانيا .. وصمت الرجل
قليلا ثم عاد يقول :

— ما أمهر والله ذلك الطالب الذى غافلنا
وخادعنا ... ان الناس أيها الرفيق يوغلون في الشر
كلما أوغلوا في العلم ... يوما بعد يوم ، وعاما إثر
عام ...

وصمت الرجل فماد الصمت يبسط جناحيه
على الكون ، وبدت الشمس تتلألأ في صدر السماء ،
و ضرب الأفق دائرة الزرقاء على المروج فتأبنا
السير دراكا ...

وأخيرا قال رفيق الجندي وهو يخرج من
جيبه لفافة من التبغ الرخيص :

— إنني جائع أيها الرفيق
— وما عسانا نأكل هنا ؟
— تلك مشكلة أخرى ...

وختم الراوى قصته — وكان رجلا أشيب
الرأس يرقد إلى جوارى في المستشفى — بهذا القول :
— ومنذ ذلك الحين توقفت وشائج المودة
بينى وبين ذلك الجندي لما هو عليه من خلوص
النية ، وسماحة الخلق ، فكنت أكن له في شفاى



يَوْمِيَا نَائِبِي الْأَرِيْفُ

لِلأَسْتَاذِ تَوْفِيْقِ الْحَكِيْمِ

القاتل !

رأى الأستاذ توفيق الحكيم أن يفسح الأجل
أسبوعين آخرين للتسابقين في معرفة القاتل
لقمر الدولة علوان في القضية التي ينشرها في يوميات
نائب في الأرياف ، ففضل ألا ينشر شيئاً منها في
هذا المدد لأن ما سينشره سينم عن القاتل . وإنا

لنرجو ممن يدخل في هذه المسابقة ألا يفتل ذكر
الأسباب التي بنى عليها حكمه . وآخر موعد لتقديم
الردود هو اليوم العاشر من شهر يولييه ما

معروضات باريس

زوروا

شركة بيع المصنوعات المصرية

لتشاهدوا ما أعدته لكم

شركة مصر للغزل والنسيج

و

شركة مصر للنسيج الحرير

خصيصاً لمعرض باريس

من الألفسة الفاخرة ذات الألوان الجميلة والذوق السليم



موعد مع « سميرة » تلك الفتاة التي عرفها من صديق له ، وتشبث بها ، كأنها كنز ، لأنها كنز بل لأنها تعينه على تفسير هذه الحياة الطردة التي لا تختلف ولا تتنوع ؟ ولو ترك لزوجه الكفاية أما كان يسهل أن يلقى سميرة ، وأن يقضي معها ساعات ينسى فيها أن حياته مملّة ، وأن تيرتها واحدة ، وأن روحه زهقت ؟. آه لماذا لا تستطيع الزوجة أن تكون أبداً جديدة ؟. لماذا تدع زوجها يمل حياته معها ، وإن كان يحبها ويمرر لها قدرها ويشكر إخلاصها ووفاءها ؟ المصيبة أن الزوجة لا يخطر لها أن الرجل يمل هذه الوتيرة الواحدة ... لا يخطر لها أنها هي لا تستطيع أن تأكل كل يوم « ملوخية » لماذا لا تكلف نفسها عناء التفكير في ما هو خالق أن يجعل الحياة معها كل يوم جديدة ؟ لماذا تفرض أنه لن يمل أو يضجر أو يسأم هذا العيش الذي لا يتغير .. ؟

ولم يكن عيب « عاقل » قلة الانصاف ، فلم يسهل إلا أن يقول لنفسه ، وهو مسند ذقنه إلى راحتيه ، إن زوجته أيضاً مثله : أي خليفة أن تمل وأن تضجر ولكنها لا تضجر ولا تمل ، ولا تلتئم مثله التسلية والترفيه عن النفس بما يتفق أن تفوز به خارج

صنع « عاقل » من راحتيه كأساً لقلقه وحدهج النافذة بنظره ، وراح يفكر .. هذه ثالثة مرة في أسبوع واحد يدس ريلاً لزوجه تحت الوسادة ، ويخرج من البيت متسللاً كالص على أطراف أصابعه لئلا تستيقظ فتسرد له الحاجات المختلفة التي تقتضي زيادة في النفقة فما يكنى ريال للمطالب المدينة التي يمررها ولا يجملها . وماذا عساها تصنع فيما ركبها من الدين ؟.. اللسان له عشرة قروش . والخباز له أكثر من ثمانية عشر قرشاً ... وغيرها أيضاً ... وكانت المادة أن يؤدي عن ما يأخذ ، فارتاب هؤلاء الناس لما رأوا أنه يأخذ ولا يؤدي الثمن ، ولو كان عودهم غير ذلك لاعتادوه ، فان غيره يأخذ ويعطي أول الشهر ... ولم يكن يمجزه أن يترك لامرأته ما يكفي ، ولكن .. ولكن ماذا ؟ ماله لا يصارح نفسه ؟ أليست الحقيقة أنه مل هذه الحياة الجافة التي لم يمد يدها فيها متعة أو لذة فهو يضن على بيته وأولاده بما معه ليل وعسى ؟ ؟ عسى أن يتفق أن يلقى ما يسره ويمجد نفسه فلا يقول كما قال السمين : « فتراني طول حمري قائماً من غير عفة ؟ » عسى ؟ أليست كاذب حتى على نفسه ؟ ويأبى إلا أن يخالط ، وإن كان لا أحد معه ؟ سبحان الله ! أليس على

الواقع أنه لا يحسن بإمكان القناعة بهذه الحياة الخافتة التي لا تنوع فيها ولا اختلاف في وجودها ، والسألة هي لماذا لم يستطع أن يحكم تدير الجانب المالى بحيث يتيسر له أن يؤدي مطالب البيت على الوجه الكافى المريح ، وأن يستبقى بعد ذلك ما يحتاج إليه فى سد المطالب الأخرى ؟ .. هذه هي السألة الجديرة بالتفكير والنتابة ، وما هذا ذلك كلام لن يغير من الواقع شيئاً ، وأن يسوغ قبيحاً أو يقيح حسناً بل هناك مسألة أخرى أحوج إلى البت السريع وتلك أنه على موعد مع « سميرة » ولكن صديقاً له دعاه إلى النداء مع « رقيقة » وهي فتاة مسلمة تتسمى هذا الاسم الاسرائيلى ؟ ورقة شىء جديد ، فالها حلواتها ولجلسها أنسه وفتنته المستفادة على الأقل من الجدة ، وصحيح أنها صديقه لا صديقته هو ، فليس له مطمع فى أكثر من الحديث والنظر ، ولكن من يدري ؟ .. ولا بأس من إخلال موعد سميرة ، فانه يستطيع أن يتخير إليها بعد ذلك وهي تعرف أين تجده على كل حال .

وهز رأسه متمججاً وقال لنفسه : « كيف ياترى يعرف فكرى (يعنى صديقه) هؤلاء الفتيات البارعات ؟ » ذلك أنه هو نفسه مجيد عسراً وعطاءً شديدين فى الاتصال بمن يحاطلنه من البنات ذوات اللل والحسن ؟ وما أكثر ما تصدى له الفتيات بجمالهن وزينتهن فى الشرفات وفى الطرق ، فيخجل أن يفعل ما يفعل الشبان الأفاع ، ويندر أن يزيد على الابتسام ثم ينصرف أسفاً متوجعاً ، ولقد وقف مرة فى شارع ينتظر أن يفتح له شرطى المرور الطريق ، وإذا بفاتة تضع كنفها البضة على يد الباب وتنظر إليه متبسمه باشة وتقول بصوت حلو :

البيت .. بل هي لا تخرج أبداً . إلا إذا كانت معه ولزيارة قريب مريض ، أو لبيع من هذا القبيل ، ليس لها سواها .. هو محور عالمها كله . لا تكاد تعرف لنفسها حقاً يقابل واجباتها ... حسبها أنها تأكل وتشرب وتلبس وأن تكون حقيقتها فيها جنبان أو ثلاثة .. ما يكفيها والسلام . فما لها مطلب تعرفه وراء ذلك . لا سينا ولا خلافة ... لم تطلب منه قط أن يحملها معه فى سيارته وأن يجول بها جولة فى الهواء الطلق ... كلا ... أبداً ... مسكينة ... وإنما لأحق بالسيارة منه فقد أبت له أن يركب تلك السيارة القديمة وألحت عليه أن يشتري أخرى جديدة تليق به فاعتذر بأنه ليس معه مال ، فخرجت له عن كل ما ادخرت .. ثلاثين جنبها وضعتها فى يده ليتيسر له أن يشتري سيارة جديدة بالتقسيط ... ولشد ما يفرحها أن تراه مقيلاً فى السيارة الجديدة وتركب أحياناً معه فتقول له وهي تضحك : « إنها سيارتى . أليست كذلك ؟ » فيقول : « بالطبع » فتقول : « إذن من حق أن أستعمل الكلاكسون فيقول : « كما تشائين » فيسرها أنها تضغط الزر من حين إلى حين فيصيح « الكلاكسون » بالناس أن تنحوا عن الطريق . وتضحك مسرورة ثم تنجبل فتكف .

ولكن من الانصاف لنفسه أن يقول إن قناعته به راجعة إلى أن أفتها محدود ، وضيق الأفق نقص ولكنه أثر فضيلة لا شك فيها ؛ أما هو فرجيب أفقر النفس ، فإذا كان لا يقنع بالحياة الضيقة المملة الثثة ، فالسبب هو هذه السمة فى روحه وفى آفاته ، وبالتالي فى مطالبه وحاجات نفسه .. ومع ذلك مادامى هذه الفلسفة كلها ؟ ..

أن يعرف فتاة شريفة يستطيع أن يأنس بمجلسها وحديثها ، وأن يقضى معها ساعة كل يوم ينسى فيها حياته المملة ويمجد فيها نفسه ، واطمأنات الفتاة إليه ، ووثقت به ، فصارا صديقين ، وكانت قصة حياتها حزينة ، فكانت تقول له بشجوها وهو ينظر إليها وقلبه يفيض بالمطف عابها ، ثم يرفه عنها ويمسح لها على قلبها — حقيقة ومجازا — ولا يتركها إلا بعد أن يمد يده إلى وجهها البشر والاشراق ، وإلى نفسها الرضى والسكون ، فوجدت عنده المسكنة ما لم تجد عند أبيها ، وأصدقائها ، قصار عندها فوق الصديق وأقرب ما يكون إلى الحبيب ؛ وأدرك هو ذلك ، ففزع وخشى أن يتورط معها في علاقة يكون من ورائها حرج له ولها أيضاً ، واتفق يوماً أن فتح أبوابها له الباب ، وقال له بلهفة :

« ادخل يا سيدي بسرعة ... ابلى ...

ابلى ... »

فسأله : « ما لها ؟ »

فقال : « مضطربة ... جداً ... ولا أحد يستطيع أن يمدد إليها نفسها سواك ... عجل يا سيدي ! »

فقرى طربوشه ومطفيه — فقد كان الوقت شتاء — وحث خطاه إليها فألقاها راقدة على سريرها وسد رها يملو ويهبط كوج البحر ، فتناول كفها في صمت ومسحها وربت لها على خدها وإذا بدموعها تتسائل ، وتجري على خديها إلى عنقها ، فقال لها برقة وعطف : « ابكى ... ابكى إذا شئت ... فانه أشقى ... لا تنجلي »

فتنهدت ورففت كفها إلى عينها ، وكفكت

« افتح ! » ، غمد في وجهها مهبوطاً من جرائنها ، مرتاباً في أسرها ، ثم لم يسمه إلا أن يقول لها : « بالطبع ... تفعل ! » ، فرفعت حاجبها مقدار مليمترين — كأنها كانت هي الحقيقة بأن تنسحب — وقالت : « صحيح ؟ » بلهجة حائرة ، فلم يدر أي تستوثق أم تستنكر ؟ ولكنه ترك ذلك وقال : « بالطبع ... ولم لا ؟ ... » فضحكت — نعم ضحكت ... فهففت في الطريق — وقالت : « مرسى ... » ولكنها لم تركب بل وقفت لتلفت كأنها تشاور نفسها ، أو كأنها تنفض المسكان لتطمئن وتستوثق من أنه لا يراها أحد ممن تمرق ثم ردت إليه وجهها وقالت : « في وقت آخر ... مرسى » كأنها كان يعرفها ويعرف أن يلقاها حين يصبو إليها ، غفقت قلبه خفقات قوية لها في رأسه دوى ، وأحس أن ركبته تتلخنا ، وصارت يده ترعش كما ترعش القرو ، وسمع نفسه يقول : « أروجوك .. أروجوك .. لا تخيبي أملى » ، ولكنها رمت إليه ابتسامة ومضت خفيفة رشيقة إلى الرصيف ... وفتح الطريق في هذه اللحظة ، فلم يسمه إلا أن ينطلق ؛ غير أنه وقف بالسيارة على محاذة الرصيف ودار في مقدمه ، وأرسل طرفه إلى حيث رآها تذهب ، فلم يمر لها على أثر ؛ وكان الذي استخفنه أنها على التحقيق ليست من بنات الشارع — يدل على ذلك أنها غضة السن صغيرتها ، ولا يكاد يحفل أن تكون الحرفة قد أدركتها ... مستحيل ! ... ولكن جرائنها ؟ ... أو ووه ! ... هذا شيء بطير العقل ...

وكانت له معلمة نسوية روسية سكن إليها زمناً ؛ ولم يكن يريد أن يتعلم شيئاً وإنما كان يبنى

وأخشاه ... لست لي ولا أنا لك فيحسن أن ينتهي الأمر الآن»

فحدثت في وجهه كالمهومة فقال : « نعم ... هذا خطأ ... خلط فطيع ... وأنا السئول فقد كان ينبغي أن أقدر هذا كله وأن أستشف النهاية من البداية ... ولكنني أعترف أنني استمذبت صداقتنا وسكنت نفسي إليها وأطمأنت ، فخل الرضا عزى وأضعف رأيي ، حتى رأيت منك ما رأيت الليلة فمادت إلى القوة فهل أنت فاعمة ؟ »

فصاحت به : « ولكن هذه قسوة ... ظلم ... »

قال : « القسوة والظلم أن أدعك تلجين في حالة ليس لها من عاقبة إلا الحسرة والندم والألم » قالت : « ولكن لا أبني منك شيئاً ولا طمع لي في شيء ... إنني أعرف أنك متزوج ... دعني أحبك . ما ذا عليك لو قبلت ؟ »

قال : « هذا كلام تقولينه الآن ... هديتني فاني أدري منك بالحياة ، وأعرف بالنفس الانسانية وأطول خبراً ، وأعمق في الأمور نظراً ... تسألين ما ذا علي لو تركتك ؟ الجواب يا فتاتي للسكينة أن علي تيمة أمام ضميري ... أنا أيضاً أحبك ... »

فصاحت مقاطعة : « انتهيئا .. تعال تعال .. » فقال : « مهلاً .. لا تعجلي .. نعم أحبك .. حبّي لك حب الصديق بل أكبر وأقوى ... هو كحب الأب أو الشقيق إذا شئت ... ولكنه مع ذلك من نوع آخر ... هل تسمحين لي أن أحذئك بصراحة ؟ حسن ... اصمحي إذن ... نعم أحبك حباً لا هو عشق ولا هو صداقة ولا هو حنو أب أو أخ ... لا أدري ماذا هو ، ولكنني أدري أنه

من دمعها ، وتركها هو تفعل ذلك وأقبل على ذراعها بدلكها ، وعلى صدرها أيضاً ، وعلى ساقها ورجلها وهي ساكنة مطمئنة ، وكان وجهه إلى قدميها ، وهو يدلكهما ، ثم رمى إليها نظرة خاطفة فأنفأها فبررة العين تنبسم كأنما ترى حلاً جيلاً ، فرد وجهه إلى القدمين وقال لنفسه : « آه .. كان ما خفت أن يكون ... ما العمل الآن ؟ » وحيده السؤال وجوابه ، فترك الأمر للمقادير ولاهام اللحظة ، والتفت إليها وسألها بيمينه : « أحسن ؟ » فأجابت بإبتسامة ، ونحّت خصلة من شعرها الذهبي عن جبينها الرضاء ، فحنا عليها ، وأراح كفيه الفليظتين على جانبي عيهاها الدقيق المارف وقال لنفسه : « هذه فرصتي لتأكيد ما بيننا من التفاوت في السن واستمعاء الحب الطويل العمر ، المأمول الخير بيننا » وكيف يتركها تحبه وهو خالق أن يعلها بمد مشهور ؟ ومال عليها ولثم جبينها فضحكت ضحكة عصبية وقالت : « كأنك أبي يقبلني » وكان هذا ما يريد أن يقرره في نفسها ... أنه كأبيها ... فادعى أنه لم يسمع ما قالت واعتدل وأخرج سيجارة وهم بأن يشعلها ، وإذا بها تنتفض قاعة وتخطف السيجارة ، وترمي بها وتطوقه بين ذراعيها وتهوى على وجهه بالقبل الحار ، وهو مستسلم لهذه الثورة العصبية وإن كان قد لف ذراعه على خصرها وكأنما أضجرها فتوره ، فدفعته بكفها وانحنت وأنشأت تبكي وتنشج ، كأنما كان قلبها يفتطر ، ثم قالت له وقد سكت قليلاً : « معذرة ... إنني آسفة ... قل إنك غفرت لي » فأشار إليها بيده إشارة من يريد أن يقول إنه لا شيء هناك يستوجب الاعتذار ثم قال لها بحمد : « اسمي يا ابنتي ... لقد كنت أقدر هذا

الترفة: « أشكر مرة أخرى ... والآن هل انتهي
الدرس الذي تلقينه علي ؟ »

فقال: « لا تنهكي ... اني أنكلم جداً ...
لماذا لا تفهمين ؟ »

فقالت وهزت كتفها: « أحسب أن إدراك
قاصر ... هذه الفلسفة عويصة »

فنهض وقال: « إذن لم يبق لي كلام ... فهل
تسمحين لي أن أخرج ... أعني أن أودعك ؟ »

قالت ببرود: « أوه ... أمسافر أنت ؟ »

قال: « أظن ... الغالب ... يحسن أن أسافر »

قالت: « أرجو أن أراك بخير »

وشمر وهو خارج أنه أذلما ، فقد باحث له
بمهما فصددها ووردها بقسوة وظلطة . ولكن القسوة

تكون في أحيان كثيرة خيراً من اللين الويل ...
قسوة ! ولين ! كلام فارغ ! فلسفة سخيفة !

لماذا لم ينعم بهذا الحب الذي وفق إليه ؟ ... هذه
فتاة جميلة مهذبة تحسن الحديث وتستطيع أن

تحوض معه في كل موضوع ، وقد ألقاها القدر بين
يديه ، وصارحته بأنها تحبه ، وأنها لا تبغى منه

شيئاً ، وأنها تدرك مقتضيات موقفه ، ولا يخفى
عليها أنه متزوج ، وأنه رب أسرة ، وأن لا سبيل

بينهما إلى أكثر من الصداقة الوثيقة ، وأنها
موطنة نفسها على ذلك كله ... وهو يحبها أيضاً ...

ليس حباً في الحقيقة ولكنه يأنس بها ، وتطيب
نفسه بالوجود معها ، وينشرح صدره ويذهل عما

يسخطه ويضجره في الحياة ، فلماذا قطع الحب وأبي
إلا أن يكون سخيلاً أحق ؟ ... وأن يبعد خيراً
منها ، وأصفي نفساً ، وأكرم خيلاً ، وأحسن ودّاً
وأظرف وأحلى ؟ ... أوه ... ولماذا يطلب غيرها ؟

يسرني أن أريح يدي على صدرك ، وأن ألس
بأطراف أصابعي ثمديك ، وأن أطوقك بذراعي ...

وأشتهي أن أضمك أيضاً إلى صدري ... أضمك
كما يضم الزكر الحمامة ... وأن ألس شمرك ... أن

أعيت به وأرسل خصله المتوجة على خديك
الأسيلين ... وأن أرفع ساك فاضمها على ساق

ونحن نقرأ ... وأحس أحياناً بلسعة نار ... كأن
لساناً من اللب الحاي يرتفع فجأة فيلسع قلبي ثم

يزول هذا عني بأسرع مما كان ... فأنى إلى سكوني
وبرودي المألوفين ... وما أكثر ما جلست الى

جانبك والكتاب أمامنا ، وذراعي حول ظهرك ؛
وأصابعي على ثمديك الناهد ... وما أكثر ما نظرت

في عينيك كأنما أريد أن أغوص على سر نفسك ...
وأحسب أنك لم يفتك ذلك ... ولعل أسأت به من

حيث لا أريد ... ولا أدري ... ولكن ما أكثر
ما كبحت نفسي ورددتها عما تشتهي ... إشفاقاً

عليك ... أسأل نفسك أين يمكن أن ينتهي هذا
إذا بدأ ؟ ... النهاية مخيفة ... لك أولاً ... ثم إلى

لا أريد أن أعاني الحب ... لا صبر لي عليه ... ولا
لذة لي في جنونه ... كلا ... لا أريد أن أحب ...

لهذا خنقت العاطفة وهي وليدة ... قلت لنفسي :
هي أفي ، ودستها بقدمي هاتين ... وما زلت

أحبك يا إبلي فما يسمي غير ذلك ، ولكنه عطف
وحنو ومودة ... ذلك أني كالأعصار ... خفيف ...

وأنا أخاف عليك من نفسي لأنني أعرف نفسي ...
قولي إنك تفهمين وتدركين وتذرين »

فلم تقل شيئاً من هذا ولكنها تحكت وقالت :
« أشكرك »

ثم قالت وهي تنهض عن السرير وتتمشي في

وهو اليوم على موعد معها، ومع فكرى وصاحته
« رقة » .. وقد اعترى أن يخاف موعد سيرة وأن
يجدد نفسه بقاء رقة وإن كانت لغيره . ودخل
عليه فكرى وقال بلا تحية : « هه ، قم » فأحس
عاقل أن رأسه يدور ، ويدور وقال : « إلى أين ؟
ألا يمكن أن تمفنى ؟ »
قال فكرى : « كيف يمكن ؟ إن رقة تلح
على أن أبقى بك »

فقال لنفسه : « تلح عليه ؟ لماذا تلح ؟ كلام
فارغ ... وهبه غير فارغ فسادا يعنى من رقة
أو غيرها ؟ .. لماذا أعذب نفسي وأشقها ؟ ..
ليس هي رقة ... بل هي أن أجد فتاة أحبا
وحسبى منها ألا أكون ثقيلا عليها وبضيئا
إليها ... يا لهكم الأقدار ... كانت لنا فتاة تحبنا
وتقنع منا بأن ندعها تحبنا ... ولم نكن نكرهها ..
ولكننا اغتررنا وتبطرنا فرفسنا النعمة التي سأتها
إلينا حسن الحظ والآن نندم ونشتعي أن نحجب
ونقنع بالأن نكون ثقلاء ... يا لسخرية الأقدار ! »
وقال لفكرى : « أرجو أن تمفنى ...
لا أستطيع ... رأسي لا أدرى ماله ... ولكني
لست في حالة تصلح لثل هذه الجلسة »

فقال فكرى لمعا : « قم يا شيخ ... رفه عن
نفسك ... هذا تأثير العمل للتواصل ... يجب أن
ترجع نفسك قليلا ... إن هذا انتحار ... قم . قم .. »
فأبى عاقل إلا التناد ، وأصر على الاستفتاء ،
فلم يجد فكرى حيلة فأنصرف آسفا

ولم يكذب يذهب حتى ندم عاقل ونأزعت نفسه
أن يلحق به ، ولولا الحياء لفعل . وخرج من مكتبه
وهو يقول لنفسه : « مالي أنا ؟ إنهما حبيبان فما

لماذا لا يقنع بيته ؟ ... يقنع ؟ ... نعم ينبغي أن
يقنع بحياته المأدبة المنتظمة ، ماذا جرى لقله ؟ يجب
أن يروض نفسه على الرضى والسكون والقناعة
بالموجود ، كما راض نفسه على قطيعة إبلى ...
أبقوى على هذا ولا يقوى على ذاك وهو أولى ؟
.. ولم تتركه إبلى إلا بعد أن بئست - كتبت

إليه بضع رسائل تستملعه وتلح عليه أن يرجع
فكان يرد إليها الرسائل من غير أن يفيضا ، فقد
كان يعرف خطها فلم يسمها إلا أن تقصر

ومضت شهود ، استطاع فيها أن يحمل نفسه
على مكروها ، وأن يلزم بيته ، ويتخل لماله ،
ويصرف عينه عن النظر والتطلع ، وقلبه عن الاشتاء ،
حتى لقي سيرة ... فتذكر أنه رأى مرة طفلا يفحص
الأرض بقدمه فتقلقت حصة صغيرة فتحاها
الغلام بأصبع رجله ، وإذا بالماء ينبع ويروح يفور
منها ويسيل على وجه الأرض .. كذلك هو ..
كان شيء في نفسه محبوسا ... كانت عواطفه
الأخيرة لا يحجبها إلا شيء رقيق .. فلم يكذب يلتقي
بفتاة تضع أصبعها على قلبه ، كما كان ذلك الغلام يصنع
بقدمه ، حتى أنهدم السد الذي يحجز الطوفان ،
كما تقلقت الحصة فانبثق الماء من تحتها . ولم تكن
سيرة ترضيه ولكنها كانت تملأ .. وكان فيه وفاء
فأبى له أن يرى بها على حين تقبل هي عليه .. غير
أنه مع ذلك مل .. مل .. مل .. يريد خيرا من
سيرة .. أذكر وأبرع .. وأرشد وأظرف ..
أحلى ابتساما .. وأرسل نديا .. وأعدل قواما ..
لقد سمحت سيرة .. غفلت يساقها واكثر لحما ..
أوه لماذا تركت نفسها ترداد لحما وتنقص جمالا
ورشاقة ؟

ولا قيمة لها ... أهذا صحيح ؟ ... أوه ... هذا
وجع رأس ... أكف والسلام ... وبعد ذلك
أبحث عن البواصت ... أستطيع أن أقتع نفسي
بشرف البواصت ... ولكن لماذا أغالط نفسي في
الحقائق ؟ ... أمفعل أنا ؟ ... من الذى قال إنى أغالط
نفسى ؟ ... إذن كن صريحاً يا شبيخ ... هب الآن
أن فتاة جميلة من اللواتى يصبو إليهن قلبك قابلك
الآن ؟ ... مجرد فرض بالطبع ... لا أمل فى ذلك
ولامطمع ... ومن أين تجيء منى النفس هذه ؟ ...
ليتها تجيء ! ...

وإنه لماش يتحدث نفسه بهذا وما إليه ، وإذا به
يلتقى بصديق يصبح به بصوت عال كأنما ظنه
أصم : « أهلاً ! يعطها كأنما يصبح يقوم بميدى ،
فقال له عاقل : « ماذا عندك اليوم من المأكول ؟ »
وكانت صداقته به وثيقة ، وبين الأمرتين مودة ،
فقال صاحبه « زكى » :

« أوه . . وما الذى أدرانى ؟ تمال منى وكل
الوجود »

قال عاقل : « حسن . امض إلى المائدة فانى
أتصور جوعاً »

فسأله زكى : « وأين السيارة ؟ مع الست ؟ »
قال : « لا الست ولا السيد . . . تركتها
لأعشى »

وبلغا البيت وأقبلت عليه أخت زكى
— كريمة — تحببه وترحب به ، فقال زكى :
« ألا تهتئها ؟ »

قال عاقل : « خير ان شاء الله ؟ . ميروك على
كل حال »

فاضطرم وجه كريمة ، وكانت سبيحة الوجه

محل بينهما ؟ حسناً فلت بالاعتذار » وقال لسائقه
— فقد كان له سائق يبقية أكثر الأحيان من
العمل — : « اذهب أنت بالسيارة . . سأعشى »
فسأله السائق : « ألا أقول لى شينئاً فى البيت ؟ »
قال : « لا أعرف متى أعود ... وخذ ...
أعط الست هذا »

وناوله خمسة جنيهات ، وأحس بالراحة لما فعل
ذلك كأنما كفى به عن سينة الصباح والريال الذى
دس به يده تحت المائدة ولم يترك سواء لزوجته ؟
ومشى يتحدث نفسه أنه كان سخيلاً مجرمًا ... معه
كثير ... غير الخمسة الجنيهات التى دفع بها إلى
السائق أيضاً ... ومع ذلك يستبقها ويترك ريالاً ...
ولماذا ؟ ... لأنه قد يتفق له أن يتلقى ... أوه
بالسخافة ... ونقص العقل ... وسوء الرأى ...
ماذا ترى يكون رأى زوجته فيه لو عرفت هذا ؟ ..
زوجته التى تقب به ولا يمكن أن يختلج فى نفسها
شك أو تخبط على بالها ريبة .. ولو كانت زوجته
من هؤلاء المصريات اللواتى لا يفتأن يخرجن إلى
حيث لا يدرى أحد ؟ ... أعوذ بالله ! ... لا بل
الحمد لله ، والشكر له ، على هذه النعمة الجزيلة ...
نعمة الاطمئنان على عرضه وشرفه ... وهل جزاؤها
أن يخونها وهى آمنة مطمئنة ، ووثيقة فى عفته
وطهره ؟ ... لا . يجب أن يكف عن هذا كله ...
إن أعصابه متمية مرهقة ، وهو يزيد بها إرهاقاً بهذا
السلوك المريب ، فليكن يريح أعصابه ، إذا
لم يكن وفاء لزوجته واحتراماً لها ... بل يكف
وفاء لها ، وإلا كان الكف غير خليف بأن يريح
ضميره ... يكف والسلام ... هذا هو المهم ...
البواصت لا تهتم هنا ... ولكن أمى لا تهتم ؟

« ما قولك يا زكى ! إنى أريد أن أحب »

فقال زكى وقد تولته الدهشة : « تريد ... أن

تحب ... ؟ »

قال : « غريب ... أليس كذلك ؟ ولكن

الحقيقة ... نعم أريد أن أحب ... أخشى على نفسى

هذا الجفاف فى حياتى ، أحس أنى سأذوى إذا لم

يسقى الحب ماء الحياة ... »

فقال زكى : « ولكن هل الحب بالارادة ؟ »

وقالت كريمة : « ولكنك تحب زوجتك ؟ »

فقال يجيبهما : « نعم بالارادة ... أشغل قلبك

بارأة معينة ، يُشغَل ... وأنت يا مولاتى أقول

لك إنى أحب زوجتى ... وسأظل أحبها ... ما فى

هذا شك ... بحكم العادة على الأقل ... ولكنه

حب هادئ فاتر ... قولى إذا شئت إنه حب

رزين .. وماذا ينفع الحب الرزين ؟ ... ان الانسان

يحتاج أحيانا الى وقدة الآتون ليصهر نفسه فى النار ،

فيصفو معدنه من الأخلاط التى تتكسد كالصدأ

على السلك فتقطع تيار الحياة .. التيار الروحى الذى

هو سر الحياة ... وهذا ما لا تستطيع زوجتى

الآن ... ولا أنا أستطيعه لها ... كلانا أصبح غير

صالح لأن يشير فى نفس صاحبه تلك الزوبعة التى

تحرك أعماق النفس وتُطْفئ على السطح بعض

مارسب فيها ، وما لعله أصلح من الطلاق الآن ...

النفس تحتاج الى الزواجر أحيانا لاراز السكامن

وإثارة الدفين ... من يدري ماذا فى أعماق

نفسى ؟ ... وماذا يمكن أن يدفع بهذا للضمير الا

ثورة شديدة ؟ ... وكَمْ دفنت حبا بارادى ، فلماذا

لا أحب بارادى ؟ ... »

فقال كريمة - وأحس عاقل من نبرات

نصيرته ، ونجلاء حوراء ، وهيفاء ممشوقة ، وقال

زكى : « أنظر الى يدها وخن »

فنظر عاقل فرأى الخاتم فايتسم وقال : « هل

أهنى بلسانى أو بنمى ؟ »

فقال زكى : « وما الفرق ؟ »

قال : « الفرق هو هذا . تعالى هنا يا سقى ..

أين يبنى أن أقبلك ؟ .. أقول لك .. فى كل مكان

إلا شفتيك .. أدع هذين لخطيبك .. فان هذا

حقه ولا يجوز أن أعتدى عليه »

ودار بنفسه إحساس غريب وهو يلس خدما

الناعم الطرى ، بشفتيه ، فنظر فى عينها وهو مقطب

وإن كانت عينه تضحك وقال : « هوأولى بالتهنئة ..

لنقى أكون على يقين من أنه يستحقك ... من

هو على كل حال ؟ »

فقال زكى : « ابن عمى ، سيد »

فقال عاقل : « سيد ... ! »

وأمسك فا يلقى أن يتال منه أمام خطيبته ،

ويبسط لسانه فيه على سمع منها ، مهما بلغ من

سمة صدرها

وقال زكى : « يظهر أنك لا ترضى عنه ؟ »

فقال عاقل : « طيبى ألا أرض عن أى رجل

يخطفها منا »

فألت كريمة : « ولكنه لن يخطفنى »

فقال عاقل : « بالطبع سيخطفك ... أنت

ترجستنا الآن جيما ولكن غدا ؟ تكونين ترجسته

هو وحده ... ثم إنه سيذهب بك الى الأقصر ،

فلا نمود نراك إلا كل حين وحين »

وقاموا الى طماهم ، فقال عاقل وهو يفرك

الخبز الطرى ، أولبائه على الأسح ، ويقتله :

فانقذ وجهها وقالت : « وهل أنا أعرف ! »
 ونهض ليرتد دقائق ، فقد كان والها في طنطا
 يزوران السيد البدوي ، في البيت متسع له ، وخطر
 له وهو يعضى الى غرفة من غرف النوم ، وهي تمشى
 أمامه ، أن في وسعه أن يجبها ... فان لها لفتتها ،
 وإن كانت دون المينور - ابلى كما اعتاد أن
 يسميها - آه لما ذا ترك ابلى وتخلي عنها ؟ حماقة !
 لا خير في الندم الآن ... ونام وهو يفكر في كريمة
 وفي إمكان ... ولكن كيف يمكن ! كيف يمكنني ؟
 وأيقظته ، كما رجا منها أن تفعل حوالى الساعة
 الخامسة مساء ، فد يده اليها فأنهضته ثم أراح
 كفه على كتفها وهو يقف وأحس أن يده انحدرت
 عفواً الى صدرها ، ولمست ثديها الناهد ... فشم
 بالدماء تنفي في عروقه ، ودار رأسه فجذبها اليه ،
 وضمها وقبلها ... قبل فها هذه المرة
 وقالت وقد تخلصت من عناقه : « احذر أن
 تفلط مرة أخرى ... لست لك ... »
 فسألها : « ولماذا لا تكونين لي » وخطر له
 أنها تقول له ما قاله هو لا ابلى ؟ يا للسخرية !
 قالت : « أنت تعرف ... »
 قال : « أتكرهين أن أحبك ؟ »
 قالت : « هل يحبني ؟ »
 قال : « من يدري ! ربما كنت أحبك ...
 لملي كنت أحبك طول الزمن الذي أتوم فيه أني
 لأحب ... لعل هذا كان السبب فيما أحس أني أعانيه
 من الشقاء ... شقاء الذوى والجفاف ... سأرى
 الليلة ... غدا أقول لك هل أحبك أو لا أحبك »
 قالت : « لماذا تهكم علي ؟ »

صوتها المطف - : « يظهر أنك تمذبت كثير ...
 صوتك وحده يدل على ذلك »
 فقال عاقل بإقتسام : « أوه ... إن أشد
 ما يمزقني ... أفسى ما أكابد ، هو هذا الفراغ ...
 نفسي أصبحت صحراء جرداء فهل ألام إذا رحلت
 ألتمس الرى والخصب ؟ »
 فقالت كريمة : « ولكن زوجتك ...
 لا تستحق هذا منك »
 فقال : « بإفتاقى تلمي هذا الدرس ... لا تنتظري
 أن تظل نار الحب مستمرة .. لا يمكن .. ما من
 شيء في الدنيا يدوم ويخلد على الأيام ، فلماذا يخلد
 الحب وحده ... ؟ هل تحبين خطيبك هذا ؟ »
 فاستحيت أن تقول شيئاً ، ولكنه خيل إليه
 أنه يستطيع أن يقرأ في وجهها أن كل فرحتها هي
 بالزواج في ذاته ، وأنه ليس ثم فيما عدا ذلك شيء
 خاص .
 وكأنما أرادت أن تحول الحديث عن مجراه ،
 فقالت وهي تضحك : « قل لي من تنوى أن تحب ؟ »
 قال : « من تظننيها جديرة بحبي ؟ اختارى لي »
 قالت : « هل تريد أن تزوج ؟ »
 قال : « يا للمرأة ؟ لا تفهم إلا هذا الاحتكار
 الملل ... كلا ... أريد أن أحب ... فاختارى لي
 كما يختار الصاحب لصاحبه الجياد التي يظنها رابحة
 في السباق »
 قالت وهي تضحك : « مهسى ... جميلتنا
 جياداً ... »
 قال : « لا تهربي ... إنك تعلمين أني لا أعي
 هذا ... فاختارى ... أربني ذوقك »

على السر . احدثت إلى أصل الماء . الراحة ؟
كيف السبيل إليها وأنا كاليفل الشدود إلى الساقية
وكلاؤى أو وقف صاح به صاحبه : « ما ... ط »
أو ألهب ظهره بالسوط ... ليس لي سيد ... ولا
أسمع أحدا يصيح بي ليستعثنى ... ولكن السوط
في يد الزمن ... ووقه على روضي ، لا على الجلد ،
ولو كان على الجلد لكان . نعم يجب أن أرتاح ...
أقول لك ... سأذهب إلى لبنان وأخذ زوجتي
وأبنائي معي ... ليتك تفيث معنا ... إذن لم
هنائي ... هل تستطيعين ؟

فهزت رأسها فقال : إذا كان كل ما يملك ...
فهذا لا قيمة له . ولم يصرح

فقال : « كلا ... يجب أن أكون بعيدة عنك
ما رأيت منك اليوم يوجب الحذر من قربك ...
أنت كالنار ... ولست أريد أن أحترق »
قال : « صدقت ... وأنا يجب أن أجد ناري
ولذا ؟ ولكن لماذا أختق نفسي ؟ »

قالت : « يجب ... إلى كبتك ، ولكني
أعرف أن هذا هو الواجب وألح عليك أن تلزمه
فأحس أن خنجرنا نفذ إلى قلبه ... كبتته ...
وادرقت يده إلى شفره كأنها ظن أنه في وسعه أن
يرى الشعر الأبيض في الظلام بيده ! كبتته ؟؟
لولا هذه الشمرات البيضاء ؟؟ أوه ... ما الفائدة ؟
ما الفائدة ؟

وظلت كلنا « ما الفائدة » تدوران في نفسه ،
ويرددها بلا صوت ، وهو راقد في ليلته تلك ، على
سريره إلى الفجر حتى غلبه النوم !

إلهيم عبد القادر المازني

قال : « والله إنني لصادق ... لست أعرف
نفسى ... تعالى ... »

قالت : « احذر ... ألم أقل إنني لست لك ؟
ثم إن ذكي قادم »

قال : « أهذا كل ما تخافين ! »

قالت : « كلا ... لست لك ... فلا تخرجني »

قال : « قبلة واحدة »

فهزت رأسها وقالت : « إنني أسفة ... مثالة
لك ... أشمر أنك غير سميد ... ولكن ماذا أصنع
اعذرنى »

قال : « أشكرك على هذه صدقت . لست لي
معدرة »

قالت : « الآن خذ القبلة . أصبحت
تستحقها . »

فقبلها . لا قبلة خفيفة بل بنهم وشرة ، فقالت
وحى تنأى عنه وتتحمس شفتيها : « أعوذ بالله ...
ورمت شفتاي ، ما هذا ؟ »

قال : « اعذريني ... صرت كالجلج الذي يدخر
للأيام المقبلة .. أيام القحط والمهل والجوع .. »

ومضى بهما في ذلك المساء إلى السيما ، وكانت
جالسة بينه وبين أخيها ، فكان يهمس في أذنها من
حين إلى حين ، كأنها كان يفترض عليها بما هو دائر
في نفسه من الخواطر : « صدقت . لست لي »
فكانت تبسم ولا تقول شيئا . وماذا عسى أن
تقول ؟ . ثم همس : « هل أنت ساخطة علي ؟ »

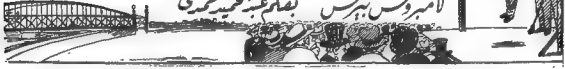
قالت : « كلا . بل أنا متوجعة لك . ومتعجبة
أيضا : أظن أنك محتاج إلى راحة »

قال : « صدقت . إنك حكيمة جدا . وقت

في عنصرة الموت

على جسر أول كريك

لامبروس بيرس بقماع عبد الحميد حمدي



- ١ -

على الأقدام ، ولم تكن العين لتقع وراء أحد هذين الحارسين على شبح إنسان ، فقد كان الخط الحديدي يتجه مستقيماً إلى الغابة مسافة مائة ياردة ثم يلتوى ويختوى ويختفي عن الأنظار ، وما من شك في أن كان هناك وراء ذلك مغرأ مأمي ، وفي الضفة الأخرى من النهر فناء مفتوح ، يحيط به سور من جنود الشجر العمودية ، التي تستعمل المسافات الضيقة بين أحدها والآخر فتحات لاطلاق البنادق من خلالها ، وفي البناء كوة واحدة تبدو منها ماسورة مدفع من النحاس يتحكم في الجسر ، وفي وسط الطريق بين الحصن والجسر . وقف النظارة الذين سمع لهم بمشاهدة تنفيذ حكم الاعدام — ولم يكن هؤلاء النظارة غير صف واحد من جنود المشاة ، وقفوا موقف الاستعراض ، ارتكزت بندقياتهم على الأرض ، ومالت مواشيرها قليلاً إلى الراء مستندة إلى أكتافهم اليمنى بينما أيديهم مشبكة حول سوق هذه البنادق ، ووقف إلى يمين الصف ضابط برتبة ملازم ارتكز سن سيفه على الأرض ، وقد استندت يده اليسرى إلى اليد اليمنى . وفيما عدا الأربعة الرجال ، التأمين فوق الجسر بمهمة التنفيذ ، لم يكن أحد ليتحرك ، بل وقف الجميع ينظرون إلى الجسر ثابتين كالصخور الجامدة ، أما الحارسان اللذان يواجهان ضفتي النهر ؛ فقد

على جسر لطريق الحديدية في آلاباما الشمالية ، وقف رجل ملوى الساعدين إلى ما وراء ظهره ، مشدود الوثاق عند المصممين ، وقد أحيط عنقه بحبل مهوى معقود إلى صليب من الخشب اللتين فوق رأسه ، وقد تدلت نهاية الحبل إلى مستوى ركبتيه . وكانت عيناه شاخصتين إلى السماء السريع الجريان تحت عشرين قدماً من موقفه

وفوق الكتل الخشبية المرتكزة عليها القضبان الحديدية ، وضمت ألواح من الخشب غير مثبتة أعدت ليقف عليها الرجل وجلادوه ، وهم جنديان من جنود المراسلة في جيش الاتحاد يقودها ضابط صف يشاب أنه يعمل في الحياة المدنية نائب عمدة ، وعلى مسافة قريبة فوق هذه البسطة الموقفة نفسها وقف ضابط مسلح ، في ملابس الجندي التي تدل على أنه قائد مائة ، وعلى كل من مدخل الجسر وقف جندي يحمل بندقيته في وضع عمودي أمام مقدمة الكتف اليسرى ، وقد ارتكزت قاعدتها على الزند المعدود أفقياً على الصدر — وهو وضع رسمي غير طبيعي يرغم الجسم على التصلب في وقفة متعبة ولم يكن يبدو من هيئة هذين الحارسين أن من مهمتهما معرفة ما يجري وسط الجسر ، فقد كان كل منهما أن يسدا الممر الخشبي المدلبور للناشين

الحديدية، وكان موقف المحكوم عليه قريباً من رباط رابع ولكنه غير متصل به . وكان ثقل قائد المائة الذى حل محله ثقل ضابط الصف هو الحافظ لتوازن اللوح الخشبي والحائل دون سقوطه ، فتى أشار القائد لضابط الصف إشارة التنفيذ ، وتدعى هذا عن موقفه مال اللوح بالمحكوم عليه فيسقط الرجل بين رباطين من أربطة الجسر . وهكذا كانت الاستمدادات التى اتخذت لاعدام الرجل بسيطة فمالة ، ولم يكن وجهه قد غطى ولا عيناه عصبنا . ونظر الرجل لحظة إلى موقفه المزعج ، ثم شخص بصره فأتى إلى السماء المضطرب فى عنف جنونى تحت قدميه ، فاسترعت انتباهه قطعة من الخشب ترقص فوق الماء ، فنبعها نظره وهي تسير مع التيار . فما كان أبداً حركتها فى تقديره ، وإياه من نور بليد مكسال .

أغمض الرجل عينيه وحصر تفكيره الأخير فى امرأته وأطفاله ، ولكن الماء الذى ألقت عليه شمس الصباح وشاحها الذهبي ، وأثر الضباب المتبدد فوق الماء على مسافة غير قريبة من موقفه ، والحصن والجنود ، وقطعة الخشب المائعة فوق الماء ، كل هذه المراتب التى وقع عليها . نظر الرجل التعميس قد شئت تفكيره ، فلم يستطع حصره كما أراد — على أن عاملاً جديداً للاضطراب قد أضيف الآن إلى هذه العوامل ، فقد شوش تفكيره فى أعزائه صوت لم يستطع تجاهله ولا فهمه ، صوت مدنى ، حاد . واضح ، أشبه بصوت ضربات مطرقة الحداد على السنديان ، قرنة الصوتين واحدة ، ولقد حار فى تعرف مصدر ذلك الصوت ، ولم يستطع أن يتبين إن كان هذا الصوت قريباً منه أو بعيداً عنه — فقد خيل إليه أنه قريب وبعيد فى وقت

كما أشبه يتمثالين يزيان مدخل الجسر . ووقف الضابط قائد المائة مشبك الساعدين على صدره رقب فى صمت عمل مساعديه ، والحق أن الموت لرد مقام عظيم ، إذا أقبل ، مملئاً عن قدومه ، استقبل بظواهر الاحترام الرسمية حتى لدى هؤلاء الذين ألفوه ، والسكوت والجلود من مظاهر الاحترام فى القانون العسكري . وكان الرجل الذى اتخذت هذه الاستمدادات لاعدامه ، لا يتجاوز الخامسة والثلاثين ، فيما يبدو من مظهره ، تدل ملابسه وهي ملابس المزارعين ، على أنه من الرجال للدينين ، جميل تقاسيم الوجه مستقيم الأنف ، ثابت الفم ، واسع الجبين ، قد صرح شعر رأسه الأسود الطويل إلى الوراء متديلاً خلف أذنيه ، إلى ياقة سترته الحسنة القطع ، ذا شاربين ولحية مديية ، واسع العينين أسودهما ، فى نظره رقة يصعب أن يراها الانسان فى عيني الرجل الذى وضع عنقه فى خية الجلاد ، وكان واضحاً أن ذلك الرجل لم يكن من القتلة السفاكين ، على أن قانون العسكرية المطلق كفيل بإعدام أى صنف من أصناف الناس دون استثناء للسادة من ذوى الخلق الكريم .

وإذا تمت معدات التنفيذ وثب الجنديان المحيطان بالمحكوم عليه عن موقعهما وسحب كل منهما لوح الخشب الذى كان واقفاً عليه ، والتفت ضابط الصف إلى قائد المائة ، فحياه ووقف وراءه مباشرة . وفى هذه اللحظة ترك الضابط مكانه ووقف على مسافة خطوة من مصطبة الاعدام . وكان من أثر هذه الحركات المتتالية أن ترك المحكوم عليه وضابط الصف واقفين على طرفي لوح واحد من الخشب ، صر كز على ثلاثة من أربطة الجسر

تحمساً لقضية الجنوب . ولقد حالت ظروف ، لا ضرورة لشرحها هنا ، هي ظروف طيبة متكبرة مستبدة ، دون اشتراك مع الجيش الباسل الذى حارب المواقع الخطيرة التى انتهت بسقوط كورنث وقد ثارت نفسه لهذا التراجع المريب ، وتطلع إلى الفرصة التى يستخدم فيها نشاطه فيحقق أعظم ما يطمح إليه الجندى من الصيت الحسن والتميز ، ولقد كان يشمر في نفسه أن هذه الفرصة ستأتى كما تأتى لكل إنسان في زمن الحرب ، وفي الوقت نفسه فمل كل ما في مقدوره أن يفعل . فلم يكن

ليأنف من أداء أى عمل بالغة ما بلغت تفاهته لمساعدة الجنوب ، ولم يكن ليتردد أمام أى خطر يمكن أن تنطوى عليه أية مقامرة إذا كانت مما يتفق وخلق الرجل المدنى الذى هو جنسى في قرارة نفسه ، والذى أغرته عقيدته السليمة وقلة مؤهلاته بأن يأخذ ولو بجزء واحد — على الأقل — من التلميم الصارخ للشر القاتل بأن كل شيء مباح في الحب وفي الحرب

وفي ليلة ، بينما كان فاركوهار وزوجه جالسين فوق مقعد ريفى على مقربة من مدخل دارهما ، دنا من الباب جندى من الفرسان في ملابس رمادية ، وطلب ماء لشرب . فكان من أشد بواث الدورود إلى نفس السيدة فاركوهار أن تقدم له الماء بيديها البيضاء . وإذا دخلت إلى الدار لتحضّر الماء اقترب زوجها من الفارس الأغبر وسأله في لهفة عن أخبار ميدان القتال

فأجاب الجندى : الأعداء مشتغلون باصلاح الطرق الحديدية والاستعداد لتقدم جديد . وقد وسلوا إلى جسر أول كريك ، وأصلحوه ، وبنوا حصناً على الضفة الثانية . وأذاع القائد منشوراً

واحد . وكان تتابع الدقات منتظماً ، ولكنه كان بطيئاً كدقات نافوس الموت . وكان ينتظر — وهو لا يدري لماذا — هذه الدقات بصبر فارغ وتنبه شديد . وكانت الفترات بين الدقات بعضها وبعض قد بدأت بالتدريج ، وأصبح تباؤها مما يسبب الجنون ، فقد اصطحب هذا التباطؤ الشديد بزيادة الضربات قوة واحدة ، فكانت تؤذى أذنيه كما لو كانت وخزات سكين ، ولقد خشى الرجل أن يصبح متوجماً . ولم تكن هذه الدقات غير دقات ساعته !

وعاد الرجل ففتح عينيه فرأى الماء تحته مرة ثانية . وقال في نفسه : « لو استطعت أن أخاص يدي من قيدهما لكان من اليسور أن أطرح الحية عن عنقي وأن أثب إلى الماء . وعندئذ أستطيع أن أتق طلاقات الرصاص بأن أغطس تحت الماء ، وإذا سبحت بقوة وصلت إلى الشاطئ » واندفعت إلى النابذة ثم وصلت سالماً إلى دارى . وأحدأه ألا يزال يبقى بعيداً عن خطوطهم ، وما زالت أصراأتى وصدارى الأعزاء وراء أبعد نقطة وصل إليها العدو النازى في تقدمه »

وبينما كانت هذه الأفكار ، التى تصورها هنا كلمات تندفع إلى رأس المحكوم عليه بدل أن تخرج منه ، أشار قائد المائة إلى ضابط الصف ، فوثب الضابط متجنباً عن موقفه

— ٣ —

كان بيتون فاركوهار ضارحاً ميسر الحال من أسرة قديمة لها في نفوس الناس مكانة سامية من الاحترام . وإذا كان الرجل مالك رقيق ، وكان كغيره من ملاك الرقيق سياسياً ، فقد كان بالطبيعة من طلاب الانفصال الأصليين ومن أشد الناس

- ٣ -

عندما سقط يتوتن فاركوهار تحت السكبرى
من الفرجة بين الرباطين ، فقد صوابه ، وأصبح
كأرجل الذى فارق الحياة ، ولم يوقظه من هذا الحال
— بعد أجيال ، على ما خيل إليه — إلا ألم ضغط
شديد حول عنقه ، تبمه شعور بالاختناق ، وأحس
بآلام حادة شديدة تسرى من عنقه هابطة فى كل
عصب من أعصاب جسمه وأطرافه ، وخيل إليه
أن هذه الآلام تومض فى خطوط معينة تبييناً دقيقاً
متفرقة فى كل ناحية من نواحي هيكله ، وهى تدق
دقاً متوالياً فى سرعة لا يدركها العقل ، وكأنها
أنهر من النار الخائفة تصعد بجرارته إلى درجة تفوق
حد التصور ، أما رأسه فلم يشعر فيه بشئ غير
الاحتقان التام ، ولم تكن جميع هذه الاحساسات
مصحوبة بشئ من التفكير ، فلقد طمس جانب
التفكير من طبيعته طمساً كاملاً ، ولم يبق له غير
قوة الشعور ، وكان الشعور مؤلماً مسيقاً للمذابح ،
كان يشعر بالحركة ، وأحس بأنه مغمور فى سحابة
متهبة هو قلبها التقد ، وأخذ يتأرجح وسط دوائر
غير مستقرة ، وهو مجرد من القوة المادية التى
يستطيع بها أن يملك قياد نفسه ، فهو يتأرجح
دون تفكير وبغير إرادته ، أشبه ما يكون برص
الساعة ، ثم إذا بالضوء المحيط به يندفع إلى أعلى
اندفاعاً مفاجئاً صراعاً مصحوباً بصوت غبط الماء
تخبطاً خفيفاً ضربه الجوى فى أذنيه ، ثم إذا كل
ما يحيط به بارد مظلم ، وعادت إليه قوة التفكير ،
فأدرك أن الحبل الذى يجمعه فى الهواء قد قطع ، وأنه
قد هوى إلى قاع النهر ، وليس فى ذلك ما يسبب له
اختناقاً جديداً ، فلقد كانت الخيبة حول عنقه

علق فى كل مكان ، أعلن فيه أن كل مدنى يضبط ،
وهو يحاول البث بالطرق الحديدية أو جسورها
أو أنفاقها أو القطارات ، يشتق فى الحال . ولقد
رأيت هذا المنشور بنفسى
— وكفى المسافة من هنا إلى جسر أول
كريك ؟

— حوالى ثلاثين ميلاً

— ألا توجد قوة على هذه الناحية من النهر ؟
— لا يوجد غير مخفر البوليس الحربى على
مسافة نصف ميل من الجسر إلى جانب الطريق
الحديدي ، وحارس واحد عند مدخل الجسر
فقال فاركوهار مبتسماً :

— وإذا فرضنا أن رجلاً — وليكن مدنياً
وطالب شتى — استطاع أن يرقى ، غير ملاحظ ،
من مخفر البوليس الحربى وأن يتغلب على الحارس ،
فماذا يكون فى مقدوره أن يفعل بعد ذلك ؟
ففكر الجندى قليلاً ثم أجاب :

— لقد كنت هناك منذ شهر ، ولاحظت أن
فيضان الشتاء الماضى قد حمل كميات كبيرة من
الأخشاب فكسدها بجانب الدعامة الخشبية عند
نهاية الجسر ، وهذه الأخشاب الآن جافة ويمكن
أن تلهب كالحطب

وهنا وصلت السيدة تحمل الماء ، فنسب
الجندى وشكر لها صنيعها فى احترام شديد وانحنى
لزوجها ثم انطلق بمجواده . وبعد ساعة ، بعد أن
هبط الظلام ، عاد مرة أخرى فر بالزرعة متجهماً
إلى الشمال فى نفس الطريق التى جاء منها فى المرة
الأولى

لقد كان الرجل كشافاً فى جيش الاتحاد

به بمبدأ في كثير من العنف ، وقد أشبه تلويح نلوى
ثيمان الماء ، نجيل للرجل أنه قد صاح مخاطباً يديه :
« أعياده مكانه ! أعياده مكانه ! » فقد أعقب نزع
الخية عن عنقه ألم مبرح قاس لم يكن قد أحسه بمد ،
كان عنقه يتوجع توجعاً مروماً ، وكأنما النار تلمب
في رأسه ؟ وقلبه ، الذي كان يدق دقاً ضعيفاً ،
وثب الآن وثبة كادت تخرجه من فيه ، وفي الجلسة
دب الألم والوجع الذي لا يطلق في كل قطعة
من جسمه ، ولكن يديه العاصبتين لم تحملا
بأمره ، فقد أخذتا تضربان الماء في عنف ضربات
سريمة إلى أسفل ، مرغمتين الجسم بذلك على الصعود
وشمر برأسه يبرز من الماء ، ثم غشيت عيناه
بضوء الشمس للشرقة ، وتمدد صدره في حركة
تشنجية ، وابتعلت رثاء في ألم قتال كية كبيرة
من الهواء لم يلبث أن زفره متوجعاً !

أصبح الرجل الآن مالكا جميع مشاعره
الطبيعية . وفي الحق قد سارت جميع حواسه حادة
متيقظة لدرجة غير عادية . فالاضطراب المروع الذي
أصاب جهازه المضوى قد ضخم هذه المشاعر
وأدفعها : حتى أصبحت تدرك أشياء لم تكن من
قبل تدركها

فهو يحس وقع قطرات الماء على وجهه ويسمع
أصواتها المتفرقة كلما أصابته . ونظر إلى أظفائه على
ضفة النهر ، فرأى الأشجار شجرة شجرة ، ورأى
أوراقها واهتزاز كل ورقة وحدها — ورأى
الحشرات تمشي فوق هذه الأوراق ، رأى الجراد ،
والفراش البديع الألوان ، والمنكبوت الرمادي
يصل غزله من غصن إلى غصن ، ورأى الألوان
التاوجة في قطرات الندى وهي تتساقط على الملايين

تتحفه فلما وتحول دون وصول الماء إلى رثته ،
أعوت في قاع النهر مغموتا بجبل ؟ لقد بدت له هذه
الفكرة فكاهة تيمث على الضحك ! ففتح عينيه
في ذلك الظلام الدامس ، ورأى فوقه وميضاً من
النور ، ولكنه لم يستطع أن يتعرف الذي بينه
وبين هذا الضوء ، ولا مبلغ الصعوبات التي تعترض
الطريق إليه ! وكان لا يزال يهبط ، فأخذ الضوء
يتضاءل شيئاً فشيئاً حتى أصبح مجرد بصيص ، ثم عاد
الضوء ينمو ويزداد وضوحاً ، إذن هو يرتفع مرة
أخرى إلى سطح الماء — أدرك ذلك كارهاً ، لأنه
كان في مستقره هذا يشعر بشيء من الراحة
والاطمئنان ، وقال في نفسه : « ليس من المكروه
أن يشق الإنسان ثم يفرق ، ولكنني لا أريد أن
أضرب بالرصاص ! لا لن أضرب بالرصاص ،
فهذا أمر غير محبوب »

لم يكن الشئوق الفريق مدركاً أنه يبذل أي
جهد في سبيل الخلاص ، ولكن ألماً حاداً في
ممصيه نبهه إلى أنه كان يحاول تحرير يديه من
قيدها ، فالتفت إلى هذا الجهد كما تلتفت البليد إلى
حركة الشعوذ غير مكترث للنتيجة ، وإله من مجهود
عظيم ! — إلهام من قوة هائلة فوق طاقة البشر !
آه . . لقد كان ذلك جهداً بديعاً ! مرعى ! لقد
أفأت الجبل مصمصيه ، وانطلقت ساعدها حرتين
تطفوان فوق الماء ، وقد رأى يديه على جانبيه في
في شيء من النموذ ، كأنما يراها من وراء
السحب ، وكان الضوء يزداد انتشاراً لحظة بمد
أخرى ، ولم يلبث أن أهتم بحركتهما عندما اندفعت
الأولى ، ثم تبعتها الأخرى وأتبعتهما على الجبل
المغموف حول عنقه ، لقد اختطفنا ذلك الجبل وقذفنا

الرامة الثاني الصيت كلهم من ذوى الميون الرمادية ومع ذلك فقد أخطأ هذا الرجل الرامة وأصاب دوماة معارضة فاركوهار فأكلوته ، فاذا هو يزاجه ثانية الغابة على ضفة النهر القابلة للحصن . فسمع من وراءه صوتاً قوياً منها عملا يخترق الهواء ، ثم أصاب الماء في غف وشجة غطت على ما عداه من الأصوات ، حتى صوت قطرات الماء اللدوية في أذنيه ، والرجل وإن لم يكن جندياً فإنه قد ألف للمسكرات ، فهو يستطيع أن يفهم دلالة هذه الأغنية القوية البطيئة المضخمة . لقد كان الضابط على الشاطئ يشترك في أعمال الصباح فهو في جمود وقسوة ، وفي تلحين هادئ يحاول أن يمسك الطائفة في نفوس الرجال ، فكان ينطق بهذه الكلمات في وضوح وقسوة وفي فترات متتالية : « تنهوا .. تجمعوا .. احملوا السلاح ..

استمدوا .. صوبوا .. أطلقوا .. »

فقطس فاركوهار في الماء ، غطس إلى أبعد ما يستطيع أن ينطس .. فكان دوى الماء في أذنيه كدوى شلال نياجرا . وعلى الرغم من ذلك سمع صوت الطلقات النارية ، فلما صعد ثانية إلى سطح الماء رأى قطعاً من المدن اللامع تهبط حوله في ببطء وقد انبطعت في شكل عجيب ، وقد لمس بمضها وجهه ويديه ، ثم استمرت في هبوطها إلى القاع ، وسكنت إحداها بين ياقته وعنقه ، وكانت حارة كالجزرة فأنزعهما وألقى بها بعيداً

فلما طفا فوق سطح الماء مثلهما إلى استنشاق الهواء ، أدرك أنه قضى فترة طويلة غاطساً ، فقد سار مع التيار شوطاً بعيداً ، فأصبح أقرب إلى السلامة ، وكان الجنود قد انتهوا من إعادة حشو

من أوراق الحشيش . وسمع طنين البعوض التي يرقص فوق زوبمة النهر ، كما سمع ضربات أجنحة فرس البحر وهي تصيب سيقان عنكبوت الماء ، مشبهة المقاذيف التي تطلق الماء على جانبي الزورق لتدفعه إلى الأمام . وقد تألفت من جميع هذه الأصوات نغمات موسيقية شديدة الوضوح ، وصرفت تحت نظره سمكة فسمع صوت تصادم جسمها مع الماء وهي تشقه على الجانبين

وطفا الرجل على سطح الماء ناظراً إلى النهر أسفل منه ، وفي لحظة أحس بالدنيا التي يقع عليها بصره وهي تدور حوله في ببطء شديد ، وهو نفسه قد أصبح مركز المائرة ، ورأى الجسر ، والحصن وقائد المائة ، وضابط الصف ، وجندي الرسالة ، تلك المجموعة من الرجال التي أنفذت فيه حكم الاعدام . لقد كانوا كلهم في نظره أشباحاً سوداء تتمرص المدى بينه وبين السماء الزرقاء فصاحوا وحرکوا أطرافهم مشيرين إليه ، ولوح القائد بسدسه ولكنه لم يطلق النار . وكان الآخرون غير مسلحين وكانت حرکاتهم سخرية قضيعة ، وكانت أجسامهم كبيرة هائلة

وسمع فجأة صوت طلق ناري ، وعلى مسافة بضعة بوصات من رأسه صدم جسم جامد الماء صدمة شديدة أمارت رشاشه على وجهه ، وسمع صوت طلق آخر ، ورأى أحد الحارسين يحمل بندقيته على كتفه وقد انبسط من فوهتها دخان أزرق خفيف ورأى الرجل الطافي فوق الماء عيني الرجل الوائف على الجسر تحدقان في عينيه من خلال منظار البندقية ولاحظ أن هاتين العينين زماديتان ، فذكر أنه قرأ يوماً أن الميون الرمادية هي أحد النيون نظراً ، وأن

نفسه كاللدومة ، فالساء ، والشايطان ، والغابة ،
والجسر البعيد ، والحصن ، والرجال ؛ كل هؤلاء
اختلط بمضهم ببعض ، وقامت بينه وبينهم سحابة
كثيفة . ولم يكن يرى الأشياء إلا بألوانها فقط .
فهناك خطوط من الألوان المختلفة مستديرة وأفقية
هى كل ما يبدو لناظريه . لقد انغمس فى إعصار ماء
لفه وأدار كل شيء فى نظره ، فكاد يفقد الصواب
وبعد لحظات وجد نفسه وقد طرحة التيارات على
الرمال فوق قاعدة الضفة اليسرى للنهر — الضفة
الجنوبية فى منحنى يخفيه عن أنظار أعدائه . وكان
وقوف حركته للقائى وجرح يده عند اصطدامها
بالرمال ، هما الماملان اللذان أفاقا وردا إليه الصواب
فبكى سرورا ، ودس يده وأصابه فى الرمل يقبض
منه ويهيل على نفسه شاكرًا له بصوت عال فضله
عليه ، فكانت تلك الرمال فى نظره ذهبًا وأساسًا
ويافوتا وزمردا ، وفى الجملة لم يكن يذكر شيئًا نفيسًا
الا شبه به ذلك الرمل العزيز

وكانت الأشجار فوق الشاطئ أشبه بنباتات
طالية فى بستان بديع ، وقد لاحظ أنها منسقة
تنسيقًا خيلا بأسر المشاعر ، واستنشق لها عيرًا
منعشًا . ورأى من الفتحات بين سوقها ضوءًا
ورديا خلابًا ، وكان الهواء يوقع على أغصانها نغبات
أشبه بما روت الأساطير من أنغام قيثارة . ولس
ملك الريح ، ولم يشعر الرجل بالرغبة فى إتمام هربه
فقد أخذ يجمال هذا الموضع الساحر وود أن يستقر
فيه الى أن يقبضوا عليه من جديد

ولكن أفاقه من هذا الحلم الجليل صغير الرصاص
بين الأغصان فوق رأسه . فقد أطلق المدفى الفاشل
عليه قنبلة الدوام . فهم واقفا واندفع صاعداً الى
الشاطئ المائل وغاب بين أشجار الغابة الكثيفة

بنادقهم ، ورأى بريق الكبسات فى ضوء الشمس
وقد أخرجت من فوهات البنادق وارتفعت فى
الجو ثم وضعت فى فتحاتها ، وأطلق الحارسان
النار مرة أخرى دون انتظار أمر ضابطهما ،
ولكن بلا طائل

رأى الرجل المطارد كل ذلك من وراء كتفه ،
وكان فى هذه اللحظة يسبح فى عنف مع التيار ،
ولم يكن رأسه أقل نشاطاً من ساعديه ورجليه ،
فقد كان يفكر فى سرعة البرق ، وقال لنفسه مقبلاً
على ما رأى :

« لن يكرر الضابط هذه الغلطة مرة أخرى ،
فمن السهل أن يثق الانسان الطلقات الكثيرة إذا
أطلقت ممًا ، كما يثق الطلقة الواحدة ، ولله قد
أسدر أمره للجنود أن يطلقوا أحراراً غير مقيدين
بأمره ، فليكن الله فى عونى لما أستطيع الافلات
منهم جميعاً »

وعلى بعد ياردتين من مكانه سمع صوتاً مرعباً
ردد الحصن صده ، ثم أعقبه انفجار هائل أثار ماء
النهر من قاعه ، وارتفعت فى الجو صفحة من الماء
ثم سقطت فوقه فأحتمته وخنقته ؛ لقد اشترك
المدفع فى المطاردة ، وإذ خلس رأسه من الماء
الذى غمره ، سمع صوت القنبلة الثانية تصفر فى
الهواء ، وبعد لحظة اصطدمت بأشجار الغابة بعيداً
عنه ، وانفجرت بينها ، فقال فى نفسه :

« إنهم لن يفعلوا ذلك مرة أخرى ، وسيطلقون
فى المرة المقبلة قنبلة متفجرة ، فلأرتقب المدفع
بنظري ، وسيدلنى الدخان ، فالصوت يأتى متأخراً
لأنه يثلكاً وراء القذيفة ، وهذا المدفع من
النوع الجيد »

وجأة رأى الرجل نفسه يهوى دأباً حول

جحتلتنا فلم يمد في مقدوره أن ينفذهما ، وجف لسانه من العطش غاول أن يخفف من حرارته بأبرازه من بين أسنانه فيلقى به الهواء البارد . وما أسرع ما غطت الحفرة الطريق غير المسلوكة ببساط لين سميك ! فلم يمد يشر بصلابة الأرض تحت قدميه !

لقد نام الرجل - على الرغم من تيبه - وهو يسار على قدميه ، ما في ذلك من شك . ولأنه لم يزل الآن منظرأ جديداً - ولعله قد صحا من نوبة أصابته من هول ما لقي . إنه لواقف أمام باب بيته ، وكل شيء تقع عليه عيناه باق كما تركه ، وكل ما يرى وضاء جميل تحت شمس الصباح المشرقة ، فلا جدل في أنه قد سرى الليل كله . ولقد دهم الباب فافتتح ومشى في الممر الأبيض الواسع ، قابض اهتزاز ملابس نسوية على بضع خطوات منه ، وهذه هي امرأته - في نضارتها وثيابها وجلها - تهبط درج الشرفة لتستقبله . ولقد وقفت عند قاعدة السلم تنتظر إقباله عليها ، وقد غمرت وجهها ابتسامة تبنى عن فرحة يسهز القلم عن وصفها ، وهي في موقفها هذا مثل للظلمة والسوء غير مقارن . آه ما أجملها ! لقد وثب إلى الامام مفتوح الساعدين ، وهو على وشك احتضانها إذا هو يشر على مؤخر عنقه بضربة صاعقة ؟ وإذا ضوء أبيض يمشى الأبصار بكتفتيه من كل ناحية مصحوبا بصورة كسوت الدفع المسمى - ثم إذا كل شيء مظلم ساكن !

لقد مات يتنن فاركوهار ، وهذه جثته مكسورة العنق ، تتأرجح في الهواء ، في تودة من ناحية إلى ناحية ، تحت دعائم جسر أول كريك هيد الحيد حمري

ومشى اليوم كله مهتديا بحركة الشمس . وخيل إليه أن الغابة تمتد إلى غير نهاية ، ولم يقع نظره في أية ناحية من نواحيها على طريق مسلوكة ، حتى ولا درب من دروب قطع الأخشاب ، ولم يكن يعلم أنه يسكن في منطقة موحشة كهذه . ولقد كان لهذا الكشف في نفسه أثر عجيب !

ولم يأت المساء حتى كان التعب قد أخذ منه ، وكانت قدماه قد أنهكها المسير ، وقد أوشك أن يهلك من الجوع

ولكن التفكير في امرأته وأطفاله كان حافزا له على مواصلة التقدم ، ووجد آخر الأسر طريقا ، هي فيما يعلم الطريق التي توجه الاتجاه الصحيح . وكانت طريقا واسعة مستقيمة أشبه بطرقات المدن ولكنها لم تكن مع ذلك مطروقة ، فلا للزارع تكتنفها ولا على مقربة منها يلوح أى أثر للسكنى وحتى لم يسمع بها نباح كلب يبنى عن وجود إنسان ، وكانت الأشجار الباسقة السوداء تؤلف جدارين مستقيمين على جانبيها ، يلتقيان على مدى النظر في نقطة في نهاية الأفق ، ونظر الرجل إلى السماء من خلال هذه الفرجة التي تشق الغابة ، فرأى مجموعة كبيرة من النجوم الذهبية المضيئة ، ولكن منظرها لم يكن مألوفا له ، وكان يجمعهما عجيبا ، ولم يكن يشك في أن هذه النجوم قد ترتبت في نظام معين يجعل في طياته سرا سبي الدلالة ، وكانت الغابة من الجانبين تدوى بأصوات غريبة ، سمع بينها أكثر من مرة كلاما بلغة لا يعرفها

وأحس فاركوهار الألم يشتد في عنقه فرفع يده يتحسس موضع الألم ، فوجد العنق قد غار غورا مفزعا ، وكان على بيته من أنه يحوط بدائرة سوداء من أثر الجبل الذي ضفطه ، وشم كأن عينيه قد

الرسالة الاخيرة

بقلم رالف فيلومر

ترجمة محمد عبد الفتاح محمد



إحالة وتوانيه . ولم يقتصر الأمر على ذلك بل راح
يقدر فيه وينال منه أمام زملائه في الجيش وإخوانه
وقد قال له فيما قال . . . « فورلاندا . . . سوف
لا تسلم من ارتكاب الحماقات والأخطاء مادمت
حياً . . إن حياتك المليئة بالأغلاط . مقعمة بالأخطاء
منذ أن أدركت معنى الحياة . وإني أقول لك على
رؤوس الملائكة : إن دخولك في رحمة الله أو إلقاءك
في قرارة الجحيم لن يسكون ألبتة سوى نتيجة
حتمية لاحدى هذه الفلطات . . . أيها الرجل !
إنك تمشي على الأخطاء وستموت من جرائها »
وأطلق فورلاندا العنان لأفكاره تهاق في
أجواء السنتين الساضيتين ، وهو يكتب عنوان
الكولونيل على الظروف

ونحي الظروف جانباً ، ثم أمسك بأحدى يديه
الرسالة التي كتبها منذ لحظة . بينما كانت يده
الأخرى تمثت في حركات عضوية مضطربة بمسح
متوسط الحجم

وراحت يمينه تجريان على كلمات الرسالة
« الكولونيل أ . ه . با كستر

سيدى الكولونيل

أرجو العذرة يا سيدى إذا وجدت أن هذا
الكتاب لا يمت إلى أعمال الجيش بصفة . وسوف
أكون — حيناً يصلكم هذا — إما في جنة الخلد

أخذ الناس على أنفسهم أن يتجنبوا سبيل
الأخطاء ، ووضعوا نصب أعينهم أن يجيدوا عن
طريق الأغلاط ، ومع ذلك فكثير منهم من يهوى
في هاويتهما ، ويتردى في حماتهما ؛ بل أصبحت
وكأنها من مستلزمات الحياة ، أو من ضروريات
البشر ، فقد ترى البعض يتدارك الخطأ قبل الوقوع
في نتائجه ، والآخر يقع فيه ويتخبط في أشراكه
وجرائه

بيد أن الأخطاء كثيراً ما يحو بعضها بعضاً .
وهنا نرى أن القدر يشاء للبعض أن يجنى من وراء
ذلك ويربح . . . ويشاء للبعض الآخر أن يخسر من
جرائه بل وبهك

أخذت يد « جرافيل فورلاندا » ترتجف ارتجافاً
نحت اللصباح الكهربائي الموضوع على المكتب ،
وهو يترع كأسه من شراب البراندى . وما كاد
يفرغ من ذلك حتى تقلصت يده على الكأس
وتقم : لقد انتهت كل شيء ، وعما قريب
سأسمى في حالة أخرى ، آمن بها كل عدوان الدنيا
وغدرات الناس ، وهجران الزمن

ثم غيب يده في درج المكتب وأخرج
مظروفاً وضمة نصب عينيه
لقد ظلّا غاب عليه رئيسه الكولونيل با كستر

وقد تقول : إنه كان في وسك أن تقترض
البلغ غير أنى سوف لا أكون معك إبان اكتشاف
الحادث ، بل إن روى عن الأخرى ستأبى أن
تحضرك ، لأنى لا أرى أن ترجعك . ولا أود أن
تهيبك

والى على يقين أن رحيلى الى العالم الآخر هو
خير سبيل تطرق ، وأفضل طريق تسلك ، ودعى
أقول لك : وداعا يا سيدى السكولونيل !

الخلاص

جرائيل فورلاند
ملازم أول

وغيب الرسالة بعد ذلك في المظروف وختمه...
ثم ألصق عليه أحد طوابخ البريد . وكان هو يفعل
ذلك حاكاً ساعماً ، مفكراً واجماً ، تتناوب وجيهه
الجرة والصفرة . يرى يديه ترتجف وأصابه ترتعش..
ولم يكن ذلك لما يشعر من تأنيب في الضمير لسرقته ،
أو وخز في النفس لفلته . بل كانت ذلك لأنه
لا يستطيع درء الفضيحة عنه ، ولا يمكنه دفع البار
بمبدأ منه ، ولأنه سيفقد عمله لما أتاه من المنكر ،
ولما اقترفه من الجرم

إن السبيل الوحيدة والطريق السهلة المعبدة .
للخلاص من الفضيحة ، والاغتسال من الماراثين
سيجرها عليه اكتشاف الحادث . هى رصاصة
تخترق رأسه

وأبصر يده ترتجف وهو يشمل إحدى لفافات
التبغ ، فأيقن أن تظاهره بالثبات وادعاءه الزانة
والهدوء إنهما إلا قناعا شفافا يخفى وراءه ما يبسطه
في نفسه ويصع من عوامل الرعب والنزع الهائلة .
وقال بلهجة الرائق يحدث نفسه :

— سينتهى كل ذلك سريعاً .. ما هى إلا ضغطة

أو في عذاب السمير . هناك حيث ينال المرء جزاءه
من جنس عمله . وقد فضلت هذه النهاية وأكرتها
لأنى عجزت عجزاً بيناً عن إعادة ما امتدت إليه يداى
الآثمات من أموال الفرقة التى وكلت بحفظها .
ودُسِّد إلى أمر حراستها والعناية بها . ولا عجب
إذا وصلك كتابتى هذا قبل اكتشاف الحادث ،
فذلك ما حملت على أن يكون

وكان الأمل يشيع في نفسى حتى الآن ، لظنى
أنى لا بد ووجد طريق الخلاص الذى ينتهى من
ذلك المأزق الضيق الخائق . وكان مما يقمر نفسى
بالأمل وبفيض عليها بالرجاء ، أن يوم اكتشاف
الحادث ليس منا بقريب ، بل دونه أيام عديدة ،
وليال كثيرة تمكننى من إخفاء الأمر وتسديد
العجز وإكمال النقص

فغير أن الأيام قد مرت ، واليالى قد تصرمت ،
وأصبح اليوم الروح الهيب قاب قوسين أو أدنى
فلا يمر الليل حتى يفيض نوره ، ولا تغضى ساعات
إلا ويزغ فجرة وترجل شمس . كل ذلك وأنا كما
كنت . . . عاجز عن إخفاء الحادث ، أو إكمال
النقص الذى أحدثته يداى الملوثنات .. فليس أمامى
في هذه الحال غير السجن والمار .. سوى الخراب
والدمار . . وليس ذلك مما أسيفه أو أرضاه

أما عن البالغ المختلس فقد بلغت قيمته حتى الآن
ستمائة جنيه أو تزيد . فهل يدور بخلك يا سيدى
أنه في وسى إعادة الى مكانه من الخزانة دون أن
يدرى أحد ؟ قد يكون ذلك ممكناً من وجهة نظرك
ولكن المدجزات لا تحدث في عصرنا هذا يا سيدى
السكولونيل ، إنما الأخطاء تغسب هى التى يشيع
حدوثها ، أو إحداها إن شئت

« سيدى : لقد أمرنى عمك جيمس . ب .
مويث أن أرسل إليك هذا الكتاب وبه ألف من
الجنهيات ، وهى نتجعة الارتفاع المفاجئ لأسهم
شركة آبار البترول ، التى كان لك حظ الاشتراك فيها
عند فجر حياتك »

وكانت الرسالة ماهرة بامضاء مسجل شمير
وأحسن فورلاند رغبة ملححة فى أن رفع عقيرته
بالصباح فرحاً وابتهاجاً ، هاهى ذى ألف من
الجنهيات فى يده . . ملكه وحده ، لا يتنازعه فيها
منازع . ولا يشاركه فيها شريك ، سيميد ما اختلته
فى صبيحة اليوم التالى قبل اكتشاف الأمر دون
أن يعلم أحد . . أية معجزة أية خارقة . . أى حظ
سيميد ؟ لقد هزأ بالمعجزات وهامى ذى قد حدثت ،
وسخر من الخوارق وهامى ذى قد حلت

بيد أنه عيس قليلا وهو ينظر الى المال ،
لساذا لم يرسله عمه صكا على الصرف ؟ ولكنه عاد
وتذكر أن عمه يمتق معاملة البنوك ، بل هو لا يثق
بها ولا يأمن لها ، إن عادته دوما أن يدفع بالنقد
وتذكر قول عمه له ذات يوم : « اصغ الى
يا فورلاند ، إن شركتنا هذه وإن كانت لا تدر
علينا أى ربح الآن . فانها ستفقد فى مدى زمن
— طال أمر قصر — من أعظم الشركات الدولية
فى العالم » إذن فهذه هى أولى الأرباح . . . إذن
سترى عليه البالغ بعد الآن ...

وفورلاند يعلم عن عمه أنه ما كان يرسل إليه
فلسا واحدا ، إذا درى بموقفه الدقيق الخرج ، إنه
— أى عمه — يكره أن يرى أحد أفراد الأسرة
يتلوث بهذا العار ، ويترغ فى هذا الرجس . وتقطب
جبينه وهو يفكر . . حسنا . . . سيميد المال
للسروق فتنبق له بعدئذ أربما أنه جنينه أو تفل ، ولن

واحدة لهذا الزناد وينتهى الأمر كله ! بل ويشق على
أى أحد أن يلحق بى أو ينالنى
وأخفى السدس فى أحد أدراج المكتب ، ثم
تناول الرسالة ، وصادر البيت ليودعها صندوق
البريد ، أى حظ تمن ذلك الذى يلازمه ؟ من له
يمن يده له يد المون فيرد المال المسلوب قبل أن
يجردوا الخزانة ؟ أى دهر جائر ظلم ، هذا الذى
يأبى مساعدته وتخليصه من وهددة المار التى تدرى
فيها ، وهامية الذرن الذى ترغ فيه ؟
وتقم فورلاند يتحدث نفسه :

— هاهوذا آخر يوم من أيام حياتى ، لينقضى
نحت سعى وبصرى
وألقى الرسالة فى صندوق البريد ، ثم كر راجعا
الى مثواه

وهناك أخرج السدس وأدناه من رأسه المغموم ،
وزم شففيه ، وأغمض عينيه ، وراحت أصبعه
تضغط على الزناد شيئا فشيئا . وكاد كل شئ ينتهى ،
لولا أنه سمع وقع أقدام تقترب منه أعقبه سسمة
مكبوتة ودق خفيف على الباب

ودخل الخادم فأنق سيدة منتحيا فاحية من
المكتب جالسا فى تراخ وتحول ، أما السدس فقد
كان مختفيا وراء علية السجائر
— لقد جاءت الآن فقط يا سيدى

فاه الخادم بهذه الجملة فى صوت خافت ولهجة
احترام وهو يمد يده الى سيدة برسالة مسجلة . . .
فتناولها فورلاند بيد مرتجفة ثم أومأ إليه بالانصراف
وفض المظروف فى مجلة واضطراب فسقطت منه
الرسالة وهو يخرج حزمة من الأوراق المالية كانت فيه
والنقط الرسالة وأخذ يقرأ ما جاء فيها بسنين
جاحتين

وهو يدل إليهم بأنه أرسل بمحض الخطأ والتسرع
خطاباً يود استرداده . ثم وصف لهم الظروف
فأجابهم أحد المال في رقة مشوبة بمزيم أن إعادة
أية رسالة إلى صاحبها ضرب من المستحيل وأفهمه
أن مصلحة البريد تمد نفسها مسئولة عن الرسائل
حتى تصل إلى المرسلات إليهم

فأخذ فورلاند يتهدد ويتوعد نارة . ويأين
ويتذلل نارة . وكان كل ذلك عبثاً . فملح إليهم
بالرشوة ، ولوح لهم بالمال . وقد رفع البائع حتى
أضحى يقرى المرء على مخالفة ضميره والاخلال
بواجبه ، فنظر إليه العامل نظرة شذراء مليئة بالهكم
والاذدراء . ثم أدار عنه وجهه واستغرق في عمله
فخرج فورلاند يلتمس الهواء البارد الرطب
عساه يطفئ من هاته النار التي تضطرم بين أضلعه
اضطراباً ولله يخمد ذلك السعير الذي يحترق في
أحشائه احتداماً

وترافقت على صفحات ذهنه كلمات الكولونيل
التي طالسا سوبها إليه ممرساً به قادحاً فيه « إنك
أيها الرجل تمشي على الأخطاء وسوف تموت من
جرائها »

وفي مأواه غرق في مقعده وراح يشحن ذهنه
ويكد قريحته لعله يصل إلى حل لتلك المعضلة
الجديدة أو عساه يجد طريقاً للخلاص مما وقع فيه
من الخطأ مرة أخرى

وهبط الليل وانتشرت معالم السحماء الطاخية
على الكون . بل مضى كل الليلة إلا قليلاً واقترب
الفجر وكاد يبرخ . وفورلاند لما يجد بعد حلا
لتلك الاشكال الجديد ، وظل جالساً بأعين حاذقة
وجفون مقرحة ، وشعر مشعث وخدين أصفرين
غائرين

يكون هناك ما يشينه ويحبه أمامه أو يحط من
قدره . بيد أنه أن كوحش حبيس ، وزأر كأسد
جريح ، حينما تذكر الخطاب الذي أرسله إلى
السكرولويل بمنوان بيته في « إستم كوست » ...
لامرية أنه سيتسلمه في الصباح الباكر

وهب واقفاً في ذعر .. ما الذي يحق للشيطان
جعله يتسرع ويرسل الكتاب ؟ أما كان أولى به
أن يترتب إلى الصباح ؟ إنه لا يسمه الآن أن يتلاقى
الأمر أو يتفادى الكارثة . . ولا يمكنه أن يمسيد
المال ، وزعم أنها مرضة من مرضه ، أو بهيئة
أراد بها التسلية واستطلاع ما قد يحدث . فقد
يرتاب الكولونيل في الأمر . ويجرد الخزانة بعين
أخرى .. منتبهة متيقظة . ويميط اللثام عن التلاعب
الذي أحدثه بالمال منذ سنتين

وألقى فورلاند السدس في درج المكتب .
ووضع المال في حرز حرز . ثم تناول قيمته وغادر
مشوا إلى صندوق البريد

يا لاحظ التمس . ويا للأمل الخائب ! لقد
أفرغت الرسائل التي في الصندوق منذ عشر دقائق
خسب

وترأت له أشباح السجن والفضيحة والمار .
فجن جنونه . إن مصيره الآن في يد رجل ، ولو أنه
طيب القلب إلا أنه لا يلين ولا يرحم في مثل تلك
الأمر . ثم إن همه جيمس لا يتردد في اذدرائه
ولفظه والتبره منه إذا بلغه خبر جريمته الشنعاء وإثمه
الكبير الزرى

وأبصر مكتب البريد يجثم في نهاية الطريق
فهول إليه . وأفهام هناك في مجلة من أمرهم وهم
يفرزون الرسائل

وارتدى فورلاند ثوب الهدوء وثبات الجنان

وغرق في مقدمه ثم تتم :

— السجن ١١١ ...

واعتمد في جلسته بقنطة ثم أردف :

— سيأتي البوليس بين لحظة وأخرى ...
أجل ، سيأتي فوراً . ألم ينبئ الكولونيل بالسبب
الذى حدا به الى الانسلاخ من هذا العالم والتخلص
من الحياة ؟

وعادت وتراءت له أشباح السجن والماء والدمار
ونضح مرة أخرى ثم جلس على حافة المكتب

وأفرغ في جوفه كأسين مترعتين من الشراب

ثم امتدت يده تبحث عن المسدس

— كل ذلك من أجل غلطة ... غلطة واحدة
ألا ليتنى تريت قليلاً قبل أن أبث بهذه الرسالة
الليينة

ثم رفع السلاح الى رأسه اللندى بالمرق البارد
في عزم وإصرار

وعلى عتبة الباب الخارجى راح الخادم يتفكر
ويدبر النظر في رسالة سلمها لياه موزع البريد ،
وكانت تحمل — فضلاً عن عنوان الكولونيل
يا كستر — ثلاثة أحرف توى الى أن اسم الراسل
مكتوباً على الوجه الآخر من الظروف

وزجر موزع البريد يقول : —

— إنه لا يعمل اسم البلد المرسل إليه ، وقد
أعدناه لنقص العنوان . كثير من الناس يقع في
مثل هذه الغلطة ... يا لآلهي ! ما هذا ؟

« وهذا » هذه كانت طلبة نارية دوت في
سكون المنزل العميق أعقبها سقوط جسم على الأرض

محمد عبد الفتاح محمد

بالساحة والنجم بينها

ستصل الرسالة الى الكولونيل بسد بضغ
ساعات فيقرأها ويدرك كل شيء

ليس هناك سبيل لنزع ذلك ، على الرغم من
أن الخطاب لا يزال في مكتب البريد . يا لله !
كيف يمنع وصوله ؟ لقد أصبح ذلك مستحيلاً ،
لأن الكولونيل يتسلم رسائله يدأ بيد من موزع
البريد . وزأر فورلاندي يقول :

— لماذا لم أترب قليلاً ؟

واختفى فورلاندي المرح الطروب ، واحتل
مكانه فورلاندي آخر وحتى النظرات . كساه اليأس
ثوب الجنون ، وأورنه الهم والقلق حالة التوحش
ها هو ذا الخراب يتراءى له كوحش هائل
يرد ابتلاعه ، والدمار يهاجمه كجراح جبار يبني
اختطافه ، ومع ذلك كان في وسمه أن يتفادى ذلك
لو أنه لم يخطئ ويرسل ذلك الخطاب

وملاً كأسه من الكونياك ورفعها الى فيه بيد
ترتد في شدة وعنف ، حتى لقد تساقطت قطرات
من الشراب على أرض الغرفة

واقبته أخيراً من ذهوله فرأى أن الصبح قد
تنفس وزغ النهار وأضاء . فأخذ يضحك بينما
كانت أصابعه تبت بالأوراق المالية عنبها بشيء
نافه لا خير فيه

إن الكولونيل ليرفض رفضاً باتاً أن يأخذ منه
المال ويودعه الخزنة دون أن يظن الى الأمر أحد
يا للخراب ! يا للدمار ! لقد خرب ودمر ...
كل ذلك من جراء غلطة واحدة . ألا ليتنه تريت

الى الصباح ، أو الى أن أمه المال من عمه
ونظر الى الساعة فألفها تشير الى التاسعة
سيستلم الكولونيل يا كستر الرسالة حالاً ...

إنه يقرأها الآن ، وربما يكون قد أخطر البوليس



- ١ -

كان يقول لسيدة ونظراته تنعاق بالروعة والاحجاب :
 « لسوف يكون ابنك قاضياً يوماً من الأيام . »
 وكانت الأيام لا تترى إلا وفي أحشائها أعاجيب
 جدد ؛ فمتدماً بدأ الطفل يتعلم كيف ينقل خطاه
 بعضها في إثر بعض ، رأى رتشاران في ذلك عصرًا
 جديداً من تاريخ البشر . حتى إذا ما جال لسانه في
 شدة بلفظ : « بابا » لأبيه ، ولقب « ما — ما »
 لأمه ، وكنية : « شارنا » لمريه ، استخف الزح
 رتشاران ، فراح ياقى بالخير إلى كل من بصرت
 به عيناه

وأتى على ذلك حين من الدهر فأصبح على
 رتشاران أن يظهر عبقريته بأساليب أخرى ؛ فقد
 كان عليه أن يلعب دور حصان مثلاً ، يثب على
 أقدامه ويمسك اللجام بين أسنانه . ثم يصارع حله
 الخفيف ، ويحتال ليرمي على ظهره مهرزوماً مغلوباً .
 فان هو فشل فثم صخب وخبيخ

وفى ذلك المهد حول أنوكول إلى مقاطعة على
 ضفاف البادما . فابتاع لابنه — وهو في الطريق إلى
 كلكتا — عربة صغيرة ، كما اشترى له صداراً من
 ساتان أصفر ، وقبعة ذات شرائط مذهبة ، وأساور
 وخلاخيل من ذهب . فكان من دأب رتشاران
 — كلما خرج في زمة مع صاحبه — أن يخلعها
 عليه جميعاً في زهو وكبرياء

كان رتشاران يبلغ من العمر اثني عشر عاماً
 عندما لحق بمجدة سيدة ؛ وإذا كان ينتمى وإياه إلى
 جنس واحد فقد صار إليه أمر الناية بأنه الصغير
 ودار الزمن دورته فانقلت الطفل من بين ذراعى
 رتشاران ليذهب إلى المدرسة ، ثم إلى الجامعة ، ثم
 ليتبوأ منصباً في القضاء

ولقد انفرد رتشاران بمجتمه طيلة ذلك المهد
 حتى إذا ما تزوج شعر الرجل الأمين بأنه قد أصبح
 مولو لسيدين بعد أن كان قابلاً لسيد واحد ، فقد
 طار من بين يديه ما كان له من سلطان ، ثم استقر
 على بساط السيد الجديد

غير أن رتشاران لم يلبث أن صرفه عن كل
 ذلك قادم ثان ، فقد أنجب أنوكول طفلاً ، وملك
 رتشاران قياد الطفل بلطف عنايته ، وحسن رعايته
 فكان يلاعبه ويداعبه ، ويلاقيه ويناقيه ، ويلصق
 خده بمجده ، ثم يبعده عنه وقد أضادت صفحته
 ابتسامة لطيفة

وسرعان ما استطاع الطفل أن يحب وأن يجوز
 باب المنزل ؛ وعند ما كان رتشاران يذهب ليأتى به ،
 كان يجلبل بضحكات عابثة ، فيأخذ المجب من
 رتشاران مأخذه ، ويدهش لما يديه الطفل عند
 مطاردته من تدبير يارع ، وحكم صائب . حتى لقد

فأشار يده إلى الاتجاه المضاد وهو يقول حافزاً مستثيراً : « انظر ! انظر ! أيها الطفل ! انظر هذا الطائر .. » ثم دفع بالربة بعيداً عن الشجرة وهو يدمدم بأصوات لا معنى لها

ولكن ليس من اليسير أن يخدع طفل قسّم له أن يتربع على أريكة الحكم ، ويتبوأ منصة القضاء ! ثم إنه لم ير شيئاً خليقاً بأن يلقى إليه باله ، أو يوجه أنظاره ؛ وإلهامه بوجود طائر خيالي أمر لم يعد في الامكان

وتشبث السيد الصغير برأيه ، فرضخ له رتشاران ، وقال أخيراً : « حسناً أيها الطفل ، اجلس أنت في عريتك قرر المين ، وسوف أذهب فكأنيك بما شئت من زهر جميل .. ولكن حذار أن تقرب الماء .. »

وما كاد رتشاران يذهب حتى هرع الطفل صوب المساء الذي حرم عليه ، كان النهر يمدو ويتدافع صاخباً مزبداً ، فكأن الموجبات المصبية أطفال آبهة من رتشاران ، مدوية بضجكات ألف طفل سوي .. فتجوب فؤاد الصغير بالأعيانها ، فأنسل من عربته يبدو شطر المجري ؛ وبينما هو في ذلك إذ بصر بعضاً صغيرة ، فأنهض بها على النهر وكأنه يصطاد ، ولكن أرواح البحر كانت تدعو إليها ، وتناديه أن تعال تلمب ونغزح في صرنا الواسع

وكان رتشاران قد قطف ملء قبضته زهراً ، وعاد وهو يحمله في طرف ثوبه ، والسرور علاً عطفه ويشبع في أسارير وجهه ؛ ولكنه عندما بان مكان الربة لم يجد أحداً ، فجأل بطرفه فيما حوله ، فلم يجد أحداً ، فجمع إلى الربة بصره ، فلم يجد أحداً ، فتجمد الدم في عروقه ، ودارت الدنيا من حوله ، وكأنه يسبح في ضباب كثيف ، وانبعث

ثم أقبل فصل الأمطار فأنشأت السماء تمطر الأرض بشكايب مزن هطال . فكأن النهر الجائع أفموان هائل يزدرد كل ما يصادفه من المنازل والقرى والحقول ، ويتمر بفيض مياهه الحشائش الطويلة المشرفة على الساحل الرمل . وبين الفينة والفينة كان بدوي في الفضاء صوت ارتطام المياه بالشاطئ ، وكنت تستطيع أن تسمع هدير التيار من بعد قسي ، فإذا اقتربت من النهر هالتك تلك القادير العظيمة من الزبد يدفعها التيار دفعا عنيفا وغيض ماء السماء بعد ظهر يوم من الأيام فلاح الطقس رائقا دفيئا وإن جلت الغيوم السماء . ولم يرض السيد الصغير أن يقبع في عقر داره في مثل ذلك اليوم الجميل ، فاستقل عربته الصغيرة ، وراح رتشاران يجره في توان ومخاذل ، حتى إذا ما شارف مزارع الأرز الممتدة على شاطئ النهر لم يجد أحداً ، فلا في الحقول أمحاجها ولا في النهر قواربه . وإنما انشقت السحب وراء السباب عن شمس دامية مودعة ، كأنها سفينة يحترق في خضم زخار

ووسط ذلك السكون العميق أشار الطفل بأصبعه إلى الأمام على حين غرة ، ثم صاح : « شارنا ! » فعلى مقربة منهما وسط دغمة مستوحلة كانت تقوم شجرة باسقة من أشجار « الكادامبا » وكان السيد الطفل يرمقها بنظرات ماؤها الطميع والتشهي ، ففهم رتشاران مراده ، إذ كان قد اتخذ له من أزهارها شبه عربة صغيرة منذ عهد قريب . وما كان أشد سرور الطفل وهو يجرها هنا وهناك ! لقد شغلته اليوم بطوله حتى عن أن يلجم صاحبها ، فارتفع من حصان إلى سائس ! وما كان رتشاران يتوآق إلى أن يخوض في الطين حتى ركبته ليحصل لسيدة على الزهر ،

لقد كان الطفل زين يحل من ذهب ... »

— ٢ —

وارتد رتشاران إلى قريته عززونا كاسف البال، فلم يك قد نسل حتى ذلك الوقت ، ولم يبق له أمل في نسل . . إلا أن زوجه أنجبت طفلاً قبل أن ينسلخ على قدميه عام ، ثم قضت محبها ، وخلفته فريسة حنق عظيم ، يشظه صراى طفله ، وتتماون الظنون أنه ما جاء إلا لينصب السيد الصغير مكانته ، ثم أليس من البنى أن يقر بطفله عيناً ، وسادته يتقبلون على القناد وجداً على إبنهم وأماً ؟ ولولا عمة أرملة وقفت نفسها على العناية بالطفل لما عاش إلا قليلاً ولكن نحولاً طراً على عقل رتشاران ثم سكن فيه شيئاً فشيئاً . لقد راعه أن بدأ الطفل يحب بدوره هنا وهناك ، ويجوز باب المنزل وقد ارتسمت على وجهه علامة الخبيث والبعث ؛ وكان هو الآخر بارع الحيلة زكى الفؤاد إن شاء هروبا ، بل لقد كان بنبرات صوته ، ورنين ضحكك ، وعويل بكائه ، ولطيف إيمائه ، يشبه السيد الصغير حدوك القطة بالقطة ؟ حتى لقد كان يحيل لرتشاران وهو يصيح أن سيده الصغير يناديه من وادى اللوت السحيق ، ويصرخ باكياً لفقده « شارنا »

وسرعان ما بدأ الطفل يلوك الكلام ، فعرف كيف ينادى « با — با » و « ما — ما » في لغاه طفل رضيع ، وأنبج السر أمام عيني رتشاران إذ راح السيد الصغير يناديه « شارنا » بعد أن بعث في بيته قارة أخرى

ولم يمسد بخمار رتشاران أدنى شك في صحة هذا الزعم ، فقد رأى الطفل نور الحياة بعد وفاة السيد بقليل ، وأبوه على يأس من أن يجيى الخاض زوجة المافر ، ثم إن القادم الجديد كان يصر كيف ينادى « با — با » و « ما — ما » ، وكانت

من أجناء صدره الكسير صرخة بتراء : « مولاي ... مولاي ... مولاي الصغير . . . » ولكن أهدأ لم يناده : شارنا ، ولا ضحك من خلفه طفل عابث ، ولا جابوته صيحة صرح من قلب صغير ، ما طرق أذنيه إلا هدير البحر يبلو صاحباً مزججاً كما كان ، كأنه لا يسل مما حدث شيئاً ، أو كأنه ليس خليفاً أن يلقى السمع إلى ذلك الحادث الانساني المارض ، إلى موت طفل . .

ومضى الليل لا يزيد قلب السيدة إلا خوفاً واضطراباً ، فبمنت بالرجال يجوبون الحى باحثين ، فانطلقوا والمشاعل في أيديهم حتى شارفوا ضفاف البادما ، حيث أنفوا رتشاران يحتاج للزراع كأنه صرصر عاتية ، ويصبح صيحة اليأس : مولاي . . مولاي . . مولاي الصغير . . .

وعند ما عادوا به إلى المنزل خر تحت قدمي سيده صمقا ؛ فراحوا يمزونه ويسائلونه عن مكان الطفل ، فلا يظفرون منه بشئ .

وأيقن الجميع أن البادما قد ابتلع الطفل ، وإن خاسرم شك ضعيف فيما حدث ، فقد شاهد الناس ظهر ذلك اليوم عصابة من النور تضرب في أطراف القرية ؛ وهيات للأمر مرارة الشكل ووقدة الحزن أن تشاران ربما كان السارق بعينه ، فانتبذت به مكاناً بعيداً ، وراحت تبتهل إليه في ضراعة وتوسل : « رتشاران ! أردد إلى طفلي . . أوأه ! أردد إلى طفلي . . خذ ماشئت من مال وعتاد ، واردد إلى طفلي . . . »

فكان رتشاران لا يجيب إلا بالضرب على جبينه ، حتى أمرته سيده أن يغادر المنزل غير مأجور وأراد أنوكول أن يحاج زوجته ليعصها من من شكوكها ؛ سألها : « ولماذا بالله يفتقر مثل هذا الجرم ؟ » فما أجابته إلا بقولها : « من يدري !

خدمه كتابع .. وزاد الطين بلة أن رتشاران أضمر أوتة لفائنا ، ولم يكشف بذلك أحداً ولقد كانت أساليب رتشاران الريفية موضع سخيرة الطلاب من قاطني الفندق ، بل لقد كان فائنا يشاركونهم فيهم ما غلب أبوه . وعلى الرغم من ذلك فقد كانوا كلهم يحبون الرجل الطيب المعجوز ، وكان ابنه يحبه أيضاً ، ولكن في ترفع وكبرياء وتقدم رتشاران العمر وأوقرتة السنون ، فراح خدموه يصد أخطاه ، ويحمي عليه سقطانه ، ويدرك هجزة عن القيام بعمل لم يكن له أهلا . . . فلقد كان بطوى نفسه على جوع ونحصة ، ليوفر لابنه أسباب السرور والنعم . حتى لقد هزل جسمه ، وشحب لونه ، وآذت عمله ، وضعت ذاك كرتة ، وتبدل ذهنه . ولكن سيده لم يمدره ، إذ كان يريد العمل تاماً كاملاً . . ثم إن ما أتى به رتشاران من ثمن عقار كان قد نفذ ، وبقي الفتى متذمراً يطلب الملابس ، ويريد النقود

— ٣ —

وأخيراً صم رتشاران على أمر . فأعطى فائنا قدرًا من المال ، وقال له : « إني ذاهب إلى البلد في عمل ، وسوف أعود وشيكاً » . وسرعان ما قصد إلى « باراست » حيث كان أنوكول قاضياً ، وكانت زوجته ما برحت موحجة القلب مكروبة الفؤاد ، وقد ران على قلبها الحزن أن لم تلد من بعد فقيداً ولداً

وفات يوم كان أنوكول يقبل من عناء عمل شاق ، بينما كانت زوجته تدفع الثمن الفادح إلى دجال جوال ، لقاء عقار يشفي من المقيم ؛ فسُمع في رحبة الدار داء يدعو بالنتحية فبرز أنوكول يرى من القادم ، فما أن عرف فيه رتشاران حتى صفا إليه فؤاده . وطفق يسأله عن حاله ، ثم وعد بأن

تلوح عليه غنايل قاض فاضل وحكم عادل وانتال على رتشاران ذكرى ما ألصقته به سبيده من تهم ، فطفق يباحي نفسه في ذهول : « واهأ قلب الأم ما كان كذباً ، إنما أوحى إليها أني كنت سارق طفلها . . » وما كاد التفكير يؤدي به إلى هذه النتيجة حتى غشيه الندم على ما كان من إهماله ، فأبحج بروحه وجسمه إلى الطفل الصغير ، ومحضه خالص حبه ولولاه ، وطفق يتولاه كأنه ابن سري . فابتاع له عربة صغيرة ، وصداراً من سائنا أصفر ، وقبعة منمنمة بالذهب ، ثم صهر حللى امرأته ، وصاغه أساور وخلائيل . وأبى على الطول أن يلب مع أطفال جبرته ، فأنرد برفقته ليلاً ونهاراً . حتى إذا ما كبر وتما وعد في النملان كان الصبي اللدال الأنيق ، يسخر منه أهل القرية وينادونه « بياصاحب السعادة » ؛ بينما كان أبائهم يهيجبون لشفت رتشاران بالطفل شفقاً بلغ حد الوله والجنون

ثم شازف الطفل سن الدرس فباع رتشاران ما كان له من عقار قليل ، ثم احتمل إلى كلكتا حيث اشتغل بالخدمة بعد لأى وعناء ، ثم بث لابنه إلى المدرسة لا يألو جهداً في سبيل تثقيفه وإسماده ، وإن قنع هو بمجفة من الأرض يقيم بها صلبه ، هامساً بينه وبين نفسه : « آه يامولاي الصغير ! يا سيدي العزيز ، لقد أحبتني فمدت إلى في بيتي ؛ فأله لن ينالك مني سهو ولا تقصير »

ومضت على ذلك أعوام اثنا عشر ، فاذا الفتى قد أجاد القراءة والكتابة ، واستوى على عوده وضاحاً قوياً ؛ مننيا بظاهر وسامته ، متمكناً بشمره بفرقه ويساويه ، ميالاً إلى التألق والتباهي ، مبسوط الكف لا يقيم لبال وزناً . . . حتى لقد أنف أن يقر بأوتة رتشاران له ، لأنه وإن أحبه كأب ، فقد

منى واشتمل الرأس شيئا ، ولم يبق في الإذناء
يخبو رويداً »

وقالت السيدة : « ذره يبق في ذلك سرور
لطفلى . . لقد غفرت له ما تقدم من ذنبه . . . »
ولكن ضمير القاضي أبى على رتشاران أن يبقيه ،
فقال : « كلا . . . فإلى المفرة من سبيل . . . »
وانبعلج رتشاران على الأرض بضم قدمى
أنوكول صامحا : « ذرى يا مولاي فما أتيت
شيئا فرى ؟ إنما هى إرادة الله »

وما زاد ذلك أنوكول إلا ثورة خاطر ، فقد
نقل عليه أن يهتم القدر رتشاران ، فقال : « كلا .
فما عدت أستطيع أن أعفو أو أطلعن إليك حرة
أخرى ، بعد إذ خنت وخفرت ذمى »

وهب رتشاران فاستوى واقفا ثم قال : « إني
ما اقترفت إنما ولا جنيت ذنبا . . »

فسأله أنوكول : « وإذن فمن فعل ؟ »

وأجاب رتشاران : « إنه القدر »

ولكن هذا لم يكن عذرا كافيا في عين رجل
مشفق ، فظل أنوكول عنيذا صلب الفؤاد

ولما فهم قايلنا أنه ليس ابن رتشاران بل سليل
قاض ترى ، غضب وثار أول الأمر ، فلما أنه
خضع في أصله ومنبته ؟ ثم نهته من غربه أن رأى
رتشاران حزينا . فقال لأبيه : « سامحه يا أباه !
ودعه يمشي ممنا أو فاجر عليه كل شهر نفقة »

ولم يجر رتشاران بسد ذاك جوابا بل لطفى
يديه إلى وجه ابنه نظرة وداع ؛ ثم صعد لمشيئة
سأده ، فخرج وقد اعتركت في بطنه أشباح شقى
واكتهل الشهر فصدق أنوكول وعده ، وبث
بقدر من المال إلى رتشاران في قريته ، فرد إليه
لأنه لم يكن بين أهل القرية من يدعى رتشاران
شكوى محمد عباد

يعيده إلى خدمته مرة أخرى . فابستم رتشاران
ابتهامة شاحبة ثم قال : « أريد أن أقدم فروض
الطاعة لمولاي . . » فذهب به إلى داخل المنزل ،
ولكن سيده لم تستقبله بمثل حفاوة سيده فطوى
رتشاران عن ذلك كشحا ، وضم يديه وهو
يقول : « تالله ما استأب البادما طفلك ، بل هى
جرمى . . . » فصاح أنوكول : « الله أكبر !
ماذا ؟ وأين هو ؟ . . . » فأجاب رتشاران : « إنه
مى ، وسوف آتيك به بعد غد »

وكان اليوم الأحد إذ القضاء معطل ، فأنشأ
الزوجان برقان الطريق متربعين ، ينتظران على
الجر قدوم رتشاران ؛ حتى هلت طلعتة في الساعة
العاشرة ، ممسكا بيمينه قايلنا

وأخذت الزوجة السلام في حجرها دون أن
تنبس بكلمة ، ثم استخفها الروح ففى ضاحكة ياكية
تدله وتلاعبه ، وتقبله في شمره وجبينه ، ومحمدى
في بحياه بأعين جائمة ولهى . كان الفتى قسما وسيا ،
في كساء عطرير ، وثياب غرينق . فطفح فؤاد
أنوكول بالبشر والحب ، ولكنه راح يسأل سؤال
كل قاض : « أما لديك من بينة أو برهان ؟ »
فأجاب رتشاران : « وكيف أستطيع على ما قلت
سوق دليل ؟ إنما هو الله يسمع ويرى ، ويعلم أنى
سازق طفلك ، أما وحدي لا سوى ! »

ولما رأى أنوكول تلتق زوجته بالطفل وضع
له عبث السؤال ، فرأى الحكمة في أن يصدق
ويؤمن ؛ فمن أن لرجل عجوز مثل رتشاران بهذا
الفتى ؟ ولم يكذب خادمه الأمين ويخذه على غير
طائل ؟ ولكنه قال في حزم وصرامة : « رتشاران !
لم يد لك في هذا البيت مقام »

وأجاب رتشاران في صوت مرتجف ، وهو
يضم يديه : « وأنى أذهب يا مولاي ؟ لقد وهن العظم

النقد الذهبى

للكاتب الفرنسى فرنسوا كوبيه
ترجمة محمد العزواى



ولكن نفسه نازعته للتطلع فألقى السمع ، فباغ صاخبه رنين الذهب ووسوسة النقود ، بنبیان بین ضحكة نصر مقتضبة ، وحشرجة يأس مثير ، وزفرة مفلوب ختله الحظ فهو حسير كطيم ، وصُحداو قالب راض حظه همد أن احتبس غلت بواده شآبيب واعدة ورذت ساحتها مزنة هاطلة

وذهل عن ذاك بأسره : لقد أقوى جيبه بمد أن كان عاصراً بحال يهر الدين ويخطف البصر . وخوى وقاضه فافيه لسد الرمق وإقامة الأود شىء . آماله ولت سراعا فهي غزلان وجل ، تخاف فتتأى في دل حبيب الى النفس ، شديد عليها مرير .

كان الناظر إليه بخاله ناعماً وما هو بناظم . ولكنه كان في سكرة بسبب أمره ، وغشبة لا يعلماها إلا خلو الرفاض . لقد قلب أمره بين يديه فوجد المجتمع ينيذه — وهو الحسب ذو الجاه والنشب — فهو طريد ، والعالم يجهله — وهو النسب ذو الأصل والنسب — فهو شريد ، والأمل يهجره — وهو الطموح ذو المجد — فهو يائس ، والصديق ينكره — وهو الكرم ذو الفضل — فهو وحيد . . . لقد قلب أمره بين يديه فوجد صديقه في مقعد احتضنه وعطف عليه في محنته وغرائه — كما احتضنه اللداهنون من قبل في نعمته وسرائه —

حينما بصر « لوسيان دى هيم » بأخر نقد من ذى المائة فرنك تجرفه عصا التريم فتأخذ وانفض عن نقد الترد . وما كان له أن يجلس الى غريمه بمد أن فقد — منذ قليل — ماله الذى سهر دلى جمه ليتأهب به لحرب شروس . وما كان له أن يفعل وقد دارت به الأرض دواراً فقد به عن الوقوف ، فتأخذ ، فارتعى ، فاحتضنه مقعد مريح . ثم انطوى على نفسه وسوب للجمع بصراً غشسته سحب الأحزان فهو زائف العين مبهوم ، لقد رأى جما اجتمع لائم في هوة أذى ، وموطن فساد ، حيث أفنى شبهاً بنصر قليلا وذوى . . لقد رأى وجوهاً مسفرة ، ضاحكة مستبشرة ، يزيد انبساطها حظ مؤات وريح كثير . وتلك أخرى تكاد تميز من البهجة فهي مصفارة ، منقبضة الأسارير ، علا على الجبين منها ماء منهر ، تسائل على الحدود فاستوى له على البوارض والأذقان ، فاختلط بدمع الحق شكري من عيون جحظت خوفاً وطمعاً . . لقد رأى في مصابيح شديدة السطوع تضيئ ثوباً وضياء فوق كهف خبيث . قلب وجهه فيها فابصر إلا بنور ضئيل لا ينفذ الى بظلمته خلال حجب النيران الشابة وسحب الحرفة القهيم ، فوجد فيهم من يهرج ويهزج قليلاً ، فلهذا يهرج نفسه وغاب في أحضان مقعده الصديق

وأملأهم وقاضاً. وجيناً ، وأجشهم عيناً ونفساً ؛
وهو برغم ذلك شحيح بخيل : لا أثر للنعمة
يبدو عليه ، فهو بلبس سترته من قماش « الصائبة »
لا يكاد ينفقها ويقتل عنها ، وهو بهما قرير العين
جدلان

تقدم درونسكي وتمتم ، وشاعت كلمات المهمة
في أرجاء الحية شهباء : هلا أقرضني خمساً من
الفرنكات يا سيدي ؟ أنظر ! . . . إلى لم أبرح الندى
لخسة أيام خلون ؟ وما كان لي حتى أربع أو أجدني
مع عددي — السابع عشر — أسراً ، فهو لهاتيك
الخمسة لا يزيد ولا ينقص . لك أن تضحك متى كما
يتراءى لك ويحاول ، بل لك أكثر من ذلك : لك أن
تقطع يدي إذا لم يرق السابع عشر سلم الزيادة
والتضخم قبل أن تدق الساعة الأولى دقائقها الاثنتي عشرة
وما كان لوسيان إلا أن يهز كتفيه ، وقد
فعل . إذ أتى له بما يقيم الأود به ما يرجو
المجوز ! . . . وأزاح الرجل من طريقه يسيده
واجفة دون أن ينطق بكلمة ؛ ودنا من الباب بقدم
واحدة يقيهما التجلد ، وبشبهتا التحامل ، وأدلف إلى
البهو الكبير حيث ارتدى سترته وأحكم قبضته
فوق رأسه المغموم ، وهبط الدرج بدمع واكف ،
وقاب حزين . .

لقد مكث لوسيان بالندى أربع ساعات طوال ؛
كان الثلج أضاءها يسقط على باريس فيتوج هام
البيوت ، ويهب الشوارع بسطاً من شغوف جميل . .
وبدا لوسيان يسير الهويني ، والسكون منمقد فوق
رأسه متواصل ، والنجوم ينبثق منها نور خافت
متضائل ، والبساط أبيض شفاف عتد أمامه دون
حائل ، ففرح وابتهج لتلك الطبيعة زين لأنه تاب

فهو عطوف أمين . . . في موت منجز من يؤس
ومسكنة لا يرضى بهما نبلة ومجده ، وذلل ومسفنة
بأبهما كرم نفسه وشرف عهده . . . في بندقية أبيه
— القائد دى هيم — تحمل إليه ذاك الموت الحبيب
كما حملت للأنثى في « زانتشا » الفاصلة موتاً أحر على
يد والده المجيد . . .

ألمب التفكير رأسه ، وسمر لهم قلبه ، وكوى
الحزن فؤاده ، ثم تداركه الكرى رحمة منه ، فأغنى
طرفه فهو نائم سعيد . ولما أن أفاق من غفوته
بعد نصف ساعة أو يزيد قليلاً وجد فيه لرجاً من
لحاب سال أثناء نومه . فأزاله وتعلّى . وكان بحاجة
لهواء منمش جديد ينتشل جسمه من وهدة الكسل
وذنه من بلادة ونحود . فقام في تراخ وكسل .
وألقى الساعة لدى الباب تشير — في هدوء —
إلى الثانية عشرة إلا ربماً . وسار ماداً يده يريد
الباب . وحينذاك أدرك أن ليلته ليلة الميلاد ، فوجم
وجوماً . ذلك لأنه تذكر للماضي بزمه وجلاله ،
وشمر به يشرف عليه خلال بياض الأيام وسواد
الليالي ، يؤنب ويعاتب ، ثم يهوى هادراً متوعداً .
تذكر حين الطفولة وما أصاب من عن كثير .
وتغلت له ليالي الميلاد شامخة ساخرة . وأدكر
كيف كان يضع حذاءه الجديد على أئفئة الموقد
بدار أبيه ليلاً ليلبسه في الصباح الجليل . . . تذكر
كيف سحب ذيل النعمة ، وخطر في شغوف
الحرير ، وأين هو من تلك النعمة وذاك الحرير . .
إنه لصدى تلك الأيام الخوالي وإنه لطريد عن تليد !
وتقدم لوسيان يريد الباب حين اعترض سبيله
شيخ مجوز ؛ لقد كان « درونسكي » أحد أقطاب
ذاك اللهو الأنيم ، وأشد جبارته بأساً وشرّاً ،

ولكنه ردها حزينا محسورا . فقد اذكر أن لا مال معه . ولكن غريزة دفنته فأتى ما أتى من الأمر دون وعي وتدبير . وتقدم من الفتاة يريد حملها وإزالتها بيته حيث النفاذ والقرش الوثير . ولكن ما كاد يفعل حتى بهر بصره شيء لامع يقبع في حذاءها المخلوع

ودنا بوجهه — تشيع فيه الرغبة والرجاء — ليستبين ذلك الشيء ، وما كان إلا نقدا ذهبيا من ذى المشرين فرنسا

لقد وهبه الفتاة كرم . وما من شك أن الحسن سيدة مرث فنجتها القدر العظيم لتقر به عيناً إذا ما سحت من غفوتها ، وتطيب به نفساً إذا أختت فتكف عن السؤال ، وزيد إيمانها بالتغير يعمى ليلة الميلاد : عشرون فرنسا ! ياله من قدر ! أو ليس هو الزعيم بسعادة بضعة أيام ؟ أو ليس هو بشير الراحة لتلك الطفلة اللالعة ! أو ليس النفي بذاته لعاثر الحظ ، والنصم بهيمة للساغب المكدود ؟ . وإنه لعاثر الحظ ، وإنه لساغب مكدود !

لقد كاد يوقظ الفتاة لولا أن ذكر قول ورونسكى المعجوز :

— ... لم أبح الندى لخسة خلون ... بل لك أن تقطع يدى إذا لم يرق السابع عشر سلم الزيادة والتضخم قبل أن تدق الساعة أولى دقائقها الاثنتي عشرة . . .

يا لله ! إن هناك فرصة لأمل ! !

وقفز ذلك الشاب — سليل الأصيل الكريم والبيت النبيل ، ذو القلب الحربى والمجد الأثيل — فقد اعتزم فى نفسه أمراً ... إنه لم يبالغ الثلاثة والمشرين ديمماً فهو شجاع جريء . وهو إذا اعتزم

وأصلح من إملاق وفاة ! وفرح وابتهج لأنه شعر بمبعث نفيل — كان جاثماً جيوه — رحل فأراحه ! وفرح أخيراً وابتهج لتلك الراحة تفتح ذراعين مرحبين لتلقفه ثم تنسبه فى غيابة الموت ، وبرد الراحة ... راحة هى به أولى وأحق ، وأولى بمجلها بندقية أبيه الجليلد ... جعل لوسيان يهيم لثير قصد يرومه أو مكان ينزع إليه . فأنشأ بضرب فى شهاب باريس الواسعة . غير أنه لم يسر طويلاً حتى استوقفه أمر أليم نهه من غشقة وأفاقه من غفلة

لقد بهر بفتاة أضناها كد اليوم ونصب السؤال ، مكدودة حيرى فطاف بها الكرى ، ورن على قلبها الأمان وحلته السكىنة ، قطلقى من همه الأليم وعذابه الواسع . واستكانت إلى الطريق اللاحب واستراحت إليه ، فآثرت طواره ، وانخذلت من الجليلد دماراً . كانت جميلة ساحرة رغم ما ترتد به من أجار وأعمال ؛ نظيفة فاعمة رغم نومها فى الطريق ، بريئة طاهرة فى بدم طفلة لها تبلغ السابعة

كانت تنوسد ذراعها الأبيض وقد انحسرت عنه أسماها فهو عارجيل وكان وجهها المشرق الوضى بطالمك فيهرك منه جمال حاجع ووديع . أما رأسها فقد مال نحو الأرض فى سكىنة ودعة . وكان جبينها المريض تكسوه طرة غداقية اللون تدلت من مفرقها واستراحت على أرنبة أنفها الوسيم . وكانت ذراعها الأخرى منبسطة على الجليلد كأنها عليت السؤال وأغرمت به ، فعى تنزع إليه أبداً وترجوه دائماً ، وكان قدناها مغمورين فى الجليلد ، وأخذ حذاؤهما الصغير فى إهمال عجيب

وأراد لوسيان أن يهبها شيئاً فديده لجيبه ،

أول الليل بعد اثنتى عشرة مرة . ثم فكر أن يسترد أملاك أبيه التي أساءها في بضعة أعوام ، فكان يملئ القدر حتى بلغ — مرة — الثلاثة من النقود الذهبية ذات العشرين فرنكا . لقد أرمت جيوبه بالمال ولما ينقطع فيض النضار فهو يضعه في جيوب صداره وسراويله ، ويضعه في مسنديله وصندوق سيجاره ، وهو يضعه أخيرا فيها يصالح لحل النضار ! كان يلعب دائما فيريح أبدا . فهو يمشي ويبدو غير عايق ولا مكترث ، وهو يتمسف ويمجور فيهمز للتلوين ويرهمهم ، وهو يرى كل ما تستطيع أن تحتفنه يده المجدودتان على الخواص في ثقة وأطمئنان . . .

لقد كان مجدودا سعيدا دون شك ، ومن أدرى منه بمجد وسعد ؟ نعم ! ولكن خيال تلك الفتاة البائسة كان يلقى باله ، ويحز قلبه ، ويكر سعدة ، فهو ما يقفأ يذكرها ، وهي ما تنفك تنشبح أمامه — إنها تنام هناك فعلى لم تزل وسنى ظارقة في : سباتها الجليل ، ساحرة ناعمة كما تركتها منذ حين ، وإني لأقسم أن لن تبين الواحدة إلا وتكون الفتاة بصحبتى في طريق الى منزلى . فلا تزلها من نفسى منزلة طيبة . ولأن زن لها عن سرى لتنام عليه ولأنهم لديها كاتبة ، وأرعاها كاخت ، سوف أمهرها مهرأ كبيرا . سوف أحبها ، ثم سوف أحبها !

ولكن اقتربت الساعة واصطرح الأمل ، فالحظ يأتيه نبئت منهمر ، وهو لم يشبع بعد أو رتوى فما ضر لوصير وأصطبرت معه الفتاة ، إن ربما من ساعة ليس بكثير . ومضى ربع ثم ثان وثالث ، وهو لا يزال يمشي ماله فيأتى له بريح وفير ، ولا يزال يتمسف ويمجور فيهمز ويرهمز ، ولا يزال ينثر المال

أمرأ لا يقدر به حين ولا يموزه مضاء . إلا أنه حين يفكر في الأمر اضطرب جسمه واهجر وجهه ، فقد خالطت الصبوة الحياء فهو في حيرة من أمره . غير أنه لم يكن يملك لنفسه من الأمر شيئا . .

لقد ترصد الناس فلم يبصر بشيء يثير الرية فيوجب الحذر . إن الطريق خال إلا منه وتلك الفتاة فها عليه من بأس أن « يستمر » المال ديناً عليه . وامتدت يده الراجفة « تسلب » الفتاة نقدها العزيز وحين اطأ على النقد عدا نحو الندى عجولاً ، ورقى الدرج في سرعة البرق وبأس المصافة ، ثم دفع الباب بقبضة قوية أكملت حين بدأت الساعة تدق أولى دقائقها الاثنتى عشرة . فرمى نقده على النضاصات

— على السابع عشر !

وفاز السابع عشر . فدفع لوسيان فرنكاته الأربعة والثلاثين « للأجر » وفاز الأجر ! وترك ماله المتضاعف على اللون نفسه ففاز مرة أخرى !

وأقدم على الرهان بالقدر كله مرة وأخرى وثالثة إذ ما عاد يخشى احتباسا لحظه ، أو عثارا لجده . لقد كان يكدر النضار أمامه ، والورق في سترته . ثم بدأ يشرك « الروليت » مع النرد فكان لها من ماله نصيب راجح دائما في تضخم أبدا . وكذلك كان الحظ موافيا مع « الدسنة » و « العدد » ومع « العمود »

لقد كان حظا ذهبيا لم يسمع به إنسان ! وقال الناس بسحر ينبعث من عيني الفتى فيأمر الكرة الناجية الصغيرة حين الدوران في الآلة !

واستطاع لوسيان أن يسترد ماله الذى افقده

مقدمه الذى احتضنه أول الليل ، وحل بساحته
كابوس ثقيل .

وبدأ فجر أحد الأيام يفصح فى الشرق خجولا
حييا : ضرب بخار السحاب الشف من دونه ، وقام
متعثرًا فى طيات الليل المدبر ... وبدأ النور يسترق
خطاه مترفقا ، فبدأت الحجرات تضيء من وراء
النوافذ

فى ذلك اليوم اغتسل « لوسيان دى هم »
وتناول فطوره وقصد « جماعة أنصار الحرب » ،
وأدرج اسمه متطوعًا فى الفوج الأفريقى الأول
لقد أصبح الآن لوسيان « ملازمًا » بالجزائر
صالحا لا يقامر ولا يشرب ، يكسب ما يقوته ويقم
أوده . وفى يوم كان زميل له يسير خلفه فى طريق
« كاسية » المنحدر فراه يحسن إلى فتاة أسيانية
حسنة ، نعم ! لقد كانت حسنة فائنة ! وكانت
تنام فى الطريق !

ودهش الزميل من كرم لوسيان ...
لقد كان بيد الفتاة نقد من ذى العشرين
فرنكا ...
سير محمد الصراى
كلية الآداب

رفائيل

لشاعر الحب والجمال لامرئيين

مترجة بلم

أحمد حسن الزيات

تطلب من لجنة التأليف والترجمة والنشر

ومن إدارة « الرسالة »

المن ١٢ قرشا

فى ثقة واطمئنان ! وأعلنت الساعة الثانية إلا ربما .
إلا أربع عشر ... إلا ثلاث عشر . وقام صاحب
الندى عن « بنكه » الخاسر يقول :

— لقد أفلس « البنك » يا سادة ! كفى لعبًا
الليلة !

فساء ليل المنذرين ! إذ هم بين خاسر وموتور
وحسير . وندافع الجع عليه بالنكس ، ودوا لو
ينهبونه ويستردون مالهم السليب ، ولكن لوسيان
دفهم بيديه مفسحًا لقدمه جمالًا بين أقداسهم الزاحفة
وصرق من بينهم كسبهم مفوق يريد الباب فالدرج
وعدا مسرعًا شطر الفتاة الوسى . لقد رآها على
نور مصباح الطريق

— حمد الله فى ما فتئت هنا ! وأسرع نحوها
ثم أمسك يديها
— كم هى متلجة تلك الساحرة ! واحتضنها
بين ذراعيه قالت رأس الطميلة للوراء دون أن
تصحو فقال :

— ما أجل نومكم أيها الأطفال الأعززة !
وشدها الى صدره كي يشيع اللفء فيها .
وأراد أن يوقظها بقبلة بطبعها على عينيها الناعسة ،
فأتى الأهداب الوطفاء . ولكن .. مالها مسبلتان
أبدا ؟ لقد كانت عيناها نصف مقلقتين ففتتا عن
عيون صافية . ولكن ... لا حراك بهما !

لأنها ميتة وإنها لضحيته ! . بينما هو يكسب
الآلاف من الفرنكات ويثمر الآلاف من الفرنكات
كانت « ممولته » تموت من برد وزمهرير
لأنه لم يحتمل الصدمة فأراد الصباح ، ولكن
صوته احتبس فى حلقه فأذاه ، فأيقظه ذلك من سنة
أخذته رجمة ، ونوم طاف به رافعة . لقد نام فى

فصربت يداً بيد بحركة اغتصابية فسألني ديجنه :
ما هذا ؟

قلت : لو كنت رساماً ولاح لي أن أصور
السامة والضرر لما كنت أرسم مرضها فئسة
مستغرقة في التفكير وفي يدها كتاب
تقال : هل تكيد لأحد هذا المساء ؟

ولم تستوقفي ابتسامته فقلت : إن هذه المجدلية
النازقة بدموعها لم يزل صدرها ناعداً بالأمل ، ويدها
الناحلة التي تسند إليها رأساً لم تزل تتبع بالمعطر
الذي سكبته على قدمي المسيح ، وهذه الصحراء
وما حولها آهلة بأفكار تتجه بالصلاة إلى الله
فقل لي أهدأ هو مرض السامة والضرر ؟

فقال بصوت لا أثر للشموه فيه : ليس هنا
إلا امرأة تطالع كتاباً
قلت : ولكن هذه المرأة سيدة والكتاب
الذي تطالعه جليل

وأدرك ديجنه ما أرى إليه ، وأنا مستسلم
للأسى ، فسألني عما ألم بي ، ولكنني ترددت في
الجواب فكان يداً ربطت على قلبي

وبعد صمت قصير قال ديجنه : إذا كان هنالك
ما يؤلمك فلا تكتمه عني وأنت تعلم أنني لك خير
صديق

قلت : أعلم أن لي صديقاً ولكن آلامي
لا صديق لها

وأخ على فقلت : إذا أعربت لك عما يخالطني
فما يفيدك ذلك وأنت عاجز عن تفريج كربتي وأنا
أعجز منك . أفتريد تسبر أعماق سريري ، أم أنت
تطلب كلمة أنتحل لك فيها الأعذار ؟

من أعماق النفوس



اعترافاً في العصر

لأفريد موسى

بقلم الأستاذ فليكس فارس

الفصل الخامس

وكننت وديجنه جالسين ذات مساء قرب الموقد
والنافذة مفتوحة ، إذ كنا في أوائل مارس ، وقد
انقطع مطر النهار ، فهبت علينا من الحديقة طلائع
عبقات الربيع

وقلت لديجنه : ماذا تريد أن تفعل في الربيع
فأني أشعر بحاجة إلى السفر ؟

قال : سأفعل ما فعلته السنة الماضية ، فأذهب
إلى الضاحية عند ما يحين الزمان
قلت : أفتريد أن تسير في كل سنة على وتيرة
واحدة

فقال : وماذا تريد أن أفعل ؟
فهضمت فجأة وصحمت به : أجل ، قلت حقاً
يا ديجنه ... فأنا قد تعبت من كل هذا ، أفأملت
أنت هذه الحياة ؟

فأجاب : كلا
وكننت واقفاً أمام رسم للمجدلية في الصحراء

فقال : كُنْ حراً الضمير

قلت : اسمع إذا ... لقد بذلت نصيحك لي فيما

مضى ، فاصنع الى الآن كما أصغيت حينئذ إليك

قف أمام أي رجل كان وقل له إن في الحياة
أناكساً مضمون أيأسهم في احتساء الخمر وركوب الخيل
والضحك واللعب واغتنام فرص اللذات بأنواعها ،
فلانئى يحول دون مضيقهم على السبيل الذى اختاروه
لأن شربتهم تقوم على استحسنهم ، ولهم من
يشأون من النساء لأنهم أغنياء ، ولهم لهم ، فكل
أيأسهم أعياد

فاذا لم يكن هذا الرجل الذى تخاطبه من أهل
الورع والتقى فانه ليقول لك إن هذه الحياة نهاية
ما يتصوره الانسان من سعادة على الأرض

خذ بهذا الرجل واقفد به الى هذه الحياة التى
وصفت ، أجلسه الى مائدة قرب امرأة وضع كأساً
في يده وانفحه كل صباح يئذرة من الذهب وقل
له : هذه هى حياتك : بينما تكون ناعماً الى جنب
عشيقتك تكون خيولك تحفش على مرابطها ، وبينما

تكون ممتطياً جوادك يقرع التنزهات بحوافره ،
يكون شرباك ينفى محترماً في دثانه . وبينما تحبى
ليتك شارباً غلاماً ، يكون أرباب المصارف يملون
على أنعام ثروتك . فاعليك إلا إيداء رغباتك لتقلب

أمانيك حقائق . أنت أسمى الناس ولكن حذار
أن تفرط في الشرب في ليلة من لياليك ، فتجد
جسدك بعيداً عن تذوق لذاتك لأن كل مصيبة
تجد عزاءها ما عدا هذه المصيبة الدعاه . لقد يكيو
جوادك في الغاب وأنت تلهو بالطراد مع رفاقك
فتندهور الى مستنقع ، وإذا تستقيت لا يصل صوتك
الى أذان هؤلاء الصحاب وقد أصمهم السكر وجلبة

الجبور . حذار أن يمروا بك دون أن يمتروا عليك
فيتوارون عنك وأنت تزحف بأعضائك المحملة
تحت جناح الليل

لا بد أن تخسر بالقاهرة في ليلة من لياليك
فلتحظ ساعته السوداء ، فاذا ما عدت إلى منزلك
لتجلس أمام موقدك ، حاذر أن تضرب جبينك
بيدك وأن تدع الأسمى يبلل أجفانك ، وأن تدير
لحاظك مفتشاً عن صديق . إحذر بخاصة ألا يجمع
بك خيالك الى كوخ بنام فيه زوجان على فراش
الطائفنة وقد اشتبكت أنامل أحدهما بأنامل الآخر
حتى في الرقاد . لأنك لن ترى أمامك على فراشك
الفخم الوثير من تسر إليه نجومك سوى المخلوقة
الشاحبة التى تتمشق دنائرك ، وإذا ما لجأت إليها
لتشرح صدرك فلن يخفى عليها أمرك وسبب حزنتك
إنها لتشعر بفداحة خسارتك فتذهب دموعك مثيرة
في قلبها الشجون ، لأنها ستشعر من دموعك هذه
بخطر يهدد ثوبها بالألأ يتجدد والخوازم التى تلمع في
أناملها بأن تمسقط منها

حذار ، يا هذا ، أن تفوه أمانها باسم من ربح
مالك هذا المساء فلقد تلقىه هى غداً فتزسل إليه
لحظات الأعواء من خلال ما يحوطك من خرائب
وأطلال

ذلك هو الضعف البشرى ، أنها الرجل ، فهل
لك من قوة تحتمل مثل هذا الضعف ؟
إذا كنت رجلاً فاحذر السامة ، إنها لداء
غيا ، والليت خير من حى سُم الحياة

إحذر الحب إذا كان لك قلب لأن الحب عار
الفاسقين ، وخير لهم أن يصابوا بأى داء من أن
يصبحوا مهزلة في أعين أمثالهم القديرين لكل خيلة

عنك بما في أحشائها من حياة فتذكرك ، حتى الأشجار
الباسقة وأماليد القاب

لقد خرقت شريمة أمك فأنكرتك كل رضيع
من إخوانك في الحياة

إحذر غضب الله ، أيها المفرد ، لأنك فتنصب
أمام وجهه الكريم متحجراً كالصنم على قاعدة
إرادتك المتمردة فما تفدق السماء عليك رشاشها إلا
لتفت من أعضائك وتذيب هيكلك ، وما يهب الهواء
عليك لينفحك بقبلة الحياة وهي قبلة التوحيد بين
جميع الاحياء ، بل يمصف عليك عصفاً ليهزك
ويقوضك تقويضا . إن كل امرأة تضمها إليك
ستجذب شرارة من قوتك دون أن تبادل شرارة
من قوتها . فما أنت إلا حقيقة تراهي مهالكة على
أشباح وحيث تسقط نقطة من عرق جبينك تنبت
شجرة من مظلات القبور

مت ، فما أنت إلا عدو لكل من يجب وبشكل
ما يجب ... إقبض على ذاتك في عزلتك وانفردك
ولا تتوقع أن تبلغ نهاية عمرك ، إذهب ولا تبق
منك على الأرض نسلا تستبق فيه للحياة دما من
دمك المفسود

تبدد كالدهان ولا تحرم بظلك حبة القمح
الناجئة من نور الشمس .

وما انتهيت من هذا الخطاب حتى استلقيت
على القعد وقطرات السموع تتساقط من عيني ، وأنا
أعول قائلا : أليس هذا ما قتلته لي أنت يا ديجنه ؟
أفأنا كنت تعرف هذا من قبل ؟ وإذا كنت عرفت
فلماذا لم تتكلم

وكان ديجنه مشبكا آماله ، وقد علته صخرة

ثمنا . وليس للمرأة التي تنبج نفسها أن تحترق أحدا
إلا الرجل الذي يحبها ...

إذا ما شمعت بالحلب يجتاح قلبك فاحذر أن
ينم وجهك عليه ... فما يتخلل عن درعه إلا الجندي
الجلبان . وعلى الفاسق ألا يظهر تعلقه بشيء
لأن ظفره قائم على أن لا يمس شيئا إلا بيد من
رخام دهنت بالزيت كيلا يعلق عليها أثر مما
تقبض عليه

إذا كنت زقا وأردت أن تحيا ، فتدرب على
القتل لأن في الحمر ما يقودك الى المشغبة ، وإذا
كان لك ضمير فاحترس من الساعة التي تلتقي فيها
رأسك على الرساد ، لأن الفاسق إذا ندم بعد فوات
الأوان يشبه مركبا اخترقته مياه البحر فليس له
عن موقفه متقدم ولا متأخر ، فلا يسير الى الباب
ولا يعود الى البر وعيبنا تدفعه الرياح إذا جذبته
البحر ، إنه ليدور على نفسه ويثور .

إذا كان لك جسد فاحذر الأوجاع ، وإذا كان
لك روح فاحذر القنوط ، بل احذر الناس بأسرهم ،
أيها الشقي ، فانك ما دمت سائرا في طريقك التي
تخيرت لتشهد سهلا فسيحها تدور عليه حلقات
الراقصين متاسكات متتابعات كدوائر الأزهار ،
ولكن ما تشهده ليس إلا مرابا خادما في قاحل
الصحراء

إن الناظرين الى مواطئ أقدامهم يعلمون أنهم
ينسحبون على صراط ممتد فوق نهر عميق ولكن
تهاولي إليه السائرون فضمهم الى سكونه فانطبقت
عليهم صفحته المادئة دون أن تتجهم
حذار أن تزل بك القدم فان الطبيعة لتراجع

الموت وأنهم الدمع من عينيه

وساد بيننا السكون . وقرعت الساعة فذكرتني فجأة انني في مثل هذا اليوم وهذه الساعة منذ سنة تكشفت لي خليفتي مخادعة خائنة

فصحت بدبجته : أسمع دقات هذه الساعة ؟ أنسممها ؟... إنني لا أعلم ماذا تفكرني ؟ ولكنني أشعر أنها ساعة رهيبة سيكون لها شأنها في حياتي وكنت أنفوه بهذه الكلمات وأنا مسلوب الارادة مضمض الحواس ، وفتح الباب فجأة في تلك اللحظة نفسها ، ودخل القاعة أحد الخدم ، فأخذ يبدى واتحنى بي إلى زاوية وأمر إلى قوله : أتيت لأخبرك ياسيدي بأن أباك على فراش الموت فقد أصيب بالشلل ، ولا أمل للأطباء في حياته

الجزء الثالث

الفصل الأول

وكان والذي يقطن ضاحية قريبة من باريس . وعند ما وصلت إلى السكن رأيت طبيبا واقفا أمام الباب فقال لي : لقد وصلت متأخرا ، وكان أبوك يتمنى لو يراك للمرة الأخيرة

دخلت فإذا والذي مسجى وقد فارقت الحياة فقلت للطبيب : أرجوك أن تبعد كل من في الغرفة دعني وحدي فقد كان لو الذي ما يقوله لي ، وسوف يقول لكنه الآن

وخرج الخدم فتقدمت إلى السرير ورفعت الفطاء عن وجه الميت ، ولكنني ما ألتفت نظري

عليه حتى تراميت لتقبيله فأغمي على

ولما أفتت على فراشي في غرفة أخرى سمعت من حولى يقولون : لا تدعوه بذهب وإن أصر . انتظرت حتى رقد جميع من في البيت وأخذت مصباحا وتوجهت إلى غرفة الميت فوجدت فيها كاهنا فتيا جالسا قرب السرير ، فقلت له : لا حق لك بأن تنازع ولذا ليلة أخيرة يقضها قرب أبيه . لا أعلم ماذا قيل لك بشأن غير أنني أرجوك أن تدخل إلى الغرفة المجاورة وأنا أنخذ على عاتق كل تبعة قد تقع عليك

ذهب الكاهن فقمعت مكانه ومددت يدي أ كشف للمرة الثانية عن هذه الملامح التي قضى على بالآ أراها بعد

وخاطبت الميت قائلا : ماذا كنت تريد أن تقوله لي يا أبي ؟ لقد أدت لحاظك مفتشا عني قبل انطفاء عينيك ، فما كانت فكرتك الأخيرة يا ترى ؟

وكان والذي يكتب مذكرات يدون فيها وقائع أيامه ، وكان كتاب هذه المذكرات مفتوحا على الخوان فقدمت إليه وجئت فإذا على الصفحة الأخيرة هذه الكلمات :

(الوداع يا والدي ... أحبك ... وأموت) جئت دموعي واختنقت زفرائي ، فكان بدا شدت على عنق وخمت على في . فوقفت شاخصا بالميت المسجى أمامي . وما كان في حياته يجهل ما كانت عليه حياتي ، فقد كان يشكوني إلى نفسي ويوجه إلى التبريع ، وما اجتمعت به مرة إلا وحديثي عن مستقبل ، وتناول باللوم مآتي شهابي . ولكن أنقذتني نصابه من تهلكة ، فقد كان لارشاده

لأننى كنت فقدت التفكير فاستغرقت فى سكبنة مطبقة . فإن ما صدمت به كان من العنف والاستمرار على قوة نالت منى حتى غدوت كالسلوب تنقر أعصابه فلا يجيب

وكان خادى لا ريف شديد التعلق بوالدى ولعله كان خير الناس بعده فى تقديرى ، وكان من سنه ومن قده وبلس ما يهبه إياه من أنوابه ، وقد وخط الشيب شمعه بعد أن قضى عشرين سنة فى خدمته ، فاقبس شيئا من حركاته

وكنت بعد المشاء أتمشى فى الفرفة فأسمع وقع أقدام خادى يتمشى أيضاً فى الدار وما كان يدخل إلى الفرفة بالرغم من تركى الباب مفتوحاً ؛ ولكننا كنا نلتق من حين إلى حين فىرى أحدهنا الآخر من خلال دموعه ، وهكذا كانت تمر ليالينا ، فما كنت أطلب من الخادم إشعال المصباح إلا بعد أن يكون مضى وقت طويل على غروب الشمس

وكان البيت لم يزل على ترتيبه القديم ، فما زحزح الخادى ولا أنا ورقة من موضعها ، فكان مقعد والدى لم يزل قرب اللوقد ، وبقى الخوان والسكتب والرياش فى مواضعها ، وكنت أحترم الثبار الذى علا هذه الأشياء ، وعند ما كنت أرتدى مبادل أبى وأسترخى على مقعده كان يخيل إلى أن فى الجدران عيوناً ترمقنى بالحنان والاشفاق ، وأبغى أسمع همساً يقول : أين مضى الوالد . . فما يترجع على كرسية الاليتيم . .

ووردت إلى بعض الرسائل من باريس ، فأجبت الجميع أننى أرى تعضبة الصيف فى الضاحية وحدى جرياً على عادة أبى ، وبدأت أدرك أن فى

قوته المستمدة من فضيلته لأنه كان مثال الدعة ومكارم الأخلاق . وقد كان يتمنى لو يأتى قبل موته ليردنى عن السبيل الضلوع الذى توغلت فيه ، ولكن النية عاجلته فلم تدع له إلا كلمة واحدة يقولها ، فقال : إنه يحبنى ...

الفصل الثانى

وكان قبر والدى يحوطه سور من خشب ، لأنه أراد أن يدفن فى مقبرة القرية ، فكنت أذهب كل يوم لأقضى ساعات على مقعد صغير كان موضوعاً داخل السور ثم أعود إلى المسكن الذى كان يقطنه ولا رفيق لى إلا الخادم واحد

مهما فعلت أحزان الشهوات فى النفوس فاهى إلا آلام حياة ، وهل تقاس آلام الحياة بأحزان الموت ؟ إن أول ما تبادر إلى ذهنى حين وقتت إلى جنب سرير والدى الميت هو أنفى ولد جاهل لا يعلم شيئاً ولا يعرف شيئاً ، وعند ما ربط الأسمى على قلبى شعرت به كأنى فى جسدى حتى كنت أنلوى كفن أفاق من غفلة قشعر بجعله وأحس بالآلامه

ومضت الشهور الأولى على فى الضاحية وأنا ذاهل لا أذكر الماضى ولا أبالى بالمستقبل . فما كنت أشعر أن من عاش فيها مضى كان إياى ، وما كان ما يستولى على فى ذلك الحين ليحبه آلام اليأس الثائر التى كانت تقبض على من قبل ، بل كان نوعاً من الجلود والتعب فسكانى كرهت السامة فوجدت لها صرارة تتشجج لها أحشائى

وكنت أجلس طيلة نهارى إلى كتاب أنصفحه ولا أقرأ ، بل أنظر إليه لأعيش فى أجواء تشبه البدم

الرجل يخشى أن أبيع البيت وأذهب به إلى باريس ولعله كان مطالعاً على حقيقة حياتي الماضية إذ كانت تبدو عليه دلائل القلق في أول الأمر، ولكنه عند ما رآني أعد المنزل لأقيم فيه شمعت بنفوذ نظرانه إلى أعماق قلبي، وكان ذلك يوم استحضرت من باريس صورة كبيرة لأبي علقها على جدار غرفة الطعام، ولما دخل لاريف ورأى هذه الصورة أخذته الدهول وبدأ ينقل نظرانه من رسم والذي إلى وجهي وفي هذه النظرات من تساوي الحزن والفرح ما يصعب التعبير عنه، فكان أنه كان يقول لي: يا للسمادة، لسوف نستغرق بسكون في حزننا

ومددت له يدي فأوسمها تقبيلاً، وكان هذا الخادم يعنى بأحزان سيده كأنها سيدة أحزانه، وكنت كلما ذهبت في الصباح إلى القبر أرى أنه سبقني إليه وسقى أزهاره لينسحب عند وصولي ويخلى لي المكان

وكان يتبعني عند ما أمطى جوادي وأذهب متنزهاً في الغاب، فأراه قد أطل على في الوادي ماشياً يسير ورأى وهو يمتنع عرق جبينه لاهثاً، فاشتريت له فرساً من أحد الفلاحين، وهكذا أصبحنا كلانا نذهب متجولين في الغاب

وكان في القرية من معارف أبي من كانوا يزورونه أحياناً، ولكنني اضطرت إلى قفل بابي دون كل زائر وإن صبب ذلك على، فما كان لي جلد على مقابلة أحد.

وفكرت يوماً أن أطلع على أوراق والذي، فقدمها لي لاريف بيد خاشعة مرتجفة. ففك رباطها وتبرها أمامي، وما تلوت الصفحات الأولى منها

كل شر يعض الخير، وأن الآلام المظلمة مهما قيل فيها راحة عظمى، فإذا ما تكشف القدور لنا من علم غيب الله فانه ليصدقنا لينبئنا من غفلات الحياة، وإذا ما تكلمت هي أسكت صوته كل صوت، وإذا كانت الآلام الموقوتة تجدف شاكية ظلم السماء، فان الآلام المستمرة الكبرى لا تجدف ولا تشكو بل تخضع وتتنبه لتسمع وتري

وكننت كل صباح أف الساعات الطوال متأملًا في مشاهد الطبيعة، وكانت نوافذ غرفتي تطل على واد عميق يرتفع من وسطه جرس المبد على قبابه، فكان كل ما يعتد نظري عليه ينم عن البساطة والفقر، وما كانت مشاهد الربيع بأزهاره المتفتحة وأوراقه الفضة لتثير في نفسي ما يتخيله الشعراء من التنفيع، إذ يرون في انجلاء الحياة ابتسامة ساخرة بالوت، ولا أرى من يقول بهذا القول إلا من الطاع أو شاعراً بقلب لم يتكامل الشعور فيه

إن من يخرج عند بزوغ الفجر من قاعة المقاهرة وقد فرغت يده يمكنه أن يشمر أن بينه وبين الطبيعة هداه ونضالا، فهو أمام أنوار الشفق كصباح ليلة فاجرة... ولكن ما يمكن أن تسره الأوراق المظلة من غصصون الربيع لولده المنتحب على أبيه؟ وما دموم عينيه إلا أخوات الأنداء، وهل أوراق الصفصاف نفسها إلا قطرات دموم؟ لقد نظرت ظوياً إلى السماء والنايب والروح، فأدركت أن تمزجة الناس للناس إنما هي تلمة من بنات الخيال، وما كان لاريف ليخطر له أن يمزى نفسه أو يوجه إلى عبارات التعزية، فقد كان هذا

فكنت أتبع في الطعام والقراءة والتزهد الخطة التي اتبعها هو فتعددت الحياة المهادنة المنظمة تدخل الطمأنينة إلى قلبي طول نهاري ، حتى إذا جلد المساء رقدت مستكناً وأنا أشمر بالنقطة حتى في أحزاني

وكان والدي شديد الميل إلى العمل في الحديقة فيوزع أوقاته بعد حرثها توزيعاً متساوياً بين المطالعة والتزهد فيعطى لقلقه ولجسده ما يحق لسبيل منهما . واقتديت بأبي أيضاً في أعمال البر متممًا ما بدأ به فكنت أذهب مفتشاً عن من أعان من مد يد المساعدة لهم ، وهددم وفيرو في الوادي حتى اشتهرت بينهم . وهكذا لأول مرة في حياتي شعرت بالسعادة فليس كل لحظة ما يطهر الأحزان ويقدمها فقد يترك الله دموعي فتملت القضية من الآلام ...

(يتبع) فليكس فارس

مكافأة

لمه بدل على القاتل

تعلي مجلة « الرواية » مكافأة وقدرها هـ جنيهات لمن يدل على القاتل في القضية المشار إليها في « يوميات نائب في الأرياف » للكاتب الكبير الأستاذ توفيق الحكيم التي ننشرها المجلة تباعاً على أن تصل الردود إلى المجلة قبل أول يولييه مع بيان الأدلة بوضوح وإيجاز

حتى شعرت بانتعاش كأن نبات عليه هبت على من جوانب بحيرة صافية ساكنة ؛ وكنت كلما قلبت صفحة ونفست عنها غبار الزمان ، عبقث منها كالقطر حياة أبي تتوالى يوماً بعد يوم ، فاهد فيها خفقان فؤاده وأستمرض وقائعها كقول مساح كلها جسد ، وقد نبقت في كل جوانبها أزهار اللطف والنبل ، وتمازجت ذكريات حياته بتذكار موته ، فكنت أتبع هذه الحياة تتحد كالجداول الصافي نحو بحر الموت

وهتفت في صمتي : أيها الرجل الصالح الذي لم يعرف الخوف ولم يتدنس بأثم ككنت طاهراً في جهادك ، وخلصاً في ولائك ، ووفياً في حبك لزوجك أي ، لكم كنت معجباً بالطبيعة ، ومتعبداً لربك ، فحسرت في هذه المواطن كل حياتك ، ولم تدع لسواها منفذاً إلى قلبك ، فما كانت التلويح على أعلى الجبال بأني من ناصع شريك في شيوخوختك الصالحة ، ألقى هذا الشيب على رأسي يا أبي فإن فيه من الشبيبة ما ليس على شعري الذهبي . هبني أن أعيش كما عشت أنت وأن أموت كما مت ، فأنني أريد أن أغرس في التراب الذي يواريك غصناً ناضراً لحياتي الجديدة فأسقيه من دموعي والله راعي كل يتيم ، ينمو هذا الغرس المقدس ليظل أوجاع ولد وتذكار شيخ ...

وبعد أن اطلعت على الأوراق جيمها ، قررت أن أدون أنا تذكرات أبي فأعددت لها كتاباً على مثال كتاب والدي ، وبدأت بالسير على آثاره وطبع حياتي على غرار حياته . فكانت الساعة كلما دقت تذكري بمرحلة من حركات أبي وسكنة من سكناته



هوميروس

في أرض المردة (السيكلوبس)

وشرع أوديسيوس يجيب عما تسأله عنه الملك فقال : « أيها الملك تعالى جده ، لشد ما يطرب ما تقفى هذا المنشد غناء الآلهة ، ولقل ما تعدل الدنيا بأسرها هذا المجلس الشاذي ذا الأضياف والآكال والأشربات ، على أنني مجيبك على ما بدهك من دموعي وهومي ، وما لقيت وما سوف ألقى مما قسم لي من أشجان وأحزان ، إذن فأعرف اسم ضيفك الشريد الذي لا يجهل اسمه أحد ... ضيفك اللائذ بكرمك ، للمستدري بجمالك ، للتشبت بك ليصل في ظلك إلى بلاده مهما تقاسمت ومهمانات ... أنا أيها الملك ... أوديسيوس ... أجل ... هو أنا أوديسيوس ذو الذكر ، المعروف في السموات بالدهاء والسكر ، ... ابن ليريس رب إيثاكا ، وملك نريتوس ذي الشماف السامقة ، وأنجزر الآلهة حول ستاموس ودخلجوم وزاستنوس ، أم الجزائر التي تصافح بتأشير الصباح بكل روضة فيحاء وخيلة لفاء ، وجنات ذوات



الأوديسيا

لهوميروس

بقلم الأستاذ دريني خشبة

مقدمة الفصل السابعة

« انتهت حرب طروادة ولكن أوديسيوس العظيم لم يعد فيمن عاد من أبطال اليونانيين إلى بلادهم ، وكانت زوجته بيلوب آية في الجلال ، فطمع فيها كل أمراء النواحي وحاصروا بيتها ليغموها على التزوج من أحدهم . وكان لأوديسيوس ولد اسمه تليك حرشته منقاربة الحكمة على الإبحار ليسأل عن أبيه ملكي يولس وأسيرطه . وغبط الشاقي لما علموا بإبحاره فتربصوا له ليقتلوه . أما أبوه فإنه لما أبحر من طروادة نسى أن يعضي للآلهة ففرقت أساطيله ونجا هو إلى جزيرة تسكنها هموس الماء كليوس التي عطفته أول ما رآته وأبقته عندهما سبع سنين ، حتى أمرها كبير الآلهة زيوس أن تطلق سراحه فأبحر على رمت صغير ، ولكن نبتيون عدوه الأكبر لظه وهو يقرب من أرض ملوك البحر فأغرقته صمة أخرى ، وبعد تضال شديد سبج إلى الشاطئ حيث لقي نوزيكاً ابنة الملك فأرشدته إلى بيت أبيها الذي أكرم مثواه ووعده أن يرده سالماً إلى بلاده . وأقام الملك حفلاً رياضياً اشترك فيه أبطال المدينة وغز أحدهم أوديسيوس بكميات بنى عليه فيها أنه لا يبرف من الرياضة شيئاً ولا لشارك في تلك الألعاب ، فغضب أوديسيوس ونهض لفضف بالفرس الكبير فذقة بلفت من الذي أضاع ماقت أقوى أبطالهم ، ثم تحدى الجميع لمصارعته وملا كنهه فتخاصروا ... وسأله الملك من هو ولم كان يبيك حيناً سمع للمنشد يذكر حروب طروادة وبطلها العظيم أوديسيوس ... وهو هنا يجيب عن أسئلة الملك بهذا الفصل الفريد الذي يرتفع فيه هوميرو إلى القروة »

شجر وثمر، صبيحاً لأبنائها الأوفياء ... هناك ...
 حيث احتجرتني عروس الماء كليسو في كهفها ،
 وراودتني لأكون بها ... وهناك ... حيث
 أغرتني سيرس هي الأخرى ، سيرس صاحبة جزيرة
 إيلا ... التي حاولت أن تتخذ مني خليلاً فأبيت ، ولم
 أقبل أن أضحي وطني وأهلي ، ولو أصبحت زوجاً
 لاحدى الزيات الخالدات ... ولكن لا ، لم قبل
 كل شيء أقص عليك من أنباء رحلتي منذ بارحت
 اليوم ، ولأدع ما قبل ذلك فهو معلوم مشهور :

« أقلمت بنا الفلك إلى بلد السيكون
 (إزماروس^(١)) ، (فبدل لي أن أزيد في ثروة رجالي
 وما قازوا به من أسلاب طروادة ، فأشرت عليهم
 بفتح المدينة واغتنام ما فيها من كنوز وأخز^(٢))
 وسرعان ما تم لنا ذلك ، قتلنا المسكر وملكننا
 القرية ، ووزعت السبي والأسلاب على جنودى ،
 ثم أشرت عليهم بالرحيل فقصوا أمرى ، وعثوا في
 المدينة مفسدين ، وعاقروا من الحجر وعقروا من
 النساء ما أذهلهم عن أنفسهم ، وأفاح لأعدائهم لم
 الشمس ، ففجأوا بجيش عرمرم منهم ومن
 جيرانهم ، وناضلوا عن مدينتهم فأوقموا بنا ، ولم
 يُفنتنا أنا قائلناهم حتى مطلع فجر اليوم التالى ، بل
 ظل فرسانهم الصناديد يكررون ويفرون ، حتى
 قذفوا بنا في البحر ، فوقفنا في سفائننا فناوشهم
 برماحنا ... وصمدنا لهم حتى توارت الشمس
 بالحجاب ... فانسحبنا نجر أذيال الهزيمة والحزى ،
 بعيد إذ انتزع السيكون غار النصر . وعدت إلى

(١) على الشاطئ الشمالى لبحر إيجه

(٢) ماين الفوسين من شرح الأستاذ جبريل وليس من
 متن الأوديسة

الجند ... فوا أسفاه ! ... لقد افتقدت سنة من
 رجال كل سفينة ... سقطوا في المركة الحامسة !
 وأجئنا الليل ، فجلسنا تنذكر أحملة
 القتل ؛ وما كدنا نفعل حتى سخر علينا جوف
 رب السحاب الثقيل - ويحاصر مرا عاتية أنارت البر
 والبحر ، وعصفت بمرأ كبتنا فأطاحت فلاحها
 وضربت شرعها ، ففزعنا إلى المهاديف وأحملنا
 السواعد ، مستقلين مستمتين ، حتى نجونا ببدل
 إلى البر ، حيث تلبننا ليلتين طويلتين في أين وإعباء ،
 وشكاة وشقاء ، نصلح القلاع ونرتق الشراع ..
 وفي صباح اليوم الثالث تطامن البحر ونام هانجبه ،
 فبادرنا إلى الفلك وأقلعنا باسم الآلهة مجراها
 ومرسأها . وما كدنا نلج شطآن مالبا ، حتى هبت
 زوينة عنيفة تلاعبت بنا ، وحملتنا إلى جزيرة
 سبتيرا ... وطفقنا بعدها نذرع الباب تسعة أيام
 أخرى ، حتى بلغنا بلاد (لوتواجى) ، هذا الشعب
 الغريب الذى يقتات بالفاكهة فحسب ، من دون
 ما تنبت الأرض وما يدب عليها ... ورسونا نمة ،
 وأهرع الملاحون إلى البر فاستراحوا وسعروا ؛ ثم
 تغيرت اثنين من أوفى رجالي ، وجعلت عليهما قائلنا
 رئيساً ووجهتهم إلى سكان هذه الأرض ليتمرقوا
 أحوالهم ، فاخطلوا بهم ، وقابلهم اللوتواجى بالبر
 والترحاب ؛ ثم عرضوا عليهم من ثمر اللوتس
 المجيب ، الذى ينسى آكله ما أسلف من حياة ،
 وتنبئت ما بينه وبين وطنه من وشيجة فافكر
 فيه ، وإذا فكر فيه فابؤثر أن يرد إليه ، بل
 يصبح كل مثاه أن يأكل ويأكل ويأكل من هذا
 اللوتس المجيب ، وأن يميش أبداً الدهر بين أولئك
 اللوتواجى السحراء ! ... وتظنرت عودة رجالي ،

بسياف البحر ... ثم غمنا على الشاطئ حتى مطلع الفجر ؛ وأشرقت أوردورا تنفس بالورد مشرق الأفق ، فهضنا بنجوب الجزيرة ، وتنبأ ظلال الحور ، ونرى عرائس الماء ترحي الماعز ؛ فبادرنا إلى سفننا ، وأحضرنا الحراب والأقواس ، ثم نفرقنا ثلاث فرق ، وشرعنا نصيد من هذا الحيوان ، فاجتمع لنا منه الشيء الكثير ، ونال كل من رجال سفائننا الاثنتي عشرة تسع أعْدُنْ ، بعد أن نحيرت عشرًا لنفسي ؛ ولبننا يومنا هذا نفتدى بكل شواء حنيد ، ونسكرع كل كَأْس روية ، في غير نخمة ولا شجى ^(١) ... وللاَّله تلك الحجر السلاف السيكونية التي اقدرناها من زقاق أزماروس ؛ ثم نظرنا ناحية الغرب ، فإرعنا لإلدخان كثيف يصاعد في الأرض القريبة ، ورضا وضواء كالرعد تنتشر في جنباتها ، وإذا هؤلاء السيكاوس للردة ينتشرون في الأرجاء ، وأمامهم قطعانهم من الشام والأنام ... أعداد لا حصر لها ... عليها إذا عُدَّ الحصى يتخلف !

ونمنا ليلتنا صروعين ، حتى إذا بزغت أوردورا نهضنا واحتشدنا في صعيد واحد ، ثم قمت في رجالى خطيباً ، فقلت : « أيها الأخوان ! لتبقى غالبيتكم في هذه الجزيرة ، فاني ذاهب في نفر منكم تروء هذه الأرض ، ونعرف من أبناء أهلها ، ونعلم من أحوالهم ، ونرى هل قوم ظلم وضم ونضالهم أم ربيون يهشون للسكرات ، ونجبتون للآلهة ؟ » « وأقمت في نخبة من رجالى فوصلنا طرفاً من الجزيرة نائلاً في البحر ، قوقه قلاع مشرفة عليه ، فهبطنا فيه ، وذهبنا تروءه ، حتى انتهينا

بيد أنهم لم يرجعوا ، فاضطررت أن أذهب بنفسى إلى حيث هم ، فحملتهم قسراً إلى الشاطئ بين المويل والصبيح ، وقذفت كلا منهم في قرة مثلولاً مكبلاً مشدود الوثاق ، ثم أمرت الملاحين فاجمروا على مجل قبل أن يأكل بعضهم من اللوتس المللون فيضل ضلالهم وينسوا أوطانهم ، ويظفوا في هذه الأرض جاعين

» وما عتصنا أن وصلنا إلى أرض اللردة الجبارة السيكاوس — الطغاة المائة ، الذين لا يخضعون لشرية ، ولا يأترون بقانون ؛ الذين توثى أرضهم أكلها رغدا من غير كد ولا عناء ... حبباً وأبياً ، وحدائق غلباً وقصصاً وعنبا ، تسقى مما يفيض عليها جوف من ماء المين ... يمشون فوضى ، لا تربطهم رابطة ، ولا يقوم بينهم نظام ؛ يأوون إلى كهوف موحشة ، وغيران سحيقة ، في قلل الجبال وأحيادها ... يعني كل منهم بنفسه وزوجه وأولاده وقطعانه ، ولا يأبه للباقيين ، وتلقاء أرضهم توجد جزيرة معشبة أريضة شجراء ، فيها من الماعز البائم قطعان لا حصر لها ، ولكنها مع ذلك يهائم ^(١) مضلة ، لم تطأها فيما غير قدم إنسان ، ولم يُرْش إلى حيوانها منهم صائد ، لأن السيكاوس لم يحاولوا أن يركبوا البحر مطلقاً ، ولم يعرفوا طوال حياتهم هذه الجوارى للنشئات فيه كالأعلام . لذلك سلت الجزيرة بما فيها من خير ، وتكاثرت قطعانها حتى امتلأت بها صروجهما الخضر السندسية ... وثمة ، في جَوْن هادى جميل ، ألقينا صراسينا ، ونزلنا من سفائننا ، في ظلام الليل الدامس ، وفي حراسة الآلهة ، بعد إذ ارتطمنا

علوى للشاربين ؛ ثم كان معنا زُكْرًا^(١) به أكل كثير ، وكنا عددًا عديدًا من الأبطال الصناديد ، ولكننا مع ذلك كانت تمرينا رعدة ، وكان يشيع في قلوبنا فرح ، أن يفجأنا هنا الجنى صاحب المكان ، الذى لا يخشى فينا شريعة ، ولا يرده عن أذانا قانون ... ، ثم تولقنا كذلك ، فأشرقنا على مفارقة حقيقة هى مقام السيكلوب ومنايته من غير ريب ؛ بيد أننا لم نجده عندها ، فقلنا ربما انطلق بقطعانه يرعاها في الروج القريبة .. ورددنا العطف في المفارة فرأينا مصاق كثيرة معلقة بنز الحصير^(٢) منها ههنا وههنا ، فمرقنا أن السيكلوب يصنع الجبن من ألبان مواشيه ، شيئا وقد امتلأ المكان بيواط كثيرة مفعمة بالحصير والخمير . وعلى مقربة منا شهدنا حظار واسعة لصغار الشاء والحملان واللاغز ، وقد قسمت فرقا حسب سنها ... وقد بدا لبعضنا أن نذهب بما هنالك من جبن وزيد ، وأن نستاق الحملان والجذعان إلى سفائننا ؛ غير أنى - وا أسفاه ! - تأبيت ، لأننى آرت لقاء السيكلوب ، رجاء أن ينفعنى من كنوزه ، ويسبغ على من آلاه ، ولذا ، جلسنا ريثما يعود ، وأكنا من جبنه وزيده ، وأشعلنا نارا نستدفئ ، ثم إذا هو بطوى المروج الخضر بقطعانه ، وإذا على كاهله الرعب أقتال وأحمال من الحطب وفروع الشجر اليابس ، حتى إذا كان لدى الباب ألقاها في بطش فاهتزت الأرض ودوى المكان ، وانحبس وصيد الكهف ، فالتفت الرعب في أئدتنا ، فهورلنا مذعورين صمقين ، واختبأنا كالخفافيش في زوايا

إلى كهف عظيم ضارب في الصخر ، وقد نما النار الجليل على باب الصخر ... ودخلنا ... وأأوردهشنا هذه الحظيرة الكبيرة في وسط الكهف ، تنسع لقطمان لا عدد لها من الأنعام والأغنام واللاغز ، ثم هذا الفتاء العظيم المحدث بها يفصله عنها سور عتيد من الحجر الصلد ، متسرس بمجنوع الحور والسنديان ؛ ولقد عرفنا فيما بعد أن صاحب هذه المفارة مارد جبار من أراذل السيكلوس ، لصق بهذا الطرف من الجزيرة يسف ويظلم وعلؤه بيتيا وعدوانا ... ثم هو إلى الجان والشياطين أقرب منه إلى أى خلق آخر ؛ فوجهه مرديد عبوس أبدا ، وهو إلى ذلك هولة تحسبه إذ تراه قطعة من الصخر نحت منها فاطور فوق ناصية الجبل ...

وتولقنا^(٣) ... وكان مى زق من خمر معتقة مما أعطانيه مارون بن إيشانت ، قس فوبوس ، رب إزناروس ، لقاء ما أبقينا عليه وعلى زوجته وأولاده يوم غزوتنا لقريته ... ياله من كاهن سمح طيب القلب ! لقد نفحنى بأكرم الله^(٤) وأجزل الهبات ؛ وهل أنسى ما حييت تلك البدر السبع من الذهب الخالص ، وذلك الدن من الفضة الغالية ، وتلك الجرار الاثنتي عشرة من الخندريس الصرف التى تُشرب باسم الآلهة ؟ لقد كان يقديها بنفسه وماله ، فلم يكن يعرف غيباها أحد غيره وزوجه وأمينه ... لقد كانت كأس روية واحدة من هذه اللدامة تمزج بمشرين ضعف من الماء القراح ، وهى مع ذلك سكر ولذة وروح

(١) الرُكْر : الخرج) بضم الراء ما يجعل فيه الزاد

(٢) الماء يسقط من الجبن

(٣) تولق : صعد فوق جبل

(٤) المطايا

والغارة وشقوقها... أما هو ، فقد أدخل قطعانه ، واحتجز ذكاتها في الفناء الخارجى ، ثم أخذ في حلب الأنث في الحبة الداخلية... ونهض بعد ذلك فسد مدخل الكهف بحجر واحد كبير لو وضع على عربتين عظيمتين لم يستطع عشرون ثور يحمي أن ترحله من مكانه... وجلس يحلب النماج والماعز ، وكلما فرغ من واحدة أرسلها إلى جذطنها^(١) ترضع ما تبقى في ضرعها... وكان يقسم لبنه قسمين ، فيحتفظ بأحدهما لشرابه ، ويغض الآخر لزيدة وجبته ثم فرع من هذا كله وأضرم نارا عظيمة ما كادت تذهب حتى رآنا معلقين فوق نوى الكهف. فصاح بنا : « من هنا ؟ وى ! من أنتم أيها الغرباء ، ومن أى البلاد ترحتم وفيه خضتم هذا الباب إلى هنا ؟ آفاقيون ؟ أم مجار ؟ أم قرصان تسيئون في بلاد الناس ؟ » وزلزلنا زلزالا عظيما ، وكان صوته الأجنس الحشن يلقى الرعب في قلوبنا فتعتلج اعتلاجاً... ثم إنى جئت ما تبقى من وعي ، وما أبقى عليه الزوع والهلع من إدراكى ، فقلت أحبيبه : « نحن إغريقيون أيها العزيز وقد ذرعنا البحر اللجج شرقاً ومغرباً ، وتقاذفتنا فوقه كل ريح ، منذ يارحنا اليوم التى فتحها الله علينا ، لأننا من عساكر أجا ممنون الملك ، ابن أتريوس الكريم ، قاهر طروادة ، ومبيد الطرواديين... وها نحن أولاء ، قد لدنا بك بعد طول النصب ، فنضرع إليك أن تقي علينا مما آفأ جوف عليك ، وأن تردنا طائمين... فيا مولانا أكرم مثوانا ، فنحن الأغراب في كنف جوف أبدأ ، وأينا نول^١ فانه معنا »

ونجهم السيكلوب الجنى وقال منضياً مستهزئاً : « حسبك أيها الأخ المغفل ما خسوت من جوف ، فنحن السيكلوس لا نبالي جوف ، حامل إيبيس^(١) ، ولا سكان السماء فاطبة... أنا أقوى منهم بكثير ، وأنا نفسى ، لن آبه لأنيما نذير من جوف كبير الأولب... ولكن حدثنى قبل كل شيء متى ألفت سفينتكم مراسيها في أرضنا ؟ وأين هى ؟ أقرية أم قاسية من هنا ؟ قل الحق ولا تخف عني شيئاً... وأجبته في حيلة ورفق ، وقد عرفت ما رى إليه : « لقد نسف ثيتيون رب البحار مركبنا في اليم نسفاً ، وسلط عليها الزوابع فجرت بألواحها بعيداً... بعيداً من ههنا... ونجوت مع هذا النفر من رفاقى فقط إلى شاطئكم » ولم ينس السيكلوب الجبار بكلمة... بل أقبل نحونا ، واقض على رجالى كالصاعقة ، ثم أمسك باثنين منهم ، وأرسلهما في الهواء ، ثم ضرب بهما أرض الكهف ذات النوى ، فهشم رأسهما ، وانتثر الملح فوق الحجارة هنا... وهنا... وألقاهما بعد ذلك في الجر المتأجج حتى نضجا... واستوى كالسبع الرئبال ، وطفق ينهشهما... ولم يمض وقت طويل حتى أتى عليهما ، غير مبق على عظمة واحدة أما نحن فيا لألهة السماء... لقد كان هذا المنظر الفاجع يمصف بنفوسنا ، ولم نملك إلا أن نرتفع إلى كنف فنتقبل إلى جوف أن ينجبنا. وأن يرحمنا ولم يكن لنا مع ذلك من أمل في نجاة !

وبعد أن أشبع الجبار نهيمته من هذا اللحم الأدمى النريض ، وبعد أن شرب من اللبن شرب الحميم ، انطرح بين قطعانه ، وجعل يرسل في

والكهف صغيراً مريحاً ... ولقد حدثتني نفسي أن أنقض عليه فأخوض في كَيْتِه بجزاري ، ولكن فكرة سوداء طافت برأسي ، حينما نظرت إلى باب الكهف فأبصرت الحجر الضخم الذي لا يطيق أحد أن يزحزحه ، وتذكرت اللوثة الجاهلية المفزعة التي سنمونها إن فعلت ... فقفزت قنوطاً شديداً ، وأرسلت أهات الحسرة والندامة أنا وأصحابي ، وانتظرنا بقلوب فارغة تباشير الفجر ورأيتنا أوردوا الوردية ترسل أول أشعثها من الكوى الصغيرة ، فهب السكاوب إلى قطعانه ، وأخذ في حلب لئامها ، وكلب فرغ من واحدة أرسل إليها صفارها ترضع وتنخب ؛ ثم إنه قبض على اثنين من رجالي وفعل بهما كما فعل بصاحبينا أمس ، حتى إذا فرغ من إظهاره ، هب إلى الحجر فزحزحه في سهولة ويسر ، كأنما كان يزحزح غطاء آنية ، ثم استاق قطعانه ، وأعاد الحجر إلى مكانه ، ومضى يرعى بهمه ، وبقيتنا نحن ندعو ثيورا ... وفكرت ألف فكرة في وسيلة أنتقم بها من هذا اللارد الوحش ، وتوسلت بميزقاً أنت أستطيع ... وانفجرت أسارى بجأه ، وأشرق وجهي بنور الأمل ... ذلك أنني أبصرت بمجدح زيتون مشذب أعده الجبتي ليكون عصا يهش بها على قطعانه ، فقلت في نفسي : « ولم لا يكون في هذا الجذع خلاصنا ؟ » ، ثم إني أصرت رجالي ربّرتي أحد طريقيه ، وكان الجذع طويلاً جداً ، يصلح سارية لسفينة كبيرة يعمل فيها عشرون بحاراً ... فأقبلوا عليه يشحون ويبرون ، وأكبيت أظالي على نهاية الطرف أحده ... ثم انهمينا من عملنا وأخفينا الجذع تحت القش الكثير اللقي في الكهف ،

(١) أوتيس Ootis مناه (لا أحد) ولم يستحسن مترجو موصرتجتها ، لأنها قد تعني (ذو الأذنين الكبيرين) ولكنها تؤثر ترجمتها

قائلهم : « ماذا دهالك يا بوليفيم حتى تروعننا هكذا في ظلام الليل ، وحتى تقض مضاجعنا بصراخك الفظيع ؟ هل خفت أن يستاق أحد قطمانك ، أم خشيت أن يقتلك أحد بقوة أو غدر ؟ » وقال بوليفيم وهو يتصنع : « آه يا صدقائي ! إني أموت ! ولقد قتلى أوتيس ^(١) ! » فقال قائلهم : « إن كان أوتيس - الذى هو لا أحد - قد ألحق بك أذى فاصنع بك هذا إلا جوف ؟ تجلد يا صاح ، وادع أبانا نيتون ليساعدك ، بأنك من أعماق اليم » وتركوه وانصرفوا الشائهم ، وشجكت أنا فى سريتي لأنى استعظمت أن أعمى عليهم بهذا الاسم اللئيق للفتري . وما برح بوليفيم يبكي ويعول ويهزه الألم والأسى ، حتى زحزح الحجر الذى يسد الباب ، وجلس عنده ، ماذا ذراعاه لينع أحدا منا أن يقات أو أن يذهب يبيض أناماه . . . إنه يحسبنا بلهاء مثله ١١ . وجلسنا نعمل الفكرة بيد الفكرة ، ونرسم الخطط نلو الخطط لنجائنا . . حتى تاحت لى فكرة حسنة ، أيقنت أنها تفلتنا من هذا السجن السحيق إن كان شىء مستطع أن يطلق مراحنامنه لقد فكرت وفكرت ، فبدا لى أن لدى السيكاوب كباشا كفازا نستطيع أن تحملنا إذا ربط كل منا تحت بطن واحد منها . ولقد كانت الكباش سمينة حقاً ، ذات فراء كثة وقوة كبيرة فقممت من فورى فجدلت من أعصاب الصفصاف التى كان السيكاوب الشنيع ينام فوقها ، وجملت من كل ثلاثة حبالاً واحداً ، ثم ربطت كل رجل تحت بطن كبش كبير قوى جملته بين كبشين لا يحملان أحداً ، بل يكونان وقاية للكبش الذى يعمل رجلاً

(٢) ليدكر القارىء أن معنى أوتيس (لا أحد)

وبه أسمى فى بلادى ! ولكنك وعدت أن تشيبنى على ما قدمت لك من خمر ، فإذا عساك ما محى ؟ » فاستهزأ السيكاوب وقال : « اطمن يا صاح ! سأذهب لك أن تكون آخر من آكل من إخوانك .. هذا هو جزاؤك ! » وتناوب وتناوب ، ثم انطرح وسط قطمانه يبط فى نوم عميق ... وكان يصعد أنفاسه بقوة فتتقذف من بدمومه شوائب من خمر ، تخرج بقضبات من لحم بشرى ... ؟ ... وقفزنا إلى جزع الزيتون فوضنا طرفه الحدد المبرى فى الجمر التاجج حتى تاجج مثله ، وبكلمات قليلة أثرت النخوة فى نفوس إخوانى حتى لا نخذلهم قوام ، ثم استمنمت الآلهة فابتعثت فينا قواها السحرية ، واستجمعنا كل ما فينا من مئة اليأس ، ووضعنا الطرف المشتعل فى عين السيكاوب المغفلة ، وحررنا الجذع وطفقت أنا أقلبه فيها من مكان عل ، كما يفعل السفان الصناع بتقارب فى خشب السندان ... وانبجس الدم من عين السيكاوب الممياء ، وحفظ إنسانها كأنه عين حثة من دم وماز ... وقصاراى : لقد كنا كالحداد الماهر الذى يطفى سلاحاً محمى فى ماء بارد ! ! ولقد صرخ السيكاوب ^(٣) صرخة ردد أصداءها الكهف .. ثم رددتها الثيران والجبال المجاورة ، وذعرنا نحن ، فلصقنا بالشقوق والزوايا ، وراح الجنى الجبار يخط فى ظلام العمى بعد إذ انتزع الجذع المشتعل من عينه ، وهروا كالليل نحو الباب فوقف عنده ، وطفى يولول وبهتف ويصيح ، ويدعو جميع إخوانه السيكاوبس كلاً باسمه ، فاجتمعوا إليه من كل فج عميق ... وقال

(١) يحسن أن نلت نظر القارىء إلى طبيعة السيكاوب وأنه لا يملك إلا عيناً واحدة

الدموع على خيما بوليفيم ! واعتزنا الأبحار
 فاستمد كل في سفينة ، وأقمتنا لا نلوي على شيء .
 حتى إذا كنا على مسافة مبلغ الصوت من الشاطئ ...
 نهضت وجعلت أهتف بالسيكوب بوليفيم هكذا :
 « بوليفيم ! لقد بؤث بما سمعت يدك ، وكان جزأوك
 وفاقاً ، أيها النذل الخسيس ! لقد خسبت أنك
 تفنل رجال قائد لا سلطان له عليك ، ولا قدرة له
 على الانتقام منك ، فرحت تفتدى كالوحش باهم
 ضيوفك الذين لجأوا إليك وتقيأوا ذلك ... فاهناً
 الآن أيها الموهلة بما حل بك ! » . وما كدت أصمت
 حتى ثار ثائرة وغلت مراحله ، وابتزع صخرًا
 كبيراً من شفاف الجبل ، وقذف به في قوة وعنفوان
 ناحية الصوت ، فهوى الصخر على مقربة منا ، وكاد
 يهشم سكان السفينة ! وقد انفرج البحر ، وانشطرت
 أمواجه ، وارتدت السفينة نحو الشاطئ حتى لسكات
 تدوس في رماله وتتحطم على أواذه ، لولأن أسكت
 بالسارية الكبرى وجعلت أدفع وأدفع حتى عادت
 السفينة إلى مكانها في البحر ... وابتعدنا قليلاً ...
 وجاهد رجالى مجاذيفهم حتى كنا على مسافة جى
 ضعف المسافة الأولى ... وهنا ، حاولت أن أسبح
 بالسيكوب مرة أخرى ، غير أن إخوانى حالوا بينى
 وبين ذلك ، وسمعت بعضهم يقول : « وبك
 أوديسوس ! لم تهيج الجنى بكلماتك ، وقد كاد
 الحجر الذى قذفه إلينا يودى بنا جميعاً ويحطم سفينتنا
 على الشاطئ ؟ » أما نحمد الآلهة التى أنقذتنا من
 ساعديه الجبارتين ، وهو لو سمع ركزاً من أحدنا
 لهشمنا جميعاً قبل أن تنادر غارده ؟ على أننى
 ما أسخت لهم ، بل هتفت بالسارد الجبار أقول :
 « أيها السيكلوب الطاغى ! إذا سألك أحد من عمك
 قتل له أعمامى أوديسوس ابن ليرتيس الأيثاكي ! »

بينهما ... أما أنا فملتقت بصوف الكباش الأخير ،
 وبقيت ساكنة صامتاً ، ومكثنا هكذا ننظر الفجر
 المقدس الريب ، بميون واكفة وقلوب واجفة ...
 حتى بزغت أورورا فهزلت الذكران كعادتها
 للرعى ، وبقيت الأناث لكى تحلب ، وتهادت
 الكباش بالأنفال الملقة تحتها وهى تكاد تنوء بها ،
 وكان السيكلوب ما يزال يمول ويشكو بته إلى
 غير سميع ، وكان يلمس يديه ظهور الكباش وهو
 لا يدري ما تحتها ، حتى إذا برز كبشى ، زلزلت
 زلزالاً ، وسمته يقول له وهو يتحسس : « يا كبشى
 الحبيب مالك استأنيت هكذا وكنت دائماً سباقاً
 إلى المرعى على رأس القطيع تقضم الكلاً الحلو ...
 سباقاً إلى القدير ذى الخريز نهل من ماء السلسيل ؟
 بل كنت سباقاً كذلك إلى مآواك هنا ... فى كل
 مساء ؟ ويحى ويحك يا كبشى الحبيب ! لقد
 أسيت لى ، وخزنت من أجلى ، وشمعت بما دعى
 صاحبك من الشمس الرقيم أوتيسس ، وأتباعه
 اللؤماء المفلوكين ... أوتيس الذى سحر فى بحمره ...
 ويل له ؟ إنه لن يفسل من الموت اليوم ! آه
 لو كان قلبك مثل قلبى ، وآه لو كان لى بصرك الحديد
 فيدلى أين اختبأ أوتيس الشمس ! إذن كنت
 أحطم رأسه فوق هذا الصخر ، أوتيس الوغد ...
 الذى اسمه لا أحد ! ! فهو لا يساوى شيئاً ؟ »
 ثم أفلته المغفل فانطلق الكباش فى إثر رفاقه ،
 حتى إذا كنا بعيدين من الكهف ومن صاحبه
 قفزت من مكثى ، وعدوت فأطلقت سراح رفاقى ،
 وسقنا نخبة من أحسن النماج إلى حيث سفينتنا
 المختبئة فى الجون المسادى ... فى ظلال الحور
 والسندبان ... وأبحرنا من فوراً فوصلنا إلى إخواننا
 فى الجزيرة الأخرى الذين هناؤنا بقدر ما ذرقوا

يرتق فوقنا ، وسقط وراءنا بمجرة من السكان ،
فانشطر البحر إلى فرقتين كل فرق كالطود العظيم ،
ثم انحسر الماء فجرت السفينة إلى الشاطئ مرة
أخرى ، ولكنها هذه المرة أرست على الشاطئ
الآخر الذي أرست عنده سفائننا الأخرى ، حيث
أقام إخواننا يشهدون المعركة الهائلة ويجزءون ...
ثم إننا نزلنا إلى البر ، وفرقنا الأنصيات من نجاج
السيكلوب بيننا . وكان من نصيبى ذلك السكبش
المفدى الذى نجاني ، فذبحته على رمال الشاطئ
قربنا لجوئ المتعالي ... وأسفاه ! إن أكبر ظنى
أه لم يقبل قربانى ، لأن أكثر سفائننا أغرقت
فيا بعد ... وأكلنا هنيئاً ، وشربنا الخمر الممتعة ،
وانتظروا مد البحر ، ولكنه استأنى علينا ، فتمننا
حتى نصرت أودورا خبيث الشرق بالورد ،
ونهمضنا ... ونشربنا الشراب وأسلحنا القلاع ،
وأبحرنا ، بقلوب واجفة ، ونفوس نال منها الهلع ،
لاذنين بالقرار
(يتبع)
دينى فشيبي

في الطريق

كتاب جديد يصدر في سبتمبر

بقلم الأستاذ

ابراهيم عبد القادر المازني

أكثر من ٦٠ قصة في ٥٠٠ صفحة

قيمة الاشتراك فيه ١٠ قروش

التمن بعد الطبع ١٥ قرشاً

ترسل قيمة الاشتراك بعنوان المؤلف

بشارع فاروق رقم ٢٢١ مصر

الاشتراك يفضل في منتصف أغسطس

وتأوه المارد حتى كاد يتصدع وقال : « ولى منك !
لقد صدقت النبوة ، وتحقق ما قال تلوس يورعيد
الذي الذى شب بيننا وطالما تحدث إلينا معشر
السيكلوبس عما خبا القضاء في صحف النيب لنا ؛
لقد قال لي إني سأقعد بصرى بوساطة رجل من
البشر يدعى أوديسيوس ، فظلت أنتظره ، وكنت
أحسبه مخلوقاً طويلاً عظيم الجسم ببدى القوة ...
فاذا هو أنت أبها القزم — اللاتىء ! — الذى
قهرتني أولاً بالخمر ثم أذهبت بصرى وأطفأت النور
من عيني أوه ... ولكن ... عد إلى يا أوديسيوس
وحل على ضيفاً من جديد ، أكرم مثواك ... وأصل
من أجلك لأبى ... نيتيون ... الفخور بي ، أن
يمهد لك البحر ، ويظلمن من تحتك الموج حتى
تصل إلى بلادك سالماً ... إنه وحده هو اللطيف
بي ، وليست قوة في الوجود غيره تستطيع أن
تغفني وترد على بصرى ! » فقلت له : « بنفسى
لو استطعت قذفت بك من حائق إلى قرار جهنم
فلا يقدر أحد على رد بصرك إليك — حتى ولا أبوك
هذا ! » . وغيط السيكلوب وحنق ، ورفق كفيه
إلى السماء يصلى لأبيه هكذا : « أباه نيتيون المحييط
بالأرض اسمع دعائى ، يا صاحب الشعر اللازوردى ،
إذا كنت حقاً أبى ، وإذا كنت حقاً تفخر بنيتوني
فاكرم هذا القزم المدعو أوديسيوس بن ليرتيس
الأثيناكي من المود إلى بلاد ، إلا أن يكون هذا
قضاء في الأزل فأقم المقاب في طريقه ، وشرده
طويلاً في البحر ، وأغرق سفائنه وأقبر في الأعماق
أصحابه ، وأوحوجه إلى ذل السؤال وطلب المونة
من الناس ليندوه بمركب يمود عليه ، وإذا عاد فليلق
الهم والغم مقيمين بياه ... آمين ! » ولبي نيتيون ،
ورفع السيكلوب حجراً أضخم من الأول ، وجعل
يهوم به بكلمات يديه ، ثم قذفه قذفة هائلة ، فذهب



Elmasri

الرسالة

مجلة أسبوعية للأدب والعلم والثقافة

مجلة الآداب الرفيعة والثقافة العالية
تصل الماضي بالحاضر وتربط الشرق بالغرب
على مدى وبصيرة

- الرسالة : تعبر بأخصوس عنه روح النهضة المصرية
- الرسالة : تجمع على وحدة الثقافة أبناء اليهود المصريين
- الرسالة : تصور مظاهر العقيدة للأمة العربية
- الرسالة : تسجل ظواهر التجديد في الآداب العربية
- الرسالة : تقي في النفس أساليب النهضة العربية

مجموعة أعدادها ديوان العرب المشترك ، وكتاب الشرق
الجديد ، وسجل الآداب الحديث ، ودائرة معارف عامة

الاشتراك الداخلي ستون قرشاً ، والخارجي ما يساوي جنبهما مصر ، وللبلاد العربية بخمسم ٢٠ ٪

طبع بالمطبعة الرحمانية بشارع الخرنفش رقم ٣٥ - تليفون ٥١٥٢٢

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

يرد الاشتراك من سنة
٣٠ في مصر والسودان
٥٠ في الخارج الأخرى
١ ثمن العدد الواحد

إدارة
شارع عبد العزيز رقم ٣٦
الحي الخفراء - القاهرة
تليفون ٤٣٣٩٠ ، ٥٣٤٥٥

المروية

مجلة أسبوعية للفن والفكر والتاريخ

نصدر مرتين في أول كل شهر رتب نصف

العدد الثاني عشر ٧٠ جمادى الأولى سنة ١٣٥٦ - ١٥ يولية سنة ١٩٣٧ السنة الأولى

من أحسن القصص



فهرس العدد

صفحة			
٧١٤	حفلة عرس	للاسكو ايانيز	يقلم الأستاذ عبد العظيم النشار
٧٢١	خيانة في رسائل	قصة مصرية	يقلم الأديب نجيب محفوظ
٧٢٨	يوميات نائب في الأرياف	صور مصرية	يقلم الأستاذ توفيق الحكيم
٧٣٤	الذباية	الكتابة كاترين منسفيلد	يقلم الأستاذ عبد الحميد جدى
٧٣٩	ناهد	أفصوصة مصرية	يقلم الأستاذ إبراهيم عبد القادر المازنى
٧٤٨	ماتيو فالكونى	لبرستير ميريه	يقلم الأستاذ كامل محمود حبيب
٧٥٣	بمد عفرين عاماً	لثوماس هاردى	يقلم الأديب نظمى خليل
٧٦١	اعترافات فى مصر	لألفريد دى موسيه	يقلم الأستاذ فليكس فارس
٧٦٨	الأوذيسة	لهوميروس	يقلم الأستاذ دروى خشبة



على الزواج للمرة الثانية
ولكى تفهم تأثير هذا
الخبر في قريته يحسن أن تعلم
أن المم سائقو أكبر دافع
للقرائب في الاقليم كله، وأن
له الزعامة في قريته، وأن التي
يريد الزواج منها بنت راع
فقير . وهل تسأل عن الهر
الذى سيقدمه إليها؟ نظرات
ساحرة من عيني سوداوين
طويلتي الأهداب وشعر لامع
رجراج

ولم تكن دهشة القربة
أقل من غيظها، ولا اختاف
الرأي فيها بين واحد وواحد،
فالكل يردد جملة بينها وهي
كيف يتزوج رجل في هذا
العمر من فتاة كهذه؟ رجل

ولد ايبانيز في مدينة بلنسية سنة ١٨٦٧
ودرس الحقوق كمعلم الشبان الصغار في
أشبانيا، ولكنه اشتغل بالسياسة في جدة
الشباب، ودعا إلى الجمهورية ثاراً ضد نظام
الحكم الملكي في بلاده؛ وتعرضت حياته
للخطر عدة مرات بسبب الثورات الناشئة
عن أسباب من بينها دعوته . وبدأ مهده
الأدبي باصدار مجلدين من الأناصيص التي
يصف فيها حياة أهل بلده؛ وفي سنة ١٨٩٧
أصدر روايته « الكوخ » وهي تصد
خير مؤلفاته، وأصدر بعدها « فاكهة
النبيذ » و « الكندراتية » و « الرمل
والدم » . وقد حمل في هذه الكتب على
عادات بلاده . وفي سنة ١٩١٢ رحل إلى
أمريكا الجنوبية، ولكنه عاد قبل أن يتم
برنامج رحلته، وذلك في سنة ١٩١٤
بسبب نشوب الحرب العالمية وبسبب حاجته
إلى المال . ومرض على الحكومة الفرنسية
خدماته كمناصر لدموية قبيلتها بأجر عظيم
فوضع روايته « الفرسان الأربعة » وقد
اشتهرت في دول الحلفاء شهرة عظيمة، ثم
وضع كتاباً عن الملك ألفونس جل عنوانه
« ألفونس غير الفتنح » فطرد من أشبانيا
وأحدث الكتاب هجة عظيمة في أوروبا .
ومات ايبانيز منذ سنوات

- ١ -

مدينة « بنى مصلان »
مدينة أشبانية ناعمة يحيط بها
مثل البحر من أشجار
الزيتون والكروم
جدران بيضاء، ونوافذ
مظلمة، وفي الوسط قبة
كنيسة خضراء وحصن عال
كاد يبله الزمن

مدينة بنى مصلان قرية
ككل قرى أشبانيا متأخرة
مظلمة غير قابلة للتطور، تحكمها
التقاليد العتيقة، ويسودها
سوء الظن والأهواء الجامحة
والمساومات والأفقاد .
وأهلها بسطاء لا يبالون بالمالم
ولا بما يجري فيه، مسرفون في
عبابهم وفي عداواتهم وأطماعهم

يملك نصف أزماء، وفي منزله مائة قرية من النبيذ
القديم، وفي صرابط خيله خمسة بغال، ثم يترك هذا
كله لابنة فقيرة مثل مارييتا، تلك التي كانت في
طفولتها تحصل على خبزها، كما تحصل النارة على
قوتها: مسكينة زوجته الأولى! لقد تركت

قرية بنى مصلان وطن « مارييتا »، و « توني »
و « سنجارات » و « المم سائقو » ووطن بضع مئات
على هذه الشاكلة

- ٢ -

« نيوسانتو » أو المم سائقو قد أعلن عزيمه

وقان أهل القرية يملكون فضلاً من ذلك أن
لارييتا عشيقاً يدعى توفى ويطلقون عليه لقب
« الملاحيل » لثأمة ملبسه ، وهو مثل حبيبتة فقير
مدمم ، وقد كاد يتم زواجها منه لولا أنها أرجأت
ذلك إلى أن يجد هملاً يكتسب منه وإلى أن يتخلص
من أصدقائه وكلهم من عفراء السوء

وقان من أعز هؤلاء الأصدقاء رجل يدعى
ديوميى يقيم في قرية مجاورة ويأتى لزيارته مرة على
الأقل في كل أسبوع

وعلى حين فجأة أصبح أهل الزوجة الثوفاة
يكرمون « توفى » ويمزونه لأنهم على ما يظهر قد
وجدوا فيه الرجل الذى يصلح للأخذ بثأرهم ؛
وكثر في القرية المنيظة من يكرم توفى ويدعوه إلى
مجالسه وطعامه وشرايه

وكانوا يقولون له ليستثيروه : « توفى ! أما علمت
أن مارييتا ستزوج ؟ » فينظر إليهم وذهنه شارد ،
وينقل لقافة التبغ من أحد جانبيه إلى الجانب
الآخر ، ثم يحرق في قارورة التبغ ، وأخيراً يهز
كتفيه ويقول :

« هم يقولون ذلك . لقد كان الأولي بهذا الشيخ
الخرف ألا يتكلم من الزواج إلا بعد تمامه »

وقان في هذا الجواب ما يقتنع كل إنسان بأن
أمرها سيحدث ؛ وكيف لا يحدث أمر وتوفى يتوعد
هذا الوعيد وخصمه ليس بالرجل الضعيف ؟ إن
المم سائق قد انتخب عدة عدة مرات . وقد رفع
يده بالمعنى على رجال أكبر وأقوى منه لأنهم
وقفوا في سبيله

لذلك كان أهل القرية يتربصون ما سيحدث
باهتمام شديد

قصرها وضيعتها لهذا الزوج القليل الوفاء ، وترك
للزوجة الثانية فراش منزلها الذى كانت مزمومة
به في الحياة ... هل تعود تلك المسكينة من القبر
لترى ذلك الفراش في حوزة من كانت الناس
يتصدقون عليها بالطعام ؟

ابن ست وخمسين يتزوج من أجل الحب ؛
انظروا إليه كيف يرقص ، وأنصتوا إليه كيف
يتكلم ، وراقبوا النظرة البلهاء التى تبسو على
وجهه . إنه كالشباب الصغير عندما يبالغ الحب
للمرة الأولى

وافترق أهل القرية على أن المم سائق قد عقله ؛
وقان يحدث في الكنيسة في يوم الأحد من كل
أسبوع ما يشبه المظاهرة ، فان أهل الزوجة
الأولى يحضرون الصلاة ، وعند انتهائها يلتقون
بصهرهم القديم وتثور ثأرتهم ، ويصفونه بأنه
لص ... نعم إن قريبتهم أوصت له قبل الوفاة بكل
ما تملك ، ولكنها كانت تعتقد أنه لن يخون
ذكرها ، وهاهوذا يدفع بهذه الثروة إلى فتاة صغيرة
— ومن غلط منخط — إن العالم ليمد خاليه من
الصداقة ، إذا سمح لابن السادسة والخمسين بأن
يفعل هذا

وقان أهل القرية يجتمعون حول أهل الزوجة
الأولى ، ويحتمونهم على مقاضاة الرجل وفسخ
عقد الرصية

وفي غير أيام الأحد كان مثل هذا الحديث
يدور في المقامى وفي الميادين العامة والشوارع ؛
وقان يشترك فيه حتى الفتيات من بنات الأسر
الكبيرة اللواتى كن ينفضن أيديهن من حديث
على يتعلق بالزواج لولا تحدث كل أهل القرية به

- ٣ -

هذه الكيفية كان القسيس مقبلاً ومعه بقية المدعوين من أصدقاء الأسترتين ورفقت هدايا المرس عن الناضد ووضمت بدلها أطباق الفاكهة والنفطائر والأشربة الحلوة .

وتنحى وكيل العقود ومسح ثيابه بمنديله ووضع حفنة من الرمل فوق الكتابة ليحفظها . وأخذ يتلو ما كان عليه ، فلما وصل إلى اسم الزوج التفت إليه وأحى رأسه قهقهة المدعوون . ولما وصل إلى اسم المروس التفت إليها وأعاد هذه الحركة فأعاد المدعوون الضحك . ولكن لما وصل وكيل العقود إلى ذكر شروط الزواج فعدد المزارع والننازل الموهوبة والجياد والبنال علت أوجه الضاحكين منذ لحظة علمهم الحسد . وكان البتسم الوحيد هو الزوج فقد أتيحت له فرصة يظهر فيها غناه ويظهر حسن ماملته لزوجته . أما والده المروس فلم يستطيعا منع دموع الفرح ، وكانا يتخيلان أن على كل إنسان أن يقول لها أنها الأبواب الوحيدان الجديران بالتهنئة فقد ائتمننا على ابتئنا من هو جدير بأن يؤتمن

وبعد توقيع العقد أدبرت المرطبات وأخذ دون جوليان يتندى في حديثه بالطريف من القصص والفكاهات ويمرض في سسخرية غير مكشوفة بالقسيس

وفي الساعة الحادية عشرة كان كل شيء قد تم . وذهب القسيس والمعدة سوياً . وتقدم المم سانتو إلى وكيل العقود وسكرتيه يدعوها إلى قضاء بقية الليل بمنزله

وكان الطريق بين المنزل الحفير الذي عقد فيه العقد وبين منزل المم سانتو طريقاً مطلقاً ضيقاً .

اشتهر المم سانتو بأنه من الذين إذا قاموا بأى عمل أدوه على وجهه الأكل . وقد ظهر صدق هذه الشهرة في اليوم المحدد لتوقيع عقد الزواج فقد وهب زوجته ثلاثمائة مثقال من الذهب نقداً غير ثياب المرس وخواتم الخبطة والأمشاط وفراش المنزل وهو من مخلفات زوجته الأولى ، وغير تكاليف الوليمة التي دعا إليها المم سانتو ، وغير الهدايا التي أرسلت إلى منزل أبيها على ظهور ثلاثة بنال . ولا تسلم من المناديل وزجاجات المطر والأواني الفضية مذهبة وغير مذهب

وحضر الوليمة كل المشتغلين بالسياسة في الاقليم وعلى رأسهم نائب البرلمان

وأهديت الهدايا إلى المروس من كبار المدعوين ، فعد ما شئت من العقود وأمشاط الشعر والمصوغات المختلفة التي كانت تتلقاها وهي شديدة الخجل . أما أمها فكانت تبكي بكاء الفرح . وأما أبوها فقد لزم الصمت لأنه لم يجد الكلمات التي تفي بشكر ضهره على إحسانه المتكرر

وكان موعد العقد في بيت والده المروس . وقد عهد بتحريره إلى « دون جوليان » وكيل العقود في القرية ، فجاء مع سكرتيه في عربة نغمة وأعدت له في منزل الراى متضدة مذهب عليها أربعة حوامل للشمع من الذهب الخالص . ودخل متكبراً عرضها ، ومن أحق من وكلاء العقود بالكبرياء وبالأهواء ؟ أليسوا هم المطلبين على أسرار القانون ؟ وأخذ يعلو على سكرتيه صيغة العقود وهو يتلفت يمنة ويسرة ، ويرفع النظائر ثم يضمه .

وفي الوقت الذي كانت صيغة العقود المدينى تملأ

لا ينتهي من ذبح النجاس والطيور . والتم بأشكال الخادم يبدى مثل مهارة الطبيب في تذريح هذه الذبائح . وناهيك بشمور هؤلاء الضيوف حين يرون هذه الضحايا وحين يعرفون أنها طعام لهم وهم الذين يقضون المام كله لا يطمعون شيئاً سوى الخبز القفار أو مأدوماً بالجبن أو اللبن

إن مثل هذه الوليمة يمد حادثاً لا يتكرر وقوعه في تاريخ القرية ، فقد يكون بين فلاحها من يرى الطعام وهو يطبخ ولكن ليس فيها من يرى في وقت واحد عشرات القردور تحوى مختلف العلوم لتقدم للضيوف بشير حساب . وليس فيهم من يرى عشرات القرب مملوءة بالنبيذ وليس على الراغب في الشرب إلا أن يشير فيؤتى له بالجر الممتعة التي تهر نشوتها أكثرهم اعتياداً على السكر وإدماناً .

وأما الحارثى فمد ما شئت من صنوفها المشتهاة لقد كان كل شيء فاخراً غنياً وكان ديوميني نفسه مشتبهاً بالشراب فهو مدعو وفي الحفل شراب يكفي فكيف لا ياي

وكانت الأجراس لا تزال تدق ، وآن موعد الكوكب فسار ، وكان النساء في الثياب البيضاء ، والرجال في الماطف السوداء ، وبين الساترين ديوميني ورأسه الى الورا وأنفه متجه نحو السماء . وعلى رأس المريس قبعة جديدة من القطيفة ، وسترة ضيقة عند خصره للتنجيل ، وبجانبه ماريتا وما أجل تلك المروس وما أرقى ! إن أية عروس من أرق البيوت لا تستطيع أن تظهر في حفلة عرسها بظهر أجل وأروع مما ظهرت فيه بنت ذلك الراعي الفقير كان على لبتها عقد من الزلزال كعقد الأميرات ، وعلى كتفها طيلسان من أغلى الحرير وفي أذنها

وكانت الكلاب تنبح كلما من بعضها فريق من العائدين . ولكن بقية القرية كانت في سبات عميق

وكان دون جوليان ومن معه عشون في تودة ورفق حذر المثور بحجر يوقعهم في الطريق . وكان الأول يشمر بقلق شديد من مسيره في هذه الليلة الحالكة الظلام . وتوهم أنه رأى ما يريب في ركن من الطريق كأن به أحداً مختفياً يتربص بالسائرين سوءاً

قال بصوت خافت : « انظروا ! انظروا ! » وقيل أن يجاب على كذته انطلقت رصاصة من ذلك الركن ففزع واستند إلى باب منزل مغلق . وكان الرصاص لا يزال يطلق ويصيب الحائط فشمّر جوليان بأن العرق يتصبب من رأسه

أما المم ساتو فكان واقفاً في وسط الطريق وهو يصيح : « أقسم بالله أني أعرف من القى فعل ذلك . إنني عرفتكم أيها الكلب القذر »

ثم هز عصاه الفليظة منادياً باسم توني وبأسماء أصهاره القدماء أقارب الزوجة المتوفاة

— ع —

كانت أجراس القرية تدق منذ آذنت الشمس بالشروق وكان الخبير بأن المم ساتو قد تزوج — قد وصل إلى أقاصي الاقليم . وكان الفلاحون مقبلين على ظهور الخيل والجر ليقوموا بواجب التهنة

كان منزل المم ساتو طول الأسبوع الماضي في حركة مستمرة لا تنرف الهدوء ، وهو الآن مبث فجة شديدة ، فالضيوف مقبلون من كل حدب ، والخدم غادون راحون بالأطعمة والأشربة ، وجزار القرية

لم يمد يده الى الطعام اكتفاء بالنبيذ الذي يقرب منه أمام سائر المدعوين ، فكانت أعينهم لا تتحول عن الدجاج . ولأول مرة تناولوا الطعام كما يتناوله السادة ، فأمام كل منهم طبقه الخاص وزجاجته ، وعلى صدره فوطته أيضاً

وكانت مارييتا جالسة بجانب زوجها وهي تأكل مفقودة الشهية ، ووجهها شاحب وقد بدت عليه علام الألم واضطراب الأعصاب ، وهي تنظر نحو الباب كأنها تتوقع أن يدخل توفى بين لحظة ولحظة ، وقد كان هذا الوغد جديراً بأن يقدم على أى أمر

وكانت تتذكر في ألم شديد وداعها إياه في المرة الأخيرة ، وتتذكر قوله لها إن أنانيتي ستغلب عليها في يوم ما فتحجره وتزوج من أجل المال

لكنها الآن على رغم خوفها منه كانت مسرورة من توقعها أنه سيفار وأنه سيمعمل ما توحى به الفيرة ، وكان موضع سرورها من هذا التوقع أنه يدل على حبه إياها . وكان يسرها أن تكون محبوبة منه ؟ وإن فقدته فقدان الأبد

وقل ما بقي في الأطباق من طعام ، وضعت الشميات ، وبدأ التندر بالفكاهات والأحاديث ، وتناول بعض من اشتد بهم السكر التروسين بالفكاهة والزاح ؛ فتضاغت من أجل ذلك الضحكات ، وفي النهاية وقفت مارييتا وتناولت طبقاً ودارت به على المدعوين تطلب منهم (النقوط) وسرعان ما امتلأ طبقها بالنقود الذهبية التي كانت تنهال على الطبق ، خصوصاً من أقارب المريس الذين يطعمون أن يتذكروهم عندما يكتب الوصية

قرطان كانت الزوجة الأولى تقصر تحليها بهما على الحفلات النادرة

وأجبه الموكب في اتجاه الكنيسة وكان كل أهل القرية ينتظرون عند بابها ، وكان بينهم بعض أقارب الزوجة الأولى ، وقد استخفهم الفضول فنقضوا العهد الذي كانوا قد قطعوه على أنفسهم بأن يقاطعوها هذه الحفلة

ولكن لما صر الم سائقو أماسهم صاحوا منادين إياه بكلمة الامس ، فلم يجبههم بأكثر من ابتسامة دلت على نهاية الرضى والافتئاع

ودخل ديوميني الكنيسة والناس ينتظرون اليه ويتفامزون ، وبعضهم يتهامس باسم صديقه توفى

ولاحظت المروس توفى جالساً في الحانة التي أمام الكنيسة فأحنت رأسها واصفر لونها ولاحظه أيضاً الم سائقو فابتسم ابتسامة المنتصر فأجاب توفى على هذه الابتسامة بحركة دالة على الاحتقار ، وآلم المروس أيماً ألم أن توجه إليها هذه الحركة في يوم عرسها

وعاد الموكب من الكنيسة فدخل مئات من المدعوين إلى القاعة التي صفت بها مقاعد تحمل أطباق الشكولاته والحلوى ، ولكن الضيوف لم يتناولوا منها إلا القليل خشية من الشبع ، ولم يبق على موعد المشاء غير ساعة واحدة

وظهر ديوميني وفي يده قيثارة يمزف عليها ويصيح بالفناء ، وأقبل القسيس فجلس أمام المنضدة وهو يقول : « إن الشيطان نفسه لا يؤلم ولية أبداع من هذه »

وجلس ديوميني أيضاً إلى المنضدة ، ولكنه

بالسعادة . وعلى أثر ذلك عاد المدعوون من المدينة في الأزقة المظلمة وكان وكيل المقود ناعماً منذ ساعة في ركن من الثرفة فأيقظه سكرتيه ولم يبق في المنزل غير أقارب العروسين

وأخيراً صاحت أم العروس باينتها : «وداعاً» ولقد يخال من يسمع صوتها إذ ذاك أنها تودع راحلاً إلى القبر . وأما أبو العروس فكان لا يزال في مرحه وسروره وقال لزوجته : «إنك لم تكوني على مثل هذا الحزن عند ما خرجنا من المنزل ، فلماذا هذه الكآبة ؟» ثم فرق بينها وبين ابنتها وقادها نحو الباب

وذهب كل الخدم الى حجراتهم وجلس الم سائقو وماريننا في الثرفة المتهتلة النظام التي كانت فيها الوليمة والتي لا تزال بها الشموع الموقدة . وظلا صامتين مدة طويلة ، ثم أخذ الم سائقو يباهي بانتصاره ثم يثني على ثياب العروس أما العروس فكانت تبغى وكلها بخال ، ولكنها لا تفكر فيما تسمع بل في توفى رفيق ضيائها ودقت الساعة فقال الم سائقو : «الساعة الحادية عشرة» ثم نهض وقال : «هذا وقت النوم» ومشيا نحو غرفة النوم ولكن الم سائقو ما كاد يصل إلى بابها حتى وقف فجأة لأنه سمع أصواتاً غريبة عن بعد تشبه الدق بثبات من المعص على الصفيح

واقترب الصوت ، وسمع وقع أقدام وعلت ضحكات وسمع غناء ويوميني في وسط هذه الأصوات وصاح الم سائقو بصوته النكر : «عرفكم يا خنازير» ثم أخذ يضرب الهواء بقبضة يده وليس في المكان من يرى هذا التهديد غير زوجته

ولم يدفع القسيس غير قرش واحد ، متذكراً بأن الكنيسة لم تمد تلك شيئاً في هذه الأيام التي سادت فيها الحرية

ولما انتهت العروس من طوافها على الضيوف ، ألقت بالمال الذي جمعه في جيبتها ، وقد أطربها رنينه

وأصبحت الوليمة الآن وليمة كما ينبغي أن تكون الولائم ، فالجميع يشكمون في وقت واحد ، ثم نهض أحد المدعوين ورى زواجه على الأرض فتحطمت ، وكان ذلك دعوة منه للجميع باحتذاء حذوه ، فألقيت كل الزجاجات والأطباق على الأرض

وأراد أعدم سكراناً أن يبالغ في المزاح ، دلالة على شدة السرور ، فأخذوا يقذفون الرئيس بقطع من الخبز للكسور ، وسرت المدوى بين الجميع فصاح الم سائقو : «كفوا عن هذا اكفوا !» ، ولكنهم كانوا من القسوة في مثل حالة المجانين ، فاستمروا واستمر يحذرهم حتى استحال صياحه إلى زجاجة ، وحتى مرع النساء اللواتي كن انسجبن بعد جمع النقود ليرين ما الخبر

وأخيراً عاد الهدوء ، عدا أن الصبيان الذين كانوا في الطريق تمكنوا من الدخول عن طريق النوافذ وأخذوا يجمعون ما تساقط على الأرض من الطعام الذي في بقايا الأواني المتهتلة . وأخذوا يقرصون أرجل السيدات ، فصحن ، وتذمر الم سائقو فأصر بطرد الصبيان وأبدى لأول مرة تذمره من هذه الليلة

— ٥ —

في نحو الساعة العاشرة عاد المدعوون الذين جاءوا من قرى أخرى وهم يفتنون ويدعون للزوجين

بندقيته وبطلق منها رصاصة في الهواء . فامتدأت
الفرقة بالدخان وبرائحة البارود ، ووقمت ماريتا
على الأرض وهي في حالة إغماء وخرج المتظاهرون
كما جاءوا

وبمد قليل سمع طارق على الباب ومناد بصيح :

« افتحوا باسم القانون ! »

وتناقل الم سائق في مشيته وفتح الباب ،
فرأى الجندي ورأى أمام الباب جثة مخضبة بالدم ،
هي جثة توني ، وكان المتظاهرون قد أبلغوا البوليس
أن الم سائق هو الذي قتله ، وذلك بمد أن رأوه
قد انتحرو . فقاد رجل البوليس الم سائق الى
الحاكمة وهو يصيح : « يا لها من ليلة عرس ! »
عبد اللطيف الفتاح

ولكن بمد لحظة ظهر في المكان نحو عشرين
شخصاً على رأسهم توني وأقرب الزوجة السالفة
ومن بينهم ديوميني الذي كان طول يومه يتمتع
بضيافة الم سائق ويطرب المدعون بالمرزف على
قيثاره . وشمر الم سائق بالواجب الذي تولى به
المزة والكرامة . أليس هو أم رجل في المدينة ؟
أليس هو الذي اعتاد أن يأمر فيطاع ؟ فكيف
إذن يكون منزله ميداناً لهذه السخيرة ؟ أمن أجل
أنه تزوج من فتاة صغيرة ؟

وأخذ الجميع ينشدون لحناً محزوناً كأنهم في
جنازة وصوب توني إلى رأس الم سائق عصاه
وضربه بها ، فقهقر الرجل في ذلة ، واستطاع
والدم يسيل من جراحه أن يدخل الحجر فيتناول

شركة بيع المصنوعات المصرية
تعمل على احياء الصناعة المصرية وترويجها
معرض دائم لمنتجات البلاد
تعرض المنسوجات الصيفية
من جميع الأنواع : قطن - حرير - كتان
بضائع جديدة لهذا الموسم
صنع شركات بنك مصر
التي أجمع الكل على متانتها وتفوقها
شاهدوا مبتكرات الصناعة الحديثة قبل شراء حاجاتكم

خيانت في رسائل

بقلم الأديب نجيب محفوظ

وما أبأسى ١٠٠»

« كيف ... ؟ »

« لن أسمد بقراءة

كلمة لك طوال مدة غيابي ،

لأنك لا تستطيع أن

تكتب إلي ، أما أنت

فتستطيع أن تطلع على

همسات روعي كلما مكنتني الفرص من اختلاس

الكتابة اليك فأينا أسمد حظا . . . ؟ »

« من تواتيه فرص التعبير فيخفف من

مراحل عاطفته »

وهنا ظلت وجهه سحابة كدر ، وسألها

بمد تردد :

« هل لك أبناء عم ؟ . . . »

فابتسمت ابتسامة دلت على أنها سرت للقلق

الذي يث هذا السؤال وأجابته :

« نعم لي ولكنهم لم يجاوزوا عهد

الطفولة ، ولو كان الأمر كما تتوهم ما أوعى أدنى

خوف أيها الرعديد النور والآن هات فك

أودعك وهيا نقول مما هذه الكلمة المروعة

التي تفزع لها القلوب :

« أستودعك الله . . . »

من الفد يصبح له في قنا حبيبان عزيزان :

حبيبة القلب عائدة ، وصديق الصبا وزميل عهد

الدراسة الأستاذ أحمد مرزوق المدرس بمدرسة

قنا ، ولكنه يينا يتصل بصديقه بالكتابة فهو

محروم بحكم الظروف من تمام هذا الاتصال الروحي

بجيبته ، لأن جهما ما يزال سرا خفيا كما يدر

بأضه الأهل

وانقضت أربعة أيام على سفر عائدة ، ثم وصله

« هذه أول أزمة تصيب جينا ! نعم طالما آلتى

الفراق الهين ، وأجهدني الشوق إلى اللقاء ، وعذبي

الدلال ؛ أما الوداع ، أما الرحيل إلى قنا ، فهذا أمر

جديد ، يدفع إلى نفسى شعورا بالحزن لا عهد لها

به ، فهلا عدلت عن هذا السفر . . . ؟ »

« لو كان الأمر إلى ما رغبت نفسى أدنى رغبة

في السفر ، فما أحفل بقضاء الشتاء في أعلى الصعيد

بعض احتفالي بالقرب منك كما أواسل هذا اللقاء

السميد ، ولكن ما حيلقي وهذا ما يريد أبي ويقمله

منذ أسبل إلى الماش . ولقد اعتاد أن يغضى شهرا

أو شهرين من الشتاء في قنا عند عمى الدكتور . . »

« يستطيع عقل أن يتصور المعجزات ،

ولكن لا يستطيع أن أتصور ما عسى أن تكون

عليه حياتي هذين الشهرين ، فهذا الحب غدا حياة

لشعوري ، وهذا اللقاء أسمى ألفه لنفسي ، أجد فيها

راحة بعد تعب ، وهزاء عن شوق دائم ، فما عسى

أن أصنع . . . بل ما يكون زاحى وسلوى . . ؟ »

فوضعت بدا خيرة فاحمة على كتفه ، وداعبت

بأطراف أناملها خده ، وهمست في أذنه :

« هذا شعوري وهذا حزني ، ولولا كراهيتي

للمزاء لنصحت لك بالتمزى والتلمي ، فليس أماننا

سوى الصبر الجميل حتى ينطوى دهر الفراق

ويتصل جبل اللقاء . . . ومع هذا فما أسمدك

منها كتاب جاء فيه :

« حبيبي حسنى !

أعجب لهذه الوحشة كيف تجم على صدرى وأنت مـى . . . نعم أنت مـى لم تفارقى لحظة سواء فى ضجيج النهار أو فى سكون الليل ؛ مـى وأنا أرسل الطرف من نافذة القطار أشاهد الحقول الممتدة وأشجار النخيل المبعثرة ؛ مـى وأنا بين أهل مـى ألتقى الأحاديث وأرد عليها ، وأضحك هذا وأسمع لذلك ؛ مـى فى كل مكان وكل حين ، فلا عجب لنفسى بعد ذلك أن هرزا الحنين إليك أو استثمرت وحشة وضيقا فى البعد عنك ، أو ألهمها الشوق عذاباً وجوى

وأرجو ألا تهمنى بالتكاسل عن الكتابة إليك فبيت مـى عامر بالأطفال وهم لا يتركونى لحظة أخو الى نفسى ؛ وقد انبعثت كلمات هذا الكتاب من شعورى وامتأ بها عقلى وثقلت فى حواسى وحفظها عن ظهر قلب قبل أن تؤاينى الفرس فأسطرها لك خلسة على ضوء القمر المتسلل من نافذة حجرتى والعيون قد أغضضا عنى المنام . . . فاعذرنى إن تأخرت عنك رسائلى وارجع إن شئت إلى قلبك فاعتقداى أنه على عليك عن لسانى ما أحب أن أقوله لك دائماً

أما عن قنا فجوها دافئ جميل ، وخلا ذلك فنحن فى منفى ، ولولا ما يرمحه أبى فيها من حمة وعافية ما تركته يسكن إليها لحظة من الزمان »
فأخذ من الكتاب كل ما استطاع أن يمنحه من المزاء والبسوة والسعادة

وكان صديقه مرزوق لا ينقطع عن مراسلته وإن خلت كتابته من الطرافة والجدية ، فهي التحيات المحفوظة وبث الأشواق والتلف على

إدبار العام الدراسى وإقبال العطلة الصيفية ، إلا أنه أضاف الى هذه المحفوظات فى آخر كتابه ما نصه :

« طالبا قلت لك إنى أعيش فى قنا كما عاش أبونا آدم قبل أن يخاق الله منه أمنا حواء ، لا يقع بصرى على وجه امرأة قط ، وإن كنت أرى أحياناً بعض الأصدقاء يشيرون إلى كثلة من الثياب السوداء الملفوفة تسير كممود من الدخان الكثيف وأسمهم يقولون : انظر الى هذه المرأة . . . ولكن وقع بالأمس ما يمد حدثاً تاريخياً فى حياة قنا ، إذ حضر الدكتور سامى حسنى مفتش الصحة الى البستان المموى وفى صحبتها فادة جميلة سافرة الوجه ، ففز البلد وزلزل كيائها . إنه رجل جسور لا يعبأ بأراء التزمتمين ، وبمجده دائماً على استمداد الرد على تطفل التطفلين بما يجعله مثلاً وعبرة ، ولم يلبث أن شاع الخبر وملأ الأسماع فروع الشبان الموظفين من مدرسين ومهندسين وكتبة الى البستان وهم يسوون أربطة الرقبة ويحكون أوضاع الطربوش على رؤوسهم ، فلورأت البستان حين ذاك لحسبته حديقة غناء فى مصر الجديدة أو قصر النيل إنها شاة جميلة تحمل فى طياتها عطر القاهرة البقى ، فليهنأ قفر قنا بهذا القطر المذهب . . . »

تخفى قلبه لدى مطالعة الكتاب ولم يداخله أدنى شك فى معرفة صاحبة الشخصية الجميلة التى أثارت لوعة الشباب فى قنا

ياله من كلام يحمل فرحاً وألماً والألم فيه أكثر ! أيجوز أن تسعد قنا ومن فيها بحبيبته ويبيق هوى القاهرة تسيل نفسه حشرات عليها . . . وهم أن يكتب لصديقه كتاباً يعلن فيه بأن الفتاة التى هز مقدمها قنا هى حبيبته اليوم ، ثم خطيبته وزوجه غداً ، ولكنه جفل من هذا

ولتلمن بمدحني في أي غيباً من غابي* القدر كانت
تنتظره هذه المفاجآت ...»

ما هذا الذي يقول مرزوق من أن عينييه
تجذبان إليه عينيها ؟ . إن لميى مرزوق أن تجذباً
كيف تشاءان . أما عينا صاحبتة فلما بالهما تنجذبان
وتستجيبان ؟ ... هلا يكون ذلك مجرد نظر برىء
فسره صديقه على ما بهوى غروره ويحب ؟ ...
إنه لا يشك أبداً في إخلاص عائدة ، ولكن يبنى
ألا ينسى أن لصاحبه عينيى جملتين يحس الناظر
إلهما سخونة في أعصابه ولذعة في قلبه ، وهو
— إلى ذلك — مدرس محترم من حلة الدبلومات
البالية ، ومن ذوى المستقبل السعيد . أما هو فلم
يزد على أن يكون موظفاً صغيراً ، كل مؤهلاته
شهادة البكالوريا ، ومستقبله مظلم محدود ، أفلا
يكون لجميع هذه الفوارق أثر في الحب ؟ ..

إنه يشعر بحزن عميق يحيم على نفسه فيجملها
من السكابة كنفس هرم متشائم ، ويحس بدم
القبرة ينطلق من قلبه وبلوث دمه ... أواه ... إن
أحلامه وآماله ترجع على كف رجيم ...

وفي ذلك الوقت أنه كتب من عائدة ،
فانكسب عليه بلهفة ، وتلاه مرة بعد أخرى ، ولم
يكن يخرج في معناه عن رسالتها الأولى ،
فترعرعت شكوكه ، وطوذة الثقة ، وذاق بعض
الطمانينة والشفاء ، وحل غرور صديقه ثم ما جرى
عليه كتابه من الشك والصداب ، ولكنه تسلم
رسالة من صديقه بعد ذلك بأسبوع ، جاء فيها :

« كن على يقين من أن الماطفة النامية لم تعد
قاصرة على جانب واحد ، فمعنا الفتاة — واجمها
عائدة — تقتحان الحاضرين من الشبان وتستقران
على أنا . إنى أطالع في وجهها عند حضورى سبها

الاعلان ووجد رغبة خفية أن يكتمه إياه وأن يطلب
منه أن توافيه بأخبارها التي تستحق الرواية والحديث
لقد تردد لحظة وطرح على نفسه هذا السؤال :
ألا يمد هذا تجسسا منه على حبيته ؟

وهل يجوز هذا في شرع المحبين ؟ .. أو ليس
الأفضل أن يربأ بنفسه عن أن يضع صاحبتة موضع
الاتهام والظنة ؟ ..
ولكن عاطفة الندم هذه لم تستطع أن تقهر
مواطف قلبه الجياشة السوداء فطردها من نفسه
وكتب الى صديقه بما أملت عليه شكوكه من
بدي الأمر

وبمد حين وصله كتاب فإن من صديقه جاء
فيه عن عائدة ما يلي :

« تفكر كل شيء في قنا وكل شيء في حياتي .
لم تعد قنا قبرا أموحشا فأغرا فاه مكشرا عن أنيابه ؟
ولم تعد حياتي ساماً ثقيل متصلا . كيف لا يكون
هذا وأنا مطمئن إلى أنى سأحظى أصيل كل يوم
برؤية ذلك الوجه السافر اللبتسم الذي يحى موات
النفوس ، ويبعث مصفر الأمل ... ما أجملها ،
وما أعذبها ...

علت الآن أنها ابنة أخى مفضى الصحة ، أو
هذا ما علمته قنا عامة وعلمه شبابها خاصة . إن
جميع الميون تلهمها التهام الجوع ، فلعل هذه
الصحة تثير الفيرة في نفوس الآباء الموظفين ،
فتشجعهم على الاستهتار بتقاليد الصمد وأهليه ،
وإبراز بناتهم للعيان ، ومهما يكن من الأمر
فنتحن الرابحون

لا تنحس على أخيك من قهر ، فهو بطل صنديد
وشخصية لا يشق لها غبار ، وإن عني لتتغنان
من بين الميون جيماً وتجذبان عينيها إلى ، قصيراً

بالحقيقة السافرة وبضع آماله بين يدي شهامته وما يمهده فيه من الاخلاص والروء ، ولكن كبريائه تأبى عليه أن يكون في حبه من المسترحمين السائلين ، وهو يندفع برغبة جنونية نحو حجم المذاب كأنما غدا يستطيط النار للموقدة ؛ وأبى إلا أن يمرض حبه لأقصى امتحان . فاما إلى نعيم الطمأنينة ، وإما إلى أهوال المذاب ، وعليه فقد تمالك وكتب إلى صديقه :

« إذا كانت ثمرة الحب ناضجة فاقطفها بلا تردد ، فان حكمة الدنيا لتدوب حسرة على ثمرة حب ناضجة يهدفها الانسان ، أقدم ولا تبال بالنتائج البعيدة ، وتمتع بالحب في منفي قنا ولا تحملن نفسك هوم التفكير في الند ، ولا تنفل عن تزويدى بكل جديد فاني أصبحت من تتبع حبك على حب شديد »

وانتظر رد صاحبه بصبر نافذ وجزع لجوج ، حتى واثقه منه كتاب جاء فيه عن عائدة ما يلي :

« بوركك من حكيم سديد الرأي ! لقد اتبعت نصحك أيها الأخ ، وضربت لها موعداً حسناً ، ووافيت إليه في صباح اليوم الثاني وأنا حائرة بين الشك واليقين ، بين اليأس والأمل ؛ ولكن لشدة ما كان فرحى عندما رأيته قادمة ! والحقيقة أنها كانت مترددة مذعورة على رغم خلو السكان الذي يوحى بالطمأنينة في خفية عن أعين الرقباء ، وبلغ بها الذعر أنها صرت في غير ملتفة إلى يدي الممتدة كأنها جاءت لسفير موعدى ، فقبضتها وحييتها وطمأنيتها حتى قالت لي مضطربة :

« لا أدري كيف جئت .. كيف أطمنتك .. إنني مضطربة ... » فهدأت خاطرها وسكنت اضطرابها ولطفها بما أوتيت من بيان وحرمان وحماس حتى أفرخ روعها واطمأننت

الشوق والتطلع تحاول أن تخفيها بعدم اكتراث المفتعل ، وأقرأ في عينها استجابات خفيفة لرسائل الهيامنة اللثيمة ، وأستشعب أحياناً على فها ابتسامات خفيفة ، ولعلها تخاطب عهما أو أحد أبنائه الصغار بصوت مسموع وهي تمنيني . لا تدهش لأقوالى هذه فاني أطاردها في إصرار ، وأتبعها في عناء ، وأخاطبها بصوت مكتوم تنبيء عنه شفتاى المتحركتان ، وأبث إليها بإشارات الشكوى والرجاء ، وقد اقتربت منى مرة وهي تلاعب طفلاً من أبناء عهما وسمعتها تقول له أو لى إن شئت : « دائماً في أعقابى ، فإذا تصنع لو رجعت الى مصر ؟ ... » . فقلت لها بهمس مسموع : « لملك لا تمودين ... » ، إنها كلمة ذات مغزى خاص إذا قالها شاب أعزب موظف مثلى . وقد كان لها الأثر الجليل . والآن أفتنى فانك خبير طبيب عالم بأحوالى ، هل أقدم أم حسبي ما دئت من لذة بريشة وأولى ظهورى ودأ لن ينتهى بالتثام .. ؟ إن ثمرة الحب ناضجة دانية تنتظر من يقطفها فما رأيك ؟ ... »

يا للظلام ... يا للألم الساخر ... عيشاً يحاول دفع هذه الآيات بالشك والتكذيب ، فائدة بلا ريب هى التى لا تستطيع مغالبة الشوق بالتستر وعدم الاكتراث المفتعل ، وهى التى تحدث الفير وتمنى المجدود من الرجال ، وهى التى تحجب عينها الاجابات الخفية ... وهى تسكرها سيرة الزواج فيا للظلام ويا للخيبة القاتلة ... والأدهى أنه يريد منه أن يكون مستشاراً في مسألة قلبه ... ولعله يزجو أن يشير بما يقطع خيط المنكجوت الذى يمسك بكفة أحلامه وسادته .. فيا للسخرية ! من المستطاع أن يحاول انقاذ سمادته فيلمان صديقه

وكتب إليه في رسالة أخرى :

« معذرة أيها الصديق عن تأخير فير مقصود ؟
والحق ماذا أقول لك ؟ .. فالحياة الجميلة هي هي ..
لقاء فأحدث ، فداعبات فتقبل وعناق ، فوداع
ولقاء . إنها غدت مجنونة في ، وكلا مررت ساعة
اشتد بها الحزاع وتكاد تنطق جوارحها : أن أذهب
إلى والدي وخاطبه في حيناً لأن يكون لك طول العمر
إنها أمنية طبيعية ولكن ما كل ما يتبع المرء
يدركه .. »

ثم كتب إليه بعد حين :

« قومت الألفة تلمس الحياء وصيرت التلميح
تصريحاً وأمسك حائدة تلح على أن أكلّم أباهما
لتنخذ علاقتنا الصبغة الشرعية القدسة ، وكانت
حياتي تكون السعادة نفسها لولا هذه اللقيصات
والحق أتى أجدي بين دينها سعادة صافية جعلتني
شديد اللطف عليها ، وبنت في الضمير ألماً مبرحاً .
وإنه ليسودني ما أبت لها من نية القدر والمهجر
لأنني في الحقيقة لم أرقها أكثر من ملهات مجتمعة
أسكن إليها في هذا المنفى القصى . وما أشبه غرائني
هذا بمرام الرحالة الجواب تتمدد وعوده تتمدد
ما يجوبه من البلدان . وما يثير النفس يا صديق أتى
— أول أمس على أثر عودتي من لقائهما — جلست
إلى مكتبي شارداً أقلب بعض الكتب فما رايت
إلا ديوان شوق تنشق صفحاته عن صورة حفظها
فيه وكنت أنساها ، هي صورة خطيبي بوجهها
الصبيح الجليل وقد سطر على ظهرها بخط جميل
« تذكّار الوفاء » فكأنه سوط عذاب الجبني ناراً ،
ألا فليفر الله ما تقدم من ذنبي وما تأخر أيتها
الحبيبة ! والحق لقد اضطرب فؤادي وألقيت على
الصورة نظرة دهر سريمة ثم أخفيتني عن عيني أو
أخفيت عيني عنها لأنه وقع في نفسي أنها تعلم بخيبيتي

لقد تحدثنا طويلاً ، بل طويلاً جداً ، ولو أردت
أن أسطر لك ما دار بيننا ما انتهيت وما وسمتني
الأسطر ، فحسبك أن تعلم أنها فتاة جميلة رشيقة حلوة
المشعر ، مهذبة الطبع ، وإن كانت تقلب عليها حدة
الاحساس وتوقد الماطفة والذهاب مع الخيال .
وقد حامت بمهارة حول موضوع الزواج فخارياتها
بخفة ولباقة لا تهويان بها إلى قرار اليأس ولا تملوان
بها إلى عقد الميثاق ، وعند الافتراق تناولت منها
قبلة شبيهة خلت للحلاوة جذتها أنها أول قبلة
تناهنا شفتاي ... »

انتهى الأمر ، وتبددت الأحلام ، وخابت
الآمال وقضت على قلبه القذى انتهى طويلاً بأفراح
الحب أن يتجرع آلام اليأس والخيبة
وانقطعت عنه رسائلها ولكنه كان على علم
متصل بأحوالها من رسائل صديقه التي جاءت تترى
وقد كتب إليه في إحداها :

« أنا — باختصار — سعيد جداً ، فخياني
ملئته بالبهجة والسرة ، وعائدة خير عزاء عن
الوحدة والوحشة في هذا المنفى السحيق ، وإنى كلما
أذكر أني سأحرم هذه المتعة بمد شهر يشيب شمري
من الهول ، وأضمه إلى صدري بشفق ، وألهم
منها قبيلات ملتهبة كأني أخزن منها ما أعود إليه
عند الفراق . أما هي فتعتقد أنها لن تمود إلى القاهرة
أو أنها تمود لكي ترجع إلى إلى الأبد ، فن يديرها
أن لي خطيبة تنتظرني في القاهرة من سنوات
طويلة ... »

وبهذه المناسبة أقول لك إن عائدة من اللاتي
وهبن الله دلالة وقتنة ، ولكنها على قدر غير عي
من الاستهتار والزق ؛ أما خطيبي فتشابة حبيبة
هادئة الطبع وعلى خلق عظيم ، وإنى أدخرها للزواج
وأنا سعيد »

من هذه الفتاة الثائرة الثائرة التي لم يمنحها الله إلا بمظاهر الجلال المتبدل لا يلبث أن يتبخّر أثره في الهواء . وسهما يكن من الأمر فإن ينقضى أسبوع حتى تكون الأنسة عائدة في طريقها إلى حيث ألفت »

قرأ جميع هذه الرسائل - رسائل صديقه وقاله - يامعان شديد

وكانت تتسلط على نفسه في ذلك الوقت عاطفتان : عاطفة حزن عميق وشهور حاد بالغيرة والغيرة وانهايار الأمل جعلته لا يذوق لذة في اللحظة ولا راحة في السهاد ، وعاطفة تشف وانتقام أن تنتهي بها الخيانة إلى مثل ما انتهت به الحال من خيبة أمل وانهايار صرخ سعادة ...

ولم يفرط في واحدة من هذه الرسائل التي سجلت تاريخ أكبر هزة عنيفة امتحن بها شبابه فجعلها في رزمة وحفظها في حق حاجي جبل ووضعها في مكان أمين وانتظر ...

جاءه رسالة مقتضبة من عائدة نفسها تملنه بقدمها وترجوان يذهب لقاتها في موعدهما المهود عند العصر ...

وفكر في أمره طويلاً ، تفكير من تسيطر عليه عاطفة مسمومة ونفس جريحة حتى انتهى من أمره إلى تدبير ، فذهب إلى الموعد في الساعة المهودة ، ولم ينتظر هذه المرة لأنه وجدها في انتظاره ، واستقبلته بيدين مفتوحتين وابتسامة مشرقة ، فضمها بين ذراعيه ولثم شفتها وهو يتسم ابتسامة كلفته غالباً من الجهد وضبط النفس

وجلسا إلى نفسيهما كما كانا يفعلان في الأيام الخوالي السعيدة ، وسمعا تقول بفرح فائض : « وأخيراً »

وأنها تصوب نحو نظرة لا تمشأ أمامها الحياة » وكتب إليه في رسالة أخرى يقول :

« لست فني عصياً كما كنت أعتقد ، ولو أني كنت كذلك لما هالني القدر ولا كبرت على نفسي الخيانة ولسهل على اسطناع الوداد للفتيات اسطناع تحيات الصباح والمساء ، ولهذا تجدني معذباً موزع القلب فلا أنا بالرامي على نفسي لأنني تكثت ميثاق خطيبتى ولا أنا بالسعيد بما أتى من حب عائدة التي رماني ففانها في هاوية من الندم

ولا ينبغي عليك أن اللل حرف طريقه إلى نفسي وأنى بت منه في سقام ؟ وقد كانت ذلك مقدوراً ولكن ما الذى عمل به ؟ لعله ذكرى خطيبتى ، أوله أني أقبلت على عائدة إقبال منهوم جائع فامتصت حلاوتها في رشقة ، أو ربما كان ذلك لأن جمالها طلاء لا ينجى من ورائه شخصية ذات بهاء وجلال » ثم كتب :

« أسى اللقاء غير ذى متعة ، لأنى من ناحية بت أعانى من السأم وارهاق الضمير ، ومن ناحية أخرى فالفتاة تصر على مخاطبتى في شأن الزواج ولا تكاد تصبر عن هذا الموضوع فرمت بي في الحرج والحيرة ، وينتهى موعد اللقاء ونحن لم نفرغ من الجدل المقيم والتصنيف السقيم والاعتذار والهرب المفضوحين »

وأخيراً كتب إليه يقول :

« لأول مرة أخلف اليماد ، وإنى لأهذر نفسي وأغبطها ، وأرجو أن تفهم الفتاة أن هذا منى إعلان بالظيمة ، ولم يكن من هذا بد بعد أن بلغنا في علاقتنا مؤمناً يبنى أن يتقرر فيه المصير ، فاما إلى عيّن وإما إلى شمال ، وما كان ينبغي أن أختار من جديد ، وما أحببت ذلك قط فان خطيبتى تنتظر أوبى بفارغ الصبر وهي أكرم على نفسي

فاعتقادي أنه لدينا ما يلزم لنا حديثه أكثر من هذا ...

« طيباً .. طيباً .. ولكن وأسفاه قد قدر على أن أحرم هذه اللذة الليلة .. لأن أي مريضة وينبغي أن أكون إلى جانبها سريعاً فلنؤجل هذا الحديث للمتم إلى المرة القادمة فنظرت إليه قلقة وسألت :

« مالك ؟ لست كهدي بك ! تقول إن أمك مريضة ؟ لا بأس عليها .. أمضطر أنت إلى الذهاب إليها حالاً ؟ »

إنه يحس برغبة شديدة تدفعه إلى الانفجار لينفخ عن صدره بعض غليانه المكتوم وحقدده اللدقون ، ويود لو يجبه هذا الرياء بما يمزق قناعه ويهتك ستره ويفضح شاعته ، ولو فعل ما جنى على الرحمة والمدالة ، فن حقه أن يصب جام غضبه ويثار لآلام قلبه ويمحق الحياة والكر السيئ

ولكنه كان قد انتهى من أمره إلى مرفأ لا يريم عنه ، وكان بطبعه هادئاً رزيناً كتبوا بيد فيه العقل الهوى وتغلب لديه الحكمة على الثورة ، فغالب دواعي الغضب في نفسه حتى أسكنها وقال بهدوء غريب :

« إنى تمب بهوم مكدود الدهن ، ولولا شدة توقى لرؤيتك ، ما هان على أن أقادر أوى ، وهى طريحة الفراش ... فلنفرغ من هذا اللقاء ولو على مضض ... والآن اصحى لى أن أقدم إليك هدية جميلة : هذا الحق الماجى ... ورجائى ألا تهمس به إلا حين خلوتك إلى نفسك فى غرفتك لتحظى بالمفاجأة السعيدة فى غيبة عن أعين الرقباء ... وإلى اللقاء القريب أيتها الحبيبة ...

نوبيل محفوظ
ليسانسية آداب — القاهرة

فردد قولها : « وأخيراً » ثم نظر إليها ببينين مبهجتين تخفيان دهشة وقال لنفسه : يا عجبا ! ما أقدركن أيتها النساء على إخفاء مشاعركن وتكلف ما ليس بكن ! وانطلقت هى تقول :

« أستطيع أن أخبرك كم فانية غبتها عن طوال هذه اللمة الثقيلة لا أرجعها الله »

« الذى يبدو لى أن استفرأك فى حساب الزمن شذلة عن الكتابة إلى »
« أتسخر منى ... آه لو تعلم كم كانت تكلفى الرسالة أكتبها إليك . كنت أتسلل إلى مكان قصى البيت كى أخفى نفسى عن أعين أبناء عمى ... فيجدون فى أثرى ويبددون عزالتى ويفزعون أخيلتى المنسجمة وعواطفى الحارة ، فإذا انتهيت منها احترت كيف أسلمها إلى صندوق البريد »

« ألم يكن الخروج هيناً عليك ... »
« أحياناً مع عمى »
« لم لم تخرجى فى الصباح وعمك فى عمله والجو خال ؟ »

« لو فعلت لكان أصرأ مثيراً ... والشبان هناك جائمون أراذل عديمو الشرف ... »
« يا سلام ! ... »

« نعم يا عزيزى ... »
فمز كفتيه وقال وهو ينتم فيها النظر :
« أرى عذرم بيننا ... فن يطالع هذا الوجه الجليل ولا يقهر على الحب قلبه ؟ ولكن ماذا صنعوا معك حتى استعصموا عندك هذا الحكم القامى ؟ »
فصمت لحظة ثم قالت :

« إنها صغائر مألوفة لا يبنى عنها الشبان ... ولكنها ليست بذى بال ... فلندع هذا الآن ...

وترفق صورة من هذه الأسئلة والأجوبة مع تقرير وجيز بالقطريز الحاموي « لمينات » التي والبراز لارسالها للتحليل . هذا مع عدم نسيان قص أطراف التهم ، وقص جيوبه وإرسالها كذلك داخل أحواز غنومة للتحليل السكايوي . إذ كثيراً ما تكون آثار الزرنيخ عالقة بالأظافر والجيوب . وناديت كاتب التحقيق وأمرته بتهيئة اللازم للقيام وطلبت إليه الاستشارة المذكورة التي عليها نظرة وأندك ما فيها . فأحضرها وأحضر معها التعليلات فقرأت ما يلي :

« فقرة ١٤١ - عند إرسال الأحراز إلى القلم

الطبي الشرعي ... على النيابة أن ترسل في آن واحد للنائب العمومي ... الاستشارة الآتية بعد استيفاء جميع الخانات بالضبط :

- (١) تاريخ التبليغ عن الحادثة
- (٢) اسم المصاب وعمره وجنسيته
- (٣) هل كان المصاب في صحة جيدة قبل الإصابة ؟

(٤) الأعراض التي لوحظت : كالقيء ، الاسهال ، الألم ، العطش ، ألم الرأس ، الدوار ، فقد قوة الأطراف ، التقلصات ، التماس ، المرق ، التيبس حالة الحذقتين ، النبض ، التنفس !

(٥) هل كان المصاب يشكو من مذاق خاص في فمه من الطعام ؟

(٦) هل حصل للمصاب تخدير أو تنميل بلسانه أو أطرافه ؟

(٧) هل حصل للمصاب غيبوبة ؟

(٨) هل حصل له تشنجات أو التواءات بالفضلات ؟

(٩) هل ظهرت الأعراض فجأة ؟

(١٠) هل سبق أن حصل للمصاب حالة تشبه هذه ؟



يَوْمِيَّاتُ النَّائِبِ الْأَرْيَفِ لِلْأَسْتَاذِ تَوْفِيقِ الْحَكِيمِ

٢١ أكتوبر ...

ما كنت هذا الصباح أرشف فنجان القهوة على مكنتي حتى وردت إشارة تليفونية بوقوع حادثة تسمم في دائرة المركز : امرأة تناولت من مطلقها فطيرة فظهرت عليها الأعراض ، وهي تهمة بسماها للتخلص من النفقة الشرعية . كلام معقول . ومساءلة تستدعي التحقيق من غير شك . ولكن من جهة أخرى أعرف قضايا التسمم . وما فيها من « قرف » خصوصاً على الصباح . وأعلم أنني سأنتقل فأجد امرأة عاتمة في بركة من القيء والبراز . وكذا وجهت إليها سؤالاً تلقيت جواباً لا من الكلمات بل من الـ ... أعود بالله ! ولم أعناك وأخرجت منديلي وبصقت فيه . وجعلت أفكر في إحالة هذه القضية على المساعد . وطلبت به بالفعل فحضر فسلمته الإشارة ، فر عليها بنظرة سريعة وصاح :

— تسمم ! وأنا عمري حققت قضايا تسمم أو حتى حضرت تحقيق التسمم !

كلامه هو الآخر معقول . خصوصاً التسمم . حتى أنا القديم الثمرن ، لا أستطيع تحقيق هذه القضايا إلا وومي « الاستشارة » للنصوص عنها في تعليمات النائب العمومي . هذه الاستشارة فيها أسئلة معينة بالذات لا بد من سؤالها وتلقى الجواب عنها .

وقلت للمساعد أن يذهب هو لحضور التشرع وإفادتي بنتيجته بمجرد الفراغ منه . ففنى هو إلى المستشفى . ومضيت أنا إلى منزل المرأة التي أكلت الفطيرة ؟ وكان الأمر فعلاً كما توقعت : وجدت المرأة في صحن الدار وحولها جاراتها لم يتركن فيها يخيل إلى آنية ولا « حلة » ولا « كروانة » في الحارة إلا آتين بها ووضمنها تحت قميص الصابئة المطروحة أرضاً تتلوى وتغسح . ونظرت نظرة إلى كاتب التحقيق فهم منها أن يفتتح المحضر ، وتقدمت بين الأواني الملوثة حتى دونت من الجنى عليها وسألها :
— اسمك وعمرك وجنسيتك ؟

فلم تجب . ولم يبد على وجهها الباهت التقاص المضلات أنها فهمت عني . فأعدت عليها الكرة في شبه صياح ، فلم يخرج من فمها غير أنين طويل ممزوج بشروع في قه جديد . وقد أسرع بعض النسوة إليها يستندن رأسها المائل بأكفهن ، وهن يهيمسن :

— أبوه يسبها في غلبها !
فأجبت مؤمناً على منطقتي وكأني أخطب نفسي :
— والله كان بودي أن أتركها في غلبها ، لكن أحمل إيه ؟؟ فلم النائب العموي في انتظار الاستمارة والقطريز !
وتشجعت امرأة لسنة بين النسوة وقالت لي :
— « مش ادلدى » حضرتك طالب تعرف اسمها ؟ اسمها نبوية

— نبوية إيه ؟
— لا ما نعرفش غير نبوية . أمي في الحارة كتنا تقول لها تعالى يا نبوية روحى يا نبوية ولكن هذا لا يكتفى . ولا بد من كتابة اسمها كاملاً . فتوسلت إلى النسوة أن يساعدنني على حملها على النطق دقيقه واحدة . فتكأرن عليها ورففن

(١١) الفترة بين تماطلي المادة المشتبه فيها وأول ظهور الأعراض ؟

ملاحظة — يجب ذكر تواريخ واضحة وساعات معينة عما تقدم أى أنه لا يقال مثلاً بعد اليوم الثاني بثلاث ساعات أو في يوم (الاثنين) بل يقال مثلاً ابتدأت الأعراض في الساعة ٤ بعد ظهر يوم ١٦ شهر كذا سنة كذا وأول ما لوحظ منها هو كذا وذلك في الساعة ٣ مساءً أو صباحاً بالضبط ...
شئ جميل جداً !! كل هذه الأسئلة يبنى أن تطرح على مصاب لا يعرف رأسه من رجله . والأعجب من ذلك أن نطالبه بأن يخبرنا بأن الأعراض ابتدأت في الساعة كذا بالضبط . إذ لا يبنى أن يقال مثلاً في يوم (الاثنين) . بل على هذا المصاب المسكين الفارق في متحصلات جوفه الشاعر بالدوار وفقد قوة الأطراف والتقلصات والنماس الخ الخ . باعتراف الاستارة ... على هذا الرجل أو هذه المرأة الفلاحة الساذجة التي لا تحمل في جيبها ساعة وريم لم ترفي حياتها الساعة أن تقول لنا إن الأعراض لوحظت أول ما لوحظت في الساعة ٣ والدقيقة بالضبط !!!

النهاية . فتمنا نصب هذه الأسئلة على رأس المرأة المسومة . واصطعجت معي المساعد بشاهد حتى تزول سمجته في المستقبل . غير أننا ماكدنا نتحرك حتى وردت إشارة تليفونية أخرى قدسها إلى الحاجب فقلت :

— نهاري من أوله !
وقرأت فإذا هي إخطار من المستشفى الأميري بوفاة قمر الدولة علوان . فصحت : « مات الرجل قبل أن نعرف منه سر الموضوع » . وظللت قلماً وأشرت في الحال على ذيل الإشارة المبارة المألوفة في مثل هذه الحالة : « نأمر بتسريح الجنة » .

النسوة إذا خالجن طمع في أن أتلقى من هذه الطريحة جواباً بالساعة والدقيقة عن الأعراض والفترة بين تماطى المادة وظهور أول ... إلى آخر هذا الكلام المطبوع على استهارة صنعت فوق مكاتب العاصمة في صفاء وهدهد بالبعداء عن مناظر القبيح والاسمالم : وأومات إلى الكاتب أن « أقفل المحضر » وأفهمته أن الصابة لم يمكن استجوابها واكتفينا بأخذ « عينات » القى والبراز وقص أطاظر وجيوب المتهم . ثم عدنا إلى دار النجاة حيث ارتعيت على مقعدى تنبأ أغضضت عيني قليلاً ؟ ثم فتحتها على صوت الباب يفتح وقد دخل منه مساعدى أصفر الوجه . فأققت من حولى في الحال وابتدرته :

— مالك ؟

— التشرع

— آه حضرت العملية ، والنتيجة ؟؟

— النتيجة ألى أنا ...

وجلس على كرسى قريب ؟ فحدثت بنظري ملياً في وجهه . فقهمت كل شيء . إن هذا الشاب قد حدث له ما حدث لى يوم حضرت لأول مرة تشرع جثة آدمية . هذا الشاب الرقيق الذى خرج بالأمس من بين الكتب ؟ تلك الكتب التى أرتنا وأفهمتنا أن الانسان شيء عظيم ، إنه هو محور الكون ، وأنه الصلطي للمحوظ دون بقية المخلوقات ببنية الخالق الأعظم ، وأنه الكائن النوراني الروحاني الذى سوف يبعث ؟ هذا الانسان لم يتع لكثير من الناس أن يظلموا على تركيبة من الداخل ؟ فإذا ما اطلع أحدنا على ذلك سرت في نفسه صدمة يختلف تفسيرها باختلاف مزاج الشخص وطبيعته وثقافته ؟ وإلى لن أنسى أبداً يوم وقفت للمرة الأولى على رأس جثة رجل أميب في دماغه بيمار نارى أطلق عن قرب فكسر

رأسها الذى لا يريد إلا أن يقع على صدرها ومهن في أذنها يرجونها الكلام وإجابة البك النياة . وبعد ساعة بالتمام حركت الصابة فاستبشرت النسوة وشجعنها رايات على كتفها :

— أبوه ... أبوه ردى علينا يا حبيبتى !

فأسرعت أصيح قرب أذنها وقد نصبب العرق منى :

— اسمك ؟ اسمك إيه بقى ؟ ...

فأنت وزامت وقالت في صوت خافت متهدج :

— اسمى ... نبوة

فكذبت أشق ثيابى :

— مفهوم ! نبوة ! كويس خالص ! لكن

نبوة إيه ؟ اسم « أبوك » إيه ؟ أنا فى عرض

« أبوك » ! نبوة إيه ؟ ولكنى أخاطب وأتوسل

إلى شبه جثة . فقد انحدر رأسها وسقط على صدرها

من جديد . ولزمت الصمت إلا من ذلك الآن

الخافت . وبلغ من اليأس والاضيق ، فصحت

في النسوة صيحة داوية فأسرعن وأنفضنها مرة

أخرى ومسحن صدغها بالساء البارد وناجبها

بالكلام المذب إلى أن ظفروا آخر الأمر باسمها

كاسار . ولكن بقى في الاستهارة عشرة أسئلة !

وإذا كان ذكر الاسم على بساطته قد اقتضى هذا

المجهود ، فكيف بالباقي ؟ خصوصاً السؤال الأخير :

بيان الفترة بين تماطى المادة للشبه فيها وأول ظهور

الأعراض ؟ مع وجوب ذكر تواريخ واضحة

وساعات معينة كما تقول للمحوظة ! ! أى أن هذه

المرأة التى لم تخرج اسمها من بين فكها إلا بعد أن

كادت تخرج أرواحنا ستقول لنا عن الساعة

والدقيقة بالضبط التى لاحظت فيها ظهور الأعراض

أول ما لاحظت ؟ شيء جميل ، أنا مجنون أسأل هذه

الأسئلة ؟ أليس عيني نظر ؟ ماذا تظن بعقلي هؤلاء

— جرح نأري طوله أربعة سيمتر . . .
وحاول أن يثر بأصبعه على الرصاصة فلم يستطع
فتناول منشاراً من المدين من حقيبته وجعل ينشر
الجمجمة من الجهة ليفتح الرأس فلم ينجح في نشرها
لصلابتها فأخذ مطرقة صغيرة من بين أدواته وطقق
يدق بها فوق المنشار كأنما يدق على حلبة « سردين »
وسمعت إحدى المجائر ذلك ورأت من فجوة السطح
ذلك اللق و « الهبد » في رأس رجل المائلة وعبد
الدار فوضعت كفها على خدها وقالت متهمدة :
— اسم الله عليه !

هذه الكلمة هزنتى . ووجدت لوقعها غرابية .
إن تلك المعجوز ما زالت تمتقد أن رجلهن هو
رجلهن بشخصيته وأدميته ، أما أنا فنذ لحظة
قد بدأت أشك في ذلك

وتم نزع الفطاء أو « القراغة » ، وظهر من تحته
الغلاف الرقيق الذى فوق الخنق مباشرة ، فزقة الطبيب
بمشرطه ، وجعل يفحص ما حول الجرح وهو على :

— تزييف دموى شديد بأنسجة الخنق . . .
وجعل يبحث بأصبعه عن الرصاصة فلم يجد
شيئاً . واستمر في البحث حول تلك المنطقة القريبة
من الجرح فلم يثر للرصاصة على أثر . أين ذهبت
إذن ؟ وليس هنالك من فتحة أخرى يظن أن
القدوف خرج منها . ولما بيأس الطبيب . وقال
لى باسم : إن القدوف النارى يتخذ أحياناً خطوط
سير عجيبة في جسم المصاب وأحياناً تدخل الرصاصة
من البطن فلا يثر عليها إلا في الفتحة . قد يكون
هذا معقولاً . ولكن رصاصة تدخل من الرأس
تستخرج من القدم ! هذا شغل « حواة » ولا أصدق
أن الرصاصة لها كل هذه المقدرة . واستاء الطبيب
أخيراً وصاح :

— وعلى إبه ؟ أدى مخ الرجل بحاله . . .

الجمجمة وهناك الجدار الأيمن للأذن حتى برز جزء
من جوفه الخنق ؛ وحضر الطبيب للتشريح فقامت
معه أشاهد ما يفعل ؛ وكادونا النيط الذى وقمت
فيه الحادثة ؛ وانتقلنا إلى دار الجنى عليه ؛ وهى دار
قروية متواضعة ؛ وجى بالقنيل يحمله أهله وقد لفوه
في لحاف جديد « بيوشه » ؛ ومن حوله النسوة
بهولهن وصياحهن وطينهن يطلخن به وجوههن
وكان مى مأثور نشيط أمر رجاله باخلاء المكان
إلا من رجال الحفظ والطبيب وحلاق الصحة
ومماوئيه ، وأنوا « بطشتين » كيزين وضموها
تحت « دكة » عريضة من الخشب في محن الدار ؛
 ووضع الحلاق ومعاونوه الخنقة فوق « الدكة » وخلعوا
ملابس القتيل ، وكانت جديدة احتفالاً بصيد
الفطر ، إذ وقمت الجريحة في اليوم الأخير من شهر
رمضان ، كأنما أراد القاتل أن يسرع خشية أن يجل
الميد وغريمه على قيد الحياة ، وحرصاً منه على أن
تسكون هدبة الميد تلك الرصاصة في رأس القتيل ،
ورغبة منه في أن تتغير نعمة أصوات الميد وأفشيده
المصاعدة من جوف هذه الدار ، وأعمل الطبيب
المشرط حالا في رأس القتيل وهو على على الكاتب :

— ونزعنا الفروة (يقصد فروة الرأس طبعاً)
وعندئذ علا صياح النسوة ، وكن قد تسألن
وتسألن سطح الدار والأسطح المجاورة « المرشة »
بخطب القطن والذرة ، وسمعت بين أصواتهن
المتخلطة صوتاً رقيقاً حاراً مؤثراً أوجع قاني يصيح :

— يا شجرة و « مضللانا » يا بوا !
وتلاه صوت آخر في مثل وقفه ولحيه وقد
امتزج بنشيج وبكاء مر :

— يا لى كنت خارج بسحورك في بطناك يا بيه
وتم نزع الفروة ، ووضع الطبيب أصبعه في فتحة
الجرح يسبر غوره ويعرف حدوده ، وأملى الكاتب :

مليا . فأتضح لنا أن الرصاصة قد تكون سقطت من نفس الجرح لاتساعه وتقلها وسقطت بمقوطة على الأرض . وفرغنا من العمل وانصرفنا وأنا أعجب لما حدث في نفسي من انقلاب . أنا الرقيق الحس أرى الجزر والتقطع بل أرب به ولا أرتد ! ثم أى خيبة أمل ! لقد كنت أحسب الانسان أعظم من ذلك اكلا ، لا يبنى أن نرى أنفسنا من الداخل .

إن صورة ما رأيت لا يمكن أن تزول من مخيلتي . ولا ريب أن تلك المناظر قد أحدثت في نفس مساعدي أحداثا .. وأردت أن أسأله في ذلك . ولكن الباب فتح وظهر حاجبي ومعه إشارة تليفونية قلت :

— اللهم خيرا !

وتناولت الإشارة . وما كدت ألقى عليها نظرة حتى سحت :

— البنت ريم ؟ !

فأسرع مساعدي متلهفًا .

— ما لها ؟

— وجدوا جثتها في الرياح قبلي البلد ؟

— وماتت ؟

قلت لك وجدوا جثتها ، خذ اقرأ الاشارة ! فأخذ المساعد الورقة وجعل يقرأ بعينيه حتى وصل إلى آخر عبارة وهي : « ويحتمل أن يكون سبب الوفاة اسفكسيا الفرق » وقفت عيناها عليها لحظة من التأثر ، وكنت أنا أشد منه حزنا على انطفاء حياة هذا الشيء الجميل بهذه السرعة

وأطرقت قليلا أفكر في سوء حظنا ، لا من حيث العمل ، ولا لأن ريم مفتاح من مفاتيح القضية ، بل لأنها كانت صورة بديعة هزت نفوسنا جميعا فأقلنا ومجنونتنا ، ومخلوقا حلوا منحنيا أوقات حلوة ولحظات مشرفة ، ونسبنا عيليا هب على

وأخرج بكلماته كل ما في الجحمة من مخ حتى أخلاها فأصبحت مثل « السلطانية » النظيفة وقسم هذا الخ أقساما أربعة أعطى كلا من معاونيه قسما وكلهم أن يبحثوا عن المذوف بحثا جيدا فجعلوا « بانفوسون » بأصابعهم في هذه السادة التي يمزى إليها كل نبوغ الإنسانية ، حتى صيروها شبه سائلة كالمهلبية ؟

هذا هو مخ الانسان !

قلت ذلك همسا لنفسي : وقد بدأ الروح الذي أخذني أول الأمر يزول عني شيئا فشيئا . وتصلبت أعصابي ومعد إحساسى وتيقظ في نفسى حب الاستطلاع ؛ ورغبة في أن يفتح أمامي كل هذا الجسم المسجي لأنظر فيه . وما دمت قد رأيت الخ هكذا فآثر القلب ونز الكبد ونز الأحشاء . لم يمد هذا الرجل في نظري رجلا ، إنما هو ساعة خيط كبيرة ممددة أريد أن أفتحها لأشاهد آلائها وتروسها ومجالاتها وأجرامها

ولم يجد الرجال شيئا كذلك بعد البحث الطويل . إنه لسوء حظ كما قال الطبيب ؛ ولكننا مطالبون بالنتيجة على أية حال . ها هو ذا القتل ولا بد أن تكون الرصاصة فيه . وشكر الطبيب عن مساعد الجد والضيق وأعمل المشرط في ذلك الجسد ، وأنا من خلفه أشاهد وأقول :

— أقطع ! اشترط ...

وأخذتني حمى غريبة وفقدت كل شعور إنسانى فجاءت أقول للطبيب : أرني رثتيه ، أرني أمعائه ، أرني الطحال الخ الخ . ولم يتردد الطبيب ، وشروط الصدر حتى أسفل البطن وأخرج القلب ثم الأمعاء وأبلى :

— وجدنا القلب سليما ، والأمعاء بها طعام مهضوم ، ولم نثر مع كل ذلك على شيء . ففكرنا

حتى سمعنا صياحا في الطريق ، فقمنا إلى النافذة ،
فاذا بنا نرى الشيخ عصفور، يجري في الطريق ،
عاري الرأس بدون عوده الأخضر ، والصبيسة
والنملان ، وجمع من الأهالي خلفه وهو يصيح
كالجنون :

ورمش عينها يا ناس
يفرش على الميتة
واحدة يياض شفتي
والثانية بلطيه
والثالثة من بعدهما
غرقها في الميتة ...

وثار يردد ذلك بصوت نارة كالعويل وتارة
كالثير ، وتارة في حركات حركات خطباء المساجد
وهو يمشي أحيانا ويرقص أحيانا ويجري في كل
جهة حتى اختفى عن أنظارنا ، فلبثنا عند النافذة
صامتين مأخوذين ، ثم انتبهنا بعد لحظة وعدنا حيث
كننا من الحجرة ونحن نقول كمن يخاطب نفسه :
— مسكين !

وعدت الى الإشارة ، وأمسكت بالقلم من
جديد ، ولكن الشك والقلق خالجا ..
— سمعته لما قال : « غرقها في الية » ! من
التي غرقها ؟ !

فقال المساعد :

— دى « هلسة » عجائز ! حافظت تحقيق
بناء على « خطرقة » رجل يخول في الشارع ؟ !
أظن الأحسن تدفن البنت وننتهي !
فحذا قوله ترددى ، وضغطت على القلم ضغط
الدم والافتناع وضغطت أمر الدفن وأما أقول :
— صدقت ، أما حتى نفسى انصدت عن

القضية وأصحابها ! !

(يتبع)
توزيع الحكيم

حجرا حياتنا الماطفة المجدبة في هذا الرب القفر
واستيقظت من تفكيرى ، ورقفت رأسى
ومددت يدى إلى مساعدى أسترد الإشارة وأخط
عليها المبارة المألوفة : « نأمر بتشريع الجنة » ،
ولجأة تنهت إلى فطاعة هذه المبراة ، نعم لأول
مرة أجدها فطيمة ، طالما شرحنا جنثا ، فليكن ،
وإلى لمل استمداد لتشريع نصف أهالى هذه
البلدة ، أما هذه الفتاة ... أما هذا الجلال فحرام أن
نحرقه لنرى ما بداخله ، ولح مساعدى نص الإشارة
بنظرة الحياذ فصاح :

— أظن ناوى تقول لى احضر التشريع

— ومن غير حضرتك ؟ !

— مستحيل ، أنا أولا كفاية على تشريع

الصبح ! حرام ! أقعد طول النهار أشاهد فتح
جنث ! أنا مساعد نياية مش مساعد حانوق ! فأينا
البنت دى بنوع خصوصى ...
فتأملت قوله ، وعذرتة . وأطرت لحظة
ثم قلت :

لك حق ، ريم بنوع خصوصى ! من له
قلب يحضر .. أنا لو دفعوا لى عشرين جنبها ... !
هات الإشارة نشطب على التشريع ونأمر بالدفن
ونخلص ... !

والواقع أن فى أيدىنا أن نفعل ذلك بدون أن
تعرض للتقد والسؤلية ، فالطبيب الذى كشف
عن الجنة عقب استخراجها من النهر قرر أن
الوفاة من اسفكسيا الشرق ، أى أنه لم يجد آثارا
مشتبها فيها تدل على أن الوفاة جنائية ، فاجرام
التشريع فى هذه الحالة دقة لا مبر لها ، آه لرجال
الفقة والقانون أصحاب النرض ! لهم يستطيعون
أن يتصرفوا على كل وجه تصرفا منطقيا مقبولا .
وما كدت أمسك بالقلم لأشطب الأمر السابق

الذئب الجالس

للكاتبة الانجليزية كاثرين منسفيلد
يقدم الأستاذ عبد الحميد حمدي

جلس الشيخ وودفيلد على كرسية المريح يدخن السيجار الذى قدمه إليه صديقه ، وينظر نظرة ، يكاد يبدو فيها أثار الشره ، الى ذلك الصديق الذى يدور فوق كرسي مكتبه معتدل القامة أحمر الوجه ، فهو وإن يكن أكبر من ضيفه سنًا بخمس سنوات

إلا أنه لا يزال قويًا ولا يزال قابضًا على الدفة ، وإن الانسان لينتمش بالنظر إليه . ثم قال الشيخ بصوته الصغرى فى شيء من اللباقة والاعجاب :

« نعم ، يشهد الحق أن هذا المكان هانىء »
« مريح »

فقال المدير ، وهو يفتح صفحات جريدة فينشال تيمس بمقطع الورق :

« نعم ، إنه مريح بالقدر الكافى »
والواقع أن الرجل كان غفوراً بفرفة مكتبته ، وكان يحب أن يعجب بها الناس وبخاصة صديقه المجوز الشيخ وودفيلد . ولقد كان من أشد بواعث شعور الرضى العميق الثابت فى نفس المدير أن يجلس معتدلاً وسط هذه الثرفة متريضاً تمرضاً تاماً لنظر صديقه الشيخ الضميفد القابع فى ذلك الكرسي الكبير الذى يكاد يخفيه عن العيون وقال المدير موضحاً كما وضع فى الأسابيع الماضية التى لا يذكر عددها :

« لقد أعددت هذه الثرفة أخيراً اعداداً جديداً ، فهذه سجادة جديدة » ، وأشار إلى السجادة الحمراء الزاهية ذات الرسوم والدوائر البيضاء الكبيرة ثم قال :

قال مستر وودفيلد فى صوت يشبه الصغرى :
« إنك هنا مستكمل جميع أسباب الراحة والرفاهة ... »

وكان. مستر وودفيلد جالساً على كرسي كبير من النوع المريح من الجلد الأخضر ، إلى جوار مكتب صديقه المدير ، وأطل مستر وودفيلد وهو يوجه هذه الكلمات إلى صديقه ، من كرسية كما يطل الطفل من عربته ، وبهذه الجملة ختم حديثه معه ، وقد آن موعد انصرافه ، ولكنه لم يكن رافياً فى الانصراف ، فهو منذ أن استقال من عمله ، أو بعبارة أخرى منذ أن أضرب عن العمل ، اعتادت زوجته وبناته أن يجلسنه فى البيت طوال أيام الأسبوع ما عدا يوم الثلاثاء ، فى يوم الثلاثاء يسمح له بارتداء ملابس واصلح هندامه وانطروح إلى طرقات المدينة ، حيث يقضى النهار كله أى شاء ، ولكن لم يكن فى مقدور زوجته وبناته أن يتخيلن ما يعمله فى أثناء غيبته عن البيت ، على أبهن كن يفترضن- أنه يزور بعض أصدقائه فيضايقهم بأحاديثه .. وقد يكون هذا الافتراض مطابقاً للواقع والحق أننا لننتشب بمسراتنا الأخيرة كما تشبث الشجرة بأوراقها الأخيرة أيضاً ، وهكذا

« هذا هو الدواء ، ولقد قال لي الرجل الذي أخذته منه ، في لهجة التوكيد ، إنه جاء به من مخازن قصر وندسور »

فلم يقع نظر الشيخ ووديفيلد على الزجاجة حتى ففراقه ؛ ولم يكن ليدهش أشد مما دهش لو أن صاحبه أخرج بدل الزجاجة أرنباً وقال في لهجته الصغيرة :

« أليس ذلك هو الوسكي ؟ »

فأدار صاحبه الزجاجة وأراه رصصاً مصهما فقد كانت بالفعل زجاجة وسكي

وقال ووديفيلد وهو يحدق النظر في صاحبه : « أتعرف أنهم في البيت لا يسبحون لي بتدق الوسكي ؟ »

وبدا عليه كأنه يكاد يصبح من شدة الفرح . وقال صاحبه رافعاً صوته :

« آه ... هذا هو الموضوع الذي نمرز فيه أكثر قليلاً من البهيدات »

ومال نحو قدحين كانا على المائدة مع زجاجة الماء فصب في كل منهما كمية وافية من الوسكي وقال : « اشرب هذا فسيفيدك جداً ، ولا تمزجه بشيء من الماء ، فمن الخسارة إفساد مثل هذه المادة المقدسة . آه ! »

ثم جرعه كأسه وتناول منديله ف مسح شاربيه مسرعاً ، ونظر من طرف عينيه إلى ووديفيلد الذي كان يداعب قدحه بشفتيه

وشرب ووديفيلد القدر دفعة واحدة ، وبقى لحظة صامتاً ، ثم قال في صوت خافت :

« إنه شديد الراحة »

ولكن الجردفاه أعادت قوة التذكر إلى رأسه البارد المجوز — فتذكر وقال وهو يرفع نفسه ليقف على قدميه :

« وأنات جديد » وأشار برأسه إلى المكتبة الكبيرة والمائدة ذات الأرجل الملتوية ذات اللون المسلي ، ثم قال :

« ومدافء كهربائية »

ولوح بيده مبتهجاً نحو الخس الأنايب الشفافة المضببة باللون الأحمر اللطيف داخل جهاز من النحاس ذي زفر كالمظلة فوق هذه الأنايب

ولكن الرجل لم يوجه نظر ووديفيلد إلى الصورة الفوتوغرافية المعلقة فوق المكتب والتي تمثل فتى عابس الوجه ، وافتقاً للباسه المسكري ،

وسط واحدة من تلك الحدائق الخيالية التي يمدّها الصورون في دورهم ، وراه سحب متكاثفة هي كذلك من صنع الخيال . ولم تكن هذه الصورة جديدة في مكانها هذا ، فهي معلقة فيه منذ أكثر من ست سنوات

وقال ووديفيلد المجوز :

« كان عندي ما أردت أن أقوله لك »

وهنا ظلت عينيه غشاة الذكري ثم قال : « والآن لا أكاد أذكر ما كنت أريد أن أقول فما هو يا ترى ؟ لقد كان في رأسي عند مغادرت بيتي صباح اليوم »

وبدأت يده ترتجفان وبدأت بقع حمراء على خيته فرمأه صاحبه وأشفق عليه وقال في نفسه : إن هذا الصديق المسكين قد بذل أقصى جهده في الحديث ، ثم غمز له بعينه وقال مازحاً :

« سأخبرك أنا بهذا الأمر . فان عندي هنا قطرة من شيء ينفعك قبل أن تخرج إلى سقيع الطريق مرة أخرى . وهو مادة لطيفة لن تضر طفلاً صغيراً »

وأخذ مفتاحاً من حلقة مفاتيحه وفتح دولاباً تحت مكتبه وأخرج منه زجاجة مضلمة داكنة اللون وقال :

على قبور أعزائنا فقد وجب أن ندفع كل ما يطلب منا دمه ، هذا هو تفكيرم »

واتجه الشيخ صوب الباب

وقال المدير في صوت مرتفع وإن لم تكن في رأسه أية فكرة عما هو هذا الحق :

« نعم هذا حق ! نعم هذا حق ! »

وخرج الرجل من وراء مكتبه وتبع صاحبه في خطواته البعيدة حتى أوصله إلى الباب . وخرج ووديفيلد فغاب عن الأنظار

ووقف صاحب المحل لحظة طويلة ينظر إلى غير شيء . بينما « سامي » المكتب الأشيب الشعر يرقبه من مكانه في احتراض شديد ، يخرج رأسه بحذر ثم يميده كالكتاب الذي يتوقع أن يأخذه صاحبه معه في مرحلة طويلة . ولم يلبث سيده أن قال له : « لا أريد أن أقابل أحداً لمدة نصف ساعة ..

هل فهمت ؟ لا أريد أن أقابل أحداً مطلقاً »

« ليكن ما تريد يا سيدي »

وأقفل الباب ، واجتازت الخطوات الثابتة الثقيلة السجادة الزاهية مرة أخرى ، وارتدى الجسم السمين في الكرسي اللولبي ، ومال الرجل إلى الأمام غيثاً وجهه بين كفيه . لقد أراد ولقد اعتزم بل لقد أعد عدته للبكاء ...

لقد كانت الصدمة قاسية عظيمة عندما فاجأه الشيخ ووديفيلد ملاحظته على قبر ابنه . فلقد كان الأمر تماماً كما لو أن الأرض قد فتحت ورأى ابنه في قبره وبنات ووديفيلد ينظرون إليه . لأن المسألة كلها كانت غريبة فانه وإن كان قد مضى ست سنوات على موت ابنه ، إلا أنه لم يتصوره إلا راقداً في لباسه العسكري لم يصبه تغير ولا تشوه ، وإن هي إلا تومة الأبد المأداة

وقال المدير منتحباً : « ابني ! »

« هاك ما أردت أن أقول ، فقد ظننت أنك تود أن تعرف أن البنات قد ذهبن إلى البلجيكي في الأسبوع الماضي ليلتين نظرة على قبر رجبى المسكين ولقد تصادف أن رأيت كذلك قبر ابنتك ويبدو لي أن القبرين متجاوران »

ووقف الشيخ ووديفيلد عن الكلام ولكن صاحبه لم يبهجه ، غير أن رمشة جفنيه أنبأت بأنه قد سمع وقال الشيخ في صوته الرفع :

« وقد اتجهت البنات بما رأين من العناية بالمكان ، ولو كانت هذه القبور في إنجلترا لما كانت بأحسن حالا مما هي عليه هناك . وما أحسبك قد ذهبت إلى ذلك المكان ؟ »

فأجاب الرجل : « لا . لا . لا . »

وهو لأسباب عديدة مختلفة لم يسافر إلى البلجيكي فقال ووديفيلد في صوت مرتجف : « إن مساحة المكان تبلغ عدة أميال وكلها نظيفة منسقة كالحديقة ، والأزهار تنمو على جميع القبور . وهناك طريق واسعة جميلة »

وقد ظهر من نبرات صوت الشيخ مبلغ حبه للطريق الجلية الواسعة ، وسكت الشيخ ووديفيلد مرة أخرى ثم ابتهج ابتهاجاً غريباً وقال في صغره المتأد : « أتدري كم تقاضى الفندق البنات ثمناً لعلمية الربى ؟ لقد تقاضاهن عشرة فرنكات ! وإنى لأسمي ذلك سرقة . ولقد كانت اللعبة صغيرة كما تقول جبرترود ، لا يزيد حجمها على حجم نصف الزبال الانجليزي ، ولم تكن قد أخفت منها أكثر من ملقعة صغيرة عندما تقاضوها المشرة الفرنكات . لذلك أخذت جبرترود اللعبة وجاءت بها معها لتأق عليهم درساً . وهذا حق أيضاً ، فان هؤلاء القوم يتاجرون على حساب عواطفنا . فهم يظنون أننا مادمنا مضطربين لأن نذهب إلى هناك لتأق نظرة

المكس من ذلك ، غلاماً ممحاً مشرقاً ، طيبى الخلق ، يخاطب كل إنسان برأيه الصريح فيه ، في عينيه نظرة الطفولة البريئة ، وقد تعود أن يجيب على ما يطلب منه بكلمات الطاعة المؤدبة .

ولكن كل ذلك قد انتهى وتلاشى كأنه لم يكن من قبل ؛ فقد جاء اليوم الذى حل فيه الخادم « مامى » إلى سيده الرسالة البرقية التى هدمت الحبل كله على رأسه ، وقد استهلت تلك الرسالة بهذه الكلمات : « يؤلنا أشد الألم أن نبلفك ... » وترك الرجل مكتبته ، مكحور القلب ، يحطم الحياة كان ذلك منذ ست سنوات مضت . . . نعم منذ ست سنوات .. فما أسرع أن مر الزمن ! وكان ما حدث قد حدث فى الأمس القريب ... وأزاح الرجل كفيه عن وجهه وقد علتة الحيرة فقد خيل إليه أن فى نفسه شيئاً غير سليم ، وقد أوعزه الشعور القدى أراد أن يشمر به . فاعتزم أن يقف وينظر الى صورة ابنه الفتوة غرامية . ولكنها لم تكن إحدى الصور التى يحبها ، فظفرة الملازم فيها لم تكن طبيعية بل لقد كانت نظرة جامدة ، بل كانت نظرة عابسة متجهمة ، وهي نظرة لم يرها أحد قط من قبل على وجه الصبي فى هذه اللحظة رأى الرجل أن ذبابة قد سقطت فى الدواة الكبيرة وأنها تجاهد فى ضئف ولكن جهاد السيتيس لتخليص نفسها من الشرك الذى وقمت فيه وكأما كانت أرجلها المتخبطة تنادى : المون ! المون ! ولكن جوانب الدواة كانت مبللة زلقة فسقطت الذبابة مرة أخرى فى الحبر وشرعت تسبح فوق سطحه . فتناول المدير قلبه والتقط الذبابة فوضها فوق ورق النشاف . فبقت نصف ثانية جامدة لا تتحرك فوق البقعة السوداء التى ارتسمت حولها . ثم تحركت رجلاها الأماميتان وارتكزت على الأرض ، فجرت جسمها المبلل جراً

ولكن عينيه لم يندرفا الدمع بعد ، وقد كان فى الماضى ، فى الأشهر الأولى وحتى فى السنوات الأولى بعد موت الفتى ، يكفى أن يذكر ابنه ليستولى عليه من الحزن ما لا يمكن أن يخفف من قسوته إلا نوبة جارة من البكاء المر ، وكان يقول إذ ذاك ، لشكل إنسان : إن الوقت لا يستطيع أن يبدل من حاله تلك ، وإن غيره من الرجال قد يشفون من أحزانهم ، وقد ينسون الخسارة التى أصابهم ويتمزون عنها . أما هو فلن يكون ذلك شأنه أبداً ، ولن يبدل الزمن من حاله بأهناً منها ، وهل كان من الميسور أن يبدل حاله ؟ لقد كان ابنه ولداً وحيداً ، ومنذ ولادته شرع أبوه يؤسس له هذا العمل الذى يقوم عليه ، ولم يكن لعله هذا من معنى إن لم يكن مقصوداً منه أن يبقى للصبي الصغير يقوم عليه بعد أبيه ؛ بل إن حياة الرجل نفسها لم يبدلها من معنى آخر غير ذلك ، فهو إنما يحيا من أجل ولده الصغير ، وأى شيء على وجه الأرض كان يحمل على أن يستعبد نفسه ، وينكر ذاته ، ويواصل العمل طوال هذه السنوات ، لولا الأمل المائل أمامه دائماً أن يرى ابنه يدرج فى نعليه ، ويرتدى لباسه ، ويواصل العمل من حيث يتركه هو ؟ وكان هذا الأمل على وشك أن يتحقق ؛ فلقد قضى الفتى سنة قبل الحرب ، فى مكتب أبيه ، يتدرب على الأعمال الأولية . فكان للأب وابنه يذهبان معاً كل صباح إلى المكتب ، وبعد انتهاء العمل يعودان كذلك معاً فى قطار واحد ، وما أكثر ما تلقى الأب من التهنئات بصفته والذكاء لهذا الولد الناجح ، ولا عجب فى ذلك ؛ فلقد كان الغلام مبدعاً حقاً فى إتقان عمله ، ولم تلقى به فى أية ناحية من نواحيه شائبة التورور الذى يتلف خلق من كان فى مثل مركزه ؛ بل لقد كان على

فترة انتظار موجعة ولكن سه . . فهاجما الساقان
الأماميتان تمودان الى الحركة ، وشعر الرجل بإرتياح
مفاجئ ، فأنحى على الذبابة وقال بخاطبها في رقة
ولطف : « آيتها الخلوقة الصغيرة المجتهدة . . »
وحاول فملا أن يساعدها بأنفاسه في تخفيف نفسها
ولكن على الرغم من ذلك كانت حركتها في هذه
المرّة ضعيفة بطيئة ، وقرر المدير وهو يفهم قلبه
في الخبر مرة أخرى أن تكون هذه آخر مرة
ولقد كانت بالفعل آخر مرة ، فقد سقطت
نقطة الخبر الأخيرة على ورق النشاف ، فرقدت
الذبابة القذرة تحنها جامدة لا تتحرك ، وقد انصهت
أرجلها الخلفية بجسمها ، أما الساقان الأماميتان
فقد اختفتا عن النظر

فقال الرجل : « هلم ... استيقظي ! »
وحاول أن يثير بقلبه حركة الذبابة ، ولكن
عبثاً — فلم تتحرك ولم يمد من اليسور أن تتحرك
لقد ماتت الذبابة
فرفع الرجل الجثة على طرف مقطع الورق ،
وألقى بها في سلة المهملات . ولكنه في هذه اللحظة
أحس بشعور ساحق من التماسه يستولى عليه عنيقا
حتى لقد تملكه خوفه حقيقي ، فهم من مكانه
وضغط زر الجرس طالبا خادما « ماسي »
فلما جاء الخادم قال له في لهجة حادة :

« جئني بورق نشاف جديد والحصى جيدا »
وبينا الخادم يسير مائداً في خطواته الثقيلة أخذ
المدير يسائل نفسه في حيرة : في أي شيء كان يفكر
من قبل ؟ ماذا كان الموضوع الذي شغل رأسه ؟
لقد كان يفكر ... وتناول منديلته من جيبه فدهسه
بين عنقه وياقته ... فلقد نسي نسيانا تاما في أي
شيء كان يفكر ...

عبد الحميد حمدي

حتى رفغته قليلا ، وعندئذ بدأت المهمة الكبرى
مهمة إزالة الخبر عن جناحها ، فكانت رجلاها
ترتفان وتهبطان محتكيتين بالجناحين احتكاك حبيز
السن بالنيكل ، ثم وقفت هذه العملية لحظة ، وبدت
الذبابة واقفة على طرفي رجلها الأماميتين ، وقد
اجتهدت في نشر أحد جناحيها ثم نشرت الجناح
الأخر ، وقد نجحت في محاولتها ، وجلست أشبه
ماتكون بالقطبلة محاولة تنظيف وجهها . وليتصور
الانسان منظر الرجلين الأماميتين تحتكنا إحداها
بالأخرى في خفة وابتهاج . فقد انتهى الخطر
النفطية ، وقد نجت الذبابة من الموت واستمدت
مرة أخرى لمواجهة الحياة .

ولكن في هذه اللحظة بدت لصاحب المحل
فكرة طارئة ، ففمس قلبه خبره أخرى في الخبر
ووضع قبضته المليظة على ورق النشاف ، ولم تكذب
الذبابة تحرك جناحيها محاولة الطيران حتى غمرتها
نقطة خبر كبيرة ثقيلة . فاذا عساها أن تفعل في
هذا الخطر الجديد ؟ نعم ماذا عساها أن تفعل !
لقد بدا على الخلوقة التيمسة أنها قد ذهلت وأصابها
الحيرة واستولى عليها الخوف من الحركة جزعا مما
قد يدعها بعد ذلك . ولكنها لم تلبث أن جرت نفسها
الى الأمام وكأما كانت تفعل ذلك في شيء من البطء
وقال الرجل في نفسه إن هذه الذبابة شيطان
صغير جريء ، وشعر بإعجاب حقيقي بشجاعتها .
فهذه هي الطريق التي يجب أن تعالج بها المشكلات
هذا هو الروح القوى السليم . لا تقبل أبداً
« أموت » فإني إلا مسألة . . . ولم يكن لدى
المدير من الوقت ما يتسع لأكثر من إعادة غمس
قلبه في الخبر وسكبه مرة أخرى على الذبابة التي
كانت قد نظفت جسمها مرة ثانية وقال في نفسه :
« وماذا أنت فاعلة في هذه المرة ؟ » وتبع ذلك

ناهِيك

دُرُستاز ابرهيم عبدالقادر المازني

به ... شيء بطير
المقل ... على كل حال
الذنب اللينة لا لي ..
والآن وقد اطمان
قلبي فهل هذه الشقة
ممكنة ؟

فسرها أنه يكلمها
كلام رجل لفتاة ، لا كلام

معلم لتلميذة ، وصار كل ما يقول يفرها بالضحك
وقالت وهي تقالب الضحك الذي لا داعي له :

« نعم .. لنا فيها سنوات .. وحضرتك ؟ »

فقال واعتدل في وقفته وزوى ما بين عينيه :
« حضرتي الساكن الجديد في هذه الشقة المجاورة
لحسن الخط - لشقتكم .. شاءت القادر أن تكون
جيرانا ، فإذا كان هذا لا يفرحكم بالحرب أفلا ترين
أنه يحسن أن نسقط « حضرتك وحضرتي » من
حديثنا ، وأن نتكلم كما ينبغي أن يتكلم الجيران
بلا تكلف ولا مجاملات »

فقالت وهي فرحة مسرورة : « بالطبع ..
ولكن يا أستاذ كيف يمكن ؟ »

فقال : « أه رجعتنا .. كلامنا الفتيق من
ناحية النهار من ناحية أخرى .. أستاذ ..
وحضرتك ... يظهر أنني اتخذت مسكني في
مدرسة داخلية .. »

فضحكت وارتج نديها الناهدان وقالت :
« ولكن كيف أقول حين أغاظبك ... لست
أحب التكلف ، غير أنني مع ذلك لا أرى كيف
أقول ... »

قال : « قولي ما تريدن بغير أستاذ وحضرتك .
على كل حال .. ألا ترين من واجبك أن تعرفيني

« أوه ... » - ووضعت يدها على صدرها

الناضج ، بينما كانت يدها الأخرى على الباب :

« هل خوفتك ؟ ... إني أسف ... المرة

الآنية أضع على وجهي ستارا ... هكذا ... »
وغطى وجهه بكفيه ، وجعل ينظر إليها من بين
أصابعه وهي تضعك

ووسمها أن تتكلم فقالت : « ألسن حضرتك
الأستاذ السميع ؟ »

فقال وهو يتكلف الجد : « كنت قبل اليوم
نفورا بأن أدعى الأستاذ وأن يكون اسمي السميع ..
هو اسم لا بأس به .. ويجب أن أعترف بأن أبي
أحسن الاختيار وأولاني فوق ما أستحق حين
سماني السميع ... ولكني سأظل بعد اليوم أذكر
فزعك حين رأيتني ... أم ترى هو وجهي الذي
خفت منه ؟ »

فابتسمت « ناهد » وقالت : « لا يا أستاذ ..
معدرة .. كل ما في الأمر أنك كنت أستاذي
في المدرسة الـ ... »

ففرح الأستاذ بكفيه وقال : « أه هذا أحسن ..

الآن فهمت لماذا أفزعتك رؤيتي .. معقول ..
المملون شيء خفيف .. دأبهم أن يأمرؤا وينهؤا ..
يأمرؤن بالشئ كانوا يهنؤن عنه أو يهنؤن عما أمرؤا

بعض الموض عما يفوته خارج المدرسة . ولكن هن
يفرحن به لفرط ما يعانين من العزلة في هذه
المدرسة « الداخلية » والاستيعاش والحرامان ، فما
كن يرين من الرجال سوى بعض الخدم واثنيث
أو ثلاثة من الشيوخ المتحجرين ، وهذا الشاب
الظريف الساخر الذي يصدمهن ويروعهن بأرائه
الجديدة في الحياة وفي كل شيء ، والذي لا يفرض
مع ذلك عليهن رأياً ، بل يدعوهن إلى التفكير الحر
المستقل في كل أمر وكل حالة من حالات النفس
والاجتماع ، وهش لهن وعجز مهمن ويضحكنه من
أنفسهن ، ويسخر من كل مانسان عليه من العادات
والتقاليد ، ويشمرهن أنهن إخوة له لا تلميذات
ينهرن ويذرجن ويمتابن كالإفئنا الأسانذة الآخرون
يفعلون ، بل كما يفعل اللغات أيضاً ، بل الناظرة
الانجليزية التي تكاد تمدهن من طبقة دون طبقة
الانسان . وكانت « ناهد » فتاة كاسمها ناهدأ ،
ورثت عن أمها رقة الحس ودقة الشعور وعن أبيها
— وكان لواء في الجيش — الصراحة والجرأة
وحسن التقدير للواجب والادراك لمزية النظام .
وكانت لها زميلة في المدرسة تحبها حباً يقرب من
العبادة وكانت هذه الزميلة — سعاد — ضامرة
ضايوة ولكنها غنية صرفة تجمي معها من البيت
كلما عادت منه بالوان شتى من « المهربات » — حتى
السجاري كانت تدسها في خزانها ، فإذا أمنت عين
الرقية أشعلت واحدة واضطجعت على الوسادة
وراحت تدخن والبنات ينظرون إليها مبتسمات
حاسدات ، ولكنهن كن يحببها فكن لا يقان شيئاً ،
ويحرصن على سترهذه المخالفة عليها . وكانت كريمة
سخية بكل ما معها إلا السجاري فكانت لا تجود

بهذه الفتاة الجيلة التي كانت تلميذتي ؟ »
فقالت بإيجاز وقد انتقد وجهها حتى صار
كالجرة « ناهد »

فترك ذهنه بيده وقال كأنما يحدث نفسه
وعينه إلى الأرض : « ناهد . . ناهد . . اسم
حلو . . ليتنه كان اسمي » (ضحك منها) ، ولكنه
لا يحرك في هذا الغزال الذي جملة الله لي بديلاً من
الذاكرة أي اختلاج . . آسف جداً . . لا حق
لي أبداً . . ولكني أعدك ألا أنساه بعد اليوم . .
وكيف يمكن أن ينسى اسمك الحلو من يراك ؟ »

فأخجلها هذا الثناء الزدوج عليها وعلى اسمها ،
وجدت له في سرها أن قصر المدح الصريح على اسمها

ولم يصدق الأستاذ السمر حين قال لها : إنه
لا يذكرها ولا يذكر اسمها فقد كان مملها ثلاث
سنوات كاملة ولم تنب عنه إلا عاماً واحداً . وكانت
أحب تلميذاته إليه وأجراً من عليه ، وكان يسره
منها أنها لم تكن تحجم عن مناقشته إذا بدا لها رأي
فيما يقول ، وكان هو يؤثر أن يشجع تلميذاته على
السؤال والبحث والفوض وعدم الاكتفاء بما
يسممن منه كأنما كان أستاذاً في جامعة لا في مدرسة
ناوية ، وأعداهن بالجرأة وألفن معه الحرية في
في البحث فكن يحفن به في حيناً يجدهن — في
فناء المدرسة أو على السلم أو في الفصل — يعطرنه
أسئلة في كل موضوع ولو كان لاصلة له بالتاريخ
الذي يدرسه لهن . وكان هذا لا يسوءه أو يشغل
عليه ، فقد أتم تعليمه في إنجلترا فلما عاد ثقلت عليه
وطأة الفصل بين الجنسين ، فلما نقل إلى هذه
المدرسة كان يأبى بمحدث الفتيات ويرى في ذلك

يتجاهل هذا وينفى عنه ويكلمها كما يمكن أن يكلم
 أية فتاة ، خفق قلبها ورضيت عن نفسها وعنه
 واتصلت الأسباب بين الأسيرين ، وتبوءت
 الزيارات وكثر لقاء الأستاذ السدير بناهد . وكانا
 كثيرًا ما يقفان في شرفيهما للتجاورين يتحدثان
 واستطاع بلباقة أن يزيل السكفة . وتدبقت تدعوه
 الأستاذ ولكن اللفظ نقد ما كان له من الدلالة
 القدعة . وكان هو يتمدد أن يجمل من نفسه عادة
 لها وأن يشمرها أنه رجل وأنها هي فتاة ، وكان إذا
 لقها يحس أنها تم بآن تمد يدها إليه لتعنيته كما هي
 المادة فيتعمد أن يجمل ذلك ليذيقها الحرمان وإن
 كان طفيفًا وفي أمر لا قيمة له . وأحيانًا يريح كفه
 الكبيرة على كتفها ويحدق في عينيها كأنها يfokus
 على سرها ، فتطرف وتنفض حياء ويضطرم حيها
 التنوير الصبيح فيربت لها على ظهرها ويلبس ذقتها
 بأطراف أصابعه ، ويرفع وجهها حتى تلتق العيون
 مرة أخرى ، فتتسم وتنازع نفسه في أمثال هذه
 اللحظات أن يلثم فمها ، فيرد نفسه بهجد ويمضي عنها
 إلى النافذة وهو مطرق فتنبهه بينهما ولا يسرها إلا
 أن تفكر في هيئته وحالته ودلالة ما ترى منه .
 وقال لها مرة - وكان في شقتها - بعد أن
 شرب القهوة : « اسمي » وسبقها إلى النافذة :
 « ما قولك ؟ . بعد غد عيد الجلولس . »
 قالت : « آه »
 قال : « هذه فرصة يمكن أن نقتنمها للخروج
 مرة إلى الرياض »
 قالت : « لست فاهمة »
 قال : « لقد كنت منذ بضعة أيام في القناطر
 الخيرية .. »
 فسألته : « وحدك ؟ »

على بنت بأكثر من « نفس » ولكنها كانت تلح
 على ناهد أن تدخن وتمرض عليها السجائر كلها
 فتز ناهد رأسها وتشيع عنها بوجهها فافرة - من
 التدخين ومن الخائفة - وكانت سعاد ربما جج
 بها حبها لناهد فتطوقها بذراعيها وتضمها وتقبلها
 وتدعوها أن تفعل مثل ذلك فيضيق صدر ناهد
 بهذا الحب ، وتتلفت من عناقها متأففة متبرمة
 وتصبح بها . بس . فتكف سعاد وتروح تستنطفها
 وتسترضيها وتحاول أن تتألفها من نفرتها وترقد إلى
 جانبها على سريرها كالقطعة أو الكلب وترجو منها
 أن تدعها ترقد على سريرها لتتعم بقرها فتهرها
 ناهد - وإن لم تكن بها قسوة - ولا تزال بها
 حتى تعصبها عن سريرها فتقوم السكينة أسفة
 محزنة مطاطة الرأس ، فيرق لها قلب ناهد وتردها
 إليها وتقبلها وتقول لها : « الآن اذهبي إلى سريرك
 راضية » فيشرق وجه سعاد ويلتصم فيه نور البشر
 وتجري إلى سريرها قريرة العين
 وكانت ناهد تحس حين تاقى الأستاذ السدير
 وتتاح لها فرصة الحديث معه أن هذا خير عوض
 عما تعاني من حب سعاد لها - هذا على الأقل رجل
 ولم تكن تدرك شيئًا من الماني الجنسية بوضوح
 ولكنها لم تكن محتاج إلى أكثر من فطنة الفرزة
 ولم تكن خبرتها بالحياة والناس قد زادت بعد
 تركها المدرسة اكتفاء بما حصلت من التعليم
 الثانوي فقد بقيت حياتها في البيت - كما كانت في
 المدرسة - أشبه بحياة الراهبات في الدير سوى
 أن وطأة الرهينة في البيت أخف ، فلما التقت بعملها
 السابق فرحت بذلك وسرها على الخصوص أنه
 تناسى وهو يكلمها أنها كانت تليذته ، وكانت هي
 قد نسيت ذلك أيضًا ثم عادت تذكره حين رآته

يبتها أمام السراى .. »

فقال : « هل تريد أن يضحك مني الخلق ؟ »

تركيبن مني إلى عابدين ؟ .. لا لا لا .. »

قالت : « لن أدخل السراى .. نضمي أمام

البيت وتذهب أنت إلى التشريفات .. لم لا ؟ »

فقال : « لا يا سقى .. اذهبي أنت وحدك .. »

أو انتظري حتى أعود ثم اذهبي بالسيارة »

قالت : « يا بابا أنت مدعش .. أنتظر حتى

نتتهي التشريفات ثم أذهب ؟ .. وماذا أرى إذن ؟ »

طيب اذهب انت وحدك .. أقول لك .. خذني

معك إلى العتبة الخضراء .. »

فرضى وحملها معه في السيارة إلى العتبة الخضراء

ولو ألحت لجلها إلى ميدان عابدين ؛ بل لدخل بها

القصر ؛ فقد كان حبه لها — وهي وحيدة —

عظيما ودلالها عليه كبيرا ، وقلا استطاع أن يرضى

عن نفسه إذا هو رفض لها رغبة أو أبي عليها شيئا

ولم يفسدها هذا التدليل الشديد ؛ بل زادها حبا

له وإكباراً

ولقيت السمر عند قاعدة التمثال ، وكانت

معه حقيبة فحملها ومضى إلى جانبها صوب المحطة ،

وجلسا في القطار وكرا إلى ذكريات المدرسة

فمضى ذكر إحدى البنات البارزات ، وكانت

باهرة الجلال . فقالت ناهد : « إنها فظيمة ... »

يقال إنها تشرب الخمر ... » ، وخجلت من نفسها

لأنها قالت هذا واغتابت زميلتها ، ولكن

الاغتياب لذيذ

فقال الأستاذ السمر : « تشرب خمرآ ... »

وما خبر القليل من الخمر يا فتاتي الثقية الوزعة ... ؟

ليت مني شيئا منها أشربه على الطعام »

فقالت بسداجة : « ولكنها تلتف أنسجة

نظير له أن يدعها تظن ما شئت لأن هذا

أخلق بأن يزيدا تملقا به » وقال : « والحق إنها

جنة .. فتعالى تذهب إليها يوم عيد الجلوس وتنتدى

هناك .. أسبق أنا إلى المحطة وانتظر عند تمثال

نهضة مصر وتلحقين بي هناك .. سأعد أأأكل

ما نحتاج إليه »

فقالت : « ولكن كيف أستطيع ؟ .. ماذا

أقول لهم ؟ »

قال : « إذن سأنتظرك هناك .. الساعة

التاسعة تماما .. »

فاظهرت التردد وبدت عليها الحيرة فأراد أن

يستثير احترامها لنفسها فقال : « لا داعي من الخوف

علي نفسك من وجودك مني في هذه الحديقة المأمنة .. »

فاغضبها أنه يتوهم أنها تخاف وتأرت نفسها على

هذا الظن ، وفعلت ما كان ينتظر فقالت : « طيب »

وانصرف مسرورا راضيا عن نفسه ، وارتدت هي

عن الباب بمد أن شيمته إليه ساخطة عليه تقول

لنفسها (بظن أني أخاف منه .. بققف ..) وخطر

لها على الرغم من سخطها وفضها أن عينه براءة وأن

الشعر الكثيف الذي على ظهر كفيه جميل

وقالت لأبيها صباح اليوم الموعد : « أنت

ذاهب إلى التشريفات .. خذني معك »

فقطب وقال بلهجة المستغرب : « آخذك مني ؟

إلى التشريفات ؟ .. »

فأخبرها هذا جذا ، وقالت وهي تكاد تقع

عليه : « أنت ظريف يا بابا .. موت .. »

فقال : « .. ولكن ماذا تمنين ؟ .. آخذك

مني ؟ .. »

قالت : « إلى بيت زميلة لي من أيام المدرسة

أنفـرج من عندها على .. على .. على التشريفات .. »

والدماغ ... هذا ثابت عليك... كل كتاب في
الفسولوجيا يقول ذلك »
فقال : « أهنتك بما قرأت من كتب
الفسولوجيا ... طبعا قرأتها كلها ... بالبرية
والانجليزية والتركية واليابانية أيضا »
فقلت : « أوه ، إنك تعرف ماذا أسمى ،
فلا تهكم »

فقال : « بالطبع ... ولكن هل تعرفين أنت
ماذا تمنين ؟ ... الحقيقة أن قليلا من الخمر قد يفيد
فتاة مثلك ... يخرجك من هذا الجسد الصارم في
أمر لا قيمة لها ولا وزن ... يجعلك أقرب إلى
النوع الانساني ... ألا تشتهين أن تحبي ؟ ... مرة
واحدة ؟ ... لحظة واحدة ولو قصيرة ؟ ... حياة
خافلة ؟ ... »

فسمرت أن إلحاحه هذا عليها بهذا الكلام
يزعمها ... وأحست كما كانت خليقة أن تحس
لو أنه وضع أصبعه على ضلع من ضلوع صدرها
وغرزها ... وقلقت ...

وبلغا الرياض الفسيحة عند القناطر ، فاختار
مكانا ظليلا تحت شجرة لغاء وقعدا على دكة هناك
متقابلين وأخرج ما في الحقيقة استعدادا للأكل
وقال لها : « ربي هذا ... هذا عمك ... ويجب
أن تمنني شيئا لتستحق الطعام ... اكسبي رزقك
مرة بمرق الجبن ... »

ووضع زجاجة على الدكة ، فنظرت إليها وتناولتها
وقرأت ما عليها وقالت : « هذا نبيذ ... »
قال : « نعم نبيذ ... ومن خير الأنبيذ ...
نبيذ الرين ... يجب أن يوضع في الثلج ... سأدعو
خادم البوفيه ليجيئنا بوعاء وثلج »
وذهب ثم عاد فألفاها لا تزال تتأمل الزجاجة

وسمعا تقول وهي تبسّم : « لا أذكرك أني رأيت
مثلا من قبل ... رأيت زجاجات الويسكي فان أبي
كان به ... أكثر الضباط يشربون الويسكي بعد
ولكن النبيذ ... لا ... لم أره من قبل ... شكل
الزجاجة جميل ... »
فسألها : « هل تريد أن تقول إنك لم تذوقيه
من قبل ؟ »

قالت : « أبدا ... شربت مرة قطرة ... قطرة
ليس إلا ... من البيرة ... وكم كرهت طعمها ...
أما النبيذ ... لا أبدا »
فسألها وهو ينظر إليها - يحدق في عينيها -
ويبتسم : « وما قولك في أن تذوق هذا وتكره طعمه
بعد ذلك ؟ »

قالت : « سأخذ قليلا إذا سمحت ... بالطبع
هذا عيب ... ولكن وجودي مذكور هنا أيضا ...
كشرب النبيذ ... »

فسره حسن التعبير وابتسم لها ولم يقل شيئا
وكانت صادقة ، فاذاقت من الخمر إلا قطرة كما
قالت من البيرة ، وإلا قليلا من الكونياك تحتاج
إليه الفتيات أحيانا ليهون ما يمانين من أوقات مملوءة
وأكلت من السندويتش ثم بدأت تذوق
النبيذ ومطت شفقتها فقد وجدت طعمه كطعم
الخل ، وخاب أمها فيه كما خاب في البيرة من قبل
وعجبت للرجال ماذا يجدون في هذا الشراب وأمثاله
من اللذة

وقال لها : « هل لك في كأس أخرى ؟ »
فهزت رأسها وقالت : « لا مزمى ... يظهر
أن المادة هي التي تجعل مذاقه سائفا »
فلم يلح عليها بل قال : « لا بأس .. هذا يترك
بقية الزجاجة كلها لي وحدى ... مرسى »

وصارت على صدره ، وخيل إليها أنها تستطيع أن تبقى كذلك الى الأبد . وكبر بها الى الذكّة وأخرج السجائر وقدم إليها واحدة فحاولت أن تذخن للمرة التاسعة أو العاشرة في حياتها . وللمرة التاسعة أو العاشرة أخفقت ولم ترض عن الطعم الذي وجدته ولكنها مع ذلك كانت مسرورة — النبيذ الماسخ وهذه الذكّة الخشبية الناشفة والأرض الخضراء التوجة والأشجار الباسقة الهرمة والشمس التي تملأ الدنيا بشراً ودفاً وأخيراً هذا الرجل

ولم تفزع بل أحست بالرضى والاعتباط حين دفع ذراعه ، فأحاط بها خصرها وأمال خدها الصابح على كتفه ، وسرها أن تلمس بخصها ثوبه الخشن الدافئ ، ولكنها استاءت لما رفع عيائها إليه ليقبلها ، وحدثت نفسها أن الرجال جميعاً هكذا ، وإن كانت هذه أولى تجاربها ، ورأى هو اقتباسها . فقال لها وهو يضحك : « هل تعرفين حكاية الرجل الذي سأل الطبيب هل يمكن أن يعيش — كأييه — مائة سنة ؟ فسأله الطبيب : هل هو يدخن ، أو يشرب الخمر ، أو يحب النساء أو يحب الليل بالسمهر ، أو يهوى شيئاً من الأشياء التي يكلف الناس بها . فقال الرجل : إنه لا يفعل شيئاً من ذلك ، وأنه لا هوى له في شيء ، فحجب الطبيب وسأله : إذن لماذا تبقى أن تعيش مائة سنة . ماذا تصنع بها ؟ »

وأدهشها أنه طوفها فجأة وأهوى على فمها بالقبل في غير رفق حتى لأحست أنها توشك أن تختنق ، واستغربت من نفسها أن امتناخها حين همّ بتقبيلها أول مرة زال ، وأنها لا تستطع على الرجال : بل أدهاها أنها شمعت أن شفتيها دبّت فيها الحياة وقالت بضعف : « أرجو ... »

فحدثت له أنه لم يلع وشمرت بالاطمئنان ، فقد كان الخوف يساورها على الرغم من تشجيعها وسرعان ما أحست أن ممدتها حيث يقبل النبيذ ، فدفدت يدها وأترعت لنفسها كأساً أخرى ولحها الأستاذ فتعمد الاغضاء وشمرت بالذند والخفة والسرور وحلت المناظر في عينها وأحست أنها تريد أن تجري هنا وهناك — وهل هي إلا طفلة ؟ — وأدرك السميز ذلك فنظر اليها وقال : « لم لا ؟ قوى اجري ... سابقتي ... أو أقول لك ... هذه كرة جئت بها معي ... تعالى فلمب بها ... »

وكانت قد نهضت فأنحنت عليه وهو يخرج الكرة من الحقيبة وقالت مستغربة : « كرة ؟ .. كيف خطر لك أن تجيء بها ؟ »

فقال : « من أجلك ... يا صغيرتي ... » وأخرج شيئاً آخر ملفوفاً في ورق وقال وهو يلوح لها به : « وجئت أيضاً بشيكولاتة ... لفاتنا الصغيرة فإن الصغيرات يحببن الحلوى »

فقال : « أتسخر مني ؟ » قال : « أولست صغيرة ؟ » قالت : « صغيرة بالطبع ... ولكن ليس الى هذا الحد ... لست طفلة »

فقال : « حسن ... نرد الشوكولاتة الى مكانها ونذخرها لهنّ صغيرة ... »

فصاحت به : « لا لا لا » وضحكت وخطفت الشيكولاتة

ولمبا بالكرة قليلاً وسرها أن رجلاً طويلاً عريضاً مثله يلاعبها وكادت تقع منزهة وهي تحاول أن تلقف الكرة ، فأدركها — أحاطها بذراعه فتملقت به ابتغاء للسقوط على الحشائش البليلة

إلا ما تحس ... طيبة ... »

فأغضبتها هذه الجملة منه عليها بالامسوخ تعرفه ،
وأسخطها أنه يستفزه ، واستصغرت منه ما يحاول
من تحقيرها ، ونفرت من لمجة الشموخ والثمالى
فقال له بجرأة أدهشها هي قبل أن تدهشه : « ألا
يمكن أن يخطر لك أن في نفسي حرارة كافية
ولكنك أنت لست ذلك البطل اللغوى الساحر
الفائن الذى تتوهم ؟ . يمكننى أن أقول لك إني وأنا
صغيرة أحببت ابن البقال الذى كان تحت بيتنا ... »

كان صبيًا مثلى ولكنه كان فيه رجولة ... لم يكن
حائشًا يرسل يده كالأفعى ليلس الثدى .. لم يكن
يحاول إغراء البنات الساذجات بقلب دروس
التاريخ قصصاً غرامية وتصور الدنيا كلها كأنها
ليس فيها إلا رجال يتزنون ونساء تركهن الشهوة
الجامعة كالورقة المبلولة . لقد عميت لحظة عن
حقيقتك ولكنى الآن أراك .. كما أنت .. فآرة ؟
مالك أنت ؟ . من فضلك اسمح لى أن أعود .. »

ونهضت ووقفت معتذلة القامة كأنها أنهاها
الجندي وخيل إلى الأستاذ السميع لحظة وهو ينظر
إليها منهوكة أنه لن يستغرب إذا طر لها شارب ..
وعجب لأنوثتها أين ذهبت ، ولذلك اللين الساحر
فى عودها ماذا صنع الله به .. منذ دقائق كانت إلى
جانبه ، وكان يحبسها كالزبدة الطرية والآن .. تقف
كالرمح ... بنت أبيها ... عجيب ...

وقال وهو يعد إليها يده : « إني آسف ...
وممتذر ... وأصدقك فأقول إني كنت أتوقع ولا
أستغرب أن أسمع منك شيئاً أو زجراً أو نحو ذلك
ولكن هذا الكلام ... أعترف أنه آخر ما كان
يمكن أن يخطر لي أن أسمعه حتى من رجل فكيف
بفتاة غريبة مثلك »

فصاح بها : « ألا تريدن أن تكوني امرأة
حقيقية ، لا مجرد فونوغراف يمسد ما يحفظ فى
المدرسة ؟ ... ألا تشتهين أن تحسى وتشمرى
بجسمك يمترق وتضطرم فيه النار ... تندلع من
أخص القدم إلى الرأس ؟ ... هه ؟ »

فقات : « لأأدرى ... أعلن ... ولكن ... »
فصاح بها مرة أخرى : « ظننني ماذا ؟ ...
خائفة ؟ ... هه ؟ »

وجذبها إليه مرة أخرى وقبلها بنصف ، فزاح
بصرها ، وخفق قلبها ، وسرت فى بدنها رعدة
خفيفة - من السرور لامن الفزع أو الجزع -
وخيل إليها أنها كرمال الشاطئ الجافة التى ارتفع
للد إليها بلأه فرواها ، ولكنه أسرف فى التقبيل
وعنف فى الفم ، فأحست بالبرد والفراغ فى بدنها
ووسمها أن تصيح به كما كان يصيح : « بس ...
قلت لك بس ... » ، ولم تكن قد قالت له « بس »
ولكن هكذا زعمت ... فغلاها ، ولكنه ظل
ينظر إليها نظرة الصبي الذى يعمر صدره اليقين
بأنه ذاهب إلى اللعب ليرى الدبة الراقصة وقال :
« إنك فآرة ... ليس فيك حرارة »

فساءها ذلك وقالت : « فآرة ؟ ... لقد صرنا
نتكلم بصراحة ... لا لست فآرة .. وأقول لك
إني استطيت القبله الأولى ، ولكنك أردت بمد
ذلك أن ... باختصار ... زدتها ... فهل يرضيك
هذا الاعتراف ؟ ... فآرة ؟ ... »

فقال وهو يتألمها : « نعم فآرة ... ليس
الذى فى عروقك دم حار ، وإنما هو حبر أحر ...
تكلأ ، لا حرارة على الإطلاق فى هؤلاء الفتيات
المتصلبات ... لقد أصبحت أوأمن بالمرأة الأمية ...
إنها على الأقل لا تتكلف ولا تتفلسف ، ولا تعرف

وحدها بل منها ومن التجربة ... وأى تجربة لهذه التي لعل أول من قبلها كما قبلها . . ولكن من يدري . . . كيف أكون واثقا بصد الذي سمعته منها ؟ المرأة انزعج . . أهو ذكاء فطري . . . !

وافترقا في اللحظة بلا مصافحة ، وعاد كل منهما إلى البيت من طريق ، وحلت النبوة ووقعت الجفوة ، وقرر الحال بين الأسترتين ، وانقطعت الزيارات ، وامتنع التلاق ، وصارت هي لا تخرج إلى الشرفة حتى تستوثق أن شرقة خاليتها ، وصار هو يرتد أو يحول وجهه إلى ناحية أخرى إذا برزت في الشرفة أو أطلت من نافذة : وكان كلامها مع ذلك مشغولا بصاحبه . . هو يندم على ما كان ويحدث قومه أنه فقد كنزاً ، وإن كان كنزاً رهيناً . . كنزاً فيه أو هو في بركان . . . وهي تجلم وعينها مفتوحة بالقبلة الحلوة ، والضمة القوية ، والشمر الكيف على ظاهر اليد ، وتتساءل عما وراء ذلك من أسرار التهمة الخفية . . .

وجاء يوم أحسبت فيه أن أمها تقيمها بمينها ويحملكها أبداً عليها ، وخيل لها أن أباهاً ربما أحياناً بنظرة فاحصة ، وزاد قلقها أنهم لم يقولوا لها شيئاً ولم يستغفروا هذا الفتنور الحاصل بين أسرتهما وأسرة السمير بصد الاختلاط الوثيق ، وأنهما لم يسألاها حزة من شيء . وثقل هذا الشعور على نفسها وحيرها الأمر ، ولم تدر ماذا تصنع ، وازعجت نفسها أن تصارع أباهاً بالأمر كله ، فقد كانت على خلاف المألوف المعود تسكن إلى أبيها وتبته ما في نفسها واثقة من عطفه وفهمه ، ولا تفعل ذلك مع أمها ، ولكنها ترددت وطال التردد ، وخطر لها مرة أخرى أن تكلم الأستاذ السمير نفسه في الموضوع . ولكن ماذا تقول له ؟ . . أتستجده . .

فكانت تبسطة : « إلى فتاة غريبة ... هذا صحيح ... لا تجربة لي ... لم أعرف الرجال ... ولكنني لست ... لست حمارة ... وثق أن كل الفتيات مثلي ... تنقصهن التجربة ولكنهن لا ينقصهن الإدراك الصحيح ... يستحيين أن يقلن ما يعرفن ... هذا كل ما هنالك ... ولكنني أنا تمردت ألا أستحي ... لماذا أخجل ... ؟ » وهزت كتفها ومشت أمامه

وعاد في صمت وكانت هي تحدث نفسها وهي جالسة في القطار تحترق ما بدا من صفاء لها ، غير أن صوراً معينة أبت ألا أن تخالها — منظر كفه الكبيرة التي يكسو ظهرها الشعر . . ورأسها المسائل على كتفه الخشنة . . وشفتها على شفتيها . . وحلاوة القبلات الأولى المباحة . . حلاوة لا عهد بها ولا كان في ظنها أن مثلها استفاد من الشفاء . . وودت لو تعرف من أين يجيء هذه الحلاوة . . . ولماذا تسرى الرعدة في البدن . . أترى الشفة باب شيء ؟ باب إلى ماذا ؟ هذا المجهول ماذا هو ياترى ؟ وكان هو يتحدث نفسه أنها نسخة طبق الأصل من أبيها ، وأنها جدية أن تلبس بذلة صفراء . . . كالكي . . . وتبدو في شكة عسكرية . . . والكلام الذي قالته من عليها إياه . . لم يكن يعرف أن فتاة غريبة مثلها — هي غريبة على التحقيق — يمكن أن يكون هذا إدراكها وتلك لهجتها . . . لو كانت في الستين من عمرها لكان كلامها غير مستغرب . . أما منها . . . عجيب . . . أراها تقرأ كتباً . . . ولكن أي كتب . . . لتقرأ كل ما في الدنيا من كتب فانما المبرة بغير ذلك ... النبرة بماذا . . . لا أدري كيف أقول ، ولكنني أظن أن الكتب وحدها لا تكفي . . الإدراك الصحيح يجيء لامن الكتب

أطلب منه النجدة ؟ ..

وضاق صدرها بما أجن ، وقلها بما وجد ،
وكان صدرها يمن للأستاذ السмир خليطاً هجياً من
الموى والنفور والشوق والامتناع ؛ وخيل اليها
أيضاً أن قلبها يمن له الاحتقار ، ولكنها لم تستطع
أن تقنع نفسها بهذا . واتفق يوماً - أو ليلة على
الأصح - أن دخلت على أبيها ، وكان وحده ،
فقالت : « هل أضايقك إذا بقيت ؟ » فأفسح لها
إلى جانبه ولم يقل شيئاً ، وقعدت وطال الصمت ،
وتوهمت أن أباه ينظر إليها خلسة ، وكبر في ظلها
أن على لسانه كلاماً يرد نفسه عنه بجهد ، فلم تمد
تطبيق وصاحت به فجأة ووضعت يدها على صدره
المريض : « أبى ... » وانطلقت تحدّثه وتروى
له ما كان ، وهو مطرق يسمع ولا يقطع ولا يقول
شيئاً حتى انتهت ، فرفع اليها وجهه الشاحب
وابتسم ، فأنفجرت باكياً ، فربت لها على ظهرها
وقال بإيماء : « لم يحب ظى بك » خفت دموعها
بسرعة وحذقت في وجهه وسألته :

« هل ... هل ... كنت تعرف شيئاً » فقال :
« كلا ... لم أكن أعرف شيئاً ... كنت أشعر
أن هناك شيئاً ... وأتوقع أن تقصيه على ... وخيار
لى أنت أذهب إلى الأستاذ السмир وأسأله ...
لا لا لا لا لا ... لا تجرّجى ... لم أفعل شيئاً من
هذا ... ارند إلى عقى ... لم تكن فى حاجة إلى
الكلام معه ولا إلى سؤاله لأنه هو جاني أمس
وسألني هل أرضى أن أزوجه منك ... واعترف
أن هذا السؤال زاد قلقي ... خفت أن يكون قد
حدث أمر خطير ... فقد كان يكلمني وكأنه يشيع
ميتاً ... اعتقدت أن هذا الطلب تكفير عن إساءة
خفت أن يكون هذا هكذا ... لم أقل له شيئاً ...
بل قلت له : إن هذا سؤال جوابه عند ناهد ...

فقال : إذن لا أمل لي ... فاستغربت وإطمأن قلبي ..
ساعجني يا ناهد إذا كنت قد فقت عليك ... لم
أسي بك الظن ... ولكنك صغيرة والرجال
شياطين ... وقلت له هل يتصور أن من الممكن أن
يتزوج فتاة متملة في هذا العصر على رغم أنفها ...
أو هل يريد مني أن أكون جلاباً ... نهايته هذا
ما كان ... فما قولك ؟

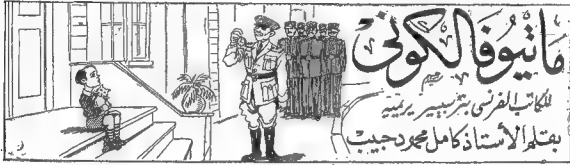
فأطردت ثم رفعت رأسها وقالت : « لا أدري »
وهزت رأسها : « ينجل إلى أحياناً أني أحبه ...
وأحياناً أخرى أني أحتقره ... لالمت أحتقره
ولكني لا أطيع سخريته وتماليه ... بارد ... »
فابتسم ابتسامة العارف القام الدرك وقال :
« هذا التردد معناه أنك راضية ... لا تقاطعي ...
انتظري ... أنت مشغولة به ... وهل الحب إلا هذا
الشفلات ؟ ... أنا أعرف ... أبوك يعرف ...
يا ناهد صدقيني ...

فتركت الموضوع وأغراها الفضول بسؤاله :

« هل أحببت في حياتك يا بابا ؟ »
فقال : « طبعاً أحببت » ثم أسرع فقال : « أمك »
فربت له على خده الخشن وإن كان حليطاً
وقالت بلهجة من يدلل طفلاً ، وأحست وهي تفعل
ذلك أنها يستطيع أن تكون أما لهذا الرجل
الكبير الضخم الأبيض الشعر ، وشمرت بفيض
من الحنو : « وهل أحببت غيرها .. غير أي ؟ »
فارتبك وارتفعت يده إلى شاربيه وقال : « إيه ؟
ما هذا الكلام ؟ قوى .. قوى .. قوى ... أ ...
أ ... أنا جائع »

فأنفجرت ضاحكة وقالت : « هذا أصرح اعتراف
سمعتة أو سمعت به »

وخرجت تنساب لتسد له الطعام
إبراهيم هيد القادر المازني



ما يشقه من أعباء الحياة ومتاعبها. ثم جاءه
البشير ... لقد ابتمت له الأيام عن طفل هو أمل
الأمرة الحلو، وواحد، ووارث اسمها وأملها ..
هو فورتاتو؛ ودرج الطفل قرة عين أبيه وأمه ممّا
يسهران عليه، وبحبوانه يطف منها ورعاية، ثم
راحا ينشئانه ليكون صينو أبيه فشب وفي عينيه
دلائل الشجاعة والفراحة، وفي جسمه سمات القوة
والقوة ...

وفي كحوة يوم من أيام الخريف - والطفل
في الماشرة - انطلق الأب وزوجته يستطلعان
خبر غنمهما، وأراد الابن أن يصحبهما فأبى الأب
إلا أن يظل عند الدار يحرسها

وتصرمت ساعات والطفل وحده ينطرح حيناً
في دعة أمام الباب، تحت أشعة الشمس الهادئة؛
وحيناً يستمتع بالنظر إلى أشجار الغابة الباسقة،
وإلى الجبال الشاهقة على مرمى البصر؛ وبذلك حيناً
بالأخيلة الجميلة تضطرب في رأسه حين يتخيل إليه
أنه سيزور المدينة يوم الأحد فيرى عمه القائد،
ويجول في أرجائها فيشهد أشياء حرم منها حيناً
من الدهر؛ وسيطرت عليه الفكرة فابتسم، غير
أن صوتاً سلبه من لغة الخيال وأفزعه عن مكانه
فهب يرى ... وأحس كأن قلبه يتخلع من الذعر
والخوف، لأن ما سمع هو صوت طلقات نار بقرعة

مانيوفا الكوني رجل عند الحسنيين، متكفل
العزل، مقتول الذراعين، مريض ما بين المنكبين،
خفيف الحركة كالسنور؛ له عينان كبيرتان تنبش
منهما أشعة قوية نفّاذة، وشفقتان رقيقتان، وشعر
أسود جمد. ذهب سيمه في أرجاء وطنه - جزيرة
قورسيقا - بما له من مقدرة عجيبة على إصابة الهدف
فهو أتى رمى أصاب، سواء بالليل أم بالنهار - وهو
لطيف المشر، رضى الخلق؛ فإذا جرح أو أمتن
فهو عدو لدود فيه المتو والجبروت، ينزل عن
إنسانيته حتى يبلغ من خصمه مارباً ...

رجل مانيوفا الكوني عن مسقط رأسه الذي
نشأ فيه وترعرع إلى ثغر بورتوفيكو في جنوب
الجزيرة ليعيش هناك عبثة الهدوء والطمأنينة في
منزل ريفي وضع تحيط به غابة متشابكة الأشجار،
ملتفة الأغصان، في منأى عن ضجرب الحياة ولجها
وقضى دهره من عمره بتمهد بنفسه قطعة من الأرض
وبعض قطمان النعم، فينال من كل ذلك ما لا يرفه
إلى صف أعيان الريف وأغنيائه؛ ثم هو سخي سمح
طلّق اليدين والوجه، سريع إلى الخير، بطيء
عن الشر

تزوج مانيو من جيوزيا صغيراً فرزق منها
ثلاث بنات تزوجن جميعاً؛ واستطاع هو أن يجد
الموتة في أزواج بناته، غير أن قلبه ما زال حزينا
بأسف على أن لم يحبه الله بذكر يحمل عنه بعض

وهو يدس القطعة في جيبه ، ويهيل التبن على الجرم
الجريح ؛ ثم انطلق يمشي آثار الدم في دقة ومهارة ؛
ثم استلقى أمام الباب كأن شيئاً لم يكن ..

وجاء الشرطة — بمدعين — وعلى رأسهم
ضابط ... إنه هو تيودورو جامبا ابن عم فورتناو ،
وهو فتى بفورقة ونشاط ، يتخصص الجرمين
والجناة لا تأخذه بهم رافة ولا شفقة ، ويتقن في
آثارهم في غير هواة ولا لين ...

وايقسم الضابط وهو يسير إلى ابن عمه فورتناو
يسأله خبر الجرم الفار : « أوما رأيتم رجلاً يمر بك
الساعة ؟ » قال الصبي : « آه نعم ، رجل
يمر في الساعة ١ » قال الضابط : « نعم رجل
ذو لحية طويلة ينزف الدم من غخته » قال فورتناو
وهو يمشي بآبى عمه : « نعم ، تذكرت ، إنه
القسم ، لقد كان يعطى صهوة جواده الجميل
بيرو ... » وأثر غضب الضابط أن رأى الصبي
يهزأ به ، فقال : « لقد رأيته ، فأين هو ؟ قل أيها
الحديث وإلا ... » وراح الصبي يستخربه
الضابط : « أفتراى استطيع أن أراه وأما تأتم في
هدوء ؟ » فقال الضابط المنيف في شدة : « قل
أيها اللعين ، إنه سر بك الساعة ١ » ، وأجاب
الصبي وهو يمس في تهكم : « أنا فورتناو ،
وهذه دار أبي ماتيو فالكوني ، أفتريد أن تستجم ؟ »
ونفذ صبر الضابط ، فاندفع في حلق يأمر
الشرطة : « إلى الدار أيها الرفاق ، فلا بد أن يكون
هذا الشيطان قد خبأ الجرم ١ » . وانطلق الشرطة
بصدعون بما أسروا ، وأمسك الضابط بأذن الصبي
يمنعه وهو يتملص ويصيح : « إن أبي ماتيو فالكوني
لا يرضيه أن يدخل جماعة من الأغراب داره وهو

ومتوالية تقترب منه رويداً رويداً . وأجال بصره
فما حوالبه فابدا له غير شبح يهدف إليه من الغابة
يتكفأ في طريقه ، ويتحامل في مشيته ، من أثر
الآين والتنب ، والدم يتقاطر أرسالا من غخته

لاجرم ، فهذا مجرم انسل ، والليل ساج ، إلى
المدينة ؛ فاحبط عليه الجند ، فأسلس وانقاد بمد لآي
ثم وجد مهرباً فأفلت يريد الحرية ويحطم قيود
السجن وهي تنتظره على خطوات ؛ وهم على أثره
لا يصيدهم الجهد ، ولا ينال منهم النصب ، يعطونه
بوابل من بنادقهم ، وهو يدفعهم عن نفسه بالرصاص
والحرب في وقت مما

لقد كان ضخم الجثة ، حيوان الظهور ، زرى
الهيئة ، رث الملابس ، كث اللحية مرسلها ، أشعث
أغبر يمش في النفس التزع والرع ، غير أن الأعياء
تركه محطاً ضعيفاً

ثم انتهي إلى الصبي ، ووقف إزائه يطلب إليه
أن يجده منفذاً « إني جيانيتو سانبيرو ؟ إن
الشرطة على أترى ، وأنا لا أستطيع الحرب ، أفلا
أجد في دارك ملجأ ؟ » وأشاح الطفل عنه — يادى
ذى بدء — وأبى عليه بمض ما طلب ؛ فراح الرجل
يهدد ويتوعد ، غير أن الطفل كان يرى ما يقامى
من ألم وما أصابه من كلال فقفر بعيداً وهو يقول :
« لا بدتقنك تستطيع أن تصل إلى لأنك تفنقر إلى
الذخيرة ، ولا حركتك تنال مني مارباً لأنني في
حصن منها حصين ١ » وأحس الرجل بمقابلة أسره
فاندفع يستعطف الصبي في ذلة ، ويترضاه في لين ،
ويلوح له بقطعة فضية من النقود يداعبها بأصابعه ؛
فاستيقظت الشفقة والزحمة في قلب الصبي ، ورأى
في قطعة النقود أجر ما يقدم من خير فتعلق بها
بصره ... ثم انفجرت شففته من ابتسامة رقيقة

ثم يتدافعون نحوك يسألونك : « كم الساعة ؟ » وأنت تبسم . . . وبدا للضابط أن عيني الطفل قد انبثت منهما شعاع من أمل ، وشعاع من طمع ، وهو يحدج الساعة بنظرانه ، ويقول : « لا ، لا أريد ، إنه حين تكبر سنى سيمطبنى عمى القائد ساعة أجمل من هذه » قال الضابط : « حقاً ، غير أن لاينه ساعة كهذه ، وهو أصغر منك سنّاً » ، وخيل إلى الصبي أن الضابط يسخر منه ليستدرجه فقال : « أقمزأ بي ؟ » قال الضابط وهو يقدم الساعة إليه ، وقد عاد إليه الأمل مرة أخرى : « هاهى ذه فخذها ، ثم أخبرنى أين هو المجرم جيانيتو ؟ » ، وتقدم الصبي في هدوء نحو الساعة رويداً رويداً وهو يراها وهماجة براقة ؛ تحت أشعة الشمس ، تخطف البصر ، ثم أمسك بها بقلها بين يديه ، وقد استبشش وانبسط أسارىه ، ونفسه محدثة : « ألقى بقطعة النقود إلى صاحبها ، وخذ هذه فعلى أعلى وأمين ! » ، واصطرعت في نفس الصبي عوامل الوفاء والجشع ؛ أفيخون عهده وينقض موأثيقه ؟ ولكن الساعة .. الساعة ! أفيفقدها بعد إذ احتوتها يداه ؟ وغلبه الحرس والطمع وحسب المال جميعاً ، وهو قبالة ابن عمه الضابط ، ومن خلفه كومة التبن ؛ فرفع يده في هدوء يشير إلى الوراء . . . إلى كومة التبن . . .

وتدافع الشرطة ييمثرون كومة التبن هنا وهناك ، فانفجرت عن جريح لا يستطيع أن يحمل نفسه ، وفي لحظة البصر زرع الشرطة عن جيانيتو بندقته وحرجه ، وشدوا وثاقه ؛ غير أنه استطاع أن يدير بصره نحو الصبي ، ومن حجاجيه شرد

غائب ! ، وراح الضابط يهدد الصبي : « أولى لك فأولى ! أفلا تعلم أننى قادر على أن أحلك إلى كورت أو إلى باستيا فألقى بك في غيابة السجن ترسف في أغلال من حديد ، ثم أضع رقبتك بين حدى المقصلة جزاء ما فعلت ؟ » ، وأغرق الصبي في الضحك لما سمع . . .

وارتد الشرطة بعد أن وجدوا الخيبة والفشل وجاء واحد منهم إلى الضابط يقول : « لم نجد أحداً فلنتلمس طريقاً غير هذا ! »

وبدت الدهشة على وجه الضابط جامدا حين خيل إليه أنه مضى بالاخفاق ، واضطرب حين لم يجد الطريق إلى فريسته . إن البار أمامه ، وهو يستطيع أن يرى كل ما فيها في نظرة خاطفة ؛ فهاهى غير حجرة واحدة عارية عن الأثاث ، لقد سيطر عليه الارتباك ، والصبي إلى جانبه يداعب قطعة ويسم لمسام فيه من حيرة

ياضيمة المجهود ، وبأخيرة الأمل ! لقد هموا يريدون الرجوع بعد ما بذلوا من جهد ، وما لاقوا من عناء ، غير أن عيني الضابط لمتا حين بدت له براقة من أمل . لقد تهدد الصبي فأجدى التهديد ، وتوعده فأغنى الوعيد ؛ فليطرق باباً غير هذا . . . فالتفت إلى الصبي : « فورتناو ، لقد ظننت بك سوءاً ، ولكننى وجدتك شجاعاً ذكياً ، ليتك تصحبنى ! » قال فورتناو وهو ما يزال يثبت بآني همه : « جامبا ، أسرع إلى عمك وإلا اختفى جيلانيتو فلا تتمر عليه أبداً ؟ » وأخرج الضابط ساعته الفضية وهو يقول : « أفلا تريد أن يكون لك مثل هذه الساعة ، فتتمشى الخيلاء بين رفاقك في شوارع المدينة ، وقد علقت في صدرك كأنها وسام ، والناس من حولك ينظرون ويمجّبون ،

يا الخنية ! » ، ثم التفت فوجد جيانيتو ماقى على سرير من قش ، شدَّ إليه في غير رفق ولا لين ، وثبت بصره على الرجل فا استطاع أن يحوله وفي رأسه الأذى والأسف ، وفي وجهه السبوس والحزن ، وفي عينيه اللوعة والحسرة ؛ فرأى الرجل يدبر بصره نحو الدار فيصق ويقول : « هنا ، هنا ، دار الخانئين السفلة ! »

أى امرئ تحبته نفسه أن يهين هذا الرجل القورسبقي وهو بضن بكرامته أن تلم ، ويصون شرفه أن يمتن ؟ ويل له ... ويل لمن تنفرج شفتاه عن كلة يستشمر منها ماتيو بالاهاة والسخرية إن طلقة واحدة من بندقيته ، أو رمية واحدة من حربته هي المقاب الوحيد لمن يفيل ! ثم هو لا يطعن خاطره أو يهدأ باله إلا أن يشل الاهاة بدم التبعج الجري ! ولكن ... ولكن ماذا يفيل وابنه هو الذى لم عرضه ولوث شرفه ؟ لقد أحس بوخزات الألم بحز في قلبه ، ورأى الفضيحة والعار فيما فعل ابنه ، فوضع يده على جبينه للتسمر والمهوم تتنازعه ...

وأراد الابن أن يرضى الرجل المسكين حين رأى ما ارتسم على وجه أبيه فولى وجهه شطرا الدار ومشى يتأقل ثم عاد وبين يديه وعاء ملي لبنا وقدمه في ذلة وخضوع الى جيانيتو ، غير أن الرجل صرخ في وجهه : « تنج ، تنج أيها الس ... » ثم التفت الى شرطى الى جانبه يطلب اليه ماء ... لقد شرب من يد الشرطى وهو كان — منذفرة — يصب عليه وابلا من رصاص ؛ أما ابن ماتيو ... ماتيو قالكونى ...

وانطلق الضابط والشرطة يحملون المجرم الى

بسطير ، ثم بصق وهو يقول : « أيها الس ... ! » وألقى الصبي قطعة نقوده ، وجيانيتو في شغل عنها يقول للضابط : « عزيزى جابيا : إننى لا أستطيع السير ، فسترغون على حمل ! » ، وشمخ الضابط بأنفه في كبرياء ، وصمصر خذه في صلف ثم قال : « إن نشوة الانتصار ، ولذة الفوز يمتنان في قوة أستطيع بها أن أحملك وحدى على كتفى حتى تبلغ المدينة »

ونفرك الشرطة ، فبعض بأسو جراح جيانيتو وبعض يهين له سريراً من قش ، والضابط بأزائهم ينظر ... وعلى خطوات الصبي فورتانتو يداعب ساعته فرحاً متهللاً ... وبينما كل في عمله لا يبنى ولا يتباطأ هبط ماتيو قالكونى وزوجته ...

ووقف ماتيو قالكونى حائراً لا يدري مما حوالبه شيئاً ، ولكن جابيا اندفع يقص القصة ويثني على فورتانتو ، ويشكر ما أسداه إليه من خير ، واستطرد في حديثه : « إن هذا المجرم الأثيم قد دفننا عنه في قوة وشدة ، ثم اندس في التبن ، فا استطاع واحد أن يستشمر وجوده ، ولولا فورتانتو ... » ، وصالح الأب والأم مما : « فورتانتو ! » ، قال الضابط في هدوء : « نعم ، لولا فورتانتو ما استطعنا أن نمر عليه ، ولذهب في الهباء ما طائنا من شدة وما بذلنا من جهد . سأخبر عمه القائد ليرسل إليه جائزة سنوية ، وسأسجل اسمك واسمها في التقرير الذى أرفقه إلى النائب العموى » ، واستشمر الأب شدة الصدمة فصدم قلبه حين بدا له أن ابنه باع شرفه بالتمن البخس ، فصاح من الأعماق صيحة خافتة كأنها صدى تحفقات قلبه المكسوم : « يا الخنية ،

دوى له المكان وتزلزلت منه قوة الصبي « اقرأ صلاتك ! » فاستل الصبي صرخاً . ثم رفع رأسه بمدحين ، وفي عينيه المبرات ، فقال الرجل : « هل أنتم ؟ » فقفا الصبي نحو أبيه « آه ، أبى ! أبى لا تقتلى ! الرحمة يا أبى والصنع ! لن أعود لثلمها . سأطلب الى عمى القائد أن يبادل سجينه بالحصى . أبى لا تقتلى ! ! إننى ابنك ! لقد أخطأت فأرجو الغفران والشفقة ! » ثم اندفع فى حديثه بلين ما قسا من قلب أبيه ، ولكن الأب كان قد صوب إليه بندقيته وهو يقول : « فليساعدك الله »

وأراد الصبي أن يتكبد على قدمى أبيه بقلبهما ، غير أن النية لم تعمله .. لقد دوت الرصاصة فاستقرت فى قلب الطفل نخر يتلوى ويتخبط فى دمه المتفجر وهو يئن : « آه ، آه ، آه يا أبى ! »

وقفل ماتيو راجعاً دون أن يلقى نظرة واحدة على جثة الصبي الهامدة

وسمعت الأم — وهى راكبة تصلى عند تمثال المذراء — دوى الطاق النارى فانشقت كبدها أسى ولوعة ، وتمزق فؤادها جزءاً على ابنها وأهلها ، حين بدا لها أنها فقدته إلى الأبد ، ثم انطلقت فى جنون التشكى تمررها المصيبة عركاً . وعلى خطوات من الدار رأت الأب يمدو مطرقة ذاهكاً ، تتوزعه الموموم وتتناهبه الأحزان بعد أن نفذ القضاء ، فاندفعت إليه وهى تصيح : « أبى ! ماذا ، ماذا فعلت ؟ » فأجاب الرجل فى صوت خافت ضعيف فيه أنات المفنود : « العدل ، العدل يا عزيزتى — چيوزيا ! » قالت : « وأين هو ؟ » قال : « هناك هناك فى المنحدر ، سأدفنه . لقد مات ساستنفر له دوى ! »

فلس محمد مهيبي

المدنية ، وماتيو وچيوزيا فى مكانهما مطرقين وقد اربد وجههما . والصبي بينهما يردد بصره فى وجه أمه حيناً وفى وجه أبيه حيناً آخر وقد ذهل عن نفسه . ثم نظر الأب الى ابنه فى قسوة وقال فى صوت أجش كأنه قصف الرعد : « حسن ما فعلت ! » وصرخ الصبي فرعاً : « أبى ، أبى ! » ثم انطلق يمشو هند قدمى أبيه والمبرات تتناثر من محجبه تسأله العطف والرحمة : فصاح الأب : « تنح ، تنح أبها النذل ! » فجند فى مكانه

ورأت الأم طرف السلسلة يتدل من جيب صديرة الصبي فقالت : « أنى لك هذه ؟ » قال : « أعطانيها ابن عمى جامبا » فزعها الأب فى شدة وألقى بها فى عنف على سخرة فتخطمت قطعاً قطعاً وهو يقول : « هذا هو أول خائن فى أسرنا ! » وانهمرت عبرات الطفل مرة أخرى ، وماتيو يمدح به بنظرات قاسية ملهية ، ثم صار فى صمت نحو النابة وبندقيته على كتفه ، ثم .. ثم نادى الصبي قبعه وهو يركى : وانطلقت چيوزيا على أثرها وقلبها يضطرب ، والأرض تكاد تعيد بها من فرط الشجن ، وأمسكت بذراع زوجها تستمطفه « ماتيو ، ماتيو ، إنه ابنك » فقال الرجل فى غيظ « ارجى ، ارجى ! إنه ابنى وأنا أبوه ! » فراحت المرأة تضم ابنها اليها فى قوة كأنها تريد أن تنتزعه من بين يدي أبيه ، وهى تذرف الدمع السخين . وعادت الى الدار يمشو عند رسم المذراء ، وتصلى فى خشوع وضراعة

وفى قلب النابة ، عند سخرة كبيرة ، وقف الرجل ثم نادى ابنه : « تمال ، تمال هنا يا ولد ، اركع واقرأ صلاتك ! » غير أن الصبي اندفع نحو أبيه : « أبى ، أبى لا تقتلى ! » فزأر الرجل زفيراً



— بخير
— لقد فاقني أن أعتك على نجاحك في انتخاب
المجالس البلدية الأخير حتى أن زوجي كانت عازمة
على تهنئة مسز بارت
— يسرنا أن نراكا أنا وزوجي في أى وقت
تشاءان

— ولكن خبرني يا سيد بارت لم تفكر في
بناء بيت جديد وبينك الذى أنت فيه الآن فسيح
جميل، فضمت بارت قليلاً ثم قال: حسن؛ إنا نريد
أن نعيش خارج البلدة، ثم إن بيتي الآن قد قدم
ثم أخذت العربية. تنهب بهما الأرض حتى
وصلاً أخيراً إلى البلدة فوجدنا الشوارع لا تزال
تفيض بالناس والمساكين تاتي بأنوارها على واجهات
الحوانيت، فلما أتيا المنزل أسرعت الزوجة
والأطفال إلى الباب يستقبلون رب البيت بمد
غياب النهار كله

فلما رأى بارت هذا صاح مبتهجاً: «إناك
لا شك سميد يا «دون» بهذه الزوجة وهؤلاء
الأطفال، كم أود أن يكون لي بيت كهذا».

فأجابه دون مبتسماً: «حسن. نعم إنا نعيش
هنا عيشة هادئة مطمئنة». فقال بارت وهو
يحاول إخفاء الشموخ بالمرارة والألم: «إن بيتي

كان السائر بمحاذاة التل الشرقى لا يكاد يسمع
رفيقه الذى يسير والتل الغربى، فقد كانت الأصوات
غيب وتخفى في مداخل البلدة التي تفصلهما.
أما في الليل فقد كان سكان تلك البلدة يسمعون
أولئك الفلاحين الذين يملأون الجو غناء وصفيراً.
وقد اتخذ الناس هذين التلين طريقاً للوصول
إلى البلدة. ففي ذات مساء قبل أن يبدؤا الشفق
ركب رجل نمليه وأخذ يتدحرج من ذلك التل
الشرقى إلى البلدة وقد حمل في يده حقيبة صغيرة
ومظلة، ولكنه لم يكدهم في طريقه حتى سمع
صوتاً يقول: «مرحبى «دون»! أهو أنت؟»
ثم وقف الشاب الأنيق المترف بمرتبته وقال: «هيا
اصعد حتى تصل إلى دارك»

فالتفت الرجل إلى مصدر الصوت فبصاحبه
مبتسماً وقال: «أشكرك يا سيد بارت»، ثم
ركب معه

كان بارت أكثر غنى وأنعم عيشاً من صاحبه
«دون» المسمى الناشي، إذ كان أبوه من كبار
تجار الصوف فاستطاع أن يجمع ثروة طائلة أصاب
الابن بعضها بجانب ثقافة عالية وخلق سمح كريم.
ثم أخذ الصديقان يتعادلان فقال «دون»:

— كيف حال مسز بارت؟

الحوانث، فذكرته هذه المناظر بما كان عليه والده من مجد وشهرة. ثم مضى في طريقه حتى وصل إلى منزل صاحبه «لوسى». فلما رآه اندفع الدم إلى وجهها وألقت عليه نظرة كلها دهشة واستخفاف؛ فلما رأى بارت منها هذا قال: «إني أعرف أنه ليس لي عمل هنا، ولكنى شعرت برغبة قوية إلى رؤيتك والاطمئنان عليك. هل لك أن تمنحني يدك لترى كم من مرة أمسكتها»

— إني أفضل أن أنسى الماضى لأن أذكره فاني لا أجد فيه ما يستحق الذكر أو يسمح لك بالجيء الى هنا
— ولكن ليس فيه ما يؤلم. انى لا أضايك كثيراً يا «لوسى»

— إني لم أتشرف حقاً بزيارتك من مدة، ولكنى لم أكن أنتظرها الآن. أرجو أن تكون مسروراً ببارت بخير

— نعم. نعم. أو على الأقل أظن هذا
— كيف هذا وهى زوجك؟

وفي هذه اللحظة أيقظت كلات ذلك الزائر الفضولى «كناريا» كان يتام في قصبة، فهب الطائر مذهوراً وأخذ يضرب القفص بجناحيه، فذهبت إليه لوسى ودنت منه وتمتمت ببعض الكلمات. فسكن الطائر إليها وعاد إلى هدوئه الأول. والحقيقة أنها حملت هذا التريح نفسها من عناء الحديث مع ذلك الضيف

ثم استطرد الرجل قائلاً:

«إني لم آت لأتحدث عن مسر بارت بل أتيت لأتحدث عنك أنت وحدك ولأنف على حالك منذ ذلك المصاب العظيم». قال هذا وهو يلتفت

الذى أقفم فيه صالح لي كما تقول، فقد بناء جدى منذ عهد بعيد ونشأ فيه والذى وقد ولدت فيه أنا وقضيت فيه سنى شبابي ولكنى أشعر الآن بالحاجة إلى منزل جديد
— لماذا؟

— سميًا وراء الهدوء، إني أطلب السعادة فلا أجدها.

ثم هم «دون» بالدخول فتعثر في المظلة والمحفظة فزلت قدمه وهوى على ركبتيه، فأمرعت إليه زوجته، وقد تماهات وجود بارت وأعانتة على الوقوف ثم قبلته قائلة: أرجو ألا يكون قد أصابك شيء يا عزيزى.. أما الأطفال فقد أحاطوا بالدم وهم يصيحون: «بابا بابا» فقال بارت وهو يدير عينيه بين الزوجة والزوج: لا بأس، ثم حياها وانصرف، وقلبه يلتفت إلى تلك المرأة

عاد بارت إلى منزله فلم يجد زوجته إذ علم من الخادم أنها ذهبت إلى «الخيطة». فصاح الرجل متعجباً: «أى خيطة في مثل هذا الوقت؟»

— لقد تناولت غداءها وخرجت وهى تمتدرد لك عن محبتها هذا الساء

— ولكنكها كانت تعلم بمجيئى الليلة
— نعم ياسيدى

— اذهبي إليها وأخبريها بأمرى

ثم جلس بارت إلى المائدة يتناول عشاءه في تراخ وكسل، وسرعان ما تذكر صديقه «دون»

وحياته السعيدة. ثم أخذ يقارن بين الحياتين، ثم نهض أخيراً وقد امتلأت نفسه حقناً ودلف إلى الخارج، وكانت الشوارع لا تزال تفيض بالأنوار تحية كلاً أبصر أمه أسرته على إحدى واجهات

إني غطت أن أشارك هذا الحديث . يجب ألا
تأتي إلى هنا . إني أخشى الفضيحة .

— حقاً . ليس لي حق في هذا ، سوف
لأعود ثانية

— إنه لمن حق الطبيعة البشرية أن يظن
الإنسان أن الطريق الذي لم يسلكه هو الأصوب .
فتقدم الآن قبل أن تعرف إذا كنت أرعى
بك زوجاً

وفي هذه اللحظة التقت عيناها بعينه فلم تقو
على النظر إليه وجأها صوتها ، ثم صمتا برهة ،
وأخيراً استأنفت لوسي كلامها فقالت : « إني
دونك جاهداً ومالاً . لذلك لم يكن أمر زواجنا
ميسوراً ، والآن أرجو أن تتركني »
— أجل ولكنني لن أقابل فتاة أعز منك .

ثم مضى

وفي اليوم الثاني جاء « دون » لزيارة صديقه
بارنت فلم يكده يدخل البيت حتى رأى مسر بارنت
خارجة من المنزل ، فالتفت إلى صديقه وقال :
« أود أن يصلح أمر كاريكا »

— إذن لقد سمعت بنياً الانفصال الأخير ؟
فحاول « دون » أن يخفي سروره في قلبه بأن
قال وهو يتظاهر بالأسف : « لا . لم أسمع عن شيء .
مهم . لكن لدى بعض أخبار غامضة عن ذلك »
— قد تظن أن الأمر تافه ، ولكنني أدري
فيه غير ذلك ، والآن كيف حال زوجك وأطفالك ؟
— بخير أشكرك ، فقد خرجوا اليوم كلام
للزهوة . إنك عصبي المزاج يا سيد بارنت ، وإني
لأذكر أيام التلذذ ، وكيف كنت تنور إذا مارس

أحد شعورك بكلمة

إلى صورة أيها التي كانت معلقة على الحائط
— لا بأس ، أشكرك

— ماذا كنت تعملين عندما جئت إلى هنا ؟
أنتظرين الأزهار ؟ — وعلى ضوء الشمعة ؟
— كنت أحمل الحوائث فقط . أحمل هذا
ليلاً توفيراً للوقت . فاني ملزمة بأجواز ثلاثين غطاء
في نهاية هذا الشهر

فنظر إليها بارت وقال بصوت المشفق عليها :
« حرام أن تجهدي عينيك هذا الاجهاد —
لا . إني أفضل الصبي على أن أرى هذا ببني »
فصاحت لوسي في وجهه : « وهل هذا هو
الوقت والمكان الذين تذكر فيهما هذه الأشياء —
لقد اعتدت أن تحترمني وتحترم نفسك .. أرجو
ألا تنطق بمثل هذا الكلام وألا تأتي إلى ثانية .
فاني لا أظن أن زيارتي ذات بال عندك »

— ذات بال ؟ لقد أتيت لأرى صديقاً قديماً
عزيراً — لا لأن أذكر هذه الأشياء . ولقد أتيت
لزيارة المرأة التي أحب ؟ فلا تفضي ، فاني لأستطيع
أن أمتنع هذا . إن كثيراً من الأشياء قد دفع في
إلى هنا — فقد حدث في هذا المساء أن قابلت
صديقاً ، فلما رأيت ما ينم فيه ذلك الصديق من
حياة منزلية هائبة ، مع أن إرادته لا يصل إلى
عشر إرادى استولى على شعور غريب دفنى إلى
هنا . آه إنه مصيري الذي ساقني إلى هذا . إني
لا أعرف كيف أفلت مني . فقد كنت المرأة التي
كان يجب أن تكون زوجتي ، ولكنني تركتك
تقتلين . يالي من أحمق !

فأجابته لوسي ، وقد أغرورقت عيناها
بالموع : « لا تتر هذا الموضوع من جديد .

— الى أين أنت ذاهب الآن ؟
 — الى الميناء
 — طبعاً . لقد بدأت طلائع الصيف وأخذ
 الناس يهرعون الى الشواطئ
 — لوسى . أراك اليوم ضامرة العود ، شاحبة
 الوجه — خبريني هل يمكنني أن أساعدك . إن الجو
 اليوم صفو والهواء رخاء عليل
 ثم مضى ، ولكنه لم يكذب بذهب بعيداً حتى
 هبت عاصفة شديدة غيرت وجه الطبيعة ، فبدت
 غيظة غاضبة ، وعندما وصل الى الميناء تقدم إليه
 أحد البحارة وهو يقول : « خطب عظيم يا سيدى »
 — ما هذا يا رجل ؟
 — لقد ركب اليوم سيدتان هما ممز بارت
 وممز دون أحد القوارب طلباً للثروة ، ولكنهما
 لم يبتعدا عن الشاطئ كثيراً حتى هبت عاصفة
 شديدة أطاحت بالقارب بعيداً فانكفأ على من فيه
 — أين ؟
 — أسرع الى تلك الصخرة واطلب من ذلك
 الصبي الواقف هناك أن يذكلك على مكان الحادثة
 — وهل أعتقدت السيدتان ؟
 — لقد أعتقدوا واحدة
 — من ؟
 — ممز بارت ، أما ممز دون فيخشى أن
 تكون قد غابت في جوف النهر ، فأسرع بارت
 الى مكان الحادث فرأى جملاً من الناس قد تجمعوا
 هناك ، فنفذ وسط ذلك الجمع ، وهناك رأى امرأة
 ملقاة على الرمال يملأ بدنهما ثوب بنفسجي وفي
 يديها قفاز أصفر فعرف أنها زوجته
 عاد الرجل بزوجه الى المنزل ودعا إليها بمض

— أجل إنك مصيب يا صاحبي ، وهذا راجع
 الى أنى أطلب دائماً الهدوء في المنزل فلا أجده ،
 فلو أنى ظفرت به لكان على كل شيء آخر
 — لقد فكرت أكثر من مرة في إصلاح
 ما بينك وبين زوجك ، ولكنى لا أدري إذا
 كانت هذه الفكرة تروقك ، على كل حال
 سأعرضها عليك ولك أن تأخذ بها أو تتركها ،
 والحق أن زوجي هو صاحبة الفكرة ، فقد رأيت
 أن تذهب الى ممز بارت وتتفاهم معها . إنى واثق
 من أنهما متصلان الى نتيجة مرضية . فان زوجي
 لها قدرة عجيبة على كسب بنات جنسها
 — وبني جنسها أيضاً ، إنها امرأة ذكية
 القواد عظيمة التأثير ، وإنك لحسن الحظ بها
 — قد يكون هذا ، إن زوجي مستمدة للقيام
 بهذه الوساطة إذا وثقت أنها جديرة بمركز ممز
 بارت الاجتماعي
 — إنى أشكرك كثيراً ، ولكنى أخشى ألا
 تصلا الى نتيجة ، ثم حياه وانصرف
 وفي ذات يوم كانت السيدتان راكبتين قارباً
 صغيراً يقطع بهما عرض النهر جيئة وذهوباً .
 بينما كان السيد بارت في طريقه الى منزل
 « لوسى »
 كانت « لوسى » في حديقة المنزل تقطف
 بعض الأزهار عندما دنا منها بارت ، فلم تكدر تراه
 حتى قالت له في ابتسامة عذبة رقيقة وهي تمد يدها
 الى إحدى الزناجب الحمراء : « لقد ذكرتك كثيراً
 يا سيد بارت منذ أن تركتك زوجك ،
 وهأت هنا ...
 — نعم « لوسى »

فأخذ ينظر إلى زوجته المسجاة في صمت وذهول ؛ لقد كانت تكبره بسنوات ، ولكنها لم تخط بدم سن الشباب ، فأخذ يتفرس فيها ، فرأى قسما وجوها أكثر فتنة وسحرا ، ورأى فيها الدقيق وشفتيها الرقيقتين قد التصقتا ، وجبينها المشرق الوضاء يعوج فوقه شفر أسود جميل ، فصاح متعجبا : « إن هذا الجال لن يموت ! » ثم عاد ثانية إلى النافذة فرأى الدخان لا يزال يتصاعد من المدخنة في بيت صديقه ، ورأى « الكناري » لا يزال في القفص ، فهجمت عليه الذكريات القديمة ، وأخذ يفكر في زوجته ولوسى ونفسه

قضت الزوجة أسبوعا طريحة الفراش ، ثم قاضت روحها بين يدي زوجها ، فأسرع الزوج إلى إعداد الجثة ومواراتها التراب ، ولكنه لم يكدهم بالخروج حتى دخل عليه خادمه بغطاب من صديقه « دون » يقول فيه :

عزيزى بارت :

رأيت من الأفضل أن أعلمك بأنني سأزوج من « لوسى » على رغم أنى لم أعلن هذا بين أصدقائي نظرا للحداد ، وعلى ذلك ستكون هناك حفلة خاصة ، ولكنني أود أن تشهدها وأن تصحبنا إلى الكنيسة في الساعة العاشرة .

أخذ بارت يتلو هذا الخطاب مره ومره ، ثم وقف قليلا يفكر في الأمر

لم يكن هذا الرجل بالواهن العزم ، الضميف الارادة ؛ بل كان ذا قدرة عظيمة على احتمال الخطوب والصبر على الكاره ، فلم يكن له عزم أمام هذين الخطيئين اللذين ألباه في تلك اللحظة

الأطباء ، والترب في أمر هذا الرجل أنه شمر أن حبه لزوجته هو الصلة الوحيدة التي تربطه بالحياة ، ثم أسرع إلى صديقه دون في مكتبته ، وماكاد يقضى إليه بذلك النبا الفاجع حتى هب الرجل مذمورا وبقي واقفا لا يدري ما ذا يعمل ، وبقاة أجهش بالبكاء فجذبه بارت من يده وذهبا معا إلى الميناء ، حيث بقيا زمنا ينتظران إخراج الجثة ، ولكن النهر كان لا يزال هائجا فلم يثمر الفواصون عليها ، فعاد بارت إلى منزله تاركا دون مع بقية الأصدقاء يرقبون الترفقة ، فلم يكدهم يخطو عتبة الدار حتى وجد الطبيب خارجا ، فقال له : « خير » فأجابه الطبيب : « قد عملنا جهدا ، ولكننا لم نصل إلى نتيجة ، إنى أشاطرك هذا الصاب »

فلم يقدر الرجل شعور ذلك الطبيب كثيرا ، إذ ظنه يتهم به ، ولا سيما وأنه كان واقفا على النزاع الأخير ، ثم أردف الطبيب قائلا : « أرجو يا سيد بارت أن تنتهي من ذلك الأمر قريبا »

فأجابه بارت قائلا : « دعك من هذا الآن ، وامنض إلى الميناء فقد يكون الريد دون في حاجة اليك » ، ثم دخل المنزل فرأى الخدم خارجين من غرفة زوجته ، وقد بدا عليهم الحزن واليأس ، فأسرغ إلى الترفه ووقف صامتا برهة وهو ينظر إلى السرير ، ثم مضى إلى غرفته الخاصة وظل يقطعها في خطى متثدة ثقيلة ، وقد شمر أن كل شيء قد مات في هذا البيت ، فلم يمد يسمع همسا أو نفسا . فذهب إلى النافذة وأخذ يسرح نظره في البلدة الصاخبة ، فرأى الدخان يتصاعد من إحدى المداخل البعيدة ، فأدرك أن لوسى تميتا لعمل الشاي كماداتها . ثم عاد إلى غرفة النوم

الصخر الجلود أو المدن الصلب، ولكن هذه المدة وإن بدت طويلة في عمر الانسان لا تذكر بجانب عمر الانسانية، ولا تترك فيها شيئاً وأخيراً بعد عشرين عاماً عاد بارت إلى موطنه الأول الذى لا يحول عنه ولا يتحول . فرأى وجوهاً غريبة ومعالماً جديدة ، ومضى يسأل عن شريكه القديم السيد « وأنكز » . فصادف ابنه فسأله عن والده فقال له الابن : « لقد مات أبى من مدة »
— آه يوسفى أن أسمع هذا — لقد تركت

هذه البلدة من زمن بعيد

— ولكن هل الشركة قائمة الآن ؟
— أجل إنها لا تزال قائمة ، ولكن أسقط منها اسم بارت . ذلك الاسم الخيالى الذى لا أعتقد أن صاحبه قد جاش بيننا وسامى في هذه الشركة
— ألا يزال « أندروجون » يعمل مهندساً للشركة ؟

— آوه ! لقد مات يا سيدى
— وكيف حال قسيس كنيسة القديسة ماري
مستر « مدروز » ؟

— لقد توفاه الله منذ سنوات عديدة
فصمت بارت برهة وقال : « كيف حال مستر « دون » الحامى ألا يزال يعمل في الحمامة »
— لا يا سيدى ، لقد مات منذ سبع سنوات
فصمت بارت ثانية ، وشمر بقشعريرة تسرى في بدنه ثم قال : « وهل مسز دون لا تزال على قيد الحياة ؟ » قال هذا وهو يكاد يقضم شفتيه بأسنانه

— نعم إنها لا تزال حية وتقيم في المنزل القديم
— مع أطفالها طبعاً

ولم يكن أحد قد سمع بموت زوجته ، ولم يرد أن يخبر صديقه « دون » في ساعة زواجه ، فقام بأعداد كل شيء بنفسه ، ولما انتهى من ذلك أسرع إلى الكنيسة فرأى « دون » و « لوسى » ساجدين أمام الهيكل وحوهما بعض الناس ، فتقدم إلى « دون » وهناك ، ثم التفت إلى « لوسى » وهو يتوقع أن يرى في عينها بريق الائم والندم ، ولكنه وجدها مأخوذة بالوقوف الجديد ، فهناها وانصرف ، فقال له « دون » :

— انتظر حتى تصبحنا إلى المنزل

فأجابه بارت : « لا . لا . لست مستعداً لهذا . سأقف في الخارج مع الواقفين حتى تركبا العربة إلى المنزل — ثم أراقب ذلك الشعور الذى يسمرف عندئذ . فضحك الزوجان ثم ابتسم بارت وخرج فلما انتهت الحفلة وركب الزوجان وانصرف المدعوون مضى بارت في خطى متعرة وفكر شارد إلى مدافن البلدة وهناك انحنى على قبر زوجته يرفه عن نفسه بالبكاء ثم عاد إلى منزله وقد عزم على أمر عظيم

فلما استقر به المكان أرسل جملة رسائل إلى شركائه ثم دعا أحد الحاميين وهو صديق قديم لوالده وطلب إليه أن يبيع له جميع أملاكه وأن يرسل إليه ثمنها وفي اليوم التالى كان بارت في طريقه إلى حيث تقوده قدمه

لكنه قبل أن يبادر البلدة أرسل إلى صديقه « دون » ينبئه بموت زوجته في الساعة التى وافاه فيها خطابه الذى يعلم فيه بزواجه من « لوسى »

إن عشرين عاماً لا تخفى دون أن تترك أثراً في

زوجي قد مات منذ أمد بعيد وأنى أعيش وحيدة
الآن اللهم إلا بعض زيارات من بنات زوجي مستر
« دون »

— وقد أصبحت أنا شيخاً وحيداً
— أين قضيت هذه المدة الطويلة ؟ ولماذا
اختفيت عنا فجأة ؟

— حسن يا لوسى ، لقد أقيمت مدة في أمريكا
وزمناً في استراليا . وسنوات في الهند ، وفترة في
جنوب إفريقيا ، وهكذا فلم أمكث في مكان واحد
كما ترين
أما لماذا اختفيت فجأة فأنت تعرفين السبب .
ألم تفكرى مرة ؟

— لا — لم أفكر — ولا أى واحد آخر قد
فكر في هذا

— حسن . فكرى الآن . ثم انظرى إلى
وأخبرينى إن كنت لا تعرفين
فنظرت إليه لوسى في ابتسامة رقيقة وقالت :
« أظن أنه ليس من أجل »

فهز الرجل رأسه وابتسم ابتسامة حزينة فقالت :
— ألا تزوجت « دون » ؟

— نعم ، وفي اليوم الذى أصبحت فيه حراً
لأن أطلب يدك . إذ ماتت زوجى قبل ذهابك مع
« دون » الى الكنيسة بمشروعات ، ولقد ذهبت
إليها عقب فراغى من الدفن

فألقت عليه لوسى نظرة كلها حب وعطف
وقالت : « لم أفكر في هذا ، ولكنى أعرف أنك
أظهرت لى بعض الشعور الطيب مرة ؟ ثم إنى لم أتزوج
إلا وأنا أعتقد أن زوجك لا تزال حية . أظنك في
حاجة الى الشاى . لقد اعتدت أن أشرب الشاى

— لا — ليس لها أطفال — إلا بنات زوجها
« دون » من زوجها الأولى ، وقد تزوجن كلهن
فهي تعيش الآن وحيدة

— وحيدة ؟
— نعم يا سيدى وحيدة

فشكره الرجل وانصرف ، ومضى إلى الفندق
فتناول غداءه ثم ارتدى ملابسه وحلق ذقنه وخرج
إلى بيت لوسى كما كان يفعل قبل ذلك بمشرين عاماً
فلما وصل إلى الدار وجد نوراً ضئلاً ينبعث
من إحدى الغرف ، والسكون يخيم على المنزل فدنا
من الباب وقرعه فأسرع الخادم وفتح له وقال :
« ما اسمك يا سيدى ؟ »

— صديق قديم
فضى الخادم وأخبر سيده بذلك . فقالت له :
« ماذا يشمه ؟ »

فأجابها الخادم . « إنه رجل قد وخط الشيب
فوديه »

فهضت المرأة التى كانت يوماً ما الفتاة « لوسى »
وقد ذبلت الوردتان اللتان كانتا على خديها وعرف
الشيب طريقه إلى شعرها . ولكن حينها لم تفقدا
سحرهما وقوتهما ولم تستطع المشربون عاماً أن
تذهب بكل ذلك الجمال وذلك السحر
— ألا تعرفينى يا لوسى ؟

— لقد عرفتك منذ رأيتك — إنى لا أعرف
لماذا كنت أفكر دائماً في عودتك — لقد قالوا
إنك مت ، ولكن لم أصدق قولهم

— آه لقد مضى زمن طويل على لقائنا الأخير
— نعم . ماذا رأيت في طوافك بجانب
ما رأيت في هذا المكان المنزل . إنك تعرف أن

إغفاء وسنداً . إني أتكلم جادا
- وإني أعارض في أية فكرة في الزواج
- حسن فلا أنصرف ، مادام الأمر كذلك .
ثم نهض بتأهب للخروج ، فأعاته على لبس معطفه
وودعته حتى الباب
فقال لها : أسعدت مساء . أرجو ألا أكون
قد أسأت إليك

- لا ، لا ، بل إني أرجو منك هذا
قابسم قليلاً وقال : « سأقلب أوجه الرأي
وأرى فيما بعد . أسعدت مساء »

ثم راقبته حتى اختفى في الطريق فمادت الى
غرفتها وأوصدت الباب دونها ثم استلقت على
فراشها وأخذت تستعيد صور ما حدث منذ لحظة .
وكيف تلقى صاحبها ذلك الرفض في ثبات وهدهو
كأنه كان يعتقد أنه لا يستحق إلا هذا . لقد كان
رجلاً في هذا الموقف . بل كان أكثر من رجل .
ثم نهضت الى المرأة وأخذت تتطلع فيها فرأت أنها
لا تزال تحتفظ بكثير من جاهها القديم . ثم بدا لها
رأى جديد

أخذت ترقب عودته يوماً بعد يوم ولكن
كبرياءه أبت عليه أن يعود إليها . وقد أخبرها أنه يقيم
بالفندق . فلما طال الانتظار ذهبت اليه تسأل عنه
فقبل لها إنه غادر المدينة في الصباح ولم يحتفظ بفرقة
- ألم يترك عنوانه ؟

- لا
فمادت الى منزلها ساعمة مهومة موطنة العزم
على الانتظار

فانتظرته الأيام والسنين ولكنه لم يمد
نظمي خليل

بدلاً من المشاء منذ وفاة زوجي فهل تسمح وتتناوله
مى ؟

فأظهر الرجل رغبته في الشئ وسرعان ما أعد
لها . فجلسا يشربان ويتحدثان ثم أخذ بارت يسرح
بصره في الغرفة وأخيراً قال :

- أرى تغيراً في نظام الغرفة . ففي مكان
« البيان » الآن كان يقوم بعض أوراق الحائط وبها
بعض البطاقات والرسائل ، وفي ذلك الركن قرأت
ذلك الخطاب الذي أرسله إلى دون منذ عشرين
عاماً يعلمني فيه بزواجه منك . فتركت المنزل ولم
أعد اليه إلا الآن

- آه لقد فهمت كل شيء
ثم أوقد اللدقاء واستأنفا الحديث ، وأخيراً
قال بارت : « لوسى ! إن بعض الشيء أفضل من
لا شيء ، فان كان الوقت قد فات فان ما بقى فيه
خير من عدمه . هل تزوجين مني الآن ؟ »
فتراجعت المرأة مندحشة . ولكنها لم تكن
تجهل الموقف تماماً ثم قالت :

- ماذا ؟ إني لا أتزوجك ولو وهبتي هذه
الدنيا كلها

- حتى بعد هذا ؟
- لو أني كنت أفكر في الزواج لفضلتك
على سواك ولكني لا أفكر فيه الآن ولا بعد الآن
- ولكن ألا تتيرين من رأيك هذا ؟

-- إنك لا تدري ماذا تقول . إني لا أستطيع
أن أقول إنه كلام مضحك لأنى أراك تتكلم جاداً
ولا أستطيع أن أصغى الجدل بالمزاح

- أجل إني جاد . فقد فكرت في هذا منذ
شهرين وأنا في مدينة « الرأس » لكي أجد منك

ورجعت إلى البيت ، فدعوت لاريف ووصفت له السكن الحاط بالحديقة الصغيرة عند مدخل القرية واستفسرت منه عن سكانه ، فقال : إن من يقطنه سيدتان إحداهما عجوز مشهورة بالقوى والأخرى تدعى مدام يارسون وهي السيدة التي رأيتها . ولما استملت عنها وعما إذا كانت زارت والدي من قبل قال : إنها تمشي منزلة وإنه قليلا ما زارها عند والدي ولم استرده إبطا ، بل عدت إلى ممضى الزيفون وجلست على مقعده ، فاقترب الجدى منى بلاطفى فشعرت بحزن عميق يستولى على ، وهضمت أرسل بصرى على الطريق التي كانت مدام يارسون قد اتجهت إليها ، ثم اندفعت اتخطاها وأنا ذاهل حتى توغلت في الجبل

وكانت الساعة الحادية عشرة مساء ، عندما خطر لى أن أعود أدراجى ولكننى رأيت ضريعة قريبة منى فتوجهت إليها لأتناول فيها قذح لبن وقطعة خبز ، وكنت من جهة أخرى شعرت بنقطة كبيرة تنساقط من الغمام منذرة بعاصفة شديدة ، فقصدت بيت المزرعة وطرقت بابه ، فأجابنى أحد بالرغم من وجود نور فيه ، فقدمت إلى النوافذة ، وتطلعت فاذا في الباحة نار مشبوبة والزوارع الذي كنت أعرفه جالس قرب فراشه . وضربت على زجاج النافذة لأنابه فاذا بالباب يفتح فجأة ومدام يارسون تطل منه سائلة : من الطارق ؟ وما كنت لأتوقع أن أرى هذه السيدة فما خفى عليها اندهاشى

دخلت الترفة ملتصقا بالاتجاه من الطار وإذا كنت أساءل من سبب وجود هذه السيدة في هذا المكان في مثل هذه الساعة المتأخرة ، سمعت أنينا ، فأدريت وجهى نحو مصدره فاذا امرأة الزارع

من أعماق النفوس



أعترافى فتي العَصْرِ

للأفريدى موسى

بقلم الأستاذ فليكس ومارس

الجزء الثالث

الفصل الثالث

وكنت أمشى ذات مساء عند مدخل القرية تحت ظلال الزيفون فرأيت سيدة فتية تخرج من أحد المساكن المنفردة وكانت مقمنة ومردية أثوابا على غاية من البساطة ، غير أن قامتها الهيفاء ، وخطراتها الرشيفة استوقفتنى فانبمتها بنظارى . وعندما وصلت إلى المروج كان هناك جدى أبيض يرتى منفردا فلما رأها قفز للملاقاة ، فأمرت يدها على رأسه ، وتلفتت يمينا وشمالا كأنهما تفتش عن أوراق خضراء تقطفها له ، وكان قربى شجرة من التوت البرى تقطعت منها غصنا ، وتقدمت به نحو الجدى فتقدم هو أيضا نحوى ولكن بخطوات متهملة ، حتى إذا دنا من الفصن وقف وجلا ينظر إلى صاحبه كأنه يتوقع صدور أمرها ، فأشارت إليه لتشججه على الاندفاع ، غير أنه لبث خائفا حتى جاءت ووضعت أناملها على الفصن فاخطفته الجدوى من يدي . والتفتت المرأة المجهولة إلى مسلة وسارت في طريقها

عن وصفه كل بيان
واشدت أنهار المطر وغرقت الحقول المغفرة
بالظلام تحرقه من حين إلى حين بروق خاطفة تبتعها
قمعمة الرعود ، فكان زئير العاصفة وأزيز الريح
وثورة المناصر خارج الكوخ يزيد رهبة ما في داخله
من صمت خاشع ، فيبدو المشهد أسمى أشد روعة
في قدسيته

و كنت أجيل الطرف فيما حولي على الجدران
الحقيرة ، وزجاج النوافذ تقرعه الأمطار ، والضباب
الكثيف تقذفه الماصفة كاللخان ، فأرى يأس
الزارع في جزعه الجامد ، وزعر الأطفال ، وهذه
المدفنة تحاصرهما كل هذه العناصر الثائرة الصاخبة ،
وأرى قربها على هذا السرح الفجيع هذه المرأة
المتصبية بشحوبها ولطفها تذهب ونجيء كأنها
تجس الأرض جسا وهي مستترقة بما تهتم به ، فلا
تبالي بالماصفة ولا بأحد ممن ينظرون إليها حتى
كأنها لا تبالي بمرأتها وإقداها . فكنت أشعر
أن بهذا العمل المبرور من الصفاء في رسالته ما هو
أبهى من صفاء السماء ، وقد انقشمت عنا النجوم
فأنظر إلى هذه المرأة كأنها مخلوق أسى من البشر
لأنها وقد أحاطت بها كل هذه المفجعات لم يداخها
الشك لحظة في وجود ربها ورحمته

من هي يا ترى هذه المرأة ؟ ومن أين أتت ؟
وهل هي منذ زمن بعيد إذ يذكر الناس أنها كانت
بائمة ورود ؟ لماذا لم أسمع بها من قبل ؟ لقد جاءت
وحدها إلى هذا الكوخ في مثل هذه الساعة فهي
إذا لا تمارع إلا إلى حيث تدعوها المصائب
والأخطار ، فتتجول تحت الموصاف بين النابتات في
الجبال مقننة تحمل الحياة لمن يحتاجون إلى الحياة .

منظرحة على سريرها ، وقد رسم الموت طابعه
على وجهها

وقد مدت مدام ييارسون تجاه زوج المليلة وقد
انهدم في جزعه وحزنه ، وأشارت إلى بدم الانيان
بأقل حركة لأن الربيعة كانت نائمة ، فأخذت
مقدداً وجلست منتظراً مرور الماصفة

وكانت مدام ييارسون نهض من آن لآخر
لقرب فراش الربيعة ثم تعود لتقول للزارع بعض
كلمات بصوت خافت . وكان أحد أطفال البيت قد
اقترب مني فأجلسته على ركبتي ، فقال لي : إن هذه
السيدة تنجيء كل مساء لميادة أمه وأنها تضي
الليل عندم بعض الأحيان لأنها كانت تضي
بالريضة لعدم وجود راهبات في هذه الأتحاء ،
وأضاف الولد إلى هذه المعلومات قوله بصوت خد
منخفض : — ليس من ممرضة سواها ولا طبيب
عندنا إلا الطبيب الجاهل ... أما هي فتدعي برجييت
الوردية ، أفلا تعرفها ؟

فقلت : لا ولكن لماذا يلقبونها بالوردية ؟
فقال : لا أدري ولعلها احتفظت بهذا اللقب
منذ كانت بائمة ورود

وكانت مدام ييارسون زعت قناعها ، ولما نزل
الولد عن ركبتي نظرت إليها ، فإذ هي واقفة أمام
سرير الربيعة تقدم لها كأساً لتشربها وقد انتبهت
هذه الربيعة من نومها ، وكانت الممرضة شاحبة
الوجه متمقعة اللون ذات شعر أشقر يضرب إلى
الرمادي ؛ وما أدري ما أقول عن جمالها غير أنني
حين رأيتهما تحديق ببيكها السوداوين ببيني الربيعة ،
والمريضة تملن أبصارها بها ، رأيت بين لحظات
هذا الاحسان وهذا الامتنان نوعاً من الجمال يقصر

زوجها قائلة : جزاك الله خيراً يا زوجي المسكين
ونَهَضَتْ مِنْ مَكَانِهَا وَقَدْ ثَارَ ثَائِرُ لِحْيَتِهَا
هَؤُلَاءِ النَّاسِ الَّذِينَ يَمِيرُونَ عَنْ امْتِنَانِهِمْ لِلْمَلِكِ
بِتَوْجِيهِ التَّنَائُلِ إِلَى بَيْتِ الْكَاهِنِ . وَكَانَتْ عَلَى وَشَكِّ
تَقْرِيبِهِمْ عَلَى عَقْمِهِ وَمَعَامَلَتِهِمْ بِمَا يَسْتَحِقُّونَ ،
وَلَكِنِّي رَأَيْتُ مَدَامَ بِيَارْسُونَ تَرْفَعُ بِذْرَاعِهَا أَحَدَ
الْأَطْفَالِ لِتُقَدِّمَهُ إِلَى أُمِّهَا قَائِلَةً لَهُ : قَبِّلْ أُمَّكَ فَقَدْ
زَالَ عَنْهَا الْخَطَرُ

وَجِئْتُ إِذْ ضَمَّتْ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ وَتَفَرَّسَتْ فِي
وَجْهِ هَذِهِ الرَّأْةِ فَرَأَيْتُ عَلَيْهِ أَوْضَحَ اعْتِبَاقَاتٍ ثُمَّ عَنْهُ
رُوحٌ عَسَنَةٌ كَرِيمَةٌ ، وَكَانَتْ آثَارُ التَّعَبِ قَدْ زَالَتْ
عَنْ مَلَاعِجِهَا فَطَفَحَ وَجْهَهَا بِالْبَشَرِ وَرَفَعَتْ شُكْرَهَا
لِلَّهِ هِيَ أَيْضًا . إِنَّ كُلَّ مَا كَانَتْ تَطْمَحُ إِلَيْهِ هَذِهِ
الْمَرْضَةُ هُوَ أَنْ تَتَكَلَّمَ بِالْمَدَقَّةِ ، أَمَا وَهِيَ تَتَكَلَّمُ
فَتَلْتَقِلُ مَا تَشَاءُ ...

وَبَعْدَ بَعْضِ طَلَبِ مَدَامَ بِيَارْسُونَ مِنَ الْأَوْلَادِ
أَنْ يَنْهَضُوا خَادِمَ الْمَزْرَعَةِ مِنْ رِقَادِهِ لِيُوصِلَهَا إِلَى بَيْتِهَا
فَتَقَدَّمَتْ أَطْلُبُ إِلَيْهَا أَنْ أُسِيرَ مَعَهَا حَارِسًا مَا دُمْتُ
ذَاهِبًا فِي الطَّرِيقِ نَفْسَهَا ، وَأَعْلَنْتُ لَهَا أَنِّي أَعَدُّ
قَبُولَهَا شَرْقًا لِي ، فَسَأَلَتْنِي : أَفَأَنْتِ أَوْ كَتَانَتْ ؟
فَاجِبَتْنِي : أَنَا هُوَ ، وَسَأَلَتْنِي مَا إِذَا كَانَتْ تَذْكُرُ
وَالَّذِي ، وَاسْتَفْرِغْتُ ابْتِسَامًا عِنْدَ مَا أوردتْ هَذَا
السُّؤَالَ . وَلَكِنِّهَا أَخَذَتْ بِسَاعِدِي وَخَرَجْنَا بِسُرُورٍ
إِلَى الطَّرِيقِ

الفصل الرابع

وَكُنَّا نَقْطَعُ الطَّرِيقَ صَامِتِينَ ، وَكَانَتْ الْمَاصِفَةُ
فَارْتَمَشَتْ الْأَشْجَارَ تَنْفُضُ عَنْ أَغْصَانِهَا قَطْرَاتِ
الْأَمْطَارِ ، وَكَانَ لَمْ يَزَلْ عَلَى الْأَقْفِ الْبَعِيدِ وَمِضَانِ

وَيَبِينَا نَحْمَلُ كَأْسَ الدَّوَاءِ لِلْأَعْلَاءِ لَا تَنْسَى أَنْ
تَلَاظِفَ جَدِيدَهَا الْأَبْيَضَ فِي طَرِيقِهَا

إِنَّ هَذِهِ الرَّأْةَ تَسِيرُ بِخَطَوَاتِهَا الْمَتَزَنَةِ الْمَهَادَّةِ
لِلْكَافَّةِ الْمَوْتِ مَاشِيَةً بِالْخَطَوَاتِ نَفْسَهَا إِلَى مَوْتِهَا
هَذَا مَا كَانَتْ تَفْعَلُهُ هَذِهِ الرَّأْةُ فِي هَذَا الْوَادِي
بَيْنَمَا كُنْتُ أَنَا أُرْتَادُ قَاعَاتِ الْمَيْسَرِ وَأَمْشِي عَلَى
سَبِيلِ الضَّلَالِ . وَلَمَلَهَا وَلَمْتُ فِي هَذَا الْوَادِي
وَسَتَدْفِنُ فِي مَقْبَرَتِهِ بِالْقَرَبِ مِنْ لَحْدِ أَبِي الْمُحِبُّوبِ .
فَتَذْهَبُ مِنَ الدُّنْيَا دُونَ أَنْ يَمْرُقَهَا النَّاسُ وَهِيَ الَّتِي
يَسْأَلُكَ الْأَطْفَالُ وَهِيَ يَذْكُرُونَهَا : — أَفَأَنْتِ تَعْرِفُ
بِرَبِيعِيَّتِ الْوَرْدِيَّةِ ؟

لِصَمْبٍ عَلَى بَيَانِ مَا كُنْتُ أَشْعُرُ بِهِ ، وَقَدْ
وَقَفْتُ فِي زَاوِيَةٍ لَا أَبْدَى حَرَاكًَا وَلَا أَنْفَسَ إِلَّا
مَرْتَجِفًا ، وَلَاحِظًا لِي أَنَّنِي إِذَا تَقَدَّمْتُ لِمُسَاعَدَةِ هَذِهِ
الرَّأْةِ فَأَوْفَرُ عَلَيْهَا خُطْوَةً مِنْ خَطَوَاتِهَا ، أَوْ تَكُوبُ
خُرْقًا وَأَلْسُ يَبْدِي الدَّنَسَةَ آتِيَةً مُقَدَّسَةً

وَدَامَتْ الْمَاصِفَةُ سَاعَتَيْنِ حَتَّى سَكَنْتُ ، فَأَقَاتْتُ
الْمَلِيلَةَ وَجَلَسْتُ عَلَى فَرَاشِهَا وَهِيَ تَقُولُ لَهَا تَشْمُرُ
بِالرَّاحَةِ ، فَقَدْ أَفْرَجَ عَنْهَا بَعْدَ أَنْ تَنَاوَلَتْ الدَّوَاءَ ؛
فَتَرَاكَدَ الْأَطْفَالُ إِلَى أَهْمِهِمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْهَا ، وَقَدْ
تَمَازَجَ فِي عَيُونِهِمُ الْفَرَحُ وَالْاضْطِرَابُ وَأَمْسَكُوا
بِرِجْلِ مَدَامَ بِيَارْسُونَ

وَقَالَ الرَّجُلُ وَهُوَ لَا يَتَذَكَّرُ مِنْ مَكَانِهِ :
كَانَتْ أَنْتِ هَذَا لَأَنْتِ عَهْدَنَا إِلَى الْكَاهِنِ بِأَنْ
يَصِلَ ، وَقَدْ كَلَفْنَا ذَلِكَ كَثِيرًا مِنَ السَّالِ

وَعِنْدَ مَا سَمِعْتُ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ الْمَدَالَةَ عَلَى الْخَشَوَةِ
وَالْحَقِّ ، الْتَفَتُ إِلَى مَدَامَ بِيَارْسُونَ فَرَأَيْتُ مِنْ تَعَبٍ
جَفَوْتِهَا وَمِنْ التَّوَاهُ قَامَتِهَا وَامْتِنَانُهَا أَنَّ التَّعَبَ
وَالنَّهْرَ ذَهَبَا بِكُلِّ قُوَاهَا . وَصَمَّتِ الْمَلِيلَةَ بِجَانِبِ

يتسنى لها أن تجتمع به هي ، لأن عمته كانت تلعب وإياه بالورق في السهرات ، وأخيراً دعته إلى زيارتها وعند ما وصلنا إلى منتصف الطريق أحست بالاعياء فجلست على مقعد كانت وقته الأغصان النضرة بلل الأمطار ، فوقفت أمامها أنظر إلى أشعة القمر الباهتة تنير جبينها ، وبمسد دقائق نهضت وإذا رأني ذاهلاً قالت : فيماذا تفكر ؟ ألا أن لنا أن نستأنف السير ؟

— كنت أفكر في الناية التي خلقك الله لها فأدرت أنه أوجدك رحمة للمالين
— إنها لكلمة لا أحلها منك إلا على محل
الاطراء

— ولماذا ؟
— لأنه يلوح لي أنك لم تزل في ريمان العمر
— أفليس في العالم من بلغوا من العمر أكثر ما تدل سياؤهم عليه ؟
— لقد يكون ذلك كما أنه يمكن للإنسان أن يأتى بأقوال أنضح منه
— أفا تعتقدن بالاختبار ؟
— إن ما أعرفه عنه هو أن أكثر الناس يطلقون اسمه على أحرانهم أو على أجهالهم الجنونية فإهو مبلغ المعرفة التي يتوصل إليها من كانت في سنك ؟

— رب رجل في العشرين رأى من الدهر ما لم تره امرأة في الثلاثين ، فان ما يتمتع به الرجال من الحرية يصل بهم إلى صميم الحياة بأسرع مما تصل النساء . فالرجال يتهاقون على ما يجتذبههم دون حائل فيختبرون كل الأمور . فإذا ما لاح لهم أمل مشوا إليه ، حتى إذا بلغوه ارتدوا عنه تاركين الأمل

لبقايا البروق وهبت من الأعشاب الرطبة عبقات نشرها الهواء وقد دبّت الحرارة فيه . وانقضت السحب عن وجه السماء ففمر القمر بأنواره قم الجبال

وذهب فكري يتلمس من الصدف أسرارها وقد عجبت لما تجمع في ساعات يدي وبين امرأة ما كنت لأظن أنها موجودة عند ما أشرقت الشمس ، وهأنذا أحسبها في طريقها المقفر في المراء تحت جنح الليل

لقد قبأت هذه المرأة أن ترافقني لوثوقها من شرف عتدى فهي الآن تستند إلى ذراعي وتسير معي مستسلمة معطمنة

وكنيت أرى في هذه الثقة كثير من الجراءة أو كثير من السذاجة ، وشمعت أن رفيفتي تجمع بين هذه وتلك لأنها بهذه القوة المزدوجة دفعت بقلبي إلى عاطفة الطور والافتخار

وبدأ حديثنا يدور على المريضة التي تركنا في السكوخ ، ثم تحول إلى مشاهد الطريق وما خطر لأحدنا أن يوجه إلى الآخر ما يوجهه المتعارفان حديثاً . وتكلمت مدام بيارسون عن أبي بالهجة نفسها التي ذكرته بها للبرة الأولى أى بلهجة فيها شيء من السرور الرصين ، فبدأت أنهم كلاً توقفت في الحديث معها سبب تكلمها بهذه اللمحة لا عن الموت فحسب بل أيضاً عن الحياة وما فيها من حوادث وآلام ، فأدرت أن ليس في الأرض من ألم تراه مبنئاً للشكوى من الله ، لذلك كان انقسامها عبادة وتسليماً لإرادته

وحديثها عن حياة المزة التي اخترتها فقالت إن عمته كانت تجتمع بالدي أكثر مما كان

من ثياب يدل على التجديد في الزى والحياة؟ أما هي فكانت تتمتع بكل ذلك وكأنها منسلخة عما حولها . وقد استرعى انتباهي ما في ذوقها من التناسق الذي يندب عن كل تستغرب ، فلا تأنس إلا للجنة والحسن ؛ وكان حديثها يدل على علم مستكمل ، فما كانت تتناول موضوعا دون الاجادة فيه ، فكانت أحس بأن وراء هذه السذاجة غورا مليئا بالكنوز وأن ذكاء طليقا وافرًا يرف فوق قلبها الهادي في عزلتها ، فكان هذا الذكاء طير من أطياف السواحل يتمالئ إلى السحاب مرصفا فوق طحلب الصخور حيث أبتني عشه .

ودار حديثنا حول الأدب والموسيقى وكدنا تتناول السياسة ، وكانت قد ذهبت في الشتاء إلى باريس وما كانت تتصل بالجميع إلا في فترات متقطعة ، غير أن القليل الذي كانت تشاهده كان يكفيها لفتح مجال وسيع أمام تفكيرها . وكان خير ما يجملها سرور هادي لا يصل إلى المرح الذي يثب وثبا ، فكانها خلقت زهرة غيرها السرور .

ويسجّر بياني عن وصف ما كانت تفعل عيناها السوداوان وهما تلتصمان على صفحة وجهها الشاحب . وما كان يزيد في بهائها سكنات وحركات تأتي بها عفوا فتدل على أنها عركت الدهر وبلت الحياة وما أدري أية قوة كانت تعلن أن السرور اللكل لجين هذه المرأة لم يأتها من هذا العالم ، بل أنزل عليها من السماء وأنها ستمود بهذا السرور كاملا إلى الله بالرغم عن الناس . فكانت هذه المرأة تتجلى لي في بعض اللحظات كاملة قس تنسم هبوب الريح لتقي النور الشع في يدها

مضميما على الطريق ، وقد خدعتهم السمادة بما منتهم من مواعيد وكنت أسير في كلاي على هذا النمط حتى بلغنا أكمة يتحدر الطريق منها إلى الوادي ، وكان الانحدار استهوى رفيفتي فبدأت تقفز برشاقة لجاريها وسرنا ركضا وساعدانا مشتبكان والعشب الميت تحت أرجلنا يزيد في انزلاقنا ، وهكذا انحدرنا كطيرين أصابهما الدوار حتى بلغنا قاعدة الأكمة وقالت : لقد كنت متعبة فزال تعب الآن ، فهلا عاجلت اختباراتك بما أعالج به تمي . . . لقد سرنا بسرعة فستناول الطعام بشهية

الفصل الخامس

وذهبت لزيارتها في اليوم التالي فوجدتها جالسة إلى البياض ، ورأيت اللمعة الشخية قرب النافذة منهمكة في الحياة ، وكانت الزهرة الصغيرة مليئة بالأزهار وشعاع الشمس يضرع المرائش المحيطة بها حيث نصب قفص كبير تتطاير فيه المصافير

وكنت أتوقع أن أرى زاهدة عابدة أو على الأقل امرأة قروية لا علم لها بشيء مما يجري وراء منطقة ضاحيتها ولا تحيد عن عادات محيطها . وقد كنت أنظر إلى من يعيشون بمنزلة كأنهم يخفون عن الناس هنا وهناك في المدن شيء من الحذر كأنني أرى فيهم بئرا آسنة فسد فيها الهواء ؟ فإن في كل ما يتلف بالنسيان على الأرض شيئا من الموت . غير أنني رأيت على مكتب مدام بيارسون جرائد ومجلات حديثة كانت ترصد لها ما يتفق لديها من الوقت ، وقد كان كل ماحولها من الرياش وما تلبسه

في القرية وهو من خريجي سان سوليبس ومن
أنساب الكاهن خادم الرعية

وكان هذا الرجل يميناً صاحب اللون وما كنت
حياتي إلا مستقبلاً هذا النوع من الصحة الملية؛
وكان هذا الرجل فضلاً عن هذا التناقض في شخصه
يتكلم بلهجة تدل على الادعاء، فكان يورد ألفاظه
متوثبة متمهلة، وكان في مشيته شيء من التصنع للتناقل
زاد في نفوري منه؛ أما نظراته فلا يسعى أن
أقول عنها إنها نظرات لأنها ما كانت لتعني شيئاً
ذلك كان حكماً على هذا الرجل من ملاحظه،
وما كذبت الأيام فراستي فيه، وأأسفاه...

جلس هذا الرجل على مقعد وبدأ بالتحدث
عن باريس، وكان يدعوها بابل المصر، فقال إنه
جاء منها وهو يعرف جميع من فيها، وأنه كان يتردد
على مدام ب وهي ملاك كريم، فيقوم بالوعظ
والارشاد في قاعاتها الكبرى حيث كان الناس
يأتون زرافات ليصنوا إلى أقواله وهم ساجدون.
(وما كان الذي يقوله هذا الرجل كتباً ولا لألف)

وذهب في حديثه فقال إن من عرفه إلى هذا
البيت الكريم إنما كان أحد زملائه؛ غير أن هذا
الزميل كان قد أغوى فتاة، فطرد من المدرسة لهذا
الجرم الشنيع

ثم انقلب هذا المحدث يكيل التناء لمدام بيارسون
لما تتصف به من حب الخير وما تأتبه من أعمال البر
بالاعتناء بالمرضى والسهر عليهم بنفسها قائلاً: إنها
لأعمال جليلة لن أغفل عن ذكرها في سان سوليبس
فكانه كان يقول إنه لن يغفل ذكر هذه
الأعمال عند أقدام عرش الله

وما أمضت ساعة في الغرفة الصغيرة حتى
اندفعت أحدث صاحبها عن كل سرأري ذا كرا
حياتي الماضية وما تركت لي من أحباب وما تحملت
منها من الأحزان؛ وكنت أنشئ في الغرفة، فتارة
أنهني على الأزهار أنشئ غيرها وتارة أرفع رأسي
إلى السماء محدقاً بالشمس، ثم تقدمت إلى مدام
بيارسون أخيراً ورجوتها أن تسمعي لإنشادها،
فما ترددت وبدأت تنشد، فذهبت إلى النافذة
لأنطلع إلى الطيور بينما أنتصت إلى الانشاد.
وخطرت علي بالي كلمة لوبتان وهي: (لا أحب
الحزن ولا أحترمه بالرغم من إجماع الناس على تمجيده،
فما الحزن إلا كلمة سمقاء جعلها الناس حلية
للحكمة والفضيلة)

وسمعت صوتي يتعالى بالرغم مني قائلاً: يا للسعادة
ويا للراحة والسرة والسوان!

فرفعت العمة رأسها ونظرت إلى نظرة استغراب
وتوقفت مدام بيارسون فجأة عن الانشاد، فملا
احمرار الخجل جبينى إذ شمعت بما أتيت من جنون،
فارتيمت على المقعد سامتاً

ثم نزلت وإياها إلى الحديقة، فرأيت هناك
الجدى الأبيض رافداً على المشب؛ ولما رأنا هب
نحوها ومشى ليقبنا، وما قطعنا أول عمى في الحديقة
حتى لاح لنا قرب للدخل شاب طويل القامة
شاحب الوجه ملتف برداء أسود، فاجتاز الحاجز
دون أن يقرع الجرس وتقدم إلى مدام بيارسون
مسلياً، ولحظت أن غمامة سوداء صرت على ملامح
هذا الرجل عند ما رأيته، وقد تشاءمت أنا لمرآه؛
وكان القادم كاهناً يدعى مركاتسون، كنت شاهديته

فقات لها : لقد تذرت باسم والدى لدخول
هذه المملكة فاسمحي لي باسمه أيضاً أن أعود لأومن
بالسعادة وأنا كد أنها لم تدفع بي إلى زاوية النسيان
مدت يدها إلى فمستها دون أن أجسر على
رفنها إلى شفتي ، وأمسى السماء فعدت إلى مسكني ؛
وعند ما أوصدت بابي واستقيت على فراشي لاح
البيت الأبيض الصغير أمام عيني ، فكنت أراي
أخترق القبة متجهاً إلى الحاجز لأقرع بابه .
وهتفت قائلاً : تبارك الله ، يا قلبي ، فانك لم تزل
فتياً وبممكنك أن تحيا وبمكنك أن تحب بهد
(يتبع)
فليكس فارس

واجب !

ما الذى يمكنك من أن توفر لنفسك
القوميسيون ومصاريف المحل . . . الخ إذا
وجدت أمامك مورد مصرى يستورد لك الصنف
من أشهر فبارك ألمانيا ويسلمها لك رأساً بئكاليفها
فقط

جريب

قلم حبر الكتابة سفنكس القلم الأنيق
ذو الريشة الذهب المضمونة عيار ١٤ مثله في
السوق يباع بثانين قرشا . أرسل فقط ٤٠ قرشا
إلى حسين حسنين شارع الطيران عمرة ٣١ مصر
الجديدة وللخارج زيادة خمسة قروش يرسل
إليك الطلب في الحال

مطلوب وكلاء في الشرق والأقاليم للقلم
ولأصناف أخرى مما نستورده من الخارج ما

وكنت تبعت من سماع هذا الخطاب فاستقيت
على المشب وبدأت أداعب الجدى الأبيض ، فأنزل
مركانسون نظره المنطفي " على " قائلاً : لقد كان
فارينو الشهير يجب أن ينطرح على المشب
ويداعب الحيوانات

فقلت : هذا نوع من الهوس الطاهر يا حضرة
القس ؟ ولو أن هوس الناس كله من هذا النوع
لسكانت الأمور تجري مجراها ولا تحتاج لتدخل
أحد فيها

وما أعجبه جوابي فقطب جبينه وغير الحديث
قائلاً إنه موفد من قبل كاهن القرية ليحدث مدام
بيارسون عن رجل فقير لا يملك ما يقتات به ، وبعد
أن دل على مسكن الرجل قال إنه يؤمل أن تهتم
السيدة الفاضلة بأمره

وكنت أتوقع أن تتكلم هي ليزيل صوتها أثر
صوت الكاهن الأبح من أذني ، فما أبدت جواباً
بل انحنت مسلة ، فنهض الكاهن وذهب
في سبيله

وما تواري حتى عاودنا الجبور ، فدعيتي للذهاب
معهما إلى حجرة النبات في طرف الحديقة ، وكانت
هذه السيدة تعتنى بأزهارها عنايتها بالأطيار
والفلاحين ، لأنها كانت تود أن ترى كل شيء
حولها متصفاً بالصحة فلا يحرم أحد أو شيء قطرة
الماء وشعاع الشمس ، فما كانت تشمر بالسعادة
إلا إذا بلغت ما يريده الملاك الكاهن فيها

وكانت حجرة أزهارها على غاية من الجمال ،
وبعد أن مررنا بها قالت : هذه هي مملكتي الصغيرة
وقد رأيت كل ما فيها لأن هنا آخر حدودها

أوديسيوس يروي قصته

- ١ - إوليوس وجبة الريح الأربع
ب - في جزيرة الجبابرة
ج - غرام سبرس



الأوديسيا

لهيرميرس

بقلم الأستاذ دريني خشبة

في هذه الفصل السابع

« وبلغنا جزيرة الأولين حيث يحكم الملك إوليوس بن هينوكس ، حبيب الآلهة . وهي جزيرة تلوح طافية فوق الباب بسورها النحاسي المائل ، وأواذها التي يتكسر فوقها الموج . ولقد زوج الملك أبناءه الستة من بناته الست ، وهو يقيم معهم في قصره المنيف ، في فيء وارف من حب اللسكة ، في بُلَهْمَنِيَّة ورغد ، وعيش واسع مُخْفَرَج ، ونُعمى طائلة ، ولذائذ شتى ... يقضون وقتهم في لهو برى وصرح ، وبأوون إذا أجهم الليل إلى سرد موضوعة ، وزرابى مبنوثة ... وأرانك من حرير ولقد لقينا الملك بالبشر والايناس ، وأقننا في كنفه شهراً كاملاً ، ناعمين طامعين ؛ ثم سألني فقصصت عليه قصة (إليوم) وكيف سقطت في أيدينا ، وما كان من إبحار أسطول الأخيين بعد ذلك ، وما تم من رحلتنا في ذاك الباب ، عاشين ، ضارين على غير هدى ... ثم إنى ضرعت إليه أن يمدني في جفارته إلى بلادي ، فأجاب سُؤلي ، وأمدني بكل ما ييسر رحلتي ، ثم تفضل فثنى معي إلى البحر ، حيث قدم إلى جمعة مصنوعة من جلد مجل كبير جسد ، خُيِّلَ إلى أنه ذئب في سن التاسعة ، وهي جمعة من صنع جوفى سيد الأوب ، حبس فيها عظيم الآلهة رليح العالم أجمع ، وأحكم رباطها بسلك فضي متين ، حتى لا يفلت منها نفس واحد إلا باذن ... وانطلق الملك بعد أن أمر زفيروس - رب النسيم الحلو - فلا شرعنا ،

« شرع أوديسيوس يروي قصته للملك الكينوس ، فذكر كيف أظلت سفاته بعد إذ وضعت حرب طروادة أوزارها ، وكيف أرسلت في مياه إزهاروس ، وذكر ما كان من غزوته لهذه المدينة ونهبها ، وكيف كر أهلها عليهم فأوقعوا بهم ... وما كان من إبحاره ، ورسوه عند جزيرة اللوتوفاي ، أكلة اللوس ، وما كان من مشاركة بعض رجاله أهل الجزيرة في أكل هذا اللوس الحبيب ونسيانهم بذلك أوطانهم ، وتفضيلهم الإقامة بين اللوتوفاي ، حتى اضطر أن يذهب إليهم بنفسه ، ويرغمهم على العودة إلى الأسطول مكبلين في الأصفاة ... ثم روى ما حدث له بعد هذا في أرض المردة - وكيف حبسهم السيكلوب في كهفه ، وكيف كان يتنذى ويتمشى باثنين من رجاله ، وما دبروا له من قلع عينه بمجنع الزريرة المحسى في النار ، وما كان من هربهم مقلتين بطون الكباش مفتحين من أذى السيكلوب ، وما كان من إغاطة أوديسيوس له وهو واقف يتشكى منه في سفينته في عرض البحر ... وهو هنا يتم قصته ... »

وهب رخاء بين أيدينا ... وأأسفاه ! لقد كانت
هباته اللطيفة الرخية عينا ، وضاعت في غفلة
رجالي ، سدى ! . فلقد جرت بنا الفلك آمنة
مطمئنة طوال تسعة أيام بليالها ، ثم بدت لنا
شططان إثنا كما غفقت قلوبنا فرحا ، واستطمت أنا
نفسى أن ألمح مواطني الأعزاء يوقدون النار في
شعاف الجبال ... كيد أئى كنت منهم كما موهونا
من كثرة العمل ووعناء السفر ، وطول السهر
والمرافقة ، فداعت عيني سينة من الكرى ،
لأئى كنت أسهر على القيادة بنفسى طيلة الرحلة ،
ولم أكن آمن أحدا من رجالي على الاضطلاع بها
خشية الونى ، وخافة التأخير ... وبينما كنت
نائما ، لمب الوسواس في صدور رجالي ، زاعمين
أنى أحمل أذخارا من الذهب والفضة أسبقها على
إبولوس الملك ... قال قائلم : « يا للآلهة ! أبدا
ما وطئت قدما أوديسيوس بلاد قوم حتى تهلكوا
عليه فرحين مجيئين مكبرين ! وهو اليوم يمود
من طروادة ومعه من طرورها وسليها الجم
الكثير ... أما نحن فوا أسفاه علينا ! لقد
شار كننا تلك الرحلة المشقومة ، وهانحن نرضى
من التزيمة بالأياب ، ونمود منها أسفار الأيدي ،
لا أماننا ولا وراةنا ! وها هو أيضا قد فاز دوننا
برقد ملك الرياح ، إبولوس العظيم ، هلدوا يارفاق !
البدار إلى هذه الجمبة ننظر ما احتوت من أصغر
وأبيض ، وأعطيات وهبات ... ولمى ! » ، وأقبل
بعضهم على بعض ، وامتدت أيديهم إلى الجمبة
خلوا رابطها ... واحسرتاه ! لقد انطلقت الرياح
الحبيسة ، وزجرت العواصف المروج من كل
صوب ، وطفقت تكسحننا في شدة وعنف ...
بميداء ... من إثنا كما ! ! ولقد قفزت من غفوتى

خائفا مذعورا ... حتى كُحِيل لى أن ملوفاً قد
غمرنا ! . وظللت برهة في ذهول ودهش ،
وطفت الأحران على قلبي ، ورائت الموم على
نفسى ، وقت اليأس في عضدى ... ولكننى لم
أجد من الصبر بداً ؛ فتجملت السكازة في هدوء
وصمت ، وعصبت رأسى بثوب شف ، وانبطحت
في قمرى ... وراحت المواصف تدفع الأسطول
في غير هودة ، حتى بلغ شططان الأبوليين حمرة
أخرى ... وهنالك بكى بحبي ... ولات حين
بكاء ! ! وهبطنا الشاطئ ، وكان هنأ أن نرتشف
من ماء إيوليا المذب رشفات ، ثم جلسنا نمد
أكله عجبلى ونلثمها ؛ وتوجهت أنا وصديق
إلى قصر الملك فانية ... وقد كان يجلس لولية
كبيرة هو ولللك الحسناء المصون ، وأبناؤه القز
الميامين ... ولشد ما بدهه أن رانا بعد طول النأى
فخدجنا وقال : « ويك أوديسيوس فيم عدت
أدراجك ؟ وأى سلطان مشنوم لوى عنناك يبعد
إذ أرسلناك مزودا بحجر زاد لتصل إلى بلادئى ،
وتلقى آلاك ؟ أو أى آلر آخرين ؟ » ، وكان
فؤادى يتخلع حين قلت أجيبه : « تبارك الملك !
لقد خافى رجلى اللؤماء ، وخافنى معهم طائف من
الكرى ! فإذا شاء الملك فلجبر ما انصدع منا ،
وهو ما يزال صاحب الحوول والطول ! » ...
وهكذا شادت القادير أن أنف ضارعا إلى هذا الملك
مرة أخرى ... وقد تلبثت أبناؤه صامتين
لا يتيسون ... وا كفهر وجه الملك وقال :
« أيها الرجل انطلق ... إخرى عن جزيرتنا
هذه يا أتمس الناس ! انطلق فوالله إنى لأستغفر
الآلهة أن أكرمت متوى رجل مثلك عدو
نفسه ، محقوت من الأرباب ، مفضوب عليه من

مدخل المدينة فتاة عذراء تملأ جرتها من عين ماء هنالك ؟ فاكادوا يسألونها حتى علموا أنها ابنة الملك أنتيپاس ملك هذه البلدة وهدت بين أيديهم حتى كانوا في قصر الملك ، وهناك لقيتهم امرأة هولة عظيمة الجسم ، كأنها هضبة ، فلم يجسروا أن يمدوا إليها أبصارهم مما غشيم من النزع وكانت هذه هي الملكة ، التي صاحت عند ما لحق رجالي ، بزوجها ، فأقبل يهتر وتزّزل الأرض من تحته ، وما كاد يلح هؤلاء الغرباء حتى أمسك بواحد منهم وخبط به الأرض فخطمه كأنما أقبل ليخوض معممة وانطلق الآخران لايوان على شيء ؟ حتى بلغا سفائننا . . . ثم زحير الملك بصوت قاصف كالرعد يدعو إليه رعاياه ، فأقبلوا إليه من كل حذب ، مرده جبارين كالأنغال ، لا عد لهم ، ولا تقع العين على أشعث منهم . . . ثم تهاووا إلى الشاطئ حيث أرسى سفننا ، فخلوا يقذفونها بحجارة من سجيل ، جعلت رجائنا كصف ما كوله وجلعت مراكبنا حطاما كان يهوى إلى الأعماق ؛ بينما هؤلاء الجبابرة ينشلون قتلا بمجراهم ليمودوا بها إلى يومتهم فرائس سائفة يملأون بها بطونهم .. وهكذا استمرت هذه المذبحة الدامية .. وكنت واقفا في مركبي ، وجرازي إلى جانبي ، فأمرعت إلى حبال الرساة فقطعتها به ، وبادر رجالي إلى مجاذبتهم فأحملوا فيها أيديهم وبذلك نجونا من هذا الروع رغم الحجارة المائلة التي كانت تنطير فوق رؤوسنا وتهاوى عن شمالكنا وعن أيماننا ، فتشيع في فراثنا خطر الموت وطلنا نكافح الموج ونصارعه ، فراحين بنجاننا ؟ ومع ذلك ، فقد كانت تمتلج قلوبنا هما وأسى على إخواننا . . . ثم رسونا آخر الأمر عند جزيرة إيبيا ،

السبأ ٢ . وهكذا طردني الملك شر طردة ، ففضيت على وجهي ، ولقيت أسحابي ، وأبحرنا نذرع اليم المصطبج بمجاذبتنا ، ونسكب في هذه الأعماق المضطربة قوانا ، لا أمل لنا في الوصول إلى بلادنا ، ولا رجاء في الخلاص من هذه البؤوس ١ ووصلنا مدينة ليستريجونيا بمد نصب ستة أيام ليلاليها . . . تلك المدينة الموحشة التي بناها منالاموس العظيم والتي (تنزو الحشرات مروجها نهارا ، فيخرج الرعاة بقلعان الغنم ذات الفراء السمكة التي تسمى الحيوانات من ذبابة الماشية وتدفع عنها فائلها ، فإذا جن الليل عادوا بأغانهم إلى حظائرهم ، وذهبوا باللم لترعى في هدأة الليل ، ولتكون بأمان من غوائل الآياب الذي يكون قد غلبه النعاس)^(١) وصلنا إلى هذه المدينة فألفيناهها محصنة بصور عظيم من الحجر الصلب ، يتحدر قليلا قليلا إلى البناء ، بمضيق صغير لا تملو فيه موجة ، لا يتحرك فيه الماء وقد أدخل رجالي سفائنهم في هذا البوغاز ، وآثرت أنا أن أظل بسفينتي عند فمه ما يلي البحر ، فألقيت مرساى ، وثبتتها في حجر كبير ، ثم وثبت إلى الشاطئ ، وتسمنت روبة عالية ، وأخذت أجيل فاظري في الجزيرة ولم أقف لأنس أو حيوان على أثر ، وبدت الأرض جرداء بلقاء بيد أن دخانا كثيفا كان يساعد من وسطها ؟ فرأيت أن أبث بائين من رجالي جعلت عليهم قائدا رئيسا ، ليعلموا لنا من أنباء الجزيرة ، وليتجسسوا أخبار أهلها وقد قص هؤلاء آثار العرابات التي يستعملها السكان في نقل الأخشاب من النابة إلى مدينتهم ، ولقوا عند

(١) كلام هومر هنا غامض شديد الغموض ولذلك استلنا في إيجازته على شرح مترجيه . . .

نقط في صيات هادى . . . وذرت أورورا ابنة
الفجر الوردية هفتت برجلى ، فهبوا ، ثم جاسنا
ساعة تتشاور ، وأنا أقول لهم : « أيها الرفاق !
يا إخوان الشدايد ! ها نحن قد لضعنا بهذه الأرض
ولسنا ندرى أيان نذهب ؟ هل نشرق ، أم نغرب
أم نظل هنا أبد الدهر ؟ ولكن هلدوا فنظر
لأنفسنا غلصا كما نحن فيه . . . فاني حينما تسهمت
ذروة هذا الجبل أجلت الطرف في أرجاء هذه الأرض
فعرفت أنها جزيرة تتراى الى مدى البصر ؛ ثم
إني آكنت دخانا يملو في الجو من وسطها ، ينيث
من سروات طوال فيها ، قروا لأنفسكم أنا بكم
الله ! » — وكأنا سقط في أيديهم ، وكأنا حانت
بهم ذكريات آنتيپاتاس وقومه اللسترييون ؛ وما
لفوا من هول السكالب أكلة اللحم البشرى ،
فبكوا ساعة من الزمان ، ثم استرجعوا حيث
لا يمدى البكاء . . ثم إنى قمهم فريقين ، جعلت
على أحدهما يوريلاخوس ، وقرن الألهة ، وجعلت
نفسى على الفريق الآخر ، وجلسنا نقزع ، من
بذهب لارتياذ الجزيرة ، فوضعنا الرقاق في خوذتى ،
ثم كانت القرعة على يوريلاخوس ، فغضى ، وتحت
إصره اثنتان وعشرون من رفاقنا ، كانوا جميعا
بذرفون الدمع خوفاً وفزعاً مما وجهوا اليه ، وكنا
نحن نبادهم دما بدمع وبكاء ييكاء . . . ووجدوا
قصر سيرس في بطيحة^(١) منخفضة ، فإذ رأوا ؟
قصر منيف ممرّد يمدق بق تماثيل نحية من
سباع وذؤبان مسحرتها سيرس بمقائرها ذات
القوى الخارقة الخفية . . . ولم تؤذهم تلك الوحوش ،
بل كانت تثب على أرجلها الخلفية في دل وتلعف ،
ثم تبصيص بأذنانها كأنها كلاب السادة. المظاء

حيث تقبم سيرس ، ربة القناء والسحر ، ذات
الشعر الكهرمانى ، أخت إيتيس الحكيم من أيها
الشمس ، وأما برس ابنة أوشيانوس^(٢) . وكأنا
مشيت عناية البناء بين أيدينا فرسوفا في جون هادى
ساكن في غير جلبة ولا خبيج ، ثم هبطنا الى
الساحل فقلبتنا فيه يومين كاملين نستجم ونستروح
بما بنا من أين وجهد ، وكلنا فرائس لما في أضالعنا من
شجو وهم وشجن . ثم إنى تصلحت برعى وسينى
وحشنت خطاى في أسناد الجبل حتى كنت في ذراه
الشاهقة ، ووقفت ثمة أنظر وأتحسس ، فلمحت في
البعد دخانا يصاحد بين الدوح والزهى من قصر
سيرس . وبدأ لى أن أتوجه إليه من فورى عسى
أن أجد عنده خيراً . ولقد ترددت بمد ذلك كثيراً
وكدت أعود أدراجى الى السفينة لأرسل نفرا من
رجال يكشفون لى الطريق الى القصر ؛ وما كدت
أخطو خطوات حتى ساق لى أحد الألهة بظلى
غبر يرشد من اللرج المشب الحلو ليستقي مما ألج به من
ظلم فأرسلت إليه رعى قعصم ظهره ، وسقط يتخبط
في دمه ؛ وقطعت شيئاً من عساليج الصفصاف
وجدلت منها حبالا ، وأوثقت الغزال من أياطله
واحتملته على ظهرى ، ومضيت قدما لى رفاقى
متوكفا على كل خطوة على رعى إذ لم تمد شيخوختى
تستقيم لمثل هذا الجبل الكبير ، وهفت برجلى في
مرح وظرف : « هلموا يارفاق فلن نقضى قبل أن
نحبن أجائنا ! ! هلموا الى طي فتيق وخر عتيق ،
واطرحوا ما بكم من هم وضيق . . . وأقبلوا فزحين
وشمروا عن سواعدهم وهم يستهلون من جبل هذا
القنص الفريض ، وظللنا يومنا هذا نظم ونشرب
حتى إذا أدرى الليل سدوله انكفأنا على الشاطى^(٣)
(١) لم يترش شراح هومر لهذه الفترة ولنا اثبتنا
كما هى

فطفق بصمقنا بأنباء ما رأى : « أوديسوس ياذا
المجد ! لقد ذهبنا نتجسس كما أمرتنا ، وزود هذا
الوادي الأشب ، فوجدنا قصرًا مشيدًا فوق أكمة
عالية ، وسط بطيخة منخفضة ، ذاقبة سامقة
جلست تحتها امرأة أو ربة — لا أدري — وهي
لا تفتأ تمل على منسج بخفة وصنعة ، وترسل ألحانا
حنونًا حلوة ؟ وما كادوا يهتفون بها حتى نهضت
قلقيتهم بالبشر وفتحت لهم بابها على معرايه فدخلوا
جميعًا — حاشاي — فقد أوجست خيفة ، ووقر
في قلبي أن ثمة شركاوشك أن تدرى فيه ؟ وقد
راقبت رفاقى إذ هم جلوس لحظة غير قصيرة ، ثم
هالني ألا أراهم فجأة ! » وما كاد ينتهي حتى قفزت
إلى سيني فقلسحت به وأخذت قوسى ونمهاى ،
وأمرته أن ينطلق بين يدي إلى حيث ذهبوا من قبل
ولكنه ركع أمامي وتملق بساقى وجمل يرجو
ويلحف في الرجاء ألا تذهب .. « فأنك لن تفشل
في إعادة رفاقنا فقط ، بل قد تفشل في أن تنجو
بنفسك . فانطلق عن بقى منا ، وباحبذا لو استطلعنا
الفرار ! » ولكنى أجبته أن له أن يبق هو بأكل
ويشرب في السفينة ، ويكون بنجوة مما قزع منه
أما أنا ، فلم أر ضرورة لبقاى

وانطلقت لا ألقى على شيء ، ولكنى قبل أن
أبلغ البطيخة التى بها القصر ، لقبنى هرقل الحبيب
إله المصا السحرية . وكانت غايل السبا وبدوات
الشباب تتدفق في بردته ، وجررة الورد تلمب في
خديه ، لقبنى فصاغنى متلطفًا وقال : « أيها التمس أن
تضطرب وحك في هذه الأرض وقد حبست سيرس
من أرسلت من رجالك في حظائرهما بعد إذ سخرتهم
إلى خنازير شقية ؟ هل أقبلت لتنجهم ؟ أم جئت
لتحتجزك معهم إلى الأبد ؟ ولكن اصغ إلى : إني

حينما تتملقهم في وليمة من أجل لقبات ... وصمقوا
أول الأمر ؛ ثم انطلقوا حتى كانوا تلقاء باب الربة
صاحبة المكان ... وتسمعوا ، فاذا سيرس تنفنى
بصوتها المعبج المطرب وهي تعمل على نولها ،
مشفولة بنسيج سابرى عبقرى عجيب ، ليس يقدر
على مثله إلا الآلهة . وكان في رجال الفريق أمير
عظيم هو عندى أربطهم جأشًا فقال : « أسمعون
أيها الأصديقاء إلى هذا الغناء الحلو تردده جنبات
القصر ؟ إنه لا شك غناء ربة الدار التى تعمل على
نولها ، ولست أدري أربة خالدة هي ، أم من بنات
حواء .. وعلى كل ملهوا نهتف بها . » وتنادوا ،
وأقبلت سيرس فهشت لهم ويشت ، وأذنت لهم
أن يدخلوا .. فدخلوا ، وأسفاه ، إلا يوريلوخوس
فقد خشى أن تكون ثمة مكيدة أو أسجولة . ولقد
قادتهم إلى هوكيز صفت فيه عروش نخفة من
ذهب ، ما كادوا يستقرون عليها حتى أقبل الساق
بضمير وعسل ثم جىء بمجين وطعام آخر ، غلوط
بمقاير سحرية تذهب وحي أكليها ، وتنسبهم
ماسلف من أمورهم ، بل تسلمهم ذكريات أوطانهم
ثم ضربت كلا بمصاها السحرية بعد إذ أكلوا
ورودًا ، واستاقفهم إلى حظائرهما حيث مسخروا
فكانوا خنازير ، وإن أبقي السحر على ألسابهم .
أما طعامهم بعد هذا ، فقد كانوا يتناولونه من يدها
مباشرة ، فكانت تطعمهم جوز البوط والشاهبلوط
والكريز^(١) السكلاي . وما إلى هذا وذلك من
أكل الخنازير الخسيسة السائبة

وأقبل يوريلوخوس ينتفض من القدر ،
وينمقد لسانه فسا يكاد يبين ، ثم هدأ روحه قليلاً
(١) الكريز : وجه الكراز بالضم الأقط ، والمراد
هنا فاكهة الكريز

عليه ، وذهبت هي فزجت لي كأساً من الخمر بشيء من عقارها ، وقدمته لي فاحتسيتها ، بيد أنني لم أنفبر ولم أنحول عن صورتي ، فصربتني بمصاها السحرية وهي تقول : « هلم إلى الحظيرة حيث تقرر مع رفاقك » ولم تنكد تصمت حتى وثبت من مقعدى وامتشقت سيني ، وهجمت عليها ، وفي عيني جيجان من نار النضب ، فروع ربة السحر ، وزلزلت زلزالاً عظيماً ، وجرت نهمي ، وركمت عند قدمي ، وتعلقت بساقي ، وأخذت تضرع إلى وتقول في بيان رائع وكلمات باكية : « عمرك الله من أنت ومن أين قدمت وما ديارك ؟ تكلم ! أنت يا من لم تحرك جرعتي المائلة التي لم يذفها أحد وظل في صورته لحظة واحدة ! ولكنك تحمل قلباً لا تجوز عليه نفثات السحر ... ولكن هلم ... نعال ... إلى ! إلى ! أعرفك أحسن المعرفة ... إنما أنت أوديسيوس الصانع ذو الذكر ، ولقد وصات إلى هنا من اليوم بدورك فلم يشأ هرمض ذو المصا الذهبية أن يخبرني بعجبتك ! ولكن اغمد سيفك » وهلم فنم بالعناق فوق فراشي الوثير كزوجين ، وليفرخ روعك وليهدأ بالك ... اطمن يا أوديسيوس هلم ! » وصممت لحظة ثم انطلقت أجيبها : « سيرس ! كيف تصورين أن يفرخ رومي ويهدأ بالي وقد حبست في رحابك رفاقي وشركاء رحلتني بعد إذ سحرتهم إلى خنازير أيتها الربة ؟ ثم تخشين إفلاتي فتخادعينني وتبهرجين علي بطلاسم الحب ، داعية إياي إلى فراشك لتشوين صفاء فضيلتي برجس وذبلتك ... لا ... لا ، إلى أن أقامكم هذا الفراش حتى تقاسمني أغلظ الأقسام ألا تلحقني في أذى ، وألا تحاولي الاضرار بي » وراحت تحلف وتؤكد الحلف ، وتقسم وتغلظ في القسم ، ثم إلى انطرح

سأحب ما فعلت ، وسأحميك وأحفظك . خذ هذا القمار^(١) ولا يهملك بعد أن تدخل قصر سيرس فإنه ينذرك من كل خطر ... وهلم أعلمك ما عندها من السحر ، إنها ستمزج لك كأساً من الشراب بما عندها من رجس ، وستضع لك منه في طعام تقدمه لك فكل وادو ولا تبال ، فهذه البقلة المجيبة التي أعطيتك ستحبب كل ما تحبب لك فلا تقدر على مسخرك كمن مسخت من رفاقك ... فإذا عالجتك بمصاها السحرية فاهجم عليها بسيفك فير هياب ، وأرسل إليها شرر الغضب من عينيك فإنها حينذاك تنقاد لك ، وتقودك إلى فراشها ، وتحتال عليك بصنمة الحب وتلفات الهوى ، فأياك أن تنصاع لها حتى تعليك موثقها أن تبطل ما أنزلت برفاقك من سحر وأن تترفق بك فلا تمسك بأذى ، واحذر بإصباح أن تدنس فضل خيرك بما ركب في طبعها من شر . » وانجني رسول الآلهة فالتقط عشيبة من الأرض ثم وضعها في يدي وأخذ يكشف لي أسرارها ويقفني على قواها الخارقة . وذكر لي أن اسمها (مولي) ، وبه يدعوها في السماء وأن الآلهة وحدهم يعرفون كيف يشفون بها رقي السحر ... وكانت جذورها سوداً حالكة السواد أما زهرتها فكانت بيضاء فاصمة البياض كاللبن . وودعني هرمض ، ثم رف ورف ، وأخرج في السماء . وانطلقت أنا أخبط في ظلمات من هواجس حتى كنت لدى باب ربة السحر التي وجدتها تعمل كما ذكر لي صاحب على نولها ... وصمت صبيحة عالية ، فأقبلت تنهادي نهمي وفتحت مصاريع أبوابها ، ودعنتي ، فدلقت ورامها ، حتى كنتا عند عرش عظيم مجرد فضي ، ذي درج ، فاستويت

فعادوا إلى صورهم البشرية ، وبدوا في أنفصر شباب وأصباه ، ثم أقبلوا نحوي بالثمنون يدي ، ودموع الفرح تبال مآقيهم ، وطفقوا يصيحون ويصيحون وتردد أصداءهم جنبات القصر ، حتى تأثرت سيرس نفسها بما رأيت ، وراحت تقول : « يا ابن ليرتيس الصنّاع ، هلم إلى مركبك فاشدها فوق البر لتكون بئامن من غوائل البحر ، ثم خيء كنوزك وأذخارك في غيران هذه الجبال ، وعد إلى في جميع رفاقك »

وعربت لهذه الفكرة فهرولت إلى الشاطئ حيث لقيت رفاق الآخرين يندبونا ويذرفون دموعهم علينا . وما إن رأوني حتى أهرعوا نحوي يرقصون ويطربون ويحجون كهذه البهم التي تعود في المساء إلى حظائرهما فتتلقاهما صندارها بالثناء والرفاء والفضواء . وهكذا تلقاني أولئك الرفاق . وبدلت دموع أحزانهم بسمرات السرة ، وخيل لهم أنهم رأوا في وطنهم النائي المحبوب إيثاكا ، حيث ولدوا وحيث نشأوا وترعرعوا . . . قال قائلهم : « تالله لكنا رأينا فيك أوطاننا يا أوديسيوس ، وتالله لقد طفرت قلوبنا حين علمت إلينا فمادت أرواحنا إلى أبدانها . حدثنا أيها المميز كيف هلك إخواننا في هذا التيه » .

وقلت لهم : « هلوا أولا نبحر صر كينا على هذا السيف الهادئ الطعمن ولنتخي أذخارنا وسلاحنا في غيران هذه الجبال ، ولنتطلق جميعا إلى سيرس حيث ترون جميع رفاقكم في أمتعة وعز وطعام وشراب ، ونعيم مقيم » . وسعدوا بما أسرهم إلا يوريلوخوس ، فقد سمر مكانه ، وكأنه لم يحفل بما أخبرت به ، ثم حرك شفثيه فقال : « ويح لنا نحن الأشقياء البائسين ! فم ذهابنا نحن الآخرين إلى قصر سيرس ، وقد تمسحنا جميعا إلى سباع أو ذؤبان أو خنازير ، ونظل إلى الأبد نحرس عربتها صرغين ؟ لقد ذهب كثيرون منا نخية هوس

في سريرها الفخيم الديباجي . وأقبلت أربع من عرائس البحر ، خطرن من اليم وأقبلن من الميون والحرج المجاور لينهنن بخدمتنا . أما الأولى فقد أصلحت من سريرنا وطرحته عليه مطارف الخز ، وأما الثانية فقد صفت الموائد ورتبت الكرامى ، وجاءت الثالثة بزق عظيم من خرطية ملأت بها الكؤوس الذهبية المنضدة فوق الموائد — أما الرابعة فقد أعدت لي حماما ساخنا وضمتني بأحسن الروائح والطيوب ، حتى انتمش جسمي الخائر ، وتأرجحت روعي الفاترة . . . ثم ألبستني ثوبين غالين من أنذر الديباج ، ومشت بين يدي إلى عرش عظيم مزدان بأحسن التصاوير ، ومطعم بالذهب والفضة ، فاستويت عليه ، واضما قدى على درج من لباد ناعم . . . وأقبلت بيد ذلك عروس أخرى فصبت الماء على يدي من إبريق من ذهب ، في طست من فضة ، وجاءت عابدة حافلة بأشهى الآكال فوضعتها قدماي ، لكنني ما مددت إلى شيء من ذلك يدي ، لما كان يساورني من الهم ، وما يشغل بالي من الانتقام ؟ فلما لحظت ذلك سيرس أقبلت تميس ، وأخذت تلاطفني وتقول : « مالك تجلس ساكنا هكذا يا أوديسيوس كالذي غشى عليه ما تكاد تعتمد يدك إلى شيء ، كأن ألف وسواس يخمارك ؟ أما تزال تنحس مكيده فتخاف أن تتردى فيها ؟ ! ألا ما أكبر غفلتك يا صاح ، إطمئن ، فلقد أعطيتك موثقي وحلفت لك بأغلظ الایمان : « وأحببتنا قائلك : « كيف تعتمد يدي إلى طعام أو شراب ورقاق ما يزالون في إساد سحر ك ؟ أبدأ لن أذوق شيئا حتى ترحبهم إلى صورهم » ثم ألتقي بهم » ونهضت تجمل عصاها السحرية ، وذهبت من فورها إلى الحظائر حيث أطلقت رفاق ، وكانوا ما يزالون في صور الخنازير ، ثم جاءت بترياق فسحقتم به ،

في أرغد عيش وأحسن حال ، متقلين في أرغه
نعم ؛ ثم استدار الزمان ، وهتف بنا قانون الأزل ،
فدعاني رجلى إلى جلسة خارج القصر فقالوا لي :
« تذكر يا مولانا وطننا الأول ، فانا نحن إليه ،
ونتمنى لو ساقطنا المقادير إلى شطآنه » ، وكأنا
نهبوا منى غافلاً ، قتلبننا يومنا هذا على مائدة ربة
السحر في بلهنية وعيش مخفرج وخمر ، وأقبل
الليل فأوى كل إلى فراشه ، وأويت أنا إلى سيرس
فداعيتها ولاطفنها ، ثم قلت لها في رجاء وظرف :
« سيرس ياربى ! حبذا لو وفيت بمهدك فأرسلتنا
فوق هذا البحر رحمة بنا ، لنقضى حاجات الوطن ،
ولتنقطع شكوى صحابي التي مرقت نياط قلبى .
وقالت سيرس : « أوديسوس العزيز ، للمروف
بإسالة الرأي ورجاحة الفكر ، إني لن أتركك على
البقاء هنا ، لا أنت ، ولا أحداً من رفاقك ،
ولكنك قبل أن تفكر في شد رحالك إلى بلادك
ينبى أن تذهب في رحلة شاقة بعيدة المدى ...
إلى هيدز ^(١) ... دار بلوتو ^(٢) وبرسقونية ...
حيث تلقى النبي الصديق الصالح تيرزياس ، الذى
احتفظ وحده في عالم الموت بكل أسرار وقواه الغيبية
الخارقة . والذى يشوى في رجايب مليكة الفناء
يتنبأ لها وتستوحيه وتستشير فيعرف ^(٣) لك غما
يهمك ويقفك على ما ينطوى لك من صحف
الغيب » وما كادت تنتهى حتى أحاولت الدنيا
في عيني وتدققت الموموم في نفسى ، وأجهشت
وأجهشت ، ثم استخرطت في بكاء طويل .
وما كدت أصحو من هذه النوبة حتى قلت لها :
« أنى لي ياربى أن أذهب إلى هيدز ؟ ومنذا الذى

أوديسوس وقلة بصره ، يوم حبسنا للمسيكوب
من أجل أطاع رئيسنا الطباش ^(١) ! » وأوشكت
أضرب رأسه بجرازي ، فيخر الى الأرض برغم
ما يربطني به من أسرة الوطن ووشيجة القرية ،
لولا أن هب رجلى الآخرون يصرخون ويقولون :
« أوديسوس الكريم ! لنتركه هنا ليحرس
فلسكتنا ، أما نحن فراحلون معك الى قصر سيرس ،
ولو كان ملثته الفزع الأكبر ! » وتدفقوا من
السفينة على الشاطئ ، وانخرط يوريلوخوس بينهم
منصاعاً لنظراتي التأججة ... أما ما كان من
سيرس حينذاك ، فأنها أدخلت رفاقي الى حشائها
ثم ضمهم بأحسن الطوب ، وخملت عليهم أغفر
الملابس ؛ ولما وصلنا وجدناهم بطعمون ، فإ إن
رأونا حتى هبوا يمانفون صحابهم ويكون . ثم
جلسوا يستمعون الى قصة ما حل بأخوانهم ، وهم
يصمدون زفرات الحزن ، ترددها قباب القصر .
ونهضت سيرس فوجهت الى الخطاب إذ تقول :
« ابن ليرتيس العزيز هون عليك ، وليرفه رجلاك
عن أنفسهم ، ولا يستسلموا هكذا لنوبة الحزن ،
ولترقا دموعهم جميعاً ... إني لا أجعل ما تحبهموا
من أهوال في ذاك البحر المضطرب ، وما لقوا من
فواحش في كل أرض ، بما كتب لهم في لوح
القضاء ... ولكن ، تسالوا جميعاً ... أنشوا
نفوسكم الخالدة بكؤوس الراح ، ولتستشعروا بأسكم
الذى كتبتم تستشعرونه يوم غادرتم شطآن إيثاكا
العزيزة . . . إنكم إن لم تتناسوا آلامكم فأنها تفت في
عضدكم وتوحى من قوتكم وتكون أبداً حلقاً لكم
وإلباً عليكم ، ولانمودون تشمرون معها بلذة العيش
وهجة الحياة ! » ، ووقفت كلأتها في قلوبنا فأقبلنا
على الطعام والدما ؛ ثم إننا أقننا عندها غاماً بأكله

(١) النار الآخرة

(٢) إله الموت وزوجه

(٣) يشكهن — من الزفافة بالكسر

يحدوني إليها ، ولم يسبقني إليها أحد من أحياء البشر ؟ » فقالت بحبيبي : يا سليل ليرتيس العظيم ليفرخ وروك ، ولا يمزك ألا يكون لك إلى هيدز من دليل . بل هلم إلى سفينتك فأصاح قلاعها ونشر شراعها وستهب الصبا سحجاً فتشد هديكم رويدا ، فإذا جزتم هذا البحر المحيط ، وبلغتم الشاطئ^(١) الذي تنمو فوقه أشجار الحور والصفصاف الباسقة ، ثمة باسم پرسفوني ، فادفعوا إليه بسفينتكم ثم تهاووا إلى مئوى ياتو السحيق الذي يبتدىء عند الصخرة الهائلة التي تشكسر فوق أواظها أمواه أشيرون وستيكس وكوكيتوس فازكوا بسفينتكم ثمة ، واحفروا عندها حفرة ذراعاً في ذراع ، ثم صبوا في جهتها الأولى قربانا من لبن وعسل ، وفي الثانية خرا ممتقة من أحسن ما تمصرون ، وفي الثالثة ماء قراحا ، فإذا كانت الرابعة فأنثروا الدقيق فوق الجميع ، واصنعوا ذلك باسم الملقى جيما ، ثم اندروا لهم أن تذبخوا — يوم تعودون إلى إيشاكا سالمين — مجلجا جسدا من أحسن قطعانكم : واندروا كذلك ليرزياس كبشا سموريا ليس في أفنامكم أسمى منه ولا أقوى جلادا فإذا فرغتم من صلاتكم ونذركم وأدعيتكم لجميع الموتى من كل الأمم ، فاذبحوا في الحال كبشا ونمجة سمورية ، على أن تكون رأسا الضحيتين تلقاء إربوس وعلى أن تشيعوا بوجوهكم تلقاء الشاطئ فإذا صنعتم كل هذا فسرعا ما ترون أرواح الموتى تقبل نحوكم من كل فج ، فسارعوا إلى ذبايحكم بأسلخوها وألقوا بالحوما في النار مصلين ملين داعين كيلا تهدأ نفسا ياتو وزوجته پرسفوني ، ولا تسمحوا لأرواح الموتى أن تقرب أخصياتكم ، وذودوم عنها بأسيا فكم حتى تلعخوا تبرزياس قادما

فليقاكم ويحدثكم ويوضح لكم ما غم عليكم من سبيلكم في هذا البحر الرجراج المتلاطم بالأمواج » وسكنت ، وانبليج الصبح ، فنهضت تصلح من أنوابها وتضفي عليها من شوقها البيض كالندف ، وتثر فوق رأسها تلك الغلالة الرقيقة كالنسيج . أما أنا فنهضت كذلك ، واكتسيت صداري ودماي ثم توجهت إلى رفاي فأيقظتهم وحثتهم على الابحار من نونا كما رسمت سيرس . وقد هبوا جيما إلا فتى يافما لم يكن له يدان في هذه الشدائد ، بل كان كل همه في كأس من خمر ينطرح بعدها وهو لا يبي شيئا . وكان اسمه البنور ، وكان قد غرق في سبات عميق فوق سطح القصر وقد أفرغه ماسع من حاجلة أسلحتنا فهب من نومه غمورا متخاذلا وساقته قدماه إلى حافة السطح فزلت قدماه ، وسقط إلى الأرض ، ودق عنقه ، فسبقت روحه إلى هيدز . وقالت لأخواني لما اكتمل جمعهم : أنظنونا أما مبحرونا إلى أوطاننا ! كلا يا رفاي فأما منا رحلة طويلة شاقة إلى هيدز ، حيث يبنى أنت نافي نيرزياس النبي الصالح ليُعرف لنا ويقفنا على صفحة مما يطوى لنا الغيب ، بهذا رسمت سيرس ، وأنا لنصيحها لسامعون ! ، وخفقت قلوب إخواني ، ونظر بعضهم إلى بعض ، ثم جلسوا يشدون شمولهم من الحسرة ، ولسكنهم صدعوا أخيرا ، بيد إذ أيقنوا أن لا شيء غير هذا ينفعهم . وانقلبنا إلى البحر ، وكانوا مازالون يذرفون دموعهم ويصعدون حسراتهم . . . وفيما نحن ذاهبون ، كانت سيرس تسوق إلى السفينة كبشا عظيما ونمجة سمورية . . . وإن كنا لم نرها قط ، ومنذا الذي تستطيع عيناه أن تראה كريمة رائحة أو جالية إن لم تبشأ هي أن تكشف نفسها ؟ »

دريتي فشب

(يتبع)

(١) الذي يزل للام مصدر استعمل صفة ooyz

FIN

DU

DOCUMENT

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

مجلة الآداب الرفيعة والثقافة العالية
تصل الماضي بالحاضر وتربط الشرق بالغرب
على هدى وبصيرة

الرسالة : تعبر بأخصاص عن روح النهضة المصرية

الرسالة : تجمع على وحدة الثقافة أبناء البلاد العربية

الرسالة : تصـور مظاهر العقيدة للأمة العربية

الرسالة : تسجل ظواهر التجديد في الآداب العربية

الرسالة : تنجي في النشء أساليب البلاغة العربية

مجموعة أعدادها ديوان العرب المشترك ، وكتاب الشرق
الجديد ، وسجل الأدب الحديث ، ودائرة معارف عامة

الاشتراك الداخلي ستون قرشا ، والخارجي ما يساوي جنيتها مصريا ، وللبلاد العربية بخمسة ٢٠ ٪

طبعت بمطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بشارع الكرداسي رقم ٩ بالقاهرة

المروية

مجلة أسبوعية للقصص والسير

تصدر مؤقتاً في أول كل شهر وفي نصف

1937
Volume 1